كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي العاشر

المشرفون على المؤتمر العلميّ الدّولي

البروفيسور محمود الخزاعي

رئيس جامعة العدالة والحكمة، الولايات المتحدة الأمريكية

الاستاذ المساعد الدكتور ستار عايد العتابي

رئيس مركز النخب للبحوث والدراسات، الصين

ومدير المدرسة العراقية في الهند

رئيس المؤتمر العلمي الدولي

البروفسور حسن عبود علي النخيلة، جامعة البصرة.

رئيس اللجنة العلمية

البروفسور مها محمد صالح، جامعة ديالى العراق.

رئيس اللجنة التحضيرية

البروفسور منتهى طارق حسين، جالجامعة المستنصرية العراق.

www.uojaw.education
uojaw@uojaw.education
001(313)676-6330

رقم الايداع : ISBN 979-8-9951263-0-0

9 798995 126300

كتاب وقائع المؤتمر العلمي الدولي العاشر تحت شعار *المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع*

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي العاشر المحكّم حول

آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي:
مقاربات متعددة التخصصات
لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة

تحت شعار

المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع

من تنظيم The University and Institute of Justice and Wisdom in the United States of America وبالتعاون مع Elevate human leadership, America ومركز النخب للبحوث والدراسات، الصين- دار الفنون والآداب للنشر

بتاريخ

2026/02/07-06

عنوان الكتاب: كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي العاشر المحكّم حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة تحت شعار *المعرفة المتكاملة رافعةٌ للتغيير والإبداع*

السداسي الأول 2026

رقم الإيداع ISBN: 0-0-9951263-8-979

الناشر: دار الحكمة للمنشورات الجامعية بالتعاون مع دار الفنون والآداب للنشر

إيميل: uojaw@uojaw.education

هاتف: 001(313)676-6330

المقر: الولايات المتحدة الأمريكية

تصميم: فريق دار الحكمة للمنشورات الجامعية

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر
يمنع نسخ أو استعمال الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة نشر أخرى من دون إذن خطي من الناشر

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدوريّ العاشر المحكّم حول

آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي:

مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة

تحت شعار

• المعرفة المتكاملة رافعةٌ للتغيير والإبداع•

أيام 06-07/02/2026



كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدوريّ العاشر (10)

المحكّم حول

آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي:

مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة

تحت شعار

۞ المعرفة المتكاملة رافعةٌ للتغيير والإبداع۞

أيام 06-07/02/2026

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

۞المشرفون على المؤتمر۞

البروفيسور محمود الخزاعي، رئيس
The University and Institute of Justice and Wisdom in the United States of America
الاستاذ المساعد الدكتور ستار عايد العتابي، رئيس
مركز النخب للبحوث والدراسات، الصين
ومدير المدرسة العراقية في الهند

۞رئيس المؤتمر العلميّ الدّولي۞

البروفسور حسن عبود علي النخيلة، جامعة البصرة

لكتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

۞رئيس اللجنة العلمية۞

البروفسور مها محمد صالح، جامعة ديالى العراق

أ. د/ محمد خيري الندوي	الهند	أ.د/ جلال شنته جبر البطي	جامعة العين العراق
أ.د/ تحرير علي حسين	جامعة البصرة العراق	أ.د/ محمد مسعود اعمار المصباحي	ليبيا
أ.د/ شكري عبد المجيد صابر	جامعة القاهرة مصر	أ.د/ رندا مصطفى الديب	جامعة طنطا مصر
أ.د/ منتهى طارق حسين	الجامعة المستنصرية العراق	أ.د/ أحمد شاكر محمود	جامعة ديالى العراق
أ.د/ مؤيد سعيد خلف الشمري	جامعة ديالى العراق	أ.د/ قبوب لخضر سليم	الجزائر
أ.د/ ماهر عبد الجبار إبراهيم	جامعة البصرة العراق	أ.د/ نيرفانا حسين الصبري	مصر
أ.د/ رياب صالح حسن	الجامعة المستنصرية العراق	أ.د/ زيد طالب فالح	جامعة ميسان العراق
أ.د/ ثامر نجم عبود	جامعة المثنى العراق	أ.د/ عبد الله عبد علي	جامعة البصرة العراق
أ.د/ حاكم موسى عبد الحسناوي	وزارة التربية - العراق	أ.د/ مجيد حميد الجبوري	جامعة البصرة العراق
أ.م.د نورس عدنان شهاب	جامعة البصرة العراق	أ.م.د حسين شويل التميمي	جامعة ذي قار العراق
أ.م.د ستار عايد بادي العتابي	وزارة التربية العراق	أ م.د. حافظ فرهود السالمي	جامعة الإمام الكاظم العراق
*أ.م.د محمود حسن زغير	وزارة التربية العراق	أ.م.د. هدى محمد صالح الحديثي	جامعة بغداد العراق
أ.م.د. عبد الحق بلعابد	قطر	أ.م.د. مازن خضير عباس	جامعة الإمام الكاظم العراق
أ.م.د. أحمد فرج فليح	جامعة البصرة العراق	أ.م.د. بشير سبهان أحمد	جامعة تكريت العراق
أ.م.د. لمياء صفاء حسن حسين	وزارة التربية العراق	أ.م.د. حسين نهاد عبد الحميد حايك	جامعة الموصل العراق
أ.م.د. ريم محمد طيب الحفوظي	جامعة الموصل العراق	أ.م.د. كوثر عبد الحسن عبد الله	جامعة المثنى العراق
أ.م.د زين العابدين خالد عطية	جامعة الامام الكاظم العراق	أ. د/ فاطمة علي ولي	جامعة سامراء العراق
أ.م.د. ياسر محمود المكدمي	جامعة ديالى العراق	أ.م.د واثقة حازم جاسم	وزارة التربية، العراق
أ.م.د بكر محمود علو السامرائي	العراق	أ.م.د علي عواد ميزر	جامعة المثنى العراق
أ.م.د. باسم كسار كظم	جامعة المثنى العراق	أ.م.د ساهرة حسين محمود	جامعة البصرة، العراق
*م.د بان أمين عمر الربيعي	العراق	*م.د اسراء ياسين محمد عبد الله	جامعة كركوك، العراق

م.د فراس عبد الجبار ثابت	جامعة البصرة العراق	م. د امل محمد عبد الله	جامعة البصرة، العراق
م.د. سامرة فاضل محمد علي	الكلية التربوية المفتوحة العراق	م.د زين العابدين فتحي	جامعة البصرة العراق
م.د. زينب حسين كاظم المحنا	جامعة القادسية العراق	م.د. أحمد حيدر علي العبادي	وزارة التربية العراق
م.د احمد هاشم عبد	وزارة التربية	م.د علي محمد محمود	جامعة سامراء العراق
م د مروه نزار يوسف	جامعة البصرة العراق	م.د. مروة علاوي سلوم	جامعة سامراء العراق
م.د. شفاء رضا عبد الرزاق	جامعة سامراء العراق	م. د أثير إبراهيم عيدان النجار	وزارة التربية العراق
*م.د احمد فرحان مشعان	جامعة الموصل- العراق	*م.د الاء حسين محمد الخفاجي	جامعة كربلاء، العراق
* د. بن عودة صليحة	الجزائر	* د. منير محقق	جامعة الحسن الثاني المغرب
د. يوسف محمد فالح بني يونس	أمريكا	د. محمد داود	ايطاليا
د. ساته نجيم	الجزائر	د. مي عبد الخالق الحديثي	وزارة التربية العراق
د. شيرين حسن مبروك زيدان	السعودية	د. هبة الله محمد الحسن سالم صالح	السودان
د. بلحسين فاطمة الزهراء	الجزائر	د. ماجد قاسم عبده السياني	اليمن
د. أمال بابكر معتوق	السودان	*د. فاطمة الزهراء حاج صابري	الجزائر
د. إيهاب محمد أحمد الشيخ خليل	مصر	د. بعارسية صباح	الجزائر
د. سامية غشّير	الجزائر	* د. رقية عبد الصمد	الجزائر
د. أحمد حمدي أبو ضيف زيد	مصر	د. عائشة محمد علي الغويل	ليبيا
د. فاطمة خريس	مصر	د. عمارة سيدي محمد	الجزائر
د. لعجال لكحل	الجزائر	د. معن قاسم محمد الشياب	الاردن
* د. مريم أسية حيدور	الجزائر	*د. مليكة صالح	الجزائر
* د.حنان بعجي	الجزائر	*د. بابه عائشة	الجزائر
* د. عبد الرحمان برادي	الجزائر	* د. محمد امشيش	جامعة عبد المالك السعدي/المغرب
م.م علي خليل عبدالكاظم	جامعة المثنى العراق	م.م. ليلاف دشوار محمد	جامعة الموصل العراق
*آمال بن الطاهر	المغرب	*م.م إيمان علي ناصر لعيبي	الجامعة المستنصرية، العراق
* م.م مصطفى احمد عبيد	جامعة بغداد، العراق	*م. م نور جمال طالب	جامعة بابل، العراق

۞رئيس اللجنة التحضيرية۞

البروفسور منتهى طارق حسين، الجامعة المستنصرية العراق

أ.د رسول حمود الدوري	جامعة بغداد العراق
أ.م.د. جواد كاظم عبد	جامعة المثنى العراق
أ.م علي فيصل حسين السعد	الجامعة التقنية الجنوبية
م.د. أركان عبد الزهرة غايب	الجامعة التقنية الجنوبية العراق
م.د ليث فاروق رؤوف	وزارة التربية العراق
* م.د. أحمد زهير عبد الأمير السلطاني	وزارة التربية العراق
* م.د. ساجدة علاي داود	جامعة بغداد العراق
* م.د معن حسن محمود	جامعة كركوك، العراق
* م.د محمد قاسم محمد	جامعة كركوك، العراق
م.م بيداء كاظم مطر الربيعي	وزارة التربية العراق
م.م. نور كامل عبود	جامعة بغداد العراق
* م.م معد عبد ابراهيم	جامعة كركوك، العراق
م.م . شيماء محمد علو	جامعة سامراء العراق
م.م زينب نوري هاشم	جامعة البصرة العراق
م.م. نوره سيد عيسى	جامعة بغداد العراق
م.م. حسين لفته حسن	وزارة التربية العراق
م.م. أسامة عبد الله عهد	وزارة التربية العراق
م.م. جعفر هاشم صالح	وزارة التربية العراق

م. م. إيمان علي ناصر	الجامعة المستنصرية العراق
م.م. هالة محمود علو	وزارة التربية العراق
م.م. بسمة محمد عبدالله	جامعة ديالى العراق
م.م. زينب رحيم كاظم	وزارة التربية العراق
م.م. هيفاء فاروق كريم	جامعة تكريت العراق
م.م أمينة نعيم صيوان	جامعة المثنى العراق
م.م نوال جمعة شنشول	جامعة المثنى العراق
م.م هشام هيثم بدر	المدرسة العراقية نيودلهي الهند
م. م دعاء علي مالك حبيب	جامعة البصرة، العراق
م. م صبا جواد نعمة	جامعة البصرة، العراق
م م عبد القهار رايح علي	جامعة البصرة، العراق
*م.م. رباب راسم كاظم	وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، العراق
*م.م. رحيق عيسى محمد	جامعة كركوك، العراق
*م.م. علي عبيس حسين علي العموري	جامعة بابل، العراق
*م.م زينب احمد محمد البياتي	جامعة كركوك، العراق
*م.م أسماء طه مخلف السويداوي	جامعة كركوك، العراق
* م. طيف حاتم شر دغلي	جامعة بابل، العراق
م.اسراء شاكر صكر	جامعة المثنى العراق
م. ندى جميل الكامل	الجامعة التقنية الجنوبية العراق
*م. حقي إسماعيل عانم	وزارة التربية العراق
*م. ياس خضير إبراهيم سلمان	وزارة التربية العراق
*م. وداد مهدي جاسم محمد الشمري	جامعة كركوك، العراق

*سهام بابا
تطوان، المغرب

* نجية المبروك موسى الزغيد
جامعة النجم الساطع البريقة / ليبيا

* حنان بوتفور،
جامعة عبد المالك السعدي-طوان – المملكة المغربية

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

الفـــــــــهرس

صعوبات تعلّم القراءة في المرحلة الابتدائية، بين المقاربة التعليمية والتفسير الأرطوفوني فوزية بداوي كريمة أوشيش	ص22
التعليم والمجتمع والعامل البشري في عالم متغير: نهج ديموغرافي–تعليمي متكامل للمعرفة والتغيير والابتكار طارق بن سليمان رابح صولة	ص46
إشكالية تدريس اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي: رهانات التطوير وحدود الاستخدام. حمزة لعيالي	ص64
اللغة العربية في نصوص علماء الحلة: دراسة في استعمالات حرفي الضاد والظاء (من القرن 5–9هـ) م. علي عبيس حسين علي المعموري م.م. ميثاق كاظم عبد العباس عبد الله	ص80
التقويم التربوي بين ثنائية الأهداف والكفاءات دراسة تحليلية في الأسس والممارسات والتحديات م.م. رياض محمد عبيد حسين م. م. حيدر عبد الكاظم اسماعيل	ص118
التكامل بين العلوم التربوية والأرطوفونيا والذكاء الاصطناعي في تشخيص ومرافقة ذوي صعوبات التعلّم د. أمينة سعد الدين د. كهينة لطاد	ص133
السرد والمعنى في التربية: قراءة نقدية في التعلم السردي عند جيروم برونر فيصل بناني	ص146

الأسماء التجارية للمؤسسات الاقتصادية الخاصة بالجزائر العاصمة: استراتيجيات التسمية في سياق تعدد اللغات والثقافات كسور آسيا	ص163
ظاهرة الإدمان الرقمي وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي داخل الأسرة المدرس المساعد قصي عبد العزيز عبد العزيز	ص177
التحديات المعاصرة للتنشئة الاجتماعية فجيري حسيبة بطوش صورية	ص195
التقليد الأعمى وأثره في الغاء الشخصية وتولّد الفكر المنحرف م.م زينب خضير عباس القره غولي	ص212
المجتمع والإنسان في عالم متغير: بين التحول البنيوي والأزمة القيمية سعودي لزهاري، طالب دكتوراه	ص230
قراءة سوسيوتربوية للجودة المدرسية في ظل ثنائية التعليم (الصفي والرقمي) كممارسة في النسق التعليمي الجزائري بعجي حنان أ.د/ تالي جمال	ص241
قراءة سوسيولوجية لواقع الأستاذ الجامعي في ظل الرقمنة الدكتور بلمقدم يحيى الدكتورة جلطي مريم	ص258
التحوّل الرقمي وأثره على العلاقات الاجتماعية في المجتمع اللبناني– دراسة ميدانية على محافظة بيروت د. هتاف الأتات	ص273
تأثير مواقع التواصل الإجتماعي على الأسرة رؤية معاصرة م.م سالي محمد عبد غفران رزاق منصور ا.د. عمار باسم صالح	ص302

التحول الرقمي والانعكاسات السلبية على الصحة النفسية لدى الأطفال الناتجة عن الاستعمالات الضارة للتكنولوجيات الرقمية الحديثة نورالدين الداودي	ص317
صراع عمل/أسرة وعلاقته بالتوافق المهني لدى الممرضين بوتوتة لامية	ص349
Analogie et cognition : processus mentaux et apprentissage Nora EL ALAOUI Noraddine BARI	P364
المفاضلة المذمومة في الخطاب القرآني – دراسة موضوعية – م.د. زينب سلمان داود	ص378
"الخطاب الحجاجي في سورة الشعراء، دراسة تداولية تواصلية" م. د. سلوى شكري شاكر	ص420
مفاهيم التنمية المستدامة وحكمها وفق المنظور الشرعي رؤية مقاصدية م.د.ساجدة علاوي داود	ص441
ضوابط لغوية في استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء: تقرير وتمثيل البشير قصري رشيد ابن حساين	ص456
التنشئة القيمية في الإسلام بين الأسرة والمدرسة والفضاء الرقمي: قراءة مقاصدية في تحديات التربية المعاصرة الدكتورة خيرة شيايدي	ص475
"فقه المآل بين التأصيل الأصولي والتطبيق التربوي". محمد بوديح محمد وماسي	ص482

التربية الإسلامية وبناء الانسان وترسيخ السلم الاجتماعي في عالم متغير للباحثة: نجاة شوّاط	ص491
مساهمة حصة التربية البدنية و الرياضية في بناء شخصية الطفل السوية و تنمية مهاراته النفسية في المرحلة الإبتدائية –قراءة تحليلية في ضوء منهاج التربية البدنية و الرياضية مرحلة الإبتدائية – العلالي مايسة بن حفيظ مفيدة	ص513
الأنتروبولوجيا والتنمية أ.د/ بن معمر عبد الله أ.د/ نعيمة رحماني	ص533
المؤرخ القديم فى عصر الخوارزميات دور التحول الرقمي فى إعادة بناء السرديات نظمية على عبدالله الزوام	ص549
اسرة آل مُعية الحلية ودورها ودورها الثقافي والعلمي م.م عصام فخري برتو الشمري	ص564
مؤسسات الدولة العراقية من البناء إلى الأنحطاط في ضوء مذكرات العاملين الأجانب في العراق المس بيل و بريمر انموذجاً أ.د.حسن علي عبدالله أ.م.د. ساهرة حسين محمود	ص596
"الأزمات الداخلية وتأثيرها على تحولات السياسة الداخلية والخارجية في إنكلترا (1660–1670): دراسة تاريخية تحليلية" م.د اميرة سعيد الياسري	ص614
الفرق الموضوعة في الإسلام النظامية إنموذجاً أ.د. حيدر عامر السلطاني	ص641
Cultural Transformation and Identity Formation under French Colonialism in Algeria **Guendouzi Abdelhak**	P677

(الكفاءة الانتاجية لمطاحن الاتحاد للصناعات الغذائية) م.د الاء حسين محمد الخفاجي	ص691
تحليل جغرافي للتركيب العمري والنوعي لسكان محافظة كربلاء للمدة 2009 – 2024م م. وسيم عبد الواحد رضا النافعي	ص706
التنقيبات الاثارية في موقع بورسيبا (دراسة ميدانية تحليلية) م. د. وفاء كامل عبيد الخفاجي م. مساعد علي عبد الحمزة لازم الجشعمي	ص730
الهوية المزدوجة و المركبة عند بول ريكور: سرد إثبات الذات بين الثبات و التغير زكرياء حماني	ص771
أهمية الذكاء الاصطناعي والرقمنة في صيانة وحفظ الموروث التاريخي والحضاري للقارة الإفريقية بومدين عائشة هابة خديجة	ص790
دور المعرفة التسويقية واستراتيجيات التسويق الحديثة في تعزيز تنافسية الوجهات السياحية دوليًا أ.د قسوم قويدر	ص804
توجهات البحث العلمي في مجال المخطوطات بجامعة الجزائر2 من خلال الرسائل الجامعية دراسة تحليلية د. محمد السعيد ترفاس	ص814

دور اخصائي المعلومات في عصر الذكاء الاصطناعي التوليدي من وسيط للمعرفة إلى مهندس للأوامر البرمجية د. الحسين ياسمينة محمد عبد الهادي	ص826
واقع تطبيق ادارة المعرفة في المكتبات الجامعية من وجهة نظر العاملين: المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية انموذجا م.م. عبدالقادر احمد علي الشعباني	ص847
تداوليّة الْخطاب الشّعريّ والأفعال الْكلاميّة قراءة في قصيدةِ (لا تطرقْ الْباب) للشاعرِ عبد الرّزاق عبد الْواحد الْباحثةُ: م.د.عذراء مهدي حسين الْعذاري	ص869
استعارات الأزمات في الإعلام العربي الرقمي: مقاربة عرفنية من منظور المزج التصوري خليلي عادل د. إكيدر عبد الرحمان	ص897
الرقمنةُ ودورها في إعادةِ تشكيلِ هويَّةِ النَّصِّ الأدبي المعاصرِ نماذجٌ مختارةٌ م.م عمر فيصل غازي	ص921
رمزية الطبيعة في موشحات الأندلس م.م مظفر عيسى كاظم	ص939
المرفوعات بالواو دراسة نحوية تطبيقية سورتي البقرة ويوسف انموذجًا المدرس المساعد: نوال كاظم حمود الجبوري	ص952
السيسيولوجيا في بنية الخطاب الادبي عند ابي الشمقمق والزهاوي دراسة مقارنة د. نور عبد الامير الخزعلي د. حمادي خلف الركابي	ص967

البنية الفانتازية في السرد القصصي المعاصر قصص(صانع الحلوى) نموذجاً . م.م زينب احمد محمد علي	ص982
التكامل المعرفي بين علم الصرف وعلم التجويد؛ نماذج مختارة د.فضيلة دقناتي	ص996
تجليات الهوية والثقافة في نص المقاومة – قصيدة حالة حصار لمحمود درويش نموذجا– بن يحي سعدية	ص1009
الصورة الكنائية في ايات الخوف الأستاذ المساعد حمدية عباس جاسم الخفاجي	ص1031
السرد البصري واللغة التشكيلية: نحو قراءة سيميائية في تفاعل الأدب والفن. آمال بن الطاهر	ص1043
اقتران النداء الثنائي مع أساليب الطلب في السور السبع الطوال دراسة بلاغية محمد علي احمد العبيدي عمر خليل حمدون	ص1064
Challenges in Automatic Recognition of Algerian Dialect in Intelligent Linguistic Systems: Towards the Development of an Integrated Digital Corpus Dr. Abdelouahab Baflah	P1083
نقد النقد تحديد المصطلح وتأسيس المفهوم فاطمة نصر	ص1101
الحوار الحضاري كأساس أخلاقي للتعايش الإنساني في المجتمع المعاصر د/جبار دليلة	ص1113

دور الإعلام والتقنيات الحديثة في الأثير العلمي والمجتمعي زكرياء بختي	ص1124
تأثير الإعلام على القيم الاجتماعية والثقافية والخصوصية الرقمية جرادي سكينة عمران سمية	ص1151
تقنية البرهان الاجتماعي لوسائل الاتصال الجماهيري ودورها في تعبئة المنظومة المجتمعية برقوك مريم	ص1161
دمج التخصصات الجامعية المتعددة كمحرك للابتكار في المؤسسات الاقتصادية الناشئة " نحو نموذج معرفي لريادة الأعمال القائمة على دمج التخصصات " عواطف بوقرة لحميدي عادل حليمة بوقرة	ص1180
التكامل المعرفي ودوره في تعزيز التحول إلى الاقتصاد الرقمي في الجزائر: قراءة تحليلية لتقرير المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024. د. ساري حورية	ص1196
مشاركة المرأة في القوى العاملة وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية في دول شمال إفريقيا دراسة اقتصادية قياسية للفترة 1990–2024 كباز مريم البشير عمر عبد العزيز	ص1220
أثر دمج لوحات المعلومات التفاعلية (Dashboards) في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة: الدور الوسيط للتصميم البصري للبيانات – دراسة تطبيقية عوماري عائشة بلبالي يمينة	ص1234

واقع وآفاق أمن الطاقة في الجزائر ، دراسة تحليلية وقياسية . بن يمينة طيب دومة حسنية بن زمرة منقور	ص1255
أثر التكامل بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة في تعزيز الصمود الاقتصادي: رؤية استشرافية بن ملوكة سعدية حمزة علي	ص1282
الاقتصاد الرياضي بالمغرب كرافعة للنمو: قراءة في المرتكزات المالية لنموذج الدولة المستثمرة في أفق 2030 رداد شملال	ص1290
Penser le désenclavement du Sahel par une approche intégrée : regards croisés sur une initiative africaine émergente MEHDI DAOUD	P1312
L'impact de L'IA sur les Femmes dans le Marche du Travail en Afrique Bouhbouch Mohammed-Amine	P1347
المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين وفلسفتها من المنظور القانوني م.م. علاء الدين إبراهيم خلف	ص1381
"تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي في القضاء الإداري العراقي" الباحث: م.د.فؤاد محمد ضاحي	ص1399
القانون العام وحماية المعطيات الشخصية في ظل الرقمنة أميمة السباعي	ص1423
حماية الملكية الفكرية خدمة لجودة الإبداع د. ذهبي مسعود	ص1439
التمويل بالمشاركة ودورها في تنمية الوقف عبد الحق الصبوني	ص1455

P1483	Les droits de la défense en matière de saisine du Conseil de la concurrence au Maroc RIZQY Basma
P1498	La valeur patrimoniale du contrat de distribution El MENIY MOHAMED MRIZIK NISRINE
P1512	La logistique maritime au Maroc à l'ère de l'intelligence artificielle MUSTAPHA EL AZZOUZI
ص1539	المحيط السياسي لبيئة العمل وعلاقته بالإبداع والابتكار د. سنوسي سمير
P1555	Using HRM technology to detect genetic mutations: review Noor J.T.AL-Musawi
ص1563	المنهج العيادي وتطبيقاته في البحوث العلمية شلابي عائشة زغلاش ليندة
ص1575	الذكاء الاصطناعي وسؤال الموضوعية في العلوم الإنسانية: بين الاستمرار في الاقتداء بالنموذج التجريبي والبحث عن الخصوصية المنهجية العربي عكروش
ص1599	تكامل المعرفة في البحث العلمي بالجامعة الجزائرية علوي فاطمة
ص1612	المناهج والطرق الكمية في البحث الاجتماعي –المنهج التجريبي نموذجاً– جلال فاطمة زهراء ركاب أنيسة
ص1526	التكامل النظري والتقني بين الفقه وعلم الاجتماع وأثره في معالجة التفكك الاسري. رزقي الصاديق

P1549	**L'implicite comme opérateur énonciatif dans les manuels scolaires d'informatique** **Fatima Zahra BOUHAFNA**
ص1566	**مواقف مونتغمري وات من بعض أحداث السيرة النبوية الشريفة من (كتابه مختصر تاريخ الاسلام)** **المدرس الدكتور سندس بندر خزعل**
1590	**كفاءة الإنفاق الحكومي على التعليم مقابل جودة المخرجات: دراسة تحليلية مقارنة بين الدول المتقدمة والنامية (2015–2024)** **بوشيخي أحمد بوشنتوف مولاي مصطفى**
ص1605	**أطفال الشوارع والأمن المجتمعي (دراسة اجتماعية – ميدانية)** **من وجهة نظر الشرطة المجتمعية في محافظة بابل** **م.م . معتز رحيم لطيف**
ص1634	**التجربة النقدية المغربية وآفاق تفاعلها في السياق الأكاديمي السعودي:** **نحو تكامل معرفي عربي** **د. منير محقق د. نورة بنت علي القحطاني**

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Reading Learning Difficulties in Primary Education: Between the Educational Approach and the Orthophonic Interpretation.

Fouzia Badaoui [1]
Scientific and Technical Research Center for Arabic Language Development
k.aouchiche@crstdla.dz
Karima Aouchiche [2]
Scientific and Technical Research Center for Arabic Language Development
f.badaoui@crstdla.dz

Abstract:

This study examines reading difficulties among primary school students by adopting an integrated approach that combines educational and orthophonic dimensions. It views reading as a complex activity involving interrelated cognitive, linguistic, and developmental processes. The findings show that these difficulties cannot be explained by a single cause, but rather result from an interaction between pedagogical practices, language skills, and developmental factors. The study highlights the multidimensional nature of learning to read and the need for precise and early assessment. It emphasizes the importance of timely interventions to prevent the widening of academic gaps. Finally, it underlines that coordination between teachers and specialists promotes comprehensive support, improves reading performance, and fosters students' academic and linguistic integration.

Keywords: reading difficulties, primary education, educational, approach orthophonic explanation, diagnosis and intervention

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

صعوبات تعلّم القراءة في المرحلة الابتدائية، بين المقاربة التعليمية والتفسير الأرطوفوني

فوزية بداوي[1]
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
f.badaoui@crstdla.dz
كريمة أوشيش [2]
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
k.aouchiche@crstdla.dz

ملخص:

تتناول هذه الدراسة صعوبات، تعلم القراءة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من خلال اعتماد مقاربة تكاملية تجمع بين البعدين التربوي والأرطوفوني. وتنظر إلى القراءة بوصفها نشاطًا معقدًا يستند إلى تفاعل عمليات معرفية ولسانية ونمائية مترابطة. وتُظهر النتائج أن هذه الصعوبات لا يمكن تفسيرها بعامل واحد، بل تنتج عن تفاعل بين الممارسات البيداغوجية، والكفاءات اللغوية، والعوامل النمائية. كما تبرز الدراسة الطابع المتعدد الأبعاد لتعلم القراءة، وضرورة إجراء تقييم دقيق ومبكر لتحديد الحاجات الفعلية للمتعلمين. وتؤكد على أهمية التدخلات المبكرة والسريعة للحد من تفاقم الفجوات الدراسية. وأخيرًا، تشدد على أن التنسيق بين المعلمين والمتخصصين يساهم في تحقيق تكفّل شامل، وتحسين الأداء القرائي، ودعم الاندماج الأكاديمي واللغوي للتلاميذ.

الكلمات المفتاحية: صعوبات تعلّم القراءة، المرحلة الابتدائية، المقاربة التعليمية، التفسير الأرطوفوني، التشخيص والعلاج.

مقدمة

تُعدّ القراءة من أهمّ المهارات اللغوية التي تقوم عليها عملية التعلّم المدرسي إذ تمثّل الأداة الأساسية لاكتساب المعارف في مختلف المواد الدراسية، وتشكّل المدخل الرئيس لاكتساب المعارف وتنمية التفكير اللغوي والمعرفي. غير أنّ الواقع التربوي يكشف عن وجود نسبة معتبرة من التلاميذ الذين يواجهون صعوبات في تعلّم القراءة، تتجلى في بطء الأداء، وضعف الدقة في التعرف على الكلمات، وكثرة الأخطاء الصوتية، وقصور الفهم القرائي. وغالبًا ما تمتد آثار هذه الصعوبات إلى مختلف المواد الدراسية، نظرًا لاعتمادها جميعًا على الكفاءة القرائية، مما يؤدي إلى تراجع التحصيل، وانخفاض الدافعية، واضطراب الثقة بالنفس. وتزداد خطورة هذه الإشكالية حين تتسم بطابع تدريجي غير ظاهر في بداياته، فيتأخر اكتشافها إلى أن تتفاقم مظاهر الإخفاق الدراسي.

إنّ تفسير صعوبات تعلّم القراءة يقتضي تجاوز الرؤية الاختزالية التي تعزوها إلى سبب واحد، والانتقال إلى مقاربة تكاملية تستحضر تعدّد العوامل المؤثرة فيها. فمن جهة، تبرز المقاربة التعليمية التي تركّز على طبيعة الممارسات البيداغوجية، وتنظيم التعلمات، وبناء المحتوى، واستراتيجيات التدريس والتقويم، ومدى مراعاتها لخصائص المتعلمين والفروق الفردية بينهم. وقد تسهم بعض الاختيارات المنهجية غير الملائمة أو ضعف التنويع في الأنشطة القرائية في تعميق الصعوبات أو الحدّ من معالجتها.

ومن جهة أخرى، يقدّم التفسير الأرطوفوني إطارًا علميًا لتحليل الجوانب اللغوية والمعرفية والنمائية المرتبطة بالأداء القرائي، من قبيل اضطرابات المعالجة الصوتية، وضعف الذاكرة العاملة اللفظية، وصعوبات التمييز السمعي والبصري، ومشكلات الربط بين الرمز والصوت. ويتيح هذا المنظور فهم الآليات الداخلية التي تفسّر مظاهر التعثر القرائي، ويمهّد لتدخلات علاجية قائمة على تشخيص دقيق.

وعليه، فإنّ تناول موضوع "صعوبات تعلّم القراءة بين المقاربة التعليمية والتفسير الأرطوفوني" يهدف إلى بناء رؤية شمولية تُبرز تفاعل العوامل التربوية واللغوية—المعرفية في تشكيل هذه الصعوبات، بما يسهم في تطوير استراتيجيات تشخيص مبكر وتدخل تربوي وعلاجي متكامل، يراعي خصوصية المتعلم ويعزز فرص نجاحه الدراسي.

أولا: صعوبات تعلّم القراءة في ضوء المقاربة التعليمية

1. **مفهوم القراءة**

تعرف القراءة في المنهاج التعليمي للمرحلة الابتدائية على أنها نشاط تعلّمي–تواصلي يهدف إلى تمكين المتعلم من بناء المعنى والتفاعل مع النصوص المكتوبة ضمن وضعيات دالة. وهي عملية مركّبة تتكامل فيها مهارات فكّ الشفرة مع عمليات الفهم والتحليل والاستنتاج، ما يسمح باستيعاب الدلالات الصريحة والضمنية وتوظيفها في سياقات مختلفة. كما تُعدّ القراءة نشاطًا إدماجيًا يسهم في تنمية الرصيد اللغوي والقيمي، ويرتبط ببقية أنشطة اللغة (التعبير الشفهي، التراكيب، الإملاء، الإنتاج الكتابي) ضمن مقاطع تعليمية متكاملة.

يحدد المنهاج الأهداف وفق السنوات الدراسية:

السنة الأولى :قراءة نصوص بسيطة (10–20 كلمة) ذات نمط حواري بشكل سليم وفهم محتواها.

السنة الثانية :قراءة نصوص قصيرة (40–60 كلمة) ذات نمط توجيهي بشكل سليم وفهمها.

2.**الخصائص الأساسية للقراءة**

القراءة كفاءة معرفية متعددة الأبعاد تتجاوز كونها مهارة آلية، إذ تتداخل فيها الجوانب الإدراكية، اللغوية، التعليمية والاجتماعية.

–البعد الإدراكي :يشمل التعرف البصري على الحروف والكلمات وربطها بأصواتها، ودمجها في وحدات ذات معنى، حيث تُعد مهارات الوعي الفونولوجي وفكّ الشفرة الصوتية مؤشرات قوية للنجاح القرائي المبكر.

–لبعد اللغوي :يعتمد على الرصيد المعجمي والمعرفة الدلالية والنحوية لبناء تمثيل ذهني متكامل للنص وتحقيق الفهم.

–البعد التعليمي :تشكل القراءة مدخلاً لاكتساب المعارف المدرسية، وأي ضعف فيها يؤثر مباشرة على التحصيل الأكاديمي، ما يجعل إتقانها المبكر مؤشرًا على النجاح الدراسي لاحقًا.

–البعد التواصلي والاجتماعي :تعد القراءة وسيلة لنقل المعرفة وتبادلها في سياقات ثقافية، وتعكس تفاعل شبكات دماغية متعددة مسؤولة عن المعالجة الصوتية والبصرية والدلالية، مؤكدّة طبيعتها التكاملية.

3. أهداف تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية

يهدف تعليم القراءة إلى تمكين المتعلم من الانتقال من مجرد متلقٍ للمعلومة إلى فاعل في بنائها، من خلال: التحكم في آليات القراءة السليمة :التعرف على الحروف وأصواتها، ربطها داخل كلمات وجمل، احترام قواعد النطق وعلامات الترقيم، لبناء الطلاقة القرائية من القراءة المتعثرة إلى القراءة المعبرة والدالة.

تنمية الفهم القرائي: تدريب المتعلم على استخراج المعاني الصريحة والضمنية، ربط الأفكار، تحديد الفكرة العامة والأفكار الجزئية للنصوص، مع التعامل مع نصوص متنوعة (سردية، وصفية، معلوماتية) لتوسيع الرصيد اللغوي وتنمية مهارات تحليل الخطاب.

–ترسيخ حب القراءة والمطالعة لدى المتعلم، وجعلها عادة يومية تسهم في بناء شخصيته الثقافية والقيمية. فالمنهاج يولي أهمية كبيرة لتوظيف نصوص ذات بعد تربوي وأخلاقي واجتماعي التي تسهم في غرس القيم الوطنية والإنسانية، وتعزيز الانتماء الثقافي والهوية اللغوية (اللجنة الوطمية للمناهج 2016).

4. طريقة تعليم القراءة في مرحلة التعليم الابتدائي

يقوم تعليم القراءة في مرحلة العليم الابتدائي على مبدأ التدرج عبر خطوات متكاملة تجمع بين التهيئة الصوتية، والربط بين المقاطع والحروف، وصولًا إلى القراءة النصية والفهم الاستراتيجي.

1.4 التعرف على الحروف والأصوات

تشكل مرحلة التعرف على الحروف والأصوات الأساس الذي يبنى عليه تعلم القراءة لاحقًا. ووفق المنهاج التعليمي، يتم تقديم الحروف تدريجيًا، مع مراعاة الوعي الصوتي لكل حرف والحركات المرتبطة به.

وتتضمن هذه المرحلة أنشطة سمعية وبصرية تساعد المتعلم على التمييز بين الحروف المتشابهة صوتيًا أو شكليًا، مما يرسخ الربط بين الصوت والرسم الكتابي. كما ينطلق التعلم هنا من نصوص قصيرة ذات معنى (قصص، حوارات، أنشودات) بدل الحروف المعزولة، لتصبح القراءة نشاطًا تواصليًا منذ البداية، ويؤكد المنهاج التعليمي على أن الحروف تُدرَّس في سياق يوضح معناها واستخدامها.

2.4 الدمج الصوتي والمقاطع

ينتقل التعليم إلى مرحلة الدمج الصوتي؛ أي تركيب المقاطع لتكوين كلمات وجمل بسيطة. وتساعد هذه المرحلة التلاميذ على الانتقال من القراءة التحليلية البطيئة إلى القراءة المندمجة والطلاقة القرائية. ويشدد المنهاج التعليمي على أن الدمج يجب أن يتم تدريجيًا، بدءًا من المقاطع، ثم الكلمات، ثم الجمل القصيرة، مع ممارسة القراءة الجماعية والفردية. ويتيح هذا التدرج للمتعلم التحكم في الأصوات اللغوية وفهم البنية الصوتية للكلمات، بما ينسجم مع أساليب التدريس الحديثة التي تربط بين المعالجة الصوتية والفهم.

3.4 القراءة النصية المتكاملة

يؤكد المنهاج التعليمي أن النص يجب أن يكون ذا معنى مناسب لعمر المتعلم، ويعكس قيمًا ثقافية واجتماعية، بحيث تصبح القراءة وسيلة لبناء الكفاءة التواصلية لا مجرد ممارسة ميكانيكية للنطق.

تُطبَّق هذه المرحلة من تعليم القراءة عبر تدرّج بيداغوجي يبدأ بقراءة المعلم للنص كنموذجًا صحيحًا، تليها قراءة جماعية موجَّهة، ثم قراءة فردية لتنمية الاستقلالية، مع مناقشة معاني النص وسياقه لتعميق الفهم. يُسهم هذا التنظيم في توظيف النص كوسيط تعليمي يدمج بين الوعي الصوتي، والفهم اللغوي، والتفاعل القرائي.

4.4 أنشطة الفهم والاستراتيجيات القرائية

تهدف القراءة في المنهاج التعليمي إلى تنمية الفهم واكتساب الاستراتيجيات القرائية من خلال أنشطة متعددة، مثل استخراج الفكرة الرئيسة والأفكار الفرعية، وتلخيص النص، والإجابة عن أسئلة مباشرة واستنتاجية، والتعبير الشفاهي والكتابي انطلاقًا منه، إضافة إلى ربط مضامينه بخبرة المتعلم اليومية.

ويشجع المنهاج على ما يُعرف بـ وضعيات الإدماج، حيث يوظف المتعلم مكتسباته القرائية في سياقات جديدة، بما يعزز قدرته على التحليل والتفكير النقدي والتواصل.

5.4 التعليم التعاوني والتفاعلي

يؤكد المنهاج التعليمي على جعل القراءة نشاطًا تفاعليًا قائمًا على المشاركة داخل القسم، من خلال العمل في مجموعات صغيرة، وتنويع الأنشطة الجماعية والفردية لتثبيت المهارات، واعتماد المناقشة والتقويم التكويني المستمر، مع مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين

5. خطوات تعليم القراءة في مرحلة التعليم الابتدائي

تُعدُّ خطوات تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية عملية منظمة ومتدرجة تهدف إلى تمكين المتعلم من اكتساب مهارات فكّ الرموز وفهم النصوص واستثمارها في التعلم. وتعتمد هذه العملية على مقاربة تراعي التطور المعرفي واللغوي للطفل، وتراعي الانتقال التدريجي من المهارات الأساسية إلى المهارات العليا للقراءة والفهم. ويمكن تلخيص هذه الخطوات كما يأتي:

1.5 التهيئة والتحفيز: إثارة الفضول وحب القراءة، والتعرف على الأصوات والحروف من خلال أنشطة قصصية وبصرية، لتعزيز الوعي الصوتي والمرونة المعرفية.

2.5 التعرف على الحروف والأصوات: تعلم الحروف الأبجدية، التمييز بين أصواتها، وربط الصوت بالحرف كأساس للطلاقة القرائية المستقبلية.

3.5 تركيب الحروف لتكوين كلمات: دمج الحروف لتكوين كلمات مفهومة، بدءًا من الكلمات البسيطة ووصولًا إلى المركبة، مع التركيز على النطق والمعنى.

4.5 قراءة الجمل والنصوص القصيرة : الانتقال إلى قراءة الجمل ثم النصوص القصيرة، مع مراعاة علامات الترقيم والطلاقة، بهدف تطوير مهارات القراءة المستمرة والفهم الأساسي للنص.

5.5 تنمية الفهم والاستيعاب :استخراج الأفكار الرئيسة والفرعية، استنتاج المعاني الضمنية، وربط المعلومات بالخبرة الشخصية، باستخدام الأسئلة الموجّهة وإعادة السرد والتلخيص.

6.5 توظيف القراءة في التعلم والتواصل :استخدام القراءة كأداة معرفية وتواصلية، عبر مناقشة النصوص، كتابة الملخصات، والتعبير عن الأفكار، مما يعزز الكفاءات المعرفية واللغوية.

6.6 التقويم المستمر

يركز المنهاج التعليمي على التقويم المستمر لتحديد مستوى إتقان المتعلم للمهارات القرائية، وتصحيح الأخطاء، وتقديم الدعم المناسب لكل طفل حسب احتياجاته، وهو ما يضمن تقدمًا تدريجيًا ومتوازنًا في اكتساب القراءة. بهذه الخطوات المتدرجة، يحقق تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية تكاملًا بين المهارات

الإدراكية، واللغوية، والفكرية، والتواصلية، ويؤسس لبناء متعلم قادر على فهم النصوص، واستثمارها في التعلم المستمر واكتساب المعرفة. (اللجنة الوطنية للمناهج 2016).

6. مظاهر صعوبات تعلم القراءة في ضوء المقاربة التعليمية

تُعد صعوبات تعلم القراءة في المرحلة الابتدائية ظاهرة متعددة الأبعاد تشمل الجوانب الإدراكية، الصوتية، التهجئة، الطلاقة، الدقة والفهم القرائي، إضافة إلى السلوك القرائي داخل القسم. وتُفسّر هذه الصعوبات من منظور المقاربة التعليمية على أنها نتيجة قصور في أساليب التعليم والتدريب القرائي، وليس مجرد ضعف معرفي فطري (Castles, Rastle, & Nation, 2018, pp. 10–12).

1.6. صعوبات التعرّف على الحروف (صعوبات الاكتساب الرمزي)

وهي من المؤشرات المبكرة لصعوبات تعلّم القراءة، إذ تمسّ الأساس الرمزي للعملية القرائية، خاصة مع تشابه أشكال عدد من الحروف العربية. وتظهر هذه الصعوبة في عجز التلميذ عن تثبيت صورة الحرف وتمييزه بصريًا وربطه بصوته داخل الكلمة. وتعود إلى قصور في طرائق التعليم، مثل غياب التدرّج، وضعف تنويع الأنشطة البصرية والسمعية والحركية، ونقص فرص التثبيت والمراجعة، مما ينعكس في أخطاء كعكس ترتيب الحروف أثناء القراءة (Alexander & Fox, 2019, pp. 88–94; Kintsch, 2013, pp. 24–32)

2.6. صعوبات الربط بين الحرف والصوت

تُعد صعوبات الربط بين الحرف والصوت من أبرز المؤشرات المبكرة لصعوبات القراءة، حيث يعجز التلميذ عن استدعاء الصوت الصحيح للحرف، ما يؤدي إلى أخطاء مثل الإبدال بين الأصوات المتقاربة أو نطق الحرف باسم الهجاء بدلًا من صوته (Ehri, 2014, pp. 5–9; Dehaene, 2020, pp. 71–88)
ويُفسَّر هذا الخلل أساسًا بنقص التدريب المنهجي على الوعي الصوتي داخل التخطيط التعليمي، لا بضعف إدراكي فطري. وترتبط هذه الصعوبات بعدة عوامل تعليمية، أبرزها: التركيز على اسم الحرف على حساب صوته، غياب أو ضعف أنشطة الوعي الصوتي، ضعف الربط بين الصوت والحركة داخل الكلمة، نقص التدريب على تمييز الأصوات المتقاربة، والاكتفاء بالقراءة الجماعية دون متابعة فردية للنطق الصوتي.

3.6. صعوبات التهجئة وفكّ الرموز

تتمثل في قراءة الكلمة حرفًا حرفًا وفقدان الإيقاع الطبيعي للقراءة، نتيجة الانتقال السريع من تعليم الحروف إلى النصوص دون ترسيخ مهارات الدمج الصوتي، ما يستلزم اعتماد القراءة المقطعية والتدريب التدريجي على الدمج الصوتي (Duke & Cartwright, 2021, pp. S30–S34)

فعندما يقرأ التلميذ كلمة «مدرسة» على النحو: «مَ... دْ... رَ... سَة»، فإن ذلك يدلّ على عدم قدرته على دمج الأصوات في بنية لفظية واحدة، وبقاء التلميذ في مستوى التهجئة الأولية.

4.6. صعوبات الطلاقة القرائية

تتجلّى صعوبات الطلاقة القرائية في:

بطء شديد في القراءة، التردد وتكرار الكلمات، فقدان الإيقاع والتنغيم. وتعكس عدم قدرة التلاميذ على القراءة بسلاسة وسرعة مناسبة مع احترام علامات الوقف والتنغيم.

وتنتج هذه الصعوبة أساسا عن نقص القراءة الجهرية والنمذجة القرائية داخل القسم، مع التركيز المفرط على تصحيح الأخطاء بدلاً من التدريب الموجّه (Stanovich, 1980, pp. 55–60; Kintsch, 2013, pp. 24–32)

5.6.صعوبات الدقّة القرائية (أخطاء التحريف)

تجلى هذا النوع من الصعوبات في أخطاء التحريف مثل الحذف أو الإضافة أو الإبدال، وهو ما يدلّ على ضعف المراقبة الذاتية أثناء القراءة وعدم التحقق من مطابقة المقروء للنص المكتوب. وترتبط هذه الصعوبة بتركيز التلميذ على النطق دون المعنى، وكثرة التصحيح الخارجي من المعلّم، وغياب التدريب على المراقبة والتصحيح الذاتي (Dehaene, 2020, pp. 71–88).

6.6. صعوبات الفهم القرائي

تنشأ صعوبات الفهم القرائي غالبًا عن غياب تعليم استراتيجيات مثل التوقّع، الاستنتاج، والربط بين الأفكار، مما يؤدي إلى قراءة نصوص بلا معنى متكامل. وتشمل المظاهر الشائعة عدم قدرة التلميذ على الإجابة عن أسئلة بسيطة حول النص أو الخلط بين الأحداث والشخصيات. تُفسّر هذه الصعوبات أيضًا باختيار

نصوص غير مناسبة للمستوى اللغوي للتلاميذ والاكتفاء بالأسئلة التقويمية بعد القراءة دون تهيئة مسبقة (Alexander & Fox, 2019, pp. 88–94; Kintsch, 2013, pp. 24–32).

7.6. صعوبات السلوك القرائي داخل القسم

تتجلى صعوبات السلوك القرائي داخل الصف في تجنب القراءة الجهرية أو الانسحاب من المشاركة، نتيجة تراكم خبرات الفشل، وأساليب التقويم غير الداعمة، وغياب المساندة الفردية والمناخ التعليمي المشجّع. يؤدي ذلك إلى تعثرات لغوية وأدائية أكثر تعقيدًا تشمل تكرار أو حذف الكلمات، ضعف بناء الجمل، صعوبة فهم التعليمات، وبطء إنجاز الأنشطة التي تتطلب تركيزًا وجهدًا مستمرين (نور الدين حمر العين وزمام نورالدين، 2021، ص. 633).

7. الاستراتيجيات العلاجية لصعوبات تعلم القراءة في ضوء المقاربة التعليمية

1.7. استراتيجية التدرّج المنهجي في الاكتساب الرمزي

تقوم هذه الاستراتيجية على مبدأ أساسي مفاده أن تثبيت صورة الحرف في الذاكرة البصرية لا يتحقق بالتكثيف الكمي، بل بالتدرّج المنهجي واحترام تسلسل الصعوبة. فالتلميذ الذي يُقدَّم له عدد كبير من الحروف في فترة زمنية قصيرة، دون تثبيت كافٍ لكل حرف، يكون أكثر عرضة لحدوث التداخل الرمزي، خاصة في اللغة العربية التي تتسم بتشابه عدد معتبر من حروفها في البنية الخطية. لذلك يُنصح بالانطلاق من الحروف الأكثر تميّزًا شكلًا وصوتًا، وتأجيل تقديم الحروف المتشابهة، مع توفير أنشطة تثبيت متنوعة قبل الانتقال إلى حرف جديد. ويسهم هذا التنظيم التدريجي في ترسيخ الصورة البصرية للحرف، والحدّ من أخطاء الخلط والتحريف.

2.7. استراتيجية التعلم متعدد القنوات (البصري–السمعي–الحركي)

تعتمد هذه الاستراتيجية على تنشيط قنوات إدراكية متعددة أثناء تعلم الحروف أو الأصوات، إذ يساهم تكامل المدخلات الحسية في تعزيز الفهم وتقليل صعوبات التعلم القرائي. فلا يُعرض الحرف في صورته المجردة فحسب، بل يُربط بصورة دالّة، وكلمة مألوفة، وسياق بسيط، مع إشراك التلميذ في أنشطة حركية ككتابته في الهواء أو تشكيله بالصلصال. ويسهم هذا التعلم متعدد القنوات في تعزيز التمثيل الذهني للحرف، وتثبيته

في الذاكرة طويلة الأمد، كما يدعم الانتقال من التعرف الشكلي إلى التوظيف القرائي الوظيفي داخل الكلمة والجملة.

3.7 استراتيجية التعليم الصوتي الصريح والمنهجي

تستند هذه الاستراتيجية إلى ضرورة تعليم العلاقة بين الحرف وصوته تعليمًا مباشرًا وصريحًا، مع التفريق الواضح بين اسم الحرف وصوته الوظيفي. ويُقدَّم الصوت داخل مقاطع متنوعة (بَ، بِ، بُ)، مع تدريب متكرر على نطقه في مواقع مختلفة من الكلمة. كما تُدمج أنشطة التمييز السمعي والدمج والتفكيك الصوتي ضمن التخطيط اليومي للحصة، لضمان بناء وعي صوتي وظيفي. ويُعدّ هذا التدخل أساسيًا في علاج صعوبات الربط بين الحرف وصوته؛ لأنه يعيد تنظيم التعلم الصوتي بصورة تدريجية ومنظمة.

4.7. استراتيجية القراءة المقطعية والتدريب على الدمج الصوتي

تهدف هذه الاستراتيجية إلى مساعدة التلميذ على الانتقال من القراءة الحرفية المتقطعة إلى القراءة الوحدوية السليمة، وذلك عبر تدريب منظم على دمج الأصوات والمقاطع. ويبدأ التدخل بتفكيك الكلمة إلى مقاطع واضحة، ثم إعادة تركيبها تدريجيًا، وفق تسلسل (مقطع ← كلمة ← جملة). كما تُستخدم بطاقات المقاطع المتحركة لتيسير عملية التركيب. ويسهم هذا التدريب في تقوية مهارة الدمج الصوتي، وتحسين الإيقاع الطبيعي للقراءة، والحدّ من التوقفات المتكررة داخل الكلمة. ويمكن أيضا تطبيق استراتيجية "أورتون جلنجهام" التي تركز على نطق الحروف من خلال دمجها؛ إذ يتم المزاوجة بين الحروف ونطقها ويتم التعلم بالتدريج من دمج الحروف إلى دمجها في مجموعات أكبر، ثم في كلمات أو جمل قصيرة. (زرزايحي، سلوى و غيران، خديجة 2022، ص 31).

5.7. استراتيجية القراءة المكرّرة والنمذجة القرائية لتحسين الطلاقة

تعتمد هذه الاستراتيجية على توفير نموذج قرائي صحيح يقتدي به التلميذ، من خلال قراءة المعلم للنص قراءة معبرة تراعي الوقف والتنغيم. بعد ذلك يُدرَّب التلميذ على إعادة قراءة النص نفسه عدة مرات، مع قياس التقدّم في السرعة والسلاسة. وتُظهر الممارسة أن القراءة المكرّرة الموجّهة تساعد على تحسين الطلاقة،

لأنها تقلّل من العبء المعرفي المرتبط بفك الرموز، وتسمح بتركيز أكبر على الإيقاع والتنغيم. كما يمكن دعم هذه الاستراتيجية بالقراءة الزوجية والجماعية لتقليل رهبة الأداء الفردي.

6.7. استراتيجية تنمية المراقبة الذاتية لتحسين الدقة القرائية

تركّز هذه الاستراتيجية على تدريب التلميذ على مراقبة قراءته والتحقق من مطابقتها للنص المكتوب، بدل الاعتماد الكلي على تصحيح المعلم. ويُشجَّع التلميذ على إعادة قراءة الجملة في حالة الوقوع في خطأ، وطرح سؤال ذاتي مثل: «هل ما قرأته يناسب المعنى؟». كما يمكن عرض جمل صحيحة وأخرى محرّفة لمساعدته على اكتشاف الفروق. ويسهم هذا الأسلوب في تنمية الوعي الميتامعرفي، ويحدّ من أخطاء الحذف والإضافة والاستبدال التي تمسّ الدقة القرائية.

7.7. استراتيجية تعليم استراتيجيات الفهم القرائي صراحةً

تقوم هذه الاستراتيجية على الانتقال بالتلميذ من القراءة الآلية إلى القراءة ذات المعنى، عبر تعليم استراتيجيات الفهم بشكل مباشر. وتشمل هذه الاستراتيجيات: التنبؤ بمحتوى النص قبل قراءته، طرح الأسئلة أثناء القراءة، تلخيص الفقرة بعد الانتهاء منها، والاستنتاج وربط الأفكار. كما يُنصح بتقسيم النص إلى مقاطع قصيرة، واستخدام الخرائط الذهنية لتنظيم المعنى. ويساعد هذا التنظيم على بناء تمثيل معرفي متكامل للنص، ويعالج صعوبات الفهم التي تنتج عن غياب التوجيه الاستراتيجي أثناء القراءة.

8.7. استراتيجية الدعم النفسي في القسم وتعزيز الدافعية

تعالج هذه الاستراتيجية صعوبات السلوك القرائي المرتبطة بالقلق وتراكم تجارب الفشل. بخلق جوّ آمن خالٍ من السخرية والمقارنة السلبية داخل القسم، مع اعتماد التقويم التشجيعي الذي يركّز على التقدّم الجزئي لا على الخطأ. كما يُكلَّف التلميذ بمهام قرائية قصيرة ناجحة، تُعزّز ثقته بنفسه تدريجيًا. ويسهم هذا الدعم الانفعالي في إعادة بناء علاقة إيجابية بين التلميذ والقراءة، ويُعدّ شرطًا أساسًا في نجاح أيّ تدخل علاجي معرفي أو لغوي.

ثانيا: صعوبات تعلم القراءة من منظور أرطوفوني:

تنتقل هذه المقاربة من تفسير صعوبات القراءة بعوامل تعليمية–بيداغوجية إلى تحليل الأسس اللغوية والمعرفية للتعثر، معتبرةً عسر القراءة اضطرابًا نوعيًا يتطلب تشخيصًا دقيقًا وتدخّلًا علميًا متخصصًا.

1. تعريف عسر القراءة:

تُعدّ عسر القراءة النمائي اضطرابًا لغويًا–معرفيًا يؤثر على اكتساب مهارات القراءة رغم توفر الذكاء العادي وظروف التعليم المناسبة. فهو ليس تأخرًا دراسيًا أو نتيجة خلل بصري، بل اضطراب دائم يُضعف آليات فك الرموز الكتابية وتحويلها إلى تمثيلات صوتية، مما يؤدي إلى بطء القراءة، كثرة الأخطاء، واستنزاف الموارد المعرفية أثناء القراءة.

يكمن العجز الأساسي في قصور المعالجة الفونولوجية، خصوصًا في الوعي الصوتي وبناء التمثيلات الصوتية الدقيقة، ما يعيق الربط الفعّال بين الحروف والأصوات ويعرقل تلقائية القراءة. كما تشير الدراسات العصبية إلى ارتباط عسر القراءة بخلل في ترابط الشبكات البصرية والسمعية واللغوية المسؤولة عن التعرّف البصري السريع للكلمات ومعالجتها الفونولوجية.

يظهر عسر القراءة في صعوبات التعرف على الكلمات وكتابتها إملائيًا، مع قلب الحروف أو الكلمات وارتكاب أخطاء خاصة بالحروف المتشابهة شكلًا في العربية (مثل ب / ت / ث، ج / ح / خ، د / ذ، ر / ز). كما يُلاحظ تخطي كلمات أو أسطر أثناء القراءة، ما يؤثر على الفهم العام للنص. وعندما تُعرض الكلمات خارج السياق، تصبح القراءة أكثر بطئًا وإرهاقًا بسبب الجهد الذهني المطلوب لفك رموز كل كلمة على حدة.

2. الخصائص الأساسية لعسر القراءة

1.2 بطء شديد في القراءة:

يُظهر الأفراد المصابون بعسر القراءة بطئًا ملحوظًا في سرعة القراءة ودقتها، ويعود ذلك إلى ضعف تطور القراءة الآلية، حيث لا يتم التعرف على الكلمات بشكل فوري تلقائي كما يحدث لدى القارئ الكفء، بل يعتمد على معالجة تحليلية متسلسلة لكل حرف أو مقطع صوتي. هذا النمط المجهد من المعالجة يؤدي

إلى استنزاف الموارد المعرفية، خاصة الانتباه والذاكرة العاملة، مما يؤثر سلبًا على بناء المعنى والفهم الكلي للنص. **مثال**: عند قراءة جملة مثل: «ذهبَ الطفلُ إلى المدرسة» يقرؤها القارئ العادي قراءة متصلة وإيقاعية، في حين يميل المصاب بعسر القراءة إلى قراءتها قراءة متقطّعة مثل: "ذَ...هَ...بَ / الطِ...فْ...لُ / إِ...لَ...ى ..."، مع توقّفات متكرّرة تعكس الجهد المبذول في فكّ الترميز بدل معالجته بصورة آلية.

2.2 أخطاء تحويل الحرف إلى صوت:

تُعدّ صعوبة المطابقة المنتظمة بين الحروف وأصواتها من السمات الجوهرية لعسر القراءة. فالفرد الذي يعاني من هذا الاضطراب يجد خللاً في النظام المسؤول عن تحويل الرموز البصرية إلى أصوات لغوية، وهي عملية معرفية ضرورية لفكّ رموز الكلمات. هذا الخلل لا يتعلق بالقدرة البصرية على رؤية الحروف، بل هو اضطراب في المعالجة الفونولوجية؛ أي في طريقة تمثيل الدماغ للأصوات وتنظيمها واسترجاعها أثناء القراءة (Peterson & Pennington, 2021) ونتيجة لهذا، تصبح عملية القراءة غير آلية وتتسم بعدم الاستقرار وكثرة الأخطاء.

3.2 صعوبة تحليل المقاطع الصوتية (الوعي الفونولوجي):

-ضعف القدرة على تفكيك الكلمات إلى مقاطع صوتية أو فونيمات يؤدي إلى:

-صعوبة التهجئة بسبب عدم الاحتفاظ بتسلسل الأصوات

-تأخر في تعلم قراءة الكلمات الجديدة

-الاعتماد على التخمين البصري بدلاً من التحليل الصوتي

-إطالة زمن القراءة واستنزاف الانتباه والذاكرة العاملة

3.2 ضعف الذاكرة اللفظية القصيرة: يُحدّ ضعف الذاكرة العاملة من الاحتفاظ المؤقت بالأصوات أثناء تحليل الكلمة، وهو ما يعرقل دمجها في بنية صوتية متكاملة (Toste et al., 2020) صعوبة تذكّر تسلسل الأصوات أثناء القراءة أو التهجئة، مما يؤدي إلى أخطاء مثل: «استقلال» ⟵ «استقال» أو «استقلالل»، و«مكتبة» ⟵ «مكبة» أو «مكتبا».

4.2 تفاوت بين القدرات الشفوية والكتابية:

يظهر المصابون بمستوى لغوي شفهي جيد يشمل الفهم والمفردات والتعبير المنطوق، بينما يكون أداؤهم في القراءة والكتابة ضعيفًا بشكل ملحوظ، ما يشكل مؤشرًا تشخيصيًا مهمًا يميّزه عن التأخر الدراسي أو ضعف التحصيل الأكاديمي (Snowling et al., 2020)

3. مظاهر عسر القراءة

تتجلى اضطرابات عسر القراءة في صعوبات التعرف على الكلمات المكتوبة، والقراءة البطيئة والمتقطعة، وصعوبة فهم ما يُقرأ. تشمل الأخطاء الشائعة:

-الخلط بين الحروف الهجائية المتشابهة شكلاً أو نطقًا.

-تكرار نطق الكلمات أو إحلال كلمة محل أخرى.

-إضافة كلمات غير موجودة أو حذف كلمات موجودة أثناء القراءة.

-صعوبة في التهجئة وفك الرموز، أي الربط بين الحروف وأصواتها.

هذه المظاهر تؤكد الأصول العصبية والوراثية لعسر القراءة واستقلاليته عن مستوى الذكاء العام أو جودة التعليم، ما يجعل التدخلات التربوية التقليدية وحدها غير كافية، بل تتطلب تدخلات متخصصة تستهدف العجز المعرفي الأساسي، مثل معالجة الفونيمات، مع أهمية التشخيص المبكر لزيادة فعالية التدخل لدى الأطفال الصغار.

3. 1 المظاهر الفونولوجية والمعرفية

-صعوبة في التفريق بين الأصوات وتلاعبها (الوعي الصوتي).

-صعوبة في ربط الحروف بأصواتها، ما يؤدي إلى أخطاء في التهجئة ونطق الكلمات الجديدة.

-صعوبات في تذكر تسلسل الحروف أو الكلمات وتأخر في التعلم القرائي مقارنة بالأقران.

-المظاهر البصرية والقرائية وبطء ملحوظ في سرعة القراءة.

-اعتماد مفرط على التهجئة الصوتية حتى للكلمات المألوفة.

-صعوبة في قراءة الكلمات غير المنتظمة إملائيًا التي تتطلب التعرف البصري المباشر.

-الحاجة لإعادة قراءة النصوص أكثر من مرة لفهمها.

3 .2 المظاهر المتعلقة بالذاكرة والانتقاء

ضعف في استرجاع أسماء الكلمات المخزنة بسرعة (ضعف التسمية السريعة)، مما يبطئ القراءة ويؤثر على الفهم، مع صعوبات في تذكر المعلومات المكتوبة أو تعليمات القراءة الطويلة.

3,3 المظاهر السلوكية والعاطفية

إحباط وقلق أثناء أداء مهام القراءة والكتابة، تجنب القراءة أو الواجبات التي تتطلب قراءة مكثفة، وانخفاض الثقة بالنفس المتعلقة بالتحصيل الأكاديمي.

4. نموذج المعالجة المزدوجة في القراءة

يُعدّ نموذج المسارين المزدوجين للقراءة إطارًا معرفيًا أساسيًا في علم القراءة يشرح كيفية معالجة الدماغ للكلمات المكتوبة عبر مسارين متوازيين ومستقلين وظيفيًا:

1.4 المسار المعجمي: يعالج الكلمات المألوفة من خلال الوصول المباشر إلى تمثيل الكلمة في الذاكرة، أي يعتمد على استدعاء الكلمات المألوفة مباشرة من القاموس الداخلي للمتحدث مما يمكّن القارئ المتمكّن من التعرف السريع والتلقائي على الكلمات المخزّنة دون تحليلها صوتيًا.

2.4 المسار الغير معجمي أو الصوتي: فيحوّل الحروف أو مجموعات الحروف إلى أصواتها المقابلة وفق قواعد التحويل صوت-كتابي، وهو المسار المستخدم لقراءة الكلمات غير المألوفة أو شبه الكلمات. يسمح هذا النموذج بفهم اختلافات الأداء القرائي بين الأفراد، ويُستخدم لتفسير أنماط صعوبات القراءة مثل عسر القراءة، التي يمكن أن تنشأ من ضعف في أحد المسارين أو كليهما (Coltheart, Rastle, Perry, Langdon, & Ziegler, 2001, pp. 207–209).

سمح نموذج المسارين المزدوجين للقراءة بفهم الظواهر المعرفية والسلوكية الأساسية المرتبطة بعملية القراءة، مثل تأثير انتظام الكلمة وتكرار ظهورها على سرعة ودقة القراءة.

3.4 نموذج المسارين المزدوجين وأهميته في تحليل عسر القراءة

يتضح من الأدبيات أنّ صعوبات القراءة لدى الأطفال لا تتخذ نمطًا واحدًا، بل ترتبط بخلل وظيفي في أحد مساري المعالجة القرائية أو كليهما. فبعض الأطفال يُظهرون قدرة على التعرّف على الكلمات المألوفة مع ضعف واضح في قراءة الكلمات الجديدة أو غير الحقيقية، وهو ما يعكس قصورًا في المسار الفونولوجي القائم على التحليل الصوتي والتحويل الحرفي–الصوتي. في المقابل، يُلاحظ لدى آخرين بطء في التعرّف التلقائي على الكلمات المألوفة رغم قدرتهم على الفهم، مما يدل على ضعف في المسار المعجمي المسؤول عن الاستدعاء السريع للمخزون اللغوي. ويبرز هذا التباين أهمية مراعاة الفروق الفردية عند التشخيص والتدخل، إذ يتيح نموذج المسارين تفسير أنماط عسر القراءة النمائي المختلفة، وتوجيه بناء أدوات تقييم وبرامج تعليمية وعلاجية تستهدف بدقة مواطن الضعف لدى كل حالة.

5.أنواع عسر القراءة:

5. 1 عسر القراءة الفونولوجي:

هو نمط من عسر القراءة يتميز باضطراب جوهري في معالجة البنية الصوتية للكلمة، خاصة القدرة على تحليل الوحدات الصوتية وتمييزها ومعالجتها بطريقة واعية، مما يؤثر سلبًا على فك الترميز القرائي. ويتجلى هذا الاضطراب في ضعف المطابقة بين الحروف وأصواتها، ما يعيق بناء روابط مستقرة بين التمثيلات الصوتية والرموز الكتابية. نتيجة لذلك، تصبح قراءة الكلمات الجديدة أو غير المألوفة صعبة للغاية، ويعتمد المصاب غالبًا على التخمين البصري أو السياق لتعويض الخلل الصوتي.

5. 1.1 السمات الفونولوجية والمعرفية

ضعف الوعي الفونولوجي ومهارات التلاعب بالأصوات (تحليل الكلمات إلى مقاطع، دمج الأصوات، إدراك التشابه والاختلاف الصوتي).

يؤدي هذا الضعف إلى بطء استدعاء الألفاظ، صعوبة ترسيخ التمثيلات الصوتية، وزيادة الجهد المعرفي أثناء القراءة.

2.1.5 تأثير الاضطراب على الطلاقة والمعجم البصري:

ضعف التحليل الصوتي يمنع بناء مخزون كافٍ من التمثيلات المعجمية التلقائية، مما يؤدي إلى قراءة بطيئة ومجزأة، ويعيق الانتقال من القراءة التحليلية إلى القراءة الآلية.

السبب العصبي مرتبط بخلل في التفاعل التكراري بين المعالجة الصوتية والتعرف البصري للكلمة.

3.1.5 انعكاسات على الكتابة والتهجئة:

أخطاء إملائية شائعة تشمل الحذف، الإبدال، أو الاختزال المقطعي للكلمة، نتيجة ضعف الترميز الفونولوجي وليس ضعف القواعد الإملائية.

4.1.5 الاستراتيجيات التعويضية:

-الاعتماد على الذاكرة البصرية للكلمات المألوفة.

-استخدام سياق الجملة لتخمين الكلمات الجديدة.

-التخمين الصوتي المبسّط، مع زيادة معدل الأخطاء عند مواجهة كلمات غير مألوفة، مثال :يقرأ الطفل كلمة "قنديل "ويخمنها صوتيًا على أنها "قندل "لأنه لم يسبق له التعرف على الكلمة بصريًا، لكنه استخدم أصوات الحروف لمحاولة النطق.

2.5. الاستراتيجيات العلاجية لعُسر القراءة الفونولوجي

تركّز المقاربات العلاجية لعسر القراءة الفونولوجي على أن الصعوبة لا تعود إلى قصور بصري أو انخفاض في القدرات العقلية، بل إلى خلل في معالجة البنية الصوتية للغة وفي تكوين العلاقة المنتظمة بين الفونيمات (الأصوات) والغرافيمات (الحروف). وبناءً على ذلك، يهدف التدخل العلاجي إلى إعادة تنظيم هذا المسار اللغوي—المعرفي من خلال تعليم صريح ومنهجي، يتميز بالتدرج التراكمي واستخدام وسائل متعددة الحواس، مما يتيح تكوين تمثيلات صوتية مستقرة تدعم عملية القراءة والكتابة بفعالية.

1.2.5 تنمية الوعي الفونولوجي

يشكّل هذا التدريب الركيزة الأساسية لعلاج عسر القراءة الفونولوجي، حيث يهدف إلى تمكين المتعلم من إدراك الكلمة كبنية صوتية قابلة للتحليل وإعادة التركيب. ويشمل:

- تجزئة الكلمات إلى مقاطع وفونيمات.
- دمج الأصوات لتكوين كلمات ذات معنى.
- التلاعب بالأصوات عبر الحذف، الإبدال، أو الإضافة.
- التمييز بين الكلمات المتشابهة صوتيًا.
- الانتقال التدريجي من الوحدات الصوتية الكبرى إلى الفونيمات الدقيقة لضمان تطوير مهارة متدرجة ومستقرة.

2.2.5 التعليم الصريح والمنهجي للعلاقات الصوتية–الحرفية

يتضمن تعليمًا مباشرًا ومنظمًا يربط بين شكل الحرف البصري، قيمته الصوتية، كيفية كتابته، وتوظيفه داخل كلمات نموذجية، لتعزيز تثبيت الترميز الصوتي–الكتابي.

3.2.5 تدريب الدمج والتحليل الصوتي :تحويل الأصوات المنفصلة إلى وحدة لفظية متكاملة، وتفكيك الكلمات لتعزيز إدراك بنية الكلمة.

4.2.5 المقاربة متعددة الحواس :دمج المدخلات السمعية والبصرية والحركية واللمسية لتعزيز تكوين مسارات عصبية بديلة.

5.2.5 التنظيم التدرجي للتعلم :تقديم المحتوى من الأبسط إلى الأكثر تعقيدًا (الصوت ⟵ الكلمة ⟵ الجملة ⟵ النص الكامل).

6.2.5 تنمية الطلاقة القرائية

بعد اكتساب القدرة على التحليل الصوتي، يُركَّز على نقل القراءة من المستوى المجهد إلى المستوى الآلي عبر القراءة المتكررة لنصوص قصيرة.

7.2.5 النمذجة القرائية: قراءة النصوص بصوت واضح مع التركيز على نطق الأصوات والفونيمات، بحيث يلاحظ المتعلم عملية فكّ الترميز خطوة بخطوة قبل الانتقال إلى القراءة المستقلة.

–تقطيع النصوص لتخفيف العبء المعرفي، والتدريب التدريجي على السرعة مع الحفاظ على الدقة.

8.2.5 دعم التهجئة من خلال التحليل الصوتي

تعتمد المعالجة الإملائية على تحليل الأصوات وتمثيلها بالحروف المناسبة، لتعزيز اتساق القراءة والكتابة كعمليتين متكاملتين.

3.5 عُسر القراءة السطحي (الديسلكسيا السطحية):

عُسر القراءة السطحي هو نمط من عسر القراءة ينشأ عن قصور في المسار المعجمي–البصري للكلمات، ويتميز بصعوبة التعرف السريع والمباشر على الكلمات كوحدات كلية، خاصة الكلمات غير المنتظمة إملائيًا. يرتبط هذا القصور بمسار عصبي مسؤول عن التعرف البصري الفوري على الكلمات المخزنة في المعجم الذهني، مما يؤدي إلى بطء القراءة واعتماد القارئ على تهجئة الكلمات صوتيًا، حتى المألوفة منها.

4.5 الأعراض الرئيسية لعسر القراءة السطحي:

1. **صعوبة قراءة الكلمات غير المنتظمة** :عدم القدرة على التعرف الفوري على كلمات لا تنطق كما تُكتب، مع ارتكاب أخطاء في النطق.
2. **الاعتماد القسري على الاستراتيجية الفونولوجية** :تحويل الكلمات إلى وحدات صوتية مجزأة، مما يجعل القراءة متقطعة وبطيئة.
3. **ضعف التمييز بين الكلمات المتشابهة بصريًا** :الخلط بين كلمات متشابهة في الشكل بسبب عدم وجود التعرف الكلي السريع.
4. **صعوبات في التهجئة (الإملاء)** :ضعف الهجاء للكلمات غير القياسية نتيجة عدم وجود صورة بصرية ثابتة لها.
5. **مشاكل في توجيه الانتباه البصري** :صعوبة تتبع السطر أو خلط اتجاه قراءة الحروف، خاصة المتشابهة.

ينجم عن هذه الصعوبات ضعف الانتقال من القراءة التحليلية إلى القراءة الآلية، ما يعيق الطلاقة القرائية ويجعل القراءة متقطعة وغير سلسة.

5.5 الاستراتيجيات العلاجية لعُسر القراءة السطحي:

عُسر القراءة السطحي يتميز بخلل في المسار المعجمي–البصري للقراءة، أي صعوبة التعرّف الفوري على الكلمات المألوفة المخزّنة في الذاكرة، مع بقاء المسار الفونولوجي التحليلي سليمًا نسبيًا. لذلك تركز الاستراتيجيات العلاجية على تمكين القارئ من التعرف المباشر والسريع على الكلمات المألوفة، تثبيت التمثيلات الإملائية، وتنمية الطلاقة القرائية من خلال تدريب متدرج من الكلمات البسيطة إلى النصوص المعقدة، واستخدام المقاربة متعددة الحواس (بصرية، سمعية، حركية)، مع تكرار القراءة وتنظيم النصوص والجلسات لتقليل العبء المعرفي. كما يُعدّ التدخل المبكر والمكثف مع متابعة التقدم أساسيًا لتحسين سرعة ودقة التعرف على الكلمات وتقليل الاعتماد على التحليل الصوتي، بما يعزز اكتساب قراءة فعّالة ووظيفية.

6.5 عسر القراءة المزدوج

يُعد عسر القراءة المزدوج النمط الأكثر تعقيدًا بين اضطرابات القراءة النمائية، حيث يجمع بين ضعف المسار الفونولوجي الذي يعيق ربط الحروف بالأصوات بدقة، والمسار المعجمي–البصري الذي يصعب على الطفل من خلاله التعرف المباشر على الكلمات المألوفة أو غير المنتظمة بصريًا. تشير الدراسات إلى أن ضعف المسار الفونولوجي يعيق تحويل الرموز الكتابية إلى تمثيلات صوتية دقيقة، ويؤدي ضعف التسمية الآلية السريعة (RAN) إلى بطء في استرجاع الكلمات المخزنة في الذاكرة البصرية اللغوية، مما ينعكس على بطء القراءة، وزيادة الأخطاء، واستنزاف الموارد المعرفية أثناء عملية القراءة.

كما أظهرت الدراسات العصبية أن عسر القراءة المزدوج يرتبط بخلل في ترابط الشبكات الدماغية المسؤولة عن المعالجة البصرية والفونولوجية، بما في ذلك القشرة الصدغية اليسرى، والفص الجداري، والمنطقة القذالية الصدغية (Shaywitz et al., 2002; Dehaene, 2009)، مما يفسر مقاومته الأعلى للبرامج التقليدية والحاجة لتدخل تربوي وعلاجي مكثف.

7.5 الاستراتيجيات العلاجية لعسر القراءة المزدوج

تتطلب معالجة عسر القراءة المزدوج نهجًا متكاملاً يجمع بين تعزيز المسار الفونولوجي والمعجمي–البصري من خلال تدريب على الوعي الصوتي والفونيمي، تحليل الكلمات إلى أصوات، وتكرار الكلمات المألوفة

بصريًا مع تثبيت التمثيلات الإملائية. يُدعم ذلك بتدريب متعدد الحواس (سمعي، بصري، حركي) لتكوين مسارات عصبية بديلة، مع تنظيم تدريجي للتدريب من الحروف والمقاطع إلى النصوص الكاملة. كما يشمل النهج تعزيز الطلاقة والسرعة عبر القراءة المتكررة ومتابعة الدقة، دعم التهجئة عبر الكتابة المتكررة والتحليل الصوتي، وتكييف النصوص والبيئة التعليمية لتقليل الحمل المعرفي، بما يضمن تحسين الأداء القرائي الشامل.

جدول يبيّن صعوبات تعلم القراءة المشتركة

نوع الصعوبة	صعوبات تعلم القراءة ذات المقاربة التعليمية	صعوبات القراءة ذات الأصل الأرطفوني (فونولوجي)	الصعوبات المشتركة
الوعي الصوتي	ضعف القدرة على تمييز الحروف والأصوات بسبب نقص الخبرة التعليمية	ضعف القدرة على تفكيك الكلمات إلى أصوات	صعوبة ربط الرموز الصوتية بالحروف، صعوبة تحليل الكلمات صوتيًا
التحويل الرمزي– الصوتي	صعوبة في تعلم قواعد التهجئة وقراءة الكلمات غير المألوفة	عدم القدرة على تحويل الرموز الكتابية إلى تمثيلات صوتية دقيقة	بطء القراءة، كثرة الأخطاء عند قراءة كلمات جديدة أو غير مألوفة
الاسترجاع البصري للكلمات	ضعف التعرف المباشر على الكلمات بسبب محدودية التدريب	ضعف التعرف على الكلمات المخزنة في الذاكرة البصرية	صعوبة القراءة السريعة، الحاجة للتهجئة البطيئة لكل كلمة
السرعة القرائية	ضعف السرعة نتيجة نقص الممارسة والتعرض للنصوص	ضعف سرعة استرجاع الكلمات المخزنة	بطء القراءة العام، استنزاف الموارد المعرفية أثناء القراءة
القدرة على الفهم	ضعف استراتيجيات الفهم نتيجة نقص التدريب التعليمي	ضعف التشفير يؤثر على قدرة دمج المعلومات وفهم النص	ضعف الفهم العام للنصوص الطويلة والمعقدة
المقاومة للتدخلات التقليدية	بعض الطلاب يستفيدون من التدريب المكثف	يظهر بعض الأطفال مقاومة أكبر للبرامج التقليدية	الحاجة لبرامج علاجية متكاملة تجمع بين التدريس والتدخل العلاجي المكثف

خاتمة

وخلاصة القول إنّ صعوبات تعلّم القراءة إشكالية معقّدة تتطلّب النظر في بعدين متكاملين: البعد التعليمي الذي يبحث في فاعلية الممارسات التدريسية وملاءمتها، والبعد الأرطوفوني الذي يتقصّى الأسباب اللغوية والمعرفية والنمائية الكامنة. فالحاجة إلى التشخيص الدقيق والتدخل الفعّال تُوجب التمييز بين الصعوبات المرتبطة بطريقة التدريس أو نقص الفرص التعليمية، وبين تلك الجذور الناتجة عن اختلالات في المعالجة الصوتية أو الإدراك البصري للرموز التي تميّز عُسر القراءة، مع الإقرار بأن الممارسة التعليمية غير الملائمة قد تفاقم من حدة الصعوبات الأساسية لدى الطفل. لذلك، يسعى التشخيص والتدخل الفعالان إلى التمييز الدقيق بين طبيعة الصعوبة الأصلية وبين العوامل البيئية والتعليمية المشكّلة لها، مما يمكن المعلمين والأرطوفونيين معًا من تصميم تدخلات داعمة ومستهدفة، تبدأ بالكشف المبكر وتتكامل بين الدعم التعليمي الخاص والعلاج اللغوي العصبي المناسب.

قائمة المراجع

1.زرزايحي، سلوى وغيران، خديجة، (2022)، استراتيجيات تدريس ذوي صعوبات تعلم القراءة: نموذج دراسي .المجلة العلمية للتربية الخاصة، المجلد 4.

2.نورالدين حمر العين و زمام نورالدين، (2021) ، *تعليمية اللغة العربية في التعليم الابتدائي وعلاقتها بصعوبات التعلم: تعليمية القراءة أنموذجًا* .مجلة المعيار, 25(6).

3.وزارة التربية الوطنية الجزائرية، (2016)، *منهاج اللغة العربية للسنة الأولى إلى الخامسة من التعليم الابتدائي – الجيل الثاني* .الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

4. Alexander, P. A., & Fox, E. (2019). *Handbook of reading research* (Vol. Routledge.

5. Castles, A., Rastle, K., & Nation, K. (2018). Ending the reading wars: Reading acquisition from novice to expert. *Psychological Science in the Public Interest, 19*(1), 5–51

6. Coltheart, M., Rastle, K., Perry, C., Langdon, R., & Ziegler, J. C. (2001). DRC: A dual route cascaded model of visual word recognition and reading aloud. Psychological Review, 108(1), 204–256.

7. Dehaene, S. (2009). Reading in the brain: The science and evolution of a human invention (Vol. 7). New York: Viking.
8. Dehaene, S. (2020). How We Learn: Why Brains Learn Better Than Any Machine... for Now. *Penguin.*
9. Duke, N. K., & Cartwright, K. B. (2021). The science of reading progress: Opening the black box of classroom instruction. *Educational Psychologist, 56*(1), S30–S34.
10. Ehri, L. C. (2014). Orthographic mapping in the acquisition of sight word reading, spelling memory, and vocabulary learning. *Scientific Studies of Reading, 18*(1), 5–21.
11. Kintsch, W. (2013). *Learning, memory, and conceptual understanding*. Cambridge University Press.
12. Peterson, R. L., McGrath, L. M., Willcutt, E. G., Keenan, J. M., Olson, R. K., & Pennington, B. F. (2021). How specific are learning disabilities?. Journal of Learning Disabilities, 54(6), 466-483.
13. Shaywitz, B. A., Shaywitz, S. E., Blachman, B. A., et al. (2002). *Development of left occipitotemporal systems for skilled reading in children after a phonologically-based intervention*. Biological Psychiatry, 52(2), 101–110.
14. Snowling, M. J., Hulme, C., & Nation, K. (2020). Defining and understanding dyslexia: past, present and future. Oxford review of education, 46(4), 501-513.
15. Stanovich, K. E. (1980). Toward an interactive-compensatory model of individual differences in the development of reading fluency. *Reading Research Quarterly, 16*(1), 32–71.
16. Toste, J. R., Didion, L., Peng, P., Filderman, M. J., & McClelland, A. M. (2020). A meta-analytic review of the relations between motivation and reading achievement for K–12 students. Review of Educational Research*, 90(4), 727–774.*
17. Wolf, M., Bowers, P. G., & Biddle, K. (2000). *Naming-speed processes, timing, and reading: A conceptual review*. Journal of Learning Disabilities, 33(4), 387–407.

Education, Society, and the Human Factor in a Changing World: An Integrated Demographic-Educational Approach to Knowledge, Change, and Innovation

Tarek Benslimane [1]
[1]Population Studies Laboratory, Health and Sustainable Development in Algeria, Blida-2-
tarek.bens2016@gmail.com
Rabah Saoula [2]
[2]Population Studies Laboratory, Health and Sustainable Development in Algeria, Blida-2-
saoula_s@yahoo.fr

Abstract:
Rapid demographic shifts are reshaping education systems and their ability to respond to socioeconomic change. The study links education, society, and human capital through a demographic perspective that emphasizes knowledge integration and innovation. Fertility decline, ageing, migration, and urbanization affect educational demand, access, equity, and outcomes. Demographic analysis helps explain inequalities and supports human capital development and societal resilience. Despite global progress, gaps in educational access and quality persist, especially in low-income countries. Integrating demographic and educational dimensions is essential for effective policies and sustainable human development.

Keywords: Demography, Education, Integrated Knowledge, Social Change, Human Capital, Multidisciplinary Approaches

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التعليم والمجتمع والعامل البشري في عالم متغير: نهج ديموغرافي–تعليمي متكامل للمعرفة والتغيير والابتكار

طارق بن سليمان[1]

[1]مخبر الدرسات السكانية الصحة والتنمية المستدامة في الجزائر البليدة–2–

tarek.bens2016@gmail.com

رابح صولة [2]

[2]مخبر الدرسات السكانية الصحة والتنمية المستدامة في الجزائر البليدة–2–

saoula_s@yahoo.fr

ملخص:

يشهد العالم تحولات ديموغرافية متسارعة تفرض تحديات متزايدة على النظم التعليمية في الاستجابة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية. تتناول الدراسة العلاقة المتداخلة بين التعليم والمجتمع والعامل البشري من منظور ديموغرافي–تعليمي يبرز أهمية تكامل المعرفة في دعم التغيير والابتكار. وتوضح أن ظواهر مثل انخفاض الخصوبة، وشيخوخة السكان، والهجرة، والتوسع الحضري تعيد تشكيل الطلب على التعليم وإمكانية الوصول إليه وعدالته ونتائجه. كما تعتمد مقاربة متعددة التخصصات تربط علم السكان بالتربية والنظرية الاجتماعية لفهم التحولات التعليمية في سياقها المجتمعي. ويبرز التحليل الديموغرافي كأداة لفهم التفاوتات التعليمية وتكوين رأس المال البشري وتعزيز المرونة المجتمعية. وتشير الأدلة الدولية إلى استمرار فجوات الوصول للتعليم ووجود ملايين خارج المدارس رغم التقدم العالمي في الالتحاق والتعليم العالي . كما تؤكد تقارير دولية أن التحولات السكانية والقيود الاقتصادية تؤثر في تمويل التعليم وجودته ومستقبله خاصة في الدول منخفضة الدخل . وتبرز أهمية دمج الأبعاد الديموغرافية والتعليمية لصياغة سياسات تعليمية أكثر فعالية واستجابة للتحديات المعاصرة. وتخلص الدراسة إلى أن بناء أطر معرفية متكاملة يعزز قدرة النظم التعليمية على دعم التنمية البشرية والتغيير الاجتماعي المستدام. ويمثل هذا التكامل أساسًا لتصميم استراتيجيات تعليمية مبتكرة قادرة على مواكبة التنوع الديموغرافي وتحولات المجتمعات الحديثة

الكلمات المفتاحية: علم السكان، التعليم، المعرفة المتكاملة، التغيير الاجتماعي، رأس المال البشري، المناهج متعددة التخصصات.

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات عميقة ومتسارعة مدفوعة بالتغيرات الديموغرافية، والتقدم التكنولوجي، والعولمة الاقتصادية، وتطور البنى الاجتماعية. وقد أعادت هذه التحولات تشكيل العلاقة بين التعليم والمجتمع والعامل البشري بشكل كبير، واضعةً أنظمة التعليم في صميم النقاشات حول التغيير الاجتماعي والابتكار والتنمية المستدامة (UNESCO, 2021; UNDP, 2022). في هذا السياق، لم يعد يُنظر إلى التعليم كمجرد آلية لنقل المعرفة، بل كأداة استراتيجية لصقل القدرات البشرية، وتعزيز التماسك الاجتماعي، وبناء القدرة على التكيف في مجتمعات تزداد تعقيدًا (World Bank, 2020) .

تُشكل الديناميكيات الديموغرافية أحد أهم أبعاد هذه التحولات، ومع ذلك غالبًا ما يتم إغفالها. فالاتجاهات السكانية العالمية – مثل انخفاض معدلات الخصوبة، وشيخوخة السكان، والزيادة المستمرة في أعداد الشباب في المناطق النامية، والهجرة واسعة النطاق، والتوسع الحضري السريع – تؤثر بشكل مباشر على الطلب على التعليم، وإمكانية الوصول إليه، وجودته، ونتائجه. ووفقًا للأمم المتحدة، يتغير التركيب السكاني العالمي بشكل غير متساوٍ، مما يخلق تحديات وفرصًا تعليمية متباينة بين المناطق (United Nations, 2023). تؤثر هذه الحقائق الديموغرافية تأثيرًا عميقًا على كيفية استثمار المجتمعات في التعليم، وتخطيطها لتنمية رأس المال البشري، واستجابتها للتفاوتات الاجتماعية.(OECD, 2023)

على الرغم من تزايد توافر البيانات الديموغرافية والمؤشرات التعليمية، غالبًا ما تتناول أطر البحث والسياسات التعليم والديموغرافيا بمعزل عن بعضهما. هذا التشتت يحد من قدرة الأنظمة التعليمية على استباق الضغوط الديموغرافية وتصميم استجابات مبتكرة تتوافق مع الاحتياجات المجتمعية طويلة الأجل. (UNESCO, 2021) ونتيجة لذلك، ثمة حاجة ملحة إلى أطر معرفية متكاملة تتجاوز حدود التخصصات وتعزز فهمًا شاملًا للتعليم باعتباره عملية متجذرة اجتماعيًا ومتأثرة بالعوامل الديموغرافية.(OECD, 2023)

من هذا المنطلق، تتبنى هذه الورقة البحثية منهجًا ديموغرافيًا–تعليميًا قائمًا على إنتاج معرفي متكامل. وتهدف إلى تحليل كيفية تفاعل التعليم والمجتمع والعامل البشري في عالم متغير، وكيف يمكن لدمج التحليل الديموغرافي في البحث التربوي أن يعزز دور التعليم كمحرك للتغيير الاجتماعي والابتكار. ومن خلال وضع التعليم ضمن ديناميكيات سكانية أوسع، تُسهم هذه الدراسة في النقاشات متعددة التخصصات حول مستقبل التعليم والتنمية البشرية.

أولا: مشكلة البحث:

على الرغم من تزايد الاعتراف بالتعليم كركيزة أساسية للتحول الاجتماعي، لا تزال العديد من السياسات التعليمية وأطر البحث غير متصلة بشكل كافٍ بالواقع الديموغرافي. فالتغيرات السكانية السريعة، مثل انخفاض معدلات الخصوبة، وشيخوخة المجتمع، وتزايد تدفقات الهجرة، واستمرار بطالة الشباب، تُشكّل ضغوطًا هيكلية على أنظمة التعليم لا يمكن معالجتها بشكل كافٍ من خلال مناهج أحادية التخصص(United Nations, 2023; World Bank, 2020).

تتمثل مشكلة البحث الأساسية التي تتناولها هذه الورقة في غياب تحليل ديموغرافي–تعليمي متكامل لفهم كيفية تفاعل التعليم والمجتمع والعامل البشري في عالم متغير. فبينما يُقدّم علم السكان رؤى بالغة الأهمية حول التركيبات والاتجاهات السكانية، غالبًا ما يتجاهل البحث التربوي هذه الديناميكيات، مما يؤدي إلى تشتت المعرفة والاستجابات السياسية (OECD, 2023).

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال المحوري التالي:

كيف يُمكن لتكامل المنظورين الديموغرافي والتعليمي أن يُسهم في إنتاج معرفة مبتكرة وفعّالة قادرة على تعزيز دور التعليم كمحرك للتغيير الاجتماعي والتنمية البشرية؟

ثانيا: الإطار المفاهيمي:

1 المعرفة المتكاملة كأساس للتغيير الاجتماعي:

اكتسب مفهوم المعرفة المتكاملة أهمية متزايدة في العلوم الاجتماعية المعاصرة، لا سيما في مواجهة التحديات العالمية المعقدة التي تتجاوز حدود التخصصات التقليدية. تشير المعرفة المتكاملة إلى الجمع المنهجي بين الرؤى والأساليب والأدلة من تخصصات متعددة لإنتاج أشكال فهم أكثر شمولية وابتكارًا وقابلية للتطبيق. في مجال التعليم، يُعد هذا التكامل ضروريًا لمعالجة القضايا المتعددة الأوجه المتعلقة بعدم المساواة والتغير الديموغرافي والتحولات التكنولوجية والتماسك الاجتماعي.

تؤكد اليونسكو أن مستقبل التعليم يعتمد على قدرة المجتمعات على حشد أشكال متنوعة من المعرفة للاستجابة بفعالية للغموض والتعقيد (UNESCO, 2021). إن أنظمة التعليم التي تعتمد على المعرفة المجزأة أو القطاعية أقل قدرة على التكيف مع التحولات الديموغرافية والاجتماعية.(UNDP, 2022) **في المقابل،** تُمكّن أطر المعرفة المتكاملة صانعي السياسات والباحثين من مواءمة الاستراتيجيات التعليمية مع واقع السكان وأهداف التنمية البشرية.

المعرفة المتكاملة في هذا السياق، يلعب علم السكان دورًا محوريًا من خلال توفير رؤى تجريبية حول التركيبات السكانية والاتجاهات والتوقعات. وعند دمجه مع النظرية التربوية والتحليل الاجتماعي، تعزز المعرفة الديموغرافية القدرة التفسيرية والتنبؤية للبحوث التربوية، مما يتيح تخطيطًا وابتكارًا أكثر فعالية.

2 منظورات متعددة التخصصات في بحوث التعليم:

تتضمن المناهج متعددة التخصصات استخدامًا متوازيًا للمفاهيم والأساليب من مختلف التخصصات لتحليل ظاهرة مشتركة. في سياق التعليم، تستند البحوث متعددة التخصصات إلى علم السكان، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، وعلم النفس، والعلوم السياسية لفهم كيفية عمل الأنظمة التعليمية ضمن سياقات مجتمعية أوسع (OECD, 2023). وتكتسب هذه المناهج أهمية خاصة في عالم متغير تتشكل فيه مخرجات التعليم بفعل عوامل ديموغرافية واقتصادية وثقافية في آن واحد.

تؤكد منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) على أنه لا يمكن فهم الأداء التعليمي والإنصاف فيه فهمًا كاملًا دون مراعاة السياقات الديموغرافية والاجتماعية، بما في ذلك أنماط الهجرة، والتركيبة الأسرية، والتركيبة العمرية (OECD, 2023). **وبالتالي،** توفر البحوث متعددة التخصصات فهمًا أكثر دقة للتفاوتات التعليمية وتكوين رأس المال البشري.

مع ذلك، قد تؤدي المناهج متعددة التخصصات وحدها إلى تحليلات متوازية بدلًا من التكامل الحقيقي. لهذا السبب، لا تركز هذه الدراسة على تعدد التخصصات فحسب، بل أيضًا على دمج المنظورين الديموغرافي والتعليمي في إطار تحليلي متماسك.

3 التعليم كرافعة للتغيير والابتكار:

يُعدّ التعليم محركًا رئيسيًا للتغيير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية والابتكار، وهو أمرٌ مُسلّم به على نطاق واسع. فمن خلال التعليم، تُشكّل المجتمعات مهارات الأفراد وقيمهم وقدراتهم، مما يُمكّنهم من المشاركة بفعالية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (UNDP, 2022). كما يؤكد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) على أن التعليم أساسي لتوسيع القدرات البشرية وتعزيز التنمية البشرية على امتداد مراحل الحياة.

ومن منظور **ديموغرافي–تعليمي**، يرتبط الدور التحويلي للتعليم ارتباطًا وثيقًا بديناميات السكان. فعلى سبيل **المثال**، يُمكن للاستثمارات في التعليم خلال فترات العائد الديموغرافي – عندما يكون عدد السكان في سن العمل كبيرًا نسبيًا – أن تُحقق عوائد اقتصادية واجتماعية كبيرة. في المقابل، تواجه المجتمعات المسِنّة تحديات تتعلق بالتعلم مدى الحياة، وتجديد المهارات، والعدالة بين الأجيال.

لذا، يتطلب فهم التعليم كرافعة للتغيير تحليلًا متكاملًا للظروف الديموغرافية والهياكل الاجتماعية. ويُتيح هذا النهج تحديد استراتيجيات مُلائمة للسياق تُعزز مساهمة التعليم في الابتكار والتنمية المستدامة.

وانطلاقا من هذا الاطار المفاهيمي، يوضح الجدول رقم(01) كيف تتقاطع المؤشرات الديمغرافية الأساسية مع ديناميات التعليم، بما يسمح بتحليل العلاقة بين التعليم والبنى السكانية بوصفها علاقة بنيوية مولدة للتغيير الاجتماعي

الجدول 1: التحليل الديموغرافي–التعليمي لعلاقة التعليم بالبنى السكانية والتحول الاجتماعي .

البعد الديمغرافي	المؤشرات السكانية الأساسية	الانعكاسات على التعليم	الدلالة التحليلية في علم السكان	الإسهام في التغيير الاجتماعي
التركيب العمري للسكان	الهرم السكاني، نسبة الاعالة، متوسط العمر	تحديد الطلب التعليمي، التخطيط للبنية التحتية، توزيع الموارد التعليمية	يعكس مرحلة الانتقال الديمغرافي ويحدد طبيعة الاستثمار في رأس المال البشري	توجيه التعليم نحو تعظيم العائد الديمغرافي أو تقليص آثار الشيخوخة
الخصوبة والنمو السكاني	معدل الخصوبة الكلي، معدل النمو الطبيعي	النبؤ بأحجام الفصول، سياسات التوسع أو الانكماش التعليمي	مؤشر على التحول من الكم إلى النوع في الاستثمار البشري	تحسين جودة التعليم ودعم التنمية البشرية المستدامة
الهجرة والتنقل السكاني	صافي الهجرة، الهجرة الداخلية، النزوح	تنوع الاحتياجات التعليمية، الضغط على المدارس الحضرية	تكشف عن إعادة توزيع السكان وعدم التوازن المكاني	تعزيز الادماج الاجتماعي وتقليص الفوارق التعليمية
التحضر والتوزيع الجغرافي	نسبة السكان الحضريين، التركز المكاني	تفاوت فرص الوصول إلى التعليم وجودته	يبرز العلاقة بين المجال والسكان والخدمات	تقليص التفاوتات المجالية وتعزيز العدالة التعليمية
الانتقال الديمغرافي	تراجع الوفيات، انخفاض الخصوبة	التحول نحو التعليم النوعي والمهارات	إطار تفسيري للعلاقة بين التعليم والتحول الاجتماعي	دعم الاستقرار الاجتماعي والنمو الاقتصادي طويل الأمد

الاستثمار في رأس المال البشري	سنوات التمدرس، التحصيل التعليمي	مواءمة التعليم مع سوق العمل	يربط بين البنية السكانية والتنمية	تعزيز الابتكار والقدرة التنافسية المجتمعية
التعلم مدى الحياة والشيخوخة	نسبة كبار السن، معدل الإعالة الشيخوخية	تطوير سياسات التعليم المستمر وإعادة التأهيل	استجابة ديمغرافية لشيخوخة السكان	الحفاظ على الإنتاجية والتماسك الاجتماعي
المصدر: من إعداد الباحثين .				

يبرز الجدول التحليلي الديموغرافي—التعليمي الطبيعة البنيوية للعلاقة بين التعليم والتحولات السكانية، ويؤكد أن النظم التعليمية ليست كيانات مستقلة، بل تتشكل وتُعاد هيكلتها باستمرار في إطار الديناميات الديموغرافية السائدة. فمؤشرات التركيب العمري، والخصوبة، والهجرة، والتحضر، والانتقال الديموغرافي، تشكل محددات أساسية للطلب التعليمي، ولنمط توزيع الموارد، ولنطاق السياسات التعليمية الممكنة، سواء من حيث التوسع الكمي أو الارتقاء النوعي. ويكشف التحليل أن تجاهل هذه المحددات يؤدي إلى اختلالات هيكلية في التخطيط التعليمي، تتمثل في فجوات بين العرض التعليمي والحاجات السكانية الفعلية، وفي ضعف القدرة على الاستجابة الاستباقية للتحولات الاجتماعية والاقتصادية.

كما يوضح الجدول أن التعليم يؤدي دورًا مزدوجًا داخل البنية السكانية؛ فهو من جهة متغير تابع يتأثر بمراحل الانتقال الديموغرافي وبإعادة توزيع السكان مكانيًا وعمريًا، ومن جهة أخرى متغير فاعل يسهم في إعادة تشكيل هذه البنية من خلال تأثيره في الخصوبة، والحراك الاجتماعي، وجودة رأس المال البشري. ويبرز هذا التفاعل الجدلي أن الاستثمار في التعليم لا يمكن فصله عن منطق الدورة السكانية ومسارات الحياة، إذ تختلف أولويات التعليم باختلاف الفئات العمرية والسياقات الديموغرافية، من تعميم التعليم الأساسي في المجتمعات الفتية إلى توسيع التعلم مدى الحياة في المجتمعات المتقدمة في الشيخوخة.

وعليه، يؤسس هذا التحليل لرؤية تكاملية تعتبر التعليم أداة استراتيجية لإدارة التحول الديموغرافي، وليس مجرد استجابة ظرفية له. فدمج المؤشرات السكانية في تحليل السياسات التعليمية يسمح بالانتقال من منطق التخطيط القطاعي إلى منطق الحوكمة السكانية للتعليم، حيث يُنظر إلى الإنسان بوصفه فاعلًا ديموغرافيًا يتطور عبر مراحل الحياة داخل سياقات اجتماعية متغيرة. ويمنح هذا المنظور البحثي قدرة تفسيرية أعلى لفهم أدوار التعليم في تعزيز التماسك الاجتماعي، وتقليص الفوارق المجالية، ودعم الابتكار والتنمية البشرية المستدامة في عالم يتسم بتسارع التحولات السكانية والاجتماعية.

ومن هذا التحليل التركيبي، يتضح أن التحولات الديمغرافية لا تمثل مجرد سياق عام يعمل فيه التعليم، بل تشكل محددا بنيويا لإعادة توجيه سياساته ووظائفه الاجتماعية. ويقود هذا الادراك التحليلي إلى ضرورة فحص التحولات السكانية العالمية المعاصرة بوصفها إطارا مفسرا لتغير أدوار التعليم وحدود فاعليته في عالم يشهد تحولات ديمغرافية متسارعة.

ثالثا: التحولات الديموغرافية في عالم متغير

1 اتجاهات السكان العالمية:

تكشف الاتجاهات الديموغرافية العالمية عن تفاوتات إقليمية كبيرة في النمو السكاني، والتركيبة العمرية، والتنقل. فبينما تشهد العديد من الدول ذات الدخل المرتفع انخفاضًا في معدلات الخصوبة وشيخوخة السكان، لا تزال العديد من الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط تواجه نموًا سكانيًا سريعًا وتضخمًا ملحوظًا في فئة الشباب. ووفقًا للأمم المتحدة، انخفض معدل الخصوبة العالمي من 5.0 مواليد لكل امرأة عام 1950 إلى 2.3 عام 2021 (United Nations, 2023)، مع وجود تباين كبير بين المناطق. لهذه الاتجاهات آثار مباشرة على أنظمة التعليم. فقد يؤدي انخفاض الخصوبة وشيخوخة السكان إلى انخفاض معدلات التحاق الطلاب في بعض المناطق، مما قد يدفع إلى إغلاق المدارس أو دمجها، في حين يزيد الطلب على تعليم الكبار والتعلم مدى الحياة. في المقابل، تواجه الدول ذات الكثافة السكانية العالية من الشباب ضغوطًا لتوسيع نطاق الوصول إلى التعليم، وتحسين جودته، وضمان الانتقال السلس من المدرسة إلى سوق العمل.

2 تضخم أعداد الشباب، والمجتمعات المُسِنّة، والطلب على التعليم:

يمثل تضخم أعداد الشباب – الذي يتميز بارتفاع نسبة الشباب في المجتمع – فرصًا ومخاطر في آنٍ واحد. فعندما يقترن هذا التضخم باستثمار كافٍ في التعليم وفرص عمل مناسبة، يُمكن أن يُسهم في النمو الاقتصادي والابتكار. إلا أن عدم كفاية القدرات التعليمية قد يُفاقم البطالة والإقصاء الاجتماعي وعدم الاستقرار.

في المقابل، تواجه المجتمعات المسِنّة تحديات تتعلق بانخفاض أعداد الطلاب في سن الدراسة وارتفاع معدلات الإعالة. ويتعين على أنظمة التعليم في هذه السياقات التكيف من خلال تعزيز التعلم مدى الحياة، وإعادة تأهيل المهارات، والتضامن بين الأجيال (OECD, 2023). ويؤكد البنك الدولي أن الشيخوخة السكانية تتطلب سياسات تعليمية تتجاوز التعليم النظامي لدعم التنمية المستمرة لرأس المال البشري.

3 الهجرة والتوسع الحضري وعدم المساواة التعليمية:

تُزيد الهجرة والتوسع الحضري من تعقيد المشهد الديموغرافي التعليمي. فالهجرة الدولية تؤثر على الأنظمة التعليمية من خلال زيادة التنوع، واحتياجات اللغة، والتفاوت في الوصول إلى التعليم ونتائجه. بينما يُركز التوسع الحضري الموارد التعليمية في المدن، تاركًا المناطق الريفية غالبًا دون خدمات كافية.

وتشير تقارير اليونسكو إلى أن المهاجرين والنازحين يواجهون في كثير من الأحيان عوائق تحول دون حصولهم على التعليم، مما يُقوّض إمكاناتهم الفردية وتماسكهم الاجتماعي (UNESCO, 2021). ويتطلب التصدي لهذه التحديات سياسات متكاملة تجمع بين التحليل الديموغرافي واستراتيجيات تعليمية شاملة.

رابعا: نحو منظور ديموغرافي–تعليمي متكامل:

يُظهر التحليل المعاصر للعلاقات المتبادلة بين التحولات الديموغرافية والأنظمة التعليمية أن هذه التحولات لم تعد مجرد متغيرات سياقية محايدة، بل أصبحت عوامل بنيوية تُعيد تشكيل وظائف التعليم وأدواره ونتائجه على المستويين المجتمعي والاقتصادي. فالتغيرات في معدلات الخصوبة، والشيخوخة السكانية، وأنماط الهجرة الداخلية والدولية، والتوسع الحضري المتسارع، جميعها تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة في الطلب على التعليم، وفي بنيته التنظيمية، وفي نوعية المخرجات التعليمية ومدى مواءمتها مع حاجات المجتمعات المتغيرة (Lutz, Cuaresma & Sanderson, 2008).

ويُتيح **المنظور الديموغرافي–التعليمي المتكامل** إطارًا تحليليًا أوسع لفهم الكيفية التي يتفاعل بها التعليم مع التحولات السكانية، ليس فقط بوصفه متأثرًا بها، وإنما أيضًا بوصفه قوة فاعلة في توجيه المسارات الديموغرافية ذاتها. فالتعليم، لاسيما تعليم الفتيات والنساء، يُعد من أبرز المحددات الديموغرافية المؤثرة في خفض معدلات الخصوبة، وتحسين مؤشرات الصحة، وتعزيز المشاركة الاقتصادية، ودعم الانتقال الديموغرافي المستدام (UNESCO, 2014).

ومن هذا المنطلق، فإن دمج التحليل الديموغرافي في البحوث والسياسات التعليمية يُمكّن صناع القرار من الانتقال من استجابات ظرفية قصيرة الأمد إلى تخطيط استراتيجي طويل المدى، يأخذ بعين الاعتبار التوزيع العمري للسكان، والفوارق الجغرافية، وعدم المساواة الاجتماعية، والاختلافات الثقافية. كما يسمح هذا الدمج بتطوير سياسات تعليمية أكثر قدرة على الاستجابة لتحديات مثل الاكتظاظ المدرسي في المجتمعات الفتية، أو إعادة تأهيل نظم التعليم والتعلم مدى الحياة في المجتمعات المتقدمة في السن (OECD, 2023).

ويكتسب هذا النهج أهمية خاصة في سياق السعي نحو **الإنصاف التعليمي**، حيث يُبرز التفاوتات الديموغرافية في الوصول إلى التعليم الجيد، ويُسهم في توجيه الموارد التعليمية نحو الفئات السكانية والمناطق الأكثر هشاشة. كما يعزز الابتكار في السياسات التعليمية، من خلال تبني نماذج مرنة للتعلم، واستخدام التقنيات الرقمية، وربط التعليم بسوق العمل في سياقات ديموغرافية متباينة.(UN DESA, 2019)

وفي المحصلة، يتوافق المنظور الديموغرافي–التعليمي المتكامل مع الهدف الأوسع لإنتاج معرفة علمية لا تقتصر على قوتها التحليلية، بل تتسم أيضًا بعمقها الاجتماعي وفعاليتها التطبيقية. فهو منظور يُعيد موضعة الإنسان – باعتباره فاعلًا ديموغرافيًا ومتعلّمًا في آن واحد – في قلب السياسات التنموية، ويُسهم في بناء أنظمة تعليمية أكثر استدامة، وقدرة على التكيف، واستجابة لتحولات عالم يتسم بعدم اليقين وتسارع التغير.

خامسا: نتائج الدراسة

يكشف التحليل الديموغرافي–التعليمي المتكامل الذي قمنا به في هذه الدراسة عن مجموعة من النتائج المترابطة التي تسلط الضوء على الدور المحوري للديناميات الديموغرافية في تشكيل النظم التعليمية وقدرتها على تعزيز التغيير الاجتماعي والابتكار.

1 التغير الديموغرافي كعامل هيكلي محدد لأنظمة التعليم:

تشير النتائج إلى أن التحولات الديموغرافية تُشكل عاملاً هيكلياً محدداً للطلب على التعليم وتنظيمه ونتائجه. ويرتبط انخفاض معدلات الخصوبة وشيخوخة المجتمعات في العديد من البلدان المتقدمة وذات الدخل المتوسط بانخفاض معدلات الالتحاق بالتعليم الإلزامي، وتزايد الطلب على تعليم الكبار والتعلم مدى الحياة وتنمية المهارات. في المقابل، تواجه البلدان التي تشهد نمواً سكانياً مرتفعاً وتزايداً ملحوظاً في أعداد الشباب ضغوطاً مستمرة على البنية التحتية التعليمية، وتوافر المعلمين، وتمويل التعليم.

تؤكد بيانات الأمم المتحدة أن المناطق ذات النمو السكاني السريع بين الشباب، ولا سيما في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وأجزاء من الشرق الأوسط، ستشهد زيادة كبيرة في عدد السكان في سن الدراسة خلال العقود القادمة، مما يُكثف الحاجة إلى أنظمة تعليمية شاملة وعالية الجودة (United Nations, 2023). تُبرز هذه التباينات الديموغرافية قصور النماذج التعليمية الموحدة، وتُسلط الضوء على ضرورة اتباع مناهج تراعي السياق وتستند إلى التحليل الديموغرافي.

2 التفاوتات الديموغرافية والتفاوتات التعليمية:

تُظهر النتائج أيضًا أن العوامل الديموغرافية تُسهم بشكلٍ كبير في التفاوتات التعليمية داخل المجتمعات وفيما بينها. ويؤثر توزيع السكان حسب العمر والجنس ومكان الإقامة ووضع الهجرة تأثيرًا مباشرًا على فرص الحصول على التعليم، ومعدلات الاستمرار فيه، ونتائج التعلّم. ويواجه سكان الريف، ومجتمعات المهاجرين، والنازحون باستمرار مخاطر أعلى للاستبعاد من التعليم.

وتكشف بيانات اليونسكو عن تفاوتات مستمرة في فرص حصول أطفال المهاجرين واللاجئين على التعليم، لا سيما في البيئات ذات الموارد المحدودة، حيث تتقاطع الضغوط الديموغرافية مع القيود المؤسسية (UNESCO, 2021). وتؤكد هذه النتائج على أنه لا يمكن فهم التفاوت التعليمي أو معالجته فهمًا كاملًا دون دمج الأبعاد الديموغرافية في البحث والتخطيط التربوي.

3 التعليم، والديموغرافيا، وتكوين رأس المال البشري:

تتعلق إحدى النتائج الرئيسية الأخرى بالتفاعل القوي بين التركيبة السكانية وتكوين رأس المال البشري. وتخلص الدراسة إلى أن العوائد الديموغرافية – وهي الفترات التي تتميز بنسبة عالية من الأفراد في سن العمل – لا يمكن تحويلها بفعالية إلى مكاسب اجتماعية واقتصادية إلا من خلال الاستثمار الاستراتيجي في التعليم وتنمية المهارات.

وتشير الأدلة من البنك الدولي إلى أن الدول التي نجحت في ربط التغير الديموغرافي بالتوسع التعليمي وتحسين جودته حققت مستويات أعلى من الإنتاجية والحراك الاجتماعي (World Bank, 2020) .

في المقابل، غالبًا ما تؤدي الاستجابات التعليمية غير الكافية للفرص الديموغرافية إلى ارتفاع معدلات بطالة الشباب، وعدم تطابق المهارات، والهشاشة الاجتماعية.

4 المعرفة المتكاملة كعامل محفز للابتكار التربوي:

أخيرًا، تُظهر الدراسة أن أطر المعرفة المتكاملة تُعزز قدرة النظم التعليمية على الابتكار والتكيف مع التغيرات الديموغرافية. فدمج البيانات الديموغرافية والمؤشرات التعليمية والتحليلات الاجتماعية يُتيح تنبؤات أكثر دقة، وتدخلات مُوجهة، وتصميم سياسات قائمة على الأدلة. ويدعم هذا التكامل تطوير مسارات تعليمية مرنة، ومناهج دراسية شاملة، واستراتيجيات تعلم مدى الحياة تتوافق مع واقع السكان.

سادسا: مناقشة النتائج:

تقدم نتائج هذه الدراسة دعماً تجريبياً ومفاهيمياً قوياً للحجة القائلة بأن التعليم والمجتمع والعامل البشري متجذرة بعمق في العمليات الديموغرافية. وتضع المناقشة التالية هذه النتائج في سياق نقاشات أكاديمية وسياسية أوسع، مع تسليط الضوء على آثارها على إنتاج المعرفة المتكاملة والتغيير الاجتماعي.

1 إعادة النظر في التعليم من منظور ديموغرافي:

تؤكد النتائج أنه لا يمكن تحليل أنظمة التعليم أو إصلاحها بفعالية دون مراعاة السياقات الديموغرافية بشكل صريح. فالنماذج التعليمية التقليدية، التي غالبًا ما تستند إلى افتراضات استقرار عدد السكان، تتزايد عدم

توافقها مع الحقائق الديموغرافية المعاصرة التي تتسم بالشيخوخة والهجرة والاستقطاب الديموغرافي. ويعزز هذا التباين أوجه القصور ويحد من الإمكانات التحويلية للتعليم.

من خلال دمج التحليل الديموغرافي في البحث التربوي، تتوافق هذه الدراسة مع الدعوات إلى عقد اجتماعي جديد للتعليم يستجيب للتغيرات المجتمعية وحالة عدم اليقين (UNESCO, 2021). ويعزز هذا الدمج قدرة التعليم على استشراف الاحتياجات المستقبلية بدلًا من مجرد الاستجابة للتحديات الآنية.

2 المعرفة المتكاملة وإنتاج سياسات تعليمية فعّالة:

يُبرز هذا النقاش القيمة المضافة للمعرفة المتكاملة في تجاوز قصور المناهج التخصصية المجزأة. فبينما يُقدّم علم السكان رؤىً ثاقبة حول اتجاهات السكان وتوقعاتهم، تُسهم علوم التربية في فهم عمليات التعلّم، والديناميكيات المؤسسية، والابتكار التربوي. ويُمكّن تكاملهما من إنتاج معرفة تتسم بالمتانة التحليلية والملاءمة للسياسات.

وتؤكد تحليلات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية أن السياسات التعليمية المستندة إلى البيانات الديموغرافية والاجتماعية أكثر فعالية في تعزيز الإنصاف والمرونة (OECD, 2023). وتُعزز هذه الدراسة هذا المنظور من خلال إثبات أن التكامل بين البيانات الديموغرافية والتعليمية يُحسّن استهداف الاستثمارات التعليمية ويدعم استراتيجيات التنمية الشاملة.

3 التعليم والتنمية البشرية والتماسك الاجتماعي:

تؤكد النتائج أيضًا على الدور المحوري للتعليم في تعزيز التماسك الاجتماعي والتنمية البشرية في المجتمعات المتنوعة ديموغرافيًا. فالأنظمة التعليمية التي لا تعالج التفاوتات الديموغرافية تُعرّض المجتمعات لخطر التفكك الاجتماعي والتوترات بين الأجيال. في المقابل، تُسهم المناهج المتكاملة التي تُراعي التركيبة العمرية والهجرة والتنوع الاجتماعي في بناء مجتمعات أكثر تماسكًا ومرونة.

يؤكد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن التعليم أساسي لتنمية القدرات البشرية على امتداد مراحل الحياة، لا سيما في سياقات التغير الديموغرافي .(UNDP, 2022). وتؤكد نتائج هذه الدراسة هذا الرأي، إذ تُظهر أن التعليم يعمل كمؤسسة وسيطة بين التغير الديموغرافي ونتائج التنمية البشرية.

4 الآثار المترتبة على الابتكار والبحوث المستقبلية:

من منظور الابتكار، تشير المناقشة إلى أن دمج المعرفة الديموغرافية والتعليمية يعزز أنظمة تعليمية تكيفية واستشرافية. هذه الأنظمة أكثر قدرة على تصميم نماذج التعلم مدى الحياة، وتعزيز المهارات الرقمية والبيئية، والاستجابة لمتطلبات سوق العمل المتغيرة.

مع ذلك، تُقر الدراسة أيضًا بالحاجة إلى مزيد من البحوث التي تُعمّق التكامل التجريبي للبيانات الديموغرافية والتعليمية، لا سيما على المستويين الوطني ودون الوطني. يمكن للدراسات المستقبلية استكشاف تحليلات الحالات المقارنة والبيانات الطولية لتحسين فهم كيفية استجابة الأنظمة التعليمية على النحو الأمثل للتغير الديموغرافي.

الخلاصة:

تناولت هذه الدراسة العلاقة المعقدة والديناميكية بين التعليم والمجتمع والعامل البشري في عالم سريع التغير، وذلك من خلال منظور ديموغرافي–تعليمي متكامل. وباتباع إطار معرفي متعدد التخصصات ومتكامل، أوضحت الدراسة أن الديناميكيات الديموغرافية ليست مجرد متغيرات ثانوية، بل هي قوى هيكلية تُؤثر بشكل عميق في الأنظمة التعليمية والتماسك الاجتماعي ومسارات التنمية البشرية.

وأظهر التحليل أن التحولات الديموغرافية العالمية – كشيخوخة السكان، وانخفاض معدلات الخصوبة، والزيادة المستمرة في أعداد الشباب، والهجرة، والتوسع الحضري – تُولّد تحديات وفرصًا تعليمية متباينة بين المناطق والمجتمعات. وتُخاطر الأنظمة التعليمية التي لا تُراعي هذه الحقائق الديموغرافية بعدم الكفاءة، وتفاقم عدم المساواة، وانخفاض القدرة على الابتكار. في المقابل، تكون الأنظمة التعليمية المستندة إلى التحليل الديموغرافي في وضع أفضل لاستباق التغيير، وتخصيص الموارد بفعالية، والمساهمة في التحول الاجتماعي المستدام.

ومن أهم استنتاجات هذه الدراسة أن المعرفة المتكاملة تُشكل رافعة حاسمة للتغيير والابتكار. يُعزز دمج التحليل الديموغرافي مع البحث التربوي القدرة التفسيرية لكلا المجالين، ويدعم إنتاج معرفة عملية قادرة على إثراء السياسات والممارسات. ويتماشى هذا الدمج مع الدعوات المعاصرة لإعادة النظر في التعليم كمؤسسة اجتماعية متجذرة ومستقبلية، تستجيب بفعالية لحالات عدم اليقين والتعقيد (UNESCO, 2021).

علاوة على ذلك، تؤكد النتائج الدور المحوري للتعليم في بناء رأس المال البشري، والتماسك الاجتماعي،

والمرونة. ففي سياق الفرص الديموغرافية، يُمكن للتعليم أن يُضاعف فوائد العوائد الديموغرافية، بينما في سياق القيود الديموغرافية، يُمكنه التخفيف من المخاطر الاجتماعية من خلال التعلم مدى الحياة وتطوير المهارات. وفي نهاية المطاف، تُؤكد الدراسة أن التعليم، عندما يستند إلى معرفة ديموغرافية–اجتماعية متكاملة، يُصبح أداة استراتيجية للنهوض بالتنمية البشرية والتغيير الاجتماعي الشامل .(UNDP, 2022) **التوصيات** :

بناءً على نتائج واستنتاجات هذه الدراسة، يمكن اقتراح العديد من التوصيات لتعزيز دور التعليم كرافعة للتغيير والابتكار داخل المجتمعات الديناميكية ديموغرافياً.

1 دمج التحليل الديموغرافي في التخطيط التربوي:

ينبغي أن تُدمج السياسات التربوية البيانات الديموغرافية وتوقعات النمو السكاني بشكل منهجي في عمليات التخطيط واتخاذ القرارات. ويُشجع الحكومات والسلطات التربوية على مواءمة البنية التحتية للمدارس، وتدريب المعلمين، وتطوير المناهج الدراسية مع الاتجاهات الديموغرافية، مثل النمو السكاني، والشيخوخة، والهجرة. ويمكن أن يُسهم استخدام الأدلة الديموغرافية في تعزيز كفاءة واستدامة الاستثمارات التربوية (United Nations, 2023).

2 تعزيز أطر المعرفة المتكاملة في سياسات التعليم :

ينبغي لواضعي السياسات تعزيز الآليات المؤسسية التي تشجع التعاون بين علماء السكان، والمتخصصين في التعليم، وعلماء الاجتماع، والاقتصاديين. ويمكن لمنصات المعرفة المتكاملة ووحدات البحث متعددة التخصصات أن تدعم وضع سياسات تعليمية مبتكرة ومراعية للسياق. وتساهم هذه الأطر في تجاوز المناهج المجزأة وتحسين اتساق السياسات (OECD, 2023).

3 معالجة التفاوتات الديموغرافية من خلال التعليم الشامل:

يجب أن تتناول سياسات التعليم بشكل صريح التفاوتات الديموغرافية المتعلقة بالعمر والجنس ومكان الإقامة ووضع الهجرة. وتُعدّ التدخلات الموجهة ضرورية لتحسين فرص الحصول على التعليم وجودته للفئات المهمشة، بما في ذلك المجتمعات الريفية والمهاجرين والنازحين. وتُعتبر استراتيجيات التعليم الشامل أساسية لتعزيز التماسك الاجتماعي والحد من التفاوتات طويلة الأمد (UNESCO, 2021).

4 الاستثمار في التعلم مدى الحياة وتنمية المهارات

في ضوء شيخوخة السكان والتحول السريع في سوق العمل، ينبغي أن تُعطي سياسات التعليم الأولوية لأنظمة التعلم مدى الحياة التي تدعم التنمية المستمرة للمهارات طوال مراحل الحياة. تُعزز هذه الأنظمة قدرة الأفراد على التكيف ومرونة المجتمع، لا سيما في سياقات الشيخوخة وما بعد العوائد الديموغرافية (World Bank, 2020).

5 تعزيز دور التعليم في التنمية البشرية والابتكار:

أخيرًا، ينبغي ربط سياسات التعليم بشكل صريح باستراتيجيات التنمية البشرية والابتكار الأوسع نطاقًا. ومن خلال مواءمة التعليم مع الواقع الديموغرافي وأهداف التنمية المستدامة، تستطيع المجتمعات تعظيم مساهمة التعليم في الإنتاجية الاقتصادية، والاندماج الاجتماعي، والابتكار الإبداعي.(UNDP, 2022)

قائمة المراجع :

1- United Nations, Department of Economic and Social Affairs. (2023). World Population Prospects 2022. https://population.un.org/wpp/
2- UNESCO. (2021). Reimagining our futures together: A new social contract for education. https://www.unesco.org/en/futures-education
3- OECD. (2023). Education at a Glance 2023. https://www.oecd.org/education/education-at-a-glance/
4- UNDP. (2022). Human Development Report 2021/2022. https://hdr.undp.org consulted on 01/02/2026
5- World Bank. (2020). World Development Report 2020. https://www.worldbank.org/en/publication/wdr2020 consulted on 01/02/2026
6- UNESCO (2014). Teaching and Learning: Achieving Quality for All. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000225660 consulted on 03/02/2026
7- United Nations, Department of Economic and Social Affairs – UN DESA (2019). World Population Prospects. https://www.un.org/development/desa/pd consulted on 03/02/2026
8- Lutz, W., Cuaresma, J. C., & Sanderson, W. (2008). The demography of educational attainment and economic growth. *Science,*

319(5866), 1047–1048. https://www.science.org/doi/10.1126/science.1151753 consulted on 06/02/206

9- United Nations, Department of Economic and Social Affairs. (2023). World Population Prospects 2022. https://population.un.org/wpp/ consulted on 06/022026

10- World Bank. (2020). World Development Report 2020. https://www.worldbank.org/en/publication/wdr2020 consulted on 08/02/2026

11- United Nations, Department of Economic and Social Affairs. (2023). World Population Prospects 2022. https://population.un.org/wpp/. consulted on 08/022026

The challenge of teaching Arabic in the age of artificial intelligence: development opportunities and limitations of use.

Hamza Laayali
Mohammed V University, Rabat
m.laayali1996@gmail.com

Abstract:

Artificial intelligence (AI) has become a key driver of contemporary educational change through its ability to personalise learning, enhance assessment, enrich content, and support linguistic tasks. Yet, teaching Arabic, with its linguistic, cultural, and institutional specificities, raises critical questions about the nature and limits of AI integration in education. This article develops a critical didactic perspective on teaching Arabic in the age of AI by examining the main development challenges (pedagogical, cognitive, and evaluative), while highlighting the limits of use (ethical, linguistic, and institutional). It also proposes guiding principles and practical approaches for a responsible and effective implementation of AI in the classroom.

Keywords: Artificial intelligence, Arabic language teaching, language skills, digital transformation.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

إشكالية تدريس اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي: رهانات التطوير وحدود الاستخدام.

حمزة لعيالي
جامعة محمد الخامس الرباط
m.laayali1996@gmail.com

ملخص:

أضحى الذكاء الاصطناعي (AI) مكونا بنيويا في التحولات التربوية المعاصرة، لما يتيحه من إمكانات في تخصيص التعلم، وتجويد التقويم، وإغناء المحتوى، ودعم المدرس والمتعلم في إنجاز المهام اللغوية. غير أن تدريس اللغة العربية، بما يكتنفه من خصوصيات لسنية ودلالية وثقافية ومؤسساتية، يطرح أسئلة مركبة حول طبيعة توظيف الذكاء الاصطناعي وحدوده، وحول مدى قدرته على خدمة الأهداف التعليمية دون أن يتحول إلى بديل عن الفعل البيداغوجي أو سبب في تمييع الكفايات. يستهدف هذا المقال بناء تصور ديدكتيكي نقدي لإشكالية تدريس العربية في عصر الذكاء الاصطناعي، من خلال تحليل رهانات التطوير (البيداغوجية، والمعرفية، والتقويمية)، واستجلاء حدود الاستخدام (المعرفية، والأخلاقية، واللغوية، والمؤسساتية)، مع اقتراح مبادئ حاكمة ومداخل إجرائية لتوظيف مسؤول وفعال داخل الفصل.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، ديدكتيك اللغة العربية، الكفايات اللغوية، التحول الرقمي.

مقدمة

أضحى الذكاء الاصطناعي في السنوات الأخيرة أحد أبرز ملامح التحول الرقمي الذي يشهده العالم التربوي؛ إذ لم يعد مجرد أداة تقنية مساعدة، بل تحول إلى مكون بنيوي داخل المنظومات التعليمية المعاصرة، لما يوفره من إمكانات واسعة في تخصيص التعلم، وتحسين آليات التقويم، وتطوير الموارد التعليمية، ودعم الفاعلين التربويين في إنجاز المهام المعرفية واللغوية. وفي هذا السياق، باتت المدرسة مدعوة إلى إعادة التفكير في طبيعة الفعل التعليمي في ظل هذا التحول المتسارع، خصوصا في المواد ذات الحمولة الثقافية واللغوية العميقة، وفي مقدمتها اللغة العربية.

غير أن إدماج الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية لا يخلو من تعقيد، بالنظر إلى الخصوصيات اللسانية والدلالية والثقافية التي تميز هذه اللغة، وإلى طبيعة المؤسسات التعليمية التي تؤطر تدريسها داخل المدرسة العربية والمغربية خاصة، فبينما تفتح تقنيات الذكاء الاصطناعي آفاقا واعدة لتجويد التعلمات وتنمية الكفايات التواصلية واللغوية، فإنها تثير في المقابل تساؤلات نقدية حول حدود هذا التوظيف، ومخاطره الممكنة، سواء على مستوى تمييع الكفايات، أو إضعاف الدور البيداغوجي للمدرس، أو بروز إشكالات أخلاقية مرتبطة بالغش والاعتماد المفرط على الأدوات الرقمية.

وانطلاقا من ذلك، تتحدد إشكالية هذا المقال في مساءلة موقع الذكاء الاصطناعي داخل تدريس اللغة العربية: إلى أي حد يمكن لهذه التكنولوجيا أن تسهم في تطوير الممارسات التعليمية والتقويمية؟ وما الحدود المعرفية والأخلاقية واللغوية والمؤسساتية التي ينبغي الانتباه إليها حتى لا يتحول الذكاء الاصطناعي إلى بديل عن الفعل الديدكتيكي أو عامل يفرغ التعلمات من بعدها الوظيفي والتواصلي؟

أولا: الإطار المفاهيمي والنظري للذكاء الاصطناعي في المجال التربوي وتعليم اللغات

يشكل الذكاء الاصطناعي أحد أبرز التحولات الكبرى التي يعرفها العالم المعاصر، ليس فقط على مستوى التكنولوجيا والاقتصاد، بل كذلك على مستوى الثقافة والمعرفة والتعليم، فقد أدى التطور المتسارع في تقنيات الحوسبة والخوارزميات إلى بروز أنظمة قادرة على محاكاة عدد متزايد من الوظائف الذهنية التي كانت تعتبر، إلى وقت قريب، حكرا على الإنسان، مثل التعلم، والتحليل، والاستنتاج، واتخاذ القرار، بل وحتى إنتاج اللغة الطبيعية وصياغة الخطاب.

من هذا المنطلق، لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أداة تقنية إضافية ضمن الوسائط الرقمية، بل أصبح مكونا بنيويا يعيد تشكيل علاقة الإنسان بالمعرفة، ويطرح أسئلة عميقة حول مستقبل المدرسة ووظائفها، وحدود التعلم، وأدوار المدرس والمتعلم، ومعنى التقويم في عصر أصبحت فيه المعرفة قابلة للتوليد الفوري.

إن الذكاء الاصطناعي، في تعريفه العام، هو فرع من فروع علوم الحاسوب يهدف إلى تصميم أنظمة وبرامج قادرة على إنجاز مهام تتطلب عادة ذكاء بشريا، مثل التعرف على الأنماط، وفهم اللغة، وحل المشكلات، والتعلم من التجربة، وهناك من يعرفه بالقول: "العلم الذي يسعى نحو إنتاج آلة أو أنظمة ذكية لها قدرات شبيهة بقدرات العقل البشري" (البلقاسي منال، 2012، ص 12).

ومن جهة ثانية يرى البعض الآخر أن الذكاء الاصطناعي هو "العلم الذي يتشغل بابتكار خوارزميات مفيدة وتطويرها يسهم في محاكاة الآلية لقدرات الدماغ البشري، من إدراك للبيئة المحيطة، والاستجابة لمثيراتها، والتعلم والتخطيط، وإيجاد حلول للمسائل المستجدة، والتواصل اللغوي وإدارة للتراكم المعرفي" (عطية محمد، 2019، ص 29).

ويعد ظهور النماذج اللغوية التوليدية منعطفا حاسما في هذا التطور؛ لأنها لم تعد تقتصر على معالجة اللغة أو تصحيحها، بل أصبحت تنتج خطابا شبيها بالخطاب البشري، وتقدم إجابات وشروحا وتحليلات قد تبدو متماسكة ومقنعة، غير أن هذا التطور يفرض ضرورة الوعي بأن الذكاء الاصطناعي لا ينتج المعرفة بوصفها حقيقة مطلقة، بل ينتج نصوصا بناء على احتمالات إحصائية، وهو ما يعني أن مخرجاته قد تكون صحيحة أو خاطئة أو متحيزة أو مبسطة.

ومن هنا تبرز أهمية التمييز بين الذكاء بوصفه قدرة إنسانية واعية، وبين الذكاء الاصطناعي بوصفه قدرة حسابية على محاكاة بعض العمليات الذهنية دون امتلاك الوعي أو القصد أو الحس الثقافي، وهذا التمييز أساسي في المجال التربوي؛ لأن المدرسة ليست فضاء لإنتاج الأجوبة فقط، بل فضاء لتكوين الفكر، وبناء الشخصية، وتنمية القيم النقدية والأخلاقية.

وفي السياق التعليمي–التعلمي، أصبح الذكاء الاصطناعي يقدم بوصفه أداة قادرة على دعم التعلم عبر آليات متعددة، مثل تخصيص المسارات التعليمية، وتقديم تغذية راجعة فورية، وتحليل أداء المتعلمين، واقتراح

موارد وأنشطة تتلاءم مع حاجاتهم، كما يمكنه مساعدة المدرسين في التخطيط، وإعداد التمارين، وتصحيح بعض الإنتاجات، وتوفير وقت أكبر للتركيز على التوجيه البيداغوجي.

غير أن إدماج الذكاء الاصطناعي في التعليم لا يخلو من إشكالات؛ لأن العملية التعليمية ليست مجرد نقل محتوى، بل هي تفاعل إنساني وثقافي ومعرفي، ولذلك فإن السؤال لا يتعلق فقط بما يستطيع الذكاء الاصطناعي أن يقدمه، بل بما ينبغي أن يبقى من خصوصية التعليم الإنساني في زمن تتوفر فيه الأدوات القادرة على إنتاج المعرفة بشكل آلي.

وتتخذ هذه الإشكالية بعدا أكثر تعقيدا في تعليم اللغات؛ لأن اللغة ليست نظاما قواعديا فقط، بل هي ممارسة اجتماعية وثقافية وهوية، وتعليم اللغة لا يتحقق بمجرد تصحيح الأخطاء أو توليد النصوص، بل يتحقق عبر بناء الكفايات التواصلية والتعبيرية والنقدية لدى المتعلم، فاللغة تُكتسب بالممارسة، وبالتدرج، وبالاحتكاك بالنصوص، وبالإنتاج الشخصي الذي يعكس تجربة المتعلم ووعيه.

وفي هذا السياق، تطرح اللغة العربية تحديات خاصة؛ لأنها لغة ذات حمولة ثقافية وحضارية عميقة، وتتسم بتعدد مستوياتها الأسلوبية بين الفصحى التراثية والفصحى المعاصرة، إضافة إلى واقع الازدواجية اللغوية في المجتمعات العربية، حيث يتعايش الاستعمال المدرسي مع الاستعمال اليومي، كما أن تدريس العربية في المدرسة المغربية يعاني من إكراهات بنيوية تتعلق بضعف المقروئية، وصعوبة الانتقال من القواعد إلى الاستعمال، وتمثلات المتعلمين، وهيمنة الامتحان على حساب بناء الكفاية.

ومن هنا يصبح إدماج الذكاء الاصطناعي في تدريس العربية مسألة ديدكتيكية معقدة؛ لأن الأداة قد تتحول إلى فرصة لتجاوز بعض الصعوبات عبر الدعم والتخصيص، لكنها قد تتحول أيضا إلى خطر إذا استعملت لتعويض المتعلم عن فعل الكتابة والقراءة، أو إذا رسخت الاستسهال والغش، أو إذا قدمت معرفة مشوشة في المجال الأدبي والنقدي.

وبالتالي، فإن الإطار النظري للذكاء الاصطناعي في التربية ينبغي أن يقوم على رؤية نقدية متوازنة: الذكاء الاصطناعي ليس بديلا عن المدرسة، بل أداة ينبغي أن تندمج ضمن مشروع تربوي يحافظ على جوهر التعلم بوصفه فعلا إنسانيا قائما على التفكير والاجتهاد والإبداع.

ثانيا: رهانات تطوير تدريس اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي

يعد إدماج الذكاء الاصطناعي في المنظومة التعليمية أحد أبرز مظاهر التحول الرقمي الذي تعرفه المدرسة المعاصرة، لما يحمله من إمكانات جديدة لتطوير طرائق التدريس وتجديد آليات بناء التعلمات، غير أن خصوصية تدريس اللغة العربية تجعل هذا الإدماج أكثر تعقيدا؛ لأن العربية ليست مجرد مادة مدرسية تقنية، بل هي مجال مركزي لبناء الكفايات التواصلية، وترسيخ الهوية الثقافية، وتنمية الحس النقدي والجمالي لدى المتعلم.

إن رهانات الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية يمكن تحديدها في ثلاث مستويات مترابطة: مستوى النموذج الديدكتيكي، ومستوى بناء التعلمات الأساسية (القراءة والكتابة والتواصل)، ومستوى تجديد التقويم والمتابعة.

1.التحول الديدكتيكي في تدريس العربية: من منطق التلقين إلى منطق بناء الكفايات

يعتبر الرهان الأول الذي يطرحه الذكاء الاصطناعي هو التحول العميق في النموذج الديدكتيكي الذي حكم تدريس اللغة العربية لعقود طويلة، فقد ارتكزت الممارسة التقليدية، في كثير من الأحيان، على تصور يجعل المدرس مركز العملية التعليمية، بوصفه المصدر الأساسي للمعرفة، ويجعل المتعلم في موقع المتلقي الذي يُطلب منه استظهار القواعد أو إعادة إنتاج التحاليل الجاهزة.

غير أن هذا النموذج أصبح اليوم مهددا بفعل التحول الرقمي؛ لأن المعرفة لم تعد محصورة في الكتاب المدرسي أو في شرح المدرس، بل أصبحت متاحة بشكل فوري عبر المنصات الرقمية وقابلة للتوليد الآلي من خلال أدوات الذكاء الاصطناعي.

ومن هنا يصبح الذكاء الاصطناعي محفزا لإعادة ترتيب الأولويات الديدكتيكية، بحيث ينتقل تدريس العربية من التركيز على المعرفة النحوية المجردة إلى التركيز على الكفاية باعتبارها "أهدافا سلوكية محددة تحديدا دقيقا، تصف جميع المعارف والمهارات والاتجاهات التي تعتبر أنها ضرورية للمعلم إذا أردنا أن يعلم تعليما فعالا" (عمر سيد خليل، 1990، ص 51). فتعلم النحو، مثلا، لا ينبغي أن يبقى محصورا في ضبط القاعدة، بل ينبغي أن يتحول إلى أداة لتحسين التعبير وضبط المعنى داخل السياقات التواصلية، كما أن تحليل النصوص

لا ينبغي أن يبقى مجرد استخراج أفكار جاهزة، بل ينبغي أن يصبح تدريبا على بناء التأويل وتطوير الحس النقدي.

إن هذا التحول يجعل المدرس في عصر الذكاء الاصطناعي مطالبا بدور جديد؛ إذ لم يعد ناقلا للمعرفة، بل أصبح مهندسا للوضعيات التعليمية، وموجها للمتعلمين نحو بناء استراتيجيات الفهم والإنتاج، وضامنا لمصداقية التعلم، فالذكاء الاصطناعي يمكن أن يقدم موارد متعددة، لكنه لا يستطيع أن يعوض وظيفة المدرس في بناء المعنى، وتوجيه النقاش، وتكوين الحس اللغوي والجمالي.

ثالثا: حدود الاستخدام ومخاطره في تدريس اللغة العربية

إذا كان الذكاء الاصطناعي يفتح أمام تدريس اللغة العربية رهانات تطويرية كبرى، فإنه في المقابل يطرح حدودا معرفية وتربوية وأخلاقية ومؤسساتية تجعل إدماجه داخل الفعل التعليمي مسألة دقيقة ومعقدة، فالتكنولوجيا ليست محايدة في ذاتها، بل تتحدد آثارها بحسب كيفية استعمالها وبحسب السياق الذي تُدمج فيه؛ ومن ثم فإن توظيف الذكاء الاصطناعي في تعليم العربية لا ينبغي أن يقدم بوصفه حلا سحريا لأزمة التعلمات، بل ينبغي أن ينظر إليه بوصفه تحولا يحمل فرصا ومخاطر في الآن نفسه.

إن إشكالية الحدود هنا لا تتعلق فقط بأخطاء تقنية، بل تتصل بجوهر التعلم اللغوي: هل يبني المتعلم كفاياته فعلا أم يكتفي باستهلاك منتوج جاهز؟ هل يعزز الذكاء الاصطناعي التفكير النقدي أم يرسخ التلقي السلبي؟ وهل يمكن للمدرسة أن تحافظ على مصداقية التقويم في ظل أدوات قادرة على توليد النصوص والتحاليل؟

ويمكن تصنيف هذه الحدود إلى ثلاثة مستويات مترابطة: حدود معرفية ولسنية، وحدود تربوية وأخلاقية، وحدود مؤسساتية وتنظيمية.

1. حدود معرفية ولسنية: إشكال الدقة العلمية وانحراف المعنى

يتمثل الحد الأول في طبيعة المعرفة التي ينتجها الذكاء الاصطناعي، فهذه الأدوات، رغم قدرتها على إنتاج خطاب لغوي متماسك، لا تعمل بمنطق الحقيقة العلمية، بل بمنطق الاحتمال الإحصائي، فهي لا تفهم النصوص كما يفهمها الإنسان، ولا تمتلك حسا نقديا أو وعيا بالسياقات الثقافية، بل تولد إجابات بناء على أنماط لغوية متكررة في البيانات التي تدربت عليها.

وفي تدريس اللغة العربية، يتضاعف هذا الخطر؛ لأن العربية ليست مجرد لغة تواصلية بسيطة، بل هي لغة ذات حمولة بلاغية ودلالية وثقافية عميقة، وتحليل النصوص الأدبية والنقدية فيها يتطلب حسا تأويليا ومعرفة سياقية دقيقة، حيث يرى بعض اللغويين أن "العرب وضعت كلامها على القياس" (ابن جني، 1952).

ويقع الذكاء الاصطناعي في خلط مفاهيمي في المجال النقدي، فيقدم تعريفات مبسطة أو غير دقيقة لمفاهيم مثل: الاستعارة، المجاز، التناص، ، أو الحجاج، وفي سياق التعليم الثانوي التأهيلي المغربي، حيث يعاني المتعلم أصلا من هشاشة في استيعاب المفاهيم النقدية، يصبح الاعتماد غير النقدي على الأداة سببا إضافيا في التشويش بدل التوضيح.

ومن المخاطر كذلك أن الذكاء الاصطناعي قد يقدم استشهادات غير موثوقة أو ينسب أقوالا لغير أصحابها، أو يقترح مراجع غير دقيقة، وهو ما يهدد بناء ثقافة علمية سليمة لدى المتعلم، فالمدرسة ليست فضاء لإنتاج خطاب مقنع فقط، بل فضاء لتكوين المتعلم على التحقق من المعرفة، والتمييز بين الرأي والمعطى العلمي.

وعلى المستوى اللسني، قد ينتج الذكاء الاصطناعي نصوصا سليمة نحويا لكنها فقيرة أسلوبيا، نمطية التعبير، خالية من الصوت الشخصي، وهذا خطر كبير في تعلم الكتابة؛ لأن الكتابة ليست مجرد صحة لغوية، بل هي بناء أسلوب، وتطوير حس بلاغي، وقدرة على التعبير عن الذات.

ومن هنا يتضح أن إدماج الذكاء الاصطناعي في تدريس العربية ينبغي أن يكون مصحوبا بتربية نقدية تجعل المتعلم واعيا بأن الأداة ليست مرجعية معرفية مطلقة، بل وسيلة قابلة للخطأ تستوجب التحقق والمساءلة.

2.حدود تربوية وأخلاقية: الغش وتفريغ الكفايات من معناها

يمثل البعد الأخلاقي والتربوي أحد أخطر حدود استعمال الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية، فالأدوات التوليدية تتيح للمتعلمين إمكانية إنتاج نصوص جاهزة في ثوان، سواء تعلق الأمر بموضوع إنشائي، أو تلخيص نص، أو تحليل قصيدة، أو حتى إعداد بحث مدرسي، وهذا الواقع يطرح أزمة حقيقية في معنى التعلم وفي مصداقية التقويم.

إن الغش في عصر الذكاء الاصطناعي لم يعد غشا تقليديا يعتمد على النقل المباشر، بل أصبح غشا جيد الجودة، ينتج نصوصا متماسكة يصعب على المدرس اكتشافها بسهولة، وهذا ما يجعل المدرسة أمام تحد

جديد: كيف يمكن تقييم الكفايات اللغوية للمتعلمين إذا كان المنتوج المكتوب قد لا يعكس جهدهم الشخصي؟

غير أن المشكلة الأعمق ليست الغش فقط، بل ما ينتج عنه من تفريغ للكفايات من مضمونه، فالمتعلم الذي يعتمد على الذكاء الاصطناعي لإنتاج النصوص لا يطور قدرته على الكتابة، بل يكتسب وهم الكفاية، والمتعلم الذي يحصل على تحليل جاهز لا يبني قدرته على القراءة النقدية، وهكذا تتحول العملية التعليمية إلى استهلاك لمنتوج لغوي بدل أن تكون بناء تدريجيا للمهارة.

ومن هنا تبرز ضرورة بناء ثقافة أخلاقية جديدة داخل المدرسة تقوم على الأمانة العلمية، وعلى ميثاق واضح لاستعمال الأدوات الرقمية، فالمدرسة مطالبة بأن تربي المتعلم على أن التكنولوجيا ليست وسيلة للتحايل، بل أداة للتعلم إذا استعملت بشكل مسؤول، حيث يتم استعمالها "كحلول عملية لحل المشكلات، وتحسين كفاءة التعليم وفعاليته وتحقيق التعلم" (عطية خميس، 2009، ص 14).

كما أن الحل لا يكمن في المنع المطلق؛ لأن المنع قد يؤدي إلى استعمال خفي وغير مراقب، بل يكمن في إعادة تصميم المهام والتقويمات، بحيث تصبح قائمة على الإنتاج داخل القسم، وعلى المسار، وعلى التفسير الشفهي، مما يجعل الذكاء الاصطناعي أقل قابلية للاستعمال كأداة غش.

رابعا: آفاق استشرافية لتدريس اللغة العربية في زمن الذكاء الاصطناعي (نحو نموذج بيداغوجي جديد ومتكامل)

1.الانتقال نحو نموذج تعلم قائم على المشاريع والكفايات بدل الدروس المجزأة

يقتضي الحديث عن الآفاق المستقبلية لتدريس اللغة العربية في زمن الذكاء الاصطناعي تجاوز التصورات المدرسية التقليدية التي ظلت، لسنوات طويلة، تحكم الممارسة التعليمية داخل الفصل، والتي تقوم في جوهرها على منطق الدرس المجزأ: درس في النحو، درس في النصوص، درس في التعبير، درس في المؤلفات... بحيث

يتم التعامل مع اللغة العربية بوصفها مكونات منفصلة، تُدرس في وحدات مستقلة، ويُطلب من المتعلم أن يستظهر قواعدها أو يعيد إنتاج تحاليلها في وضعيات امتحانية محددة.

بيد أن التحول الرقمي العميق الذي يشهده العالم اليوم، ومعه الانتشار الواسع لتطبيقات الذكاء الاصطناعي القادرة على توليد النصوص وتصحيحها وتحليلها، يجعل هذا النموذج التقليدي في وضع أزمة حقيقية؛ لأنه لم يعد قادرا على تحقيق الهدف المركزي من تعليم اللغة: بناء الكفاية التواصلية والفكرية لدى المتعلم، فالمتعلم الذي يستطيع أن يحصل في دقائق على موضوع إنشائي جاهز، أو تلخيص نص، أو تحليل قصيدة، لن يكون محتاجا إلى درس يقوم فقط على نقل المعرفة أو تقديم نموذج جاهز للتحليل، بل سيكون محتاجا إلى مدرسة جديدة تعيد تعريف التعلم بوصفه ممارسة وإنتاجا وبناء للذات اللغوية.

ومن هنا يصبح أحد أهم الآفاق الاستشرافية لتدريس اللغة العربية هو الانتقال من منطق الدروس المجزأة إلى منطق التعلم القائم على المشاريع والكفايات؛ ذلك أن الكفاية لا تُبنى عبر حفظ القاعدة في ذاتها، ولا عبر استخراج الأفكار بشكل آلي، بل تُبنى عبر وضع المتعلم في سياقات استعمال حقيقية تتطلب منه أن يقرأ ليبني الفهم، وأن يكتب ليطور التعبير، وأن يناقش ليصوغ الحجاج، وأن ينتج المعنى ليكتسب اللغة بوصفها أداة تفكير لا مجرد مادة مدرسية.

إن المدرسة المغربية، وخاصة في السلك الثانوي التأهيلي، مطالبة اليوم بأن تجعل من تدريس العربية مشروعا كفائيا متكاملا، يوظف في سياق يتأسس على "مواجهة مشكلة ما وحلها في وضعية محددة" (محمد الدريج، 2000، ص 39).يتجاوز التقسيم التقليدي للمكونات نحو بناء وضعيات تعليمية مركبة، فبدل أن يكون درس التعبير مجرد موضوع إنشائي عام من قبيل: "اكتب موضوعا حول أهمية القراءة"، يمكن أن يتحول إلى مشروع كتابة ممتد يتناول قضايا واقعية مرتبطة بحياة المتعلم وبسياقه الثقافي، مثل: أثر الوسائط الرقمية على اللغة، أو علاقة الشباب بالقراءة، أو دور اللغة العربية في ترسيخ الهوية الوطنية، وفي مثل هذه المشاريع يصبح المتعلم مطالبا بالبحث في مصادر متعددة، وبقراءة نصوص مختلفة، وببناء موقف شخصي، وبصياغة حجاجه الخاص، مما يجعل التعلم عملية إنتاج لا عملية استهلاك.

كما أن مكون المؤلفات، الذي غالبا ما يتحول في الممارسة الصفية إلى تلخيصات جاهزة أو تحاليل نمطية، يمكن أن يعاد بناؤه ضمن مشاريع نقدية تجعل المتعلم يقرأ المؤلف بوصفه تجربة فكرية وجمالية، فحين يشتغل

المتعلم مثلا على ظاهرة الشعر الحديث أو على قضايا الغربة والضياع في الشعر العربي الحديث، لا ينبغي أن يكتفي بتلقي أفكار جاهزة، بل ينبغي أن يوجه إلى بناء ملف نقدي يتضمن قراءة شخصية للشواهد، وربطا بين النصوص وسياقاتها التاريخية، ومقارنة بين مواقف النقاد، وإنتاج تأويل خاص، وفي هذه الوضعية يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون مساعدا في اقتراح أسئلة أو تنظيم الأفكار، لكنه لا يمكن أن يحل محل التجربة النقدية للمتعلم.

إن التعلم القائم على المشاريع يفتح أيضا أفقا لتجاوز أزمة الدافعية التي يعرفها تدريس العربية، فاللغة حين تقدم بوصفها قواعد جامدة أو تمارين شكلية، يفقد المتعلم علاقته الحية بها، أما حين تصبح اللغة أداة لإنجاز مشروع حقيقي، كإنتاج مجلة مدرسية رقمية، أو إعداد مناظرة صفية، أو كتابة قصة قصيرة، فإن المتعلم يستعيد معنى اللغة بوصفها ممارسة اجتماعية وثقافية.

وفي هذا السياق، ينبغي التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي لا يجب أن يُستعمل لإنتاج النصوص بدل المتعلم؛ لأن ذلك سيؤدي إلى تفريغ المشروع من قيمته التعليمية، بل ينبغي أن يُوظف داخل المشروع بوصفه أداة دعم في مراحل محددة: مرحلة التخطيط، مرحلة المراجعة، مرحلة تصحيح الأخطاء، مرحلة توسيع المعجم، فالفرق جوهري بين متعلم يطلب من الأداة أن تكتب النص كاملا، وبين متعلم يكتب نصه ثم يستعمل الأداة لتحسينه وتطويره، في الحالة الأولى نحن أمام استهلاك وغش معرفي، وفي الحالة الثانية نحن أمام تعلم ذاتي وتجويد للكفاية.

ومن هنا يتضح أن المستقبل البيداغوجي لتدريس اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي لا يكمن في إدخال الأدوات داخل القسم بشكل عشوائي، بل في إعادة بناء النموذج الديدكتيكي على أساس الكفايات والمشاريع.

وبذلك يصبح الانتقال نحو نموذج المشاريع والكفايات شرطا استراتيجيا لضمان أن الذكاء الاصطناعي سيكون فرصة لتطوير تدريس العربية لا أداة لتقويضه؛ إذ إن المدرسة التي لا تعيد بناء نموذجها ستجد نفسها أمام متعلمين يملكون نصوصا جاهزة لكنهم يفتقدون الكفايات الحقيقية، بينما المدرسة التي تستثمر الذكاء الاصطناعي داخل مشروع كفائي ستنجح في تحويله إلى رافعة لتجويد التعلمات وترسيخ اللغة العربية في العصر الرقمي.

2.تجديد التقويم وبناء آليات تقييم تحفظ مصداقية التعلم

إذا كان الانتقال نحو نموذج تعلم قائم على المشاريع والكفايات يمثل أفقا استراتيجيا لتدريس اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي، فإن هذا التحول لا يمكن أن يكتمل دون إعادة بناء منظومة التقويم المدرسي؛ لأن التقويم هو القلب الناظم للعملية التعليمية، وهو الذي يمنح التعلمات معناها ويحدد قيمتها داخل المدرسة، فالتعليم لا يتحدد فقط بما يُدرس داخل القسم، بل كذلك بما يقاس ويقيم، ولذلك فإن أي تحول في طبيعة التعلم يفرض بالضرورة تحولًا في طبيعة التقويم.

لقد ظل التقويم في تدريس اللغة العربية، خاصة في الثانوي التأهيلي المغربي، قائما في كثير من الأحيان على منطق الامتحان التقليدي الذي يركز على المنتوج النهائي: موضوع إنشائي يُنجز في زمن محدود، أو تحليل نص وفق خطوات شبه ثابتة، أو أسئلة حول مؤلف تُجاب عنها بطريقة نمطية، غير أن ظهور الذكاء الاصطناعي، بقدرته على توليد نصوص وتحاليل جاهزة، جعل هذا النمط من التقويم في وضع أزمة حقيقية؛ لأنه لم يعد قادرا على ضمان أن المنتوج الذي يقدمه المتعلم يعكس بالفعل كفايته الشخصية.

فحين يستطيع المتعلم أن يحصل خارج الفصل على نص حجاجي متكامل، أو تلخيص دقيق، أو تحليل نقدي جاهز، فإن التقويم الذي يعتمد فقط على الواجبات المنزلية أو الإنتاجات غير المراقبة يفقد جزءا كبيرا من مصداقيته، وهذا لا يعني أن المدرسة أمام نهاية التقويم، بل يعني أنها أمام ضرورة تاريخية لإعادة بنائه على أسس جديدة أكثر عمقا وارتباطا بالكفاية الحقيقية.

إن الأفق المستقبلي لتقويم اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي يتمثل في الانتقال من تقويم المنتوج إلى تقويم المسار، من منطلق أن الكفاية اللغوية ليست نصا جاهزا، بل هي قدرة تتشكل عبر مراحل: التخطيط، والصياغة، والمراجعة، وإعادة الكتابة، والتطوير التدريجي للأسلوب والمعجم والحجاج، ولذلك يصبح من الضروري أن يركز التقويم على تتبع هذه المراحل بدل الاكتفاء بالحكم على النص النهائي فقط.

كما أن اعتماد التقويم المساري يسمح بإدماج الذكاء الاصطناعي بطريقة تربوية: فبدل أن يُنظر إليه كأداة غش، يمكن أن يوظف بوصفه مساعدا في مرحلة المراجعة والتحسين، فالمدرس يمكنه أن يطلب من المتعلم كتابة نصه داخل القسم، ثم استعمال الأداة لاحقا لمقارنة الصياغات واكتشاف الأخطاء، مع الاحتفاظ

بمسودات الكتابة كوثائق تثبت المسار، ومن المفترض أن يكون هذا النوع من التقويم تكويني الطابع بغض النظر عن نوعه ومقاصده، يعتمد آليات تفريدية (Jurado, M. 2016).

ومن الآفاق المهمة كذلك اعتماد المشاريع التقويمية الممتدة بدل الاختبارات النمطية، فالمتعلم يمكن أن يُقيم عبر إنجاز ملف قراءة، أو عرض نقدي، أو مشروع كتابة جماعية، أو مناظرة حول قضية لغوية أو أدبية، مثل هذه المشاريع تجعل التقويم مرتبطا بالإبداع والتفكير والتحليل، لا بمجرد استظهار المعرفة، كما أنها تقلل من قابلية الغش التوليدي؛ لأن المشروع يتطلب حضور المتعلم المستمر ومشاركته الشخصية.

إن تجديد التقويم لا يهدف فقط إلى محاصرة الغش، بل إلى إعادة الاعتبار لمعنى التعلم نفسه، فالمدرسة التي تستمر في اعتماد تقويمات تقليدية في عصر الذكاء الاصطناعي ستجد نفسها أمام منتوجات لغوية جميلة شكليا لكنها فارغة من الكفاية، أما المدرسة التي تعيد بناء التقويم على أساس المسار والكفاية فستنجح في جعل الذكاء الاصطناعي فرصة لتطوير التعلمات بدل أن يكون تهديدا لها.

ومن هنا يمكن القول إن الذكاء الاصطناعي يفرض على تدريس اللغة العربية تحولا تقويميا عميقا: من ثقافة الامتحان إلى ثقافة الأداء، ومن قياس الحفظ إلى قياس التفكير، ومن النص الجاهز إلى المسار المنتج، ومن التقويم الزجري إلى التقويم التكويني الذي يرافق التعلم، وهذا التحول ليس مجرد إجراء تقني، بل هو شرط جوهري لضمان مصداقية المدرسة في العصر الرقمي.

خاتمة عامة مع توصيات

يتضح من خلال كل ما تقدم أن إشكالية تدريس اللغة العربية في عصر الذكاء الاصطناعي ليست مجرد مسألة تقنية مرتبطة بإدخال أدوات رقمية جديدة إلى الفصل الدراسي، بل هي إشكالية تربوية وديدكتيكية ومعرفية وأخلاقية عميقة تمس جوهر المدرسة ووظيفة اللغة داخل المجتمع، فالذكاء الاصطناعي، بما يوفره من إمكانات هائلة في إنتاج النصوص وتحليلها وتصحيحها وتخصيص التعلمات، يمثل منعطفا تاريخيا يفرض على المنظومة التعليمية إعادة التفكير في النموذج التقليدي لتعليم العربية، وفي أدوار المدرس والمتعلم، وفي معنى التقويم، وفي طبيعة الكفايات اللغوية المطلوبة في القرن الحادي والعشرين.

لقد أبرز المقال أن الذكاء الاصطناعي يحمل رهانات تطويرية كبرى، تتمثل في تجديد الممارسة الديدكتيكية، ودعم القراءة التحليلية، وتحسين الإنتاج الكتابي، غير أن هذه الإمكانات لا تخلو من حدود ومخاطر حقيقية،

أبرزها ما يتعلق بانحراف المعرفة المولدة، وتنامي الاستسهال والغش، وتفريغ التعلمات من مضمونها، إضافة إلى تحديات الفوارق الرقمية وضعف التأطير المؤسساتي.

ومن ثم فإن الرؤية المتوازنة لا تكمن في رفض الذكاء الاصطناعي بوصفه خطرا مطلقا، ولا في التسليم به بوصفه حلا سحريا لأزمة التعليم، بل في بناء إدماج نقدي مسؤول يجعل التكنولوجيا في خدمة مشروع تربوي واضح، يحفظ للغة العربية قيمتها بوصفها لغة تفكير وإبداع وهوية، ويضمن بناء الكفايات الحقيقية لدى المتعلم بدل الاكتفاء باستهلاك النصوص الجاهزة.

إن مستقبل تدريس اللغة العربية في العصر الرقمي رهين بقدرة المدرسة المغربية على تحويل الذكاء الاصطناعي من تهديد محتمل إلى فرصة استراتيجية لتجديد تعليم اللغة، عبر تطوير النموذج البيداغوجي، وترسيخ التربية النقدية الرقمية، وبناء حكامة تربوية عادلة ومنصفة، فالتحدي ليس في امتلاك الأدوات، بل في امتلاك الرؤية التي تجعل من هذه الأدوات رافعة للتجويد لا سببا في التمييع.

انطلاقا من نتائج التحليل، يمكن اقتراح مجموعة من التوصيات التي من شأنها تأطير إدماج الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية بشكل تربوي مسؤول:

- بناء ميثاق مؤسساتي واضح لاستعمال الذكاء الاصطناعي داخل المدرسة، يحدد مجالات الاستعمال المشروع، وحدود المنع، وآليات التصريح بالمساعدة الرقمية، بما يحفظ الأمانة العلمية ومصداقية التعلم؛
- إعادة تصميم المهام التعليمية والتقويمية في مادة اللغة العربية، عبر الانتقال من الواجبات النمطية القابلة للتوليد الآلي إلى مشاريع تعلمية مركبة، وتقويم مساري يعتمد على المسودات والتفسير الشفهي والأداء داخل القسم؛
- تعزيز التربية النقدية الرقمية داخل تدريس العربية، من خلال تدريب المتعلمين على مساءلة مخرجات الذكاء الاصطناعي، والتحقق من صحة المعطيات، والتمييز بين التحليل العلمي والخطاب السطحي؛

- تكوين الأساتذة تكوينا ديدكتيكيا معمقا في كيفية إدماج الذكاء الاصطناعي داخل بناء الكفايات اللغوية، وعدم الاقتصار على التكوين التقني؛ لأن الرهان هو توجيه الأداة تربويا لا استعمالها عشوائيا؛
- تطوير موارد رقمية عربية موثوقة تراعي الخصوصية اللسنية والبلاغية والثقافية للعربية، حتى لا يبقى المتعلم رهين أدوات عامة قد تنتج معرفة مشوشة أو خطابا نمطيا؛
- ضمان العدالة الرقمية وتكافؤ الفرص عبر توفير التجهيزات داخل المؤسسات التعليمية، وعدم تحويل استعمال الذكاء الاصطناعي إلى امتياز اجتماعي أو عامل تعميق للفوارق؛
- إعادة الاعتبار لدور المدرس بوصفه فاعلا مركزيا في العصر الذكي: موجها، وناقدا، وضامنا للقيم التربوية؛ لأن التكنولوجيا لا يمكن أن تعوض الوظيفة الإنسانية للتعليم؛
- تشجيع البحث العلمي الجامعي في ديدكتيك العربية والذكاء الاصطناعي من خلال شراكات بين وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة، والجامعات ومراكز البحث، قصد بناء نموذج مغربي خاص لتعليم اللغة العربية في العصر الرقمي.

قائمة المراجع

باللغة العربية

1. ابن جني، الخصائص، 1952، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
2. البلقاسي منال، 2012، الذكاء الاصطناعي، دار التعليم الجامعي للطباعة والتشر والتوزيع، مصر، ص: 12.
3. عطية محمد، 2009، تكنولوجيا التعليم والتعلم، دار السحاب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص:14.
4. عطية محمد، 2019، الذكاء الاصطناعي ونمذجة اللغات الطبيعية: الطموح، والواقع، والآفاق، مركظ الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، ص: 29.

5. عمر سيد خليل، 1990، استخدام التعليم المصغر في تنمية بعض الكفاءات التدريسية العامة لدى الطلبة المعلمين، مجلة كلية التربية، المجلد الأول، العدد السادس، ص: 51.
6. محمد الدريج، 2000، الكفايات في التعليم، سلسلة المعرفة للجميع، مطبعة النجاح الجديدة، العدد 16، ص: 39.

باللغة الأجنبية

1. Jurado, M. (2016). L'approche par compétences (APC): pour une personnalisation de l'évaluation? Administration & Éducation, 150, 37-43.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Arabic Language in the Texts of the Scholars of Hillah: A Study of the Uses of Dād and Ẓāʾ (5th-9th Century AH)

Ali obayes[1]
University of Babylon
ali.mamouri6@uobabylon.edu.iq
Meethaq Kazem Abdul Abbas Abdulla [2]
University of Babylon, College of Engineering
Meethaq1976@gmail.com

Abstract:

The Arabic language, known as the language of the 'Dad', is considered one of the very common Semitic languages in the world, spoken by about forty-four million people. Arabic speakers are found in Arab countries as well as in some other countries such as Turkey, Chad, Senegal, and Mali. This language has gained a prestigious status and great importance thanks to the Holy Quran, as it is the language in which it was revealed, and it is used by Muslims around the world to perform their rituals, prayers, and Quran recitations. It is also considered a means of communication in religious ceremonies in churches and monasteries. In this article, we will discuss the language of the 'Dad'. The language is an essential part of the identity of every nation, and it expresses its belonging. Nations live thanks to their language and disappear when they lose it. The strength of peoples is measured by the strength of their language. For this reason, nations have long strived to preserve their languages through study and documentation. This continues to this day through precise programs aimed at developing organized plans and policies to protect languages and prevent their extinction. Its name, the language of the 'Dad', comes from the presence of the letter 'Dad' in it, which is a unique letter not found in any other language in the world. Arabs are considered the most fluent in pronouncing it, as pronouncing the 'Dad' is considered one of the difficult matters.

Keywords: Day of the Letter Dhad, History of Hillah, Scholars of Hillah, The Letter Dhad in the Poetry of the Scholars of Hillah

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

اللغة العربية في نصوص علماء الحلة: دراسة في استعمالات حرفي الضاد والظاء (من القرن 5–9هـ)

م. علي عبيس حسين علي المعموري[1]
جامعة بابل، العراق
ali.mamouri6@uobabylon.edu.iq
م.م. ميثاق كاظم عبد العباس عبد الله[2]
جامعة بابل كلية الهندسة، العراق
ali.mamouri6@uobabylon.edu.iq

ملخص:

اللغة العربية، المعروفة بلغة الضاد، تعد واحدة من اللغات السامية الشائعة جداً في العالم، حيث يتحدث بها حوالي أربعة وأربعين مليون شخص. يتواجد المتحدثون بالعربية في الدول العربية بالإضافة إلى بعض البلدان الأخرى مثل تركيا وتشاد والسنغال ومالي. حصلت هذه اللغة على مكانة مرموقة وأهمية بالغة بفضل القرآن الكريم، فهي اللغة التي أنزل بها، ويستخدمها المسلمون في أنحاء المعمورة لأداء شعائرهم وصلواتهم وتلاوة القرآن. كما أنها تُعتبر وسيلة التواصل في الشعائر الدينية في الكنائس والأديرة. في هذا المقال، سنناقش لغة الضاد.

اللغة هي جزء أساسي من هوية كل أمة، وهي تعبر عن انتمائها. تعيش الأمم بفضل لغتها وتزول عندما تفقدها. تقاس قوة الشعوب بمدى قوة لغتها. لهذا السبب، حرصت الأمم منذ زمن بعيد على الحفاظ على لغاتها من خلال الدراسة والتوثيق. وما زال هذا مستمراً حتى اليوم من خلال برامج دقيقة تهدف إلى وضع خطط وسياسات منظمة لحماية اللغات ومنع انقراضها.

تعود تسميتها بلغة الضاد إلى وجود حرف الضاد فيها، وهو حرف فريد لا يوجد في أي لغة أخرى في العالم. يُعتبر العرب هم الأكثر طلاقة في نطقه، حيث يعد نطق الضاد من الأمور الصعبة، وقد تميزت القبائل العربية بقدرتها على نطقه بسهولة. بينما يواجه غير الناطقين بالعربية صعوبة في إيجاد بديل فعال لهذا الحرف في لغاتهم. في العصور القديمة، لم يطلق العرب على لغتهم هذه التسمية لأنهم لم يكن لديهم وعي بأنهم

الشعب الوحيد الذي ينطق هذا الحرف بيسر. ظهرت أهمية الضاد عندما بدأ العرب تعليم غيرهم من الأجانب قواعد اللغة العربية، حيث بدأ البحث في أسباب صعوبة نطق غير العرب لهذا الحرف.

ووجدنا عدة استعمالات في شعر علماء الحلة وتم جمعها في هذ البحث وتقسم البحث الى مبحثيين الاول تضمن يوم اللغة العربية العالمي والمبحث الثاني تضمن استعمال علماء الحلة للحرف (ض- ظ) في شعرهم

الكلمات المفتاحية: يوم الضاد , تاريخ الحلة , علماء الحلة , حرف الضاد في شعر علماء الحلة

التمهيد :

– مدينة الحلة، عوامل الاختيار والتمصير

موضع مدينة الحلة

تقع مدينة الحلة على الضفة الغربية لنهر الفرات في المنطقة الوسطى من العراق، بين بغداد والكوفة. تعتبر هذه المدينة الكبرى ذات أهمية كبيرة، وكانت تعرف سابقاً باسم الجامعين(ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، 1988م، ص280 ؛ الطبري، محمد بن جرير 1988م، ج7، ص357؛ الحموي، 1995م، ج2، ص294) الأمير صدقة بن منصور المزيدي(ينظر: ابن الجوزي, 1990م، ج9، ص25، 156-157، 236 ؛ ابن الأثير ، 2006م، ج8، ص306 ، ص550-555) اختار موقع الجامعين لإنشاء مدينته الجديدة الحلة بسبب عدة أسباب (ابن حوقل، 1428هـ ، ص245) ، أحدها خصوبة المنطق(ينظر : الراوندي، 1982م، ص242) .حيث يتم وصف الجامعين كمنطقة غنية جداً. تتميز الحلة بوفرة المياه العذبة؛ إذ أن نهر الفرات يعد المصدر الرئيسي للمياه (.ينظر: سهراب، عجائب الأقاليم، ص124 ؛ محمد ضايع , 2006, 283-285) بالإضافة إلى ذلك، فإن مناخ الحلة معتدل وهوائها نقي، إذ تقع المدينة على خط عرض 29-32 شمالاً وخط طول 26-44 شرقا(الخطيب، 1974م، ص11)

كان الموقع الجغرافي للحلة أحد الأسباب التي دفعت الأمير صدقة لاختيارها كمركز لإمارته، حيث وصف المكان بأنه كان محميًا بالغابات التي تأوي الحيوانات المفترسة (الحموي، معجم البلدان ، ج2، ص294) .كما تتمتع الحلة بمكانة استراتيجية على الطريق التجاري الذي يربط بين مدن البصرة والكوفة وواسط وبغداد وكربلاء. علاوة على ذلك، تقع المدينة على الطريق الذي يسلكه الحجاج من بغداد إلى الديار المقدسة(خليل ، 1972م، ص33.).

يرى الحلي أن الدافع وراء إنشاء المدينة كان سياسيًا، حيث كان الأمير صدقة يسعى للانفصال عن الدولة السلجوقية وتعزيز سلطته. عندما أصبح قويًا وزادت ثرواته واشتعلت النزاعات بين السلاجقة، وجد الظروف ملائمة لتحقيق أهدافه. وهكذا، أسس الحلة وأعلنها عاصمة لإمارته عام 495هـ/1101م.

واشتد أزره وكثرت أمواله وأنشغل السلاجقة في نزاعاتهم التي وقعت بينهم رأى الظروف ملائمة لتحقيق هدفه، فمصر الحلة واتخذها عاصمة لإمارته عام 495هـ/1101م (يوسف كركوش، ، 1965م، ج1، ص22)

الحلة هي كلمة تُكتب بالكسر والتشديد، وتعني بلغة القوم المكان الذي ينزلون فيه، ويكون فيه تجمع كبير. كما يُقال إن الاسم مرتبط بشجرة صغيرة تُسمى الشاكة، وهي أقل حجماً من نبات العوسج(.الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294).والمعنى التقني لكلمة الحلة يرتبط بالقوم الذين نزلوا، مثل الأمير صدقة المزيدي الذي اشتراها. لم يُطلق هذا الاسم على المكان من قبل، بل بدأت تسميته عندما تم تأسيسه.

الحلة تُستخدم كاسم لعدة مواقع، وأشهرها حلة بني مزيد، وهي مدينة كبيرة تقع بين الكوفة وبغداد، وكانت تُعرف سابقاً باسم الجامعين. وهناك أيضاً حلة بني قيلة والتي تقع بشارع ميسان بين واسط والبصرة. بالإضافة إلى حلة بني دبيس بن عفيف الأسدي، التي قريبة من الحويزة بين البصرة والأحواز، وحلة بني مراق التي تقع بالقرب من الموصل (الحموي، ج2، ص295 ؛ ابن خلكان ، ج2، ص490 ؛ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، 1954م، ج2، ص419) تُعرف الحلة أحياناً باسم الحلة السيفية نسبة إلى مؤسسها سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي(الحلي، الشيخ الرئيس ابو البقاء هبة الله بن نما، ، 1984م، ج1، ص362). كما سُمّيت أيضاً بالحلة المزيدية نسبة إلى جدهم مزيد بن مرثد الأسدي (السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد ، 1963م، ج1، ص214؛ القلقشندي، 1958م، ص383)

( ) ناجي، الإمارة المزدية، ص258. أيضاً، تُدعى بالفيحاء بسبب اتساعها وخصوبة تربتها(ناجي، الإمارة المزدية، ص258) ذُكر اسم الفيحاء كثيراً في أشعار صفي الدين الحلي الذي توفي في عام 750 هـ / 1349 م، ومن أشعاره عند وصفها: (عبد العزيز سرايان بن علي، ، 2005م، ص179)

من لم تر الحلة الفيحاء مُقلتهُ فانه في انقضاء العمرُ مَغبون

أرض بها سائر الأهوال قد جمعت كما تجمع فيها الضبّ والنون

وصفها الشاعر صفي الدين عندما وصف قوة تحصين الحلة بقوله :الديوان، ص180.

ما حلة ابن دبيس إلا كحصن حصين

للقلب	فيها	قرار	وقرّة	للعيون
ان	أصبح	الماء	غورا	جاءت	بماء	معين
وحولها	سور	طين	كأنه	طور	سنين

ووصفها الرحالة ابن جبير الذي زار مدينة الحلة عام 580هـ/ 1184م قائلاً: " وهي مدينة كبيرة، عتيقة الوضع مستطيلة، ...، وهي على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها، ولهذه المدينة أسواق حفيلة .. والصناعات الضرورية... (الرحلة، ص154).

المقدمة :

على مر العصور، استعمل المفكرون والأدباء اللغة العربية لكتابة أعمالهم الأدبية والشعرية. عند انتشار الإسلام، زادت قيمة اللغة بين لغات العالم وأصبحت لغة الأدب والفن والسياسة والعلم لفترات طويلة، خاصةً عندما حكم المسلمون مناطق واسعة. كما أثرت اللغة العربية على العديد من اللغات الأخرى، خصوصاً تلك المستخدمة من قبل شعوب الأراضي الإسلامية مثل الفارسية والكردية والماليزية والتركية والألبانية، بالإضافة إلى بعض اللغات الإفريقية مثل السواحلي والهاوس.

تعتبر اللغة العربية واحدة من اللغات الرسمية الستة بحسب تصنيف الأمم المتحدة. يتم الاحتفال باليوم العالمي للغة الضاد في الثامن عشر من ديسمبر كل عام. تحتوي اللغة العربية على ثمانية وعشرين حرفًا، ويعتقد بعض الباحثين أن إضافة الهمزة يمكن أن يجعل عدد حروفها تسعة وعشرين. تُكتب العربية من اليمين إلى اليسار، تماماً كالعبرية والفارسية، وتُعد من أغنى لغات العالم بالمصطلحات والمفردات، حيث يحتوي كتاب لسان العرب لابن منظور على أكثر من ثمانين ألف مادة خاصة باللغة العربية.

لقد ظنوا قديمًا وكثيرًا أن حرف الضاد حرف خاص بالعربية (*)، لا تشاركها فيه لغة أخرى . يقول صاحب القاموس المحيط " إن " الضاد حرف هجاء للعرب خاصة ، ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل " .

*.(*). لاحظ أيضًا أن الأمر ليس مقصورًا على الضاد فقد ورد " قالوا مما اختصت به لغة العرب من الحروف وليس هو في غيرها، حرف الظاء، وقال آخرون حرف الظاء والضاد. ولذلك قال أبو الطيب المتنبي: وبهم فخر كل من نطق الضاد – يريد

ونحن اليوم نلفظ الضاد دالاً مفخمة ، وتشاركنا في هذا الصوت لغات أخرى ، فمن شك في ذلك فلينطق مثلاً : (don't)

هناك طريقتان للفظ الضاد : قديمة ومعاصرة .

وقال ابراهيم انيس : ((ويظهر أن الضاد القديمة مقصورة على اللغة العربية " (الأصوات اللغوية ، ص 49).

وتضمن البحث مبحثيين الاول عن اللغة العربية واختفال اليونسكو بيوم اللغة العربية وأشهر علماء النحو والمبحث الثاني تضمن **استعمالات حرف الضاء والضاء عند علماء وشعراء الحلة الفيحاء في قصائدهم منذ تأسيس مدينة الحلة في القرن الخامس الهجري إلى القرن التاسع الهجري .**

الضاد ليست خاصة باللغة العربية:

يتبين من أقوال الخليل بن أحمد، أحد أوائل المعجميين العرب، أن اللغة العربية تتميز عن اللغات الأخرى بحرف الظاء. فقد ذكر ذلك في كتابه "والظّاء عربية لم تُعطَ أحدًا مِنَ العَجَمِ، وسائر الحروف اشتركوا فيها"العين" (174/8): "

وقال **ابن فارس** في "الصاحبي" (63/1): "وممّا اختصت بِهِ لغة العرب الحاء والظاء وزعم ناس أن الضاد مقصورة عَلَى العرب دون سائر الأمم"

ونقل **ابن منظور** كلام الخليل فقال في "لسان العرب" (436/7): "رَوَى اللَّيْثُ أَن الخَلِيلَ قال: الظَّاءُ حَرْفٌ عَرَبِيٌّ خُصَّ بِهِ لِسَانُ الْعَرَبِ لَا يَشْرَكُهُمْ فِيهِ أَحد مِنْ سَائِرِ الأُمم"

وقال أبن منظور ايضًا (266/2): " والضَّادُ للعَرَب خاصَّةً ولا تُوجَدُ في كَلامِ العَجَمِ إِلا في القَليلِ؛ ولِذلِكَ قيلَ في قَوْلِ أَبي الطَّيِّبِ:

وبِهِمْ فَخرُ كلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّادَ * وعَوْذُ الجَانِي وغَوْثُ الطَّرِيدِ

ذَهَبَ بِهِ إِلى أَنها لِلعَرَبِ خاصَّةً.

وبهم فخر جميع العرب. وقد ذهب قوم إلى أن الحاء من جملة ما تفردت به لغة العرب، وليس الأمر كذلك، لأني وجدتها في اللغة السريانية كثيراً.(ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، ص 20

قالَ ابْنُ جِنّي: ولا يُعْتَرَضُ بِمِثْلِ هذا على أَصحابنا ,يعني ابن جني أن كون الضاد للعرب خاصة ولا توجد في لغات أخرى إلا قليلًا لا ينافي اختيار البصريين أن الظاء هي الحرف العربي الذي اختص به لسان العرب ويبدو أن اختيار المتنبي في قولته: "وبهم فخر كل من نطق الضاد"

نال هذا الرأي إعجابًا وانتشارًا أوسع مقارنةً باختيار الخليل. لذا أُطلق على الضاد صفة تميز اللغة العربية، حيث يقول الناس: لغة الضاد، رغم أن حرف الظاء كان يُعتبر هو الحرف الذي يميز العرب عن باقي الشعوب. قد يكون السبب وراء انتشار هذا القول هو استخدامه في الشعر حتى أصبح كالمثل المعروف. من الممكن أن يعتبر كلام ابن جني نوعا من الحذر. من ناحية أخرى، فإن رأي الدكتور رمضان والدكتور حجازي يأتي من فهمهم لنطق الضاد عند المصريين، وهي التي أطلق عليها المقدسي في القديم اسم الضاد الطائية. في الواقع، هي دال مشددة. وقد أشار المقدسي إلى أن المصريين كانوا مخطئين في ذلك، ونصح بعدم الصلاة خلف من يقرأ بهذه الطريقة. لأن هذه الدال تُستخدم في لغات مختلفة بخلاف اللغة العربية.

التفريق بين الضاء والظاد:

أي كلمة تبدأ بأحد هذه الأحرف : (أ– ت – ث – ذ – ز– ط – ص – ض – س) لا يوجد فيها حرف (الظاء) بتاتا.

ملاحظة هامة: القاعدة الخاصة بالأحرف التي ذكرت تُطبق فقط على المفرد وجذور الكلمات، وليس على صيغة الجمع أو الكلمات المشتقة. على سبيل المثال، كلمة "أظافر" مفردها هو "ظفر". لذلك، عند النظر إلى القاعدة، نرى أن المفرد لا يبدأ بأي من الأحرف السابقة، وبالتالي نستخدم حرف الظاء عند كتابته.

لغة الضاد ومكانتها في العالم:

تُعدّ اللغة العربية واحدة من اللغات الرسمية الست، وفقاً لتصنيف الأمم المتحدة. يحتفل العالم بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية في(**الثامن عشر من شهر ديسمبر كل عام)** تحتوي اللغة على ثمانية وعشرين حرفاً مكتوباً، ويعتقد بعض العلماء أن بإضافة الهمزة، تصبح اللغة مكونة من تسعة وعشرين حرفاً. تُكتب اللغة العربية من اليمين إلى اليسار، كما هو الحال في اللغتين الفارسية والعبرية. تُعتبر اللغة العربية من أكثر لغات

العالم غنيً بالمصطلحات، حيث يضم كتاب "لسان العرب" لابن منظور أكثر من ثمانين ألف مادة من المفردات العربية.

يحتفل الجميع في الثامن عشر من ديسمبر كل سنة باليوم العالمي للغة العربية، التي هي لغة القرآن وتراثنا الحضاري، والتي نعتز بها. تُعرف لغتنا العربية باسم "لغة الضاد"، لكن ما سبب تسميتها بهذا الاسم؟ هذا ما سنتعرف عليه في المقال المقبل لا يمكن لأي مقال أو حتى كتاب أن يعبّر عن قيمة اللغة العربية؛ فهي لغة جليلة اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة كتابه الكريم الذي أنزل من السماء، ويُتلى في كل ليلة ونهار حتى قيام الساعة وفي جميع أرجاء الأرض.

تاريخ الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية:

قررت الأمم المتحدة أن تحتفل باليوم العالمي للغة العربية في 18 ديسمبر من كل عام. هذا اليوم يوافق عندما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار رقم 3190 في ديسمبر عام 1973. هذا القرار ينص على إضافة اللغة العربية إلى اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة، وهو نتيجة لاقتراح تم تقديمه من قبل المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية خلال الدورة 190 للمجلس التنفيذي لليونسكو(https://www.un.org/ar/observances/arabiclanguageday/)

قال موفسيس أبليان وكيل الأمين العام لإدارة شؤون الجمعية العامة والمؤتمرات الذي يتولى أيضا دور منسق الأمم المتحدة للتعددية اللغوية قال إن "يوم اللغة العربية يتيح الفرصة للتأمل في واحدة من أكثر اللغات تأثيرا وغنى في العالم: لغة الضاد. حددت اللغة العربية شكل الشعر والعلوم والفلسفة والأدب والتبادل الثقافي لقرون. وجمعت الحضارات وكانت بمثابة مستودع للمعارف ومنصة للحوار عبر المناطق والأجيال"
(https://news.un.org/ar/story/2025/12/1143919)

اليوم العالمي للغة العربية:

تعيين يوم مخصص للاحتفال باليوم العالمي للغة العربية يأتي بعد عمل دؤوب بدأ منذ خمسينيات القرن الماضي. هذه الجهود أدت إلى إصدار قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 878 في الدورة التاسعة، والذي يعود تاريخه إلى 4 ديسمبر 1954. هذا القرار يسمح فقط بالترجمة الكتابية إلى العربية، ويحدد عدد

صفحات هذه الترجمات بأربعة آلاف صفحة في السنة، مع شرط أن تتحمل الدولة التي تطلب الترجمة تكاليفها، بالإضافة إلى أن تكون الوثائق المعنية ذات طابع سياسي أو قانوني يتعلق بالدول العربية.

هذا الأمر تطور في عام 1960؛ حيث اتخذت منظمة اليونسكو قرارًا يقضي باستخدام اللغة العربية في المؤتمرات الإقليمية التي تُنظَّم في البلدان الناطقة بالعربية، وبترجمة الوثائق والمنشورات الأساسية إلى العربية.

بينما في عام 1966 تم اعتماد قرار يقضي بتعزيز استخدام اللغة العربية في اليونسكو، وتقرر تأمين خدمات الترجمة الفورية إلى العربية، ومن العربية إلى لغات أخرى، في إطار الجلسات العامة.

وفي عام 1968 تم اعتماد **اللغة العربية** تدريجياً كـ "لغة عمل" في منظمة اليونسكو، التابعة لـ الأمم المتحدة، مع البدء بترجمة وثائق العمل، والمحاضر الحرفية، وتوفير خدمات الترجمة الفورية إلى اللغة العربية.

بعد هذا التاريخ، استمر الضغط الدبلوماسي العربي، وتحديدا من دولة المغرب الشقيقة، بالتعاون مع بعض الدول العربية الأخرى، إلى أن تمكنوا من جعل اللغة العربية تُستعمل كلغة شفوية خلال انعقاد دورات الجمعية العامة في سبتمبر 1973.

وبعد إصدار جامعة الدول العربية في دورتها الستين قرارا يقضي بجعل اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية للأمم المتحدة، وباقي هيئاتها، ترتب عنه صدور قرار الجمعية العامة رقم 3190 خلال الدورة 28 في ديسمبر 1973 يوصي بجعل اللغة العربية لغة رسمية للجمعية العامة وهيئاتها.

وفي أكتوبر من عام 2012، وعند انعقاد الدورة 190 لـ المجلس التنفيذي لليونسكو، تقرر تكريس هذا اليوم 18 ديسمبر من كل عام ليكون اليوم العالمي للغة العربية.. واحتفلت اليونيسكو في تلك السنة للمرة الأولى بهذا اليوم.

وفي 23 أكتوبر من عام 2013 قررت الهيئة الاستشارية للخطة الدولية لتنمية الثقافة العربية "آرابيا" التابعة لليونسكو، اعتماد **اليوم العالمي للغة العربية**، كأحد العناصر الأساسية في برنامج عملها لكل سنة. (اليوم العالمي للغة العربية 2025.. اعرف تاريخ الاحتفال الرسمي بـ «ابنة الضاد» وماذا قالت اليونسكو؟ | مبتدا)

سبب التسمية: سميت اللغة العربية بـ "لغة الضاد" نظراً لكونها اللغة الوحيدة التي تحتوي على حرف "الضاد"، بالإضافة إلى أنّ العرب هم أفصح من نطقوا هذا الحرف فمن المعروف أنّ حرف الضاد يعتبر من أصعب

الحروف نطقاً عند غير العرب، كما أن بعض المتكلمين بغير العربية يعجزون عن إيجاد صوت بديل له في لغاتهم.

وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين : ((وقال الأصمعي :ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال)) (1 : 74)

تعبير يوضح خصوصية اللغة العربية من خلال حرف الضاد.

وقال جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب : ((أما النبطية، وهي من اللهجات العربية الشمالية، ففيها ظواهر بارزة تشير إلى أنها كانت لغة معربة، وهي في نظري أقرب اللغات العربية الجاهلية إلى عربية القرآن الكريم، فالأسماء في النبطية، معروفة في عربيتنا قليلة في العربيات الأخرى، وهي قريبة من هذه العربية في أمور أخرى نحوية وصرفية)) (17: 13) .

وقال ايضا ((ونجد العربية ذات حروف يزيد عددها على حروف اللغات السامية الأخرى , ولعلّ اللغات الأخرى كانت تملك حروفًا أخرى، ثم قلّ استعمالها فزالت من أبجديتها، ولم تبق لها حاجة بها .فالعبرانية لا تمتلك الحروف" :ذ"، و"ع"، و"ظ"، و"ض ."والبابلية لا تمتلك أيضًا الحروف :العين والحاء والغين والهاء وهي من أحرف الحلق، ولا الأحرف :الطاء والظاء والصاد، وهي من أحرف التضخيم والتفخيم، ولا القاف. ونجد يهود السامرة لا يستعملون حرف السين١. وهناك أمثلة أخرى تثبت حدوث تطور في عدد الحروف في اللغات السامية، مما سبب حدوث اختلاف في عددها، ولهذا حدث هذا الاختلاف الذي نراه ونلاحظه بين أبجديات تلك اللغات ونجد العربية الجنوبية تمتلك حروفًا لا تمتلكها العربية الفصحى، وذلك بسبب اختلاف طبيعتي اللهجتين))(16: 160))

قال المطران يوسف داود الموصلي: من خواص اللغة العربية وفضائلها: أنها أقرب لغات سائر الدنيا إلى قواعد المنطق، بحيث إن عباراتها سلسة طبيعية، يهون على الناطق صافي الفكر أن يعبر فيها من دون تصنع ولا تكلف باتباع ما يدل عليه القانون الطبيعي، وهذه الخاصية إن كانت اللغات السامية تشترك فيها مع العربية في وجه من الوجوه، فقلما نجدها في اللغات المسماة" :الهندية الجرمانية"، ولا سيما الإفرنجية منها."))(كتاب موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين , 2 : 144)

وقال أبو عمر الداني في كتابه (الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل) : ((وقد أجمع علماء اللغة على أنّ العرب خصّت بحرف الظّاء دون سائر الأمم، لم يتكلم بها غيرهم، ولغرابتها صارت أقلّ حروف المعجم وجودا في الكلام، وتصرّفا في اللّفظ، واستعمالا في ضروب المنطق. فهي لا توجد إلّا في نحو مائة كلمة من جملة كلام العرب، منظومه ومنثوره، وغريبه، ومشهوره. وقد تأمّلت جميع ورودها في كتاب الله، عزّ وجلّ، خاصّة، وجمعت ذلك وحصرته)) ((1989م, ص8))

وقال ابو عمرو الداني في باب ذكر الفرق بين الضّاد والظّاء قائلا : ((أنّ الضّاد مخرجها من حافة اللّسان، من أقصاها إلى ما يلي الأضراس. فمن النّاس من يخرجها من الجانب الأيمن، وهو الأقلّ. ومن النّاس من يخرجها من الجانب الأيسر، وهو الأكثر. ومخرجها كمخرجها من هذا سواء. ليس يخرج من موضعها غيرها، إلّا أنّ اللّام تخرج من حافة اللّسان، من أدناها إلى ما يلي الثنايا والضّاد حرف مستطيل، يبلغ باستطالته إلى مخرج اللّام، ومن أجل ذلك أدغمت اللّام فيها في نحو قوله) وَلَا الضَّالِّينَ والضَّلالُ وشبهه. ولا تدغم هي في شيء من الحروف، لانفرادها بمخرجها إلّا في الشّين وحدها. وإنّما جاز إدغامها فيها، لأنّ الشّين فيها تفشّ يقرّبها من مخرج الضّاد والضّاد مجهورة، والجهر :الإعلان، لأنّ الاعتماد قوي في موضعه حتى منع التفشي أن يجري معه، فصارت بذلك رخوة)) ((1989م, ص32))

اللغة العربية تشمل العديد من العلوم الأدبية مثل النحو والشعر والأدب والبلاغة .كل واحد من هذه العلوم مهم بنفس القدر .هذه الفروع تظهر مدى غنى وثراء اللغة العربية بالمعارف المختلفة .أهمية لغة الضاد تأتي من كثرة المفردات الموجودة فيها .نرى أن كتاب ابن منظور يحتوي على حوالي 8000مادة في معجمه لسان العرب .

حرف الضاد

يعتبر حرف الضاد أحد حروف الهجاء العربية؛ وترتيبه هو الحرف الخامس عشر من الحروف الأبجدية العربية، كما أن بعض المتكلمين بغير العربية يعجزون عن إيجاد صوت بديل له في لغاتهم.

قيمة الضاد في اللغة العربية:

إن تأريخ هذا المصطلح كان في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، في وقت تقعيد وتدوين اللغة، وهي الفترة التي ظهر فيها سيبويه، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والأصمعي. حيث بدأ التنبه لقيمة حرف الضاد

في اللغة العربية بعد تعرّب العجم حيث ولى العلماء اهتماماً خاصاً لحرف الضاد بعد أن واجهت الأفواج الجديدة صعوبةً في نطقه. حيث أشار سيبويه إلى أنّ حرف الضاد من الأصوات غير المستحسنة لمن لا يتكلمون العربية، فإنّ بعض العجم يخلطون بين الظاء والضاد في النطق، مما دفع بعض اللغويين إلى تأليف رسائل تميز بين الحرفين.

أهمية لغة الضاد في المحافل الدوليّة

تعتبر اللغة العربية من اللغات الرسميّة الست المعترف بها في منظمة الأمم المتحدة، حيث تم اعتماد يوم الثامن عشر من ديسمبر من كلّ عام هو اليوم العالمي للاحتفال باللغة العربية، من قِبل الأمم المتحدة.

تحتوي اللغة العربية على ثمانية وعشرين حرفاً، ويعتقد بعض اللغويين أنّ الهمزة حرف من أحرفها لتصبح لغة ذات تسعة وعشرين حرفاً، ويتكتب هذه اللغة من اليمين إلى اليسار وهي بذلك تشبه كلّاً من اللغة العبريّة والفارسيّة، كما أنها تعتبر من أغزر اللغات من ناحية المادة اللغويّة.

تبقى اللغة العربية أحد أرقى وأهم اللغات في العالم، لغة القرآن الكريم التي فضلها الله سبحانه وتعالى على جميع اللغات في العالم.

ماذا قالت اليونسكو في اليوم العالمي للغة العربية 2025

وفي **اليوم العالمي للغة العربية 2025**، قالت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "يونسكو"، على موقعها الرسمي بشبكة الإنترنت نصا: "يستكشف اليوم العالمي للغة العربية لعام 2025 قدرة الابتكار والشمول على رسم ملامح مستقبل اللغة العربية. يتمحور الاحتفال هذا العام حول موضوع "آفاق مبتكرة للغة العربية: سياسات وممارسات ترسم مستقبلاً لغوياً أكثر شمولاً".

وأضافت: "يسلط الضوء على دور التعليم والإعلام والتقنيات والسياسات العامة في استخدام اللغة العربية بأنماط أكثر يسراً وفعالية ومراعاة للجوانب الاجتماعية. ويجسد هذا الموضوع، الذي يتوافق تماماً مع رؤية برنامج اليونسكو لإدارة التحولات الاجتماعية، التزامنا المشترك بتحقيق التنمية الاجتماعية الشاملة القائمة على الأدلة.

وتابعت منظمة اليونسكو: "إنّ الاحتفال هذا العام، وإذ يُقام في مرحلة تشهد تحولاً رقمياً متسارعاً، يُبرز المبادرات التي تعزز حضور اللغة العربية في النظم التعليمية، والمنصات الرقمية، والنقاشات العامة، لا سيما

في كنف المجتمعات المحلية المتعددة اللغات أو ذات الموارد المحدودة. وإنّ احتفالات عام 2025، وإذ تُبرز الممارسات المستقبلية والمتعددة القطاعات، تسعى إلى تعزيز المساواة بين اللغات وتمكين المجتمعات المحلية المختلفة وضمان الحفاظ على نبض اللغة العربية، وقابليتها للتكيف كلغة متجذرة في تراثها الثقافي الغني".

واستطردت المنظمة الأممية في **اليوم العالمي للغة العربية 2025**: "يمثّل اليوم العالمي للغة العربية الذي تنظمه اليونسكو منصة فاعلة لتعزيز الحوار وتبادل الأفكار والتفاهم المتبادل، تكريماً وتقديراً للمكانة العالمية التي تحظى بها **اللغة العربية**.. ويجمع هذا الاحتفال طيفاً واسعاً من الأصوات، ما يوطد الروابط الثقافية والقيم المشتركة، وهو منظَّم في إطار شراكة وثيقة مع الوفد الدائم للمملكة العربية السعودية لدى اليونسكو وبدعم سخي من مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية، ويسلط الضوء على التزام اليونسكو بالاحتفاء بالتنوع اللغوي وتعزيز تقدير الثقافة حق قدرها في العالم أجمع".

الخلط بين صوتي الضاد والظاء:

قد شاع في القرن الثالث الهجري، وكان هذا هو السر فيما ذهب إليه أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، اللغوي المشهور "المتوفى سنة ٢٣١هـ" من أنه يجوز عند العرب، أن يعاقبوا بين الضاد والظاء، فقد روى ابن خلكان(وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٣ وانظر كذلك: طبقات الزبيدي ٢١٥)، أن ابن الأعرابي كان يقول: "جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء،

فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه وينشد:

إلى الله أشكو من خليل أوده ... ثلاث خصال كلها لي غائض

بالضاد "بدل غائظ"، ويقول: هكذا سمعته من فصحاء العرب.

ويزعم ابن جني أن ذلك ليس من باب المعاقبة، وإنما هي مادة أخرى، فيقول: "ويجوز عندي أن يكون غائض غير بدل. ولكنه من غاضه، أي نقصه، فيكون معناه: ينقصني ويتهضمني" (سر صناعة الإعراب ١/ ٢٢٢).

والدليل على أن الخلط بين الضاد والظاء قديم في العربية، تلك المؤلفات الكثيرة، التي تعالج هذه المشكلة من قديم(رمضان عبد التواب ,كتاب المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي,73ص).ولقد كانت محاولات بعض من ألف في هذا الموضوع من اللغويين العرب، منحصرة

فكانتِ الضَّادُ هي المشْكِلةَ الأُولى عِنْدَ مُتعلِّمي العَربيَّةِ مِنَ الأعاجِمِ؛ يقولُ الدُّكتورُ إبْراهيم أنيس: (يَظهَرُ أنَّ القَديمةَ كانت عَصيَّةَ النُّطْقِ على أهالي الأقْطارِ الَّتي فتَحَها العَربُ، أو حتَّى على بعضِ القَبائِلِ العَربيَّةِ في شِبْهِ الجَزيرةِ؛ ممَّا يُفسِّرُ تلك التَّسْميةَ القَديمةَ "لُغةَ الضَّادِ"، كما يَظهَرُ أنَّ النُّطْقَ القَديمَ بالضَّادِ كان إحْدى خَصائِصِ لَهْجةِ قُرَيشٍ)(إبراهيم أنيس ,الأدوات اللغوية (ص:50)؛ (رمضان عبد التواب ,المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللغوي)) (ص:70).

لغة الضاد في القرآن الكريم :

}فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ{قال تعالى :

فأما العظةُ : إشارة إلى الأعمال الصالحة، ومظاهر الطاعة، والتوجيه لله تعالى، والابتعاد عن ملذات الحياة الدنيا والتذكير بالآخرة.

وقال ابن الجزري : المتوفّى سنة 833 هـ : (والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلّ من يحسنه ، فمنهم من يخرجه ظاء ، ومنهم من يمزجه بالذال ، ومنهم من يجعله لاما مفخّمة ، ومنهم من يشمّه الزاي ، وكلّ ذلك لا يجوز) والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصة ولا يوجد في كلام العجم إلّا في القليل (أربعة كتب في علوم القرآن، المهدوى / ابن بري / السقاقسي / مؤلف مجهول، ص ١٣٧).

وقال ابن وثيق الأندلسي (ت 654 هـ) عن الضاد : وقلّ من يحكمها من الناس(أبحاث في علم التجويد، غانم قدوري الحمد، ص156).

وسوف نسرد سيرة أبرز الإئمة والعلماء والشعراء و الذين أسسوا قواعد اللغة العربية من نحو وكتابة وشعر وصولًا إلى أصول الشعر ودور علماء الحلة من القرن 4-9 هـ في انتشارها :

الإمام علي عليه السلام وحرف الظاد والضاء:

إذا ظهرت بوادر النحو إبان القرن الأول برعاية إمام العلم والمتعلمين الإمام علي (عليه السلام) بإشارة لأبي الأسود في تأسيسه، وتتلمذ على يده العديد من النحاة وقراء القرآن كنصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، واكتمل ونضج على يد نحاة البصرة الأولين كأبي عمرو بن العلاء وابي إسحاق الحضرمي، حتى وصل بعهده

الى الخليل في نهاية القرن الثاني فاعتلى القمة كعلم مكتمل له قواعده وأصوله، ويرى ذلك من آرائه المبثوثة.(وفاق طالب ,2023م, 197)

وروي عن علي : أنه أتي في فريضة وعنده شريح ، فقال له الإمام علي عليه السلام : ما تقول فيها أيها العبد الأبظر ويقال للتي تخفض الجواري مبظرة (العين، ج ٨، الخليل الفراهيدي، ص160) المعنى : ورجل أنظر : في شفته العليا طول من نتوء وسطها ، ولو قبل للرجل الصحابِ أنظر جاز . وأمه بظراء وإماء بظر ، ومصدره بظر من غير أن يقال : بظر لأنه لازم وليس بحايث.

وقد كتب الامام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان : أما والله إن الظلم شؤم * وما زال المسئ هو الظلوم إلى ديان يوم الدين نمضي (شعب الإيمان، ج ٦، أحمد بن الحسين البيهقي، ص56).

قال الامام زين العايدين علي بن الحسين عليه السلام: إن تعدل فما لك من مناصِ وأصل الحزم أن تضحي وتمسي * وربّك عنك في الحالات راضٍ وأن تعتاض بالتوفيق رشداً * فإنّ الرُّشد من خير اعتياضِ(: الذريعة إلى حافظ الشريعة (شرح أصول الكافي)، رفيع الدين محمد بن محمد مؤمن الجيلاني، ج ٢، ص ٣٢١).

أبو الأسود الدؤلي(705 – 688 م: **مخترع التشكيل ومؤسس علم النحو**:

أسلم أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي خلال حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يره أبدًا، إذ كان مقيمًا مع قومه بني بكر، سكن البَصْرَةَ، وشَهِد مع عليّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام وقْعَةَ صِفّين. كان علوي الرأي(محمد بن سلام, طبقات فحول الشعراء ,1/ 12). حلفاء قريش ,سافر الدؤلي إلى المدينة المنورة بعد وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم لتلقي علم الحديث عن الصحابة، وفقًا لكتاب (تهذيب الكمال), امتلك الدؤلي علمًا واسعًا باللغة العربية وكان حافظًا للقرآن الكريم،كان بدء علم النحو على يديه عندما شكا له الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عنه لحن العجم حديثي الإسلام، فاقترح أبو الأسود قواعد أصول اللغة. عندما أُعجب علي بها قال: "ما أحسن ما نحوت!"، ومن هنا سُمي النحو, وضع أبو الأسود قواعد الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والجزم والرفع، ما شكل نواة علم النحو الذي طوّره لاحقًا سيبويه, كما اخترع علم التشكيل بعد أن لاحظ خطأ أعجمي في قراءة القرآن، فأمر الوالي زياد بن أبيه بإرسال كاتب ليضع النقاط التي ترمز للحركات، فكانت هذه بداية تنقيط الكتابة العربية

وله شعر قوله (ديوان أبي الأسود الدؤلي, ص: 325).: لا تَقعُدْ على كَسَلِ التَّمَنِّي
تُحِيلُ على المقادِرِ والقَضاءِ
فإنَّ مَقَادِرَ الرَّحمنِ تَجْري
بأرزاقِ العبادِ مِن السَّماءِ
مُقَدَّرَةً بقَبْضٍ أو ببَسطٍ.
وله : لا تُبْدِيَنَّ نَمِيمَةً نُبِّئْتَهَا
وَتَحَفَّظَنَّ مِن الَّذِي أَنْبأكَها يُنظَر: محمد بن الحسن الزُّبَيدي, طبقات النحويين واللغويين,ص: 21)؛ التَّنُوخي , تاريخ العلماء النحويين,ص 166؛ ابن الأثير, أسد الغابة, 2/ 485؛ ابن خَلِّكان, وفيات الأعيان, 2/ 535؛الذهبي , سير أعلام النبلاء, 4/ 81؛ ابن حجر, الإصابة, 3/ 563)

- **المتنبي – ت . 965 . م –** (إن لم يكن أول) من استعملها في المعنى في شعرنا القديم :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجـدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا دَ وعوذ الجاني وغوث الطريد (محسن الامين , أعيان الشيعة , 2: 517).

أذ يتحدث الشاعر عن الفخر بنفسه وإنجازاته، وليس بآبائه وأجداده. كما يشير إلى أن الفخر الحقيقي يأتي من اللغة العربية (نطق الضاد) التي تجمع بين الناس وتوفر الحماية للجاني والغوث للطريد.

:)ت . 796 م –(سيبويه: إمام النحويين ومؤلف أول كتاب نحوي شامل

سيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، فارسي الأصل، ويُقال إن اسمه يعني "خد التفاح"، وكان ذلك لحمرة خده ونظافته. ولد في شيراز وانتقل إلى البصرة لتلقي علوم الحديث، وفقًا لكتاب "فهرست ابن النديم."

بدأ سيبويه تعلم النحو بعد أن أخطأ لغويًا في قراءة حديث شريف، فعاتبه شيخه حماد بن سلمة، ما دفعه للإصرار على تعلم النحو. تتلمذ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ويونس بن حبيب، وألف كتابه الشهير "كتاب سيبويه"، الذي جمع فيه علوم النحو بأسلوب شامل ومبسط.

) أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد))– (الكتاب ، ج2 ، ص 489 وقال سيبوية

ويعلل تمام حسان – معناها ومبناها ذلك ، فيقول :

"الضاد الفصيحة كانت تُنطق بواسطة احتكاك هواء الزفير المجهور بجانب اللسان والأضراس المقابلة لهذا الجانب ، ومن ثم يكون صوت الضاد الفصيحة من بين أصوات الرخاوة مثله في ذلك مثل الثاء "(اللغة العربية : ص 55).

والخلط بين الضاد والظاء شأننا في لهجاتهم اليوم ومن ذلك ما أورده الجاحظ (868ت . م) بقوله: ((زعم يزيد مولى ابن عون ، قال : كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء ، فكان إذا دعاها قال : يا ظمياء ، بالضاد . فقال ابن المقفع : قل : يا ظمياء . فناداها : يا ضمياء . فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال له : هي جاريتي أو جاريتك ؟ قال نصر بن سيار : لا تسم غلامك إلا باسم يخف على لسانك)) (الجاحظ , البيان والتبيين, (ط مكتبة الهلال)، ج ٢، ، ص ١٤٦).

الخليل بن أحمد الفراهيدي:: (100 هـ 170 هـ/173 هـ - 718م 786م) **صاحب بحور الشعر وواضع الهمزات** عالم نحو عربي من قبيلة الأزد، عاش في البصرة. كان له دور بارز في تطوير علوم اللغة العربية، أبرزها اختراعه علم العروض الذي وضع 14 بحرًا للشعر العربي، واستوحى فكرة البحور أثناء تجوله في الأسواق، حيث لاحظ تكرار نغمات أصوات المطارق, أسس الفراهيدي أيضًا نظام الحركات والهمزات بشكلها الحالي، وابتكر نظامًا للرسائل المشفرة وكتب كتاب "العين"، وهو أول معجم شامل في اللغة العربية. توفي الفراهيدي أثناء انشغاله بابتكار علوم جديدة، بعد أن اصطدم بسارية متحركة في المسجد، ما أدى إلى وفاته.

– **وقال الفيروز آبادي**: ((العجز عن إقامة العربية لعجمة اللسان (والضوادى) الكلام القبيح أو ما يتعلل به والمعنى أي لا يلحقه صلى الله عليه وسلم شئ مما ذكر ولا يتصف به وقد تقدم في المقدمة أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش الحدى وتقدم أيضا بيان أفصحيته صلى الله عليه وسلم وتعجب الصحابة رضوان الله عليهم منه وفيه مع ما قبلة نوع من الجناس)) (القاموس المحيط، ج ١ص6).

قال في ذكر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : ((باعث النبي الهادي، مفحمًا باللسان الضادي كل مضادي) ٢ (مخفمًا لا تشينه الهجنة واللكنة والضوادي، محمد خير من حضر النوادي وأفصح من ركب

الخوادي))([عبد الله الطيب المجذوب, كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب , 5: 25)

المبحث الثاني

استعمالات حرف الظاء والضاد عند علماء ومفكري الحلة الفيحاء في قصائدهم :

-الأمير مزيد الحلي (٥٣٣ – ٥٨٤ هـ):**هو الأمير مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بهاء الدولة** هو من آل مزيد أمراء الحلة ، وكان شاعرا فمن شعره قوله يحن إلى الجامعين:

ومرابع بالجامعين عهدتها تزهو بغيلان لها وجاذر

أيام كنت أجر في روض الصبا رد في بين رفارف وعباقر

من كل فاتنة اللحاظ إذا رنت يا للرجال من اللحاظ الفاتر

بيضاء كاملة المحاسن كاعب تختال بين خلاخل وأساور

أخذت من الضدين ما عرفا به من فاحم جثل وابيض زاهر

فمن الصباح لها ابيضاض معاصم ومن الظلام لها اسوداد غدائر.(كركوش , تاريخ الحلة , 2: 12).

-محمد بن علي بن أحمد، أبو عبيد الله الحلي المعروف بابن حميدة(ت 486 – 550 هـ = 1093 – 1155 م):المعروف بابن حميدة : نحوي ، من الأدباء . من أهل الحلة . تعلم ببغداد وكان تلميذا لابن الخشاب . من كتبه:(الفرق بين الضاد والظاء) وغيرها (الأعلام, للزركلي , 6: 277).

ذكره ياقوت الحموي قائلا: " أبو عبيد الله الحلي المعروف بابن حميدة النحوي كانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة قرأ على أبي محمد بن الخشاب البغدادي ولازمه حتى برع في علم العربية وصنف كتبا منها شرح أبيات الجمل لأبي بكر بن السراج شرح اللمع لابن جني وشرح المقامات الحريرية ... أنشدني أبو الحسن علي بن نصر بن هارون الحلي قال أنشدني محمد بن علي بن حميدة الحلي لنفسه : سلام على تلك المعاهد والربا * وأهلا بأرباب القباب ومرحبا وسقيا لربات الحجال وأهلها * وعيا لأرباب الخدور بيثربا أحن لتياك الحجال وإن غدت * ربائبها تبدي إلي التجنبا وأصبو لربع العامرية كلما * تذكرت من جرعائها لي ملعبا (الحموي، معجم الأدباء، ج ١٨، ، ص252).وذكر أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري كتابه :الادوات(الأزهري الهروي، 2001م: 1: 45). وأخذ النّاس عنه ببلده إذنا وتخرّج به جماعة في علم النّحو ورووا شيئا من

شعره . وسمعت جماعة يصفونه بالفضل والمعرفة والأدب وكان له شعر حسن . (أبن الفوطي , مجمع الادب , 2: 261)

توفي في الحلة، ودُفن في موقع يقع ضمن بناء مدرسة الشريف الرضي في محلة الجامعين بالحلة .

وعند زياتنا للمرقد الطاهر وقرأءة الفاتحة على روحة الطاهرة وجدنا الضريح داخل قفص حديد ودفن في مقدمة للمدرسة .

علي بن السكون الحلي أبو الحسن النيلي(ت606هـ/1209م) : (كحالة , 229/7؛ وانظر :الامين,د ت ,176/1؛ الافندي, رياض العلماء , 5 / 309؛ الطهراني , والذريعة , 15 / 8)

هو من العلماء الشيعة المندرسة قبورهم بل المخفية والمهدمة لا سباب غير معلومة هو علي بن محمد بن محمد بن علي بن السكون الحلي (أبو الحسن) شاعر، نحوي، لغوي ، فقيه عابدا ورعا كثير الصلاة قرأ الفقه على مذهب الشيعة حتى برع فيه وصار يدرس, وكان كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً حسن الفهم جيد النقل حريصا على تصحيح الكتب معاصر لعميد الرؤساء والسكوني بالفتح نسبه الى سَكون إحدى القبائل اليمنية سافر إلى المدينة (الصفدي , 84/22؛اليعقوبي,41-42 ؛ايمان وناس, 148) والشام(ياقوت الحموي, 383/5؛ ابن النجار ,60/19؛الشبستري, 220/3).

ومن آثاره : ضبط اختلافات الصحيفة السجادية ، واختلافات نسخ المصباح الصغير (الصفدي, 84/2؛كحالة, 229/7؛اللجنةالعلمية, موسوعة طبقات الفقهاء,175/7) اجاز طلبته على نسخة الصحيفة السجادية لان نسخته فيها اختلافات عن النسخ الاخرى (حسن الصدر,181),وقال الطبرسي:((هو الشيخ الثقة من علمائنا)) (الطبرسي,52/3)

ومن شعره:

خليلي إن العيش بيضاء طفلة

إذا رشف الظمآن ريقتها اشتفى (الصفدي,84/22؛ ياقوت , 75/15)

وله قصيدة يقول فيها :

كأن بفيها قرقفاً وكأنها حياء ما غضت الطرف ناعس

لها فاحم ضاف على الحجل سابغ ووجه يضاهي البدر للعقل خالس(الصفدي , 2000م , 1: 149).

-الفاضل السعيد تاج الدين أبو علي محمد بن محفوظ بن وشاح: (الحر العاملي ، 2/ 51، 73)كان عالماً فضلاً، أديباً شاعراً جليلاً، من أعيان العلماء في عصره (الحر العاملي ، 2/ 51، 73) وكان قطب من أقطاب الفقاهة، وطود رأس للعلم والادب، ومرجعاً في الفتوى(الاميني، الغدير، 5/ 442)

وكان له شعر جميل، (ينظر: بحار الانوار، 106/ 13، 16): قال ابن ابي الحديد: ((وكنت قرأت هذه القصائد على شيخي الامام العالم الفقيه المحقق تاج الدين ابو علي محمد بن محفوظ بن وشاح، وذلك في داره بالحلة...))، له مصنفات منها(غرر الدلائل- شرح القصائد السبع العلويات)(كحالة، د ت، 2/ 132) وغيرهما، وقد توفي سنة(725هـ/1324 م)(ينظر: الطهراني، 4/ 450؛ الامين،د ت, 4/ 49؛ الكلباسي، 2/ 606؛ الطباطبائي، 5/ 83؛ الصدر ، ص329).

ومن شعره: و فوك فيه لسان حشوه حكم* * * يروى به من زلال كل ظمآن

و فخرك الراسخ الراسي وزنت به* * * رضوى فزاد على رضوى وثهلان(الخوئي, **-ج15, 208**)

-يحيى بن الحسن بن الحسين ، ابن البطريق (ت 600 هـ): الأسدي ، الحلي ، الربعي . . وقيل توفي سنة 606 هـ . نحوي ، أديب ، شاعر ، متكلم ، فقيه كبير صارت إليه الفتوى في مذهب الإمامية . عابد ، زاهد روى عنه جملة من الأعلام منهم(طبقات أعلام الشيعة ق 6 / 337 ؛ الذريعة 21 / 5 رقم 3686 ,ج 22 / 318 رقم 7262 ؛ معجم المؤلفين 13 / 190 ؛ أعيان الشيعة 10 / 289 ؛ الأعلام 8 / 141) **صفي الدين ابن الطقطقي ت 709هـ :-**

محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلويّ، أبو جعفر، المعروف بابن الطقطقي,مؤرخ بحاث ناقد. من أهل الموصل. خلف أباه سنة 672 هـ في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء،وتزوج بفارسية من خراسان. وزار مراغة (سنة 696) وعاد إلى الموصل،فألف فيها (سنة 701) كتابه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية – ط) وله شعر : ليس فضل الفتى على الناس في * ثوب ودار وبغلة ولجام انّما الفضل في تفقّد جار * ونسيب وصاحب وغلام.(الفخري, 1997م,ص 50)

- **ابن حمدون هو أبو الحسن علي بن علي بن حمدون الحلي** أبو الحسن (**ت 579هـ**) :أديب من أهل الحلة ، ولد سنة (523هـ) وكان كاتباً ، فاضلاً ، شاعرا . وكان غاليًا في التشيع ,تصرف في الأعمال الديوانية ، ومدح الأكابر ، وزار الشام .توفي في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي المتوفى 622 هـ .(

الوافي بالوفيات: 21/ 222- 224 (برقم 219)؛ معجم أعلام الشيعة ص306 – ص 308) ومن شعره: وعذاب يحملن ظلمك حملي * لعذاب ظلمائه تبليني

وفي مدح الإمام علي عليه السلام :

أصف السيّد الذي يعجز الواصف * عن عدّ فضله في السنين

خاصف النعل خائض الدم في * بدر وأحد والفتح خوض السفين

والقضايا التي بها حصل التمييز * بين المفروض والمسنون (معجم أعلام الشيعة ص306 – ص307)

-يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد البطريق الأسدي الحلي : كان من جلّة العلماء الذين نالوا المفازة ، ولبسوا من العلم والعمل عمّته ، وعطفوا عليها طرازه ، وكان من مشايخ الإجازة ، وله مصنفات منها : « العمدة » و « المستدرك » و « الخصائص » وغيرها في المعقول والمنقول . وكان محبّا لأهل البيت ، حسن الشعر ، لم أر له شعرا إلّا فيهم عليهم السّلام ، فمنه قوله نقلته من المستدرك بخطه في مدح أمير المؤمنين عليه السّلام(الشيخ محمد السماوي, 1422هـ، ٢: ٤٢٧). وقوله في الحسنين عليهما السّلام:

سليلا نور الله سبطا نبيه رضيعا لبان البضعة النبوية

أيا سيدي أهل الجنان ومعدن كل حرب وزلة

إماميّ كونا يوم عرضي ذخيرة وكونا غياثي عند كل ملمة.

قوله في أبي طالب عليه السّلام أبا طالب:

ما كان لولاك للهدى * هداة ومن يؤمن بنجلك يهتدي

من يجتنب نهج الضلال ويتبع * سبيل الهدى في آل بيتك يقتدي

كفلت رسول الله طفلا ويافعا * وصدّقته في كل غيب ومشهد

- **صفي الدين الحلي**: (ولد في الحلة سنة 677 هـ / 1278 م – وتوفي في بغداد سنة 750 هـ / 1349 م)

سَأَلتُ حِمى الفَيحاءِ ما بالُ رَبعِها جَديباً وَقَد كانَت نَضارَتُهُ تَبدو

– وَما بالُها لَم يُروَ مِن مائِها الصَدى لِظامٍ وَلا يوري لِقاصِدِها زَندُ

قالَت قَضى مَن كانَ بِالسَعدِ لي قَضى وَصَوَّحَ نَبتُ العِزِّ وَاِنهَدَمَ المجد(يوسف كركوش , 2: 66).

وله: فُتِنتُ **بِظَبيٍ** بَعى خَيبَتي بِجَفنٍ تَفَنَّنَ في فِتنَتي
تَجَنّى فَبِتُّ بِجَفنٍ **يَفيضُ** فَخَيَّبتُ **ظَنّيَ في يَقظَتي**
قَضيبٌ يَجيءُ بِزِيٍّ يَزين تَثَنّى فَذُقتُ جَنى جَنَّة

-السنبسي محمد بن خليفة بن حسين، أبو عبد الله النميري السنبسي الأنباري(ت 515هـ) :شاعر قائد. أصله من ''هيت'' أقام بالحلة، عند سيف الدولة صدقة بن منصور. فكان شاعره وشاعر ابنه دبيس بن صدقة.

من مديحه في محمد بن صدقة :

فتى مثل صدر الرمح يهفو قميصه على ليّن الأعطاف كالغصن النّضر
إذا ما مدحناه تبلَّج وجهه تبلَّج إيماض السحاب على القطر
وتأخذه عند الندى أريحيّة كما اهتزّ غصن البان في الورق الخضر(التذكرة الحمدونية : 4: 64)

علي بن أفلح العبسي (473 هـ/1080 م – 537 هـ/1142 م): جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح العبسي الشاعر المشهور؛ ظريف حسن المديح كثير الهجاء، مدح الخلفاء فمن دونهم من أرباب المراتب، وجاب البلاد ولقي رؤساها وأكابرها وقال العمال الاصبهاني : ((إذا اتّضح له المعنى في هجو أحد، لم يبال به أكان محسناً أم مُسيّاً، عدوّاً أو ولياً....من أهل بغداد، وأصله من الحِلّة السّيفية)) ((خريدة القصر وجريدة العصر 1: 8)

قوله: بيننا يوم أثيلات منى ... كان عن غير تراضٍ بيننا (ابن خلكان,1990م. 3: 390)

وقوله : كحائنٍ ظنّ مولانا العزيز على إمهالهُ مُهمِلاً من بات يرْصُدُه

وقوله: يا أحمدُ الحمدُ ما أصبحت تكسِبُه بالفضلِ والفضلُ ما أصبحت توردُه (العماد الاصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر 1: 10)

-الحسين بن عقيل بن سنان الخفاجيّ: ت557هـ ، هو منعلماء الشيعة الأصوليّ .له كتاب (المنجي من الضّلال في الحرام والحلال) بلغ عشرين مجلّدة ، ذكر فيه خلاف الفقهاء ، يدلّ على تبحّره (الذهبي، 2006م, ج ٣٥، ص ١٥٨).

- زكريا بن يحي البزاز (ق6): الف كتاب الفتن ونقل منه السيد أبن طاووس في كتابة الملاحم والفتن (ابن طاووس,1406هـ ف 63) .

-علي بن شعرة الجامعاني : حيا 581هـ: علي بن جعفر بن شعرة الحلي الجامعاني روى عن رشيد بن شهر آشوب(**اللجنة العلمية** : 6: 184)

- (ابو علي) فرسان بن لبيد بن هوال العايشي (ت6هـ): ولدفي الحلة ودفن فيها (علي عبد رمضان, 2000م: 207)

من أهل الحلة السيفية، كانت له معرفة تامة بالأدب، ويقول الشعر الحسن، قدم بغداد غير مرة . (ابن النجار, 1997م, 20: 139).

-الشيخ السعيد نجم الدين أبو القاسم عبد اللَّه بن علوي بن حمدان الحلي (468-561هـ/1075-1166م)(الافندي , رياض العلماء , 223/3؛ اليعقوبي، البابليات: 30/1؛ كمال الدين، فقهاء الفيحاء: 96/1، ؛بروكلمان , تاريخ الادب العربي , 5: 116؛ الخوئي معجم رجال الحديث , 11: 279)

فاضل جليل ، يروي الشهيد عن ابن معية(الحر العاملي، ج ٢، ص162).

- أبو شجاع : محمد بن علي بن شعيب بن بركة (ت 590هـ /1194م) هو محمّد بن عليّ بن شعيب بن بركة فخر الدّين أبو شجاع بن الدّهان الأديب الحاسب(الخونساري، د ت: 59/4.)

كان عالماً بالنحو وله كتاب (غريب الحديث)، يقع في ستة مجلدات، توفي في الحلة المزيدية في شهر صفر سنة 590هـ (الخونساري، روضات الجنات: 59/4) وقال المقريزي(المقفى الكبير, 2006، 6: 150): ((أخو محمود بن عليّ . كانت له معرفة تامّة بالأدب والنحو وعلم الحساب والفرائض والرياضيّات ، وله في ذلك مصنّفات حسنة . وكان قيّما بعلم النجوم وحلّ الزيج . وله شعر لطيف . وصنّف غريب الحديث في ستّة عشر مجلّدا ، وجمع تاريخا جيّدا . قدم دمشق وسكنها مدّة ، ونشر بها علمه ، ومدح ملوكها . وحجّ وجاور سنة تسع وثمانين وخمسمائة ومضى إلى بغداد . فلمّا وافى الحلّة أدركه أجله بها)).

-السيد فخار بن معد الموسوي (ت: 630هـ/1232م) صنف كتاب و المسمى: (الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) وبعث به إلى ابن أبي الحديد المعتزلي فكتب على ظاهر المجلد أبياتاً شعرية (الاميني , الغدير , 171/3)تبين بأنَّ بان السيد لديه مكتبة علمية في مدينة الحلة.

– الشيخ الفقيه أبي محمد عربي بن مسافر العبادي(ت: 580هـ).

فاضل جليل، فقيه عالم، يروي عن تلامذة الشيخ أبي علي الطوسي كالياس بن هاشم وغيره، يروي الصحيفة الكاملة عن بهاء الشرف بالسند المذكور في أوّله(الحر العاملي: د ت ٢: ١٦٩ / 501) وفي مزار محمد بن المشهدي: حدثنا الشيخ الأجل، الفقيه العالم، أبو محمد عربي بن مسافر، قراءة عليه بداره بالحلة السيفية، في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة)) (مزار المشهدي: ٨٢٠؛ النوري ,خاتمة المستدرك, 3: 6.)

- جمال الدين علي بن جعفر بن شعرة الحلي الجامعاني (كان حياً٥٨١هـ/١١٨٦م).

تُعزى الكنية إلى الجامعين الذين ذُكرت أسماؤهم سابقًا. وقد أشار إليها صاحب كتاب الرياض، واصفًا إياها بأنها تعود لأحد أبرز فقهاء أصحابنا المتأخرين. كما أنه نقل الرواية عن ابن شهر آشوب، الذي منحه الإجازة عام 581هـ/1186م. وقد وصفه أستاذه ابن شهر آشوب في نص الإجازة بشكل واضح ومميز بقوله : (بالشيخ الأجل الفقيه جمال الدين ، شمس الفقهاء)(الافندي الاصفهاني, 1403هـ ,383/3)

-ابن شهر آشوب المازندراني ابو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب(ت بعد567هـ): رشيد الدين محمّد بن عليّ .. قرا الفقيه ابو عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب في (حلة الجامعين) في سنة 567هـ، عن جده الشيخ شهر اشوب عن الشيخ ابي جعفر الطوسي(الخوانساري د ت، 30/3)

–السيد جلال الدين عبد الحميد بن التقي عبد الله العلوي (ت بعد٥٨٠هـ):

قرأ النسابة عبد الحميد بن عبد الله بن اسامة العلوي الحسيني على الشيخ محمد بن المشهدي صاحب كتاب (المزار) في مدينة الحلة بمحلة الجامعين في شهر ذي القعدة عام٥٨٠هـ، وكان يروي عن أبي الفرج احمد بن علي بن مشيش القرشي قراءة عليه في يوم الاربعاء٢٧رمضان (566هـ)(المجلسي, ١٠٠: ٣٩٤ ؛ الطهراني: 1430هـ. ص156) وكان السيد جلال الدين العلوي من اعلام مدينة النجف الاشرف، وقد روى عنه فخار بن معد(الحر العاملي: 145/2) أحد مفاخر العلماء الشيعة في القرن السادس الهجري ، ذكره

المحدّث النوري فأثنى عليه ثناءً لا مثيل له ،كما وصفه الحرّ العاملي : «بالعالم الفاضل الثقة ، المحدّث ، المحقّق ، العارف بالرجال والأخبار .. الجامع للفضائل والصفات»(خاتمة المستدرك 3 / 484 ، أمل الآمل 2 / 285) ، وهو من مشايخ ابن إدريس الحلّي(مصفى المقال : 415.) توفّي رحمة الله عليه في شعبان سنة (588 هـ) (الامين, د ت , 10 / 17).

- **علي بن عبد الله بن سلمان أبو الحسن الحلي(ت615هـ/1218م)**: قال الصفدي: ((من الحلة السيفية تولى بها القضاء مدة لما عزل القاسم بن يحيى الشهزوري عن قضاء القضاة ببغداد قدم وتولى المنصب في رابع عشرين صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكان حنفي المذهب، عزل يوم الخميس رابع عشرين جمادى الأولى سنة ست مائة وقبض عليه، وحمل إلى الحلة واعتقل بها مدة وأطلق بعد ذلك وتوفي سنة إحدى وعشرين وستمائة ولعلة قد جاوز الثمانين) (الصفدي، 2000: 133/21)

-مهذب الدين ابن الخيمي الحلي .(٥٤٩- ٦٤٢هـ)

محمد بن علي بن علي، الأديب المتكامل مهذب الدين "ابن" الخيمي الحلي، الشاعر العراقي؛ شيخ كبير ذو فضائل، قال ابن النجار: أخذت عنه في القاهرة، وله العديد من المؤلفات، سمع بالأحاديث وروى، وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وستمائة.ومن شعره:

جننت فعوذني بكتبك إن لي ... شياطين شوق لا تفارق مضجعي(فوات الوفيات ، 2000: 133/21)

وقال ايضا : لو قضينا حق المودة كنا ... نحبنا بعد بعدكم قد قضينا(ابن خلكان ,1990م, 2: 341).

-ابو القاسم رضي الدين علي بن موسى آل طاووس(ت: 664هـ) ولد السيد يوم الخميس 589هـ بمدينة الحلة (الخوانساري : د ت,4: 325).صاحب التأليف والتصنيف وأشتهر بكتابة الاقبال(حرز الدين , 1371هـ ق, 2: 78) ودفن في محلة الجامعين وعمر ضريحة أكثر من مرة وحاليا هدم لتعميرة مرة أخرى .

كان لديه مكتبة وخزانة احتوت على عدد كبير من الكتب والمخطوطات وعددها ألف وخمس مئة كتاب (الطهراني, 1408هـ ق, 58/1).علما أن المكتبة كانت مفهرسة بكتاب اسماه السيد علي بن طاوس : (الإبانة في معرفة أسماء كتب الخزانة)(آل ياسين , السيد علي آل طاووس, 208)واحتوت المكتبة على

كتب نادرة غنية بالذخائر والنفائس (**الشبيبي , مؤرخ العراق ابن الفوطي , 2/ 231**). توفي ودفن في محلة الجامعين.

تمكّن السيّد ابن طاووس(ت 664هـ) من التفاعل بعمق مع عالم الكتب منذ سن مبكر، حيث تعرّف على العديد منها عندما كان عمره ثلاث عشرة سنة فقط. وقد منحه جدّه ورّام كتاب "التعليق العراقي" لمؤلفه الحِمصي، وهو كتاب ذو مكانة كبيرة عند الشيخ ورّام، وأوصاه بحفظه. الجدير بالذكر أن لهذا الكتاب أكثر من خمس وعشرين نسخة خطية موزّعة في مكتبات العالم. استطاع ابن طاووس أن يجمع مجموعة كبيرة من الكتب التي احتاجها في إنجاز مؤلفاته المتعددة والواسعة، ما ساهم في تشكيل مكتبة فريدة لديه، تميزت بكبر حجمها وقيمتها بين نظيراتها. وقد ورث جزءًا منها عن جدّه وصرّح بأنه قرأ جميع هذه الكتب أو درسها. وبهذا، كانت المكتبة الإسلامية محظوظة بوجود خزانة كتب ثرية بالنفائس والمخطوطات المميزة، مما جعل من الصعب العثور على مثيل لها في المكتبات الأخرى.

-**أبو الفضائل (673هـ): جمال الدين أحمد بن موسى آل طاووس** : قسم الأحاديث الى أربعة (الصحيح والحسن والموثق والضعيف) فقية أهل البيت مصنف مجتهد أروع فضلاء زمانة(ابن داود : الرجال , 45؛الصدر : الشيعة وفنون الاسلام ص ص40) دفن في محلة جبران مع أخية محمد.

– الابن الاول لرضي الدين علي : رضي الدين علي بن السيد رضي الدين علي آل طاووس ولد السيد علي في الثامن من محرم الحرام في مدينة النجف الاشرف وتولى نقابة العلويين بعد أخية السيد محمد عام 680هـ الحلة واشهر كتبه كتاب :(زوائد االفوائد) في الادعية(الطهراني, 12: 59: 60 ؛ الحكيم : 56:)

وله في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأبيات:

ومن عجب أن يهزأ الليل بالضحى * ويهزأ بالأسد الغباب الفراعل

ويسطو على البيض الرقاق ثمامة ويعلو على الرأس الرفيع الأسافل (الشاكري ,1418هـ , 1: 232) .

-**الابن الثاني : صفي الدين محمد بن السيد رضي الدين علي آل طاووس (ت 680هـ)** وتولى نقابة الطالبين بعد اخية رضي الدين علي وهو الابن الاكبر لسيد علي بن طاووس(الطهراني : 164)

-**عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس** (ت693هـ/1293م)**الملقب بغياث الدين**(:حرز الدين مراقد المعارف,2: 58)تتلمذ علي يد عمه رضي الدين علي عمه والفقية نجم الدين يحي بن سعيد

ابن طاووس(ابن طاووس, ص117)هو مؤلف كتاب فرحة الغري في طيّ قبر الإمام علي عليه السلام، وهو كتاب مشهور لمؤلف مشهور، لأن آل طاووس من العائلات العلمية ولهم مكانتهم الاجتماعية، وهم من السادة الكرام الذين تولوا زعامة العلويين وورثوها، "وإذا تتبعنا أعيان آل طاووس في النجف والحلة نجد فيهم فقيهاً وقائداً وأمير حج، ولهم إسهامات علمية وفكرية في المدارس في النجف والحلة وامتداداتها إلى كربلاء وبغداد(النجف الأشرف والحلّة :23),دفن في محلة الجامعين , مكتبة السيد غياث الدين كتبت لخزانته كتاب " الد الظيم في ذكر من تسمى بعبد الكريم وممن كان ملازمًا للخزانه الحسين بن عمار البصري (هناء محمد, , 89) تبين بان لديه مكتبه كبيرة تضم العديد من الكتب .

-**السيدة فاطمة بنت السيد رضي الدين علي آل طاووس** : اجازها والدها كما أشار في كتابه (ابن طاووس ,1417هـ, ص84؛ الطهراني , 117).

-**شرف الأشراف بنت السيد رضي الدين علي آل طاووس**: تتلمذت علي والدها رضي الدين (الخرسان , مقدمة كتاب فلاح السائل ص9؛ حسن الحكيم, 120)

-**السيد نجم الدين أبو بكر بن السيد قوام الدين بن السيد علي بن طاووس**([*] ابن عنبة , 233؛ تاج الدين , 273) **الملقب عند الاهالي(ابو** رحمة) ذكره ابن عنبة فقال: وولد النقيب قوام الدين نجم الدين أبا بكر عبد الله النقيب الطاهر وأخاه عمر ودرج الأول فإن كان للآخر عقب (ابن طاووس , 1411 ، 1 : 33) وإلا فقد انقرض آل طاووس (ابن عنبة , 191) كانت هذه المحلة بستان وفي هذا المكان قبور عدة لكن عند زيارتنا لهذا المكان لم نجد سوى قبر واحد هو (نجم الدين) في محلة الجامعين في زقاق فيه تعرجات كثيرة ومن التعرجات الكثيرة تصل الى قبره وفسحة كبيره والاجواء الروحانية الجميلة , وفوق المرقد قبة كبيره وفية حديقة ومسجد وبجانب المرقد مكان خرب ولا يوجد اعتناء في المرقد وزرناه أكثر من مرة مغلق دائما وتكلمت مع الأهالي قالوا : يوجد عدة قبور في هذا المكان.

- **سديد الدين يوسف بن المطهر الأسدي الحلي والد العلامة الحلي : كان حياً حدود 665 هـ :**

-محمد بن محمد بن هارون بن محمد بن كوكب بن أبي سعيد الحلي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) المقرئ الماهر ، أبو عبد الله يعرف بابن الكال البزّاز قال الدبيثي: قرأت عليه بالروايات العشر وسمعت منه بالحلة وله بها حانوت, يمارس فيه أعمال التجارة. وكان هذا المكان بمثابة مجلس يجتمع فيه المتعلمون ويتبادلون

المعرفة. توفي في مدينة الحلة ودفن فية (الدبيثي ,2006, 2: 53؛الذهبي , 2006م, 42: 323؛ يوسف كركوش، تاريخ الحلة: 62/2. محمد كاظم الحاج(المطبعة الحيدرية)، النجف، العراق، ط1، 1385هـ).

-رجب البرسي ت 813هـ:

هو الشيخ الحافظ رضي الدين رجب بن محمّد بن رجب البرسي الحلّي صاحب كتاب (مشارق الأمان) ، وكتاب (اللمعة) ، و(الألفين) ، و (مشارق الأنوار) . سكن الحلة المحروسة ، روى رجب البرسي عن : محمد بن إدريس، قال رأياً منصفاً حين سُئل عن الإمام علي عليه السلام. أجاب بأنه من الصعب الحديث عن شخص كانت مميزاته مخفية بسبب خوف أصدقائه وحسد أعدائه. ومع ذلك، فإن فضائله انتشرت بين الناس وأصبحت معروفة في كل مكان. ومن شعرة في فضل الامام علي عليه السلام :

روى فضله الحساد من عظم شأنه وأكبر فضل راح يرويه حاسد محبوه أخفوا فضله خيفة العدى وأخفاه بعضا حاسد ومعاند وشاعت(الحافظ رجب البرسي، ص 171)

- **عليّ بن يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّي (رضي الدين) أخو العلامة الحلي** : وكان عالماً فاضلاً ، وهو أخ للعلاّمة الحلّي ، يروي عن والده وعن المحقّق الحلي (الحر العاملي , 2 / 211.)

-الشافهيني: اسمه علاء الدين الشهيفيني وهو أبو الحسن الشيخ علي بن الحسين الحِلّيّ(الصدر ,36):

وهو من مشاهير أدباء عصره ومن أبرز شعراء الحلة ، الشهفينيّ أو الشهيفيني شخصية عالم من علماء الحلة وهو عالمٌ فاضلٌ وأديبٌ بارعٌ، من أعلام الحِلَّة ورموزها في الشعر والفقه والأدب, جمع فضيلتَي الشعر والعلم، فقد كان ذا نفس شعري باذخٍ، وقريحة شعرية ثرة، وقصائده الطوال شواهدٌ على ذلك، وعلى نبوغه في الشعر , الشيخ علاء الدين الشفهيني من أعلام الشيعة الإمامية في الفقه والأدب ولد في مدينة الحلة، وعرف بالشعر البليغ الذي خلّده في مدح أهل البيت (ع) تأثر في شعره بكبار معاصريه، مثل الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي الجزّيني العاملي، الذي قام بشرح إحدى قصائده التي مدح فيها الإمام علي بن أبي طالب (ع)، والتي كانت معروفة في تلك الفترة. (الحلة بالكسر والتشديد وهي في اللغة القوم النزول

وفيهم كثرة وجمعهم حلال، وقيل ان اسمها منسوب إلى شجرة شاكة، أصغر من العوسج الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294) وقال الافندي : " ولعله معاصر لابن فهد الحلي"(**رياض العلماء ,4/107**) وقال الحداد : " مثلما اختلف المترجمون للشيخ الشفهيني في ضبط نسبه فقد اتفقوا على تقدمه وعلو مكانته وغزارة علمة وأدبه ورصانة شعره"(**سعد الحداد ,2008 , 185**.

من شعره: (الاميني , ج 6 – ص 356 – 378)

بنفسي مجروح الجوارح آيسا * من النصر خلوا ظهره من ظهيرها
بنفسي محزوز الوريد معفرا * على ظمأ من فوق حر صخورها
يتوق إلى ماء الفرات . ودونه * حدود شفار أحدقت بشفيرها
قضى ظاميا والماء يلمع طاميا * وغودر مقتولا دوين غديرها
هلال دجا أمسى بحد غروبها * غروبا على قيعانها ووعورها
فيا لك مقتولا علت بهجة العلى * به ظلمة من بعد ضوء سفورها
وقارن قرن الشمس كسف ولم تعد * نظارتها حزنا لفقد نظيرها
وأعلنت الأملاك نوحا وأعولت * له الجن في غيطانها وحفيرها

محمّد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلّي :

يحيى بن سعيد: أبو زكريّا يحيى بن أحمد بن سعيد الهذلي (ابن عمّ المحقّق الحلّي) (ت 689 أو 690 هـ).(رجال ابن داود : 202).

27-**السيد جمال الملة والدين احمد بن علي بن حسين بن علي بن مهنا ابن عنبة الاصغر:** يرجع نسبة الى ابن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن ابي طالب (ابن عنبة) (الشيخ علي النمازي , ,252/5)صاحب كتاب : عمدة الطالب وهو علامة من علماء الإمامية جليلا نسابة ورعا فقيها محدثا أديبا وكان صهر تاج الدين بن معية وتتلمذ على يدية اثنتا عشر سنة وأخذ عنة علم النسب كانت ولادته ووفاته في الحلة ولد سنة (784هـ) وتوفي سنة 828هـ عن عمر يقرب الثمانين(†) وتوجد مقبرة في منطقة الجامعين تعرف بالعنيبية ولابد من التنقيب على قبره في هذه المنطقة حول قبره الشريف .

28-**فرسان بن لبيد قرن(6هـ)نحوي من اهل الحلة يقول الشعر(علي عبد رمضان ,207)**

29-محمد بن الدهان (ت590هـ/1194م)محمد بن شجاع برهان الدين بن علي بن شعيب الفرضي البغدادي الحلي شاعر وفقيه دفن في الحلة (الاتابكي , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, 139/6؛ ديوان ابن الدهان , 7؛ عبد الرضا عوض ,معجم, 46)

– زكريا عماد الدين القزويني (ت 682هـ), تولى القضاء وأقام الدرس فيها سنة 650هـ وتوفي سنة 682هـ (الافندي , 222/2)

–سعد ابو الرضا (ت 683هـ) علما بالقواعد الحكمية المنطقية والحساب(الفوطي , مجمع الآداب .1/190)

عربي بن مسافر ت 580هـ (مكاوي, 2002, 115)

-اسره ال المطهر العلامة الحلي ت: 726هـ وفخر المحققين (محمد بن الحسن الحلي ت: 771هـ) .

- محمد بن حماد الحلي: توفي (1030 هـ / 1620 م) : وقال الشيخ علي كاشف الغطاء: (كان فاضلاً أديباً معاصراً للخليعي مطارحاً له، مبارياً إياه، ينحط عنه، ونظمه أغلبه في أهل البيت عليهم السلام، وله ما يقارب من مائتي قصيدة في المديح والرثاء للحسين عليه السلام توفي في الحلة حدود ٩٠٠ هـ ودفن فيها وقبره يزار. (الطهراني: ج ٩ ص ٢٣٦) زرت القبر في محلة الجامعيين.

وله شعر في مصاب الإمام الحسين عليه السلام قوله : لغيرِ مصابِ السبطِ دمعُك ضائعُ ولم نحضَ بالحظّ الـذي أنتَ طامعُ

- أبو الحسن، جمال الدين علي بن عبد العزيز بن أبي محمّد الخليعي أو الخلعي الموصلي الحلّي(ت750هـ) (الاميني :6/ 9 رقم66؛ الامين, 8/ 263) وله قبر يزار في محلة الجامعين صاحب كرامات .

فمن شعره في مدح الإمام علي(عليه السلام) ياأميرَ النحلِ يا مَن ** حبُّهُ عقدَ ضميري

- الحسن بن راشد الملقب تاج الدين توفي نحو 840هـ :

مدحه الافندي قائلا: ((هو العالم الشاعر , من أكابر الفقهاء , ومعاصر لآبن فهد الحلي , وله كتاب المهتدين في أصول الدين جيد حسن المطالب)) (1981م, 1 : 185-187).

له شعر في مدح الإمام علي عليه السلام قائلاً : لقد نجى من لَظى نار الجحيم غداً في الحشر كل موالٍ للإمام علي ولولا حدود مراضية لما انتصبت ولا استقامت قناة الدين من ميلِ سل يوم بدر وأحد والنضير وصفين وخيبر والاحزاب والجملِ وسل به العلماء الراسخين ترى له فضائل ما جُمِعنَ في رجلِ

-الفرضي الحلي (ت590هـ) (فهو ذو نشأة وتحصيل سكنى ووفاة في الحلة. يُنظر:القمي , 79/2)

- السيد جعفر بن ملحوس الحلي الحسيني (النوري, 1416هـ,311/2.) وقال السيد حسن الصدر بقوله: ((ولعله مدفون مع والده)) (حسن الصدر, 262/2) يعني في مرقد العلماء الاربعة في الحلة .

- أحمد بن حداد الحلي هو الشيخ جمال الدين احمد بن محمد بن الحداد الحلي عالما وفقيها اديبا وشاعرا من فقهاء القرن الثامن الهجري قصده عدد من طلاب العلم وتتلمذوا على يدية الكثير من العلماء ابرزهم الشهيد الاول محمد بن مكي

- الشيخ حسن بن مطر الجزائري كان حيا سنة (849هـ) (الامين, دت , 84/8برقم 4329)
- الشيخ عز الدين ابو محمد الحسن بن احمد الحلي الشاعر المتوفي سنة (669هـ) قدم بغداد واستوطنها ثم توجه الى الحلة وتوفي بها (ابن الفوطي, تلخيص مجمع الادب , 4رقم 65.)
- الشيخ حسن بن دواد الحلي صاحب كتاب الرجال توفي في الحلة سنة (740هـ) (معجم وفيات اعلام الحلة , 96)
- هو الشيخ حامي بن بدر بن بركة بن شداد الأسدي الحلي الذي نسخ كتاب : (تذكرة الفقهاء) للعلامة الحلي في مسجد الشيخ عبد السميع بن فياض الأسدي (ت: 876هـ), في يوم الاثنين سنة 905هـ بالحلة(**كريم مطر, يوسف الشمري , 2013م,144-145**)

4- الشيخ زين الدين علي بن أحمد بن طراد المطار آبادي ت: 762هـ: أحد كبار علماء الإمامية، وكان فقيهاً، محقّقاً , تتلمّذ على العلاّمة الحسن ابن المطهّر الحلّي، وأخذ عنه الفقه، وروى عنه مصنّفاته، وروى أيضاً عن: تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي، وصفي الدين محمد بن نجيب الدين يحيى بن أحمد ابن سعيد الحلّي، وحدّث بالحلّة، وروى عنه الشهيد الأوّل محمد بن مكي العاملي، ووصفه بالفقيه المحقّق والحبر المدقّق ومات في الحلة(الخوئي, ج12/رقم الترجمة 7902؛ موسوعة طبقات الفقهاء , 131/8؛ رجال ابن داود :7) –

المصادر والمراجع:

– الجاحظ , البيان والتبيين, (ط مكتبة الهلال).

شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

المحققون: سعد يوسف محمود أبو عزيز – مجدي فتحي السيد – خيري سعيد – مصطفى شتات – أسامة عكاشة – ياسر

أبوالناشر: المكتبة التوفيقية – القاهرةعام النشر: [١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

- **ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم، (ت 630هـ):**

1- الكامل في التاريخ، ط1، دار صادر، بيروت، 1966م.

2- اللباب في تهذيب الأنساب، ط1، دار صادر، بيروت، ب. ت.

- **الأدريسي: جمال الدين احمد بن أبي الحسن بن محمد، (ت 1232هـ):**

3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، د.مك، د. مط، ب.ت.

- **الأردبيلي: المولى أحمد، (ت 993هـ):**

4- جامع الرواة، ط1، تح: مجتبى العراقي والشيخ علي بناه الاشتياردي وحسين اليرزدي، د.مط، قم، ب.ت.

- **اعجاز: حسين الكنتوري، (ت 1286هـ):**

5- كشف الحجب والاستار، ط2، مط: بهمن، ق، 1409هـ.

- **الآلوسي: جمال الدين عبد الله بن محمد، (ت 1320هـ):**

6- تفسير الآلوسي، ط1، د.مط، د.مك، ب.ت.

- **الامين: السيد محسن، (ت 1371هـ):**

7- أعيان الشيعة، ط1، تح: حسن الامين، دار التعارف، بيروت، ب.ت.

- **أمين: أحمد:**

8- ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، ب.ت.

- **البحراني: الشيخ يوسف، (ت1186هـ):**

9- لؤلؤة البحرين، ط1، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ب.ت.

- **البروجردي: السيد علي أصغر بن محمد شفيع الجابلقي، (ت 1313هـ):**

10-طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، ط1، تح: السيد مهدي الرجائي، مطبعة بهمن، قم، 1410هـ.

- **البغدادي: إسماعيل باشا، (ت 1339هـ):**

11-إيضاح المكنون في ذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1، تح: محمد شرف الدين و رفعت بيلكة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

12-هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

- **التستري: الشيخ محمد تقي:**

13-قاموس الرجال، ط1، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1419هـ.

- **التفرشي: السيد مصطفى بن الحسين الحسيني، (ت. ق 11):**

14-نقد الرجال، ط1، مطبعة ستارة، قم، 1418هـ.

- **ابن جبير: أبو الحسن محمد بن احمد، (ت 614هـ):**

15-رحلة أبن جبير، ط1، دار الهلال، بيروت، 1981م.

- **حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله الشهيد، (ت 1067هـ):**

16-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

- **ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، (ت 852هـ):**

17-الدرر الكامنة، ط1، تح: السيد عبد الله هاشم، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

- **ابن أبي الحديد: عبد الحميد المعتزلي، (ت 656هـ):**

18-شرح نهج البلاغة، ط1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

- **الحر العاملي: محمد بن الحسن، (ت 1104هـ):**

19-أمل الآمل، ط1، تح: السيد احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ب.ت.

20-الجواهر السنية، ط1: مطبعة النعمان، النجف الاشرف، 1964م.

21-وسائل الشريعة الى تحصيل مسائل الشريعة، ط5، تح: الشيخ عبد الرحيم الرباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983م.

- **الحسيني: السيد أحمد:**

22-تراجم الرجال، ط1، مطبعة الصدر، قم، 1414هـ.

- **الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي بن ثابت، (ت 463هـ):**

23-الرحلة في طلب الحديث، ط1، تح: نور الدين عنبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1075م.

- **الخوانساري: السيد محمد باقر، (ت1313هـ):**

24-روضات الجنات، ط1، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، ب.ت.

- **السيد الخوئي: أبو القاسم الموسوي، (ت 1411هـ):**

25-معجم رجال الحديث، ط5، مطبعة ستارة، قم، 1992م.

- **ابن داود الحلي: تقي الدين الحسن بن علي، (ت 741هـ):**

26-رجال ابن داود، ط1، تح: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، 1992م.

- **الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت 748هـ):**

27-سير أعلام النبلاء، ط9، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.

28-العبر في خبر من غبر، ط3، تح: شعيب الأرنؤوط، دار صادر، بيروت، 1997م.

- **الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني، (ت 1205هـ):**

29-تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994م.

- **الزركلي: خير الدين، (ت 1410هـ):**

30-الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.

- **الشاهرودي: الشيخ علي النمازي، (1405هـ):**

31-مستدركات علم رجال الحديث، ط1، مطبعة شفق، طهران، 1412هـ.

- **الشيرواني: حيدر بن علي بن محمد، (ت. ق12):**

32-مناقب أهل البيت(ع)، ط1، تح: الشيخ محمد حسون، مطبعة المنشورات الاسلامية، قم، 141هـ.

- **الصدر: السيد حسن، (ت 1354هـ):**

33-تكملة أمل الآمل، ط1، تح: السيد احمد الحسيني، مطبعة الخيام، قم، 1406هـ.

الصفدي: جمال الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، (ت 764هـ):

34-الوافي بالوفيات، ط1، تح: أحمد الارنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2000م.

- **ابن الصلاح: أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، (ت 643هـ):**

35-مقدمة أبن الصلاح في علوم الحيث، ط1، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

- **الطباطبائي: السيد علي، (ت 1231هـ):**

36-رياض المسائل، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1412هـ.

- **الطباطبائي: السيد عبد العزيز، (ت 1416هـ):**

37- مكتبة العلامة الحلي، ط1، مطبعة سيد الشهداء (ع)، قم، 1416هـ.

- **الطهراني: آقا بزرك ،(ت 1389هـ):**

38-الذريعة الى تصانيف الشيعة، ط1، مطبعة جابخانة، طهران، 1953م.

- **العلوي: علي بن محمد بن علي العمري، (ق 5هـ):**

39-المجدي في أنساب الطالبين، ط1، تح: الدكتور أحمد المحمدي الدامغاني، مطبعة سيد الشهداء (ع)، قم، 1409هـ.

- **ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، (ت 828هـ):**

40-عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب، ط2، تح: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، 1061م.

- **فخار: شمس الدين أبو علي بن معد الموسوي، (ت 630هـ):**

41-الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب، ط2، تح: السيد محمد بحر العلوم، مطبعة أمير، قم، 1410هـ.

- **القلقشندي: علي بن أحمد ، (ت 821هـ):**

42-نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

43-صبح الاعشى في صناعة الأنشا، ط1، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

- **القمي: الشيخ عباس، (ت 1359هـ):**

44-الكنى والألقاب، ط1، مكتبة الصدر، طهران، ب.ت.

- **الكتبي: محمد شاكر، ت(764هـ):**

45-فوات الوفيات، ط1، تح: علي محمد وعادل أحمد عبد المجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

- **ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل الدمشقي، (ت 774هـ):**

46-البداية والنهاية، ط1، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.

- **كحالة: عمر رضا:**

47-معجم المؤلفين، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

- **كركوش: الشيخ يوسف:**

48-تاريخ الحلة، ط1، مطبعة أمير، قم، 1413هـ.

- **الكلباسي: أبي المعالي محمد بن محمد إبراهيم، (ت 1315هـ):**

49-الرسائل الرجالية، ط1، تح: محمد حسين درايتي، مطبعة سرور، قم، 1422هـ.

- **المامقاني: أبي محمد احمد بن علي:**

50-تنقيح المقال في أسماء الرجال، ط2، مطبعة نكارشي، قم، 1417هـ.

- **المجلسي، محمد باقر، (ت 1111هـ):**

51-إجازات الحديث، ط1، تح: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الحيام، قم، 1410هـ.

52-بحار الانوار، ط2، تح: محمد باقر البهبودي وعبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م.

- **المرعشي: السيد شهاب الدين الحسيني، (ت 1411هـ):**

53-شرح إحقاق الحق، ط1، تح: السيد شهاب الدين المرعشي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ب.ت.

- **ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ):**

54-لسان العرب، ط1، مطبعة أدب الحوزة، قم، 1405هـ.

- **موسوعة طبقات الفقهاء**،ط1، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق(ع)، اشراف الشيخ جعفر السبحاني، 1418هـ.

- **ابن نما الحلي: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء، ت(645هـ):**

55-مثير الأحزان، ط1، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، 1950م.

- **النوري، الشيخ حسين الطبرسي، (ت 1320هـ):**

56-خاتمة المستدرك، ط1، مطبعة ستارة، قم، 1416هـ.

- **ياقوت الحموي: الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله الرومي، (ت 626هـ):**

57-معجم البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م.

كريم مطر, يوسف الشمري , صفحات من تاريخ الحلة , مؤسسة دار الصادق ودار الرضوان , 2013م.

ابن طاووس، علي بن موسى، كشف المحجة لثمرة المهجة، تحقيق: محمد الحسون، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ط 2، 1417 هـ

-السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس, بناء المقالة الفاطميّة في نقض الرّسالة العثمانيّة, المحقق: السيد علي العدناني الغريفي, : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم الطبعة1: تاريخ النشر : ١٤١١ هـ.ق-سعد الحداد , مراقد الحلة الفيحاء , 2008 .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Educational Assessment in the Duality of Objectives and Competencies: An Analytical Study of Foundations, Practices, and Challenges"

Riyadh Mohammed Obaid Hussein[1]
Babel Education Directorate
alfh4512@gmail.com
Haider Abdul Kazem Ismail[2]
Babel Education Directorate
h836788@gmail.com

Abstract

This study addresses the issue of the duality between the objectives-based teaching model and the competency-based approach in educational assessment, and how this duality affects theoretical foundations, practical applications, and operational challenges within the educational system. The study aims to analyze educational assessment in the transition from an objectives-based teaching model to a competency-based approach. Assessment is a pivotal tool for measuring the achievement of educational goals and developing learners' abilities, and developing an assessment system suitable for the competency-based approach poses a significant educational challenge that requires moving beyond traditional standardized and behavioral measurement models. The study also highlights the challenges educational practitioners face in reconciling the two models and proposes an integrative framework for developing an assessment system that considers both the procedural precision of objectives and the constructive comprehensiveness of competencies, thereby contributing to the development of meaningful, competency-based learning.

Keywords: educational assessment, objectives-based teaching, competency-based approach, learning theories, socio-constructivist assessment, competencies

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

التقويم التربوي بين ثنائية الأهداف والكفاءات دراسة تحليلية في الأسس والممارسات والتحديات

م.م. رياض محمد عبيد حسين[1]
مديرية تربية بابل/ العراق
alfh4512@gmail.com
م. م. حيدر عبد الكاظم اسماعيل[2]
مديرية تربية بابل/ العراق
h836788@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الدراسة مسألة الازدواجية بين نموذج التدريس القائم على الأهداف والنهج القائم على الكفاءات في التقويم التربوي، وكيف تؤثر هذه الازدواجية على الأسس النظرية والتطبيقات العملية والتحديات التشغيلية داخل النظام التعليمي. تهدف الدراسة إلى تحليل التقويم التربوي في مرحلة الانتقال من نموذج التدريس القائم على الأهداف إلى النهج القائم على الكفاءات. يُعدّ التقويم أداة محورية لقياس تحقيق الأهداف التعليمية وتنمية قدرات المتعلمين، ويُمثّل تطوير نظام تقييم مناسب للنهج القائم على الكفاءات تحديًا تربويًا هامًا يتطلب تجاوز نماذج القياس التقليدية المعيارية والسلوكية. كما تُسلّط الدراسة الضوء على التحديات التي يواجهها الممارسون التربويون في التوفيق بين النموذجين، وتقترح إطارًا تكامليًا لتطوير نظام تقويم يُراعي كلًا من الدقة الإجرائية للأهداف والشمولية البنائية للكفاءات، مما يُسهم في تطوير تعلّم هادف قائم على الكفاءات.

الكلمات المفتاحية: التقويم التربوي، التدريس القائم على الأهداف، النهج القائم على الكفاءات، نظريات التعلّم، التقويم الاجتماعي البنائي، الكفاءات

مقدمة:

يعد التقويم التربوي محوراً اساسياً في العملية التعليمية في ظل التحولات التربوية المعاصرة اذ يسهم في تشخيص مستوى المتعلمين وتحسين مخرجات التعليم. وتتجلى اهميته ضمن ثنائية الاهداف والكفاءات بوصفها اطاراً موجهاً لبناء المناهج وتقويم الاداء التعليمي. في ضوء هذا التحولنع ابراز الفروق والتقاطعات بين التقويم القائم على الاهداف والتقويم المرتكز على الكفاءات.

1-إشكالية البحث

تكمن الإشكالية الرئيسية في التناقض بين الغايات التربوية لمقاربة الكفاءات وتوجّهها نحو خدمة الإنتاج والتشغيل، مما يؤدي إلى طمس الحدود بين المجال التربوي والمجال الاقتصادي. كما تطرح الدراسة تساؤلاً حول كيفية تطوير أدوات تقويم تكفل قياس الكفاءات بشكل شامل دون إغفال الجوانب المعرفية والوجدانية والاجتماعية للمتعلم، في ظل استمرار هيمنة النماذج التقليدية القائمة على القياس السلوكي والمعياري وتنبثق من هذه الاشكالية عدة اسئلة فرعية اهما:

1. ما الأسس الفلسفية والنظرية التي تقوم عليها ثنائية الأهداف والكفاءات، وكيف انعكست على تطور الفكر التربوي؟
2. كيف تترجم هذه الثنائية على مستوى الممارسات التقويمية في الفصول الدراسية والمناهج؟
3. ما أبرز التحديات العملية والنفسية والتنظيمية التي تواجه المدرسين عند محاولة تطبيق تقويم الكفاءات في بيئات تهيمن عليها ثقافة الأهداف؟
4. ما مدى فعالية النماذج التقويمية الهجينة (كالتقويم السوسيوبنائي) في تجاوز هذه الثنائية؟
5. كيف يمكن تصميم أدوات وإجراءات تقويمية تكاملية تراعي معايير كل من النموذجين دون إفراط أو تفريط؟والجزائرية خاصة؟

2-أهمية البحث

يكمن جوهر أهمية هذا البحث في تشخيص الإشكالية بين نماذج التقويم التقليدية (بالأهداف) والحديثة (بالكفاءات)، وتحليل الفجوة بين النظرية والتطبيق؛ لفتح آفاق لأنظمة تقويم أكثر شمولية وفعالية تتناسب مع حاجات المتعلم المعاصر.

3-أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحليل الإشكالية بين نموذجي التقويم التربوي القائم على الأهداف ونظيره القائم على الكفاءات، من خلال تتبع أصولهما النظرية وتجلياتهما العملية، وتشخيص التحديات التي تحول دون التكامل بينهما؛ وذلك من أجل تطوير رؤية عملية لتقويم متوازن يجمع بين دقة القياس وشمولية التقييم، ويلبي احتياجات التعليم المعاصر.

4-منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالتحليل النقدي للأدبيات النظرية والمقارنة بين الممارسات العملية وربطها بالواقع؛ من أجل بناء رؤية تكاملية توفق بين دقة تقويم الأهداف وشمولية تقويم الكفاءات.

5- مفاهيم الدراسة :بناء الإطار النظري (التقويم والمفاهيم المتصلة)

5-1 مفهوم التقويم

يُعد مفهوم التقويم مفهوماً واسعاً ومعقداً، نظراً للمجال الواسع الذي يغطيه وتعدد معانيه، ويمكن فهمه على أنه الخطوة التي تسمح بإصدار حكم على الكفاءات والمعارف المكتسبة من قبل الطالب لاتخاذ القرارات والإجراءات المناسبة (تميم، 2012، ص 90).

عرّفه داوني (Downie, 1967) بأنه "إعطاء قيمة لشيء ما وفقاً لمستويات تم تحديدها مسبقاً" (نقلاً عن امطانيوس نايف مخائيل، 2016، ص 11).

وترى نجوى عبد الرحيم شاهين (2006) أن التقويم هو "جميع العمليات المنظمة التي تتفاعل مع عناصر المنهج أو البرنامج لتحديد جدواها وبيان مواقع القوة والضعف فيها لتطويرها أو مساعدة متخذ القرار الحاسم بشأنها" (ص ص 159-160).

ويرى الباحثون أن التقويم ذو طبيعة معقدة نظراً للمجال الواسع الذي يغطيه وتعدد دلالات المصطلح. ويمكن فهمه على أنه عملية تسمح بإصدار حكم على الكفاءات والمعارف التي يكتسبها الطالب، بهدف اتخاذ القرارات التربوية المناسبة (Dalila Temim, 2012, p. 90).

5-2. مفهوم التقييم

هناك خلط شائع بين مفهومي "التقويم" و"التقييم"، إلا أن هناك فرقاً بينهما. فالتقويم أشمل من التقييم، ويُعد التقييم جزءاً منه.

يهدف التقويم إلى التشخيص والعلاج، بينما يركز التقييم على تحديد قيمة الشيء (مادية أو معنوية) (جبرائيل بشارة وأسما الياس، 2013، ص 494).

كثيراً ما يتم الخلط بين مصطلحي "التقويم" و "التقييم"، بل إن بعض المربين يعتبرونهما مترادفين. إلا أن هناك فرقاً جوهرياً بينهما

التقويم أشمل وأعم من التقييم، حيث يُعد التقييم مرحلة أو جزءاً من عملية التقويم الشاملة.

الوظيفة: يهدف التقويم إلى التشخيص والعلاج والتطوير، بينما ينصب تركيز التقييم على تحديد القيمة (المادية أو المعنوية) لشيء ما أو لأداء فرد ما.

يشير بعض المربين إلى أن التقييم عملية تعتمد على القياس الكمي والكيفي لتقدير خصائص الفرد وسلوكه. بينما يربطه آخرون بعملية "التثمين

5-3 مفهوم القياس

يُعد القياس في العلوم النفسية والتربوية أكثر صعوبة منه في العلوم الدقيقة، لأنه يتعامل مع سمات وخصائص يصعب تقديرها كمياً كالذكاء، مما يدفع المختصين إلى استخدام أساليب وتقنيات إحصائية لدراستها.

5-4 مفهوم الاختبار

الاختبار هو أداة موحدة في إدارتها وتصحيحها، تهدف إلى جمع معلومات عن الخصائص العاطفية والفكرية (كالمستوى العقلي والمهارات والمعرفة) أو الحسية الحركية للفرد، وتمكن من تحديد موقعه بالنسبة للمجموعة المرجعية التي ينتمي إليها (Sillamy، 2003، ص 267)

5-5 مفهوم المقاربة

تختلف المقاربة عن الطريقة، والمقاربة تُقصد بها الخطة العامة أو الكيفية المستخدمة لتنفيذ نشاط ما لتحقيق أهداف محددة (خير الدين هي، 2005).

5-6 مفهوم الكفاءة

تتعدد تعريفات الكفاءة بتنوع وجهات النظر. ويرى سكالون (Scallon, 2007) أنها قد تكون: الصفات العامة للشخص، أو إدماج المعارف بمستوياتها، أو نظاماً من المعلومات المتعلقة بالمفاهيم والتطبيقات، أو حالة الشخص، أو القدرة على التحويل، أو مجموعة مدمجة من المهارات، أو القدرة على الفعل (نقلاً عن لكحل لخضر، 2009، ص 130).

5-7 مفهوم الهدف

الهدف الإجرائي هو عبارة تصف السلوك المتوقع من التلميذ بعد مرحلة التعلم (نجوى عبد الرحيم شاهين، 2006، ص 99).

5-8 مفهوم البناء

يرتبط هذا المفهوم بالنظرية البنائية (لبياجي)، التي ترى أن المعارف تُبنى في ذهن المتعلم اعتماداً على مكتسباته القبلية وليست مجرد تراكم منفصل للحقائق (خير الدين هي، 2005، ص 91).

يقودنا مفهوم البناء إلى النظرية البنائية في التعلم، التي ارتبطت باسم العالم جان بياجي. جوهر النظرية: ترفض هذه النظرية فكرة أن المعرفة تُكتسب بشكل تراكمي سلبي أو

من فراغ. بل تؤكد على أن المعارف تُبنى بشكل نشط في ذهن المتعلم، وذلك من خلال تفاعله مع البيئة واعتماداً على المكتسبات والمعارف السابقة (القبلية) التي يمتلكها (خير الدين هي، 2005، ص 91).

6. التقويم بين المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات

يختلف التقويم في إطار المقاربة بالأهداف عنه في إطار المقاربة بالكفاءات، ويمكن تلخيص الفروق الرئيسية كما يلي:

6-1. الغرض والتركيز:

في مقاربة الأهداف: يسعى التقويم إلى التأكد من تحقق أهداف تعليمية محددة وإجرائية، ويركز على قياس ما تم تعليمه واكتسابه من معارف منفصلة. وهو تقويم يركز على جمع الدرجات لتحديد أهلية المتعلم للانتقال لمستوى أعلى (لكحل لخضر، 2009، ص 135).

في مقاربة الكفاءات: يسعى التقويم إلى قياس قدرة المتعلم على توظيف موارده (معارف، مهارات، مواقف) بشكل مندمج لحل وضعيات مركبة تنتمي لعائلة الوضعيات المحددة في الكفاءة. وهو يركز على تفريد التعليم وتمكين كل متعلم من الوصول للأهداف وفق وتيرته (الفتلاوي، 2004، ص 115؛ نقلاً عن لكحل لخضر، 2009، ص 135).

6-2. الشكل والأداة:

في مقاربة الأهداف: غالباً ما يأخذ شكل أسئلة موضوعية أو جزئية أو بسيطة.

في مقاربة الكفاءات: يأخذ شكل وضعيات-مشكلة، مهام معقدة، أبحاث، أو مشاريع تتطلب إنتاجاً مركباً من المتعلم.

6-3. الوظيفة والمنحى:

في مقاربة الأهداف: يؤدي التقويم ثلاث وظائف: تشخيصية وعلاجية وتعديلية.

في مقاربة الكفاءات: يرتكز التقويم بشكل كبير على التغذية الراجعة المستمرة حول الاستراتيجيات التي يستخدمها المتعلمون أنفسهم خلال عملية التعلم (خير الدين هي، 2005، ص 93).

وبالتالي، فإن التقويم في مقاربة الكفاءات ليس مجرد تغيير في الشكل، بل هو تحول في الفلسفة من قياس المعرفة المجزأة إلى تقييم القدرة على الفعل والتكيف في سياقات حقيقية أو شبيهة بالحقيقية.

7-التقويم البنائي في المقاربة بالكفاءات

يُعد التقويم البنائي (التكويني) ركيزة أساسية في التقويم وفق المقاربة بالكفاءات، حيث إنه عملية مرافقة ومصاحبة لعملية التعلم والتعليم عبر مراحلها المختلفة، وشرط ضروري وجزء لا يتجزأ منها (المطانيوس نايف مخائيل، 2016، ص 202-203).

7-1 موقع التقويم البنائي وهدفه

يحتل التقويم البنائي موقعاً وسطاً بين التقويم التشخيصي (في بداية العملية) والتقويم التحصيلي أو الختامي (في نهايتها)، أي أنه يُطبق أثناء السيرورة التعليمية التعلمية.

لا يهدف إلى إصدار أحكام نهائية، بل يهدف إلى تحسين عملية التعلم والتعليم ورفع فعاليتها من خلال تنظيم العملية، وتحفيز المتعلمين، وتزويدهم بتغذية راجعة فورية حول تقدمهم نحو الأهداف (المطانيوس نايف مخائيل، 2016، ص 202-203).

7-2 مهارات التقويم البنائي

يستلزم تطبيق مهارة التقويم البنائي في التدريس القيام بالخطوات التالية (نجوى عبد الرحيم شاهين، 2006، نقلاً عن المطانيوس نايف مخائيل، 2016، ص 203-204):

التعرف على الخبرات السابقة للطلاب لربط التعلم الجديد بها.

توقع الصعوبات التي قد تعترض تعلم الطلاب.

إعداد أنشطة تعليمية علاجية لمعالجة تلك الصعوبات.

تقديم مساعدات خاصة للمتعلمين المتفوقين.

إعداد أنشطة إثرائية للمتفوقين.

إعداد أنشطة تعليمية تقويمية تشخيصية.

3-7 الخطوات الإجرائية والوسائل

تلخص الباحثة الخطوات الإجرائية وأدوات التقويم البنائي في الوسائل التالية (نجوى عبد الرحيم شاهين، 2006، ص 216-217):

الملاحظة المباشرة: باستخدام بطاقة ملاحظة يُعدها المعلم لرصد أداء الطلاب داخل الصف.

أدوات جمع المعلومات: كالاختبارات القصيرة أو البطاقات أو قوائم المراجعة، والتي تهدف إلى:

- الكشف عن المفاهيم الخاطئة والتصورات السابقة.
- تحديد الموضوعات الأكثر غموضاً أو فائدة.
- تقويم الأداء في المهارات الأساسية (القراءة، الكتابة، الرسم...).
- تقويم المهارات العليا (التحليل، التفكير الناقد، الإبداع، حل المشكلات).

-الاختبارات الصفية العادية: والتي تفيد في قياس التحصيل وتشخيص نقاط القوة والضعف إذا أُعدت بشكل جيد.

8. أساليب التقويم وفق المقاربة بالكفاءات

تتنوع أساليب التقويم في هذا الإطار لتشمل ما يلي:

8-1. الملاحظة: وتكون مباشرة أو غير مباشرة، مقصودة أو غير مقصودة، وتُستخدم للحكم على سلوك المتعلمين وفعالية طرق التدريس والمناخ التربوي (نجوى عبد الرحيم شاهين، 2006).

8-2. المقابلة: وقد تكون مقننة (محددة البنية) أو مفتوحة (غير محددة البنية)، وتُوجه لجمع معلومات محددة (المطانيوس نايف مخائيل، 2016، ص 156-157).

8-3. المناقشة: للتأكد من صحة المعلومات عبر الرجوع إلى السجلات والوثائق.

8-4. اختبارات الأداء: وتقيس الأداء وفق معايير تشمل (جبرائيل بشارة وأسما الياس، 2013، ص 232):

8-5. البنية المعرفية: الأساسيات المعرفية وإتقان اللغة والثقافة العامة.

8-6. المهارات العلمية والعملية: الإبداع، التفكير، التعلم الذاتي، استخدام المنهج العلمي والتقنية.

8- 7.المهارات الحياتية: الحوار، العمل الجماعي، التفاعل مع البيئة والثقافات.

8-8. الجوانب الشخصية والاجتماعية: التمسك بالقيم، الهوية الوطنية، الانتماء، تقدير الجمال.

8-9. الاختبارات التحصيلية: ويشترط عند إعدادها مراعاة أن تقيس مخرجات التعلم في سياق تكاملي، وأن تكون مميزة بين مستويات الكفاءة، ومتدرجة في الصعوبة (لكحل لخضر، 2009، ص 140).

8-10. البطاقات المدرسية: وهي سجلات تحتوي على معلومات عن المسار الدراسي والوضع الصحي والاجتماعي للمتعلم، تُستغل لأغراض التشخيص والعلاج.

آراء المعلمين: كون العلاقة المباشرة بين المعلم والمتعلم تمنح المعلم رؤية قد تكون مكملة أو مختلفة عن نتائج الأدوات الأخرى.

9- التحديات العملية والمعرفية والتنظيمية

يعاني المعلمون من تحديات متعددة عند محاولة تطبيق تقويم قائم على الكفاءات في بيئات تعليمية لا تزال تهيمن عليها فلسفة الأهداف التقليدية. يمكن تصنيف هذه التحديات كما يلي:

9-1. التحديات النفسية والمعرفية:

مقاومة التغيير: يظهر العديد من المعلمين مقاومة للتحول من التقويم التقليدي إلى التقويم بالكفاءات بسبب الخوف من الجديد أو عدم الثقة في فعالية الأساليب الحديثة (لكحل لخضر، 2009، ص 137)

الافتقار إلى الفهم العميق: يجهل بعض المعلمين الأسس الفلسفية والتربوية للكفاءات، مما يؤدي إلى تطبيق سطحي أو خاطئ (خير الدين هي، 2005، ص 95).

9-2. التحديات التنظيمية والإدارية:

عدم كفاية التدريب: تفتقر العديد من المؤسسات التربوية إلى برامج تدريبية مكثفة ومستمرة لإعداد المعلمين للتعامل مع أدوات التقويم الحديثة (نجوى عبد الرحيم شاهين، 2006، ص 220).

ضغط الوقت: يتطلب تقويم الكفاءات وقتاً أطول للملاحظة والتقييم المستمر مقارنة بالاختبارات التقليدية، مما يشكل عبئاً على المعلمين في ظل الجداول الزمنية المكثفة (المطانيوس نايف مخائيل، 2016، ص 205).

9-3. التحديات التقنية واللوجستية:

نقص الأدوات والموارد: تعاني المدارس من نقص في الأدوات المساعدة مثل بطاقات الملاحظة المعيارية، وأنظمة التغذية الراجعة الإلكترونية، والأدلة الإرشادية (جبرائيل بشارة وأسما الياس، 2013، ص 500).

صعوبة تصميم وضعيات التقويم: يجد المعلمون صعوبة في تصميم "وضعيات-مشكلة" حقيقية تقيس الكفاءات بشكل متكامل وموثوق (لكحل لخضر، 2009، ص 142).

9-4. التحديات الثقافية والمجتمعية:

توقعات أولياء الأمور: يفضل الكثير من أولياء الأمور النظام التقليدي القائم على الدرجات الواضحة، مما يضع ضغوطاً على المعلمين للنكوص عن أساليب التقويم الحديثة (نداء الياسري وآخرون، 2016، ص 180).

10. الاستنتاجات

1. التحول الجوهري في الفلسفة: هناك تحول أساسي في فلسفة التقويم التربوي من التركيز على قياس المعرفة المجزأة وتحقيق أهداف محددة، إلى تقييم قدرة المتعلم على توظيف موارده (معارف،

مهـارات، مواقـف) بشـكل منـدمج لحـل مشـكلات في وضـعيات مركبـة، وهـو مـا يمثـل جـوهر مقاربة الكفاءات.

2. التقـويم البنـائي كحجـر الزاويـة: يُعـد التقـويم البنـائي (التكـويني) الركيـزة الأساسـية والعمـود الفقـري للتقـويم الفعـال في ظـل مقاربـة الكفـاءات. تـبرز أهميتـه في كونـه عمليـة مسـتمرة ترافـق الـتعلم وتهـدف إلى تحسـينه وتفريـده مـن خـلال التغذيـة الراجعـة الفوريـة، ولـيس مجـرد إصـدار أحكـام نهائية.

3. تنـوع وتكامـل أدوات التقـويم: يتطلـب التقـويم وفـق مقاربـة الكفـاءات الانتقـال مـن الاعتمـاد شـبه الكلـي علـى الاختبـارات المقاليـة والموضـوعية التقليديـة، إلى اعتمـاد مجموعـة متنوعـة ومتكاملـة مـن الأدوات كملاحظـة الأداء، وتحليـل المشـاريع، واختبـارات الوضـعيات، والمقـابلات، والـتي تقيس الجانب التطبيقي والأدائي للكفاءة

4. التحـدي التطبيقـي والمعـرفي: علـى الـرغم مـن أن المقاربـة بالكفـاءات مطبقـة رسميًـا في كثـير مـن الأنظمـة التربويـة، إلا أن هنـاك فجـوة في الفهـم والممارسـة؛ حيـث يجهـل العديـد مـن المعلمـين والقـائمين علـى العمليـة التربويـة كيفيـة التخطـيط والتنفيـذ الفعّـال لهـذا النـوع مـن التقـويم واختيـار أساليبه المناسبة.

5. الارتبـاط الوثيـق بالأهـداف: لا تعـني المقاربـة بالكفـاءات إلغـاء الأهـداف، بـل هـي تطـوير وامتـداد لهـا. حيـث تصـبح الأهـداف لبنـات تُـدمج داخـل الكفـاءات الأوسـع، ممـا يعـني أن التقـويم الفعـال للكفـاءات يتضـمن بالضـرورة التحقـق مـن تحقيـق الأهـداف الإجرائيـة ولكـن في سـياق تطبيقي موحد.

10- توصيات البحث (بناءً على الاستنتاجات):

1. . تطـوير الـبرامج التدريبيـة: ضـرورة تصـميم وتنفيـذ بـرامج تكوينيـة مسـتمرة ومكثفـة للمعلمـين والمشـرفين التربـويين، تركـز علـى كيفيـة تحويـل الأهـداف التعليميـة إلى مؤشـرات كفـاءة، وكيفيـة تصـميم وتطبيـق أدوات تقـويم مناسـبة مثـل بطاقـات الملاحظـة، ووضـعيات التقـويم المركبـة، وتحليـل ملفات الأعمال (Portfolios).

2. إنتاج أدلة وأطر مرجعية عملية: تطوير أدلة إرشادية عملية و"أطر وطنية للتقويم" توضح بالتفصيل خطوات وآليات تنفيذ التقويم البنائي والختامي في ظل مقاربة الكفاءات، مع تقديم أمثلة ونماذج تطبيقية من مختلف المواد الدراسية.
3. تعزيز ثقافة التقويم من أجل التعلم: العمل على تحويل ثقافة التقويم السائدة من "التقويم من أجل التصنيف والانتقال" إلى "التقويم من أجل التعلم". وذلك بتشجيع المعلمين على استخدام نتائج التقويم البنائي بشكل منهجي لتعديل تدريسهم وتقديم الدعم الفردي للمتعلمين.
4. تطوير بنوك لوضعيات التقويم: تشجيع فرق البحث التربوي والمؤسسات التعليمية على إنشاء بنوك وطنية أو محلية لوضعيات التقويم المرتبطة بالكفاءات الأساسية في كل مادة. هذه البنوك تسهل على المعلم مهمة اختيار أو تصميم وضعيات تقويم ذات مصداقية وثبات.
5. إعادة النظر في أنظمة التقدير والإشهاد: دراسة إمكانية تطوير أنظمة تقدير تعكس مستوى إتقان الكفاءة (على سبيل المثال: مبتدئ، متوسط، متقن) بدلاً من الاكتفاء بالدرجات الرقمية المجردة. كما تتطلب مقاربة الكفاءات التفكير في آليات إشهاد (الشهادات) تثبت امتلاك المتعلم لكفاءات معينة.
6. تشجيع البحث والتجريب: حث الباحثين على إجراء دراسات تطبيقية وميدانية لقياس فاعلية أساليب التقويم الجديدة المطبقة في مقاربة الكفاءات، وتحديد العقبات التي تواجه المدرسين، ونشر أفضل الممارسات الناجحة لتكون نبراسًا للميدان التربوي.
7. توعية المجتمع التربوي: تنظيم حملات توعية تستهدف أولياء الأمور والطلاب أنفسهم لشرح فلسفة وأهداف وآليات التقويم الجديد، وذلك لخلق شراكة حقيقية ودعم مجتمعي لفكرة أن التقويم هو أداة للتحسين وليس للعقاب أو الاستبعاد

12. قائمة المراجع:

1. امطانيوس نايف مخائيل ، 2016 ، أساسيات القياس و التقويم في التربية و علم النفس ، الطبعة الأولى دار الاعصار العلمي للنشر و التوزيع، عمان – الأردن .
2. جبرائيل بشارة ، أسما الياس ، 2013 ، المناهج التربوية ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا .
3. لكحل لخضر ، 2009 ، التقويم في المقاربة بالكفاءات ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر (جامعة أبو القاسم سعد الله) ، بوزريعة ، العدد 11.
4. محسن علي عطية ، 2015 ، الجودة الشاملة و المنهج ، الطبعة الأولى ، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان – الأردن.
5. نجوى عبد الرحيم شاهين ، 2006 ، أساسيات و تطبيقات في علم المناهج ، الطبعة الأولى ، دار القاهرة، مصر.
6. نداء محمد باقر الياسري ، زينب فالح الشاري ، محمد حميد المسعودي ، ناجي مصطفى خير الله ، 2016 ، المناهج ، و أسسها و نظرياتها و مكوناتها و خطط تدريسها ، الطبعة الأولى ، الدار المنهجية للنشر و التوزيع، عمان – الأردن .
7. نظام التقويم بين بيداغوجيا لأهداف و الكفايات في مجال قطاع التعليم المدرسي ، http :bohoutmaderassia.blokspot.com
8. خير الدين هني ، 2005 ، مقاربة التدريس بالكفاءات ، الطبعة الأولى ، مطبعة مطبعة عبد القادر بن محي الدين، الجزائر .

- Foreign References

9. Beraksi Reguig, Hemche Hidayet Amina, 2013, IMAGO interculturalité et Didactique, Revue N 13 / janvier 2013, Université d'oran, Algerie.
10. Dalila TEMIM K, 2012, Evaluation et Apprentissage : Nécessité d'une cohérence, IMAGO interculturalité et Didactique, Revue N 12 / juillet 2012, Université d'oran, Algerie.

11. Ghellal Abdelkader, 2012, IMAGO interculturalité et Didactique Revue N 12, juillet 2012, Université d'oran, Algerie.
12. Norbert Sillamy, 2003, Dictionnaire de psychologie, France, BUSSIER CAMEDAN IMPRIMERIES.

Interdisciplinary Integration of Educational Sciences, Orthophony, and Artificial Intelligence in the Diagnosis and Support of Children with Learning Disorders

SAADEDINE Amina[1]
Scientific and Technical Research Centre for the Development of the Arabic Language.-Algeria
a.saadedine@crstdla.dz
LETTAD Kahina[2]
Scientific and Technical Research Centre for the Development of the Arabic Language.-Algeria
k.lettad@crstdla.dz

Abstract :

Learning difficulties fall within highly complex educational and clinical issues due to the interplay of multiple factors and the diverse psychological, cognitive, and social dimensions involved. This complexity renders single-perspective approaches insufficient to fully comprehend their nature or effectively address their requirements. Learning difficulties are not limited to low academic performance, poor school achievement, or inadequate teaching methods; they are also fundamentally linked to interrelated linguistic, cognitive, and emotional disorders, such as impairments in perception and memory, attention deficits, and auditory or visual processing problems. Their impact further extends to self-confidence, learning motivation, and social relationships within the school environment, making learning difficulties a multidimensional phenomenon that requires a deep understanding of both its internal structure and external contexts.

From this perspective, adopting a holistic approach that extends beyond the purely educational sphere to support children with learning difficulties becomes a methodological necessity. Such an approach, grounded in the integration of educational strategies and pedagogical adaptations, specialized

speech-language expertise for accurate diagnosis and treatment of linguistic disorders, and contemporary digital technologies that provide objective and flexible assessment and monitoring tools, is not merely theoretical. Rather, it constitutes a practical integration aimed not only at improving learner outcomes but also at constructing a coordinated intervention pathway that considers individual characteristics and responds to developmental needs.

This contribution underscores the centrality of a triadic integration among educational sciences, speech-language pathology, and artificial intelligence in enhancing diagnostic processes and designing intervention programs. Artificial intelligence, with its capabilities for data analysis and pattern recognition, can serve as a supportive tool for educational and clinical decision-making by providing precise indicators that help specialists design detailed interventions based on real-time performance data. It also allows for the consideration of individual characteristics and learner-specific differences, thereby contributing to more equitable, effective, and sustainable learning outcomes.

Keywords: Educational Sciences; Orthophony; Artificial Intelligence; Learning Disorders.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التكامل بين العلوم التربوية والأرطوفونيا والذكاء الاصطناعي في تشخيص ومرافقة ذوي صعوبات التعلّم

د. أمينة سعد الدين[1]
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
a.saadedine@crstdla.dz
د. كهينة لطاد [2]
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
k.lettad@crstdla.dz

ملخص:

تندرج صعوبات التعلّم ضمن القضايا التربوية والعيادية بالغة التعقيد، نظرا لتشابك عواملها وتعدّد أبعادها النفسية والمعرفية والاجتماعية، وهو ما يجعل المقاربات الأحادية قاصرة عن الإحاطة بحقيقتها أو الاستجابة الفعّالة لمتطلباتها، فهي لا تقتصر على تدنّي الأداء الأكاديمي أو ضعف التحصيل المدرسي، ولا عدم ملاءمة الأساليب و الطرائق التعليمية، بل ترتبط في في الأساس أيضا باضطرابات لغوية ومعرفية وانفعالية متداخلة، مثل الإدراك والذاكرة، واضطرابات الانتباه، ومشكلات المعالجة السمعية أو البصرية، كما أن تأثيرها يمتد ليشمل الثقة بالنفس، والدافعية للتعلّم، والعلاقات الاجتماعية داخل الوسط المدرسي، مما يجعلها ظاهرة متعددة الأبعاد تتطلب فهما عميقا لبنيتها الداخلية وسياقاتها الخارجية.

ومن هذا المنطلق، يصبح اعتماد رؤية شمولية و تجاوز المجال التربوي لمساعدة أطفال الذين يعانون من صعوبات ضرورة منهجية ، فالرؤية التي تتأسس على التكامل بين الحقل التربوي بما يوفره من استراتيجيات تعليمية وتكييفات بيداغوجية، والخبرة الأرطوفونية المتخصصة التي تعنى بتشخيص الاضطرابات اللغوية ومعالجتها وفق أسس علمية دقيقة، إضافة إلى التقنيات الرقمية المعاصرة التي تتيح أدوات قياس ومتابعة أكثر موضوعية ومرونة ليست مجرد خيار نظري، بل تكامل إجرائي لا يهدف فقط إلى تحسين نتائج المتعلم، بل إلى بناء مسار تدخلي متناسق يراعي خصوصيته الفردية ويستجيب لاحتياجاته النمائية.

وتأتي هذه المداخلة لتؤكد مركزية التكامل الثلاثي بين علوم التربية، والأرطوفونيا، والذكاء الاصطناعي في تجويد مسارات التشخيص وبناء برامج التدخل العلاجي. فالذكاء الاصطناعي، بما يوفره من إمكانات تحليل البيانات ورصد الأنماط، يمكن أن يشكل أداة داعمة لاتخاذ القرار العيادي والتربوي، من خلال تقديم مؤشرات دقيقة تساعد المختصين على تصميم تدخلات مفصلة مبنية على معطيات حقيقية مستخرجة من أداء الطفل الآني، كما تمكن من استحضار الخصائص الفردية والفروق النوعية لكل متعلم، وتسهم في تحقيق تعلم أكثر إنصافا وفعالية واستدامة.

الكلمات المفتاحية: العلوم التربوية، الأرطوفونيا، الذكاء الاصطناعي، صعوبات التعلّم.

مقدمة:

تندرج المقاربة التكاملية والذكاء الاصطناعي في التصدي لعسر القراءة ضمن رؤية حديثة تسعى إلى فهم صعوبات التعلّم بوصفها ظاهرة معقّدة متعددة الأبعاد، فهذه الصعوبات، وفي مقدمتها عسر القراءة (الديسلكسيا)، لا يمكن تفسيرها بعامل منفرد، إذ تتشكل نتيجة تفاعل متشابك بين عوامل معرفية ولغوية وعصبية وبيئية، وهي ترتبط باضطرابات في المعالجة الفونولوجية، وضعف في الذاكرة العاملة، وصعوبات في الانتباه، إضافة إلى بطء سرعة المعالجة الذهنية، مما يجعل تشخيصها والتدخل فيها مسارا دقيقا يتطلّب فهما عميقا لطبيعتها المركبة.

وتتّخذ هذه الإشكالية في السياق العربي أبعادا أكثر تعقيدا بفعل خصوصية اللغة العربية، بما تتسّم به من ازدواجية لغوية وبنية صرفية قائمة على نظام الجذر والوزن، كما أن الانتقال من النصوص المشكولة ذات الشفافية الصوتية إلى النصوص غير المشكولة يفرض عبئا معرفيا إضافيا على المتعلمين، خاصة أولئك الذين يعانون من هشاشة في الوعي الفونولوجي، الأمر الذي يجعل عملية اكتساب القراءة أكثر حساسية للتفاوتات الفردية.

وأمام هذا الواقع، لم تعد المقاربات التقليدية القائمة على تدخلات جزئية كافية، بل برزت الحاجة إلى نموذج تكاملي متعدّد التخصصات يجمع بين العلوم التربوية، والأرطوفونيا، وتقنيات الذكاء الاصطناعي.

ويقوم هذا التوجه على بناء إطار معرفي – تربوي يدمج بين المعطيات العلمية حول وظائف الدماغ والعمليات المعرفية، وبين طرائق التدريس الحديثة موظفا الأدوات الرقمية الذكية لتحسين دقة التشخيص وفعالية التدخل. ويبرز الذكاء الاصطناعي في هذا السياق بوصفه أداة مساندة لاتخاذ القرار التربوي والعيادي من خلال تحليل البيانات التعليمية، ورصد أنماط الأداء، واقتراح استراتيجيات تدخل مخصصة تستجيب للخصائص الفردية لكل متعلم.

وانطلاقا من هذه الخلفية، تتمحور الدراسة حول تساؤل رئيس مفاده:

إلى أي مدى يمكن للمقاربة التكاملية المدعومة بالذكاء الاصطناعي أن تسهم في تحسين الأداء القرائي وتعزيز الوظائف المعرفية لدى الأطفال ذوي عسر القراءة؟ ويستدعي هذا التساؤل البحث في أثر توظيف الذكاء الاصطناعي في تنمية الوعي الفونولوجي والطلاقة والفهم القرائي، وفي كيفية إسهام تحليل البيانات التعليمية في دعم الذاكرة والانتباه وتحسين سرعة المعالجة، فضلا عن استجلاء دور التكامل بين الممارسة التربوية والتدخل الأرطفوني في ضمان تحسن الأداء القرائي.

أولا: المرتكزات النظرية والمعرفية لاكتساب القراءة في اللغة العربية

يكشف تحليل الآليات المعرفية لعملية القراءة عن نظام معقد يعتمد بشكل أساسي على نموذج المسار المزدوج، وهو الإطار الذي يفسّر كيف يفكّ الدماغ شفرات اللغة عبر مسارين متكاملين:(حدّة زدام، 2018، ص206)

1- المسار المعجمي: يسترجع القارئ من خلاله الكلمات المألوفة المخزنة في الذاكرة طويلة المدى كصور متكاملة، مما يمنح القارئ السرعة والدقة اللازمتين.

2- المسار الفونولوجي: يقوم القارئ فيه بمهمة فك التشفير الصوتي من خلال الربط بين الحروف وأصواتها، وهي عملية حيوية لقراءة الكلمات الجديدة وغير المألوفة.

تكتسب هذه الآليات خصوصية فريدة في اللغة العربية؛ إذ يلعب التشكيل دور المحفز الحيوي للمسار الفونولوجي، موفرا مادة صوتية كاملة للمبتدئين، بينما يميل القراء المتقدمون نحو المسار المعجمي مدعومين بالقدرات الصرفية والسياقية لتعويض غياب الحركات.

ويتجسد الاضطراب في هذه المسارات عبر أنماط محددة من عسر القراءة؛ فالمتعلم الذي يعاني من عسر القراءة الفونولوجي يواجه تعثرا واضحا في الربط بين الحرف وصوته وفي تهجئة الكلمات الجديدة، بينما يتسبب الخلل في المسار المعجمي فيما يعرف بعسر القراءة السطحي، حيث يفقد القارئ القدرة على التعرّف البصري السريع، ممّا يجعل قراءته بطيئة ومجهدة حتى للكلمات الشائعة، أمّا عسر القراءة العميق، فيرتبط بقصور في المسار الدلالي، حيث يفشل المتعلم في استخراج المعنى وربطه بالسياق نتيجة غياب التكامل الوظيفي بين العمليتين البصرية والصوتية(انظر،الناطور ميادة محمد، 2021، ص224،225).

إنّ أي ضعف في الإدراك البصري (هيندة بوحدي، 2024، ص360) أو في آليات التشفير الصوتي (انظرGuemari وآخرون، 2023، ص86،87) ينعكس مباشرة على كفاءة القارئ، فالقصور في المسار الأول يحوّل الكلمات المألوفة إلى تحديات مستمرة، بينما يحدّ القصور في المسار الثاني من قدرة الفرد على التوسّع في مفرداته واستيعاب النصوص غير المقروءة سابقا، ممّا يستوجب تدخلا علاجيا يستهدف المسار المتضرر تحديدا لضمان استعادة التوازن في عملية المعالجة الذهنية، وهو التدخل الذي نروم توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي لتفعيله أكثر من الطرق التقليدية.

ثانيا: برنامج الدعم التعليمي: هيكلة التدخل القائم على الوظائف المعرفية

تتوقف فعالية برامج التدخل التعليمي والعلاجي الموجّهة لذوي عسر القراءة على تبنّي رؤية شمولية تدمج الأبعاد المعرفية واللغوية والحسية للمتعلم في إطار متكامل، وينطلق هذا التصور من ضرورة الاعتماد على استراتيجية الحواس المتعددة (الأخضر عبير، 2024، ص44) التي توظّف المثيرات البصرية والسمعية والحركية، ما يضمن تنشيط قنوات المعالجة الذهنية وتعزيز التكامل الوظيفي بينها أثناء عملية التعلم.

ويتطلب هذا المسار العلاجي تصميم إجراءات تربوية وأرطوفونية متخصصة تعيد تنظيم المحتوى التعليمي ليصبح أكثر وظيفية وملاءمة لخصوصية عسيري القراءة. وهو ما يحقق عبر اعتماد مبدأ التدرج المعرفي من البسيط إلى المركب، وتوظيف تقنيات التكرار المنظّم والتدعيم المرحلي، وهي أدوات جوهرية لتثبيت المكتسبات، وترسيخ الفهم، ورفع كفاءة المعالجة اللغوية والمعرفية لدى الأطفال الذين يواجهون صعوبات في التعلم.

تجسيدا لهذه المبادئ العلمية، قمنا في إطار مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بتطوير مشروع بحث يهدف إلى بناء برنامج تدخل علاجي متكامل (انظر أمينة سعد الدين وآخرون، 2025)، يركّز على التطبيق العملي للاستراتيجيات الحسية والمعرفية، بما يمكّن ذوي عسر القراءة من تجاوز عقباتهم القرائية وتحسين أدائهم الأكاديمي بشكل ملموس ومستدام، وفيما يلي عرض لأهم مكونات هذا البرنامج التعليمي العلاجي وشرحها:

1 التعرف البصري على الحروف

تركّز عملية اكتساب الأبجدية لدى الأطفال ذوي عسر القراءة على التعرف البصري باعتباره البوابة الأولى والأساسيّة للتعلم، ونظرا للتحديات البصرية المعقدة التي تفرضها الحروف العربية، نتيجة تعدّد أشكالها الرسومية وتغيّر هيئتها حسب موقعها في الكلمة، يركز التدخل العلاجي في هذا المستوى على بناء التثبيت البصري للحرف، ويتّم ذلك من خلال استراتيجية تهدف إلى خفض الحمل الإدراكي وتقليل الضجيج البصري، مع تعزيز الذاكرة البصرية عبر أنشطة داعمة ومصورة.

تعتمد الأنشطة على تقديم الحروف بشكل منفرد وواضح، باستخدام خطوط طباعية كبيرة ومبسطة وخالية من الزخارف، لتجنب الارتجاجات البصرية التي قد تشوش انتباه المتعلم. ومن أبرز النماذج التطبيقية في هذا الإطار تمارين التتبع بالنقط المتقطعة، التي تجمع بين المعالجة البصرية والنشاط الحركي الدقيق، ممّا يسهم في ترسيخ صورة الحرف داخل الذاكرة طويلة المدى.

كما يُستفاد من الألوان المتدرجة كأداة لتعزيز الانتباه الانتقائي، حيث ينبغي يتم الاستفادة من الحرف المستهدف بلون خاص داخل سياق صوري يربطه بكلمة ملموسة، وتساعد هذه التقنية على تسهيل الربط الأولي بين الرمز والمدلول، ودمج شكل الحرف باسمه وصوته، ما يمكّن المتعلم من الانتقال بسلاسة من مرحلة الحرف الخطي إلى مرحلة الحرف الصوتي، وبالتالي تعزيز الذاكرة الفونولوجية بشكل متكامل.

2 التميز البصري الدقيق بين الحروف المتشابهة

تنتقل عملية التدخل في الجزء الثاني إلى مستوى أكثر دقة، حيث تركز على التمييز بين الحروف التي تتشابه في بنيتها الأساسية وتختلف فقط في عدد النقاط أو موضعها، مثل: ب، ت، ث، ن، ي. ويُعد الخلط بين هذه الحروف من أبرز مظاهر عسر القراءة البصري في اللغة العربية، إضافة إلى الارتباك في كتابة

الحرف بصورة صحيحة تبعا لموقعه داخل الكلمة. ولتعزيز التمييز، أُرفقت الحروف بصور دالة تمثلها، بما يسهم في تثبيت شكلها وتمييزها في أوضاعها المختلفة ضمن الكلمة.

كما تم الانتقال من التركيز على طبيعة التشابه بين الحروف إلى تفعيل مهارات التحليل البصري العملي لدى المتعلم، إذ وظفنا أنشطة متنوعة قائمة على الفرز والاختيار والمقارنة الدقيقة، بحيث يُطلب من المتعلم تعقب حرف محدد داخل سياق بصري مزدحم، أو تصنيف الحروف وفق خصائصها الشكلية المشتركة، أو تحديد الموضع الصحيح للحرف داخل الكلمة في سياق كتابي، وبهذا الأسلوب يُستهدف تنشيط الانتباه البصري الانتقائي، وترسيخ الصور الذهنية للحروف المتشابهة، بما يدعم اكتساب قراءة أكثر سلاسة ويقلل من الأخطاء الكتابية الناتجة عن التشابه الشكلي.

3 التمييز السمعي والصوتي للوحدات اللغوية

يتحوّل التركيز في الجزء الثالث من معالجة الشكل الخطي للحروف إلى الاهتمام بالبنية الصوتية للكلمة، مع إيلاء عناية خاصة بالحركات والمدود، ففي اللغة العربية تُعدّ الحركات القصيرة عنصرا حاسما في تحديد المعنى، إذ إن تغيير الحركة قد يؤدي إلى تبدل الدلالة كليا، ومن هنا يظهر ما يُعرف بعسر القراءة الصوائتي بوصفه عائقا أساسيا أمام الفهم القرائي السليم، نظرا لما يسببّه من صعوبة في ضبط الأصوات وتمييزها.

وقد صُممت أنشطة هذا الجزء لتعزيز الصلة بين الرمز الكتابي (الغرافيم) والصوت المنطوق (الفونيم)، من خلال توظيف استراتيجيات تعليمية متعددة الحواس. فتستخدم إشارات وحركات جسدية ورسوم توضيحية تجسّد شكل الفم أو اتجاه الحركة المرتبط بكل حركة أو مد؛ كرفع اليد للأعلى للدلالة على الفتحة، أو تحريكها بشكل دائري لتمثيل الضمة، وغيرها من الإيماءات الداعمة، ليسهم هذا الدمج بين البصري والحركي والسمعي في تثبيت الأصوات داخل الذاكرة السمعية، ويعزّز قدرة الطفل على إدراك الفروق الزمنية بين الأصوات القصيرة والطويلة، وهي مهارة غالبا ما تعتريها صعوبات لدى المتعلمين الذين يميلون إلى حذف المدود أو إضافتها بصورة غير دقيقة أثناء القراءة أو الكتابة.

4 المعالجة الصوتية المتقدمة والوعي المقطعي

يعد الوعي الفونولوجي، ولا سيما الوعي بالمقاطع الصوتية، من أهم المؤشرات التنبؤية بنجاح المتعلم في اكتساب مهارة القراءة. وانطلاقا من هذه الأهمية، يركّز الجزء الرابع على تنمية قدرة المتعلم على إدراك البنية

الصوتية للكلمة المسموعة والتعامل معها بوعي، عبر أنشطة تقوم على التقطيع والتركيب والحذف والاستبدال، بما يعزّز تحكّمه في المكوّنات الصوتية للكلمة ويطوّر مرونته اللغوية.

وتتضمن تدريبات هذا المحور تحليل الكلمات إلى مقاطعها الصوتية وربطها بإيقاع حركي كالتصفيق أو النقر، مما يساعد الطفل على إدراك البنية الزمنية للأصوات داخل الكلمة وتنظيمها. وتشير دراسات علم النفس العصبي إلى أن هذه الأنشطة تسهم في تنمية الحساسية للفواصل الزمنية بين الأصوات، وتنشيط المناطق الدماغية المسؤولة عن المعالجة الفونولوجية في النصف الأيسر من الدماغ. كما يُدرَّب المتعلم على مهام القافية واكتشاف الكلمة المختلفة صوتيًا، بهدف تعزيز الانتباه السمعي المتسلسل والتعرّف إلى الأنماط الصوتية، وهو ما يرسّخ قواعد التهجئة السليمة ويدعم الطلاقة القرائية.

وتتمثل المهارات المستهدفة في هذا الجزء في التقطيع المقطعي القائم على التحليل البنيوي للكلمات، والتركيب الصوتي الذي يعتمد على دمج أصوات منفصلة لتكوين كلمة ذات معنى، إضافة إلى التلاعب الفونيمي الذي يتطلب مرونة معرفية، كحذف صوت أو استبداله لإنتاج كلمة جديدة، وأخيرا تمييز القافية بوصفه قدرة على التعرف إلى التشابه في النهايات الصوتية للكلمات واكتشاف الأنماط الصوتية المشتركة بينها.

ثالثا: أوجه التكامل وأهميته بين التربية والأرطوفونيا في تحسين الأداء القرائي للأطفال ذوي صعوبات التعلم وعسر القراءة

يشكّل التكامل بين التربية والأرطوفونيا عنصرا أساسيا لمرافقة الأطفال ذوي صعوبات التعلم وعسر القراءة، لأن صعوباتهم تتعدى كونها مجرد صعوبة في التعرف على الحروف والمقاطع، بل تشمل ضعف المعالجة العصبية والسمعية والبصرية، وضعف المعالجة الصوتية أيضا، وقد أثبتت الدراسات أن الوعي الصوتي، وهو مكون أساسي في الأرطوفونيا، يرتبط ارتباطا قويا بأداء القراءة وقدرة الطفل على تفكيك الكلمات وتحسين مهارات القراءة (بن الطاهر عبد الرحمان، 2016، ص. 14)، ما يعني أنّ التدخل التربوي وحده لا يعدو أن يقدّم دعما سطحيا، في حين تعالج الاستراتيجيات الأرطوفونية الأسباب الكامنة للصعوبات من خلال تعزيز المسارات العصبية وتنمية المرونة الفونولوجية، وبهذا الدمج فقط قد يصبح الطفل قادرا على التعلم المستقل والمستدام، وتقلّ مخاطر القراءة الآلية، ونضمن فهما حقيقيا للغة المكتوبة، مما يحوّل الدعم من إجراء

مؤقت إلى برنامج علاجي وظيفي متكامل، وفيما يلي شرح لكيفية ربط المسارات العلاجية الأرطفونية بالأساليب و الطرائق التعليمية الموظفة في البرنامج المشار إليه سابقا.

1- التكامل بوصفه ربطا بين الأساس المعرفي والتحصيل المدرسي

يتجلّى التكامل الأرطوفوني – التربوي في الجمع بين معالجة العمليات الذهنية الأساسية ومتطلبات الإنجاز الصفي، فالدعم التربوي يكيّف المحتوى الدراسي بما يتناسب مع قدرات الطفل، بينما تعمل الأرطوفونيا على تعزيز البنى الإدراكية الكامنة وراء التعلم، ليصبح التحسن القرائي ليس مجرد تحسين ظاهر، بل نتيجة مباشرة لتقوية الكفاءات المعرفية التي تغذيه.

2- التكامل كمعالجة للأسباب المؤدية إلى العسر القرائي لا مظاهره فقط

لا يقتصر التدخل على تدريب الطفل على التعرف إلى الحروف والكلمات، بل يهدف التكامل الأرطوفوني–التربوي إلى معالجة الاختلالات الإدراكية التي تعيق القراءة من جذورها. فالتدخل لا يقتصر على السلوك الظاهر، بل يعالج قصور المعالجة السمعية والبصرية، مما يجعل التعلم المدرسي أكثر ثباتًا وأقل اعتمادا على التكرار والجهد التعويضي.

3- التكامل عبر المنهج متعدد الحواس لتعزيز التثبيت المعرفي

يعتمد الأرطوفوني – التربوي على تفعيل الحواس بشكل متزامن داخل الموقف التعليمي؛ فالمعلومة ترى وتسمع وتمثّل حركيا في آن واحد. هذا التنسيق الحسي، الذي يشكّل جوهر العمل الأرطوفوني داخل الإطار التربوي، حيث يرسّخ التعلمات في الذاكرة العاملة ويقلّل من التشتت، ويمنح الطفل تمثيلا ذهنيا متكاملا يجمع بين الصورة والصوت والحركة، ممّا يصعّب نسيانه أو الخلط بين عناصره.

4- التكامل كإعادة تنظيم للوظيفة اللغوية عصبيا

تمثل تمارين الوعي الفونولوجي قمة هذا التكامل، إذ تعيد تدريب الدماغ على معالجة اللغة من خلال أنشطة مثل الحذف والاستبدال والتوليف الصوتي. هذا التدخل لا يحسّن النطق والكتابة فحسب، بل يعيد تنظيم الشبكات العصبية المسؤولة عن اللغة، ويحوّل البرنامج من مجرد دعم مدرسي إلى برنامج علاجي وظيفي يعزز الأداء اللغوي بشكل مستدام.

5- التكامل باعتباره انتقالا من فك الشفرة إلى بناء المعنى

هذا التكامل يحمي الطفل من الوقوع في القراءة الآلية، ويحوّله إلى قارئ قادر على استيعاب المحتوى وفهمه، بحيث يتكامل الأداء التقني مع العمق الدلالي في عملية واحدة.

6- التكامل لبناء الاستقلالية واستراتيجيات التعويض الذاتي

الغاية النهائية للتكامل التربوي – الأرطفوني هي تمكين الطفل من أدوات يضبط بها أداءه بنفسه، فالمزج بين التحليل البنيوي والتمييز السمعي والبصري يمكّن الطفل من مراقبة أدائه وتصحيح أخطائه ذاتيا، ويحوّله من متلق سلبي إلى متعلم مستقل يمتلك أدواته في تنظيم التعلم، مما يضمن استمرار نجاحه الأكاديمي بعد انتهاء فترة التدخل المباشر.

رابعا: محدودية البرامج التقليدية وإمكانات تعزيزها من خلال دمج تقنيات الذكاء الاصطناعي

بناء على ما سبق، و رغم أهمية التكامل بين التربية والأرطوفونيا في تصميم البرنامج، إلا انّنا لم نكتف بذلك لأنّنا لاحظنا أن البرامج التقليدية على الرغم من فعاليتها في تقديم الدعم القرائي للأطفال ذوي صعوبات التعلم وعسر القراءة إلى أنّ ذلك يبقى جزئيا ومحدودا إذا ما نظرنا إلى الميزات التي يمكن أن يضفيها الذكاء الاصطناعي، فالنسخة الورقية من البرنامج تركز أساسا على التعليم والمعالجة بشكل عام وتظل محدودة في قدرتها على تلبية الاحتياجات الفردية لكل طفل لأنها لا تسمح بتعديل التدخل وفق مستوى كل متعلم أو طبيعة الصعوبات التي يواجهها، مما يحدّ من إمكانية تعظيم الفائدة وتثبيت المكتسبات بشكل دائم، بينما تشير أحدث الدراسات إلى أنّ إدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي و تطبيقه في هذا المجال يضفي ميزات أدقّ على هذه النوعية من التدخلات التعليمية و العلاجية (انظر الحناوي، 2024، ص. 10).

لذلك، رأينا ضرورة توسيع أفق التكامل عبر دمج التقنيات الحديثة، وخصوصا الذكاء الاصطناعي، بهدف تعزيز البرنامج وإضفاء بعد جديد من الفعالية والديناميكية، فالنسخة التفاعلية الرقمية لا تقتصر على التعليم فقط، بل تتيح وظائف تشخيصية متقدمة لأنها ستكون قادرة على جمع وتحليل بيانات كمية وإحصائية حول أداء كل طفل، استنادا إلى الأخطاء التي يرتكبها في القراءة أو الكتابة، وعلى استنتاج مستوى الصعوبات الفردية، وحتى على اقتراح تدريبات مصممة خصيصا لمعالجة نوعية الأخطاء المرتكبة، فيتحوّل البرنامج بذلك من محتوى ثابت إلى محتوى موجّه في كل مرة حسب خصوصية تعلم كل طفل.

وعلى أرض الواقع، نعمل حاليا على إنتاج النسخة الرقمية الأولى للبرنامج، والتي صدرت بالفعل بشكل أولي، ونعكف الآن على تجريبها وتعديلها وبرمجتها لتصبح أكثر تفاعلية وتخصيصا، مع توظيف قدرات الذكاء الاصطناعي لتقديم دعم تشخيصي دقيق، واقتراح أنشطة مصممة لكل طفل وفق طبيعة الأخطاء التي يرتكبها، مما يجعل النسخة الرقمية أداة ديناميكية متقدمة تفوق حدود النسخة الورقية التقليدية، وتضمن تكاملا فعّالا بين التعليم، الدعم الفردي، والتدخل العلاجي.

خاتمة:

تتجاوز القيمة المضافة لبرنامجنا مجرد المزاوجة المنهجية بين التربية والأرطوفوني، لتتجلى في قدرته الجوهرية على تجاوز القوالب التعليمية الجامدة والانتقال إلى نموذج التخصيص الفائق الموجه لمعالجة صعوبات التعلم وعسر القراءة، لقد أكدّت التجربة الميدانية أن المرونة التشخيصية تمثل العامل الحاسم للنجاح، ومن هنا جاءت خطوة الانتقال الاستراتيجي نحو الرقمنة المدعومة بتقنيات الذكاء الاصطناعي، لتحويل البرنامج من أداة دعم تقليدية إلى نظام متكامل قادر على رصد الفروق الفردية الدقيقة وتحليلها إحصائيا بدقة غير مسبوقة.

إنّ دمج الذكاء الاصطناعي في صميم العملية لا يهدف إلى استبدال العنصر البشري، بل إلى تعزيزه ودعمه، فالنسخة التفاعلية الرقمية التي نعمل على تطويرها تتيح استخلاص بيانات كمية ونوعية حول أنماط استجابة كل طفل، وتحديد الفجوات الإدراكية التي قد تغيب عن الملاحظة التقليدية، كما يمكن تصميم تدريبات مخصصة وخوارزمية تستجيب مباشرة للأخطاء الفردية، بما يحوّل البيانات الرقمية إلى قرارات تربوية وعلاجية لحظية تعزز استقلالية المتعلم وتسهم في تسريع استيعابه للمهارات.

وعليه، تمثل المرحلة الحالية المتمثلة في برمجة النسخة الرقمية الأولى وتطوير قدراتها التشخيصية نقلة نوعية في مجال التعليم العلاجي، فالبرنامج لا يقدّم مجرد منصة تعليمية، بل بيئة محفزة متعددة الحواس، تجمع بين المحاكاة الصوتية والأنشطة التفاعلية الذكية، ما يضمن استدامة الأثر المعرفي وترسيخ المكتسبات اللغوية.

إنّ هذا التكامل بين الأسس التربوية، استراتيجيات الأرطوفونيا، وقدرات التحليل الذكي، يؤسس لنظام تعليمي مستدام يضمن لكل متعلم حقه في دعم مخصص يتلاءم تماما مع طبيعة تحدياته الفردية، ويعزز فرصه في تحقيق أقصى إمكاناته.

قائمة المراجع:

- الأخضر عبير مروان ،2024، فاعلية استخدام استراتيجية الحواس المتعددة في معالجة صعوبات القراءة والكتابة لدى طالبات غرفة المصادر (دراسة حالة). مجلة رابطة التربويين الفلسطينيين للآداب والدراسات التربوية والنفسية، 4(11)، 31- 49.
- بن الطاهر عبد الرحمن، (2016). الوعي الصوتي لدى ذوي صعوبات التعلم: دراسة مقارنة في مجال صعوبات التعلم والقراءة، المجلة الوطنية للطفولة والتربية، ص. 30-9.
- بوحدي هيندة، 2024، دراسة الإدراك البصري وعلاقته بصعوبات القراءة لدى تلاميذ الطور الثاني ابتدائي. مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، 9(1)، 353–368.
- الحناوي، سارة مصطفى محمد، 2024، الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في مجال اضطرابات اللغة والتواصل (دراسة نظرية). مجلة العلوم التربوية واللغوية، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية. ص. 82-109.
- الناطور، ميادة محمد، والمشايخ، فاتن، 2021، بناء مقياس للتمييز بين نوعي الديسلكسيا السطحية والعميقة في ظل أنموذج المسار الثنائي للقراءة والكشف عن فاعليته في البيئة الأردنية. دراسات: العلوم التربوية، 48(4)، 221–243.
- زدام حدة ،2018. تشخيص عسر القراءة في المدرسة الجزائرية. مجلة اللسانيات، 24(1)، 201–231.
- Amina Saadedine, Kahina Lettad, Said Fahem, Sawsen Maafa. (2025). Educational support program directed at children with dyslexia: "The key to overcoming learning difficulties in reading". Pegem Journal of Education and Instruction, 15(4)492 ،–514.
- Guemari, M, Amiar, S, & Layes, S. (2023). Phonological processing predicts word reading in Arabic: A cross-sectional study. Journal of Psychological and Educational Sciences, 9(3), 85–94.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Narrative and Meaning in Education: A Critical Reading of Jerome Bruner's Narrative Learning.

BENANI FAISSAL
Laboratory of Didactics, Linguistics, Media, and Dramaturgy, Ibn Tofail University, Morocco
Faissal.benani@uit.ac.ma

Abstract:
This study offers a critical examination of Jerome Bruner's concept of narrative learning by analyzing its conceptual and epistemological coherence and exploring the epistemological horizon opened by the distinction between the narrative and paradigmatic modes of thought in understanding knowledge and educational meaning-making. The central question asks to what extent narrative learning provides a robust explanatory and epistemological framework for understanding learning without sliding into a form of epistemic relativism that undermines its applicability in educational practice. Using an analytical-critical methodology, the study conducts a conceptual reading of Bruner's major works in dialogue with key contemporary critical studies. The findings indicate that narrative learning constitutes a rich interpretive horizon for explaining identity formation and the cultural embeddedness of learning, yet it suffers from conceptual ambiguity, limited operational clarity, and an unresolved tension between plausibility and objectivity, which positions it more as an interpretive framework guiding reflection than as a fully articulated didactic theory ready for direct classroom implementation.

Keywords: Jerome Bruner; Narrative learning; Meaning-making; Epistemic horizon; Epistemological critique.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

السرد والمعنى في التربية: قراءة نقدية في التعلم السردي عند جيروم برونر

فيصل بناني
مختبر الديداكتيك واللغات والوسائط ودراماتورجيا، جامعة ابن طفيل، المغرب
Faissal.benani@uit.ac.ma

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى فحص نقدي لمفهوم التعلم السردي عند جيروم برونر، من خلال تحليل تماسكه المفاهيمي والإبستمولوجي، واستكشاف الأفق المعرفي الذي تفتحه ثنائية النمط السردي والنمط البرهاني في فهم طبيعة المعرفة وبناء المعنى التربوي. تنطلق الإشكالية من سؤال: إلى أي حد يمتلك التعلم السردي قابلية تفسيرية وإطارا إبستمولوجيا متماسكا يسمح بفهم فعل التعلم دون الانزلاق إلى نسبية معرفية تُضعف إمكان استثماره في الحقل التربوي؟ اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي-النقدي، عبر قراءة مفاهيمية لنصوص "برونر" الأساسية ومقارنتها بدراسات نقدية حديثة. أظهرت النتائج أن التعلم السردي يوفر أفقا تأويليا ثريا في تفسير بناء الهوية ودور الثقافة في التعلم، لكنه يعاني من غموض مفهومي وحدود إجرائية وإشكال إبستمولوجي بين المعقولية والموضوعية، بما يجعله أقرب إلى إطار تأويلي موجِّه منه إلى نظرية ديداكتيكية مكتملة قابلة للتطبيق المباشر.

الكلمات المفتاحية: جيروم برونر، التعلم السردي، بناء المعنى، الأفق المعرفي، النقد الإبستمولوجي.

– مقدمة:

تأتي هذه الدراسة في سياق التحولات العميقة التي عرفها الفكر التربوي المعاصر، حيث لم يعد التعلم يُفهم باعتباره مجرد اكتساب لمعارف جاهزة بقدر ما يُنظر إليه كعملية بناء للمعنى داخل أفق ثقافي-إنساني مركّب. ضمن هذا المنعطف، برز مشروع جيروم برونر بوصفه أحد أهم الأصوات التي أعادت الاعتبار لدور السرد في فهم العقل والتعليم، منتقلاً من التركيز على «بنية المعرفة» إلى التشديد على «بناء المعنى» عبر أنماط رمزية في مقدمتها النمط السردي. غير أن هذا التحول، على أهميته، يثير أسئلة نقدية جوهرية حول مدى تماسك مفهوم التعلم السردي، وحدود قدرته على تفسير فعل التعلم في مختلف الحقول المعرفية. فهل يمكن اعتماد التصور السردي إطارا نظريا صلبا يُبنى عليه تصميم المناهج والممارسات الصفية، أم أنه يظل أفقاً تأويلياً عاماً يستوجب الكثير من الضبط والإجرائية؟ وكيف تُعاد صياغة العلاقة بين النمط السردي والنمط البرهاني في تنظيم المعرفة والحكم على صدقيتها ومعقوليتها داخل الحقل التربوي؟ ومن هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تحليلية-نقدية للتعلم السردي عند برونر، تستكشف أسسه الإبستمولوجية، وتُبيّن إمكاناته وحدوده، وتمهّد لضبط مفاهيمه إجرائياً بما يتيح استثماره في البحث والممارسة التربوية المعاصرة.

أولا: إشكالية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية تتمثل في مدى التماسك النظري والإبستمولوجي لمفهوم التعلم السردي عند جيروم برونر، واستكشاف الأفق المعرفي الذي يفتحه وحدود استثماره داخل الحقل التربوي. فعلى الرغم من الانتشار الواسع لهذا المفهوم في الأدبيات التربوية والكتابات المهتمة ببناء المعنى في التعلم، يظل وضعه النظري الدقيق وحدوده الإبستمولوجية موضع تساؤل. بناء على ذلك، تُطرح الإشكالية التالية: هل يشكّل التعلم السردي عند برونر إطارا إبستمولوجيا متماسكا وقابلا للاستثمار النظري في فهم عملية التعلم وبناء المعرفة، أم أنه يظل ضمن أفق تأويلي عام يعاني من غموض مفاهيمي وإشكالات أبستمولوجيا تحد من قيمته التفسيرية؟

وقد تم تفكيك الإشكالية المركزية إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تروم استجلاء جوانبها المختلفة، وتسهم في بناء تصور متكامل للإجابة عنها وفق منهجية علمية. نوردها في التالي:

إلى أي حد يتمتع مفهوم التعلم السردي عند جيروم برونر بتماسك مفاهيمي ونظري يسمح باعتباره إطارا إبستمولوجيا واضح المعالم في الفكر التربوي المعاصر؟

كيف يبلور برونر علاقة النمط السـردي بالنمط البرهاني في تنظيم المعرفة، وما الأفق المعرفي الذي يفتحه هذا التصور لفهم طبيعة الحقيقة والمعنى في التعلم؟

ما حدود الاستثمار النظري لمفهوم التعلم السردي عند برونر، خاصة من حيث قدرته التفسيرية على فهم عملية التعلم وبناء المعنى، وحدوده الإبستمولوجية بين النسبية والموضوعية في الحقل التربوي؟

ثانيا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

تحليل التماسك المفاهيمي والإبستمولوجي لمفهوم التعلم السردي عند جيروم برونر.

تفكيك الثنائية السردية/البرهانية وتحديد حدودها النظرية.

تقييم القيمة التفسيرية للتعلم السردي في فهم التعلم وبناء المعنى.

تحديد إمكانات وحدود الاستثمار النظري لمشروع برونر السردي في التربية.

ثالثا: أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات علمية وتربوية، أبرزها:

أهمية نظرية: فهي تسهم في تعميق النقاش حول أحد أكثر التصورات تأثيرا في الفكر التربوي المعاصر، عبر قراءة نقدية لمفهوم التعلم السـردي عند برونر، بما يسـاعد على تجاوز التلقي السـطحي أو الاحتفائي لهذا المفهوم، والانتقال إلى فحص تماسكه وحدوده.

أهمية إبسـتمولوجية: إذ تُسـهم في توضـيح موقع المعرفة السـردية داخل خرائط المعرفة التربوية، وفي مسـاءلة العلاقة بين السـرد والبرهان، وبين المعقولية والموضـوعية، بما يفتح أفقاً لتأطير الممارسـات السـردية في التعليم ضمن رؤية معرفية أكثر انضباطاً.

أهمية تطبيقية-بيداغوجية: حيث توفّر الدراسـة خلفية نقدية للمدرسـين والمعلمين ومصـممي المناهج تسـاعدهم على التمييز بين التعلم السـردي كأفق فكري عميق وبين اختزاله في مجرد "سـرد قصـص" داخل الفصول، وتلفت انتباههم إلى شروط وقيود استثماره التربوي.

رابعا: منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة المنهج التحليلي—النقدي، القائم على تحليل نصوص "برونر" الأساسية، وتفكيك مفاهيمها المركزية، ومساءلة افتراضاتها الإبستمولوجية، مع الاستئناس بالتحليل المفاهيمي والنقد الإبستمولوجي.

خامسا: المفاهيم الإجرائية

تعتمد هذه الدراسة تعريفا إجرائيا للمفاهيم الأساسية المرتبطة بموضوع الدراسة، بما ينسجم مع أهداف التحليل والنقد:

- **التعلم السردي**: هو نمط من التعلم تُبنى فيه المعرفة داخل سياقات قصصية، يتوسط فيها السرد عملية الفهم بتنظيم الأحداث والغايات والنتائج في حبكة تمنح التجربة معنى، ويتجاوز مجرد استخدام القصص كاستراتيجية تدريس ليشمل كل تعلم يقوم على تمثّل حكاية عن الذات أو العالم أو المحتوى.
- **النمط السردي في التفكير**: هو طريقة في تنظيم المعرفة تركز على الأفعال والنوايا الإنسانية، وترتب الأحداث زمنياً، وتسعى إلى المعقولية والتماسك الحكائي، وتستعمل لغة غنية بالسياق والمجاز، ويُقابل النمط البرهاني.
- **النمط البرهاني في التفكير**: هو نمط معرفي ينظّم المعارف وفق المنطق والسببية لإنتاج تعميمات وقوانين، يعتمد على المفاهيم المجردة والعلاقات الصورية ومعايير الصدق والاستدلال، ويستخدم لغة اصطلاحية دقيقة ومحايدة.

بناء المعنى: هو العمليات العقلية-الثقافية التي يحوّل بها المتعلم المعطيات الرمزية أو الخبرات إلى معنى ذي دلالة، من خلال ربط الجديد بخبراته السابقة، وإدراج المعطيات في سياقات سردية أو مفهومية، واستحضار الأطر الثقافية والقيمية في التأويل.

- **الأفق المعرفي للتعلم السردي**: هو مجموع الإمكانات التصورية والتفسيرية التي يتيحها تبنّي التعلم السردي في فهم المعرفة والحقيقة والتعلم، عبر إعادة تعريف طبيعة المعرفة، وتوضيح دور

الثقافة واللغة، وإعادة النظر في أدوار المعلم والمتعلم، مع الانتباه إلى مكاسبه ومخاطره الإبستمولوجية.

المبحث الأول: تماسك مفهوم التعلم السردي عند برونر

حين نتأمل المسار الفكري لـ"جيروم برونر"، نلاحظ انتقالاً حاسماً من التركيز على "بنية المعرفة" (structure of knowledge) في الستينيات والسبعينيات، إلى التأكيد على "بناء المعنى" (meaning-making) عبر السرد في الثمانينيات وما بعدها. هذا التحول لم يكن مجرد تعديل في المصطلحات، بل كان نقلة إبستمولوجية عميقة من النموذج الحسابي (computational model) للعقل نحو نموذج ثقافي-سردي يُعيد الاعتبار لدور الثقافة واللغة في تشكيل الذهن الإنساني. لكن السؤال الذي يُطرح هنا: هل نجح "برونر" في بناء إطار نظري متماسك لمفهوم التعلم السردي، أم أن هذا المفهوم يظل غامضاً ومفتوحاً على تأويلات متعددة تُضعف من قيمته العلمية؟

أولا: الجذور الإبستمولوجية لفكرة التعلم السردي عند برونر

يمكن تتبع الجذور الإبستمولوجية لمفهوم التعلم السردي عند "جيروم برونر" إلى اهتمامه المبكر بالبنائية الاجتماعية وتأثره الواضح بأعمال Vygotsky، حول الدور الوسائطي للثقافة واللغة في نمو الوظائف العقلية العليا. في كتابه Acts of Meaning، يُعلن "برونر" صراحة أن الثورة المعرفية قد انحرفت عن مسارها الأصلي؛ فبدلا من أن تُركز على كيفية بناء البشر للمعنى، تحولت إلى الانشغال بـ"معالجة المعلومات" (information processing) على نحو ميكانيكي (Bruner, 1990, p. 2). ويضيف أن الثورة المعرفية، في صورتها الأولى، كان هدفها فهم كيفية بناء البشر للمعاني وفهمهم للعالم من حولهم، قبل أن تنزاح نحو نموذج حسابي محض للعقل (p. 2).

في كتابه الآخر The Culture of Education، يُوضح "برونر" أن الإنسان لا يكتسب المعرفة بشكل فردي معزول، بل عبر المشاركة في الثقافة والتفاعل مع الأدوات الرمزية التي توفرها اللغة والسرد (Bruner, 1996, p. 3). يكتب "برونر": "الثقافة ليست مجرد محيط نعيش فيه، بل هي مجموعة من الأدوات نستخدمها لبناء المعنى والتواصل" (Bruner, 1996, p. 3).

هذه النقلة من النموذج الفردي إلى النموذج الثقافي-التفاعلي تُمثل حجر الأساس لفهم برونر للتعلم السردي. فالسرد، بالنسبة له، ليس مجرد أداة لغوية، بل هو "نمط من التفكير"، يختلف جذرياً عن النمط البرهاني-المنطقي.

ثانيا: تعريف التعلم السردي: بين الوضوح المفهومي والغموض الإجرائي

في كتابه Actual Minds, Possible Worlds، يُقدم "برونر" تمييزا أساسيا بين نمطين من التفكير: "النمط البرهاني" (paradigmatic mode) الذي يهتم بالبرهان المنطقي والسببية، و"النمط السردي" (narrative mode) الذي يهتم ببناء القصص وتنظيم الخبرة الإنسانية (Bruner, 1986, p. 11). يكتب Bruner أن هناك "طريقتين متمايزتين للتفكير، كل منهما يُوفر طريقة مختلفة لتنظيم الخبرة وبناء الواقع... الأولى تسعى إلى التفسير من خلال البرهان المنطقي، بينما الثانية تُنظم الخبرة عبر القصة" (p. 11).

لكن هل يُقدم "برونر" تعريفا دقيقا وواضحا للتعلم السردي بما يكفي لاعتباره مفهوما علميا محددا؟ عند تتبع استعماله للمصطلح عبر كتبه الثلاثة الأساسية (1986، 1990، 1996)، نلاحظ أن المعنى يتوسع ويتحوّل، مما يثير تساؤلات حول "الاستقرار المفهومي" لهذا المصطلح.

في بعض السياقات، يُستخدم "السرد" للإشارة إلى "أداة معرفية cognitive tool" نستخدمها لتنظيم الذاكرة وبناء الهوية الشخصية؛ وفي سياقات أخرى، يُشير إلى "بنية ثقافية cultural structure" تُشكل طريقة تفكيرنا وفهمنا للواقع؛ وفي سياقات ثالثة، يعامل كـ"استراتيجية بيداغوجية pedagogical strategy" يُمكن استخدامها في التدريس. هذا التعدد في الاستعمال يثير السؤال: هل التعلم السردي مفهوم مضبوط أم استعارة واسعة تحتمل تأويلات متعددة؟

ثالثا: عناصر التماسك النظري والاضطراب المفهومي

رغم أن "برونر" يؤكد باستمرار على أهمية السرد في بناء المعنى، إلا أن قراءة متعمقة في كتاباته تكشف عن "إشكالات إبستمولوجية" لم يتم حلّها بشكل كافٍ. من أبرزها:

الخلط بين السرد كـ"نمط من التفكيرmode of thought" والسرد كـ"أداة تعليميةinstructional tool"، ففي بعض المواضع، يُعامل برونر السرد على أنه طريقة طبيعية وفطرية

يستخدمها الإنسان لفهم تجاربه، بينما في مواضع أخرى، يُقدمه ك"استراتيجية بيداغوجية" يمكن توظيفها بشكل مقصود في التدريس. هذا الغموض يُضعف من وضوح المفهوم ويجعله عرضة لسوء الفهم والتطبيق الإشكالي.

عدم تقديم معايير واضحة للتمييز بين ما هو "سردي" وما هو "غير سردي" في عمليات التعلم. فإذا كان كل تنظيم للخبرة الإنسانية يتضمن بُعدا سرديا، فهل يعني ذلك أن كل تعلم هو بالضرورة تعلم سردي؟ وإن لم يكن كذلك، فما هي الحدود الفاصلة؟

إشكال بين الطموح النظري لبرونر في بناء نموذج شامل للتعلم السردي، وبين "غياب الأدوات المنهجية" الواضحة لدراسته وتقييمه. فبينما يُقدم "برونر" تحليلات عميقة ومُلهمة حول السرد، إلا أن الباحثين الذين يرغبون في دراسة التعلم السردي تجريبياً يجدون صعوبة كبيرة في ترجمة أفكاره إلى إجراءات بحثية قابلة للتطبيق.

تُشير دراسة Takaya إلى هذه المعضلة بقولها: "بينما يُقدم "برونر" رؤية غنية حول دور السرد في التعلم، إلا أن غياب الإطار المنهجي الواضح لدراسة هذه الظاهرة يجعل من الصعب تحويل أفكاره إلى أبحاث تجريبية" (Takaya, 2008, p. 23).

المبحث الثاني: الأفق المعرفي لعلاقة السرد بالبرهان

إن من أكثر الإسهامات إثارة للاهتمام في مشروع برونر هو تمييزه بين "النمط السردي" و"النمط البرهاني" في التفكير، وتأكيده على أن هذين النمطين "لا يُختزل أحدهما في الآخر". هذا التمييز يفتح أفقا معرفيا جديدا لفهم طبيعة المعرفة والحقيقة في التعلم، ويتحدى الهيمنة التقليدية للنموذج العلمي-البرهاني على الفكر التربوي. لكن السؤال الجوهري هنا: هل نجح برونر في تقديم معايير واضحة لحدود كل نمط؟ وهل العلاقة بينهما علاقة تكامل أم تعارض؟ وما الآثار الإبستمولوجية لهذا التمييز على فهمنا لطبيعة المعرفة التربوية؟

أولا: أنماط التفكير: السردي مقابل البرهاني

في فصله الشهير "Two Modes of Thought" من كتاب Actual Minds, Possible Worlds، يُقدم "برونر" تحليلا مُفصلا للفروق الجوهرية بين النمطين (Bruner, 1986, pp. 11–13). يكتب أن النمط البرهاني "يسعى إلى نظام رياضي ومنطقي محكم لوصف العالم وتفسيره... ينتج نظريات جيدة، برهانات قوية، إجراءات منطقية، واكتشافات تجريبية موجَّهة بالفرضيات"، في حين أن النمط السردي "يُنتج قصصاً جيدة، ودراما مؤثرة، وروايات تاريخية معقولة، ويهتم بالأفعال والنوايا الإنسانية والتحولات والعواقب التي تنتج عن تفاعل البشر" (pp. 11–13).

يُلخص "برونر" الفروق كما هو موضّح في الجدول التالي:

المعيار	النمط السردي	النمط البرهاني
الموضوع	الأفعال والنوايا الإنسانية	الحقائق والمفاهيم المجردة
الهدف	الفهم والتفسير	التفسير والبرهان
معيار النجاح	المعقولية والتماسك السردي	الصدق والبرهان المنطقي
البنية	زمنية، حبكة قصصية	منطقية، سببية
اللغة	استعارية، غنية بالسياق	دقيقة، محايدة، تقريرية

لكن ما يُثير الإشكال هو أن "برونر" لا يقدم "معايير إجرائية" واضحة يمكن من خلالها التمييز بين النمطين في الممارسة الفعلية. فكثير من العمليات المعرفية تتضمن عناصر من كلا النمطين. فهل نحن إزاء "ثنائية حادّة" أم "طيف متصل"؟

ثانيا: الطبيعة الإبستمولوجية للنمط السردي

يتبنى "برونر" موقفا بنائيا (constructivist) واضحاً فيما يخص الطبيعة الإبستمولوجية للسرد. متأثراً بـــ Nelson Goodman وفلسفته حول "صناعة العوالم" (world-making)، يرى "برونر" أن السرد ليس مجرد "تمثيل للواقع"، بل هو "بناء للواقع". يقول: "القصص لا تحدث في العالم الواقعي، بل تُبنى في عقول البشر... الحياة نفسها ليست شيئاً معطى بشكل مباشر، بل هي إنجاز سردي" (Bruner, 1987, p. 692).

هذا الموقف يفتح أفقا معرفيا مهما: فالسرد، وفق برونر، يُتيح لنا بناء "عوالم ممكنة possible worlds"، تتجاوز ما هو معطى فعليا. حين نحكي قصة، فإننا لا نصف الواقع فحسب، بل نخلق واقعا بديلا، نستكشف إمكانيات جديدة، نعيد تأويل الماضي، ونُشكل تصوراتنا عن المستقبل .

في The Culture of Education، يطور "برونر" هذه الفكرة ليُطبقها على الهوية الشخصية والذات. يقول: "نحن لا نمتلك "حياة" بالمعنى المباشر؛ ما نمتلكه هو سرديات عن حياتنا... نحن نصبح السرديات التي نحكيها عن أنفسنا" (Bruner, 1996, p. 36).

هذا التصور يمثل نقلة جذرية عن النموذج الواقعي-التمثيلي التقليدي في الإبستمولوجيا، ويفتح الباب أمام فهم أكثر ثراءً لكيفية بناء المتعلمين للمعنى. لكن هذا الأفق المعرفي يحمل في طياته "مخاطر إبستمولوجية" سنناقشها في المحور الثالث.

ثالثا: ثنائية النمطين: تمييز أم تعارض؟

يؤكد "برونر" في أكثر من موضع أن النمطين "لا يختزل أحدهما في الآخر"، وأن كلا منهما له "منطقه الخاص" و"معاييره الخاصة" (Bruner, 1986, p. 11). يقول: "المحاولات لاختزال أحد النمطين في الآخر أو لتجاهل أحدهما على حساب الآخر تؤدي حتماً إلى فقدان الثراء المعرفي الذي يوفره كل منهما (pp.11).

لكن، رغم هذا التأكيد، يبقى السؤال: كيف يتفاعل النمطان في الممارسة الفعلية؟ وهل يمكن الفصل بينهما بشكل حاد في السياق التربوي؟

تُشير دراسة نقدية لـ "Kang" (Kang, 2016 ,p. 77)، إلى هذه المشكلة: بينما يقدم "برونر" تمييزا نظريا واضحا بين النمطين، إلا أنه لا يقدم إرشادات كافية حول كيفية التعامل مع التداخل الحتمي بينهما في الممارسة التعليمية (pp.77).

في الواقع، كثير من المعرفة العلمية تتضمن عناصر سردية (مثل السرد التاريخي للاكتشافات العلمية، أو السياق الذي تنشأ فيه النظريات)، كما أن كثيرا من السرد يتضمن عناصر منطقية وبرهانية (مثل التماسك السببي في الحبكة). إذن، ما جدوى التمييز الحاد إن كان التطبيق العملي يتطلب دائماً تداخلاً وتفاعلاً بين النمطين؟

الأفق المعرفي الذي يفتحه "برونر" هنا مهم وملهم: فهو ينبهنا إلى ضرورة عدم اختزال كل المعرفة في النموذج العلمي-البرهاني، ويدعونا إلى الاعتراف بشرعية وأهمية المعرفة السردية. لكن "حدود هذا الأفق" تظهر حين نُحاول ترجمته إلى مبادئ تربوية واضحة ومُحددة.

بناءً على ذلك، لا ينبغي فهم الثنائية بين النمط السردي والنمط البرهاني عند "برونر" بوصفها تقابلا منطقيا صارما أو قسمة أنطولوجية حادّة بين نمطين من المعرفة، بقدر ما هي تمييز وظيفي إرشادي (heuristic distinction) يهدف إلى إبراز اختلاف منطق الاشتغال المعرفي ومعايير المعقولية داخل كل نمط. فالقيمة النظرية لهذا التمييز لا تكمن في الفصل الصارم، بل في تنبيهه التحليلي إلى تعدد أنماط الفهم، دون إنكار التداخل البنيوي والتكامل العملي بين السردي والبرهاني في التعلم.

المبحث الثالث: حدود الاستثمار النظري للتعلم السردي

بعد أن استكشفنا التماسك المفهومي للتعلم السردي، والأفق المعرفي الذي يفتحه تمييز "برونر" بين النمط السردي والبرهاني، يبقى السؤال الحاسم: ما القيمة التفسيرية الفعلية لمفهوم التعلم السردي في فهم عملية التعلم وبناء المعنى؟ وما حدوده الإبستمولوجية والتطبيقية في الحقل التربوي؟ هذا المحور يُقدم قراءة نقدية لقدرة المفهوم على تفسير التعلم، ويُناقش المخاطر الإبستمولوجية المرتبطة بتبني موقف بنائي قوي، ويُحدد مساحات الغموض التي تحدّ من إمكانية استثماره النظري بشكل منتج.

أولا: القيمة التفسيرية للتعلم السردي: إمكانات وحدود

لا شك أن مفهوم التعلم السردي عند "برونر" يقدم "قيمة تفسيرية حقيقية" في عدة مجالات:

في فهم بناء الهوية الشخصية. يُبرز "برونر" بشكل مقنع كيف أن الأفراد يبنون إحساسهم بذواتهم عبر السرديات التي يحكونها عن أنفسهم. في Acts of Meaning، يوضح "برونر" أن "الذات" ليست جوهراً ثابتاً، بل هي "بناء سردي مستمر": "ما يُميز الذات الإنسانية هو بناء نظام مفاهيمي ينظّم "سجلا" من اللقاءات الفاعلة مع العالم... إنها ذات ممكنة (possible self) تُنظم الطموح والثقة والتفاؤل" (Bruner, 1990, p. 116).

هذا الفهم مهم للغاية في السياق التربوي، لأنه يساعدنا على إدراك أن التعلم ليس مجرد "اكتساب معلومات"، بل هو "عملية بناء للذات". المتعلمون لا يتلقون المعرفة بشكل محايد، بل يدمجونها في سردياتهم الشخصية، ويعيدون تأويل تجاربهم في ضوئها.

في فهم دور الثقافة في التعلم. يبرز "برونر" أن التعلم ليس عملية فردية معزولة، بل هو "عملية ثقافية تفاعلية". السرديات التي نستخدمها لفهم العالم ليست اختراعات فردية، بل هي "أدوات ثقافية" نرثها ونعيد إنتاجها. هذا الفهم يتيح لنا تجاوز النموذج الفردي-الحاسوبي الذي هيمن على علم النفس التربوي لعقود.

لكن، رغم هذه الإمكانات، تظهر حدود القيمة التفسيرية للمفهوم في عدة نقاط:

هل يُمكن للتعلم السردي أن يُفسّر التعلم في المجالات العلمية والرياضية، التي تتطلب تفكيرا منطقيا ودقيقا؟ "برونر" نفسه يُقر بأن النمط البرهاني ضروري في هذه المجالات، لكنه لا يُقدم نموذجا واضحا لكيفية "دمج النمطين" في عملية تعليم العلوم والرياضيات.

الغموض حول كيفية تقييم جودة التعلم السردي. إذا كان معيار النجاح في النمط البرهاني هو الصدق والبرهان المنطقي، فما هو معيار النجاح في النمط السردي؟ "برونر" يتحدث عن "المعقولية plausibility" و"التماسك السردي"، لكن هذه المعايير تبقى غامضة وصعبة التطبيق في سياق التقييم التربوي.

تُشير دراسة Kang إلى هذه المشكلة بقولها: "من أبرز حدود نموذج "برونر" السردي: الغموض في معنى السرد، والموافقة على البناء الطارئ غير المخطط، وضرورة تكوين المدرسين، والموثوقية والصدقية في التقييم التربوي" (Kang, 2016, p. 79).

ثانيا: الحدود الإبستمولوجية: بين النسبية والموضوعية

تُمثل النزعة البنائية القوية عند "برونر" سلاحاً ذا حدين. فمن جهة، تُحررنا من الوهم الوضعي بوجود "حقيقة موضوعية واحدة" يجب على جميع المتعلمين الوصول إليها. لكن من جهة أخرى، تُثير خطر الانزلاق نحو "نسبية معرفية قوية"، تجعل من المستحيل الحكم على صحة أو خطأ أي سردية.

يدرك "برونر" هذا الخطر، ويُحاول تفاديه بالقول إن السرديات ليست تعسفية تماماً، بل تخضع "لمعايير ثقافية" ولـ"قيود واقعية". لكنه لا يُقدم إطاراً واضحاً لكيفية التوفيق بين الاعتراف بتعددية السرديات وبين الحاجة إلى "معايير مشتركة للحكم",

في Actual Minds, Possible Worlds، يناقش "برونر" فكرة "بناء العوالم الممكنة" (constructing possible worlds)، مُشيراً إلى أن السرد يُتيح لنا تجاوز ما هو معطى فعلياً والتفكير في البدائل (Bruner, 1986, pp. 26–51). ويطرح ضمنا سؤالا إبستمولوجيا إشكاليا: هل كل هذه العوالم السردية الممكنة متساوية في قيمتها المعرفية، أم أن بعضها أولى بالقبول من غيرها من حيث المعقولية والصدقية؟

هذا الغموض الإبستمولوجي يُضعف من قدرة المفهوم على أن يكون "أساسا نظريا قويا" للممارسة التربوية. فالمدرسون والمخططون التربويون يحتاجون إلى مبادئ واضحة لتوجيه ممارساتهم، والموقف النسبي القوي لا يُقدم لهم هذا الوضوح.

ثالثا: حدود الاستثمار في الحقل التربوي المعاصر

حين ننتقل من المستوى النظري-الإبستمولوجي إلى مستوى "الاستثمار التطبيقي"، تظهر مجموعة أخرى من الحدود:

غياب نماذج تطبيقية واضحة. بينما قدّم برونر في الستينيات نماذج واضحة نسبياً لتطبيق "بنية المعرفة" في المناهج (المنهج الحلزوني، والتعلم بالاكتشاف)، فإن كتاباته حول التعلم السردي تبقى على مستوى أكثر تجريداً ونظرية. المعلمون الذين يُريدون تطبيق مبادئ التعلم السردي في صفوفهم يجدون صعوبة في ترجمة الأفكار الفلسفية إلى إجراءات عملية.

عدم اتساق مع متطلبات المساءلة والتقييم المعياري. في سياق تربوي يُهيمن عليه الاختبارات المعيارية والمساءلة القائمة على النتائج القابلة للقياس، يبدو التعلم السردي—بمعاييره الغامضة ونتائجه الصعبة القياس–غير قابل للتطبيق في المؤسسات التعليمية السائدة.

تُشير دراسة Gudmundsdottir إلى أن "المعرفة التربوية السردية للمعلمين قوية ومؤثرة، لكن الأنظمة التعليمية الرسمية لا تعترف بها ولا تُقيّمها" (Gudmundsdottir, 1991, p. 217).

المتطلبات الخاصة بإعداد المعلمين. تطبيق التعلم السردي بشكل فعّال يتطلب من المعلمين مهارات معقدة: القدرة على الاستماع لسرديات الطلاب، وفهم السياقات الثقافية، وبناء بيئة تعلم تشاركية، وتصميم مهمات تعلم ذات معنى سردي. هذه المهارات تتطلب "برامج إعداد مكثفة "وتطوير مهني مستمر، وهو ما لا تتوفر عليه معظم نظم تكوين المعلمين.

خطر التطبيق السطحي. حين يتم اختزال التعلم السردي في مجرد "سرد القصص" في الفصل، دون فهم عميق للأسس الإبستمولوجية والثقافية، فإن التطبيق يُصبح سطحياً وغير مُنتج. هذا ما حذّر منه "برونر" نفسه حين قال: "السرد ليس مجرد تغليف جميل للمحتوى التعليمي، بل هو طريقة في التفكير وبناء المعنى" (Bruner, 1996, p. 39).

- **خلاصات واستنتاجات عامة:**

بعد هذه القراءة التحليلية–النقدية لمفهوم التعلم السردي عند جيروم برونر، يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية:

- التماسك المفهومي: قوة وضعف

يتمتع مفهوم التعلم السردي عند برونر بتماسك نظري عام على مستوى الرؤية الإبستمولوجية، حيث ينجح في تقديم بديل مُقنع للنموذج الحسابي–الفردي السائد. لكن هذا التماسك يضعف على المستوى الإجرائي، حيث يُعاني المفهوم من غموض في التعريف، وتعدد في الاستعمالات، وغياب معايير واضحة للتطبيق والتقييم.

- الأفق المعرفي: إمكانات وتحديات

وتبيّن أن ثنائية النمط السردي/البرهاني، رغم قيمتها التحليلية، تؤدي وظيفتها أساساً بوصفها أداة تمييز مفهومي، لا بوصفها تقابلاً معرفياً مغلقاً، الأمر الذي يستدعي التعامل معها بحذر إبستمولوجي في التنظير والممارسة التربوية.

- حدود الاستثمار النظري: قيود تطبيقية وإبستمولوجية

رغم القيمة التفسيرية الحقيقية للتعلم السردي في فهم بناء الهوية ودور الثقافة، إلا أن حدود استثماره النظري تبرز في:

أ- الغموض الإبستمولوجي حول معايير الحقيقة والمعقولية.

ب- صعوبة التطبيق في السياقات التربوية الرسمية.

ج- متطلبات الإعداد العالية للمدرسين.

د- خطر التطبيق السطحي الذي يُفرغ المفهوم من عمقه.

- الموقع الإبستمولوجي: أفق تأويلي لا نظرية علمية

في ضوء ما سبق، يُمكن القول إن التعلم السردي عند برونر يمثل أفقا تأويليا غنيا (rich interpretive horizon) أكثر منه نظرية علمية محددة المعالم (well-defined scientific theory). إنه يُقدم عدسة نقدية (critical lens) لفحص الممارسات التربوية السائدة، ومصدر إلهام (source of inspiration) لتطوير ممارسات بديلة، لكنه لا يُقدم نموذجا تطبيقيا جاهزا للاستثمار المباشر.

- **التوصيات:**

بناءً على هذا التحليل، تقد الدراسة التوصيات التالية:

- تطوير أدوات منهجية واضحة لدراسة التعلم السردي تجريبياً، بما يتجاوز التحليل الفلسفي-النظري.
- دراسة حالات تطبيقية ناجحة للتعلم السردي في سياقات تربوية متنوعة، واستخلاص مبادئ عملية منها.

- البحث في كيفية دمج النمط السردي والبرهاني في تعليم المواد المختلفة، خاصة العلوم والرياضيات.
- تجنب التطبيق السطحي للتعلم السردي (كمجرد سرد قصص)، والسعي لفهم أعمق لأسسه الإبستمولوجية.
- التفكير النقدي في كيفية إدماج التعلم السردي مع متطلبات المنهج الرسمي والتقييم المعياري.
- الاستثمار في برامج تكوين المدرسين، التي تُطور الكفايات اللازمة لتطبيق التعلم السردي.
- تشجيع التنوع المنهجي الذي يعترف بشرعية كل من النمط السردي والبرهاني في التعلم.

- **خاتمة:**

أظهرت الدراسة أن التعلم السردي عند "برونر" يمثل إضافة نوعية، لأنه ينقل التركيز من "بنية المعرفة" إلى "بناء المعنى"، ويبرز دور الثقافة واللغة والسرد في تشكيل هوية المتعلم وفهمه للعالم، لا مجرد تزويده بالمعلومات. غير أن التحليل كشف في المقابل عن غموض مفهومي وتردد بين السرد كنمط تفكير والسرد كأداة بيداغوجية، وصعوبة وضع معايير منضبطة لتمييز السردي عن البرهاني ولتقويم التعلم السردي في سياقات التعليم الرسمي. كما تبين أن ثنائية النمط السردي/البرهاني مثمرة من حيث التنبيه لتعدد أنماط العقل، لكنها تحتاج إلى مزيد من التدقيق حتى لا تتحول إلى تقابل حاد يعرقل إمكان التكامل بينهما في تعليم المعارف الدقيقة. ومن هذا المنظور، يغدو التعلم السردي إطاراً مفتوحاً للتفكير النقدي في التربية، قابلًا للحوار مع نظريات التعلم المعاصرة التي تشتغل على المعنى، والهوية، والسياق الثقافي، بدل اعتباره نموذجا منغلقا أو بديلا أحاديا للنماذج البرهانية السائدة. وانتهت الدراسة إلى أن التعلم السردي ينبغي أن يُتعامل معه كأفق تأويلي ومرجع نقدي يُغني فهمنا للتعلم، لا كنظرية جاهزة للتطبيق المباشر، مع الدعوة إلى أبحاث لاحقة تضبط مفاهيمه إجرائيا وتبحث عن صيغ تزاوج بين قوة السرد وصرامة البرهان.

- قائمة المصادر والمراجع:

1. Bruner, Jerome S. Actual Minds, Possible Worlds. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1st ed., 1986.
2. Bruner, Jerome S. Acts of Meaning. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1st ed., 1990.
3. Bruner, Jerome S. The Culture of Education. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1st ed., 1996.
4. Bruner, Jerome S. "Life as Narrative." Social Research, vol. 54, no. 1, Spring 1987, pp. 11-32.
5. Bruner, Jerome S. On Knowing: Essays for the Left Hand. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2nd ed., 1979.
6. Bruner, Jerome S. The Process of Education. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1977 (first published 1960).
7. Kang, Hyeon-Suk. "Theoretical Possibility and Critical Review of the Bruner's Narrative Curriculum." *Asia-Pacific Journal of Educational Management Research*, vol. 1, no. 1, 2016, pp. 75-80.
8. Kang, Hyeon-Suk. "Possibilities and Limitations of Bruner's Theory of Narrative Curriculum." The Journal of Curriculum Studies, vol. 34, no. 4, 2016, pp. 23-48.
9. Takaya, Keiichi. "Jerome Bruner's Theory of Education: From Early Bruner to Later Bruner." Interchange, vol. 39, no. 1, 2008, pp. 1-19.
10. Gudmundsdottir, Sigrun. "Story-maker, story-teller: Narrative structure in curriculum." Journal of Curriculum Studies, vol. 23, no. 3, 1991, pp. 207-218.

Commercial Names of Private Economic Enterprises in Algiers : Naming Strategies in the Context of Multilingualism and Multiculturalism

KESSOUR Assia
Research Center in Social and Cultural Anthropology (CRASC)
Assiakessour91@gmail.com

Abstract:

The choice of commercial names for economic enterprises constitutes one of the pivotal factors in defining their marketing and communicative identity, especially in a multilingual and multicultural urban environment such as Algiers. This paper focuses on the naming strategies adopted by private economic enterprises in Algiers within the context of linguistic and cultural plurality, drawing on the conference theme: Naming Strategies in Multilingual and Multicultural Markets. Commercial names represent a central tool for building corporate identity and communicating with the public, and they acquire particular importance in a linguistically and culturally diverse urban setting, where Arabic, Amazigh, and French intersect within the marketing landscape.

The study relies on a descriptive-analytical approach supported by a socio-onomastic framework, which combines sociological analysis with onomastic interpretation in order to understand the social and cultural backgrounds influencing the naming process. In addition, a sociolinguistic approach is employed to analyze how local languages interact within commercial names and to elucidate the symbolism of multilingualism. A random sample was selected from the corpus, consisting of commercial names of enterprises belonging to various sectors (clothing, restaurants, services, food products, pharmacies, tourism, etc.). These constitute primary data, selected with attention to geographical, linguistic, and cultural diversity, with the aim of extracting local contexts from the names and interpreting them sociologically. Using the same random sampling procedure, a nominal list of commercial enterprises was also compiled in order to conduct interviews with business owners.

The paper aims to understand the reciprocal influence between local culture and commercial naming practices, and how names embody elements of identity and regional specificity. It also seeks to identify the communicative dimensions of commercial names as messages directed at consumers, carrying both commercial and social intentions. Furthermore, it examines the significance of the presence of local space (the city, the neighborhood, the geographical landmark) in commercial names and how it is leveraged to create an affective bond with the local audience.
Keywords: Multilingualism, Cultural Diversity, Civilizational Memory, Local Culture, Marketing Discourse..

الأسماء التجارية للمؤسسات الاقتصادية الخاصة بالجزائر العاصمة:
استراتيجيات التسمية في سياق تعدد اللغات والثقافات

كسور آسيا
مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية (CRASC)
Assiakessour91@gmail.com

ملخص:

يشكل اختيار الأسماء التجارية للمؤسسات الاقتصادية أحد العوامل المحورية في تحديد هويتها التسويقية والتواصلية، خاصة في بيئة حضرية متعددة اللغات والثقافات مثل الجزائر العاصمة. تركز هذه المداخلة على استراتيجيات التسمية التي تتبناها المؤسسات الاقتصادية الخاصة في الجزائر العاصمة، ضمن سياق تعدد اللغات والثقافات، انطلاقًا من محور المؤتمر :استراتيجيات التسمية في الأسواق متعددة اللغات والثقافات .وتشكل الأسماء التجارية أداة مركزية لبناء الهوية المؤسسية والتواصل مع الجمهور، وتكتسب أهمية خاصة في بيئة حضرية متنوعة لغويًا وثقافيًا، حيث تتقاطع العربية والأمازيغية والفرنسية في المشهد التسويقي. تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي مدعومًا بمقاربة سوسيوأونوماستيكية، التي تجمع بين التحليل السوسيولوجي والتفسير الأنوماستيكي لفهم الخلفيات الاجتماعية والثقافية المؤثرة في عملية التسمية. كما تم استخدام المنهج السوسيولساني لتحليل كيفية تفاعل اللغات المحلية في الأسماء التجارية واستجلاء رمزية التعدد

اللغوي. كما اختيار عينة عشوائية من المدونة، حيث تشمل أسماء تجارية لمؤسسات تنتمي إلى قطاعات مختلفة (الملابس، المطاعم، الخدمات، المواد الغذائية، الصيدلة، السياحة...)، وهذا من البيانات الخاصة، مع مراعاة التنوع الجغرافي واللغوي والثقافي، وهذا قصد استخراج السياقات المحلية من الأسماء وتفسيرها سوسيولوجيا. وبالنفس الطريقة في اختيار العينة العشوائية يتم الحصول على قائمة اسمية للمؤسسات التجارية من أجل إجراء المقابلات مع أصحاب المؤسسات.

تهدف المداخلة إلى فهم التأثير المتبادل بين الثقافة المحلية وممارسات التسمية التجارية، وكيف تُجسد الأسماء عناصر الهوية والخصوصية الجهوية. كما تهدف إلى رصد الأبعاد التواصلية للأسماء التجارية بوصفها رسائل موجَّهة للمستهلك، تحمل مقاصد تجارية واجتماعية. ومعرفة أهمية حضور الفضاء المحلي (المدينة، الحي، المعلم الجغرافي) في الاسم التجاري، واستثماره لخلق ارتباط وجداني مع الجمهور المحلي.

الكلمات المفتاحية: التعدد اللغوي، التعدد الثقافي، الذاكرة الحضارية، الثقافة المحلية، الخطاب التسويقي.

مقدمة:

تُعدّ الأسماء التجارية للمؤسسات الاقتصادية أحد أهم المداخل الرمزية لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية واللغوية التي تعرفها المجتمعات الحضرية المعاصرة، إذ لم تعد التسمية مجرّد إجراء إداري أو اختيار اعتباطي، بل أضحت ممارسة اجتماعية واعية تحمل دلالات هوياتية، واقتصادية، وتواصلية متشابكة. وفي هذا السياق، تبرز الجزائر العاصمة بوصفها فضاءً حضريًا مركزيًا تتقاطع فيه تعددية لغوية وثقافية مركّبة، تجمع بين العربية بمستوياتها المختلفة، والأمازيغية، والفرنسية، والإنجليزية، وغيرها من الرموز اللغوية والعلامات الدلالية المستحدثة.

ضمن هذا الفضاء المتعدد، تشكّل الأسماء التجارية للمؤسسات الاقتصادية الخاصة مجالًا خصبًا لدراسة استراتيجيات التسمية، باعتبارها انعكاسًا لتفاعلات الفاعلين الاقتصاديين مع محيطهم الاجتماعي والثقافي، ومع متطلبات السوق من جهة، ومع رهانات التحديث والعولمة من جهة أخرى. فاختيار الاسم التجاري يصبح فعلًا تواصليًا محمّلًا برسائل ضمنية تتعلق بالانتماء، والتميز، والجذب، والتموقع داخل سوق تنافسية شديدة التحول.

ينطلق هذا المقال من إشكالية مركزية مفادها: إلى أي مدى تعكس الأسماء التجارية للمؤسسات الاقتصادية الخاصة في الجزائر العاصمة التفاعل بين التعدد اللغوي، الثقافة المحلية، والاستراتيجيات التسويقية، وما الرمزية الاجتماعية والثقافية الكامنة وراء هذه الأسماء؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية، من أبرزها:

- كيف توظف المؤسسات اللغات المختلفة لتحقيق أهدافها التسويقية والرمزية؟
- ما الدلالات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالأسماء التجارية؟
- كيف تتوازن الاعتبارات الاقتصادية مع الرهانات الثقافية والهوية المحلية؟

ينطلق البحث من فرضيات رئيسية منها:

- أن التعدد اللغوي والثقافي في الجزائر العاصمة ينعكس بوضوح في الأسماء التجارية.
- أن اختيار الاسم التجاري يخضع لاستراتيجيات تسويقية مدروسة تجمع بين الجاذبية الاقتصادية والرمزية الاجتماعية والثقافية.

- أن اعتماد لغات أجنبية في التسمية يعكس مزيجًا من رهانات الحداثة، العولمة، والحفاظ على الهوية المحلية.
- أن الأسماء التجارية تمثل فضاءً تفاوضيًا يعكس الصراعات والتفاعلات بين الثقافة المحلية ومتطلبات السوق.

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مدعومًا بالمقاربة السوسيو-أونوماستيكية، من خلال تحليل corpus (مدونة) مكوّنة من أسماء تجارية لمؤسسات اقتصادية خاصة تنشط في مختلف القطاعات بالجزائر العاصمة. وسيتم فحص الأسماء من منظور لغوي، دلالي، وسياقي، مع الاعتماد على المعطيات الميدانية عند الحاجة، للكشف عن ديناميات التسمية وعلاقاتها بالثقافة المحلية، باللغات المستخدمة، وبالاستراتيجيات التسويقية المتبعة.

يُعتبر الكشف عن دلالة أسماء المؤسسات الاقتصادية في الجزائر، هو في محاولة إبراز أهمية الأسماء، وفهم بعض أشكال التفسير السوسيولوجي لتلك الأسماء، من خلال معرفة الانتظامات التي تنظم المشهد الجزائري السمعي في عملية التسمية، والعناصر المهيكلة للمخيال الجزائري في تداول أسماء المؤسسات الاقتصادية بين الطبقات التاريخية المختلفة التي عاشها الفضاء الجزائري، فمن هذه العناصر "ما جاء مرتبطا بالخصائص المتعلقة بالهوية الثقافية لمن مارس فعل التسمية" (**KESSOUR, 2025, p. 364**)، وما تحمله من الثراء التسموي والتنوع اللغوي وفق التعددية اللسانية في السياق المحلي. وهذا بالنظر لما رصده فريق البحث في هذا المشروع الموسوم ب: (انعكاسات السياقات المحلية على الأسماء التجارية في القطاع الخاص بالجزائر)[1]، مجموعة من الأسماء الخاصة بالمؤسسات التجارية قانوناً في القطاع الخاص اعتمادا على مدونة، حيث يرتكز هذا البحث على مقاربة تحليلية وصفية تُعنى بدراسة الأسماء التجارية بوصفها وحدات لغوية وسيميولوجية مرتبطة بالسياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي المحلي.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لتحليل بنية الأسماء التجارية من حيث شكلها اللغوي، ومكوناتها، وطبيعة مرجعها الثقافي أو الرمزي، وتفسيرها سوسيوأنوماستيكيًا لفهم تأثير العوامل الاجتماعية

[1] - مشروع بحث المؤسسة ترأسه الباحثة كسور آسيا، في وحدة البحث رصيد التابعة لمركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية(CRASC).

(اللغة، الهوية، المنطقة، الدين، الثقافة، الجنس، وغيرها...) في عملية التسمية، من خلال ربط الظاهرة اللغوية بسياقها المحلي.

تركزت الدراسة ميدانيًا على مجموعة من المؤسسات الاقتصادية والتجارية في بعض مناطق الجزائر العاصمة، وتم الاعتماد على الأدوات التالية:

- المدونة الإسمية: وهي قاعدة البيانات لأسماء المؤسسات الاقتصادية ميدان الدراسة.
- دليل مقابلة: موجه لأصحاب المؤسسات لاستقراء سبب اختيارهم للأسماء التجارية، ولاستجلاء دوافع التسمية وخلفياتها الثقافية والاجتماعية.

كما تم اعتمدت الدراسة على قاعدة بيانات المعهد الوطني للسجل التجاري(CNRC) ، التي تضم 74,103 اسم مؤسسة مسجلة في الجزائر العاصمة. وتم اختيار عينة ممثلة مكونة من 100 اسم تجاري باستخدام أسلوب العينة العشوائية البسيطة، مع ضمان التنوع القطاعي والمجالي وتوازن البلديات، واستبعاد الأسماء غير القابلة للتحليل واستبدالها بعينات بديلة بنفس الطريقة، بما يضمن حياد العملية وتمثيل مختلف السياقات اللغوية المحلية والثقافية.

بعد السحب، خضعت الأسماء للانتقاء، حيث تم استبعاد الأسماء غير القابلة للتحليل (كالأسماء الرقمية أو المختصرة دون مرجعية دلالية)، واستبدالها بأسماء بديلة من نفس القاعدة باستخدام نفس الأسلوب العشوائي. مع التأكد من التنوع المجالي والقطاعي، ومن ثُم التحقق من توازن العينة على مستوى بلديات العاصمة والقطاعات الاقتصادية المختلفة (خدمات، تجارة، مطاعم، سياحة...)، لضمان تمثيل مختلف السياقات المحلية والثقافية التي قد تؤثر في عملية التسمية، ويسمح لتحليل سوسيوأونوماستيكي معمّق للأسماء التجارية في بيئة حضرية متعددة المستويات كالجزائر العاصمة.

كما تم الاعتماد في التحليل على:

- التحليل الأنوماستيكي للأسماء من حيث البنية، اللغة المستعملة، الرموز، الإيحاءات، والمرجعيات الثقافية.
- التحليل السوسيولوجي للمعطيات لمحاولة فهم البعد الاجتماعي والثقافي الكامن وراء اختيار الأسماء التجارية

- التحليل سوسيوثقافي يربط الاسم بسياقه حول اختيار الاسم، تمثيله محليًا، وعلاقته بالهوية أو الانتماء.
- تصنيف الأسماء حسب السياقات المحلية المؤثرة في عملية التسمية، من خلال اللغة المستخدمة (عربية، أمازيغية، فرنسية، إنجليزية، هجينة...)، وحسب المرجعية (دينية، تاريخية، طبيعية، جغرافية...).

وتأسيساً لذلك، يسمح تحليل السياق المحلية بفهم الأبعاد الرمزية والدلالية الكامنة وراء بعض الأسماء التي قد تبدو عادية أو عشوائية في ظاهرها، لكنها في الحقيقة مشبعة بدلالات ترتبط بالهوية، والانتماء، والذاكرة الجماعية، والتمثلات الدينية أو الجهوية، كما يكشف التحليل السوسيولوجي لأسماء المؤسسات عن تحولات المجتمع نفسه، إذ يمكن تتبّع تطور أنماط التسمية لرصد مظاهر التغير الاجتماعي، مثل ازدياد النزعة الاستهلاكية، أو صعود قيم الحداثة، أو بروز الهويات الفرعية في المجال العام. وهذا ما يجعل من دراسة السياق المحلي الاجتماعي أداة منهجية لفهم التفاعل الديناميكي بين اللغة والمجتمع في الفضاء التجاري والاقتصادي. وقد أظهر تحليل العينة المدروسة تنوعًا لافتًا في أنماط التسمية، يعكس بدوره تعدد السياقات المؤثرة، سواء كانت لغوية، ثقافية، مجالية، اقتصادية، أو رمزية ...، ولغرض التحليل، تم تصنيف بعض من هذه السياقات وفق محاور رئيسية تُسهّل فهم التسمية وتفسّر الدوافع الكامنة وراءها.

أولا: مفهوم الاسم التجاري ووظائفه

تظهر قيمة الاسم التجاري أكثر من خلال اعتباره حق وواجب، وهو حق التاجر، وموضوع هذا الحق أن يستأثر باستعمال الاسم التجاري لتمييز منشأته أو محله التجاري، وعليه هو يمكن القول بأن الاسم التجاري حق شبيه بالحقوق العينية، يعطي لصاحبه إمكانية الاحتجاج به قبل الكافة، والحق في الاسم التجاري من المنقولات المعنوية (المادة 78 من القانون التجاري الجزائري والتي تعتبر الاسم التجاري في الأصل التجاري، من عناصر المحل التجاري) مثل الحقوق الملكية الصناعية . وقد يكون الاسم التجاري هو العنصر الجوهري في المحل التجاري، بما أن قيمته تقاس تبعا لرقم أعمال المحل التجاري أو بمقدار ما يحققه التاجر من أرباح نتيجة استغلال المحل التجاري، ذلك أن الاسم التجاري هو العلامة المميزة للمحل التجاري ووسيلة اتصال الزبائن بالمتجر، والاسم التجاري يفرضه القانون على التاجر، وبالتالي صاحب المؤسسة مطالب قانونيا بتقديم ملف الإنشاء إلى المركز الوطني للسجل التجاري.

1. أهمية الاسم التجاري:

تنبع أهمية الاسم التجاري من أنه يميز محل التاجر عن غيره من المحلات التجارية، لذلك يمكن إستعماله كأداة دعاية وإ علان عن المتجر، وإ ذا تم تسجيله – عندئذ – تشمله الحماية القانونية، كما قد يعتبر استعمال الاسم التجاري من شخص آخر بدون وجه حق يشكل عملا من أعمال المنافسة غير المشروعة (**فوزي ، 2008، صفحة 196**)، وليس من السهل حصر الممارسات (**فوزي2008، صفحة 195**)، ومع ذلك تعتبر من أبرز صور تلك الممارسات، الأعمال التالية:

- الأعمال التي من شأنها أن تثير الالتباس بسلع مؤسسة أو خدماتها أو نشاطها الصناعي أو التجاري.
- الادعاءات الكاذبة التي من شأنها أن تحط من قدر سلع مؤسسة أو خدماتها أو نشاطها الصناعي أو التجاري.
- البيانات التي من شأنها أن تضلل الجمهور لا سيما فيما يخص طريقة صنع المنتج أو نوعية السلع او الخدمات او كميتها او خصائصها الأخرى.
- الحصول على الأسرار التجارية أو الإشهار عنها أو الإنتفاع بها بطريقة غير قانونية .
- الأعمال التي من شأنها أن تقلص من القوة المميزة لعلامة الغير أو الإستفادة عن غير حق بسمعة مؤسسة الغير أو شهرتها، بدون موافقة صاحبها .

2. وظائف الاسم في المؤسسات الاقتصادية:

يتم اختيار اسم الشركة مع الأخذ بعين الاعتبار طول عمرها، وهو اسم يرتبط عموما بلقب مؤسسيه مثل حمود بوعلام، والإخوة بخاري، غالبًا ما يكتسب اسم الشركة دوافع ثانوية بسبب سمعتها التي يشير إليها، وهذا ما يسميه "صورة العلامة التجارية" (**Jean & Bonhomme, 2012, p. 57**)، هذه السمعة تمنحها قوة الإقناع حيث تصبح الأخيرة مرادفة للجودة الجيدة وحقيقة بسيطة تتمثل في استحضار اسمها وحتى تكون كافية لإقناع المستهلك.

عندما يتعلق الأمر بالأعمال التجارية والمنتج التجاري، يجب أن يحقق الاسم مجموعة من الوظائف كالتعريف، حيث يتم استخدام الاسم للإشارة إلى شركة أو منتج وتحديده. فهو يعطي للشركة والمنتج شخصيتها الخاصة

والوظيفة الثانية هي التمييز، باعتبار أن إنشاء شركة أو منتج أو تسميتها يعني الحصول على الاهتمام. ويساعد المستهلك على التعرف عليه في سوق معين. في بعض الأحيان يصبح الاسم هو المعيار الوحيد للتمييز بين المنتجات، خاصة عندما تكون هناك أوجه تشابه بينها. ويجب أن يعطي الاسم قيمة للشركة والمنتج ويزيد من قيمته. يجب أن يسلط الضوء على جميع الخصائص، وجميع خصوصيات الشركة والمنتج لجعله فريدًا مقارنة بالشركات الأخرى والمنتجات الأخرى. ومن ثم فإن الاسم الفعال في المجال الاقتصادي سيكون له القدرة على إنتاج النتائج المتوقعة وتحقيق الأهداف التي وضعتها منذ البداية بهدف جذب المستهلكين مرارا وتكرارا. بعبارة أخرى، الاسم الفعال هو الذي يقوم بما هو ضروري وأينما كان ذلك ضروريا. ولضمان الجودة، يجب أن يكون اسم الشركة والمنتج بمثابة ضمانة للمستهلكين. ويجب أن يوفر لهم ضمانًا لجودة المنتج. لذا، عندما يصبح المنتج مرادفًا للجودة الجيدة، تزداد فرص استمراره مع مرور الوقت وجذب أكبر عدد من المستهلكين.

ثانياً: استراتيجيات التسمية في المؤسسات الاقتصادية الخاصة حسب العينة المختارة

1. تصنيف الأسماء التجارية حسب اللغة

يشكل التعدد اللساني تحدياً وفرصة في آنٍ واحد. فمن جهة، يدفع هذا التعدد بعض المؤسسات إلى اختيار أسماء ذات طابع محايد لغوياً أو تلك التي تستند إلى رموز عالمية (كلمات إنجليزية مثلاً) لتفادي الالتباس أو الإقصاء. ومن جهة أخرى، يمكن أن تستغل المؤسسات هذا التنوع اللساني لصالحها عبر تبني أسماء متعددة الوجوه والدلالات، تتوافق مع مختلف الشرائح الاجتماعية والثقافية المستهدفة. وعلى الرغم من المزايا التسويقية لهذا التوجه، إلا أن التعدد اللساني يطرح تحديات عملية وقانونية كذلك، منها صعوبة حماية الاسم من التقليد، أو الترجمة السيئة التي قد تضر بصورة المؤسسة في لغة أخرى، فضلاً عن صعوبة النطق أو الفهم عند الجمهور متعدد اللسان. لذلك، فإن المؤسسات العاملة في بيئات متعددة اللغات مطالبة باعتماد استراتيجيات لغوية دقيقة في اختيار أسمائها، تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد اللسانية والثقافية والقانونية للسياق الذي تنشط فيه. في السعي نحو تحقيق التميُز الاقتصادي، " وقد أدّى ذلك إلى مفهوم سعي الشركات إلى الحصول على قوة سوقية" (**McGee, 2014**) أمام المنافسين.

يميل المستثمر الجزائري في القطاع الخاص في خضم تطور التجارة الوطنية والدولية إلى جعل مؤسسته معروفة ومعترف بها في جميع أنحاء العالم، ولتحقيق هذا الهدف فإنه يمتلك سلاحاً رئيسياً وهو "الاسم" الذي يستطيع من خلاله التنافس وضمان الاستمرارية في السوق الوطنية والدولية، وبالتالي فإن الاسم الذي أطلقه على المؤسسة في سياقه يُصبح أكثر ضمانًا للجودة وقوة المنافسة، والمشهد اللغوي في أسماء المؤسسات الاقتصادية في الجزائر، سَمحَ لنا برؤية عدة لغات تتعايش مع بعض، حيث أن " الوضعية متعددة اللغات هي مجال تصبح فيه العلاقة بين اللغة المهيمنة واللغة المهيمن عليها علاقة غير ثابتة. فالتغيرات في السياق اللغوي الجزائري لا تضع اللغات في مواجهة ثنائية، كأن تكون بين فصيحتين (العربية الفصحى / الفرنسية)، أو بين الفصحى والعامية (العربية الفصحى / العربية الدارجة)، أو بين لغة محلية ولغة فصحى (الأمازيغية / العربية / الفرنسية)، بل تشمل جميع اللغات في آن واحد"(**Cherrad & Valéry , 2002, p. 110**) . ونشهد عودة قوية للغة الفرنسية رغم محاولات التعريب المختلفة والمتعددة، وإلى جانب اللغة الفرنسية، نلاحظ إدخال اللغة الإنجليزية في نظام التعليم وتزايد حصتها في النظام الحالي، وخاصة الاقتصادي.

2. اسم المؤسسة بين سوق مستهدف، والهوية المحلية.

تُجسّد الجزائر العاصمة نموذجًا غنيًا لفهم تأثير البيئة الجغرافية كذلك في التسمية التجارية، إذ إن الطابع الحضري المتنوع، والتداخل بين العراقة والتحديث، ينعكسان مباشرةً في أسماء المؤسسات المنتشرة عبر أحيائها المختلفة، وهذا من خلال العينة المأخوذة من المدونة الإسمية للمؤسسات الاقتصادية في القطاع الخاص بالجزائر العاصمة، فإن كثير من التسميات تستمد هويتها من الأحياء الشعبية تارة ومن المناطق الراقية المعروفة تارة أخرى، وغيرها....، ومن الأمثلة الواقعية لمؤسسات اقتصادية وتجارية في الجزائر العاصمة التي تعكس توظيف البعد البيئي والجغرافي في التسمية، تعكس السياقات الحضرية مثل الجزائر العاصمة، على تسمية المؤسسات بأسماء أحياء أو مناطق محلية انتماءً واضحًا للمكان، فأسماء مثل "باب الوادي للملابس "أو "بلكور ماركت "تشير إلى انغماس المؤسسة في النسيج الاجتماعي للحي، وتعكس رغبة التاجر في ترسيخ موقعه داخل ذاكرة جماعية مألوفة للزبائن. وتسمية المؤسسات بهذه الطريقة تجعل الزبون يشعر بأن المؤسسة "منه وفيه"، أي تنتمي إلى نفس المحيط الذي ينتمي إليه، ما يعزّز علاقة الثقة والانتماء، فحسب "بيير بورديو(Pierre Bourdieu) "، يمكن اعتبار استخدام أسماء أحياء معينة استراتيجية لبناء رأسمال

رمزي .(**دباب، 2021، صفحة 144**)على سبيل المثال، اسم "حيدرة ديزاين "يستثمر صورة حي حيدرة الراقي ليمنح المؤسسة طابعًا من الفخامة والرقي، حتى لو كانت تقع في مكان آخر.

وتُظهر دراسة أسماء مثل "البركة"، "النور"، "الكوثر"، أو "طيبة" أن التسمية ليست محايدة، بل تعبّر عن منظومة من القيم الأخلاقية والدينية الراسخة في المخيال الجماعي، فتوظيف مفردات مستمدة من المعجم الديني يمنح النشاط الاقتصادي طابعًا مشروعًا أخلاقيًا، ويُطمئن الزبون على مصداقية المؤسسة. هذا ما يجعل من الاسم وسيلة لربط العمل التجاري بالقبول المجتمعي. كما تلجأ بعض المؤسسات إلى أسماء مثل "ابن خلدون"، "الأندلس"، أو "اليراع"، وهي رموز ثقافية ذات امتداد عربي–إسلامي، لما تحمله من دلالات مرتبطة بالعلم، الفصاحة، والتاريخ العريق، حيث أنَّ توظيف هذه الأسماء يمنح المؤسسة بعدًا ثقافيًا يعزز صورتها لدى الزبون، ويجعلها تبدو كمشروع يحترم القيم الحضارية للمجتمع.

في المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة، لم تعد التسمية التجارية مجرّد وسيلة لتعريف المؤسسة أو تمييزها في السوق، بل أصبحت عنصرًا فاعلًا في تشكيل المعنى داخل الحقل الاقتصادي والاجتماعي. ويزداد هذا البُعد عمقًا حين ترتبط الأسماء المستخدمة بالطابع الأنثوي، سواء عبر أسماء علم نسوية مثل نادية أو سهى، أو من خلال مفاهيم رمزية ذات شحنة وجدانية ك أمل .في هذا الإطار، تمثّل تسميات مثل "فاطمة الزهراء للمقاولات"، "نادية للإعلانات"، "سهى للاستيراد والتصدير "و"أمل للنقل" نماذج تستحق التوقف عندها، لما تحمله من دلالات ثقافية وطبقية وجندرية وحتى رمزية أوسع.

وفقًا لإميل دوركايم، تُعدّ الأسماء تعبيرًا عن الوعي الجمعي أكثر من كونها اختيارات فردية، وعليه يمكن فهم تسمية مثل "فاطمة الزهراء للمقاولات "باعتبارها رمزًا جماعيًا يتصل بالقيم الدينية والأخلاقية المتجذرة في الأحياء الشعبية أو المحافظة، حيث يُمنح الاسم بُعدًا من الاحترام والمصداقية. أما بيار بورديو، فيُبرز من خلال مفهوم الرأسمال الرمزي كيف يمكن لأسماء بسيطة مثل "أمل "أو "نادية "أن تنتج تأثيرًا معنويًا قويًا في السوق، رغم خلوّها من أي مضمون مادي مباشر. هذه الأسماء تحمل معها شحنة رمزية تولّد الثقة والانجذاب، خصوصًا في مجتمع يعاني من تباينات طبقية وافتقار عام للثقة في السوق.

3. الأسماء كأدوات تفاوض بين القيم المحلية ومتطلبات السوق.

تشكل أسماء المؤسسات الاقتصادية في الجزائر العاصمة نافذة دقيقة لفهم التفاعل بين السوق والهوية الاجتماعية، حيث تظهر التسمية كفعل رمزي يتجاوز حدود اللغة ليعكس تموقع المؤسسة داخل منظومة اقتصادية واجتماعية مركبة. فعبر تحليل عدد من الأسماء المتداولة في الميدان، نلاحظ أن التسمية تُستخدم كأداة استراتيجية تترجم الرؤية الاقتصادية للمؤسسة وتستجيب لمتطلبات العرض والطلب، فتُفضل مؤسسات أخرى مثل "سوبر ماركت الفائدة" أو "مخبزة الذوق الرفيع" أسماء بسيطة وسهلة التذكر، تُبرز مفاهيم مثل التوفير، القرب، أو الجودة المنزلية، مستهدفة بذلك جمهورًا أوسع من ذوي الدخل المتوسط أو المحدود. هذا النمط يولي أهمية كبيرة للعوامل النفسية والاجتماعية في اتخاذ القرار الاستهلاكي، حيث يمكن للاسم وحده أن يخلق انطباعًا أوليًا مؤثرًا يحدد موقف المستهلك من المؤسسة. أما المؤسسات التي توظف أسماء مثل "دار العاصمة" أو "أم الخير للتغذية"، فهي تراهن على البعد الثقافي والوجداني لتشكيل علاقة ثقة متبادلة مع الزبون، من خلال العلامة التجارية التي تعمل على استدعاء صور ذهنية ومعانٍ اجتماعية مرتبطة بالقيم والانتماء والهوية في السياق الجزائري، هذا يظهر بوضوح في استخدام أسماء تنبني على مفاهيم الثقة، الأصالة، أو الحداثة، بحسب السوق المستهدفة.

ثالثا: تفسير ومناقشة النتائج

يعكس التعدد اللغوي في الأسماء التجارية خيارات تسويقية واعية تستهدف شرائح اجتماعية مختلفة. كاعتماد أسماء فرنسية أو إنجليزية في محلات الأزياء ومستحضرات التجميل مثل *Chic Mode* أو *Beauty Store*، بهدف استهداف فئة شبابية أو زبائن يبحثون عن الحداثة والعولمة. واستخدام العربية الدارجة في مطاعم تقليدية مثل *دارنا* أو *لمة الأحباب* لإيصال رسالة القرب والدفء الاجتماعي. كما أن اختيار أسماء هجينة تجمع بين العربية والفرنسية مثل *دار Beauté* يعكس محاولة الجمع بين الأصالة المحلية والجاذبية التسويقية الحديثة. فاللغة هنا تُوظَّف كرأسمال رمزي يحدد موقع المؤسسة داخل السوق ويُسهم في بناء صورتها لدى المستهلك.

تُستثمر الرموز الثقافية المحلية في الأسماء التجارية لإبراز الانتماء الجهوي والخصوصية الثقافية. حيث أن استخدام أسماء أماكن محلية مثل *القصبة*، *باب الواد*، أو *تيبازة* لإثارة الذاكرة الجماعية وتعزيز الثقة والانتماء. واعتماد أسماء ذات حمولة تراثية أو طبيعية مثل *النخلة*، *الياسمين*، أو *أكفاف*، لما تحمله من دلالات جمالية

وثقافية. ومن جهة أخرى يتم توظيف الأمازيغية في أسماء بعض المؤسسات(*Axxam* ، *Tizi*) كإشارة إلى الاعتزاز بالهوية الأمازيغية داخل الفضاء الحضري. فالاسم يصبح وسيلة لإعادة إنتاج الهوية المحلية داخل المجال الاقتصادي وتحويل الثقافة إلى مورد رمزي قابل للتسويق.

وفي سياق أخر نجد تأثير العوامل الاقتصادية والسوقية على استراتيجيات التسمية، حيث تفرض طبيعة السوق والمنافسة والقدرة الشرائية للمستهلكين توجهات محددة في اختيار الأسماء. مثال في الأسواق ذات المنافسة العالية (المطاعم، الملابس)، تُختار أسماء قصيرة وسهلة الحفظ مثل *Top, Plus, Express* لزيادة الانتشار والتميّز. ومثال عن المؤسسات الموجهة للطبقة المتوسطة أو العليا تعتمد أسماء توحي بالجودة والرقي مثل *Prestige* أو *Excellence*. ومثال آخر عن المشاريع الصغيرة أو العائلية تميل إلى أسماء بسيطة ومحلية مثل *محل الإخوة* أو *أولاد الحومة* لخلق علاقة ثقة مباشرة مع الزبون. فالاسم التجاري يتأثر بمنطق العرض والطلب، ويعكس موقع المؤسسة داخل البنية الاقتصادية والسوقية.

تُبرز هذه الأمثلة أن الاسم التجاري ليس مجرد علامة تعريفية، بل هو نتاج تفاعل معقّد بين التعدد اللغوي، الرمزية الثقافية، والاعتبارات الاقتصادية، ما يجعله مؤشرًا دالًا على التحولات الاجتماعية والاقتصادية في الفضاء الحضري.

خاتمة:

يتيح لنا المشهد اللغوي الجزائري التأكيد على أن القوانين الرسمية لا علاقة لها بالممارسات اللغوية سواء على المستوى الفردي (من أطلق الاسم) أو على مستوى أسماء المؤسسات الاقتصادية الخاصة بعينة الدراسة، بحيث تُركز المؤسسات الاقتصادية التي تكون أكثر توجهاً نحو تسويق أكثر انفتاحًا وأكثر مرونة على المستهلك، مع اقتصاد السوق العالمية أصبح الاسم ظاهرة ثقافية واجتماعية حقيقية في العديد من البلدان وخاصة في الجزائر، ويُعد اختيار الاسم خطوة حاسمة وأساسية لتطور المؤسسة واستمرارها في ظل التنمية المجتمعية، فالقوة الحقيقية إذن، هي في الصورة الواقعية التي تتمتع بها لغة الأسماء لأنها سلاح الإقناع بشكل عام.

يمكن اعتبار الاسم التجاري في الجزائر بنية دلالية تتضمن أبعادًا أنثوية ودينية وثقافية وتسويقية في آن واحد. فهو يُستخدم لإثبات الحضور الاجتماعي، وبناء الثقة، وتحقيق الاندماج في المحيط الثقافي، مع مراعاة

تطلعات الزبائن، ومتطلبات السوق، والتطورات التكنولوجية. إن هذه الظاهرة تستحق مزيدًا من التحليل الأونوماستيكي والسوسيولوجي للكشف عن رمزية التسمية وفعاليتها، لا باعتبارها خيارًا فرديًا معزولًا، بل كممارسة اجتماعية محكومة بسياقات متعددة، تتداخل فيها الهوية بالاقتصاد، والمحلي بالكوني، والتقليدي بالحداثي، مما يجعلها رهانًا جوهريًا لفهم ممارسات الأعمال في السياق الجزائري المعاصر.

قائمة المراجع:

1. Cherrad, Y., & Valéry , D. (2002). *Le français en Algérie: Lexique et dynamique des langues.* De Boeck Supérieur.
2. McGee, J. (2014, 01 01). *Théorie du marché concurrentiel.* Consulté le 02 20, 2025, sur researchgate.: https://www.researchgate.net/publication/280246634_Competitive_Market_Theory
3. زهية دباب. (2021). قضايا ومفاهيم سوسيولوجيا التربية في فكر بيير بورديو. *مجلة دفاتر المخبر*، الصفحات 138-152.
4. Jean, M., & Bonhomme, M. (2012). *L'argumentation publicitaire: Rhétorique de l'éloge et de la persuasion.* Armand Colin,.
5. KESSOUR, A. (2025, 15 أفريل). "The Stakes of Nomination and Re-nomination: A Socio-Statistical Analysis of Educational Institution Nomenclature in Algeria" p 364. *DIRASAT WA ABHATH Review, 17*(02), pp. 349-368.
6. فوزي. (2008). ،.
7. محمد سامي فوزي . (2008). *شرح القانون التجاري، الجزء الأول*. الأردن، الأردن: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Digital Addiction and Its Relationship to Social Interaction within the Family

Assistant Lecturer Qusay Abdul Aziz Abdul Aziz
Department of Sociology / College of Arts / University of Mosul / Iraq
(qusay.abdulaziz@uomosul.edu.iq)

Abstract

This study examines digital addiction as a contemporary social phenomenon resulting from rapid technological transformations. It aims to analyze the relationship between digital addiction and social interaction within the family. The research adopts a descriptive-analytical approach based on sociological literature and relevant previous studies. The findings indicate that excessive use of smartphones and social media reduces direct family dialogue and face-to-face interaction. It also reinforces individual isolation and weakens emotional bonds among family members. Moreover, digital addiction contributes to widening the communication gap between generations, negatively affecting family cohesion. The study concludes that digital addiction is not merely an individual behavior but a social issue influencing core family functions such as socialization and emotional support. Therefore, the study emphasizes the need for digital awareness programs and family guidance to promote balanced technology use and enhance family stability.

Keywords: Digital addiction, social interaction, family, social media, social isolation

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

ظاهرة الإدمان الرقمي وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي داخل الأسرة

المدرس المساعد قصي عبد العزيز عبد العزيز
قسم علم الاجتماع / كلية الآداب / جامعة الموصل / العراق
qusay.abdulaziz@uomosul.edu.iq

الملخص

تناولت هذه الدراسة ظاهرة الإدمان الرقمي بوصفها إحدى الظواهر الاجتماعية المعاصرة الناتجة عن التحولات التكنولوجية المتسارعة. وتهدف إلى تحليل طبيعة العلاقة بين الإدمان الرقمي ومستوى التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل مفاهيم الإدمان الرقمي والتفاعل الاجتماعي الأسري بالاستناد إلى الأدبيات السوسيولوجية والدراسات السابقة. وتوصلت الدراسة إلى أن الاستخدام المفرط للهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي يسهم في تراجع الحوار الأسري والتفاعل المباشر، ويعزز العزلة الفردية داخل الأسرة. كما يؤدي ذلك إلى ضعف الروابط الوجدانية واتساع الفجوة التواصلية بين الأجيال، مما ينعكس سلباً على وظائف الأسرة الأساسية كالتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي والدعم العاطفي. وأكدت الدراسة ضرورة نشر الوعي الرقمي ووضع ضوابط أسرية وتربوية لتحقيق التوازن بين استخدام التكنولوجيا واستقرار الأسرة.

الكلمات المفتاحية: الإدمان الرقمي، التفاعل الاجتماعي، الأسرة، وسائل التواصل الاجتماعي، العزلة الاجتماعية.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

مقدمة:

أفرز التطور المتسارع في تقنيات الاتصال والمعلومات تحولات عميقة في أنماط الحياة الاجتماعية ، وأسهم في إعادة تشكيل أساليب التواصل الإنساني والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع ، ولاسيما في إطار الأسرة التي تمثل الوحدة الاجتماعية الأساسية في البناء المجتمعي . فقد أصبحت الوسائط الرقمية ، مثل الهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي والإنترنت ، جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للأفراد ، لما توفره من سهولة في التواصل وتبادل المعلومات والمعرفة ، غير أن هذا الانتشار الواسع ترافق مع بروز أنماط استخدام مفرطة وغير متوازنة ، أدت إلى ظهور ما يُعرف بالإدمان الرقمي بوصفه إحدى الظواهر الاجتماعية المعاصرة ذات التأثيرات المتعددة.

ويُعد الإدمان الرقمي ظاهرة سلوكية اجتماعية تتجسد في الاعتماد المفرط على الوسائط الرقمية ، على نحو يؤثر سلباً في أداء الفرد لوظائفه الاجتماعية ، ويحد من قدرته على التفاعل الواقعي مع محيطه الأسري والاجتماعي . إذ أدى الانغماس في العالم الافتراضي إلى تراجع أشكال التفاعل الاجتماعي المباشر داخل الأسرة ، وضعف الحوار الأسري ، وتقلص الروابط الاجتماعية والوجدانية بين أفرادها ، الأمر الذي انعكس على مستوى التماسك الاجتماعي الأسري ، وأدى في بعض الحالات إلى بروز مظاهر العزلة الاجتماعية والانفصال العاطفي بين أفراد الأسرة ، ولاسيما بين الآباء والأبناء.

وتكمن خطورة الإدمان الرقمي في كونه لا يقتصر على تأثيراته الفردية فحسب ، بل يمتد ليطال النسق الأسري بوصفه نسقاً اجتماعياً متكاملاً يؤدي وظائف أساسية في عملية التنشئة الاجتماعية ، والضبط الاجتماعي ، والدعم النفسي والعاطفي . فضعف التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة نتيجة الاستخدام المفرط للتقنيات الرقمية قد يؤدي إلى اختلال في أداء هذه الوظائف ، ويُسهم في تراجع القيم الأسرية المرتبطة بالحوار والتواصل والمشاركة ، فضلاً عن اتساع الفجوة التواصلية بين الأجيال ، وتنامي النزعة الفردية داخل الأسرة الواحدة.

وفي ظل التحولات الاجتماعية المعاصرة ، ولاسيما في المجتمعات العربية ، برزت هذه الظاهرة بشكل متزايد نتيجة الانتشار السريع للتكنولوجيا الرقمية ، وتراجع أدوار الضبط الأسري ، وغياب الوعي الكافي بمخاطر الاستخدام غير المنظم للوسائط الرقمية . كما أسهمت التحولات الاقتصادية والثقافية ، وتغير أنماط التعليم

والعمل ، في تعزيز الاعتماد اليومي على الوسائط الرقمية داخل الأسرة ، الأمر الذي زاد من حدة الإدمان الرقمي وانعكاساته على العلاقات الاجتماعية الأسرية.

وانطلاقاً من ذلك ، تأتي أهمية هذا البحث في سعيه إلى دراسة ظاهرة الإدمان الرقمي وتحليل علاقتها بالتفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ، من خلال تناول أبعادها الاجتماعية المختلفة ، والكشف عن تأثيراتها في أنماط التواصل الأسري ، ومستوى الحوار ، والتماسك الاجتماعي بين أفراد الأسرة . كما يسعى البحث إلى الإسهام في إثراء الأدبيات الاجتماعية المعاصرة ، وتقديم إطار تحليلي يمكن الإفادة منه في وضع استراتيجيات تربوية وتوعوية تعزز الاستخدام المتوازن للتقنيات الرقمية ، وتدعم دور الأسرة في مواجهة تحديات العصر الرقمي ، بما يسهم في تحقيق التوازن بين متطلبات الحداثة التكنولوجية والحفاظ على استقرار الأسرة ووظائفها الاجتماعية.

أولا: الاطار النظري للبحث

1 مشكلة البحث:

أدى الانتشار المتسارع للتقنيات الرقمية ووسائط الاتصال الحديثة إلى تحولات جوهرية في أنماط التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ، حيث أصبح الاستخدام المكثف للهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي جزءاً أساسياً من الحياة اليومية لأفراد الأسرة بمختلف فئاتهم العمرية . وعلى الرغم من الدور الإيجابي الذي تؤديه هذه التقنيات في تسهيل التواصل وتبادل المعلومات ، إلا أن الإفراط في استخدامها أسهم في بروز ظاهرة الإدمان الرقمي ، التي باتت تُعد من القضايا الاجتماعية المعاصرة ذات التأثيرات العميقة على العلاقات الأسرية.

وتتمثل مشكلة البحث في ملاحظة تراجع مستوى التفاعل الاجتماعي المباشر داخل الأسرة ، وضعف الحوار الأسري ، وتقلص أشكال المشاركة والتواصل الوجداني بين أفرادها ، في ظل انشغالهم المتزايد بالعالم الرقمي . إذ تشير العديد من الدراسات الاجتماعية إلى أن الإدمان الرقمي قد يؤدي إلى تعزيز العزلة الاجتماعية داخل الأسرة الواحدة ، وإضعاف الروابط الاجتماعية ، واتساع الفجوة التواصلية بين الأجيال ، فضلاً عن تأثيره في أداء الأسرة لوظائفها الأساسية في التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي والدعم العاطفي.

وعلى الرغم من تزايد الاهتمام الأكاديمي بظاهرة الإدمان الرقمي ، إلا أن العلاقة بين هذه الظاهرة ومستوى التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ما تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل من منظور اجتماعي ، ولاسيما في السياق العربي ، حيث تختلف الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للأسرة عن غيرها من المجتمعات . ومن هنا ، تتحدد مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

-كيف يؤثر الإدمان الرقمي في التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ، وما أبرز مظاهر هذا التأثير وانعكاساته الاجتماعية؟

2 اهداف البحث

يهدف البحث الى:

- التعرف على مفهوم الإدمان الرقمي وبيان أبعاده الاجتماعية ، وأنماطه المختلفة ، وأبرز مظاهره داخل الأسرة.
- تحليل طبيعة التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة وبيان أهميته في تعزيز التماسك الاجتماعي ، والحوار الأسري ، وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة بين أفراد الأسرة.
- الكشف عن طبيعة العلاقة بين الإدمان الرقمي والتفاعل الاجتماعي الأسري ، وبيان مدى تأثير الاستخدام المفرط للتقنيات الرقمية في مستوى التواصل والتفاعل المباشر بين أفراد الأسرة.
- تحديد أبرز الآثار الاجتماعية المترتبة على الإدمان الرقمي داخل الأسرة ، ولاسيما ما يتعلق بضعف الحوار الأسري ، والعزلة الاجتماعية ، وتراجع الروابط الاجتماعية والوجدانية.
- التعرف على العوامل الاجتماعية والأسرية التي تسهم في تفاقم الإدمان الرقمي داخل الأسرة ، مثل ضعف الرقابة الأسرية ، وغياب الوعي الرقمي ، وتغير أنماط التنشئة الاجتماعية.
- الخروج بجملة من المقترحات والتوصيات التي تسهم في تعزيز الوعي الرقمي ، وتقوية التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ، بما يحقق التوازن بين متطلبات العصر الرقمي واستقرار الحياة الأسرية.

3 اهمية البحث

الأهمية النظرية

- يسهم البحث في إثراء الأدبيات السوسيولوجية المعاصرة من خلال تناوله لظاهرة الإدمان الرقمي بوصفها ظاهرة اجتماعية لها أبعاد متعددة ، وليس مجرد سلوك فردي معزول.
- يسلط الضوء على العلاقة بين الإدمان الرقمي والتفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ، بما يعزز الفهم النظري لطبيعة التحولات التي طرأت على أنماط التواصل الأسري في ظل العصر الرقمي.
- يوفر إطاراً تحليلياً يمكن الإفادة منه في دراسات لاحقة تتناول قضايا مشابهة ، مثل تأثير الإعلام الرقمي في التنشئة الاجتماعية ، أو انعكاسات التكنولوجيا على التماسك الأسري.
- يسد جانباً من النقص النسبي في الدراسات الاجتماعية العربية التي تناولت هذه الظاهرة من منظور أسري تحليلي ، وبما يراعي الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع العربي.

الأهمية التطبيقية

- تساعد المؤسسات التربوية والتعليمية في وضع برامج إرشادية وتوعوية تسهم في الحد من الإدمان الرقمي وتعزيز التفاعل الاجتماعي الإيجابي بين أفراد الأسرة.
- تقدم مؤشرات يمكن الإفادة منها من قبل صانعي السياسات الاجتماعية في صياغة استراتيجيات وطنية تعزز الثقافة الرقمية الآمنة وتحافظ على التماسك الأسري.

4 مفاهيم البحث

الادمان الرقمي Digital Addiction

وهو التعلق الزائد بالأنترنت والرغبة المفرطة في استخدامه ، مما يؤدي الى اضطراب في التحكم في الذات وخللاً في علاقة الشخص المدمن مع الاخرين اجتماعياً اذ يكون ذا خلل وسلوك غير سوي. (كريم، 2016، صفحة 22)

ومن جهة أخرى يعرف الإدمان الرقمي على انه الاستخدام المفرط للأنــترنت لساعات طويلة وصعوبة تركه ، مما يولد لديه خللاً واضطراباً وظيفياً في الجانب المعرفي والسيكولوجي والنفسي والاجتماعي ، لا سيما لو

كان الفرد من دون رقابة لأنه يستمر بالمشاهدة من دون توقف مما يؤدي بالنتيجة الى الإدمان على الانترنت ويقوده الى العزلة الاجتماعية. (الشطري، 2022، صفحة 40)

ويعرف الإدمان الرقمي اجرائياً على انه الاستخدام المفرط وغير المنضبط للتقنيات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي بما يؤدي إلى هيمنتها على وقت الفرد وتفاعلاته اليومية ، وينعكس سلبًا على مستوى التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة.

التفاعل الاجتماعي Social Interaction:

يعرف التفاعل الاجتماعي بأنه الاسم الذي يطلق على أي علاقة تحدث بين الأشخاص في مجموعات او بين المجموعات بعضها ببعض بإعتبارها وحدات اجتماعية. (اتاواي، 1976، صفحة 69)

ومن جهة أخرى عُرف التفاعل الاجتماعي عبارة عن العلاقات الاجتماعية بجميع أنواعها التي تكون قائمة بوظيفتها ، أي العلاقات الاجتماعية الديناميكية بجميع أنواعها سواء أكانت هذه العلاقات بين فرد واخر ، ام جماعة وأخرى او بين فرد وجماعة. (النجيحي، 1976، صفحة 246)

ويمكن تعريف التفاعل الاجتماعي بأنه التقاء سلوك شخص مع شخص اخر يكون سلوك كل منهما استجابة لسلوك الأخر ، ومنبهاً لهذا السلوك في الوقت نفسه. (منيرة، 1978، صفحة 230)

ونرى ان التفاعل الاجتماعي يمكن تعريفه اجرائياً بأنه مستوى التواصل والحوار والمشاركة المتبادلة بين أفراد الأسرة في حياتهم اليومية ،كما يتأثر بأنماط الاستخدام الرقمي ويظهر في طبيعة العلاقات والروابط الأسرية فيما بينهم.

الاسرة Family

تعرف الاسرة لغوياً: على انها الشد والعصب . واهل الرجل وعشيرته والجماعة يربطها امر مشترك وجمعها اسر. (منظور، 1990، صفحة 45)

اما اصطلاحاً فتعني وحدة اجتماعية اقتصادية ثقافية بيولوجية تتكون من افراد تربطهم علاقات الزواج والدم والتبني ، ويوجدون في اطار من التفاعل عبر سلسلة من المراكز والادوار ، وتقوم بتأدية عدد من الوظائف التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. (وطفة، 2013، صفحة 73)

من ناحية أخرى تعرف الاسرة بأنها عن منظمة اجتماعية تتكون من افراد يرتبطون ببعضهم اجتماعية واخلاقية ودموية وروحية ، وهذه الروابط هي التي جعلت العائلة البشرية تتميز عن العائلة الحيوانية. (الحسن، 1985، صفحة 233)

ويمكن تعريف الاسرة اجرائياً بأنها الوحدة الاجتماعية الأساسية التي تجمع أفرادًا تربطهم علاقات قرابة ومعايشة مشتركة ، ويتم داخلها التفاعل اليومي والتواصل الاجتماعي ، وتتأثر أنماط علاقاتها الداخلية بالاستخدام الرقمي بما ينعكس على مستوى التفاعل الاجتماعي بين أفرادها.

ثانيا: الإدمان الرقمي من منظور اجتماعي

1 نبذة عن الإدمان الرقمي:

شهد العالم في العقود الأخيرة تطورًا متسارعًا في استخدام التقنيات الرقمية ووسائل الاتصال الحديثة، الأمر الذي أسهم في تسهيل حياة الأفراد وتوسيع آفاق التواصل والمعرفة. غير أن هذا التطور رافقه ظهور أنماط جديدة من الاستخدام المفرط للتكنولوجيا، برز من بينها ما يُعرف بالإدمان الرقمي، الذي يتمثل في الاعتماد المتزايد على الأجهزة الرقمية إلى حدّ يؤثر في السلوك اليومي والعلاقات الاجتماعية. وقد أصبحت هذه الظاهرة من القضايا المعاصرة التي تستدعي الدراسة والتحليل، لما لها من انعكاسات واضحة على الفرد والأسرة والمجتمع، وبخاصة في ما يتعلق بأنماط التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة.

ويعتبر الإدمان الرقمي ظاهرة حديثة ظهرت في أواخر القرن العشرين واواخر القرن الحادي والعشرين مع تزايد استخدام الانترنت والأجهزة الرقمية الذكية ، وتعود بداياته تحديداً الى عام (1982) عندما ظهر مصطلح الانترنت من قبل شركة (اربانت) الامريكية التي تأسست عام (1969) ، ويعد الكاتب الأمريكي (جون بيري بارلو) اول من استعمل الانترنت ، وتشير إحصاءات رسمية الى ان عدد مستخدمي الانترنت عام (2017) قد تجاوز (2,7) مليار مستخدم وهو ما يقارب نصف البشرية. (الغفيلي، 2017، الصفحات 22-24)

ثالثاً العوامل الاجتماعية المؤدية الى الادمان الرقمي

1 التحول الرقمي

لقد أدى التحول الرقمي الذي يشهده العالم الى إحداث تغيرات جوهرية في أنماط الحياة الاجتماعية ، اذ أصبحت التقنيات ووسائل الاتصال الحديثة جزءاً من الحياة من الممارسات اليومية للأفراد داخل الاسرة وخارجها ، وقد اسهم هذا التحول في تسهيل التواصل والوصول الى المعرفة والترفيه ، إلا انه في الوقت ذاته خلق بيئة اجتماعية مشجعة على الاستخدام المكثف والمستمر للتكنولوجيا ، الامر الذي مهد لظهور الإدمان الرقمي بوصفه احد ابرز الظواهر الاجتماعية المرتبطة بعصر الرقمنة المتسارعة.

ان التحول الرقمي من خلال انتشار الانترنت والهواتف المحمولة الذكية قد غير بنية الحياة اليومية للفرد ، سواء في العمل والتعليم والترفيه والتواصل ، ويمكن القول ان هذا التحول قد جعل الاتصال الرقمي متاحاً في كل وقت وأعاد تشكيل ما يسمى بـ (روتين الاسرة) في أوقات الجلسات والمتابعة الاسرية والحوار بين افراد الاسرة ، وخلق بيئة جاذبة للاستخدام المستمر بسبب سهولة الوصول وتعدد منصات التواصل الاجتماعي . ومع التطورات التكنولوجية المتسارعة في الأنظمة الرقمية المختلفة ظهر (الإدمان الرقمي) ليعبر عن حالة من التعلق المفرط بالأجهزة الالكترونية والانترنت ، بدرجة تؤثر سلباً على الأداء الوظيفي والنفسي والاجتماعي للفرد. (خليفة، 2025، صفحة 301)

2 الفراغ الاجتماعي داخل الاسرة

يُعدّ الفراغ الاجتماعي داخل الأسرة من العوامل الاجتماعية المهمة التي تسهم في بروز ظاهرة الإدمان الرقمي ، إذ يرتبط بضعف التفاعل والحوار الأسري وقلة الأنشطة المشتركة بين أفراد الأسرة ، وفي ظل غياب الإشباع الاجتماعي والوجداني داخل البيت، يلجأ الأفراد ولا سيما فئة الشباب ، إلى الوسائط الرقمية بوصفها بديلًا يوفر لهم التسلية والشعور المؤقت بالانتماء والـتـواصل ، الأمر الذي يعزز الاعتماد المتزايد على العالم الرقمي ويهيئ بيئة ملائمة لظهور الإدمان الرقمي داخل الأسرة.

وفي ظل هذا الفراغ، يلجأ الفرد إلى الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بوصفها بديلًا يوفر له الإشباع الاجتماعي والتواصل الافتراضي، الأمر الذي يعزز الاعتماد المتزايد على العالم الرقمي. وتشير الدراسات إلى أن انخفاض مستوى الدعم والمساندة الاجتماعية داخل الأسرة يرتبط بارتفاع معدلات الاستخدام المفرط

للإنترنت، بما يحول هذا الاستخدام من وسيلة تواصل إلى نمط إدماني يؤثر سلبًا في العلاقات الأسرية. (القاضي، 2020، الصفحات 120-122)

3 ضغوط الحياة المعاصرة

تشهد الحياة المعاصرة تسارعًا ملحوظًا في وتيرتها وتزايدًا في متطلباتها اليومية ، الأمر الذي فرض على الأفراد أنماطًا جديدة من العيش تتسم بكثرة المسؤوليات وتشابك الأدوار الاجتماعية والاقتصادية . وقد أسهمت هذه الضغوط المتنامية في توليد حالة من التوتر والقلق لدى الأفراد ، ودفعهم إلى البحث عن وسائل بديلة للتخفيف من حدة الضغوط والهرب المؤقت من الواقع ، وفي هذا السياق ، برزت الوسائط الرقمية بوصفها أحد المنافذ السهلة والمتاحة ، مما جعلها أكثر حضورًا في الحياة اليومية ، ومهّد لزيادة الاعتماد عليها بشكل قد يقود إلى الإدمان الرقمي.

وتُعدّ ضغوط الحياة المعاصرة من العوامل الاجتماعية المهمة التي تسهم في زيادة احتمالية الإدمان الرقمي ، إذ يعيش الفرد في ظل متطلبات متزايدة وضغوط نفسية واجتماعية واقتصادية متراكمة، مثل ضغوط العمل والدراسة وتسارع نمط الحياة اليومية . وفي ظل هذه الظروف ، يلجأ كثير من الأفراد إلى استخدام الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بوصفها وسيلة للهروب المؤقت من الواقع والتخفيف من التوتر والقلق ، ومع تكرار هذا السلوك يتحول الاستخدام من مجرد وسيلة للتسلية أو التنفيس إلى اعتماد مفرط قد يصل إلى مستوى الإدمان الرقمي ، الأمر الذي ينعكس سلبًا على العلاقات الاجتماعية ولا سيما داخل الأسرة. (Young, 1998, p. 238)

4 ضعف الرقابة الاسرية

يُعدّ ضعف الرقابة الأسرية من العوامل الاجتماعية المهمة التي تسهم في تنامي ظاهرة الإدمان الرقمي داخل الأسرة ، إذ تمثل الرقابة الأسرية أحد الأدوار الأساسية التي تضطلع بها الأسرة في تنظيم سلوك أفرادها وتوجيههم ، ومع غياب الضوابط الواضحة أو ضعف المتابعة والتوجيه ، يصبح الاستخدام الرقمي غير منظم ومفتوحًا على مختلف المحتويات والأوقات ، الأمر الذي يزيد من احتمالية الإفراط في استخدام الأجهزة الرقمية ، وفي ظل هذا الضعف تتحول الوسائط الرقمية من أداة نافعة إلى بديل غير مضبوط للتفاعل الاجتماعي ، بما ينعكس سلبًا على العلاقات الأسرية ومستوى التفاعل بين أفرادها.

ويساهم ضعف الرقابة الأسرية بشكل مباشر في زيادة احتمالات الإدمان الرقمي لدى الأبناء، إذ يلعب الرقابة والمتابعة الأبوية دورًا أساسيًا في تنظيم استخدام التكنولوجيا الرقمية داخل الأسرة. وعندما تفتقد الأسرة إلى أنظمة وضوابط واضحة لمتابعة سلوك الأبناء الرقمي — سواء عبر الحوار، أو وضع قواعد استعمال، أو التوجيه الاجتماعي — يصبح الشباب والأطفال أكثر عرضة للانجراف نحو الاستخدام المفرط للإنترنت والأجهزة الذكية، وهو ما يعزز ظهور أنماط سلوكية إدمانية. هذا النقص في التوجيه والرقيب يترك المجال مفتوحًا للاستخدام غير المنضبط، ما يؤثر سلبًا على التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ويحدّ من فرص التواصل الوجاهي والمشاركة الحقيقية بين أفرادها. (لطفي، 2014، الصفحات 214-215)

رابعاً التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة في ظل التحولات الرقمية

أدّت التحولات الرقمية المتسارعة إلى إحداث تغيّرات واضحة في أنماط التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة، حيث لم يعد التواصل الأسري مقتصرًا على التفاعل المباشر القائم على الحوار واللقاء الوجاهي ، بل أصبح يتداخل مع أشكال جديدة من التفاعل عبر الوسائط الرقمية ، وقد أسهم هذا التحول في إعادة تشكيل أساليب التواصل والعلاقات داخل الأسرة ، حيث أسهم انتشار الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي في إعادة تشكيل العلاقات الأسرية ، اذ بات الأفراد يقضون أوقاتًا أطول في التفاعل مع الشاشات على حساب التفاعل المباشر مع أفراد الأسرة.

خامساً أنماط التفاعل الاسري في ظل التحول الرقمي:

هناك نوعين من انوع التفاعل الاجتماعي الذي يحدث في الاسرة في الوقت الحاضر هما:

1 التفاعل المباشر داخل الاسرة:

يُعد التفاعل المباشر داخل الأسرة أحد أهم أنماط التفاعل الاجتماعي ، إذ يقوم على التواصل الوجاهي والحوار اليومي والمشاركة الوجدانية بين أفراد الأسرة، مثل الجلسات الأسرية وتبادل الآراء والمشاعر. ويُسهم هذا النوع من التفاعل في تعزيز التماسك الأسري وبناء علاقات قائمة على التفاهم والدعم المتبادل ، كما يؤدي دورًا أساسيًا في عملية التنشئة الاجتماعية ونقل القيم والمعايير الاجتماعية . ويؤكد علم الاجتماع الأسري أن التفاعل المباشر يُعدّ الأساس في تحقيق الاستقرار الأسري ، لما يوفره من فرص للتواصل الحقيقي

وحل المشكلات داخل الإطار الأسري بعيدًا عن الوسائط التـقنية. (لطفي، 2014، الصفحات 156-157)

إلا أن هذا النمط من التفاعل شهد تراجعًا ملحوظًا في ظل الانشغال المتزايد بالتقنيات الـرقـمـيـة ، حيث قلت الجلسات الأسرية المنتظمة وضعف الحوار المباشر ، وحل الصمت أو التشتت الرقمي محل التواصل الفعّال بين أفراد الأسرة.

2 التفاعل غير المباشر عبر الوسائط الرقمية:

يتمثل التفاعل غير المباشر داخل الأسرة في أنماط التواصل التي تتم عبر الوسائط الرقمية الحديثة، مثل تطبيقات التواصل الاجتماعي والرسائل النصية والمكالمات الصوتية والمرئية، حيث أصبحت هذه الوسائط أداة شائعة للتواصل بين أفراد الأسرة، حتى داخل المسكن الواحد. وقد أسهم هذا النمط من التفاعل في تسهيل الاتصال السريع وتبادل المعلومات، ولا سيما في ظل الانشغال اليومي وتباعد الأفراد مكانيًا. إلا أن الاعتماد المتزايد على التفاعل الرقمي أدى في كثير من الأحيان إلى تراجع التفاعل الوجاهي، وضعف الحوار المباشر، وتحول العلاقات الأسرية إلى علاقات يغلب عليها الطابع الافتراضي، الأمر الذي يؤثر في عمق الروابط الاجتماعية ويحدّ من التفاعل الوجداني الحقيقي بين أفراد الأسرة. (الحميد، 2015، الصفحات 97-98)

غير أن الاعتماد المفرط على هذا النمط داخل الإطار الأسري قد يؤدي إلى إضعاف العلاقات الواقعية ، إذ يفتقر التفاعل الرقمي إلى العمق الوجداني والدفء العاطفي الذي يميّز التـفاعل المباشر ، كما قد يتحول إلى بديل عن الحوار الحقيقي، مما ينعكس سلبًا على جودة العلاقات الأسرية.

ثانياً/ تأثير التكنولوجيا الرقمية في التفاعل الأسري:

لقد أسهم الانتشار الواسع للأجهزة الذكية ووسائل التواصل الرقمي في إعادة تشكيل أساليب التواصل والتفاعل بين أفراد الأسرة ، سواء من حيث طبيعة العلاقات أو طرق التواصل اليومي ، وفي ظل هذا الواقع الجديد ، أصبح من الضروري تناول تأثير التكنولوجيا الرقمية في التفاعل الأسري ، للكشف عن انعكاساتها الاجتماعية على الروابط الأسرية وأنماط التواصل داخل الأسرة.

1 تغيير شكل التواصل داخل الاسرة:

أدت التكنولوجيا الرقمية إلى انتقال جزء كبير من التواصل الأسري من التفاعل الوجاهي إلى التفاعل الافتراضي ، حيث أصبحت الأجهزة الذكية وسيطًا رئيسًا للتواصل حتى داخل المنزل الواحد ، وأسهم ذلك في تقليص فرص الحوار المباشر وظهور أنماط تواصل سريعة ومختصرة ، تفتقر في كثير من الأحيان إلى العمق الاجتماعي والعاطفي.

أسهمت التكنولوجيا الرقمية في إحداث تحوّل جوهري في شكل التواصل داخل الأسرة ، حيث لم يعد التفاعل الأسري يعتمد بصورة أساسية على الحوار المباشر والجلسات العائلية ، بل أصبح يتجه نحو أنماط تواصل رقمية تعتمد على الأجهزة الذكية ووسائل الاتصال الحديثة ، وقد أدى هذا التحول إلى اختصار عملية التواصل وتقليل التفاعل الوجاهي ، مما انعكس على طبيعة العلاقات الأسرية ، إذ غلبت السرعة والاختزال على التواصل بدلًا من الحوار المتعمق ، كما أضعف هذا النمط الجديد من التواصل فرص التفاعل الوجداني الحقيقي بين أفراد الأسرة ، وأسهم في تراجع دور الأسرة بوصفها فضاءً للتواصل الاجتماعي المباشر. (حجاب، 2010، صفحة 233)

2 تغيير نوعية العلاقات بين الإباء والابناء:

أثرت التحولات الرقمية في طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء ، حيث برزت فجوة رقمية بين الأجيال نتيجة اختلاف مستويات الوعي والاستخدام التكنولوجي ، فقد تراجعت سلطة التوجيه الأبوي لصالح التأثير الرقمي ، وأصبح الأبناء أكثر ارتباطًا بالعالم الافتراضي من ارتباطهم بالأسرة . وفي المقابل قد تسهم التكنولوجيا، إذا استُخدمت بشكل منظم في تعزيز التقارب من خلال المتابعة والتواصل المستمر بين الآباء والأبناء.

تشير الدراسات إلى أن وسائل الاتصال الاجتماعي وتكنولوجيا الاتصال الرقمي لا تقتصر آثارها على تسهيل التواصل فحسب ، بل تؤدي أحيانًا إلى تغيير نوعية العلاقات بين الآباء والأبناء ، حيث يصبح التواصل رمزياً أو سطحياً أكثر من كونه حواراً عميقاً ، مما يؤثر في فهم المشاعر والقيم المشتركة بين أفراد الأسرة ويؤدي إلى تراجع التفاعل الوجهي . حيث أن الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال بين أفراد الأسرة

يمكن أن يقلل من فرص الحوار الوجداني المباشر ويحول العلاقة إلى تبادل معلومات مقتصر على الوسائط الرقمية. (تبينة، 2023، صفحة 98)

3 تغير أدوار افراد الاسرة:

أسهمت التكنولوجيا الرقمية في إعادة تشكيل الأدوار داخل الأسرة ، حيث تراجع الدور الرقابي والتربوي التقليدي لبعض الوالدين نتيجة الانشغال الرقمي أو ضعف الإلمام بالتكنولوجيا ، في حين اكتسب الأبناء أدوارًا جديدة بوصفهم أكثر إلمامًا بالعالم الرقمي . وأدى هذا التحول إلى اختلال نسبي في الـتـوازن الأسري ، ما لم تُدار هذه الأدوار ضمن إطار من الحوار والتنظيم والرقابة الواعية.

أدت التحولات الرقمية إلى إعادة تشكيل أدوار أفراد الأسرة ، حيث لم تعد الأدوار الأسرية تُمارَس ضمن صورتها التقليدية فقط ، بل تحولت تدريجيًا إلى أدوار ذات طابع (رقـمي افـتـراضي) . فقد برزت مفاهيم جديدة مثل (الأبوة الرقمية) التي تتطلب من الوالدين امتلاك مهارات رقمية لمواكبة الأبناء وتقليل الفجوة التقنية ، إلى جانب أدوار أخرى داخل الأسرة ما يشبه بالخبير التقني الأسري الذي يتولى مساعدة أفراد الأسرة في التعامل مع التطبيقات والمنصات الرقمية ، الأمر الذي يعكس انتقال مركز التأثير داخل الأسرة نحو من يمتلك المعرفة الرقمية ، وبهذا يصبح التحول الرقمي عاملًا ضاغطًا يعيد توزيع المسؤوليات والتأثير داخل النسق الأسري ويغيّر توازن الأدوار التقليدية. (حاتم، 2025، صفحة 322)

يتضح مما سبق أن التحولات الرقمية أسهمت في تنويع أنماط التفاعل الأسري ، إلا أنها في الوقت ذاته فرضت تحديات اجتماعية أثرت في شكل التواصل ونوعية العلاقات والأدوار داخل الأسرة . ومن هنا، تبرز أهمية تحقيق التوازن بين التفاعل المباشر والتفاعل الرقمي ، بما يحافظ على جوهر العلاقات الأسرية ويحدّ من الآثار السلبية للإدمان الرقمي.

خاتمة:

لقد توصلت الدراسة لبعض النتائج الهامة من ابرزها:

- وجود علاقة عكسية واضحة بين الإدمان الرقمي والتفاعل الاجتماعي الأسري ، إذ يؤدي الاستخدام المفرط وغير المنظم للتقنيات الرقمية ، ولا سيما الهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي ، إلى

تراجع أشكال التفاعل الاجتماعي المباشر داخل الأسرة ، وضعف الحوار الأسري والمشاركة اليومية بين أفرادها.

- تعزيز العزلة الفردية داخل الأسرة ، حيث يسهم الانغماس في العالم الافتراضي في تقليص الروابط الاجتماعية والوجدانية بين أفراد الأسرة ، ويؤدي إلى بروز مظاهر الانفصال العاطفي، ولا سيما في العلاقة بين الآباء والأبناء.
- إضعاف وظائف الأسرة الأساسية ، إذ لا يُعد الإدمان الرقمي مجرد سلوك فردي معزول ، بل يمثل ظاهرة اجتماعية ذات انعكاسات بنيوية على النسق الأسري تؤثر في وظائفه الرئيسة ، وخاصة وظيفة الضبط الاجتماعي ، والدعم العاطفي ، والتنشئة الاجتماعية.
- ارتباط تفاقم الإدمان الرقمي بعوامل اجتماعية وأسرية محددة ، أبرزها ضعف الوعي الرقمي داخل الأسرة وغياب الإرشاد والتوجيه الأسري ، وقلة الضوابط التربوية المنظمة لاستخدام التقنيات الرقمية ، وهي عوامل تسهم مجتمعة في انتشار الظاهرة داخل النسق الأسري.
- الحاجة إلى تدخلات توعوية وتربوية شاملة ، حيث أكدت الدراسة على ضرورة تبنّي برامج إرشادية وتعزيز دور الأسرة والمؤسسات التربوية والإعلامية في نشر ثقافة الاستخدام الآمن والمتوازن للتقنيات الرقمية ، بما يسهم في استعادة التوازن بين متطلبات العصر الرقمي وجودة التفاعل الاجتماعي والاستقرار الأسري.

وهناك توصيات ومقترحات للدراسة تتضمن ما يلي:

- ضرورة رفع مستوى الوعي الرقمي لدى أفراد الأسرة، ولا سيما الآباء ، بشأن مخاطر الإدمان الرقمي وانعكاساته الاجتماعية على التفاعل الأسري ، من خلال نشر ثقافة الاستخدام المتوازن والواعي للتقنيات الرقمية ، بما يحدّ من آثارها السلبية على الحوار الأسري والتماسك الاجتماعي.
- تشديد على أهمية تفعيل الرقابة الأسرية القائمة على الحوار والتوجيه لا على المنع والقمع، عبر وضع ضوابط واضحة لتنظيم أوقات استخدام الأجهزة الرقمية ومتابعة المحتوى الرقمي، بما يسهم في الحد من الاستخدام المفرط للتكنولوجيا داخل الأسرة.

- ضرورة إعادة الاعتبار للجلسات الأسرية والحوار الوجاهي بوصفها وسيلة أساسية لتعزيز التفاعل الاجتماعي والدعم العاطفي بين أفراد الأسرة ، وتقليل الاعتماد المفرط على التفاعل الرقمي كبديل عن التواصل الحقيقي.
- دمج مفاهيم التربية الرقمية والوعي بالاستخدام الآمن للتكنولوجيا ضمن المناهج التعليمية والأنشطة المدرسية والجامعية ، بما يسهم في تنشئة جيل قادر على التفاعل الإيجابي مع التكنولوجيا دون الوقوع في دائرة الإدمان الرقمي.
- توصي الدراسة باضطلاع وسائل الإعلام بدور فاعل في توعية المجتمع بمخاطر الإدمان الرقمي وآثاره الاجتماعية ، من خلال برامج تثقيفية وتوعوية تسلط الضوء على أهمية التوازن بين الاستخدام الرقمي والتفاعل الاجتماعي الواقعي داخل الأسرة.
- ضرورة تمكين الآباء من مواكبة التحولات الرقمية ، وتطوير مهاراتهم في التعامل مع التكنولوجيا ، بما يعزز دورهم التربوي والرقابي ، ويحدّ من الفجوة الرقمية بين الأجيال داخل الأسرة.
- تقترح الدراسة إجراء بحوث ميدانية كمية ونوعية لقياس حجم الإدمان الرقمي داخل الأسر العراقية والعربية والاجنبية ، وتحليل علاقته بمتغيرات اجتماعية أخرى مثل العمر ، المستوى التعليمي ، ونمط التنشئة الأسرية.
- تقترح الدراسة توظيف نظريات اجتماعية حديثة ، مثل نظرية المجتمع الشبكي أو نظرية المخاطر ، لتحليل الإدمان الرقمي بوصفه ظاهرة اجتماعية بنيوية وليست مجرد سلوك فردي.
- تقترح الدراسة إجراء بحوث مقارنة بين أنماط التفاعل الأسري قبل وبعد انتشار الوسائط الرقمية ، للكشف عن التحولات التي طرأت على العلاقات الأسرية وأدوار أفراد الأسرة.
- إعداد برامج إرشادية موجهة للأسر تهدف إلى تنمية مهارات التواصل الأسري ، وتنظيم الاستخدام الرقمي ، وتعزيز التوازن بين الحياة الرقمية والتفاعل الاجتماعي الواقعي.

قائمة المراجع

الكتب:

- ابن منظور (1990) ، لسان العرب ، المجلد 4 ، ج1 ، دار صادر للنشر ، لبنان ، بيروت ، ص45.
- اتاواي (1976) ، التربية والمجتمع ، ترجمة وهيس سمعان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، القاهرة ، ص69.
- إحسان محمد الحسن (1985) ، البناء الاجتماعي والطبقية ، دار الطليعة للنشر ، لبنان ، بيروت ، ص233.
- حلمي منيرة (1978) ، التفاعل الاجتماعي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، القاهرة ، ص230.
- طلعت إبراهيم لطفي (2014) ، علم الاجتماع الأسري ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، القاهرة ، ص157-156 ، 214- 215.
- عبد الكريم عطا كريم (2016) ، إدمان الإنترنت خطر جديد يداهمنا ، دار الحامد للنشر ، الأردن ، عمّان ، ص22.
- علي أسعد وطفة (2013) ، علم الاجتماع التربوي ، جامعة دمشق للنشر ، سوريا ، دمشق ، ص73.
- فهد الغفيلي (2017) ، الإعلام الرقمي: أشكاله ووظائفه وسبل تفعيله ، دار الملك فهد للنشر ، السعودية ، الرياض ، ص22-24.
- محمد عبد الحميد (2015) ، التواصل الاجتماعي عبر شبكات التواصل الحديثة وتأثيره في العلاقات الاجتماعية ، عالم الكتب للنشر ، مصر ، القاهرة ، ص97-98.
- محمد منير حجاب (2010) ، الاتصال الإنساني ونظرياته الاجتماعية ، دار الفجر للنشر ، مصر ، القاهرة ، ص233.
- النجيحي محمد لبيب (1976) ، الأسس الاجتماعية للتربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، القاهرة ، ص246.

المقالات:

- Kimbrley S Yuong, (1998) Internet Addition: The Emergence of a New Clinical Disorder, Journal of Cyberpsychology and Behavior, No.3, Vol.1, New Work, USA, p.238.
- حامد مجيد فاره الشطري (2022) ، الإدمان الرقمي وعلاقته بالعزلة الاجتماعية لدى طفل طيف التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم ، مجلة الباحث الإعلامي ، المجلد 14 ، العدد 56 ، كليـة الاعلام ، جامعة بغداد.
- عدنان محمد عبده القاضي (2020) ، المساندة الاجتماعية وعلاقتها بإدمان الإنترنت لدى طلبة كلية التربية جامعة تعز ، مجلة العلوم النفسية والتربوية ، المجلد 6 ، العدد 3 ، الجزائر ، ص120-122.
- فاطمة حسن سالم خليفة (2025) ، الإدمان الإلكتروني وتأثيره على الفرد والمجتمع ، مجلة القرطاس للعلوم الإنسانية والتطبيقية ، المجلد 3 ، العدد 27 ، ليبيا ، ص301.

- محمد فرج أبو تبينة (2023) ، أثر وسائل الاتصال الاجتماعي على العلاقات الأسرية كما يدركها الأبناء ، مجلة أبحاث – كلية الآداب – جامعة سرت ، المجلد 15 ، العدد 2 ، ليبيا ، ص98.

المداخلات:

- إسراء جواد حاتم (2025) ، متغيرات البيئة الدولية الرقمية والنظام الأسري: دراسة في تأثير نظرية (الدومينو) ، المؤتمر العلمي الحادي عشر الموسوم: الأمن الأسري في العراق – التحديات والمعالجات ، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية ، العراق ، بغداد ، ص322.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Contemporary challenges of socialization

FEDJIRI Hassiba[1]
Mouloud Mammeri University of Tizi-Ouzou
hassiba.fedjiri@ummto.dz
BETTOUCHE Soraya[2]
Mouloud Mammeri University of Tizi-Ouzou
Soraya.bettouche@ummto.dz

Abstract:

Socialization is among the fundamental and central processes through which individuals are integrated into society and acquire the norms and values that govern this integration. However, the rapid transformations associated with the digital revolution, globalization, and the changing structure of the family have led to the emergence of new challenges that significantly impact the effectiveness of traditional socialization institutions. Digital spaces and media now compete with these institutions, including the family and school, in shaping behaviors and attitudes. Furthermore, economic pressures and urban lifestyles play a major role in diminishing the monitoring and control functions within the family.

There are studies that have addressed the topic of socialization, but we find that those previous studies deal with these changes and transformations in a fragmented way, and they focused on a specific factor only without delving into and highlighting the integration with the rest of the dimensions, and without adopting a comprehensive approach that shows this interaction and interdependence between the various transformations. Therefore, the subject of this research revolves around the contemporary challenges of socialization from a sociological perspective, relying on the theoretical analytical method, while showing the role of the various socialization institutions, especially the family and the school, which are among the most important primary institutions in shaping and forming the individual's personality.

This intervention aims to highlight the various and most important of these challenges and to analyze their repercussions and impact on the formation of identity among members of society. It concludes that contemporary

socialization has become one of the complex processes that require integration between the roles and functions of various actors in society in order to ensure value balance, which calls for coordination between the various institutions of society, and the development of renewed strategies that adapt to the various rapid transformations and changes, without compromising the important and fundamental values and standards in society, in order to preserve the social and cultural identity of the rising generations.
Keywords: Socialization institutions; the family; contemporary challenges; social control; the school

التحديات المعاصرة للتنشئة الاجتماعية

فجيري حسيبة[1]

جامعة مولود معمري تيزي-وزو

hassiba.fedjiri@ummto.dz

بطوش صورية2

جامعة مولود معمري تيزي-وزو

Soraya.bettouche@ummto.dz

ملخص:

إن التنشئة الاجتماعية تعد من بين العمليات الأساسية والمركزية التي من خلالها يدمج الأفراد في المجتمع، ويكتسب المعايير والقيم التي تنظم هذا الاندماج. إلا أن التحولات المتسارعة المرتبطة بالثورة الرقمية والعولمة وتغير بنية الأسرة، آلت إلى نشأة وظهور تحديات أخرى جديدة لها مساس كبير بفعالية مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية. بحيث أصبحت الفضاءات الرقمية ووسائل الإعلام تنافس هذه المؤسسات منها الأسرة والمدرسة وذلك في تشكيل السلوكيات والاتجاهات. كما أن الضغوط الاقتصادية وأنماط الحياة الحضرية لها دور كبير في تقليص وظائف المتابعة والضبط داخل الأسرة.

وهناك دراسات تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية إلا أننا نجد بأن تلك الدراسات السابقة تعالج هذه التغيرات والتحولات بشكل مجزأ، كما أنها ركزت على عامل معين فقط دون التعمق وإبراز التكامل مع بقية

الأبعاد، ودون تبني مقاربة شاملة تبين هذا التفاعل والترابط بين مختلف التحولات، لذلك فموضوع هذا البحث يدور حول التحديات المعاصرة للتنشئة الاجتماعية وذلك من منظور سوسيولوجي وذلك بالاعتماد على المنهج التحليلي النظري، مع تبيان دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة لاسيما الأسرة والمدرسة التي تعد من أهم المؤسسات الأساسية الأولى في صقل وتشكيل شخصية الفرد.

وتهدف هذه المداخلة بذلك إلى إبراز مختلف وأهم هذه التحديات وتحليل انعكاساتها وتأثيرها على بناء الهوية لدى أعضاء المجتمع، وينتهي إلى أن التنشئة الاجتماعية المعاصرة أصبحت من العمليات المعقدة التي تتطلب التكامل بين أدوار ووظائف مختلف الفاعلين في المجتمع وذلك لضمان التوازن القيمي، والتي تستدعي التنسيق بين مختلف مؤسسات المجتمع ، ووضع استراتيجيات متجددة تتكيف مع مختلف التحولات والتغيرات المتسارعة وهذا دون أن نمس بالقيم والمعايير الهامة والأساسية في المجتمع، وهذا من أجل المحافظة على هوية الأجيال الصاعدة الاجتماعية منها والثقافية.

الكلمات المفتاحية: مؤسسات التنشئة الاجتماعية، الأسرة، التحديات المعاصرة، الضبط الاجتماعي، المدرسة

مقدمة:

من بين العمليات والمفاهيم المحورية والمركزية في علم الاجتماع نجد مفهوم التنشئة الاجتماعية، والتي عبرها يكتسب الأفراد منظومة المعايير والقيم والأدوار التي تسمح لهم بالاندماج داخل البناء الاجتماعي. وحسب عالم الاجتماع **إميل دوركهايم**، فتعتبر وسيلة وفرصة للمجتمع تضمن استمراريته عبر الأجيال المتوالية وإعادة إنتاج ذاته.

إلا أن العالم المعاصر من مميزاته اتساع رقعة العولمة الثقافية وتسارع التحولات الرقمية التكنولوجية وكذلك تغير بنية الأسرة، إضافة إلى ذلك هناك متغيرات أخرى مثل الضغوط الاقتصادية والتغيرات الاجتماعية وغيرها، كل هذا أفرز محيطا اجتماعيا مغايرا لتلك التي كانت تسبح فيها مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية.

إن التنشئة الاجتماعية اليوم أصبحت عملياتها تتم في بيئة متشابكة تتركب فيها المرجعيات الافتراضية والواقعية، وتتنوع فيها مصادر التأثير، وهذا ما يطرح التساؤلات العميقة حول شكل وطبيعة التحولات التي مست وظائف وأدوار هذه المؤسسات التي من بينها بشكل خاص الأسرة والمدرسة، ومدى قدرتها على أن تواكب وتساير تلك التحولات العميقة.

ونجد أن الأدبيات السوسيولوجية أولت اهتماما بشكل بارزا بموضوع التنشئة الاجتماعية، ومن عدة جوانب وزوايا مختلفة، فهناك دراسات ركزت على الأسرة والتحولات التي أثرت عليها وانعكاس ذلك على عمليات الضبط الاجتماعي، بينما أخرى تطرقت إلى تأثير الثورة التكنولوجية في تشكيل السلوكيات والقيم خصوصا لدى فئة الشباب، كما نجد دراسات أخرى أيضا اهتمت بتحليل الدور الذي تلعبه المؤسسات التربوية في ظل تلك التغيرات والتحولات التي طالت المجتمع.

إلا أننا نجد بأن تلك الدراسات السابقة تعالج هذه التغيرات والتحولات بشكل مجزأ، كما أنها ركزت على عامل أو جانب معين فقط دون التعمق وإبراز التكامل مع بقية الأبعاد، ودون تبني مقاربة شاملة تبين هذا التفاعل التركيبي بين مختلف التحولات منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها وداخل سياق اجتماعي معين ومحدد. وفي هذا الصدد تتجلى للأفق الفجوة البحثية وحاجتها إلى تحليل عميق وشامل يجمع بين تلك الأبعاد أو الجوانب ويوضح الانعكاسات المتداخلة على التنشئة الاجتماعية.

وهنا تظهر بوضوح أهمية هذه الورقة البحثية، بحيث تعد التنشئة الاجتماعية والعمليات المرتبطة بها أساسا من خلاله تتشكل الهويات الجماعية والفردية، بالإضافة إلى ذلك فإن التحولات المعاصرة انجرت عنها أشكال جديدة من التفاعل الاجتماعي وأنماط مختلفة من العلاقات تستدعي مقاربة سوسيولوجية وقراءة متمعنة. كما أن أهمية الموضوع أيضا تظهر في تفسير التحديات التي تتعرض لها مؤسسات التنشئة الاجتماعية المتنوعة، وهذا ما يسمح بتبني الاقتراحات والتصورات العملية التي من شأنها أن تعزز فاعلية تلك المؤسسات في مجتمعنا الحالي.

وتسعى دراستنا هذه إلى الاهتمام بمختلف النقاط منها: التطرق إلى مختلف التحديات الرقمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها والتي لها تأثير كبير على مؤسسات التنشئة الاجتماعية، تفسير طبيعة التحولات في آليات الضبط الاجتماعي في المدرسة والأسرة، تقديم رؤية شاملة من خلالها نكشف عن التداخل العميق بين العوامل التي تؤثر في عملية التنشئة وذلك في السياق الاجتماعي المعاصر.

ومن هنا يأتي تحديد الموضوع، فهذا البحث يدور حول التحديات المعاصرة للتنشئة الاجتماعية وذلك من منظور سوسيولوجي، مع تبيان دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة لاسيما الأسرة والمدرسة التي تعد من أهم المؤسسات الأساسية الأولى في صقل وتشكيل شخصية الفرد، ولكن دون أن يتوسع البحث في الجوانب النفسية والفردية. فالاهتمام بالأساس يقع على تأثير التحديات المعاصرة وعلى هذه الأنساق الفرعية التي عندها أهمية ووظيفة كبرى في النسق الأكبر وهو المجتمع الذي يحويها ويحتضنها.

وفي ضوء هذه التحديات التي تعرفها المجتمعات المعاصرة، فالتنشئة الاجتماعية لم تعد عملية جامدة تتكئ على مرجعيات قيمية واحدة بشكل حصري، بل هي تخضع لتداخل المصادر المتعددة التأثير. وبهذا وانطلاقا مما سبق تبرز الإشكالية العامة للدراسة والتي نطرحها من خلال التساؤل التالي:

- **ما هي أبرز التحديات المعاصرة وإلى أي مدى تساهم في إعادة تشكيل عمليات التنشئة الاجتماعية ووظائف مؤسساتها التقليدية؟**

وتبرز تحت هذا السؤال هذه الأسئلة الفرعية:

- كيف تأثر التحديات الرقمية في أنماط التوجيه والضبط داخل الأسرة؟

- ما هي انعكاسات التحولات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية على وظائف مختلف مؤسسات التنشئة؟

أولا: تحديد المفاهيم الأساسية

إن تحديد المفاهيم في علم الاجتماع يعتبر من أهم العمليات التي يجب على الباحث أن يولي لها الاهتمام، حتى يتمكن من ضبط المفاهيم التي يتناولها في نطاق دراسته، فهذه الخطوة تعمل على ضبط الدلالات للمفاهيم والمصطلحات البارزة في نطاق البحث، وإزالة الغموض عنها. وهذا ما يضمن انسجام التحليل ودقة المنهجية المستعملة في نطاق البحث. والمفاهيم في ميدان السوسيولوجيا يجب أن تكون على علاقة وارتباط وثيق بسياقات اجتماعية معينة وإطارات نظرية معينة، بحيث تستخدم بدلالاتها العامة اللغوية. وعند التطرق لموضوع التنشئة الاجتماعية فيجب التركيز على المفاهيم المحورية التي يقوم التحليل عليها وحتى لا نشتت انتباه القارء إلى مفاهيم متعددة وحتى لا نخرج من إطار البحث، فسوف نكتفي بتحديد المفاهيم التي على وثيقة مباشرة بالموضوع وعلى رأسها التنشئة الاجتماعية، مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتحديات المعاصرة.

1 التنشئة الاجتماعية

إن مفهوم التنشئة الاجتماعية يعتبر من بين المفاهيم الهامة والمحورية في علم الاجتماع، بحيث أنها "تعمل على تعليم وترسيخ السلوكات التي يقبلها المجتمع، وتعتبر ذات أهمية في المجتمع، وهي عملية تتم طوال حياة الفرد، وتتغير حسب فترات حياته" (GENDRON & GENISSEL, 1999, p. 107)، وهي أيضا تعني العملية التي من خلالها يكتسب الفرد مختلف المعايير والقيم والاتجاهات والأنماط السلوكية التي تسمح له بالتكيف مع المجتمع الذي يضمه ويندمج معه. فهي بذلك تعد من العمليات الاجتماعية المستمرة والتي تكون بدايتها من مرحلة الطفولة المبكرة، ولها امتداد في الزمن فهي لا يمكن أن تعرف توقفا في مرحلة معينة من مراحل عمر الانسان.

وهناك تعريفات مختلفة للتنشئة الاجتماعية من بينها:

تعريف **جاريي وكابول** بأنها" السيرورة التي تمكن الفرد من التعلم واستنباط مختلف العناصر الثقافية، كالمعايير والقيم والممارسات الاجتماعية والثقافية التي تتميز بها جماعته، وهذا ما يسمح له بتشكيل شخصيته

الاجتماعية الخاصة به وبتكيفه مع الجماعة التي يعيش ضمنها، وبفضل هذه السيرورة يتم الاندماج الذي ينتج بصفة طبيعية ولا شعورية التجانس والتوافق مع الوسط الاجتماعي" (صالح، 1998، صفحة 62)

كما تعرفها **مادلين غرافيتز** أنها" السيرورة التي يتم من خلالها اندماج الفرد في المجتمع من خلال استبطانه القيم والمعايير والرموز ومن خلال تعلمه للثقافة، وفي مجملها يفضل الأسرة، المدرسة، وكذلك اللغة والمحيط" (GRAVITZ, 2004, p. 18)

كما تعرف أيضا على أنها: " عملية تفاعل اجتماعي تتم بين الطفل والقائمين على رعايته من خلال مجموعة من الأساليب يتشربها هذا الطفل ويتأثر بها وتهدف تلك العملية إلى تربية هذا الطفل" (الكاشف، 1988، صفحة 167)

ومن خلال هذه التعاريف تبرز أهمية التنشئة الاجتماعية باعتبارها عملية مستمرة ودائمة ومن خلالها تنقل القيم وأنماط السلوك عبر الأجيال المتعاقبة وفي تشكيل الهويات الفردية والجماعية، وهذا ما يسهم إعادة الإنتاج للبناء الاجتماعي باستمرار.

2 مؤسسات التنشئة الاجتماعية

يمكن الإشارة إلى مؤسسات التنشئة الاجتماعية على أنها الأطر الاجتماعية ومختلف الهياكل التي من مسؤولياتها التربية والتوجيه ونقل المعايير والقيم الاجتماعية والثقافية عبر مختلف الأجيال، وهذا ما يضمن استمرارية النسق الاجتماعي واستقرار النظام. ولها أهمية كبرى تتمثل في لعبها دور الوسيط الذي يربط المجتمع بالأفراد الذين يحتويهم، والتي تساعدهم على فهم المعتقدات والأدوار والقواعد التي عليهم أن يتقيدوا بها، سواء في حياتهم المهنية أو الأسرية أو في علاقاتهم الاجتماعية وتفاعلاتهم اليومية المختلفة.

ومن بين هذه المؤسسات:

- ✓ **الأسرة**

وتعد النواة الأولى للتنشئة الاجتماعية في المجتمع، وهي المؤسسة الأهم والأبرز في الحياة العمرية للفرد، بحيث أنها توفر له المحيط الذي يتعلم فيه القيم والمبادئ واللغة ويكتسب المعايير والمبادئ الأساسية التي تصقل شخصيته، كما أنها "تهيئ الجو أو البيئة الاجتماعية التي يتشرب الطفل معاييرها ومثلها، وواقعها في تفكيره وسلوكه" (دسوقي، 1979، صفحة 267)، فعبرها يكتسب المبادئ الدينية والأخلاقية، أشكال التفاعل

مع الآخرين، الهوية الاجتماعية والشعور بالانتماء. كما أن هذه الخلية لها دور مركزي يتمثل في توجيه سلوكيات الأفراد سواء من خلال المحاكاة والتقليد أو التوجيه المباشر، وهي المكان الأولي الذي فيه الروابط الاجتماعية والعلاقات الأولية تتشكل. ويؤكد **أوغست كونت** على هذه الأهمية حيث يرى " أن الأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع. وهي النقطة الأولى التي يبدأ منها في التطور ..وهي أول وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد وتلقى عنه المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي، وأن الحياة الأسرية نظام موجود بالفطرة، وهي الحالة الطبيعية للإنسان" (الخشاب، 1981، صفحة 32)

✓ **المدرسة**

وتمثل المدرسة مؤسسة رسمية، وتسعى إلى تحصيل المعرفة للأفراد والخبرات والمهرات، وكذلك تعزز الانضباط والقيم الاجتماعية، فالمدرسة تبرز كعامل محوري في تطوير المهارات الفكرية والنقدية والتحليلية للفرد، وتغرس المعايير والقيم للمجتمع وتعزز روح التعاون بين الأفراد. و" قد أوجدتها المجتمعات حين تعقدت ثقافتها وكثرت عناصر هذه الثقافة واتسعت دائرة المعارف الإنسانية" (تركي، 1992، صفحة 186)

ومن بين التعريفات التي نجدها عن المدرسة أنها: "مؤسسة تهدف إلى تكثيف وتطوير عملية التلقين والتثقيف الاجتماعي وإخضاعها لنظم مدروسة ترتقي بها عن العفوية" (المعتوق، 1996، صفحة 23)، وهنا يشير عالم الاجتماع **إميل دوركهايم** إلى أنها تعتبر أداة فعالة من خلالها يعيد المجتمع إنتاج قيمه عبر البرامج التعليمية الهادفة والمنظمة.

✓ **جماعة الرفاق:**

وفي وقتنا الحالي أصبحت جماعة الأقران أو الرفاق تلعب دورا متزايدا، وبشكل خاص خلال سن المراهقة للأفراد، وتمثل محيطا من خلالها تتشكل العلاقات الاجتماعية خارج نطاق الأسرة وهذا من خلال الجماعة التي من خلالها يتعلم الأفراد المهارات المختلفة لحل أشكال النزاعات وكذلك المهارات التواصلية والتفاوضية، كما يكتسب قيما مشتركة مثل التكافل والتعاون وغيرها، والأساليب التعبيرية حول بناء هوية مستقلة وأنماط التعبير عن الذات.

ومن ذلك فجماعة الرفاق تقوم " بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي تؤثر في قيم وعادات واتجاهات الأطفال وحتى الكبار" (الشربيني و يسرية، 1996، صفحة 129)

✓ **الوسائط الرقمية ووسائل الاعلام:**

أصبحت وسائل التواصل الرقمي ووسائل الاعلام جوهرا وفاعلا هاما ومركزيا تحتل مكانتها ضمن التنشئة الاجتماعية المعاصرة، بشكل متزايد وخاص مع الانتشار السريع للشبكات التواصلية والمنصات الرقمية، ولها تأثير كبير من خلال نماذج سلوكية تقدمها للأفراد وتسمح لهم بتقليدها ومحاكاتها وتنشر المعايير والقيم الاجتماعية والثقافية، كما أن لها تأثير كبير على تشكيل هويات الشباب والتأثير على مسارات الرأي في المجتمع. فالأفراد عبر هذه " الوسائط يتعرضون للتنشئة الاجتماعية" (PIATON, 1997, p. 148)
ووسائل الاعلام تعرف بأنها "جميع المؤسسات الحكومية والأهلية التي تنشر الثقافة للجماهير، وتهتم هذه المؤسسات بالنواحي التربوية كهدف لتحقيق تكيف الفرد مع الجماعة" (العناني، 1997، صفحة 177) و" من خلال هذه الوسائل تبث الفئات المشرفة آراءها المؤثرة على الرأي العام بواسطة الأيديولوجيا التي تستخدمها" (الحلواني، 2003، صفحة 384)

✓ **المؤسسة الدينية:**

وفي علم الاجتماع تعني المؤسسة الدينية " نسق من المعايير والأدوار الاجمالية المنظمة التي تواجه الحاجة الدائمة إلى الإجابة على الأسئلة النهائية المتصلة بهدف الحياة وبمعنى الموت" (مولاي، 2012، صفحة 265)، وهذا النوع من المؤسسات الاجتماعية التقليدية يساهم بشكل واسع وكبير في توجيه السلوكيات وصقل الشخصية عبر زرع القيم الأخلاقية والروحية، وهي بذلك تعمل على: توجيه السلوكيات وفق ما تمليه القيم والمعايير الدينية، تأسيس الشعور بالانتماء الجماعي وتعزيز المبادئ الثقافية والاجتماعية والأخلاقية. كما تظل هذه المؤسسات ذات تأثير كبير وخاص على المجتمعات التي تترابط وتنسجم فيها القيم الدينية بالقيم الفردية.

3 التحديات المعاصرة

يشير هذا المصطلح إلى العوائق الحديثة والمعاصرة التي تتعرض عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمع والصعوبات التي تواجه التربية ونقل المعايير والقيم وذلك في ظل عالم يشهد تحولات على مختلف المستويات، ولا يمكن حصرها فقط في نطاق مؤسسة واحدة مثل الأسرة، إنما تطال المجتمع برمته وبكامل مؤسساته

الاجتماعية سواء غير الرسمية منها أو الرسمية. كما أنها تعرف اختلافا في التأثير حسب الفئات والمراحل العمرية للأفراد ابتداء من الطفولة وتمر إلى مرحلة المراهقة إلى أن تصل لمرحلة الشباب.

ومن مميزاتها ارتباطها الوثيق بمختلف التغيرات والتحولات في المجتمع سواء الاقتصادية منها أو الاجتماعية أو الثقافية أو الرقمية والتي تؤدي في الأخير إلى بروز سلوكيات وقيم جديدة لا تتوافق مع القيم التقليدية المتوارثة عبر المؤسسات مثل المدرسة والأسرة، وازدياد الصعوبة في التحكم بعملية التنشئة ويظهر ذلك خصوصا بانتشار وسائل التواصل والفضاءات الرقمية. وهذه المصادر تعرف تنوعا في المصادر التي تؤثر بشكل عميق على الأفراد وفي قدرة المؤسسات الاجتماعية التقليدية على نقل المعايير والقيم بأسلوب متسق وتعيد صقل الهويات وتشكيل سلوكيات الأجيال اللاحقة والصاعدة.

ثانيا: التحديات المعاصرة وأشكالها

إن عملية التنشئة الاجتماعية تواجه في عصرنا المعاصر مجموعة من التحديات الكثيرة والمختلفة والتي لها انعكاس كبير على مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي قدرتها على نقل المعايير والقيم للأجيال اللاحقة. كما أن هذه التحديات لا تنحصر في مجال واحد فقط، إنما تتراكب وتتداخل فيها جوانب اقتصادية وثقافية وتكنولوجية وأخلاقية، وهذا يولد فيها خاصية التغير باستمرار كما يجعلها عملية معقدة. وسوف نستعرض أبرز هذه التحديات فيما يلي:

1 التحديات الرقمية

إن التحديات الرقمية يمكن اعتبارها من أبرز المظاهر التي تعبر وتعكس التحولات المعاصرة التي تصيب المجتمع بمختلف مستوياته، فقد أحدثت وسائل التواصل الاجتماعي وانتشار التكنولوجيا وتوسعها وكذلك توسع استخدام الأجهزة الذكية المبتكرة تحولات جذرية مست شكل العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، بالخصوص فئة المراهقين والأطفال مع المحيط الاجتماعي الذي يلمهم. وقد أصبحت الفضاءات الرقمية تشكل مساحة كبيرة وجديدة من خلالها يتعلم الأفراد السلوكيات ويكتسب الهويات الجديدة والقيم، وذلك بعيدا عن منأى رقابة الأسرة المباشر أو المدرسة، وهذا ما يشكل تحديات جديدة ومستحدثة غريبة على مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية.

كما ننوه هنا إلى مسألة خطيرة على المجتمع والأفراد وهي ظاهرة الإدمان الرقمي التي تتزايد بشكل واضح ومستمر في عصرنا الحالي، بحيث أن المراهقون والأطفال يقضون معظم وقتهم أمام الشاشات خصوصا الهاتف. وهذا ما يجعل من فرص التفاعل الحقيقي مع الجماعة والأسرة تقل بشكل واضح. بالإضافة إلى ذلك فقد تصل الأمور إلى تبني سلوكيات منحرفة جراء الاستعمال المفرط لها عندما يتعرض الفرد لمشاهدة محتويات رقمية غير مناسبة مثل الاستهلاك المبالغ فيه والعنف وغيرها. كما أن ضعف الرقابة كذلك يبرز كمؤشر هام يؤدي إلى الفجوة القيمية بين ما يتبناه الفرد من المواقع الرقمية وما يكتسبه في بيئة الأسرة والمدرسة.

2 التحديات الاجتماعية

وتعتبر من أهم العوامل المؤثرة في عمليات التنشئة الاجتماعية في العصر الحالي وتتمثل في مجموعة من التحولات التي تمس النسيج الاجتماعي وشكل التفاعلات بين الجماعات والأفراد. فالتحولات الاجتماعية السريعة آلت إلى تشكيل أنماط علاقات مغايرة عن التقليدية، وهذا ما أثر بصيغة مباشرة على المؤسسات الاجتماعية وقدرتها على نقل المعايير والقيم بأسلوب وشكل متسق.

ومن أبرز التحديات الاجتماعية تعدد مرجعيات الأفراد وأصبحوا يتأثرون بمجموعة من السلوكيات المغايرة والقيم الغريبة عن تلك التي يكتسبونها في نطاق الأسرة والمدرسة وغيرها، وهذا ويؤدي إلى ظهور عدم الانسجام والتوافق بين القيم التقليدية والقيم الحديثة.

وهنا أيضا هناك ظاهرة الاغتراب بين الأجيال من نفس المجتمع نتيجة التحولات الكبيرة، فالآباء بذلك يجدون صعوبة في متابعة أبنائهم وتوجهاتهم وذلك خاصة مع الانتشار العميق للثقافات الجديدة والمعلومات. وهذا الوضع المتأزم يؤد إلى تحديات كبيرة في الحفاظ على التناسق بين الأجيال، كما أنه يزيد من فقدان المعايير الأساسية في المجتمع وانتشار وتوسع السلوكيات المنبوذة وغير المرغوب فيها. كما تشكل ظواهر اجتماعية مثل الهجرة والطلاق تحديات تجعل قدرة الأسرة على التوجيه والرقابة تقل بشكل واضح ما يصعب من عملية التنشئة الاجتماعية ونقل القيم التقليدية بشكل واضح في المجتمع والذي "بالأصل يحمل في داخله الصفات الذاتية التي تضمن استمراره وتحفظ شخصيته ودوره عبر التاريخ" (نبي، 1974، صفحة 12).

3 التحديات الاقتصادية

وتعد من أبرز العوامل تأثيرا في العصر المعاصر على عمليات التنشئة الاجتماعية، ومن بين التحديات الاقتصادية ارتفاع تكاليف العيش وتزايد نسبة البطالة والضغوط المهنية الأخرى وهذه العوامل تجعل من مؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة الأسرة أقل قدرة على منح الموارد اللازمة التي توجه من خلالها الأبناء وأقل قدرة على متابعة نموهم الثقافي والاجتماعي بصفة دائمة ومستمرة.

ومع خروج المرأة للعمل، وانشغال الوالدين بسبب المتطلبات التي تمليها الحياة المعيشية، فذلك يؤدي إلى تقليل التفاعلات اليومية بين أفراد العائلة الواحدة سواء في نقل القيم أو الأنشطة وغيرها، وهذا ما يؤدي بانشغال الأطفال واعتمادهم على مصادر جديدة للتعلم مثل الوسائل الرقمية وهذا ما يزرع لديهم قيما متنافية مع التي يكتسبونها من خلال التفاعل المباشر مع أفراد الأسرة. ف" الطفل يتشكل بطريقة محسوسة حسب طريقة تفكير الجماعة، والتي تعيره تصرفاتها" (ZERDOUMI, 1982, p. 174)

وفي بعض الأحيان تبرز ظاهرة أخرى وهي عمل الأطفال بسبب الظروف المعيشية أو الأزمة التي تمر بها الأسرة مما يقلل من فرصهم للتعلم والتلقين في المدرسة وهكذا فهم يتعرضون إلى تحديات قد تتجاوز سنهم. فالفوارق الاقتصادية والطبقية في المجتمع وبين الأسر تخلق فجوات عميقة في الانتماء المجتمعي والهويات الاجتماعية بين الأجيال الصاعدة.

ثالثا: انعكاسات التحديات المعاصرة على التنشئة الاجتماعية

إن التحديات المختلفة بما تحمله من أبعاد اجتماعية واقتصادية ورقمية وثقافية أدت إلى إحداث تغيرات على مختلف المستويات وشملت جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية للأفراد في المجتمع، لذلك فإن التطرق لهذه الانعكاسات شيء ضروري لكي نفهم طبيعة تلك التحولات التي تطال المجتمع والمؤسسات التي تشكله وكيفية التكيف بما يضمن استمراريتها وتوازنها. وتنعكس هذه التحديات على عدة مستويات نذكر منها بشكل موجز:

1 على مستوى وظائف المؤسسات

إن مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة سواء الأسرة أو جماعة الرفاق أو المدرسة وغيرها تتعرض لتحديات جمة نتيجة عوامل متنوعة ومتداخلة بسبب التحولات السريعة في المجتمع، وهذه التحديات يظهر انعكاسها بشكل واضح على وظائف تلك المؤسسات وعلى أداء أدوارها التقليدية سواء في توجيه السلوكيات أو غرس المعاير والقيم وتنمية مهارات الفرد عبر تعليمه وتلقيه ل "مختلف الأدوار التي يطالب بها، ومختلف قواعد التنظيم التي يتعامل بها مع المجتمع" (LIABES, 1987, p. 217).

وقد أدت التحولات الرقمية إلى التقليل بشكل واضح من توجيه الأفراد المباشر وتقليل الرقابة، بينما التحولات في بنية الأسرة والظواهر المتعلقة بها مثل الطلاق والهجرة ساهمت في التقليص من دور خصوصا الأسرة التي تعتبر النواة الأولى في التنشئة ف" أصبحت الأسرة تحدد من عملية الاعداد الاجتماعي البيئة الملائمة لتحقيق فرص النجاح في الدراسة والحياة عامة، وفقا لما توفره الثورة المعلوماتية من معارف جديدة في مجال التنشئة الاجتماعية والمعرفة المتنوعة في مجال العلاقات الاجتماعية الأسرية ومتطلبات أدوارها الجديدة" (السيد، 2004، صفحة 80). فتغير البيئة هذا يستدعي تكاتف مختلف الجهود وإعادة النظر لمختلف الوظائف التقليدية التي تقع تحت عاتق تلك المؤسسات، فهذه الأخيرة عليها أن تتبنى استراتيجيات متعددة الوسائل وأن تتميز بالمرونة بحيث تجمع بين التوجيه الرقمي والتعليم الرسمي والدعم المجتمعي، من أجل استمرار نقل المعايير الاجتماعية والقيم وحماية العلاقات والروابط الاجتماعية من الصراعات والتفكك الناتج عن مختلف التحولات المجتمعية في عالمنا المعاصر.

2 على مستوى المعايير والقيم

التحديات المعاصرة لها تأثير كبير على مستوى المعايير والقيم التي تظهر بشكل واضح، فعملية التنشئة الاجتماعية لم يعد دورها مقتصرا على الأسرة بشكل حصري أو المدرسة، إنما أضحى الفرد له مصادر متعددة التأثير منها وسائل الاعلام والمنصات الرقمية المتعددة وجماعات الأقران وغيرها، ومن هذا التعدد في المصادر التأثيرية تنشأ الصراعات بين القيم الحديثة المكتسبة من المحيط وبين القيم والمعايير التي تنقلها الأسرة.

ومن هنا فإن التحديات المعاصرة تعقد من عملية الحفاظ على المعايير والقيم الاجتماعية، كم أنها تفرض على مؤسسات مثل الأسرة والمدرسة لتبني استراتيجيات وخطط تربوية مرنة تخلق التوازن بين متطلبات العصر

الحديث وبين المعايير والقيم التقليدية وذلك من أجل ضمان استمرار الهويات الاجتماعية والثقافية للأجيال اللاحقة.

3 على مستوى العلاقات الاجتماعية

تؤثر مختلف التحديات في عالمنا اليوم بشكل مباشر على طبيعة التفاعلات والعلاقات الاجتماعية على مختلف المستويات في المجتمع، فالتحولات الرقمية وسعت من دائرة التواصل، في المقابل فإن عمق العلاقات المباشرة بين الأشخاص قد قل بشكل واضح، وهذا ما جعل من نمط العلاقات يبدو سطحيا أكثر كما أنه يفتقد إلى الاستقرار. ضف إلى ذلك فإن التغيرات والظواهر المتعلقة بالأسرة منها الهجرة والطلاق، والتحضر المتزايد كذلك قد ساهمت بكثرة في انحلال وضعف الروابط التقليدية والتقليل من فرص الدعم المتبادل والتفاعل المباشر في المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص.

كما أن للتحديات الاقتصادية دور في ذلك أيضا لأنها تقلص من وقت العلاقات وذلك يرجع إلى الانشغال الدائم وضغوط العمل وهذا يؤدي إلى تراجع روح التضامن والمشاركة في الأنشطة الجماعية، وأصبح المجتمع يتبنى شكلا هشا من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية وهنا وجب التعزيز من وظائف مؤسسات التنشئة للحفاظ على التماسك والتضامن والاستقرار الاجتماعي.

خاتمة:

في الختام فهذه الورقة البحثية توصلت إلى أن تحديات التنشئة الاجتماعية المعاصرة، سواء الاجتماعية منها أو الاقتصادية أو الرقمية، تنعكس بصورة واضحة على بناء الهوية ووظائف المؤسسات وأدوارها وكذلك بنيتها وعلى العلاقات والتفاعلات الاجتماعية لأعضاء المجتمع. وأظهرت نتائج البحث بأن التحولات المعاصرة الرقمية قد تمكنت من فتح فضاء جديد للتفاعل والتلقين والتعلم، رغم ذلك فإنها تعمل بشكل بارز في إضعاف أشكال الرقابة في الأسرة، وزادت من الصعوبة في صقل القيم والسلوكيات وغرسها.

وتظهر ظواهر أخرى على السطح مثل التحضر المتزايد والطلاق والهجرة كلها تأثر على مؤسسات التنشئة الاجتماعية سيما الأسرة التي تعتبر النواة الأولى في تربية الطفل، وكلها تحديات أثرت على الانتماء المجتمعي والحفاظ على الهوية في المجتمع المعاصر. كما أن التحديات الاقتصادية قلصت من الوقت والموارد اللازمة لتوجيه النشء وأثرت على الروابط والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية.

وانطلاقا من هذه النتائج يمكن تقديم بعض التوصيات والاقتراحات التي يمكن أن تخلق عملية تنشئة اجتماعية فعالة وتتكيف مع هذه التحديات:

- تعزيز وظائف المؤسسات المختلفة سواء التعليمية أو المجتمعية في زرع القيم والمعايير الضرورية والايجابية عبر برامج متنوعة.
- التطوير من آليات التنشئة وذلك عبر التلقين والتعليم للأبناء والاستخدام الواعي للوسائل الرقمية المتنوعة وكذلك على الأولياء متابعة ومرافقة أبنائهم خصوصا حول المحتوى الذي يتعرضون له.
- زيادة التواصل والتفاعل اليومي في ظل الأسرة وتعزيز دورها وتوفير جو داعم للمعايير والقيم الاجتماعية.
- توفير الدعم الاجتماعي الاقتصادي في المجتمع لمختلف الأسر التي تعاني من ضغوط مختلفة، يساعدها على أداء أدوارها الموكلة إليها بشكل جيد.
- تشجيع مشاركة المؤسسات الثقافية والدينية والمجتمع المحلي في مشاريع تدعم التنشئة الاجتماعية وتحافظ على هوية الأجيال الصاعدة الاجتماعية والثقافية.

ومن هنا فإن مواجهة التحديات التي تتعرض لها التنشئة الاجتماعية تتطلب تكاتف الجهود والتعاون والتنسيق بين أجزاء المجتمع بما يضمه من مؤسسات اجتماعية، وتبني استراتيجيات متجددة ومرنة تتكيف مع مختلف التحولات المتسارعة وذلك دون أن نمس بالقيم والمعايير الأساسية في المجتمع.

قائمة المراجع:

1. أبو جادو صالح، (1998)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، كلية العلوم التربوية، دار المسيرة، الأردن، ص62

2. الحلواني أحمد، (2003)، العنف ووسائل الاعلام، مقدمة ضمن الملتقى الدولي حول العنف والمجتمع، 392-380

3. الخشاب مصطفى، (1981)، دراسات في علم الاجتماع العائلي، لبنان، دار النهظة العربية، ص32

4. السيد أحمد سميرة، (2004)، الأسس الاجتماعية للتربية، دار الفكر العربي، مصر، ص80

5. الشربيني زكريا ويسرية صادق، (1996)، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي، مصر، ص129

6. العناني عبد الحميد حنان، (1997)، الطفل والأسرة والمجتمع، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ص177

7. الكاشف عبد الله، (1988)، مدخل الى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص167

8. المعتوق أحمد محمد، (1996) ، الحصيلة اللغوية ، المجلس للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ص23

9. بن نبي مالك، (1994)، ميلاد مجتمع: ج1 شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، لبنان، ص12

10. تركي رابح، (1992)، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص186

11. دسوقي كمال، (1979)، النمو التربوي للطفل والمراهق، دروس في علم النفس الارتقائي، دار النهظة العربية، لبنان، ص269

12. مولاي ناجم، (2012)، المؤسسة الدينية ودورها في المحافظة على الهوية الوطنية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 2، العدد 1، 261-286

13. GENDRON Ignace & GENISSEL Michel, (1999), introduction à la sociologie, Édition Ellipses, France, p107

14. GRAVITZ Madlin, (2004), lexique des sciences sociales, Édition Dalloz, France, p18

15. LIABES djilali, (1987), contradictions sociales ou crise de socialisation, contribution à un débat, in Revue de sociologie, N3 spécial, Algérie, p217

16. PIATON Georges, (1997), Education et socialisation, éléments de la psycho-sociologie de l'éducation, Édition Édouard Privat, Fance ,p148

17. ZERDOUMI Nafissa, (1982), l'enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel Algérien, François Maspero, p174

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Blind imitation and its effect in eliminating personality and generating deviant thought

M.M. Zainab Khadir Abbas Al-Qaraghuli
University of Babylon - College of Basic Education - Department of History
roshanbilal22@gmail.com

Abstract:

The danger of blind imitation on Muslim society is its repercussions, leading to the loss of its authentic Islamic identity. It is well known that Muslim society is distinguished by its own unique Islamic cultural identity, distinguishing it from other, more secular Western societies. Therefore, blind imitation of a belief, religion, or personality leads to the dissolution of the true Islamic identity. The danger of this imitation lies in its failure to distinguish appropriate positions and policies that are consistent with standard Islamic behavior. This leads to immersion and submission, leading to everything that is outside of Islamic law, reason, and logic and humanity.

Keywords: keywords; keywords; keywords; keywords; keywords. Blind imitation, personality, thought, deviation

التقليد الأعمى وأثره في الغاء الشخصية وتولّد الفكر المنحرف

م.م زينب خضير عباس القره غولي
جامعة بابل– كلية التربية الاساسية–قسم التاريخ
roshanbilal22@gmail.com

ملخص:

ان خطورة التقليد الأعمى على المجتمع المسلم انعكاساته يؤدي الى فقدان هوية المجتمع الإسلامي الأصيلة، ومن المعلوم أن المجتمع المسلم إنما يمتاز بهوية حضارية إسلامية خاصة به، تميزه عن سواه من المجتمعات الغربية الوضعية، ومن هنا فإن التقليد الأعمى لمعتقد او لديانة او لشخصية، إنما يؤدي إلى ذوبان الهوية الإسلامية الصحيحة، وتأتي خطورة هذا التقليد في كونه لا يميز المواضع والسياسات التي يصلح الأخذ بها، والتي

تتناسب مع السلوكيات المعيار الإسلامية، مما يؤدي ذلك الانغماس والانقياد والذهاب وراء كل ما هو خارج الشرع والعقل والمنطق والانسانية.

الكلمات المفتاحية: التقليد–الاعمى– الشخصية– الفكر– الانحراف

مقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اما بعد:

فإن أهم ما يميز العقيدة الإسلامية , مع كونها محكمة وعادلة والإلهية التشريع فإنه مع ذلك كله وغيره تتميز بالعدل والوسطية والإنصاف لأتباعها وغيرهم، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ، وهذا الإسلام دين وسط بين الأديان, والمسلمون حقاً هم الوسط بين الأمم.

وينعكس التقليد الأعمى على الفرد المسلم من خلال تحقق مظاهر فقدان المعيار الذي يفرق الحق عن الباطل من أهم انعكاسات التقليد الأعمى على الفرد المسلم فقدان المعيار العلمي والمنهجي؛ الذي يمكن الفرد من التفريق بين الحق ومقتضياته والباطل وتبعاته، ذلك أن المقلد إنما يتبع الجهة التي يرى فيها الكمال والصلاح، وعليه فيفند ويرفض أي طروحات أو حقائق من الممكن أن تعرض عليه. ويستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 170-171)

ولما كانت النفس الإنسانية تميل إلى التقليد بحكم أنه الحل الأسهل والأوفر من تقبل الجديد، من هنا توجهوا إلى التقليد الفكري والسلوكي للآباء، وهذا بلا شك أفقدهم المعيار والمحدد الذي يتمكن الفرد من خلاله التمييز بين الحق والباطل. ولذا ارتأت الباحثة في هذا البحث لبيان بعض جوانب وسطية في أبواب الاعتقاد

والشريعة وأثر ذلك على المسلمين بشكل عام وغيرهم ممن يتأثرون بهم وهو أمر يشغل جزأ كبيراً من هم الأمة الإسلامية ويمسُّ شرائع وطبقات عريضة من المجتمع.

تضمن البحث مقدمة وتمهيد ومبحثين، تناول التمهيد بيان مفردات الموضوع لغةً واصطلاحاً، وتضمن المبحث الاول: انواع التقليد واثره في تكوين الشخصية المجتمعية، وتناول المبحث الثاني: التقليد الاعمى والفكر المنحرف وسبل المعالجة، وخرج البحث بأهم النتائج والتوصيات التي توصي بها الباحثة.

التمهيد

بيان مفردات الموضوع لغةً واصطلاحاً

اولا: التقليد لغةً واصطلاحاً:

أ/ التقليد لغةً:

قال ابن فارس: ((التقليد مصدر للفعل الرباعي" قلّد"، والجمع: تقاليد، والإحاطة: أي ما يحيط بالشيء. ومنه القلادة، وهي "اسم لما يشتمل على الشيء ويحيط به))(ابن فارس، 1399هـ - 1979م، 115/3)قال ابن منظور: ((تقليد البُدن: أن يُجعل في عنقها شعار يُعلم به أنها هدي" فكأن المقَلِّدَ يجعل ما اكتسبه ممن قلده، قلادة في عنقه، تحيط به، كما تحيط القلادة بالعنق كاللفافة والعمامة)) (ابن منظور، 1414 هـ - 1994 م، 3 /367)

ب/ التقليد اصطلاحاً:

عرّف الجرجاني التقليد قائلاً: ((عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقدًا للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل))(الجرجاني، ، 2006م،ص90) والتقليد هو قبولٍ بلا حجة وليس ذلك طريقا إلى العلم لا في الاصول ولا في الفروع(الزحيلي، 1388هـ ، ص 666)

ثانياً: تعريف التقليد الاعمى اصطلاحاً:

هوَ أنْ يتبعَ يحاكي الإنسان غيره في قول أو فعل أو تَقْلِيد نَقَلَه الخَلَف عَن السلَف، سواء أكان اعتقاداً أم سلوك. فإنْ كان بدون دليل وبدون وعي أو إدراك فهذا تقليد أعمى(العقل، 1394 هـ، ص57)ويكون التقليد صحيحاً عندما يقوم الفعل على الدليل والإدراك والنظر والاستبصار والوعي(عبد الباقي، 1422هـ-

. 2001 م. ص 42) وتحمل بصمات التقليد الاعمى بآثارها السيئة التي تنتهي بتقدّس أفكار السلف والانغلاق الثقافي والجمود الفكري من دون إخضاعها لاختبار العقل(علوان، 1414هـ - 1994 م. ص 195)

والمقصود بالتقليد الأعمى بالنسبة للمسلم: ما سلكه المسلمون من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص من اتباع الكفار، والأخذ منهم، والتشبه بهم، في شتى ألوان الحياة وأنماط السلوك والأخلاق، وأشكال الإنتاج، في الاعتقاد والتصور والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفن والثقافة والنظم والتشريع، من غير اعتبار للعقيدة والشريعة الإسلامية والأخلاق الفاضلة، ومن غير إلزام للمنهج الإسلامي الأصيل(العقل، ص 111)

ومما تقدم يمكن القول: ان التقليد الأعمى بكافة مستوياته وسلوكياته ليس له مجال محدّد، وإنّما يكون في جميع مجالاتِ الحياة وأنماط الأخلاق والسلوك، من غير اعتبار لا للدين ولا للأخلاق أو تقاليد المجتمع.

ثالثاً: تعريف بالفكر المنحرف:

ان لكل مبدأ أو عقيدة أو دين منهج معين في التفكير يؤدي الى مجموعة الافكار والتصورات المكونة لتلك العقيدة أو ذلك الدين أو المبدأ المستمد منها، وأن أي انحراف في منهج التفكير والابتعاد عن مصادر الفكر لتلك العقيدة يؤدي الى نتائج أكثر بعداً منها وانحرافاً عنها (العقل، ص 111)

فالفكر المنحرف هو المخالفة عما سائد في الوسط البشري من قيم او اخلاق وثقافة وانظمة وقوانين، والخروج عن الوسطية والاعتدال مما يدفع بمتبني هذا النهج اما الغلو او التقصير، وكلامهما يعد مرفوضاً شرعاً وعقلاً. (العقل، ص 111)

فالانحراف في علم الاجتماع هو وصف للأفعال أو السلوكيات التي تخرق أو تنتهك المعايير الاجتماعية مثل رفض عادات وأعراف مجتمع ما. الانحراف سلوكٌ لا يتوافق مع قواعد السلوك الانساني(الميداني، 1399 هـ- 1979 م، ص70)

المبحث الاول

انواع التقليد واثره في تكوين الشخصية المجتمعية

تنوعت اساليب وطرق التقليد بحسب طبيعة الشخصية الانسانية، فمنها ما انحرف عن جادة الصواب بسبب تعطيل العقل والمنطق والثوابت الاسلامية، ومنها ما استند على المنطق والعقل وتفعيلها في كل زمان ومكان وموقف، وهنا لابد لنا ان نسلط الضوء على انواع التقليد سواء كان مذموماً او محموداً، وكما يأتي:

اولاً: العقائد الضالة:

من اكثر أسباب الضلال ونشوء العقائد المنحرفة هو التقليدُ الأعمى، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع؛ وما أكثر الضالّين بإسراعهم إلى اتّباع العادات البالية والتقاليد المنحرفة والتشبُّث بها(عبد الباقي، 1422 هـ- 2001م، ص143)

وتعرّف العقيدة على انها: ((لفظ اشتق من العقد، فهو الشد والربط والايثاق والثبوت بالأحكام)) (عبد الباقي، 1422 هـ- 2001م، ص147)

اما في الاصطلاح فهي: ((الايمان الجازم والقاطع بما يتم الاعتقاد به من عمل او فعل او فك)) (الجرجاني، ص154)

وتعرّف الضلالة على انها :((كل ما ضَلَّ اي ضاع وفُقِد من المحسوسات والمعقولات، اي بسلوك طريقٍ لا يوصِّل إلى المطلوب نتيجة العدول عن الطريق المستقيم عمدًا أو سهوًا، كثيرًا أو قليلاً ، فالضلال بالضدُّ من الهُدَى والرَّشاد)) (الجرجاني، ص157)

ومن مفهوميهما والاستدلال القرآني الذي اشار لهما في مواطن عدة، نستطيع القول: ان الضلال في العقيدة آفة تصيب الافراد والمجتمعات، وتنخر في اجسادهم، كي تحولها الى رماد معلنة انتصارها الساحق على العقول التي لا تملك وعياً وفكراً يهدي اصحابها الى طريق النجاح والفلاح(الغصن، 1998م، ص154)

ففي ذلك قال تعالى:﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة الاعراف، الآية 186.وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾سورة طه، الآية 123.وقال عز وجل: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾. سورة نوح، الآية 24 .

ولو تتبعنا آيات الله في القرآن الكريم ، التي حذرت الناس من الضلال والوقوع فيه، لوجدناها تقريباً ثلاث وخمسين آية في سور مختلفة من الثقل الاول الذي ان تمسكنا به لن نضل بعد رسولنا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ابداً، ووجدنا ان التحذير والتذكير كبيران من اقترافه والمعنى واحد، لما له من وقع شديد يصيب الفرد والمجتمع(عبد الباقي ، ص149)

اذ ان اساس كل انحراف هو الضلال الذي يقع به الفرد ، فإذا حل الضلال وانتشر في الاوساط المجتمعية يكون عمله عمل البكتريا ونشاطها وانتشارها، فمن خواصها سرعة انتشارها على الاسطح لما لها من خاصية الحياة ، فأنها تنمو الى حجم معين ثم تتكاثر عن طريق الانقسام الثنائي، ويصل تعدادها الضعف في وقت قصير جدا في عملية الانقسام والتنافر(علوان، ، 1414هـ- 1994م، ص33)

ويمكننا تشبيه العقائد الضالة بالسرطان وذلك بطريقة تكاثرها وانتشارها بشكل مرعب، بل هي اشد فتكاً واخطر وقعا على الفرد والمجتمع، نتيجة تكاثرها السريع عند الفرد البسيط ثقافةً وعلماً، وحينها سنرى هذه العقائد المضلة تتجذر في المجتمعات وتكون السائدة بسبب وجود البيئة الملائمة لتكاثرها، وما حل بالأمم والاقوام التي سبقتنا هو معلوم لنا، من طريق ما اخبر به الله سبحانه وتعالى في كتابة الكريم، وكل ما اصابهم واهلكوا فيه كان نتيجة انحرافهم وضلالتهم(الزكي ، 1998م، ص13)

وما انحراف البعض منا وضلالتهم في زمننا هذا بمختلف عما سبقونا فالحركات التي نعيش وجودها اليوم ليست ببعيده عنا، إذ وجدت لها الحياة في عقول السذج من البسطاء، فانحرفوا عن جاده الحق، فعشعش فايروس الانحراف في افكارهم الجوفاء، ليكون وسط ناقلاً للضلالة في المجتمع.(الزكي ، 1998م، ص17)

ثانياً: جهل الافراد (البسيط والمركب):

ان اصحاب حركات الضلالة والفكر المنحرف والمتبنين لهذ الفكر من السذّج، واعني بهم بسطاء الناس من العوام، انطوت عليهم بعض الشبهات التي لم يستطيعوا ترجمتها حسب المباني الكلامية والمؤشرات العقائدية الصحيحة، وذلك نتيجة الضعف في المستوى العلمي من جهة، والجهل بثوابت الشريعة الاسلامية من جهة اخرى، وكلا الامرين يوصل بصاحبة الى الاعتقاد الضال، وبالتالي سيؤدي الى حرف المسار عن الطريق

الصحيح، وان اي انحراف عقائدي سيوصل صاحبه الى احد مسلكين بطبيعة الحال اما ان يكون فرداً مغالياً، او يكون شديد البغض(ياسين، 1982م، ص113)

وأن صاحب الجهل البسيط يعلم أنه جاهل، ولا يزعم أو يظن لنفسه أنه عالم، بخلاف صاحب الجهل المركب فإنه مع جهله يظن أنه عالم، فجهله مركب من جهلين: الجهل بالشيء، والجهل بأنه جاهل به،(ياسين، 1982م، ص117) وكلا الامرين (الجهل العلمي والعقائدي) محل ابتلاء لصحابه بعدم قدرته على تمييز الامور بصورة صحيحة ، وذلك سيؤدي به الى الهلاك نتيجة الاعتقاد الضال غلواً او بغضاً(دوكلي، ، 1417هـ، ص116)

وصاحب الجهل المركب يتبنى اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، أي يتصور الشيء المعلوم ويعتقده على غير هيئته، فكان مركبا من أمرين (دوكلي، ، 1417هـ، ص118)

1- عدم العلم بالشيء وانتفاء إدراكه له وهاهنا يوافق صاحب الجهل البسيط.

2- أن يعتقد صاحب هذا الجهل ما هو مخالف للواقع غير مطابق لما هو في الخارج اعتقاداً جازماً، فهو لا يعلم ومع ذلك يعتقد الشيء على خلاف الواقع.

ومن الأمثلة القرآنية ما مثّل الله سبحانه وتعالى بنوعين من الافراد أحدهما صاحب جهل مركب، والآخر صاحب جهل بسيط ففي قوله تعالى: ﴿والّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا...﴾ سورة النور، الآية٣٩.فالكافر الذي يعمل الأعمال يحسب أنّه يحسن صنعا وأنّه يحصل شيئا، فإذا لاقى الله تعالى نوقش على أفعاله ولم يجد شيئا، إمّا لعدم إخلاصه، وإمّا لعدم سلوك سبيل الشرع، قال تعالى:﴿وَوَجَدَ اللهَ عِندَه فَوَفَّاهُ حِسَابَهْ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ سورة النور، الآية ٣٩.وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً﴾ سورة الفرقان، الآية ٢٣.فهذا جهله جهل مركب فهو لا يعلم بأنّ عملَه غيرُ صحيح ويعتقد بصحته وحصول الثواب والأجر عليه اعتقاداً جازماً(الدويش، 2004م، ص165)

وينقسم التقليد بصورة عامة الى نوعين، وهما كما يلي:

1-التقليد المباح(المحمود):

يكون في حق الفرد الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية، ويعجز عن معرفتها، ولا يمكنه فهم أدلتها، ولكن له طلب الدليل الشرعي من ذوي العلم والاختصاص؛ لأن المسلم من حقه أن يستوثق من أمر دينه(جريشة، ١٩٧٨م، ص58) وفي هذا النوع من التقليد طرق متعددة وصور مختلفة، كلها مباحة مالم تتنافى وتتعارض مع الشرع والعقل والمنطق.

2-التقليد الغير مباح (المذموم):

هو تقليد رجل واحد معين دون غيره من العلماء في جميع أقواله، أو أفعاله، ولا يرى الحق إلا فيه، ذهب البعض إلى جواز التقليد في العقائد والأحكام لشخص واحد، وهذا بحد ذاته يحجب العقل من التوسع في الادراك في مختلف المستويات، وبالتالي يعجز عن فهم الحجة والنظر والاستدلال (جريشة، ١٩٧٨م، ص59)

وللتقليد الاعمى انواع كثيرة، منها باختصار التقليد في الشعائر الموضوعة التي تخالف الشرع، وكذلك تقليد شيخ العشيرة، وتقليد السلف من الآباء والاجداد...الخ، وقد اشار القرآن الكريم الى هذا النوع المذموم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 170.

وهناك ايضاً تقليد اعمى لعبادة وجد الابناء الآباء عاكفين عليها، وقد ذكر لنا القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ سورة الشعراء، الآيات 70-75.وتقليد الأبناء للآباء من غير مصباح الهدى ظلامٌ يمنع من رؤية الحقيقة، وجمودٌ يحبِس أهله في دياجير التبعية، والعاقل مَن اقتدى في الحق وخالف في الباطل(صقر، 1990م، 113/1)

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول: وهبَنا الله العقل لنهتديَ به إلى معرفة الحقّ، ونستعينَ به على إدراك الصواب، فلا نعطِّل وظيفتَه بالتقليد المذموم، فتَزدَري نعمةَ الله علينا، وإن العقل لا يكمل دون علم، وإن الاهتداء لا يصحُّ من غير عمل، فكيف يقلِّد العاقل مَن لا يملك عقلًا ولا علمًا ولا عملًا صالحًا؟.

ثالثاً: موقف الإسلام من التقليد الأعمى:

من المعلوم ان الاسلام جاء للنهي لهكذا تقاليد التي هي خارجة عن التعاليم السماوية، لان مقلديها لا يهدون الى الطريق الصواب، وقد نهى القرآن الكريم عنها في اكثر من مناسبة، نذكر بعضاً منها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ سورة المائدة، الآية 104.فالآية تدعوا إلى إتباع شرع الله تعالى وما فرضه الله وأوجب تركه، ولكن الحجة التي يتعذَّرُ بها بعض الناس في عدم اتباع الحق هي أنهم وجدوا آباءهم على هذه العقائد والتقاليد والعادات (شلتوت، ١٩٩١م، ص141)

وايضا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سورة سبأ، الآية 43.ان عصبيَّات الأبناء للآباء من أقوى دوافع الأقوام التي تجعلهم يحرصون على مواريثهم من العادات والمعتقَدات والروابط القوميَّة، ولو لم تكن لها قيمٌ حقيقيَّة تجعل المحافظةَ عليها أمرًا حسنًا (الفار1998م، ص173).

رابعاً: أسباب التقليد الأعمى:

للتقليد الاعمى الذي هو سبب الى الانقياد لظهور فكر منحرف اسباب كثيرة، قديماً وحديثاً، ويمكن لنا ذكرها فيما يأتي:

1- ضعف الشَّخصيّة المقلد، وعدمُ ثقته بنفسه، فالضعيفُ يقلِّد القوي.
2- الجهل بأمور الدينِ والأخلاقِ وتقاليد المجتمع، ممّا يجعل الشخص يقوم بتقليد غيره من غير فهم ولا وعي(الفار,1998, ص174)
3- عدم وجودِ هدف للشخص المقلد في حياته، فيشغل نفسه بتقليد غيره دون تمييز.
4- حب الظهور، حيثُ يحاول المقلد لفت الأنظار إليه، فيقوم بتقليد غيره في كل ما هب ودب.
5- تأثر بعض الافراد بحضارات غير المسلمين وذلك بسبب تفوقهم في جذب غيرهم.
6- ضعف التربية والتوجيه الخاطئ للأجيال.

7- تأثير وسائل الإعلام السلبي التي تنشر البرامج الغير نافعة، بل تضر العقيدة وتصطدم معها (صقر، 1990، 116/1)

المبحث الثاني

التقليد الاعمى والفكر المنحرف – سبل المعالجة

اولاً: سبل معالجة التقليد الاعمى والفكر المنحرف:

مما لا شك فيه أن الإنسان لا بد له أن يعيش مع الناس، ويتفاعل مع البيئة المحيطة به، فيؤثر ويقلد بعضهم بعضًا، وإن اختلفت نسبة التأثر والاقتداء، وتنوعت مجالاته، فعملية الاقتداء ليست حالة طارئة قد تحصل وقد لا تحصل، ولكنها كما تقدم غريزة موجودة في نفس كل إنسان (صقر، عطية، 1990م، 118/1). فأساليب الغزو الفكري يحصل نتيجة التغيير الذي يجري داخل العقول والقلوب، ومن ثم ينتقل إلي الأخلاق والتقاليد والعادات (منصور ، 1991م، ص115)

وقبالة الغزو الفكري هو (التفكير) الذي يعد حركة عقلية وقوة مدركة يكتشف الانسان عن طريقها القضايا المجهولة لديه والتي يبحث عنها ويستهدف تحصيلها فتسمو معارفه وعلومه وافكاره في الحياة (صقر، 1990م، 119/1).

وقد ذم الله تعالى الذين يعطلون العقل عن وظيفته فوصفهم بشر الدواب فقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ سورة الانفال، الآية22.﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الانعام، الآية 50.وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ سورة فاطر، الآية 19-22.

ولهذا أمر القرآن الكريم الانسان، بالتفكير والتفكر والفهم والوعي ليفتح افاقه الفكرية ويحرك عقله وذهنه ويخرجه من الظلمات الى النور فوق قوقعة الجمود والتحجر الفكري والتقليد الاعمسورة البقرة، الآية 213 وليفكر الفرد تفكيراً علمياً سليماً يغني حياته بمكتشفات العقل والعلم فتزداد معرفته بهذا الكون وبخالقه العظيم فيؤمن به ويعبده على اساس من الايمان الواعي والتفكير الحي (الغمراوي، ١٣٩٣هـ ، ص ٣١).

ومن الاشارات القرآنية في هذا المجال قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) سورة البقرة ، الآية219.وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾سورة الحشر، الآية 21.وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الزمر ، الآية 2.

وعند عرض النتائج على النص القرآني سنجد ان ما جاء في النصوص القرآنية يؤيدها ويقرها العلم الحديث بكل تفرعاتها واصنافها، وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّة وَٰحِدَة فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلكِتَٰبَ بِٱلحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱختَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱختَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَا جَآءَتهُمُ ٱلبَيِّنَٰتُ ﴾ سورة البقرة، الآية 213.

لو تمعنا جيدا في النص القرآني لوجدنا ان العله من ارسال الانبياء هو لهداية الناس واصلاحهم، ولو كان الناس امه واحده ما الغاية من ارسال الانبياء، وهذا ما يؤكد ان احد الاوجه التي تحملها الآية الكريمة، والتي يمكن الاستدلال بها على ان الناس كانوا امه واحده وعلى قماش واحد من الجهل بأحكام السماء والقانون الالهي العادل، نتيجة عدم صدور التكليف لهم، اي كان الناس على فطرة الخلق الاولى في النشأة والتكوين (قطب، ١٩٨٦م، 643/2)

وتأكيدا لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الروم، الآية 30.اي فطره الخلق الاولى للجنس البشري ، وبعد ان ارتقى الجنس البشري اطواراً، ووصل الى مرحلة البلوغ في فهم وتقبل وادراك الاحكام، ارسل الله سبحانه الانبياء ليبدأ عصر جديد للبشرية، يمكن تسميته مجازاً او حقيقة (مرحلة بلوغ الجنس البشري) في فهم الاحكام السماوية وتطبيقها، وتقبلهم الاطروحة العادلة، وهذه الغاية باعتقادنا من الخلق البشري، المراد منه التطوّر للوصول الى الارتقاء في مداركة، وقابليته في قبول شروط التكليف الالهي، لذا خلق الله تعالى الخليفة الارضي (يوسف، 1978م، ص99).اذ قال عز وجل :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 30.

وبدأ العصر الجديد مع ذلك الخليفة المعلم المكلف بالأحكام السماوية، وتعليمها لبقيه الخلائق، وحينها وصلت البشرية بالقدرة على استيعاب الشرائع والمناهج، وفهمها لتطبيقهما، والعمل بما جاء فيهما (على,

1998م، ص154).ونستطيع ربط هذه القراءة في ما يتعلق بالأطروحة الإلهية العادلة، فهو استحقاق يحصل عليه العقل البشري حينما يكون مؤهل لذلك في فهم المطلب، وذلك بادراك واقع العلة من الخلق، وهو الوصول بالبشرية اجمع نحو الكمال، وهذا لا يتحقق الا من طريق الارتقاء بالذهن لعصمه الفكر والابتعاد عن التقليد الاعمى (السعدية, 2008م، ص19).

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول: بدأت رحلة العقل البشري من هنا في قراءه النصوص وفهمها، حسب الادراك الذهني والتصور العقلي، وبما ان الناس متفاوتون في مستوى التفكير والادراك والوعي والتصور، نجد وقوع الاختلاف في قراءه المفاهيم السماوية، ومن ثم يتم نشوب الخلاف اجتماعياً بسبب الاختلاف في مستوى الادراك وسلوك العقل المنطق.

اما في حال الوعي والادراك والمعرفة والفكر الصائب، يصعب تماما ان يجد الانحراف الفكري مكانه في عقول افراد المجتمع او يكون حاضنة له، فضلاً عن ذلك ان امراض الفكر المنحرف ان لم تجد الخلية الحية والبيئة الملائمة لها والحاضنة لها تموت وتهلك، كذلك الانحراف في الفكر والافكار الهدامة ستضمحل وتموت في حال الوعي العلمي ، والادراك الذهني السليم للفرد او المجتمع (يوسف، ص26)

ثانياً: خطورة التقليد الأعمى:

التقليد فيما ينفعُ الفرد والمجتمع، ويحقق مصالحهم، كالتقليد في طلب العلم والبحث والاختراع والابتكار في الطب والصناعةِ والتّجارةِ وغير ذلك، لأنَّ فيه خيرًا للجميع، أما التقليد الأعمى في السلوك والتصرفات والأفكار الشاذة دون مراعاة لمعتقدات المجتمع وثقافتِه وتراثه، فهنا يكمن الخطر، لأنّ التّقليد الأعمى غالبًا ما يحوّلُ المقلد اداة خطرة في هدم المجتمع وسبباً في تولد العادات المنحرفة التي تؤدي بدورها الى زعزعة الامن المجتمعي، وتحط من الشخصية الانسانية (يوسف، ص27)

وهناك خطورة واضحة للتقليد الاعمى، يمكن ذكر بعضها فيما يأتي (الهماش, 1998م، ص 22- 25

1- طمس شخصية الإنسان، والإساءة لمجتمعه ووطنه.
2- نشر ثقافة وأفكار المقلد المنحرفة والهدَّامة من غير الانتباه لمخاطر التقليد.
3- قتل روح الإبداع والابتكار عند المقلد، لأنّ أقصى طموحه أنْ يكونَ مثلَ الَّذينَ يقلّدهم.

4- أنَّه يؤدي إلى التَّفرق ويكثر من الاختلاف، ولا شكَّ أن التفرقَ والاختلافَ ممَّا تنبذه الشريعة، وقد ذكر الله ذلك مرارًا في كتابه مثل قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ سورة الشورى، الآية 13.

5- التقليد المذموم يؤدي إلى التفرق والاختلاف، فكل أحد يدَّعي أن الحق مع مقلَّده، ولا يجمع الناس إلا الحقّ وسبيله، وقد أكَّد الله سبحانه وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة الأنعام، الآية 153.

6- ينشر الفساد والأخلاق السيئة

7- أنه يورث الشحناء والتلاعن في الآخرة بين المقلِّد والمقلَّد، وقد ذكر الله ذلك في عدة مواضع من كتابه (الهماش, ص29) فقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ سورة الأعراف، الآيتان 38، 39.

8- أنه يورث إهمال العقل وتبنّي الخرافة، فالتَّقليد المذموم يعمي عن إدراك الحقائق، ويعطّل التفكير والاستنباط، ويدخل الأمة في متاهات الخمول المعرفيّ، فالمقلّد جعل عقله أسيرًا لغيره، وعطل هذه النعمة العظيمة التي وهبه الله إياها، وأثر هذا نراه في الدنيا والدين، فكم من أمة تمسّكت بتقليد من سبقوها فكررت الأخطاء، وسلكت نفس الطرق، فكان مآلهم الفشل، وكذلك في أمور الدين؛ فإن الإنسان متى ما عطَّل عقله وقلَّد غيره في كل شيء وبلا بصيرة ولا إدراك فإنه سيكون أرضًا خصبة لقبول الخرافات (الهماش, ص112)

9- التقليد المذموم يؤدي الى إلغاء الشخصية المسلمة؛ لأن الأصل فيها أن تكون متبصرة بما تعتقد وتقول، وتقليد أحد بعينه دون معيار صحيح وإنما لمجرد التعصب فعلٌ من أفعال الجاهلية،،(الهماش, ص113)

10- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ سورة البقرة، الآية 91. بعد أن قال: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 89.فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحقَّ قبل ظهور الناطق به والداعي إليه، فلمّا جاءهم الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادوا له، وأنهم لا يقبلون الحقّ إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها(الحيدر ، ٢٠٠٢ م ,ص ٢٢)

11- التقليد الاعمى والفكر المنحرف يفكك المجتمع (الجنحي ، ١٤٢٠ هـ، ص ٢٦٤)

ثالثاً: علاج التقليد الأعمى:

عالج القرآن الكريم والشريعة السمحاء جميع العادات والتقاليد المتوارثة التي لا تستند على اساس قرآني ولا نبوي ولا على العقل المنطق، فقد تصدى لها بشكل مباشر ونبذ مقلديها لما لهم من تأثير سلبي وخطير على بنية المجتمع بشكل عام (مصطفى، ١٩٩٨م، ص 100).وهناك بعض الامور التي يمكن اتباعها لمعالجة السلوك المنحرف نتيجة التقليد الاعمى فيما يلي:

1- يحرص الإنسان على رضا اللَّهِ عَزَّ وَجَل.

2- يجعل لنفسه هدفاً في الحياة، ويتذكّره دائماً ويعمل على تحقيقه.

3- المواظبة على القراءة لتثقيف وتحصين النفس.

4- حسن اختيار الأصدقاء، ويستعين بخبرة الأهلِ في اختيار معارفه وأصحابه، وهذا الامر ضروري ومهم جداً (النحلاوي، 1998م، ص 207)

النتائج والتوصيات

اولاً: النتائج:

بعد الخوض في تفاصيل الموضوع، خرجت الباحثة بنتائج عدة، من اهمها ما يأتي:

1- أن امتنا العربية الاسلامية اليوم لأحوج ما تكون الى الفكر الاسلامي الواعي السليم المستنبط من كتاب الله وسنة نبيه، والخالي من الشوائب والغرائب وصولاً لإحياء مجدها الاسلامي وبعثه من جديد على اسس اصيلة وقوية لبناء جوانب حياتها كافة وفقاً لما اراده الله سبحانه وتعالى منها.

2- ان التقليد الاعمى يورثُ الفكر المنحرف مما يؤدي ذلك الى الخروج عن نصر الله عز وجل وتوفيقه.

3- من أعجبِ ما يورثه التقليد المذمومُ أنَّه يُخرج الإنسانَ عن المسار الذي رسمه الله سبحانه وتعالى؛ لذا نجد أممًا من الناس تتبع قادتها وتقاليد آبائها في عقائد واضحة البطلان، هشَّة في البناء العلميّ، ضعيفة في الميزان العقليّ.

4- تعد قضية الفكر والتفكير وما يرتبط منها من مسائل وقضايا ونتاج معرفي وثقافي من أهم القضايا في حياة الانسان المسلم نظراً لما لها من أثر فعّال في عقليته وايمانه ومعرفته بالله وتحديد هوية الامة وشخصيتها وهدفها في الحياة، واداء رسالتها السماوية النبيلة.

5- يتسم الفكر المنحرف بقدرته على قلب المفاهيم وتشوبه الحقائق وطمسها، وتقديم أدلة وبراهين غير كافية او مناقضة الواقع، وتشويه الحقائق لدى الفكر المنحرف تكمن في الرفض القاطع للحقائق والادلة عن طريق التحريف والتشويه والتسفيه والقدرة على خلق الاكاذيب.

ثانياً: التوصيات:

1- من أجل ان نقوّم واقعنا الفكري والثقافي يجب علينا أن نفهم الفكر الاسلامي، مصدره واصالته، وخصائصه، واهدافه، ومنهج تفكيره، لكي نميّز بوضوح تام بين الفكر الاسلامي الاصيل وبين

الفكر الدخيل المتبرقع تحت شعارات التقدم والتحضر والتمدن والموضوعية والعلمية وغيرها التي تسعى دوماً الى هدم هذا الفكر واحتوائه بفكر خارج عن الاسلام وشريعته السمحاء التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرتها وفصلتها تفصيلاً تاماً وكاملاً ، وبينت كل شيء، وهي هدى ورحمة للبشرية جمعاء.

2- بات من الضروري القاء الضوء على الفكر والتفكير، لتبيان المقصود بكل واحد منها عامة وصولاً لتوضيح الفكر الاسلامي والتفكير الاسلامي خاصة، من حيث مفهومها وتعريفها والعلاقة بينهما.

3- وهبنا الله العقلَ لنهتديَ به إلى معرفة الحقِّ، ونستعينَ به على إدراك الصواب، فيجب ان لا نعطِّل وظيفتَه بالتقليد المذموم، فتَزدَري نعمةَ الله علينا.

4- إن العقل لا يكمُل دون علم، وإن الاهتداء لا يصحُّ من غير عمل، لذلك يتوجب على العاقل ان لا يقلّد مَن لا يملك عقلاً ولا علماً ولا عملاً صالحاً.

5- وجوب العمل على ترسيخ منهج التربية الإسلامية الصحيحة الذي يربي أتباعه على أن يكون كل مسلم أميناً على شريعة الله عز وجل وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأميناً على إيمانه، ونفسه، وعقله، وعلى مصيره في الدنيا والآخرة.

6- وجوب توجيه الفرد والمجتمع وتحذيره من التقليد الأعمى الذي يزج بالإنسان في ظلمات الجهل والضلال، فالمنهج واضح، والشريعة التي تطاع والسنة التي تتبع واحدة لا تتعدد، ولا تتفرق، فالمنهج الإسلامي، يربي في المسلمين الوعي في سلوكهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وتفكيرهم، وعباداتهم، وفي كل شؤونهم.

مصادر البحث ومراجعه:

- **القرآن الكريم:**

1- الجرجاني، عبد الرحمن بن عبد القاهر، التعريفات، ط3، دار صادر ، بيروت، 2006م.

2- جريشة، د. علي، د. محمد الزبيق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط2، دار الاعتصام، القاهرة ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

3- الجنحي، د. علي بن فايز ، رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، عدد ٢٧ الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٠.

4- الحيدر، د. حيدر بن عبد الرحمن الحيدر، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، أكاديمية مبارك للأمن، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
5- دوكلي، عثمان أحمد، التدابير الواقية من التشبه بالكفار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1417هـ.
6- الدويش، محمود، التشبه والتقليد الأعمى يقتلان الإبداع والابتكار والرجولة، ط2، دار الفكر، بيروت، 2004م.
7- الزحيلي، وهبة، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1388هـ .
8- الزكي، د.جمال محمد. إعجاز القرآن في تربية العقلية العلمية، ط3، دار صادر، بيروت، 1998م.
9- السعدية, أصلية سعيد، دور التربية في تعزيز الامن الفكري، رسالة التربية ,سلطنة عمان, 2008م.
10- شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ط17، دار الشروق ، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
11- صقر، عطية، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ط3، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1990م.
12- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ- . 2001 م.
13- العقل، ناصر عبد الكريم. التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، دار الوفاق، الرياض، 1394 هـ.
14- علوان، عبد الله ناصح، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، ط 3، الدار الشامية، بيروت، 1414هـ- 1994م.
15- علي, المجدوب احمد، الأمن الفكري والعقائدي, مفاهيمه وخصائصه, وكيفية تحقيقه, ط1، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1998م.
16- الغصن، سليمان بن صالح، اتباع الهوى مظاهره خطره علاجه، ط2، دار العاصمة، بيروت، 1998م.
17- الغمراوي، د. محمد احمد، الإسلام في عصر العلم، ط1، دار الإنسان ،القاهرة ، ١٣٩٣هـ.
18- الفار، د-عبد الواحد محمد الفار، الثقافة الإسلامية ، ط2، مكتبة الخدمات الحديثة، جده، 1998م.
19- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة , المحقق: عبد السلام محمد هارون , دار الفكر, 1399هـ - 1979م .
20- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط12، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
21- مصطفى، حلمي، الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث، ط1، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٩٨م.
22- منصور، محمد، الغزو الفكري وأثره في المجتمع الاسلامي، ط1، دار المنار الحديثة، القاهرة، 1991م.
23- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ - 1994 م، 3 /367.

24-الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة. العقيدة الإسلامية وأسسها. ط 2،دار القلم، بيروت، 1399 هـ- 1979 م.
25-النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط1، دار صادر، بيروت، 1998م.
26-الهماش, متعب شديد، إستراتيجية تعزيز الأمن الفكري- المفاهيم والتحديات، ط1، دار الفكر، بيروت، 1998م.
27-ياسين، محمد نعيم، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، ط2، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1982م.
28-يوسف، حسين محمد، أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، ط2، دار الاعتصام، القاهرة ، 1978م.

Society and the Individual in a Changing World: Between Structural Transformation and the Crisis of Values

Saoudi Lazhari / PHD Student
University Center / Nour El-Bachir El-Bayd / Algeria
Laboratory of Social and Human Sciences Studies, University of Relizane / Algeria
l.saoudi@cu-elbayadh.dz

Abstract:

The contemporary world is witnessing profound transformations at economic, political, technological, and cultural levels, leading to a reshaping of social structures and patterns of human life. This structural shift has generated a value crisis affecting the core of social relationships, as well as the meanings of belonging, identity, and ethical standards. This study aims to analyze the relationship between structural transformation and the value crisis in Western societies, and to examine its reflections on Arab societies in the context of globalization and rapid modernization. The study adopts a synthetic methodology based on collecting and analyzing the most significant contemporary sociological and philosophical contributions, with a comparison between the Western and Arab contexts. The study concludes that, despite the opportunities for progress that structural transformation offers, it has contributed to the dismantling of traditional value systems and produced a state of alienation and ethical uncertainty, which imposes on Arab societies the necessity of building a cultural and value project that accommodates modernity without compromising civilizational specificity.

Keywords: structural transformation, value crisis, globalization, Arab society, Western society, contemporary human being

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

المجتمع والإنسان في عالم متغير: بين التحول البنيوي والأزمة القيمية

سعودي لزهاري، طالب دكتوراه
المركز الجامعي / نور البشير البيض/ الجزائر.
مخبر دراسات العلوم الاجتماعية و الإنسانية جامعة غليزان/ الجزائر
l.saoudi@cu-elbayadh.dz

الملخص:

يشهد العالم المعاصر تحولات عميقة على المستويات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والثقافية، مما أدى إلى إعادة تشكيل البنى الاجتماعية وأنماط الحياة البشرية. وقد ولّد هذا التحول البنيوي أزمة قيمية تمس جوهر العلاقات الاجتماعية، فضلاً عن معاني الانتماء والهوية والمعايير الأخلاقية. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين التحول البنيوي والأزمة القيمية في المجتمعات الغربية، ودراسة انعكاساتها على المجتمعات العربية في سياق العولمة والتحديث السريع. وتعتمد الدراسة منهجية تركيبية قائمة على جمع وتحليل أهم المساهمات السوسيولوجية والفلسفية المعاصرة، مع مقارنة بين السياقين الغربي والعربي. وتخلص الدراسة إلى أنه على الرغم من فرص التقدم التي يتيحها التحول البنيوي، فقد ساهم في تفكيك منظومات القيم التقليدية، وأنتج حالة من الاغتراب والغموض الأخلاقي، مما يفرض على المجتمعات العربية ضرورة بناء مشروع ثقافي وقيمي يستوعب الحداثة دون المساس بخصوصية الحضارة.

الكلمات المفتاحية: التحول البنيوي، الأزمة القيمية، العولمة، المجتمع العربي، المجتمع الغربي، الإنسان المعاصر

إشكالية الدراسة :

تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية مفادها أن التحول البنيوي الذي تعرفه المجتمعات المعاصرة لا يقتصر على إعادة تنظيم البنى الاقتصادية والسياسية، بل يمتد ليحدث خللًا في النظام القيمي، مما ينعكس مباشرة على أنساق التنشئة الاجتماعية ووظيفة التربية في تحقيق الاندماج الاجتماعي. وتزداد حدة هذا الخلل في المجتمعات العربية بفعل انتقال النموذج الغربي في سياق تاريخي غير متكافئ، الأمر الذي يولد توترًا بين القيم التقليدية والحداثية داخل النسق التربوي.

وتستند الدراسة إلى التساؤلات التالية:

1. ما طبيعة التحول البنيوي في المجتمعات الغربية على المستويات الاقتصادية، الأسرية، والتكنولوجية؟
2. كيف تتجلى الأزمة القيمية في المجال التربوي الغربي؟
3. ما خصوصية انتقال النموذج البنيوي إلى المجتمعات العربية؟
4. كيف تعكس المدرسة العربية مظاهر الأزمة القيمية من ازدواجية المرجعيات والمعايير؟
5. إلى أي حد يمكن للتربية أن تقوم بدور تعديلي في مواجهة آثار التحول البنيوي على النسق القيمي؟

فرضيات الدراسة :

1. يسهم التحول البنيوي في تفكيك البنى الاجتماعية التقليدية المسؤولة عن الضبط القيمي.
2. تؤدي هذه التحولات إلى إضعاف الوظيفة الإدماجية للمؤسسة التربوية وظهور حالة من اللاتوازن القيمي لدى الأفراد.
3. تنتج المجتمعات العربية أزمة قيمية مركبة نتيجة الانتقال غير المتكامل للنموذج الغربي، يعكس النسق التربوي العربي هذا الاختلال في صورة ازدواجية معيارية وقيمية.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة على **المنهج التركيبي التحليلي**، الذي يقوم على:

1. **التحليل المفاهيمي** :ضبط مفهومي التحول البنيوي والأزمة القيمية وربطهما بمفاهيم علم الاجتماع التربوي (التنشئة الاجتماعية، الضبط الاجتماعي، الإدماج الاجتماعي).

2. **التحليل المقارن** :دراسة الفروقات بين المجتمع الغربي والمجتمع العربي في مسار التحول البنيوي وتشكّل الأزمة القيمية.
3. **التحليل النقدي** :تفكيك الخطابات حول العولمة والتحديث، وبيان حدود قدرة النسق التربوي على استيعاب التحولات البنيوية دون ازدواجية معيارية.

ولا تعتمد الدراسة على معطيات ميدانية، بل تندرج ضمن الدراسات النظرية التركيبية التي تهدف إلى تقديم تفسير علمي للعلاقة بين التحول البنيوي والأزمة القيمية.

أ–الإطار النظري السوسيولوجي:

1. **المقاربة الوظيفية البنائية** :المجتمع نسق متكامل، والتربية تقوم بوظيفة الإدماج الاجتماعي وإعادة إنتاج النسق الثقافي. التحول البنيوي يؤدي إلى اختلال التوازن.
2. **نظرية التغير الاجتماعي** :المجتمع ينتقل من التقاليد إلى الحداثة، وتتغير أنماط القيم والمعايير.
3. **المقاربة النقدية** :العولمة والنموذج الرأسمالي يفرضان قيمًا ثقافية مهيمنة، مما يؤدي إلى تهميش الخصوصية الثقافية.

ب–الإطار المفاهيمي:

1–التحول البنيوي:

يقصد بالتحول البنيوي مجموع التغيرات العميقة التي تصيب الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وتعيد تنظيم العلاقات بين الأفراد والمؤسسات .(Touraine, 1971) وهو لا يقتصر على مستوى واحد، بل يشمل أنماط الإنتاج، أنماط السلطة، أشكال الأسرة، وأنساق القيم.

2–الأزمة القيمية:

تعني الأزمة القيمية حالة الاضطراب أو التفكك التي تصيب منظومة المعايير الأخلاقية والاجتماعية، بحيث تفقد قدرتها على توجيه السلوك وضبط العلاقات الاجتماعية .(Durkheim, 1897/2014) وتتجلى هذه الأزمة في تصاعد الفردانية، ضعف التضامن، شيوع النفعية، وتراجع المرجعيات الكبرى.

ج–التحول البنيوي في المجتمع العربي:

1. **التحول الاقتصادي** :تزايد الاعتماد الأسواق العالمية و هيمنة الشركات المتعددة الجنسيات من خلال العولمة الاقتصادية مع انتشار الاستثمارات الأجنبية أدى الى تضاؤل القدرة الوطنية على التحكم في الموارد مما انعكس سلبا على أنماط الحياة الانسان العربي، هذه الفجوة بين الإمكانات و القدرات المحلية أدى الى تركيز الثروة و المعرفة في النخبة او في قوى خارجية بحيث أصبحت المجتمعات المحلية عاجزة على الاستفادة من التنمية أدى الى إعادة تشكل البنية الاجتماعية وفق معايير اقتصاد السوق مما أدى الى تفكك النسيج الاجتماعي و زيادة الاجتماع على الولاء العصبي او العائلي في ظل غياب مشاريع وطنية واضحة، هذا الاختلال في توزيع الموارد يزيد من الفوارق الاجتماعية و يعيق تنمية الانسان حيث تبدا عملية الصراع في تشكل الوعي البنيوي داخل الانساق.
2. **التحول الاجتماعي**: ان الخطير سوسيولوجيا ليس وجود ضغوط خارجية بحد ذاته بل تلاقي الضغوط الدولية مع غياب الرؤية الداخلية في هذه الحالة تدار الدولة بدل ان تقود، و تستجاب للإملاءات بدل صياغة الخيارات مما يؤدي الى اختلال المؤسسات الاجتماعية التقليدية (الاسرة، المدرسة، الجماعات المحلية) لم تعد قادرة على أداء وظائفها في التنشئة و التوجيه نتيجة ضعف القدرة على حماية القيم الاجتماعية و تامين المشاركة الفاعلة للفرد أدى الى الانجراف نحو قيم العالم المتغير مما أدى الى انقسامات فكرية بين الأغلبية الفكرية و النخبة المغتربة ،و في غياب رؤية الفعل تتحول السياسات الى إجراءات تقنية بلا افق و تفقد المؤسسة قدرتها على التوجيه القيمي كما ينفصل الخطاب الرسمي عن الواقع الاجتماعي و هذا وفق المنظور البورجيوي تتحول المؤسسات المشلولة الى إعادة انتاج العجز و تكريس الامتثال و تليم التكيف السلبي بدل الفعل الواعي و بذلك تسهم من حيث لا تدري في تنسيق ثقافة الانتظار و اضعاف المبادرة الفردية و تطبيع اللامبالات الاجتماعية بدل من إعادة انتاج المجتمع حيث يصبح الانسان فيها فاعلا بلا اطار مواطنا بلا افق مؤسسي، متعلم بلا مشروع مجتمعي و هذا ينتج التكيف مع الوضع بدل المشاركة و الصمت بدل التعبير و القبول بالحد الأدنى بدل السعي للتغيير.و حين تفقد المؤسسات رؤيتها، يفقد الانسان بوصلته و في هذه الحالة لا ينهار المجتمع دفعة واحدة بدل يدخل في حالة تأكل بطيئ للقيم و الثقة و المعنى التربوي للفعل الاجتماعي.

هذه المرحلة الانتقالية أدت الى انتاج مجتمع هجين لم تكتمل فيه مقومات بناء انسان الحضارة.

3. **التحول التكنولوجي** : ان التطور التكنولوجي المتسارع و المبهر الرقمنة ووسائل الإعلام والذكاء الاصطناعي خلق فضاءا رقميا يقدم مضامين متضاربة لثقافات و قيم مختلفة و أفكار متطرفة و سريعة الانتشار الى الكم الهائل من المعلومات المضللة لاعادة تشكيل وعي المجتمع الدولي وفقا لما ارادته الدولة العميقة التي تحكم العالم بمعايير مادية بحثة نتيجة لذلم يصبح وعي الفرد مشوشا من القيم التقليدية و التوجهات الحديثة و الواقع الافتراضي المهيمن حيث يميل الفرد الى ممارسة دوره الاجتماعي و الثقافي داخل الفضاء الرقمي بدل الفضاء الواقعي هذا يؤدي الى ضعف الفعل الجمعي و المؤسساتي التقليدي و تراجع حس المسؤولية المباشرو ظل الكم الهائل للمعلومات و الاختيارات يطور الفرد استراتيجيات بقار معرفية بحيث ينحاز معرفيا الى ما يوافق قناعاته او يريح وجدانه و بذلك ينسحب جزئيا من المشاركة الفاعلة في المجتمع الواقعي حيث يصبح الفرد تكييفيا دفاعيا و اكثر هشاشة للافكار سريعة الانتشار و هكذا يغير العالم الرقمي معنى الفعل الاجتماعي بحيث تصبح تفاعلات الفرد الرقمية تحمل معان مرتبطة بالهوية الافتراضية و ليست مجرد سلوكيات مادية، و لفهم سلوك الفرد الرقمي يجب تفسير النية و الأهداف وراء الفعل الرقمي و تفسر نظرية الوظائف الاجتماعية parsonsو نظرية الصراع الثقافي غرامسي ماكس حيث تستند الى ان الاختلال الوظيفي يعزز هشاشة التكيف الاجتماعي للفرد و تماسك النسيج المجتمعي.

4–الانعكاس التربوي :ان التحول القيمي العالمي أدى الى تباينات فكرية داخل المؤسسة الواحدة مما يجبر على إعادة بناء المنظومة القيمية و الأخلاقية في الدولة حتى يتسنى لها ابراز هويتها الثقافية و الاجتماعية لتحصنها من الانزلاقات نحو التفكك.

و بوصف الانسان نتاجا لعمل التنشئة الاجتماعية socialization حيث تتشكل شخصيته من خلال التفاعل مع الاسرة، المدرسة، و جماعة الرفاق و مع ان البيئة التربوية المعاصرة أصبحت بيئة مفتوحة و متداخلة و غير منضبطة قيميا مما يؤدي الى ضعف الضبط الاجتماعي و المدرسي و بروز الازدواجية القيمية لدى المتعلم مع اتساع الفجوة بيت القيم التي تبثها المدرسة و القيم التي يفرضها الواقع الاجتماعي و الاقتصادي و مع هيمنة المنطق الاقتصادي و ثقافة السوق تحولت وظيفة التربية من مشروع انساني و قيمي

الى أداة وظيفية تخضع لمنطق السوق، حيث اصبح النجاح الدراسي مرتبطا بقابلية التشغيل و التعليم وسيلة للترقي الاقتصادي لا للبناء القيمي و المعرفة سلعة تخضع لمعايير العرض و الطلب.

هذا التحول أضعف الوظيفة القيمية للتربية وقلص دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في ترسيخ القيم الأخلاقية المواطنة ، الالتزام الاجتماعي لصالح قيم النفعية و التنافس الفردي و الاستهلاك التي اعادت صياغة التشكل البنيوي الجديد للاسرة حيث تصبح السلطة بيد الأكثر نفعا.

أدى هذا التغير السريع و هيمنة المنطق المادي الى حالة من اللامعيارية داخل الفضاء التربوي و المؤسسي و يتمثل ذلك في تراجع المرجعيات القيمية المشتركة، ضعف سلطة الحاكم الرمزية و اهتزاز صورة الدولة كمؤسسة ضابطة للسلوك انعكس ذلك على انشار مظاهر العنف الانسحاب القيمي و الانسحاب الاجتماعي و الانفصال عن المعنى التربوي.

كما ان تغييب المرجعية الحضارية للامة في بناء المناهج و البرامج التربوية باعتبارها الاطار الذي يمنح التربية بعدها القيمي و الأخلاقي لصالح نماذج تعليمية مستوردة منفصلة عن السياق الثقافي و الاجتماعي أدى الى ضعف الهوية الثقافية لدى المتعلم و اضطراب المؤسسات الفاعلة عن محيطها الاجتماعي و قدان التربية لوظيفتها في بناء الانسان الحضاري المتوازن.

د- مظاهر الأزمة القيمية في المجتمع العربي:

.1-صراع المرجعيات:

ان تشكل مفهوم الدولة الوطنية و ارتباطها بالزعيم ام العائلة أدى الى تسيير المؤسسات الفاعلة بالولاءات و اقصاء الكفاءات و تعطيل العقل المؤسسي في ظل تمركز القرار في يد الزعيم أدى الى تهميش النخب العلمية و التقنية و اقصاء التفكير التشاركي و اختزال الخبرة في الولاء دون الكفاءة و استبدال المرجعيات الإسلامية (الشورى) كمبدا قيمي مقابل تعطلها كممارسة اجتماعية أدى الى تفكك العقل المؤسسي و شلل الأجزاء الإدارية و غياب التخطيط الاستراتيجي و هذا يرسخ ثقافة الامتثال بدل الابداع و يحبط الاستثمار في الراسمال البشري، حيث ينعكس النظام الشمولي مباشرة على التربية من خلال مناهج تمجيد القائد بدل التفكير النقدي و تحويل المدرسة الى أداة تطبيع أيديولوجي مع تجفيف الفضاءات الحوارية فتنشا الطاعة بدل المبادرة الخوف من الخطا و انتظار قرارات فوقية تحملها شعارات ظرفية.

و حين يكون القائد غير مؤهل معرفيا او إداريا تتحول التمية الى إدارة ارتجالية و سياسة ظرفية و تبديد للموارد بدل استثمارها، و هذه التنمية المعطوبة كنتيجة بنيوية تؤدي الى هشاشة الاستدامة ، ضعف العدالة الاجتماعية و ارتهان للأسواق الخارجية مع غياب القدرة على التكيف مع الازمات، فالتنمية لا تنهار فجاة يل تتاكل تدريجيا مع كل دورة من إعادة انتاج السلطة الفردية.

تتجلى الأزمة القيمية في المجتمع العربي في التوتر بين المرجعية الدينية التقليدية والمرجعية الحداثية الغربية، مما يولد ازدواجية في السلوك والمعايير (طه عبد الرحمن، 2000).

2- ضعف الضبط الاجتماعي:

أدى التحول السريع إلى تراجع فعالية مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، المسجد)، وظهور أنماط سلوكية هجينة تجمع بين الاستهلاك الغربي والخطاب القيمي التقليدي.

يعكس ذلك الاختلال الوظيفي في social dysfuction الى فشل البنى و المؤسسات في أداء وظائفها الأساسية سواء كانت تعليمية، اقتصادية، سياسية ، او اجتماعية و عندما يقترن هذا الاختلال بسوء فهم الحقوق و الواجبات تتحول المجتمعات الى فضاءات مربكة للفرد، حيث يواجه تحديات غياب المرجعية الواضحة و اضعاف دوره الفاعل، فضعف القدرة على ضبط و ترسيخ القيم و المعايير الأخلاقية و الاجتماعية في ظل غياب التربية على التفكير النقدي و المشاركة الفاعلة يتحول التعليم الى مهارة تقنية فقط دون بعد اجتماعي و مواطني.

فاختلال المؤسسات السياسية و الإدارية مع مركزية القرار و تقييد المبادرة الفردية مع عدم توزيع العادل للموارد يخلق شعورا بالغبن و اللامساواة و مع تراجع الأدوار التقليدية للاسرة و الجماعة للتوجيه و التنشئة و استبدال القيم الاصيلة بقيم السوق او الهيمنة الإعلامية ضعف الية الضبط الاجتماعي مما يزيد شعور الفرد بالعزلة و الاضطراب.

كما ان اراك الفرد لحقه في الحصول على الخدمات لاكن لايشعر بمسؤوليته على المجتمع او الدولة جعل الاستهلاك الفردي يهيمن على الفعل الاجتماعي حيث يرى الفرد نفسه ضحية اكثر من كونه شريكا في بناء المجتمع، حيث ان الوعي الاجتماعي للفرد يدرك المشاكل لكنه لا يملك أدوات التغيير و هنا تتعرض الهوية الاجتماعية للارتباك حيث يصبح الفعل لدى الفرد او المجتمع دفاعيا او سلبيا من ابرز معالمه التكيف

الصمت او الانخراط في أنشطة فردية غير مجدية اجتماعيا، فغياب الالتزام الجماعي يفتح المجال لتفكك النسيج المجتمعي.

هـ–نحو قراءة تركيبية للعلاقة بين التحول البنيوي والأزمة القيمية:

يمكن القول إن التحول البنيوي يمثل شرطًا موضوعيًا للأزمة القيمية، إذ يؤدي إلى تفكيك البنى التي كانت تنتج القيم وتعيد إنتاجها. غير أن الأزمة لا تعود إلى التحول ذاته، بل إلى غياب مشروع ثقافي قادر على إعادة صياغة القيم بما يتلاءم مع الواقع الجديد.

في السياق الغربي، جرى تعويض القيم الدينية بقيم مدنية وقانونية. أما في السياق العربي، فقد حدث التحول البنيوي دون اكتمال التحول القيمي، مما خلق حالة من "اللاانسجام البنيوي القيمي

خاتمة

حيث تتداخل العوامل الاقتصادية والسياسية والثقافية،و يختل توازن الدفاعات الوطنية، وتشتد الضغوط الدولية لا يتحرك الانسان في فراغي بل داخل هامش اجتماعي ضيق تفرضه البنية ليس كفاعل حر بل فاعلا مقيدا و مجالات تحركه ليست ثورية او تنمويه بل وقائية أخلاقية، ومعيشية وفي هذه الحالة لا يكون السؤال عن التحرر الكامل ،بل عن ادارة البقاء الاجتماعي والحفاظ على الحد الادنى من مقومات الحياة الانسانية . وكلما تزايدت الهيمنة الخارجية واستخدمت القوة لتغير الانظمة في ظل غياب مشروع وطني وشفافية مؤساساتية كلما ضعفت فعاليه مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتشكل وعي الفرد على نحو قسري و مشوه مما يزيد من قابلية الإنقياد ،ويعمق تفكك النسيج الاجتماعي.
والانسان في هذه البيئة لا يربى، بل يكيف لا ينشأ على الفعل، بل على التكيف. و هنا يجب استعادة الدور التحرري للتربية وإعادة إدماج وعي نقدي مقاوم يسهم في إعادة بعث مقومات بناء انسان الحضارة من خلال فهم التحول البنيوي واعادة تشكل المنظومة القيمية.

يتضح من خلال التحليل أن التحول البنيوي يمثل عاملًا مفسرًا للأزمة القيمية التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة، غير أن انعكاساته تختلف باختلاف السياق الحضاري. ففي حين أنتج في المجتمعات الغربية نموذجًا قيميًا جديدًا قائمًا على العقلانية الفردية، فقد أدى في المجتمعات العربية إلى تفكك جزئي في النسق القيمي دون بناء بديل حداثي متماسك. وتوصي الدراسة بضرورة إعادة بناء المشروع التربوي العربي على أساس تكاملي، يوفق بين الوظيفة الإدماجية للتربية ومتطلبات التحديث الاجتماعي

المراجع :

الجابري، محمد عابد .(1990) .*نحن والتراث* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

العروي، عبد الله .(1996) .*مفهوم الحداثة* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

طه عبد الرحمن .(2000) .*سؤال الأخلاق* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

برهان غليون .(2002) .*نقد السياسة* .بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

علي حرب .(2001) .*أوهام النخبة أو نقد المثقف* .بيروت: المركز الثقافي العربي.

Bauman, Z. (2000). *Liquid modernity*. Cambridge: Polity Press.

Beck, U. (1992). *Risk society: Towards a new modernity*. London: Sage.

Durkheim, E. (2014). *The division of labor in society* (Original work published 1897). New York: Free Press.

Giddens, A. (1991). *Modernity and self-identity*. Stanford: Stanford University Press.

Lyotard, J. F. (1984). *The postmodern condition*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Touraine, A. (1971). *The post-industrial society*. New York: Random House.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

A sociological reading of school quality in the context of dual education (classroom and digital) as a practice in the Algerian education system

hanane.baadji[1]
University of M'Sila, Algeria, Laboratory of Anthropological Studies and Social Problems
hanane.baadji@univ-msila.dz
djamel.tali[2]
University of M'Sila, Algeria
djamel.tali@univ-msila.dz

Abstract:

The primary objective of enhancing the quality of the educational process lies in improving student learning outcomes, advancing pedagogical methodologies, and reinforcing and structuring the educational environment. Collectively, these indicators signify robust foundational conditions that reflect the effectiveness of implementing a dual (classroom-based and digital) instructional model, which is an approach increasingly embedded within the Algerian socio-educational structure. This duality should be actively cultivated and internalized by teachers as a didactical conceptual framework, grounded in designing learning situations that foster students' creativity, autonomy, and initiative and all critical components in the ongoing pursuit of enhancing academic achievement and educational quality.

Accordingly, this paper seeks to critically examine, elucidate, and operationalize the modalities, methods, and forms of instruction across three modalities: traditional classroom-based instruction, purely digital instruction, and most significantly the integrative hybrid model that synthesizes both approaches. Such integration is posited to holistically develop learners' cognitive competencies, disciplinary knowledge, and personal as well as pedagogical skills.

Given the title of: Socio-Educational Analysis of School Quality within the Dual Framework of Classroom-Based and Digital Education: A Practice within the Algerian Educational System, this study represents a timely contribution to socio-educational scholarship. It empirically investigates the enactment of hybrid educational practices within the Algerian educational system and proposes concrete

strategies to strengthen their efficacy. Specifically, the paper advocates for the promotion of contemporary teaching methodologies and for reinforcing mechanisms that ensure effective educational and academic attainment, while simultaneously addressing and mitigating patterns of professional inertia and pedagogical stagnation among teachers.

Keywords: Hybrid education, Algerian school system, school curriculum, school quality, classroom-based and digital education.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

قراءة سوسيوتربوية للجودة المدرسية في ظل ثنائية التعليم (الصفي والرقمي) كممارسة في النسق التعليمي الجزائري

بعجي حنان[1]

جامعة المسيلة، الجزائر، مخبر الانتماء مخبر الدراسات الانثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية

hanane.baadji@univ-msila.dz

أ.د/ تالي جمال [2]

جامعة المسيلة، الجزائر،

djamel.tali@univ-msila.dz

ملخص:

إن الهدف من جودة العملية التعليمية هو جودة مخرجات العملية التعليمية، تطور طرائق التدريس، تعزيز وتنظيم البيئة التربوية، كل هاته المؤشرات تعتبر بمثابة إرهاصات كافية تنبئ عن مدى فعالية ممارسة ثنائية العملية التعليمية التي تترسخ كمادرج عينية داخل البنية التعليمية التربوية والتي أصبحت ميزة وجب إكسابها لسلوك الأستاذ المعلم كتصورات ديداكتيكية قائمة على فكرة بناء وضعيات تعلم تسمح للتلميذ (المتعلم) بخلق فرص الإبداع وإكسابه روح المبادرة في سياق صيرورة جودة التحصيل العلمي. وعليه من خلال هذا الطرح سيسعنا الولوج في هاته الورقة البحثية إلى شرح وتفعيل موقعية طرق وأساليب وأشكال التعليم وفقا للتعليم الصفي أو الالكتروني والرقمي أم انه ثنائي قائم على دمج كليهما مما ينمي للتلميذ المتعلم كفاءاته الفكرية ومعارفه ومهاراته الذاتية والتعليمية.

وعليه إن موضوع الورقة البحثية الموسوم بـ : **قراءة سوسيوتربوية للجودة المدرسية في ظل ثنائية التعليم الصفي والرقمي كممارسة في النسق التعليمي الجزائري.**

ويعد محاولة رائجة في الفكر السوسيوتربوي الرامي في مضامينه العينية لكشف ممارسات عملية ثنائية التعليم الهجين داخل النسق التعليمي الجزائري ومن ثم محاولة تفعيلها كممارسة فاعلة من خلال العمل على تعزيز طرائق التدريس الحديثة وكذا تعزيز كل آليات التحصيل العلمي التربوي الفاعل وكبح آليات الترهل والتراخي للأستاذ

الكلمات المفتاحية: التعليم المختلط، النظام المدرسي الجزائري، المناهج الدراسية، جودة المدارس، التعليم في الفصول الدراسية والتعليم الرقمي.

مقدمة:

في سياق التغيرات الراهنة داخل النسق التعليمي بالجزائر، تتشكل تغيرات عميقة على مستوى المدرسة الجزائرية تشمل مختلف التحولات التي تمس الجودة المدرسية في مختلف جوانبها البيداغوجية والتنظيمية وكذا على مستوى المنهاج، حيث نسعى في هذه المطارحة العلمية الى تحليل الحياة المدرسية وجودتها في ظل ثنائية التعليم الصفي و الرقمي كما يعيشها التلميذ داخل الصف، ضمن نسق فاق التعلم الاكاديمي بل اصبح المفروض فضاءا ثنائيا مركبا تتقاطع فيه مختلف ديناميكيات الجودة التعليمية و التعلمية، بمختلف الأنشطة التربوية والتعليمية والفنية والمعرفية وباعتبار هذا النسق بيئة **تجمع** التلاميذ في المؤسسات التعليمية نحو الابداع في ظل تطور المجتمعات والتحديات التي تفرض عليها ضرورة مواكبة التغير ومن بينها النظام التربوي في قطاع التعليم و التربية...

اشكالية الدراسة

اهتمت المؤسسة التعليمية الجزائرية بإعداد جيد للبيئة التربوية والتعليمية لمسايرة التطور من خلال جملة من الإصلاحات الهامة التي مست و شملت معظم عناصر العملية التعليمية كالأهداف وطرائق التدريس والمناهج الدراسية، غير أن المتتبع لمراحل تطورها يلاحظ أنها لم تنجح في مواكبة التغيرات الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية والحلقة المفرغةداخل نسق التعليم الجزائري...حيث ان كان اهتمامنا يجول حول الجودة المدرسية لهذا النسق التعليمي في ظل انتهاج ثنائية التعليم (الرقمي والصفي) وهذا كخيار استراتيجي نحو الاتجاه المناسب لتدعيم التعليم القاعدي المبرمج والعمل على استغلال مزايا كل نمط بدمجهم لتحقيق الاهداف المرجوة من هذه المزاوجة و الوقوف على المعيقات التي اعاقت تجسيدها الفعلي و بيان مزايا وعيوب كل نظام وبهذا يصح لنا طرح التساؤل الرئيسي التالي:

1-هل يتم تطبيق التعليم الثنائي فعليا داخل النسق التعلمي الجزائري.

2-ماهي مؤشرات الجودة المدرسية داخل النسق التعليمي الجزائري في ظل ثنائية التعليم.

3-مامدى تطبيق وانتهاج التعليم الثنائي داخل النسق التعليمي الجزائري من وجهة نظر عينة من المعلمين.

فرضيات الدراسة

1--تعمل المدرسة الجزائرية على تطبيق التعليم الثنائي الصفي والرقمي في آن واحد

2-تتحدد مؤشرات الجودة المدرسية من خلال:

- جودة المخرجات التعليمية.

-جودة طرائق التدريس.

-بيئة مدرسية ذكية ذات قاعدة ثنائية.

3-تقييم سلبي للمعلمين على مدى تطبيق وانتهاج التعليم الثنائي داخل النسق التعليمي الجزائري.

منهجية الدراسة

اعتمدنا في دراستنا الحالية على المنهج الوصفي بأدواته الكمية وهذا تماشيا ومتطلبات دراستنا لما ما يوفره من وصف المعطيات الميدانية لتجسيد واقع الجودة المدرسية وكذا واقع التطبيق الفعلي للتعليم الثنائي داخل النسق التعليمي الجزائري وهذا لقدرته على تفسير النتائج كميا وإحصائيا وواضحة لاتجاهات بعض المعلمين في جميع جوانبهم وفقا للمؤشرات الثلاث جودة المخرجات وجودة طرائق التدريس وكذا لموقعية البيئة المدرسية الذكية.

بالنسبة لمجتمع وعينة الدراسة أخذنا عينة من ثلاث مدارس ابتدائي وهذا لتعميم التطبيق الفعلي للتعليم الثنائي وهي تقدر 38 وحدة مفردة (أساتذة) باختيار عشوائي بسيط لهذه العينة.

كما تم استخدام استمارة استبيان كأداة لجمع البيانات متكونة من ثلاث محاور مقسمة على أبعاد الدراسة المحور الأول وهو محور البيانات العامة والمحور الثاني الجودة المدرسية وكذا المحور الثالث للتعليم الثنائي

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية الورقة البحثية من أهمية الموضوع الذي نبحث فيه بالغوص في ثناياه والتعمق فيه وبالتالي نركز على القاء الضوء على الجودة المدرسية كموضوع نظري وكممارسة فاعلة لما له من أهمية كبيرة لمستوى المتعلم في أي مرحلة من المراحل التعليمية.

البحث عن أسباب سوء ومعوقات فعالية عملية ثنائية التعليم الصفي والرقمي داخل النسق التعليمي الجزائري.

التمهيد لدراسات مستقبلية للتعرف على العوامل التي تؤثر في الجودة المدرسية داخل االنسق التعليمي الجزائري

أهداف الورقة البحثية

لكل دراسة هدف نصبو اليه لوضوح الرؤية العامة للنتائج المراد الوصول اليها وهي كالتالي:

– الكشف عن كيفية تطبيق عملية التعليم الهجين التي تركز عليه الهيئات الوصية حسب الإصلاحات التربوية في المنظومة التعليمية الجزائرية.

– البحث عن اليات الجودة المدرسية في شتى الأنساق التعليمية بالجزائر لتعزيزها والعمل على تجسيدها فعليا وفقا للنتائج الميدانية.

كما يمكن القول إن دراستنا كغيرها من البحوث الذي تهدف إلى إزاحة الغموض الذي يجتاحها ويعتريها للوصول إلى الهدف الأسمى وهو بلوغ النتائج وتقييمها وإمكانية تعميمها.

الدراسات السابقة

تم الاستعانة بدراسة سابقة أولى في هذه الورقة البحثية وهي دراسة للباحثين أحمد حسين عبد المعطي والباحث **ثابت حمدي قنديل (2023)** بعنوان **تصور مقترح لتطبيق منظومة التعليم الهجين بالتعليم الأساسي** تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

*الاطلاع على واقع االتعليم السائد في مرحلة التعليم الاساسي من خلال معرفة الصعوبات التعليمية لدى التلاميذ والاساتذة في ممارسة التكنولوجيا وتطبيق التعليم الرقمي والإلكتروني ومدى قدرة الأساتذة للتغلب عليها

*معرفة مدى تواجد الفروقات الفردية في هذه الصعوبات والاستراتيجيات المستعملة وفقا لمتغيري الجنس.

*تشخيص الواقع التعليمي ومعرفة إلى أي مدى يمكن ان يؤثر سوء التطبيق السليم للتعلم الهجين الصفي والإلكتروني في العملية التعليمية. وعدم الاعتماد عليها كألية جديدة في التعليم الأساسي.

أهم النتائج المتوصل إليها

*انتقال التلاميذ من سنة الى سنة تكون على أساس نتائج الاختبارات والامتحانات الفصلية دون اخذ بعين الاعتبار مختلف التقييمات الصفية خاصة في السلوكيات والتصرفات داخل القسم.

*وجود صعوبة في تطبيق التعلم الالكتروني خاصة بالنسبة للتلاميذ المتكونين.

*وجود صعوبات عالية لدى الأساتذة من حيث التحديد الدقيق للمعلومات التي يجب أن تكون في عملية التعليم الصفي والتعليم الالكتروني وهذا راجع لعملية تكوين الأساتذة المعلمين في حد ذاتها.

*تم الاستعانة بدراسة سابقة ثانية في هذه الورقة البحثية وهي دراسة للباحثين مشري محمد عبد الناصر والباحث **مقران علجية (2020)** بعنوان **التعليم الهجين ودوره في تحقيق جودة التعليم** تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

*الاطلاع على واقع االتعليم الهجين لتحقيق الجودة التعليمية.

*معرفة مدى تواجد اميزات التعليم الهجين وتطبيقاته.

*تشخيص الواقع التعليمي ومعرفة إلى أي مدى يمكن أن يحسن التعليم الهجين إمكانية رسم الخريطة التكوينية وفقا لإمكانيات التلاميذ.

أهم النتائج المتوصل إليها

*العمل على الاشراك التفاعلي في الدروس الإلكترونية بشكل يحفز التلميذ

*العمل قدر المستطاع على إمكانية اتاحة الفرص لجميع التلاميذ والتقليل من الأعباء الصفية على التلميذ.

*تصميم مواد تعليمية توائم وتلائم التعليم الهجين ومستوى التلميذ.

تم الاستعانة بدراسة سابقة ثالثة في هذه الورقة البحثية وهي دراسة للباحثة طمين زهرة **(2024)** بعنوان **فعالية التعليم الهجين في جودة مخرجات التعليم** تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

*الكشف على فعالية التعليم الهجين في جودة مخرجات التعليم بإجراء دراسة تقويمية لمختلف الأقسام.

أهم النتائج المتوصل إليها

*التطبيق الفعلي للتعليم الهجين في الجزائر نجح نسبيا وشكليا وتنظيميا خاصة في فترة كورونا فقد ضمن استمرارية التعليم والحد الأدنى منه أما فعاليته في جودة التعليم في مختلف الأقسام المختارة للدراسة من وجهة

نظر الاساتذة فكانت ضعيفة فالتعليم الهجين يكون ذو فعالية إذا استعمل بكل معاييره وإذا أحسن كل الفاعلين استعماله ووفرت الوسائل وكل البنى التحتية اللازمة لنجاحها وفقا للإمكانيات والأجهزة.

التعقيب على الدراسات السابقة وعلاقتها بدراستنا

استفادت دراستنا الحالية من مختلف أبعاد الدراسات الثلاث السابقة نظريا وميدانيا الملمة بكل من الجانبين سواء من ناحية الشكل أو المضمون بدءا بالتعريفات والتحديدات المفاهيمية واشكالية الدراسة وكذا النتائج العامة للدراسة كما وجعتنا للعديد من المراجع التي استعنا بها في دراستنا الحالية كونها تخدم بحثنا كما قدمت لنا أفكار كونها تمس الواقع الفعلي لمضمون التعليم الهجين بالجزائر داخل مختلف السياقات التعليمية.

أولا: تحديد المفاهيم لمتغيرات الدراسة

1 الجودة المدرسية: نظام شامل يهدف للتحسين المستمر للعملية التعليمية بكل مكوناتها من خلال معايير ومبادئ تضمن بيئة محفزة، مناهج حديثة، كفاءة الكادرالتعليمي (مدخلات، عمليات، مخرجات) ، وتطوير مهارات الطلاب، وصولاً لتحقيق أهداف التعليم وتلبية احتياجات سوق العمل ورفع التحصيل العلمي والأكاديمي للطلاب والمؤسسة التعليمية والمجتمع ككل.

2. المدرسة: كمكان هي مؤسسة أو مبنى مجهز لاستقبال الطلاب والمعلمين لتنفيذ العملية التعليمية والتربوية، وهي بناء اجتماعي أنشأه المجتمع لنقل ثقافته وقيمه وإعداد الأفراد للمشاركة الفعالة فيه.

وكمؤسسة اجتماعية كمفهوم تربوي: هي نظام موجه يهدف إلى تنمية شخصية الطالب المتكاملة (العقلية، الجسمية، الاجتماعية، الأخلاقية) وتكييفه مع الحياة العصرية.

3. التعليم الصفي: العملية المنظمة لتفاعل المعلم والمتعلمين داخل الفصل الدراسي، بهدف توفير بيئة تعليمية مثالية لتحقيق الأهداف التربوية من خلال إدارة الأنشطة، وتنظيم الخبرات، وتوجيه السلوك، وتطوير مهارات الطلاب، وتحفيز التعلم النشط والمستمر، ويشمل الجوانب المعرفية والسلوكية والاجتماعية لتحقيق .نتائج تعليمية فعالة ومستمرة

4. التعليم الرقمي: استخدام مبتكر ومدمج للتقنيات والأدوات الرقمية في عملية التدريس والتعلم لتوفير تجربة تعليمية مرنة وشاملة تتجاوز الحدود المادية، من خلال منصات عبر الإنترنت، وتطبيقات تفاعلية وأجهزة ذكية، مما يتيح الوصول الفوري للمعلومات ويعزز التفاعل بين المعلم والطالب ويخلق مسارات تعليمية

مخصصة، وهو أوسع من مجرد التعلم عن بعد أو التعليم الإلكتروني، حيث يشمل تحويل المناهج وتصميم تجارب تعلم جديدة

5. التعلم الهجين: يمزج التعليم الهجين بين ثنائيتي التعليم الحضوري والرقمي أو الالكتروني كونهما وجهان لعملة واحد يخدمان بعضهما البعض في خطا متوازي باستخدام الوسائط الالكترونية وهذا لإكساب الكم الهائل من المعرفة والمعلومات بشكل جيد من خلال استخدام التعليم الحضوري للتواصل الشخصي بين أطراف العملية التعليمية واستخدام التقنيات التكنولوجية من اجل توسيع المعارف.

6. العملية التعليمية: مجموعة منظمة ومتكاملة من الأنشطة والإجراءات المخطط لها، يقودها المعلم وتتمحور حول المتعلم لإكسابه المعارف والمهارات والقيم وتغيير سلوكه بشكل إيجابي، وتتضمن عناصر المعالجة ،(المتعلم) أساسية كالمعلم، المتعلم، المنهج، وبيئة التعلم، وتُعد نظامًا متكاملاً يمر بالمدخلات تحقيق الأهداف) والمخرجات ،(التدريس).

ثانيا: التناول النسقي للتعليم الهجين وخصائصه

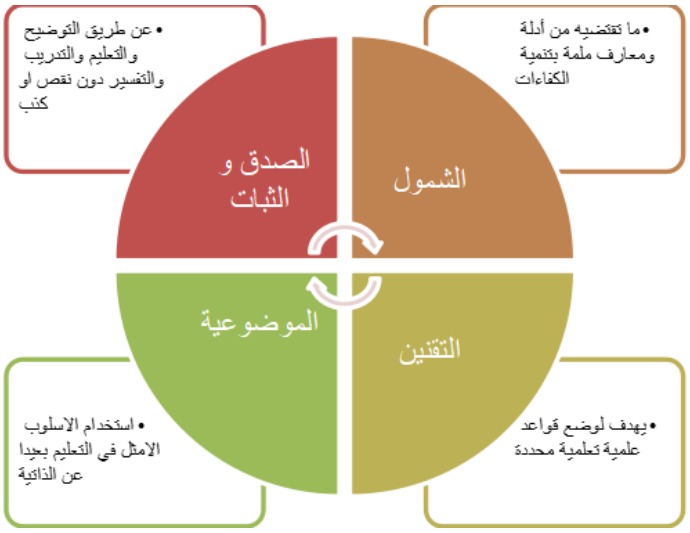

ترسيمة توضح خصائص التعليم الهجين حسب المصدر (زواويد بن شاعة ووجعني، 2022)

من خلال هذه الترسيمة نبلور ما يلي:

*الشمولية أو الشمول ويقصد بها ان يعم التعليم الهجين كل الجوانب المحيطة بالعملية التعليمية اذن بتناول التعليم الهجين في منظور تنمية الكفاءات معالجة تهدف الى الحكم على الكل وهو في طور البناء مدرجا لمختلف المواد المشكلة للكفاءة

*التقنين وهو الاستناد إلى قواعد علمية محددة وهو جزء من المسار التعليمي يبرز التحسينات المحققة ويكشف الثغرات المعرقلة للسير الحسن لعملية التعليم وللعلاج البيداغوجي وذلك لا يشكل الخطأ علامة عجز وإنما هو مؤشر لصعوبات ظرفية ضمن مسار الكفاءات تشخص أسبابه وتعالجه.

*الصدق والثبات نعبر عن الصدق بأنه الإخبار بالواقع دون أي نقص أو كذب يعتمد على جمع معلومات موثقة ودقيقة عن درجة التحكم في الكفاءات المستهدفة قصد التدخل البيداغوجي وفق الحاجات المطلوبة في التلاميذ أما الثبات فهو إقرار لوسائل التعليم وتحقق من صحتها وقد عبر عنها توفير مختلف الوسائل التعليمية التي تجعل التلميذ على وعي باستراتيجياته في التعلم وتمكنه من تبني موقف تأملي لتقدير مدى ملازمتها وفاعليتها.

*الموضوعية يقصد بالموضوعية هو الابتعاد عن الذاتية في عملية التعليم الهجين سواء الصفي أو الرقمي وبعيدا عن احتساب الفوارق الفردية فيجب ان تصحب النتائج المدرسية ملاحظات ذات مدلول نوعي بتجرد.

بالإضافة الى الاتصال الجغرافي والتفاعل الإلكتروني والتعليم المستدام (محمد وزحاف 2022)

ثالثا: متطلبات الجودة في ظل منطلقات البنائية الوظيفية للتعليم

لقد ارتكزت البنائية الوظيفية على التصورات التعليمية نحو وضعيات تفاعلية داخل الصف التي تثير لدى التلميذ المتعلم الحاجة إلى البحث وصياغة المشكلات، وإثارة القضايا، وخلق فرص المبادرة والإبداع وتقوم هذه التصورات الديداكتيكية على فكرة بناء وضعيات تعلم تسمح للمتعلم اكتساب مفهوم أو عملية حسابية معينة وذلك اعتمادا على إدماج هذا التلميذ المتعلم داخل نسق تعليمي حتى يتيح له استعمال وسائل استراتيجية تؤثر في هذا النسق، وتمكنه من التطور من الخيال و التصورات الذهنية إلى التمثل والبناء ورؤية الوقائع من خلال الوسائط الرقمية

كما نجد من جهة أخرى بياجيه أن المعارف لا تنتقل من شخص يعرف إلى شخص لا يعرف ولا تتأثر عن طريق الحواس كما يزعم أصحاب المدرسة الترابطية، إنما يبنيها الشخص بواسطة تمثيلها في شكل صور وخطط ذهنية ويقوم المخ بتسجيلها وتنظيمها في شكل بني عملياتية تجعل الفرد يتصرف بشكل مرضي اتجاه وضع من الأوضاع وهوما تقدم يظهر أن أهم الطرائق البيداغوجية الفعالة الملائمة للمدرسة البنائية في جودة التعليم. بواسطة التعليم الرقمي الملازم للصفي من خلال تلك الطرائق النشطة التي تساعد التلميذ المتعلم على أن يتعلم بنفسه وتستثير انفعاله الوجداني والفكري وذلك من خلال تنمية قدرته على التفكير، وتجعل منه مركز علىالنشاط في العملية التعلمية، وهو ذو دور ايجابي أثناء تعلمه داخل االصف او وخارجه من خلال الواجبات التي يتلقاها يستوجب عليه تحضيرها في المنزل، وهي من أهم هذه الطرائق التي أثبتت فعاليتها.

✓ **وقد ركزت البنائية على نوع التدريس المدمج وهي كالتالي:**

بالإسقاط نجد انها تركز على أن يعتمد في التعلم على تشجيع التلاميذ المتعلمين على التقصي، الاستكشاف، والمساءلة والبحث عن الحلول لقضايا صعبة، كما أنه يشجع على إظهار الكفاءات ذهنية تسمح بتوسيع دائرة معارف المتعلقة من المجرد إلى التطبيق من ناحية، وروح التعاون بين المتعلمين لتنفيذ مشاريعهم من ناحية أخري، ويعرف **كيل باتريك** حسب ما نقله **محمد موزيان** كما يلي:

إن أي مشروع يجب إن يصدر عن حاجة حقيقية يعبر عنها التلميذ كما ينبغي أن يرمي إلى غاية خاصة، فالتعليم في نضره عملية تجريبة لها غايات ونشاط يرمي إلى الإنتاج ،كما عرفه بأنه الفعالية القصدية التي تجري في محيط اجتماعي وعليه فطريقة التدريس بواسطة الدمج بين نوعين من التعليم ترتكز على أنشطة تعليمية تعلمية مفتوحة وطويلة المدى ،قريبة من الواقع المعيش المتعلم ويلعب فيها المتعلم دوارا أساسيا وليس مجرد المتلقي فقط وكذا التعلم بالوسائل او الوسائط الرقمية، وذلك أن عمل بالطريقة هذه يجعل التلاميذ يسعون إلى حب البحث والاطلاع والاكتشاف كما يخلق لديهم الإحساس بتحدي، ذلك أن تصميم هذه الوسائل و الوسائط الرقمية تعطي للطرف المتعلم اي التلميذ يتطلب نضرة شمولية حول مستواه، وذلك بإخراجه من مرحلة القصور إلى مرحلة التنفيذ هذه الأخيرة بدورها تتطلب كفاءات مختلفة مثل البحث والتحليل والتركيب ....الخ، كما أن هذه الطريقة تجل التلميذ أكثر إحساس بالمسؤولية فهو يلعب الدور

المحوري في العملية التعلمية بينها يقتصر دور المدرس علي التوجيه فقط وأثارة وعي التلاميذ بإمكانياتهم وقدراتهم وتنميتها وإكسابهم كفاءات مختلفة وإثارة دافعيتهم للتعلم ومساعدتهم نحو الإدماج في المجتمع، حسب النظرية البنائية الوظيفية). **(محمد موزيان وآخرون 1994، ص 101)**.

رابعا: إجراءات الدراسة الميدانية عرض ومناقشة وتحليل النتائج

– نوع الدراسة وصفية تحليلية

– الاداة المستعملة في الدراسة استمارة الاستبيان موجهة للمعلمين وللتلاميذ

العينة حوالي على 60 تلميذا الطور المتوسط سنة ثالثة ورابعة متوسط

1. عرض النتائج بالجداول

الجدول رقم 01 يمثل مدى توفر وسائل رقمية لدى التلاميذ في المنزل

	نعم	لا	المجموع
توفر جهاز رقمي تعليمي لدى التلميذ	42	18	60
المجموع	%70	%30	%100

المصدر إعداد الباحثين

نلاحظ من خلال المعطيات الاحصائية اعلاه ان غالبة المبحوثين التلاميذ أكدوا على امتلاكهم داخل منازلهم على اجهزة رقمية للتدريس بالمقابل أكدوا أن 30 بالمئة على عدم امتلاكهم للأجهزة الرقمية مما يدل على تذبذب القدرات التعلمية لدى التلميذ التي ادت الى فجوة رقمية تؤثر بدورها على الفروقات الفردية لدة التلاميذ وكذا تحصيله العلمي وبالتالي ضعف الجودة المدرسية وعدم تحقيق اقصى فعالياتها.

الجدول رقم 02 يمثل مستوى ايجابية التفاعل الصفي حسب رأي المعلمين

المستوى	مدمج	حضوري
عالي	28	35
متوسط	22	15
منخفض	10	10

المصدر اعداد الباحثين

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن القراءة الاحصائية تميل بالأغلبية للنوع الصفي أو الحضوري للتلاميذ وتليها متوسط المستوى حسب رأي المعلمين في فعالية التلاميذ داخل القسم او الصف واخيرا نجد المستوى المنخفض ب10 مفردات من المبحوثين وعليه يتضح لنا جليا أن هذا التذبذب في النتائج تكاد تتدخل فيها عوامل أخرى أو مؤشرات اخرى لدى التلاميذ داخل القسم كمؤشر الخوف من المشاركة أو الخجل في الإجابة الى غير ذلك من العوامل النفسية المؤثرة على التلميذ داخل صفه أثناء تلقيه الدرس وعليه نقر أن التعليم الرقمي يقضي على هذه المؤشرات وهذا كون التلميذ يكون في منزله رفقه والديه أثناء تلقيه الدرس ويكون مرتاحا أكثر فأكثر مقارنة من القسم.

الجدول رقم 03 مدى تحدي الصعوبات التي تواجه التلميذ اثناء تلقيه الدرس خارج المدرسة

نوع الصعوبات	العدد	النسبة
نقص الانترنت	28	%47
ضعف التحكم في المنصة	10	%17
انعدام الوعي الاسري	15	%25
لا توجد صعوبات	07	%11

المصدر اعداد الباحثين

نلاحظ من خلال المعطيات الجدولية أن أكبر نسبة تتمثل عند ضعف أو نقص الانترنت وهذا يشكل أكبر عائق تواجهه الأسر والتلاميذ مما ينعكس سلبا على أساس هذا النوع من التعليم أي الرقمي وخللا قد يعيق مدة نجاح وفعالية التدريس وبالتالي انخفاض الجودة المدرسية تليها أقل نسبة وهي نسبة07

بالمئة وهي نسبة ضعيفة جدا لكي نعمم عليها النتائج أو نحكم عليها أنها نسبة جيدة لمواجهة تحديات التلميذ في الدراسة رقميا وهذا خللا ومعيقا وظيفيا وبنيويا في نفس الوقت...

الجدول رقم04 يمثل تأثير التعليم الهجين على جودة المدرسة من خلال التحصيل العلمي

مستوى الآراء	العدد	النسبة
يساعد في تحسين المستوى	**30**	**%50**
حيادي	**18**	**30%**
التأثير السلبي	**12**	**20%**
المجموع	**60**	100%

المصدر اعداد الباحثين

وعليه نرى من خلال المعطيات الجدولية أن أغلبية المبحوثين المعلمين أقرو بفعالية وايجابية التعليم الهجين في المنظومة التربوية كونه يساعد في تحسين مستو التلميذ ونجد أن 30% فضلت ألا تعطي رأيها في هذه المسالة بينما نجد الرأي السلبي لدى بعض المبحوثين المعلمين ب12 مفردة وعليه يصح لنا القول إن هذه الفوارق تعود لمدى قناعة كل معلم في تنفيذ هذه المنظومة البيداغوجية الرقمية خاصة أنها ليست إجبارية من طرف الوزارة الوصية ويمكن ارجاع هذا التفاوت الى عدة تأويلات

خامسا: تقييم للتعليم الهجين قراءة للنتائج من خلال عنصر تجربة التعليم الهجين بالجزائر في المتوسطة ابن هاني الأندلسي كمكان للدراسة بالمسيلة انموذجا

من خلال النتائج فقد استنتجنا في هذه الدراسة الميدانية

1. أن مسالة الجودة المدرسية في ظل ثنائية التعليم الصفي والرقمي تتطلب توازنا بين البعد البيداغوجي والرقمي في العملية التعليمية وعليه نجد بأن التعليم الصفي لا يزال يحتفظ بمكانته الأساسية في تحقيق الجودة وهذا في اطار المألوف و المتعارف عليه لما يوفره من تفاعل مباشر ومتابعة مستمرة ودعم وجداني ومعرفي يتلاءم مع الخصائص الانمائية للتلاميذ كما نجد في المقابل ان التعليم الرقمي والإلكتروني يعزز من ابعاد الجودة المدرسية لاسيما في تنويع الموارد التعليمية ودعم التعلم الذاتي لكنه لا يظل محدود الفاعلية والفعالية عند اعتماده كنمط منفرد وهذا لعدة اعتبارات وعليه نجد ان الدمج بينهما يساهم بصفة كبية في تحقيق الجودة

المدرسية وهذا وفقا لاعتبارات معينة وشروط يجب اتباعها من الوزارة الوصية كونه النموذج الأكثر قدرة على تحقيق الجودة المدرسية داخل النسق المدرسي وهذا بالجمع مزايا التعليم الصفي وكذا فوائد التعليم الرقمي وهو ما يجعله خيارا استراتيجيا لتطوير مختلف المؤسسات التعليمية في كافة الاطوار في ظل التغيرات و التحولات الراهنة للبلاد وللمجتمعات ككل وهذا بإنشاء جيل جديد يسمه بالجيل الرقمي المواكب لكافة هاته التطورات والتحولات السريعة.

2. وفق تصور جون ديوي فان الجودة التعليمية لا تقاس بوسائل تقنية بل بدرجة انخراط المتعلم في الفعل التعليمي مدى فاعليته ومشاركته وبهذا نجد أن التعليم الهجين الممارس في مكان الدراسة اصبح وسيلة للتدريس المرقمن وليس بناء للمنظومة التربوية وبالتالي نجد سهولة الاستعمال التقني لدى التلاميذ مقارنة بالتحديات التي تواجه البعض منهم لكنه يعتبر موروث ثقافي انتقالي من جيل لجيل وهذا ما اسماه بيبار بورديو بإعادة الانتاج بنفس الفوارق الاجتماعية لكن برأسمال ثقافي جديد وبهذا نرى أن أسر التلاميذ ذات المستوى العالي من التدعيم لأبنائهم ليدهم رأسمال رقمي مرتفع بتوفير كل ما يلزم من انترنت ووسائل واجهزة للتلميذ ابنهم وبهذا نقول ان البيئة الرقمية داخل الاسرة تلعب دورا هاما في نشر وتوسيع التعليم الهجين أو الرقمي لدة التلاميذ وتكون عنصرا داعما للمدرسة

3. وفي نفس السياق نقول ان البيئة الذكية ذات ثنائية القاعدة التعليمية تكتمل بوجود ثقافة رقمية داعمة في ظل التحول من المدرسة التقليدية الى المدرسة التعلمية (المنظمة التعلمية) ونصب في هذا الإطار مانويل كاستلز ما اسناه بمجتمع الشبكات حيث تصبح المعرفة متداولة عبر الهياكل الرقمية...

وعليه نقول ان التعليم الفعال وتحقيق الجودة بتطلب رؤية مستقبلية لأفاق تربوية متكاملة الأنساق داخل النظام التربوي كما يشكل نمطا جديدا من التفاعل أكثر فردانية فوفقا لنظرية الفعل التواصلي ليورغن هابرماس نقول ان جودة الفعل التعليمي يرتبط بنوعية التواصل لا بالوسيط المستعمل وعليه نلتمس ان التعليم الهجين يجعل من التلميذ يقل تواصله وتفاعله الوجاهي مع غيره من التلاميذ ويزيد من مشاركته الرقمية بمؤشرات مساعدة له ويكسر بذلك حاجز الخوف والخجل الذي ممكن ان يشعر به داخل صفه في المدرسة

خاتمة:

وكحوصلة عن ما سبق تؤكد هذه الدراسة ان النتاج الحقيقي للجودة المدرسية في عصرنا الحالي لا يكمن في استعمال الرقمنة فقط واستعمال التكنولوجيا لعملية التعليم بل في كيفية بلورتها وتكييفها وتعزيزها بالتوازي مع التعليم الصفي داخل النسق التعليمي المدرسي لهذا ما سمي بالتعليم الهجين وكذا توظيفها ممارسة وعمليا في النظام التربوي الذي بدوره يساهم في عملية تكوين الاستاذ المعلم كونه مساهم في عملية تكوين التلميذ في هذا الخصوص والذي بدوره أيضا يعتبر محور العملية التعليمية بما يضمن بذلك الجودة المدرسية من حيث الكفاءة و طرائق التدريس والمخرجات التعليمية وكذا البيئة التعليمية أو المدرسية مع الاخذ بعين الاعتبار كل المؤشرات التي يمكن أن تكون نتاجا عن هذا الدمج من التعليم كالدافع نحو التعلم للتلميذ وصحته النفسية داخل الصف وخارجه التحصيل الدراسي وغيرهم...

إلا أن بغض النظر عن النتائج المتوصل اليها لهذه الدراسة فوجب إدراج جملة من **التوصيات والاقتراحات** العلمية كوننا فئة باحثة تهدف دائما نحو تحسين العملية التعليمية وفقا لما هو موجود وما يجب أن يكون فنستعرض بعض النقاط اللازم توفرها كتوصيات مقترحة نفيد بها المهتمين بهذه الابحاث وهي كالتالي:

-العمل على تكوين الاساتذة المعلمين بهذا الخصوص ضمن برنامج تكويني دوري مخصص من خلال ملتقيات دورات تكوينية ورشات تطبيقية خاصة للوسائل التكنولوجية العمل على تصميم محتويات رقمية وادارته وغيره....

-توفير مختلف الوسائل التعليمية المساعدة على التعلم الرقمي بالإضافة الى توفير الانترنت مع تدفق عالي لجميع الأسر التربوية.

-تسهيل عملية استعمال الوسائط الرقمية داخل المدرسة مع امكانية دمجه مع التعليم الحضوري وفق برنامج موحد متكامل.

-العمل على الأخذ بآراء الاساتذة المعلمين من هذه العملية بصفة دورية لمعالجة الثغرات بسرعة أن وجدت.

قائمة المراجع

1. أحمد حسين عبد المعطي، ثابت حمدي قنديل، 2023، تصور مقترح لتطبيق منظومة التعليم الهجين بالتعليم الأساسي، كلية العلوم التربوية، جامعة الرياض، السعودية.

2. محمد موزيان وآخرون ،1994، استراتيجيات التدريس الحديث، دار الحكمة للنشر، الأردن.
3. محمد وزحاف، 2022، التعليم الهجين والوسائط الرقمية، دار الوائل للنشر والتوزيع، ط2، عمان.
4. زواويد بن شاعة ووجعني، 2022 تقنيات التعليم الهجين، دار الصفاء ط1، مصر.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

A sociological reading of the reality of the university professor in the age of digitalization.

D. Belmokaddem yahia[1]
University of Abou Bekr Belkaid – Tlemcen – Algeria.
Laboratory of Anthropology and Comparative Religion
Yahia.belmokaddem@gmail.com
D.Djelti meriem[2]
University of Abou Bekr Belkaid – Tlemcen – Algeria.
Laboratory of Anthropology and Comparative Religion
djemokaddem@gmail.com

Abstract:

This research paper will highlight some of the factors that have brought about rapid and complex transformations in the Algerian university system, driven by technological imperatives. Through our field study, we will explore some of the issues addressed in digital sociology, examining how cultural, social, and technological conditions impact the status of university professors, particularly during a transitional phase moving towards a multi-categorized environment. To what extent does the digitization of higher education contribute to the emergence of a culture of resistance to change?

Keywords: Algerian university - university professor - digitization - transformations - resistance to change.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

قراءة سوسيولوجية لواقع الأستاذ الجامعي في ظل الرقمنة

الدكتور بلمقدم يحيى[1]

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان– الجزائر.

مخبر أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها

Yahia.belmokaddem@gmail.com

الدكتورة جلطي مريم[2]

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان – الجزائر –

مخبر أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها

meriem.djemokaddem@gmail.com

ملخص:

في هذه الورقة البحثية سنسلط الضوء على بعض النقاط التي أحدثت تحولات على مستوى واقع الجامعة الجزائرية بوتيرة متسارعة ومعقدة في ظل حتمية تكنولوجية.

من خلال دراستنا الميدانية نحاول الخوض في بعض الإشكالات التي تبحث في السوسيولوجيا الرقميّة، وكيف تؤثر مجموع الظروف الثقافية، الاجتماعية والتكنولوجية على وضعيّة الأستاذ الجامعي خاصّة في ظل مرحلة انتقاليّة تتّجه نحو تشكّل بيئة متعدّدة التصنيفات، فإلى أيّ مدى تساهم رقمنة قطاع التعليم العالي في بروز ثقافة مقاومة للتغيير؟

الكلمات المفتاحية: الجامعة الجزائرية– الأستاذ الجامعي– الرقمنة– التحولات– مقاومة التغيير.

مقدمة:

شهد العالم في ظل التحوّلات الرقمية ثورة غيرت ملامح المجتمعات سواء التقليدية أو الحداثية بمختلف مؤسّساتها، بحيث أحدثت واقعا جديدا مبنيا على الابتكار والتطوّر التكنولوجي والذكاء الاصطناعي، فهدفه الأساسي إصلاح البنية التحتية من أجل تحسين جودة خدماتها الرقميّة والاجتماعيّة، وعلى اعتبار الرقمنة حسب "**تيري كاني Terry Kuny**" أنّها عمليّة تحوّل مصادر المعلومات على اختلاف أشكالها مثل: الكتب، والدوريات والتسجيلات الصوتية، والصور الثابتة إلى شكل مقروء بواسطة الحاسبات الآلية عبر النظام الثنائي(Bitsالبيتات)، وتعتبر البيتات وحدة المعلومات الأساسية لنظام معلومات مرتكز إلى الحسابات الآلية، وتحويل المعلومات إلى مجموعة من الأرقام الثنائية، يمكن أن يطلق عليها "الرقمنة" ويتم القيام بهذه العمليّة بفضل مجموعة من التقنيات والاجهزة المتخصّصة، كما تشير "**شارلوت بيرسي Charlette Buresi** " إلى الرقمنة على أنّها "منهج يسمح بتحويل البيانات والمعلومات من النّظام التناظري إلى النّظام الرقمي(بوزعيب بريزة، 2022، ص 68).

لقد أصبحت الرقمنة عنصرا أساسيا وديناميكيا وواقعا ملموسا في مختلف القطاعات ومن بينها قطاع التعليم العالي، حيث صارت تلعب دورا هاما في تحسين جودة الخدمات الجامعية من خلال تسهيل العمليات الإدارية والتواصل بين الطالب والإدارة وهيئة التدريس، وهذا لتحقيق بيئة تعليميّة متوازنة، مميزة وفعالة التي من شأنها إنتاج أمن تعليمي، خاصّة في ظل الظروف التي مرّت بها المجتمعات خلال جائحة كورونا 19 **Covid**، والذي شهد عدّة أزمات وكشف عن العديد من الفجوات على المستوى العالمي بدرجات متفاوتة.

إنّ أهمّ ما شجعت عليه الرقمنة في الجزائر هو تطبيق نظام التعلّم عن بعد وذلك عبر التقنيات المختلفة التي ساهمت في عمليّة التغير وقلّلت من الاستخدامات الورقيّة، وبالتالي فإنّ هدف تبني استراتيجية الرقمنة هو تحسين الوصول إلى المعطيات مع ربح الجهد والوقت.

إنّ قطاع التعليم العالي في الجزائر بجميع هياكله وإداراته التي تعتبر من بين أهمّ الركائز للدفع بعجلة التنمية المجتمعية و تأهيل الأجيال القادمة والكفاءات المستقبلية، خاصّة بتفعيل الرقمنة التي باتت عامل مؤثر وجوهري في ظلّ هذه المنظومة ولم تصبح معطا هامشيا في إطار هذا المجال الحيوي، بل ضرورة ملحة لتحسين كفاءته

وسرعة الاستجابة لحاجات الفاعلين فيه من طلبة وأساتذة وإداريين، وهذا ما يضمن جودة الخدمات وتحقيق التميز الإداري داخل التعليم العالي.

في ظل هذا النسق المفتوح يمثّل الأستاذ عنصرا هاما وفعّالا في العملية التعليمية من المنظورين التقليدي والحديث، فهو وسيط بين الطلبة والإدارة، خاصّة مع تنامي العوامل التكنولوجية المستجدة والتي كانت المسبب الأوّل في إحداث تغيرات مفصليّة في شكل المؤسسة الجامعية، وفي أبعادها السوسيو-اقتصادية والسوسيو ثقافية والذي من شأنه خلق فضاء جديد مبني على التنوع والتعدد في أشكال وطبيعة التكوين **فإلى أي مدى تمكن الأستاذ الجامعي من مسايرة رقمنة قطاع التعليم العالي؟ وإلى أي مدى استجاب لهذا المعطى بين المقاومة والاندماج؟**

منطلق دراستنا كان من استطلاعات ميدانية أوّلية التي جرت في جامعة أبي بكر بلقايد –كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- تلمسان، حيث توجهنا في البداية لمصلحة الموظفين ومصلحة الدّراسات التي لاحظنا بأنّها مجهّزة إلكترونيا بمختلف الأجهزة على مستوى جميع المكاتب، ما دفعنا للتساؤل البسيط حول كيفية التعامل معها؟ وفيما تتمثّل أهمّ الصعوبات التي تواجههم بصفة متكررة خاصّة مع توجّه الوزارة الوصيّة نحو رقمنة القطاع؟

كانت معظم الانشغالات تنطلق من كيفية التأقلم مع الوضع المستجد خاصّة باستخدامهم لتقنيات حديثة عبر منصات تعتمد على الرقمنة، والتي حسب اعتقادهم أنّها خفّفت من أعبائهم بدل التعامل بالصيغ التقليديّة، بالرغم من تعاملهم بالنظام الورقي الّذي لا يزال قائما، نظرا للمرحلة الانتقالية التي تحتّم التعامل بالصيغتين الورقيّة والرقميّة، والتي تعتبر عملا مضاعفا للعمال الإداريّين، ما ترتّب عنه نوع من الاستياء لدى هذه الفئة على وجه الخصوص.

إنّ الإشكال الملاحظ والمطروح من طرف الإداريين بالنسبة للأساتذة على حد تعبيرهم تمس الفئة غير المؤهلة للتعامل مع هذه التقنيات المتطورة، وقد كان هناك إجماع على أنّ هذا يمس شريحة الأساتذة القريبة من التقاعد، التي تجد صعوبة في التعامل مع أبسط العمليات والمثال الأكثر تداولا هو عدم قدرتهم على إدخال النقاط في منصة البروغرس على سبيل المثال أو صعوبة في تقديم محاضرات عن بعد، على عكس من ذلك صرّحت نفس الفئة بأنّ الأساتذة الأصغر سنا أكثر تكيفا واندماجا مع الوضعيّة الراهنة، فهل

الوضعيات المطروحة نتاج لعدم القدرة على التكيّف أم هناك نوع من المقاومة الثقافيّة لكلّ ما هو مختلف، كلّ هذا قادنا للقيام بمقابلات معمقة مع الأساتذة الذين تم تصنيفهم على أساس:

صفة الانتساب للمؤسسة: دائم/ مؤقت.

السن: بحيث نجد الفئة العمرية امتدت من 30 إلى 70 سنة.

الجنس: أساتذة وأستاذات.

الرتبة: من أستاذ مساعد ب إلى أستاذ التعليم العالي.

مكوّن في تكنولوجيات الإعلام والاتصال أو لا، وغيرها من المؤشرات التي على أساسها تمت مناقشة وتحليل معطيات المقابلات التي تمحورت في العناوين الموالية:

أوّلا– الأستاذ الجامعي في ظل الحتمية التكنولوجية :

تشير الحتمية التكنولوجية عند **مارشال ماكلوهان** (1911- 1980) إلى أنّ التكنولوجيا، وخاصّة وسائل الإعلام، هي التي تحدّد الشكل والمحتوى والتوجيهات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات، فإنّ كلّ تقنية إعلامية جديدة تخلق تحولات جارية في كيفية إدراك البشر للعالم وتفاعلهم معه على سبيل المثال، هو يرى أنّ اختراع الطباعة قد غيّر الوعي البشري بشكل جذري من خلال تمكين الفرد من الوصول إلى المعرفة بشكل غير محدود، بينما أدّى اختراع وسائل الإعلان الإلكترونية مثل الراديو والتلفزيون إلى تحويل التجربة الاجتماعية والذهنية للأفراد وفي هذا السياق يعتقد أن التكنولوجيا لا تعمل فقط كأداة في خدمة الإنسان، بل تشكل و تحدد سلوكه و ثقافته، مما يجعل التقدم التكنولوجي قوة محورية في تشكيل التاريخي الاجتماعي و الإنساني (طلال ناظم الزهيري، 2024، ص 154).

إنّ ظهور الحاسوب ووسائل الاتصال والإنترنت أدّى بشكل كبير إلى رقمنة الحياة، حيث أنّها غيّرت البنية الاجتماعية عن طريق أنماط العمل، مثل العمل عن بعد وطبيعة العلاقات الاجتماعية ممّا يدعم فكرة أنّ التكنولوجيا تعيد تشكيل المجتمع وكذلك ساهمت في تقليص العوامل البشرية، ممّا يتوافق مع أنّ التكنولوجية تعيد تشكيل النظام الاجتماعي والمؤسساتي.

تساهم الرقمنة في تحسين جودة الخدمات الجامعية من خلال تسهيل العمليات الإدارية وتعزيز التعلم عن بعد وتسريع الإجراءات وتخفيف الوقت والجهد، وسهولة التواصل بين الفاعلين الإداريين مما يرفع مستوى جودة التعليم العالي والكفاءة التعليمية.

بوصول التكنولوجيات الحديثة للجامعة الجزائرية أصبحت بمثابة الحتميّة التي تفرض نفسها على المؤسسة التعليمية، خاصة بعد كوفيد19 حسب جل المبحوثين، التي أكدت على التوجه الرقمي في ظل الظروف الصحيّة العالمية ما أنتج واقعا جديد كآليات دفاعية واحترازية ضد الظروف المتغيرة، إضافة إلى التوجّه العالمي الذي لديه مساعي لتعميم العولمة، ومع هذه المستجدات نجد فئة من الأساتذة الجدد تكيّفت وتأقلمت نسبيا مع هذا المنحى، في المقابل نجد فئة الأساتذة المقبلين على التقاعد بالخصوص، يرون في هذا التوجه الكثير من الفجوات، وبأنّ القوانين التي جاءت دفعة واحدة غير مدروسة حسب تعبير بعض المبحوثين.

ثانيا– الفجوة الرقميّة والاغتراب في البحث العلمي:

يرى **شارلوت بيرسي Charlette Buresi**" الرقمنة على أنها منهج يسمح بتحويل البيانات والمعلومات من النظام التناظري إلى النظام الرقمي" (حميدوش علي و بوزيد حميد، 2020، ص 44) أي أنها تحولت من شكلها التقليدي إلى الشكل الرقمي يهدف تسهيل الحياة والخدمات وذلك بتخزين البيانات ومعالجتها، لذلك فالرقمنة عملت على تسهيل عملية التسجيل، و استخراج الوثائق وجدولة المحاضرات والتسجيل عن بعد، فقد ساهمت بشكل كبير في حل بعض المشكلات والعقبات التي كانت تواجههم قبل الرقمنة وهم يستخدمون منصة بروغرس بكثرة ،كذلك للاطلاع على المعدلات وبالرغم من ذلك لم تحسن كثيرا التواصل بينهم وبين الأساتذة والإدارة فلازال بعضهم غير راض عن ذلك مما يؤدي إلى وجود تباين في جودة الاستخدام وصعوبات تقنية في التعامل مع الأنظمة الرقمية فقد أثرت إيجابيا من حيث السرعة والتنظيم ولكنها لا تزال تواجه بعض التحديات التي يجب التدرب عليها لاستخدام الأنظمة بطريقة فعالة.

لقد ساعدت الرقمنة حسب اعتقادنا بشكل كبير في تسهيل عملية التسجيل بسرعة فائقة دون الحاجة للتنقل أو الانتظار في الطوابير، ولكن في المقابل لازال البعض غير قادر على استخدامها فمن ناحية التواصل مثلا عبر البريد الإلكتروني نجد أنه مازال هناك أساتذة يجدون صعوبة في ذلك ويتخذون وقتا طويلا للرد على الرسائل فالرقمنة نظمت الكثير من الأشياء التي كانت صعبة على الطالب والأستاذ والإدارة، وترى

رانيا سليمان "بأن الرقمنة تشير إلى فارق بين من يملكون إمكانيات الوصول إلى التقنيات الحديثة ومن لا يملكونها وترتبط تلك الفجوة بصورة أو بأخرى بالوضع الاجتماعي للأفراد" (أسماء دريس، محمد عبد الحميد الزغاري، 2023، ص 409).

فليس كل الطلبة يمتلكون فرصة الوصول إلى الوسائل الرقمية، و بسبب تسارع الرقمنة واعتمادها بكثرة في الحرم الجامعي أصبح من الضروري التأكد من وجود مساواة بينهم، و لا وجود للتفاوت، مما يؤدي بذلك إلى فجوة رقمية راجعة إلى اختلاف المناطق والدخل المحدود وهذا ما صرّح به المبحوث رقم **02**: **"لا أعتقد ذلك كاين تفاوت بين الطلبة لي يعيشوا فالمدن و لي فالريف معندهمش أنترنيت قد تكون معدومة."** ومن جهة أخرى الرقمنة غيرت الكثير من الأشياء، ولكن أحدثت ضرر للأشخاص غير القادرين على امتلاك الوسائل المساعدة في ذلك والواقع قد كشف لنا عن التفاوت الموجود بين مجموعة من الفئات، فهناك من يمتلك حاسوب شخصيي وهاتف ذكي وشبكة أنترنيت جيدة، ما يساعدهم على التأقلم مع هذه الرقمنة وهناك من لا يمتلك ذلك لا سيما في المناطق الريفية، أو الأسر المتحفظة على الوسائل التكنولوجية أو ذات الدخل المحدود لذلك من الضروري أن تتدخل الجهات المعنية التي توفر تلك الوسائل للطالب كدعم له وتحقيق العدالة، وفي سياق آخر يرى **لوتشيانو فلوريدي (1964) Luciano Floridi**" أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تنطوي على مخاطر كبيرة، كما تولد عنها معضلات وأسئلة عميقة حول طبيعة الواقع" (مذكور مليكة، 2022، ص 163)، فالمؤسسة الجامعية قد واجهت هذه المخاطر فهي سبب عدم تحولها إلى مؤسسة ذكية، فلذلك يجب علينا الوقوف حول التحديات التي تعيق الاستخدام الأمثل لهذه الأنظمة التي تتمثل في الضغط ونقص الكفاءة المهنية وكذلك الفجوة الرقمية بسبب عدم تكافؤ الفرص الرقمية بين الأفراد وهذا ما عبّر عنه المبحوث **04**: **" ضعف البنية التحتية والعطل المتكرر في المنصات هذا يحصل عند الضغط على منصة واحدة"** فعلى الرغم من أهميتها وأهدافها لا نستطيع أن نقول أنها خالية من المخاطر وتوقعنا في صعوبات فهي تعيق أعمالنا وتوقفها في أي لحظة سواء في التسجيل أو تحميل ملفات، وكذلك نجد بعض التطبيقات غير المناسبة تماما مع الهواتف الذكية، وغياب التوجيه المناسب وبالرغم من هذه التحديات إلا أن **مفيد شهاب** يرى أنّ: " .. إقبال الجيل الجديد بشغف على الأخذ بالتقنيات العلمية الحديثة واستخدام الحاسب والتعامل مع شبكة الانترنت بمهارة" (عبد اللطيف

جي، 2011، ص 61)، فهذه تمثل الخطوة الأولى للتغلب عنها وإضافات الطلاب كانت عميقة لمساعدتهم على بناء مستقبل مهني أكاديمي، فتعزيز الكفاءة الرقمية يساعد على بناء أجيال جديدة قادرة على التعامل مع تلك الأنظمة ويتم ذلك بتدريب الطلاب وتحسين البنية التحتية، توفير أجهزة أنترنت جديدة وهذا ما صرّح به المبحوث رقم **05**: " **زيادة تعديلات في بروغرس لتخفيف الضغط ومنح فرص للتدريب والتكوين للجيل الجديد للتعامل مع التقنيات بسهولة**" لذلك نرى بأنه يجب العمل على مجموعة من الإضافات التي من شأنها تعزيز الكفاءة الرقمية فهي تعد جزءا أساسيا لنجاح العملية المهنية، ومن أهمّ المقترحات توفير دورات تدريبية وتكوينية مستمرة موجهة للأساتذة وللطلبة لمعرفة أساليب البحث العلمي وتوفير مجموعة من الأشخاص ذوي الكفاءة والخبرة للاستطلاع على الطلبة ودعمهم عند مواجهة صعوبات استخدام الأنظمة وكذلك تطوير المنصات إلى شكل أفضل خال من العقبات كالتوقف المستمر وضعف الأنترنيت فإذا تم العمل على ذلك سوف تساهم بشكل فعال للاستفادة من مميزاتها وأهدافها.

ثالثا– آثار الرقمنة على التعليم العالي:

ساهمت الرقمنة في التغيير الجذري للعديد من المجالات وقد شمل هذا التغيير مجال التدريس الجامعي والإداري، وعندما نذكر الجامعة نركّز على أحد أهم الفاعلين ألا وهو الأستاذ الجامعي وهذا ما استنتجناه من تحليلنا للسؤال الأول الذي دار حول أسلوب التدريس وما شمله من تغييرات بعد رقمنة القطاع، ومن خلال أجوبة المبحوثين لاحظنا أنّ هناك تفاوت في إجاباتهم فالبعض يروا بأنها غيرت الكثير... أمّا البعض الآخر يرى أنها لا تغير شيء حسب رأي المبحوث رقم **3**: "**لم تغير الرقمنة شيء، خدمنا بيها وقت كوفيد 19 نتيجة ظرف إستثنائي ثم استخدمناها في البروغرس ولا أرى أي تغيير أحدثته**" في حين يرى المبحوث رقم **1** أن الرقمنة ساهمت في التطور الجديد فيقول: "**بدلت في التدريس لها إيجابيات نقدوا نكملوا الدروس في اي ظرف كان... ونقدروا نوصلوا للوسائط التعليمية بسهولة**". وعلى سبيل ذكر المنصات الرقمية نذكر منصة بروغرس التي يعتبرها بعض الأساتذة جيدة كونها إيجابية من حيث نظام التعامل ويتم التحكم فيها عن بعد من طرف الدولة بحيث سحبت السلطة من الأساتذة في وضع العلامات أو تغييرها مثلا، وهذا ما قدمته من شفافية وتوفير الجهد على الأستاذ والطالب وقد سهلت تقديم الطعون فقط عبر المنصة وهذا ما أخبرنا به المبحوث رقم **2**: "**من جانب اختصار الوقت وحساب المعدلات تلقائيا**

وحفظ جميع العلامات والتقارير دون استخدام الوثائق". أما البعض الآخر الذي يرى أنها سلبت منهم حرية تسجيل العلامات وأنها حددت وقت معين أي هناك تناقض بين بعض الأساتذة وهذا ما أخبرنا به المبحوث رقم **3**: **"البروغرس يحكموه من فوق بكري كان الأستاذ له حرية التصرف في توزيع العلامات ودروك لا الإدارة هي لي تحكم لا مجال للتدخل للأستاذ."**

رابعا– الرقمنة وثقافة التكوين:

يرى المنظر البرازيلي في التعليميّة **باولو ريجلوس فريري** (1997- 1921) Paulo Freire "بأن مجال الرقمنة ليس محايدا أبدا ولكنه ذو بعد قيمي موجه نحو الأهداف التي يقررها البشر ومن المهم أن تكون على دراية بتلك القيم والأهداف والتوجيهات التي تؤثر على اتخاذ قرارات تكنولوجيا التعليم" (سليم مزهود، 2022، ص 109).

من أولويات تطوير الأنظمة والثقافة الرقمية التي تعتبر قفزة نوعية نحو التحول الرقمي وإدخال التحسينات والتغيرات الإيجابية لكل من المنصات والواجهات الرقمية التي وجب إعدادها بدقة عالية لتحقيق أهداف إيجابية على جودة التعليم العالي وتطويرها يعد ضرورة وتعاونا شاملا من طرق الأساتذة وهذا ما أخبرنا به المبحوث رقم **4**: **"يمكن تطوير الأنظمة من خلال تصميم واجهات أكثر سهولة وتوفير دعم دائم للمنشآت الرقمية وربطها ببرامج ذكية."** والوصول لهذه المرحلة وجب الاستعمال الجيد للوسائل الرقمية حيث ترى **رحاب مصطفى كامل** "بأنها الفارق في حيازة التكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكلها الحديث وحياة المهارات التي يتطلّبها التعامل معها بين الدول المتقدمة المنتجة لهذه التكنولوجيا والبرامج ومحتوياتها وبين الدول النامية" (الزغاري، 2023، ص 408).

فعلى الجميع أن يتقنوا استخدام الأدوات الرقمية والحصول على الكفاءة اللازمة فيها كونها محور التجديد والتطور فهناك فارق بين الأساتذة المتمكنين وغير المتمكنين وبالرغم من كل هذا وجب أن يكون لكل أستاذ وعي رقمي يتصف به وهذا ما جاء على لسان المبحوث رقم **5**: **"من المفروض يكون عندهم وعي ولكن بفعل السن كاين لي ما يملكهاش لكن من الأفضل توفرها فهي بسيطة في التعامل"**.

ولا شك أن الرقمنة لها أهمية بالغة في التحول الرقمي بكل إيجابياتها وسلبياتها ومحاولاتها سواء كانت كثيرة أو قليلة فهي تعد أهم مميزات هذا العصر الجديد.

خانسا– الرقمنة تخفيف للجهد والوقت:

يرى العالم الأمريكي **لاري كوبان (1934) (Larry Cuban)** "سيؤدي الوصول إلى التكنولوجيا إلى الاستخدام التنظيمي وسيؤدي استخدامها إلى تحقيق الأهداف" (الزغاري، 2023، ص 388)، فالرقمنة عند تناولها داخل العديد من المجالات سهّلت العديد من الاستخدامات مثل التواصل بين الإدارة والأساتذة، وسرعت من الإجراءات الإدارية وقلّصت المسافات، حيث أصبح التواصل فقط عن طريق الإيميل أي عن بعد، وكذلك ساعدت الطالب في أمور التسجيل والحصول على الوثائق عن بعد، كذلك العمليات المتعلقة بكل الفاعلين وهذا ما أخبرنا به المبحوث رقم **4**: "**عاونت الطالب باش يسجل حتى لو كان يكون يسكن بعيد دون القدوم للجامعة**". وحسب اعتقادنا من خلال هذا البحث لاحظنا أن معظم الإداريين يتواصلون عن طريق الإيميل وعلى ما أظن هذه العملية سهّلت العديد من الأمور وأنقصت الوقت والجهد في العمل... إلخ، أغلب المبحوثين عبروا عن تحسن ملحوظة في جودة الخدمات الجامعية بعد إدخال الرقمنة، فالسير الحسن للرقمنة من أساسيات تطورها ورغم كل ذلك لازالت الرقمنة تحتاج إلى دعم فني وتوحيد في الآراء عبر الجامعات وهذا ما أخبرنا به المبحوث رقم **3**: " **نعم لكن بدرجات متفاوتة تحسنت سرعة الاستجابة للطلبات أصبحت الخدمات متاحة على مدار الساعة عبر المنصات الرقمية وزادت من الشفافية**". أي أن الرقمنة وفرت العديد من الخدمات الجديدة وأصبحت متاحة بأقل جهد ونقص للوقت، مثلا هناك طالب يريد بعض الوثائق يمكنه استخراجها من الإدارة فقط بأقل وقت وجهد من طرف الإدارة أي أن الأمور تختلف تماما عن السابق حيث كان الطالب ينتظر بأسابيع للحصول على وثيقة وبفضل الرقمنة بضغطة زر يمكن استخراج الوثائق بسرعة ودون عناء، أو إرسالها عبر الايميل أو الوسائط الأخرى (الوات ساب، الأنستيغرام، الفايبر ... إلخ).

سادسا– تحديات الرقمنة:

في ظل التطور السريع للتكنولوجيا والتحول الرقمي، تسعى الجامعة دائماً لمواجهة التحديات التقنية التي لا زالت موجودة، منها نقص شبكة الانترنيت، ضعف البنية التحتية التي تعد أساساً لأي عملية رقمية، وأيضاً نقص الكفاءات الخاصة بالموظفين، وذلك راجع إلى نقص التكوين الذي يعتبر أكثر نقطة ناقلة للتحول الرقمي. وهذا ما أكده لنا المبحوث رقم **1**: "**البنية التحتية ما كانش، التكوين ما كانش، مهما**

يكون المستوى تاعهم ما يعرفوش يخدمو به"، وحسب اعتقادنا السن الذي لعب دوراً كبيراً في عملية التحول الرقمي، لأن ما لاحظناه أن أغلب الشباب استقبلوا فكرة الرقمنة وتأقلموا معها بشكل كبير، أما الأكبر سن يصعب تفهمها، ومن خلال دراستنا كانت الخطوات المقترحة من طرف الإداريين هي تعزيز الكفاءة الرقمية وتحسين البنية التحتية، وتعزيز شبكة الأنترنيت والوسائل كالحاسوب وآليات أخرى، وخاصة التكوين الذي يلزم لتوفير خدمات إدارية جيدة للفاعلين، والتحسين من الجامعة الجزائرية وتطويرها، وهذا ما قاله المبحوث رقم 2: " **تحديث سرعة الأنترنيت وتطوير الوسائل الرقمية والمعنوية والمادية، والبرامج الرقمية دائما تكون محدثات لتتماشى مع الجديد"**، وهذا ما يراها الباحث السوسيولوجي **تامر الملاح،** "فهي مجموعة من المعايير وقواعد السلوك يحتاج إليها الفرد في التعامل مع الوسائل التكنولوجية" (الزغاري، 2023، ص 388).

سابعا– مخرجات الرقمنة في منظومة التعليم العالي:

أصبحت الرقمنة حتمية فهي تقوم بتحويل البيانات من وثائق وملفات ورقية إلى رقمية، فقد سهّلت على الطلبة الوصول إلى المعلومات من خلال المنصات الرقمية والاطلاع على النتائج الإلكترونية من أي مكان والاطلاع على المحاضرات. حيث تقول **شارلوت بيرسي (Charlette Buresi)**:" الرقمنة منهج يسمح بتحويل البيانات والمعلومات من النظام التناظري إلى النظام الرقمي" (بوزعيب بريزة، 2022، ص 68). ولكن رغم ذلك نجد فجوة رقمية بين فئات من الطلاب المتمكنين ماديا وغير متمكنين مما قد يؤثر ذلك عليهم وبالنسبة للأستاذ نجد تنوع في أساليب التعليم كالتعليم عن بعد الذي وفّر لهم الوقت والجهد. ففي بعض الأحيان الطلاب لا يستلمون الرد على متطلباتهم مما يوجب تكوينهم وتدريبهم على الرقمنة لتسهيل استخدامها وتحسين والتواصل بين الأساتذة والطلبة والإدارة. فقد وفّرت الرقمنة سهولة تتبع آداء الطلبة، وقللت الأخطاء والجهد البشري وساعدتهم في التسجيلات وأرشفة الوثائق والنتائج وسهولة اتخاذ القرارات من خلال تقارير واضحة، وبذلك نرى بأنها قد أصبحت ركيزة أساسية ولها دور بارز في تحسين جودة الخدمات الجامعية الإدارية وهذا ما عبّر عنه المبحوث رقم : **"4 ساهمت في عملية تسجيل الطالب والاطلاع على نتائجه في منصة بروغرس وكذلك الإعلانات أصبحت رقمية"**. وكذلك أسهمت في تحسين جودة التعليم العالي من خلال المنصات الرقمية التي ساعدت بقوة البحث العلمي في الوصول

السريع إلى المعلومات وتنوعها والقدرة على تحليلها وتحسين العمليات الإدارية من عدّة نواحي، وتقليص الوقت ورفع كفاءة الإداريين، وتعزيز مهاراتهم، وذلك من خلال دوارات تكوينية للتأقلم مع الرقمنة، لذلك تعتبر الطريقة الصحيحة والأساسية في بناء مجتمع مبتكر ورقمي. وفي نفس الوقت قد كان لها أثر على الأستاذ فعلى سبيل المثال وجدوا صعوبات في إدخال المعدلات في منصة Progress لعدم تأقلمهم، ونجد بعض الفئات التي لم تتقبل الرقمنة فوجدوا أنفسهم غير قادرين على التعامل مع هذه التكنولوجيا، كما نجد أن التعليم عن بعد قد أثّر في ضبط حضور الطلبة وتفاعلهم مع الأستاذ مما يؤثر في التقييم وأثرت كذلك على الإداريون فقد تطلب منهم التعلم من جديد كيفية إدارة أعمالهم بالرقمنة والعمل في منصات متعددة ومتنوعة وكيفية إدارتها دون الوقوع في أخطاء ونقص في العلاقات المباشرة بينهم وبين الطلبة والأساتذة كما وجب عليهم حماية الملفات التي تحتوي على بيانات الطلبة والأساتذة بدقة عن طريق كلمة السر وعند اختراقها يؤدي إلى أضرار.

ثامنا– النتائج:

- سهلت الرقمنة عملية التواصل بين الفاعلين سواء إداريين طلبة أو أساتذة عبر منصات التواصل كالإيميل، الوات ساب.
- نقص البنية التحتية والوسائل المعتمدة عليها كالحاسوب.
- سهلت على الإداريين عملهم بحيث أصبح بالإمكان الوصول إلى البيانات بطريقة سريعة جدا.
- نقص تدفق شبكة الأنترنت.
- قلصت الرقمنة الجهد الوقت، المسافات.
- سمحت بسهولة عملية التسجيل أو الإطلاع على نتائج المعدلات، التوجيه، دون التنقل فقط عبر تطبيق بروغرس.
- نظمت استراتيجيات عمل داخل الإدارة وقسمت المهام.
- لم تقلل من الأخطاء لأن الأخطاء يرتكبها الإنسان.
- نقص التكوين الخاص بالإداريين أو الأساتذة.
- **تحسين جودة الخدمات الإدارية.**

- أظهرت نتائج الدراسة أن الرقمنة ساهمت بشكل كبير في تسهيل الإجراءات داخل الجامعة مثل التسجيل الإلكتروني، دفع حقوق التسجيل وإصدار الوثائق مما أدى إلى تقلص الوقت والجهد وزيادة رضا الطلبة.
- **فعالية التعلم الإلكتروني.**
- تبين أن استخدام منصات التعليم الإلكترونية قد حسنت من جودة التعليم العالي وسهلت التفاعل بين الأساتذة والطلبة خاصة في فترات التعليم عن بعد.
- **رفع مستوى الشفافية والمتابعة الأكاديمية.**
- ساعدت الرقمنة على تحسين الشفافية في توزيع علامات الامتحانات وسهلت للطلبة إمكانية متابعة نقاطهم عبر منصة بروغرس فقط.
- **التحديات والمعوقات:**
- نقص البنية التحتية كشبكة الانترنيت والوسائل الرقمية كالحواسيب القديمة ونقص التكوين وصعوبة التأقلم مع الرقمنة راجع إلى فارق السن بين المستخدمين.

أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن التحول الرقمي يعد خطوة فعالة نحو تحديث الإدارة الجامعية وتحقيق الجودة في الأداء حيث ساهمت في تقليص الزمن والجهد الإداري وتحسين تجربة المستخدم الجامعي. ومع ذلك هناك بعض التحديات والمعيقات كنقص التكوين الرقمي لدى بعض المستخدمين وقلة جودة الأنترنيت مما يستدعي تدخلا سريعا لتعزيز البنية التحتية داخل الجامعات، وكل ذلك لتقديم اطلاع شامل يعزز جودة التعليم العالي ويتماشى مع العصر الرقمي.

خاتمة:

بعد تقديمنا وعرضنا لموضوع بحثنا نرى أنّ هذه الدراسة تعد من الدراسات الممهدة لدراسات أعمق في إطار البحث حول الجامعة الجزائرية. وفي ضوء ما تم عرضه وتحليله توصلنا إلى أبرز النتائج المذكورة سابقا التي تشير بأنّ الرقمنة قد عرفت قفزة نوعيّة على المستوى الواقعي خاصة حينما تطبّق وفق استراتيجية كاملة،

فمن شأنها أن تحدث أثر عميق في تحسين الأداء الأكاديمي والإداري وتقوية خطوط التواصل بين الفاعلين الإداريين، الطلبة والأساتذة.

إن إدماج الرقمنة لا يقتصر فقط على توفير منصات رقمية أو أنظمة معلوماتية، بل يشمل إعادة بناء هيكلة البنية التحتية، وتحديث معلومات وتطوير الكفاءات البشرية لتواكب هذا التطور والتحول الرقمي، وهذا تفاديا للتناقضات.

ولا يمكن التغافل عن التحديات التي تعترض التحول الرقمي مثل ضعف البنية التحتية والكفاءة التكوينة، إن الجامعة الجزائرية اليوم أمام فرصة للتغيير وإعادة التميز والابتكار من التقليدي إلى ما هو أسمى وأذكى وأفضل ومن هنا تبرز أهمية مواصلة البحث العلمي في هذا المجال وتشجيع الدراسات الميدانية والتطبيقية حول الرقمنة. فهي ليست غاية بل هي وسيلة لتحقيق جودة التعليم العالي أكثر انصافا وفعالية وابتكارا وابداعا نحو مستقبل رقمي، وهذا ما يكون إلاّ بتعزيز البنية التحتية وتقديم التكوين الدائم للموظفين من أجل تطوير تكنولوجي مناسب.

قائمة المراجع:

1. بريزة بوزعيب، (2022)، الرقمنة ودورها في عصرنا التعليم العالي في الجزائر، مجلة جودة الخدمة العمومية للدراسات السوسيولوجية والتنمية الإدارية المجلد (05) العدد(02) ص68.
2. طلال ناظم الزهيري، (2024)، الحتمية التكنولوجية و تأثيرها في تشكيل الإعلام الجديد دراسة استقرائية، مجلة الإعلام و المجتمع المجلد(8) العدد 2 ص 154 .
3. حميدوش علي وبوزيد حميد، (2020)، اقتصاديات الأعمال القائمة على الرقمنة، المتطلبات والفوائد، تجارب دولية دروس وعبر، المجلة العلمية المستقبل الاقتصادي2020/12، مجلد8، العدد1،ص44.
4. أسماء دريس محمد عبد الحميد الزغاري، (2023)، قراءة سوسيولوجية في نظرية مجتمع المخاطر واللا مساواة الرقمية، العدد 28 ص 408.

5. مذكور مليكة، (2022)، التحديات الأخلاقية للرقمنة، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي شلف، الجزائر، المجلد 14، العدد02 ص 163 .
6. عبد اللطيف جي، (2011)، تعليمية علوم العربية في ظل تحديات عالم الرقمنة، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية، المركز الجامعي بالطارف، العدد05 ص 61 .
7. سليم مزهود، (2022)، تكنولوجيا التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد19، الواقع والحلول، مجلة العلوم وأفاق المعارف، المجلد 2، العدد1 ص 109 .
8. أسماء دريس محمد عبد الحميد الزغاري، نفس المرجع ص 408.
9. بريزة بوزعيب ، مرجع سابق ص 68.

Digital Transformation and Its Impact on Social Relations in Lebanese Society: A Field Study in the Beirut Governorate

Dr. Hitaf atat

Member of the Lebanese Sociological Association

hitafatat@hotmail.com

Abstract:

Lebanese society has been experiencing rapid transformations in the field of digital technology, particularly following the recent economic and social crises. These changes have directly influenced the nature of social relationships among individuals. This research aims to examine the impact of digital transformation—especially the use of social media and modern communication applications—on social relationships in the Beirut Governorate, considered a digitally advanced urban model.

The study focuses on analyzing changes in patterns of family and social communication, and on measuring the extent to which digitalization affects the strength and quality of social ties. It also seeks to identify the most prominent social phenomena associated with the excessive use of digital technologies, such as social isolation, weakened dialogue within families, and shifts in traditional concepts of relationships.

To achieve these objectives, the study adopts a **descriptive-analytical methodology**, collecting field data through a questionnaire distributed to **300 individuals from Beirut residents**, in addition to conducting **semi-structured interviews with specialists in sociology and social work.**

The study is expected to provide a realistic perspective on the relationship between digital development and social change in Lebanon, as well as to offer recommendations that help achieve a balance between technological progress and the preservation of social cohesion.

Keywords: Digital Transformation – Social Relationships – Lebanese Society – Social Media – Beirut – Social Change

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

التحوّل الرقمي وأثره على العلاقات الاجتماعية في المجتمع اللبناني– دراسة ميدانية على محافظة بيروت

د. هتاف الأتات

عضو في الجمعية اللبنانية لعلم الإجتماع

hitafatat@hotmail.com

ملخص:

يشهد المجتمع اللبناني تحولات سريعة في مجال التكنولوجيا الرقمية، خاصة بعد الأزمات الاقتصادية والإجتماعية الأخيرة، مما انعكس بشكل مباشر على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر التحول الرقمي، ولا سيما استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وتطبيقات الاتصال الحديثة، على العلاقات الاجتماعية في محافظة بيروت، كنموذج حضري متقدم رقميًا.

تركز الدراسة على تحليل التغير في أنماط التواصل الأسري والاجتماعي، وقياس مدى تأثير الرقمنة على قوة الروابط الاجتماعية وجودتها. كما تسعى إلى تحديد أبرز الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالاستخدام المفرط للتقنيات الرقمية، مثل العزلة، ضعف الحوار داخل الأسرة، وتغير مفاهيم العلاقات التقليدية.

لذا، سيتم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، من خلال جمع بيانات ميدانية عبر استبيان يُوزّع على 300 فرد من سكان بيروت، إضافة إلى إجراء مقابلات نصف موجهة مع مختصين في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

يُتوقع من هذه الدراسة تقديم تصور واقعي حول العلاقة بين التطور الرقمي والتغير الاجتماعي في لبنان، وتقديم توصيات تساعد في تحقيق توازن بين التقدم التكنولوجي والحفاظ على التماسك الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: : التحول الرقمي– العلاقات الاجتماعية–المجتمع اللبناني– وسائل التواصل الاجتماعي–بيروت– التغيّر الاجتماعي.

مقدمة:

يشهد العالم اليوم تحوّلًا رقميًا متسارعًا أعاد تشكيل أنماط العيش والتواصل والعمل، ولم يكن المجتمع اللبناني – ولا سيّما في المدن الكبرى مثل بيروت – بمنأى عن هذا التحوّل. فقد أصبحت الهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي والتطبيقات الرقمية جزءًا لا يتجزّأ من تفاصيل الحياة اليومية، بحيث انتقل جزء كبير من التفاعل الاجتماعي من اللقاءات الوجاهية إلى الفضاء الافتراضي. وبينما أتاح هذا الواقع إمكانات جديدة للتواصل والحصول على المعلومات وتوسيع شبكات العلاقات، فإنّه أثار في المقابل أسئلة عميقة حول أثر الاستخدام المكثّف للتكنولوجيا في طبيعة العلاقات الأسرية والاجتماعية، وفي الشعور بالانتماء أو العزلة، وفي استقرار منظومة القيم والتماسك الاجتماعي في المجتمع اللبناني.

وتُظهر الدراسات السابقة في البيئة اللبنانية أنّ معظم الأبحاث انصبّت على جوانب محدّدة من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، مثل تأثيرها في العلاقة الزوجية والعلاقة بين الأهل والأبناء، أو ارتباط الاستخدام الإشكالي للشبكات الرقمية بمشاعر الوَحدة والاضطرابات النفسية، أو انعكاساتها على صورة الجسد وتقدير الذات لدى الشباب. ورغم أهمية هذه الإسهامات، فإنّها ظلّت في الغالب جزئية ومجزّأة، ولم تُقارب بصورة شمولية التغيّرات الأوسع في بنية العلاقات الأسرية والاجتماعية ومستوى التماسك الاجتماعي في ضوء التحوّل الرقمي المتسارع، خصوصًا في سياق حضري مميّز كالسياق البيروتي الذي يشهد كثافة عالية في استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية .

من هنا تنطلق هذه الدراسة من الحاجة إلى فهم أعمق لكيفية انعكاس التحوّل الرقمي – ممثَّلًا في أنماط استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية وشدّة الاعتماد عليها – على جودة العلاقات داخل الأسرة، وعلى شبكة العلاقات الاجتماعية خارج إطارها، وعلى مشاعر العزلة الاجتماعية والتماسك الاجتماعي المدرك، وعلى إدراك تغيّر القيم الاجتماعية لدى الأفراد في محافظة بيروت. وتتبلور إشكالية البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

إلى أيّ مدى يؤثّر التحوّل الرقمي، ممثَّلًا في أنماط استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية ومستوى الاعتماد عليها، في طبيعة العلاقات الأسرية والاجتماعية، وفي الشعور بالانعزال الاجتماعي، وتغيّر منظومة القيم ومستوى التماسك الاجتماعي كما يدركه الأفراد في محافظة بيروت؟

وانطلاقًا من هذه الإشكالية، تسعى الدراسة إلى تحقيق **الأهداف** الآتية:

1. **قياس مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية وأنماط هذا الاستخدام** لدى أفراد العيّنة في محافظة بيروت (من حيث شدّته، وأهم المنصّات المستخدمة، والدوافع الرئيسة للاستخدام).
2. **التعرّف إلى طبيعة العلاقة بين مستوى استخدام التكنولوجيا وجودة العلاقات الأسرية والتواصل وجهًا لوجه** داخل الأسرة كما يدركها أفراد الدراسة.
3. **استكشاف العلاقة بين مستوى استخدام الوسائط الرقمية من جهة، والشعور بالانعزال الاجتماعي وإدراك تغيّر القيم الاجتماعية ومستوى التماسك الاجتماعي المدرك من جهة أخرى.**
4. **الكشف عن الفروق في إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الأسرية والاجتماعية** تبعًا لبعض المتغيرات الديموغرافية (مثل الجنس والعمر) وبحسب نوع الاستخدام الغالب للتكنولوجيا (عمل/دراسة، تسلية، تواصل عائلي، توسيع دائرة المعارف، أو استخدامها كضرورة يومية).
5. **الإسهام في سدّ فجوة بحثية في الأدبيات اللبنانية** من خلال تقديم مقاربة ميدانية كمية شمولية ترصد التغيّرات الاجتماعية في ظل التحوّل الرقمي، وتقدّم معطيات يمكن الإفادة منها في صياغة سياسات وتدخّلات تربوية واجتماعية ترشّد استخدام التكنولوجيا وتدعم تماسك الأسرة والمجتمع

الفرضيات:

1- توجد علاقة ارتباطية عكسية دالة احصائيًا بين مستوى استخدام التكنولوجيا وجودة العلاقات الاسرية.

2- توجد علاقة دالة بين الاعتماد على الوسائط الرقمية والتواصل وجهًا لوجه.

3- توجد علاقة طردية دالة بين مستوى استخدام التكنولوجيا والشعور بالانعزال الاجتماعي.

4- توجد علاقة دالة بين مستوى العرض للتحوّل الرقمي وتغيّر القيم الاجتماعية.

5- توجد فروق دالة في متوسط درجات ادراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية تعزى الى متغير الجنس.

6- توجد فروق دالة في متوسط تأثير التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية تعزى الى متغير العمر.

7- توجد علاقة دالّة بين مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية ومستوى التماسك الاجتماعي المدرك.

8- وجد فروق دالّة في جودة العلاقات الأسرية والاجتماعية تبعًا لنوع الاستخدام الغالب للتكنولوجيا.

أولا: الإطار النظري

1 التحوّل الرقمي واستخدام الوسائط والتقنيات الرقمية

يشير مفهوم التحوّل الرقمي إلى مجمل التغيّرات البنيوية التي تطرأ على طرق إنتاج المعرفة والخدمات وإدارتها وتداولها، نتيجة الانتقال من الاعتماد على الأنظمة والوسائط التقليدية إلى تبنّي تقنيات رقمية ذكية وشبكات اتصال متعدّدة المنصّات. ولا يقتصر هذا التحوّل على إدخال أدوات تكنولوجية جديدة، بل يرتبط بإعادة تنظيم العمليات، وأنماط العمل والتفاعل، وبناء علاقات اجتماعية واقتصادية تقوم على البيانات والتواصل الفوري والاتصال المستمر عبر الفضاء الشبكي (Traboulsi, 2021; Castells, 2009).

وفي السياق العربي، تُظهر التقارير والدراسات الإقليمية حول "الجيل الرقمي العربي" أنّ فئة واسعة من الشباب باتت تنتمي إلى ما يُسمّى بالجيل الرقمي، الذي يميل إلى استخدام الإنترنت والهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل يومي، ويُفضّل في كثير من الأحيان المنصّات الرقمية على الوسائط التقليدية في الحصول على المعلومات والترفيه والتواصل الاجتماعي. وتشير هذه الدراسات إلى أن نسبة كبيرة من الشباب في المنطقة يستخدمون الإنترنت بصورة يومية، وأن جزءًا مهمًّا من تفاعلهم الاجتماعي ينتقل تدريجيًا إلى الفضاء الافتراضي، ما ينعكس على أنماط حياتهم وقيمهم وعلاقاتهم الأسرية والاجتماعية (Sabbagh, et.al, 2012).

من منظور سوسيولوجي، يُنظر إلى هذا التحوّل في إطار ما يسمّيه كاستيلز بـ **المجتمع الشبكي**، حيث تصبح شبكات الاتصال الرقمية الفضاء الرئيس الذي تُعاد فيه صياغة أنماط التواصل وتوزيع القوة وبناء المعاني

والهويّات؛ إذ تتقاطع ''حيّز التدفّقات'' الرقمية مع ''حيّز الأمكنة'' الواقعي، فيعيش الأفراد في زمن اتصالي متسارع يتّسم بالحضور المستمر على الشبكات وبالتدفّق الدائم للمعلومات (Castells, 2009) .

وفي مثل هذا السياق، لا يُعدّ استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية مجرّد إضافة تقنية لحياة الأفراد، بل متغيّرًا بنيويًا يطال بنية العلاقات داخل الأسرة والمجتمع، ويؤثّر في طرائق التواصل والاندماج الاجتماعي، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى مقاربته في الحالة اللبنانية، عبر تحليل مستوى استخدام هذه الوسائط وأنماطه وعلاقته بجودة العلاقات الأسرية والاجتماعية كما يدركها أفراد عيّنة البحث في محافظة بيروت (Al-Bishawi, 2024;Livingstone&Blum-Ross,2020).

2 العلاقات الأسرية والاجتماعية والتماسك الاجتماعي

تعدّ الأسرة في المجتمعات العربية – ومنها المجتمع اللبناني – الوحدة الأولى والأساسية في البناء الاجتماعي؛ فهي الإطار الذي يتلقّى فيه الفرد عمليات التنشئة الاجتماعية، ويتعلّم من خلاله القيم والمعايير وأنماط السلوك المقبولة، كما تنهض بوظائف الحماية والرعاية والدعم المادي والمعنوي، وحفظ الروابط القرابية والثقافية والدينية بين الأجيال المتعاقبة (Al-Bishawi, 2024;Gharaibeh,2016) وتُشير الدراسات إلى أن الأسرة العربية، رغم تحوّلها التدريجي من الأسرة الممتدّة إلى الأسرة النووية، ما زالت تضطلع بأدوار محورية في توفير الإسناد الاجتماعي، والحفاظ على صلة الرحم، وتنظيم علاقات الأفراد بالمجتمع الأوسع.

وتُفهَم العلاقات الأسرية اليوم بوصفها شبكة من الروابط العاطفية والتفاعلات اليومية بين أفراد الأسرة، تتجسّد في مستوى الحوار والتواصل، ودرجة التقارب الانفعالي، ونوعية الدعم المتبادل. وقد عُرِّف مفهوم التماسك الأسري (Family cohesion) بأنه مقدار الرابطة والانتماء العاطفي بين أفراد الأسرة، ومدى الإحساس بالقرب والتضامن فيما بينهم كما أوردته (Rivera, 2008)، ويُعدّ هذا التماسك عنصرًا وقائيًا مهمًا في مواجهة الضغوط والأزمات الخارجية، لما يوفّره من شعور بالأمن الانفعالي والانتماء(Rivera,2008;Quick et.al, 2021). وعلى المستوى الأوسع، تمتد العلاقات الاجتماعية إلى دائرة الأصدقاء، والجيران، وزملاء العمل أو الدراسة، وما يرتبط بها من شبكات دعم ورموز ثقة وتعاون متبادل، تشكّل جزءًا من رأس المال الاجتماعي للفرد والجماعة.

أما التماسك الاجتماعي فيُطرَح في الأدبيات بوصفه "الغراء الذي يربط المجتمع معًا"، أي درجة قوّة العلاقات ووجود شعور بالتضامن والانتماء بين أعضائه، وما يصاحب ذلك من ثقة متبادلة، ومعايير مشتركة، واستعداد للتعاون من أجل تحقيق الصالح العام (UNECE, Moustakas, 2003). ويعود أصل المفهوم إلى أعمال دوركهايم حول التضامن الميكانيكي والعضوي، حيث رأى أن تماسك المجتمع يرتبط بطبيعة الروابط بين أفراده وبمدى تشاركهم في القيم والمعايير، وأن اختلال هذه الروابط قد يقود إلى حالات من التفكّك أو اللامعيارية (Durkheim, 1893/2025; Fonseca et.al, 2019). في هذا الإطار، يمثّل التماسك الأسري نوعًا خاصًا من التماسك الاجتماعي، يتجلّى في قوّة الروابط القرابية والعاطفية داخل الأسرة، بينما يعكس التماسك على مستوى المجتمع نوعية الشبكات والعلاقات والتفاعلات التي تربط الأفراد والجماعات المختلفة، كما يظهر في نظريات رأس المال الاجتماعي التي تُعرّف هذا الرأس المال بأنه مجموع الشبكات، والمعايير، والثقة التي تسهّل العمل الجماعي وتحسّن كفاءة المجتمع (Social capatilal resarch, 2020; Putnam, 2000).

في ضوء ما سبق، يمكن النظر إلى جودة العلاقات الأسرية والاجتماعية ومستوى التماسك الاجتماعي المدرك في هذه الدراسة بوصفها مؤشرات على قوّة الروابط داخل الأسرة وبين الأفراد في محيطهم الاجتماعي، وعلى درجة شعورهم بالانتماء والدعم والثقة المتبادلة. ومن ثمّ، فإن أي تغيّر يطرأ على أنماط التواصل داخل الأسرة ومع الأصدقاء والجيران – ومن ضمنه التحوّل نحو الاستخدام المكثّف للوسائط والتقنيات الرقمية – قد ينعكس على هذه الأبعاد من خلال تعزيزها أو إضعافها، وهو ما تحاول الدراسة قياسه وتحليله في سياق المجتمع اللبناني.

3 التحوّل الرقمي والعلاقات الاجتماعية في ضوء بعض الأطر النظرية

لفهم كيف يؤثّر التحوّل الرقمي في العلاقات الأسرية والاجتماعية، يمكن الاستعانة بعدد من الأطر النظرية في دراسات الاتصال وعلم الاجتماع، تساعدنا على قراءة الأرقام الميدانية ضمن سياق أوسع. أوّل هذه الأطر هي **نظرية الاستخدامات والإشباعات**، التي تنطلق من فكرة بسيطة تقول إنّ الأفراد لا يستقبلون الرسائل الإعلامية بشكل سلبي، بل يختارون الوسائل والمنصّات التي تلبي حاجاتهم ورغباتهم؛ كالحاجة إلى

الترفيه، أو الهروب من الواقع، أو بناء العلاقات، أو الحصول على المعلومات. ويرى كاتز وبلوملر وغوريفيتش أن الجمهور يُنظَر إليه بوصفه جمهورًا «فعّالًا» يهدف من وراء استخدامه للوسائط إلى تحقيق إشباعات معيّنة، وأن جزءًا أساسيًا من استخدام الإعلام هو سلوك موجّه نحو هدف (Katz, Blumler, & Gurevitch, 1973).

انطلاقًا من هذا المنظور، يصبح **نوع الاستخدام الغالب للتقنيات الرقمية** (عمل، دراسة، تسلية، تواصل مع العائلة، توسيع دائرة المعارف...) متغيّرًا جوهريًا في تفسير أثر هذه التقنيات على العلاقات الاجتماعية؛ فالاستخدام الذي يهدف إلى تعزيز التواصل العائلي أو توسيع شبكة الدعم قد تكون له نتائج مختلفة عن الاستخدام الذي يركّز على التسلية الفردية أو الهروب من الضغوط اليومية.

الإطار الثاني الذي يفيد هذه الدراسة هو مفهوم **رأس المال الاجتماعي** كما طوّره بوتنام وغيره. يشير هذا المفهوم إلى مجموع الشبكات الاجتماعية، والمعايير، والثقة المتبادلة التي تسهّل التعاون بين الأفراد وتدعم حياة المجتمع(Putnam ، 2000 .(وقد أظهرت دراسات لاحقة أنّ مواقع التواصل الاجتماعي يمكن أن تسهم في بناء بعض أشكال رأس المال الاجتماعي، ولا سيما ما يُسمّى بـ"رأس المال الجِسري" (Bridging social capital)، أي العلاقات الواسعة مع معارف وجماعات متنوّعة، كما في دراسة إليسون وزملائه حول استفادة طلبة الجامعة من شبكة الأصدقاء على فيسبوك في توسيع دوائرهم الاجتماعية والحفاظ على صلاتهم بمجموعات مختلفة (Ellison, Steinfield, & Lampe, 2007).

ومع ذلك، يحذّر بوتنام من أن تراجع المشاركة في الأنشطة الوجاهية التقليدية، لصالح أشكال أكثر فردانية من التفاعل، قد يؤدّي إلى إضعاف بعض مكوّنات رأس المال الاجتماعي، مثل الانخراط في الحياة المجتمعية، والالتزام بالأنشطة المشتركة، والثقة بالمؤسسات الاجتماعية (Putnam, 2000). وهو ما يفتح سؤالًا مهمًا حول ما إذا كانت الوسائط الرقمية في السياق اللبناني تعزّز التماسك الاجتماعي أو تساهم في تآكله، تبعًا لطريقة استخدامها وشدّتها.

أما الإطار الثالث فيرتبط بالعلاقة بين **التواصل الرقمي والمخاطر أو الهشاشة الاجتماعية**، كما ناقشته سونيا ليفنغستون وإلين هيلسبر في دراستهما عن سلوك الشباب على الإنترنت؛ حيث تشير النتائج إلى أنّ كثرة الانخراط في أنشطة التواصل عبر الشبكة ترتبط بتعرّض أكبر لأنماط مختلفة من المخاطر، وأن خصائص

الفرد وعلاقاته خارج الفضاء الرقمي تلعب دورًا في مدى هشاشته أو حمايته أمام هذه المخاطر (Livingstone & Helsper, 2007).

من هذه الزاوية، يمكن النظر إلى الاستخدام الكثيف للتقنيات الرقمية ليس بوصفه مجرّد زيادة في «كمّ» التواصل، بل كتحوّل في نوعية التفاعل، وفي شكل الحضور مع الآخرين، قد يفتح المجال في الوقت نفسه لفرص جديدة للتواصل والدعم، ولأشكال من العزلة أو التوتّر داخل الأسرة والمجتمع إذا لم يكن هذا الاستخدام متوازنًا ومنظّمًا.

انطلاقًا من هذه الأطر، تتعامل الدراسة الحالية مع استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية بوصفه متغيّرًا معقّدًا يتداخل فيه :**الدافع من الاستخدام (إشباعات مختلفة)، وطبيعة الشبكات التي يكوّنها الأفراد (رأس مال اجتماعي)، ودرجة الهشاشة أو الحماية في علاقتهم بالعالم الرقمي** .وهذا ما يساعد على تفسير النتائج الميدانية التي تربط بين مستوى الاستخدام وأنواعه من جهة، وبين جودة العلاقات الأسرية والاجتماعية ومستوى التماسك المدرك من جهة أخرى في المجتمع اللبناني.

4 التحوّل الرقمي والعزلة وتغيّر القيم الاجتماعية

يبدو المشهد اليوم متناقضًا: فالأفراد متّصلون على مدار الساعة عبر الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي، ومع ذلك تتكرّر في الأدبيات عبارة ''وحداء في عالم مزدحم''. تشير مراجعات حديثة إلى أنّ **الإفراط في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي** يرتبط غالبًا بارتفاع مستويات الشعور بالوحدة والعزلة النفسية، خاصة عندما يتحوّل الاستخدام إلى نمط إدماني يطغى على التفاعل الوجاهي والعلاقات العميقة في الواقع (Pinki & Rana، 2025).

وترصد دراسات أخرى علاقة أكثر تعقيدًا بين استخدام الإنترنت والشعور بالوحدة؛ إذ يبيّن نموذج تفسيري قدّمته Nowland وزملاؤها أنّ العلاقة **ثنائية الاتجاه وديناميكية:** فالاستخدام الاجتماعي للإنترنت يمكن أن يخفّف من الوحدة عندما يُستثمر لتعزيز العلاقات القائمة وبناء صداقات جديدة، لكنه قد يزيد من الإحساس بالعزلة عندما يُستخدم للهروب من الواقع واستبدال التفاعل المباشر بعالم افتراضي مغلق (Nowland, Necka, & Cacioppo,2018).

وبالمثل، يناقش Smith (2023) أنّ الوحدة قد تكون أحيانًا نتيجة للاستخدام المفرط، وأحيانًا دافعًا إليه؛ فالأشخاص الذين يشعرون بالوحدة قد يلجؤون أكثر إلى الفضاء الرقمي بحثًا عن تعويض، ما يخلق دائرة مغلقة بين الوحدة والاستخدام الكثيف للشبكات (Smith, 2023).

من ناحية أخرى، تظهر دراسات ومراجعات ميتا-تحليلية أنّ ما يسمّى بـ **"الاستخدام الإشكالي" أو الإدماني للتقنيات والوسائط الرقمية** يرتبط بدرجات أعلى من الشعور بالوحدة والضيق النفسي؛ أي أن المشكلة لا تكمن في مجرّد الوجود على الشبكات، بل في نمط الاستخدام الذي يزاحم العلاقات الوجاهية وينقل مركز ثقل الحياة الاجتماعية إلى الشاشة.

إلى جانب قضية العزلة، يثير التحوّل الرقمي سؤالًا عميقًا يتعلّق بـ **تغيّر منظومة القيم الاجتماعية** .فمع الانفتاح الواسع على مضامين وثقافات عابرة للحدود، لم تعد الأسرة أو المدرسة المصدر الوحيد لتشكيل القيم؛ بل أصبحت المنصّات الرقمية فضاءً أساسيًا لإنتاج المعاني، وصياغة تمثّلات جديدة حول الحياة، والعلاقات، والنجاح، والصورة الذاتية. وتبيّن دراسات في السياق العربي أنّ الاستخدام الكثيف للإعلام الجديد يمكن أن يولّد نوعًا من الصراع القيمي بين منظومة القيم الدينية والاجتماعية الموروثة من جهة، والقيم الفردانية والاستهلاكية القادمة عبر الفضاء الرقمي من جهة أخرى، بما يهدّد أحيانًا استقرار البناء القيمي داخل الأسرة (Belabbes, 2022).

ثانيا: الإطار الميداني

1 المنهجية والأدوات

أ. منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه المنهج الأنسب لدراسة الظواهر الاجتماعية في سياقها الواقعي، والكشف عن أنماط العلاقة بين مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية وجودة العلاقات الأسرية والاجتماعية كما يدركها الأفراد. وقد تم تطبيق هذا المنهج من خلال دراسة ميدانية على عيّنة من أفراد المجتمع في محافظة بيروت، باعتبارها نموذجًا حضريًا متقدّمًا رقميًا يشهد كثافة في استخدام التكنولوجيا والمنصّات الرقمية.

ب. أدوات جمع البيانات:

تم اعداد استبيان أعد خصيصًا لأغراض هذه الدراسة، ويتكوّن من 47 سؤالًا موزعة على النحو التالي:

- 9 أسئلة حول المعلومات الشخصية، تهدف إلى جمع بيانات ديموغرافية أساسية عن المبحوثين (مثل العمر، الجنس، التخصص، المستوى الأكاديمي، إلخ) بما يتيح توصيف العينة وتحليل الفروق بين فئاتها المختلفة.
- 10 أسئلة تقيس نمط استخدام التكنولوجيا الرقمية ووسائل الاتصال والهدف من ذلك، حيث تركز على رصد درجة تكرار الاستخدام، والوسائط الأكثر استخدامًا، والدوافع الرئيسة وراء هذا الاستخدام في الحياة اليومية.
- 10 أسئلة تقيس كيفية التواصل داخل الاسرة الواحدة في ظل استخدام وسائل الوسائط الرقمية، حيث تستكشف هذه الفقرات طبيعة التفاعل الأسري، ودرجة استمرار الحوار المباشر وجهًا لوجه، ومدى تأثير الاستخدام الرقمي في جودة العلاقات بين أفراد الأسرة.
- 8 أسئلة تقيس طبيعة العلاقات الاجتماعية خارج اطار الاسرة، حيث تهدف إلى رصد قوة شبكة العلاقات مع الأصدقاء والأقارب، وتكرار التواصل المباشر وغير المباشر، وما إذا كان الاعتماد على الوسائط الرقمية قد غيّر من شكل هذه العلاقات وحدّتها.
- 10 أسئلة تقيس الآثار الاجتماعية والنفسية للتحول الرقمي كما يدركها المبحوثين، يث تقيّم هذه الفقرات مشاعر الانتماء أو العزلة، وإدراك التغيّر في القيم الاجتماعية التقليدية، ومستوى التماسك الاجتماعي المدرك في ضوء الاستخدام المتزايد للتقنيات الرقمية.

ج. خصائص الاستبيان:

- **نمط الأسئلة:** باستثناء فقرة البيانات الشخصية، صيغت بقية فقرات الاستبيان وفق مقياس ليكرت خماسي الدرجات، حيث تتدرج الإجابات بين: "لا أوافق اطلاقًا"، "لا أوافق"، "محايد"، "أوافق"، "أوافق بشدة". ويسمح هذا النمط بقياس شدة المواقف

والاتجاهات بصورة كمية قابلة للتحليل الاحصائي. وقد رُمزت الاستجابات رقميًا من (1) الى (5) بما يسهّل ادخال البيانات وتحليلها إحصائيًا.

- **التحقق من الصدق والثبات:** تمّ التحقّق من ثبات أداة الدراسة باستخدام معامل الاتساق الداخلي **ألفا كرونباخ** (**Cronbach's Alpha**) بالاعتماد على بيانات العيّنة البالغة (300) مفردة. وقد أظهرت النتائج أن معامل ألفا كرونباخ لمقياس **استخدام التكنولوجيا والوسائط الرقمية** (10 بنود) بلغ**0.76**، ولمقياس **التواصل داخل الأسرة** (10 بنود) بلغ **0.77**، في حين بلغ معامل ألفا لمقياس **العلاقات الاجتماعية خارج إطار الأسرة** (8 بنود) 0.78 ولمقياس **الآثار الاجتماعية والنفسية للتحوّل الرقمي** (10 بنود) **0.82**. كما بلغ معامل ألفا كرونباخ للاستبيان ككل (38 بندًا) نحو **0.90**. وهي قيم تُعدّ جيّدة وتشير إلى تمتّع الأداة بدرجة مقبولة من الثبات والاتساق الداخلي، ممّا يتيح استخدامها لأغراض هذه الدراسة بثقة إحصائية مناسبة.

الجدول 1: جدول احتساب معامل ألفا كرونباخ

البعد	عدد البنود	المتوسط	الانحراف المعياري	معامل الفا كرونباخ
استخدام التكنولوجيا الرقمية	10	3.38	0.65	0.76
التواصل داخل الاسرة	10	3.15	0.65	0.77
العلاقات الاجتماعية	8	3.15	0.69	0.78
الآثار النفسية والاجتماعية	10	3.11	0.67	0.82

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

2 حدود الدراسة

- **الحدود الزمانية:** تم تنفيذ هذه الدراسة خلال الفترة الممتدة بين شهري كانون الأول2025 وكانون الثاني من العام 2026، حيث جرى خلال هذه المدة توزيع الاستبيان على أفراد العيّنة وجمع البيانات الميدانية وتحليلها إحصائيًا.
- **الحدود المكانية:** تم تنفيذ الدراسة ميدانيًا في محافظة بيروت، واقتصرت حدودها المكانية على نطاق هذه المحافظة.
- **الحدود البشرية:** تتألف عينة الدراسة من (300) مبحوث ومبحوثة من كلا الجنسين، من سكان محافظة بيروت اللبنانية.

3 مجتمع الدراسة وعينتها

يتمثل مجتمع هذه الدراسة في جميع الأفراد من سكّان محافظة بيروت اللبنانية ممّن يستخدمون الوسائط والتقنيات الرقمية في حياتهم اليومية، وذلك باختلاف فئاتهم العمرية، ومستوياتهم التعليمية، وأوضاعهم الاجتماعية والمهنية. ويشمل هذا المجتمع شريحة واسعة من الأفراد الذين يتفاعلون مع التحوّل الرقمي في سياق حياتهم الأسرية والاجتماعية داخل المحافظة.

أما بالنسبة الى عينة الدراسة، ونظرًا لصعوبة حصر جميع أفراد مجتمع الدراسة والوصول إليهم ميدانيًا، فقد اعتمدت الدراسة على عيّنة ميدانية بلغ حجمها **(300) مبحوث ومبحوثة** من سكّان محافظة بيروت، من كلا الجنسين، جرى اختيارهم بما يضمن قدرًا من التنوع في الخصائص الديموغرافية (العمر، الجنس، الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي، الوضع المهني). ويمثّل هذا الحجم من العيّنة حدًا مناسبًا لإجراء التحليلات الإحصائية الوصفية والاستنتاجية اللازمة، والاستدلال – في حدود هذه العيّنة – على اتجاهات أفراد المجتمع المدروس نحو أثر التحوّل الرقمي في علاقاتهم الأسرية والاجتماعية.

4 خلاصة النتائج

أ. الخصائص الديموغرافية–الاجتماعية للمبحوثين:

الجدول 2: الخصائص الديموغرافية–الاجتماعية للمبحوثين (n=300)

الخصائص		النسبة المئوية%
الجنس	ذكر	27.5
	أنثى	72.5
العمر	أقل من 20 سنة	0.8
	20-29 سنة	11.5
	30-39 سنة	38.2
	40-49 سنة	30
	50 سنة فأكثر	20
الحالة الاجتماعية	أعزب /عزباء	13
	متزوج/ة	81
	مطلقة/ة	5
	أرمل/ة	1
المستوى التعليمي	تعليم ثانوي أو ما دون	5
	تعليم مهني/تقني	5
	إجازة جامعية (ليسانس/بكالوريوس)	38
	دراسات عليا (ماجستير/دكتوراه)	53
الوضع المهني	طالب/ة	3
	عامل/ة بدوام كامل	54
	عامل/ة بدوام جزئي	15

	عاطل/ة عن العمل حاليًّا	4
	رب/ة أسرة	23
	متقاعد	1
السكن حاليًا	مع الأسرة (الوالدين/الزوج/الأبناء)	94
	بمفردي	3
	مع أقارب	3
	مع أصدقاء/شركاء في السكن	0
متوسط عدد الساعات يوميًا على الانترنت	أقل من 2 ساعة	24
	2–4ساعات	49
	5–7 ساعات	18
	أكثر من 7 ساعات	9
أكثر وسيلة استخدام على الانترنت	الهاتف الذكي	92
	الحاسوب المحمول	5
	الحاسوب المكتبي	2
	جهاز لوحي (تابلت)	1

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

تُظهر بيانات الجدول رقم (2)، أن غالبية أفراد العينة من **الإناث** بنسبة 72.5% مقابل 27.5% من الذكور. كما يتبيّن أن الشريحة العمرية الأكثر حضورًا هي فئة **30–39 سنة** بنسبة 38% تليها فئة **40–49 سنة** بنسبة 30%، في حين شكلّت الفئة العمرية الأقل من 20 سنة النسبة الأدنى 0.8%.

وتوضح النتائج أن معظم المبحوثين **متزوجون** بنسبة 81%، مقابل 13% من العزّاب، بينما توزعت النسبة المتبقية بين المطلقين والأرامل.

وعلى مستوى التعلين، تشير المعطيات الى ارتفاع نسبة الحاصلين على دراسات عليا (**ماجستير/ دكتوراه**) بنسبة 53%، يليهم الحاصلون على إجازة جامعية بنسبة 37%، مما يعكس ارتفاع المستوى التعليمي لأفراد العّينة. كما تُظهر النتائج أن أكثر من نصف المبحوثين تقريبًا يعملون **بدوام كامل** 54%، في حين تشكّل ربات الأسر 23% نسبة لافتة ضمن العيّنة. أما فيما يتعلق بنمط السكن، فيقيم معظم أفراد العيّنة مع **الأسرة** (الوالدين/الزوج/الأبناء) بنسبة 94%، مقابل نسب محدودة جدًا لمن يسكنون بمفردهم أو مع أقارب. وتبيّن البيانات أيضًا أن ما يقارب نصف المبحوثين يقضون يوميًا **من 2– 4 ساعات** على الإنترنت 49%، في حين يقضي حوالي ربعهم أقل من ساعتين يوميًا 24%، ويستخدم 9% منهم الإنترنت لأكثر من 7 ساعات يوميًا. كما يظهر أن **الهاتف الذكي** يمثّل الوسيلة الأكثر استخدامًا للدخول إلى شبكة الإنترنت بنسبة 92%، مقارنةً باستخدام ضعيف للأجهزة الأخرى.

ب. نتائج الفرضيات:

نتيجة الفرضية الأولى:

للتحقق من فرضية: توجد علاقة ارتباطية عكسية دالة احصائيًا بين مستوى استخدام التكنولوجيا وجودة العلاقات الاسرية. تمّ احتساب معامل ارتباط بيرسون بين متوسط درجات استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية (القسم الثاني من الاستبيان)، ومتوسط درجات جودة العلاقات الأسرية كما يدركها أفراد العينة (البعد المكوَّن من بنود القسم الثالث بعد إعادة ترميز البنود السالبة).

وقد أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية عكسية دالّة إحصائيًا بين المتغيّرين؛ حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ($r = -0.26$) عند حجم عينة ($N = 300$) وبمستوى دلالة ($p < 0.001$) ويُشير ذلك إلى أنّ ارتفاع مستوى استخدام التكنولوجيا يرتبط بانخفاض درجة جودة العلاقات الأسرية كما يدركها أفراد الدراسة.

الجدول 3: نتيجة اختبار معامل الارتباط Pearson

المتغير المستقل	المتغير التابع	معامل الارتباط	p-value	الدلالة
مستوى الاستخدام	جودة العلاقات الأسرية	-0.26	0.00077	دال

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

تتفق نتيجة هذه الدراسة مع ما توصّلت إليه دراسة حمزة (2025) حول أثر استخدام وسائل التّواصل الاجتماعي على العلاقات الأُسريّة لدى طلاب الجامعات في لبنان، حيث بيّنت أن الاستخدام المكثّف للمنصات الرقمية يرتبط بانخفاض جودة التواصل وجهًا لوجه وارتفاع مستويات العزلة والمشكلات الأُسرية. كما أشارت في إطارها النظري إلى أن التعرّض المستمر لمحتويات وقيم وافدة عبر الوسائط الرقمية قد يسهم في إضعاف الأنماط الثقافية والسلوكية المحلية وإحداث اضطراب في منظومة القيم داخل الأسرة والمجتمع، وهو ما ينسجم مع نتيجة البحث الحالي التي تُظهر علاقة دالّة بين مستوى التعرّض للتحوّل الرقمي وتغيّر القيم الاجتماعية المدركة لدى أفراد العينة.

كما تنسجم هذه النتيجة مع ما توصّلت إليه دراسة Ghaddar وآخرون (2019) حول أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على العلاقات داخل الأسرة في لبنان؛ إذ بيّنت أن كثافة استخدام هذه الوسائط ترتبط بارتفاع مستوى التوتّر في العلاقات الزوجية والأسرية، وبتراجع الحوار المباشر بين الأهل والأبناء، الأمر الذي يعكس تحوّلًا في أنماط التفاعل والقيم الضمنية الحاكمة للعلاقات داخل الأسرة اللبنانية.

كذلك أظهرت دراسة Malaeb (2023) أن الاستخدام المكثّف لوسائل التواصل الاجتماعي بين الشباب اللبناني يرتبط بتغيّر في أنماط السلوك والعادات اليومية، وتبنّي أنماط ثقافية جديدة على مستوى المظهر وأنماط الاستهلاك والتواصل، بما قد يؤدي إلى تراجع بعض التقاليد والمعايير الثقافية والاجتماعية لدى الجيل الشاب.

بناءً على ما سبق، تشير هذه النتائج مجتمعةً إلى أن الارتفاع في مستوى التعرّض للتحوّل الرقمي يرتبط بتغيّر ملحوظ في منظومة القيم والعلاقات الاجتماعية، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى ترشيد استخدام التكنولوجيا والوسائط الرقمية داخل الأسرة وتعزيز أنماط التواصل المباشر بين أفرادها للحفاظ على تماسكها وقيمها الاجتماعية.

نتيجة الفرضية الثانية:

للتحقق من الفرضية: توجد علاقة دالة بين الاعتماد على الوسائط الرقمية والتواصل وجهًا لوجه. تمّ احتساب معامل ارتباط بيرسون بين متوسط درجات الاعتماد على الوسائط الرقمية (بنود نمط الاستخدام في القسم الثاني من الاستبيان)، ومتوسط درجات جودة التواصل وجهًا لوجه داخل الأسرة (البعد المكوَّن من بنود القسم الثالث بعد إعادة ترميز البنود السالبة).

وقد أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية عكسية دالّة إحصائيًا بين المتغيّرين؛ حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ($\mathbf{r = -0.24}$) وبمستوى دلالة ($\mathbf{p < 0.001}$) عند مستوى 0.01.

ويشير ذلك إلى أنّ ارتفاع مستوى الاعتماد على الوسائط الرقمية يرتبط بانخفاض جودة التواصل المباشر داخل الأسرة كما يدركه أفراد العيّنة.

الجدول 4: نتيجة اختبار معامل الارتباط Pearson

المتغير المستقل	المتغير التابع	معامل الارتباط	p-value	الدلالة
مستوى الاعتماد على الوسائط الرقمية	جودة التواصل المباشر	-0.24	0.00077	دال

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

تتوافق هذه النتيجة مع ما توصّلت إليه دراسة Ghaddar,et al. (2019) حول أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على العلاقات في لبنان، إذ أظهرت أن ازدياد الوقت الذي يقضيه الأفراد على منصات التواصل يرتبط بارتفاع مستوى التوتّر في العلاقات بين الأزواج وأفراد الأسرة، وبفقدان جزء من التواصل الواقعي وجهًا لوجه. ما تنسجم مع ما خلصت إليه دراسة البيطار (2019) التي تناولت أثر استخدام تطبيق الواتساب على أنماط العلاقات الاجتماعية في مدينة طرابلس – لبنان، والتي بيّنت أن التواصل الرقمي أصبح يحلّ تدريجيًا محلّ التفاعل الوجهي التقليدي. وتدعم هذه النتائج مجتمعةً ما توصّل إليه البحث الحالي من وجود علاقة ارتباطية عكسية بين مستوى استخدام التكنولوجيا وجودة العلاقات الأسرية المدركة لدى أفراد العيّنة.

نتيجة الفرضية الثالثة:

للتحقق من فرضية: توجد علاقة طردية دالة بين مستوى استخدام التكنولوجيا والشعور بالانعزال الاجتماعي. تمّ احتساب معامل ارتباط بيرسون بين متوسط درجات استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية (القسم الثاني من الاستبيان)، ودرجة الشعور بالانعزال الاجتماعي كما يقيسها البند: "أشعر أحيانًا بالعزلة رغم كثرة تواصلي عبر وسائل التواصل الاجتماعي" من القسم الخامس.

وقد أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية طردية دالّة إحصائيًا بين المتغيّرين؛ حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ($\mathbf{r = 0.30}$) وبمستوى دلالة($\mathbf{p < 0.001}$) . ويشير ذلك إلى أنّ ارتفاع مستوى استخدام التكنولوجيا يرتبط بارتفاع الشعور بالانعزال الاجتماعي لدى أفراد العيّنة.

جدول 5: نتيجة اختبار معامل الارتباط Pearson

المتغير المستقل	المتغير التابع	معامل الارتباط	p-value	الدلالة
استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية	درجة الشعور بالانعزال الاجتماعي	0.30	0.00014	دال

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

تتقاطع نتيجة هذه الدراسة مع ما توصّلت إليه دراسة Eid وآخرون (2023) التي بحثت العلاقة بين الاستخدام المشكل لشبكات التواصل الاجتماعي والشعور بالوحدة لدى عيّنة من المراهقين اللبنانيين؛ إذ أظهرت أن الاستخدام الإدماني لشبكات التواصل يرتبط بمستويات أعلى من الشعور بالوحدة، وأن هذا الاستخدام يتوسّط جزئيًا العلاقة بين التعرّض للتنمّر والإحساس بالعزلة. وتدعم هذه النتائج ما انتهى إليه البحث الحالي من وجود علاقة طردية دالّة بين مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية والشعور بالانعزال الاجتماعي لدى أفراد العيّنة.

نتيجة الفرضية الرابعة:

للتحقق من فرضية: توجد علاقة طردية دالة بين مستوى العرض للتحول الرقمي وتغيّر القيم الاجتماعية. تمّ احتساب معامل ارتباط بيرسون بين متوسط درجات درجات استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية (بنود

القسم الثاني من الاستبيان)، ومتوسط درجات إدراك تغيّر القيم الاجتماعية (المكوَّن من البنود التي تقيس تغيّر مفاهيم الصداقة والعلاقات، والميل إلى العلاقات الافتراضية، وإضعاف القيم الاجتماعية التقليدية في القسم الخامس).

وقد أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية طردية دالّة إحصائيًا بين المتغيّرين؛ حيث بلغت قيمة معامل الارتباط (**r = 0.41**) وبمستوى دلالة($p < 0.001$) . ويشير ذلك إلى أنّ ارتفاع مستوى التعرّض للتحوّل الرقمي يرتبط بارتفاع إدراك أفراد العيّنة لتغيّر القيم والعلاقات الاجتماعية وضعف القيم التقليدية.

الجدول 6: نتيجة اختبار معامل الارتباط Pearson

المتغير المستقل	المتغير التابع	معامل الارتباط	p-value	الدلالة
مستوى العرض للتحول الرقمي	تغيّر القيم الاجتماعية	0.41	0.001	دال

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

وتنسجم هذه النتيجة مع ما خلصت إليه دراسة نبيلة غصن بو عرم (دون تاريخ) حول تأثير الإعلام وقيم الاستهلاك لدى المراهقين اللبنانيين، والتي أظهرت أن التعرّض المكثّف لوسائل الإعلام (بما فيها الإنترنت والهاتف الخلوي) يسهم في تبنّي أنماط استهلاك وقيم جديدة تبتعد تدريجيًا عن منظومة القيم التقليدية القائمة على المحافظة والعلاقات القرابية القوية، لصالح قيم التحرّر والعلاقات خارج إطار القرابة، بما يؤشر إلى دور وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة في إعادة تشكيل نسق القيم لدى الجيل الشاب في المجتمع اللبناني

نتيجة الفرضية الخامسة:

للتحقق من الفرضية: توجد فروق ذات دلالة احصائية في متوسط درجات ادراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية تعزى الى متغير الجنس، تم استخدام اختبار t لعينتين مستقلتين على متوسط درجات البُعد المكوَّن من بنود القسمين الثالث والرابع (التواصل داخل الأسرة والعلاقات الاجتماعية خارج إطار الأسرة). وقد أظهرت النتائج أن متوسط درجات الذكور بلغ (3.35±0.65)، في حين بلغ متوسط درجات الإناث (3.08±0.53) ضمن القيمة الاحصائية t= 3.38، عند مستوى دلالة p=0.001، وهي قيمة دالة عند مستوى 0.05.

الجدول 7: نتيجة اختبار t الاحصائي لعينتين مستقلتين

الجنس	المتوسط	T	p	الدلالة
الذكور	3.35	3.38	0.001	دال
الاناث	3.08			

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

وبما أن $0.05 > p$، فهذا يعني وجود فروق دالة احصائيًا بين الذكور والاناث في إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية، **لصالح الذكور**.

تتسق نتيجة الفرضية الخامسة مع ما توصّل إليه تقرير سلامة الأطفال على الإنترنت في لبنان الصادر عن (المركز التربوي للبحوث والإنماء، 2013)، الذي أظهر اختلاف أنماط استخدام الشبكة والوسائط الرقمية تبعًا لمتغيّر الجنس، وما يرافق ذلك من تمايز في مستويات التعرّض للمخاطر الرقمية وفي أشكال التفاعل الاجتماعي عبر الفضاء الافتراضي. هذا يشير إلى أن إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية قد يتشكّل بصورة مختلفة بين الذكور والإناث، وهو ما تعكسه نتائج العينة الحالية التي سجّلت متوسطات أعلى لدى الذكور في مستوى إدراك هذا الأثر.

نتيجة الفرضية السادسة:

للتحقق من الفرضية: توجد فروق دالة في متوسط تأثير التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية تعزى الى متغير العمر، تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (one-way Anova) على متوسط درجات البُعد الذي يمثّل إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية (المكوّن من بنود القسمين الثالث والرابع من الاستبيان. وقد أظهرت النتائج أن الفروق في المتوسطات بين فئات العمر لم تكن دالّة إحصائيًا، حيث بلغت قيمة (F) نحو (1.46) عند درجات حرية (4، 126)، وبمستوى دلالة($p = 0.22$) ، وهو أكبر من مستوى الدلالة (0.05).

الجدول 8: نتيجة اختبار تحليل التباين الأحادي One-way Anova

العمر	المتوسط	F	p	الدلالة
أقل من 20 سنة	3.28	1.46	0.22	غير دال
20-29 سنة	3.41			
30-39 سنة	3.15			
40-49 سنة	3.17			
50 سنة فأكثر	2.97			

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

وبما أن $p>0.05$، فهذا يعني أن لا وجود لفروق ذات دلالة احصائية **إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية تُعزى إلى متغيّر العمر** في عيّنة الدراسة.

توافق هذه النتيجة مع ما توصّلت إليه دراسة Malaeb وآخرون (2022) التي بحثت في العوامل المرتبطة بإدمان استخدام الهاتف الذكي لدى عيّنة من الشباب اللبناني، إذ أظهرت تحليلات الارتباط أنّ متغيّر العمر لم يكن مرتبطًا بصورة دالّة بدرجات إدمان الهاتف الذكي، في حين ارتبطت المتغيّرات النفسية (كالملل، الشعور بالوحدة، الضغط والقلق) ارتباطًا دالًا بمستويات الإدمان. ويعزّز ذلك ما انتهت إليه الدراسة الحالية من عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية تُعزى إلى متغيّر العمر، بما يشير إلى أن تأثير التحوّل الرقمي يتوزّع نسبيًا على مختلف الفئات العمرية، وأن عوامل أخرى غير العمر قد تكون أكثر حساسية في تفسير الفروق في جودة العلاقات الاجتماعية.

نتيجة الفرضية السابعة:

للتحقق من الفرضية: توجد علاقة دالّة بين مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية ومستوى التماسك الاجتماعي المدرك، تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين متوسط درجات استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية (القسم الثاني من الاستبيان) ومتوسط درجات إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الأسرية والاجتماعية (البعد المكوَّن من بنود القسمين الثالث والرابع. وقد أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباط موجبة دالّة إحصائيًا بين المتغيّرين؛ حيث بلغت قيمة معامل الارتباط(**r = 0.51**) وبمستوى دلالة (**p <**

(**0.001**. وهذا يشير إلى أنّ ارتفاع مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية يرتبط بارتفاع مستوى إدراك تأثير التحوّل الرقمي على العلاقات الأسرية والاجتماعية، وبما يعكس درجة أكبر من تراجع جودة هذه العلاقات وضعف تماسكها كما يدركها أفراد العيّنة.

الجدول 9: نتيجة اختبار معامل الارتباط Pearson

المتغير المستقل	المتغير التابع	معامل الارتباط	p-value	الدلالة
مستوى الاستخدام	إدراك أثر التحول الرقمي على العلاقات / تماسكها	0.51	0.00023	دال

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

تقاطع نتيجة هذه الفرضية مع ما توصّلت إليه أطروحة (الرفاعي، 2014) والتي خلصت إلى وجود تأثير للتطبيقات الاجتماعية الإلكترونية على الترابط الأسري، وبرهنت إحصائيًا على وجود علاقة بين مستوى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ومستوى التماسك الأسري، تبعًا لعدد من المتغيرات الديموغرافية كالعمر والجنس والحالة الاجتماعية والدخل الشهري للأسرة ومكان الإقامة ومستوى الالتزام الديني. وتُظهر هذه النتيجة، على غرار نتائج الدراسة الحالية، أن الاستخدام المتزايد للوسائط والتقنيات الرقمية يرتبط بقدرٍ من الضعف في تماسك الروابط الأسرية والاجتماعية، الأمر الذي يستدعي مقاربات تربوية واجتماعية للحد من الآثار السلبية لهذا الاستخدام.

نتيجة الفرضية الثامنة:

للتحقق من الفرضية: توجد فروق ذات دلالة احصائية في جودة العلاقات الأسرية والاجتماعية تبعًا لنوع الاستخدام الغالب للتكنولوجيا، تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (one-way Anova) لمقارنة متوسط درجات إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الأسرية والاجتماعية بين فئات الاستخدام الغالب للتكنولوجيا (العمل/الدراسة، التسلية، التواصل مع العائلة في الخارج، توسيع دائرة المعارف، الاستخدام كضرورة يومية). وقد أظهرت النتائج أن أن قيمة (F) بلغت (**2.43**) وبمستوى دلالة ($p \approx$ .0.048

الجدول 11: نتيجة اختبار تحليل التباين الأحادي One-way Anova

نوع الاستخدام الغالب	المتوسط	F	P	الدلالة
العمل أو الدراسة	3.09	2.43	0.048	دال
التسلية وتمضية الوقت	3.12			
التواصل مع العائلة في الخارج	3.24			
توسيع دائرة المعارف والأصدقاء	3.72			
الاستغناء كضرورة يومية لا يمكن الاستغناء عنها	3.35			

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات التحليل الاحصائي باستخدام برنامج spss

وهو ما يشير إلى وجود فروق دالّة إحصائيًا عند مستوى (0.05) في إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات تبعًا لنوع الاستخدام الغالب للتكنولوجيا، مع ملاحظة أن إحدى الفئات (توسيع دائرة المعارف) تضم عددًا محدودًا جدًا من الأفراد، ممّا يستدعي الحذر في تفسير النتائج.

تتقاطع هذه النتيجة مع ما توصّلت إليه دراسة Addam وآخرين (2018) حول الأثر الخطِر للإدمان على التواصل الإلكتروني في المجتمع اللبناني، والتي بيّنت أنّ الاعتماد المتزايد على مواقع التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية لا يؤثّر فقط في كثافة التفاعل، بل ينعكس أيضًا على نوعية العلاقات، إذ يرتبط بضعف التضامن الاجتماعي وتحول كثير من العلاقات إلى علاقات سطحية بين أفراد الأسرة والأصدقاء. وتُظهر نتائج تلك الدراسة أن أنماطًا معيّنة من الاستخدام الإلكتروني (كجعل التواصل الافتراضي بديلاً عن التفاعل الوجهي وصعوبة الاستغناء عن الهاتف الذكي) تؤثر بصورة أوضح في العلاقات والتقاليد، وهو ما ينسجم مع ما انتهت إليه الدراسة الحالية من وجود فروق ذات دلالة إحصائية في جودة العلاقات الأسرية والاجتماعية تبعًا لنوع الاستخدام الغالب للتكنولوجيا لدى أفراد العيّنة.

خاتمة:

في ضوء ما عُرض في هذه الدراسة من إطارٍ نظريّ يستجلي مفهوم التحوّل الرقمي وأبعاده، وما قُدِّم من مراجعةٍ للدراسات السابقة في البيئة اللبنانية والعربية والأجنبية، وما اتُّبع من منهج وصفيّ تحليليّ اعتمد على استبيان مكوّن من عدّة محاور طُبِّق على عيّنة من (300) من سكّان محافظة بيروت، يمكن القول إنّ هذه الدراسة سعت إلى فهم الكيفية التي يؤثّر من خلالها التحوّل الرقمي – ممثَّلًا في مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية وأنماط هذا الاستخدام – في طبيعة العلاقات الأسرية والاجتماعية، والشعور بالانعزال، وتغيّر القيم الاجتماعية، ومستوى التماسك الاجتماعي المدرك.

كشف نتائج الفرضيات مجتمعةً عن صورة متسقة لطبيعة العلاقة بين التحوّل الرقمي وجودة العلاقات الاجتماعية في المجتمع اللبناني، وتحديدًا في محافظة بيروت؛ إذ أظهرت معاملات الارتباط أن ارتفاع مستوى استخدام الوسائط والتقنيات الرقمية والاعتماد عليها يرتبط بانخفاض جودة العلاقات الأسرية والتواصل المباشر وجهًا لوجه داخل الأسرة، وبارتفاع الشعور بالانعزال الاجتماعي، وبزيادة إدراك تغيّر القيم الاجتماعية وضعف بعض القيم التقليدية. وبذلك فإن الاستخدام الرقمي في عيّنة الدراسة لا يبدو مجرّد أداة حيادية للتواصل والدعم، بل يرتبط –كما تعكسه درجات المفحوصين – بإعادة تشكيل أنماط التفاعل الأسري والاجتماعي، وبنقل جزء من التفاعل من الحيز الوجاهي إلى الفضاء الافتراضي، بما يحمله ذلك من احتمالات لتراجع الدفء العائلي وتماسك الروابط الاجتماعية لصالح علاقات أكثر سطحية وأقل استقرارًا.

من جهة أخرى، أبرزت النتائج دور بعض المتغيرات الديموغرافية وأنماط الاستخدام في تفسير اختلاف إدراك أثر التحوّل الرقمي؛ فقد ظهر أن الجنس متغيّر مؤثّر، حيث سجّل الذكور متوسطات أعلى في إدراك أثر التحوّل الرقمي على العلاقات الاجتماعية مقارنة بالإناث، ما قد يُفسَّر بكونهم أكثر انخراطًا في بعض أنماط الاستخدام أو أكثر تعرّضًا لمضامين رقمية تُعيد تشكيل تصوّراتهم للعلاقات والتماسك الاجتماعي، في حين لم تظهر فروق دالّة تعزى إلى متغيّر العمر، الأمر الذي يدلّ على أن أثر التحوّل الرقمي يتوزّع نسبيًا على مختلف الفئات العمرية وأن شدّة الاستخدام ونوعه قد يكونان أكثر حساسية من السنّ في تفسير الفروق بين الأفراد. كما بيّنت النتائج وجود فروق دالّة في جودة العلاقات الأسرية والاجتماعية تبعًا لنوع الاستخدام الغالب للتكنولوجيا، حيث يرتبط الاستخدام بوصفه «ضرورة يومية» أو كوسيلة لتوسيع دائرة

المعارف بأثر أكبر على العلاقات مقارنة بالاستخدام المرتبط بالعمل أو الدراسة، وهو ما يؤكد أن نوع الاستخدام ودوافعه لا يقلّان أهمية عن مستوى الاستخدام نفسه في فهم انعكاسات التحوّل الرقمي على الحياة الأسرية والاجتماعية.

في ضوء ما سبق، توحي هذه النتائج بأن التحوّل الرقمي في السياق اللبناني – ولا سيما في ظل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي دفعت الأفراد إلى الاعتماد المتزايد على الوسائط الرقمية – يرتبط بتحديات حقيقية تطال بنية العلاقات الأسرية والاجتماعية ومنظومة القيم، مما يستدعي مقاربات تربوية واجتماعية وإعلامية تهدف إلى ترشيد استخدام التكنولوجيا، وتعزيز ثقافة التوازن بين الحضور الرقمي والتواصل الوجاهي، وتحصين القيم والعلاقات داخل الأسرة والمجتمع من الآثار السلبية للاستخدام المفرط أو غير المنظَّم للتقنيات الرقمية.

وانطلاقًا من هذه النتائج، تتقدّم الدراسة بعدد من الاقتراحات ذات الصلة بموضوعها، يمكن أن تشكّل منطلقًا لتدخّلات تربوية واجتماعية وسياساتية أكثر فاعلية، من أبرزها:

1. **إعداد ميثاق إرشادي للاستخدام المسؤول للتكنولوجيا** يُطبّق في المدارس والبيوت، يشمل ضوابط زمنية وسلوكية (مثل أوقات دون أجهزة، واحترام خصوصية أفراد الأسرة، وتشجيع اللقاءات المباشرة).
2. **تنظيم برامج تدريبية وورش عمل** موجهة للطلاب الجامعيين وتلامذة المدارس، فضلًا عن الأهل حول: العزلة الرقمية، تراجع التواصل المباشر بهدف اكسابهم مهارات عملية في الحوار الأسري في عصر التحوّل الرقمي.
3. **تعزيز التعاون بين الجامعات، وزارات التربية والشؤون الاجتماعية والاعلام، والجمعيات** الأهلية، لإطلاق مبادرات توعية وطنية عن أثر الاستخدام غير المنظّم للتكنولوجيا على التماسك الأسري والاجتماعي.
4. **تمويل وتشجيع البحوث المستقبلية** التي تتناول أثر التحوّل الرقمي على الأسرة والقيم الاجتماعية في مختلف المحافظات اللبنانية، مع إعطاء أولوية للدراسات الميدانية الطولية والدراسات الكيفية.

5. **إدراج وحدات تعليمية في المدارس والجامعات في لبنان** حول الاستخدام الآمن والمتوازن للتكنولوجيا وأثره على العلاقات الأسرية والاجتماعية ضمن الخطط الدراسية والأنشطة اللاصفيّة.

قائمة المراجع:

1. حمزة، منال (2025). أثر استخدام وسائل التّواصل الاجتماعي على العلاقات الأُسريّة: دراسة حالة لدى طلاب الجامعات في لبنان .*مجلة أوراق ثقافية*.
2. البيطار، س. س. (2019). أثر استخدام تطبيق الواتساب على العلاقات الاجتماعية: نموذج مدينة طرابلس – لبنان. في الملتقى الدولي المحكم: الخصوصية في مجتمع المعلوماتية (ص. 107–138). مركز جيل البحث العلمي.
3. غصن بو عرم، ن. ع. (دون تاريخ). تأثير الإعلام وقيم الاستهلاك على المراهقين اللبنانيين .*المجلة التربوية*، المركز التربوي للبحوث والإنماء – لبنان.
4. المركز التربوي للبحوث والإنماء. (2013). دراسة وطنية حول سلامة الأطفال على الإنترنت في لبنان. بيروت: المؤلف.
5. الرفاعي، م.م. (2014). أثر وسائل التواصل الاجتماعي الالكتروني على الترابط الأسري وسبل العلاج بلبنان (أطروحة دكتوراه غير منشورة). أكاديمية بناة المستقبل الدولية.
6. Addam, K., Naous, H., Matraji, S., Takkoush, J., & Mezher, B. (2018). The perilous impact of addiction to e-communication on solidarity, interaction and traditions in the Lebanese society. National Journal of Multidisciplinary Research and Development, 3(3), 7–14.
https://doi.org/10.22271/njmrd.2018.v3.i3.2newresearchjournal.com.
7. Al-Bishawi, Y. (2024). Family relationships in Arab societies in the context of social media. Journal of Namibian Studies, 35, 123–145.
8. Al Gharaibeh, F. (2016). Globalization and the Arab family system. *Social Evolution & History, 15*(2), 122–146.
9. Barbar, S., Haddad, C., Sacre, H., Dagher, D., Akel, M., Kheir, N., Salameh, P., Hallit, S., & Obeid, S. (2021). Factors associated with problematic social media use among a sample of Lebanese adults: The mediating role of emotional intelligence. *Perspectives in Psychiatric Care, 57*(3), 1313–1322. https://doi.org/10.1111/ppc.12692.
10. Castells, M. (2009). *Communication power*. Oxford University Press.
11. Eid, E., Fekih-Romdhane, F.,Sarray El Dine, A., Malaeb, D, Hallit, S., & Obeid, S. (2023). Does problematic use of social network mediate the association

between bullying victimization and loneliness among Lebanese adolescents? Children, 10(3), 599. https://doi.org/10.3390/children10030599.

12. Ellison, N. B., Steinfield, C., & Lampe, C. (2007). The benefits of Facebook "friends": Social capital and college students' use of online social network sites. Journal of Computer-Mediated Communication, 12(4), 1143–1168. https://doi.org/10.1111/j.1083-6101.2007.00367.

13. Fonseca, X., Lukosch, S., & Brazier, F. (2019). Social cohesion revisited: A new definition and how to characterize it. European Journal of Social Theory, 22(2), 231–247.

14. Ghaddar, A., Hamadani, M., & Yamout, F. (2019). *Effects of social media on relationships in Lebanon: A study case for Lebanon*. In **Proceedings of POM Beirut 2019** (pp. 48–52). BCS Learning and Development Ltd. https://doi.org/10.14236/ewic/POM19.8.

15. Ghaddar, A., Hamadani, M., & Yamout, F. (2019). *Effects of social media on relationships in Lebanon: A study case for Lebanon*. In **Proceedings of POM Beirut 2019**. British Computer Society. https://doi.org/10.14236/ewic/POM19.8.

16. Katz, E., Blumler, J. G., & Gurevitch, M. (1973). Uses and gratifications research. Public Opinion Quarterly, 37(4), 509–523. https://doi.org/10.1086/268109.

17. Livingstone, S. M., & Blum-Ross, A. (2020). *Parenting for a digital future: How hopes and fears about technology shape children's lives*. Oxford University Press.

18. Livingstone, S., & Helsper, E. J. (2007). Taking risks when communicating on the Internet: The role of offline social-psychological factors in young people's vulnerability to online risks. Information, Communication&Society,10(5),619–644. https://doi.org/10.1080/13691180701657998.

19. Malaeb, D. (2023). Effects of social media on youth in Lebanon. Global History Dialogues. https://globalhistorydialogues.org/stories/effects-of-social-media-on-youth-in-lebanon.

20. Malaeb, D., Akel, M., Salameh, P., Hallit, S., & Obeid, S. (2022). Boredom proneness, loneliness, and smartphone addiction among Lebanese young adults: The mediating role of depression, anxiety, and stress. Prim Care Companion for CNS Disorders, 24(6), 21m03092. https://doi.org/10.4088/PCC.21m03092.

21. Putnam, R. D. (2000). Bowling alone: The collapse and revival of American community. Simon & Schuster.

22. Rivera, F. I. (2008). Family cohesion and its relationship to psychological distress among Latino groups. *Hispanic Journal of Behavioral Sciences, 30*(3), 357–378.

23. Sabbagh, K., Karam, D., Kettaneh, T., & Mouammar, R. (2012). *Understanding the Arab digital generation*. Booz & Company.

24. Traboulsi, F. (2021). *Digital transformations in the Middle East* (Policy paper). Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs, American University of Beirut.

25. UNECE. (2023). *Social cohesion: Concept and measurement*. United Nations Economic Commission for Europe.

26. Youssef, L., Hallit, R., Kheir, N., Obeid, S., & Hallit, S. (2020). Social media use disorder and loneliness: Any association between the two? Results of a cross-sectional study among Lebanese adults. *BMC Psychology, 8*, 56. https://doi.org/10.1186/s40359-020-00421-5

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The impact of social media on the family: A contemporary perspective

m.m.Sally Mohammed Abd [1]
College of Islamic Sciences/University of Baghdad1
Sally.m@cois.uobaghdad.edu.iq
Ghufran Razzaq Mansour [2]
College of Islamic Sciences/University of Baghdad
Email adress, Ghufran.Razaq@cois.uobaghdad.edu.iq

Prof. Dr. Ammar Basem Saleh [3]
College of Islamic Sciences/University of Baghdad
amar.saleh@cois.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

Social media significantly impacts families, with positive effects such as enhanced communication among family members and opportunities for learning and education, and negative effects such as reduced time spent in face-to-face interaction, increased anxiety and stress, and impact on marital and family relationships. This research aims to establish guidelines for social media use, promote face-to-face communication, and raise awareness among individuals about the importance of balanced technology use to maintain healthy family relationships

The research problem lies in the fact that excessive use of social media leads to a decline in the quality of family relationships and an increase in psychological problems such as depression and anxiety. It is important for families to be aware of the effects of social media and strive to achieve a balance between technology use and face-to-face communication.

The research concludes that families can benefit from social media in positive ways, such as using it to communicate with distant relatives or participate in family support groups. However, clear limits must be set for the use of these platforms to avoid negative effects

Keywords: impact, social media, family

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

تأثير مواقع التواصل الإجتماعي على الأسرة رؤية معاصرة

م.م سالي محمد عبد [1]
كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد
Sally.m@cois.uobaghdad.edu.iq
غفران رزاق منصور[2]
كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد
Ghufran.Razaq@cois.uobaghdad.edu.iq
ا.د. عمار باسم صالح [3]
كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد
amar.saleh@cois.uobaghdad.edu.iq

ملخص:

تؤثر مواقع التواصل الاجتماعي على الأسرة بشكل كبير، مع تأثيرات إيجابية مثل تعزيز التواصل بين أفراد الأسرة وتوفير فرص للتعلم والتعليم، وتأثيرات سلبية مثل تقليل الوقت المخصص للتواصل الوجه لوجه وزيادة القلق والتوتر وتأثير على العلاقات الزوجية والأسرية. يهدف البحث الى وضع ضوابط لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي وتعزيز التواصل الوجه لوجه وتوعية الأفراد بأهمية التوازن في استخدام التكنولوجيا للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية.

تمكن اشكالية البحث الى أن تؤدي الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي إلى انخفاض في جودة العلاقات الأسرية وزيادة في المشاكل النفسية مثل الاكتئاب والقلق. من المهم للأسر أن تكون واعية بتأثيرات مواقع التواصل الاجتماعي وتعمل على تحقيق توازن بين استخدام التكنولوجيا والتواصل الوجه لوجه.

خلص البحث الى ان للأســـر يمكن أن تســـتفيد من مواقع التواصـــل الاجتماعي بطرق إيجابية، مثل استخدامها للتواصل مع الأقارب البعيدين أو المشاركة في مجموعات دعم أسرية. ومع ذلك، يجب أن تكون هناك حدود واضحة لاستخدام هذه المواقع لتجنب التأثيرات السلبية.

الكلمات المفتاحية: تأثير، مواقع، التواصل، الإجتماعي ،الأسرة

مقدمة:

في عصـرنا الحالي، أصـبحت مواقع التواصـل الاجتماعي جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية، وتؤثر على مختلف جوانب حياتنا، بما في ذلك العلاقات الأســرية. مع تزايد اســتخدام هذه المواقع، أصــبح من المهم فهم تأثيرها على الأسرة وكيفية استخدامها بشكل صحي للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية.

ان مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك، تويتر، إنستجرام، وواتساب أصبحت أدوات أساسية للتواصل والتعلم والعمل. ومع ذلك، فإن الاســـتخدام المفرط لهذه المواقع يمكن أن يؤدي إلى آثار ســـلبية على العلاقات الأسرية، مثل تقليل الوقت المخصص للتواصل الوجه لوجه وزيادة القلق والتوتر.

من ناحية أخرى، يمكن أن توفر مواقع التواصـل الاجتماعي فرصًـا إيجابية للأسـرة، مثل تعزيز التواصـل بين أفراد الأســـرة البعيدين وتوفير فرص للتعلم والتعليم. ومع ذلك، يجب أن تكون هناك حدود واضـــحة لاستخدام هذه المواقع لتجنب التأثيرات السلبية.

في هذا البحث، سـنناقش تأثير مواقع التواصـل الاجتماعي على الأسـرة ورؤية معاصـرة حول كيفية التعامل مع هذه التكنولوجيا. سنستكشف عن التأثيرات الإيجابية والسلبية لمواقع التواصل الاجتماعي على الأسرة، وسـنقدم توصـيات حول كيفية اسـتخدام هذه المواقع بشـكل صـحي للحفاظ على العلاقات الأسـرية الصحية.

كما سـنناقش أهمية التوازن بين اسـتخدام التكنولوجيا والتواصـل الوجه لوجه، وكيفية تحقيق هذا التوازن في الحياة اليومية. سـنسـتعرض أيضًـا أمثلة على كيفية اسـتخدام مواقع التواصـل الاجتماعي بشـكل إيجابي في الأسرة، مثل استخدامها للتواصل مع الأقارب البعيدين أو المشاركة في مجموعات دعم أسرية.

بشـــكل عام، يهدف هذا البحث إلى توعية الأســـر بأهمية فهم تأثير مواقع التواصـــل الاجتماعي على العلاقات الأســرية، وتقديم إرشــادات حول كيفية اســتخدام هذه المواقع بشــكل صــحي للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية.

واقتضـت خطة البحث تقسـيمه على مقدمة و مبحثين وخاتمة، تناولنا في المقدمة السـبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصـصـنا المبحث الأول لتعريفات مفردات البحث ، وجعلنا المبحث الثاني مخصـصـا لدوافع وتأثير المواقع على الاسرة ، وأما الخاتمة فقد أوجزنا فيها أهم نتائج البحث وما توصلنا إليه في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، وأخيرا فهذا جهد المقل فان وفقنا فهو محض فضل من الله وان كانت الأخرى فمنا ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم براء منه.

اشكالية البحث

تتمثل اشكالية البحث في فهم تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الأسرة وكيفية استخدامها بشكل صحي للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية. مع تزايد استخدام هذه المواقع، أصبح من المهم معرفة كيف يمكن للأسر أن تتعامل مع هذه التكنولوجيا دون التأثير على العلاقات الأسرية.

أهداف البحث:

1- فهم تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الأسرة
2- تقديم إرشادات حول كيفية استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بشكل صحي.
3- توعية الأسر بأهمية التوازن بين استخدام التكنولوجيا والتواصل الوجه لوجه

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في فهم تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الأسرة وكيفية استخدامها بشكل صحي للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية. هذا البحث يساهم في:

1- توعية الأسر بأهمية فهم تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية.
2- تقديم إرشـــادات حول كيفية اســـتخدام مواقع التواصـــل الاجتماعي بشـــكل صـــحي للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية.

3- مساعدة الأسر في تحقيق التوازن بين استخدام التكنولوجيا والتواصل الوجه لوجه.

4- دعم العلاقات الأسرية الصحية من خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بشكل إيجابي.

5- المساهمة في البحث العلمي حول تأثير التكنولوجيا على الأسرة والعلاقات الأسرية.

اولا: تعريف مفردات البحث

1.1: مفهوم التواصل:

أ- تعريف التواصل لُغةً: مادة وَصَلَ، الْوَاوُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى يَعْلَقَهُ. وَوَصَلْتُهُ بِهِ وَصْلًا(ابن فارس،1979،115)، وَصَلْت الشَّيْءَ وَصْلًا وَصِلَةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران، الوصل خلاف الفصل، وَصَلَ الشيءَ بِالشَّيْءِ يَصِلُه وَصْلًا وَصِلَةً وصُلَةً، والتَّوَاصُلُ ضِدُّ التَّصَارُمِ، وَ (وَصَّلَهُ تَوْصِيلًا) إِذَا أَكْثَرَ مِنَ الْوَصْلِ(ابن منظور،1994،726).

ب- تعريف التواصل اصطلاحاً: ان للتواصل تعريفات كثيرة نذكر منها: هو عملية التفاعل بين المرسل والمستقبل، ويتم خلالها تأثير متبادل من خلال تبادل الاراء والافكار والمعلومات كل ذلك في اطار نسق اجتماعي معين(اسماعيل،2003،31).

وعُرف التواصل: هو ارسالٌ لمعلومةٍ من طرف المرسِل الى المرسَل اليه' وبهذا يفهم ان التواصل هو عملية ارسال ويعني استمرار العلاقة المتينة بين طرفي العلاقة المشاركين فيها(الجابري،2010،42) .

1.2: الإجتماعي لُغةً وإصطلاحاً:

أ- الإجتماعي لُغةً: الْجِيمُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى تَضَامِّ الشَّيْءِ يُقَالُ جَمَعْتُ الشَّيْءَ جَمْعًا وَالْجُمَّاعُ الْأُشَابَةُ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى(ابن فارس،479)،مَّعَ يجمّع، تجميعًا، فهو مُجمّع، والمفعول مُجمَّع للمتعدّي، واجتمع القوم انضم بعضهم الى بعض اتحدوا واتفقوا، وسميت صلاة الجمعة بالجمع وهي من جمَّع النَّاسُ: شهدوا الجُمُعة وقضوا الصَّلاة فيها جمَّع الجمعةَ: تولى صلاة الجمعة"، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ 62 ﴾.

ب: الإجتماعي إصطلاحاً: "هو نسيج مكون من أفراد وصلات جماعية يحددها العرف، وقوانين مرسومة، وأنظمة متبعة، وسلطة تسيّر أمور المجتمع"(المصري،1980،17).

والمجتمع: "هو الذي تكون علاقات أبنائه ببعضه قائمة على أساس القيم السليمة، والعمل الصالح، فالعلاقات هي أهم شيء في تكون المجتمع"(المدرسي،13).

وعند إقتران كلمة التواصل مع الإجتماعي أصبح لها معنى آخر، ولقد وردت الكثير من التعريفات بشإن مواقع التواصل الاجتماعي برزت خلالها جملة من الاختلافات وسنذكر بعضاً منها:

1- بانها "مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت، التي ظهرت مع الجيل الثاني للشبكة، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع إفتراضي يجمعهم على وفق مجموعات إهتمام أو شبكات إنتماء (بلد ، جامعة ، أو مدرسة، أو شركة) ويتم هذ كله عن طريق خدمات التواصل المباشر مثل إرسال الرسائل، أو الإطلاع على الملفات الشخصية للآخرين، ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم المتاحة"(هيتمي،2015،82).

2- هي مواقع الكترونية على الشبكة العنكبوتية تؤسسها وتبرمجها شركات كبرى لجمع المستخدمين والاصدقاء ولمشاركة الانشطة والاهتمامات، وللبحث عن تكوين صداقات والبحث عن اهتمامات وانشطة لدى أشخاص آخرين(صلاح،2015،246).

3- وهو جزء من الإعلام الجديد: وهو عدد كبير من الوسائل التي تتميز بالتفاعل، وهو إعلام متعدد الوسائط، و ومزيج من المعلومات الرقمية، يتم إعدادها وتخزينها وتعديلها ونقلها بشكل ألكتروني، وتتميز بسهولة إستخدامها (الفار،2014،105).

1.3: مفهوم الأسرة:

ا-: الأَسرة لُغةً: هي:

عَشِيرَةُ الرَّجُلِ وأَهل بَيْتِهِ"(ابن منظور،20)،والأُسْرَةُ، بالضّمّ: الرهط الأدنون وعشيرته، لأنه يتقوى بهم، وقيل أَقاربُ الرَّجلِ مِن قِبَلِ أَبِيه، والأسرة، الدرْع الحصينة وَأهل الرجل وعشيرته وَالْجَمَاعَة يربطها أَمر مُشْتَرك، جمع أسر"، فمفهوم الاسرة في اللغة غير مختص بأبناء الرجل وأهل بيته وإنما يشمل أرحامه وأقاربه الذين يتقوى بهم"(الزبيدي،2001،51).

ب-: الأسرة إصطلاحاً: حدد علماء الإجتماع الأسرة بأنها جماعة تحددها علاقة جنسية محكمة، وعلى درجة من قوة التحمل امكنها من إنجاب الأطفال وتربيتهم، أما في الإسلام شاملة للزوجين والأبناء

والأرحام، وبهذا المعنى الشمولي قد سن لكل فرد تجاه أسرته حقوقاً ومسئوليات أدبية وإقتصادية جعله مسؤولاً عن رعايتها والقيام بها"(القريشي،1988،17).

وفي علم النفس الأسرة: جماعة إجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأب والأم وواحداً أو أكثر من الأطفال، يتبادلون الحب ويتقاسمون المسئولية، وتقوم بتربية الأطفال، حتى تمكنهم من القيام بتوجيههم وضبطهم ليصبحوا أشخاصاً يتصرفون بطريقة إجتماعية(زهران،2011،13).

ثانيا: دوافع الاستخدام وتأثيره على الاسرة

2.1: دوافع إستخدام مواقع التواصل الإجتماعي :

توجد الكثير من الدوافع التي تجعل الجمهور يلجأ لمشاهدة مواقع التواصل الإجتماعي ويختلف هذا الدافع والغرض من شخص لآخر سواء أكان سلباً أم إيجاباً ومن هذه الدوافع والأغراض:

1- دوافع نفعية تستهدف التعرف على الذات، وإكتساب المعرفة والمعلومات، والخبرات وجميع أشكال التعلم بوجه عام والتي تعكسها نشرات الأخبار والبرامج التعليمية والثقافية.

2- دوافع طقوسية وتستهدف تمضية الوقت، والإسترخاء، والصداقة، والألفة مع الوسيلة، والهروب من المشكلات، وتنعكس هذه الفئة في البرامج الخيالية.. مثل: المسلسلات، والأفلام، والمنوعات"(صلاح،2015،246).

3- ومن أسباب لجوء الشباب إلى الإنترنت، ومن أجل التنفيس عما في صدورهم من مشاعر ضيق وتوتر وإحباطات أسرية ومجتمعية، فالشباب الذين يعانون من مشاكل أسرية ومجتمعية، ولا يستطيعون التحدث مع أسرهم حولها، وجدوا الإنترنت ملاذاً في التخفيف عن معاناتهم النفسية من هذه المشكلات"(ساري،2005،131).

4- من الوظائف غير المنظورة لوسائل التواصل الإجتماعي، والتي يصعب تمييزها عن وظيفة التنفيس أو الإسترخاء،هي وظيفة الهروب، اذيعتقد الكثير من الناس أن المجتمع المتمدين الذي يسوده التنافس والتكنولوجيا، يخلق توترات كثيرة وشعور بالإغتراب تقدم وسائل الإعلام أساليب للهروب، فهي تقدم وظيفة تشبه مفعول الخمور أو المخدرات لبعض الناس، فهي ببساطة تجعلنا نتناسى همومنا ومشكلاتنا"(صلاح،2015،249).

5- الحاجات المعرفية ترتبط بإستخدام وسائل الإعلام لمسايرة ومتابعة المعلومات الخاصة بالأحداث الجارية، وهي تقابل وظيفة المراقبة التي تقوم بها وسائل الإعلام"(سعود،2010،115).

6- من اسباب الإدمان على هذه المواقع هو تحقيق الإسترخاء والمتعة، والتخلص من الملل والعزلة، هذه المصطلحات ليست مترادفة حيث أن الحصول على الإسترخاء هو نقيض الرغبة في الإستثارة ، كما أن الإستثارة يمكن أن تتحقق بدون متعة بالضرورة، ومع ذلك فإن معظمنا يحص على تلك الإشباعات في بعض الأحيان على الأقل، وأن العنصر الوحيد الذي يجمعها هو الخبرة العاطفية، أو التحرر العاطفي، فحين نستخدم وسائل الإعلام عادة ما نلمس التغيير"(ساري،2005،131).

7- ومن أسباب لجوء الأبناء لهذه المواقع، غياب الوالدين أو غياب مراقبتهم لأبنائهم، وبسبب الأصدقاء الغير جيدين... فكما يقال الصاحب ساحب، ولعدم وجود هواية يمارسها الأبناء"(الفار،2014،105).

8- كما أن الفراغ الذي ينتج عن سوء إدارة الوقت، وإستغلاله بالشكل السليم الذي يجعل الفرد لا يحس بقيمته، ويبحث عن سبيل يشغل به هذا الوقت، بطرق متعددة من بينها مواقع التواصل الإجتماعي، حيث أن عدد التطبيقات اللامتناهية هي أحد وسائل ملء الفراغ وبالتالي تصبح كوسيلة تضييع الوقت عند البعض منهم.

9- وتعد البطالة من المشاكل الإجتماعية التي يعاني منها بعض الأفراد والتي تدفعهم للبحث عن حلول للخروج من هذه لوضعية التي يعيشونها، حتى وإن كانت هذه الحلول إفتراضية، فهناك من تجعل من البطالة وإستمراريتها شخصاً ناقماً على المجتمع الذي يعيش فيه بإعتباره لم يوفر له فرصة للعمل، وتدفعه لعمل علاقات مع أشخاص إفتراضيين من أجل النصب والإحتيال.

10- التسويق والبحث عن وظائف فبإمكان المرء كل سهولة أن يطلب ويتمنى ما يريد شراءه أو الحصول عليه وتملكه من بلاد لم يكن ببالغها إلا بشق الأنفس، حيث أصبحت وسائل الإتصال أداة تسويقية فعالة كونها منخفضة التكاليف بالإضافة إلى سهولة الإنضمام إليها والإشتراك بها.

2.2: تأثير مواقع التواصل الإجتماعي على الأسرة

إن دخول الإنترنت إلى المنازل كان له آثار كبيرة على الجميع، سواء الأطفال منهم أو المراهقين او الشباب بسبب عدم ترشيدهم ومتابعتهم ومن هذه الأضرار(مختار،2019،42):

1- يتسبب إنغماس المدمن في إستخدام الإنترنت وقضائه أوقات أطول تؤثر عليه في إضطراب حياته الأُسرية حيثُ يقضي المدمن أوقات أقل مع أُسرته، كما يهمل واجباته الأُسرية والمنزلية، مما يؤدي إلى إثارة أفراد الأُسرة عليه. ، بإنخفاض التواصل الأُسري، وإنخفاض حجم الدائرة الإجتماعية داخل الأُسرة، وعلاوةً على ذلك قد عايش وعانى الافراد من الوحدة النفسية والإكتئاب".

2- العلاقة بين الآباء والأبناء كانت في العهود السابقة قائمة على الطاعة والإحترام ، لكن هذه العلاقة بدأت تفقد خصوصيتها شيئاً فشيئاً تارة بسبب التحضر الزائف، وتارةً بسبب دخول الثورة المعلوماتية في بلداننا، فالأباء يلجؤن إلى المكوث لساعات طوال يستخدمون مواقع التواصل لأسباب عديدة منها تواصلهم مع الأصدقاء أو المشاركة في الألعاب الألكترونية، أو للهروب من الجو العائلي، الذي قد يكون مشحوناً بالمشكلات ما بين الوالدين، وعدم تفهم الأباء إلى أبنائهم نتيجة لضغوطات الحياة العصرية".

3- تحاول الكثير من المواقع إبتكار فيديوهات تحظى بنسبة إنتشار كبيرة لأنها تعتمد على نوعية الفيديوهات التي يتم إبتكارها، والمشاهد هو الذي يساعد على إنتشار ما يروقه، لأنه عندما يتفاعل معه فإنه ساعد في إنتشاره ، فنجد أن مقاطع الأطفال أكثر في اليوتيوب ، وكذلك الفيديوهات القصيرة تحظى مشاهدة وإنتشار واسعاً، وهنالك فيديوهات مشاركة التي تنتشر بسرعة، وغيرها، فإننا نلاحظ اليوم أن الأطفال والمراهقين يقلدون مايرونه على اليوتيوب، لأنه أحياناً تكون المقاطع المنشورة ليست مناسبة لعمرهم، وكذلك التيك توك يعتمد المقاطع القصيرة ولكن هنالك من يقدم المحتوى بغرض الترند أو ما يعرف بالطشة ونلاحظ أن هنالك مصطلحات يستخدمها الأطفال والمراهقين في العراق، فقط لأنه سمعها من خلال هذه البرامج.

4- الإفراط في إستخدام مواقع التواصل الإجتماعي مضر بالأطفال والمراهقين فهو يضر بشخصيتهم الرقيقة، وقلة الوعي والإستعداد الكبير للتأثر بأبسط الظروف المحيطة، ويعاني الأطفال والمراهقون في

عالم اليوم على كافة الأصـعدة، إجتماعية وعقلية وجسـدية وعاطفية، حيثُ يتحكم مشـاهير مواقع التواصـل الإجتماعي اليوم بهوية جيل كامل وبقيمه وبصـحته، ويظهر أثر ذلك على صـحتهم العقلية أكثر من أي جانب آخر، تشـير الإحصـائيات إلى أن عدد حالات الأطفال والمراهقين الذين يعانون من أمراض عقلية ونفسـية يتخطى أي وقت آخر في التاريخ، إرتفعت معدلات الإنتحار والإكتئاب يشكل كبير منذ عام 2011م".

5- ومن أضـرار مواقع التواصـل الإجتماعي على الأبناء هي التشـبه بالجنس الآخر: فترى كثيراً من الرجال يمشـط شـعر رأسـه مثل المرأة في عدة أشـكال وموضـات، ويربطون شـعورهم كما تربط المرأة، ويفعلون بعض المكياجات كما تفعل النساء، وبالمقابل فقد تشبهت كثير من النساء بالرجال في قص شعورهن، وكذلك تشبه الجنسان بالآخر في بعض اللباس والمشي والكلام وغيره"(العقيلي،2000،68).

6- التوتر الأُسري: إن عوامل التوتر الأُسري يمكن ان ترتد إلى أسـباب شـخصـية وإجتماعية وإن تفكك الأُسرة يتخذ الطابع التدريجي.

7- التقصـير في الأدوار: وقد يقصـر أحد الزوجين في أداء واجباته الزوجية لأسـباب، ويحدث الحرمان المتبادل في الحقوق الزوجية، ويشعر كل منهما بالإحباط في علاقته بالآخر ،

فإن التقصير في الواجبات الأسرية والزوجية، سوف تؤدي تدريجياً إلى التفكك الأسري نتيجة الإدمان على الإرتباط بوسيط إفتراضي، لا يفرض نفس الأعباء والمتطلبات التي ترتبها المسؤوليات الإجتماعية العادية".

8- الخيانة: قد يستخدم البعض وسائل التواصل الإجتماعي للتعرف غلى أشخاص آخرين، مما قد يؤدي إلى خيانة الزوجة، وقد تنتهي الحياة الزوجية في نهاية المطاف"(قريش،2016،44).

وإن من أكثر المواقع التي تسبب في إرتفاع نسب حالات الطلاق والخيانات هو الفيسبوك، بس إساءة إسـتخدامه من قبل الكثيرون، فنجد أن المرأة الضـعيفة قد تسـتسـلم لكل الإغراءات من قبل الرجل عبر الفيسبوك وغرف الدردشة، وربما يصبح مقارنة ما بين هذا الشخص المفترض وزوجها وبالتالي هذه المقارنة تقتل القناعة تصـبح بمرور الوقت غير مقتنعة بزوجها، كما أن الزوج حين يقارن يصـبح غير مقتنع بزوجته، ومع مرور الوقت تهملهُ ويهملها وتهمل واجباتها إتجاه بيتها وأبنائها وزوجها، وهذا الأمر يؤدي بهما إلى طلاقهما(الريحاني،2015،170).

والملاحظ إن الناس الذين تشكلت عقولهم بقنوات سلبية بواسطة وسائل الإعلام وعلى رأسها التلفزيون ، مستعدون بكثرة وسخاء في كل الأوقات لعملية زرع سمات محددة وبهذه الطريقة يمكن ضمان إندماجهن مع الفكر الإعلاني والتلفزيوني، وإن مايقوم به التلفلزيون يشبه إلى حد كبير إسلوب الإرتباك في التنويم المغناطيسي، الذي ينتهي بإنتزاع أفكار أُخرى قد تكون مغايرة تماماً لسابقتها وهذا ما تعمد إليه الجهات التي تتقن صناعة غسيل المخ،أي أن وسائل الإعلام منها القنوات التي تقوم بغرس القيم السلبية في عقول الناس تستخدم الطرق لجذب المشاهد وهو ما يشبه تخدير العقول وتنويمها مغناطيسياً اي نزع فكره ومعتقده بأفكار مخالفة وبهذه الطريقة يتم غسل عقول الناس.

لذلك فالواقع الأُسري اليوم يقتضي الكثير من المراجعة والشجاعة في النقد، وتحرير التعاليم الشرعية من التقاليد الإجتماعية الفاسدة التي تمارس بإسم الدين، وإسترداد دور المرأة التي تعتبر أم الأسرة، والحقيقة أنه موضوع دقيق وخطير، مع الأخذ بعين الإعتبار أن أسباب التفكك الأُسري ليست ثابتة، وإنما متحركة حسب الظروف والتطورات، ذلك أن التقنيات الحديثة من فضائيات، وفيديو، وإنترنت، أوجدت لكل فرد في الأسرة جوه الخاص، وإن كان من ضمن الأسرة(حسن،2004،160).

وفي عصر ثورة المعلومات التي يشهدها العالم نرى أن الأمور أخذت تسير في إبعاد الفرد والمجتمع عن قيمه، عن طريق الإنبهار بالتطور التقني والتجاوب معه دون وجود رصيد قيمي وسلوكي يضبط الحياة، فضلاً عن الميل المتنامي لدى الكثير من الأفراد نحو اللامبالاة بما يقترفه الأفراد في المجتمع من سلوكيات تتنافى عن قيم هذا المجتمع فضلاً عن ظهور بعض التيارات والدعوات عن طريق وسائل التكنولوجيا والتقنيات الحديثة التي تنادي صراحة أو ضمنياً بالخروج عن هذه القيم،وهنالك آثار إجتماعية للقنوات التلفزيونية:

1- يحرم الطفل من التجربة الحياتية الفعلية التي تتطور من خلالها قدراته إذا شغل بمتابعة التلفاز.
2- يحرم الطفل من ممارسة اللعب الذي يعتبر ضرورياً للنمو الجسمي والنفسي فضلاً عن حرمانه من المطالعة والحوار مع والديه.
3- يستفرغ طاقات الأطفال الهائلة وقدراتهم على الحفظ في حفظ أغاني الإعلانات وترديد شعاراتها".
4- الإستظهار بالمنكرات وعدم الإكتراث بنظر وعلم الآخرين، وهذه لقضية نجدها في تزايد يوم بعد آخر، ومن له إطلاع على مجتمعات الشباب من الفتيان والفتيات لمس ذلك الأمر، فعند الشباب

تجد أحدهم منذ صغره يعتاد شرب الدخان ثم إنك واجد تلك المسالك والتصرفات المنحرفة التي تظهر في التعامل واللباس وغيرها، وعند الفتيات والنساء متأثرات ببرامج وتمثيليات التفلت الأخلاقي يظهر عليهن والتبرج والسفور المحرم ، فيقلدهن في اللبس العاري وتقليعات الموضة، فقد نهانا الله تعالى عن الجهر بالسوء لأحد في التواصل ويجب الحث على تركه، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا148﴾ .

5- تأثيرها على الجانب العقدي، لقد إختلت الموازين عند أطفالنا بسبب ما يعرض عليهم على الشاشة، فيرى الطفل رجلاً يطير في الهواء، وينسف الجبال نسفاً، ويشق القمر بيده، ليس هذا فحسب بل هو يطلق أشعة من عينيه تفعل المعجزات"، فيجب علينا تقوى الله وإشاعته بين الناس، قال تعالى في سورة ال عمران: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ102﴾.

6- الإعلان في التلفاز: على الرغم من الزمن القصير الذي يستغرقه أداء الإعلان التلفزيوني، فإن ما ينطوي عليه من المعلومات الصحيحة والكاذبة يملأ المخيلة ويؤثر في النفس تأثيراً عميقاً، وذلك بإعادة الإعلان مرات ومرات حتى يصبح جزءاً من مشاعر الإنسان يرافقه في حاله وترحله، وكم من إعلان إستحوذ عل المشاهدين فحفظه الصغار والكبار، وما أكثر ما يدرك المستهلك كذب الدعاية والإعلان التلفزيوني، فقد ينساق المشاهد إلى لسلعة وشرائها، وفي مخيلته صفات ذلك الإعلان، ولكن عند التجريب كأنها غير الذي غرس في مخيلته عنها.

فيستحب الإتخاذ من برامج التواصل الإجتماعي وسيلة للتقرب إلى الله تعالى ونشر القيم بين الناس، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ35﴾.

الخاتمة

فلا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته بالشكل الذي رسمناه له، فنقول:

1- أظهر البحث أن مواقع التواصل الاجتماعي لها تأثيرات إيجابية وسلبية على الأسرة، حيث يمكن أن تعزز التواصل بين أفراد الأسرة البعيدين، ولكنها قد تؤدي أيضًا إلى تقليل الوقت المخصص للتواصل الوجه لوجه.

2- يجب على الأسر تحقيق التوازن بين استخدام التكنولوجيا والتواصل الوجه لوجه للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية، حيث يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز العلاقات الأسرية وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

3- يمكن للأسر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بشكل إيجابي لتعزيز التواصل بين أفراد الأسرة البعيدين، مثل استخدامها للتواصل مع الأقارب البعيدين أو المشاركة في مجموعات دعم أسرية.

4- يجب توعية الأسر بأهمية فهم تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية، حيث يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز العلاقات الأسرية وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

5- يجب دعم العلاقات الأسرية الصحية من خلال استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بشكل إيجابي، مثل تعزيز التواصل بين أفراد الأسرة وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

6- يجب على الأسر الانتباه إلى تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الأطفال وتوجيههم بشكل صحيح، حيث يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز العلاقات الأسرية وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

7- يجب وضع حدود واضحة لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي في الأسرة، حيث يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز العلاقات الأسرية وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

8- يجب تعزيز التواصل الوجه لوجه في الأسرة للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية، حيث يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز العلاقات الأسرية وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

9- يجب إجراء بحوث مستمرة حول تأثير التكنولوجيا على الأسرة والعلاقات الأسرية، حيث يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز العلاقات الأسرية وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

10- يجب تطبيق نتائج البحث في الحياة العملية للحفاظ على العلاقات الأسرية الصحية، حيث يمكن أن يساعد ذلك في تعزيز العلاقات الأسرية وتقليل التأثيرات السلبية للتكنولوجيا.

المصادر

القران الكريم

1. ابن فارس،احمد بن زكريا القزويني الرازي، (1979) معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر، بيروت.
2. ابن منظور،محمد بن مكرم(1994)لسان العرب، دار صادر ، بيروت.
3. الجابري، د. محمد عابد(2010)التواصل نظريات وتطبيقات، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت .
4. حسن، عُمر عبيد(2004) العولمة فرص وتحديات، المكتب الإسلامي- منتدى إقرأ الثقافي،الاردن.
5. خضر، د. محمود(2015) الإعلام والمعلومات والإنترنت، دار ومكتبة الكندي- الأردن.
6. الربحاني، عبير شفيق(2015) الإستعمار الألكتروني والإعلام، دار أسامة للنشر- الأردن.
7. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(2001) تاج العروس، وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت .
8. زهران، د. سناء حامد(2011) الصحة النفسية والأسرة، عالم الكتب – القاهرة.
9. ساري، د. حلمي خضر(2005)ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الإجتماعي، دار مجدلاوي، الأردن.
10. سعود،د.سعد (2010) الإتصال والإعلام السياسي، دار الكتاب الحديث- الرياض.
11. صبطي، د. عبيدة(2018) الإعلام الجديد والمجتمع، دار الكتب العربية ، مصر.
12. صلاح، مروى عصام (2015)الاعلام الالكتروني الاسس وافاق المستقبل، دار الاعصار العلمي، عمان، الاردن.
13. عمر ، د أحمد مختار عبد الحميد(2008) معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت.
14. غيث، د. محمد عاطف(1991) المشاكل الإجتماعية والسلوك الإنحرافي، دار المعرفة الإجتماعية- الإسكندرية.
15. الفار، د. محمد جمال(2014) معجم المصطلحات الإعلامية، دار أسامة للنشر، الأردن.
16. القرشي، باقر شريف(1988) نظام الأُسرة في الإسلام دراسة مقارنة، دار الأضواء- بيروت.

17. قريش،مؤمن(2016)شبكات التواصل الإجتماعي منصات للحرب الأمريكية الناعمة، مركز الحرب الناعمة للدراسات، بيروت.
18. مختار، وفيق صفوت(2019) الأطفال والشباب وإدمان الإنترنت، أطلس للنشر الإعلامي، الجيزة، مصر.
19. المصري، د. محمد أمين(1980) المجتمع الإسلامي: دار الأرقم – الكويت.
20. هتيمي، أ. حسين محمود (2015)العلاقات العامة وشبكات التواصل الإجتماعي، دار أسامة – الأردن.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Digital transformation and the negative effects on children's mental health resulting from the harmful use of modern digital technologies

Noureddine eddaoudi

Cadi Ayyad University, Faculty of Arts and Human Sciences, Marrakesh, psychology

noureddinddaoudi@gmail.com

Abstract:

This research attempts to understand the manifestations of digital transformation in social life, and how this transformation imposes different and varying patterns of new uses of digital technologies that harm children and may lead to serious consequences for both their physical and psychological health. How can we protect them? What role can digital learning and education play in framing, monitoring, and guiding these uses? Does parental supervision have a role to play in these uses, which may lead to addiction in children? These are just some of the many questions that seek to understand this emerging social context, which reflects many dynamics and interactions to which psychology can provide answers and solutions.

Keywords: digitization, digital technologies, social media, electronic addiction, mental health, child protection, digital education, digital environment, Digital violence

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التحول الرقمي والانعكاسات السلبية على الصحة النفسية لدى الأطفال الناتجة عن الاستعمالات الضارة للتكنولوجيات الرقمية الحديثة

نورالدين الداودي

جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الانانية بمراكش، تخصص علم النفس
noureddinddaoudi@gmail.com

الملخص:

يحاول هذا البحث فهم مظاهر التحول الرقمي في الحياة الاجتماعية، وما يفرضه هذا التحول من أنماط مختلفة ومتباينة من الاستعمالات الجديدة للتكنولوجيات الرقمية تضر بالأطفال، وقد تؤدي الى عواقب وخيمة على الصحة الجسدية والنفسية على حد سواء، وما هي سبل حمايتهم؟ وأي دور يمكن للتعلم والتربية الرقميين أن يقدمهما، في سبيل تأطير هذه الاستعمالات ومراقبتها وتوجيهها؟ وهل للرقابة الوالدية دخل في هذه الاستعمالات التي قد تؤدي بالطفل الى الإدمان؟، أسئلة كثيرة الغرض منها محاولة فهم هذا السياق المجتمعي المستجد، والذي يعكس ديناميات وتفاعلات كثيرة، يمكن لعلم النفس أن يقدم لها اجابات وحلول.

الكلمات المفتاحية: الرقمنة، التكنولوجيات الرقمية، وسائل التواصل الاجتماعي، الإدمان الالكتروني، الصحة النفسية، حماية الطفل، التربية الرقمية، بيئة رقمية، العنف الرقمي.

مقدمة:

في ظل الطفرة النوعية التي شهدها العالم اليوم في شتى المجالات ومنها التكنولوجيا وتقنيات الاتصال والتواصل، أصبح هناك انتقال سريع من الواقع الى الافتراضي، مع ما رافق ذلك من تضخم كبير جدا في انتاج تطبيقات التعلم عن بعد، تطبيقات التواصل والدردشة، والألعاب الالكترونية، والريلزات (مقاطع فيديو قصيرة)...الخ، ما يعكس معالم عصر الرقميات، عصر الانغماس المفرط في الاستعمال الالكتروني للأجهزة من أجل التواصل والتسلية والتعلم والتعليم كذلك، على أن لذلك أوجه عدة لا يسلم منها الطفل والمراهق على حد سواء، إما لطغيان جانب الترفيه على الاكتساب الهادف والنافع، فيصبح الطفل مستهلكا لزمن تعلم أكثر وعزلة في الشبكة العنكبوتية أو تطبيقات اللعب الالكتروني، أو لاتجاه الاستعمال إلى سلوك الإدمان، أو التعرض للعنف الرقمي، والاستعمال غير الامن للرقميات أيا كان نوعها، يؤثر على التحصيل الدراسي، على جودة النوم والعلاقات والصحة النفسية على وجه الخصوص، ما يستدعي التدخل وتوفير حماية دائمة ومستدامة للحد من الاثار المستفحلة على هذه الأخيرة، كما يهدف هذا العمل العلمي إلى تحليل الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأسبابها وآثارها النفسية والسلوكية، واقتراح سبل للوقاية والتدخل المبكر لحماية الصحة النفسية في البيئة الرقمية.

1. مفهوم الصحة النفسية حسب منظمة الصحة العالمية:

بدأت منظمة الصحة العالمية رحلتها في تعريف الصحة النفسية مع تأسيسها، حيث أرست في دستورها لعام 1948 مفهوما ثوريا للصحة باعتبارها "حالة من اكتمال السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية، لا مجرد انعدام المرض أو العجز". هذا التعريف التأسيسي لم يفصل بين العقل والجسد، بل شكل الأساس لنظرة شاملة للعافية (WHO, 1948)

وفي عام 1950، قدمت لجنة خبراء الصحة النفسية تعريفا أكثر تحديدا، ووصفت الصحة النفسية بأنها حالة تمكن الفرد من تحقيق توليفة مرضية لدوافعه، وإقامة علاقات متناغمة مع الآخرين، والمساهمة في تغيير بيئته بشكل بناء (WHO, 1950)

ومع مرور العقود، تطور المفهوم ليصبح أكثر إيجابية وتركيزا على القدرات الشخصية، وهو ما تبلور في التعريف الحديث الذي ساد منذ بداية الألفية الجديدة، والذي ينص على أن الصحة النفسية هي "حالة من العافية يمكن فيها للفرد إدراك قدراته الخاصة، والتكيف مع ضغوط الحياة العادية، والعمل بشكل منتج ومثمر، والإسهام في مجتمعه"(WHO, 2001).

وقد تم توسيع هذا التعريف بشكل طفيف في التقرير العالمي للصحة النفسية لعام 2022 ليشمل القدرة على "التعلم الجيد والعمل الجيد" (World Health Organization, 2022).

في الفترة التي تلت عام 2022، ترسخ تعريف منظمة الصحة العالمية للصحة باعتبارها حالة من اكتمال السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية، مع انتقال التركيز نحو التطبيق العملي لهذا المفهوم. وقد أكدت المنظمة أن الصحة النفسية حق أساسي من حقوق الإنسان، ودعت إلى تحويل السياسات نحو الرعاية المجتمعية القائمة على الحقوق، بما يضمن معالجة المحددات الاجتماعية للصحة النفسية بصورة شاملة. وتعرف الصحة النفسية بأنها حالة من الرفاه النفسي تمكن الفرد من مواجهة ضغوط الحياة، وتحقيق إمكاناته، والتعلم والعمل بفعالية، والمساهمة في مجتمعه المحلي. فهي تمثل جزءا جوهريا من الصحة العامة والرفاه الإنساني، وتدعم قدرة الأفراد والمجتمعات على اتخاذ القرارات، وبناء العلاقات الإيجابية، والمشاركة في تشكيل العالم الذي يعيشون فيه (WHO , 2025).

إن الصحة النفسية والمرض النفسي لا يشكلان طرفي نقيض على متصل واحد، بل هما مفهومان منفصلان وإن كانا مرتبطين ببعضهما البعض.

وتؤثر بشكل مباشر على الأداء الشخصي والاجتماعي للأفراد، مما يبرر أهمية العمل الوقائي المسبق لتعزيز الصحة النفسية(Doré et al, 2017).

2. مفهوم العنف الرقمي

صحيح أن الانترنيت والتكنولوجيات الرقمية تعد أحد مقاييس تقدم المجتمعات ورفاهيتها، ولكنها في ذات الوقت سلاح ذو حدين، يمكنها أن تصبح أداة مدمرة، أو معيقة أو عامل خطر، أو سببا من الأسباب في الإصابة باضطرابات في النوم، وزيادة مخاطر الإصابة بالاكتئاب، وتشتت في الانتباه والتركيز، ما ينعكس سلبا على الطفل، نظرا لتحول التكنولوجيا الى بيئة رقمية غير امنة، بل مشبوهة، مشوشة، بيئة تدعم كل مداخل الإدمان والانحراف أو التعرض للعنف أو الإصابة بالصدمات، أو التأثير على التمدرس، وعلى الصحة النفسية على وجه الخصوص....الخ،

يمثل العنف الرقمي أحد أبرز التهديدات التي يواجهها الأطفال داخل الفضاء التواصلي الحديث. ويشمل كل أشكال الأذى النفسي أو الاجتماعي أو الأخلاقي الذي يمارس عبر الوسائط الرقمية، سواء من خلال التنمر الإلكتروني، أو الابتزاز، أو الترويج لمضامين عنيفة، أو التعدي على الخصوصية. ويرى باحثون أن غياب المؤشرات الاجتماعية المباشرة في الفضاء الافتراضي –كما يشير Sproul and Kessler– يسهم في إخفاء الهويات وتغييب الضوابط، مما يجعل الأطفال أكثر عرضة لانتهاكات رقمية تمارس في صمت، دون رقابة أسرية أو مدرسية فاعلة. (بعلي،2022 ص 14)

ويؤكد الاتحاد الدولي للاتصالات في موجز للسياسة العامة المعنون ب" الحفاظ على سلامة الأطفال في البيئة الرقمية: أهمية الحماية والتمكين" على ما يلي: ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أدت إلى إتاحة فرص غير مسبوقة للأطفال والشباب لمعرفة حقوقهم. ويتزايد عدد الأطفال الموصولين لأول مرة كل يوم، سواء على الأجهزة الشخصية أو الأجهزة المتقاسمة .بيد أن النفاذ الأوسع والأيسر المتاح إلى الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية يطرح تحديات كبيرة أمام التوصيلية المفيدة وحقوق الأطفال، بما في ذلك سلامتهم . وتتراوح الآثار من الأخطار التي تهدد حماية البيانات الشخصية والخصوصية، إلى التحرش والتسلط السيبراني، والمحتوى الإلكتروني الضار، والاستمالة لأغراض جنسية والاعتداء والاستغلال الجنسيين.

فالعنف الرقمي من لتحديات المعاصـــرة التي تســـتهدف فئة الطفولة في البيئة الرقمية، ويتميز بتعدد مظاهره وخطورته النفسية والاجتماعية. ويستدعي هذا المفهوم مقاربة متقدمة لا تكتفي بالرصد القانوني أو الإجرائي، بل تمتد إلى قراءة دينامية التفاعل الرقمي ذاته، خاصـــة في ظل غياب المؤشـــرات الاجتماعية والرقابة المباشـــرة. إن قابلية الطفل للتأثر بهذه الاعتداءات الصـــامتة – غير المرئية في الفضـــاء الواقعي – تفرض ضـرورة تعزيز الثقافة الرقمية الوقائية داخل الأسـرة والمدرسـة، مع تطوير آليات رصـد ومرافقة فعالة تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات العنف الرقمي وأثره العميق على البناء النفسي للطفل. فشبكات التواصل الاجتماعي تمثل فضـاء رقميا واسـع الانتشـار، خصـوصـا بين الأطفال واليافعين، لكنها تظل بيئة مليئة بالمخاطر في ظل الاستخدام العشوائي ونقص التوجيه التربوي.

تبرز التقارير الدولية والمحلية، مثل تقارير منظمة اليونيسف ومؤسسة مراقبة الإنترنت(IWF) ، العديد من المخاطر الناتجة عن استخدام الأطفال لوسائل التواصل الاجتماعي والرقميات عموما، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- التعرض لمحتويات غير لائقة: مثل المحتويات المتطرفة، العنيفة، الدموية، العنصرية، الإباحية، ألعاب الرهان عبر الانترنيت، الأخبار الزائفة، والمحتويات المعالجة خوارزميا لأغراض التلاعب. حيث وثقت مؤسسة مراقبة الانترنيت (IWF) سنة 2019 أزيد من 132,000 صفحة إلكترونية تحتوي على صور وفيديوهات لانتهاكات جنسية بحق الأطفال.
- **العنف السيبراني والتحرش الإلكتروني**: يعد هذا النوع من العنف تهديدا حقيقيا للصحة النفسية للأطفال، حيث يتجلى في إرسال رسائل تهديد، نشر الشائعات، أو تسريب صور ومعلومات بقصد الإساءة أو الابتزاز. وتظهر الإحصائيات الوطنية أن الفئة العمرية الأكثر عرضة لذلك تتراوح بين 18 و25 سنة، دون إغفال تعرض الأطفال والمراهقين رغم ضعف نسب التبليغ.
- **الاستغلال والانتهاك**: يتجلى في إشراك طفل (أي شخص يقل عمره عن 18 سنة) في نشاط جنسي أو تجاري أو مالي لا يدركه بالكامل أو ليست لديه القدرة على الموافقة عليه، وغالبا ما تتم هذه الانتهاكات في ظروف هشاشة أو اختلال في ميزان القوة أو الثقة.

- **التحريض على إيذاء الذات والانتحار**: يرتبط تداول بعض المحتويات عبر شبكات التواصل الاجتماعي بزيادة معدلات إيذاء الذات ومحاولات الانتحار لدى الأطفال، حيث أظهرت العديد من الأبحاث إلى أن التعرض المستمر لهذا النوع من المحتوى يؤدي إلى تفاقم الأعراض الاكتئابية.
- **التحريض على الكراهية والتمييز والتطرف**: تتيح وسائل التواصل الاجتماعي انتشار مضامين متطرفة وعنيفة، مما يؤثر سلبا على تمثلات الأطفال وقد يدفعهم إلى تبني سلوكيات عدائية أو عنيفة تجاه الآخر.
- **استخدام المعطيات الشخصية لأغراض إجرامية**: تشمل هذه المخاطر سرقة الهوية، الاحتيال، القرصنة، واختراق الحسابات، الأمر الذي يستدعي تعزيز قدرات الأطفال على حماية أنفسهم رقميا وتوعيتهم بمخاطر مشاركة المعلومات الشخصية.

يشكل الاستخدام العشوائي لشبكات التواصل الاجتماعي من طرف الأطفال خطرا مباشرا على صحتهم النفسية وتوافقهم الاجتماعي، وقد أكدت العديد من الدراسات أن التعرض المتكرر للمحتويات الرقمية غير اللائقة يرتبط ب:

- ارتفاع معدلات القلق،
- والاكتئاب،
- والعزلة، وتدني تقدير الذات.

من هذا المنطلق، فإن حماية الصحة النفسية للأطفال في العصر الرقمي تستدعي إجراءات متعددة الأبعاد تشمل التوعية، التربية الرقمية، التدخل المبكر، والمواكبة النفسية، خصوصا في ظل ضعف آليات تتبع وتقييم أثر البيئة الرقمية على الأطفال. وقد أكدت منظمات دولية، مثل اليونيسيف والاتحاد الدولي للاتصالات، أهمية إدماج حماية الأطفال ضمن السياسات الوطنية، وضمان مشاركتهم الواعية في صياغة التدخلات الرقمية الموجهة لهم. وإن تعزيز الصحة النفسية للأطفال في العصر الرقمي لا يمكن فصله عن توفير بيئة رقمية داعمة وآمنة، تراعي إيقاع نموهم واحتياجاتهم النفسية والاجتماعية، وتستند إلى إطار قانوني ومؤسساتي فعال، وتبنى على التربية الوقائية والمشاركة النشطة للأطفال. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،2024 ص 14)

لا تقتصر المخاطر على هذه الجوانب فحسب، بل تمتد لتشمل مشاكل أكثر حدة مثل: الإدمان السلوكي، السلوك العدواني، اضطرابات النوم، العزلة الاجتماعية، القلق، الاكتئاب، إيذاء الذات، ومحاولات الانتحار. وتزداد حدة هذه التحديات عندما تؤدي إلى الانقطاع عن الدراسة، والهدر المدرسي، والتشرد، أو الوقوع في براثن الإقصاء الاجتماعي، وهي كلها مظاهر مرتبطة بفئة "NEET" (أي الشباب غير المنخرطين في الدراسة أو العمل أو التكوين). (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بالمغرب، 2024ص 15).

3. التفسير النظري للعنف الرقمي

يعد العنف السلوك العدواني من أكثر الظواهر النفسية والاجتماعية التي شغلت اهتمام الباحثين، وقد فسره الاتجاه البيولوجي والمدارس النفسية بعدة اتجاهات، من أبرزها النظرية الغريزية، ونظرية الإحباط والعدوان، والنظرية السلوكية والنظرية المعرفية.

1. 3 النظرية البيولوجية

تعود بدايات التفسير البيولوجي في تفسير العنف إلى أعمال العالم الإيطالي لومبروزو (Lombroso)الذي قدم نظرية "المجرم بالولادة" ، وتطور هذا المنظور لاحقا على يد باحثين مثل لورنس (Lorenz) وكارنز (Carnes) الذين اعتبروا أن العدوان ينبع أساسا من غريزة البقاء والدفاع عن الذات الموجودة لدى الإنسان والحيوان على حد سواء(عبد الحسين وعبيد، 2017).

كما تشير بعض الدراسات إلى أن السلوك العدواني قد يرتبط باضطرابات في الغدة النخامية والغدة الدرقية ، حيث يؤدي الإفراط في نشاط الفص الأمامي للغدة النخامية إلى زيادة التوتر والاندفاع نحو العنف (عبد الحسين وعبيد، 2017).

3 .2 النظرية الغريزية

ترجع جذور هذه النظرية الغريزية في تفسير العنف والسلوك العدواني إلى تشارلز داروين (Charles Darwin) الذي رأى في كتابه أصل الأنواع أن الغريزة هي سلوك فطري يصدر عن الكائن الحي دون تعلم مسبق (Robert, 2018) وقد طور هذا المفهوم عدد من العلماء، أبرزهم سيغموند فرويد (Sigmund Freud)، ويليام مكدوجال (William McDougall)، ألفرد أدلر (Alfred Adler)، وكونراد لورنز .(Konrad Lorenz)

يرى فرويد (Freud) أن العدوان غريزة فطرية تسعى إلى التدمير والموت، غير أن الإنسان يمكنه ضبطها أو توجيهها عبر الإشباع أو التبديل (الزعبي، 2017). وتظهر الغريزة العدوانية في شكلين: عدوان على الذات وعدوان على الآخرين.

أما مكدوجال (McDougall)فيرى أن العدوان ناتج عن "غريزة المقاتلة التي تحفز بانفعال الغضب (حامد والجعفري، 2009). بينما اعتبر أدلر (Adler) العدوان تعبيرا عن إرادة القوة، التي تمكن الإنسان من إثبات ذاته داخل المجتمع، وقد طور لاحقا هذا المفهوم إلى الكفاح من أجل التفوق.

أما لورنز (Lorenz) فاعتبر العدوان طاقة غريزية تتراكم داخل الكائن وتحتاج إلى مثيرات خارجية لإطلاقها، فكلما زادت الطاقة والمثيرات، ارتفع احتمال تفجر العدوان (حامد والجعفري، 2009).

3.3. نظرية الإحباط والعدوان

ظهرت هذه النظرية على يد علماء جامعة ييل (Yale University) سنة 1939، وهم: جون دولارد (John Dollard)، نيل ميلر (Neal Miller)، وليونارد دوب (Leonard Doob). وقد افترض هؤلاء أن الإحباط يمثل العامل الأساس المؤدي للسلوك العدواني، (Dollard et al., 1939).

ويرى بوس (Buss, 1946) أن الإحباط لا ينتج فقط عن فشل في تحقيق هدف، بل يمكن أن يكون نتيجة إهانة أو حرمان أو معاملة مؤلمة. وتوضح النظرية أن العلاقة بين الإحباط والعدوان تتأثر بأربعة عوامل: قوة الاستثارة العدوانية، كف الأفعال العدوانية، الإزاحة العدوانية، والتنفيس العدواني (Croshing et al, 1996).

3.4. النظرية السلوكية

يرى هذا الاتجاه أن العنف سلوك متعلَّم، حيث تُكتسب الممارسات العدوانية بالتعلم والخبرة نتيجة تكرار الاستجابات التي يتم تعزيزها ودعمها حتى تتحول إلى عادة سلوكية مستقرة. ويؤكد هذا المنظور النظري على أهمية التعلم ودوره في ظهور أو غياب السلوك العدواني لدى الفرد، تبعًا لما يكتسبه من خبرات وعادات ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها(عبد الحسين وعبيد، 2017).

كما يشير الاتجاه إلى أن النمذجة والمشاهدة تلعبان دورا محوريا في اكتساب السلوك العدواني، إذ يؤدي مشاهدة الأفراد للسلوك العنيف وتكرار التعرض له إلى زيادة احتمال تبنيهم له وتقليده، خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، حين يكون الطفل أكثر قابلية للتأثر بما يحيط به من بيئة أسرية ومجتمعية. ويعد ألبرت باندورا (Albert Bandura) من أبرز من دعم هذا الاتجاه، إذ يرى أن السلوك العدواني يكتسب من خلال التعلم بالملاحظة والتقليد، وأنه يمكن تعديله وفق قوانين التعلم وتقنيات تعديل السلوك، وذلك عبر هدم النماذج العدوانية السابقة وبناء نماذج جديدة أكثر تكيفا (يحي، 2000).

3.5نظرية التعلم الاجتماعي:

أكد باندورا (Bandura, 1977) أن العدوان يُكتسب أيضًا من خلال الملاحظة والتقليد، إذ يتعلم الفرد من خلال مشاهدة النماذج العدوانية ومحاكاتها، خاصة عندما يرى أن هذا السلوك يؤدي إلى نتائج إيجابية كالقوة أو المكانة الاجتماعية(Blaya, 2015).

ترتبط هذه النظرية بكيفية اكتساب الممارسات العدوانية كسلوك مكتسب من خلال الملاحظة والمحاكاة لنماذج سلوكية في البيئة، وتعزيز الممارسات العدوانية عبر التأثيرات المحيطية. وتفسر هذه النظرية العدوان في إطار نفسي واجتماعي، إذ تنظر للممارسات العنيفة على أنها أنماط سلوكية نفسية واجتماعية يتم تعلمها من خلال ملاحظة نماذج عدوانية في المحيط الاجتماعي، أو محاكاة النماذج المحفزة، أو عبر التعزيز والتشجيع لهذه الممارسات.

ترى هذه النظرية العنف كسلوك اجتماعي مكتسب، يتم تعميمه من خلال التعلم بالملاحظة وتعزيزه، مما يسهم في نموه واستمراره. وبهذا المنظور، فإن السلوك العدواني للفرد يتم تعلمه وتتطور أساليبه طبقا لأساليب التعلم، فالعدوان لا يظهر بشكل فجائي، بل يتم اكتسابه بنفس الطريقة التي تُكتسب بها أشكال سلوك أخرى ضمن السلوك الاجتماعي للفرد (عبد الحسين وعبيد، 2017).

ويشير باندورا (Bandura, 1977) إلى أن السلوك العدواني يتضمن مجموعة من الخصائص الأساسية:

- ❖ خصائص السلوك نفسه، مثل الاعتداء الجسدي، الأذى، والتحير والتدمير للأشياء المحيطة بالنظر إلى الأفراد الذين يمارسون هذا السلوك.
- ❖ التعبير عن الأذى أو الضرر أو الألم أو الإرباك الناتج عن السلوك العدواني للشخص الممارس له.
- ❖ وضوح الهدف أو المقصد عند الشخص الذي يمارس العدوان.
- ❖ خصائص الشخص المعتدي من حيث القدرة والحماية أو الحدود الشخصية.
- ❖ وتتركز الدراسات التي تفسر نظرية التعلم الاجتماعي على عدة محاور:
- ❖ دراسة السلوك الشخصي في سياق اجتماعي، حيث تفسر السلوك العدواني في ضوء التفاعل الاجتماعي المستمر مع السلوكيات والظروف المحيطة.
- ❖ التركيز على التعلم بالملاحظة، الخبرات الحياتية، والتأثيرات الاجتماعية التي يسهم التعرض لها في تعزيز السلوك العدواني.

3.6. النظرية المعرفية

يفسر العنف من منظور الاتجاه المعرفي على أنه نتاج إدراكات مشوهة وتفكير غير منطقي واضطراب في العمليات المعرفية التي توجه سلوك الفرد وتوجد خللا في بنيته الإدراكية. وقد قدم العالمان كريف ودودج (Crick & Dodge) نموذجا لمعالجة المعلومات الاجتماعية يوضح كيف تنشأ السلوكيات العدوانية نتيجة لخلل في تسلسل مراحل معالجة المواقف الاجتماعية. (عبد الحسين وعبيد، 2017).

وفق هذا النموذج، ينظر إلى العنف بشكل عام على أنه سلسلة من الخطوات المعرفية التي تتفاعل فيما بينها لتنتج استجابة معينة، وتتحدد طبيعة هذه الاستجابة تبعا للطريقة التي يعالج بها الفرد المعلومات. فالمعالجة السوية للمعلومات تؤدي إلى سلوك اجتماعي مقبول، بينما تؤدي المعالجة المشوهة أو المنحرفة إلى سلوك عدواني أو منحرف. (عبد الحسين وعبيد، 2017).

وقد حدد كريف ودودج (Crick & Dodge) ست مراحل أساسية لمعالجة المعلومات الاجتماعية:

1. مرحلة ترميز المعلومات حيث يستقبل الفرد المثيرات من البيئة المحيطة به.
2. مرحلة تفسير المثيرات ويقوم الفرد بتفسيرها في ضوء خبراته السابقة ومعتقداته ونواياه
3. مرحلة تحديد الأهداف وفيها يحدد الفرد ما يريد تحقيقه من الموقف الاجتماعي.
4. مرحلة استدعاء الاستجابات المحتملة حيث يستحضر الفرد من ذاكرته السلوكيات التي يمكن أن تحقق الهدف.
5. مرحلة تقييم الاستجابات وفيها يقيّم الفرد بدائل السلوك المتاحة، ويختار الأنسب وفقا لمعتقداته ونتائجه المحتملة.
6. مرحلة تفعيل الاستجابة الملائمة.

4 العنف الرقمي والمفاهيم المرتبطة به

يعرف التحرش الرقمي (Cyberharcèlement) بأنه سلوك عدواني مقصود ومتكرر يمارس عبر الوسائط الإلكترونية ضد ضحية تجد صعوبة في الدفاع عن نفسها. ويتضمن هذا المفهوم أربع خصائص أساسية هي: العدوانية، القصد، التكرار، وعدم توازن القوى بين الطرفين. ويقترب هذا التعريف من مفهوم التحرش التقليدي الذي قدمه أولفيوس Olweus (1999)، مع اختلاف في الوسائط المستخدمة لارتكاب الفعل العدواني.

أما العنف الرقمي (Cyberviolence) فيشير إلى مجموعة من الأفعال العدوانية التي تمارس من خلال الوسائط الرقمية، والتي قد لا تتسم بالضرورة بالتكرار أو بعدم توازن القوى. وتشمل هذه الأفعال الإهانات، الإقصاء الاجتماعي، نشر الشائعات، أو الممارسات العدوانية اللفظية عبر الإنترنت.

ويعرّف التنمر الإلكتروني أو الإساءة الرقمية على أنه استخدام مقصود للتكنولوجيا الرقمية سواء عبر الكلمات، الصور أو مقاطع الفيديو بغرض إلحاق الأذى بالآخرين، ولا سيما من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، وتطبيقات الرسائل الفورية، والمدونات. وتشير الدراسات إلى أن الفتيات، خصوصا المراهقات، أكثر عرضة للعنف الرقمي نظرا لارتفاع معدل استخدامهن لهذه الوسائط، إضافة إلى تعرضهن بشكل أكبر للضغوط المجتمعية المتعلقة بالمظهر الخارجي ولأشكال العدوانIslam et al., 2025)).

ويعد العنف الرقمي من الأفعال التي تلحق الأذى بالآخرين نفسيا واجتماعيا، من خلال السب، والقذف، والإهانة، والتشهير عبر الفضاء الافتراضي.

وأكد سلانج واسميد slonje et smith (2013) أن العنف الرقمي أكثر خطورة من العنف التقليدي، وذلك بسبب ثلاثة عوامل رئيسية تتمثل في صعوبة التحقق واتساع الجمهور المتلقي، وعدم مرئية مرتكبي هذا العنف.

لم يتوصل الباحثون إلى اتفاق موحد حول المصطلح الأدق لهذه الظاهرة، إذ تستخدم تسميات متعددة مثل: العنف التقني، العنف الإلكتروني، العنف عبر الهاتف النقال، التسلط عبر الإنترنت، أو المضايقة الإلكترونية. وتشير بعض الدراسات إلى أن العنف الرقمي يعد مفهوما أوسع من التنمر الإلكتروني، إذ يعتبر هذا الأخير إحدى صوره الفرعية، بينما يشمل العنف الرقمي جميع أشكال الإيذاء اللفظي، والعاطفي، والاجتماعي التي تتم عبر الوسائط الرقمية (عبد العليم، 2023)

5 الإدمان الالكتروني

من العلامات الدالة على ادمان الشخص الكترونيا أنه يعاني من قلق وتوتر، خصوصا حين يحرم من وسيلة ادمانه أيا كانت، أو عند انقطاع الانترنيت عن هاتفه، ومن ذلك وجود أعراض الانسحاب حقيقية مشابهة لتلك التي يعاني منها مدمنو المخدرات، وأيضا كثافة الاستخدام لأي وسيلة يؤدي الى اهمال الشخص لأنشطته التي كان يمارسها كالمعتاد، وقد يمتد ذلك الى نشاطاته التعلمية، وبالتالي المزيد من ساعات الاستهلاك المفرط لتطبيق أو لعبة الكترونية ما يؤدي بالشخص الى مخاطر الإصابة بالاكتئاب، من خلال تدهور العلاقات الاجتماعية، عزلة او عدم الشعور بالراحة لتواجد الاخرين.

من أكثر الأعراض استمرار وانتشار نجد فقدان القدرة على التركيز، مشكلات النوم و/السهر الى ظهور اضطرابات في النوم، زيادة الوزن، عدم الضبط الانفعالي بكثرة التقلبات المزاجية الناتجة عن تتبع فيديوهات قصيرة ضارة تحمل كما هائلا من الانفعالات المتعاقبة التي لا يستوعبها العقل البشري دفعة واحدة، فانتشار فيديوهات عاطفية، وأخرى درامية، ثم فكاهية...الخ، حينما يتصفحها الشخص دفعة واحدة أو في وقت وجيز يجعله يمر من تقلبات في المزاج، كما أن هدر الوقت في أي نوع من المحتويات يزيد من احتمالات تضرر الصحة النفسية وجودة العلاقات والتوافق مع المحيط من خلال تزايد الانغلاق على الذات، المقارنة مع حياة الأخرين على المنصات الرقمية.

تشترك جميع أشكال الإدمان في نموذج ديناميكي (حركي) رئيسي، سواء تعلق الأمر بالمقامرة أو المخدرات أو حتى ألعاب الفيديو. هذا النموذج هو التوقع المسبق للعقل بأن الانخراط في نشاط معين سوف يؤدي الى

مكافأة أو بتعبير أقرب الى متعة. وفي الغالب لا تكون المكافأة (المتعة) قيمة إيجابية واضحة أمام عيني المدمن، بل انها تتمثل أحيانا في شيء غير متوقع، لأنه في الأصل يمثل خطرا محتملا على الشخص، ولكن العقل يترجمه على رغم ذلك إلى خبرة إيجابية (زهاريادس، ص 10، 2023)

دعنا الان نطبق المثال في سياق ادمان وسائل التكنولوجيا. الأمر يماثل ادمان المقامرة، فالعقل ينتظر مكافأة تنتج عن مزاولة نشاط ما. الحقيقة أن الباحثين مازالوا غير متأكدين مما يعد العقل محركا رئيسيا لشعور المتعة في هذه الحالة، ولكن ما تظهره الدراسات هو أن تصفح البريد الالكتروني والرسائل النصية وتطبيقات التواصل الاجتماعي، يتسبب في افراز الدوبامين من الدماغ بما يماثل ما تفعله المقامرة بالمال في صالات القمار. فالدوبامين هو حقا صانع الإدمان.

ولكن هناك شيء اخر مرتبط بإدمان وسائل التكنولوجيا، فقد اكتشف الباحثون أن مدمني وسائل التكنولوجيا أكثر ميلا الى تغذية ادمانهم باستمرار، نظرا لسهولة وجود الأدوات التي تمكنهم من ذلك في متناولهم وفي كل مكان. ويندرج تحت مفهوم التكنولوجيا العديد والعديد من الأجهزة والمنصات، والتي تتراوح بين الهواتف الذكية وأجهزة التابلت وأجهزة ألعاب الفيديو، وبين تطبيقات التواصل الاجتماعي ومنصات الأخبار ومواقع البريد الالكتروني، والتي تتحول الى هوس يستحوذ على البشر (زهاريادس، ص 11-12، 2023)

بالطبع أصبح لسهولة الحصول على هاتف ذكي وتغطيته بالأنترنيت انتشار واسع ساعد كعامل خطر على تزايد مخاطر الإدمان على التكنولوجيا. "وعند الحديث عن ادمان وسائل التكنولوجيا سيتبادر الى الذهن فورا الهاتف الذكي بصفته أكثر تلك الوسائل ادمانا، اذ أن تغلغله في حياتنا قد بلغ أوجه، فكل منا تقريبا يحمل واحدا. وتكمن المشكلة في استخدامه المفرط الذي يحفز مركز المكافأة في الدماغ بطريقة تعزز اعتماديتنا على وجوده، ومن تم يتحول الأمر بالتدريج الى ادمان صريح. تلك الهواتف الذكية تتحول الى أدوات قهرية لا يمكننا تجاهلها عندما تعلن عن إشعار رسالة نصية أو يعلو الرنين باتصال وارد، وبين هذا وذاك نتصفح الفيسبوك وتويتر بقلق من أن يكون أي جديد قد فاتنا. وبحسب تقارير بحوث فإن الوقت الذي نقضيه على

الانترنيت قد تضاعف بين عامي 2010 و2015 وقد أخذ هذا الاتجاه في التصاعد حتى يومنا هذا (زهاريادس، ص 15، 2023).

بناء على رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بالمغرب في تقرير له سنة 2024 إلى أنه بالرغم من الاثار الإيجابية لشبكات التواصل الاجتماعي، إلا أنها تنضوي على مخاطر مؤكدة بالنسبة للصحة النفسية والجسدية للأطفال وتعزيز نموهم الشخصي والدراسي، واستطرد ذات التقرير بالقول إن استعمال التكنولوجيا الرقمية بشكل مفرط وغير ملائم يمكن أن تكون له عواقب وخيمة مؤكدة على الصحة النفسية والجسدية للأطفال، وقد أظهرت دراسات في الموضوع وجود مجموعة من الاضطرابات النفسية والسلوكية الخطيرة الناجمة عن هذه الظاهرة، لاسيما تطور السلوكات الادمانية والسلوكات العنيفة واضطرابات القلق والانغلاق على الذات والعزلة وايذاء الذات واضطرابات النوع ومشاكل التركيز والاكتئاب ومحاولات الانتحار. كما كشف ذات التقرير أن من مضار الاستعمال الرقمي قد شملت التربية والتعليم إذ أن 42 بالمائة من الشباب عرفت نتائجهم الدراسية تراجعا، مما يؤكد على الأثار السلبية لإدمان الشاشات على حصيلة التحصيل الدراسي.

فلا شك بالإضافة الى وسائل التوصل الاجتماعي ان ممارسة ألعاب الفيديو قد شكل هوسا رئيسيا لدى الصغار مؤخرا، بحيث وصل الى حد الإدمان1، كما أن وسائل التواصل الاجتماعي تشكل هاجسا مؤثرا بالنظر الى كثرة التفاعلات والتبادلات البينية من صور معروضة وفيديوهات تنقل حياة مؤثرين أو مشاهير بغرض الرفع من تقدير الذات أو ادمان البعض على الشهرة، ما جعل كل مقومات التفاهة تنتشر مؤخرا، من خلال تتبع أشخاص معينين على منصات متوافرة كاليوتيوب بفعل فتح قنوات خاصة لعرض الحياة الخاصة أو تناول موضوعات غير مفيدة، والغريب في الأمر ازدياد هائل لأعداد المتابعين لهذه القنوات والمنصات الرقمية والتفاعل معها والاشتراك فيها، الى حد اعتبارها —خصوصا لدى الأطفال والمراهقين– قوة

1 حالة من التعود المستمر النفسي والجسدي على التعاطي مع مادة مخدرة أو مهيجة أو مهدئة، تجعل الشخص يشعر بالرغبة في المزيد بالزيادة في عدد جرعات التعاطي، نفس الأمر بالنسبة لأي حالة تتعلق بالتعاطي لشيء، فعل، أداة...الخ يتحول الأمر الى حالة إدمانية يصعب التخلص منها.

أو نموذجا مثاليا، ما يؤثر على جودة الاختيار وهدر للوقت والجهد في التتبع والتصفح، زد على ذلك تنامي تطبيقات الألعاب الالكترونية، والاخبار الزائفة على منصات التواصل الاجتماعي.

"فمن أكثر وسائل ادمان التكنولوجيا شعبية نجد وسائل التواصل الاجتماعي، وفي ذات الوقت أشدها خداعا ومراوغة. فبذات الكيفية التي جاء بها تركيب المخدرات كالهيروين، صممت تطبيقات التواصل الاجتماعي لتجعلنا لا نستطيع مقاومة الحاجة الى تصفحها باستمرار" (زهاريادس، ص 16، 2023).

فمن العلامات الدالة على ادمان الشخص الكترونيا أنه يعاني من قلق وتوتر، خصوصا حين يحرم من وسيلة ادمانه أيا كانت، أو عند انقطاع الانترنيت عن هاتفه، ومن ذلك وجود أعراض الانسحاب حقيقية مشابهة لتلك التي يعاني منها مدمنو المخدرات، وأيضا كثافة الاستخدام لأي وسيلة يؤدي الى اهمال الشخص لأنشطته التي كان يمارسها كالمعتاد، وقد يمتد ذلك الى نشاطاته التعلمية، وبالتالي المزيد من ساعات الاستهلاك المفرط لتطبيق أو لعبة الكترونية ما يؤدي بالشخص الى مخاطر الإصابة بالاكتئاب، من خلال تدهور العلاقات الاجتماعية، عزلة او عدم الشعور بالراحة لتواجد الاخرين، ومن أكثر الأعراض استمرار وانتشار نجد فقدان القدرة على التركيز، مشكلات النوم و/السهر الى ظهور اضطرابات في النوم، زيادة الوزن، عدم الضبط الانفعالي بكثرة التقلبات المزاجية الناتجة عن تتبع فيديوهات قصيرة ضارة تحمل كما هائلا من الانفعالات المتعاقبة التي لا يستوعبها العقل البشري دفعة واحدة، فانتشار فيديوهات عاطفية، وأخرى درامية، ثم فكاهية...الخ، حينما يتصفحها الشخص دفعة واحدة أو في وقت وجيز يجعله يمر من تقلبات في المزاج، كما أن هدر الوقت في أي نوع من المحتويات يزيد من احتمالات تضرر الصحة النفسية وجودة العلاقات والتوافق مع المحيط من خلال تزايد الانغلاق على الذات، المقارنة مع حياة الأخرين على المنصات الرقمية.

"لقد أظهرت نتائج أبحاث متعددة أن الرغبة القهرية في تفقد هواتفنا وتصفح مواقع الانترنيت وتطبيقات التواصل الاجتماعي على اختلافها تضعف عملية استيعاب المعلومات أو بعبارة أبسط الذاكرة. ويصيب التأثير السلبي بشكل خاص سعة الذاكرة قصيرة المدى أو العاملة كما أكد أحد العلماء. ففي عام 2011

أجرى علماء في الصين دراسة نشرت في دورية بلوس وان العلمية، حول تأثير ادمان الانترنيت على المادة الرمادية في المخ، وبالفعل وجدوا أدلة على أن التعرض الزائد عن الحد للشبكة العنكبوتية يؤدي الى تغيرات عدة في البنية المخية، وهو ما يؤثر تحديدا على وظائف الذاكرة، وأظهرت الدراسات أيضا أننا نميل الى تجاهل ربط المعلومات الجديدة بالذاكرة، اعتمادا على أننا نستطيع استرجاع تلك المعلومات عن طريق الانترنيت في أي وقت، وقد تولدت لدينا لهذا السبب عادة تسجيل التفاصيل فقط، لتجنب مشقة اللجوء الى الذاكرة واسترجاعها مادام هناك إمكانية اللجوء الى تطبيقات الحفظ التي دوناها بها على الفضاء الالكتروني. فقد ذكر مقال نشر في مجلة وايرد سنة 2010 أن عشرات الدراسات التي أجراها علماء نفس وأعصاب وتربويون خلصت الى نفس النتيجة، وهي أننا عندما نكون متصلين بالأنترنيت فإننا نوجد في بيئة تشجع على القراءة السريعة غير المتعمقة والتفكير المتعجل المتشتت والتعلم السطحي، فحتى إذا كان الانترنيت يوفر لنا إمكان الوصول الى كم لانهائي من المعلومات فإنه يصيب عقولنا بالضحالة والسطحية، فهو بالفعل يغير بنية المخ. وقد وجد الباحثون بالفعل أن الذاكرة قصيرة المدى تتسم بالرقة والهشاشة، فتعرضها لأي مصادر تشتت يمحو ما تم تسجيله فيها، وهذا التفسير العلمي لما يتسبب فيه ادمان وسائل التكنولوجيا لصعوبة في تذكر الأحداث القريبة بما يستتبعه من تشتيت لا يتوقف" (زهاريادس، ص 127-128، 2023).

نعم لقد أصبح التفاعل عبر المنصات الرقمية أحد أشكال التواصل الرائجة والخطيرة في نفس الوقت، بل وصلت إلى درجات مشابهة للإدمانات التقليدية على المخدرات، ويمكن الحديث عن شكل جديد من الإدمان هو الإدمان على الانترنيت، والمشكلة في ذلك تكمن في الأثار الناجمة عن ذلك على مستويات مختلفة.

"فالعلماء قد اكتشفوا أن التعرض المستمر لصفحات التواصل، مثل الفيسبوك وتويتر يؤدي إلى تغيرات كيميائية في الدماغ، ويؤثر على معالجة المشاعر الصادرة عنه، ويسبب اجهادا مستمرا، وتدهورا في تقدير الذات، وتراجعا في الشعور بسعادة حقيقية، وأخيرا في الحالات الحادة قد يسقطك في دوامة الاكتئاب. ناهيك بالطبع عن الاثار المدمرة التي تطال علاقاتك الشخصية وانتاجيتك بصفتك فردا عاملا في المجتمع" (زهاريادس، ص 17، 2023).

لقد أصبح واضحا للعيان مدى الانتشار الواسع جدا للهواتف الذكية ومختلف أجهزة التكنولوجيا الرقمية في العالم، لكن الفرق يكمن في طرق استخدامها، ففي بدايات اختراعها كان الهدف منها هو مساعدتنا على تحسين أعمالنا وجعلها فعالة، ومع تطور الحياة وتوالي المستجدات المتعلقة بالهواتف وأجهزة التكنولوجيا الرقمية —خصوصا تلك التي تتعلق بالهواتف والحواسب والتابلت- ظهر معها جيل جديد من التطبيقات التي تستغل تأثيراتها المعروفة عند مخترعيها في جلب مداخيل مالية هائلة من خلال توفير هذه التطبيقات إما بشكل مؤدى عنه أو مجاني، أضف إلى ذلك سهولة التعرف عليها واستخدامها، والحملات الاعلانية والترويجية التي تساهم في انتشار صيتها عالميا، الى الحد الذي جعلها تتعدى تطبيقات للترفيه أو التعارف، بل اتخذت شكلا جديدا وخطيرا من الإدمان الالكتروني على التكنولوجيا بصيغ متعددة واستخدامات لا حصر لها، مما يجعلنا نتساءل إلى أي حد يمكن تقييم هذه التأثيرات السلبية على المستعملين؟ وهل من الممكن أن نشهد طفرات نوعية أخرى تحمل معها جديدا وتأثيرات إضافية على البشر وخصوصا المدمنين منهم على مختلف أشكال التكنولوجيا الرقمية؟

إن المبالغة والانغماس المفرط في الاستعمال للتكنولوجيات الرقمية جعل منها ظاهرة تأخذ أبعادا تستحق الدراسة والاهتمام العلميين، نظرا لما تتركه على المستعملين من علامات دالة على خطورة حضورها المكثف في كافة أنشطتنا الحياتية، بل تمثل تهديدا من حيث التأثير في جودة العلاقات الاجتماعية، جودة النوم، نمط التفكير وبنية الدماغ والتركيز المشتت، وحتى محاولات الانتحار، الاكتئاب، وأعراض الانسحاب، القلق المتزايد...الخ، ولأن البشر كائنات تتسم بالفضول والرغبة في الظهور والاحساس بالتقدير والتميز والرغبة في نيل شهرة واسعة وسمعة، والرغبة القهرية في تتبع الأخبار والأنباء والمباريات الرياضية وتتبع المشاهير وأي جديد، فإن منصات العالم الافتراضي والانترنيت أصبحت تشارك وتعين على المشاركة في ذلك، بل أصبحت فاتحة منافذ التعليق والحضور والمشاركة والتفاعل-ليس فقط على مستوى انشاء قنوات جديدة ومجموعات ومنتديات على الإنترنيت- بل كذلك التفاعل الافتراضي البيني على منصات الألعاب الالكترونية، وذلك ما نشاهده على مستوى ألعاب فري فاير، وبابجي المشهورة لدى عينات كثيرة من الأطفال والمراهقين المغاربة-بعد معاينتنا لذلك-، فسهولة الوصول إلى هذا النوع من الألعاب وتكلفتها القليلة وتوفرها على

مستويات متقدمة في اللعب والانخراط وتنوع مجالات اللعب، جعل منها عنصر جذب، مع ادخال تحسينات في كل مرة لجلب المزيد من المهتمين والممارسين واللاعبين، الى حد تأثير ذلك على التحصيل الدراسي للمتعلمين، وظهور نمط من السلوك القهري للعب الافتراضي، ليس فقط لتمضية أوقات الفراغ والتسلية بهذا اللعب، بل أيضا جلب جماعات انتماء، تشارك مختلف الاهتمامات والدوافع للعب والمشاركة المستمرة.

كما يشكل الاستخدام العشوائي لشبكات التواصل الاجتماعي من طرف الأطفال خطرا مباشرا على صحتهم النفسية وتوافقهم الاجتماعي، وقد أكدت العديد من الدراسات أن التعرض المتكرر للمحتويات الرقمية غير اللائقة يرتبط بارتفاع معدلات القلق، والاكتئاب، والعزلة، وتدني تقدير الذات. ومن هذا المنطلق، فإن حماية الصحة النفسية للأطفال في العصر الرقمي تستدعي إجراءات متعددة الأبعاد تشمل التوعية، التربية الرقمية، التدخل المبكر، والمواكبة النفسية، خصوصا في ظل ضعف آليات تتبع وتقييم أثر البيئة الرقمية على الأطفال. وقد أكدت منظمات دولية، مثل اليونيسيف والاتحاد الدولي للاتصالات، أهمية إدماج حماية الأطفال ضمن السياسات الوطنية، وضمان مشاركتهم الواعية في صياغة التدخلات الرقمية الموجهة لهم. وإن تعزيز الصحة النفسية للأطفال في العصر الرقمي لا يمكن فصله عن توفير بيئة رقمية داعمة وآمنة، تراعي إيقاع نموهم واحتياجاتهم النفسية والاجتماعية، وتستند إلى إطار قانوني ومؤسساتي فعال، وتبنى على التربية الوقائية والمشاركة النشطة للأطفال. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،2024 ص 14)

في ظل التحولات الرقمية المتسارعة، أصبح من الضروري إيلاء أهمية كبرى للمخاطر المرتبطة بالاستخدام غير السليم والمفرط للتكنولوجيا الرقمية، لا سيما عند الأطفال. فقد أظهرت العديد من الدراسات، من بينها دراسة صادرة عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي المغربي (2024)، أن الاستعمال المفرط للأجهزة والشاشات يؤثر سلبا على النمو المعرفي والحسي للأطفال، ويمس بشكل مباشر بصحتهم النفسية وجودة حياتهم التربوية والاجتماعية.

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن 43٪ من المشاركين يهملون احتياجاتهم الأساسية، مثل الأكل والنوم، نتيجة الاستعمال المفرط للتكنولوجيا الرقمية، بينما أكد 36٪ منهم تدهور علاقاتهم الأسرية والاجتماعية

بسبب النزاعات المرتبطة بالاستخدام المفرط. كما لوحظ تراجع في الأداء الدراسي لدى 42٪ من الشباب، مما يعكس تأثير الإدمان الرقمي على التحصيل الأكاديمي.

ولا تقتصر المخاطر على هذه الجوانب فحسب، بل تمتد لتشمل مشاكل أكثر حدة مثل: الإدمان السلوكي، السلوك العدواني، اضطرابات النوم، العزلة الاجتماعية، القلق، الاكتئاب، إيذاء الذات، ومحاولات الانتحار. وتزداد حدة هذه التحديات عندما تؤدي إلى الانقطاع عن الدراسة، والهدر المدرسي، والتشرد، أو الوقوع في براثن الإقصاء الاجتماعي، وهي كلها مظاهر مرتبطة بفئة "NEET" (أي الشباب غير المنخرطين في الدراسة أو العمل أو التكوين). (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2024ص 15).

تؤكد هذه المعطيات على التأثيرات السلبية للاستخدام المفرط وغير المنظم للتكنولوجيا الرقمية على الصحة النفسية والتوافق الاجتماعي للأطفال، ما يدل على تعدد أوجه التحديات التي تواجه الأسرة والمؤسسات التربوية في العصر الرقمي. يبرز ربط هذه المخاطر بتراجع الأداء الدراسي، وتدهور العلاقات الأسرية، وظهور مشكلات سلوكية ونفسية متعددة الحاجة إلى مقاربات شاملة تجمع بين التوعية الرقمية، التدخل المبكر، والمواكبة النفسية. كما يعتبر إدراج حماية الصحة النفسية ضمن السياسات الوطنية، مع إشراك الأطفال أنفسهم في إعداد هذه السياسات، أمرا جوهريا لضمان بيئة رقمية آمنة وداعمة لنموهم المتوازن. ويعكس هذا التأكيد أهمية بناء إطار مؤسسي وقانوني متكامل قادر على مواجهة هذه المخاطر بفعالية.

6 تعزيز حماية الأطفال عبر الانترنيت ضمن الإطار الوطني لحماية الطفولة

في ظل تسارع التحولات التي تشهدها البيئة الرقمية وتزايد المخاطر المرتبطة باستخدام الأطفال للتكنولوجيا الحديثة، برزت ضرورة ملحة لإدماج حماية الأطفال على الإنترنت ضمن الأهداف الأساسية للسياسة العمومية المندمجة لحماية الطفولة. فقد أوصى المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بضرورة اعتماد مقاربة شاملة تهدف إلى خلق بيئة رقمية دامجة وآمنة، تستجيب لحاجيات الطفولة وتحميهم من الانتهاكات الرقمية المتزايدة.

وأوصى المجلس، في هذا السياق، بضرورة تحيين الإطار القانوني بما يتماشى مع التطورات الرقمية العالمية، مع اعتماد سن الرشد الرقمي يحدد السن القانونية لاستعمال شبكات التواصل الاجتماعي بدون موافقة الأبوين. كما تم التأكيد على أهمية إشراك الوالدين والأطفال في بناء برامج رقمية توعوية، واعتماد آليات لمراقبة استخدام الأطفال للإنترنت، مثل أدوات الرقابة الأبوية وتنبيهات الاستعمال المفرط. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2024 ص 28)

هذه التدابير توازي الحاجة إلى تحقيق التوازن النفسي لدى الطفل، إذ أن التعرض المتكرر للعنف الرقمي أو المضامين غير الملائمة يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات نفسية وسلوكية حادة، كالاكتئاب، والقلق، وانعدام الثقة بالنفس، وهي آثار وثقتها عدة دراسات نفسية.

ولمواجهة هذه التحديات، دعا المجلس إلى تسريع إحداث أجهزة ترابية لحماية الطفولة، تعنى بالتبليغ والتكفل والمتابعة النفسية والقانونية للأطفال ضحايا العنف الرقمي. كما تم اقتراح إدراج التربية الرقمية في المناهج الدراسية بشكل مبكر لتنمية الحس النقدي لدى التلاميذ، وتعزيز قدرة الطفل على التمييز بين المعلومات الصحيحة والمضللة، وهو ما يساهم بشكل مباشر في بناء شخصية متزنة نفسيا ومتماسكة معرفيا.

وفي ذات الاتجاه، أوصى المجلس بتعزيز مشاركة الأطفال والآباء والمدرسين في بناء وتقييم برامج التربية الرقمية، واعتماد مؤشرات وطنية لقياس فعالية الحماية الرقمية مثل مؤشر سلامة الطفل على الإنترنت (COSI)، إلى جانب إصدار تقارير سنوية تتبع تطور أوضاع الأطفال في الفضاء الرقمي. هذا التوجه، كما أشارت إليه توصيات الهيئات الدولية كاليونيسف ومجلس أوروبا، يعكس التزاما متزايدا بضرورة إشراك الطفل نفسه في بناء سياسات الحماية، وفق مقاربة تضع في صلبها مصلحة الطفل الفضلى وتراعي خصوصيات نموه النفسي والمعرفي والاجتماعي. (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2024 ص 30-29)

يجسد هذا الطرح أهمية استجابة السياسات العمومية لتحديات العصر الرقمي عبر تبني مقاربة شاملة ومتكاملة لحماية الأطفال في الفضاء الرقمي. تبرز توصيات المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي فهما

عميقا للتعقيدات النفسية والاجتماعية المرتبطة باستخدام الأطفال للتكنولوجيا، وتؤكد على ضرورة تحديث الإطار القانوني بما يتلاءم مع المستجدات الرقمية، خصوصا من خلال تحديد سن الرشد الرقمي وتنظيم آليات الرقابة الفعالة. ويشكل إشراك الأطفال والآباء والمعلمين في تصميم وتنفيذ برامج التربية الرقمية خطوة أساسية نحو تعزيز الحس النقدي والوعي التكنولوجي، مما يسهم في بناء بيئة آمنة وداعمة.

بالرغم من تطور هذه الرؤية، يظل التحدي الأكبر متمثلا في تفعيل هذه التوصيات وترجمتها إلى برامج ملموسة، وذلك من خلال توفير أجهزة فعالة للتبليغ والمتابعة، وضمان التمويل والتنسيق بين الجهات المعنية. كما أن اعتماد مؤشرات وطنية دقيقة مثل مؤشر سلامة الطفل على الإنترنت (COSI) يمثل أداة مهمة لقياس الأثر وتحسين السياسات باستمرار. وبشكل عام، تعكس هذه المقاربة أهمية تبني منظور حقوقي ووقائي يتماشى مع أفضل الممارسات الدولية، مع التأكيد على ضرورة مراعاة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمع المغربي.

7 العنف الرقمي ونقص الرعاية النفسية لدى المراهقين: الآثار النفسية في ضوء الدراسات الميدانية

شهدت السنوات الأخيرة تزايدا ملحوظا في حجم الدراسات الميدانية التي تناولت ظاهرة العنف الرقمي من جوانبها النفسية والاجتماعية والتربوية، في سياقات ثقافية متعددة. وقد ركّزت هذه الأبحاث على فئات المراهقين واليافعين والشباب، لما لهذه الفئة من قابلية أكبر للتأثر بمؤثرات الفضاء الرقمي، سواء من حيث التعرض للإساءة أو انعكاساتها على الصحة النفسية والسلوك الاجتماعي.

تظهر نتائج دراسة Blaya (2015)أن العنف الرقمي بين التلاميذ يرتبط ارتباطا وثيقا بالمناخ المدرسي والعلاقات الاجتماعية داخل الوسط التربوي؛ إذ كشفت الدراسة، التي أجريت في المدارس الفرنسية، أن الاعتداءات الرقمية تحدث غالبًا بين زملاء من نفس المدرسة أو الصف، ما يؤكد أن السلوك العدواني في الفضاء الافتراضي هو امتداد للتفاعلات الواقعية. كما بيّنت أن ضعف الإشراف التربوي وسوء التنظيم داخل المؤسسات التعليمية يخلق بيئة خصبة لانتشار العنف الرقمي.

وفي بنغلاديش، حلل إسلام وآخرون (2025) Islam et al العلاقة بين التعرض للتنمر السيبراني وظهور أعراض الاكتئاب الشديد لدى الفتيات المراهقات، وأظهرت النتائج أن التنمر الإلكتروني من أبرز مسببات الاكتئاب والميول الانعزالية، مشيرة إلى أن الاستخدام المكثف لوسائل التواصل الاجتماعي دون توعية كافية يزيد من هشاشة الصحة النفسية لدى هذه الفئة.

أما في السعودية، فقد توصلت دراسة كوال وآخرون (2023) Gohal et al إلى أن نسبة مهمة من المراهقين تعرضوا لأحد أشكال الإساءة الرقمية، مع وجود علاقة قوية بين العنف الرقمي وارتفاع مستويات القلق والاكتئاب وانخفاض تقدير الذات، خصوصًا لدى الفتيات اللواتي أظهرن حساسية أعلى تجاه العنف السيبراني مقارنة بالذكور.

وفي الولايات المتحدة، أوضحت دراسة هندوجا و باتشين Patchin et al (2025) أن التنمر الإلكتروني يمكن اعتباره من تجارب الطفولة السيئة، نظرًا لآثاره الممتدة على النمو النفسي والاجتماعي، حيث يرتبط بارتفاع معدلات اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)وبالإقصاء الاجتماعي الذي يترك أثرا نفسيا مشابها للتجارب العنيفة الواقعية. وقد أوصى الباحثان بضرورة تبنّي المدارس لمقاربات تربوية تراعي الصدمات الناتجة عن الإساءة الرقمية.

كما كشفت دراسة Stevens وآخرين (2021) عن انتشار اضطرابات القلق والاكتئاب والأفكار الانتحارية لدى ضحايا التحرش والملاحقة الإلكترونية من البالغين، مؤكدة الحاجة إلى برامج دعم نفسي وتدخلات قانونية فعالة. وبدورها، أظهرت دراسة Sargent وآخرين (2016) وجود علاقة بين العنف الإلكتروني والعنف النفسي في العلاقات العاطفية لدى طلاب الجامعات، مشيرة إلى أن التعرض المتكرر لهذه الأشكال من العنف يؤدي إلى تفاقم القلق والاكتئاب والسلوكيات العدوانية.

وفي فرنسا، اعتبرت دراسة Ipsos (2025) العنف الرقمي قضية صحة عامة، حيث أقرّ أكثر من 40٪ من الشباب بتعرضهم لشكل من أشكال هذا العنف، مع ارتفاع معدلات الانتشار بين الفئة العمرية

18–24 سنة، خصوصًا لدى النساء الشابات. كما أظهرت النتائج أن الرجال يشكلون غالبية مرتكبي العنف الرقمي بنسبة 74٪، ما يكشف عن بُعد جندري واضح في الظاهرة.

هذه النتائج تتقاطع مع ما أوردته تقارير منظمة الصحة العالمية (WHO) التي تشير إلى أن ما بين 10 إلى 20٪ من الشباب في العالم يعانون من اضطرابات نفسية، في حين يظل جزء كبير منهم دون تشخيص أو متابعة علاجية. وفي فرنسا تحديدًا، أبرز تقرير DocnDoc (2023) أن ما يقرب من 25٪ من الشباب بين 15 و24 سنة يعانون من اكتئاب متوسط إلى حاد، مع تزايد معدلات الانتحار لتصبح السبب الثاني للوفاة في هذه الفئة العمرية.

وأظهرت المعطيات الحديثة لعام 2024 أن 23٪ من الأطفال والمراهقين الفرنسيين (بين 6 و18 سنة) تعرضوا للتنمر الإلكتروني مرة واحدة على الأقل، بنسب متفاوتة حسب المرحلة الدراسية 20٪ في الابتدائي، 22٪ في الإعدادي، 29٪ في الثانوي). ويواجه نحو 4.5٪ من تلاميذ الإعدادية تنمرًا متكررًا عبر وسائل التواصل أو الرسائل القصيرة، ما يُعدّ مؤشّرًا خطيرًا على تفشي الظاهرة.

كما تُشير النتائج إلى أن نقص الرعاية النفسية يشكّل عاملًا مفاقمًا للأزمة، إذ يعاني العديد من الشباب، خاصة في المناطق الريفية، من صعوبة الوصول إلى الدعم النفسي بسبب بعد المؤسسات وطول فترات الانتظار التي قد تمتد لأشهر، مما يؤدي إلى تدهور الحالات النفسية قبل الحصول على تدخل علاجي فعلي (DocnDoc, 2023).

إن هذه المعطيات مجتمعة تظهر أن العنف الرقمي ونقص الرعاية النفسية يشكّلان معًا ثنائيًّا خطيرًا يهدد توازن الشباب النفسي والاجتماعي، ويجعل من الضروري تبنّي مقاربة شمولية تقوم على الوقاية المبكرة، وتوفير الدعم النفسي، وتحسين الولوج إلى خدمات الصحة النفسية لمواجهة الانعكاسات المتزايدة للعنف الرقمي في المجتمعات المعاصرة..

ويمكن إجمال آثار العنف الرقمي وفق الدراسة الحديثة لمجلة Indian Journal of Psychological Medicine (2025)، والتي توفر إطارا واضحا لأبرز التأثيرات النفسية والاجتماعية على المراهقين والشباب، كما يتضح بعضها في الجدول التالي:

المجال	أبرز الآثار السلبية للتنمّر الإلكتروني	ملخص التأثير
السلوك العدواني	انخراط المراهقين في سلوكيات عدوانية داخل المنزل والبيئة الخارجية، ومحاولة تقليد الآخرين دون وعي بالعواقب.	يؤدي التنمّر الإلكتروني إلى تنمية ميول عدوانية نتيجة غياب الوعي الأسري والقدوة الإيجابية.
القلق	شعور المراهقين بالخوف، الصمت، والارتباك عند التعرض للتنمّر، ما يرفع مستويات القلق والخجل.	يتفاقم القلق نتيجة العزلة وصعوبة البوح للأهل خوفًا من فقدان الأجهزة الإلكترونية.
تراجع الأداء الدراسي	ضعف التحصيل الدراسي، الغياب عن المدرسة، وانخفاض التفاعل الاجتماعي.	يؤثر التنمّر الإلكتروني سلبًا في التركيز والدافعية الدراسية ويضعف مهارات التواصل.
الاكتئاب	تراكم الضغوط النفسية وغياب الدعم الأسري يؤديان إلى	التنمّر المزمن يضعف التوازن النفسي ويزيد خطر الاكتئاب، خاصة لدى الفئات الهشة.

	اضطرابات اكتئابية وأفكار انتحارية.
المشكلات الانفعالية والسلوكية	القلق، الحزن، تدنّي احترام الذات، وسلوكيات غير منضبطة في الواقع أو عبر الإنترنت. ينتج عن الإهانة والتحرش الرقمي اضطرابات عاطفية وسلوكية طويلة الأمد.

جدول: 1 التأثير النفسي والاجتماعي على شخصية المراهقين

وجدير بنا أن نشير إلى أن إمكانية الأشخاص الذين يلحقون الأذى عبر الوسائط الرقمية في إخفاء هويتهم تلعب دورا مهما في ديناميات التنمر عبر الإنترنت. فمن جهة، يسهم هذا التمويه أو الإخفاء في جعل التجربة أكثر صدمة للضحية، لأنها تدرك أنه من الصعب تتبع هوية المعتدي أو تحديده بسهولة. ومن هنا يمكن فهم السبب وراء قلّة الضحايا الذين يلجؤون إلى طلب المساعدة من البالغين لوقف هذه الاعتداءات الرقمية. (Chehab et al, 2016)

8 سبل الوقاية والعلاج من الآثار النفسية للعنف الرقمي

أن العنف الرقمي أصبح من أبرز العوامل المؤثرة سلبا على الصحة النفسية لدى الشباب الجامعي، إذ يؤدي التعرض المتكرر للتنمر الإلكتروني إلى ارتفاع معدلات القلق والاكتئاب بشكل مقلق. وقد خلصت الدراسة إلى أن الوقاية من هذه الظاهرة تتطلب استراتيجية شاملة تعتمد على التوعية، والدعم النفسي، والسياسات المؤسسية.

فمن جهة، تعد التوعية الرقمية خطوة أساسية من خلال إدماج برامج تربوية تسهم في تنمية ثقافة الاستخدام الآمن للإنترنت، وتدريب الطلبة على كيفية حماية أنفسهم والإبلاغ عن أي سلوك مؤذٍ. ومن جهة أخرى، يشكل الدعم النفسي داخل الجامعات عنصرًا محوريًا في الحد من الآثار النفسية، عبر إنشاء

مراكز للإرشاد والمتابعة النفسية تقدم استشارات فردية وجماعية للطلبة المتضررين. كما شددت الدراسة على أهمية تبني سياسات جامعية واضحة لمكافحة التنمر الإلكتروني، وضمان بيئة أكاديمية آمنة خالية من العنف السيبراني.

إن تفعيل هذه الجهود مجتمعة يتيح تعزيز الصحة النفسية لدى الشباب، ويحدّ من تفاقم الاضطرابات النفسية الناتجة عن العنف الرقمي، مما يسهم في بناء جيل أكثر وعيًا وتوازنًا في تعامله مع العالم الرقمي (Rahman et al., 2023).

أظهرت دراسة لوكاش وآخرون (Lukács et al., 2023) أن الوقاية من العنف الرقمي ومعالجة آثاره النفسية تتطلب تدخلا تربويا شاملا يجمع بين التوعية، والتدريب الاجتماعي، والدعم النفسي المبكر. فقد طبقت الدراسة برنامجا تدخليا يحمل اسم STAnD وهو اختصار لعبارة "School-based Training Against Digital bullying" أي "التدريب المدرسي لمناهضة التنمر الرقمي"، ويهدف إلى الوقاية من العنف الرقمي بين التلاميذ عبر التوعية، وتثقيف الأقران، وتنمية التعاطف والسلوك الإيجابي في البيئة المدرسية.

ركز البرنامج على التوعية بمخاطر الإنترنت وتعليم الأطفال قواعد الأمان الرقمي، مع توضيح أشكال التنمر الإلكتروني ونتائجه النفسية والاجتماعية. كما اعتمد على أنشطة تفاعلية وتمثيليات درامية تهدف إلى تنمية الوعي العاطفي والاجتماعي، وتشجيع المتعلمين على تبني السلوك الدفاعي الإيجابي لدى المتفرجين من خلال التدخل لحماية الضحايا بدل الصمت.

أما على مستوى العلاج، فقد أبرزت النتائج أن التدخلات القصيرة المدى (3 ساعات) ساعدت مؤقتًا في تعزيز الوعي والسلوك الدفاعي الإيجابي ورفع قابلية طلب المساعدة، لكن تأثيرها تراجع بعد ستة أشهر من انتهاء البرنامج. لذلك، أوصت الدراسة بضرورة اعتماد برامج طويلة المدى ومتكررة تشمل الأسرة والمعلمين لتثبيت الأثر الوقائي وضمان استمراريته. كما بيّنت أن تلاميذ المرحلة الابتدائية الدنيا أكثر استجابة

للتدخلات الوقائية من غيرهم، ما يستدعي التركيز المبكر على التربية الرقمية والوقاية النفسية في المراحل الأولى من التعليم.

وخلصت الدراسة إلى أن الوقاية الفعّالة من العنف الرقمي لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال برامج شمولية مستمرة تدمج بين التثقيف، والدعم النفسي، وتعاون المدرسة والأسرة لبناء ثقافة رقمية آمنة وداعمة داخل الوسط التربوي (Lukács et al., 2023).

خاتمة

أصبح النشاط الرقمي أكثر رسوخا من ذي قبل لدى جل فئات المجتمع، لاسيما الأطفال والمراهقين، لكونه يمثل بالنسبة إليهم أحد أهم مظاهر التقدم التكنولوجي والتحول المجتمعي، لكن الاستعمال للمعلوميات والأجهزة الرقمية والفضاء الافتراضي يفرز العديد من الإشكالات والتساؤلات والقلاقل ليس في حد ذاته، بل في نتائج هذا الاستعمال ونوعه على كافة مناحي حياة الأطفال، وامتداد ذلك الى الصحة النفسية، فهذا الانغماس المبالغ فيه والغريب من لدن فئات واسعة جدا من المجتمع بالمغرب، يحتاج الى دراسات علمية مكثفة، قصد استقصاء معالم ادمان جديد إنه الإدمان على الرقميات —سبق لمنظمة الصحة العالمية أن صنفته على أنه ادمان–، ادمان الكتروني يشمل الألعاب، وسائل التواصل الاجتماعي، وأي منصة رقمية كيفما كانت، ولها علاقة بالرقميات، ولكن كيف يمكن الوقاية من هذا النوع من الإدمان؟ وكيف نؤسس لحماية مؤطرة ومتبلورة ودائمة وتدخلية فعالة، للطفل من تبعات أي استعمال ضار عليه نفسيا وجسديا– خصوصا أمام موجات متصاعدة من جيل الذكاء الاصطناعي–؟ تلكم أسئلة تحتاج إلى براديغمات منفتحة على جل العلوم وليس فقط على السيكولوجيا وعلوم الأعصاب وعلوم التربية، من أجل تقديم إجابات ممكنة وحلول فعالة.

بما أن الصحة النفسية ركيزة أساسية في حياة الإنسان، إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرته على التعلم والعمل والتفاعل الإيجابي مع محيطه، من هذا المنطلق، فإن تعزيز الصحة النفسية والوقاية من العنف الرقمي وشتى أثار الاستعمال الضار للتكنولوجيات الرقمية الحديثة مسؤولية جماعية تتقاسمها الأسرة، والمدرسة، والمجتمع،

ووسائل الإعلام، كما أن تبنّي برامج توعية وتثقيف رقمي مبكر، وتوفير خدمات دعم نفسي في المؤسسات التعليمية، مع ترسيخ ثقافة الاحترام والمسؤولية داخل الفضاء الافتراضي، خطوات جوهرية لبناء جيل أكثر وعيًا وتوازنًا نفسيًا واجتماعيًا. فالصحة النفسية ليست مجرد غياب للمرض، بل حضورٌ للرفاه النفسي والاجتماعي، ولا يتحقق هذا الرفاه إلا في ظل بيئة رقمية آمنة تُصان فيها كرامة الإنسان وتُحترم حدوده النفسية في العالمين الواقعي والافتراضي.

قائمة المراجع

- Blaya, C. (2015). Étude du lien entre cyberviolence et climat scolaire : enquête auprès des collégiens d'Île de France. Les Dossiers des Sciences de l'Éducation, 33, 69–90. https://doi.org/10.4000/dse.815
- Chehab, Y., Levasseur, C., & Bowen, F. (2016). De l'école au cyberespace, le phénomène de l'intimidation en ligne chez les jeunes : État de la recherche et de l'intervention. McGill Journal of Education / Revue des sciences de l'éducation de McGill, 51(1), 389–409. https://doi.org/10.7202/1037355ar
- Croshing, M., et al. (1996). The relationship between frustration and aggressive behavior: A theoretical and applied analysis. London: Routledge.
- DocnDoc. (2023, septembre). Santé mentale : cyberharcèlement et jeunes en souffrance. DocnDoc. https://docndoc.fr/medecins/cyberharcelement-et-jeunes-en-souffrance/
- Dollard, J., Doob, L. W., Miller, N. E., Mowrer, O. H., & Sears, R. R. (1939). Frustration and aggression. Yale University Press.
- Islam, M. R., Ahammed, B., Hossain, M. T., Chowdhury, M. T. I., Rahman, M. M., & Moniruzzaman, M. (2025). The association of cyberbullying with major depressive disorders among Bangladeshi female adolescents: Findings from the Bangladesh Adolescent Health and Wellbeing Survey 2019–20. BMC Psychiatry, 25, Article 72. https://doi.org/10.1186/s12888-025-07234-z

- Lukács, J. Á., Takács, J., Soósné Kiss, Z., Kapitány-Fövény, M., Falus, A., & Feith, H. J. (2023). The effects of a cyberbullying intervention programme among primary school students. Child & Youth Care Forum, 52, 893–911. https://doi.org/10.1007/s10566-022-09714-9
- Musharraf, S., & Anis-ul-Haque, M. (2018). Impact of cyber aggression and cyber victimization on mental health and well-being of Pakistani young adults: The moderating role of gender. Journal of Aggression, Maltreatment & Trauma. https://doi.org/10.1080/10926771.2017.1422838
- تقرير موضوعاتي "العنف في الوسط المدرسي –المجلس الأعلى للتربية والتعليم والبحث العلمي، الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي بشراكة مع اليونيسف 2023،
- دراسة "الأطفال والشباب المغاربة على الانترنيت" دراسة المركز المغربي للأبحاث المتعددة التقنيات والابتكار (CMRPI)
- تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي مواجهة السلوكات الإدمانية، واقع الحال والتوصيات 58/2021،
- الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني 2030، المديرية العامة لأمن نظم المعلومات، المملكة المغربية (بدون تاريخ).
- رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، من أجل بيئة رقمية دامجة توفر الحماية للأطفال، إحالة ذاتية رقم 75/2024.
- رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الذكاء الاصطناعي بالمغرب أي استخدامات وأي أفاق للتطوير، إحالة ذاتية رقم 78/2024.
- الاتحاد الدولي للاتصالات موجز السياسة العامة "الحفاظ على سلامة الأطفال في البيئة الرقمية أمهي الحماية والتمكين"
- التربية الرقمية وتأهيل التعليم، عبد الكريم الرحيوي، مجلة علوم التربية، العدد 57.
- رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، نحو تحول رقمي مسؤول ومدمج، إحالة ذاتية رقم 52/2021.
- البقالي العيساوي أسماء، التعلم في زمن الرقمنة، مجلة المعرفة العدد الرابع عشر، مارس 2024.
- عرفة إسماعيل، الهشاشة النفسية لماذا أصبحنا أضعف وأكثر عرضة للكسر؟، دار تشويش للنشر والتوزيع (2020).
- ديمون زهاريادس، استرد حياتك من الإنترنيت، ترجمة محمد الصغتي، (دار دون، الطبعة العربية الأولى 2023)

- بعلي، محمد شـعبان (أكتوبر2022) التربية الرقمية بين التحكم والتيه .مجلة إشـراق الإلكترونية الدورية الثقافية التربوية، العدد (11).
- Source : enfants et jeunes marocaines en ligne comportement et risques du numérique- rapport d'étude analytique CMRPI 2021
- البراشدية، حفيظة سليمان أحمد. (2020). عوامل التنبؤ بالتنمر الإلكتروني لدى الأطفال والمراهقين: مراجعة للدراسات السابقة. مجلة دراسات المعلومات والتكنولوجيا، 2020(1)، المقالة 6. https://www.qscience.com/docserver/fulltext/jist/2020/1/ji2020.6.pdf
- المعهد العالي للعلوم. (2024، 6 نوفمبر). تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الصحة النفسية للطلبة. https://his.edu.dz/the-impact-of-social-media-on-students-mental-health/
- عبد الحسين، ب.، وعبيد، أ. م. (2017). ممارسة العنف الإلكتروني لدى الشباب الجامعي. مجلة البحوث التربوية والنفسية، (55). وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مركز البحوث النفسية.
- عبد العليم، شيماء كمال. (2023). العنف الرقمي وعلاقته بالأفكار الانتحارية وهوية الذات لدى عينة من المراهقين في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية. مجلة كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر، العدد (32).

Work-Family Conflict and its Relationship with Professional Adjustment among nurses

BOUTOUTA Lamia
Mouloud Mammeri University Of Tizi-Ouzou/ Algeria
lamia.boutouta@ummto.dz

Abstract:

This study aimed to investigate the relationship between work/family conflict and professional adjustment among 60 nurses. The results showed that the nurses experienced a high degree of work/family conflict and achieved a low degree of professional adjustment, with a negative correlation between the two.

The study suggests that implementing flexible work schedules and encouraging time management skills can help nurses achieve a better work-life balance and improve their professional adjustment.

Keywords: Work/family conflict, professional adjustment, nurses.

صراع عمل/أسرة وعلاقته بالتوافق المهني لدى الممرضين

بوتوتة لامية

جامعة مولود معمري تيزي وزو/ الجزائر.

lamia.boutouta@ummto.dz

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية الى الكشف عن العلاقة بين صراع عمل/أسرة والتوافق المهني، وذلك على (60) ممرض وممرضة. اسفرت النتائج الى معاناة الممرضين من صراع عمل/ أسرة بدرجة مرتفعة وتحقيقهم لتوافق مهني بدرجة منخفضة، مع وجود علاقة سالبة عكسية بين صراع عمل / أسرة والتوافق المهني.

تقترح نتائج الدراسة تطبيق جداول عمل مرنة، تشجيع مهارات إدارة الوقت لمساعدة الممرضين على تحقيق التوازن بين العمل والأسرة والتحسين من مستوى توافقهم المهني.

الكلمات المفتاحية: صراع عمل/أسرة، التوافق المهني، الممرضين.

مقدمة:

يعتبر القطاع الصحي من بين أهم القطاعات الحيوية التي تقوم عليها رفاهية المجتمعات، كونه يحافظ على صحة الأفراد وتحسين جودة حياتهم. وتعتبر مهنة التمريض أحدة الركائز الأساسية ضمن هذا القطاع كونها مهنة إنسانية ذات بعد أخلاقي ومهني عميق تتطلب من القائمين عليها مستوى عال من الإلتزام والمسؤولية، حيث يمثل الممرضون العمود الفقري للخدمات الصحية من خلال تفاعلهم المباشر واليومي مع المرضى وتحملهم لضغوط العمل المستمرة.

مهنة التمريض من بين المهن التي تواكب مسيرة التطوير والتحديث في الجزائر لكنها تبقى كغيرها من المهن مازالت تعترضها العديد من العراقيل تجعل الممرض عرضة لمختلف الإرغامات بما فيها النفسية، الاجتماعية والتنظيمية، حيث يضطر للتعايش يوميا مع معاناة نفسية جسدية واجتماعية في سبيل انجاز مهامه المهنية والسعي لتحقيق التوازن بين متطلبات مهام عمله وبين خصائصه الذاتية من جهة وظروف العمل من جهة أخرى، مما يستدعي البحث عن استراتيجيات للتوافق مع مختلف هذه الإرغامات.

في هذا السياق برز الإهتمام بدراسة صراع عمل/أسرة الذي يعد من أبرز الإشكاليات النفسية الاجتماعية التي تواجه الفرد في ضل التغيرات الراهنة التي تتسم بها المجتمعات الحديثة، لاسيما في ضل تسارع وتيرة العمل وتزايد متطلباته من جهة وتطور مسؤوليات الأسرة الحديثة من جهة أخرى، حيث يعرّف صراع عمل/ اسرة انه حالة من التداخل او التعارض بين مختلف الأدوار المهنية مع الأدوار الأسرية بحيث يصبح أداء أحد هذه الأدوار على حساب الدور الأخر، مما يؤدي الى الشعور بالضغط المستمر وانعدام التوازن. في هذا الصدد أشار **(Pal, 2012)** أن صراع عمل/أسرة علاقة ثنائية الإتجاه في تلك العائلة التي يمكن ان تتعارض وتتداخل مع العمل (اسرة نحو صراع العمل)، والعمل يمكن ان يتعارض مع الأسرة (عمل نحو صراع أسرة).

هذا ما تناولته العديد من الدراسات سواء الأجنبية، العربية والمحلية نذكر من بينها دراسة كل من (Tunc & Kutanis, 2009) حول صراع الدور وغموض الدور والإحتراق لدى (81) ممرض وممرضة بمستشفيات بتركيا التي توصلت نتائجها الى ان الممرضون يعانون من مستويات مرتفعة من صراع الدور. كما نجد دراسة (علواني، 2010) حول مصادر ضغوط العمل لدى (96) ممرض وممرضة بالمستشفى الجامعي

بولاية وهران بالجزائر التي توصلت نتائجها الى أن صراع الدور يعتبر من بين المصادر المؤدية لضغوط العمل بنسبة (43,6%). كما نذكر في نفس السياق دراسة كل من (Faisal & Naqvi, 2014) حول تحليل صراع عمل /أسرة من وجهة نظر المرضين في قطاع الصحة بباكستان على عينة قدرت بـ(143) ممرض وممرضة التي توصلت نتائجها ان المرضون يعانون من مستويات عالية من صراع عمل/أسرة بسبب ساعات العمل الطويلة وظروف العمل الصعبة، وأنّ صراع عمل/أسرة لدى المرضين سلبي ويرتبط بشكل كبير بالرضا الوظيفي والأداء والرفاهية النفسية.

كما أشارت في نفس الصدد نتائج دراسة كل من (Vasquez, Gonzalez, Fernaud, Klijn & Moreno, 2015) حول العوامل النفسية الاجتماعية وعبء العمل لدى (111) ممرض وممرضة يعملون في مصلحة الإستعجالات أن (**57,7%**) من المرضين قد صرحوا أنه عليهم ان يحضروا مطالب العمل للعائلة ما يفسر تداخل متطلبات العمل بالمسؤوليات الأسرية، كما أشارت أيضا نتائج دراسة كل من (Ekici, Cerit & Mert, 2017) حول العوامل المؤثرة في صراع عمل/ أسرة لدى المرضين ورضاهم الوظيفي ونيتهم في ترك الوظيفة وذلك على عينة قدرت بـ (98) ممرض وممرضة يعملون في مستشفيات خاصة بتركيا ان (48%) من المرضون قد صرحوا بمستويات عالية من صراع عمل/ اسرة وفقا لعامل عبء العمل.

فقد ينعكس صراع عمل/أسرة على سير عملية التوافق المهني لدى المرضين هذا الأخير الذي يعتبر احد مجالات التوافق العام، فحياة الإنسان موزعة اغلبها بين الحياة المهنية والحياة الأسرية. حيث ترجع أهمية التوافق في بيئة العمل حسب طه (2001) الى عاملين أساسيين احداهما ان الفرد يقضي نسبة كبيرة من الوقت في ميدان العمل والثاني يتمثل في الدور الهام للعمل وتأثيره على حياة الفرد وتوافقه مع التغيرات التي تطرأ عليه، وفي مقابل ذلك يعتبر التوافق المهني من بين أحد المؤشرات الإيجابية الدالة على قدرة الممرض في الإنسجام مع بيئة عمله ومتطلباتها وعلى مستوى تكيفه ورضاه والتزامه المهني، غير ان عدم قدرة الممرض على الإنسجام مع بيئة عمله ومتطلباتها وشعوره بصعوبة في أداء مهامه يعكس الوجه السلبي لعملية التوافق. وفي هذا الصدد أجريت العديد من الدراسات منها دراسة كل من (Reghuram & Mathias, 2014) حول القلق الاجتماعي وعلاقته بالتوافق المهني لدى (1000) ممرض وممرضة بمستشفيات بمنغولا حيث

توصلت نتائجها الى ان (76,8%) من الممرضون يحققون مستويات متوسطة، وان (12,8%) من الممرضون يحققون مستويات جيدة، في حين نسبة (10,9%) من الممرضون يحققون مستويات منخفضة من التوافق المهني.

كما نجد من نفس وجهة النظر دراسة كل من (Vaezi, Vala, Siuri, Mousavi & Ghavamzadeh, 2016) حول التوافق الإنفعالي والإجتماعي والمهني لدى (100) ممرض وممرضة يعملون في مصلحة الأورام بمستشفى في ايران التي اشارت نتائجها الى ان الممرضون يحققون توافق مهني بدرجة منخفضة. كما أشارت في نفس السياق دراسة (Rahimi, 2020) حول تاثير طبيعة العمل على التوافق المهني لدى الممرضين العاملين بمستشفيات بايران، وذلك على عينة قدرت بـ (190) ممرض وممرضة والتي توصلت نتائجها الى ان هناك علاقة موجبة طردية بين طبيعة عمل التمريض ومستوى تحقيق التوافق المهني، كما اوصت على ضرورة الإهتمام بتصورات الممرضين حول خصائص وظائفهم كونها تنعكس ايجابا على التوافق المهني لديهم.

بالرغم من الأهمية المتزايدة التي يحضى بها موضوع صراع عمل/أسرة في الأدبيات النفسية والتنظيمية، إلا أن دراسة انعكاسه في التوافق المهني لدى الممرضين لايزال محدود في السياق العربي والجزائري على وجه الخصوص خاصة في ضل التحولات التي يشهدها القطاع الصحي وارتفاع المتطلبات العمل التمريضي وعليه تبرز الحاجة الى استكشاف طبيعة العلاقة بين صراع عمل/أسرة وعلاقته بالتوافق المهني لدى عينة الممرضين.

إنطلاقا من هذه الإعتبارات النظرية والدراسات المذكورة تتحدد الدراسة الحالية صراع عمل /أسرة وعلاقته بالتوافق المهني لدى الممرضين حيث تم طرح تساؤلات الدراسة على النحو التالي:

-هل يعاني الممرضون العاملون بالمستشفى الجامعي نذير محمد من صراع عمل/ اسرة؟

-هل يحقق الممرضون العاملون بالمستشفى الجامعي نذير محمد توافق مهني؟

-هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعاناة من صراع عمل/ أسرة والتوافق المهني لدى الممرضين العاملين بالمستشفى الجامعي نذير محمد بتيزي وزو؟

2-الفرضيات:

- يعاني الممرضون العاملون بالمستشفى الجامعي نذير محمد من صراع عمل/ اسرة بدرجة مرتفعة.

– يحقق الممرضون العاملون بالمستشفى الجامعي ندير محمد توافق مهني بدرجة منخفضة.

– توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعاناة من صراع عمل/ أسرة والتوافق المهني لدى الممرضين العاملين بالمستشفى الجامعي ندير محمد بتيزي وزو.

3–أهداف الدراسة:

ان قيمة الدراسة العلمية تتجلى في اهداف محددة يسعى الباحث لتحقيقها، حيث تهدف الدراسة الحالية الى تسليط الضوء على العلاقة بين المعاناة من صراع عمل /أسرة والتوافق المهني لدى الممرضين من خلال الكشف عن مدى معاناة الممرضين من صراع عمل/ أسرة ومدى تحقيقهم للتوافق المهني، مع الكشف عن العلاقة بين مستوى المعاناة من صراع عمل/ أسرة ومستوى تحقيقهم للتوافق المهني.

4–أهمية الدراسة:

تكتسي الدراسة الحالية أهمية كبيرة من حيث تناولها لفئة مهنية حساسة في القطاع الصحي والمتمثلة في الممرضين، حيث تبين أحد أهم المشكلات النفسية المهنية التي يعاني منها الممرضون في مكان العمل وهي صراع عمل/ اسرة لما له من تاثير مباشر على مستوى توافقهم المهني، وضرورة التدخل للتخفيف من حدة صراع عمل/ اسرة من أجل تحسين توافقهم المهني الذي ينعكس ايجابا على جودة الرعاية الصحية في المجتمع.

أوّلا: الإطار النظري للدراسة: يتضمن الخلفية النظرية لمتغيري الدراسة المتمثلين في صراع عمل/ اسرة والتوافق المهني.

1. تعريف صراع عمل/ اسرة:

1. 1 إصطلاحا:

قد تعددت تعاريف صراع عمل/أسرة الذي يعد من المفاهيم الحديثة نسبيا في علم النفس المهني والسلوك التنظيمي كونه يعكس حالة التعارض بين متطلبات الدور المهني ومتطلبات الدور الأسري، وفي هذا السياق برز اهتمام العديد من الباحثين بدراسة هذه الإشكالية وعلى هذا النحو نتطرق لتقديم بعض التعاريف.

ذكر كل من (Greenhaus & Beutell, 1985) أن صراع عمل/أسرة يمثل شكل من الصراع بين مختلف الأدوار المشغولة من طرف نفس الفرد، حيث يظهر هذا الصراع في ثلاثة أشكال متمثلة في صراع الوقت، صراع التوتر بين الأدوار وصراع السلوكيات. يحدث صراع الوقت عندما تكون إدارة الوقت صعبة للتمكن من متطلبات الأدوار المختلفة، فالوقت المستغرق في الدور يجعل الشخص غير متاح للإستثمار في دور اخر.

أما صراع التوتر بين الأدوار يفسر ان الصغط الذي يشعر به الفرد في احدى هذه الأدوار المختلفة يؤثر على كيفية الإستجابة لمتطلبات أدوار أخرى، فالعلاقة المتبادلة بين الأسرة والعمل تتبنى منظور ثنائي الإتجاه، حيث ان مطالب الحياة الأسرية تتعارض مع متطلبات الحياة المهنية والعكس.

في حين يفسر صراع السلوكيات الظاهرة التي بموجبها ان سلوك معين للدور غير متوافق مع السلوك المتوقع في دور اخر، حيث ان بعض الخصائص المميزة في عالم الشغل قد تكون غير متناسقة مع توقعات واحتياجات أفراد الأسرة، فصعوبة توافق الفرد مع هذه المتطلبات المختلفة يمكن ان يؤدي الى صراع في السلوك (أورد في: St-Amour, Laverdure, Devault & Manseau, 2005).

كما ذكر من نفس وجهة النظر (Lambert, 1990, p105) أن صراع عمل/أسرة عبارة عن شكل من اشكال صراع الدور يركز على العلاقة بين العمل والأسرة أكثر من التركيز على علاقات العمل وخارج العمل. وأشار من نفس وجهة النظر كل من (Takeuchi & Yamazaki, 2010) أن مسؤوليات العمل والأسرة يمكن ان تكون جسدية ونفسية مما يزيد من حدة الصراع او التوتر بين كلا المجالين. كما أشار كل من (Farhadi, shaifian , feili & shokrpour, 2013, p 107) أن صراع أسرة/عمل عبارة عن صراع بين الأوساط التي تتداخل فيها المطالب العامة للوقت في الأسرة وتؤدي الى توترها مع أداء المسؤوليات المرتبطة بالعمل.

يتضح من خلال التعريفات أن صراع عمل/أسرة عبارة عن حالة من التداخل او التعارض بين مختلف الأدوار المهنية مع الأدوار الأسرية بحيث يصبح أداء أحد هذه الأدوار على حساب الدور الأخر، مما يؤدي الى الشعور بالضغط المستمر وانعدام التوازن.

2.1 إجرائيا:

صراع عمل/أسرة هو الدرجة الكلية التي يتحصل عليها الممرضين الذين يعملون بالمستشفى الجامعي نذير محمد وتتحدد من خلال اجاباتهم على عبارات استبيان صراع عمل/أسرة والموزعة على (46) عبارة موزعة على ثلاثة ابعاد تتمثل في صراع الوقت، صراع التوتر بين الأدوار وصراع السلوكيات، حيث تم تنقيط عبارات الإستبيان حسب سلم لكرت الخماسي المنقط من (1 إلى 5) وفق خيارات الإجابة المتمثلة في (غير موافق بشدة، غير موافق، موافق نوعا ما، موافق، موافق بشدة).

2. التوافق المهني:

2. 1 إصطلاحا:

يمكن تعريف التوافق المهني بالتركيز على دور القدرات الخاصة وحاجات الفراد في توجيه السلوك بهدف تحقيق درجة معينة من التوافق المهن، هذا ما اكد عليه مجموعة من الباحثين.

عرّف Dawis (1960) التوافق المهني على انه توافق الفرد لمهمة عمله ولمختلف العوامل البيئية المحيطة بعمله، وتوافقه لمختلف التغيرات التي تطرأ على هذه العوامل على مر فترات من الزمن وتوافقه لخصائصه الذاتية، كذلك توافقه مع المشرف على عمله وزملائه ومع مطالب العمل نفسها، وتوافقه مع قدراته واستعداداته الشخصية وميوله ومزاجه. كما عرّفه في نفس السياق كل من Lunie & lazarus (1978) في قولهما ان التوافق المهني مجموعة من القوى المعرفية والسلوكية المتخصصة للسيطرة على المتطلبات الداخلية والخارجية التي تهدد القدرات الذاتية للفرد (أورد في: Banyasz, 1998). وعرفه (Takueuchi, 2005, p86) انه عبارة عن رفاهية الفرد مع الجوانب المتعددة للعمل"، وعلى نفس المنوال عرّفه Ducheva (2005) أنه إتزان ديناميكي في بيئة عمل الفرد.

يتضح من خلال هذه التعريفات ان التوافق المهني عملية التوفيق بين قدرات الفرد الجسمية والعقلية وخصائصه الشخصية من جهة ومتطلبات العمل وظروفه من جهة أخرى وقدرته على الإنسجام في علاقاته مع غيره من الزملاء العمل والمسؤولين وذلك قصد الوصول الى حالة من التوازن والتوافق في عمله.

2.2إجرائيا:

التوافق المهني هو الدرجة الكلية التي يتحصل عليها الممرضين الذين يعملون بالمستشفى الجامعي نذير محمد وتتحدد من خلال اجاباتهم على عبارات استبيان التوافق المهني والموزعة على سبعة ابعاد تتمثل في التوافق من حيث ظروف العمل، التوافق من حيث الأجر، التوافق من حيث الترقية في العمل، التوافق من حيث العلاقة مع زملاء العمل، التوافق من حيث العلاقة مع المسؤولين في العمل، التوافق من حيث الاستقرار في العمل، وذلك وفق البدائل التالية: موافق بشدة، موافق، موافق نوعا ما، غير موافق بشدة، غير موافق على الإطلاق المنقطة وفق التدريج الخماسي لسلم ليكرت من (1) الى (5)

3. الإجراءات المنهجية في جانبها التطبيقي:

3. 1 منهج الدراسة:

ان طبيعة الدراسة هي التي تحدد نوع المنهج المستخدم، حيث تم الإعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي كونها دراسة ارتباطية تسعى الى الكشف عن العلاقة الموجودة بين المعاناة من صراع عمل/ ومدى انعكاسه على مستوى تحقيق التوافق المهني لدى الممرضين.

3 . 2 عينة الدراسة:

تم الإعتماد في الدراسة الحالية على عينة الممرضين حيث بلغ عددهم (60) ممرض وممرض يعملون في مختلف مصالح المستشفى الجامعي نذير محمد بتيزي وزو، وقد تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة.

3. 3 أدوات الدراسة:

3.3. 1 صراع عمل/أسرة:

لجمع البيانات المرتبطة بصراع عمل/ اسرة تم الإعتماد على بناء استبيان الذي يحتوي على (46) عبارة موزعة على ثلاثة ابعاد تتمثل في صراع الوقت، صراع التوتر بين الأدوار وصراع السلوكيات، حيث تم تنقيط عبارات الإستبيان حسب سلم لكرت الخماسي المنقط من (1 إلى 5) وفق خيارات الإجابة المتمثلة في (غير موافق بشدة، غير موافق، موافق نوعا ما، موافق، موافق بشدة).

3.3 .2 التوافق المهني:

لجمع البيانات المرتبطة بالتوافق المهني تم الإعتماد على بناء استبيان يحتوى على (56) بندا موزعة على سبعة ابعاد تتمثل في التوافق من حيث ظروف العمل، التوافق من حيث الأجر، التوافق من حيث الترقية في العمل، التوافق من حيث العلاقة مع زملاء العمل، التوافق من حيث العلاقة مع المسؤولين في العمل، التوافق من حيث الاستقرار في العمل، وذلك وفق البدائل التالية: موافق بشدة، موافق، موافق نوعا ما، غير موافق بشدة، غير موافق على الإطلاق المنقطة وفق التدريج الخماسي لسلم ليكرت من (1) الى (5).

4.عرض ومناقشة النتائج:

4. 1 عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بمدى معاناة الممرضين العاملين بالمستشفى الجامعي ندير محمد بتيزي وزو من صراع عمل/أسرة:

لتتحقق من صحة الفرضية تم الإعتماد على كل من إحتبار –ت– لعينة واحدة والمتوسط الحسابي الإنحراف المعياري والمتوسط النظري للإستبيان كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (1): يبين علاقة أسرة /عمل بالتوافق المهني لدى الممرضين.

المتغير	افراد العينة	المتوسط النظري	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة – ت–	قيمة الدلالة	القرار الإحصائي
صراع عمل/ أسرة	60	92	102,45	11,57	40,71	0,00	دالة

يتضح من خلال النتائج المبينة في الجدول رقم (1) ان متوسط صراع عمل /أسرة الذي يحققه الممرضون قد بلغ (102,45) بانحراف معياري (11,57) اما المتوسط النظري قدر بـ (92) اما قيمة – ت– فقد قدر بـ (40,71) بمستوى دلالة (0,00) وهي قيمة اقل من مستوى الدلالة (0,05)، بالتالي نستنتج ان الممرضون الذين يعملون بالمستشفى الجامعي ندير يعانون من صراع عمل/أسرة بدرجة مرتفعة.

على هذا الأساس تؤكد النتائج المتوصل اليها الى أن معاناة الممرضين من صراع عمل/أسرة بدرجة مرتفعة يرجع الى طبيعة المهنة نفسها كونها تتسم بضغوط مهنية مستمرة ومزمنة، نظام المناوبات الليلية التي تؤثر على الحياة الأسرية مع صعوبة التحكم في توزيع المهام ونقص الموارد التنظيمية مما يؤدي الى استنزاف الموارد النفسية والجسدية للممرض، بالتالي يحدث ما نسميه بتعارض الدور المهني مع متطلبات الدور الأسري. على هذا النحو فان النتيجة التي توصلنا اليها تتفق مع العديد من نتائج الدراسات أمثال دراسة كل من (Tunc & Kutanis, 2009) التي توصلت نتائجها الى ان الممرضون يعانون من مستويات مرتفعة من صراع الدور. كما تتفق مع نتائج دراسة (علواني، 2010) التي توصلت نتائجها الى أن صراع الدور يعتبر من بين المصادر المؤدية لضغوط العمل بنسبة (43,6%). كما تتفق في نفس السياق مع دراسة كل من (Faisal & Naqvi, 2014) التي توصلت نتائجها ان الممرضون يعانون من مستويات عالية من صراع عمل/أسرة بسبب ساعات العمل الطويلة وظروف العمل الصعبة.

كما تتفق ايضا مع نتائج دراسة كل من (Vasquez, Gonzalez, Fernaud, Klijn & Moreno, 2015) حيث صرح (57,7%) من الممرضين أنه عليهم ان يحضروا مطالب العمل للعائلة ما يفسر تداخل متطلبات العمل بالمسؤوليات الأسرية، كما تتفق مع نتائج دراسة كل من (Ekici, Cerit & Mert, 2017) التي توصلت الى ان (48%) من الممرضون قد صرحوا بمستويات عالية من صراع عمل/ اسرة وفقا لعامل عبء العمل.

على هذا الأساس تعكس فرضية ان الممرضون يعانون من صراع عمل/أسرة بدرجة مرتفعة الطبيعة المعقدة لبيئة عمل التمريض ويظهر ذلك في مواجهة الممرضين الدائمة لصراع الوقت الذي يتميز بساعات العمل الطويلة والمناوبات الليلية المتغيرة، مما يحد من الوقت المتاح للحياة الشخصية والعائلية من جهة، ومن جهة أخرى يظهر في صراع الأدوار الذي ينشأ عندما تتداخل متطلبات العمل مع المسؤوليات الأسرية، فتتعارض هذه الأدوار مما يزيد لديهم الضغوط النفسية التي تنعكس سلبا في تعاملاتهم الأسرية ومن جهة أخرى صراع السلوكيات حيث تتطلب بيئة العمل أساليب وسلوكيات ومسؤوليات صارمة ومنضبطة في حين تتطلب الأسرة سلوكيات مرنة وعاطفية ما يخلق تناقضا بين أدوار الممرضين المختلفة. فتؤدي هذه الأبعاد

الثلاثة الى زيادة حدة الصراع عمل/ اسرة لدى الممرضين مما يستدعي سياسات دعم سلسة وبرامج لادارة التوازن بين العمل والحياة الأسرية.

4-2 عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بمدى تحقيق الممرضين العاملين بالمستشفى الجامعي نذير محمد بتيزي وزو لتوافق مهني:

لتتحقق من صحة الفرضية تم الإعتماد على كل من إختبار -ت- لعينة واحدة والمتوسط الحسابي الإنحراف المعياري والمتوسط النظري للإستبيان كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (2): يبين علاقة أسرة /عمل بالتوافق المهني لدى الممرضين.

المتغير	افراد العينة	المتوسط النظري	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري	قيمة -ت-	قيمة الدلالة	القرار الإحصائي
التوافق المهني	60	168	95	09,07	41,30	0,00	دالة

يتضح من خلال النتائج المبينة في الجدول ان متوسط التوافق المهني الذي يحققه الممرضون قد بلغ (95) بانحراف معياري (**09,07**) اما المتوسط النظري قدر بـ (168) اما قيمة -ت- فقد قدر بـ (41,30) بمستوى دلالة (0,00) وهي قيمة اقل من مستوى الدلالة (0,05)، بالتالي نستنتج ان الممرضون الذين يعملون بالمستشفى الجامعي نذير محمد يحققون توافق مهني بدرجة منخفضة.

ما توصلت اليه نتائج الدراسة الحالية تتفق مع نتائج دراسة كل من (Vaezi, Vala, Siuri, Mousavi & Ghavamzadeh, 2016) التي اشارت نتائجها الى ان الممرضون يحققون توافق مهني بدرجة منخفضة، في حين تخالف نتائج دراسة كل من (Reghuram & Mathias, 2014) التي توصلت نتائجها الى ان (76,8%) من الممرضون يحققون مستويات متوسطة، وان (12,8%) من الممرضون يحققون مستويات جيدة، في حين نسبة (10,9%) من الممرضون يحققون مستويات منخفضة من التوافق المهني.

ترجع درجة التوافق المهني المنخفضة إلى صعوبة التكيف لدى الممرضين من حيث ظروف العمل والتوازن بين متطلبات المهنة وقدراتهم البدنية والنفسية، على أساس هذه النتائج فان التوافق المهني للممرض يستلزم توفر

العديد من الظروف الملائمة لتأدية العمل، غير ان اجابات افراد العينة اشارت الى تدهور المحيط الفيزيقي ويمس ذلك كل من سوء التهوية في قاعات العلاج، والإنزعاج الذي تسببه الضوضاء سواء من الزملاء او من المرضى او من الأجواء التي تخلقها عائلات المرضى اثناء الزيارات، كذلك سوء نظافة بيئة العمل التي يشتكي منها اغلبية الممرضين وسوء التسيير الذي لا يتماشى مع الطموحات المستقبلية المهنية، كما يرجع ذلك الى سوء العلاقات الاجتماعية بين الزملاء في العمل وغياب التعاون والدعم الكاف بينهم، فضعف هذه العوامل دليل على سوء التوافق

4-3 عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بعلاقة صراع عمل/أسرة بالتوافق المهني لدى الممرضين:

للتحقق من صحة الفرضية تم الإعتماد على كل من معامل الإرتباط بيرسون كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (3): يبين علاقة أسرة /عمل بالتوافق المهني لدى الممرضين.

المتغيرات	قيمة برسون	قيمة Sig (bilaterale)	مستوى الدلالة	القرار الإحصائي
صراع عمل/أسرة	**-0,706	0,00	0,01	دالة
التوافق المهني				

يتضح من خلال النتائج المبينة في الجدول رقم (3) ان قيمة برسون قد بلغت ر=(*-0,706) بمستوى دلالة (0,01) وهي قيمة سالبة عكسية دالة احصائيا بالتالي نستنتج أنه توجد علاقة سالبة عكسية ذات دلالة إحصائية بين صراع عمل/أسرة والتوافق المهني لدى الممرضين العاملين بالمستشفى الجامعي ندير محمد بتيزي وزو.

على هذا الأساس تشير نتائج الدراسة الى وجود مستوى مرتفع لصراع عمل/أسرة وإنخفاض مستوى التوافق المهني لدى الممرضين، وهي نتيجة تعكس المعاش المهني للممرضين المليئ بالتحديات النفسية والتنظيمية والإجتماعية والتي يمكن ارجاعها الى تعرضهم لعبء مرتفع في العمل ونقص الموارد والدعم حيث تؤدي هذه

التحديات الى ضغوط مهنية مستمرة تتداخل مع الإلتزامات الأسرية مما يقلل قدرة الممرض على التوافق مع متطلبات وظيفته، فارتفاع صراع عمل/ أسرة يؤدي حتما الى اجهاد نفسي وضعف الرضا المهني مما يضعف سيرورة التوافق المهني لدى الممرضين .

خاتمة:

تناولت هذه الدراسة إشكالية معاصرة ذات أهمية بالغة في ميدان علم النفس المهني مست قلب الممارسة الصحية والتي تمحورت حول صراع عمل/أسرة وعلاقته بالتوافق المهني لدى الممرضين، كون ان مهنة التمريض من بين المهن الإنسانية التي تتطلب تفاعلا دائما مع معاناة المرضى وتحمل مسؤوليات كبيرة في ظل ظروف عمل مرهقة تتسم بنقص الموارد المادية وكثرة الأعباء الملقاة على ممارسيها.

قد تطرقنا في الجانب النظري من الدراسة الى تحديد مفهوم كلا المتغيرين صراع عمل /أسرة الذي اشرنا اليه انه عبارة عن حالة من التداخل او التعارض بين مختلف الأدوار المهنية مع الأدوار الأسرية بحيث يصبح أداء أحد هذه الأدوار على حساب الدور الأخر، مما يؤدي الى الشعور بالضغط المستمر وانعدام التوازن. في حين اشرنا الى التوافق المهني انه عملية التوفيق بين قدرات الفرد الجسمية والعقلية وخصائصه الشخصية من جهة ومتطلبات العمل وظروفه من جهة أخرى، مع قدرته على الإنسجام في علاقاته مع غيره من الزملاء والمسؤولين وذلك قصد الوصول الى حالة من التوازن والتوافق في عمله. من خلال النتائج التي توصلنا اليها في الدراسة الميدانية التي أجريت على الممرضين يتبين لنا أنهم يعانون من صراع عمل/أسرة بدرجة مرتفعة مع تحقيقهم لتوافق مهني بدرجة منخفضة بحيث يؤدي مستوى صراع عمل/أسرة المرتفع واستمراريته الى تفاقم مظاهر سوء التوافق لدى الممرضين.

وتشير هذه النتيجة الى وجود ارتباط عكسي قوي بين كلا من صراع عمل/أسرة والتوافق المهني لدى الممرضين، على هذا الأساس تجب ضرورة التدخل لتحسين ظروف العمل في البيئة التمريضية هذا بدوره الذي يعزز ويحسن عملية التوافق في المهنة.

في ضوء ما تم التوصل اليه من نتائج ميدانية تعكس الواقع المعاش للممرض يمكن تقديم بعض الإقتراحات التي من شانها تحسين ظروف بيئة العمل من اجل التخفيف من حدة صراع عمل/أسرة لدى الممرضين كونه ينعكس سلبا في مستوى تحقيق التوافق المهني. ومن بين هذه الإقتراحات نذكر منها:

-ضرورة الإهتمام بتحسين ظروف العمل في البيئة التمريضية بما فيها تقليص من مستوى الأعباء الملقاة على عاتق الممرض وتوفير الإمكانيات الضرورية واللازمة لأداء مهامهم.

-تعزيز المرونة في الجداول الزمنية من حيث اعتماد نظام مناوبات مرنة وتوزيع المهام مما يتيح المزيد من الوقت للحياة الأسرية.

-اشراك الممرضين في عملية اتخاذ القرارات التي تخص تنظيم عملهم.

وفي الأخير يمكن القول ان صراع عمل/ أسرة ليس فقط مطلبا لتحسين صحة الممرضين بما فيها النفسية والجسدية، لكن تعتبر أيضا المفتاح الأساسي لتنمية المؤسسات الصحية وتحسين انتاجيتها وجودة خدماتها.

-المراجع:

-St-Amour, N., Laverdure, J., Devault, A. & Manseau, S. 2005. La Difficulté De Concilier Travail- Famille : Ses Impacts Sur La Santé Physique Et Mentale Des Familles Québécoises. Direction Développement Des Individus Et Des Communautés Institut National De Santé Publique De Québec.

-Banyasz, L. (1998). Approche Psycho Ergonomique Du Stress Au Travail Modèles Conceptuels Du Stress En Psychologie : Apports Et Limites. Institut National De Recherche Et Sécurité ? Service Ergonomie Et Psychologie Industrielle. Paris.

Dawis, R. V. (1969). Adjustment To Work: A Psychological View of Man'sproblems in A Work -Oriented Society, University of Minnesota.

-Ducheva, Z. (2005). Professional Adjustment in Carrier Development of the Teacher. Technical College- Yambol. Trakia University: Trakia Journal of Sciences, Vol.3No 8.

-Ekici, D., Verit, K. & Mert, T. (2017). Factors That Influence Nurses Work-Family Conflict, Jib Satisfaction and Intention to Leave in A Private Hospital in Turkey. University, Besevler, Ankara, Turkey. Hospital Practices and Research; 2(4): 102-108.

-Farhadi, P., Shaifian , A., Feili, A., & Shokrpour, N. (2003). The Effects of Supportive Role, Job Stress, And Work-Family Conflicts on The Nurses Attitudes. Health Care Manager, 32(2), 107-122. 10.1097/HCM.0b013e31828ef5e7

-Hanif, F., & Nakvi, S. M.M. R. (2014). Analysis Of Work-Family Conflict in View of Nurses in Health Sector of Pakistan. International Journal of Gender and Women's Studies, 2(4), 103-116.
-Lambert, S. J., (1990). Processes Linking Work and Family: A Critical Review Research Agenda. Human Relations, 43(3), 239-257.
-Pal, S. (2012). A Qualitative Inquiry in To Work-Family Conflict Among Indian Doctors and Nurses. Work, 42(2),279-288.
- Rahimi, H. (2020). The Effect of Job Nature On Job Adjustment of Nurses in Hospital Affiliated to Kashan University of Medical Sciences, Iranian Journal of Ergonomics /Issn: 2345-5365, Iran J Ergon.2020; 8(2): 17-25.
-Reghuram, M. (2014). A Study on Occurrence of Social Anxiety Among Nursing Student and Its Correlation with Professional Adjustment in Selected Institutions at Mangalore. Nitte University Journal of Health Science, Nujhs Vol 4, No 2, June 2014, Issn 2249-7110.
-Takeuchi, R., Tesluk, P.E., Yun, S., & Lepak, D.P. (2005). An Integrative View of International Experience. Academy Of Management Journal, 48(1), 85-100.
-Takeuchi, T., & Yamazaki, Y. (2010). Relationship Between Work-Family Conflict and A Sene of Coherence Among Japanese Registered Nurses. Japan Journal of Nursing Science, 7(2).
-Tunc, T. & Kutanis, R.O. (2009). Role Conflict, Role Ambiguity, And Burnout of Work Adjustment. University Of Minnesota.
-Vasquez, P.C., Rolo-Gonzalez, R.G., Fernaud, H. E., Cabrera, D. D, Klijn, P.T., & Moreno, B.M. (2015). Psychosocial Factors and Mental Work Load: A Reality Perceived by Nurses in Intensive Care Units Rev. Latino-Am. Enfermagem, Mar-Apr.; 23 (2): 22.
- Vaezi, M, Vala, M., Souri, M., Mousavi, A. & Ghavamzadeh, A. (2016). Emotional, Social and Occupation Adjustment Among Oncology Nurses. International Journal of Hematology-Oncilogy and Stem Celml Research. IJHOSCR & October. Volume 10, Number 4.
- فرج عبد القادر، طه. (2001). علم النفس الصناعي والتنظيمي. القاهرة. دار قباء للنشر والتوزيع.
-علواني، نعيمة. (2010). مصادر ضغوط العمل عند الممرضين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس عمل وتنظيم، جامعة السانيا، وهران.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

Analogy and Cognition: Mental Processes and Learning

Nora EL ALAOUI [1]
Université Moulay Ismail, FSLH, Meknès, Maroc
Email adress : nora.elalaoui1@gmail.com
Noraddine BARI[2]
Université Moulay Ismail, FSLH, Meknès, Maroc
Email adress : norbari@hotmail.com

Abstract:

The analogy, often regarded as a mere figure of speech or a rhetorical tool, actually plays a crucial role in human cognition. Indeed, it is a mental process that enables the transfer of knowledge from a source domain to a target domain (Gentner, 1983), thereby facilitating the understanding of new situations, the ability to solve problems, and to generate innovative ideas. Work in cognitive science and educational psychology shows that analogy supports conceptual understanding, inferential reasoning, and transfer, particularly in scientific and technical learning (Gray & Holyoak, 2021; Richland & Simms, 2015; Parsons & Davies, 2022). Nevertheless, although its role in human cognition is widely acknowledged, the precise mechanisms by which analogy operates and its impact on learning often remain poorly understood or underutilized in educational practice. How does analogy function at the cognitive level? What is its role in knowledge construction and learning? And how can it be mobilized effectively in pedagogical contexts? This article examines the link between analogy and cognition as well as its role in learning.

Keywords: analogy; human cognition; learning; cognitive science; educational psychology.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

Analogie et cognition : processus mentaux et apprentissage

Nora EL ALAOUI [1]
Université Moulay Ismail, FSLH, Meknès, Maroc
Email adress : nora.elalaoui1@gmail.com
Noraddine BARI[2]
Université Moulay Ismail, FSLH, Meknès, Maroc
Email adress : norbari@hotmail.com

Résumé:

L'analogie, souvent considérée comme une simple figure de style ou un outil rhétorique, joue en réalité un rôle essentiel dans la cognition humaine. En effet, elle est un processus mental qui permet de transférer des connaissances d'un domaine source à un domaine cible (Gentner, 1983), facilitant ainsi la compréhension de nouvelles situations, la capacité à résoudre des problèmes et à proposer des idées novatrices. Les travaux en sciences cognitives et en psychologie de l'éducation montrent qu'elle soutient la compréhension conceptuelle, le raisonnement inférentiel et le transfert, en particulier dans les apprentissages scientifiques et techniques (Gray & Holyoak, 2021 ; Richland & Simms, 2015 ; Parsons & Davies, 2022). Pourtant, même si son rôle dans la cognition humaine est largement reconnu, les mécanismes précis par lesquels l'analogie opère et son impact sur l'apprentissage restent souvent mal compris ou sous-exploités dans les pratiques éducatives. Comment l'analogie fonctionne-t-elle sur le plan cognitif ? Quel est son rôle dans la construction des connaissances et l'apprentissage ? Et comment peut-elle être mobilisée de manière efficace dans des contextes pédagogiques ? Cet article examine le lien entre l'analogie et la cognition ainsi que son rôle dans l'apprentissage.

Mots clés : analogie; cognition humaine; apprentissage; science cognitive; psychologie de l'éducation.

Introduction :

L'étude de la cognition humaine a longtemps été dominée par une vision logique et computationnelle. Ce cadre théorique, héritier des travaux fondateurs de la psychologie cognitive des années 1950-1970, assimilait le fonctionnement mental à un système de traitement de l'information, comparable à un ordinateur exécutant des algorithmes formels. Cependant, les recherches contemporaines en sciences cognitives, portées par des auteurs tels que Douglas Hofstadter et Emmanuel Sander, proposent un changement de paradigme : l'analogie n'est plus perçue comme une simple figure de style ou un raisonnement marginal, mais comme le fondement même de l'intelligence.

Comme le soulignent ces chercheurs, il est possible de soutenir que « sans concepts, il n'y a pas de pensée, et sans analogies, il n'y a pas de concepts » (Hofstadter & Sander, 2013 : 8). Ainsi, l'analogie a été réhabilitée par les sciences cognitives comme un processus de traitement de l'information essentiel par l'esprit humain. En effet, pour de nombreux chercheurs, « la pensée humaine est de nature fondamentalement analogique » (Dachet, Faulx, & Baye, 2020). De ce fait, l'analogie sert à briser l'insularité et l'isolement des faits en jetant des ponts entre le connu et l'inconnu.

Toutefois, bien que son rôle dans la cognition humaine soit largement reconnu, les mécanismes précis par lesquels l'analogie opère et son impact sur l'apprentissage restent souvent mal compris ou sous-exploités dans les pratiques éducatives. Comment l'analogie fonctionne-t-elle sur le plan cognitif ? Quel est son rôle dans la construction des connaissances et l'apprentissage ? Et comment peut-elle être mobilisée de manière efficace dans des contextes pédagogiques ?

Cet article se propose d'explorer ces questions en s'appuyant sur une revue structurée de la littérature existante : des sources fondatrices et des travaux récents en psychologie cognitive, en neurosciences et en sciences de l'éducation. L'objectif est de clarifier les mécanismes cognitifs impliqués dans l'analogie, d'examiner son rôle dans l'apprentissage et d'identifier des stratégies pédagogiques pour mobiliser cet outil de manière efficace.

I. L'analogie comme processus cognitif

La capacité de l'analogie à créer des passerelles conceptuelles entre des idées disparates la rend indispensable non seulement dans l'apprentissage quotidien, mais aussi dans des domaines spécialisés comme la découverte scientifique et l'innovation technologique. En effet, l'analogie constitue un processus cognitif essentiel qui soutient la formation de concepts, l'élaboration de théories et la genèse d'hypothèses, reflétant une faculté d'abstraction et de généralisation inhérente à l'intellect humain. Par conséquent, l'analogie joue un rôle prépondérant dans la régulation de l'action des enseignants, qui l'utilisent inconsciemment pour adapter leurs comportements pédagogiques face à des situations nouvelles en se basant sur des expériences passées similaires.

Afin de structurer et comprendre cette fonction cognitive de l'analogie, il est utile d'articuler l'analyse autour de deux points : les mécanismes fondamentaux du raisonnement analogique, qui renvoient aux modèles cognitifs rendant possible l'identification des structures relationnelles communes, le mapping des relations entre les éléments pertinents et le transfert des propriétés héritées d'un domaine source à un domaine cible ; et les phases du processus analogique décrivant la séquence opérationnelle par laquelle une analogie se forme et peut conduire à des activités de raisonnement, d'expérimentation et d'action pédagogique.

1. Les mécanismes fondamentaux du raisonnement analogique

Le raisonnement analogique ne repose pas sur des ressemblances superficielles, car il ne se limite pas à une simple similarité de surface mais s'appuie sur un isomorphisme de structure ; en outre, le processus analogique n'est pas monolithique et englobe des sous-processus psychologiques qui font l'objet d'un large consensus.

La psychologie cognitive définit généralement ce processus de raisonnement analogique comme étant une « stratégie cognitive utilisée pour générer de nouvelles règles qui sont appliquées à un domaine cible, nouveau. Cette génération de règles se fait en transférant sur la cible des connaissances d'un domaine de base, mieux compris que ne l'est le domaine cible » (Gineste, 1997 : 65). Ce transfert s'opère généralement en trois phases : l'accès à des informations anciennes stockées en mémoire, le transfert de propriétés du

domaine source vers la cible, et enfin l'évaluation de la pertinence de ce transfert (Ripoll, 1992).

La théorie de la mise en correspondance de structure (Structure Mapping Theory) de la professeure psychologue cognitive et du développement Dedre Gentner postule que les phrases qu'on apprend sont reliées entre elles par des analogies structurelles, et le modèle utilisé cherche la meilleure manière de représenter une phrase en s'appuyant sur des phrases déjà connues. Cela donnerait lieu de passer d'un apprentissage centré sur des phrases précises à une compréhension plus générale de la grammaire, un peu comme ce que font les enfants en grandissant (Gentner, 1983). Dès lors, on pourrait dire que ce modèle montre comment on peut commencer avec des phrases isolées et finir par maîtriser des règles abstraites, avec même la capacité de générer des phrases nouvelles. Sander (2000) souligne que l'analogie mobilise la mise en relation de relations (relations-to-relations mapping), ce qui autorise la formulation d'hypothèses nouvelles et d'étendre le champ de compréhension.

À l'inverse, d'autres approches maintiennent que les processus analogiques influencent dynamiquement la perception elle-même : l'analogie est un processus dynamique, impliquant des aspects linguistiques tels que la reformulation et la réorganisation conceptuelle (Monneret, 2017) ; d'autres modèles insistent sur la fluidité des concepts et la manière dont les représentations émergent dynamiquement de la perception (Hofstadter & Sander, 2013 : 482). Ainsi, l'analogie, en tant que mécanisme cognitif fondamental, s'ancre dans plusieurs théories majeures qui éclairent son rôle dans la compréhension et l'apprentissage.

Néanmoins, il est essentiel de noter que l'analogie est un processus dynamique qui implique à la fois des aspects cognitifs et linguistiques, et qui peut s'effectuer de manière consciente ou non consciente (Monneret, 2019a). Cette dualité, consciente et non-consciente, se reflète dans la capacité à générer des prototypes à partir des cas analysés, lesquels prototypes demeurent en mémoire jusqu'à leur réactivation par des stimuli pertinents. Dans cette perspective, il convient d'explorer les sous-processus psychologiques ou les étapes impliqués dans le raisonnement par analogie. Ces étapes sont essentielles pour comprendre comment l'analogie facilite la construction de schémas abstraits et l'application de connaissances à de nouvelles situations.

2. Les phases du processus analogique

Le raisonnement analogique repose sur la projection d'une structure relationnelle provenant d'un domaine source familier sur un domaine cible à acquérir, ouvrant la voie à décontextualiser la situation étudiée et à la représenter sous forme de réseaux propositionnels (Leplat, 2002). Les étapes clés de ce raisonnement impliquent la sélection des éléments pertinents, l'alignement des structures relationnelles où les objets sont mis en correspondance non pas sur la base de leur similarité intrinsèque, mais en fonction de leur rôle au sein des relations structurelles, et l'inférence de nouvelles connaissances. L'efficacité dépend de facteurs tels que la similarité structurelle entre les domaines, la clarté des relations et la capacité des apprenants à raisonner sur les relations plutôt que sur des composants isolés.

Il convient de mentionner que le processus analogique n'est pas instantané ; il se décompose en plusieurs sous-processus psychologiques sur lesquels un consensus étendu existe au sein de la communauté scientifique. Les chercheurs identifient généralement les étapes suivantes qui sont des étapes interdépendantes :

- L'évocation (ou récupération)

C'est le déclenchement automatique d'un souvenir ou d'une catégorie familière par la situation présente. Cette étape consiste à retrouver en mémoire à long terme une situation source connue qui présente une structure similaire à la situation cible (Ripoll, 1992) ; elle aide à «ramener l'inconnu au connu » (Hofstadter & Sander, 2013 : 43) afin de bénéficier, à faible coût cognitif, des expériences passées.

- L'encodage

Face à une situation nouvelle, le cerveau ne procède pas à un enregistrement littéral, mais à un filtrage sélectif. L'individu « encode des situations à tout bout de champ selon des dimensions qui, ultérieurement, détermineront quels événements nous conduiront à les évoquer » (Hofstadter & Sander, 2013 : 269). Il s'agit de la création d'une image mentale des domaines source et cible en mémoire de travail. Cet encodage dépend des concepts déjà acquis et doit être à la fois concret et abstrait pour être efficace.

- La mise en correspondance (Mapping)

L'essence de l'analogie réside dans « l'appariement d'une structure mentale avec une autre » (Hofstadter & Sander, 2013 : 83). Cette constitue l'étape cruciale où le sujet aligne les éléments et les relations des deux domaines pour trouver des similitudes de rôles : Il s'agit de construire un « pont mental » entre les représentations internes du stimulus actuel et celles stockées en mémoire.

- L'inférence (ou transfert)

Une fois la correspondance établie, des informations non directement observables sont projetées sur la situation actuelle. Elle assure la possibilité de «transférer sur la cible des connaissances d'un domaine de base, mieux compris que ne l'est le domaine cible » (Beaune, Hilaire-Perez, & Vermeir, 2017). Comme le précisent Hofstadter et Sander, « sans projeter à tout bout de champ nos connaissances sur les situations - c'est-à-dire sans faire constamment des inférences - nous serions conceptuellement aveugles » (Hofstadter & Sander, 2013 : 35).

- L'évaluation

Cette phase ultime vérifie la pertinence et la cohérence de l'analogie. Elle est essentielle car l'analogie peut être source d'erreurs si les relations ne sont qu'approximatives (Ripoll, 1992).

Ces étapes complexes sont intrinsèquement soutenues par des réseaux neuronaux élaborés qui intègrent des informations multisensorielles provenant de diverses régions cérébrales, permettant ainsi une cognition flexible et adaptative.

Après avoir traité de l'analogie comme processus cognitif, il apparaît clairement que l'analogie ne se limite pas à une simple ressemblance superficielle. L'analogie s'impose en tant qu'outil qui assiste la compréhension, l'organisation des connaissances et la transférabilité des savoirs d'un domaine à un autre. En cela, l'analogie occupe une place importante dans l'apprentissage : d'une part, elle favorise la construction de schémas mentaux transférables, qui servent à organiser, interpréter et relier des connaissances nouvelles à des expériences ou des représentations antérieures. D'autre part, elle facilite la transposition de stratégies ou de structures de raisonnement d'un domaine familier à un domaine inconnu. En

quoi donc l'analogie contribue-t-elle de manière spécifique à l'apprentissage? Pour répondre à cette interrogation, le chapitre suivant se penche sur le rôle de l'analogie dans l'apprentissage, en examinant son rôle en tant qu'instrument didactique, et en explorant les limites de ce processus cognitif.

II. Le rôle de l'analogie dans l'apprentissage

Au-delà de l'aspect cognitif, l'analogie influence la capacité d'apprentissage. Ainsi, dans le contexte éducatif, elle consiste à utiliser une situation connue, dite « source », pour appréhender une situation nouvelle, dite « cible » (Dachet, Faulx, & Baye, 2020). L'efficacité de ce mécanisme dépend de la nature des similitudes mobilisées. On distingue généralement deux types de similarités : les similitudes de surface, reposant sur des critères périphériques comme la forme ou la couleur, et les similitudes de structure, fondées sur des propriétés relationnelles et conceptuelles (Naud, Sander, & Benetos, 2023). Cette approche renouvelée de l'analogie invite à réévaluer son rôle tant dans l'apprentissage que dans le développement conceptuel, en mettant en exergue les connaissances fondées sur l'expérience quotidienne.

Dans ce chapitre, nous examinons l'analogie en tant qu'outil pédagogique, en mettant en lumière son usage dans plusieurs domaines. Ensuite, nous aborderons les frontières et les contraintes auxquelles se heurtent les processus cognitifs impliqués dans l'usage de l'analogie, afin d'évaluer les risques, les biais et les situations où ce procédé peut s'avérer insuffisant ou trompeur.

1. L'analogie comme instrument didactique

L'analogie constitue un outil pédagogique et cognitif d'une portée remarquable, qui assure la faisabilité de traduire des concepts abstraits en représentations plus tangibles, par le biais d'un transfert de structure entre deux domaines distincts mais partiellement isomorphes. Cette capacité à établir des correspondances entre un domaine source (souvent familier ou concret) et un domaine cible (généralement complexe ou théorique) en fait un mécanisme constitutif de l'apprentissage humain, tant en sciences que dans les disciplines humaines. En outre, comme l'affirme Condillac, « Nous allons du connu à l'inconnu, c'est-à-dire que nous voyons l'inconnu dans le connu même. L'inconnu qu'on découvre est donc le connu qu'on voyait. Ils se ressemblent, par conséquent ils sont analogues » (Condillac, 1877 : 27).

Dans le champ de la didactique, l'analogie est reconnue comme un dispositif heuristique qui facilite la construction de schémas mentaux. Selon Gentner (1983), la théorie de la structure-mapping postule que l'analogie repose sur l'alignement de relations systémiques entre deux systèmes, plutôt que sur une simple similarité superficielle. Ce processus autorise non seulement de réduire la charge cognitive liée à la compréhension d'un nouveau concept, mais aussi de favoriser son ancrage durable dans la mémoire à long terme.

En sciences physiques et naturelles, par exemple, l'analogie mécanique (Cordélec)[1] sert à dépasser les conceptions erronées des élèves en rendant perceptibles des phénomènes abstraits (Mercier-Dequidt & Morge, 2014). En chimie, on évoque souvent l'«alphabet de la chimie », où les atomes sont comparés à des lettres et les molécules à des mots (Dehon & Snauwaert, 2018). Dans l'apprentissage d'une langue étrangère, « l'analogie serait première et l'intuition seconde » (Piegzik, 2019). Elle admet la construction de nouvelles unités linguistiques à partir de formes connues. Des données observationnelles issues de situations d'enseignement montrent que l'utilisation d'analogies bien construites augmente la cohérence conceptuelle et la capacité de remémoration à long terme, en particulier lorsque les domaines source et cible partagent des structures relationnelles pertinentes et que les étudiants reçoivent un encadrement explicite du processus de mapping.

Dans le domaine de la programmation et de l'informatique, pour les novices, le « modèle tiroir » est utilisé pour introduire le concept de variable: le tiroir représente la variable, l'étiquette sa désignation et le contenu la valeur stockée (Michel & Sperandio, 1996).

Il résulte de ce qui précède que l'analogie seconde le transfert de connaissances et l'élaboration de schémas cognitifs, soutenant la compréhension conceptuelle et la mémorisation. En identifiant des relations communes et en explicitant les mécanismes de correspondance, l'apprenant peut réorganiser ses connaissances préexistantes et les étendre à de nouveaux

[1] Cordélec constitue un outil didactique (artefact) conçu pour faciliter l'enseignement de l'électricité à travers une analogie mécanique, simulant un circuit fermé à l'aide d'une corde en mouvement. Il permet de visualiser l'intensité du courant comme la vitesse de la corde et la tension comme une force, aidant les élèves à comprendre le fonctionnement des circuits.

domaines. La sélection des éléments pertinents, l'alignement des structures relationnelles et l'inférence de nouvelles connaissances constituent les étapes clés d'un processus analogique efficace. Laquelle efficacité dépend de la similarité structurelle et de la capacité des apprenants à raisonner sur les relations entre les éléments du domaine source et du domaine cible.

Ainsi, l'utilisation d'analogies pertinentes peut favoriser l'engagement, la motivation et la remémorisation en créant des liens explicites entre des concepts abstraits et des expériences concrètes. Cependant, l'analogie n'est pas sans risque. Une mauvaise application peut induire des fausses croyances ou des simplifications excessives. D'où l'importance, dans un cadre académique, de la contextualiser, de la justifier et de la critique, en explicitant ses limites et ses présupposés.

Néanmoins, il existe des limites potentielles du raisonnement analogique qui résident dans le risque de surcharge cognitive si l'analogie est trop complexe ou mal structurée, ce qui peut détourner l'attention des concepts cible et entraîner des malentendus.

2. Les limites du processus cognitif associé à l'analogie

Si l'analogie est un moteur de la cognition, elle peut aussi devenir un frein. En effet, Gaston Bachelard la considérait comme un obstacle à l'esprit scientifique car elle peut immobiliser la pensée sur des images superficielles (Bachelard cité par Crepin-Obert, 2014). On parle alors d'analogisme.

Dans l'enseignement de l'évolution, par exemple, l'analogie généalogique (l'arbre de famille) peut empêcher de comprendre la phylogénie réelle : « les hommes ne descendent pas des singes mais ils sont des singes » (Crepin-Obert, 2014). De même, une analogie mal comprise peut créer une « illusion de compréhension » chez l'apprenant (Dachet, Faulx, & Baye, 2020).

Par ailleurs, dans le domaine de la linguistique et du traitement automatique des langues, l'analogie peut devenir un « fauteur de trouble » (Lepage, 2006). Certainement, le mécanisme analogique, malgré sa puissance, est capable de générer des structures incorrectes.

Yves Lepage souligne que, dans des modèles automatisés, « sans aucune contrainte, ces analogies de forme produiront des phrases incorrectes ou agrammaticales (surproduction de l'analogie) » (Lepage, 2006). De même,

Noam Chomsky a historiquement critiqué l'usage de l'analogie en syntaxe, démontrant qu'elle peut « produire des phrases agrammaticales avec comme conséquence que l'analogie ne saurait être un objet d'étude en syntaxe » (Lepage, 2006). En traduction automatique, l'absence de traitement du contexte constitue une limite importante, car « il n'y a aucun traitement du contexte, donc aucun traitement de la référence » (Lepage, 2006).

L'analogie, lorsqu'elle est mobilisée avec rigueur, constitue un pont entre l'abstrait et le concret, entre l'inconnu et le connu. Elle n'est pas seulement un outil d'explication, mais un levier de compréhension profonde, adaptable à tous les domaines du savoir, pourvu qu'elle soit accompagnée d'une réflexion métacognitive sur ses fondements et ses limites.

Conclusion

En conclusion, l'analogie représente un véritable moteur de la cognition humaine. Elle permet une fluidité mentale indispensable en ramenant sans cesse le nouveau au familier. Toutefois, elle demeure une arme à double tranchant, un outil ambivalent : d'une part, elle peut constituer un obstacle épistémologique lorsqu'elle fige la pensée dans des explications superficielles qui satisfont l'intuition mais bloquent une compréhension plus. D'autre part, dans la démarche scientifique, Elle guide les hypothèses, oriente les expérimentations et inspire les découvertes. Celles-ci ne résultant jamais du simple hasard, mais d'un processus de raisonnement structuré, souvent fondé sur des comparaisons entre domaines apparemment disjoints. Par conséquent, elle reste la voie la plus sûre pour les investigations philosophiques et les découvertes scientifiques ; la science progresse ainsi en utilisant l'analogie, tout en développant progressivement une capacité à la dépasser, à la remettre en question, voire à la réfuter lorsqu'elle révèle ses limites ou ses dérives.

Sur le plan pédagogique, l'analogie joue un rôle de médiateur cognitif puissant qui, bien que risqué, offre des points d'ancrage, des schémas mentaux et des outils de résolution de problèmes soutenant l'acquisition et la consolidation des savoirs chez les apprenants. Néanmoins, son utilisation exige une vigilance pédagogique constante, car son caractère « séduisant » peut induire des erreurs de transfert ou des simplifications abusives. La maitrise du raisonnement analogique réside donc dans la capacité du sujet à

naviguer entre l'isomorphisme des structures et la vigilance critique vis-à-vis des ressemblances trompeuses.

Liste Bibliographique :

1. Livres :
   - Condillac. (1877). *La langue des calculs (ouvrage posthume et élémentaire).* Paris: Librairie Sandoz et Fischbacher.
   - Gineste, M.-D. (1997). *Analogie et cognition*. Paris: Presses Universitaires de France.
   - Hofstadter , D., & Sander, E. (2013). *L'analogie, coeur de la pensée.* Paris: Odile Jacob .
2. Article de revue :
   - Dachet, D., Faulx, D., & Baye, A. (2020). Quels impacts du recours à l'analogie sur la mémorisation, la compréhension et le transfert d'un concept nouveau ? Étude expérimentale dans les classes de sciences. *Revue française de pédagogie Recherches en éducation*, 207. doi: https://doi.org/10.4000/rfp.9281
   - Beaune, A. S., Hilaire-Perez, L., & Vermeir, K. (2017). L'analogie, les techniques et les savoirs ? (CNRS Éditions, Éd.) *Approches cognitives et historiques*, 7-56. Récupéré sur https://shs.hal.science/halshs-02782128
   - Crepin-Obert, P. (2014). L'analogie, obstacle épistémologique ou raison scientifique pour enseigner la parenté et la filiation entre êtres vivants. *Recherches en didactique des sciences et des technologies*, 19-50. doi: https://doi.org/10.4000/rdst.839
   - Dehon, J., & Snauwaert, P. (2018). L'analogie entre la langue française et la chimie : analyse linguistique et didactique. *Éducation et didactique*, 12-2. doi: https://doi.org/10.4000/educationdidactique.3161

- Gentner, D. (1983). Structure-Mapping : A Theoretical Framework for Analogy. *Cognitive Science*, 7, 155-170
- Leplat, J. (2002). De l'étude de cas à l'analyse de l'activité. *Perspectives interdisciplinaires sur le travail*, 4(2). doi : DOI : 10.4000/pistes.3658
- Mercier-Dequidt, C., & Morge, L. (2014). Analyse epist´emique et didactique d'une nouvelle analogie pour enseigner l'électrocinétique. (T. &. Group, Éd.) *Canadian Journal of Science, Mathematics and Technology education*, 14(2), 187–206.
- Michel, G., & Sperandio, J.-C. (1996). L'analogie dans l'apprentissage de la programmation. Sciences et techniques éducatives, 3(3), 335-352. doi : https://doi.org/10.3406/stice.1996.1306
- Monneret, P. (2017). Dénomination et analogie. *La dénomination : lexique et discours*. Récupéré sur https://hal.sorbonne-universite.fr/hal-02144623v1/document
- Monneret, P. (2019). Le symbolisme phonétique et la fonction iconique de l'analogie. *HAL (Le Centre Pour La Communication Scientifique Directe)*. Récupéré sur https://doi.org/10.18145/signifiances.v3i1.229
- Naud, S., Sander, E., & Benetos, K. (2023). Usage pédagogique des analogies dans l'enseignement supérieur. *Revue internationale de pédagogie de l'enseignement supérieur*, 39(2). doi: https://doi.org/10.4000/ripes.4866
- Piegzik, W. (2019). L'intuition linguistique et le raisonnement par analogie dans l'apprentissage-acquisition d'une langue étrangère. *Linguodidactica XXIII*. Doi : 10.15290/lingdid.2019.23.11
- Ripoll, T. (1992). La recherche sur le raisonnement par analogie : objectifs, difficultés et solutions. *L'année psychologique*, 92(2), 263-288. Doi : https://doi.org/10.3406/psy.1992.29508

3. Article du séminaire :

- Lepage, Y. (2006). Analogie en traitement automatique des langues. Application à la traduction automatique. *Actes de la 13ème conférence sur le Traitement Automatique des Langues Naturelles*, 781–791. Récupéré sur https://aclanthology.org/2006.jeptalnrecital-tutoriel.1.pdf

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Blameworthy Favoritism in Qur'anic Discourse – An Objective Study

Asst. Prof. Dr. Zainab Salman Dawood
Ministry of Education / Baghdad Education Directorate / Al-Karkh II
Ja'far al-Tayyar School for Distinguished Students

Abstract

This study examines the concept of **blameworthy favoritism** as a **deviant human phenomenon**, wherein individuals replace the divine standards of truth and piety with deceptive worldly measures rooted in wealth, social status, lineage, or appearance. This deviation extends further to the **preferential bias of men over women**, transforming favoritism into an instrument of unjust discrimination rather than a marker of genuine virtue.By employing the **method of thematic exegesis**, the research analyzes the Qur'anic discourse across its various contexts to uncover an integrated **epistemological and rhetorical framework** that articulates the Qur'an's stance toward this moral distortion. The findings reveal that the Qur'an establishes a just and balanced ethical system grounded in divine principles, not in human inclinations.Furthermore, the Qur'anic narrative presents the manifestations of blameworthy favoritism both through **detailed expositions** that disclose its motives and outcomes, and through **concise allusions** of profound significance. This dual mode of expression leads to a holistic understanding that restores to humanity a balanced perception of the self and the other, in accordance with the authentic Qur'anic values of justice and mercy.

Keywords: al-Mufāḍalah, al-Madhmūmah, Objective Study, Qur'anic Discourse.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

المفاضلة المذمومة في الخطاب القرآني

– دراسة موضوعية –

م.د. زينب سلمان داود

وزارة التربية / مديرية تربية بغداد / الكرخ الثانية

ث.جعفر الطيار للمتفوقين

alzbydyzynbslmandawd@gmail.com

ملخص البحث :

فإن من إشكاليات واقعنا المعاصر المفاضلة المذمومة هذا السلوك البشري المتجذر،والذي ينشأ نتيجة الخلل في موازين التقييم التي يعتمدها الإنسان مدفوعًا بالأهواء والمصالح، أو محكوماً بالأعراف والمظاهر الشكلية، وهي معايير تمثل امتداداً لسلوك جاهليٍّ لم يندثر، بل ما زال يتجلى في واقعنا المعاصر بصور متعددة ، فإذا ما أنحسرت إرادة موازين التقييم الحقيقية في نظم الحياة وهيمنت إرادة المفاضلات البشرية الزائفة كالمال، أو الجاه، أوالنسب، أوالانتماء، خرج المسلم عن دوره الرسالي، فالنظم التي تجعل القيم الظرفية المعيار الأعلى في التقييم هي نظم منحرفة تقلب موازين الحق، وتُسهم في صناعة التفاوت الطبقي، والعنصرية، والتعالي، ورفض الحق

فالخطاب القرآن تصدى بكفاءة ومسؤولية ،فوضع الأسس العادلة لمنظومة المفاضلة، محددًا المعايير الموضوعية التي ينبغي أن تُبنى عليها قيمة الإنسان، ناقداً للمعايير الزائفة التي تضفي الامتياز على أسس وهمية ،مبيناً ان المفاضلة أداة خطيرة إذا استُخدمت في غير موضعها أو بمعزل عن مرجعية صحيحة، من خلال منهج متدرّج، جمع بين بيان منطق المفاضلة المذمومة القائم على الوهم، وبين ترسيخ القيم الأصيلة التي تضمن العدالة والكرامة الإنسانية، وقد أسس الخطاب القراني وعياً جديداً تتكافأ فيه القيم وتُوزَن فيه النفوس بميزان العدل الإلهي.

الكلمات المفتاحية : المفاضلة ،المذمومة ،دراسة موضوعية ،الخطاب القرآني .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام سيدنا محمد وآل بيته الأطهار وصحبه المنتجبين الأخيار اما بعد ...

فإن من إشكاليات واقعنا المعاصر المفاضلة المذمومة هذا السلوك البشري المتجذر،والذي ينشأ نتيجة الخلل في موازين التقييم التي يعتمدها الإنسان مدفوعًا بالأهواء والمصالح، أو محكوماً بالأعراف والمظاهر الشكلية، وهي معايير تمثل امتداداً لسلوك جاهليٍّ لم يندثر، بل ما زال يتجلى في واقعنا المعاصر بصور متعددة ، فإذا ما أنحسرت إرادة موازين التقييم الحقيقية في نظم الحياة وهيمنت إرادة المفاضلات البشرية الزائفة كالمال، أو الجاه، أوالنسب، أوالانتماء، خرج المسلم عن دوره الرسالي، فالنظم التي تجعل القيم الظرفية المعيار الأعلى في التقييم هي نظم منحرفة تقلب موازين الحق، وتُسهم في صناعة التفاوت الطبقي، والعنصرية، والتعالي، ورفض الحق إذا جاء على لسان من لا يملك هذه القيم الزائفة واخضاع هذا الموضوع لمنظور التفسير الموضوعي يُفضي إلى قناعة راسخة تأخذ بأيدينا نحو فهمٍ متكاملٍ لأبعاد هذا الانحراف في ميزان القيم، وتمثل مرتكزاً منهجياً تُقرأ على أساسه حيثيات المفاضلة المذمومة في سياقاتها النفسية والاجتماعية والاعتقادية، وتكشف الخطوط الكبرى التي رسمها الوحي لتقويم معيار التفاضل، الذي يزِن الناس بالتقوى والعمل الصالح. فالخطاب القرآن تصدى بكفاءة ومسؤولية ،فوضع الأسس العادلة لمنظومة المفاضلة، محددًا المعايير الموضوعية التي ينبغي أن تُبنى عليها قيمة الإنسان، ناقداً للمعايير الزائفة التي تضفي الامتياز على أسس وهمية ،مبيناً ان المفاضلة أداة خطيرة إذا استُخدمت في غير موضعها أو بمعزل عن مرجعية صحيحة، من خلال منهج متدرّج، جمع بين بيان منطق المفاضلة المذمومة القائم على الوهم، وبين ترسيخ القيم الأصيلة التي تضمن العدالة والكرامة الإنسانية، وقد أسس الخطاب القراني وعياً جديداً تتكافأ فيه القيم وتُوزَن فيه النفوس بميزان العدل الإلهي.

وقد اعتمدت الباحثة المنهج الموضوعي ، فالدراسة موضوعية استقرائية وازنت بين البعد اللغوي والسياقي للنصوص،مع الاستناد إلى أقوال المفسرين والبلاغيين، واستقراء الخلفيات الاجتماعية والفكرية للآيات، مما منح البحث قوة في الاستدلال، ودقة في تتبّع معاني الخطاب القرآني ،اما خطة الدراسة فتقسم الى مباحث ثلاث :فمفهوم المفاضلة المذمومة ، وخصائصها في الخطاب القرآني وهذا المبحث الأول ، وصور المفاضلة

المذمومة في الخطاب القرآني وهذا المبحث الثاني ،ومنهجية الخطاب في تصحيح المفاضلة المذمومة وهو المبحث الثالث والأخير،ومن ثم الخاتمة والنتائج وذيلت بقائمة المصادر.

المبحث الأول :

مفهوم المفاضلة المذمومة لغة واصطلاحاً :

المطلب الأول :المفاضلة لغة واصطلاحاً :

أولاً : المفاضلة لغة :

المفاضلة مشتقة من الجذر الثلاثي (فضل)، وتدور معانيه في اللغة حول:الزيادة، ومنه: فَضَل الشيء أي زاد، وحول التمايز، أي تميُّز شيء عن غيره بخصلة زائدة. والفَضْل: ضد النَّقْص،رجل فَاضل **وفاضلتُ فلاناً ففَضَلْتُه، إذا ذكرتما محاسنكما فكنتَ أَكثر محاسنَ مِنْهُ.** والفضائل، وَاحِدهَا فَضِيلَة، وَهِي المحاسن أَيْضا، والفواضل: الأيادي الجميلة فلَان كثير الفواضل. وَجمع الفَضْل: فُضول. وَرجل مُفضِل: يُفْضِل على النَّاس (ابن دريد 1987م ،907/2)

والتفاضُل بَين الْقَوْم: أَن يكون بعضُهم أفضلَ من بعض،وَرجل مَفْضول: قد فَضَلَه غيرُه (لازهري ،2001م،31/12).وَلَا يُوصف الله تَعَالَى بِأَنَّهُ فَاضل لِأَنَّهُ لَا يُوصف بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَان(العسكري ،د،ت،195/1)

أَفْضَلَ فلانٌ على فلانٍ، أي: أنالَهُ مِنْ فَضْلِهِ وأحْسَنَ إليه.والفضَالُ: اسْمٌ لْلمُفَاضَلَة (الصحاري،1420 هـ ،690/3)

فلان يتفضل على قومه: يدّعي الفضل عليهم(الزمخشري، 1419 هـ،27/2).

وقوله تعالى: وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا، قِيلَ: تأْويله أَن اللَّهَ فضَّلهم بِالتَّمْيِيزِ، التفضُّلَ بِمَعْنَى الإِفْضال والتطوُّل ، المتفضِّل الَّذِي يدَّعي الفَضْل عَلَى أَقرانه، وفَضَّلته عَلَى غَيْرِهِ تَفْضِيلًا إِذا حكَمْتَ لَهُ بِذَلِكَ أَو صيَّرته كذلك(ابن منظور ،1414 هـ،524/11).

(فضل) الشَّيْء فضولا اتّصف بالفضيلة،(فاضله) **مفاضلة وفضالاً :غالبه فِي الْفضل وَبَين الشَّيْئَيْنِ وازن بَينهمَا ليحكم بِفضل أَحدهمَا** على الآخر(مجمع اللغة ،1392 هـ،693/2.).

ويتضح في الدراسة ان المفاضلة تفيد المغالبة وهي بمثابة مقارنة لشيئين بوجود ضابط او قاعدة للحكم ثم بيان ايهما افضل ،لذا فهي مشتقة من الفعل فاضل والسبب انها اساساً تعني كما ذكرت موازنة أو مقارنة بين طرفين تقتضي الترجيح .

فاضله: مايزه في الفضل، فتفاضلا ، ففضلته أفضله: كنت أفضل منه أي غلبته في الفضل ، و بين الشيئين: مايز بينهما. والأشياء تتفاضل أي يكون بعضها أفضل من بعض، الفضل(أحمد رضا،1379هـ،423/4) ،ومعنى «فاضَل»:خَيَّرَ بين الأشياء: فَضَّل بعضها على بعض(أحمد مختار عمر،1429هـ،101/1).

يتضح من ذلك ان المفاضلة عملية تقييمية تُبرز التميّز، لكنها قد تنقلب إلى تزييف إذا افتقرت إلى معيار الحق والعدل .

والإفْضالُ: الإحسان. وفاضَلْتُهُ فَفَضَلْتُهُ، إذا غلبته بالفَضْلِ(الجوهري،1407هـ ،1791/5).

المفاضلة : فاضل بين الشيئين مفاضلةً وفضالًا:أي حكم بالفضل لأحدهما (نشوان الحميري،1420هـ،5209/8)

وبناءً على ما سبق يتضح بأن المفاضلة تمايز داخلي او تمايز بين شيئين ومحور الدراسة هو التمايز المنحرف **حين تستند المفاضلة إلى ميزان دنيوي غير عادل كالمال أو الجاه، فتكون مفاضلة مذمومة وجائرة .**

ثانياً :المعنى الاصطلاحي للمفاضلة:

المفاضلة من الْفضل بِمَعْنى كَثْرَة الثَّوَاب فِي مُقَابلَة الْقلَّة (أبو البقاء الكفوي، د.ت،684)

ويستفاد من قول الكفوي في الكليات أن المفاضلة في الاصطلاح تدور حول تمييز شيء على آخر بزيادة في صفات الكمال ،وهذا التمايز معتبر .

المفاضَلة : مصدر فاضلَ "لا مفاضلة بينهما".عملية تفكير يوازن فيها بين أمرين بقصد اختيار أحدهما. (فاضله) مفاضلة وفضالا غالبه فِي الْفضل، وَبَين الشَّيْئَيْنِ وازن بَينهمَا ليحكم بِفضل أَحدهمَا على الآخر(أحمد مختار عمر، 1429 هـ،3796/3.)

ويتضح أن المعنى اللغوي للمفاضلة يكاد يطابق معناها الاصطلاحي، إذ تدل في اللغة على المغالبة في الفضل بين طرفين ، بقصد بيان أرجحيتهما، وهو يتوافق مع المعنى الاصطلاحي الذي نستشفه من الكفوي،

حيث تقوم المفاضلة على تمييز شيء على آخر بزيادة في صفات الكمال أو الإفضال، سواء أكانت هذه الزيادة ذاتية لازمة (فضائل) أو متعدية نافعة (فواضل)، مما يدل على وحدة الجذر في الدلالة، والفارق يظهر في جهة الحالة أو السياق.

وبناءً على التعريفين اللغوي والاصطلاحي، يمكن التوصل إلى تعريف جامع ومانع للمصطلح المركب **المفاضلة المذمومة**:هي عملية ترجيح **طرف على آخر في سياق دنيوي أو مقاييس منحرفة ، تستند إلى مزايا دنيوية محدودة نسبية التأثير ،مما يخرج الحكم عن مقاييس العدل والحق .**

ومن خلال التعريف للمصطلح المركب (المفاضلة المذمومة) فالدراسة تختص بهذا التمايز المذموم الذي يمكن ان يدرك من الفاظ الخطاب القرآني والتي تدل صراحة على التمايز المذموم كلفظ (خير) (أفضل) (أهدى) أو نستشفه استنباطاً من سياق الآية أو من الأساليب البلاغية تلميحاً .

المطلب الثاني :السُّنن الحاكمة للمفاضلة المذمومة

فإن الخطاب القرآني يكشف عن سنن حاكمة تضبط هذا المنطق الجاهلي في التقييم ، وتفسّر تكراره في الأفراد والجماعات ،إذ لا يقدمه بوصفه سلوكاً عارضاً أو انحرافاً فردياً ،بل باعتبارها ظاهرة متأصلة تحكمها آليات منتظمة ؛ولأن دراستها تعد ضرورة منهجية قبل ان استعرض صورها ،فإن هذه السنن تتمثل فيما يأتي :

أولاً : سُنّة فساد المقياس : فإن المفاضلة المذمومة في اصلها تقوم على مقاييس منحرفة فاسدة ، وقد أشار إليها الخطاب القرآني أول ما أشار في موقف إبليس حين أبى السجود لآدم (عليه السلام)، فقال تعالى: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (سورة الأعراف ،الاية 12) فلم يكن امتناعه عن السجود استكباراً على الأمر الإلهي في ظاهره ، بقدر ما كان قائماً على مفاضلة موهومة ،يرى فيها انه أفضل من آدم وأشرف، محتكماً الى اصل الخلقة ،زاعماً ان النار اشرف من الطين . (مكي بن ابي طالب ،1429هـ،437/10) .فَرَأى ابليس أَن لَهُ فضلا على غَيره، فَلَمَّا أمره الله تَعَالَى بِالسُّجُود لآدَم امْتنع لذَلِك الَّذِي كَانَ فِي نَفسه.(السمعاني ،1418هـ،454/4.

وعلى هذا الأساس اعتبر الخطاب القرآني ابليس أول **من سنّ المفاضلة الظالمة المبنية على الهوى**، فتمرده وعصيانه ثمرة لفساد المقياس الذي أحتكم إليه ،**ومنشأ الذم هنا هو الميزان الذي حكم به المفاضل اذ انه لا وزن له في ميزان الله تعالى ،ولا يستند إلى قيمة حقيقية معتبرة.**

ثانياً :سُنّة الانخداع بالمظاهر :

فإن هذه السُنّة يعدها الخطاب من أخطر السُنن الحاكمة اذ انها تقدم المظهر على الجوهر ،والوهم على الحقيقة ،ومن ثم تتحول المفاضلة إلى عملية تنتج أحكاماً مضللة ،وقد كشف لنا الخطاب القرآني عن هذه السُنة تحذيراً لنا من آثارها قال تعالى : {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ... (4)}(المنافقون ،الاية 4) فَحَذَّرَ نَبِيُّهُ صلى الله عليه وسلم الِاغْتِرَارَ بِظَاهِرِ حَالِ الْإِنْسَانِ وَأَمَرَنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ فَقَالَ وَاتَّبِعُوهُ وَقَالَ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَغَيْرُ جَائِزٍ إذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا الرُّكُونُ إلَى ظَاهِرِ أَمْرِ الْإِنْسَانِ دُونَ التَّثَبُّتِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَمْرِهِ.(الجصاص، 1405هـ ،2039/2)

وقوله تعالى (وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ ...)لضخامتها وصباحتها. وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم، وكان ابن أبيّ جسيما فصيحاً يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله، فيعجب بهيكلهم ويصغي إلى كلامهم. أنوار التنزيل وأسرار (البيضاوي ،1418هـ،214/5) . هذا حال هؤلاء المجرمين المنافقين، تجدهم طوال الأجسام عراضها، أشكالهم ومناظرهم جميلة، كذلك تأخذ منهم كلاماً كأن مقتضاه الحكمة، وهو في الحقيقة خلاف ذلك(حطيبة ،2/ 263)

وترى الباحثة ان اجتماع حُسن الهيئة مع حُسن العبارة من أخطر أدوات التضليل إذا كانا بمعزل عن صدق الباطن.فسُنّة الانخداع بالمظاهر هي **استعداد فطري بشري راسخ للوقوع في الحكم الموهوم** فحين يستبدل الباطن بالظاهر يكون ذلك سبباً في انحراف البصيرة

كما ان الخطاب يكشف ان الانخداع بالمظاهر ظاهرة راسخة في النفوس لا تقتصر على العامة بل قد يصيب جميع الفئات، حتى في الفضاء النبوي، لولا الهداية الإلهية التي تصحح البصيرة.

وهذا الاستعداد الفطري لدى الناس وانخداعهم بالمظاهر لم يكشف عنه الخطاب فقط بل أكدته السنة فيما روي انه مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ: (مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا). قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ ص: (مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا). قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: (هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا). (البخاري ، 1414 هـ،1958/5)

فأنت قد تمتدح شخصاً لمنظر العين والأمر المادي المحسوس،فهل المفاضلة بالشكل أم بما وقر في القلب . (عطية سالم،د.ت،4/76) ،أراد الرسول ص أن يعلم أصحابه مقاييس الرجال وأنهم لا يوزنون بهيئاتهم ولا بأموالهم وإنما المقياس الذي ينبغي أن يحفظوه ويعملوا به هو التقوى. (موسى لاشين ،1423هـ،34/4)،وهذا يدلل على ان هذه السُنّة المذمومة لا تكسر إلا بالميزان الإلهي ،فالقران الكريم لا يذم الجمال ولا الفصاحة ،بل يذم ان يتخذهما الناس مقياساً للحقيقة .

ثالثاً : سُنّة التعالي على الآخرين :

عرض الخطاب القرآني هذه السُنّة بوصفها آلية فكرية تحكم سلوك المفاضلة المذمومة، التي تعتمد على التفاخر والتعالي معياراً لتقييم الآخرين، مما يؤدي حتماً إلى اختلال الحكم والتمييز الظالم. ويجسد الخطاب هذا الانحراف الفكري على لسان كفار قريش حين تعالوا على المؤمنين، متسائلين عن الفرق بينهم وبين أصحاب محمد ص ، مبينين تفوقهم الظاهر في العيش والمكانة، قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم: 73] قد فسّر المفسرون أن النَّدِيُّ المراد هنا هو الْمُجَالِسُ والمقامات الاجتماعية (مجاهد ،1410هـ،458) ، وقد فصّل الطبري هذا الحديث، موضحًا كيف أن الكفار كانوا يقارنون أنفسهم بالمسلمين في مختلف النواحي الدنيوية، فقال: أيُّ الفريقَين مِنَّا ومنكم أوسَعُ عَيْشًا، وأنعمُ بالًا، وأفضلُ مَسْكَنًا، وأحسنُ مَجْلِسًا، وأجمعُ عددًا وغاشِيةً في المجلسِ، نحن أم أنتم؟(الطبري ، 1422هـ،608/15)

وترى الباحثة أن هذا السلوك يتجلى اليوم في التفاخر بالمناصب، أو الثروة، أو الجاه الاجتماعي، حيث يسعى بعض الناس إلى إثبات التفوق على الآخرين من خلال المظهر فقط، متعمدين اغفال

القيم الدينية والأخلاقية . ويشبه ذلك ما ورد في الخطاب القرآني عن قارون، الذي اعتبر ثروته سببًا للتفوق على الآخرين دون اعتبار لتقوى الله،قال تعالى على لسان قارون : {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} (القصص ،78) ، قال قارونُ لقومه الذين وعَظوه: إنما أُوتِيتُ هذه الكنوزَ على فضلِ علمٍ عندى، علِمه اللهُ منى، فرَضِى بذلك عنِّى، وفضَّلنِي بهذا المالِ عليكم؛ لعلمِه بفضلى عليكم.(الطبري ،1422هـ،325/18) إنه ينكر أن يكون لله شيء فيما بين يديه من هذا المال الغمر.. ويعتقد إنه قد توصل إليه بحسن تدبيره، وجمعه بجهده وكده. (الخطيب،د،ت ،386/10)

والخطاب يعرض هذا السلوك بوصفه سُنّة فكرية حاكمة تستبدل الميزان بالتعالي ،وترى في ذاتها محور الكون وتقلل من شأن الآخرين وتسفه قدرهم .

رابعاً :سُنّة الظلم الجماعي :

تقوم هذه السُنَّة على تصنف الناس وفق مقياس واحد منحرف ،يتجاهل التفاوت الطبيعي بينهم ،ويلغي خصوصياتهم الفردية ومسؤولياتهم الأخلاقية ،اذ تختزل قيمة الانسان في المقاييس الظاهرية وغالباً ما يتجسد هذا النمط في فئة تتوهم التفوق بحكم الجاه أو المال أو النفوذ فتفرض مقاييس مفاضلتها المذمومة على المجتمع بصورة ممنهجة ، وقد واجه الخطاب القرآني هذه السُنّة بالنقد الصريح كما يتضح في اعتراض كفار قريش على نبوة محمد ص اذ حكموا بالعظمة وفق مقاييسهم لا وفق مقاييس الله تعالى ، فقالوا: **{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ *} الزخرف،الاية 31) فجاء الرد حاسماً : { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} (سورة الزخرف،الاية 31)**

وقد نَزَلَتْ هذه الآية كما يذكر المفسرين جَوَابًا لِاعتراض الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ **في تأكيد واضح ان اختيار الرسل ليس خاضعاً لأهواء البشر ولا لمقاييسهم ولِا لاختِيَارِهِمْ (السمعاني ،1418هـ،339/1) وأن تخيّر الرسول ليس إليهم وإنما هو لله وحده**

فهو اختيار إلهي صرف، لا ينفع فيها التمني، أو السعي الدنيوي ولا مدخل فيه للاقتراح أو الترشيح بل هو عطية ربانية .(محمد المكي الناصري،1405هـ،474/5) فهم يرون أنّ معالي الأمور لا تنالها أيدي الأراذل، وهم سقاط عامتهم فقراء، وموال، ورعاة. في حين يقرر القران أن الرسالة

منوطة بكمالات نفسانية، وملكات روحانية، مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدنية، والإقبال على الاخرة بالكلية. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه (الدرة ، 1430هـ،18/9)

وقد ابطل القرآن هذا الوهم بقوله تعالى : { نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ... } مبيناً ان التفضيل في الرزق لا يلزم منه تفضيل المرء؛ لأن الرزق ابتلاء، وأما من يظن أن الغنى إكرام وقلة الرزق إهانة، فليعلم أن الله أبطل هذا . التفسير البياني (القدومي،د،ت ،143) يؤكد ذلك قوله تعالى : {فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (15) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (16)كلا ... } وفسرت {كَلَاّ} في هذا الموضع أي ليس الإكرام والإهانة في كثرة المال وقلته بل الإكرام في توفيق الطاعة والإهانة في الخذلان(النسفي ،1419هـ،640/3)

وعليه يتضح يتضح ان الله تعالى يصنف الناس وفق الاستحقاق الرسالي لا الجاه الاجتماعي ،وان سُنّة الظلم الجماعي تمثل انحرافاً فكرياً خطيراً يلغي التنوع الإنساني ،ويفضي إلى تعميمات ظالمة وأحكام جائرة تؤسس لسياسات الاقصاء والتهميش وتناقض جوهر العدل الذي جاء به الوحي .

خامساً : سُنّة ترك المرجعية الإلهية :

يبرز الخطاب القرآني هذه السُنّة على انها خلل في الرؤية ، وهي ان يترك الانسان القيم السماوية قيم الوحي ويتمسك بموازين بشرية منحرفة ، قال تعالى: {... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (سورة الحجرات،الاية13)جاء في سبب نزولها لما كان يوم الفتح؛ رقى بلال فأذن على الكعبة، فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهرالكعبة ... وفي رواية (أَمَّا وَجَدَ مُحَمَّدٌ غَيْرَ هَذَا الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ مُؤَذِّنًا؟!: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ شَيْئًا يُغَيِّرْهُ، فَأَتَى جِبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيَّ ص وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا، فَدَعَاهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَأَقَرُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَزَجَرَهُمْ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ والتكاثر بالأموال والازدراء بِالْفُقَرَاءِ (الواحدي ،1411هـ،، 411)فإن أرفعكم منزلة عند الله أتقاكم (الشافعي،1427هـ، 1281/3.)

والتقوى هي التحرّر من النفس وأطماعها وحظوظها. فأكرم العباد عند الله أبعدكم عن نفسه وأقرب إلى الله تعالى (القشيري ،د.ت،444/3).والمعنى :إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب.(ابن كثير ،1420هـ،723/6)

وترى الباحثة ان هذه السُنّة المنحرفة والمنفصلة بموازينها عن ميزان و محكومية الله تعالى تعد خلاصة لما سبقها من السنن وهي منشأها كلها؛لأن المفاضلة المذمومة انما تنشأ حين حصول هذا الانفصال.ولا بد لنا بعد استقراء هذه السنن التي هي منظومة قيمية منحرفة متكررة للمفاضلة المذمومة،لا بد من الانتقال الى تتبع صورها في الخطاب القرآني والتي هي تطبيق واقعي لهذه السنن الحاكمة.

المبحث الثاني:

صور المفاضلة المذمومة في الخطاب القرآني :

فإن المفاضلة بين الأمور سلوكاً فطرياً يمارسه الإنسان في مختلف جوانب حياته ،نابع من إدراكه التفاوت بين الأشياء ،غير ان الفطرة السليمة لا تقتضي المفاضلة على أساس الباطل ،وقد قرر الخطاب القرآني مبدأ التفاوت بين البشر في الارزاق والحظوظ ،وعده سنة كونية قائمة على الحكمة الإلهية ،**قال تعالى : {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32) }** (سورة الزخرف ،الاية 32)درجاتٍ يعنى فضائل في الغنى لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ يعني الأحرار بَعْضاً يعني الخدم سُخْرِيًّا يعني العبيد والخدم سخره الله لهم. (مقاتل ،1423هـ،794/3)أي ليستعمل بعضهم بَعْضاً، ويستخدم بعضُهم بعضاً.وقيل (سِخْرِيًّا) أي، يتخذ بعضهم بعضاً عبيداً.وفي قوله :(وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ). أعلم عز وجل أن الآخرة أحَظُّ من الدنيا **(الزجاج ،1408هـ،410/4) ويعني: أن النبوة والاهتداء بهدي الأنبياء وما يناله المهتدون يوم القيامة خير مما يجمعه الناس في الدنيا من حطامها.(محمد إسماعيل المقدم،1432هـ،102/15).**

وارتكازاً على ما سبق يتضح ان المفاضلة الشرعية هي سنّة لا مفرّ منها؛ فالبشر بطبيعتهم يتفاوتون في الفضل، والكفاءة، والعمل، والتقوى، وغيرها. لكن الخطاب القرآني وضع ضوابط تضبط هذه المفاضلة بميزانٍ القيم الإسلامية ، فلا يجعلها مباحة على إطلاقها. فمن خرج عن هذا الميزان وقع في

المفاضلة المذمومة، وتعدّ مفاضلة الحياة الدنيا على الآخرة الصورة الكبرى الجامعة التي تتفرع عنها صور متعددة من المفاضلات الطبقية والمادية والعنصرية وغيرها. وقد تولى الخطاب القرآني معالجة هذه الانحرافات بأساليب بلاغية وتقريرية تكشف زيفها وتؤسس للمعيار الحق في التقييم.ومن هنا تتجلى أهمية هذا المبحث في رصد بواعث تلك الصور، وتحليل خطابها، واستنباط مقاصدها التوجيهية، وذلك من خلال تقسيم موضوعي يأتي تفصيله في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المفاضلة بالمال والمتاع الدنيوي : وتتضح هذه الصورة في عدد من الصور يقدمها الخطاب القرآني وهي كالأتي :

أولاً : المفاضلة الفردية المذمومة (قصة صاحب الجنتين) :

فان الخطاب القرآني يقدم قصة صاحب الجنتين نموذجاً للمفاضلة المادية المذمومة ،وهي من أوضح النماذج التطبيقية ؛لأنها تختصر مقياس الفضل في كثرة المال والانصار، كما حكى الخطاب على لسان صاحب الجنتين قوله: {... أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَراً} **(سورة الكهف ،الاية 34) أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين مباهاةً بما يملك، متفاخراً بتفوقه المادي وعدده من الأنصار، الذين فُسِّروا بالحشم أو الأولاد الذكور ويفاخره بما ملك من المال دونه** { أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَراً} **أي أنصاراً وحشماً أو أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث** (النسفي ،1440هـ،300/2) **وهذا جهل منه، وإلا فأي: مفاضلة وافتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية، ولا صفة معنوية (السعدي ،1420هـ،477)**

فهو إذ يعاين بستانه وما فيه من زروع وثمار، ويعاين ما فيها من الأشجارِ والثمارِ والزروعِ والأنهارِ المُطَّرِدَةِ، قال شكًّا في المعادِ إلى اللَّهِ: ما أظنُّ أن تَبِيدَ هذه الجنةُ أبدًا، ولا تفنَى ولا تَخْرَبَ (الطبري ،1422هـ،262/15) ، **وقد راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفني** (الايجي ،1424هـ،440/2).

ويتضح إنّ الباعث على هذه المفاضلة استغراق الإنسان في نعيمه وثرائه دفعه إلى توهّم الاستحقاق الذاتي. بناءً على ثروته ،وعدم قدرته على إدراك المقاييس الحقيقية للمفاضلة ، وقد أدى هذا الخلل إلى مفاضلة ظالمة، تُلبس النعمة لبوس الاستحقاق، وقد ذمّها الخطاب وكشف عن فساد منطلقها ومآلها ؛لأنه

لا تلازم بين عطايا الله تعالى في الدنيا وبين عطاء الآخرة فالله تعالى قد لا يعطي أوليائه وأصفيائه ، ويوسع على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، ولعل أوضح ما يُستنتج من السياق أن المفاضلة المغلوطة **إنما تنشأ من غفلة عن المقاييس الإلهية**، وركونٍ إلى ظاهر المتاع، وهو ما يُفضي إلى سوء العاقبة . وعليه، فإنّ الخطاب يفند هذه المغالطة ويعالج هذا الانحراف باستخدام الرد الحاسم، في آية جامعة، يقول تعالى: **{** قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ **} (سبأ، الاية 36) يقول الله لنبيه محمد** ص **قل لهم يا محمد (إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) من المعاش والرياش في الدنيا (لِمَنْ يَشَاءُ) من خلقه (وَيَقْدِرُ) فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارًا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه (الطبري ،1422هـ،410/20)وهذا ردّ على الفهم المغلوط الفاسد الذي فهمه المترفون، لما لله فى عباده من بسط الرزق أو قبضه.. فليس بسط الرزق أو قبضه من الله سبحانه وتعالى، يحسب منازل الناس عنده، وإنما منازل الناس عند الله بأعمالهم الصالحة** (الخطيب،د.ت،380/11) ولا تنحصر هذه الصورة على السياق القرآني بل تتكرر في الواقع حين يُعاد انتاج منطق صاحب الجنتين ويجعل المال مقياساً للتقييم والتفاضل ،وهذا يسهم في الانحراف عن الميزان الإلهي الذي يجعل التقوى في صدارة معايير المفاضلة المحمودة .

ثانياً : المفاضلة الجماعية(الانبهار بزينة قارون) :

يسجّل الخطاب القرآني مشهداً دالاً على مفاضلة جماعية تعبّر عن الانبهار بزينة المتاع الدنيوي وتمنيه ، على حساب القيم والمعايير الإلهية،في قول الله تعالى : {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}(القصص،الاية 79) الاية ترسم مشهداً للمفاضلة المذمومة؛ حيث ينبهر الذين يريدون الحياة الدنيا بمال قارون وزينته، فيغيب عنهم معيار الاستقامة، ويختلط عليهم مفهوم(لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)إنه لذو نصيب وافر في الدنيا فيحسبونه وفرة المال لا وفرة الفضل (مقاتل ،1423هـ،357/3) . ويمثل هذا النموذج الجماعي الامتداد لما ورد في قصة صاحب الجنتين، ويكشف عن رسوخ المنطق الجاهلي في التقييم يقاس فيه الفضل بالمظاهر الدنيوية ،وان التفوق المادي دليل

على الحظوة الإلهية وحين يصفهم الخطاب (يريدون الحياة الدنيا)فيه إشارة أنّ رؤيتهم قاصرة، ومقاييسهم مشروطة بالمتاع العاجل.

وهذا يُعيدنا إلى الباعث الجوهري في المفاضلة المادية، وهو الركون إلى الظاهر،وتأتي نهاية قارون القاسية آلية قرآنية لتقويم موازين المفاضلة المنحرفة وتواجه امتداد مظاهر الجاهلية التي ماتزال تنبهر بالمظاهر بوصفها مقياساً للافضلية .

المطلب الثاني: صورة الامتداد الجاهلي للمفاضلة بالسلطة والجاه :

وهذه الصورة من المفاضلة تتجلى بوضوح في(سلطة فرعون) الذي يتبجح بمنصبه أو ملكه أو مكانته الاجتماعية على انها مقياساً للتفوق لا باعتبارها مسؤولية ،وهذه الصورة خير ما يمثل الانحراف في التقييم ومن تطبيقاتها التي ذكرت في القران ما يأتي :

أولاً : المفاضلة بالسلطة والجاه : (سلطة فرعون انموذجاً)

وتظهر هذه الصورة في قول فرعون وهو يرجح نفسه على موسى (عليه السلام) **أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ** (سورة الزخرف ،الاية 52) وَعَنَى بِكَوْنِهِ مَهِينًا كَوْنَهُ فَقِيرًا ضَعِيفَ الْحَالِ، وَبِقَوْلِهِ وَلا يَكادُ يُبِينُ حَبْسَةً كَانَتْ فِي لسانه (الرازي ، 1420 هـ، 27/2)،أي انه نظر إلى الشكل الظاهر ولم يفهم أن السر المعنوي هو أظهر مما نظر إليه لو كان يفهم(ابن كثير ، 1431 هـ،578/6).

و أم هنا للإضراب على تلك المشاعر التي يراها فرعون تتحرك فى صدور قومه، من استخفاف به، وإكبار لموسى، فهو يقول لهم: لا تظنوا هذه الظنون بموسى، ولا تجعلوه معى على كفة ميزان، إنه ليس مثلى، ولا خيرا منّى... بل أنا خير من هذا الذي هو مهين، لا ملك معه، ولا سلطان له، ولا منطق مستقيم على لسانه (الخطيب ،د.ت، 144/13)، وَمَقْصُودُهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ تَعْظِيمُ أَمْرِ نَفْسِهِ وَتَحْقِيرُ أَمْرِ مُوسَى، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتْبَعَ الْفَاضِلُ الْمَفْضُول(محمد الأمين الشنقيطي،1415هـ، 27/4)،

وترى الباحثة ان المقياس الذي اعتمده فرعون في الحكم والتفاضل قائم على الملك والسلطة بوصفهما موجبين للفضل ،في مقابل اعتبار الفقر والضعف سبباً للاحتقار والتنقيص ،وقد تجاهل تماماً البعد الرسالي والجوهر الإنساني ،وهذا يفصح ان المفاضلة سطحية شكلية لا حقيقية ،كما يتبين ان الباعث على المفاضلة هو التعلق بالسلطة والخشية من زوالها ،وقد استعمل أم ليحول الانتباه من مضمون الرسالة الى مفاضلة

موهومة زائفة الغرض منها تعظيم ذاته ،والاستخفاف بغيره ،وترسيخ مقولة مفادها ان صاحب السلطة لا يتبع الأدنى منه .

ويظُهر الخطاب القرآني ان الاستخفاف يعد احدى وسائل التضليل المؤثرة في توجيه الجماهير ،وقد أشار الى ذلك قوله تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ... } (سورة الزخرف ،الاية 55)فاستخف أحلامهم بقوله وكيده، وبما أبداه من عظمة الملك والرياسة، وجعلها مناطا للعلم والنبوة، وأنه لو كانت هناك نبوة لكان أولى بها، فأطاعوه فيما أمرهم،(المراغي،1365هـ،100/25)وهذا يدل ان المفاضلة مصطنعة لان الخطاب ربط الطاعة بالاستخفاف لا بالبصرة والوعي ،**وهنا يمكن القول ان هذه الصورة تمثل أحد أنماط المفاضلة الجاهلية التي يعيد الواقع المعاصر إنتاجها بأدوات أكثر تطورًا، من خلال الإعلام الموجَّه والتأثير الجماهيري وصناعة الرمزية ،اذ يقدم اشخاص أو أفكار على أنهم الأجدر بالمكانة والاتباع، في حين أن المعيار القرآني ينقض هذا الترتيب من أساسه.**

ثانياً : مفاضلة كفار قريش بالجاه والعظمة :

وهذا النموذج يكشف الامتداد الجاهلي للمفاضلة المذمومة ووحدة المعايير المنحرفة رغم تفاوت البيئات الزمنية التي وردت فيها فقول كفار قريش يوازي نموذج فرعون حين جعل المفاضلة تقوم على السلطة والجاه الاجتماعي ،وهم جعلوا العظمة والجاه القبلي مقياساً لاختيار من يتنزل عليه الوحي ،قال تعالى على لسانهم : **{لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} (سورة الزخرف: الاية31)** أي: على رجلٍ عظيمِ الرِّياسة بالمال والأتباع مِن هاتين البلْدتينِ: مكَّةَ والطَّائفِ.أي: كيف خُصَّ محمَّدٌ بهذه الفضيلة التي تُوجِبُ انقيادَ العُظماءِ له مع فَقْره وضَعْفِ حاله في أسباب الدنيا.(النسفي،1440هـ،278/13)

أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم.(الزمخشري ،1407هـ،74/4) ولم يفهموا ان رتبة النبوة والولاية عبارة عن الغنى الذاتي المسقط لعموم الإضافات وبالتخلق بالأخلاق المرضية الإلهية (النخجواني،1407هـ،299/2).

ويمكن القول بان جمع السورة بين النموذجين يكشف عن وحدة منطق المفاضلة الجاهلية بالاستعلاء السياسي والاستعلاء الاجتماعي القبلي ،وكلا النموذجين ينبني على رفض الاصطفاء الإلهي لغير

أصحاب الجاه والنفوذ ،وفي واقعنا المعاصر تسود مظاهر التفاخر الزائفة كما كان الحال في الجاهلية الأولى ويعود هذا الى جهل الناس بالمعايير الحقة.والقرآن يفضح هذه الميزان الزائف ويُعيد الاعتبار للفضل الإلهي والاصطفاء الحقّ،**وقد رد الخطاب على هذا الادعاء القاصر** ،والاختيار القائم على الباطل بقوله تعالى : {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَيَخْتارُ مَا كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (سورة القصص،الاية 68)قال أَهْلُ التَّفْسِيرِ انها نَزَلَتْ جَوَابًا لِلْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ حِينَ قَالَ فِيمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}(الزخرف:31) أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَبْعَثُ الرُّسُلَ بِاخْتِيَارِهِمْ.(**الواحدي ،1411هـ،339**)

أَي: يخلق مَا يَشَاء من الْخلق، ويختار من يَشَاء للنبوة(السمعاني 1418هـ،152/4). وروي ان الاية رد لأشراف قريش حين قالوا: إنما يصحب محمداً الفقراء وأراذل الناس، ولولا ذلك لآمنا، فيكون المعنى يخلق: ما يشاء ويختار لصحبة رسوله ونصرة دينه من يشاؤهم الصحابة رضوان الله عليهم. (الكرماني ،د.ت ،1987)

وقد وثق لنا الخطاب القرآني عمق رسوخ المفاضلة الجاهلية في وعي الكبراء حين قابلوا مشيئة الله واختياره بالانكار والرفضر ، بالاعتماد على معاييرهم الدنيوية ، **اذ قالوا ساخرين من الفقراء الذين اتبعوا النبي** : {لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا...} (سورةالأنعام،الاية 53) فأولئك الْكفّار الرّؤساء الْأغْنياء كانوا يحْسدون فقراء الصّحابة على كوْنهمْ سابقين في الْإِسْلام مسارعين إلى قبوله فقالوا: لوْ دخلْنا في الْإِسْلام لوجب علينْا أنْ ننْقاد لهؤلاء الْفقراء الْمساكين وأنْ نعْترف لهمْ بالتّبعيّة، فكان ذلك يشقّ علينْهمْ.(الرازي ،1420هـ،543/12)إنكاراً منهم أن يمن الله على هؤلاء الضعفاء دونهم، زعماً منهم أنهم أحق بالخير منهم (الشنقيطي ،1415هـ،227/2). وقولهم: (أهؤلاء مَنَّ الله عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَآ) كأنهم تساءلوا عن المركز الاجتماعي للمستضعفين من المؤمنين، ويأتيهم الرد من الله: {...أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} (سورة الأنعام،الاية 53)فسبحانه هو العليم أزلاً بالبشر، ولا يقترح عليه أحد ما يقرره . (**الشعراوي،د.ت،3653/6**)

وترى الباحثة ومن خلال النموذجين ان **المفاضلة بالسلطة والجاه ليست ظاهرة تاريخية منقطعة، بل نسقٌ متكرر يعيد الواقع انتاجه فقد عرف التاريخ وفي وقت ليس ببعيد، انماطاً من الحكم لم تقم على**

الكفاءة أو الأفضلية بل على الاستخفاف بالناس وتوجيه وعيهم عبر أدوات أكثر تطوراً كالإعلام الموجه ، والتأثير الجماهيري، وتلميع السلطة، وربط الأحقية بالقوة .

المطلب الثالث: المفاضلة بالانتماء الديني أو العنصري في الخطاب القرآني .

من صور المفاضلة المذمومة التي هدمها الخطاب القرآني: الادعاء الزائف بالأفضلية الدينية أو العنصرية، ويمكن بيانها من خلال نماذج قدمها القران وهي كالاتي :

أولاً :الادعاء الزائف بالأفضلية الدينية :

(**النموذج القراني لهذا الادعاء هو تزكية اليهود لأنفسهم**)، وادعاؤهم البراءة من الذنوب ،كما في قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}(النساء ،لاية 49) هُمُ الْيَهُودُ كَانُوا يُقَدِّمُونَ صِبْيَانَهُمْ فِي الصَّلَاةِ فَيَؤُمُّونَهُمْ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا ذُنُوبَ لَهُمْ، فَتِلْكَ التَّزْكِيَة.(مجاهد،1410هـ،283) ألم تر، يا محمد بقلبك، الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرّئونها من الذنوب ويطهرونها (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ) يفضل من يشاء، أو يبرئ من يشاء من الذنوب (الماتريدي ،1426هـ،204/3)

وهذا الادعاء قائم على شعور عنصري موروث بالأفضلية على سائر الأمم،اذ ظنوا ان انتسابهم للنبوة يكفي لتزكية انفسهم ،مع تجاهل القيم الحقيقية التقوى والعمل الصالح .

ثانياً : التزكية الباطلة بالانتماء للأنبياء : تمثل التزكية الباطلة بالانتماء للانبياء أجلى صور المفاضلة المذمومة التي نقضها الخطاب القرآني ،حيث عبر عنها اهل الكتاب بادعاء الحصانة الآخروية وان العذاب ان وجد لا يمسهم الا أياماً معدودة ، قوله تعالى : . {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} (البقرة: 80) قالوا إِنَّما نعَذَّبُ لأننا عبدنا العجل أياماً قيل في عددها قولان، قيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً،أي: غرَّهم افتراؤهم على الله بقولهم: نحن أبناءُ الله وأحباؤه، فلا يعذّبنا بذنوبنا إلَّا مدَّةً يسيرةً (النسفي،1440هـ،512/3)

ويتضح ان الباعث على هذه المفاضلة القائمة على الحصر والنفي هو الاغترار بالانتماء الديني والنَّسبي، وظنهم أن القرب من الأنبياء أو الانتساب اليهم كافٍ لتزكية أنفسهم مع إغفال جوهر التقوى والعمل الصالح ،وهذا التصور الفاسد تصدى له الخطاب القرآني، مقرراً أن المفاضلة الروحية لا تبنى على النسب

ولا على الادعاء ، بل على التقوى والعمل الصالح. وقد صرحوا بهذه المفاضلة المختلّة تصريحاً أوضح في موضع أخر ،فقالوا : **{وَقالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } (المائدة ،الاية 18)**

وتعبيرهم بـ(أبناء الله) في قوله تعالى : **(نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)** فاليهود، زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه؛ وقالوا: لا ذنوب لنا إلا كذنوب أبنائنا الأطفال ،وقولهم هذا تبجحاً منهم (الخطيب،1383هـ،130/1)

ويواجه الخطاب هذا القول المتجاوز لحدود الأدب مع الله تعالى وبأسلوب حاسم يهدم منطق المفاضلة من أساسه بقوله تعالى : **{ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ } (المائدة ،الاية 18)** فإن صحّ أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على زعمكم، ولو كنتم أبناء الله، لكنتم من جنس الأب، غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ،(مقاتل ،1423هـ،464) وهذا الاستفهام التقريري يكشف التناقض الداخلي في الدعوى فلو احبهم الله لما عاقبهم ، ثم يضع الخطاب حداً فاصلاً بإثبات بشرية الجميع بقوله تعالى **{ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ } (المائدة ،الاية 18)** بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ كَسَائِرِ بَنِي آدَمَ مَجْزِيُّونَ بِالْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ، ،يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ فضلا وهم أهل الطاعة وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ عدلا وهم العصاة (البغوي ،1417هـ،34/3)

وعليه فالخطاب نقض الادعاء وإعاد ضبط مفهوم المفاضلة وقرر ان الخيرية والفضل لا تكتسب بالانتساب ولا بالهوية الدينية وانما بالتقوى والعمل الصالح .

ثالثاً : ادعاء التفرد بالجنة : ويشير الخطاب الى أن المفاضلة العنصرية التي مارسوها لم تتوقف عند حدود الدنيا بل امتدت لتشمل ادعاء احتكار الجنة لأنفسهم، كما بينه قوله تعالى : {وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ } فهذا نوْع آخر مِنْ قبائِحِهِمْ وهو ادِّعاؤهمْ أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون النّاسِ، واعتقادهم أنّ انتسابهم إلى أكابرِ الْأَنْبِياءِ عليهم السلام أغْنِي يعْقوب وإِسْحاق وإِبْراهِيم يخلِّصهمْ مِنْ عِقابِ اللهِ تعالى ويوصِّلهمْ إِلى ثوابِهِ، ثمّ إِنّهمْ لِهذِهِ الْأَشْياءِ عظّموا شأْن أنْفسِهِمْ. (الرازي ،1420هـ،605/3)

وتولى الخطاب الرد عليهم فقال تعالى : **{ تِلْكَ أَمَانِيُّهُم}** أشير بها إلى الأمانى المذكورة كأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة فهلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كُنتُمْ صادقين في دعواكم (النسفي ،1419هـ،121) فتلك أمانيهم الباطلة التي لا تستند على أساس من النقل أو

العقل، ويرد الله عليهم: بل يدخل الجنة من أسلم وجهه لله وانقاد له وهو محسن في عبادته وعمله واعتقاده، وهؤلاء أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.(الخطيب ،1383هـ،67) وقد أبطل الخطاب القرآني هذا المسلك، حين **ربط الخيرية الحقيقية بالإيمان والعمل، لا بمجرد الانتساب.قال تعالى في بيان المفاضلة المحمودة المرتبطة بالحق الإلهي والفضل الحقيقي الذي لا يقاس بالانتماء الاجتماعي بل يوزن بميزان الرضا الإلهي : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }**(ال عمران ،110) وقد ورد في سبب نزولها انها نزلت في نفر من خيار الصحابة هم ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا قالا لهم: إن ديننا خير مما تدعونا إليه ونحن خير وأفضل منكم فأنزل الله هذه الآية.(ابن حجر،د.ت ، 733/2) ويُنبه الراغب الاصفهاني إلى ان قوله تعالى(كنتم خير أمة)ليس اخباراً عن خيرية مطلقة غير مشروطة ،بل توصيف قائم على تحقيق شروطه اذ يقول : (كنتم فيما قضيت وقدرت وبنيت عليه الشرائع خير أمة بشريطة أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله فقد تقدم إن هذه الشريعة أكمل الشرائع) (الأصفهاني،1420هـ،790/2) ويؤكد فخر الدين الرازي هذا المعنى ،فيقرر ان وصف الخيرية لهذه الأمة معلل بهذه العبادات ،لا قائم بالذات أو الانتماء ،ويقول : (فاثبت وَصْفِ الْخَيْرِيَّةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ،مُعَلَّلَةً بِهَذِهِ الْعِبَادَاتِ)(الرازي، 1420 هـ ،325/8). وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْأُمَمَ إِذَا فُضِّلُوا أُمَّةً أُمَّةً كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ خَيْرَهَا(أبو حيان الأندلسي،د.ت،301/3) ، ولعل فكرة الاستعلاء هذه راودت بعض المسلمين فقالوا نحن خير أمة أُخرجت للناس، وأن الله متجاوز عما يقع منّا على أساس من ذلك تيسير التفسير (إبراهيم القطان،د.ت،344/1).

ومن هنا يتضح ان هذا التقرير الإلهي الدقيق لا يقرر أفضلية ذاتية ثابتة،وأنه لم يسلم من توهم بعض المسلمين أن مجرد الانتساب الى هذه الامة كاف لتحصيل الفضل والنجاة ،وهو فهم يحول النص من تكليف الى امتياز ،و يمتدّ هذا الوهم في بعض النفوس، فيرون أن الانتساب لعائلة (صوفية) أو (جماعة) يضفي عليهم فضلاً ذاتياً، أو أن حفظ القرآن وتعلم العلوم الشرعية كاف للنجاة، ولو غابت النية الصادقة والسلوك المستقيم. ويبالغ بعضهم في تزكية النفس لمجرد أداء الشعائر الظاهرة دون إخلاص أو خشية.وكلها صور معاصرة تُعيد إنتاج المفاضلة المذمومة، وإن اختلفت الأسماء والمظاهر.

المطلب الرابع: المفاضلة المذمومة بالكثرة في مقام المواجهة وباعثها :

فإن الكثرة لا يمكن ان تكون مقياساً حقيقياً للمفاضلة، فهي مقياسٌ مضلل متى انفصل عن مقاييس الله تعالى ؛ لأن الخطاب القرآني يقرر أن الأفضلية والغلبة لا يمكن ان تكونا بالكثرة العددية

أولاً : الكثرة عدداً ومالاً :

فإن الرد القرآني ينقض هذا المنطق القائم على الوهم العددي ويعيد توجيه الوعي نحو القيم الايمانية واصفاً إياها الأساس الحقيقي للتمكين ، أ- قصة طالوت (نقض الكثرة العددية)صقال تعالى: {... قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) } **(سورة البقرة،الاية 249)**يخبر الله تعالى عن طالوت ملك بني إسرائيل حين خرج في جنوده، ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل، فانخزل عنه أهل الشرك والنفاق، وهم الذين قالوا: {قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } ومضى أهل البصيرة بأمر الله على بصائرهم، وهم أهل الثبات على الإيمان .**(الطبري ،1422هـ،349/5)**

فالمفاضلة المذمومة تتجلى بربط المتخاذلين النصر بالكثرة المادية **فلأنهم أكثر منهم ، وكانوا** مائة ألف، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.(الماتريدي،1426هـ،228/2)

فنظروا إلى الحال بعين الظاهر فداخلهم شيء من رعب البشرية، فربط الله على قلوبهم بما ذكرهم من نصرة الحق سبحانه لأوليائه إذا شاء (القشيري ،د.ت،193/1)ولأنهم استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم، فشجعهم علماؤهم العالمون بأن وعد الله حق، فإن النصر من عند الله ليس عن كثرة عَدد ولا عُدد.(ابن كثير ،1420هـ،236/2) وتعبر هذه الصورة عن آلية الخطاب القرآني في اسقاط مقياس الكثرة واقصاه من دائرة الاعتبار التقويمي .

ب- انفاق الكافرين (نقض الكثرة المالية): ذ لا يقتصر نقض هذا المقياس على الكثرة العددية بل يمتد ليشمل الكثرة المالية بوصفها صورة أخرى للكم المذموم ،فعمد الخطاب الى فضح وهم المفاضلة بكثرة المال وكشف عن توظيفها في الاستعلاء على أهل الحق وادعاء الغلبة ،ويصور لنا الخطاب الذل والهوان لاصحاب هذا الاعتقاد وان مثل هذه المفاضلة مذمومة ومدحوضة عنده سبحانه قال تعالى عن إنفاق الكافرين: {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36)}. (سورة الانفال

،الاية 36)نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أُحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة، فقاتل بهم النبي ص ،أى كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد ص وهو سبيل الله.(الزمخشري ،1407هـ،219/2) فكانت عاقبة نفقتهم ندامة لأنهم لم يظفروا وليميز الله تعالى أهل السعادة من أهل الشقاء، أنهم لما عظَّموا الأموال في الدنيا، أراهم هوانها بالقائها في النار في الاخرة. (ابن الجوزي ،1422هـ،210/2))

ومما سبق يتبين ان الباعث على صورة المفاضلة بالكثرة في مقام المواجهة هو الاعتقاد بأن الغلبة والنصر مرهونان بالكثرة العددية والقوة الظاهرة، لا بالإيمان والحق، وهو باعث نابع من ضعف اليقين بالله، وقياس النصر بمقاييس بشرية مادية، تغفل السنن الإلهية القائمة على التمكين للمؤمنين ولو كانوا قلة.

ثانياً : نوح والواقع المعاصر (رسالة القران في مواجهة الكثرة):

تجسد قصة نوح –عليه السلام –أعلى مراحل الخطاب القرآني في اسقاط وهم الكثرة ،إذ يؤكد الخطاب ان قلة الاتباع لا تضعف الحق ولا تقلل من قوة حجيته كما في قوله تعالى : {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}.(هود ،الاية 40)

إن الذين آمنوا مع نوح كانوا ثمانين نفساً وهم قلة ؛لأن ثمانين قليل في جُمْلَةِ أُمَّةِ قَوْمِ نوح أي نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهر هم ألف سنة إلا خمسين عاما(الزجاج ،1408هـ،52)

ويتضح بأن الحق لا يُقاس بعدد أتباعه، بل بصحة دليله،وقيمة من يتمسكون به،فيما تعد المفاضلة بالكثرة علامة على السطحية والانبهار الجمعي ، **وقد نبّه القرآن الكريم إلى خطورة هذا الانحراف المعرفي، وردّ المفهوم السائد بأن الكثرة العددية هي سبب النصر، واعاد توجيه الفهم إلى أهمية الإيمان والثبات**،فقال تعالى : {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... }(سورة الانعام ،الاية 116)وهنا يوجه الخطاب ان أهل الله قليلون عددا وإن كانوا كثيرين وزنا وخطرا، وأمّا الأعداء ففيهم كثرة ؛ولأنّ الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم (الزمخشري ، 1407هـ،2/6)

ومما سبق يحذر الخطاب القرآني من الركون الاعمى للأكثرية على الأرض ،وهذا التحذير نسبي ، لا ينفي ان الأكثرية قد تكون على الحق احياناً ،ويكشف الواقع المعاصر ان الحق لا يقاس بعدد الناس بل بالايمان والاستقامة ، فالشهرة تُعطي وزناً يفوق القيمة الحقيقية للمضمون أو الأخلاق ، وكأن الرأي

الجمعي،وتصويت الملايين ضمانة للحق،في عصرنا اليوم كثير من الناس يقيسون الفضل على أساس الكثرة العددية فمثلاً :يعتبر عدد المتابعين على مواقع التواصل الاجتماعي مقياس للتأثير ،عدد المتظاهرين مقياس لصحة الموقف أو الأفكار ،متناسين ان الخطاب وضح المعيار أو المقياس الحقيقي للمفاضلة هو العدل والتقوى لا الكثرة ،وهذه الصورة(المفاضلة بالكثرة) قطرة من غيث في بحر المفاضلة المذمومة وهي امتداد للمفاضلة الجاهلية ، فيقدم رأي الكثرة على حساب إغفال حجة القلة، وإن كانت قائمة على البرهان.

المطلب الخامس: المفاضلة بالانساب ومفاضلة الذكر على الانثى المذمومة :

تعد المفاضلة بالانساب وتفضيل الذكر على الانثى من أهم وأوضح صور التفاضل المذموم ،والتي عرفها المجتمع منذ الجاهلية واستمرت اثارها حتى العصر الحاضر ،ويمكن تقسيم هذه الصورة من المفاضلة غير العادلة إلى قسمين :

أولاً : المفاضلة المذمومة بالأنساب:

فإن المفاضلة بالانساب من أبرز صور المفاضلة المذمومة التي استقرت في وعي الناس منذ القدم وظلت راسخة في اذهانهم حتى يومنا هذا ،فاعتدوا بالعشيرة وتفاخروا بالانساب ، حتى باتت معياراً زائفاً لرفع الإنسان أو خفضه، وقد واجه الخطاب القراني هذا المنطق ،فنقله من كونه قيمة منشئة للتفاضل الى كونه مجرد إطار للتعارف ،والتنظيم الاجتماعي ،نافياً ان يكون للنسب في ذاته أي قيمة اخلاقية أو حكم تشريعي يبنى عليه التفاضل ،ويقرر القرآن هذا التحول بوضوح في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) } (الحجرات: 13) فقوله تعالى : {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}.وقد نبه الشافعي الى ان الغاية من جعل الشعوب والقبائل ليست التفاخر بالاباء وانما التعارف الذي تنتظم به شؤون الناس (الشافعي ،1427هـ، 1281/3) .

،وهو ما أكده الماتريدي حين بين ان النسبة الى القبائل انما هي علامة تعريف؛ ليعرف بعضكم بعضًا بالنسبة إلى القبائل والأفخاذ؛ فيقال: فلان التميمي والهاشمي.(الماتريدي ،1426هـ ،337/9)

ويحسم الخطاب وهم التعالي بالانساب والتفاخر بها حين ينقل المشهد الى الاخرة ،حيث تنتفي قيمة الروابط والاعتبارية ،ولا يبقى إلا الحساب الفردي لكل انسان ،قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ}. (سورة المؤمنون: 101)

وقد اجمع المفسرون على ان المراد ،زوال اثر النسب عند الجزاء فلايسألُ أَحدٌ يومَئِذٍ بنسبٍ شيئًا، ولا يَمُتُّ إليه برحمٍ وينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة لاشتغال كل أحد بنفسه ولا يتفاخرون كما كانوا يفعلون في الدنيا(الطبري ،1422هـ ،113/17؛والثعلبي ،1422، 257/7؛والكرماني ،1429هـ،1656) وهذا المعنى تؤكده آيات الفرار من الاقربين كقوله: { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} (عبس: 34)فتكون الأنساب كأنها معدومة فلا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل أحد بنفسه.(ابن جزي ،1416هـ ،57/2).بما يكشف عن هشاشة رابطة النسب اذا عزلت عن الايمان والعمل ،وحين يبطل الخطاب الولاية القائمة على النسب ،يجعل الولاية المبنية على الايمان وحدها ذات اثر حقيقي ،قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (المائدة،الاية 55)ليس لكم أيُّها المؤمنون ناصرٌ إلا اللَّهُ ورسولُه والمؤمنون الذين صِفَتُهم ما ذكَر تعالى (الطبري ،1422هـ ،529/8)كما يؤكد قوله تعالى :{يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا}(الدخان: 41) لا ينفع قريب قريبًا، ولا يدفع عنه شيئًا(الواحدي ،1415هـ ،91/4) تنبيهاً أن لكل واحد ما يستصحبه من الإيمان والأعمال الصالحة(الاصفهاني ،1420هـ، 182) وتتأكد هذه الدلالة في الخطاب النبوي الذي صرح بابطال التفاخر بالاباء ،وعده من بقايا الجاهلية محذراً من تحويل تاريخ الاسلاف الى ذريعة للتعالي قال رسول الله ص «...لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ.»(أبو داود،1430هـ،438/7) القصد هنا هو تفاخر الناس بأنسابهم وبما حصل لابائهم أو أجدادهم من مناقب ومفاخر، فتتولد لديهم روح التعالي والتكبر على الآخرين. وهذه السلوكيات تعد من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام ليبطلها ويحذر منها، مؤكداً أن التفاضل الحقيقي لا يقوم على النسب أو الميراث الاجتماعي، بل على الفضيلة والتقوى والعمل الصالح.(عبد المحسن العباد،د.ت،581/25)

ومما سبق يتضح ان الخطاب القرآني يسقط منطق المفاضلة الجاهلي في صوره القديمة والمتجددة ،لكونه خاضعاً للأهواء البشرية ،ومفتقراً الى معيار الحق ، وبهذا تتكشف أنماط التفاضل المعاصرة التي ما تزال توظف النسب أداة للاقصاء على الرغم من تعارضها الواضح مع مقاصد الخطاب القراني .

ثانياً :المفاضلة المذمومة بين الذكر والأنثى في الخطاب القرآني :

يقر الخطاب القرآني ببعض الفروق المحدودة بين الذكر والأنثى بما يتوافق مع مقتضيات العدالة الإلهية والحكم التشريعية ،غير انه في الوقت ذاته يرفض التفاضل البشري المنحرف الذي يجعل الجنس معياراً للقيمة والكرامة الإنسانية ،وقد سجل الخطاب القرآني مظاهر هذا الانحراف في الممارسات الجاهلية حيث كان المجتمع يقيس قيمة الانسان بنوع جنسه ،قال تعالى :{وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}(النحل ،الاية 58) **تتضمن هذه الآية ذماً ووعيداً لمن يكره البنات، وينقبض صدره من زيادتهن ؛لما في ذلك من نزغة جاهلية منحرفة ، بل ان الهدي القرآني يقتضي إظهار البسط والبرور بهن أكثر من الذكور، اذ أن النفقة عليهن أكثر ثوابًا من النفقة على الذكور(ابن عجيبة ،1419هـ،138/3)**

وتكشف هذه الصورة القرآنية عن انفعال نفسي واجتماعي متجذر في البنية الثقافية الجاهلية حيث كانت قيمة الإنسان تُقاس بنوع جنسه؛ فكان البنون رمز للعزّ والمنعة، في حين عُدت البنات مصدر عار وهوان. وقد عبر الخطاب القرآني عن حالة الانكماش بلغة تصويرية دقيقة فـ(اسودّ وجهه) دلالة على الخزي الاجتماعي والشعور بالعار.بينما تشير عبارة (يتوارى من القوم) إلى ضغط الرأي العام وسطوة الأعراف الذكورية التي تملي على الفرد سلوكه.ثم يأتي الحكم الإلهي القاطع (ألا ساء ما يحكمون) أَي: بئس مَا يحكمون، وحكمهم: تفضيل البنين ووأد الْبَنَات.(السمعاني ، 1418هـ،181/3) وهو تعقيب تقريري على هذا الموقف**المنحرف الضال، الذي اتخذه المشركون تجاه مواليدهم،لما فيه من تمييز جائر بين الذكور والإناث(الخطيب ،د.ت ،311/7)..**

وقد توارثت أمم كثيرة هذا الجهل على تفاوت بينها ، ومن آثاره حرمان البنات من حقوقهن المالية ولا سيما الميراث بوسائل احتيالية وهو امتداد صريح لسنن الجاهلية(ابن عاشور،د.ت ،145/30)

وفي سياق معالجة هذا الانحرافات نزل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ }(النساء: الاية 19) جاءت هذه الآية ناهية عن صورة من صور الامتهان الجاهلي اذ كان الرجل إذا مات كان أولياؤه أحق بامرأته من نفسها وأهلها.(الواحدي،1412هـ،147) كما يشمل النهي العضل:أي التضييق على المرأة ومنعها من الزواج طمعاً في مالها.(الراغب الأصفهاني،1420هـ،1151/3) ومن هنا يؤكد المفسرون ان هذه الآية قطعت ما تبقي من أعراف الجاهلية التي تهضم حقوق النساء.(228المراغي ،)

ويأتي التوجيه النبوي لدعم هذا الإصلاح الاجتماعي سواء عبر تصحيح الأسماء ذات الدلالات السلبية أو تشجيع الاحسان اليهن ، ففي الحديث الصحيح ،انَّ ابْنَةً لِعُمَرَ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا عَاصِيَةُ. فغير رسول الله ص اسمها إلى جميلة.(مسلم ،1374هـ،1687/3)؛كراهة لما تحمله تلك الأسماء من بقايا القيم الجاهليةوآثارها النفسية والاجتماعية (التوربشتي،1429هـ،1043/3) ، كما قرر الإسلام فضل الاحسان الى البنات رفعاً لمكانتهن بعد ما لحق بهن من تصغير وامتهان ،فقال رسول الله ص « مَنْ ابتلي من البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له سترا من النار ».(مسلم ، 1374 هـ،2027/4) وإِنَّمَا سَمَّى ذلك ابْتِلَاءً؛لأن النَّاسَ جرت عادتهم على كراهتهن (النووي، 1392هـ،179/16) كما بين ان الإحسان اليهن وتربيتهن اصلاح لما افسدته ثقافة الجاهلية من تصورات منحرفة (الراجحي ،1439هـ،403/7)

ومع الأسف ،لا يزال الإرث الجاهلي حاضراً في بعض المجتمعات الإسلامية إلى يومنا هذا، حيث يتجدد الحزن عند ولادة الأنثى وقد يبلغ الأمر إلى الطلاق أو القطيعة ،وذلك نتيجة الجهل بأن العطاء في الذرية من تدبير الله وحده (الراجحي ،1439هـ،403/7)

ومن المهم الإشارة الى ان كراهية البنات أو قتلهن كان من سنن الجاهلية التي جاء الًسلام لاجتثاثها ؛اذ ان الله ابغض فاعلها وقد ورد في الحديث الصحيح أَنّ النَّبِيَّ ص قَالَ: (أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: ....، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ... »(البخاري، 1414 هـ،2523/6) أي من دخل في الإسلام ثم طلب أو تمنى أفعال الجاهلية كقتل الأولاد أو احتقار الإناث ،وهو من أعظم صور الانحراف العقدي والسلوكي،فيكون ابغض الناس الى الله تعالى (مظهر الدين الزيداني،1433هـ،239)

وترى الباحثة ان المفاضلة المذمومة بين الذكر والانثى تمثل انحرافاً في الوعي الاجتماعي ،لا اصلاً تشريعياً في الخطاب القرآني ،اذ واجه القرآن هذا الانحراف مواجهة حاسمة ،فجرّم وأد البنات ،وأدان ازدراء الأنثى ،محولاً الممارسة الجاهلية من سلوك اجتماعي مألوف إلى جريمة أخلاقية يُسأل عنها صاحبها يوم القيامة .ويكشف واقعنا المعاصر عن استمرار بعض صور هذا الإرث الجاهلي ،وان تغيّرت أدواته وأشكاله ،ويعد حرمان المرأة من ميراثها – في بعض البيئات ،تحت ذرائع عرفية أو ضغوط اجتماعية–مثالاً عملياً على إعادة انتاج المفاضلة المذمومة ،رغم ان النص القرآني الصريح قرر للمرأة نصيباً مفروضاً لا يقبل التعطيل ولا الاجتهاد.ويؤكد ذلك أن الخلل في الممارسة لا في النص ،وهذا يستلزم قراءة مقاصدية واعية للخطاب القرآني ،تعيد الاعتبار للعدالة بوصفها أساساً حاكماً للعلاقة بين الجنسين .

المطلب السادس : المفاضلة المذمومة بدافع الحسد وإنكار التفضيل الإلهي.

تتجلى إحدى صور المفاضلة المذمومة في الخطاب القرأني في تلك التي لا تبنى على معيار موضوعي معتبر كالتقوى أو العمل، وإنما تنشأ بدافع الحسد والغيرة من النعمة التي أفاضها الله على عباده ، فيقترن الحكم فيها بإنكار فضل الله ،لا بتقويم عادل ،ويكون الحسد في هذه الحال هو العلة الباطنة للرفض ،والسبب الحقيقي للاعتراض على التفضيل الإلهي .

وقد عرض الخطاب القرآني هذه الصورة عرضاً كاشفاً ،حين بيّن اعتراض بعض أهل الكتاب على اصطفاء الله للنبي محمد ص بالرسالة، مع علمهم بصدقه وأمانته في قوله تعالى : {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...}(النساء: 54) وقد ذهب جمهور المفسرين إلى ان المراد بالناس في الآية هو النبي محمد ص ،اذ حسدوه على ما اتاه الله من فضل النبوة والنصرة لا لخلل في الرسالة ،وانما لانه لم يكن منهم (ابن حجر ،د.ت،889/2). وذهب الماوردي الى ان المراد بالناس إما العرب عموماً ، أو أنه محمد ص خاصة (الماوردي ،د.ت ،496) وجاز إطلاق لفظ الناس عليه لما اجتمع فيه من خلال (الخير) ما يقوم مقام جماعة ، ومن هذا يقال: فلان أمَّة وحده (الواحدي،1430 هـ ،524/6) فالفضل المشار اليه لا يقتصر على النبوة بل يشمل ما اقترن بها من النصرة والإعزاز وجعل النبي الموعود من غير بني إسرائيل (البيضاوي،1418هـ،79/2). **ومن ثم كان باعث المفاضلة المنحرفة عندهم هو الحسد الكامن**

حيث انتزع منهم شعور الاستحقاق الموهوم ، فقابلوا التفضيل الإلهي بالانكار والاعتراض لا بالرضا والتسليم ويؤكد

هذا المعنى قوله تعالى : {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} (سورة البقرة ،الاية 109)حيث يكشف الخطاب القرآني ان الحسَد نابع من الداخل النفسي ،لا من حجة موضوعية ،وانه مرتبط بكون الرسول لم يبعث منهم ولو كان كذلك لارتضوه تابعاً لهم (الطبري ،1422 هـ ،421/2).

وتتكرر هذه الملامح النفسية ذاتها في قصة اخوة يوسف ،اذ حكموا على اخويهم بمفاضلة منحرفة لا تستند الى معيار من الصلاح والتقوى ،وانما الى حسد دفين وغيرة من محبة ابيهم ، فأنكروا التفضيل القائم على المحبة والاصطفاء، وعدوه ظلماً وسعوا الى ازالته بالقوة قال تعالى : **{إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) }** (سورة يوسف ،الاية 8)

ويكشف وصفهم اباهم بالضلال على أساس مفاضلتهم ؛اذ رأوا ان **اثنين على عشرةٍ مع استوائهم في كونهم أولادًا له،يعد خطأ في التقدير وسوء تدبير (النسفي،1440هـ،318/8) . لا سيما وهم يرون أنفسهم أنفع له في شؤون المعاش والحماية** (حجازي،1413هـ، 164/2)

فالمعيار عندهم لم يكن معيار القيم ،بل معيار القوة والمنفعة العددية ،وهو معيار يعكس خللاً في الوعي ،لا خللاً في محل التفضيل .

ويحسم الخطاب القرآني هذه التصورات المنحرفة بتقرير قاعدة كلية مفادها ان الفضل الإلهي لا ينال بالاهواء ،ولا يدفع بالحسد ،وإنما يعطى بحكمة الله وعلمه ،كما في قوله تعالى : **{...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** (سورة الانعام ،الاية 124)المعنى : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أهل للاصطفاء وأَحَقُّ بِالرِّسَالَةِ.(البغوي،1416هـ، 186/3)ولا تكون النبوة بالشَّهوات، وإنَّما تكون بتخصيصِ الهي (النسفي،1440هـ،205/6) ولا تُحصل لمن يطلبها، ولا تمنح لمن امتلأت نفسه بالحسد والمكر (الخازن،1415هـ،154/2)

ويتضح من عرض القرآن لإعتراض أهل الكتاب على نبوة محمد ﷺ، ومن تصويره لحسد إخوة يوسف لأخويهم، أن النفوس المريضة لا تنكر الفضل لقصور فيه ،بل لأنها لم تكن مصدره ، ولم يوافق

أهواءها ،وهي صورة تتكرر في الواقع الإنساني بأشكال متعددة، حيث يُرفض الفضل أو يُشكك فيه، لا لخلل في المتفضل عليه ، بل لعجز النفوس عن تقبل ما آتاه الله غيرها من نعمة واصطفاء .

المبحث الثالث :

آليات معالجة الخطاب للمفاضلة المذمومة

فإن الخطاب القرآني لم يكتفِ بإدانة المفاضلة المذمومة ، بل قدّم منهجاً علاجياً متكاملاً ،إعاد من خلاله توجيه نظر الإنسان نحو معايير ربانية عادلة ،وقد تنوّعت آلاليات التي اعتمدها الخطاب في المعالجة بما يضمن استئصال جذور هذه المفاضلة الظالمة من النفس والمجتمع. ويمكن إبراز ذلك من خلال المطالب الأتية :

المطلب الأول: آلية نقض معاييرالتفاضل البشرية المذمومة ومنها المفاضلة في الجنس :

أولاً : تأسيس الخطاب القرآني لمعيار التقوى وابطال غيره : يشكل مقياس التقوى محور المفاضلة الحقّ في الخطاب القرآني ،اذ يعاد من خلاله ضبط قيمة الفرد خارج محددات الحسب والنسب واللون والمال والجنس ،فيسقط الخطاب مقاييس البشر ويؤسس لمقياس رباني تتقوم به كرامة الفرد على أساس النية والعمل الصالح ،قال تعالى : **{...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (سورة الحجرات ،الاية 13)**جاء في سبب نزولها لما كان يوم الفتح؛ رقى بلال فأذن على الكعبة، فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهرالكعبة ... وفي رواية (أَمَّا وَجَدَ مُحَمَّدٌ غَيْرَ هَذَا الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ مُؤَذِّنًا؟!: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ شَيْئًا يُغَيِّرْهُ، فَأَتَى جِبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيَّ ص وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا، فَدَعَاهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَأَقَرُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَزَجَرَهُمْ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ والتكاثر بالأموال والازدراء بِالْفُقَرَاءِ.(الواحدي ،1411هـ، 765) فإن أرفعكم منزلة عند الله أتقاكم(الشافعي ،1427 هـ،1281/3)

والتقوى هي التحرّر من النفس وأطماعها وحظوظها. فأكرم العباد عند الله أبعدهم عن نفسه وأقرب إلى الله تعالى (القشيري ،د.ت ،444/3)والمعنى :إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب (ابن كثير ، 1431 هـ،723/6.)

والخطاب بهذه الآية يؤسس لمجتمع يجعل الأصل في التقييم أخلاقيًا وروحيًا، لا طبقيًا ولا ماديًا **فهذه الاية بحق معالجة قاطعة تنهي الجدل حول معايير المفاضلة الزائفة،** كالمفاضلة بالقومية واللون والجنس ، وتُغلق الباب أمام المفاضلات المذمومة بكل أشكالها

ثانياً : المعالجة النبوية لانحرافات التفاضل المذمومة :

وبعد التأسيس والمعالجة القرآنية تأتي السنة تعزز هذا الأساس وتترجمه الى توجيهات عملية فيقرر النبي ص في خُطبة الوداع ما قرره الخطاب القرآني فيقول ص :«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟» قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ (احمد بن حنبل 1421هـ،474/38) قال أهل العلم هذا في الازدراء بالناس والتحقير لهم والاستطالة بالنسب على من يكون خامل النسب.(الفيومي، 1439هـ،757/11)

وترى الباحثة ان الحديث هو اعلان لزوال المفاضلات الجاهلية وفي ذات الوقت هو تأسيس مجتمع يقوم على العدالة الروحية .

وفي توجيه اخر لنبينا الكريم ينقض الظاهر ويحرر الناس من المفاضلة الظالمة بالمال او أفعال الرياء **،قَالَ رَسُولُ اللهِ ص: « إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ** .» (مسلم ،1433هـ،11/8)، أَي أَنه لَا يعْتد بِمَا يظْهر على ظواهركم إِذا لم تكن مُوَافقَة لبواطنكم(ابن فورك،1985م،270)

ويتضح التوافق والانسجام المنهجي في نقض المفاضلة المذمومة بين الخطاب القراني والسنة النبوية ،اذ يسقطان مقاييسها الجاهلية ،ويشتركان في معالجة نزعات الناس الاستعلائية في العمل والعطاء ،فالفعل الظاهر لا يُنظر له لكن ينظر الى القلوب وهذا يتوافق مع قوله تعالى : {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} (سورةالمدثر:الاية 6)

فسرت الاية بانها تِلْكَ الْهَدِيَّةُ تُهْدِيهَا لِيُهْدَى **لَكَ خَيْرٌ مِنْهَا لَيْسَ لَكَ فِيهَا أَجْرٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ فِيهَا وِزْرٌ، وَنَهَى عَنْهَا النَّبِيُّ ص ،فلا تُعط فِي الدنيا شيئًا لتصيب أكثر مِنْهُ ، أي لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت** (السمين الحلبي،د.ت،535/10)

وترى الباحثة ان النهي في (لا تمنن)هو علاج لميل النفس الى المفاضلة الذاتية عبر العمل الظاهر وقوله تعالى (تستكثر) كشف عن الدافع المذموم قد يكون مديح أو مقابل دنيوي أو شعور بالتفوق ، وبهذا يكون الخطاب القرآني قد عالج أصل المفاضلة المذمومة بنهيٍ موجز، إيحاءً بأن الإخلاص هو الأصل، وأن المنّ هو الانحراف عنه.

وبعد هذا النقض القرآني لموازين الناس المذمومة في التفاضل ،وقرر معيار التقوى ميزاناً ربانياً عاماً يأتي تطبيق هذا المبدأ في أبرز ميادينه ،وهو ميدان المفاضلة القائمة على الجنس فيواجه الخطاب القرآني هذا الموروث الجاهلي بنقض صريح يعيد للمرأة مكانتها وكرامتها .

ثالثاً: تطبيق مقياس التقوى في ميدان المفاضلة بالجنس :

جاء الخطاب القرآني بمنظومة إصلاحية تهدم موازين الانتقاص وترسي معايير المفاضلة الحقة ،وقد اتخذ هذا الرد أبعاداً متعددة :

أ.تثبيت المساواة في الأصل الإنساني ونقض المفاضلة بالجنس : قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات: 13) فأكرم العباد عند الله من كان أبعد عن نفسه وأقرب إلى الله تعالى(القشيري ،د.ت ،444/3) فالآية تُقرر بوضوح أن الكرامة الإنسانية شاملة للذكر والأنثى على حد سواء، وأن التفاضل الحقيقي مناطه التقوى لا الجنس.

ب. إبطال التمييز في الجزاء الآخروي وإرساء مقياس العمل ::قال سبحانه:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(النحل: 97) وهذه المساواة في الثواب تُبطل كل زعمٍ بتفوق الذكر على الأنثى في القيمة أو الجزاء الإلهي، وتؤكد أن العمل الصالح هو الميزان الوحيد للتقدير الرباني.

ج. عدالة التكاليف وتوازن الأدوار :

فان الخطاب لا يقف عند تقرير المساواة في الأصل والجزاء بل يمضي قدماً الى وضع منظومة تضبط الحقوق والواجبات محافظاً على اصل الكرامة الإنسانية ،قال تعالى:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾(البقرة ،الاية 228) أي للنساءِ مثل الذي عَليهنَّ بما أمر الله به من حق الرجل على المرأة(

الزجاج، 1408 هـ ،306). وقوله: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ} هو من وجه تنبيه لفضل الرجل على المرأة بالجملة، ومن وجه كالاستثناء بأن له عليها حقا، ليس لها عليه(الاصفهاني ، 1420 هـ ،469)

فالدرجة دلالة على حق زائد يقابله تكليف أثقل، لا امتيازاً مطلقاً ،ويعضد هذا الفهم ما ورد في سياق قصة أم مريم: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} اذ يبرز الخطاب القرآني حقيقة التغاير ؛فالأنثى ليست كالذكر في تركيبها الجسمي، ولا في تركيبها النفسي، ومن ثم فلا بد أن تكون وظيفتها الحياتية تختلف عن وظيفة الذكر، ولا بد أن يترتب على ذلك اختلاف في المسئوليات، واختلاف في الحقوق والواجبات، **ومن أراد المساواة المطلقة بين الرجال والنساء،** فليسو بينهما في التركيب الجسمي والنفسى أولا ثم فليطالب .(سعيد حوى،1405هـ،762/2) ،فجاء التعقيب الإلهي ليقطع الطريق عن الأحكام القاصرة التي تصدر عن البشر :(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ) التعظيم للموضوع والرفع منه، ومعناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها.(الزمخشري ، 1407 هـ،356/1)

وترى الباحثة وكما بيّن المفسرون أن هذه الدرجة ليست تفضيلاً في الكرامة، بل هي درجة في الوظيفة والتكليف،فيؤسس الخطاب ان المفاضلة في الإسلام توزيعاً حكيماً للأدوار في إطار كرامة إنسانية محفوظة وبهذا ينسف المفاضلة القائمة على الجنس ،لينتقل بعد ذلك الى تقرير ان التميّز الحقّ فضل إلهي لا مكسب بشري .

المطلب الثاني: المفاضلة في ميزان الخطاب القرآني عطاء رباني لا مكسب بشري:

فإن الخطاب يوجه ان المفاضلة بين البشر ليست محل نزاع بل مفاضلة ربانية ،وهذا ما تحدثت عنه سابقاً في صور المفاضلة وتحديداً انكار التفضيل الإلهي حسداً وبينت ان المفاضلة بمشيئة الله واختياره وحكمته ،وهذا يسقط أي مفاضلة ناتجة عن حسد أو عنصرية أو طبقية، وقد ثبت القرآن هذه الحقيقة وبين ان الفضل لا ينال بالهوى ،فقال تعالى رداً على الاعتراض على نبوة رسولنا الكريم ص : **{ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4)}** (سورة الجمعة ،الآية 4) يعني: ما أعطاه الله محمدًا ص من النبوة العظيمة، وما خصَّ به أُمته من بعثته ص إليهم (ابن كثير ،1431هـ، 273/7.) .

ذلك الذي امتاز به محمد ص من بين سائر البشر من التوفيق فضل من الله، وقطع الأسباب في الجملة في استحقاق الفضل؛ إذ علقه بالمشيئة في قوله: {يؤتيه مَن يشاء} تفضُّلاً وعطية، {والله ذو

الفضل العظيم} الذي يُستحقر دونه نِعم الدنيا والآخرة،وفي قوله تعالى : { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ **} (سورة القصص ، الاية 68) أي ان الله تعالى يختار للرسالة،ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ أي لا يرسل الله الرسل على اختيارهم. ، وما كان لهم أن يتخيروا غير ما اختار الله تعالى؛ لأنهم لا يعلمون وجه المصلحة.(الاصبهاني ، 1415 هـ،293)**

ومن هنا، فإن الخطاب القرآني لا يكتفي بإثبات أن المفاضلة بيد الله تعالى، بل يؤكد كذلك أن الحسد والبغضاء لا يجوز أن تتحول إلى مبرر للظلم أو التحيّز. فجاء التحذير صريحًا في قوله تعالى:**{... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}** (سورة المائدة ،الاية 8)

ولا يحملنكم عداوةُ قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة(الطبري،د.ت ،95/10) .أن العدل، هو أقرب الطرق الموصلة إلى تقوى الله وخشيته، وأَنسبُ الطاعات لها. (المجمع، 1414 هـ،1027/2)

فإذا كان العدل هو الأقرب للتقوى، فإن نقضه بدافع الكراهية أو الحسد يعد انحرافاً عن جوهر الدين، وتشويهاً لمقصد المفاضلة الربانية، وبذلك يتبيّن أن المفاضلة المحمودة ليست حقاً ينتزع، ولا مرتبة تُنال بالحيلة أو السلطة أو النسب، بل هي ميزان إلهي منضبط بالعدل والتقوى، يسقط أمامه كل تفاضل طبقي أو عرقي أو حزبي أو عنصري .وإذا قرر الخطاب القرآني أن المفاضلة عطية إلهية لا مكسباً بشرياً ، فإنه ينتقل بعد ذلك إلى نقض البنية الداخلية لدعاوى التفضيل الزائفة، مظهراً ما تنطوي عليه من تناقض بين الادعاء والحقيقة.

المطلب الثالث : آلية كشف التناقض الداخلي في دعوى المفاضلة :

تعد هذه الآلية من أنجع الآليات الخطابية؛ إذ لا يهاجم المتفاضل مباشرة، بل يكشف على أنه يناقض منطقه أو يُسقط نفسه بنفسه، مما يُضعف حجّته دون الحاجة إلى مواجهة صريحة فالمفاضلة المذمومة تقوم غالباً على وهم دنيوي (كالنسب أو المال أو الجاه)،

أولاً : الكشف النظري للتناقض الداخلي: تقوم هذه الآلية على فضح زيف دعوى الفضل من الداخل، دون مهاجمة المتفاضل مباشرة.

أو الطعن في شخصه، يتم ذلك عبر إبراز التناقض بين القول والسلوك أو بين الدعوى والمآل الواقعي له، وهذه الآلية من أعمق الآليات في الخطاب القرآني اذ انها تسقط دعوى المفاضلة حين تُواجه بالتصوير القرآني للوقائع والمآل .

ومن أبرز تطبيقات هذه الآلية المفاضلة بالنسب ،حيث يكشف الخطاب تناقض هذا المقياس من خلال عرض الخطاب لمشاهد يتهاوى فيها دعوى الفضل بالنسب أمام بمقياس الإيمان الحاكم ، حين يعبر القرآن عن الأنبياء بلفظة أخوهم في سياق مخاطبة أقوامهم ، كقوله تعالى :{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ} (الشعراء:106)،وقوله تعالى :{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ}(الشعراء 124)،وقوله تعالى :{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ}(الشعراء،142)،ويكاد يتفق جمهور المفسرين على أن المقصود بالاخوة ،أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ وَلَيْسَ بِأَخِيهِمْ فِي الدِّينِ. (يحيى بن سلام،2،516/1424)،وهو يفسر اجتماع النسب مع القطيعة الايمانية ، وبهذا يعري الخطاب التناقض الداخلي في دعوى من يتخذ من النسب معياراً للمفاضلة .

ولا يقف الخطاب عند حد كشف هذا التناقض بل يعيد توجيه مقياس القرابة توجيهاً ايمانياً ،كما يقرر الاصفهاني بقوله : (... وقد أجرى الخطاب القراني الموالاة الدينية مجرى القرابة واللحمة)(الاصفهاني ،1424هـ،183/1)، ويتجلى هذا المعنى بوضوح في قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} يقول الطبري في تفسير الاية : فإن مَن تولَّاهم ونصَرهم على المؤمنين، فهو مِن أهلِ دينهم وملتِهم، فإنه لا يَتَوَلَّى مُتَوَلٍّ أحدًا إلا وهو به وبدينِه وما هو عليه راضٍ، وإذا رضِيه ورضِى دينَه فقد عادَى ما خالَفه وسخِطَه (الطبري ،1422هـ ،508/8) اذ يسند الخطاب القرآني الانتماء في هذا السياق إلى الولاء الديني لا إلى النسب او القرابة النسبية،وقال تعالى على لسان إبراهيم : {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} (إبراهيم ،الاية 36) معي في الدِّين وفي أمر الدِّين(الماتريدي ،1426 هـ،401/6)

وهكذا يسقط الخطاب القرآني دعوى المفاضلة بالنسب ،ويقيم بدلاً عنها مقياساً حاكماً هو الولاء الايماني .ويبلغ هذا المسلك ذروته في قوله تعالى : **{قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ... }**نفي أن يكون من أهل دينه واعتقاده، فليس ذلك إبطالا لقول نوح- عليه السلام: إن ابني من أهلي ولكنه إعلام بأن **قرابة الدين** بالنسبة لأهل الإيمان هي القرابة.(ابن عاشور ،1404هـ،85/12)

ومن هذا يتضح كيف طبق الخطاب القرآني آلية كشف التناقض الداخلي في دعوى التفاضل بالنسب إذ أظهر ان ادعاء المفاضلة بالنسب يتناقض مع معيار الايمان والعمل الصالح ،ويعيد وعي الانسان وفق المعيار الحقيقي للمفاضلة .

،كما ان رسول الله قدم دعامة عملية للخطاب القرآني وفضح زيف المفاضلة القائمة على النسب قال ص: «إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء»(احمد بن حنبل ،1421هـ،456/16) (العُبيَّة) – بضم العين وكسر الباء وتشديد الياء –: الكِبْرُ والنخوة؛ يعني: لا يجوزُ في الإسلام لأحدٍ أن يتكبَّر على أحد. (مظهر الدين الزيداني،1433هـ،197/5)، فجعل النبي ص الالتفات إلى النسب من عبية الجاهلية وتكبرها، فكيف يعتبره المؤمن ويُبنَى عليه حكم شرعي؟! (الحسين بن محمد المغربي،1428هـ ،145/7)بعد بيان آلية كشف التناقض الداخلي في دعوى المفاضلة ، اذكر ان الخطاب جسد هذه الآلية عملياً في كشفه زيف المفاضلة المذمومة وفضح تناقض ادعاءات الأمم السابقة ونتائج واقعها .

ثانياً : صور تطبيقية لآلية كشف التناقض في دعوى المفاضلة:

تظهر هذه الآلية بوضوح في كشف المصير المترتب عن زيف الدعوى المذمومة للفضل ، وبهذا الكشف يُسقط الخطاب القرآني هيبة المفاضلة الاجتماعية ويبين أن من يدّعيها هو أبعد الناس عنها في الحقيقة، قال تعالى مخبراً عن قول فرعون:{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} (الزخرف: 51) أنا خير منه بأن لي ملك مصر، وليس لموسى عليه السلام ذلك (الماتريدي ،1426 هـ،173/9.) ،ثم يوضح تعالى نهاية المفاضلة الفرعونية وملكه الموهوم ،قال تعالى: {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} (النازعات: 25) انتقم الله منه انتقاماًجعله به عبرة ونكالًا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ابن كثير ،1420هـ،475/7) لما بلغ في استكثاره وكفره إلى حدّ لا ينفع فيه الوعظ (الطبراني ، 2008 م، 435/6)، نكّل الله به في الدنيا بالإغراق، وفي الآخرة بالإحراق (الكوراني،1428هـ،326)

ويكشف لنا الخطاب قوم عاد وكيف فضلهم الله بالقوة وهي مزية ظاهرة يقوم عليها ترجيحهم المعنوي ،قال تعالى: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ...}آ (فصلت ،الاية 15) أي تعظموا فيها على أهلها (النسفي ،1419هـ،230/3)واغْتَرُّوا بِأَجْسَامِهِمْ حِينَ تَهَدَّدَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِنَا بِفَضْلِ قُوَّتِنَا (القرطبي ،1384هـ،374/15)

{...أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) (فصلت ،الاية 15) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى، قوي على ما لا يقدر عليه أحد غيره} (البيضاوي ،1418هـ،69/5).

وكانت نهاية مفاضلتهم الزائفة ان بعث الله عليهم ما لا يستطيعوا دفعه فارسل عليهم الريح ،قال تعالى : أ{ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ} (فصلت ،الاية 16) ريحًا عظيمة، من قوتها وشدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف فدمرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم (السعدي ،1420هـ،746)فعصفت بهم الريح وقهرتهم ، فافتضحوا بين الخليقة. الريح ذلت كبرياءهم وفضحت قوتهم، وهى خلق ضعيف ليّن، من خلق الله.(الخطيب،د.ت ،1300/12)

وألحظ هنا أن الخطاب لم يكتف بكشف المفاضلة، بل تجاوز ذلك إلى فضح التناقض الداخلي في منطقها، حين قارن بين قوة الخلق الإلهي وقوتهم المحدودة، ونهاية هذا الزيف ابطاله بسلاح من جنس ما تفاخروا به، فريحٌ ضعيفة في ظاهرها، لكنها تحمل قدرة الله القاهرة، فأذلتهم وقهرت كبرياءهم، ليكشف لنا الخطاب أن المفاضلة إن لم تقم على ميزان الحق والعدل الإلهي، فإنها تنقلب وبالاً على أصحابها، وهكذا كانت مصائر الأمم التي سلكت مسلك هذه المفاضلة واستندت إلى مظاهر زائلة ، فما زال الخطاب الإلهي يُقوّض دعواهم بسُنّة الهلاك عبر بيان تعارض ادعائهم مع معاييرهم التي تحمل في ذاتها عناصر سقوطها،قال تعالى: {أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ } (المرسلات ،16-17) في الآية مواجهة للمشركين للمكذبين ، وتهديد لهم بالهلاك الدنيوي، وأخذهم بما أخذ الله به المكذبين من قبلهم فى الأمم السابقة، بعيدها وقريبها والأولون الذين أهلكهم الله، هم قوم نوح، وعاد، وثمود.. والآخرون هم من جاءوا بعدهم، كقوم فرعون، وقوم لوط .والمراد بالاستفهام هنا، التقرير، واستنطاق الواقع الذي شهدته الحياة، وسجله التاريخ.(الخطيب،د.ت،1379/15)فإن إهلاكُهم وتدميرُهم أمر ثابت مقرر قد وقع وحصل (المجمع ،1414هـ،1728/10)

ومما سبق يُفهم ضمناً أن ما تتشبّث به البشرية من مظاهر التميّز لم يشفع لها عند حلول النقمة، مما يُعري المفارقة بين ما زعموه من تفاضل، وما آلوا إليه من هلاك. فقد انهارت دعاواهم فلم تُغنِ عنهم شيئاً عند نزول العذاب، وظهر التناقض واضحاً بين زهوهم بالمكانة ومآلهم إلى الاندثار.

ولا تقتصر آليات المعالجة القرآنية على كشف البواعث أو تصحيح التصورات، **بل تمتدّ إلى قلب المفاضلة ذاتها**، وتُعدّ هذه الآلية من أنفذ الأساليب البلاغية التي يوظّفها الخطاب القرآني في تفنيد المفاضلات المذمومة، وسنقف على معالجته تفصيلياًفي المطلب اللاحق.

المطلب الرابع : آلية قلب موازين المفاضلة المذمومة من خلال ابراز العاقبة :

يوجه الخطاب القرآني ان الموازين الظاهرة، والحظوظ السطحية التي تسيطر على الوعي البشري في أغلب الأحيان، ليست النهاية الحاسمة، إذ تحمل خلفهاأبعاداً خفية يتوقف عليها مصير المفاضلين وأفعالهم، وارتكازاً على هذا تنفتح أمام العبد المتأمل نافذة خاصة تُظهر أن ما يبدو في الظاهر مفضلاً أو غنياً، قد يكون محكوماً بنهاية مغايرة، في حين أن الضعيف أو المهين قد يحمل في مصيره ما يغيّر موازين التقويم القاصرة ،ومن هنا تظهر أهمية هذه الآلية كخطوة أساسية في فهم العدالة العليا التي تتجاوز الحظوظ الدنيوية السطحية.فيوضح الخطاب ان ضعفاء المؤمنين في الدنيا أقوياء في الاخرة ،يقول تعالى على لسان المستكبرين في الدنيا : **{مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعَدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} (ص: 63)** **إن الرجال الذين كانوا** يعدونهم من الأشرار هم ضعفاء المسلمين الذين كانوا يسخرون منهم في دار الدنيا ويزعمون أنهم أحقر من أن ينالهم الله بخير، ويدل له قوله: **(أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا)**،انه سيسخر ضعفاء المسلمين في الجنَّة من الكفار الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا وهم في النار.(الشنقيطي ،1441هـ،408/7) والخطاب عبر افقه الاعمق واستشرافه للعواقب وما وراء الدنيا يكشف إعادة ترتيب موازين المفاضلة بمنظور الهي ،يظهره قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) } (المطففين: 34)ففي ذلك اليوم يضحك المؤمنون من الكفار حين يرونهم أذلاء مغلوبين، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا، فقلب الله الصورة وحاق المكر بأهله، فعزّ المؤمنين وأخزى الكافرين (مأمون حموش،1428هـ،382/8). وإصدار ذلك المقال يوم القيامة مستعمل في التنديم والتشميت .(ابن عاشور ،1404هـ،210/30) ومن الاحاديث التي تقلب الموازين المذمومة القائمة على الاعتبارات الدنيوية

وتسقطها بكشف المآل قول رسول الله ص: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، وَأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ جَوَّاظٍ عُتُلٍّ مُسْتَكْبِرٍ).(البخاري ،1414هـ،2452/6) ومعنى ضعيف متضعف أنه الخاضع لله، المذل نفسه لله تعالى، ضد المتجبرين المستكبرين إكمال المعلم بفوائد مسلم (القاضي عياض،1419هـ،378/8)

تعد آلية قلب موازين المفاضلة من خلال ابراز العاقبة أحد احد طرق الخطاب القرآني لتغيير مفهوم المفاضلة لدى الانسان ،اذ تعمل على إعادة تشكيل وعي الإنسان تجاه مقاييس الفضل والنجاح،وهي ليست غاية في ذاتها بل جزء من نظم الخطاب القرآني العميق الذي يسهم في بناء الإنسان من الداخل، ،ونقض المفاضلات الجاهلية في الواقع المعاصر ،ومن كل ماسبق يتضح ان الخطاب القرآني يُظهر عمقاً في معالجة المفاضلة المذمومة اذ يقوض مقاييسها البشرية المنحرفة،ويعالج دوافعها قبل فعلها ومآلها قبل أدائها ،ليؤسس بذلك مبدأ العدل كأساس للمفاضلة البشرية .

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث يحسن عرض أهم النتائج , وهي كما يأتي:

- **خلصت الدراسة ومن خلال الجمع بين البعدين اللغوي والاصطلاحي إلى بناء تصور دقيق لمفهوم (المفاضلة المذمومة) وإنها لا تمثل مفهوماً لغوياً طارئاً ،او مستحدثاً في اصل اللغة ،بل حكماً ترجيحياً معنوياً لشيءٍ على آخر في سياق دنيوي زائل منحرف يقوم على الظاهر،فتنقلب من أداة تقويم موضوعي محكوم بموازين العدل والحق إلى وسيلة ادعاء وهيمنة وإقصاء .**
- **بينت الدراسة الى ان ذم المفاضلة لا يتعلق بعملية المفاضلة بذاتها ،كونها عملية تقويم في أصلها وإنما تذم حين تُبنى على منظومة قيم منحرفة ،وتنتج ترجيحاً غير عادل مرفوض اخلاقياً وتشريعياً**
- **اتّضح من تحليل الآيات أن الخطاب القرآني لا يكتفي بكشف انحراف المفاضلة، بل يعيد توجيه الوعي بها عبر بيان عواقبها، وفضح تناقضها الداخلي مع الحق، وقلب معايير التفوق الزائف إلى ميزان أخروي حقيقي. بما يجعل المعالجة القرآنية خطاباً تقويمياً يؤسس لفهم سليم لمعنى التفاضل المشروع وضوابطه.**

- كشفت الدراسة ان الجاهلية المعاصرة تعيد إنتاج صور المفاضلة المذمومة في أنماط جديدة يأتي في مقدمتها الاستخفاف بوصفه أداة للمفاضلة الزائفة ، حيث يستعاض عن الحجة بالتضخيم وعن البرهان بالاقصاء ،وتغلف هذه الممارسات بشعارات حديثة كالجدارة والحرية ،بما يمنحها قبولاً على الرغم من معارضتها لموازين الحق والعدل في الخطاب القرآني .
- أوضحت الدراسة ان المعالجة القرآنية لا تكتفي بكشف ظاهر المفاضلة المذمومة بل تنفذ الى بواعثها النفسية العميقة كحب العلو، والحسد، واحتقار الآخرين ،مما يجعلها علاجاً جذرياً يستهدف تغيير الأفكار والمواقف النفسية التي تولد هذا الانحراف.
- بينت الدراسة ان الخطاب القرآني يعيد تشكيل معايير الفضل،مقرراً أن العدل، والتقوى، والعمل الصالح هي الضوابط الحقيقية للتفاضل بين الناس ،بديلاً عن المعايير المادية و الظاهرية. وبهذا يهدم الأسس التي تقوم عليها المفاضلات الزائفة الخارجة عن ميزان الحق.
- أكدت الدراسة أن الفضل في المنظور القرآني منحة إلهية لا اكتساباً بشرياً محضاً ، وهو ما يفضي إلى ابطال كل صور التمييز القائمة على العرق،أو النسب أو المكانة الاجتماعية، ويؤسس لمبدأ العدل والمساواة في تقويم الأفراد والحكم على مراتب التفاضل بينهم.
- أظهرت الدراسة أن عدداً واسعاً من أنماط التفوق الشائعة اجتماعياً لا يستند الى أسس أخلاقية أو معيارية مشروعة، بل يمثل صوراً متعددة من المفاضلة المذمومة القائمة على معايير ظاهرية نسبية يرفضها الميزان القرآني ،ويكشف زيف مشروعيتها .

المصادر

القرآن الكريم

1. ابن دريد 1987م.، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة: الأولى.
2. الجصاص1405 هـ.، أحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
3. الأزهري 2001.،تهذيب اللغة،، دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى.
4. الخازن1415 هـ ،لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى
5. مقاتل 1423 هـ.تفسير مقاتل بن سليمان، دار إحياء التراث – بيروت،الطبعة: الأولى.
6. العسكري د.ت. ،الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

7. الصُحَاري1420 هـ الإبانة في اللغة العربية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط – سلطنة عمان،الطبعة: الأولى.
8. الزمخشري 1419 هـ ،(أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى.
9. ابن منظور1414 هـ، لسان العرب، دار صادر – بيروت،الطبعة: الثالثة .
10. مجمع اللغة 1392 هـ ،المعجم الوسيط، ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،الطبعة: الثانية .
11. أحمد رضا د.ت. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة – بيروت .
12. الجوهري 1407 هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة: الرابعة .
13. الحميرى1420 هـ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، دار الفكر (دمشق – سورية)،الطبعة: الأولى.
14. الكفوي، د.ت. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
15. أحمد مختار ، 1429 هـ ،معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب،الطبعة: الأولى .
16. مكي بن أبي طالب 1429 هـ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة،الطبعة: الأولى .
17. الجصاص1405 هـ..،أحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
18. محمد المكي1405 هـ التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى .
19. القشيري د.ت. لطائف الإشارات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،الطبعة: الثالثة.
20. ابن كثير 1420 هـ ، تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية،الطبعة: الثانية.
21. الزجاج 1408 هـ معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب – بيروت،الطبعة: الأولى .
22. المقدم، 1432 تفسير القرآن الكريم،http://www.islamweb.net، 15 جُمادَى الآخرة:102/15..
23. السعدي 1420هـ ،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى.
24. الإيجي 1424 هـ تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى.
25. الثعلبي1422، هـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى.
26. ابن جزي – 1416 هـ ،التسهيل لعلوم التنزيل، دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت،الطبعة: الأولى .
27. الرازي 1420 هـ. مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة .
28. الشنقيطي 1441 هـ ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار ابن حزم (بيروت)،الطبعة: الخامسة.
29. المراغي 1365 هـ ،تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصرالطبعة: الأولى.
30. النسفي1440 هـ، التيسير في التفسير، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا،الطبعة: الأولى.

31. الزمخشري 1407 هـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت،الطبعة: الثالثة .
32. النخجواني 1419 هـ ، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر،الطبعةالاولى.
33. الجوزي 1422هـ،زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الأولى – 1422 هـ.
34. الواحدي 1411 هـ،أسباب نزول القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى.
35. السمعاني 1418هـ،تفسير القرآن، دار الوطن، الرياض – السعودية،الطبعة: الأولى.
36. الكرماني د.ت ،لباب التفاسير، النشر بالشاملة: 28 ذو القعدة 1441.
37. الشعراوي د.ت،تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، نشر عام 1997 م.
38. مجاهد 1410هـ،تفسير مجاهد، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،الطبعة: الأولى.
39. الماتريدي 1426هـ،تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان،الطبعة: الأولى.
40. بن الخطيب1383هـ، أوضح التفاسير،المطبعة المصرية ومكتبتها،الطبعة: السادسة.
41. الماوردي د.ت،النكت والعيون، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
42. الهلالي 1425هـ،الاستيعاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي – السعودية،الطبعة: الأولى.
43. البيضاوي1418 هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى .
44. البغوي 1417هـ ،معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة: الرابعة.
45. إبراهيم القطان د.ت ،تيسير التفسير. تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431
46. الشافعي 1427هـ،تفسير الإمام، الشافعي، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية،الطبعة الأولى.
47. البخاري 1414 هـ ،صحيح البخاري، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق،الطبعة: الخامسة.
48. مسلم 1374 هـ ،صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
49. الراجحي1439 هـ، توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم ،الطبعة: الأولى.
50. المظْهِري1433 هـ، المفاتيح في شرح المصابيح، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية،الطبعة: الأولى.
51. عطية بن محمد ،د.ت.شرح الأربعين النووية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ،8 ذو الحجة 1431.
52. أبو داود 1430 هـ ،سنن أبي داود ، دار الرسالة العالمية،الطبعة: الأولى.
53. عبد المحسن العباد ،د.ت، شرح المحرر في الحديث ، تاريخ النشر بالشاملة: 20 شوّال 1443

54. سعيد حوّى 1405هـ،الأساس في التفسير، دار السلام – القاهرة،الطبعة: الأولى.
55. لاشين 1423 هـ ،فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ، دار الشروق،الطبعة: الأولى (لدار الشروق) .
56. مجاهد ، 1410 هـ ،تفسير مجاهد ،دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،الطبعة: الأولى.
57. الطبري 1422 هـ ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر،الطبعة: الأولى .
58. الخطيب.د.ت،التفسير القرآني للقرآن، ، دار الفكر العربي – القاهرة .
59. الدرة 1430 هـ ،تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير – دمشق ،الطبعة: الأولى .
60. القدومي.د.ت.التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح، الأردن – عمان .
61. السمين الحلبي د.ت، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق.
62. ، يحيى بن سلام 1425 هـ ،تفسير يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى.
63. الأصبهاني، 1415 هـ ،إعراب القرآن للأصبهاني، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض،الطبعة: الأولى، – 1995 م
64. الكوراني، د.ت، غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني .
65. القرطبي،، 1384 هـ الجامع لأحكام القرآن، ،دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة: الثانية .
66. البيضاوي ، 1418 هـ ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الأولى .
67. مجمع البحوث1393 – 1414 هـ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،الطبعة:لأولى.
68. أحمد حطيبة د.ت، تفسير الشيخ أحمد حطيبة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
69. النسفي1419 هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى.
70. الأصفهانى 1424 هـ ،تفسير الراغب الأصفهاني، دار الوطن – الرياض،الطبعة الأولى .
71. أبي حيان د.ت، البحر المحيط (في التفسير)، دار الفكر – بيروت.
72. دروزة 1383 هـ،التفسير الحديث ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة.
73. الفاسي1419 هـ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، القاهرة.
74. ابن عاشور 1404 هـ،التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس.
75. الإمام أحمد 1421 هـ ،مسند الإمام أحمد بن حنبل، ، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى.
76. الفيومي 1439 هـ ،فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب، الطبعة: الأولى.

77. بن فورك1985م، مشكل الحديث وبيانه، عالم الكتب – بيروت،الطبعة: الثانية.
78. المغربي 1428ه،البدرُ التمام شرح بلوغ المرام، دار هجر،الطبعة: الأولى.
79. مأمون حموش1428 ه، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، الطبعة: الأولى.
80. القاضي عياض 1419ه،إكمال المعلم بفوائد مسلم ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر،الطبعة: الأولى.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

"The argumentative discourse in Surat Ash-Shu'ara: A pragmatic and communicative study"

Salwa Shukri Shakir
Dentistry, University of Anbar, Iraq
salwa.shukri@uoanbar.education

Abstract:

Previous studies have examined this Surah from various perspectives, including argumentative approaches; however, these investigations have tended to emphasize rhetorical dimensions rather than the pragmatic-communicative perspective that the present study seeks to explore. A central research problem lies in identifying the multiple levels of argumentation involved in the construction of Qurʾanic discourse in relation to context and situational requirements. This study further aims to uncover the principal argumentative strategies operating within the Surah across these levels and to explain how such strategies fulfill persuasive and communicative functions from a pragmatic-communicative standpoint.

Accordingly, the research adopts a pragmatic-communicative methodology that analyzes speech acts, intentions, presuppositions, and contextual factors. In addition, it examines implicatures, the condition of the addressee, and the psychological and intellectual mechanisms of persuasion. For greater analytical precision, the study also employs a descriptive-analytical method to identify and trace argumentative devices and to analyze the techniques used from a pragmatic-communicative perspective, thereby revealing the extent to which communicative effectiveness is achieved in Surah Ash-Shuʿarāʾ.

Keywords: new rhetoric, argumentative strategies, achievement argumentation, persuasive argumentation, Surah Ash-Shuʿarāʾ, pragmatics.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

"الخطاب الحجاجي في سورة الشعراء، دراسة تداولية تواصلية"

م. د. سلوى شكري شاكر
كلية طب الأسنان / جامعة الأنبار
salwa.shukri@uoanbar.education

ملخص:

هناك دراسات سابقة في السورة وحتى حجاجية أيضاً؛ ولكن ركّزت هذه الدراسات على الجانب البلاغي أكثر من التداولي التواصلي الذي يهدف إليه هذا البحث ، فمن أهم إشكاليات البحث والتي يهدف إلى العمل عليها ، هي الوقوف على تنوع مستويات الحجاج في بناء الخطاب القرآني تبعاً للسياق ومقتضى الحال. ويتبع ذلك الكشف عن أهم الاستراتيجيات الحجاجية في السورة في المستويات المدروسة ، وكيفية تحقيق الوظيفة الاقناعية والتواصلية من خلال هذه الاستراتيجيات في المستوى التداولي والتواصلي ، وبناءً على ذلك كان منهج البحث اللازم تتبعه في البحث هو المنهج التداولي التواصلي، والذي يتم من خلاله تحليل أفعال الكلام والمقاصد والافتراضات المسبقة والمقام من جانب، ومن جانب آخر يبحث الاقتضاء وحال المخاطب وما يتعلق بها من أساليب إقناع نفسية وذهنية. وللوصول إلى دقة أوضح في العمل نتبع المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يساعد في تحديد وتتبع أدوات الحجاج وتحليل الأساليب التي جاء بها تحليلا تداوليا تواصلياً يكشف عن مدى تحقيق التواصلية فيها في سورة الشعراء، وتوصل البحث إلى أنَّ القرآن الكريم استعمل الحجاج كوسيلة في توجيه رسالة تبني مجتمع وتسهم في تغيير أفكاره .

الكلمات المفتاحية: البلاغة الجديدة ،الاستراتيجيات الحجاجية ، الحجاج الإنجازي ، الحجاج الإقناعي، سورة الشعراء، التداولية.

مقدمة:

تُعدُّ سورة الشعراء من السور التي وضِّفت فيها اللغة للتمكن من إقناع المتلقي، من خلال الحجاج، وقد تصدى الكثيرون لدراسة هذه المادة ولكن لم تدرس تداولياً ، أهم ما يهدف إليه البحث إبراز تعدد مستويات الحجاج في السورة تداولياً وتواصلياً ، فالدراسة التداولية للحجاج تخرج بالحجاج من مبحث البلاغة والتشخيص لما قيل إلى تحليل كيفية القول ومقاصده في سياق تواصلي ما.

وجاءت أهم محاور البحث : الحجاج مفهوم تداولي تواصلي ، وهذا في التمهيد ، وأهم الاستراتيجيات الحجاجية في مستوياتها وتأتي في ثلاثة مطالب، وهي : مستوى تداولي: أفعال الكلام في البنية الحجاجية (الأمر ، النهي ، الاستفهام ، القسم ..)؛ لتحقيق مقاصد تخاطبية وافتراضات مسبقة ، ومستوى تواصلي: الحجاج بحسب الاقتضاء، حال(المخاطَبين) في النص (المشرك ، المؤمن، النبي)،والمستوى النفسي: الاستراتيجيات الاقناعية (سياقات ذهنية): العقلية ، العاطفية ، التاريخية . أما التحليل التطبيقي على سورة الشعراء فيأتي بعد المطالب الثلاثة ، فآثرت أن أجمع تحليل السورة بشكل مترابط مضمَّناً الاستراتيجيات في المستويات المشار إليها سابقاً في سورة الشعراء.

ولا يفوتنا أن نقول أننا لسنا بحاجة إلى النظريات هذه، كالتداولية وصولاً إلى التواصلية لفهم القرآن الكريم وبرهانه وحجته ووظائفه الاجتماعية ولكن لعلها تكون زاوية نظر لأفق تواصلي يُرشد من غاب عنه جوهر القرآن ورسالته التي حملها بين ثناياه ؛ليعلمَ من يقول بها أنه حاج بالبراهين التي جاء القرآن بها ولأجل ذات المقاصد ، الإنسان كذات والمجتمع والكون كموضوع .

التمهيد:

الحجاج مفهوم تداولي تواصلي.

الحجاج صورة خطابية يتناوب فيها المرسل والمتلقي في إرادة إثبات ادعاء الأول واعتراضها من الآخر من خلال سلسلة من الحجج المنطقية المعروفة ضمن سياق اجتماعي تداولي ولغوي متفق عليه لتحقيق هدف معين لموضوع ما، هذه الحجج ليس بالضرورة أن تكون مقنعة وهذا ما يستلزم جهداً وأدلةً أكثر لإقناع المحاجج ، من غير إكراه (مثنى كاظم صادق، 2015 ،ص:20) .

الخطاب الحجاجي يتسم بكونه خطاباً تفاعلياً قائماً على اختلاف المعتقدات بين المرسل والمخاطب ويعتمد على التأويل في التلقي والإرسال فالمرسل يبث خطاباً تقييمياً سلباً أو إيجاباً يستهدف معتقد المرسل إليه وليس مجرد خطاباً إخبارياً يُسهم المقام في توجيهه و فهمه من قبل المرسل إليه الذي يعتمد على مجريات السياق الحادثة ، وتأثيري بما يترك من استجابات لهذه الحجج الموجهة في هدف معين(مثنى كاظم صادق، 2015 ، ص:46) .

الحجاج يهدف لإعلام وإعلان حالة إخبارية في الخطاب المطروح ، والخطاب الإعلامي يستلزم تحقيق كفايات ما ،أولى هذه الكفايات، الوعي بوظائف اللغة والتي أولها الوظيفة الاجتماعية فمن أغراض اللغة أن تحقق بين مجتمع ما علاقات والمحافظة عليها ، وتدعمها الوظيفة الثانية التعبيرية وتفيد في معرفة أشياء عن المتكلم ، من خلال الطاقة التعبيرية والمشاعر ميوله وخبراته من خلال كلامه ، والوظيفة الوصفية إخبار وتوصيل للمعلومات (هادي نهر، 2003،ص : 164- 165).

الدرس اللغوي التداولي يدرس المنتج اللغوي ضمن الاستعمال في التواصل، لأنّ اللغة لا تظهر وظائفها إلا من خلال الاستعمال ، وبما أنّ كل ذلك يتم في سياق اجتماعي فلا بد من أنّ له تأثيراً في إنتاج الملفوظ اللغوي (عبد الهادي بن ظافر الشهري ، 2004 ،ص:23).

شكّل مبحث التداولية تطوراً لافتاً في نضج مبحث التواصل عبر بنيتها المستندة إلى اللغة كمدخل لأي معرفة ، ثمّن التداوليون جهود الألسنية الذي اعتمد العلامة الفاعل الأساس في رسالة ما ، والركن الأساس في عملية التواصل وأطرافها (جان مارك فيري ،2006،ص :11).

هذه العلامة نستدل عليها ألسنياً من خلال السنن ونستظهر تأثيرها من خلال النص حتى وإن يكن كلا الأمرين ليس لهما علاقة بالواقع والمخاطب ، الخاصية التي حاول أوستن إضافتها على كيفية تحليل اللغة وكيف يجب أن تكون للتواصل ، ربط اللغة عبر أفعالها بالواقع ، وما طوره سيرل في نظرية أوستن ربط أفعال الكلام بالمقاصد والمواضعات التي يتفق عليها المتخاطبون لفهم المقاصد(جان مارك فيري،2006 ،ص: 12).

فمن خلال التداولية أدركنا أنّ اللغة كائنٌ حيٌّ منفتحٌ على هموم الناس وقضاياهم ، فلم نعد ندرس اللغة في الإطار الألسني ومستوياته التركيبية والصوتية فحسب بل يتعدى ذلك إلى المعنى التواصلي المتضمن فيها،

وتمثّل النظرية النقدية لمدرسة كرانكفورت الأرض الخصبة لمبحث فلسفة التواصل فيدعو لكل نظرية مصلحة اجتماعية، ويدعو للتعامل مع الواقع بعقلانية واعادة خلق علاقة جديدة بين الذات والموضوع من خلال تفكيك العقل التقليدي من هذه الدعائم قام هابرماس بتأليف كتابه (نظرية الفعل التواصلي)(جان مارك فيري ،2006 ،ص:13-14-15) .

لخصت اطروحة هابرماس التواصلية على إمكانية بناء المجتمع بالاعتماد على نظرية الأعمال الكلامية ، فالتواصلية تستند على ربطها الوظيفي لخاصية المحاجة بالمناقشة والبرهان للوصول إلى صيغة تواصلية مثلى بين أفراد مجتمع ما ، وإعادة ربط الفرد بالآخر الشريك دون ضغوط أو إكراه بغية تعزيز النسيج الاجتماعي (يورغن هابرماس ،1929 ، مج،ص1 : 38).

ولعل هذا أهم مبدأ يمكنا أن نستند عليه في بحثنا في الحجاج كوسيلة استعملها القرآن الكريم في توجيه رسالة تبني مجتمع وتسهم في تغيير أفكاره، وإعادة تشكيله لصالح الهدف الذي سخُر له الحجاج. فالحجاج وسيلة تواصلية لما تحمل من إمكانية في التأثير.

أولا: الحجاج في المستوى التداولي

تكييف النص في المستوى التداولي تلزمنا بتتبع الفعل الحجاجي في الكلام لا مجرد تشخيص هيكل الحجاج وتحديده ، فلا نتوقف بالإجابة على منطقية الحجة، بل نسأل عن كيفية إمكانية المتكلم في التأثير وتغيير قناعات السامع /المتلقي؟

عند إقدام المتكلم على تقديم حجة في كلامه سوف يقدمها من خلال " ملفوظ " ليس الهدف منه الوصف والإخبار، بل تعكس نية المتكلم في إقناع الآخر والتأثير به سلوكياً وفعلياً من خلال " القصد الحجاجي "، ولابد من أن تكون هذه الحجة متلائمة منطقياً وفكرياً مع الموضوع المطلوب الحجاج فيه .

التداولية في اللغة ترتبط بوظيفتين أساسيتين لها أحدهما تعاملية والأخرى تفاعلية، فالأولى تعتمد على ما تنقله من معلومات ويتبادل بها المتكلمون والمشاركون في الخطاب من معلومات تساعدهم في التواصل، أما التفاعلية فهي التي تتجاوز الإخبار والوصف إلى وظيفة تفاعلية ترجوا من الخطاب رد فعل من المتلقي يدخل ضمن قصد المتكلم في الخطاب المطروح (عبد الهادي بن ظافر الشهري ، 2004 ،ص:4).

الحجاج يحمل هاتين الوظيفيتين التواصلية والتداولية ،فهو يحمل الحجة التي تصب في مقصد المتكلم ليستحصل أفعالا من المتلقي عليها ،كما ويوجه المقام ويحرك هذا الخطاب من الأساس ، فمعرفة أحوال المخاطب هي التي دفعت المتكلم لتحضير الحجة والتحصن بها في الخطاب.

وهنا يمكننا القول بأنّ تتمثل أركان الحجاج في المستوى التداولي في :

1- الأفعال الكلامية(الإنجازية) .
2- القصد الحجاجي.
3- المناسبة.

فيرى البعض إنّ مبحث الحجاج انبثق من نظرية أفعال الكلام لجون سيرل، الذي يرى أنّ الوظيفة الرئيسية للغة في ما تنتجه من استجابة فعلية من المتلقي (أبو بكر العزاوي ، 2006، ص :15) .

في الحجاج أفعال الكلام أحد الاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم في قصد معين وفي مناسبة وموضوع معين لتحصل على تأثير ما ومنجز فعلي ما، فهناك أفعال لا تنجز إلا بالكلام وهذا من المتفق عليه،

والأفعال التوجيهية الإنجازية تسهم في تحقيق مقاصد تخاطبية وافتراضات مسبقة للمتكلم ،هذه الأفعال بما تحدثه من تأثير يتوافق في الغالب مع إنشاء الطلب فهي تدخل المتلقي في سطوة الحجاج، ويكون هذا من خلال صياغات نحوية مثل(الأمر ، النهي ، الاستفهام ، القسم ..) (جون سيرل ، 2006 ، ص:218 ، مطاوي وزحاف، 2021 ،ص :209) ، وللسلطة دور بارز في نسبية استعمال الأفعال التوجيهية ومدى تحقق الاستجابة لها(الشهري ،هادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، 2006 :233).

الاستفهام كأسلوب انشائي يرد غالباً في الحجاج لا يريد جواباً حقيقياً بل يتعداه للإنكار والتقرير (إيثار شكري شاكر ،2023 ،ص: 322)، فيأتي الاستفهام التقريري تقنية حجاجية تضع المتلقي تحت تأثير المتكلم و سحبه إلى منطقته من خلال استنطاق اللاوعي العقلي للمتلقي.

ومن التقنيات اللغوية التي عدّت أفعال حجاجية من وجهة نظر تداولية الشرط وما يتحمل من نتيجة له (العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، 2006 : 18) .

ونتج عن ذلك إعادة بناء منطقة الاستعمال اللغوي لبعض تراكيبه من خلال عبور خطوات في تأويل وظائف تراكيب في اللغة تداولياً ، فالشاهد اللغوي يبين أن الشرط مقرون بنتيجة، في الحجاج لا ينظر من

ناحية تداولية للشرط ونتيجة الشرط بل يتعدى للتأويل الذي بالتداول يعني إنجاز فعلي، والذي قد يفهم منه حجاجاً قطعياً ينتقض به مع المخاطب ، فمثال ذلك :

أقول : أنا متعب لذلك عليّ أن أنام .

قد تعني أني أرفض طلباً من أحدهم بالخروج أو حتى احتجاجاً على الطلب بقيام عمل يشكل عبأ في تلك اللحظة وهكذا ،

أو أقول : أدرس تنجح .

لطالب يطلب بعض الدرجات لينجح، فهذا الشرط قطعي الرفض للنجاح الذي يأتي من غير باب الدراسة ،

من الأساليب اللغوية التعبيرية التي تعتبر أساليب حجاجية القصر بالنفي والاستثناء أو حتى العطف بـ(لكن ، بل ،حتى ، إلى، إذن ، مع ذلك ، لا سيما (أبو بكر العزاوي ،2006 ، ص :28 -31) ،

وهذا في الحقيقة مادة في البلاغة العربية ولكن الحجاج ووظيفته التداولية وجها هذا الأسلوب اللغوي البلاغي كأفعال كلامية، وذلك كقولنا في تعبير أسلوب النفي والاستثناء في القصر في قولنا: لا إله إلا الله ، فهذا القصر أفاد التوحيد كفعل وظيفي سلوكي عقائدي ، ومن هنا يمكننا العبور إلى مبحث التقديم في البلاغة التي تفيد القصر ، مثال ذلك قوله تعالى : (إياك نعبد) فالتقديم قدّم وظيفة للكلام وفعل سلوكي بقصر العبادة على الله عز وجل ، لا نعبد إلا الله ،فمقابل التقديم الحاصل إنجاز سلوكي .وتباعاً ذلك العطف بلكن الذي يفيد الحصر.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ أدوات الربط تضيف من خلال خاصية الربط الذي يكون تناقضي مثل الإضراب بـ(لكن وبل) والتراتبي بـ(و) أسلوباً آخر وهو السلم الحجاجي الذي يعمل كتقنية إقناعية تعزز من إنجاز الحجاج (نهى سعد مناتي ، 2023 ،ص: 221) .

هذه التقنيات الحجاجية في مبحث أفعال الكلام الانجازية في مبحث التداول يرتكز في تحقيق تأثيره الحجاجي على القصد وحسن توجيه التقنية مع القصد الملائم للظروف المقامية التي تقتضي هذا النوع من الحجاج وبها يتحقق القصد ،

فأهم دعوات التداولية القصدية للمتكلم ، وهذا المحور تداولي من حيث اهتمامه في السياقات المعجمية والسنن المعجمي الذي يتفق عليه المتخاطبان والمقامات الحالية التي تحيط بالنص والمتخاطبين ، مما يضمن إيصال الفكرة والقصد وتحقيق الهدف من الخطاب (النعيمي ، إيثار شكري ، وظيفة اللغة من منظور تواصلي في الشعر العربي الحديث ، 2017 : 162) .

وفي سياق تأكيد التداولية على القصد نشأ مبدأ التعاون لكرايس والاستلزام الحواري الذي يقتضي الإدراك الكامل من المتكلم بمقام المخاطب وأن يدرك المرجعيات سواء أكانت معجمية أو حتى موضوعية، وهذا ما يسهل عملية التواصل ويساعد في تحقيق الأهداف وراء الكلام والتي في التداولية والحجاج بالتحديد هي التأثر والإقناع (جيوفري ليتش، 2013 ،ص : 112، ليلى جغام،2013 ،ص:91) .

ومما يؤازر التأثير في الخطاب الحجاجي أنه يحمل صفة اعلامية من خلال تحقق كفايات ما، منها أنّ اللغة الإعلامية المنطوقة لها ميزات معينة، الحجاج يلتقي ويستفيد كثيرا من هذه النقطة، فالخطاب المكتوب غالباً ما يكون تقريري. درجة الاندماج الحي بمشاعر الآخر أقل بكثير مما تكون منطوقة والمخاطب يكون وجهاً لوجه، فإمكانية التأثير للحجاج المنطوق أكبر وأكثر استغراقاً وعفوية ذلك لأنه ممكن فيه أن يوضح بأكثر من وسيلة كاستعمال الأصوات الإشارية والحركات والإيماءات والمترادفات، إمكانية تصحيح الخطأ أو تغيير مسار الخطاب مع المتطلبات المقامية التي ترد من المخاطب فصفة التقييم في الخطاب المنطوق موجودة(هادي نهر ، 2004 ، ص: 167- 168-16).

يظهر ذلك في سورة الشعراء في الحوار الحي لقصص الأنبياء مع أقوامهم، وعرضناها في التحليل.

ثانيا: الحجاج في المستوى التواصلي :

إنَّ اللغة منذ أن وجدت هي أداة تواصل، تطورت وصاحب تطورها أن أصبحت مع كونها أداة تواصل أداة إعلامية ، وسخّرت هذه الوظيفة الجديدة ضمناً لهدف التواصل، بطبيعة الحال من التقنيات التي

استخدمها العرب في هذا كانت الشعر والنثر من الخطابة والأمثال وشكل الشعر والخطابة أيضا وسيلة إعلامية للقبائل في الحرب والسلم ولهذا سمي سجل العرب(هادي نهر ،2003 ، ص: 25-26).

ولهذا تنبه العرب منذ أن عرفوا الكلام بأنه منطوق تواصلي اجتماعي، فربطوا وجوده بالفائدة التي تستوجب تفاوت تراكيب وطرائق إداء المعنى (عبد الهادي بن ظافر الشهري ، 2004 ، ص :6).

ولهذا عملية التواصل هي نشاط اجتماعي يشترك بها أكثر من طرف بحسب مقتضيات لغة معينة ولهدف ما، والتواصل لا يحدث إلا بوجود مشتركات بين الأطراف المتشاركة في الخطاب بغية التواصل منها المكان والدين والقومية ألخ ..وأهم من ذلك القصد في توجيه الخطاب واللغة والافتراضات المسبقة التي توجه الخطاب وتساعد في تشكيله(عبد الهادي بن ظافر الشهري ، 2004 ،ص: 10).

هنا يأتي الطرف الآخر لوظيفة اللغة في الحجاج والذي يتشكل بحسب الاقتضاء على وفق حال المخاطَبين حيث الطرف الأول كان في مقصد المتكلم الذي بيناه في التداولية، وهذا ما يسمى بالسياق المقامي وهو جزء متأصل من السياقات الاجتماعية وهو الذي يؤطر خصائص المحادثة وبناء الخطاب الاقناعي الحجاجي في النص(هادي بن ظافر الشهري ، 2004 ،ص:43).

جاء هاليدي بتصنيف وظائف اللغة التخاطبية وذكر منها التفاعلية والتي ينتج فيها المتكلم خطابه وقد أخذ بنظر الاعتبار المقام الذي يكون فيه المخاطب، وهذا ما يفعل مبدأ الاستلزام الحواري والتعاون في إنتاج الخطاب عند كرايس وهذا من الاستراتيجيات التي تسهل بصدق عملية التواصل(عبد الهادي بن ظافر الشهري،2004 ،ص :15)، فيتوجه المتكلم للمخاطب بالكلام في علاقة تخاطبية معينة في سياق ما مع نية صادقة من المتخاطبين للتعاون لإنتاج الخطاب التواصلي (كريمة سالمي ،2021 ،ص: 39).

أولى الخطوات التي تجعل أثراً تواصلياً للخطاب هو أن يكون مستمد من البيئة التي ينطلق إليها لأن الأسلوب هو أداة وصل بين البيئة والشكل اللغوي أي اللغة والموقف الذي تستخدم فيه(هادي نهر ، 2003، ص: 32-33).

يشكل المخاطب جزءاً هاماً وأساسياً في تحقيق التواصل، فلا ينجز الكلام من غير معرفة بحال المخاطبين تقتضي هذا المنجز الكلامي ، الحاجة إلى تحقيق تواصل ماسة لأي خطاب وتزداد الحاجة لذلك مع حاجة إثبات ما كان مرفوض إثباته ، أو مطلوب إثباته ، أو يتوجب إثباته ، هنا ستزداد الحاجة لاستخدام أدوات

لغوية تحقق التواصل ، الحجاج واحدة من هذه الوسائل والذي يجب أن يلتزم المنجز للكلام اقتضاءً لحال المخاطب مما يوحي بصدق النوايا لإحداث التواصل.

إنّ من أهم النقاط التي تلتقي بها التواصلية بالحجاج ، هي المرجع بين المرسل والمتلقي، كأن يكون عرفاً أو تقليداً أو غيرها مما هو محل اتفاق مسبق بين الطرفين بشكل قطعي(هادي نهر ،2003 ، ص: 166)، هذه النقطة التي تعد نقطة اتصال مهمة من خلالها ممكن ضمان تحقيق التأثير في المتلقي هي نفسها التي يقتحم منها المحاجج حصن المرسل إليه ومن خلالها يبدأ سلسة الإقناع ليتحصل على التأثير والتلقي للنتيجة المرجوة من الحجاج أو الموضوع الذي قام من أجله الحجاج.

والحجاج كخطاب يمكن عدّ أركان له في هذا المستوى:

1- جمهور، فلكل تخصص وموضوع له جمهوره.
2- توجيه الحجة مع مرجعية هذا الجمهور.
3- نقاط الاتفاق ، على من يريد أن يحقق التواصل من خلال الحجاج ، أن يبحث عن قيم وحقائق ثابتة ومشاركة من قبل من داخل الحقل الحجاجي ، يبتدأ بها الحجاج لصالح ما لم يكن حقيقة إلى وقت الحجاج(عبد الهادي بن ظافر الشهري، 2004،ص :50).

القرآن الكريم تلك اللغة العالية جاء من واقع الاستلزام الحواري للمخاطبين ليعود إليهم بالحجة التي يريدها، لدعم الإعلام في المشروع القرآني الذي جاء ليثبت نهجاً للإنسان مخالفاً لواقعهم للنهج الذي كان سائداً. (المشرك، المؤمن، النبي):كيف تعامل القرآن مع هذا التصنيف كأحوال أساسية موجه لها الخطاب كيف فرق الخطاب في سورة الشعراء في ذلك.

ثالثاً: الحجاج في المستوى النفسي: الاستراتيجيات الاقناعية (سياقات ذهنية) العقلية ، العاطفية ، التاريخية.

الحجاج أسلوب من أساليب اللغة النفعية التي تعتمد على انتقاء نفعي بمحكوم اقتضاءه بالموقف ، فيؤثر فيه المنشئ كلمة أو عبارة ، لأنّه يريد بواسطة أسلوبه هذا أن يقنع المخاطب من غير صدام أو تماس بحساسية المتلقي ،فمن أهم استراتيجيات الحجاج وأهدافها في الخطاب هو الإقناع.

سخرت التداولية كل السياقات المتداخلة بالنص ، السياقات الذهنية (العقلية، العاطفية ، التأريخية ، الدينية ،الكونية)سخرتها كاستراتيجيات إقناعية والتي تلتقي به وتنطلق من خلاله من أجل إحداث التأثير النفسي ،بما يسمى بالسياق النفسي ،(الشهري ، هادي بن ظافر، 2004 : 43).

فالطريق إلى الإقناع في الحجاج هو حسم الإدعاءات الإشكالية بواسطة العلل وتستمد هذه العلل قوة إقناعها من معرفة متقاسمة على نحو جمعي وغير إشكالية ، فيكون المعطى الثابت جسرا للوصول إلى ما هو مشكل وغير مثبت (هبرماس ، يورغن ، نظرية الفعل التواصلي ،1929 ، مج1: 117) .

إنّ أساس ثبات الحجة هو الاشتراك والتقاسم بالمصلحة العامة ، الصلاحية التي تحقق للجميع الانتفاع وعدم الضرر ، على هذا جاء القرآن الكريم في أغلب حواراته واستفهاماته ، تناقش صحة المصالح التي يقدمها الله عز وجل وأغلبها تدور في الخلق ،وحفظ النعم وتسخير الكون ،

فإثبات وحدانية الله عز وجل عند مخاطبة الكفار والمشركين والذي هو مشكل عند المشرك والذي في اعتقاده الأصنام هي أيضا إله (تعالى الله عما يصفون) تأتي من مناقشة الثوابت آنفة الذكر بالمقارنة والتضاد مع قدرة الأصنام ، التي من المستحيل أن تقدم كل هذه النعم التي يتعامل بها الكفار والمستمدة من بيئتهم من إرساء الجبال وخلق الإبل وكيف سخرها لهم.

ناقش شاييم بيرلمان في كتابه: "مصنف في الحجاج ..بلاغة جديدة " أساليب تدعم الحجاج ، وهي مستمدة من البلاغة القديمة في الغالب من أسلوب الخطابة التي تستهدف قناعات المخاطب ،وعرض العديد من هذه الأساليب منها ، منها ربط النتائج بالمقدمات والتماثل والمقارنة ، إثبات الجزء من الكل والعكس اثبات الكل بأجزائه ، التحذير ، السلطة ،والأمثال والشاهد ، التضاد ،والقصص الصورية ،الرمز ، الاستعارة ، هذه الأساليب التي تبدوا أساليب بلاغية معتادة ربطها في تعريفه على أنها تقنيات حجاجية تهدف من خلال الإقناع في تغيير فعلي وعملي في سلوك المتلقي .(شعبان أمقران ، 2018 ، ص:223-233) .

تعتبر الاستعارة من الأساليب البلاغية الحجاجية التي تنتقل بالحجاج من مستوى الى أعلى ولذلك هي لا ترد بالنفي على الاعتراض مثلا لو قائل قال : زيد ليس شجاعاً، فترد بقولك : زيد أسد ، هذه الاستعارة عبرت بها بالرد بالمستوى الأول ، زيد شجاع ، بل لتعلي سقف القطعية في الحجاج جئت بالاستعارة .

من الأساليب الاقناعية والاستراتيجيات الحجاجية التي تنبثق من تداولية هذه الأساليب في جمهور ما ، ما في عدّ التكرار وتحديد العدد أسباباً معينه في توجيه الخطاب الإقناعي (لطيف عبد السادة سرحان ، 2021 ، ص:223) .

مثلت القصص التأريخية عن الأنبياء من أكثر الأساليب التي وردت في سورة الشعراء في هذا المستوى.

رابعاً : تحليل الاستراتيجيات الحجاجية في سورة الشعراء تحليلاً تواصلياً تداولياً:

إنّ أصل الحجاج هو الاختلاف، ويجب أن يحمل كلام المتكلم حكم قضوي فاصل لا مجاملة فيه ولا مغالطة، و أن تكون الأدلة مناسبة وموضوع الحجاج ، وأن لا تكون للمغالطة ولكن يجب أن يكون الصدق في إثبات الحجج لغاية يقبلها العقل والمنطق (الشهري ، بن ظافر، 2004 : 470)، الجانب الموضوعي الذي مثل حقل الحجاج في سورة الشعراء جانب عقدي ، جاء الرسل ليبينوا هذا الاختلاف في عقيدتهم وعقيدة أقوامهم.

جاءت سورة الشعراء تحمل سلسلة حجاجات استعملها الله عزَّ وجلَّ في خطابه المباشر مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتقوية عزيمته،(تلك آيات الكتاب المبين)من خلال حجة بيان القرآن الذي بين يديه والذي يعلم الله عزَّ وجلَّ بكفايته لتحدي المشركين ولهذا وصف الكتاب بأسلوب التشخيص من خلال الإشارة إليه ووصفه بالمبين، حتى لا يتبادر إلى ذهن الرسول عليه الصلاة والسلام قصور القرآن كدليل وحجة، ولهذا اتبع الله عز وجل بقوله:(إن نشأ نُنزل عليهم من السماء آية فتضلُّ أعناقهم لها خاضعين).

ويتوجه الله عزَّ وجل بالخطاب والحجاج بشكل مزدوج للرسول الكريم ليحملها رسالة إلى قومه:(وما يأتيهم من ذكر محدث إلا كانوا عنه معرضين، فقد كذَّبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون ، أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم)، استعمل الله عز وجل الشرط وجزاء التكذيب وجعل جواب الشرط مبهماً كتهديد مفتوح مما يزيد من ثقل التحذير ، وذلك ليتناسب مع إمكانية لفت انتباههم للخطاب إذ من صفاتهم الإعراض وعدم المبالاة والاستهزاء، وهذا مقتضى حال أحاط به علمه جل في علاه عند توجيه المقصد من الخطاب، وهذه من الأساليب البلاغية الاقناعية التي تقصد تغيير قناعات المخاطب.

بعد ذلك استعمل الله عز وجل الثوابت التي لا يمكن للكافر أن يدحضها ، بأسلوب بلاغي الاستفهام الإنكاري والذي يعمل على استنطاق اللاوعي عند المخاطب وهذا هو المقصود من الحجاج في هذا المستوى

، استنطاقهم بقدرة الله عز وجل على إنبات الأرض بالنعم أفلا تذكرهم بقدرة الله، وهي أيضاً لتلامس طبيعة العربي الذي يقدر من يكرمه فهو تذكير لهم بكرم الله في إطعامهم ، فنلاحظ أنّ الله عز وجل ساق حججاً من مقام حال المجتمع العربي في ذلك الوقت وطباعه الكرم والتكبر والاستهزاء، وهذا يوضّح لنا أنّ توصيل المقصد ينطلق من معرفة المخاطب ومداعبة اللاوعي العاطفي والنفسي.

إنّ خطاب الله كان بمثابة حوار للكفار لإقامة الحجة وتذكير للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيت له ، ولهذا ساق الله عزّ وجلَّ قصص الأنبياء مع أقوامهم وكانت هذه القصص أسلوب إقناعي من أساليب الحجاج والتي تتخللها أساليب أخرى.

أول القصص التي تطالعنا قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ، وهي أقوى الصور التي تتجلى فيها صورة ثبات الأنبياء ، وقوة الآيات ،وشدة مجادلة العدو ، ونكران الأدلة حتى مع برهانها ، فجاءت بالتسلسل الأول من بين قصص الأنبياء مع أقوامهم في سورة الشعراء ويتلوها على التوالي قصة سيدنا إبراهيم وسيدنا نوح عليهما السلام لما تقدم.

يبدأ الخطاب بالتحضير للحجاج بمعرفة السياق وأحوال المخاطبين قوم فرعون الظالمين ويظهر الله عزّ وجل القصد من المواجهة الكلامية التي يرسل بها سيدنا موسى عليه السلام من قوله تعالى:(ألا يتقون) ، وهنا يستعرض سيدنا موسى أدواته في تجهيزه لتلك المواجهة ومخاوفه في التكذيب وضيق الصدر بسبب الخوف ، فطلب هارون أخاه عضيداً لأنّ الحرب بدايتها كرسالة كلامية ويحتاج بها لطلاقة اللسان وليربط على جأشه قال له: (كلا فاذهبا بآياتنا إنّا معكم مستمعون)، يبدأ الحجاج(فقولا إنّا رسولا رب العالمين)، يبدأ الحوار يتخذ الصورة المنطوقة لتنقل الخطاب بصورة واقعية والصورة المنطوقة في الحجاج تظهر الحجاج بأقوى مستوى، وهذا مما يسهم على التوازي في إمداد الحجاج الإقناعي قوة في حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لقومه عند نقله سورة الشعراء كرسالة وحي لهم ،

بالعود على الخطاب الحاصل فابتدأ بسلم حجاجي صعد به سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون الذي ابتدأ معه من تذكيره بتربيته له في قصره منذ صغره وكان الخطاب هنا أبوياً ، ثم ذكره بذنب القتل ثم ختمها بكفره بربوبيته فكان يعتقد فرعون بنفسه أنّه ربهم الأعلى ، كل هذه حجج إقناعية مارسها فرعون في خطابه لسيدنا موسى عليه السلام للسيطرة عليه من العاطفة الأبوية ثم التخويف بذنب القتل الذي عليه ، ثم

تهديد السلطة الذي هو فيه كونه الربُّ كما يزعم فإنّه كافر به عندما يؤمن برب العالمين ، وهذه كلها حصون قوية والمقصد منها ليغير من عزيمة سيدنا موسى ولإقناعه للتراجع عن أمر الرسالة.

ردّ سيدنا موسى دحضاً هذه الحجج وبدأها من القتل فاعترف وقال وقت إذٍ كان من الضّالين ، ثم ردّ حجة تربيته له بأنّ الله وهب له حكماً وعلماً وجعله من المرسلين ، فهذا اعتراف بفضل وربوبية الله عزّ وجل على ربوبيته وتوضيح لفرعون أنّه مرسل رد اعتباري على السلطة التي يريد توجيهها عليه ، ثم يرتفع الحجاج سُلَّماً آخراً باستهزائه من فعل فرعون بتعبيد بني إسرائيل كون سيدنا موسى عليه السلام من قوم إسرائيل ، وهذا يحمل الكلام بعداً آخراً بمحاولة صريحة لتجريده من هذه السلطة فهل (تلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل)،

ثم يعود الكلام ليوجهه فرعون لسيدنا موسى (وما ربُّ العالمين) ، وهذا السؤال إذاناً بأنّ المحاجج أذعن لسماع الحجج ، فأجابه سيدنا موسى : (قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)، فاستخدم استراتيجية الإقناع العقلي ، فعظمة الكون هذه لا بد لها خالق وهذه من الحجج العظيمة التي تدحض ربوبية فرعون المزعومة ، ظهر على فرعون الإرباك وعدم امتلاكه الحجة وهنا يطلب من حاشيته التدخل (أفلا تستمعون) ، وهنا سيدنا موسى حول أدلته إليهم (قال ربكم وربُّ آبائكم الأولين) وهنا دليل خلق الناس والتي أيضا من أقوى الحجج التي لا يمكن لفرعون أن يناقشها ، اتهم فرعون سيدنا موسى بالجنون ليسخر منه ويضعف حجته فاستمر بالحجاج وكل مرة الحجة تظهر عظمة الخالق ودعوة للمحاجَجين للتفكر برسالته(قال ربُّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعلمون) ويأتي بآية كونية غروب الشمس وشروقها ليذكرهم كل هذا وما بينه له خالق ومدبر يعجز عنه بشر مثلكم .

هنا يستخدم فرعون السلطة ويأتي أسلوب الشرط قولاً كلامياً يهدف لإنجاز سلوكي فعلي،(لئن اتخذت إلاهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين) ويدعم القول مؤكدات تزيد من قوة تحقيق السلطة في جواب الشرط وهو السجن. يتبع سيدنا موسى ذلك بكل ثبات وثقة مواصلاً للحجاج فالمقصد إيصال الرسالة وإقناع الخصم فقال: (أولو جئتك بشيء مبين) وهذا الاستفهام تقريري ليسحب منه تمهيداً بأنّ الحجة إن كانت بينّة تسقط عنك كل أدلتك وحججك ، وهنا يسقط فرعون في فخ الحجاج الكلامي لينسحب الحجاج للمبين الظاهر المرئي(فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين)، اتهم سيدنا

موسى بأنّه متعلم للسحر يريد الملك فحشد له وحاشيته بوصف حاشيته(يأتوك بكل سحّار عليم)أي من كان متمرس بالسحر كثير العمل والعلم به ، ويذكر القرآن بأنّ السحرة معروفون هنا عند قومهم بالسحر وهذا أسلوب إقناعي بصورة التضاد والمقابلة كيف الكفر والسحر ينقلب إيماناً(فألقوا حبالهم وعصيّهم وقالوا بعزة فرعون إنّا لنحن الغالبون، فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، فألقى السحرة ساجدين، قالوا آمنا بربّ العالمين ، ربُّ موسى وهارون)،

ثمَّ يُظهِر الله عزّ وجلَّ عنايته برسله ونصره لهم تثبيتاً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أعرقنا الآخرين) وعبرة للكفار أنّ الله ينصر أنبياءه لا محال وأنّ الكفر والإصرار عليه لا يفلت من العقاب ، فهذه القصص من استراتيجيات الحجاج الإقناعي النفسية.

وكان قصص سيدنا موسى مع فرعون مثّل الصراع مع السلطة وفي ذلك الوقت كان يعتقد أنّ الألوهية مكسب للملك فعند ضرب الملك في كونه إلاها يعني ضربا للسلطة، أما في قصة سيدنا إبراهيم في سورة الشعراء فإنّ الخطاب كان موجه إلى قومه، والذين كان من صفاتهم القبلية وهذا يشكل صورة أخرى للحجاج والمواجهة.

يعزز الله عز وجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقصة سيدنا إبراهيم لتكون حجة أخرى لقومه بما تحمله من حجج منطقية تقصد إلى القصد ذاته الذي برسالة سيدنا محمد ، وهو إثبات ربوبية الله عزّ وجلّ وحده وإبطال عبادة الأصنام (واتل عليهم نبأ إبراهيم، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون)، فيبدأ الحجاج بسؤاله لقومه ومن صيغة السؤال بـ(ما) لغير العاقل من الواضح أنّه يعرف الإجابة ، فهم قومه في الأصل فيعلم كل الأحوال العقدية والمجتمعية بطبيعة الحال ، ومع أنّ الاستفهام استنكاري ، إلا أنّ الكفار أجابوه وشخصوا الإجابة (نعبد أصناماً فنظلُّ لها عاكفين) وأكدوا ببقائهم على عبادتهم لها، وهذا يوحي أنَّ القوم لا يمتلكون لا حجج المناقشة ولا يستطيعون تسليم عقولهم لها ، فهم يعرفون بأنَّ ما يعبدون صنما ولكن يؤكدون ولاءهم بالعبادة له ، وعدم تسليم عقولهم للمناقشة يأتي من استكبارهم.

والمخاطب يعلم ما تعني كلمة "أصناماً" ، ولكن يعود سيدنا إبراهيم لسؤال استفهامي تقريري(قال هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يَضُّرون) ، وهذه محاولة من سيدنا إبراهيم عليه السلام لتحفيز عقول الكفار للتفكير إذ تبيّن له من إجابتهم السابقة أنّهم مصابون بالجمود الفكري، فهذا الاستفهام التقريري

للحصول على فعل أو سلوك يقارب المقاصد من الحجاج ولكن كان جواب قومه(قالوا بل وجدنا ءابآءنا كذلك يفعلون)، وهذه إجابة تغلق النقاش وتقطع الطريق على أي محاولة تفكير خارج ما اعتادوا عليه رفض صارخ لما هو مختلف عمَّ وجدوا أنفسهم عليه ،

هنا استمر سيدنا إبراهيم مع أنّهم لم يطلبوا منه الفهم وهذا يدلُّ على شدة تعنت القوم (قال أفرءيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباءكم الأقدمون، فإنّهم عدوٌ لي إلا ربَّ العالمين)، وهنا استخدم سيدنا إبراهيم الحصر والاستثناء ، ليحقق بحصر كل ما يعبدون بحكم العدو له واستثناء ربّ العالمين من ذلك ، وبهذا برّز وحدانية الله وموقفه الرافض من أصنامهم ، وبدأ بسرد تعريف بربّ العالمين مع كونهم لم يطلبوا منه ذلك ، بالغالب لأنهم قومٌ لا يستعملون التفكير والسؤال لإشباع ما عجز عنه تفكيرهم بإحاطته، فيفسر معنى ربُّ العالمين (الذي خلقني فهو يهدين ، والذي يطعمني ويسقني ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يُحيين ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)، وهذا الشرح قدّم صورة مختلفة مع أصنامهم التي لا تضرُّ ولا تنفع ولا تستجيب لداعي، وضمّن في هذه الصفات كل أركان الإيمان التي يجب أن يتعلمها الموحد ، من كون الله هو الخالق هو الرازق والمحي والمميت وأنّ هناك يوم الحساب ،وهنا استعمل سيدنا إبراهيم ستراتيجية الحجاج العقلي الذهني العاطفي والنفسي ، فكون الله رباً هو تماس عاطفي يذكرك برحمة الله في مرضك ورحمة الله لك في افتقارك وضعفك ، وعقلي في التفكر في الخلق ، ونفسي في خطاب الموت والحساب .

في سياق سورة الشعراء لم يذكر الله عز وجل أجزاء وفصول أخرى من حجاج سيدنا إبراهيم لقومه والذي لم يفلح معهم الكلام والمنطق وانتقل معهم للدليل الملموس لتحطيم أصنامهم وترك المعول في عنق كبيرهم ، ولكن كان رد قومه أنهم قاموا برميه إلى النار ، وإخفاء هذا الجانب هنا لأن السياق سياق تطمين وتثبيت .

ويختتم قصة سيدنا إبراهيم باختصام الكفار في النار وحسرتهم على تسويتهم برب العالمين ، وحين ذاك لا ينفع الندم ، وعاقبة الكفار من قوم سيدنا إبراهيم تمثّل حجاج إقناعي نفسي موجه لكفار قريش.

ثمّ تأتي قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه والتي انتهت بتكذيبهم إلا نفر قليل منهم على مدار 950 عاما من الدعوة حتى دعى الله أن يفتح بينه وبين قومه بعد أن هددوه بالرجم ،فجاءه المدد والنصر الإلاهي

(فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثمّ أغرقنا الباقين) ، وهذه القصص دعم نفسي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتهديد مباشر وتخويف للكفار.

ثم يسرد الله عزّ وجلّ في مقام الاستشهاد بقصص الأنبياء مع أقوامهم قصة قوم عاد الذي أرسل إليهم نبي الله هود ، وابتدأ بسياق مقامي موجه من خارج زمن السرد ولسان الأشخاص في القصة ، ليبين للنبي أنّه والمتلقي منّا للقرآن أنّه منهم أخاهم ، ثم يأتي الحوار في القصة بالسرد المباشر من الشخصيات فكأنّما الحوار دار أمامنا ،وهذا الأسلوب يضيف للحجاج قوة المنطوق وحضوره.

واتخذ سيدنا هود في السرد استراتيجية الإقناع الذهني النفسي، الأولى بما قدّمه عن نفسه من أنّه رسولٌ أمين وأنّه لا يطمع في أجرٍ أو ملكٍ أو مالٍ أو مقابلٍ والنصح لتعريفهم بالله عزَّ وجلَّ وطاعته، وهذا جانب يعمل على تثبيت المخاطب ويجعله يرخي له حبال اللاوعي، لينطلق إلى ما يريد بيديه من معارضة ومخالفة لهم ، (أتبنون في كل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين، فاتقوا الله وأطيعون) ، وهذا الاستفهام إنكاري لا يطلب إجابته فهي حاضرة مع كل سؤال ، وهذا من إحاطته بأحوال قومه وتفكيرهم وسلوكهم ، إذ يبنون على الجبال المباني الشاهقة والأعمدة العملاقة استعراضاً للقوة وتفاخرا ويوسعون مصانع لهم من قصور بنيت بعناية واستنكر بطشهم وجبروتهم الذي يتفاخرون به بأنّ ليس هناك من هو أقوى منهم ، وهذا الحجاج والذي قبله هي اتفاقات مفروضة بمقتضى الحال من خلالها يستطيع المحاجج الولوج إلى ما هو مقصد الحجاج والذي هو مخالف لتوقعات المخاطب ومعتقداته ،

فيأتي بالقصد المباشر من الحديث وسياقه وأدلته بقوله: (وأتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) بأنّ الله هو من أمدهم بهذه القوة التي يتباهون ويبطشون بها ، (أمدكم بأنعام وعيون ، إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ختم الحجاج بالتخويف من العذاب إن استمروا بتكذيبهم ، فما كان جوابهم إلا استهتاراً واستخفافاً (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، إن هذا إلا خلق الأولين، وما نحن بمعذبين)، انتهى الأمر بعدم استجابتهم لمقصد الحجاج وأصروا على التكذيب فحق عليهم العذاب ، والرسائل بنتائجها هي رسائل ليعتبر منها الكفار المخاطبون في سياق سورة الشعراء ككل لعلهم يرشدون.

بعدهم يأتي قوم صالح عليه السلام قوم ثمود،كذلك ابتدأ حديثه لقومه بناءً على الثقة التي مبنية من العلاقة الاجتماعية في كونه أخيهم ومنهم كما جرى مع هود وقومه ، ثم دخل عليهم باستفهام استنكاري

يحثهم فيه على التفكير في النعم التي هم فيها فهل هي مستمرة وغير منقطعة فكان الغالب على ظنهم أنّهم لا يتحولون أو ينقطعون عنها فسألهم لعلهم يفكرون: (أتتركون في ما هاهنا آمنين، في جنات وعيون ونخيل وطلع هضيم، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين)، ويزيد الدخول في تعداد النعم وتفصيلها من التأثير النفسي على المخاطب ، ليصل للمقصد من الأدلة (فأتقوا الله وأطيعون ، ولا تتبعوا أمر المسرفين)، ليحذرهم من أنّ تكون النعم سبباً في طغيانهم.

لم يصدقه قومه وطلبوا منه أدلة مادية على كونه مرسل فكانت الناقة التي عقروها ليستعجلوا العذاب الذي لم يصدقوا حصوله ، ثم أخذهم العذاب ، وهذا حال المكذبين والمتعنتين.

وتتوالى القصص من قوم لوط وقوم شعيب ونقاشهم لقومهم من إتيانهم الذكران وإنكاره لفعلهم، وتطفيفهم للميزان وما لحق أقوامهم من عذاب ، كل هذا القصص تحمل المقصد والمعتقد المختلف والمنكر الذي جاء الأنبياء به لأقوامهم ينهونهم عنه وتأكيد على مبدأ أول الرسل ودعوة الوحدانية ودعوة استمرار رسالة السماء التي نزل بها سيدنا آدم حتى ختام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله عزَّ وجلَّ هو وراء هذه النعم ومسير لهذا الكون وهو الآمر بنهايتهم ونجاة المؤمنين وترك الآثار لليوم كحجج شاخصة للكفار على هذه الرسالة ،

إنَّ هذه الرسائل مجتمعة هي جميعها معتقدا وسلوكا وقيما مقاصد الرسالة التي حملها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقصص وما تحمله من عبرة حججا شاخصة لقوم سيدنا محمد ممن كانوا يختلفون معه في المعتقد ،

ويعطي الله عزّ وجل لسيدنا محمد توجيها وتفهيما بالقرآن الكريم (وإنّه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) ، وهنا إعلام بأنّ القرآن حجتك لقومك يا محمد مقصد الرسالة ومضمونها فيه ، وهذا تأكيد على بداية السورة (تلك آيات الكتاب المبين)، فحجتك ودليلك في النبوة هو بيان القرآن الذي يتحدى به فصحاء قريش من الشعراء والخطباء ،

يضيف الله عز وجل في الأقناع على حجة القرآن وأنّه ليس كتاباً من تأليف بشر وإنّما آية ورسالة من الله الخالق الواحد بقوله : (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل)، و الإستفهام هنا تقريري ، للتثبيت على أنّهم منكرون للحقيقة مع أنّ علماء بني إسرائيل يعلمون بالنبي وبالقرآن من رسالاتهم وكتبهم السماوية

، وهذا ما لايستطيعوا إنكاره ومن المتفق عليه بينهم وبين سيدنا محمد في الحجاج لإثبات أنّ القرآن كتاب سماوي وليس مما درَسه عند اليهود كما يزعمون.

ويؤكد الله عز وجل أنه حتى لو نزل عليهم أعجمي وليس عربي لكفروا لأنّهم عادوا المرسلين من قبل وكذبوهم ، ولم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

وهذا أول رد على كون القرآن ليس شعراً من تأليف البشر ، ثم يأتي بالحجة الثانية (وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، أنّهم عن السمع لمعزولون) وهذا ما يعرفه بداهة السحرة لينفي عنه تهمة السحر والشعر معاً ، فما عرف عن العرب قرنهم للشعراء المهرة بشعرهم شياطين تقرأها عليهم ،

ثم يُعلمنا الله عزَّ وجل على من تنزل الشياطين:(هل أُنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزّل على كل أفاك أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون، والشعراء يتبعهم الغاون ، ألم ترَ أنّهم في كل واد يهيمون ، وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ..إلا الذين آمنوا ..)، وهذا استفهام إخباري أجاب إجابة قطعية على من تنزل الشياطين وهنا يقصد المنجمون السحرة ،وهذه الصفات لا بالقرآن ولا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كشخص كما هم أنفسهم يعلمون.

أما الشعراء فيتبعهم الغاوون وعلل ذلك لأنهم أصحاب هوى ، وهذا ما لا يتطابق لا مع القرآن ولا مع شخص الرسول الكريم واستثنى من عندهم مقصد لا يتعارض مع الحق.

التكرار بلاغيا وهو أحد استراتيجيات الإقناع الحجاجي في سورة الشعراء تكررت آيتين كفواصل لنهاية كل قصة من قصص الأنبياء:(إنّ في ذلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين ،وإنّ ربك لهو العزيز الرحيم) ، تكررت عند نهاية القسم الأول من قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه والذي مثل مطلع السورة ، وهنا جاءت القصة مدورة أي عند قراءتها من النهاية تنتهي عند الفاصلة التي في المطلع ،وتكررت بعد قصة سيدنا موسى عليه السلام ، وفي نهاية قصة سيدنا إبراهيم ،وفي نهاية قصة سيدنا نوح عليه السلام ، وفي نهاية قصة سيدنا هود ، وفي نهاية قصة سيدنا صالح ، ولوط وشعيب عليهم السلام عليهم جميعا .

خاتمة:

1- الحجاج وسيلة تواصلية لما يحمل من إمكانية في التأثير.

ا2- حجاج وسيلة إعلانية. في سورة الشعراء تطرح فكرة وحدانية الله عزّ وجل، وهو وسيلة إعلامية لمن يخالف هذه الفكرة.

3-أنواع الحجاج كما تبين في البحث بحسب الهدف منه ، حجاج إنجازي ، وحجاج إقناعي.

4-التقنيات الحجاجية في مبحث أفعال الكلام الإنجازية في مبحث التداول يرتكز في تحقيق تأثيره الحجاجي على القصد وحسن توجيه التقنية.

5-الحجاج الإنجازي ، اشتمل على أساليب التعبير التي تتطلب إنجاز فعلي وسلوكي وبينا في أفعال الكلام هذه الأساليب، الاستفهام التقريري من أكثر الأساليب في سورة الشعراء في هذه الاستراتيجية ، والشرط كذلك.

6-القرآن الكريم تلك اللغة العالية جاء من واقع الاستلزام الحواري للمخاطبين ليعود إليهم بالحجة التي يريدها، لدعم الإعلام في المشروع القرآني الذي جاء ليثبت نهجاً للإنسان مخالفاً لواقعهم للنهج الذي كان سائدا.

7-الحجاج الإقناعي ، ويعمد إلى تغيير القناعات أملا في تغيير سلوكي ، وجاءت الأمثال والقصص والاستعارة والعديد من التقنيات في هذا النوع ، في سورة الشعراء تكرار الفواصل والسلم الحجاجي والقصص .

قائمة المراجع:

الكتب:

1- القرآن الكريم.
2- سرول ،جون، العقل واللغة والمجتمع، 2006 ، ترجمة سعيد الغانمي ،الدار العربية للعلوم ، بيروت ،ط1
3- الشهري ، عبد الهادي بن ظافر ، 2004،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة – لبنان ،ط1.
4- صادق ، مثنى كاظم ،2003 ،أسلوبية الحجاج التداولي البلاغي ،منشورات الاختلاف – الجزائر ، 2015 ،ط1.
5- فيري ، جان مارك ،2006 ، فلسفة التواصل، ت عمر مهيبل ، الاختلاف ،الجزائر، المركز الثقافي ، المغرب ، الدار العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ط1.
6- العزاوي ، أبو بكر ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع/منتديات سور الأزبكية ،2006 ، ط1 .

7- نهر ،هادي ،2003 ، الكفاءات التواصلية والاتصالية ، دار الفكر – عمان ،ط1.
8- هابرماس ، يورغن ، نظرية الفعل التواصلي ، ت فتحي المسك ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط1.
9- مناتي ، نهى سعد ،2023، فرانكشتاين في بغداد ، مقاربة تداولية ،دار كنوز المعرفة – عمان
10- ليتش ، جيوفري ،2013 ، مبادىء التداولية ،ت عبدالقادر قنيني . أفريقيا الشرق.

أطاريح:

11- النعيمي ، إيثار شكري ،2017 ، وظيفة اللغة من منظور تواصلي في الشعر العربي الحديث ،إطروحة دكتوراه غير منشور ، جامعة الأنبار _كلية التربية للعلوم الإنسانية.

مقالات:

12- أمقران ، شعبان ، 2018 ،تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، التعليمية ، المجلد 5 العدد 15 سبتمبر2018 ، 236-223
13- جغام ،ليلى،2013 ،دلالة الأقتضاء بين النحو والتداولية، مخبر اللسانيات واللغة العربية ، العدد الأول،95-89.
14- سالمي ، كريمة 2021 ،القصد والاستدلال في نظرية التخاطب لـ هـ بول غرايس ، اللسانيات – المجلد 28 – العدد 1 – الجزائر ، 33- 59.
15- سرحان ، لطيف عبد السادة ،دلالة التداول وآليات الحجاج في بنية خطاب الحديث النبوي الشريف ، العميد ،السنة العاشرة المجلد العاشر العدد السابع والثلاثون ،2021 ، 209– 244
16- النعيمي ، إيثار شكري شاكر ،2023 ،الحجاج وطرائق اشتغاله ،خطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الأنصار إنموذجا ،مجلة كلية التربية بنات – بغداد ،العدد 21 ،الجزء الأول- الدراسات الاسلامية ، 319 -337 .
17- مطاوي، نجاة ، زحاف، يوسف ،الأفعال الكلامية عند جون سيرل، مجلة الكلم –الجزائر، المجلد 6 /العدد: 2 (2021) ،ص214-203 .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Sustainable development concepts and their rulings according to the Sharia perspective: A Maqasid-based vision

Dr. Sajida Alawi Dawood

College of Islamic Sciences/University of Baghdad
Sajida.a@cois.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

This research explores the concepts and rulings of sustainable development from an Islamic legal perspective, focusing on the objectives of Islamic law (maqasid al-shari'ah). It highlights how sustainable development aligns with the objectives of Islamic law (preservation of religion, life, intellect, lineage, and property) and its fundamental principles. The research aims to present a jurisprudential vision for achieving a balance between the present and the future in light of these principles and Islamic legal policy. It also addresses the importance of considering contemporary changes in the application of these concepts to achieve justice and social stability. Finally, the research offers recommendations on how to utilize these principles to promote sustainable development from an Islamic legal perspective.

Keywords: Development, Sustainable, Objectives, Shari'ah, Regulations

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مفاهيم التنمية المستدامة وحكمها وفق المنظور الشرعي رؤية مقاصدية

م.د.ساجدة علاوي داود
كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد
Sajida.a@cois.uobaghdad.edu.iq

الملخص :

يسعى البحث إلى استكشاف مفاهيم التنمية المستدامة وحكمها وفق المنظور الشرعي الإسلامي، مع التركيز على الرؤية المقاصدية ، اذ يبرز البحث كيف تتوافق التنمية المستدامة مع مقاصد الشريعة الإسلامية (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال) والقواعد الأصولية ، يهدف البحث إلى تقديم رؤية فقهية لتحقيق التوازن بين الحاضر والمستقبل في ضوء القواعد الأصولية والسياسة الشرعية، تكمن اهمية البحث مراعاة التغيرات المعاصرة في تطبيق هذه المفاهيم لتحقيق العدالة والاستقرار المجتمعي. خلص البحث الى ان التنمية المستدامة في الإسلام تهدف الى تحقيق العدالة بين أفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية: تنمية، مستدامة، مقاصد، الشريعة، ضوابط

المقدمة :

تُعد التنمية المستدامة من أهم القضايا المعاصرة التي تتصدر الأجندة العالمية، حيث تسعى إلى تحقيق التوازن بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة، و في ظل التحديات البيئية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها العالم، اذتبرز أهمية النظر إلى التنمية المستدامة من منظور شرعي إسلامي يستند إلى القواعد الأصولية ومقاصد الشريعة .

يهدف هذا البحث إلى استكشاف مفاهيم التنمية المستدامة وحكمها وفق المنظور الشرعي الإسلامي، مع التركيز على الرؤية المقاصدية، وكيفية توظيف القواعد الأصولية في تحقيق التنمية المستدامة، نسعى من خلال هذا البحث إلى تقديم رؤية فقهية تسهم في تعزيز فهم التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي.
تناولنا أهمية الاجتهاد والتجديد في فهم مفاهيم التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي، وكيفية تطبيقها في الواقع المعاصر لمواجهة التحديات البيئية والاقتصادية والاجتماعية، وتم التركيز على دور الفقهاء والمشرعين في تطوير السياسات والاستراتيجيات التي تعزز التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه: على مقدمة وثلاث مطالب وخاتمة تناولنا في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناولنا في المطلب الأول مفهوم التنمية المستدامة ،أما المطلب الثاني تم التطرق الى مقومات التنمية المستدامة ،اما المطلب الثالث تكلمنا فيه عن دور الضوابط الشرعية للتنمية المستدامة وحكم العمل بها ، ثم ختم هذا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهمَّ ما توصلنا إليه من نتائج ، وأخيرًا نسأل الله أنْ نكون قد وفِّقنا في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

أهداف البحث

1- استكشاف مفاهيم التنمية المستدامة وحكمها وفق المنظور الشرعي الإسلامي.
2- تحليل القواعد الأصولية ومقاصد الشريعة المتعلقة بالتنمية المستدامة.
3- تقديم رؤية فقهية لتحقيق التوازن بين الحاضر والمستقبل في ضوء القواعد الأصولية والسياسة الشرعية.

4- استعراض أهمية الاجتهاد والتجديد في فهم مفاهيم التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي.

5- التركيز على دور الفقهاء والمشرعين في تطوير السياسات والاستراتيجيات التي تعزز التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي.

6- استعراض بعض النماذج والتجارب الناجحة في تطبيق التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في كيفية توظيف القواعد الأصولية ومقاصد الشريعة الإسلامية في تحقيق التنمية المستدامة في العصر الحديث، مع مراعاة التحديات البيئية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة. وتسعى الإشكالية إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

-كيف يمكن توظيف القواعد الأصولية في توجيه السياسات والاستراتيجيات لتحقيق التنمية المستدامة؟

-ما هي أهمية الاجتهاد والتجديد في فهم مفاهيم التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي؟

-كيف يمكن تحقيق التوازن بين الحاضر والمستقبل في ضوء القواعد الأصولية والسياسة الشرعية؟

أهمية البحث

1- يسهم البحث في تعزيز فهم مفاهيم التنمية المستدامة من منظور شرعي إسلامي.

2- يقدم رؤية فقهية لتحقيق التوازن بين الحاضر والمستقبل في ضوء القواعد الأصولية والسياسة الشرعية.

3- يساعد في تطوير السياسات والاستراتيجيات التي تعزز التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي.

4- يلقي الضوء على أهمية الاجتهاد والتجديد في فهم مفاهيم التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي.

5- يسهم في تعزيز الوعي بأهمية التنمية المستدامة في تحقيق العدالة والاستقرار المجتمعي.

اولا: مفهوم التنمية المستدامة

1.1 : التنمية :

عرفها أبن منظور: " النَّماءُ: الزِّيَادَةُ. و نَمَى يَنْمِي: زَادَ وكثر، ويقال: أَنْمَيْتُ الشيءَ ونَمَّيْته: جَعَلْتُهُ نَامِيًا، و يُقَالُ: نَمَيْت الْحَدِيثَ أَي رَفَعْتُهُ وأَبلغته " (ابن منظور،1994، ص 341).

أما معجم اللغة العربية المعاصر فعرفها: "نمَّى ينمّي، نَمِّ، تنميةً، والمفعول مُنمَّى، نمَّى إنتاجَه: زادَه وكثَّره، ، نمَّى النّارَ: أشبع وقودَها، نمَّى الأمرَ: طوّره، ، نمَّى ذاكرتَه: أنعَشها وقَوّاها "التَّمارين البدنيّة تُنمّي الجسمَ"

(عمر،2008،289) اي تقويه ، ويتضـــح من خلال ذلك أن لفظ (التنمية) معناها النماء أي الازدياد التدريجي وبذلك ينحصر باربعة معان هي: الزيادة والكثرة والارتفاع والتطور، والقوة.

1.2: المستدامة:

مأخوذة من: أَدامَهُ واسْتَدامَهَ الشي: تأَنَّ فِيهِ، وَقِيلَ: طَلَبَ دوَامَهُ، واستمراريته، وأدامَه واسْتَدامَه وداومَهُ: طَلَبَ دَوامَهُ، والدَّيُّومُ والدَّوْمُ: الدائمُ " (الفيروزابادي،2005 ،ص 1108)، ويشير المعنى اللغوي الى دوام الشـــيء واســـتمراريته دون انقطاع مع مراعاة التأني والرفق فإن المورد حتى يســـتديم فلابد من الترفق في الاستعمال دون اسراف حتى يبقى مستديماً.

1.3: مفهوم التنمية المستدامة

اما التنمية المســـتدامة فتعرف بأنها: " الأعمال التي تهدف إلى اســـتثمار الموارد البيئية بالقدر الذي يحقق التنمية، ويحد من التلوث، ويصون الموارد الطبيعية ويطوّرها، بدلاً من استنزافها ومحالة السيطرة عليها وهي تنمية تراعي حق الاجيال القادمة في الثروات الطبيعية " (العوضي،2003 ، ص 7)

ومنهم من يأخذ بنظر الاعتبار الإنسان كقيمة عليا عند تعريفه التنمية المستدامة

فيعرفها: "هي السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ بالاعتبار قدرات النظام البيئي الذي يحتضن الحياة وامكانياتها "(عبد الله،1998 ، ص13)

ثانيا: مقومات التنمية المستدامة

ان من اهم ما يميز مقومات التنمية وفق المنظور الاسلامي اذ تعد هي عنصر أساسي للاستقرار والتطور الإنســـاني والاجتماعي، اذ هي عملية تطور شـــامل أو جزئي مســـتمر وتتخذ أشـــكالاً مختلفة من الرفاه والاســـتقرار والتطور بما يتوافق مع احتياجاته وإمكانياته الاجتماعية والفكرية والاقتصـــادية، وقد اختلف الاقتصـــاديون حول هذا المفهوم ولا نكاد نحصـــل على تعريف متفق عليه بين الباحثين ويعود الســـبب في ذلك لعدة أمور(سانية،2014، ص 11)

1- كل باحث يعرفها انطلاقاً من الأيديولوجية الحاكمة لفكره واختصـــاصـــه لذلك اختلفت النظرة الى التنمية بين المفكرين الرأسماليين، والمفكرين الاشتراكيين، والمفكرين المسلمين.

2- مفهوم التنمية مفهوم نسبي متغير المحتوى في الزمان والمكان، فبالنسبة لعنصر الزمان فإن مستوى التطور الذي يسمح بالحكم على بلد ما بأنه متقدم اقتصادياً يتغير كلما مرت فترة معينة من الزمن، أما بالنسبة للمكان فإن لكل بلد خصائصه المتميزة اقتصادياً، اجتماعياً، ثقافياً ومؤسساتياً، لذلك من الصعب اعطاء تعريف موحد ودقيق لمستوى التنمية المنشودة.

3- الخلط بين مفهوم التنمية والمفاهيم القريبة منه، لا سيما مفهوم النمو الاقتصادي، أذ ظلت التنمية لمدة طويلة تنحصر في مفهوم ضيق هو النمو الاقتصادي، فمن وجهة نظر علماء الاجتماع تعرف التنمية بأنها: " العملية التي تبذل بقصد ووفق سياسة عامة لإحداث تطور وتنظيم اجتماعي واقتصادي للناس وبيئاتهم سواء كانوا في مجتمعات محلية أم إقليمية أم قومية بالاعتماد على المجهودات الحكومية والأهلية المنسقة، على أن يكتسب كل منهما قدرة أكبر على مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات " (شوقي،1961، ص 43)

اذ يرى علماء علم السياسة بأن التنمية هي" عملية إقامة المؤسسات السياسية، والتزامها بالنهج الديمقراطي، وإتاحتها مشاركة المواطنين في صنع القرارات" (ابوالنصر، 2017، ص67).

أما بالنسبة لعلماء الاقتصاد فالتنمية هي: " أحداث مجموعة من المتغيرات الجذرية في مجتمع معين، بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر، بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتجددة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات عن طريق الترشيد المستمر، لاستغلال الموارد المتاحة وحسن توزيع ذلك الاستغلال" (القرنشاوي ، 1978،ص 120)

ومنهم من جمع بين الاقتصاد والاجتماع في تعريفه للتنمية ووصفها بأنها:" التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معيّنة لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها الى حالة مرغوب فيها " (السمالوطي،1981 ، ص 12)

ومنهم من ركز على الإنسان نفسه كمحور للتنمية من خلال الخيارات والفرص المتاحة له وصولاً للسعادة، فهي الزيادة المطردة في مجالات الخيارات والفرص المتاحة للفرد في تخطيط وممارسة حياته حسب آرائه الشخصية في السعادة ومطالب الحياة "(جانت،1979 ، ص 16).

ثالثا: الضوابط الشرعية للتنمية المستدامة وحكم العمل بها

تُعد الضوابط الشرعية الإسلامية أساسًا مهمًا لتحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات الإسلامية. حيث توفر الشريعة الإسلامية إطارًا شاملاً يضمن التوازن بين الحاضر والمستقبل، ويحقق العدالة والاستقرار المجتمعي، ومن أهم الضوابط الشرعية التي تؤثر في التنمية المستدامة :

3.1- حفظ المقاصد الشرعية:

من ضوابط التنمية المستدامة في الإسلام هو حفظها للمقاصد الشرعية وهي الضروريات، الحاجات، والكماليات، فهذه المقاصد تراعي كل ما جاءت الشريعة لحفظه من الكليات الخمسة وهي: الدين، النفس، النسل، المال والعقل، وحفظها يوفر البيئة الأساسية للسلوك الاقتصادي الرشيد في مجال الإنتاج والاستهلاك، ويعمل على بناء الإنسان القادر على الإسهام في عملية التنمية، وتوفير الموارد اللازمة للعمليات الإنتاجية والتنموية.

ومما لا شك فيه إن عمارة الأرض لا تتم إلا بشعور الإنسان بالمسؤولية، ومعرفة دوره بالحياة بصفته خليفة الله في الأرض، وأن الملكية المطلقة لله ، فالإنسان مقيد في ملكيته وماله، فيجب أن يلتزم بنواهي ربه وأوامره فيه، لأن الملكية ضرورة عملية في تحقيق التنمية المستدامة، فالإنسان يجب أن يمتلك نتيجة كدحه، وهذا دافع نحو الإنتاج والتنمية وتثمير المال حتى قيام الساعة، وفي الوقت نفسه مراعاته للضوابط الشرعية، التي نصت عليها الشريعة في عملية الكسب، حتى يؤدي دوره في عملية الأستخلاف (صالح،2019،ص 69)

قال تعالى في سورة الاعراف(وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ 129)، يقول صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية المباركة: " يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه، وشكر النعمة وكفرانها، ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم " (الزمخشري،1987، ص 144)

3.2- قاعدة الحلال والحرام:

تعدُّ هذه القاعدة، من أهم الضوابط الشرعية الأساسية للتنمية المستدامة، وهي من القواعد الذهبية في الفقه الإسلامي، وتعني استخدام الوسائل المباحة، والابتعاد عن المحظورات، وكل ما فيه ضرر على المجتمع كالاحتكار والربا،والعلة في ذلك أن هدف التنمية المستدامة هو تحقيق المصلحة العامة في المجتمع وجلب المنافع للناس، ومنع اكل اموال الناس بالباطل، وذلك بالابتعاد عن كافة المعاملات التي تدخل بها الفائدة المصرفية لما بها من مضار اجتماعية واقتصادية عديدة بأن تضيف على ذو العجز المالي زياد عبء الدين وتحمله مخاطرة الخسارة لوحده، كما أنها تجعل اصحاب الأموال يتخاذلون عن اقامة الاستثمارات والمشاريع، من اجل الحصول بسهولة على مبالغ مضاعفة دون تعب أو جهد يبذله فتؤثر على النشاط الإنتاجي والاقتصادي بشكل عام (دوابة،2006 ، 24)

قال تعالى في سورة البقرة: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلا طَيِّبا 169)، وقوله حلالاً طيباً: " لأنّ الطّيّب من شأنه أن تقصده النّفوس للانتفاع به فإذا ثبت الطّيّب ثبتت الحلّية لأنّ الله رفيقٌ بعباده لم يمنعهم ممّا فيه نفعهم الخالص أو الرّاجح، وفي هذا الوصف معنًى عظيمٌ من الإيماء إلى قاعدة الحلال والحرام "(ابن عاشور،1984 ، ص 122)

وقد نص القرآن الكريم على تحريم الربا تحريماً قطعياً أبدياً وفي كافة المجالات، بقوله تعالى في سورة البقرة: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا175)، أي حرم جنس الربا بمختلف أنواعه، يقول صاحب الكشاف: " وقوله وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا إنكار لتسويتهم بينهما، ودلالة على أنّ القياس يهدمه النص، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه وأنذر تعالى بمحق فوائد الربا " (الزمخشري،321).

3.3- قاعدة لا ضرر ولا ضرار:

مما لا شك فيه أن هدف التنمية المستدامة في الإسلام هو تحقيق المصلحة العامة كما بينا ذلك سلفاً، ولكن بشرط دون التسبب بأضرار لمصالح الآخرين، وان يراعى تقديم المصلحة العامة على الخاصة في حالة وجود تعارض بين المصالح، وذلك على مبدأ درء المفسدة الكبيرة بمفسدة صغيرة، وذلك حتى لا يخلق مجتمعاً تنعدم منه الأخلاقية، ويتشر الفساد في الأرض(دوابة،2006، ص 26).

فعن أبن عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صـلى الله عليه واله وسـلم: «لَا ضَـرَرَ وَلَا ضِـرَارَ»(ابن حنبل،2001،55)، وكذلك بين النبي صلى الله عليه واله وسلم الآثار المترتبة على هذا الحديث فقد روي عن أبي سعيد الخُدريّ أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»(النيسابوري،1990، ص 235)

ويبدو أن حب التملك من الأمور الفطرية عند الإنسان تجلب له السعادة وتحقق له نوع من الاستقرار النفسي، وهو قديم قدم الإنسان منذ أن أهبطه الله إلى الأرض إلى أن يرثها – سبحانه وتعالى, وهو أمر معلوم بالضرورة, ولم يجرء على خلافه إلّا عتاة الملاحدة الذين كابروا الحقائق والأمور الواقعة, إلّا أن صاحبها قد يكون ممدوحاً في تملكه الفردي وقد يكون مذمومًا حسب تصرفه في ماله، وقد عالجها الإسلام بأحسن نظام وأعدله، واعترف بها ولكنَّه هذَّبها على طريقة لا ضرر ولا ضرار، كما بينا سلفاً سواء أكانت ملكية فردية أو جماعية (عواجي،2006، ص 1194).

حكم العمل بالتنمية المستدامة وفق المنظور الاصولي هو واجب ،اذا كانت هناك حاجة اليه لتحقيق مصالح المسلمين، لذا يرتكز علمائنا في محاولتهم استنباط حكم العمل بالتنمية الاقتصادية المستدامة، على فرضية أنها أمر حميد فيه مصلحة لجماعة المسلمين، أذ ان المقصد الأسمى للشريعة الإسلامية هو جلب المصالح ودرء المفاسد، وفي التنمية كما يرون جلب لمصلحة ودرء لمفسدة، ولذلك لابد أن يكون الدين الإسلامي قد حث عليها وربما يكون الاضطلاع بها واجباً على الحكومة الإسلامية.

فمنهم من يرى أن التنمية بأبعادها الإسلامية ليس اختيارية وإنما « فرض مقدس، افترضها الإسلام على الجماعة الإسلامية، وعلى الفرد المسلم وعلى الدولة الإسلامية» ، والدليل على ذلك فهو اشتمال كثير من الآيات والأحاديث على أوامر إلهية لها اتصال مباشر بالتنمية أو معتمدة عليها، مثل المشي في مناكب الأرض والابتغاء من فضل الله، والإنفاق والجهاد في سبيل الله وطلب الكسب وغيرها (دنيا،1979، ص 88)

وأن الآيات القرآنية التي تشير الى وجوب التنمية كثيرة، وأوضحها دلالة قوله تعالى في سورة هود(هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا 61)، وقد فسر علماء التفسير المراد من قوله تعالى: استعمركم فيها "

يعْنِي: أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه، وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغرس والأبنية " (الرازي،1985، ص 213).

وعلى ضوء ذلك وضع الإسلام للتنمية المستدامة حكماً خاصاً بها فجعلها في حكم الواجب ،فمطلع الآية المباركة ابتدأت بصيغة ﴿ هُوَ وَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ التي تُعّد في موضع التعليل للأمر بعبادة الله ونفي إلهية غيره، والاستعمار: من الإعمار، أي جعلكم عامرينها... ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يُعَدُّ تعميراً للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عَمْرُ الأرض(ابن عاشور، 1984، ص 107).

وأكثر الأقوال وضوحاً ودقة، ما ذهب إليه الإمام محمد الشيباني في تفسيره للآية المباركة أعلاه، أذ يقول: " الأمر حقيقته الوجوب، ولا يتصور الإنفاق من المكسوب إلا بعد الكسب، وما لا يتوصل الى إقامة الفرض به يكون فرضاً "(الشيباني،1989، ص 29)، وما الكسب في حقيقته إلا الإنتاج، وما الإنفاق إلا التوزيع، وعليه تكون حقيقة التنمية الاقتصادية هي الإنتاج والتوزيع، وهي واجب.

ولقد بلغ حرص الإسلام على وجوب التنمية المستدامة والحث على تعمير الدنيا مبلغاً في غاية الأهمية، عَنْ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام : «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا» (البخاري،1989، ص 168)، فكل تعاليم الإسلام تحث على وجوب العمل وتنميته، وهو أفضل ضروب العبادة ، فإن المصلحة المتحققة من غرس الفسيلة والساعة قائمة هو تكريم العمل الذي يتعبد به المسلم ربه ، والعبادة ليس لها أجل تقضى عنده، فالتنمية المستدامة بأبعادها الإسلامية فرض مؤكد أفترضها الإسلام على الجماعة والفرد والدولة (دنيا،1979، ص 5).

وبذلك يتضح بأن التنمية المستدامة ليست عملاً اختيارياً في نظر الإسلام، كما أنها ليست ضرورة تمليها ظروف تاريخية، وإنما هي فريضة إسلامية واجبة ، قبل إن تكون فريضة وطنية، لا يتحقق الإسلام عملياً إلا إذا توافرت في المجتمع الإسلامي .

وفيما يخص أولويات تحقيق تلك الحاجات فأن الإسلام وضع ثلاث مستويات هي الضروريات، والحاجيات، والكماليات، يقول الإمام الغزالي: " أن الْمَصْلَحَةَ باعتبار قوتها فِي ذاتها تنقسم إلَى مَا هِيَ فِي رتبة الضرورَاتِ والى ما هي فِي رتبة الْحَاجَاتِ وَإِلَى مَا يتعلَّق بالتحسينات والتزيينات " (الغزالي،1993،174 .)

ومما لا شك فيه أن هذه التغطية الشاملة لجميع مرافق الحياة لا تأتي من فراغ ولابد من اهتمام الدولة بصورة خاصة بها، ويشمل هذا الاهتمام بالصناعات التي تحتاج إليها الأمة، وتشجيع الزراعة والتجارة واستصلاح الأراضي، فكل المصالح والمرافق الاقتصادية التي تكون منفعتها لعامة الناس ويسبب إهمالها ضرراً بهم، على الدولة أن تعتني بها عناية تحقق المنافع المقصود منها(العبادي،1975، ص 241).

ومما لا شك فيه إن تحقيق الأمن وتوفير الغذاء الذي تسعى العمارة في الإسلام تحقيقه لا يتم إلا أذا ظل هدفاً مستمراً في حقل التنمية الاقتصادية المستدامة فهي تؤمن الموارد والإمكانيات، وقواعد الضمان الاجتماعي في الإسلام وتقرر أسلوب استخدام هذه الموارد والإمكانيات لتأمين الحياة الكريمة لكل إنسان، وهنا يبرز دور التنمية المستدامة واهميتها، في أنها ليست من أجل إبقاء هذه الجماهير الغفيرة على قيد الحياة، لتكافح من أجل البقاء المجرد، وإنما من أجل استيعابها اجتماعياً، وتحقيق الحياة الكريمة لها، وتهيئتها للقيام بوظيفتها في الحياة.

أن مشكلة العيش والطعام من أبرز المشاكل العالمية التي ضلت تواجه الإنسانية منذ بدء الخليقة، فإن ما هدف إليه الإسلام هو أن يضمن للإنسان ذلك القدر اللازم من الحاجات الضرورية لحياته، والأساسية لوجوده، لينعم بهناء العيش، ويحيا براحة الفكر، لأن الإسلام يدرك أن البطون الجائعة أبعد ما تكون عن الإيمان بجدوى المنطق المتزن والفكر الراجح، يقول الإمام الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد: " فنقول إن لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن، هو آخر الآفات، ولعمري من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من

وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتاه الى سعادة الآخرة، فإذن بان نظام الدنيا، أعني مقادر الحاجة شرطاً لنظام الدين" (الخليلي،2004 ، ص 128).

إذن فهدف التنمية، هو تيسير سبل العبودية لله بحيث تسخر العملية التنموية بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبكل فعالياتها في مساعدة الفرد على تحقيق العبودية لله وحده، وتكون التقوى بأبعادها الإنسانية، الداخلية والخارجية، هي قاعدة الانطلاق في البناء التنموي، فمسلك التقوى أساس ضروري للتنمية في مفهوم الإسلام، لأن جوهر التنمية هو تنمية الإنسان نفسه وليس مجرد تنمية الموارد الاقتصادية المتاحة لإشباع حاجاته، فهي تنمية أخلاقية تهدف الى تكوين الإنسان السوي الذي يشكل نواة مجتمع المتقين، والذي ينظر الى التقدم المادي من منطلق الخلافة في الأرض، التي سيحاسب عليها أمام المولى عزه وجل ،ولتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ الضروريات الخمسة للناس، وتحقيق المصالح لهم ودفع المفاسد عنهم، يقول الإمام الغزالي " أن مقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم، أنفسهم، وعقولهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة " (الغزالي، 1993 ،ص 124) .

وتهدف التنمية المستدامة في الإسلام الى تحقيق العدالة بين أفراد المجتمع، لأن توفير المتطلبات الاقتصادية وغيرها للمجتمع لا يكفي ما لم تحقق العدالة الاجتماعية في توزيع الدخل بين الأفراد الذي قد يؤدي بشكل مباشر الى انخفاض الادخار في المراحل الأولى للتنمية، ولكنه يؤدي بعد ذلك في المدى الطويل الى نمو الناتج القومي بشكل أكثر استقراراً (النمري،21).

النتائج

فلا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته بالشكل الذي رسمناه له، فنقول:

1- تُعد الضوابط الشرعية الإسلامية أساسًا مهمًا لتحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات الإسلامية.

2- تحقق التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي التوازن بين الحاضر والمستقبل.

3- تُعتبر مقاصد الشريعة (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال) إطارًا مرجعيًا للتنمية المستدامة.

4- القواعد الأصولية مثل "لا ضرر ولا ضرار" و"الضرر يزال" تؤثر في توجيه السياسات البيئية والاقتصادية.

5- العمل بالتنمية المستدامة وفق المنظور الأصولي المقاصدي هو واجب كفائي لتحقيق مصالح المسلمين.

6- تُسهم التنمية المستدامة في حماية البيئة والموارد الطبيعية للأجيال القادمة.

7- تعزز التنمية المستدامة العدالة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الإسلامي

8- الاجتهاد والتجديد في فهم مفاهيم التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي ضروري لتحقيق التطور المستدام.

9- تُعتبر الشفافية والمسؤولية من أهم المبادئ الشرعية التي تؤثر في تحقيق التنمية المستدامة<

10- تطبيق الضوابط الشرعية للتنمية المستدامة يسهم في تحقيق الاستقرار والازدهار للمجتمعات الإسلامية.

11- تُسهم الضوابط الشرعية في تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي وحماية البيئة.

12- الفقهاء والمشرعين يلعبون دورًا مهمًا في تطوير مفاهيم التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي.

13- التنمية المستدامة وفق المنظور الشرعي تُعزز الوعي بأهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية.

14- تطبيق القواعد الأصولية يسهم في تحقيق العدالة التوزيعية في المجتمعات الإسلامية.

المصادر

القران الكريم

1- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (2001)المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت.

2- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد (1984)التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس.

3- أبن منظور ، محمد بن مكرم (1994) لسان العرب،دار صادر، بيروت.

4- ابو النصر،أ. د مدحت ، ياسمين مدحت محمد(2017)، التنمية المستدامة: مفهومها – ابعادها – مؤشراتها، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر .

5- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ،(1989) الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ، بيروت.
6- جانت، جورج (1979)إدارة التنمية: مفهومها – أهدافها- وسائلها ، ترجمة : منير لبيب موسى ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، القاهرة .
7- الجمال، د. غريب(1977) النشاط الاقتصادي في ضوء الشريعة الإسلامية،دار الشروق، القاهرة
8- الخليلي، عبد الله محمد (2004) الاقتصاد في الاعتقاد: دار الكتب العلمية ، بيروت.
9- دنيا، شوقي أحمد(1979) الإسلام والتنمية الاقتصادية، دار الفكر العربي، القاهرة.
10-دوابه ، محمد(2006) دور الأسواق المالية في تدعيم الاستثمار طويل الأجل في المصارف الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.
11-الرازي، احمد بن علي الجصاص(1995)احكام القران، دار الكتب العلمية، لبنان.
12-الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،(1987) تفسير الكشاف= الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
13-سانية، د. عبد الرحمن (2014) دراسات في التنمية الاقتصادية، مكتبة حسن العصرية ، بيروت.
14-السمالوطي ، د. نبيل(1981) علم اجتماع التنمية: دراسة في اجتماعيات العالم الثالث ، دار النهضة العربية ، بيروت .
15-شوقي ،عبد المنعم (1961)، تنمية المجتمع وتنظيمه، مكتبة القاهرة،مصر.
16-الشيباني، محمد بن الحسن(1989) الأكتساب في الرزق المستطاب، تحقيق الشيخ محمود عرنوس، دار الكتب العلمية،بيروت.
17-الصافي،د. فتح الرحمن عبدالله (2012) التنمية من منظور إسلامي ، جامعة افريقيا العلمية، كلية الاقتصاد العلمية،الخرطوم.
18-العبادي، د. عبد السلام (1975) داود الملكية في الشريعة الإسلامية: طبيعتها وظيفتها، وقيودها، مكتبة الاقصى ، عمان.

19-عبدالله ، د. عبد الخالق(1998) العلاقة بين التنمية والبيئة ،سلسلة كتب المستقبل العربي ،العدد 13 ، بيروت .

20-عمر،د. أحمد مختار عبد الحميد (2008) ، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت.

21-عواجي، د. غالب بن علي(2006) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية الذهبية، جدة.

22-العوضي ، د. سعاد عبد الله (2003)البيئة والتنمية المستدامة ، الجمعية الكويتية لحماية البيئة ، الكويت.

23-الغزالي ،أبو حامد محمد (1993) المستصفى ، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي ،دار الكتب العلمية، بيروت.

24-الفيروز أبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد (2005) القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

25-القرنشاوي ،د. حامد (1979) تساؤلات حول اقتصاديات التعليم وقضايا التنمية في الوطن العربي ، ندوة التعليم والتنمية، المعهد العربي للتخطيط، الكويت.

26-النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله(1990) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعروة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

Linguistic alternatives in the derivation of legal rulings by jurists: affirmation and clarification

Kassri Lbachir[1]
Regional Academy for Education and Training Professions, Draa-Tafilalet, Morocco
Klbachir10@yahoo.fr
Benhassain rachid [2]
Regional Academy for Education and Training Professions, Draa-Tafilalet, Morocco
rachidbenhassain2@gmail.com

Abstract:

It can be said that scholars of Islamic jurisprudence (usul al-fiqh) made linguistic analysis the fundamental starting point for understanding, deduction, and reflection. They were able to utilize the findings of linguists concerning the study of words and their meanings, basing their own linguistic studies and the rules of their linguistic deductions upon these findings, which branched into rules, principles, and criteria. This was only possible after their thorough examination of the nature of the Arabic language and their observation of its ability to convey meaning, as well as the transformations that occur to this meaning according to context and usage**.**

Keywords: linguistic; fiqh; deduction; context; principles.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي التاسع حول
البحث العلمي في التخصصات المتعددة: ابتكار وتفاعل وأثر علمي أيام 24-25 /10/ 2025
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة...قوة للتغيير والابداع ۞

ضوابط لغوية في استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء: تقرير وتمثيل

إعداد:

- **البشير قصري:**[1]
- الأكاديمية الجهوية لمهن التربية والتكوين درعة تافيلالت، المغرب.

Klbachir10@yahoo.fr

- **رشيد ابن حساين:**[2]
- الأكاديمية الجهوية لمهن التربية والتكوين درعة تافيلالت، المغرب.

rachidbenhassain2@gmail.com

ملخص:

يمكن القول إن علماء أصول الفقه جعلوا من الدرس اللغوي المنطلق الأساس في الفهم والاستنباط والتدبر بحيث استطاعوا استثمار ما توصل إليه علماء اللغة من نتائج تخص مباحث الألفاظ والدلالات بحيث أسسوا مباحثهم اللفظية وقواعد استنباطاتهم اللغوية على ما قرره علماء اللغة من نتائج تفرعت إلى قواعد وأصول وضوابط. ولم يتأت لهم ذلك إلا بعد استقرائهم لطبيعة اللغة العربية ومتابعتهم لها في أدائها للمعنى وما يعتري هذا المعنى من تحولات تبعا للسياق والاستعمال.

ذلك أن الضوابط اللغوية تعتبر من أهم القضايا التي تناولها علماء الشريعة الإسلامية عموما، والفقهاء على وجه الخصوص، كأدوات منهجية وآليات ضرورية لفهم خطاب الوحي فهما دقيقا أولا، واستنباط أحكامه الفقهية ثانيا.

الكلمات المفتاحية: الفقه، اللغة العربية، قواعد، استنباط، الحكم.

مقدمة:

تعتبر اللغة العربية سبيل فهم النصوص واستنباط الأحكام الشرعية ، وإدراك المقاصد والمعاني، وقد اهتم أهل العلم بذلك، ووضعوا له ضوابط وقواعد، أصلوها وفصلوها في مظانّها من كتب اللغة والأدب والنحو والصرف والبلاغة والتفسير والأصول، وصاحوا في المهتمين من فقهاء ودارسين للنصوص عموما بضرورة امتلاك ناصية اللغة وإعمال ضوابطها، كما فعل العلامة ابن هشام (ت 761هـ) في كتابه مغني اللبيب، والعلامة الشاطبي (790هـ) في الموافقات، والإمام الزركشي (ت 794هـ) في كتابه البرهان، والإمام السيوطي (ت 911هـ) في كتابه الإتقان، وغيرهم كثير.

وفي هذا العصر اشتدَّت الحاجة إلى العناية بقواعد اللغة وضوابطها، سواء في معاني الألفاظ المفردة أو في التراكيب، وخاصة مع استحداث طرق ملتوية مليئة بالمغالطات اللغوية في التعامل مع النصوص، بجوار قصور شديد في العلم والتوظيف الرشيد لآلة اللغة، فنتجت عن ذلك أقوالٌ شاذّةٌ في تفسير القرآن وشرح السنة.

وإن كان هذا خطاب البدايات وسؤال الماضي، فإن التطاول على ميادين التفسير والبيان والفقه والأحكام من غير مُكنة، والجرأة بلا ضوابط يقوم اليوم مبررا، بل موجبا لتجديد القول فيه، على وجه يناسب الزمن وإمكاناته، والواقع وتحدياته، والأفق المستقبلي ومطالبه، وقد مر على الناس زمان (الموسوعية) يجمع فيه الواحد من العلم ما لا يطيقه العشرة، فألزموا المجتهد بالفقه والنحو والمنطق والبلاغة وغيرها، وبذلك صرح أفذاذ العلماء قديما وحديثا، منهم ابن حزم (456هـ) حيث قال: "إنه لا بد للفقيه أن يكون نحويا لغويا، وإلا فهو ناقص، ولا يحل له أن يفتي لجهله بمعاني الأسماء، وبعده عن فهم الأخبار" ، ومنهم وهبة الزحيلي بقوله: "إن كلا من الوحي الإلهي والقانون الوضعي المصوغ بلغة معينة يجب أن يفهم بحسب قواعد تلك اللغة، ولا يلزم المكلفون بمقتضى الوحي أو القانون إلا إذا توافرت القدرة على فهم النص. "

واليوم وقد سار الأمر إلى تخصصات ضيقة ننتقل بطلبنا من الفقيه الموسوعي إلى المجموعة المتكاملة المنسجمة لالتماس المعنى واستنباط الحكم وتحقيق المقصد، في إطار من التكامل والتناسق والتعاضد. ولا يخفى أن بحثنا هذا يعالج جانبا مهما، وإشكالا كبيرا من إشكالات الصناعة الفقهية المعاصرة، بغية إعادة التوازن للعلاقة بين اللفظ والمعنى، وتفعيلها بشكل سليم,

وقد فرضت علينا طبيعة الإشكال والأهداف المتوخاة اعتماد منهج يقوم على الوصف والتحليل والاستنباط، ملتمسين المادة العلمية في مظانها الأصلية، وقد جاء منتظما في ثلاثة مباحث، صدرناها بمقدمة، وذيلناها بخاتمة، فخصصنا المبحث الأول للسياق العام وتناولناه تحت عنوان: التكامل بين العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، ثم توغلنا في الموضوع أكثر في المبحث الثاني تحت عنوان: الحكم الفقهي بين الوضع والقصد، لنخلص إلى المبحث الثالث: لتقرير جملة من الضوابط اللغوية والتمثيل لها فقط.

المبحث الأول: التكامل المعرفي بين العلوم اللغوية والعلوم

نتطرق في المبحث إلى الاستفادة المتبادلة بين العلوم الشرعية وقرينتها العلوم اللغوية، وذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: العلوم الشرعية في خدمة العلوم اللغوية

تتجسد العلاقة بين الحقل الشرعي والحقل اللغوي في التأثير الذي مارسته الشريعة الإسلامية في الميادين اللغوية كأولى صور هذا التكامل والترابط المعرفي، ويمكن تناولها من جانبين: النشأة والمنهج .

الجانب الأول: من حيث النشأة

يورد الكثير من القدماء روايات حول نشأة الدرس اللغوي العربي ترتبط أساسا بفشو اللحن في المجتمع العربي الإسلامي غداة اتساع رقعته ، وتعدد أجناسه ولغاته، ومن بين هؤلاء الزبيدي في الطبقات، حيث يقول: " ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها، وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه أرسالا(طوائف)، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منها في الإعراب الذي هو حليها، والموضح لمعانيها، فتفطن له من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فشو ذلك، وغلبته حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم، وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه، فكان أول من أصل ذلك وأعمل فكره فيه، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم ، وعبدالرحمن هرمز. فوضعوا للنحو أبوابا، وأصلوا له أصولا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم....." (الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، 1954، ص:11)

فالأسباب الكامنة وراء نشأة الدرس اللغوي العربي تعود إلى فشوا اللحن والخوف من ذهاب لغة العرب، وبالتالي لجأوا إلى تقييدها وتأسيس قوانين يقاس عليها صحيح الكلام من فاسده، أي إنتاج قواعد مستنبطة من استقراء كلام العرب الفصيح السليم في جميع الحالات. وإلى مثل هذا أشار أبو القاسم الزجاجي. (الزجاحي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، 1982، ص89).

إن الرأي الذي ألمعنا إليه في غاية الأهمية، لأنه يبرز مسألة ارتباط نشأة الدرس اللغوي العربي بالعقيدة الإسلامية، وهو ما يعني بالارتباط بالعلوم الشرعية أساسا(الرأي الذي نتبناه)، فما طبيعة هذه العلاقة وهذا الاتصال؟

لقد اشتهر الصحابة رضي الله عنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوضيح معاني القرآن للمسلمين خاصة منهم عبدالله بن عباس، الذي يعد أول مفسر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وصلنا منه كتاب عن هذا العلم اسمه:" تنوير المقباس من تفسير ابن عباس". كان يفسر القرآن تفسيرا لغويا بالرجوع إلى الشعر وكلام العرب (جوامع كلامهما)، كما بحث على جمع المادة اللغوية، وكثيرة هي الألفاظ الغريبة التي اتضح له معناها من خلال ديوان العرب حتى اشتهر عنه قوله:" ما كنت أدري قوله تعالى:(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها تعالى أفاتحك، أي أحاكمك إلى القاضي" (ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ص:1045)

في خضم هذه الحلقة تشكلت النواة الأولى للتفسير اللغوي مما دفع الحلواني في العصر الحاضر إلى القول بأن" علم العربية بفروعه المختلفة كان يعرض في مجال تفسير غريب القرآن، وأن ما ألفه اللاحقون في العصر الإسلامي أمثال أبي عمرو ويونس، والكسائي من كتب في معاني القرآن، إنما هي تطوير لمجالس ابن عباس، وحلقاته مع الاستفادة مما استنبط من قوانين اللغة، وما فسر به الحالات الإعرابية في قراءته (الحلواني ، محمد خير، 1996م، ص:78)، وبهذا يكون ابن عباس باحثا عن الدلالات والمعاني في الخطاب الإلهي حسب اللغة، واتباع سنن العرب في كلامها.

وإذا كان علم القراءات من أولى العلوم التي نشأت مع نزول الآيات الأولى من القرآن ، فإن قراءة القرآن كانت تتم بالتلقي عن الثقاة من المقرئين أمثال ابن مسعود، وزيد بن حارثة، عمر بن الخطاب...، ولما كانت القراءات متعددة، فإن كل مقرئ يشكل خصوصية من الناحية اللغوية، ولعل حادثة جمع القرآن

في عهد عثمان رضي الله عنه، وتدوينه في كتاب واحد تعد إيذانا بإنشاء قواعد، ومنطلقات لغوية صحيحة يرجع إليها في ممارسة القراءات.

ما يبرز أن المسلمين كانوا يجدون صعوبة في فهم القرآن وقراءته بمختلف القراءات على الرغم من فصاحتهم اللغوية، مما يؤكد أن هذا الثابت يمثل ثروة لغوية كبيرة تحتاج إلى مفاتيح من نفس المادة كفيلة بإيضاح الإفهام، وتجلية المعاني، واستنباط الأحكام من الأوامر والنواهي.

ومفاد هذا الكلام أن العرب بدأوا في إنتاج الآليات المنهجية الأكثر تطورا (علوم الآلة) لتحقيق غرض الفهم، والحفاظ عليه بالحفاظ على اللغة ذاتها، يقول ابن خلدون محددا الهدف المقصود من نشأة الدرس اللغوي العربي:" فخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لها يقيسون عليها سائر أنواع الكلام.(ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد1981،دار القلم بيروت، ط:4، ص:546)

ليس معنى ذلك أن العرب لم تكن لها قوانين ، بل كانت لها قواعد أساس، متعارف عليها في الاستعمال اللغوي المطرد يوميا، وهي ما سماه ابن خلدون بالملكة، لكن إخراج هذه القوانين إلى الوجود، وهو ما يشكل سابقة نظرية، وعملية في آن واحد لم يتم إلا بظهور الإسلام، وظهور ما اصطلح عليه بالعلوم الشرعية.

ويعد أبو الأسود الدؤلي أول من نحا هذا المنحى، الشيء الذي ذكره النحاة والأدباء وأصحاب الطبقات، ولعل الزبيدي أكثرهم دقة في تحديد هذه المقاييس عند أبي الأسود بقوله:" وهو من استن العربية، ونهج سبيلها، ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون، فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف وحروف النصب والرفع، والجر، والجزم.(الزبيدي، محمد 1984، ص:13)

وثمة علوم لغوية أخرى غير النحو تعود إلى الأسباب نفسها، مثل المعاجم العربية ككتاب العين للخليل، والرسائل اللغوية الكثيرة التي ألفها أبو زيد الأنصاري والأصمعي، وغيرهم من علماء البصرة والكوفة.

أما القراءات القرآنية فتعد من اللبنات الأســاس في ظهور علم التصــريف وعلم الأصــوات، حيث كان علماء القراءات يؤكدون على ضـــرورة معرفة مجموعة من القواعد :كالمد والإدغام، والقلب والإظهار، والترقيق والتفخيم، والإمالة والغنة.....، ذلك أن الاهتمام بغريب العربية جاء من الاهتمام بغريب القرآن، خاصــة وأن الطابع الذي تحكم في الفكر آنذاك هو النظرة الموســوعية التي تتشــابك فيها الاختصـاصـات، والتي لن تسـتقل عن بعضـها البعض حتى عصـر التدوين، فالفقيه لغوي، واللغوي فقيه، وكذلك بالنسبة لسائر العلوم.

بناء على هذا الأساس دخلت القضايا الشرعية في صلب الدراسات اللغوية، وهكذا فإن أصول النحو أقيمت على غرار أصـــول الفقه(اقتداء بهم)، فإذا كانت أصـــول الفقه أربعة كما هددها علماء الشـريعة(القرآن والسـنة والإجماع والقياس)، فإن أصـول اللغة أربعة كذلك وهي: النص والإجماع والقياس، ويدخل القرآن والسنة ضـمن الأصـل الأول كنصـوص لغوية. "فأصـول النحو أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعه، وفصـــوله، كما أن أصـــول الفقه أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملته وتفصـــيله، وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل والارتفاع عن حضـــيض التقليد غلى الاطلاع على الدليل"(ابن الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، ص:125-126)

كما أن الصـــرفيين كانوا قراء، ومهتمين بهذا العلم غاية الاهتمام، كابن جني الذي دافع عن القراءات الشـاذة في كتابه المحتسـب، وألف المنصـف في التصـريف، وسـر صـناعة الإعراب وكل الكتب النحوية حاملة لأبواب من هذا النوع.

نستشـف مما سبق ذكره أن الخطوات الأولى للدرس اللغوي العربي تتصـل اتصـالا مباشـرا بالعلوم الشرعية: فقها، وتفسيرا، وقراءة، وكلاما، وأصولا. فهل تتصل بها من حيث المنهج ؟.

الجانب الثاني: من حيث المنهج

إن المتتبع لتاريخ العلوم الشـــرعية يدرك لامحالة أنها قســـمت إلى اتجاهين اثنين: الأول عقلي والثاني نقلي، وتمثلهما مدرستان في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وهما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة.

ففي البصـــرة ســـادت النزعة العقلية للفقه والتفســـير وعلم الكلام، ويعد أبو حنيفة والحســـن البصري، وأبو الأسود الدؤلي، من العلماء الذين اتبعوا منهج الرأي، حتى كثر الاجتهاد بالقياس، واستنباط الأحكام الشرعية بالاعتماد على الأدلة العقلية.

أما الكوفة فكانت النزعة النقلية هي السـائدة، حيث اهتم أهلها كثيرا بالفقه والقراءات ورواية اللغة، أمثال: أبي عمرو الشيباني، وأبي عبيدا القاسم، والكسائي.

ولما كان أغلب النحاة واللغويين مبرزين في العلوم الشـرعية قبل التأليف في العلوم اللغوية، فإنهم نقلوا الروح العامة التي طبعت منهج الحقل الشـرعي إلى الحقل اللغوي. وهكذا أصـبح النحو البصـري نحوا يميل إلى القياس والعلة، ويدعو إلى التأويل، ويقول باطراد القواعد، ورفض الشـــاذ منها، ودليل ذلك كتاب سيبويه الذي يهتم بالقياس والعلل، ويتضمن مصطلحات من نحو(أقيس، جائز، جائز، شاذ.....).

أما نحو الكوفة فلا يميل إلى ما هو مطرد، ولذلك جاءت قواعدهم شـــاذة ومعقدة الفهم، ولعل "حتى" بين سيبويه والفراء أوضح مثال على ذلك، فإذا كان هذا المبحث واضح وسهل عند عمرو، فيكتسيه الغموض عند الفراء، خاصة عند استعماله لمفهوم التطاول. فعملية تقنين وضبط منهجية البحث في علوم الآلة جرت مجرى تقنين المنهجية في علوم الشـريعة، وإذا تصـفحنا مقدمات بعض الكتب النحوية واللغوية وجدنا ما يؤكد هذا الرأي في المنهج، يقول ابن الأنباري في خطبة الإنصـــاف:" إن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين بالمدرســـة النظامية ســـألوني أن ألخص لهم كتابا لطيفا يشـــتمل على مشـاهير المسـائل الخلافية بين نحوي البصـرة والكوفة على ترتيب المسـائل الخلافية بين الشـافعي وأبي حنيفة ليكون أول كتاب صـــنف في علم العربية على هذا الترتيب"(ابن الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، ج1، ص:5.)

وفي مقدمة الخصـــائص يؤكد ابن جني أنه اتبع منهج علمي الكلام وأصـــول الفقه في تناوله للغة، وبالفعل فإن الأبواب اللغوية التي تناولها في الأصـــل تعد كلامية وأصـــولية، حتى دفعه انتماؤه الاعتزالي إلى القول: "إن علل النحويين وأعني حذاقهم المتقنين لألفافهم المسـتضـعفين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين"(ابن جني، أبو الفتح عثمان، ج،1، ص:48.) وفي كلتا الحالتين تأكيد على تأثر النحاة بعلماء الكلام والفقه وإن بشكل متفاوت.

من خلال الأدلة المقدمة يظهر بجلاء، التأثير الذي مارسته العلوم الشرعية على العلوم اللغوية من الناحية المنهجية، ونتيجة هذا الارتباط المتناسق أن إنكار قاعدة، أو قانون ما في الحقل الشرعي يؤدي إلى إنكاره في الحقل اللغوي. فالظاهريون الأندلسيون ينكرون القياس والعلل في الفقه، واقتداء بهم ينكر ابن مضاء القرطبي القياس والعلل في النحو، كما ينتقد النحاة المشارقة، وهذا دليل حي على العلاقة التي تحكم الحقلين.

المطلب الثاني: موقع العلوم اللغوية من العلوم الشرعية.

في المبحث المطلب الأول، تأكد لدينا أن العلوم الشرعية كانت لها أسبقية تاريخية من حيث الوجود، فساهمت في إنشاء الآليات المنهجية، لكي لا تنغلق الثوابت الإسلامية على الفهوم وتفسد الملكة اللغوية لدى المتكلم العربي.

فما موقع هذه الأدوات اللغوية من علوم الشريعة، على مستوى علم الفقه الإسلامي، وعلم التفسير؟.

المستوى الأول: علم الفقه الإسلامي

يعد الفقه الإسلامي الأداة المنهجية الضابطة التي يتم بها استخراج الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية (القرآن والسنة)، ولما كانت هذه الأدلة تمثل ثروة لغوية هائلة، جاء اهتمام الفقهاء باللغة العربية وسائر علومها، كمفتاح أساس وضروري للفهم الذي من أجله قامت العلوم الإسلامية لغوية كانت أو غير لغوية، وبحكم اشتغال علماء الفقه على هذين المصدرين الأصليين، اعتمدوا اعتمادا كبيرا على ما يقدمه النحو والبلاغة من وصف للغة، التي هي مادة النصوص الشرعية، فأخذوا ما قرره علماء اللغة من قواعد لغوية يتوصل بها إلى فهم نصوص الأحكام، وما خفي من الدلالات والمعاني، إذ يكفي أن نعلم أن تحديد الأمر عندما يرد في القرآن أو السنة بصفته أمرا لازما، أو غير لازم على وجه التربية أو التوجيه، أمر تتحكم فيه قراءة البلاغي لصيغته كأمر.

وقد تحدث الآمدي عن هذا بقوله: " وأما علم العربية فتتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب أو السنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة، والمجاز،

والعموم، والخصوص والإطلاق، والتقييد، والحذف والإضمار ، والمنطوق، والمفهوم، والاقتضاء، والإشارة، والتنبيه والإيماء، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية ."

فإلى جانب كون النص يعبر عن احتياج الفقهاء إلى العلوم اللغوية، لمعرفة وجوه اللفظ المتعددة، فإنه يشتمل على جهاز مفاهيمي ضخم، يستعمله الفقيه في تحديد الدلالات المتعددة كذلك، بتعدد مقاماتها السياقية. ما يؤكد أن علم الفقه الإسلامي من أهم العلوم الشرعية التي تعتني باستخراج الحكم واستنباطه ، انطلاقا من استقراء الأساليب والمفردات اللغوية.

وتجدر الإشارة إلى أن وضعهم للقواعد والضوابط اللغوية، يرجع إلى اهتماماتهم اللغوية المبنية على دراسة اللغة العربية، واستقراء كلام العرب. وقد ساهم الفقهاء في إنضاج الدرس اللغوي العربي على المستوى الدلالي المعجمي، والدلالي التبعي(التداولي)

من هنا كانت خدمتهم للغة العربية وعلومها متميزة، كدراستهم لمراتب الألفاظ في إفادة المعنى بحسب الوضوح والخفاء، والعموم والخصوص، وفي مواقع عدة من الكلام ، قال الشافعي:" فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وإن فطرته أن يخاطب بالشيء عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه أو آخره ."

ومفاد هذا الكلام أن علماء الفقه استوعبوا العلوم اللغوية بشكل مدقق، ووظفوا ما انتهت إليه من قواعد خاصة وعامة بحسب استخراج الأحكام في كتاب الله تعالى، ويعد أبو إسحاق الشاطبي من أهم الفقهاء الذين اهتموا باللغة العربية، ومن بين الذين ساهموا في خدمتها بمنطق جديد يعتمد على المقاصد في فهم الشريعة الإسلامية، لأنه تلقى منذ بداية حياته علوما كثيرة ، خاصة منها علوم الشريعة، وعلوم الآلة، حتى أصبح بالدربة عالما شرعيا، ولغويا أصيلا.

المستوى الثاني: علم التفسير

لما كان التفسير علما يفهم به كتاب الله تعالى، وتبين به معانيه، وتشريعاته، والقرآن الكريم متناسق النظم، متين اللفظ، قوي المعنى، محكم البناء، التجأ المفسرون إلى علوم اللغة (نحوها، وصرفها،

وبلاغتها....)، فاستمدوا منها أدواتهم المنهجية، حيث إن الغنى الفني والأدبي ، "والنص القرآني منح للمفسرين فرصة الكشف عن الخصائص الإبداعية، والجمالية للغة العربية، فأجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في درجات البيان مختلفة، فمنها الجائز والمطلق، والمرسل وغيره، وبذلك حازت بلاغات القرآن الكريم عن كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع شعبة"(الزركشي، بدر الدين محمد ،1987م، ج1، ص5)

ويعد كتاب الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي وغيرهما، من النماذج المعترف بها، والتي أبانت عن اهتماماتهم اللغوية، حيث تنطلق من المبنى للوصول إلى المعنى، يقول عبدالقادر عطا في هذا الصدد: " لقد أجاد اللغويون بحث القرآن من وجوه العربية، إجادة ممثلة في تفسير أبي سعود العمادي، وأثير الدين أبي حيان، وجار الله الزمخشري" (الزركشي، بدر الدين محمد ،1987م، ج1، ص5).

وإذا تصفحنا الكتب المهتمة بعلوم القرآن، وعلى رأسها التفسير، وجدناها تتحدث عن القضايا النحوية والبلاغية والصرفية.....، وعن أنواع الخطاب في القرآن الكريم (عامه وخاصه)، وقوانين فهمه، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي نموذج يجسد هذه الاهتمامات. لكونه يتضمن سبعة وأربعين مبحثا، منها تسعة عشر مبحثا لغويا خالصا، مثل دلالة الألفاظ في الحقيقة والمجاز، والخبر والإنشاء، المنطوق والمفهوم، وكتاب البرهان للزركشي شبيه به في هذا الميدان.

ولأبي حيان الأندلسي كلام نفيس يكون شاهدا على أهمية علم النحو في تفسير القرآن الكريم، في هذا الصدد يقول:" جدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب سيبويه، فهو في هذا الفن المعول عليه والمستند في حل المشكلات إليه"(أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف1993م، ج1،ص101)

بناء على هذا الأساس يمكن الخلوص إلى القول، إن الاهتمامات اللغوية للمفسرين، لا تنحصر في استخدام اللغة لغرض الفهم، بل تجاوزته إلى الإنتاج والتنظير، مما يشكل خصوصية لغوية يمكن إدخالها تحت إطار ما يسمى بالدرس اللغوي في كتابات المفسرين وسائر المهتمين بعلوم القرآن.

فالمتأمل في طبيعة العلاقة الجامعة بين علم النحو باعتباره علما لغويا، وبين علم التفسير بكونه علما شرعيا، يجد أنها علاقة قائمة على التكامل والتعاضد، ففهم القرآن الكريم من خلال تفسيره يحتاج إلى عدة أدوات يوظفها المفسر، ومن أهمها علم النحو.

وقد تتبين العلاقة بين العلميين من خلال النصوص الأولى المرتبطة بنشأة علم النحو. وهي نشأة تؤكد على أن النحو العربي، ولج التفسير بعدما شاع اللحن وفسدت الألسنة، بل إن علم النحو من أهم الضوابط التي يحتاجها المفسر، ويجعلها أداة كاشفة للمعنى المراد، فهذا الزركشي يقول عن التفسير أنه:" علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات".(الزركشي، بدر الدين محمد، ج2،ص:108.)

المبحث الثاني: الحكم الفقهي بين الوضع والقصد

تفتقر العملية الاجتهادية والصناعة الفقهية إلى تكامل معرفي، حيث تتضافر جهود المتخصصين في أنواع العلوم، وضروب الفنون للظفر بالحكم الشرعي في قضايا الحياة المعاصرة، ومن ذلك تكامل العلوم اللغوية ممثلة باللفظ وما يتأسس عليه، والعلوم الشرعية ممثلة بالقصد وما يبنى عليه من معان، تحقيقا للجمع بين الظاهر والمعنى حين النظر في النصوص.

في البداية نقرر أنه لا يمكن معرفة المراد خارج دلالة الألفاظ، فالألفاظ هي التي تكشف عن المعنى والمقصد، يقول الشاطبي: "فلسان العرب هو المترجم عن مقاصد الشارع"(الشاطبي، أبو إسحاق، 324/4) فلا يفهم الشريعة حق الفهم إلا من فهم العربية حق الفهم، ويشرح لنا ابن تيمية المسألة فيقول: "المقصود من الألفاظ دلالتها على مراد الناطقين بها، فنحن نحتاج إلى معرفة كلام الشارع لأن معرفة لغته وعرفه وعادته تدل على معرفة مراده، وكذلك في خطاب كل أمة وكل قوم" (ابن تيمية، أحمد، 47/31-48) وهنا ينبغي التمييز بين معرفتين مستمدتين من النص نفسه، الأولى: معرفة ماذا قال؟ والثاني: معرفة ماذا أراد؟ وبينهما فرق كبير كما نبه على ذلك صاحب كتاب إعلام الموقعين(ابن القيم 225/1- 62/3- 63/3.)، فإرادة المعنى آكد من إرادة اللفظ لأن المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة، ولذلك فإن الذي أخطأ من شدة الفرح، وقال لما وجد راحلته: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، لم يكفر بذلك وإن أتى بصريح الكفر لكونه لم يُرده،

وكذلك من اضطر للتلفظ بكلمة كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فالاعتبار هنا بالنوايا لما عجز اللفظ عن التعبير الصحيح عنها، لذلك قرر الفقهاء أن العبرة في العقود القصد دون اللفظ المجرد، ولا تلزم أحكام الألفاظ إلا بأمرين: إرادة التكلم باللفظ اختيارا، وإرادة موجبه ومقتضاه.

فالقرآن الكريم والسنة النبوية نزلا بلسان عربي مبين، وباللغة العربية وقع التخاطب ومن ثم فإن استجلاء الدلالة واكتساب المعنى موقوف على مدى الدراية والتمكن من اللغة العربية في مستوياتها ومكوناتها.

لذلك نجد ابن عاشور يُرجع قصور بعض أهل العلم في إصابة المراد إلى اقتصارهم على اللفظ معزولا عن القصد، فاعتبر أن "قصور بعض العلماء وتوحلهم في خضخاض من الأغلاط سببه اقتصارهم في استنباط أحكام الشريعة على اعتصار الألفاظ وتوجيه رأيهم إلى اللفظ مقنعين به، فلا يزالون يقلبونه ويحللونه ويأملون أن يستخرجوا لبه، ويهملون بالمقابل ما يتطلبه المقام من الاستعانة بما يحف بالكلام من القرائن ومقتضيات السياق ومقامات التشريع، فيتضح لهم بذلك ما يستنبط من العلل تبعا لمعرفة الحِكم والمقاصد" (ابن عاشور الطاهر، ص24-25.)، فالاقتصار على ظاهر اللفظ قد ينفي عن الشريعة الغراء ميزة الحكمة، ويدعم زعم من ينكرون صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

المبحث الثالث: ضوابط لغوية في استنباط الأحكام الشرعية: تقرير وتمثيل

تعد الضوابط اللغوية من أهم القضايا اللغوية التي تناولها الشاطبي في الموافقات لكونها تمثل الوسائل الضرورية لفهم النص القرآني فهما دقيقا أولا، وفهم كل نص مصاغ باللغة العربية ثانيا، وسنقتصر على نماذج من هذه الضوابط، ذات الصلة بالتخصيص والأوامر.

المطلب الأول: ضوابط لغوية في الأمر والنهي

مفاد هذا الضبط اللغوي أن الأمر والنهي المجرد عن القرائن الإضافية والتبعية لا يفيدان أكثر من الطلب، فالأول يفيد ويستلزم طلب فعل، والثاني طلب ترك. ومعنى ذلك أن دلالة صيغة الأمر تفيد الوجوب أو الندب أو الإباحة، وأن النهي قد يفيد التحريم أو الكراهة.

ويرى جمهور علماء الفقه والأصول أن الوجوب حقيقة في الأمر، ولا ينصرف إلى غيره من الأحكام إلا بقرينة، وهذا مذهب الشافعي وغيره من الفقهاء، وجماعة من المتكلمين كأبي الحسن البصري والجبائي. بينما يرى آخرون أن الأمر حقيقة في الندب، وهو مذهب أبي

ضابط 1: "الأمر بالمطلقات يستلزم الأمر بالمقيد" (الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، ج3،ص:126)

مدلول هذا الضابط أن صيغة الأمر عندما ترد مطلقة غير مقيدة بقيود خاصة، لا تقتضي ولا تستلزم في دلالاتها الأمر بالمقيد، فإن كان الأمر بالمطلق في نص تشريعي، ووقع غير مقيد في نص آخر، ولم يقم دليل على تقييده، فإن دلالته لا تقتضي ولا تفيد الأمر المقيد، وإنما يقتصر الطلب على اللفظ المطلق. ومثال ذلك قوله تعالى:" وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (المجادلة، الآية: 3)، فلفظ "رقبة" في الآية الكريمة مطلق الدلالة، ولم يرد دليل على تقييده لا بالجنس ولا بالنوع، ولا باللسان، أي أن كل ما يطلق عليه هذا الاسم من غير تعيين ولا تحديد يجري على إطلاقه، لأن الأمر بالأعم لا يقتضي ولا يستلزم الأمر بالأخص".

ويركز الشاطبي هنا على قول العرب بقوله:" إن التكليف بالمطلق ليس معناه التكليف بأمر ذهني، بل معناه التكليف بفرد من الأفراد الموجودة في الخارج، والتي يصح وجودها في الخارج مطابقا لمعنى اللفظ، وإذا أطلق عليه اللفظ صدق، وهو الاسم النكرة، فإذا قال:" أعتق الرقبة"، فالمراد إيقاع العتق بفرد مما يصدق عليه لفظ "الرقبة"، لأنها لم تضع إلا على فرد من الأفراد غير مختص بواحد من الجنس" (الشاطبي، ص129). وذلك ما ذهب إليه الشوكاني بقوله:" اعلم أن الخطاب إذا ورد مطلقا لا مقيدا حمل على إطلاقه"، كلفظ "أزواجا" في الآية 234 من البقرة، الذي ورد مطلقا ولم يقم دليل آخر على تقييده بالدخول" (الشوكاني محمد، ص164).

يفهم مما سبق أن صيغة الأمر أو النهي تفيد الطلب كلما كانت مجردة من القرائن والإضافات، وقد تخرج عن دلالاتها إذا امتنع إجراؤها على أصلها.

ضابط2: "كل خصلة أمر بها أو نهي عنها مطلقا من غير تحديد ولا تقدير، فليس الأمر أو النهي فيها على وزان واحد في كل فرد من أفرادها" (الشاطبي، ج3، ص135)

في هذا الضابط اللغوي يرى الشاطبي أن الأوامر والنواهي تختلف فيما بينها، فلا تكون على حكم واحد، فبعض الأوامر تفيد الوجوب، وبعضها يفيد الندب، وبعض النواهي تفيد التحريم، وبعضها يفيد الكراهة، وثمة تفاوت في الوجوب من حيث القوة، وفي التحريم من حيث الشدة.

مفاد هذا الكلام أن دلالات الأوامر والنواهي، " تأتي على العموم والإطلاق في كل شيء، وعلى كل حال لكن بحسب كل مقام، وعلى ما تعطيه شواهد الأحوال في كل موضع لا على وزان واحد، ولا حكم واحد؛ ثم وكل ذلك إلى نظر المكلف، فيزن بميزان نظره، ويتهدى لما هو اللائق والاحرى في كل تصرف، آخذا ما بين الأدلة الشرعية والمحاسن العادية؛ كالعدل ، والإحسان، والوفاء بالعهد...." (الشاطبي، ج3، ص167).

ومن الأمثلة القرآنية الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

"ليس الإحسان فيه مأمورا به أمرا جازما في كل شيء ولا غير جازم في كل شيء، بل ينقسم بحسب المناطات ألا ترى أن إحسان العبادات بتمام أركانها من باب الواجب، وإحسانها بتمام آدابها من باب المندوب.....، وإحسان الذبح إنما هو مندوب لا واجب، وقد يكون في الذبح من باب الواجب إذا كان هذا الإحسان راجعا إلى تتميم الأركان والشروط، وكذلك العدل في عدم المشي بنعل واحدة ليس كالعدل في أحكام الدماء والأموال، وغيرها، فلا يصح في قوله تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل، الآية:90) أنه أمر إيجاب، أو أمر ندب حتى يفصل الأمر فيه، وذلك راجع إلى نظرة المجتهد تارة، وإلى نظرة المكلف، وإن كان مقلدا تارة أخرى بحسب ظهور المعنى، وخفائه" (الشاطبي، ج3 ص138-139).

ففهم المقصود، والحكم المحدد من دلالات الأوامر والنواهي، إذ يتم بالاعتماد على المقام، وقرائن الأحوال، وبحسب قوة الطلب وشدته، وهذا ما ينطبق على دلالات الأوامر والنواهي التي جاءت الشريعة بها، وقد أورد منها أبو إسحاق الكثير (الشاطبي، ج3 ص137).

. وكلها خصال مأمور ببعضها، ومنهي عن بعضها، واستنباط حكمها حاصل بالنظر إلى المعنى الذي يؤديه لفظها حسب المقام وشواهد الأحوال.

يفهم من ذلك "أن الأوامر والنواهي المتعلقة بالأمور المطلقة ليست على وزان واحد، بل منها ما يكون من الفرائض، أو النوافل في المأمورات، ومنها ما يكون من المحرمات، أو من المكروهات في المنهيات لكنها وكلت إلى أنظار المكلفين ليجتهدوا في نحو هذه الأمور. كان الناس من السلف الصالح يتوقفون عن الجزم بالتحريم، ويتحرجون عن أن يقولوا حلال، أو حرام هكذا صراحا، بل كانوا يقولون في الشيء إذا سئلوا عنه لا أحب هذا، وأكره هذا؛ لأنها أمور مطلقة في مدلولاتها غير محدودة في الشرع تحديدا يوقف عنده لا يتعدى"...." (الشاطبي، **ج3**، ص142).

. وقد قال تعالى:" ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب" (الشاطبي، ج3، ص142).

المطلب الثاني: ضوابط لغوية في العموم والخصوص

ضابط1: "التخصيص يجري باعتبار الانفصال والاتصال"*...." (الشاطبي، ج3، ص167).

مدلول هذا الضابط أن تخصيص اللفظ العام المطلق في ضوء الاستعمال يتم باعتبارين لا ثالث لهما، يقول الشاطبي: "فالتخصيص إما بالمنفصل أو بالمتصل، فإذا كان بالمتصل كالاستثناء، والصفة، والغاية وبدل البعض، وأشباه ذلك، فليس في الحقيقة بإخراج لشيء بل هو بيان لقصد المتكلم في عموم اللفظ.....، أما التخصيص بالمنفصل فإنه كذلك أيضا راجع إلى بيان المقصود في عموم الصيغ، لا أنه على حقيقة التخصيص الذي يذكره الاصوليون" (الشاطبي، ج3، ص187)..

يفهم من هذا الكلام أن تخصيص العام عنده يتم حسب القرائن اللفظية المتصلة منها والمنفصلة، فالتخصيص بالمتصل تتحكم فيه القرائن اللفظية المتصلة، وقد حددها الشاطبي في: الاستثناء والصفة والغاية والبدل وغيره، كما هو الحال عند جمهور الأصوليين، وقد تكون هذه القرائن المتصلة باعتبار التركيب اللغوي للنص القرآني، إما ألفاظا مستقلة أو غير مستقلة، وفي كلتا الحالتين تبقى تابعة للجملة الدالة على العام،

كما في قوله تعالى: " فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ" (البقرة 284) يعني أن صوم رمضان على الأحياء، لكن ليس على العموم، بل يخصص منه من كان مريضا أو على سفر، فالمريض والمسافر مرخص لهما أن يفطرا.

أما التخصيص بالمنفصل، فيجري حسب القرائن اللفظية المنفصلة المتمثلة في الآيات التي ترد في أماكن أخرى من النص القرآني، أو الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً" (**النور، الآية:4**). فالحكم بالجلد يطال القاذفين جميعهم، الذين لم يأتوا بأربعة شهداء على قذفهم كبينة، فتم تخصيصه بالمنفصل في آية أخرى من نفس السورة، بإخراج الأزواج، بقوله تعالى:" وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلا أَنْفُسُهُمْ "(**النور، الآية**:6)

هكذا فإن التخصيص بالمتصل والمنفصل، هو دراسة التركيب اللغوي للجمل، والألفاظ المستقلة وغير المستقلة، لبيان واستجلاء العمومات الشرعية.

وعلى كل فاهتمام علماء الفقه باللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها ومعجمها، لا يجادل فيه أحد، بل إن اهتمامهم بالدرس اللغوي العربي في كتاباتهم يعد قديما، خاصة فيما يتعلق بالمعنى الدلالي، والمعنى التداولي، أو ما يسمى عندهم بالدلالة الأصلية، والدلالة التبعية، وكذا نظرية السياق ، حيث إن سياق الأمر ليس هو سياق النهي، مع العلم أن الأمر والنهي لهما سياقات متعددة.

ضابط2: المحلى ب"أل" يعم سواء دخل على وصف أو دخل على اسم جنس.

وقد نص على ذلك كما أشار العلامة السعدي أهل الأصول وأهل العربية، وشرحه ابن عثيمين بقوله: "الحكم المعلق على وصف يدل على علّية ذلك الوصف، والحكم يدور مع علته وجودا وعدما، قوة وضعفا"† (ابن عثيمين، ط1، 2008م، ص13) وأمثلة ذلك تستعصي على الحصر سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، ومن ذلك قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) يشمل الأمر بالتعاون على جميع أنواع البر والمعروف والخير، وتشمل التقوى جميع ما يجب اتقاؤه من أنواع المخوفات، والمعاصي والمحرمات.

خلاصات ونتائج

†

مما تقدم ذكره يمكن الخلوص إلى الاستنتاجات الآتية:

- ❖ أن العلاقة بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية علاقة تلازم وتأثير وتأثر، وليس علاقة استقلال، إذ إن الدرس العربي مدين لعلوم الشريعة في وجوده ونضجه نشأة ومنهجا.
- ❖ أن غرض الفهم السليم للشريعة الإسلامية، هو السبب الحقيقي في نشأة الدرس اللغوي العربي، أما اللحن فقد زاد من تقوية هذا الاتجاه.
- ❖ يمكن القول إن علماء أصول الفقه جعلوا من الدرس اللغوي المنطلق الأساس في الفهم والاستنباط والتدبر بحيث استطاعوا استثمار ما توصل إليه علماء اللغة من نتائج تخص مباحث الألفاظ والدلالات بحيث أسسوا مباحثهم اللفظية وقواعد استنباطاتهم اللغوية على ما قرره علماء اللغة من نتائج تفرعت إلى قواعد وأصول وضوابط. ولم يتأت لهم ذلك إلا بعد استقرائهم لطبيعة اللغة العربية ومتابعتهم لها في أدائها للمعنى وما يعتري هذا المعنى من تحولات تبعا للسياق والاستعمال.
- ❖ أن الضوابط اللغوية من أهم القضايا التي تناولها علماء الشريعة الإسلامية عموما، والفقهاء على وجه الخصوص، كأدوات منهجية وآليات ضرورية لفهم خطاب الوحي فهما دقيقا أولا، واستنباط أحكامه الفقهية ثانيا.

1- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، بعناية محي الدين عبدالحميد، ،دار إحياء التراث العربي.
2- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: لمع الأدلة، دار الفكر بيروت،ط2
3- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج1،ط2 .
4- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: المقدمة، /1981،دار القلم بيروت، ط:4.
5- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، المجلد الثاني من الزاي إلى الفاء، إعداد وتصنيف يوسف خياط.
6- أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف(1993): تفسير البحر المحيط، دراسة تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1،ط1.

7- الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية، ط1.
8- الحلواني ، محمد خير، المفصل في تاريخ النحو العربي ،الجزء الأول قبل سيبويه، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1.78.
9- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن : طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم، ، 1954، دار السعادة، ط،1.
10- الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحوي، تحقيق مازن المبارك، 1982، بيروت.
الزركشي، بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت،ج1.
11- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الشريعة، شرح الشيخ عبدالله دراز، دار الحديث، القاهرة، ج3.
12- الشافعي، أبو عبدالله محمد بن ادريس، الرسالة، تحقيق محمد شاكر، دار التراث بالقاهرة.
13- الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفكر.
14- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني، عنيت بطبعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Value-Based Upbringing in Islam: A Functional Perspective on the Roles of Family, School, and Digital Space Amidst Contemporary Pedagogical Challenges

Dr. Khaira CHIAIDI
University of Tlemcen – Algeria
tafssir2025@gmail.com

Abstract:

The rapid social transformations and the vast expansion of the digital space pose a profound pedagogical dilemma, manifested in the declining efficacy of traditional socialization agents—the family and the school—and the growing fragility of the value system among youth in a changing society. This study originates from a central problem: How can Islamic education, through its Maqasid (purposive) perspective, reconstruct value-based upbringing via an integrated model that merges the family, the school, and the digital space to ensure a person's ethical, cognitive, and social balance?

The study adopts an analytical-interpretive approach, comparing the Islamic pedagogical reference with contemporary perspectives. It concludes with several expected results, most notably: that the current crisis of values is not a crisis of principles as much as it is a crisis of educational implementation. Furthermore, Islamic education is capable of providing an integrated framework that reorders value priorities and transforms the digital space from a source of threat into a functional field for education, thereby enhancing moral immunity and restoring human equilibrium within a shifting society.

Keywords: Value-Based Upbringing – Sharia Objectives (Maqasid) – Digital Space – Social Transformations – Human Development – Moral Identity – Changing Society – Moral Immunity.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التنشئة القيمية في الإسلام بين الأسرة والمدرسة والفضاء الرقمي: قراءة مقاصدية في تحديات التربية المعاصرة

الدكتورة خيرة شيايدي
جامعة تلمسان – الجزائر
tafssir2025@gmail.com

ملخص:

تطرح التحولات الاجتماعية المتسارعة والامتداد الواسع للفضاء الرقمي إشكالًا تربويًا عميقًا يتمثل في تراجع فاعلية وسائط التنشئة التقليدية –الأسرة والمدرسة– وتنامي هشاشة البناء القيمي لدى الناشئة في مجتمع متغير. وتنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية مفادها: **كيف يمكن للتربية الإسلامية، بمنظورها المقاصدي، أن تعيد بناء التنشئة القيمية عبر نموذج تكاملي يدمج الأسرة والمدرسة والفضاء الرقمي بما يضمن توازن الإنسان أخلاقيًا ومعرفيًا واجتماعيًا؟** وتعتمد الدراسة مقاربة تحليلية تأويلية تقارن بين المرجعية التربوية الإسلامية وبعض التصورات الحديثة، لتخلص إلى نتائج متوقعة أبرزها: أن أزمة القيم الراهنة ليست أزمة مبادئ بقدر ما هي أزمة تنزيل تربوي، وأن التربية الإسلامية قادرة على تقديم إطار تكاملي يعيد ترتيب الأولويات القيمية ويحوّل الفضاء الرقمي من مصدر تهديد إلى مجال وظيفي للتربية، بما يعزز المناعة الأخلاقية، ويستعيد للإنسان توازنه داخل المجتمع المتحوّل.

الكلمات المفتاحية: التنشئة القيمية – المقاصد الشرعية – الفضاء الرقمي – التحولات الاجتماعية – بناء الإنسان – الهوية الأخلاقية – المجتمع المتغير – المناعة القيمية.

مقدمة:

تعتبر قضية التنشئة القيمية في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر من أكثر القضايا إلحاحا وتعقيدا، نظرا لارتباطها الوثيق بمفهوم "الأمن القيمي" واستدامة الهوية في ظل عولمة جارفة لا تعترف بالخصوصيات الثقافية. إننا نعيش اليوم مرحلة "السيولة الأخلاقية" التي تلاشت فيها الحدود التقليدية بين الخاص والعام، وبين الواقعي والافتراضي، مما أدى إلى زعزعة الأدوار التاريخية للمحاضن التربوية الكبرى.

تبرز الإشكالية المركزية لهذه الدراسة في التساؤل الجوهري: كيف يمكن للمنظومة المقاصدية الشرعية أن تقدم إطارا مرجعيا وعمليا لاستعادة التوازن القيمي للناشئة في ظل زحف الفضاء الرقمي الذي بات يعمل ك "مربٍّ خفي" يمتلك أدوات جذب تفوق بمراحل ما تمتلكه الأسرة أو المدرسة؟

إن هذه الدراسة تنطلق من فرضية مؤداها أن الأزمة الراهنة ليست أزمة في ذات القيم الإسلامية، بل هي أزمة في "آليات التنزيل" وفي "القصور المنهجي" للمؤسسات التربوية عن فك شفرات الواقع الرقمي. ومن هنا، تسعى هذه المداخلة عبر مقاربة تحليلية نقدية إلى استكشاف آليات التكامل بين المثلث التربوي (الأسرة، المدرسة، الفضاء الرقمي)، مع التركيز على بناء "المناعة القيمية" كبديل عن "المنع الزجري" الذي لم يعد يؤتي ثماره في زمن الفضاءات المفتوحة.

المحور الأول: الفلسفة المقاصدية للتنشئة القيمية (تأصيل نظري ومعرفي)

إن التنشئة في المنظور الإسلامي ليست مجرد عملية "نمذجة اجتماعية" تهدف إلى دمج الفرد في الجماعة، بل هي عملية "تزكية" تهدف إلى صياغة الشخصية الإنسانية لتكون قادرة على أداء واجب الاستخلاف. وبناءً على ما قرره الإمام الشاطبي في تأصيله للضروريات، فإن التنشئة يجب أن تخدم حماية المصالح الكبرى؛ فحفظ الدين في سياقنا المعاصر يتطلب غرس قيم اليقين والاعتزاز بالهوية في مواجهة موجات الإلحاد الرقمي والنسبية الأخلاقية التي تكتسح منصات التواصل الاجتماعي (الشاطبي، 2004، ج2، ص 15).

وفي ظل الانفجار المعلوماتي المعاصر، يتجاوز مقصد "حفظ العقل" حمايته من المسكرات المادية ليشمل حمايته من "التضليل المعرفي" و"الاستلاب الرقمي" الذي يمارسه الفضاء الافتراضي. إن التنشئة

المقاصدية تهدف هنا إلى بناء "العقل الناقد"؛ أي القدرة على تمييز الحق من الباطل في بحر المعلومات المتلاطم. إن تعميم "فقه المآلات" في التربية يجعل الناشئ يدرك أن كل بصمة رقمية يتركها هي جزء من مسؤوليته الأخلاقية والشرعية، وبذلك ننتقل من "الرقابة الخارجية" التي سقطت فاعليتها إلى "الرقابة الذاتية" المرتبطة بمقام الإحسان (الريسوني، 2015، ص 92).

المحور الثاني: سوسيولوجيا التحول الرقمي وأثره على المؤسسات التقليدية

يشير الواقع الاجتماعي المعاصر إلى تحول جذري في بنية "السلطة التربوية". فبعد أن كانت الأسرة هي المصدر الوحيد للقيم في السنوات الأولى، تليها المدرسة، أصبح الفضاء الرقمي اليوم يقتحم الخصوصية الأسرية ليقدم "تنشئة أفقية" موازية تتسم بالسرعة والجاذبية. إن عالم الاجتماع زيجمونت باومان يصف هذا الواقع بـ "الحداثة السائلة"، حيث تفقد المؤسسات الصلبة والتقليدية قدرتها على الضبط والتحكم أمام سيولة القيم الرقمية التي تتغير بتغير الخوارزميات (باومان، 2016، ص 55).

هذا التآكل في الأدوار أدى إلى نشوء ما يمكن تسميته بـ "اليتم الرقمي"؛ حيث يتواجد الأبناء مع آبائهم في حيز مكاني واحد، لكنهم ينتمون لعوالم قيمية متناقضة تماماً. إن الفضاء الرقمي ليس مساحة محايدة كما يظن البعض، بل هو بيئة مصممة بدقة وفق خوارزميات تهدف إلى "تشتيت الانتباه" وتوجيه السلوك، وغالباً ما يتم ذلك على حساب المنظومات الأخلاقية الرصينة. إن الناشئ اليوم يتعرض لعملية "قصف قيمي" مستمر يمجّد قيم الاستهلاك، والشهرة السريعة، والفردانية الطاغية، مما يضع المدرسة أمام تحدٍّ وجودي حقيقي (العقاد، 2019، ص 62).

المحور الثالث: إشكاليات التدافع بين الهوية الإسلامية والعولمة الرقمية

من أبرز التحديات التي ترصدها هذه الدراسة في المجتمع المتغير هي نشوء ظاهرة "الازدواجية السلوكية" لدى الناشئة؛ حيث نجد شخصية واقعية تلتزم بالقيم أمام الأهل والمعلمين، وشخصية افتراضية منفلتة خلف الشاشات تمارس سلوكيات غريبة عن هويتها. إن هذه الازدواجية هي نتاج مباشر لغياب "الوازع الداخلي" وضعف الربط المقاصدي بين السلوك الفردي والجزاء الأخلاقي والشرعي. إن الرؤية

الإسلامية تشدد على أن "الأخلاق لا تتجزأ"، ولكن السيولة الرقمية أوهمت الكثير من الشباب بأن العالم الافتراضي هو عالم "بلا تبعات" ولا يحاسب عليه المرء (الزهراني، 2021، ص 215).

علاوة على ذلك، أدى الانغماس في الفضاء الرقمي إلى تراجع ملموس في قيمة "الحياء" التربوية. إن الرغبة المحمومة في حصد "الإعجابات" والمتابعات دفعت الكثير من الناشئة إلى التنازل عن ضوابط السمت الإسلامي الأصيل، وتحول الإنسان من "كيان مكرم" تضبطه القيم إلى "مادة للعرض" تضبطها المشاهدات. هنا تبرز الحاجة الملحة لتفعيل مقصد "حفظ العرض والنسل" بمعناه التربوي الشامل الذي يحمي كرامة الإنسان من الابتذال الرقمي، ويعيد صياغة مفهوم الخصوصية في الوعي الجمعي للناشئة (القرضاوي، 2020، ص 132).

المحور الرابع: نحو نموذج تكاملي لاستعادة التوازن القيمي

إن مواجهة تحديات التربية المعاصرة لا تكمن في الانسحاب أو معاداة التكنولوجيا، بل في إيجاد "نموذج تكاملي" يعيد توزيع الأدوار. تبدأ الرحلة من الأسرة التي يجب أن تتحول من دور "الشرطي التربوي" إلى دور "المرافق الحواري". إن المرافقة الرقمية تقتضي من الآباء فهم الأدوات التي يستخدمها الأبناء ومشاركتهم اهتماماتهم لتوجيهها. إن مقصد "السكن والمودة" يجب أن يترجم إلى "أمان عاطفي" يجعل الطفل يثق في والديه ويستمد منهما معاييره الأخلاقية (المدني، 2022، ص 104).

أما المدرسة، فيتعين عليها تجاوز الدور التعليمي التقليدي لتلعب دور "التمكين القيمي". ويتم ذلك من خلال دمج "المواطنة الرقمية" كجزء أصيل من المنهج التربوي، حيث يتم تعليم الناشئة مهارات النقد الذاتي، وكيفية تمثيل القيم الإسلامية (الأمانة، غض البصر، أدب الحوار) في تواصلهم الرقمي. المدرسة المقاصدية هي التي تربط المعرفة بالخلق، وتعلّم الناشئ أن التقنية خادم للإنسان لا سيد له، وأن العلم بلا قيمة هو وبال على صاحبه وعلى المجتمع (المدني، 2022، ص 110).

المحور الخامس: آليات التنزيل الإجرائي واستراتيجيات المقاومة التربوية

إن الفراغ القيمي في الفضاء الرقمي يُملأ بالرديء لغياب الجيد، لذا فإن "المرابطة التربوية" تقتضي صناعة محتوى إسلامي (ألعاب، فيديوهات، تطبيقات) يترجم القيم المقاصدية في قالب جاذب. يجب تشجيع الشباب المبدع على إنتاج محتوى يزاحم "التفاهة الرقمية"، بما يحقق مقصد "إصلاح المجتمع" وتعمير الأرض.

وفي عصر تسقط فيه كل أشكال الرقابة الخارجية، لا يبقى إلا "الوازع الذاتي" الذي يمثل صمام الأمان الحقيقي. إن استراتيجية "التمنيع" تقوم على غرس قيمة "مراقبة الله" في الخلوة والجلوة. وهذا يتطلب خطاباً تربوياً جديداً يبتعد عن الترهيب المحض وينطلق من "تعظيم مقاصد الشريعة" في حماية الإنسان، مما يولد لدى الناشئ "بوصلة داخلية" توجهه في بحار الإنترنت المتلاطمة وتحميه من الانزلاق وراء الشهوات الرقمية (القرضاوي، 2020، ص 140).

الخاتمة:

انتهت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الجوهرية التي ترسم خارطة طريق للمربين في العصر الرقمي:

أولاً: النتائج المستخلصة:

1. إن أزمة القيم الراهنة هي أزمة "وسائل" لا "مبادئ"؛ فالمبادئ الإسلامية تمتلك حيوية ذاتية، لكنها تفتقر إلى "الاجتهاد التربوي" الذي يزاوجها مع مقتضيات الرقمنة.
2. التنشئة القيمية عملية شمولية؛ وأي انفصام بين دور الأسرة والمدرسة يؤدي إلى ثغرات ينفذ منها "الاختراق القيمي الرقمي."
3. المقاصد الشرعية (حفظ الدين، العقل، العرض) هي الدرع الأقوى لحماية الناشئة، بشرط تحويلها من "قواعد نظرية" إلى "مهارات سلوكية" معاشة.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

1. **على المستوى الأكاديمي** :ضرورة تأسيس "علم اجتماع التربية الرقمية" في الجامعات الإسلامية لدراسة التحولات السلوكية للناشئة بعمق.

2. **على المستوى التربوي** :إطلاق "ميثاق الأخلاق الرقمية" كعقد بين المدرسة والبيت والناشئ، يحدد ضوابط الاستخدام الآمن والمنتج للتكنولوجيا.
3. **على المستوى التقني** :دعم الاستثمار في "الصناعات الثقافية الرقمية" الهادفة، لإيجاد بدائل ترفيهية تحمل قيمنا وتلبي احتياجات الأجيال الصاعدة.

قائمة المراجع والمصادر

1. **باومان، زيجمونت** .(**2016**) .*الحداثة السائلة* .(ترجمة: حجاج أبو جبر، ط1). الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ص 55.
2. **الريسوني، أحمد** .(**2015**) .*مقاصد المقاصد: الغايات المقاصدية عند الإمام الشاطبي* .(ط2). دار الكلمة للنشر، القاهرة، مصر، ص 92.
3. **الزهراني، سعيد** .(**2021**) .أثر الفضاء الافتراضي على الهوية القيمية لدى طلاب المرحلة الثانوية .*المجلة الدولية للعلوم التربوية*، المجلد 5، العدد 2، ص 215.
4. **الشاطبي، أبو إسحاق** .(**2004**) .*الموافقات في أصول الشريعة* .(تحقيق: مشهور آل سلمان، ط1). دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ج2، ص 15.
5. **العقاد، رفعت** .(**2019**) .*القيم الأخلاقية في عصر الرقمنة: تحديات وآفاق* .(ط1). دار الفكر العربي، عمان، الأردن، ص 62.
6. **القرضاوي، يوسف** .(**2020**) .*التربية الإسلامية ودراسات في الفكر التربوي* .(ط3). مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ص ص 132-140.
7. **المدني، محمد** .(**2022**) .التنشئة الاجتماعية وتحولات الأسرة العربية في ظل الرقمنة .*مجلة الدراسات التربوية*، المجلد 12، العدد 4، ص 104-110.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Fiqh al-Ma’al between Usuli Foundations and Educational Application

Mohammed Boudih1
Faculty of Arts and Humanities, Mohammed First University, Oujda, Morocco
mohammed.boudih@ump.ac.ma
Mohammed Ouamassi[2]
Faculty of Arts and Humanities, Mohammed First University, Oujda, Morocco
medouamassi16@gmail.com

Abstract:

This paper examines Fiqh al-Ma’al (jurisprudence of consequences) as a central concept in Islamic legal theory, emphasizing its role in ensuring the flexibility of Sharia and the realization of its higher objectives when applying rulings to changing contexts. It outlines the theoretical foundations of this concept within Usul al-Fiqh and clarifies its relationship to legal application, particularly in connection with Taḥqīq al-Manāṭ. The study analyzes selected juristic cases that demonstrate how consideration of consequences influences legal judgment. Moving beyond theory, the paper highlights the relevance of Fiqh al-Ma’al in the educational field, where awareness of outcomes plays a crucial role in shaping values and guiding behavior. It concludes that integrating the consideration of consequences into educational practice strengthens alignment between pedagogical decisions and the higher objectives of Islamic law.

Keywords: Fiqh al-Ma’al; Taḥqīq al-Manāṭ; Legal Application; Consequences; Islamic Education.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

"فقه المآل بين التأصيل الأصولي والتطبيق التربوي".

محمد بوديح[1]

-جامعة محمد الأول وجدة -المغرب- كلية الآداب والعلوم الإنسانية

mohammed.boudih@ump.ac.ma

محمد وماسي[2]

-جامعة محمد الأول وجدة -المغرب- كلية الآداب والعلوم الإنسانية

medouamassi16@gmail.com

ملخص:

يُعدّ فقهُ المآل من المفاهيم الأصولية المركزية التي تبرز مرونة الشريعة الإسلامية وقدرتها على تحقيق مقاصدها عند تنزيل الأحكام على الوقائع المتجددة، من خلال اعتبار ما تؤول إليه الأفعال من آثار ونتائج على الأفراد والمجتمعات. وقد حظي هذا المبدأ بعنايةٍ واضحة في كتب أصول الفقه، حيث ارتبط بمباحث التعليل، وتحقيق المناط، وسدّ الذرائع، والمصلحة والمفسدة، غير أنّ حضوره ظلّ في الغالب محصورًا في دائرة التنظير العلمي.

ويهدف هذا المقال إلى بيان الأسس الأصولية لفقه المآل، والكشف عن موقعه ضمن آليات تنزيل الحكم الشرعي، ثم إبراز إمكاناته التطبيقية في المجال التربوي، بوصفه مجالًا شديد الحساسية لتأثير المآلات؛ لما له من دور مباشر في بناء الوعي، وترسيخ القيم، وتوجيه السلوك. كما سيعمد البحث إلى استحضار نماذج من النوازل الفقهية التي تجلّى فيها اعتبار المآل في توجيه الحكم وتنزيله، قصد بيان كيف انتقل هذا المفهوم من مستوى التقعيد النظري إلى مستوى الاجتهاد التطبيقي. ويسعى البحث إلى نقل فقه المآل من مجاله النظري الأصولي إلى ممارسات تربوية واعية، تُراعي نتائج الاختيارات التعليمية، وتوازن بين صحة المضمون التعليمي وأثره التربوي، بما يضمن انسجام العملية التعليمية مع مقاصد الشريعة في الإصلاح وبناء الإنسان الصالح.

الكلمات المفتاحية: فقه المآل – التقعيد الأصولي – تحقيق المناط – تنزيل الأحكام – التربية الإسلامية.

مقدمة:

يشكّل فقه المآل أحد المفاهيم الأصولية التي تكشف عن عمق المنهج الاجتهادي في الشريعة الإسلامية، إذ لا يقتصر النظر فيه على صور الأفعال أو دلالات النصوص في ذاتها، بل يتجاوز ذلك إلى اعتبار ما تؤول إليه الأحكام من آثار ونتائج عند تنزيلها على الوقائع المتجددة. ومن ثمّ، فإن فقه المآل يُعدّ مظهرًا من مظاهر مرونة الشريعة وقدرتها على تحقيق مقاصدها في سياقات مختلفة، عبر الموازنة بين صحة الحكم في ذاته وآثاره المتوقعة في الواقع. وقد ارتبط هذا المفهوم في التراث الأصولي بمباحث التعليل، وتحقيق المناط، وسدّ الذرائع، واعتبار المصالح والمفاسد، غير أن حضوره ظلّ في كثير من الدراسات محصورًا في دائرة التقعيد النظري، دون استثمار كافٍ لإمكاناته في المجالات التطبيقية، ومن أبرزها المجال التربوي.

وتنبثق إشكالية هذا البحث من التساؤل الآتي: إلى أي حدّ يمكن نقل فقه المآل من مستواه التأصيلي في علم أصول الفقه إلى مستوى التفعيل العملي في المجال التربوي؟ ويتفرّع عن هذا السؤال المركزي تساؤلان أساسيان: ما موقع فقه المآل ضمن آليات تنزيل الحكم الشرعي؟ وكيف يمكن استثماره في توجيه القرارات والممارسات التربوية بما ينسجم مع مقاصد الشريعة في الإصلاح وبناء الإنسان؟

ويهدف هذا البحث إلى بيان الأسس الأصولية لفقه المآل، وتحديد موقعه ضمن آليات التنزيل، والكشف عن حضوره في بعض النوازل الفقهية التي تجلّى فيها اعتبار العواقب في توجيه الحكم، ثم اقتراح سبل تفعيله في المجال التربوي، بوصفه مجالًا تتعاظم فيه آثار الاختيارات والقرارات على بناء الوعي وترسيخ القيم وتوجيه السلوك.

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي في دراسة المفهوم وتأصيله، والمنهج الاستقرائي في تتبع مظاهره في عدد من النوازل الفقهية، إضافة إلى توظيف المقاربة المقاصدية في ربطه بالمجال التربوي واستثمار أبعاده التطبيقية. وانتظم البحث في مبحثين رئيسين: خُصِّص الأول للتأصيل الأصولي لفقه المآل، من حيث مفهومه وأساسه النظري وموقعه ضمن آليات تنزيل الحكم، مع بيان تجلياته في بعض النوازل؛ أما الثاني فخُصِّص لبحث إمكانات تفعيله في المجال التربوي، من خلال إبراز أثر اعتبار المآل في القرار التربوي، واقتراح تصور تطبيقي يوازن بين صحة المضمون التعليمي وأثره في بناء الإنسان في ضوء مقاصد الشريعة.

أولا: التأصيل الأصولي لفقه المآل:

1 – مفهوم فقه المآل وموقعه ضمن آليات تنزيل الحكم

مفهوم المآل لغة واصطلاحا:

لغة: قال أهل اللغة: "آلَ يَؤُولُ، أَيْ: رَجَعَ. قَالَ يَعْقُوبُ: يُقَالُ: " أَوَّلَ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ "، أَيْ: أَرْجَعَهُ وَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ.

قَالَ الْأَعْشَى:

أُؤَوِّلُ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ

قال الخليل: آل اللبن يؤول أولا وأوولا: خثر. وكذلك النبات. قال أبو زيد: آل اللبن على الإصبع، وذلك أن يروب فإذا جعلت فيه الإصبع قيل آل عليها. وآل القطران: إذا خثر. وآل جسم الرجل: إذا نحف. وهو من الباب، لأنه يحور ويحري، أي: يرجع إلى تلك الحال"، (أحمد بن فارس(1979) ، ج1، ص159- 160).

وتدل هذه الاستعمالات على أن مادة «آل» تفيد معنى الرجوع والصيرورة والتحول إلى حال، وهو أصل جامع لما ينتهي إليه الشيء من مآل ونتيجة.

اصطلاحا: هو "تحقيق مناط الحكم بالنظر في الاقتضاء التبعي الذي يكون عليه عند تنزيله؛ من حيث حصول مقصده، والبناء على ما يستدعيه ذلك الاقتضاء."، (عبد الرحمان السنوسي، 1424هـ، ص: 19).

يُفهم من هذا التعريف أن اعتبار المآل لا ينفصل عن عملية تنزيل الحكم، إذ يقوم على النظر في ما يترتب على تطبيقه من آثار تبعية تمسّ تحقق مقصوده الشرعي. فهو ليس مجرد توقع للنتائج، بل تقدير منضبط للعواقب في ضوء مقاصد الشريعة، بما يجعل الاجتهاد مرتبطًا بآثاره لا بصورته المجردة.

2– اعتبار المآل في سياق تنزيل الحكم الشرعي:

إذا كان اعتبار المآل لا ينفصل عن عملية تنزيل الحكم، كما يفهم من التعريف المتقدم، فإن ذلك يقتضي تحديد موقعه ضمن الآليات الاجتهادية التي يعتمدها الفقيه عند النظر في الوقائع. ويتجلى هذا المعنى بوضوح في تقرير الإمام الشاطبي، حيث قال: " النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا

كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة."، (إبراهيم الشاطبي، 1417هـ/ 1997م، ج، 5، ص:177-178).

من خلال هذا النص النفيس للإمام الشاطبي، يظهر أن اعتبار المآل ليس أمرًا خارجًا عن عملية الاجتهاد، ولا مرحلة لاحقة للحكم، بل هو جزء من بنيته؛ إذ يتوقف الإقدام أو الإحجام على تقدير ما يفضي إليه الفعل من مصالح أو مفاسد.

ومن هنا يتحدد موقع فقه المآل بوصفه عنصرًا موجّهًا في مرحلة التنزيل، يعمل في تداخل مع تحقيق المناط، إذ لا يمكن تقدير المآل إلا بعد ضبط حقيقة الواقعة، كما يتقاطع مع سد الذرائع من حيث منع الوسائل إذا أفضت إلى مفسدة راجحة، وفي هذا الشأن يقول أحد الباحثين: "يُعْتَبر دليل سدِّ الذرائع من أوثق الأدلة الشرعيَّة صِلةً بالاجتهاد في المناط وتظهر العلاقة الوثيقة بينهما في جوانب عديدة، من أهمها مايأتي:

أولاً: من ضوابط الاجتهاد في تحقيق المناط اعتبار مآلات الأفعال والأقوال الصادرة عن المكلفين وقاعدة سدَّ الذرائع راجعةٌ في الأصل إلى اعتبار المآل.

فالأصل في سدّ الذَّرائع هو النَّظر إلى مآلات الأفعال، فيأخذُ الفعلُ حكماً يتفق مع ما يؤول إليه، سواءٌ أكان يقصد ذلك الذي آل إليه الفعل أو لا يقصده، فإذا كان الفعل يؤدي إلى مقصدٍ مطلوبٍ شرعاً فهو مُعْتَبَر، وإنْ كان يؤدي إلى خلافه فهو غير مُعْتَبَر."، (بلقاسم الزُّبيدي، 1435 هـ - 2014 م، ص: 464).

كما يرتبط اعتبار المآل بالمصلحة من حيث الموازنة بين النتائج وآثارها عند تنزيل الحكم. ويتأكد هذا المعنى بما قرره الشاطبي في بيان أن الأحكام إنما شرعت لتحقيق مصالح العباد، حيث قال: " لما ثبت أن الأحكام شُرِعت لمصالح العباد كانت الأعمال مُعْتَبَرَةً بذلك؛ لأنه مقصود الشارع فيها كما تبيَّن، فإذا كان الأمر في ظاهره وباطنه على أصل المشروعية فلا إشكال، وإن كان الظاهر موافِقاً والمصلحة مخالِفة؛ فالفعل غير صحيحٍ وغير مشروع؛ لأن الأعمال الشرعيَّة ليست مقصودةً لأنفسها، وإنما قُصِد بها أمورٌ أُخَر هي معانيها، وهي المصالح التي شُرِعت لأجلها, فالذي عمل من ذلك على غير هذا الوضع فليس على وضع المشروعات"، (إبراهيم الشاطبي، 1417هـ/ 1997م، ج، 3، ص: 120-121).

ويُظهر هذا التقرير أن تنزيل الحكم لا يعتد به لمجرد موافقة ظاهره لأصل المشروعية، بل لا بد من تحقق المصلحة المقصودة منه، وهو ما يجعل تقدير المآل جزءًا من تحقيق تلك المقاصد. وبهذا يظهر أن فقه المآل يمثل بعدًا توجيهيًا للاجتهاد، يضبط حركة تنزيل الحكم في ضوء مقاصد الشريعة، ويحول دون إطلاق القول بالمشروعية أو عدمها بمعزل عن عواقب التطبيق.

3- تجليات اعتبار المآل في نازلة بيع الدين بالدين:

نص النازلة:

" [من أقرض آخر قمحا ثم باعه من إلى أجل]

وسئل عمن له على رجل صحفة (إناء من فخار) قمح من أرض تساوي عشرة دنانير، فباعها منه بعشرة دراهم إلى أجل.

فأجاب: بأنه لا يجوز وإن لم يكن له فيه سلف بزيادة، ولكن يقال: ما فعلوا هذا إلا لغرض مقصود وإن خفي علينا، أو يمنع حماية وذريعة لئلا يتذرع به إلى فسخ الدين في الدين. وقاله الشيخ أبو محمد صالح رحمه الله. انظر آخر السلم الأول عند قوله: ولا تبعه منه ولو بوضيعة المسألة."، (أبو العباس الونشريسي، ج6، ص: 131-132).

يظهر من جواب المفتي أن المنع لم يُبنَ على مجرد صورة البيع في ظاهرها، بل على ما يمكن أن تؤول إليه المعاملة من مآلٍ يتمثل في التحايل على فسخ الدين في الدين. فالمعاملة – وإن خلت في ظاهرها من

زيادة صريحة — قد تُتخذ وسيلة إلى نقض أصلٍ شرعي مقرر، وهو منع بيع الدين بالدين. ومن ثمّ كان المنع حمايةً وسدًّا للذريعة، لا لخللٍ ظاهر في الصورة المجردة.

ويتجلى في هذه النازلة اعتبار المآل بوصفه عنصرًا موجّهًا في عملية التنزيل؛ إذ لم يقتصر المفتي على التحقق من صورة العقد، بل نظر في ما قد يفضي إليه من آثار، مقدرًا ما يحتمل أن ينشأ عنه من مفسدة راجحة. وهذا يؤكد أن الحكم لم يُستند فيه إلى الظاهر وحده، بل إلى تقدير العواقب المحتملة، صيانةً لمقاصد الشريعة في ضبط المعاملات ومنع التحايل على أحكامها.

وبذلك تمثل هذه النازلة تطبيقًا عمليًا لفقه المآل في سياق تنزيل الحكم، حيث يعمل سدّ الذرائع بوصفه ترجمةً فقهيةً للنظر في مآلات الأفعال.

يتبين من خلال التأصيل المتقدم، ومن خلال النازلة المدروسة، أن اعتبار المآل يمثل بعدًا توجيهيًا في عملية تنزيل الحكم، يتداخل مع تحقيق المناط وسد الذرائع واعتبار المصالح، دون أن ينفصل عنها. وهو ما يؤكد أن فقه المآل ليس إضافة خارجية على الاجتهاد، بل عنصرًا داخليًا في بنيته، يضبط حركته في ضوء مقاصد الشريعة.

ثانيا: فقه المآل في التطبيق التربوي

- **تفعيل فقه المآل في القرار والممارسة التربوية:**

إذا كان فقه المآل يمثل بعدًا توجيهيًا في عملية تنزيل الحكم الشرعي، فإن المجال التربوي، ولا سيما التعليم المدرسي، يُعد من أكثر المجالات احتياجًا إلى استحضار هذا الاعتبار؛ نظرًا لما تترتب عليه من آثار بعيدة المدى تمسّ بناء الوعي، وترسيخ القيم، وتشكيل الاتجاهات الفكرية والسلوكية لدى المتعلمين. فالمؤسسة التعليمية لا تقتصر وظيفتها على نقل المعرفة، بل تسهم في تشكيل التصورات وبناء المرجعيات، وهو ما يجعل القرار التربوي قرارًا ذا مآلات ممتدة. ومن ثمّ، فإن تفعيل فقه المآل في التعليم المدرسي يقتضي ألا يُنظر إلى المضمون التعليمي من حيث صحته العلمية أو مشروعيته المجردة فحسب، بل من حيث أثره المتوقع في المتعلم، ومدى ملاءمته لمرحلته العمرية، وسياقه الاجتماعي، ومستواه المعرفي.

ويظهر هذا التفعيل في جملة من الممارسات، من أبرزها: تقدير توقيت طرح القضايا الحساسة، ومراعاة تدرج عرض المفاهيم المركبة، وتجنب إثارة الشبهات دون تمكين أدوات الفهم والنقد، فضلًا عن الموازنة بين كثافة المعلومة وأثرها في الاستيعاب النفسي والفكري. فالمعلم، في هذا السياق، يمارس نوعًا من الاجتهاد التربوي، يوازن فيه بين ما ينبغي تعليمه، وبين ما قد يترتب على عرضه من آثار إيجابية أو سلبية، مستحضرًا ما تؤول إليه اختياراته في المدى القريب والبعيد.

وبذلك يتحول فقه المآل من أداة أصولية في يد المجتهد إلى منهج توجيهي في يد المربي، يضبط القرار التعليمي في ضوء غايات التربية ومقاصدها، ويمنع الوقوع في آثار عكسية قد تنتج عن طرح صحيح في ذاته، غير مناسب في سياقه.

أما في مادة التربية الإسلامية على وجه الخصوص، فإن اعتبار المآل يزداد أهمية، لارتباطها المباشر ببناء التصور العقدي والخلقي للمتعلم. فطرح قضايا الخلاف العقدي، أو مناقشة الشبهات الفكرية، أو تناول بعض المسائل الفقهية التي قد يُساء فهمها خارج سياقها العلمي، يحتاج إلى تقدير دقيق لمآلات الخطاب، من حيث أثره في ترسيخ اليقين أو إثارة اللبس، وفي بناء التوازن النفسي أو إحداث الاضطراب. ومن هنا، فإن تفعيل فقه المآل في تدريس التربية الإسلامية يقتضي مراعاة مستوى النضج المعرفي، والتدرج في عرض القضايا، وربط الأحكام بمقاصدها، حتى تتحقق الغاية التربوية دون أن تفضي الوسيلة إلى نتائج معاكسة.

وبهذا يظهر أن فقه المآل في المجال المدرسي ليس مجرد تنظير مقاصدي، بل هو أداة عملية لتوجيه القرار التربوي، وضبط الممارسة التعليمية بما يحقق مقاصد الشريعة في الإصلاح وبناء الإنسان.

خاتمة:

خلص هذا البحث إلى أن فقه المآل يمثل بعدًا أصيلاً في بنية الاجتهاد الشرعي، لا عنصرًا طارئًا عليه؛ إذ يتداخل مع تحقيق المناط، وسد الذرائع، واعتبار المصالح، ويوجه عملية تنزيل الحكم في ضوء مقاصد الشريعة. وقد بيّن التأصيل الأصولي أن النظر في العواقب معتبر مقصود شرعًا، كما قرره الشاطبي، وأن الحكم لا يُطلق بالإقدام أو الإحجام إلا بعد تقدير ما يؤول إليه الفعل من مصالح أو مفاسد.

كما أظهرت النازلة المدروسة أن اعتبار المآل يعمل عمليًا في الفتوى، من خلال منع بعض الصور حمايةً لمقاصد الشريعة وسدًا لذريعة التحايل. وبذلك يتأكد أن فقه المآل ليس تنظيرًا مجردًا، بل أداة توجيهية في تنزيل الأحكام.

وفي المجال التربوي، تبين أن استحضار المآلات يمثل ضرورة في القرار التعليمي، خصوصًا في التعليم المدرسي ومادة التربية الإسلامية، حيث يقتضي الأمر مراعاة مستوى المتعلمين، وسياق التلقي، وأثر الخطاب في بناء التصورات والقيم، حتى لا تفضي الوسائل المشروعة في ذاتها إلى نتائج معاكسة لمقاصد التربية.

ويمكن اقتراح مزيد من الدراسات التطبيقية التي تستثمر فقه المآل في بناء المناهج، وتقويم المحتوى التعليمي، وتطوير الخطاب التربوي، بما يعزز انسجام العملية التعليمية مع مقاصد الشريعة في الإصلاح وبناء الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بن موسى الشاطبي، 1417هـ/ 1997م، الموافقات، دار ابن عفان.
2. أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب.
3. أحمد بن فارس(1979) ، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر.
4. بلقاسم الزُّبيدي، 1435 هـ – 2014 م، الاجتهاد في مناط الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.
5. عبد الرحمان السنوسي، 1424هـ، اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، دار ابن الجوزي.

Islamic Education, Human Development, and Establishing Social Peace in a Changing World

Najet chouat
Assistant Professor at the Higher Institute of Islamic Studies, University of Ez-Zitouna
chouatnajet.1@gmail.com

Abstract:

The contemporary world is witnessing rapid technological, social, and cultural transformations that have given rise to hybrid manifestations of value disintegration, social tension, and physical violence.

Amidst these transformations and conflicts, the role of Islamic education emerges as a comprehensive educational system that seeks to build a balanced individual and establish the foundations of peace and stability within society.

This study aims to highlight the concept of Islamic education and demonstrate its role in building a balanced individual, promoting moral values, and preserving social peace by instilling ethical and social values and the objectives of Islamic law.

Keywords: Islamic education; human development; social peace; educational values; Sharia objectives; contemporary transformations; digital education..

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التربية الإسلامية وبناء الانسان وترسيخ السلم الاجتماعي في عالم متغير

للباحثة: نجاة شوّاط
أستاذ مساعد بالمعهد العالي لأصول الدين جامعة الزيتونة
chouatnajet.1@gmail.com

ملخص:

يشهد العالم المعاصر تحوّلات متسارعة على المستوى التكنولوجيّ والاجتماعيّ والثقافيّ أفرزت مظاهر هجينة لتفكّك القيميّ، والتوتّر الاجتماعي، والعنف الماديّ.

وفي خضم هذه التحوّلات والصراعات تبرز مكانة التربية الإسلاميّة باعتبارها منظومة تربويّة شاملة تسعى إلى بناء الإنسان بناءً متوازنًا، وتأصيلِ مقوّمات السِّلم والاستقرار داخل المجتمع.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مفهوم التربية الإسلاميّة، وبيان دورها في بناء إنسان متوازن وفي تعزيز القيم الأخلاقيّة وحفظ السِّلم الاجتماعي، من خلال ترسيخ القيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة والمقاصد الشرعيّة.

وختاما تطرّقت إلى المعوّقات المعاصرة، موضّحة آليّات توظيف التربية الإسلاميّة في مواجهة التحوّلات الرقميّة والثقافيّة.

الكلمات المفتاحية: التربية الإسلامية، بناء الإنسان، السلم المجتمعيّ، القيم التربويّة، المقاصد الشرعيّة، التحوّلات المعاصرة، التربية الرقميّة.

مقدمة:

ما نلاحظه في مجتمعاتنا المعاصرة اليوم هو تلك التحوّلات والتقّلبات المتسارعة على مستويات عدّة والتي ساهمت بطريقة مباشرة في تغييرِ نمط الحياة، وأساليبِ الخطاب والتواصل، والقيمِ الأخلاقيّة والإنسانيّة. ممّا أثّر بشكل مباشر على تماسك المجتمعات واستقرارها، وأدّى إلى ظهور إشكالات وعراقيلَ متعدّدة مثل التفكك الأسريّ وتفكّك القيم وتفشّي العنف المعنويّ والماديّ...

وفي هذا السياق، يبرز دور التربية الإسلاميّة باعتبارها منظومة متكاملة تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن، وترسيخ السِّلم الاجتماعي، من خلال تأصيل القيم الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية.

فالتربية الإسلاميّة ليست مجرّد تعليم معرفيّ، بل هي عمليّة شاملة تتناول بناء الإنسان في أبعاده العقديّة والأخلاقيّة والعقليّة والنفسيّة والاجتماعيّة.

وقد أثبتت الدراسات في الفكر الإسلاميّ أنّ التربية المتكاملة قادرة على تعزيز الاستقرار النفسيّ للفرد، وبناء مجتمع قائم على العدالة والتعاون والتسامح. غير أنّ التحوّلات الرقميّة والعولمة الثقافيّة والتغيّرات الاجتماعيّة السريعة، كلّها، تفرض تحدّيات جديدة على منظومة التربية التقليديّة، ما يدعونا إلى إعادة النظر في آليّات التعليم الإسلاميّ وتوظيفه لتعزيز السلم الاجتماعيّ.

– مشكلة البحث:

➢– كيف يمكن للتربية الإسلامية، من خلال مقاصدها وقيمها، أن تسهم في بناء إنسان قادر على تعزيز السّلم الاجتماعيّ في ظلّ هذه المتغيّرات ؟

وللإجابة على الإشكالية المركزية لابدّ من الإجابة على الأسئلة الفرعيّة التالية:

➢– ما هو مفهوم التربية الإسلامية في التصوّر الإسلاميّ؟

➢– كيف تسهم التربية الإسلاميّة في تعزيز القيم الأخلاقية وقبول الآخر؟

➢– ما هي أبرز التحدّيات المعاصرة التي تواجه التربية الإسلاميّة؟

– أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

➢– بيان مفهوم التربية الإسلاميّة وبناء الإنسان وفق المنهج والتصور الإسلامي الشامل.

➢- إبراز دور القيم التربوية الإسلامية في تعزيز السّلم الاجتماعيّ.

➢- تحليل التحدّيات المعاصرة المؤثّرة في التربية الإسلاميّة وتقديم آليّات لتوظيفها لمجابهة هذه التحوّلات.

- أهمية الدراسة:

يكتسب البحث أهمّيته من خلال:

➢- الدمج بين التأصيل الشرعيّ والممارسة التربويّة المعاصرة.

➢- المساهمة في تطوير الاستراتيجيّات التعليمية القادرة على تعزيز السّلم الاجتماعيّ.

➢- تقديم إطار تحليليّ يساعد صنّاع القرار، على مواجهة التحديات الرقمية.

- منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليليّ التأصيليّ الذي يجمع بين دراسة النصوص الشرعيّة وتحليل الدراسات المعاصرة في التربية والمجتمع.

التخطيط:

أولا: التربية الإسلاميّة وبناء الإنسان المتوازن.

1: مفهوم التربية الإسلاميّة.

2: أسس التربية الإسلاميّة وأهدافها.

ثانيا: أبعاد بناء الإنسان والقيم المؤسِّسة للسلم المجتمعيّ.

1: أبعاد بناء الإنسان في الرؤية الإسلامية.

2: القيم الأساسيّة للسلم المجتمعيّ في الإسلام.

ثالثا: التربية الإسلاميّة والسلم المجتمعيّ في عالم متغيّر.

1: أبرز التحدّيات المعاصرة للتحوّلات الاجتماعيّة والثقافيّة والتكنولوجيّة.

2: آليات تفعيل التربية الإسلاميّة لمواجهة التحوّلات وتعزيز السلم المجتمعيّ.

أولا: التربية الإسلاميّة وبناء الإنسان المتوازن:

1 – مفهوم التربية الإسلاميّة:

تُعدّ التربية الإسلامية من المصطلحات الأساسية والمفاهيم المركزيّة في الفكر الإسلامي، لدورها المحوريّ في بناء الإنسان وكينونته وتقويم سلوكه وتنظيم علاقته بربّه ومحيطه وكلّ من حوله. فالتربية لا تقف على عتبة العمليّة التعليميّة بنقل المعارف فقط، بل هي منظومة شاملة ومتكاملة تهتمّ بتكوين وتأطير الإنسان في مختلف أبعاده الأخلاقيّة والروحيّة والعقليّة والاجتماعيّة.

لغويّا:

أُشتُقَّ مصطلح التربية من الجذر (ر، ب، و) والفعل منه "ربى" أي زاد ونما ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾{ سورة الحج، الآية 05} وورد في لسان العرب: [ورَبَّ ولَدَه والصَّبِيَّ يَرُبُّهُ رَبّاً، ورَبَّبَه تَرْبِيباً وتَرِبَّةً بمعنى "ربّاه"](ابن منظور 1414 هـ، ج 1، ص 401)

وقال في الصحاح: [ورَبَّيْتُهُ تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُهُ، أي غذوته. هذا لكلِّ ما ينمي، كالولد والزرع ونحوه]. (الرازي، 1999 م، ص 117)

ولقد ورد في الحديث :" ألك نعمة ترببها " (مسلم، الحديث رقم 2567) أي تحفظها وتراعيها وتربّيها كما يربّي الرجل ولده (ابن منظور، 1414 هـ، ج 1، ص 401)

نستخلص إذا أنّ لكلمة التربية عدّة مدلولات متقاربة نذكر منها: الرعاية والتنشئة والحفظ والمتابعة للأبناء والإحاطة والكفالة....وكلّ هذه المعاني تنضوي تحت مقصد النماء في معنى التربية باعتبارها آلية تنمية وتدرّج ورقيّ وإتمام.

وسمّيت بنت الزوجة بالربيبة لأنها ترعرعت في كنف زوج الأم؛ قال تعالى: ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم ﴾ {سورة النساء، الآية 23 } وقال القرطبيّ: "سمّيت بذلك لأنه يربّيها في حجره فهي مربوبة " (القرطبيّ: 1964 م، ج 5، ص 112)

أمّا اصطلاحا:

عرّف العلماء والمفكرين التربية الإسلاميّة بتعريفات متعددة إلا أنّ جلّها، إن لم نقل كلّها، تتقاطع في كونها إجراءً هادفا ومعتبرا يستند إلى الشريعة الإسلاميّة بهدف بناء إنسان صالح في نفسه ومصلح في مجتمعه حيث عرّفها عبد الرحمان النحلاوي بأنّها" تأطير لعملية بناء وصقل شخصيّة الإنسان من جميع جوانبها وفق المنهج والتصوّر الإسلامي لتحقيق وتجسيد العبودية لله تعالى" (النحلاوي، 2007 م، ص 20)

وقد عُرِّفت بأنّها "مجموعة من التصوّرات والمفاهيم والأفكار والقيم ذات الحدّ الأقصى من التجديد والعموميّة المرتبطة بإعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلاميّة والتي في ضوئها يمكن تفسير وتبرير وتقويم العمليّات التربويّة الإسلامية المنبثقة من اسمها ومناهجها وأساليب ووسائل تحقيقها وتنفيذها" (غنايم، مهنا، 1991 م، ج1، 352)

وهي تعني في معناها العام: " إعداد الفرد وتشكيله منذ ميلاده في ضوء عدة معايير، تحدّدها الجماعة القائمة على أمر تربيته، والتي ينتمي إليها الفرد، بهدف تحديد معالم شخصيته وفقا لمنهج معيّن، يتّفق وفلسفة هذه الجماعة، من أجل تحقيق أهدافه الحياتيّة " (بوشارب، مريم، 2024 م، مج 18، عدد 1، ص 407)

أمّا اللجنة العلمية المكلّفة بوضع استراتيجيّة للتربية فقد عرّفتها بأنها : "العمل المنسّق المقصود الهادف، وتكوين الإنسان والسعي به في طريق الكمال من جميع النواحي، وعلى مدى الحياة "(سليماني، عبد القادر، عدد 14، 2010 م، ص 13)

وهي أيضا: عمليّة إنسانيّة سلوكيّة اجتماعيّة حضاريّة، تتألّف في جوهرها من التعليم القائم أصلا على الجهود الذاتيّة للمتعلّم المتجلّية في تشكيل سلوكه المؤدّي إلى تطوير شخصيّته وبالتالي إلى مساهمته في تقدّم مجتمعه وتمكّنه من المساهمة في بناء الحضارة الإنسانيّة، وبهذه الصورة فهي عمليّة سلوكيّة واجتماعية، غايتها القصوى خير الإنسان وخير المجتمع وخير الإنسانية جمعاء (نفس المصدر، ص 13)

وما يمكن استخلاصه من هذه التعريفات المتعددة للتربية أنّها عمليّة متكاملة تستهدف جميع أبعاد الشخصيّة الإنسانيّة وخصائصها، وتمتدّ مع الإنسان عبر مختلف مراحل حياته، فتُسهم في تهذيب ذاته وصقل قدراته وتوجيه سلوكه بما يجعله عنصرا في محيطه الاجتماعي.

أمّا التربية الإسلاميّة، فتتمثّل مهمّتها في إعداد الإنسان المسلم إعدادًا شاملًا ومتوازنًا للحياة في الدّنيا والآخرة، من خلال تنمية الجوانب العَقَديّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة تنميةً متكاملة، في مختلف أطوار نموّه

وذلك في إطار المبادئ والقيم التي أرسى دعائمها الإسلام. (سليماني، عبد القادر، عدد 14، 2010 م، ص 14)

2- أسس التربية الإسلاميّة وأهدافها:

➢- أسس التربية الإسلاميّة:

تقوم التربية الإسلامية على جملة من الأسس التي تكسبها خصوصيّة وتميّزا، أهمّها:

❖- القرآن الكريم:

يحتلّ القرآن الكريم المرتبة الأولى في التوجّهات التربوية، ذلك أنّه كتابُ قيمٍ وأخلاق بالدّرجة الأولى. فلا نكاد نجد أيّ سورة تخلو من توجيه و إرشاد إلى مكارم الأخلاق وحسن التربية. وفي هذا يذكر الإمام الغزاليّ أنّ ما يقارب ربع آيات القرآن الكريم موضوعها الأخلاق وقد فصّلها إلى نوعين : نوع يتحدّث عن الأخلاق نظريّا وعددها 764 آية وآخر يتحدّث عن الأخلاق عمليّا وسلوكيّا وعددها 741 آية. ويبلغ عددهما معا 1504 آية تمثّل في مجملها ربع القرآن الكريم تقريبا. (مرسي، محمد منير، 2005 م، ص 140)

❖- السنة النبوية:

تمثل السنّة النبويّ ثاني مصدر للتشريع عامة والقيم خاصّة فهي تعمل على بيان المنهج التربويّ الوارد في القرآن وتوضيح التفاصيل التي يُنصِّص عليها. وإذا كان القرآن هو الإطار النظريّ في الإسلام فإنّ السنّة النبويّة هي الترجمة العمليّة له إلى واقع عملي. ولذلك نجد الممارسات التربويّة في السنة أوضح منها في القرآن الكريم. (الزيباري، أياد، 2019 م (https://alhiwarmagazine.blogspot.com/2019/01/blog-post_9.html)

إضافة إلى أنّها تبيّن المنهج التربوي من خلال القيم والأخلاق التي تحلّى بها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته العامة والخاصة وذلك لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ { سورة الأحزاب، الآية 21 } وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق " (البخاري، حديث رقم 273)

ولقد ربَى عليها أصحابه رضي الله عنهم وأخذها عنهم السلف الصالح وتوارثتها الأجيال عنهم حتى لا تبقى مجرّد نظريّات، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ { سورة الجمعة، الآية 2 }

➢– أهداف التربية الإسلامية:

يُقصد بالأهداف التربوية: « الأغراض أو الغايات، التي تسعى العمليّة التربويّة إلى تحقيقها والوصول إليها، قريبة كانت أو بعيدة». (الشحود، علي بن نايف، 2009 م، مج 1، ص 12 (part https://ketabonline.com/ar/books/14818/read? 2026/02/14

وتحديد الأهداف لأيّ عمل من الأعمال التربوية أمرٌ أساسيّ قبل الشروع فيه وتنفيذه. لأنّه يؤثر تأثيرًا كبيرًا في تكييف وتحديد مجال الدراسة وطرائقها ووسائلها وأساليبها التي تحقّق هذه الأهداف، إضافة إلى أنّ الأهداف غالبًا ما تكون محرّكًا للسلوك وموجهًا إليه.

لذا كان لزامًا على دارسي التربية الإسلامية أن يحددوا أهدافها أولاً، حتى يستطيعوا أن يحدّدوا الطرائق والوسائل والأساليب التي يمكن أن تحقّق لهم أهدافهم، وتحرّكهم تجاه هذه الأهداف بقوّة وفاعليّة.

فالإنسان عندما يضع لنفسه هدفًا محددًا ينشط كلما اقترب منه خطوة. وكلّما حقّق جزءًا منه ازداد فرحًا وسرورًا وبهجة وتصميمًا على مواصلة العمل في سبيل تحقيق باقي الهدف. ويدفعه ذلك إلى تنظيم حياته وتجنّب اللهو والأمور التافهة التي ينشغل بها ،عادةً، الذين يفتقرون إلى الأهداف النبيلة ولا يُحسنون استثمار أوقات فراغهم فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة في حياتهم.»

(الشحود، علي بن نايف، 2009 م، مج1، ص 12. 2026/02/14
(https://ketabonline.com/ar/books/14818/read?part

و يمكن حوصلتها في:

❖ – تحقيق العبودية لله تعالى:

إنّ الغاية العليا للتربية الإسلامية هي ترسيخ معنى العبودية لله، بوصفها إطارًا ناظمًا لكل سلوك إنسانيّ فقد قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56)

فالعبوديّة هنا لا تُفهم بمعناها الشعائريّ الضيّق، بل بمعناها الشامل الذي يربط العلم، والعمل، والأخلاق، والعلاقات الاجتماعيّة بمنهج الله.

فالإنسان الذي يريد أن يتحقق فيه معنى العبودية، هو الذي يُخضع أموره كلها لما يحبه الله تعالى ويرضاه، سواء في ذلك ما ينتمي إلى مجال الاعتقادات أو الأقوال أو الأفعال؛ فهو يكيّف حياته وسلوكه جميعًا لهداية الله وشرعه؛ فلا يفتقده الله حيث أمره ولا يجده حيث نهاه وإنما يلتزم بأوامر الله فيأتي منها ما استطاع و يكفُّ عن نواهيه سبحانه فلا يقربها تصديقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: « إذا أمرتكم بأمر فَأْتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه » (البخاري، حديث رقم 7288) فالمسلم دائمًا إذا أمره الله تعالى أو نهاه أو أحل له أو حرّم عليه، كان موقفه في ذلك كله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]. وهذا هو الهدف العامّ الذي تعمل التربية الإسلامية على تحقيقه. (2026/02/14 https://ar.islamway.net/article)

❖- بناء شخصية سوية:

تهدف التربية الإسلاميّة إلى بناء شخصيّة سويّة في مختلف أبعادها متكاملة في سلوكها وتوجّهاتها؛ إذ تمثّل هذه الغاية محورًا أساسيًا لتمكين الإنسان من أداء دوره الاستخلافيّ في الأرض. فالشخصيّة المتوازنة المتكاملة هي الأقدر على تحمّل أمانة الخلافة، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ { سورة النور، الآية 55} وهي كذلك الشخصيّة التي تستطيع الاضطلاع بمسؤوليّاتها من خلال تجسيد القيم الدينيّة في سلوكها اليومي، بما يسهم في عمارة الكون وتحقيق مقاصد الاستخلاف، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ { سورة هود، الآية 61 } كما تسعى إلى تحقيق الصالح العام وتحقيق التوازن بين متطلّبات الدّنيا وغايات الآخرة، وفق التوجيه الإلهي: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ { سورة القصص، الآية 77 }

❖ - تحقيق التوازن المجتمعيّ:

تسعى التربية الإسلاميّة إلى بناء مجتمع متماسك ومتوازن وذلك من خلال الأمر بالعدل والإحسان والتعاون فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ { سورة النحل، الآية 90 } وقال أيضا: ﴿وَتَعَاوَنُوا

عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ { سورة المائدة، الآية 02 } والقصد من ذلك هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه وإتاحة الفرص أمامهم للمساهمة في خدمة المجتمع وتحقيق رقيّه وتقدمه وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ {سورة النساء، الآية 58 } وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ {سورة البقرة، الآية 30 }

❖- تحقيق التوازن النفسي:

تهدف التربية الإسلاميّة إلى تحقيق التوازن النفسي لدى الإنسان من خلال ترسيخ استقراره الداخليّ وضبط رغباته في ضوء قيم الشريعة ومبادئها. فحين يتحقّق هذا التوازن يصبح الفرد أكثر قدرة على مواجهة تحدّيات الحياة وضغوطها بثبات ووعي، مما يمكّنه من السير في طريق الفلاح وتحقيق النجاح في الدّنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ { سورة الشمس، الآية 09 } كما يساهم التوازن النفسي في اعتدال سلوك الفرد مع نفسه ومع الآخر قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خير الناس أنفعهم للناس " (البيهقي حديث رقم 7252)

❖- تربية المواطن على الخير والصلاح:

تسعى التربية الإسلاميّة إلى بناء الإنسان على الخير والصلاح بحيث يكون فاعلا في مجتمعه. وأسس هذا الهدف الالتزام بالقيم والأخلاقية وغرس مبادئ العدل والتعاون والصدق قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ { سورة العنكبوت، الآية 45 } وقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ {سورة البقرة، الآية 83}

ثانيا: – أبعاد بناء الإنسان والقيم المؤسِّسة للسلم المجتمعيّ

1 – أبعاد بناء الإنسان في الرؤية الإسلامية

➢ **–البعد العقدي والروحي في بناء الإنسان:**

يُعدّ البعدُ العقديّ اللَّبِنةَ الأساس في بناء الإنسان وفق منظور التربية الإسلاميّة؛ إذ يُرسِّخ في نفسه الإيمان بالله تعالى، ويغرس فيه الطمأنينة والسَّكينة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ {سورة الرعد، الآية 28} ومن شأن هذا الإيمان أن يُقوّي صلته بربّه، ويمنحه القدرة على مواجهة الصعاب وتحدّيات الحياة بروحٍ مطمئنّة ونفسٍ راضية.

ولا يقف أثر البعد العقديّ عند حدود العلاقة بالخالق، بل يمتدّ إلى تنظيم علاقة الإنسان بغيره، فيُسهم في تحقيق التوازن المجتمعي على أساس المودّة والتراحم والتكافل، كما جاء في الحديث النبوي الشريف

قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ. مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى" (البخاري، حديث رقم 6011) كما يحفّز على السعي والعمل والإسهام في الرقيّ المجتمعي، انطلاقًا من مبدأ المسؤولية الفرديّة فقد قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ {سورة النجم، الآية 39 } وعلى هذا الأساس، يصبح الإنسان فاعلًا في بناء المجتمع، مجسّدًا أهداف التربية الإسلاميّة في سلوكه اليومي. ويبرز هذا البعد بوصفه رقيبًا ذاتيًّا يضبط السلوك في غياب الرقابة الخارجيّة؛ لذا فإنّ إهمال البعد الروحي يجعل أيّ مشروع تربويّ قاصرًا عن تحقيق التوازن المنشود.

➢ – البعد العقلي والبناء المعرفي:

من أهم مميزات المنهج التربوي اهتمامه بالعقل والإعلاء من شأنه فقد ميز الله الإنسان بالعقل وجعله مناط التكليف وأساس التكريم فكان أوّل ما نزل من القرآن موجها " للعقل " بالصقل والتعلم قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ { سورة العلق، الآية 1-5 }

كما دعا القرآن الكريم إلى إعمال العقل في مواضع عديدة، وحثّ على التدبّر والتفكّر والاستدلال فقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ { سورة يس، الآية 68 } قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ { سورة محمد، الآية 24 } قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ { سورة البقرة، الآية 111 }

قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عودوا قلوبكم الترقب، وأكثروا التفكر والاعتبار" (الألباني، حديث رقم 3922)

لذلك يحرص منهج التربية الإسلاميّة على بناء عقلٍ ناقدٍ واعٍ، يُحفِّز على البحث والاجتهاد والإبداع والابتكار، بما يقيه من التعصّب والتطرّف المعرفي، ومن الانسياق وراء الشهوات والشبهات. فالتربية الإسلاميّة لا ترفض ثقافة الآخر ولا تنغلق دونها، وإنّما تؤطّر الانفتاح عليها بشرط التعقّل وحسن التمييز؛ إذ يُعدّ العقل سند الإيمان، وحجّة الدين، وقِوام الحياة.(الزناتي، عبد الحميد، 1993 م، ص 484)

➢ – البعد النفسي:

يولي منهج التربية الإسلاميّة عنايةً خاصّة بالبعد النفسي للإنسان، باعتباره ركيزةً في تحقيق الاستقرار والتوازن. فالإنسان كيانٌ متكامل تتداخل فيه الأبعاد الوجدانيّة والعقليّة والجسميّة، وقد أحاطها الإسلام بالرعاية والتوجيه. قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أنزلوا الناس منازلهم" (أبو داود حديث رقم 4842)

كما تعتمد التربية الإسلاميّة أسلوبيْ الترغيب والترهيب في توجيه السلوك؛ أمّا الترغيب فهو يوقظ في النفس مشاعر الخير والصدق والهدى، ويبعث الطمأنينة والأمل والرجاء. وأمّا الترهيب فيُنمّي فيها الخشية من الله، ويكبح نزعاتها المنحرفة، بما يحقّق التوازن والتهذيب النفسي. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (74) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ { سورة طه، الآية 74-76 }

➢ – البعد الأخلاقي:

يُعدّ البعد الأخلاقي في التربية الإسلاميّة جوهرَ البناء الإنساني وأساسه، إذ دعا إليه الإسلام وحثّ عليه، ورتّب على الالتزام به الثوابَ والجزاءَ الحسنَ من الله تعالى إذ قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ {سورة فصلت، الآية 30} قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إن خياركم أحاسنكم أخلاقا " (مسلم حديث رقم 2321). فالأخلاق في الإسلام ليست مكمّلا لسلوك الانسان بل هي مقصد شرعيّ من مقاصد الرسالة المحّمدية قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق" (مسند الامام أحمد، حديث رقم 8952)

تسعى التربية الإسلاميّة إلى تهذيب النفس وتزكيتها، والارتقاء بأخلاقها وتقويم سلوكها، وتمكينها من ضبط انفعالاتها والتحكّم في غرائزها وكبح شهواتها، مع توجيه عواطفها ودوافعها الفطريّة وحاجاتها النفسيّة

والاجتماعيّة توجيهًا سويًّا متوازنًا، في إطار ما تقرّه العقيدة والأخلاق والعقل والعرف، بعيدًا عن الإفراط والتفريط أو الكبت والانفلات (الزنتاني، عبد الحميد، 1993 م، ص 498) وتبرز أهميّة البعد الأخلاقي في كونه دعامةً لتوطيد العلاقات داخل المجتمع، والحدّ من النزاعات، وترسيخ قيم التعاون والتكافل والعدل، وهي القيم التي يقوم عليها السِّلم المجتمعي.

2- القيم الأساسية للسلم المجتمعي في الإسلام

يتبوّأ السِّلم المجتمعي منزلةً أصيلة في البنية المقاصديّة للتصوّر الإسلامي، إذ يُعدّ مقصدًا كليًّا من المقاصد العليا التي تستهدفها الشريعة في تنظيم الاجتماع الإنساني وتدبير شؤون الأفراد والجماعات. وهو وثيق الصلة بحفظ الضروريّات الخمس التي تقوم عليها مقاصد الشريعة وفي طليعتها صيانة النفس وحفظ العقل وصون الكرامة الإنسانيّة، بما يضمن استقرار العمران واستمراره.

ولا يُتصوَّر السِّلم في الرؤية الإسلاميّة على أنّه مجرّد انتفاءٍ للعنف أو حالة سكون عارضة، بل هو وضع إيجابيّ مركّب، قوامه إقرار العدل، ورعاية الحقوق، وحسن إدارة الاختلاف ضمن أطرٍ ضابطة، وتعزيز التماسك والتكافل بين مكوّنات المجتمع. ومن ثمّ، تنهض التربية الإسلاميّة بوظيفة تأسيسيّة في إرساء هذا السِّلم وترسيخه، من خلال بناء منظومة قيميّة وأخلاقيّة تؤطّر العلاقات الاجتماعيّة، وتضبط السلوك الفردي والجماعي في ضوء هدي الشريعة ومقاصدها.

➢ - قيمة العدل باعتبارها أساس السلم المجتمعي

تُعدّ قيمة العدل من أبرز القيم في بناء الحضارة وركيزة أساسية لتحقيق السلم المجتمعي في الإسلام؛ بل يمكن القول إنها قطب الرحى لباقي القيم، إذ لا يمكن لمجتمع أن ينعم بالاستقرار في غياب العدل. وقد جاء في القرآن الكريم الأمر الواضح القطعيّ بوجوب إقامة العدل، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ { سورة النحل، الآية 90 } و يمكننا أن نستخلص أنّ العدل ليس خيارًا يمكن التغاضي عنه، بل هو واجب إلهي عام ينظّم حياة الفرد والجماعات، ويشكل غايةً وهدفًا من أهداف الاستخلاف، كما بيّن الله سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ { سورة الحديد، الآية 25 } فقيام القسط وتحقيقه بين الناس هو أساس الاستقرار المجتمعي ودرء الظلم، إذ لا استقرار ولا سلم حقيقيّ مع استشراء الظلم في المجتمع.

وتتجلّى ملامح العدل في السلم المجتمعي من خلال صيانة الحقوق وحفظها، وإرساء المساواة بين جميع أفراد المجتمع دون تمييز بناءً على الهوية أو المعتقد، وهو ما يسهم في الحدّ من تفشّي أسباب النزاع والخلاف. قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إنما أهلك الذي قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه...." (مسلم، حديث رقم 1688)

قد نبّه ابن خلدون في مقدمته إلى أنّ السلم الاجتماعيّ لا ينفصل عن تحقيق العدل، مؤكّدًا أنّ الظلم يمثل سببًا مباشرًا في تفكك المجتمع وخراب العمران، فالعادل هو أساس العمران، والظالم هو مؤذن بخرابه (ابن خلدون، 1981 م، ج 1، ص 353)

ولقد كان العدل هو المقصد الأول للشريعة الإسلامية حيث يقول المودودي:" إنّ الإسلام هو العدل بعينه فإقامة العدل بين الناس وتحديد ما هو العدل وما هو الظلم والجور إنّما هو من شأن خالق الإنسان وربّه، ولا أحد يملك حقّ وضع معيار العدل والظلم. (المودودي، 1977 م، ص 191)

➢ **– قيمة الكرامة الإنسانية وحفظ الانسان:**

يُعدّ حفظ الكرامة الإنسانية ركيزةً أساسية لتحقيق السلم الاجتماعي، إذ يشكّل أساس الحقوق والواجبات، فالإنسان ليس بالكائن العارض في الوجود بل هو كائن مكرّم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ { سورة الاسراء، الآية 70 } كما منحه الله مكانة خاصة بين سائر المخلوقات وفضله على كثيرا مما خلق تفضيلا قال تعالى: ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ { سورة الاسراء، الآية 70 }

إنّ انتهاك كرامة الإنسان يولّد شعورًا بالظلم، ويغذّي داخله مشاعر الحقد والكراهية والعداء، مما يؤدي إلى الاغتراب الاجتماعي وتفكك المجتمع. ومن هذا المنطلق، حرصت الشريعة الإسلاميّة على صون كرامة الإنسان عبر تشريع العقوبات الرادعة، قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبة الوداع: " إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام" (ابن ماجة، حديث رقم 3055) جسّدًا بذلك مكانة العرض – وهو محور الكرامة– بمستوى الدم والمال.

ومن هنا، يظهر أنّ حفظ الكرامة في الإسلام ليس مجرد شعار أخلاقيّ، بل التزام سلوكيّ وتشريعيّ وتربويّ يقتضي مقاومة كلّ أشكال الظلم والإقصاء والاضطهاد. فالإنسان هو محور التشريع وغايته، وبقدر ما تُصان كرامته تتحقّق قيمة العدل، ويُحفظ المجتمع من التفكك.

فالكرامة هي حجر الزاوية في أي بحث حضاري يستلهم روح الشريعة ويستثير ضمير الإنسان.

➢ – قيمة المسؤولية الاجتماعية والتكافل :

تُعدّ كلّ من المسؤولية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي من القيم الجوهرية التي حثّت عليها الشريعة الإسلامية، وركيزة أساسية يقوم عليها السلم المجتمعي في الإسلام.

فالمسؤوليّة الاجتماعيّة تتجلّى في وعي الفرد بواجباته تجاه الآخرين، بينما يتجسّد التكافل في تعزيز روح التعاون، ليصبح المجتمع كالجسد الواحد، يعمل أفراده معًا على نشر الخير وصون مصالح الجماعة.

وقد أمر الله تعالى بهذه القيم وبيّن أهميتها في محكم تنزيله، قائلاً: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ { سورة المائدة، الآية 02 } فالتعاون والتكافل ركيزتان أساسيّتان لبناء مجتمع متماسك ومتوازن.

كما أقرّت السنة بذلك حيث قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (مسلم، حديث رقم 2585).

يمكن الاستنتاج أنّ المسؤولية الاجتماعية ليست مجرد خيار فردي أو عرفي، بل هي واجب ديني أساسيّ، متجذّر في منظومة التكافل التي أقرّها الإسلام، والتي تهدف إلى الحدّ من الفوارق الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وتعزيز تماسك المجتمع. كما أنّ غياب هذه المسؤولية يؤدّي إلى تفشّي الجريمة بمختلف أشكالها، ويزيد من الاحتقان الاجتماعيّ، ويهدّد استقرار المجتمع ويؤدّي إلى تفكّكه، مما يؤكد أهمّية ترسيخ قيم التكافل والواجب الاجتماعيّ في التربية الإسلاميّة لتحقيق السلم والاستقرار المجتمعيّ.

➢ – قيمة السلم ونبذ العنف:

تُعدّ قيم السلم والتسامح من القيم الجوهرية في الدين الإسلامي، وقد حثّ عليها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما حثّ على نبذ العنف والكراهيّة كما جاء في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة " (البخاري حديث رقم 3166) وهو ما يؤكد حرمة الذات الإنسانية وكرامتها، بغضّ النظر عن العرق أو اللون أو الديانة. وتسعى التربية الإسلامية إلى تحقيق السلم الاجتماعيّ من خلال ترسيخ ثقافة

التسامح والحوار، ونبذ العنف وضبط النفس، قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ { سورة فصلت، الآية 34 }

ومن ثمّ، فإن إحلال السلام ونبذ أساليب العنف يرتبطان أساسًا بنشر ثقافة جديدة تقوم على قيم التفاهم والتسامح، وقبول الاختلاف، واحترام كرامة الإنسان، والامتناع عن اللجوء إلى القوة كوسيلة لحل أيّ مشكلة مهما كان نوعها (القايدي، محمد، 2023 م، مج 4، عدد 7، ص 21)

ثالثا: – التربية الإسلامية والسلم المجتمعي في عالم متغيّر

1– التحدّيات المعاصرة للتحوّلات الاجتماعية والتكنولوجية وأثرها في السلم المجتمعي

يشهد العالم اليوم تصاعدًا ملحوظًا لمظاهر العنف وتنوع صورها، سواء على المستوى الفكري أو السلوكي، مما أنتج تحديات حقيقية أمام المجتمعات في سعيها للحفاظ على السلم والاستقرار الاجتماعي. وفي هذا السياق، تبرز الحاجة الملحة إلى تحليل هذه الظواهر ودراسة آثارها وانعكاساتها على السلم الاجتماعي، تمهيدًا لفهم دور التربية الإسلامية بوصفها منظومة قيمية متكاملة، تعمل على تحصين الفرد من الانزلاق نحو التطرف والعنف، وتعزيز روح السلم، وتهيئة مناخ للتعايش السلمي.

➢ – الحراك الاجتماعي وتصدع الهياكل التقليدية.

في ظلّ الحداثة المتسارعة، وقع تغير عميق في المنظومة الاجتماعية مسّت مختلف أنساقها القيميّة الجوهرية، وبما أنَّ الأسرة هي نواة المجتمع وقطبه، فقد شهدت تراجعًا كبيرًا في دورها التربويّ.

وحين تراجع دور الأسرة الموسعة لفائدة الأسرة النوويّة نتيجة عوامل مختلفة، من بينها تسارعُ وتيرة الحياة وانتشارُ ثقافة الفردانيّة وتغيّرُ أنماط العيش، أدّى كلُّ هذا إلى إضعاف الرّوابط الاجتماعيّة وتحويلها إلى روابط وظيفية قاصرة على الطابع النفعي، في مقابل غياب الانتمائيّة والتشاركيّة. ونلاحظ ارتفاعا كبيرًا للفردانيّة، وهو ما أفرز حالة من التوتر بين منظومة تقليديّة للقيم وأخرى هجينة، كما أفضى إلى تفشّي مظاهر التفكك الاجتماعي والأُسري، وهو من أبرز أسباب انتشار العنف والانحراف نتيجة شعور الأفراد بالاغتراب وفقدان الانتماء والانفصال عن الهوية.

ويتمثل هذا التحول المجتمعي تحديًا مباشرًا للتربية الإسلامية، التي تقوم على مفهوم العمران، والذي ينص على التوازن بين المسؤولية الجماعية والفردية. قال تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ { سورة آل عمران، الآية 03 } والحرية الفردية.

إذن، فإنّ نجاح منظومة التربية الإسلامية يتجسّد في قدرتها على مجابهة التحولات الاجتماعية الراهنة ومواجهتها، من خلال إعادة بناء مفاهيم معاصرة للقيم، تمكّن الفرد من التعايش والتفاعل الإيجابي مع أفراد المجتمع، دون الانسلاخ عن هويته وثوابته القيمية حتى لا تكون (هويته سائلة) كما قال عالم الاجتماع " **زيجمونت باومان** "

➢ – التحولات الثقافية وإشكالية الهوية:

تمثل التحولات الثقافية تحديًا جليًّا للهوية، فالإنسان في حالة تعرض دائمة للضغوط القيمية والسلوكية المتجددة، وهذا ما يطرح سؤالًا مركزيًّا: كيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية في ظل العولمة والواقع المتجدد. فالهوية الإسلاميّة ليست مجرّد موروث ثقافي قيميّ، بل هي امتداد للبعد الدينيّ العقائديّ والروحيّ، الذي يؤطّر السلوك الإنساني ويحميه من الانزلاق وراء الشهوات. وقد حذّر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك فقال: " من تشبه بقوم فهو منهم " (أبو داود، حديث رقم 4031) لأنّ الاتّباع لا يقتصر ضرره على السلوك بل يتعدّى إلى الفكر ثم الهويّة الإنسانيّة إذ يجرّده من مبادئه وقيمه وثوابته وقد حذّر الشرع منه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ { سورة الاسراء، الآية 36 } وفي هذه الآية تأكيد على أهمية المعرفة قبل الاتّباع والاقتداء.

ولهذا، أكّد العلماء على ضرورة وأهمية الوعي الثقافي لمواجهة الغزو الخارجي. فقد أشار مالك بن نبي إلى أن غياب التوازن الثقافي يُعدّ مدعاةً للاستعمار الثقافي، وما ينجم عنه من اضطراب اجتماعيّ،

حيث يصبح الآخر سبيلًا لانتشار العنف والصراع داخل المجتمع. (طبعة، سعاد وفتيح خالد، 2019 م، عدد 9، ص 61 – 61)

وعليه، يصبح التعليم الديني وسيلةً للحفاظ على الهوية والمرجعية الإسلامية، مع مواكبة الواقع المعاصر بالانفتاح على ما هو إيجابي ويتوافق مع الثوابت القيميّة، وبذلك يتمكّن الفرد من التعايش في عصر العولمة، متصالحًا مع واقعه، دون التفريط في قيمه أو الانسلاخ عن هويّته.

➢ – الثورة الرقمية وانعكاساتها على السلم المجتمعي:

أنتجت الثورة الرقمية، بما تحمله من تداخل ثقافي وتطور تقني، تغيّرات عميقة أثّرت على الاستقرار الاجتماعي، سواء بالإيجاب، مثل تعزيز التواصل وتقريب المسافات بين الأفراد، مما يرسّخ قيم الائتلاف والتعارف الاجتماعي التي كما ساهمت الثورة الرقمية في تنشيط التفاعل المجتمعي، من خلال إشاعة العمل التكافلي عبر المنصات الرقمية، مما يعزز أواصر التضامن الاجتماعي.

إلا أنّ ذلك لا ينفي وجود تحديات سلبية تهدّد السلم المجتمعي، مثل انتشار خطاب الكراهية والتنمر الرقمي، ما أضعف قيم التسامح والتآخي والاحترام، وحلّت محلها أشكال وأنماط جديدة من العنف الرقمي. وقد حذّر الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل من كل ما يفضي إلى الفساد ونشر الفتن والإفساد في الأرض، فقال: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ { سورة الأعراف، الآية 56 } وقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك فقال: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " (البخاري، حديث رقم 10)

وما تؤكده هذه المظاهر للثورة الرقمية وانعكاساتها على السلم المجتمعي لا يقف في حدود الاتصال فقط بل يتخطاه ليساهم في إعادة تشكيل جملة المعايير الأخلاقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة الفرد ما يستدعى من التربية الإسلامية العمل على نشر وعى رقمي بموازين بين تمثل وتبني القيم الإنسانية الاصيلة والمحافظة عليها والاستفادة من التكنولوجيا والوسائط الرقمية.

2– آليات تفعيل التربية الإسلامية لمواجهة التحولات الرقمية وتعزيز السلم المجتمعي

ما شهده العالم من تسارع تقني وتداخل ثقافي، وما نتج عنه من اتساع ظاهرة العنف الرمزي وتراجع منظومة الأخلاق والقيم، يستلزم البحث عن آليات فعّالة لمواجهة هذا التيار. وهنا يتجلّى دور التربية الإسلامية بوصفها أداة مركزية في بناء الإنسان وغرس القيم الأخلاقية التي يترتّب عليها تحقيق السلم الاجتماعي.

➢ – ترسيخ قيم السلم والتسامح في التربية الإسلامية:

لا شكّ في أنّ ترسيخ قيم السلم المجتمعي ليس مجرّد خطاب أخلاقي، بل هو منظومة قيميّة حضارية متكاملة تقوم على أسس شرعية. فقيم السلم تمثل ركيزة ووتدًا أساسيًا في المنظومة التربوية، إذ تعمل على بناء الفرد المتكامل، فالسلم والتسامح مبدآن جوهريان في العلاقات الإنسانية، وليس مجرّد حالة عارضة أو ظرفية، وهذا ما أقرّه الإسلام من خلال ضبط قيم التعايش، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن

ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ { سورة الحجرات، الآية 13 } فقد جعل سبحانه وتعالى من التنوع سببا للتكامل والتعايش لا للتنازع كما تنصّ الآية على ضرورة قبول الآخر واحترام اختلافه.

وعليه فإن تأصيل قيم التسامح والتعايش لا يمكن تحقيقها بمجرد الوعظ والإرشاد بل عن طريق إدراجها في المناهج والأنشطة التربوية لأن السلم المجتمعي لا يتحقق إلا ببناء وعي جماعيّ ينبذ العنف وإشاعة ثقافة الحوار وترسيخ قيم العدل والتسامح وقد أكد هذا ابن عاشور حيث قال: إن من مقاصد الشريعة إقامة العلاقات بين أفراد المجتمع على أساس العدل والتسامح بما يرفع أسباب التنازع (ابن عاشور، 2001 م، 251 - 260 بتصرف)

وهو ما يعطي للتربية الإسلامية بعدا احترازيا يهدف إلى تعزيز قيم السلم المجتمعيّ وروح التعاون في مواجهة الصراعات واحتوائها لأن صلاح الفرد نواةٌ وأساسٌ لصلاح الجماعة.

➢ – تفعيل دور المؤسسة التربوية

إنّ دور وفاعلية التربية الإسلاميّة في تحقيق السلم المجتمعي ليس حكرا على المدرسة فقط بل يتخطّاها ليشمل كل من الأسرة ووسائل الإعلام والمساجد... لأن السّلم الاجتماعيّ هو نتاج لتفاعل كل المؤسسات التربويّة الفاعلة.

حيث تنبثق العملية التربوية من الأسرة ومن ثمّ باقي المؤسسات التربوية التي يختبر فيها الفرد المبادئ والقيم الأخلاقيّة التي تشرّبها في بيئته الأولى، كما أنّ المدرسة والمعهد والجامعة لا يقتصر دورها على نقل المعارف بقدر ما هو قائم على صقل الذات البشرية بغرس مفاهيم التسامح والحوار وتعلم مهارته ومهارات ضبط النفس وفي هذا الإطار يشير طه عبد الرحمان إلى أنّ غياب التكامل بين هذه المؤسسات يفرغ التربية الإسلاميّة من بُعدها الأخلاقيّ ويجعلها عرضة للاختزال الوظيفي (طه، عبد الرحمان، 2000 م، ص 118- 122. بتصرف)

إذن، فإنّ ترسيخ دور التربية الإسلامية في غرس قيم السلم والتسامح داخل المجتمع يتطلّب تفعيل دور المؤسسات الفاعلة، والسعي لخلق بيئة قائمة على الحوار والتعايش، ونبذ الكراهية والتطرف الفكري، بما يضمن استمراريّة فاعلية التربية الإسلامية وتحقيق أهدافها المجتمعية.

➢ – تنمية الوعى الرقميّ في المعالجة التربويّة

إنّ دور التربية الإسلاميّة لم يعد قاصرا على المؤسسات التقليديّة بل تخطّاها ليشمل المنصّات الرقميّة والمواقع الالكترونيّة، فأصبح من الضروريّ إدماج القيم الإسلاميّة المتمثّلة في: الصدق والتسامح والأمانة.... في البيئة الرقمية والتطبيقات التعليميّة وذلك لترسيخ هذه القيم عمليّا عن طريق الوسائط المتعددة والفيديوهات.

ولضمان نجاح هذه العملية التربوية، لا بدّ من إشراك الأسرة، إذ إنّ وجودها جوهري في العملية التربوية، كونها ركيزة أساسية في تأطير الأبناء وتوجيههم لاستثمار الفضاء الرقميّ بشكل إيجابي.

ونتيجة إدماج وإشراك جميع هذه العناصر الفاعلة والشاملة في العملية التربوية، تتحول التحديات الرقمية المحتملة إلى فرص لنشر الوعي والسلم والتعايش بين مختلف مكونات المجتمع. وبذلك، لا يقتصر دور التربية الإسلامية الرقمية على نقل المعلومات والمعارف فحسب، بل تصبح وسيلة فاعلة في المجتمع لنشر قيم التسامح والتعايش السلميّ.

خاتمة:

في خلاصة البحث يمكننا اعتبار التربية الإسلاميّة منظومة متكاملة تؤسّس لبناء إنسان متّزن أخلاقيّا وعقائديّا واجتماعيّا، بما يجعله عنصرا فاعلا في المجتمع، مساهما في ترسيخ قيم السّلم الاجتماعيّ والعدل والتسامح ونشر ثقافة الحوار.

كما بيّنت لنا الدراسات الحديثة أنّ التحوّلات المعاصرة التي نشهدها سواء أكانت على المستوى الثقافيّ أو الاجتماعيّ أو التكنولوجيّ تمثّل تحدّيا حقيقيّا أمام منظومة التربية الإسلاميّة ممّا يعزز دورها من خلال تطوير مناهجها وتعزيز ثقافة الحوار واستثمار مختلف الوسائط الرقميّة في نشر القيم والمبادئ الأخلاقيّة.

ولقد أفرزت هذه الدراسة جملة من النتائج أهمها:

– تعدُّ التربية الإسلامية ركيزة أساسية في بناء وتكوين إنسان متوازن كما تعدّ شرطا ضروريا لترسيخ السلم الاجتماعي.

– للقيم الإسلاميّة دور فعّال ضد تفشي العنف بكل أنواعه (مادي – رمزي) كما تقي المجتمع من الانحراف والانجراف نحو التطرّف سواء كان فكريّا أو سلوكيّا.

– تدعو التربية الإسلامية إلى التسامح والتآخي من خلال قبول الآخر ونشر ثقافة الحوار ممّا يعزز الروابط والأواصر الاجتماعية.

– دعت الدراسات الحديثة إلى ضرورة عصرنة آليات التربية بما يتوافق مع متطلبات العصر الرقميّ والتكنولوجيّ وبما يتماشى مع الثوابت والقيم الإسلامية ويحافظ على تماسك المجتمع.

– ما أفرزته الدراسة أنّ لكلِّ مؤسّسةٍ مهامَّ إلا أنها تلتقي وتتقاطع في كيفية بناء مجتمع يحظى بقيم السلم والتسامح والتعايش.

توصيات :

لا بدّ:

– من تطوير المناهج التربوية وتضمينها قيم السلم والحوار والتسامح والتعايش بما يتماشى مع الواقع المعاصر.

– تفعيل دور المساجد وتذكير الأسرة بدورها الرئيسيّ وهو تربية الأبناء على قيم التسامح والحوار بما يضمن استرسالها واستمرارها داخل المجتمع.

– من استثمار الوسائط الرقمية إيجابيّا وذلك بنشر قيم السلم والتعايش ونبد العنف والتطرّف وتوجيه سلوك الأفراد نحو تحقيق المصالح ودفع المفاسد لضمان الاستقرار الاجتماعي في عالم متغيّر.

قائمة المراجع:

1- الألباني: 1996 م، سلسلة الأحاديث الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض.

2- البخاري: 1422 هـ، صحيح البخاري، دار طوق النجاة بيروت.

3- بوشارب، مريم، 2024 م، الابداع العلمي في الجامعة، مجلة البحوث والدارسات الإنسانية، مج 18، عدد 1، ص 407.

4- البيهقي: 2011 م، السنن، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة.

5- ابن خلدون، 1981 م، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ج 1، ص 353.
6- أبو داود: 2009 م، السنن، دار الرسالة العالمية.
7- الرازي، 1999 م، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، بيروت، ص 117.
8- الزناني، عبد الحميد، 1993 م، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ص 484.
9- الزيباري، أياد، 2019 م، التربية الإسلامية وأثرها في وقاية الشباب من الأفكار الإرهابية، مجلة الحوار، 2026/2/14 https://alhiwarmagazine.blogspot.com/2019/01/blog-post_9.html
10- سليمانى، عبد القادر، 2010 م، بحث في مجلة الحضارة بعنوان مفهوم التربية الإسلامية ودورها في ترقية الفرد والمجتمع، عدد 14، ص 13.
11- الشحود، علي بن نايف، 2009 م، في أصولِ التربية الاسلامية، دار المعمور، مج1، ص 12) 26/02/14https://ketabonline.com/ar/books/14818/read?part
12- طبعة، سعاد و فتيح، خالد، 2019 م، القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي، مجلة تاريخ العلوم، عدد 9، ص 61 – 61.
13- غنايم، مهنا، 1991 م، أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الأردن، ج 1، ص 352.
14- القايدي، محمد، 2023 م، ثقافة التسامح ونبذ العنف، المنتقى للبحوث والدراسات، مج 4، عدد 7، ص 21.
15- القرطبي: 1964 م، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج 5، ص 112.
16- ابن ماجة: 2009 م، السنن، دار الرسالة العالمية.
17- مسلم، 1955 م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
18- مرسي، محمد منير، 2005 م، كتاب التربية الإسلامية أصوله وتصورها في البلاد العربية، عالم الكتب، ص 140.
19- ابن منظور، 1414 هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 1، ص 401.
20- المودودي، الحكومة الإسلامية، 1977 م، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ص 191.
21- النحلاوي، 2007 م، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ص 20.
22- https://ar.islamway.net/article 2026/02/16

The contribution of physical education and sports classes to building a child's healthy personality and developing their psychological skills in the primary stage.

Lallali maissa [1]
University of batna2-mustapha ben boulaid
m.lallali@univ-batna2.dz
Benhafid moufida [2]
University of batna2-mustapha ben boulaid
m.benhafid@univ-batna2.dz

Abstract:

Today's child in Arab and Muslim societies is influenced by rapid social and technological changes that affect behavior and personality development. These changes may lead to early psychological and social problems, highlighting the need for integrated educational approaches. Physical education and sports classes in Algerian primary schools play an important role in shaping a balanced personality. Through play, children acquire values, morals, and social skills within a structured framework. This research examines the role of physical education in supporting child personality development in light of recent educational reforms since 2023.

Keywords: Physical education class, child's personality, physical education and sports curriculum, Algerian educational institution.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مساهمة حصة التربية البدنية و الرياضية في بناء شخصية الطفل السوية و تنمية مهاراته النفسية في المرحلة الإبتدائية –قراءة تحليلية في ضوء منهاج التربية البدنية و الرياضية مرحلة الإبتدائية –

العلالي مايسة [1]

جامعة مصطفى بن بولعيد باتنة 2

m.lallali@univ-batna2.dz

بن حفيظ مفيدة [2]

جامعة مصطفى بن بولعيد باتنة 2

m.benhafid@univ-batna2.dz

ملخص:

طفل اليوم في الدول العربية و المسلمة ليس كطفل الأمس يعيش تحت وطئة التغير الاجتماعي ،و التطور التكنولوجي الذي ينعكس و يؤثر على أفكاره و معتقداته و يترجم في مخرجاته و يتجلى في قوالب غير سوية أحيانا أو غير مقبولة إجتماعيا تتمظهر في أنماط سلوكية أو مشكلات نفسية إلى إضطرابات تطفو على سطح المراحل العمرية الأولى ، و يتأثر عدد من العوامل ذات العلاقة بالأسرة ، لذا تم إستحداث واحدة من السبل التي تعمل بطريقة تكاملية مع نظيراتها توجيه و تعديل و إصلاحا و تشكيل شخصية هذا الطفل محاكية لطرق تعلمه ، مراعية لإحتيجات نموه ، و المتمثلة في : تدريس حصة التربية البدنية و الرياضية في التعليم الإبتدائي في المدرسة الجزائرية ، لما للعب من تأثير على الإكتساب الأمثل للقيم و المبادئ و الأخلاق الحميدة ، و سقل للسمات النفسية و الوجدانية و تهذيبها، و الإرتقاء بالأداءات الاجتماعية في إطار منهجي و مهيكل يراعي خصوصية و إحتياجات المرحلة العمرية لتحقيق أغراض تربوية ضمنية ينص عليها المنهاج المدرسي للمادة الدراسية ،لذا جائت هذه الورقة البحثية لتقديم قراءة تحليلية لمتطلبات تشكيل الشخصية السوية آنيا و مستقبليا في ضوء ماتقدمه الوثيقة الرسمية المرافقة لإستحاث هذه المادة التعليمية منذ سنة 2023 و بقرار رئاسي في المؤسسات التربوية الجزائرية .

الكلمات المفتاحية:حصة التربية البدنية ، شخصية الطفل ،منهاج التربية البدنية و الرياضية ، المؤسسة التربوية الجزائرية .

مقدمة:

تُعدّ مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية في حياة الإنسان، إذ تتشكّل خلالها أسس الشخصية وتتبلور الملامح الأولى للنمو النفسي والاجتماعي والسلوكي. وفي ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر، وما رافقها من أنماط حياة يغلب عليها الخمول البدني والتوتر النفسي، برزت الحاجة الملحّة إلى تفعيل دور المدرسة في توفير بيئة تربوية متكاملة تسهم في بناء شخصية الطفل بناءً متوازنًا. وتُعدّ حصة التربية البدنية والرياضية أحد أهم المداخل التربوية التي تعتمدها المؤسسة التعليمية لتحقيق هذا الهدف.

فلم تعد التربية البدنية والرياضية تُنظر إليها على أنها نشاط ترفيهي أو مكمل ثانوي للمواد الدراسية، بل أصبحت أداة تربوية فعّالة تسهم في تنمية الطفل تنمية شاملة، من خلال ما توفره من مواقف تعليمية وحركية تساعد على صقل الجوانب النفسية والانفعالية والاجتماعية، مثل تنمية الثقة بالنفس، وضبط السلوك، وتعزيز روح التعاون والانتماء، وتنمية مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي. كما تلعب الأنشطة الرياضية دورًا مهمًا في تحسين الصحة النفسية للطفل، والتقليل من مظاهر القلق والخوف، وتفريغ الطاقة الانفعالية بشكل إيجابي.

وانطلاقًا من هذا التصور، تأتي هذه المداخلة لتسليط الضوء على مساهمة حصة التربية البدنية والرياضية في تشكيل شخصية الطفل وتنمية مهاراته النفسية، من خلال تحليل أبعادها التربوية والنفسية، وبيان دورها في إعداد طفل متوازن نفسيًا وقادر على التكيف الإيجابي مع محيطه المدرسي والاجتماعي.

المصطلحات الأساسية :

المرحلة الإبتدائية :في المرحلة الأساسية الأولى في ميدان الدراسي وهي تضم كل الأطفال الذين بلغوا سن السادسة، كانت تدرس في ست سنوات إلى أن البرنامج الجديد يتضمنخمس سنوات فقط من الدراسة (أمير، 2020، صفحة 36) .

إجرائيا :هي مرحلة من مراحل التعليم، فهي مؤسسة تربوية تتولى تنشئة الطفل من شتى النواحي النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي و الخلقي .. حيث تجعل شخصية الطفل متكاملة من ناحية بحيث تعده للتكيف الناجح مع الحياة و منطق العصر الذي يسير على مناهج العلم و التكنلوجيا من ناحية أخرى ، و للمدرسة شروط تربوية معينة حتى تتمكن من تحقيق أهدافها.

المدرسة الابتدائية :يمكن تعريف المدرسة عموما على أنها المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتربية وتعليم الصغار نيابة عن الكبار الذين شغلتهم الحياة، إضافة إلى تعقيد وتراكم التراث الثقافي (صلاح الدين ،شروخ 2004، ص 78).ووظيفة المدرسة تقوم على تهيئة الظروف الملائمة لكي ينشأ الأطفال في جو يضمن لهم نمو شخصياتهم من جميع نواحيها الجسمية، العقلية، الخلفية النفسية والاجتماعية ولم يعد القصد من المدرسة مجرد تلقين التلاميذ المعلومات المعرفية بل إن عملية التربية أشمل من ذلك، إذ تتناول اكتشاف مواهب الأطفال وميولهم وتوجيههم إلى خير ما يضمن لهم النمو المتزن لكي ينشئوا مواطنين صالحين

ويمكن تعريف التعليم الابتدائي بأنه مرحلة التعليم الأولى بالمدرسة التي تكفل للطفل التمرس على طرق التفكير السليم، وتؤمن له الحد الأدنى من المعارف والمهارات والخبرات التي تسمح له بالتهيؤ للحياة وممارسة دوره كمواطن منتج داخل إطار التعليم النظامي، سواء أكان ذلك في مناطق ريفية أو حضرية داخل نطاق التعليم النظامي وخارجه في إطار التربية المستديمة

وعليه فالمدرسة الإبتدائية تعتبر مستوى تعليميا أوليا يلتحق به التلميذ، ويتكون غالبا من 5 أو 6 مراحل أو سنوات وكل مرحلة مدتها سنة دراسية كاملة ويتعلم التلميذ في هذه المرحلة التعليمية المبادئ الأساسية والتمهيدية التي تساعده أساسا على محو أميته وتطوير معارفه (سناء و أحمد ، 2019، صفحة 108).

إجرائيا :هي مؤسسة تربوية تعليمية نظامية تُعنى بتعليم الأطفال في الفئة العمرية من (6–11) سنة، وتهدف إلى تنمية الجوانب المعرفية، البدنية، النفسية والاجتماعية للتلميذ من خلال برامج تعليمية وتربوية منظمة، وتُعد الإطار الأساسي لاكتساب المهارات الأولية وبناء شخصية الطفل.

المعلم :المعلم إن المعلم الحقيقي كما يرى جون ديوي(في أسعد محمد مصطفى ،2000، ص (137) هو: "الذي يدرب طلابه على استخدام الآلة العملية، ويشترك معهم في تحقيق نمو ذاتي يصل إلى أعماق الشخصية ويمتد إلى أسلوب الحياة. كما يجب أن ينفذ السياسة التربوية ويربطها بالمجتمع، ويربط بين البرامج والأهداف ويعمل على تجسيدها. ومنه فلابد للمعلم أن يكون في المستوى المطلوب الذي تقوم عليه العملية التعليمية في المدرسة ." ويقول عباس صالح أحمد السامرائي وعبد الكريم محمود السامرائي (1991، ص 17): " إن المعلم يجب أن يمتلك حصيلة جيدة من طرائق التدريس التي تتفق وطبيعة التلاميذ والجو والساحة وغيرها من الظروف المحيطة بدل أن يجعل درسه فيه من الرتابة بطريقة واحدة، إذ أنه سيؤدي حتما إلى ملل التلاميذ

وجمودهم وعدم تحقيق الأهداف التعليمية المطلوبة .ومنه فالمعلم هو أحد أهم أقطاب المثلث البيداغوجي، وهو الناقل للمعرفة خاصة العلمية حيث يقوم باستعمال العديد من الاستراتيجيات لتوصيل الخبرات والمعلومات التربوية وتوجيه سلوك المتعلمين داخل الصف. (سناء و أحمد ، 2019، صفحة 107).

إجرائيا :يُعرَّف معلّم التربية البدنية والرياضية إجرائيًا بأنه:الشخص المؤهَّل أكاديميًا وبيداغوجيًا في مجال علوم وتقنيات النشاط البدني والرياضي، والمكلَّف بتخطيط وتنفيذ وتقويم حصة التربية البدنية والرياضية داخل المؤسسة التعليمية، من خلال توظيف الأنشطة الحركية والرياضية المناسبة لخصائص المتعلمين، بهدف تنمية قدراتهم البدنية والمهارية، وبناء مهاراتهم النفسية والاجتماعية، وترسيخ القيم التربوية مثل الانضباط، التعاون، احترام القوانين، وتحمل المسؤولية.

حصة التربية البدنية و الرياضية :يعرف كونسكي كوزليك : التربية البدنية جزء من التربية العامة ،هدفها تكوين الفرد بدنيا و عقليا و إندفاعيا و إجتماعيا بواسطة عدة ألوان من النشاط البدني المختار لتحقيق الهدف (أمير، 2020، صفحة 35).

إجرائيا : حصة التربية البدنية والرياضية هي وحدة تعليمية مبرمجة تُمارس داخل المدرسة الابتدائية، تتضمن أنشطة بدنية وحركية منظمة، تهدف إلى تنمية القدرات البدنية والمهارات الحركية، وتعزيز القيم النفسية والاجتماعية لدى الطفل مثل التعاون، الانضباط، والثقة بالنفس.

الشخصية : مجموعة الصفات التي تكون السلوك الإنساني بصفة عامة

إجرائيا :الشخصية هي مجموعة السمات والخصائص النفسية والسلوكية المكتسبة التي تميز الفرد عن غيره، والتي تظهر في أنماط تفكيره وانفعالاته وسلوكياته، وتتكون نتيجة التفاعل بين العوامل الوراثية والبيئية والتربوية.

الطفولة : فترة العمر بين الولادة و بلوغ سن البلوغ حيث يتميز الفرد بالنمو الجسدي و العقلي و الاجتماعي (الشريف، 2024، صفحة 44)

إجرائيا :الطفولة هي مرحلة نمو تمتد من الميلاد إلى نهاية المرحلة الابتدائية، تتميز بالتغيرات السريعة في الجوانب الجسمية، العقلية، النفسية والاجتماعية، وتُعد فترة حاسمة في تشكيل الشخصية واكتساب القيم والمهارات الأساسية.

المهارة : يقصد بالمهارة " عدة معان مرتبطة منها: خصائص النشاط المعقد الذي يتطلب فترة من التدريب المقصود والممارسة المنظمة ، بحيث يؤدى بطريقة ملائمة، وعادة ما يكون لهذا النشاط وظيفة مفيدة. ومن معاني المهارة أيضا الكفاءة والجودة في الأداء . وسواء استخدم

المصطلح بهذا المعنى أو ذاك ، فإن المهارة تدل على السلوك المتعلم أو المكتسب الذي يتوافر له شرطان جوهريان ، أولهما: أن يكون موجها نحو إحراز هدف أو غرض معين، وثانيهما : أن يكون منظما بحيث يؤدي إلى إحراز الهدف في أقصر وقت ممكن. وهذا السلوك المتعلم يجب أن يتوافر فيه خصائص السلوك الماهر ، ويعرف كوتريل المهارة بأنها القدرة على الأداء والتعلم الجيد وقتما نريد والمهارة نشاط متعلم يتم تطويره خلال ممارسة نشاط ما تدعمه التغذية الراجعة. وكل مهارة من المهارات تتكون من مهارات فرعية أصغر منها، والقصور في أي من المهارات الفرعية يؤثر على جودة الأداء الكلي (فراج، 2024، الصفحات 33-34).

إجرائيا :المهارة هي القدرة المكتسبة على أداء فعل أو نشاط معين بدقة وكفاءة، وبأقل جهد ووقت ممكن، نتيجة التعلم والتدريب والممارسة المستمرة.

السمات النفسية :عرف (ألبورت 1961) السمة بأنها نظام نفسي عصبي مركزي عام – خاص بالفرد يعمل على جعل المثيرات المتعددة متساوية وظيفيا كما يعمل على إصدار و توجيه أشكال متساوية وظيفيا كما يعمل على إصدار و توجيه أشكال متساوية من السلوك التكيفي و التعبيري،فقد إفترض " ألبورت"وجود استعدادات عامة للفرد وهي المسؤولة عن سلوكه (مفيدة، 2022، صفحة 58)

إجرائيا : هي سمة ذات دوام نسبي يختلف فيها الأطفال فتميز بعضهم عن البعض، و يمكن أن تكون حسية أو معرفية أو إنفعالية أو إجتماعية .

1- التربية البدنية :

لقد عرف ويست Wuest ويوتشر Bucher (في أمين أنور الخولي 1996، ص. (32) التربية البدنية بأنها " العملية التربوية التي ترمي إلى تحسين الأداء الإنساني من خلال وسيط هو الأنشطة البدنية المختارة لتحقيق ذلك". كما ذكرت لوميكين Lumpkin) في أمين أنور الخولي، 1996، ص 35) في تعريفها

للتربية البدنية: "هي العملية التي يكتسب الفرد خلالها أفضل المهارات البدنية والعقلية والاجتماعية واللياقة من خلال النشاط البدني".

أما فيري Virie (في إبراهيم مقني 1996، ص (38) يقول: إن التربية البدينة والرياضية جزء لا يتجزأ من التربية العامة، وأنها تشغل إذن دوافع النشاطات الموجودة في كل شخص للتنمية من الناحية العضوية والانفعالية.

ويرى سعيد عظمي (1996، ص (61): أن التربية البدنية والرياضية هي عملية حيوية في المدارس بمراحلها المختلفة ولها دور أساسي في تنمية اللياقة البدنية للتلميذ".

وتهدف التربية البدنية من الجانب المعرفي بالاهتمام بالإنجاز أو الأداء العقلي الذي يتعلق باسترجاع المعلومات والعمل على تطوير القدرات والمهارات العقلية والمعرفية. كذلك من الجانب الحسي الحركي تهدف إلى التحكم في الحركات البدنية وتوجيهها، كما أن لها أهداف نمو نفسية اجتماعية من خلال تنمية بعض القدرات الذاتية والاجتماعية (سناء و أحمد ، 2019، صفحة 108).

2- التربية البدنية والرياضية :

تستمد التربية الرياضية والرياضية مفهومها من الأغراض التي وجدت من أجلها والتي تتلاءم مع متطلبات المجتمع الحديث، حيث ترى الدكتورة عفاف عبد الكريم أن المهمة الكبرى للتربية خاصة الرياضية في مجتمعنا أن تبدأ في تنمية البيانات المالية من خلال النهوض بالمستوى البدني و الرياضي للناشئة

أما عن عبارة التربية البدنية فهي فرنسية الأصل بحيث كان يقصد بها أنذاك البحث المشترك بين المدرسة و الأولياء عن معايير تخص صحة جسم التلميذ وذلك يعني أن الغاية من هذه الممارسة هي البعث بالتلميذ للإستفادة من جسمه عن طريق دفعه إلى تحرير كل طاقته الجسدية من خلال الأنشطة والألعاب بدنية وذلك لغرض تحسين المردودين الكمي والكيفي للفعل الإنساني (سليمان، 2016، صفحة 176).

3- الأهداف العامة للتربية البدنية والرياضية.

تهدف الممارسة الرياضية على تطوير اللياقة الصحية وكيفية المحافظة عليها، فالبرامج الرياضية تهدف إلى زيادة القدرات الوظيفية للأجهزة والأعضاء الداخلية على جانب معالجة التشوهات والعيوب الجسمية ولها أهداف عامة وهي التربية العقلية – التربية الخلقية – التربية العملية – التربية الجمالية – التربية الرياضية إن التربية هي

تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا متكاملا من جميع الجوانب الصحية، العقلية، الروحية والأخلاقية وهذا ماجاء في ديننا الحنيف في ذكر الأساليب والطرق الشرعية للتربية فمثلما إهتم الإسلام بالجانب الروحي والعقلي في الإنسان فقد اهتم كذلك بالجسم وصحته وقوته ويتجلى ذلك بصفة واضحة في قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم "المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير" (رواه مسلم) وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لبدنك عليك حق" (رواه البخاري). من خلال هاته الأحاديث النبوية الشريفة عن وجوب الإستعداد البدني للمسلم يتضح لنا ان التربية البدنية

والرياضية من سنن الإسلام بحيث انها تساعد على نشاط وحيوية الإنسان وتجعله ينشأ قوي البدن قادرا على القيام بواجباته وقد حث الرسول الكريم وأمر حتى الأولياء للعناية بتربية الأولاد في قوله صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والرماية وأن لا يزقه إلا طيبا" (رواه الترمذي)

كما اتفق علماء الإسلام على أن التربية البدنية والرياضية من أهم الوسائل النافعة التي أمر الإسلام بجعلها وسيلة لتربية أفراد المجتمع جسميا وتكوينا صحيا أما عن المربين الذين ساهموا في تطوير التربية البدنية والرياضية في العصر الحديث فعددهم كبير وأعدادهم كثيرة نظرا لأهمية الموضوع ونذكر منهم : يوهان بيسداو Johan والذي يعد من المربين الألمان الذين كان لهم إهتمامات بالتربية البدنية

والرياضية ومن الذين عملوا على تطوير مفهومها وتدريسها ضمن مناهج مدرسية وقد إستلهم كل هذا من المدرسة الدنماركية والتي أجرى بها دراسته حيث كان الإهتمام فيها كبيرا بأوجه النشاط البدني بغرض تحقيق النمو البدني والنمو العقلي للفرد.

لقد نجح بيسداو Basedow في إنشاء أول مدرسة في أوروبا في العصر الحديث تسمح بإلتحاق الأطفال من مختلف الطبقات الإجتماعية والإقتصادية في ألمانيا إيمانا منه بأن المجتمع يحتوي على عدة طبقات وأن فرص التعليم يجب أن تتاح للجميع وأن الفرد يتشكل وفقا لما تتاح له من فرص في حياته الإجتماعية ومن ثم تعمل التربية على تنمية شخصيته وكانت فيها التربية البدنية ضمن برامج التدريس وكانت تمارس بصفة يومية بحيث كانت تشمل على الجري، الوثب التزحلق المبارزة، المصارعة... (سليمان، 2016، الصفحات 176-177).

4- النشاط البدني الرياضي :

يتميز النشاط البدني والرياضي أحد الأشكال الراقية للظاهر الحركية لدى الإنسان وهو الأكثر تنظيما والأفرع من الأشكال الأخرى للنشاط البدني.

كما عرفها "مات "فيف" بأنه : نشاط ذو شكل خاص وهو المنافسة المنظمة من أجل قياس القدرات وضمان أقصى تحديدا لها، وبذلك فعلى ما يميز النشاط الرياضي بأنه التدريب البدني بهدف تحقيق أفضل نتيجة ممكنة في المنافسة لا من أجل الفرد الرياضي فقط وأنما من أجل النشاط في حد ذاته، وتضيف "كوسولا" أن التنافس سمة أساسية تضفي على النشاط الرياضي طابعا إجتماعيا ضروريا وذلك لأن النشاط الرياضي انتاج ثقافي للطبيعة التنافسية للإنسان من حيث أنه كائن إجتماعي ثقافي.

أو نسبة إليه، كما أنه مؤسس أيضا ، ويتميز النشاط الرياضي عن بقية ألوان النشاط البدني بالإندماج البدني الخالص، ومن دونه لا يمكن أن نعتبر أي نشاط على أنه نشاط رياضي قواعد دقيقة لتنظيم المنافسة بعدالة ونزاهة وهذه القواعد تكونت على مدى التاريخ سواء قديما أو حديثا والنشاط الرياضي يعتمد أساسا على الطاقة البدنية للممارس وفي شكله الثانوي على عناصر أخرى مثل الخطط وطرق اللعب (فراج، 2024، صفحة 23)

5- أهداف النشاط البدني الرياضي التربوي :

هذه الأهداف هي التي تطرح مفاهيم واتجاهات النظام التربوي ، وتعمل في سبيل تحقيقها وإنجازاتها ، ومن خلالها تبرر المهنة وجودها ، ويتم توضيح وظائفها ومجالات اهتمامها، وهي تتفق بداهة مع أهداف التربية في التنشئة و إعداد الفرد بطريقة متوازنة متكاملة وشاملة .

أما الميزة الرئيسية لأنشطة التربية البدنية فهي حافز ضروري بالنسبة للنمو في معظم الانواع الرياضية فالتقلصات العضلية تفرض هذه الميزة المتقطعة التي لها أثر أكثر أهمية في إفراز هرمون (GH) أيضا زيادة تناوب الراحة الليلية والأنشطة البدنية والرياضية اليومية هي من خصائص حياة الانسان فالطفل لا يكبر بصفة دائمة على طوال السنة ، بحيث أن الميكانزمات النشطة في النمو لها عمل قصوى في فترة الراحة الليلية في حين الحوافز المتقطعة لأنشطة البدنية لها تأثير ايجابي على نمو جسم الانسان في الفترة النهارية، وأي تدخل

في سيرورة هذا التناوب او حذف ريتم ليل نهار يؤثر سلبا على النمو (السائحي، 2016، الصفحات 17-18).

5-1- أهداف النشاط البدني الرياضي التربوي من الناحية المعرفية:

يتضمن هذا المجال الأهداف التي تؤكد على المعطيات العقلية الذهنية، ويعني هذا المجال النمو العقلي وتنمية مهارات التفكير، وكيف يمكن للتربية الرياضية أن تساهم في تنمية المعرفة والفهم والتحليل والتركيب من خلال الجوانب المعرفية المتضمنة في النشاطات البدنية والرياضية كتاريخ المسابقة أو اللعبة، وسيرة أبطالها وأرقامها المسجلة قديما وحديثا وقواعد اللعب الخاصة بها، وأساليب التدريب والممارسة وقواعد التغذية وضبط الوزن الخاصة بها بالإضافة إلى طرق اللعب والخطط وإدارة المباريات..الخ، من جانب آخر لها طبيعة معرفية لا تقل أهمية عن الجوانب الحركية والبدنية في النشاط ، ومن أهم هذه المستويات:

5-1-1 مستوى الحفظ والتذكر:

هو قدرة المتعلم على تذكر التعريفات والقوانين والمصطلحات والمفاهيم والنظريات.

5-1-2 مستوى الفهم والاستيعاب :

هو إدراك المتعلم المعلومات التي تعرض عليه، وقدرته على استخدام المواد والأفكار المتضمنة لهذه المعلومات أو أن يترجم ويفسر ويتنبأ المتعلم تعبيرا معينا من شكل إلى آخر في التربية الرياضية، إجمالا يعني ذلك القدرة على ترجمة المعلومات وتفسيرها واستنتاجها ".

ويعرف بياجي Piaget الاستيعاب بالفعل الأول للحياة النفسية، بدونه لا يمكن لأية سيرورة اكتساب كم المعرفي، أوبناء الهيكل العملياتي .

5-1-3 مستوى التطبيق:

وهو أن يطبق المتعلم المفاهيم والعلاقات التي درسها في التربية الرياضية من مواقف غير مألوفة ويعني ذلك قدرة المتعلم على تطبيق المعلومات في مواقف جديدة.

5-1-4 مستوى التحليل :

وهو قدرة المتعلم على تحليل المشكلات المتضمنة داخل محتوى التربية الرياضية وتجزئتها إلى عناصرها الأولية وإيجاد العلاقات الموجودة بينها تمهيدا للوصول إلى حل ويعني ذلك قدرة المتعلم على تجزئة المعرفة إلى عناصرها مع إدراك العلاقات فيما بينها.

5-1-5 مستوى التركيب

ويقصد به القدرة على ربط عناصر أو أجزاء المعرفة لتكوين شيء له معنى، لم يكن موجودا من قبل أو هو قدرة المتعلم على توحيد المعلومات الجزئية ذات العلاقة في الكليات.

5-1-6 مستوى التقويم :

وهو قدرة المتعلم على إصدار الأحكام حول قيمة المحتوى الذي يدرسه أو على قيمة ما ويعني ذلك قدرة المتعلم على التقويم واصدار الأحكام.

5-2- أهداف النشاط البدني الرياضي التربوي الناحية النفسية حركية :

ويشمل هذا المجال الأهداف التي تتعلق بالمهارات الآلية واليدوية كالمهارات الحركية والكتابة أو الرسم والعزف ونحو ذلك من أنواع الأداء التي تتطلب التناسق الحركي النفسي وأهمها ما يلي:

5-2-1 المحاكاة : وتعتمد على التقليد والملاحظة، بمعنى قيام المتعلم بأداء حركة أو مجموعة حركات نتيجة ملاحظته للمعلم أو مشاهدة وسيلة تعليمية.

5-2-2 التناول والمعالجة : ويعني قيام المتعلم بالأداء المطلوب بناءا على تعليمات محددة.

5-2-3 الدقة : ويعني قيام المتعلم بأداء العمل المطلوب منه على مستوى عال من الإتقان.

5-2-4 الترابط : ويعني التوافق بين مجموعة من الحركات المختلفة.

5-2-5 الإبداع: ويعني الوصول إلى أعلى درجة من الإتقان في الأداء (السائحي، 2016، الصفحات 18-19).

5-3 أهداف النشاط البدني الرياضي التربوي من الناحية البدنية:

وتتمثل في تنشيط الوظائف الحيوية للإنسان من خلال إكسابه اللياقة البدنية والقدرات الحركية التي تساعده على القيام بواجباته اليومية دون سرعة الشعور بالتعب أو الإرهاق مثل إكسابه القوة، السرعة، المرونة والقدرة

العضلية فالتربية البدنية والرياضية تهدف إلى تطوير قدرات الفرد من الناحية الفيزيولوجية والنفسية والتحكم أكثر في الجسم وتكيفه المستمر مع الطبيعة.

5-4 أهداف النشاط البدني الرياضي التربوي من الناحية النفسية والإجتماعية:

إن التربية البدنية لا يقتصر مفعولها على النمو والإعداد البدني وإنما يمتد ليشمل الصفات البدنية والخلقية والإدارية، فهي حريصة على أن يكون مصدرها ورائدها الطور الطبيعي للفرد ولابد أن تستخدم محبته للحركة من أجل تسيير تطوره والإبداع فيه، ولا يتحقق ذلك دون دراسة وتشخيص خصائص الشخصية كموضوع لهذا النشاط للإسهام في التحليل الدقيق للعملية النفسية المرتبطة بالنشاط الحركي كما تساهم التربية البدنية والرياضية بمعناها في تحسين أسلوب الحياة وعلاقات اللأفراد بالجماعات وتجعل حياة الإنسان صحيحة وقوية بمساعدة الأفراد على التكيف مع الجماعة. فالتربية البدنية تعمل على تنمية طاقات القيادة بين الأفراد، تلك القيادة التي تجعل من الفرد أخا وعونا موجها وتنمي صفاته الكريمة الصالحة والتي يصبح فيها الطفل عضوا في جماعة منطقة. فالتربية البدنية تعتبر مجال للوئام المدني، فهي تنمي روح الإنضباط والتعاون والمسؤولية والشعور بالواجبات المدنية وتعمل على التخفيف من التوترات التي تشكل مصدر خلاف بين أفراد مجموعة واحدة أو بين المجموعات تنتمي إلى هيئة اجتماعية واحدة (فراج، 2024، صفحة 29)

5-5 أهداف النشاط البدني الرياضي التربوي من الناحية الخلقية :

إن التربية البدنية والرياضية تعمل على رعاية النمو التنافسي لدى التلاميذ في المرحلة المتوسطة بالتوجيه السلمي لإبراز الطاقات الإبداعية الخلاقة وذلك في ضوء السمات النفسية للمرحلة كما انها تعمل على تنمية الروح الرياضية والسلوك الرياضي السليم وتدريب التلاميذ على القيادة والتعبئة والتعرف على الحقوق والواجبات وتنمية صفات التعاون والإحترام المتبادل وخدمة البيئة المحيطة في ظل نشر الثقافة الرياضية لدى التلاميذ كجزء من الثقافة العامة و تقديم الخبرات المتعلقة بالتربية البدنية و الرياضية و الصفة العامة المتناسبة مع القدرات العقلية و برامج المواد الأساسية . (فراج، 2024، صفحة 29).

6- أنواع النشاط البدني الرياضي التربوي :

إذا أردنا أن نتكلم عن نواحي النشاط والتربية الرياضية، كان من الواجب معرفة أن هناك نشاط ممارسة الفرد وحده وهو ذلك النشاط الذي يمارسه دون الإستعانة بالآخرين في تأديته ومن بين أنواع هذا النشاط نجد

الملاكمة، ركوب الخيل المصارعة المبارزة ، السباحة، ألعاب القوى، رمي الرمح، رمي القرص تمرينات الجمباز. وأما النشاط الآخر فيمارسه الفرد داخل الجماعة ما وهو يسمى بنشاط الفرق نجد كرة السلة كرة اليد كرة الطائرة فرق التتابع في السباحة الجري، ورياضة الهوكي أمثلته ومن هذا التقييم من الناحية الإجتماعية لكن يمكننا تقسيمه حسب أوجه النشاط وتبعا للطريقة التي يؤدي بها هذا النشاط فمن النشاط ما يحتاج إلى كرات أو أدوات خاصة وبعضها لا يحتاج إلى ذلك ومنها :

6-1 العاب هادئة

لا تحتاج إلى مجهود جسماني يقوم به الفرد وحده أو مع أقرانه في جو هادئ ومكان محدود كقاعة الألعاب الداخلية، أو إحدى الغرف أو أغلب ما تكون هذه الألعاب للراحة بعد الجهد المبذول طوال اليوم.

6-2 العاب بسيطة :

ترجع بساطتها إلى خلوها من التفاصيل وكثرة القواعد وتتمثل في شكل أناشيد وقصص مقرونة ببعض الحركات البسيطة التي تناسب الأطفال.

6-3 ألعاب المنافسة:

تحتاج إلى مهارة وتوافق عضلي عصبي ومجهود جسماني يتناسب مع نوع هذه الألعاب ويتنافس فيها الأفراد فرديا وجماعيا، إذن بما أن المنافسة يشترط توفر خصمين أو منافسين فلابد من توفير جميع الشروط من قبل أحد المتنافسين من أجل تحقيق الفوز. وفيما يخص النشاط الرياضي المرتبط بالمدرسة والذي يدعى بالنشاط اللاحقي للتربية البدنية، فأنه يعتبر أحد الأجزاء المكملة لبرنامج التربية البدنية ومحقق نفس أصدائها، وينقسم بدوره إلى نشاط داخلي ونشاط خارجي (فراج، 2024، الصفحات 24-25).

7- أهمية اللعب في حياة الطفل:

يقول Winnicott في هذا السياق أن اللعب بملء الجزء الأكبر من حياة الطفل، وبالنسبة للراشد التجارب الخارجية أو الداخلية بإمكانها توضيح عدة إثراءات ، ولكن بالنسبة للطفل ما هو ثري يوجد خاصة في اللعب والاستفهام ..

فمن الطبيعي أن يكون لدينا أطفال متعددي الأمزجة، يمكنهم التعبير عن أنفسهم بطرق عديدة يكون ذلك عندما يحاولون إثبات ذواتهم والتخلص من توترهم النفسي.

ويمكننا أن نكتشفهم من الكتابة والرسم والحركات العشوائية والنشاطات التي يقومون بها، ونحلل نفسيتهم، فالأطفال من خلال ملاحظتهم للأشخاص الكبار يستطيعون أن يحللوا حركاتهم ونشاطهم وتقليدها دون أي كلام.

وللعب أهمية في المجالات الانفعالية حسب تقسيم بلوم، كما أن له أهمية في المجال الإدراكي وبالنسبة لهذا المجال فإن اللعب يحتاج إلى ادراك قوانينه وأنظمته البسيطة والمعقدة وتطبيقها، وقدرة الأطفال على التحليل والتركيب، لذا تعتبر الألعاب التعليمية مجتمعا يتعلم الطفل من خلاله الأخلاق والقوانين والعلاقات الاجتماعية .

8- فوائد الممارسة الرياضية للطفل :

تتعدد فوائد الرياضة للطفل وتتنوع، إذ إنّها لا تقتصر على الفائدة الجسدية فقط بل تتعداه :

- تقوية شخصيته ورفع ثقته بنفسه وتعلمه المشاركة واللعب بروح الفريق.
- تزرع فيه الصبر والمثابرة
- إدراج الطفل في رياضة مناسبة تحتاج لبعض التفكير، فلا بد من أخذ الحالة الجسدية وعمر الطفل بعين الإعتبار فكثيرا ما يستمتع بعض الأطفال بألعاب قد يراها غيرهم من الأطفال مملة، وغير مناسبة لهم إذ أنها لا تندمج مع ميولهم.
- تتضاعف قدرته على الإبداع وإيجاد الحلول السريعة المناسبة لتلك التحديات وما شابهها على أرض الواقع .
- كما أن بعض الألعاب الرياضية تدور فكرتها ليس فقط على تطبيق تمارين رياضية جامدة بل قد يبدو المدرب أو المعلم ذكياً حين يحوّرها إلى قصة أو مسرحية تتطلب من الطفل وأثناء تمثيلها القيام ببعض الركض أو المشي أو القفز أو أخذ دور شخصية الشرطي والطبيب والعامل والبائع فتضفي للجهد البدني المبذول قيمة فكرية مفيدة تثري خبرات الطفل بطريقة ممتعة (دحماني، 2021، صفحة 557)

9- أهمية الممارسة الرياضة للطفل:

- تجعل الجسم قوتاً وصحياً بشكل دائم من خلال تنمية العضلات وتقويتها.

- تقوي عضلة القلب وتحميه من الإصابة بالأمراض المختلفة.
- تزيد من مرونة جسم الطفل وتقلل من التعب والإجهاد في حال ممارسة أي عمل .
- تضفي على الجسم الحيوية والنشاط، مما يؤدي إلى زيادة شهيّة الطفل للطعام الذي عادة ما يتعب الأم من أجل تناول الغذاء الصحي تنمّي القدرات العقلية، وتزيد التركيز من خلال تفكير الطفل
- في كيفية اللعب والوصول إلى الفوز، ومحاولة التركيز في كثير من الألعاب من أجل الربح، فممارسة الشيء تزيد من قوته وكما قيل العقل السليم في الجسم السليم (دحماني، 2021، الصفحات 557-558).

10-منهج التربية البدنية والرياضية في التعليم الابتدائي الجزائري :

10- 1 تقديم المادة :

التربية البدنية والرياضية نشاط تعلمي /تعليمي الزامي،يستهدف جميع المتعلمين قصد انماء قدراتهم عبر أنشطة متنوعة تعتمد اللعب و الجهد الحركي .

و بإعتبار التربية البدنية و الرياضية مادة من المواد المدرسة فإنها تسهم في تحقيق الغايات التربوية المنشودة عبر أنشطة جسمية و تطوير المهارات الحركية للمتعلم و إنماء مكونات شخصيته .

إن التعبير الحركي للطفل في المرحلة الإبتدائية بما يتظمن من سلوكات عفوية حركية تتكتسي سيغة اللعب تعتبر من صميم حياة الطفل التي يسعى من خلالها إلى إثبات ذاته في محيطه لذالك وجد للمادة أستاذ متخصص يقدمها في مرحلة التعليم الإبتدائي .

إن حصة التربية البدانية و الرياضية فضاء لتعلمات وفيرة لصيغة اللعب ينتظر من الأستاذ أن يكون مرشد للتلاميذ مقترحا نشاطات محفزة و مشوقة تراعي إحتيجات المتعلم و مطالب نموه .(منهاج التربية البدنية ،2023،الصفحة05).

10-2 غايات المادة في مرحلة التعليم الإبتدائي :

لقد أثبتت الدراسات البيداغوجية أن التربية البدنية و الرياضية بصغة اللعب تمكن المتعلم من ترسيخ تعلماته في كل المواد الدراسية و توفر له حضا أوفر للبروز و التفوق خلال مساره الدراسي بإعتبارها تربية قاعدية بأبعاده الفكرية و الوجدانية و الحركية إذ لاتقتصر على تنمية الجوانب الحركية الأدائية بل تتعداه إلى جانب

تكوين شخصية الطفل بكل أبعادها و إكتشاف مواهبه و قدراته في سن مبكر و تحقق هذه الغايات من خلال عدة أبعاد :

10-2-1 البعد الوظيفي : المتمثل في المحافظة على التوازن الوظيفي لأجهزة الجسم الحيوية.

10-2-2 البعد النفعي : عن طريق ممارسة الألعاب يتعرف الطفل على امكانياته وعلى قدرة التحكم في طاقاته وتسيير جهوده البدنية والفكرية موازاة مع الحركة المطلوبة فيجني الصحة و اللياقة البدنية ، الاستقرار الإنفعالي و السعادة، و أداء الواجبات بشكل أفضل فيحقق ذاته و ينمى علاقاته الاجتماعية السليمة و يوطدد صداقاته مع أقرانه .(منهاج التربية البدنية ،2023،الصفحة06). إن إنخراط الطفل في الممارسات الرياضية يسهم في عملية تطبيع الطفل إظافتا إلى التأثير على تطوير مفهومه لذاته إذ يكتسب الأطفال تدريجيا مفهوما أكثر واقعية لبيئتهم و أكثر تناسب لأنفسهم إذ أن أحد جوانب مفهوم الذات عن الطفل في هذه المرحلة هو تصور الجسد المتظمن للوعي الجسدي و تقييم للمظهر الجسمي و للمهارات الحركية بمقارنتها مع زملائه إذ أن تصور الجسد يتمثل بصورة أكثر شعورية في مرحلة الطفولة المتوسطة من خلال التشاركية مع الأقران و هذا ماتوفره حصة التربية البدنية و الرياضية بطريقة نظامية ، فيتجلى لنا في هذه المرحلة تكوينا يتميز بالثبات النسبي يؤسس لي تكون الهوية عند الطفل إنطلاقا من مفهومه لذاته الذي تجسده إنجازاته الناجحة و تعزيزات محيطه كتلميذ و كرياضي و كشخص لديه مهارات خاصة ، إذ تسهم الألعاب الصغيرة أو الألعاب الشبه الرياضية التي يلعبها التلميذ في تكوين و بناء عديد المفاهيم المعرفية التي تنعكس على إكتسابه للمهارية الحركية على سبيل المثال : إستقرار مفهوم الجانبية (الشمال- اليمين) بصورة جيدة في هذه المرحلة مما ينعكس على قدراته المكانية الضرورية لممارسة النشاطات البدنية الرياضية الجماعية.

10-2-3 البعد النفسي : حينما يوضع المتعلم أمام وضعيات إشكالية تمثل عوائق و حواجز يجد نفسه ملزما بتخطيها لتحقيق الفوز و الإنتصار أو تحمل الفشل و الهزيمة و عليه أن يقاوم في كل مواجهة ماتفرضه المنافسة من تحديات و أن يقاوم المنافس مقاومة شريفة و أن يقاوم جسمه و مايطرء عليه و أن يقاوم الضغط النفسي المفروض عليه و أن يقاوم العوامل الخارجية المؤثرة عليه و أن يتكيف وطبيعة المنافسة و أن يحترم قواعد الجماعة .(منهاج التربية البدنية ،2023،الصفحة06). كما أن لمعطيات هذه المادة تأثيرات جلية على بعث عديد السمات النفسية الإجابية في شخصية الطفل المتعلم مثلا كالثقة بالنفس التي تكون حجرة

زاوية في هيكلة مخرجات الطفل السلوكية إذ تستحث إنفعالاته السوية مزيحتا لكل الأنماط اللاسوية المترجمة لنقص في النضج العاطفي له كماأنها تسهل معالاجاته المعرفية من خلال تحسين مستوى تركيزه و تؤثر على دافعيته للإنجاز لتحقيق أهدافه و أهداف الفريق الذي هو به مما يسهم في إرتقاء الجانب المنطقي لديه المتمظهر في إرتقاء لمهارات التخطيط و التنفيذ ، و هذا ماأكد عليه "إريكسون" حيث يشير إلى أن سنوات المدرسة الإبتدائية هي الفترة التي يكون فيها الطفل إحساس الكفاية أو إحساس الدونية فكلما دعمت دافعيته للإنجاز و دعم إحساسه بالكفاية عن طريق أنواع من النجاحات فإن إحساس الكفاية يتحول إلى إنتاجية ذالك الشعور الذي يمكنه من مجابهة التحديات.(عادل الأشول ،2008، الصفحة 391) و هذا ماتوفره تلك التنافسية بالممارسة داخل حصة التربية البدنية و الرياضية .إظافتا إلى مفهوم الذات السوي الذي يحققه الطفل في هذه المرحلة نتيجة تفاعلاته يكون مدركات جديدة لذاته و يصبح أكثر إهتماما بمدى شعبيته بين جماعة أقرانه فتستمر مهارات الإتصال المرجعية بالتحسن كلما تدرج هذا التلميذ في نموه من الناحية الاجتماعية داخل مدرسته ، كما أن إتجاهات المدرس لتربية البدنية نحو التلاميذ أثرا على تفاعل التلميذ المدرسي الإجابي بل يتعداه إلى الجتمع كأحد أنماط التعلق أو الولع بالمعلم فنرى أن التلاميذ يميلون للتحصيل و الإنجاز المرتفع و يتسم سلوكهم بالكياسة إذ يكافؤون معلمهم بإتباع السلوك المرغوب فيه في مقابل الإستحسان منه .

10-2-4 البعد القيمي : لا تقتصر التربية البدنية و الرياضية على تنمية الجوانب الفكرية و الجسمية و الوجدانية بل تساهم بقسط كبير في تنمية قيم و أخلاق التلميذ و ترسيخ المواقف الاجتماعية و الوطنية من تعاون ، تعايش ، إحترام و إصغاء للآخر و تقبل للرأي المخالف إظافتا لكل معاني التكافل الاجتماعي مع ذوي الإحتياجات الخاصة .(منهاج التربية البدنية ،2023،الصفحة06). على إعتبار أن سن 8 سنوات إلى 9 هو المرحلة العمرية المناسبة لغرس القيم الإنسانية عند الطفل بحسب معطيات مدرج النمو الذي يقر بأن المستوى الأخلاقي يكون بوتيرة تصاعدية تملي على الطفل إرضاء ذاته و مراعاة رضى من حولهم في ضوء أداء أفعال حسنة جيدة مقبولة و المحافظة على النظام الاجتماعي التقليدي و كذا العمل على حيازة إستحسان الآخرين و مساعدتهم و من ثم إكتساب مفهوم السلطة و الواجب و القانون و

البحث عن المركز و القيمة كأولوية و هذا ما يتدرب الطفل عليه بطريقة غير مباشرة و كهدف ضمني تحققه الممارسات الجماعية بالتحديد في حصة التربية البدنية و الرياضية .

10-2-5 البعد المعرفي : لم تتم الإشارة إلى هذا البعد بطريقة مباشرة في المنهاج المعتمد (2023) غير أن تجلياته تظهر في طبيعة الموارد الخاصة به إذ أن كل التعلمات ذات الطبيعة الحركية و البدنية المقدمة في قالب اللعب تحاكي أنماط المعالجات الدماغية لسن هذا التلميذ المستلزمة لممارسات حسية مادية تتماهى و قدرات التلميذ و أنماط تعلماته في ضوء نضجه الحسي السمعي البصري اللمسي المطلوب إظافتا إلى الحس العميق الذي يولد و ينمو في ضوء ممارسات الألعاب الصغيرة و الشبه رياضية إذا أن عملية الإدراك تتأثر من خلال هذه الممارسات بإكتسابها لسمة التنظيم حينما يتعامل الطفل مع الوسائل و المعدات لتنفيذ الأنشطة البدنية و هذا ما أشار إليه جون بياجيه ، هذا التنظيم الذي ينعكس إيجابا على تنظيم المعلومات و إسترجاعها و يطور من قدراته التذكرية و إعادت إنتاجيات إبداعية .

إن كل هذه المكتسبات في هذه المرحلة و من خلال منهاج هذه المادة التدريسية المكملة لباقي المواد من علوم و لغة و رياضيات و فن ... هي مكملات لبناء و تكوين شخصيات الأطفال داخل المدرسة من خلال إكتساب سمات نفسية ذاتية إجابية و تطور في نمط العلاقات بين شخصية و إكتساب أنماط مرجعية تتسم بالمرونة تخولهم للإستمرارية التفاعلية المتكيفة مع إتجاهات الآخرين و أفعالهم داخل كل الأنساق المجتمعية

خاتمة:

وفي الختام، تُعد حصص التربية البدنية والرياضية من أهم المكونات التربوية في المدرسة الابتدائية، لما لها من دور فعّال في بناء شخصية الطفل بناءً متوازنًا ومتكاملًا. فهي لا تقتصر على تنمية القدرات البدنية والحركية فحسب، بل تسهم أيضًا في تنمية الجوانب النفسية والانفعالية والاجتماعية للطفل، من خلال ما توفره من مواقف تربوية قائمة على اللعب، التعاون، واحترام القواعد. كما تساعد هذه الحصص على تعزيز الثقة بالنفس، ضبط الانفعال، وتنمية روح المبادرة والعمل الجماعي، مما ينعكس إيجابًا على سلوك الطفل داخل المدرسة وخارجها. ومن هذا المنطلق، فإن الاهتمام بحصص التربية البدنية والرياضية وتفعيل أهدافها التربوية والنفسية يُعد ضرورة ملحّة لضمان تنشئة جيل متوازن قادر على التكيف مع متطلبات الحياة المدرسية والاجتماعية.

المقترحات :

- ضرورة تعزيز مكانة حصة التربية البدنية والرياضية في الطور الابتدائي وعدم اعتبارها مادة ثانوية، لما لها من دور أساسي في بناء شخصية الطفل المتوازنة.
- إدماج أنشطة لعب تربوية هادفة ضمن محتوى الحصة، تراعي الخصائص النفسية والانفعالية للأطفال حسب مراحلهم العمرية.
- تكوين أساتذة التربية البدنية تكوينًا نفسيًا وبيداغوجيًا يمكنهم من التعامل الإيجابي مع سلوكيات الأطفال المختلفة.
- مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ أثناء تنفيذ الأنشطة البدنية لتفادي الإقصاء وتعزيز الثقة بالنفس.
- ربط حصة التربية البدنية بالقيم التربوية مثل التعاون، احترام القواعد، ضبط النفس، والروح الرياضية.
- توفير الوسائل والتجهيزات البيداغوجية المناسبة التي تضمن ممارسة آمنة وجذابة للأنشطة البدنية.
- تشجيع التنسيق بين الأسرة والمدرسة لدعم الأهداف النفسية والتربوية لحصة التربية البدنية.
- إجراء دراسات ميدانية مستقبلية تقيس الأثر النفسي والسلوكي لحصص التربية البدنية على مختلف الفئات العمرية.
- إدراج آليات تقويم نفسي–تربوي لمتابعة تطور شخصية الطفل ومهاراته النفسية عبر الممارسة الرياضية.
- توسيع الاهتمام بالأنشطة الرياضية المدرسية خارج أوقات الدراسة لما لها من دور مكمل في التنشئة النفسية والاجتماعية.

قائمة المراجع :

- جميلة أمير،2020، دور حصة التربية البدنية و الرياضية في تعزيز بعض القيم الأخلاقية لدى أطفال بعمر (11-9) سنة من وجهة نظر معملي المرحلة الإبتدائية ، مجلة الممارسة الرياضية و المجتمع، المجلد 03، العدد 02، الصفحات 43-32.
- السائحي العلاء ،2016، أثر بعض التمرينات الرياضية التربوية في تنمية و تطوير القدرات العقلية (الذكاء – الذاكرة) ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص النشاط البدني الرياضي التربوي، جامعة الجزائر3.
- سناء عبيدي ،أحمد فلوح، 2019، دور ممارسة التربية البدنية في النمو النفسي و الاجتماعي في المدارس الإبتدائية من خلال تمثيلات المعلمين، المجلة العربية لعلم النفس ، المجلد 7،الصفحات 105-120.
- عادل عز الدين الأشول ،2008،علم النفس النمو ، مكتبة الأنجلو المصرية،مصر،الصفحات 321-401.
- عزوني سليمان، 2016، أهمية حصة التربية البدنية و الرياضية في الطور الإبتدائي و أثرها على تطوير العملية التعليمية و التربوية، مجلة علوم و ممارسات الأنشطة البدنية و الرياضية و الفنية ،المجلد 09، العدد 1،الصفحات 175-179.
- مفيدة بن حفيظ ،2022، لعب و أنشطة حس حركية للطفل المصاب بإضطراب نقص الإنتباه المصحوب بفرط الحركة، دار قانة للنشر و التوزيع ، الصفحة 15.
- مفيدة بن حفيظ، 2022،علم النفس الرياضي،دار قانة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، الصفحة 58.
- منهاج التربية البدنية و الرياضية – مرحلة التعليم الإبتدائي- 2023، وزارة التربية الوطنية و المجلس الوطني للبرامج، الجزائر.الصفحات 5-6-7.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Anthropology and Development
Benmammar Abdallah[1]
University of TlemcenAlgeria
amroubenmamer@gmail.com
Naima Rahmani[2]
University of TlemcenAlgeria
naima.rahmani@univ-tlemcen.dz

Abstract:

This research explores the relationship between anthropology and development by highlighting the role that a socio-anthropological approach can play in understanding the processes of social change accompanying development projects. It begins with the premise that development is not merely economic growth, but a complex social process resulting from institutional and external interventions aimed at transforming local communities through the introduction of new technologies, knowledge, and organizational structures. The research also discusses the emergence of development anthropology in the post-World War II context and its connection to development programs targeting Third World countries. It reviews the most important theoretical approaches that have addressed this field, such as the socio-anthropological approach, which focuses on the interaction of social actors within development contexts, and critical approaches that deconstruct the discourse of development and reveal the underlying power relations. Furthermore, the research emphasizes the importance of integrating cultural and social factors into the design and implementation of development projects, asserting that neglecting local knowledge and social structures can lead to the failure of many development programs. It also highlights the role anthropologists can play in interpreting the socio-cultural complexities of communities targeted for development and contributing to the evaluation of the impacts of development projects. The research concludes that development anthropology represents an important scientific field for understanding contemporary social transformations and

analyzing the interactions between local actors and development institutions within the context of globalization and social change.
Keywords: Anthropology - Development

الأنتروبولوجيا والتنمية

أ.د/ بن معمر عبد الله[1]
جامعة تلمسان الجزائر
amroubenmamer@gmail.com
أ.د/ نعيمة رحماني[2]
جامعة تلمسان الجزائر
naima.rahmani@univ-tlemcen.dz

ملخص:

يتناول البحث العلاقة بين الأنتروبولوجيا والتنمية من خلال إبراز الدور الذي يمكن أن تلعبه المقاربة السوسيو–أنثروبولوجية في فهم عمليات التغير الاجتماعي المصاحبة لمشروعات التنمية. وينطلق من تصور يرى أن التنمية ليست مجرد نمو اقتصادي، بل هي عملية اجتماعية معقدة تنتج عن تدخلات مؤسساتية وخارجية تهدف إلى إحداث تحول في المجتمعات المحلية عبر إدخال تقنيات ومعارف وأنماط تنظيم جديدة. كما يناقش البحث نشأة أنثروبولوجيا التنمية في سياق ما بعد الحرب العالمية الثانية وارتباطها ببرامج التنمية الموجهة إلى بلدان العالم الثالث، مع استعراض أهم المقاربات النظرية التي تناولت هذا الحقل، مثل المقاربة السوسيو–أنثروبولوجية التي تركز على تفاعل الفاعلين الاجتماعيين في سياقات التنمية، والمقاربات النقدية التي تفكك خطاب التنمية وتكشف علاقات السلطة الكامنة فيه.

ويبرز البحث كذلك أهمية إدماج العوامل الثقافية والاجتماعية في تصميم وتنفيذ مشاريع التنمية، مؤكداً أن تجاهل المعارف المحلية والبنيات الاجتماعية قد يؤدي إلى فشل العديد من البرامج التنموية. كما يسلط الضوء على الدور الذي يمكن أن يؤديه الأنثروبولوجيون في تفسير التعقيدات السوسيوثقافية للمجتمعات المستهدفة

بالتنمية والمساهمة في تقييم آثار المشاريع التنموية. ويخلص البحث إلى أن أنثروبولوجيا التنمية تمثل مجالاً علمياً مهماً لفهم التحولات الاجتماعية المعاصرة وتحليل التفاعلات بين الفاعلين المحليين والمؤسسات التنموية في سياق العولمة والتغير الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الانثروبولوجيا –التنمية

مقدمة:

التنمية –فيما يذهب جان– بيار أولفيي دو ساردان– ليست سوى أحد أشكال التغير الاجتماعي ولا يمكن مقاربتها منعزلة. تحليل أفعال التنمية والاستجابات الشعبية لهذه الأفعال لا يمكن أن تنفصل عن دراسة الديناميات الاجتماعية، والعمليات الداخلية أو العمليات غير الرسمية للتغير. بالمثل سوسيو–أنتروبولوجيا التنمية لا تنفصل عن سوسيو–أنتروبولوجيا التغير الاجتماعي.

ويقترح دو ساردان تعريف التنمية ضمن منظور منهجي أساسا كمجموع العمليات الاجتماعية الناجمة عن العمليات الارادية لتحويل وسط اجتماعي، التي يتم تناولها من خلال المؤسسات أو الفاعلين الخارجيين عن هذا الوسط ولكنهم يبحثون عن تحريك هذا الوسط والمستندين على محاولة زرع ثروات و/ أو تقنيات و/أو معارف.

بمعنى من المعاني التنمية ليست شيئا نبحث عن وجوده أو غيابه لدى الشعوب المعنية على عكس المعنى المألوف. على العكس تماما هناك تنمية فقط من حيث أن هناك فاعلين ومؤسسات تقدم التنمية كموضوع أو كهدف تكرس له الوقت والمال والكفاءة المهنية.

وجود صيغة تنموية هي التي تحدد وجود التنمية ذاتها . نسمي صيغة تنموية هذا العالم الواسع عالميا من الخبراء والبيروقراطيين، والباحثين، والتقنيين ، ورؤساء المشاريع، والمسؤولين عن ONG أي المنظمات غير الحكومية، والفاعلين الميدانيين الذين يعيشون تنمية الآخرين بمعنى من المعاني، ويعبؤون أو يديرون من أجل هذه الغاية ثروات مادية ورمزية معتبرة. (Jean Pierre-Olivier De Sardan, 1995, pp. 12-14.)

ودو ساردان يؤكد على الطابع التكاملي المعرفي بين علم الاجتماع والأنتروبولوجيا ولذلك فالتنمية يجب أن تقارب من منظور سوسيو-أنتروبولوجي.

أنتروبولوجيا التنمية

ما هي أنتروبولوجيا التنمية؟ بما تتميز في مقارباتها ومناهجها وموضوعاتها عن الأنتروبولوجيا المسماة كلاسيكية؟ هل هي شكل خاص من الأنتروبولوجيا التطبيقية؟ ما هو سياق انبثاقها؟ ما هي العلاقات بين الأنتروبولوجيا وعالم التنمية؟ ما هو انتشارها الحالي وما هي مطامحها؟ أنتروبولوجيا التنمية تجد تعريف موضوعها في قلب سياق اجتازته المجتمعات المسماة تقليدية إلى فئة العالم الثالث ومن الشعوب المستعمرة إلى شعوب يجب تنميتها. نحن بعيد الحرب العالمية الثانية، حيث تهديد الحرب الباردة وحيث انطرحت ضرورة تأمين السلام العالمي وتثبيته. من أجل تحقيق هذا الهدف، يجب مساعدة مجتمعات العالم الثالث على بلوغ التقدم، بعبارة أخرى من أجل التنمية. والحال أنه ضمن ايديولوجية تلك الفترة، النمو الاقتصادي هو الشرط المسبق لكل تنمية، ذلك أنه يجر انخفاض اللامساواة، والديموقراطية والولوج إلى التربية والعدالة وهي المبادئ المندرجة ضمن الاعلان العالمي لحقوق الانسان. مؤسسات تم انشاؤها وهي (Fmi أو الأمم المتحدة مثلا) وعلى إثر الاستقلالات برامج دولية كبيرة للمسألة على التنمية موجهة إلى البلدان السائرة في طريق النمو تم اطلاقها من أجل تمكنها، حسب نظرية الاقلاع لوالت ويتمان روستوف Walt Whitman Rostow، من المرور من مرحلة المجتمع التقليدي إلى الاستهلاك الجماهيري مرورا بمرحلة " البلوغ". هذا النموذج ذو الروائح التطورية أثار العديد من الانتقادات واتبع بواسطة حدود وأثار ملاحظة على المجتمعات الحاصلة على الإعانة الدولية.

الوعي بأهمية العوامل الاجتماعية والثقافية تم التعبير عنه من خلال المفاهيم الجديدة مثل التنمية البشرية المستدامة، ولكن هذا الوعي سيفضل وفرة في عدد معتبر من الفاعلين المختلفين في التنمية: المهندسون، الباحثون، الاداريون، الخبراء، مكاتب الدراسات، المساهمون، والمحسسون وخاصة المنظمات غير الحكومية المشرفة على مشاريع التنمية على المستوى المحلي، والجمعيات من كل نوع، التي تطرح نفسها كواسطة أو أيضا كممثلة للشعوب الأهلية أو المحلية.

هذا الوضع الجديد من التفاعل الذي نتج على أراضيهم الخاصة لا يقدر سوى على استدعاء الأنتروبولوجيين الشعوب موضوعا لأبحاثهم، بدت لهم مندرجة ضمن مشاريع التنمية، خاضعة لمنطق وعقلانيات أجنبية التي تتداخل مع واقع، والذي منذ ولادة هذا العلم، كان هو موضوعهم، الأهمية تقوم إذن في ملاحظة وتحليل على الطبيعة التحولات الاجتماعية الباطنية الناتجة عن التدخلات الخارجية، ولكن أيضا وصف عالم التنمية وتنظيم عديد الفاعلين.

الانتروبولوجي يتموضع إذن على حد مشترك بين عالمين، بين عقلانيتين: التنمويون والشعوب قيد التنمية. إذا كانت الفكرة قد شاعت لفترة أن تصفية الاستعمار وقع على نهاية الشعوب التقليدية وإذن نهاية الإتنولوجيا التي فقدت منذ الان موضوع دراستها، أو أيضا أن الأنتروبولوجيا لن يكون لها مستقبل إلا من خلال دراسات ما بعد الاستعمار أو بواسطة عودة الأنتروبولوجيين إلى مجتمعاتهم الخاصة من أجل تطوير أنتروبولوجيا القريب (L'endotique). نحن مضطرون الى الاستنتاج أن الوضعية تمنح العلم مادة للتقدم ضمن استمرارية ممارسته، وميادينه ومناهجه، معتبرين ببساطة التغير الاجتماعي كظاهرة للدراسة، الفضل يعود إلى جورج بالندنيي الذي ارتبط اسمه بالأنتروبولوجيا الدينامية الذي اقترح فتح اطار العلم إلى الرهانات السياسية ولعبة السلط التي تدخل ضمن حساب الديناميات الاجتماعية المعاصرة، في افريقيا عند الاقتضاء مدرسة شيكاغو من أجل صرامة المناهج الكيفية وأهمية المسعى التجريبي الميداني في معالجة الظواهر المعاصرة، أثرت أيضا على انتروبولوجيات التنمية فيما يتعلق بتعريف حقلها، ومقارباتها وموضوعاتها ومناهجها. من ناحية أخرى بالعودة إلى هذه المدرسة يمكن الحديث عموما عن سوسيو أنتروبولوجيا التنمية انطلاقا من سنوات الثمانينيات أن صارت التنمية حقلا خاصا للبحث العلمي ووجدت أشكالها المؤسساتية والأكاديمية لما وراء البحار (ORSTOM)سلف مكتب البحث العلمي الاستعماري، أصبح في سنة 1984 المعهد الفرنسي للبحث العلمي في التنمية بالاشتراك. ثم في سنة 1998 المعهد الحالي للبحث في التنمية(IRD). العديد من الانتروبولوجيين الفرنسيين مثل جان بيار أوليفي دو ساردان Jean-Pierre Olivier de Sardan جان بيار شوفو Jean Pierre Cheuveau، جان فرانسو باري Jean François Baré، مثلا، معروفون بأعمالهم حول التنمية، عملوا من أجل أو مع IRD. إنهم ضمن مبادرة الجمعية من أجل أنتروبولوجيا التغير الاجتماعي والتنمية (APAD) التي انشئت سنة

1991 والتي شجعت المبادلات العلمية والحوار مع الممارسين للتنمية في افريقيا وغيرها. جمعية رئيسية علمية دولية حول هذا الموضوع، الأباد APAD تنشر مجلة أنتروبولوجية التنمية، وتظم العديد من المؤتمرات الدولية وتطبع العديد من الكتب المكرسة للأسئلة المتجددة التي تطرحها التنمية على الأنتروبولوجيا.

مقاربات مختلفة:

بطريقة مبسطة قليلا يمكن أن نميز مقاربات مختلفة، التي تستخلص من أعمال الانتروبولوجيين الفرونكفونيين، ولكن أيضا الأنجلوفونيين، المكرسة للتنمية.

المقاربة الأولى التي دافع عنها جان- بيار أوليفيي دو ساردان والأباد APAD تهتم بتشابك أشكال المنطق الاجتماعية وعدم انسجام الفاعلين الذين يواجهون عمليات التنمية. إنها تتركز حول الظواهر الاجتماعية المعقدة وتستغل التفاعلات التي تتدخل في وضعيات التنمية. التفاعل تم معالجته كما تعالج كلاسيكيا دراسة الحالة: إنها مداخلات خصبة في الواقع الاجتماعي، وسائل تفكيك استراتيجيات الفاعلين واكراهات السياقات، والولوج إلى الممارسات كما التمثلات، ومعاينة الظواهر المصادفة وظواهر البنية. هذا الموقف الذي يشيد بالتجربة للفحص الميداني وأحيانا العودة إلى المونوغرافيا يعتبر أن التنمية مدخل يفهم جملة معقدة من الممارسات الاجتماعية، التنمية تم مقاربتها كموضوع من مواضيع الأنتروبولوجيا الأساسية. هذه المقاربة الخاصة أظهرت الصفة التنموية المقدمة كمجموعة من المؤسسات والفاعلين الذين تمثل لهم التنمية مصدرا، حرفة، سوقا، ورهانا. عبارات "معترك التنمية "وسماسرة التنمية" خرجت من هذه المقاربة ودخلت المعجم الانتروبولوجي تحت أوجه عديدة، الأعمال الذي قادها نورما لونغ Norma Long وتلامذته التحقت بهذا التيار مقترحة مع ذلك إعادة التوجيه حول الفاعلين في اطار دراسة الحالة في الوسط الريفي.

المقاربة الثانية أنجلوساكسونية بشكل أساسي، تندرج ضمن حركة تفكيكية وما بعد حداثية تقترح نقدا للخطابات. والممارسات ونماذج التنمية. نظرية ما بعد التنمية أو أيضا ضد التنمية التي ظهرت في بداية سنوات التسعينيات تقوم على فكرة أن ممارسات التنمية وخاصة المفهوم ذاته هو اشكال من سيطرة العالم الغربي على باقي العالم.

أرتيرو إسكوبار Arture Escobar الذي هو أحد الوجوه الأكثر جدرية بهذه الحركة أظهر، بشكل أساس من خلال تحليل الخطابات نقد نماذج مستعملة في عالم التنمية، الرواسم والكليشيهات التي حملتها. إنه يرفض علاقة السلطة اللامساواتية التي تقوم بين البلدان المتطورة والبلدان النامية تحت حماية المساعدة الدولية من جهة، ومن جهة أخرى الإثنوية والفكر الليبرالي الجديد الذي يهيمن على بناء نماذج ومشاريع التنمية، ميكال هورويتزMichael Horowitz شريك مؤسس لمعهد أنتروبولوجيا التنمية بجامعة بينجامتون Binghampton يندرج ضمن هذه الحركة ولكنه يشدد باستمرار على عدم الأخذ في الاعتبار للأبعاد الثقافية والاجتماعية في بناء نماذج التنمية، وينطلق من دراسة الحالة اخذا بالمسعى التجريبي الميداني، يشدد على واقع أن في وجود معارف محلية في مفهوم وعمل مشاريع التنمية يقود إلى تحطيم هذه المعارف الطبيعية الأهلية وإلى فشل المشاريع.

باختصار نظرية ما بعد التنمية في الأنتروبولوجيا تهتم بالخطاب وبمهمة النماذج التي تبدوا ككواشف للاختلاف في السلطة بين الشمال والجنوب. إنها تناضل من أجل معرفة جيدة وادماج للممارسات والمعارف والمنظمات الاجتماعية المحلية في مفهوم وعمل المشاريع. في اطار المطبوعات في أنتروبولوجيا التنمية يبدو من المفيد استدعاء أعمال مارك هوبار Mark Hobart، (1993) وزملائه التي تسمح بالدفاع عن جماعات محلية وتؤدي إلى تعداد الدراسات الأنتروبولوجية حول المعارف المحلية قبل أن تختفي تحت ضربات مشاريع التنمية. هذا الموقف انتقد بسبب إيديولوجيته الشعبوية من قبل جون بيار أوليفيي دو سرداان وبسبب توجهاته نحو النسبية الثقافية: المعارف الأهلية المقدمة في تناقض مع المعارف العلمية الغربية.

إفراد هذا التيار الخاص يوجد أيضا في المقترحات المنهجية باعتبار أن روبير شومبرز Robert Chambers ذهب إلى حد اختراع مناهج تحقيق سريعة التي تقدم على إيلاء إلى الجماعات نفسها اجراء التحقيق، من البديهي أن هذا النمط من البروتوكول يدخل في تناقض مع الاجراءات الأنتروبولوجية الميدانية، التي تسهر على تقاطع الرؤى والعقليات لكل الفاعلين (Jean- Pierre Olivier de Sardan, 2001, pp.729-754).

هذا العرض لمختلف المقاربات والمواقف الأنتروبولوجية تجاه التنمية لن تكون مكتملة إذا لم نشر إلى التزام الانتروبولوجيين في مؤسسات التنمية ومكاتب الخبرة وداخل برنامج البحث العلمي. الانتروبولوجي

يوجد إذن في موقع المترجم لتعقيدات السياقات السوسيوثقافية للشعوب المستقبلية للإعانة، وفي خدمة الفاعلين في التنمية، التشخيصات والمتابعات للمشاريع، دراسة التأثيرات الناتجة بواسطة الأنتروبولوجيا التطبيقية للتنمية تطرح العديد من الأسئلة ذات النظام الأخلاقي والديونتولوجي وتقود إلى ثابتة اجتماعية: كل أنتروبولوجيا مطبقة على التنمية أم غير مطبقة، لا يمكنها إلا أن تقوم على أنتروبولوجيا أساسية إما بشأن اشكاليتها أو مفاهيمها أو مناهجها.

أنتروبولوجيا التنمية غدا:

أنتروبولوجيا التنمية هي أولا وقبل كل شيء أنتروبولوجيا التغيرات الاجتماعية ولعبة الفاعلين المرتبطين بإشكاليات التنمية الذين هم أنفسهم في تحول دائم.

إنها تندرج ضمن استمرارية علاقات السلطة بين الغرب والاخرين حيث اعتبرتهم الأنتروبولوجيا دائما كمواضيع للتأمل. الانبثاق الاقتصادي لا سيما (الصين، الهند) مثلا في الجيوسياسية العالمية وحضورها اللافت في افريقيا أسهما في تغدية الأنتروبولوجيا بمواضيع جديدة وميادين جديدة في علاقتها بأشكال جديدة من التنمية. التوجه الحالي لهذه الأنتروبولوجيا الخاصة هو أن تتحرر من المونوغرافيا من أجل أن تحدد موضوعات تعتبر ذات أولوية ضمن مقاربة متعددة المواقع. من المؤكد أن مقاربة الليبرالية الجديدة والعولمة أدى إلى التقليل من الفاصل بين التنمية والميادين الأخرى داخل العلم. هكذا الصحة أصبحت أحد الموضوعات المتأثرة بالأنتروبولوجيا المعاصرة للتنمية، مرورا بالسيدا، إلى فيروسي إيبولا وكوفيد 19، هذا يمنح إطارا لفهم الظواهر الاجتماعية المعاصرة (Gerard Gaillard et Nicolas Journet, 2022, pp. 253-258.)

الأنتروبولوجيا والتنمية:

المقال الحاضر يعكس حصريا وجهة نظر متخصص في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ولكن هذا لا يعني أبد أن علم الأثار والأنتروبولوجيا لا يمكنها أن يساهما في دراسة المشكلات التي تهمنا.

هكذا فإن البحث الأركيولوجي يلعب أحيانا دورا أساسيا في تنمية التراث الثقافي لأمة ما. ذلك أنه يسهم في إثارة عاطفة من العجز والثقة الوطنية ويثير أشكال التعبير الفني. يمكن أيضا أن يصل إلى اغناء

رأسمال الأفكار وتوسيع سلم الارتياح الذي يناسب أهداف التنمية. وبالمثل الأنتروبولوجيا الفيزيقية يمكنها أن تبين أثار العوامل الطبية والأغذية والديموقراطية والتشريحية على موضوعات الدراسة.

حقل تطبيق الأنتروبولوجيا الثقافية الاجتماعية:

الأنتروبولوجيا هي العلم الذي يتمثل موضوعه الأساسي في وضع الثقافات تحت تحليل مكثف، كلي ومقارن، وذلك بدراسة بشكل خاص تطورها وتأثيرها المتبادل. كتب كاملة كتبت من أجل تعريف الثقافة، ولكن يمكن القول باختصار إنها تتكون من مجموع الأشياء المادية والأفكار التي أنتجها الانسان والتي يستمر في منحها ثمنا، في وسط تحليل ثقافة ما يقع تحديد رموزها، ذلك أنه من غير ترميز لا يمكن لأن تكون هناك معرفة، أو تطابق أو تواصل أو أحكام قيمة. هذه الأخيرة تقدم أهمية كبرى من أجل تحليل العمليات الثقافية، بسبب الدور المركزي الذي تلعبه في الاختيارات وفي اتخاذ القرارات التي هي ذاتها العناصر الأساسية للنشاط الاجتماعي، هكذا دراسة الرموز وقيم التواصل والاختيارات هي ذات قاعدة أساسية من أجل تحليل أسئلة تستدعي انتباهنا.

الأنتروبولوجيون يدرسون أيضا العلاقات الاجتماعية ومن هنا أعمالهم ترتبط بأعمال متخصصين اخرين في العلوم الاجتماعية. مع ذلك. ما يميز ربما مسعى الأنتروبولوجيا هو أن هذه الأخيرة:

أ-تتصور العلاقات الاجتماعية ضمن سياقها الثقافي بالنسبة للتعليم والتواصل والاختيارات.

ب-تدرسها ضمن منظور بينثقافي.

ج-تدرسها من أجل غايات المقارنة البيثقافية.

د-تحليلها حسب منهجية ذات تكامل معرفي.

إذا كانت تتكلم عن منهج متكامل معرفيا، فذلك لان الأنتروبولوجيا تستعير تقليديا منظوراتها النظرية من العلوم الاجتماعية المجاورة وتطبيق فيما بعد على موضوعها الخاص نظريات العلوم الأخرى مثل علم النفس، الاقتصاد، نظريات الألعاب، الايكولوجيا، علم السياسة وعلوم الاجتماع، الأنتروبولوجيون لا يولون كلهم نفس الأهمية لكل النظريات والمنظورات، ولكنهم يعتبرون أن هذا التنوع طبيعي وشرعي ويبدو طبيعيا أن له خصوبة متبادلة ومنافسة بين مختلف المفاهيم. بواسطة طريقتها في معالجة المجتمع ، الأنتروبولوجيا

مأخوذة في شموليتها، تميل إذن إلى تأليف المعارف، مع ذلك لم يدافع ولا احد من الانتروبولوجيين بسبب ذلك بهيمنة الأنتروبولوجيا على العلوم الأخرى.

هناك طريقتان عموما لإدراك دراسة العلاقات الاجتماعية، الأولى التي تطبق من وجهة نظر بنيوية تشدد على البنيات أو الأنساق المعيارية التي تميز الجماعات الثقافية. هذا المسعى ينفتح على تصنيفات نمطية وعلى تحديد انساق مستمرة، ما يسمح فيما بعد من تحديد سلوكيات والقيام بالتنبؤات بطريقة تقليدية كفاية. المنهج الاخر ينطلق من اتخاذ القرارات الفردية في وسط معطى ويستخلص معايير، وبنيات وأنماطا من التنظيم الاحتمالي لهذه القرارات وتفاعلها. حسب بعض الانتروبولوجيين هذا المسعى، رغم أنه لا زال لم يفرض نهائيا، فإنه يفتح منظورات أكثر خصوبة من أجل دراسة التغير، وتحليل الأنظمة، التحليل الرياضي ومعالجة المعطيات بواسطة الحاسوب زيادة كل ذلك إنه أكثر قربا من الواقع العملي.

هناك مكان فيما يبدو للتشديد أكثر على النقاط السابقة بالنسبة للأنتروبولوجيا أكثر من العلوم الأخرى، ذلك أن الجمهور العريض وبعض الزملاء يعتقدون بدهشة أن موضوعها دراسة الماضي، وأنها لا تهتم سوى بما هو بدائي وقديم. إذا كانت كذلك فإنها تحمل للتنمية اسهاما مماثلا لإسهام علم الاثار، حيث يكون دورها هو تقديم قبائل ضائعة وقديمة للعالم المعاصر.

يجب الإشارة أن الخصائص التي أشرنا إليها أعلاه هي ذات نظام عام. إنها لا تتحدد بطبقات خاصة من المجتمع. صحيح أنه في الماضي بعض الانتروبولوجيين ركزوا انتباههم على مشكلات الأصل وتطور الثقافات، ولكن منذ أكثر من نصف قرن أغلبهم لا يهتمون أبدا بهذه المشكلات. صحيح إن الانتروبولوجيين بحثوا عن معرفة الثقافات المختلفة وأن أغلب هذه الأخيرة كانت بدائية، ولكن لم تكن بالنسبة لهم غاية في ذاتها، هذا يشكل جزءا من استراتيجية لاواعية للبحث الذي دفع الانتروبولوجيين إلى تخطي الحدود الثقافية والانطلاق من الصفر في تحليلاتهم بدلا من تلقي التأثير من المطبوعات الموجودة، وهو ما يسمح لهم باكتشاف مشكلات حقيقية حيث يبدو أنه لا يوجد من النظرة الأولى سوى أشكال بسيطة.

الأنتروبولوجيون يتجنبون عموما كلمة "بدائي" ويفضلون عبارات لا كتابي، التي لها تعريف وظيفي. يجب أن تشير أنه إلى غاية فترة حديثة كفاية الأغلبية العظمى من الثقافات العالمية كانت بدون كتابة وأنه كان للأنتروبولوجيين سبب إضافي للاهتمام الخاص بهذا النمط من الثقافة.

مع ذلك، يجب أيضا ملاحظة أن الانتروبولوجيين يكرسون العديد من الاعمال لدراسة المجتمعات الزراعية، والمشكلات الحضرية (بشكل خاص في افريقيا واسيا وأمريكا الجنوبية) وظواهر السوق. إنهم يستدعون مفاهيم أشرنا ايها أعلاه من أجل دراسة القرابة في المجتمع الغربي، العلاقات بيعرقية في افريقيا وفي بلجيكا أو في الولايات المتحدة. ثقافة الفقراء، زيادة على ذلك، إنهم يطبقون بعض الدروس، التي تعلموها من تحليلهم لاقتصاد البلدان الزراعية وغير الكتابية، في دراسة سلوك المقاول والسلوك في السوق في المؤسسات الرأسمالية، وكذلك اختيارات الأفراد والجماعات المهاجرة، هذه ليست سوى أمثلة للاهتمام المهيمن الذي تمنحه الأنتروبولوجيا المعاصرة لمشكلات ليس فيها شيء من القدم.

الأنتروبولوجيا والتنمية:

من أجل اختيار الطريقة التي تعالج بها الأنتروبولوجيا مشكل التنمية يجب التمييز بين ثلاثة مفاهيم وميدانين من النشاط العلمي، المفاهيم هي "النمو" و"النجاح" و"التنمية". وميداني النشاط هما من جهة اسهامات الأنتروبولوجيا في التحليل الكبير للعمليات الاجتماعية ومن جهة أخرى نتائج التحقيقات الميدانية بالنسبة للنظرية وتأويل التنمية.

كلمات نمو، نجاح، تنمية هي في العادة تكون متبوعة بالنعت اقتصادي، هذا يقتضي أن المؤشرات المستعملة من أجل قياس التطور أو إجراء مقارنات تكون مشتقة من معطيات متعلقة بالنظام الذي يضمن تبادل الخيرات والخدمات كما تعرضها الاحصائيات الاقتصادية عندما يكون مرغوبا الاشارة أن النمو والنجاح والتنمية يتضمنون عناصر أخرى، نستعمل عموما النعت سوسيو اقتصادي. الغموض وسوء الفهم اللذان ينتجان عن هذا التمييز هما ذوا أهمية قصوى بالنسبة لمستقبل التحليل الانتروبولوجي. لا نستطيع الاشارة هنا سوى للبعض: أ-من وجهة نظر التحليل ليس من المقبول تطبيق نعت "الاجتماعي" في قطاع الخدمة الاجتماعية أو العمل الاجتماعي، ذلك أن هذا القطاع يمكن أن يحلل إما من وجهة نظر اقتصادية أو من وجهة نظر الأنتروبولوجيا السوسيوثقافية، وبالمثل القطاع مسمى اقتصاديا يمكن أن يدرس من زاوية العناصر الثقافية والعلاقات الاجتماعية.

ب-لأسباب مماثلة يحدث غالبا أن نهمل أو لا نأخذ في الاعتبار في تحليل التطور الاقتصادي عناصر مثل تدبير المنازل، انتاج المواد، الجماعات الدينية والمنظمات التطوعية وكذلك العناصر غير المقاسة من

العمليات السوسيو اقتصادية، مثل التأثير الايديولوجي الذي يمارسه مسيرو المؤسسة على بعضهم البعض. وفي بعض الحالات، هذه العناصر لا تهم إلا قليلا، ولكن في حالات أخرى عليها يتوقف النجاح أو فشل التوقعات المتعلقة بالنتيجة أو مدة قياس التنمية.

الأنتروبولوجيا يجب أن تضع معطيات التحليل ضمن منظور واسع، يجب أن نتعرف على أن الدين عامل يمكن أن يدخل في الاعتبار عندما يتعلق الأمر بالاختيار بين عدة استعمالات ممكنة من المصادر المحدودة والافتراض أن الأحكام من النظام الثقافي والعلاقات الخارجية يمكن أن تؤثر على قرارات مجلس ادارة فيما يتعلق بالإنتاج.

النمو يقتضي تنوعا كميا في انتاج الخيرات والخدمات والقدرة الشرائية ومؤشرات أخرى مماثلة ذات خاصية عامة وفي العادة محايدة تجاه القيم، بينما المؤشرات هي في حد ذاتها محايدة تجاه القيم، فإنها ليست كذلك إذا اعتبرناها بالنسبة للمجتمع التي تنطبق عليه.

بكلمة نجاح نقصد القياس الذي فيه الأحداث، الافعال والعمليات تتسابق على الاشباع الأقصى لأعضاء المجتمع المعني أو بعبارات أخرى، تمكنهم من البلوغ الأقصى لأهدافهم. النمو ليس مرادفا للنجاح الكبير. يمكن أن نوجد بشكل ممتاز في حضور نمو قوي للغاية من خلال كل المؤشرات التجارية والدفاع رغم ذلك أن النجاح يكون أقل. هذه حالة عندما تتحطم مؤسسات ثمينة، وأن المجهودات تم توجيهها بواسطة تدابير تسلطية الخ. من الممكن أيضا أن مجتمعا لا يرغب في النمو ولا في التنمية. النمو والتنمية سيغدوان عكس النجاح.

"التنمية" تمثل نموا في مقدرة مجتمع ما على أن ينتظم بالنسبة لأهدافه الخاصة وتنفيذ بفعالية برامجه. العنصر الأساسي هنا هو التنظيم.

بالنسبة للأنتروبولوجيا الفرق بين مجتمع متطور ومجتمع نام يكمن في أن الأول قادر على اتخاذ قرارات وانجاز أعمال أكثر تعقيدا. هذا ليس له أي رابط مع حضور أو غياب الثروات المادية، غينيا الجديدة لها ثروات واسعة ولكن درجة التعقيد والتحسن لتنظيمها ضعيفة: اليابان ، هون كونغ، وسويسرا استفادت من تنظيمها المعقد وتحسنت من أجل التحكم واستعمال ثروات لا توجد في الأصل في مناطقها. البلد الأول نام نسبيا. والبلدان الأخرى متطورة نسبيا.

التنمية ليس لها في ذاتها أي صلة بالإشباع. عدد كبير هم الكتاب الذين يفترضون أن التقدم على مستوى التنمية (و/أو النمو) يترجم بنمو الاشباع أو الرخاء، الحقيقة هي أنه في بعض الظروف بعض أشكال التنمية تقود إلى نجاح كبير، بينما أشكال أخرى لا تفعل. الأنتروبولوجيون يتموضعون ربما أحسن من أجل فهم هذه الواقعة أفضل من المتخصصين الاخرين في العلوم الاجتماعية، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى تحديد بعبارات عامة، بطريقة صريحة وواضحة مختلف درجات الاشباع التي ترتبط بأنماط مختلفة وشروط التنمية هنا عمل رئيس بالنسبة لهم: ما داموا لم يهاجموا فإنهم يعتقدون ربما أن التحفظات التي يقومون بها على بعض أشكال التنمية لا تملي بواسطة الموضوعية العلمية، ولكن بأحكام مسبقة عاطفية أو سياسية، مع ذلك، متخصصون اخرون في العلوم الاجتماعية وأيضا مسؤولون سياسيون يقدمون الحجة على سذاجة كبيرة كفاية، ولكن خطيرة عندما يفترضون أن التنمية (و/أو النمو) يعني آليا نجاحا كبيرا.

الأنتروبولوجيون يوجدون في وضعية غير مريحة ذلك أنهم يجدون دون توقف تحقيقات مفضلة على الميدان على تأويلات المجموع التي تكون ضرورية أكثر فأكثر، أكثر من التخصصات الأخرى، في العلوم الاجتماعية.

باستثناء ربما المؤرخين فإن الانتروبولوجيين لديهم رؤى بالهوة التي تفصل النظرية العامة والتأويلات الشاملة، من جهة ومن جهة أخرى، التأويلات التجريبية للوقائع الملموسة. تقريبا كل مقولة عامة تتجلى مبسطة عندما يكون مصير جماعة بشرية في خطر، أحد الدروس الرئيسية العلمية التي تستخلص من التحقيقات الجارية على الميدان هو أن الفروض النظرية أو المملاة بواسطة التفكير السليم لا يعطي اليا النتائج الحاسمة وأن ما يبدو عاديا في أدوات جهوية أو وطنية غالبا ما يعتبر الشيء الأكثر غموضا والأكثر غرابة بواسطة السكان، حيث المصير يكون مهددا. مع ذلك الأنتروبولوجيون لا يجب أن يرضوا بهذا الاثبات.

كل نظرية عامة وحتى كل سياسة أيضا لا يمكن أن تكون سوى تقريب. أساسا الأنتروبولوجيا تأخذ قسما من هذه التقريبات والطريقة الممتازة التي يمكن أن تفعل بها ذلك تقوم على محاولة صياغة نظريات وسياسات جديدة أو تعديل تلك التي توجد من قبل. مع ذلك يجب في نفس الوقت أن تكون الانتقادات التي غالبا ما تكون مزعجة التي يصوغها الأنتروبولوجيون، على الميدان مكتسبة بطريقة بناءة وأن تدرس وتستعمل بغرض تعديل النظريات والسياسات المبنية بواسطة الاخرين. الحق يقال هنا ربما تكون الفرصة

نابجة من أجل السبق إلى اعادة تقييم، بمعنى اعادة فحص نظريات العلوم الاجتماعية الأخرى والسياسات العامة للتنمية في ضوء تقارير التحقيقات الأنتروبولوجية الميدانية.

لنأخذ في الاعتبار هذه الاعتبارات ونفحص لحظة بعض الأفكار المتعلقة بالتنمية التي سيتم تبنيها اليوم.

1-من المؤكد أن التنمية تقتضي تحولا يترجم بتجديد الاهداف والافكار والمناهج وأنماط العلاقات. يحدث أحيانا أن هذا التحول ينتج في اطار تجمع لقوى اجتماعية التي يمكن أن ينتج عنها اختزال النمو للناتج الوطني خلال فترة إلى حد ما طويلة من أجل ارساء قواعد نمو مستقبل.

هذا يطرح مستقبلا جديدا عندما يتعلق الأمر بالحكم على أثار التنمية عند التمييز بين المدة القصيرة والمدة الطويلة.

الأمر نفسه عندما نريد أن نحدد إذا كان هذا الشكل أو ذلك من التنمية يكون مرغوبا أو لا في أعين السكان المعنيين، مع الأخذ في الاعتبار بشكل خاص لتصوراتهم السياسية.

2-بالرغم من التشديد على قدرة هذا البلد أو ذلك على توجيه مصيره وضمان بنفسه نموه، والتنمية بهذا الاعتبار تتحقق من قليل إلى أقل بنقطتين تستحقان التنويه. القومية يمكن أن تكون قوة محركة ضرورية إلى أقصى حد من أجل رفع أثار التقسيم الثقافي والسعي لأن تتقاطع الأهداف مع تصورها للعالم. في المقابل يمكن أيضا، أ-إثارة مناخ من العداوة على السلم الجهوي وخنق المبادرات المحلية. ب-منح انتقال الأفكار عبر الحدود، زيادة على ذلك، المنظمات الدولية وفوق الوطنية من الممكن أن تكون على وشك ممارسة تأثير محدد على قدرة الحكومة على اتخاذ القرارات، هكذا من المهم دراسة العلاقات الداخلية كما الخارجية للحكومات من أجل تحديد الاثار على التنمية.

3-يجب التشديد بقوة على واقع أن بنية البلدان المتطورة يمكن أن تؤثر على وضعية البلدان السائرة في طريق النمو. يكفي التذكير في هذا الصدد بالتالي.

أ-مواقف رعايا البلدان المتطورة تثير علاقات في البلدان السائرة في طريق النمو، سواء بواسطة فرصة الاقامة الفردية أو بواسطة وساطة وسائل المعلومات.

ب-البنية المقسمة للسلط العمومية في البلدان المتطورة، فرضت حالة مماثلة على التنظيم الدولي وعلى ادارة المساعدة في البلدان السائرة في طريق النمو.

ج-المفاهيم الخاصة بقيمة العمل وطبيعة التنظيم يمكن أن تؤطر مع حاجات البلدان أو ذلك فيما يتعلق بالتنمية.

4-رجال العلم والخبراء الغربيون يخاطرون كثيرا بالسقوط في الإثنوية عندما يصفون فرضيات عن طبيعة المجتمع في هذا البلد أو ذاك من البلدان السائرة في طريق النمو ويطرحون الطريقة التي يمكن أن تتحول بها بعض أجزاء من هذا المنهج قبل أن يجري البلد المعني إقلاعه.

5-لا زلنا لا نعرف كفاية الشروط التي يمكن أن تحصل فيها التنمية السريعة مع حد أدنى من النتائج غير المرغوب فيها مع أثر أفضل على خلق أسس صلبة تضمن دوام التنمية.

من الخطأ ربما تصنيف تحت نفس الخانة "تنمية" برامج التحول السريع، وتحت خانة "ليس تنمية" التطورات البطيئة. هنا فقط ايقاعان مختلفان من التغير. زيادة على ذلك، إذا كان الكثير من البرامج السريعة أو التحولات الثورية يمكنها أن تكون مرغوبة وضرورية، يمكن أن تحدث أيضا في بعض الظروف تأخرا جديا.

6-الانتروبولوجي لديه الوعي العميق بأن الصفاء، الحذر، التنسيق والتحليل المخطط يكون كل ذلك مرغوبا ويمكن أن يسهم في بناء بسرعة وبأكثر صلابة أسس التنمية، النقطة الكلية في التحقيقات الأنتروبولوجية على الميدان تقود حتما إلى هذه النتيجة، وأنه مفهوم مماثل كان في أصل مفهوم التنمية الجماعية (Cyril S. Belshaw, 1972,pp. 86-102).

قائمة المراجع

1- Cyril S. Belshaw, Etudes de développement. Apports disciplinaires .l'Anthropologie, in : Revue internationale des sciences sociales, volume XXII,N°1,1972
2- Gerard Gaillard et Nicolas Journet, L'anthropologie, éditions sciences humains, 2022
3-Jean Pierre-Olivier De Sardan, Anthropologie et développement, Marseille : APAD; Paris, Karthala, Éditeur, 1995.
4-Jean- Pierre Olivier de Sardan, Les trois approches en anthropologie du développement, in : Tiers – Monde , Tome 42, N°168,2001

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Ancient Historian in the Age of Algorithms: The Role of Digital Transformation in Reconstructing Narratives.

NATHMEEYAH Ali ABDULIAH ALZAWAM
TOBRUK UNIVERSITY – LIBYA
nathmeeyah.ali@tu.edu.ly

Abstract:

This research addresses a profound problem: the challenges facing the traditional historian in the age of algorithms and comprehensive digitization. Paper documents and linear chronology are no longer sufficient to explain historical phenomena or reconstruct the past. The historian finds themselves confronted with a new reality where technology and knowledge intertwine, necessitating a reformulation of their tools and methodologies.

The first section examines the significant transformation in the historian's tools with the shift to the digital environment, from electronic archiving, which has enabled the storage of vast amounts of documents, to artificial intelligence technologies that aid in analyzing big data and extracting hidden historical patterns. This transformation is not limited to the technical aspect; it also opens new horizons for understanding the relationships between texts. The second section focuses on the crucial role of algorithms in shaping collective memory.

They control what is presented to the public and what is marginalized or forgotten, making history susceptible to rearrangement according to a biased technological logic. Algorithms do not operate in a vacuum; rather, they reflect economic, political, and cultural interests.

This compels the historian to be aware of the filtering and selection mechanisms that determine what remains in the public memory. And what is erased from it,In the third section, the research observes the transformation of historical narrative from traditional linearity to network branching, where events and facts intersect in multiple paths, and history becomes closer to an interconnected network of meanings. This transformation necessitates a reconsideration of fundamental concepts such as “source,” “verification,” and “neutrality,” as they can no longer be dealt with using the old logic in light of the multiplicity of voices and the diversity of digital platforms. The research

concludes in the end that it is necessary to find a delicate balance between the efficiency provided by digital tools and the critical methodology that ensures the historian maintains his objectivity and scientific rigor, so that history remains a critical science capable of resisting the simplification imposed by algorithms.

Keywords: Digital history – Algorithms – Network narrative – Collective memory.

المؤرخ القديم فى عصر الخوارزميات دور التحول الرقمي فى إعادة بناء السرديات

نظمية على عبدالله الزوام

جامعة طبرق، ليبيا

nathmeeyah. ali @tu.edu.ly

الملخص:

يتناول هذا البحث إشكالية عميقة تتمثل في التحديات التي يواجهها المؤرخ التقليدي في عصر الخوارزميات والرقمنة الشاملة، حيث لم تعد الوثيقة الورقية أو التسلسل الزمني الخطي كافيين لتفسير الظواهر التاريخية أو إعادة بناء الماضي، فالمؤرخ يجد نفسه أمام واقع جديد تتداخل فيه التقنية مع المعرفة، مما يفرض إعادة صياغة أدواته ومناهجه، في المبحث الأول، يستعرض البحث التحول الكبير في أدوات المؤرخ مع الانتقال إلى البيئة الرقمية، بدءًا من الأرشفة الإلكترونية التي أتاحت تخزين كمّ هائل من الوثائق، وصولًا إلى تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تساعد في تحليل البيانات الضخمة واستخراج الأنماط التاريخية المخفية.

هذا التحول لا يقتصر على الجانب التقني، بل يفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقات بين النصوص ، أما المبحث الثاني فيركز على الدور الحاسم للخوارزميات في تشكيل الذاكرة الجمعية، إذ تتحكم في ما يُعرض للجمهور وما يُهمّش أو يُنسى، مما يجعل التاريخ عرضة لإعادة الترتيب وفق منطق تقني لا يخلو من الانحيازات، فالخوارزميات لا تعمل في فراغ، بل تعكس مصالح اقتصادية وسياسية وثقافية، وهو ما يفرض

على المؤرخ أن يكون واعيًا بآليات التصفية والاختيار التي تحدد ما يبقى في الذاكرة العامة وما يُمحى منها ، وفي المبحث الثالث، يرصد البحث تحوّل السرد التاريخي من الخطية التقليدية إلى التشعب الشبكي، حيث تتقاطع الأحداث والوقائع في مسارات متعددة، ويصبح التاريخ أقرب إلى شبكة مترابطة من المعاني، هذا التحول يفرض إعادة النظر في مفاهيم أساسية مثل "المصدر"، و"التحقق"، و"الحياد"، إذ لم يعد بالإمكان التعامل معها بالمنطق القديم في ظل تعدد الأصوات وتنوع المنصات الرقمية .

ويخلص البحث في النهاية إلى ضرورة إيجاد توازن دقيق بين الكفاءة التي توفرها الأدوات الرقمية وبين المنهجية النقدية التي تضمن للمؤرخ الحفاظ على موضوعيته وصرامته العلمية، بحيث يظل التاريخ علمًا نقديًا قادرًا على مقاومة التبسيط الذي تفرضه الخوارزميات.

الكلمات المفتاحية : التاريخ الرقمي – الخوارزميات – السرد الشبكي – الذاكرة الجمعية

المقدمة:

في العقود الأخيرة، شهدت الكتابة التاريخية تحولات جذرية نتيجة للتقدم الرقمي المتسارع، لم يعد دور المؤرخ مقتصرًا على البحث في الأرشيفات الورقية أو الاعتماد على الروايات الشفوية فحسب، بل أصبح محاطًا بنظام رقمي متكامل يعيد تشكيل أدواته ومنهجيته وعلاقته بالماضي، لقد أتاح التحول الرقمي إمكانيات غير مسبوقة للوصول إلى مصادر تاريخية كانت محجوزة في الأرفف أو مهددة بالزوال، من خلال مشاريع رقمنة الوثائق والمخطوطات، وتطوير قواعد بيانات ضخمة تربط بين الأحداث والشخصيات والأنساق الزمنية والجغرافية. (العابد،٢٠٢٥،ص ١٦٨-١٨٣)

في هذا الإطار، لم تعد السرديات التاريخية تُبنى فقط على اجتهادات فردية أو قراءات تقليدية، بل أصبحت تتشكل في بيئة رقمية تتيح للمؤرخ إعادة تركيب الماضي باستخدام أدوات تحليل النصوص، ونمذجة ثلاثية الأبعاد، ومحاكاة افتراضية للوقائع. هذه الأدوات لا تسهل العمل الأكاديمي فحسب، بل تفتح آفاقًا جديدة لفهم التاريخ ككيان ديناميكي قابل لإعادة التفسير والتأويل وفقًا للبيانات الرقمية المتجددة. (عفيفي،٢٠٢٥)

ومع ذلك، لم يأتِ هذا الانفتاح الرقمي دون تبعات معرفية ومنهجية. فمع صعود الخوارزميات كوسيط رئيسي في تنظيم المعلومات وتقديمها، بدأت تظهر أنماط جديدة من التوجيه الخفي للوعي التاريخي، أصبحت المنصات الرقمية، بما تمتلكه من قدرة على ترتيب النتائج وتصفية المحتوى، تلعب دورًا غير معلن في تحديد ما يُرى وما يُنسى، وما يُضخّم وما يُهمّش. (رحموني،٢٠٢٥،ص١٠٨-١٢٦)

وبذلك، لم تعد السرديات التاريخية تُنتج فقط في قاعات الجامعات أو بين دفّات الكتب، بل باتت تتشكل أيضًا في فضاءات رقمية تحكمها منطق الخوارزميات، مما يعيد تشكيل الذاكرة الجمعية وفقًا لمعادلات قد تحمل تحيزات أو انتقائية، إن هذه الذاكرة، التي كانت تُبنى تقليديًا عبر التراكم والتوثيق، أصبحت اليوم عرضة لإعادة الترتيب اللحظي وفقًا لمعايير اقتصادية وسياسية تحددها خوارزميات المنصات الرقمية، مما يفرض على المؤرخ المعاصر يقظة مضاعفة في التعامل مع هذه البيئة الجديدة.

أولا– مشكلة البحث:

في عصر التحول الرقمي السريع، لم يعد كتابة التاريخ مقتصرًا على المؤرخين التقليديين، بل أصبحت تتأثر بشكل كبير بالمنصات الرقمية والخوارزميات التي تعيد تشكيل الذاكرة الجماعية والسرديات التاريخية، يواجه المؤرخ المعاصر تحديًا كبيرًا في الحفاظ على أدواته النقدية في بيئة معرفية تتسم بالتفكك والتعقيد، حيث يتم التحكم بشكل غير مرئي في تدفق المعلومات، ومن هنا تنبثق إشكالية هذا البحث: كيف أثّر التحول الرقمي والخوارزميات على أدوات المؤرخ، وعلى بنية السرد التاريخي، وعلى سلطة إنتاج المعرفة التاريخية؟

ثانيا– أسئلة البحث:

1. كيف غيّر التحول الرقمي أدوات المؤرخ التقليدي في جمع وتحليل المصادر؟
2. ما دور الخوارزميات في تشكيل الذاكرة التاريخية وتوجيه السرديات؟
3. كيف أثّر منطق التشعب الشبكي على الخطية الزمنية في السرد التاريخي؟
4. ما التحديات المنهجية التي يواجهها المؤرخ في بيئة رقمية تهيمن عليها المنصات الخاصة؟

ثالثا– أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في تناوله لموضوع حيوي يمس جوهر الممارسة التاريخية في عصر التكنولوجيا الرقمية، فهو يسلط الضوء على التحولات الفكرية والمنهجية التي يواجهها المؤرخون في هذا السياق، كما يسهم في توضيح العلاقة المعقدة بين التكنولوجيا والذاكرة الجماعية، ويطرح تساؤلات نقدية حول مدى حيادية الخوارزميات وسلطة المنصات الرقمية في إعادة تشكيل التاريخ.

رابعا– أهداف البحث:

١. دراسة تأثير التحول الرقمي على أدوات المؤرخ وأساليبه البحثية.
٢. استكشاف كيفية تأثير الخوارزميات في إعادة صياغة الذاكرة التاريخية.
٣. تحليل تغيرات السرد التاريخي من الشكل الخطي إلى التفرع الشبكي.
٤. تقييم الصعوبات التي يواجهها المؤرخ في الحفاظ على منهجية نقدية في ظل بيئة رقمية متطورة.

خامسا- فرضية البحث:

يفترض هذا البحث أن التحول الرقمي، بما يحمله من خوارزميات ومنصات إلكترونية، لا يقتصر على رقمنة المصادر التاريخية فحسب، بل يعيد تشكيل هيكل السرد التاريخي وسلطة إنتاجه، وهذا يتطلب من المؤرخ إعادة النظر في مفاهيم مثل "المصدر" و"التحقق" و"الحياد"، لمواكبة بيئة معرفية جديدة تتسم بالتجزئة والتوجيه غير المباشر.

سادسا- منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، من خلال دراسة الأدبيات المعاصرة حول التاريخ الرقمي والخوارزميات، وتحليل نماذج تطبيقية لمشاريع رقمنة أرشيفية ومنصات سرد رقمي، كما يوظف المنهج المقارن لرصد الفروق بين السرديات التقليدية وتلك التي تنتجها الخوارزميات، مع الاستعانة بأمثلة من الواقع العربي والغربي لتوسيع آفاق التحليل.

المبحث الأول- التحول الرقمي وتطور أدوات المؤرخ:

شهدت العلوم الإنسانية في العقود الأخيرة تحولات جذرية بفعل الثورة الرقمية، التي لم تقتصر آثارها على وسائل التواصل أو الاقتصاد فحسب، بل امتدت إلى بنية المعرفة التاريخية ذاتها، فقد أصبح المؤرخ المعاصر يتعامل مع بيئة معرفية جديدة تتسم بتدفق غير مسبوق للمعلومات، وتنوع في أشكال المصادر، وتطور في أدوات التحليل، ولم يعد هذا التحول مجرد خيار تقني يمكن الاستغناء عنه، بل تحول إلى ضرورة منهجية تفرض على الباحث إعادة النظر في أدواته وأسئلته ومفاهيمه. (Zaagsma,2023,p842)

لقد أفرزت الثورة الرقمية واقعًا معرفيًا يقوم على وفرة البيانات الضخمة (Big Data) التي تتطلب مهارات جديدة في الفرز والتصنيف والتحليل، كما أوجدت مصادر غير تقليدية مثل الأرشيفات الرقمية، والمكتبات الإلكترونية، ومنصات التواصل الاجتماعي التي أصبحت بدورها حقولًا غنية لدراسة الوعي الجمعي والذاكرة الثقافية، هذا التنوع في المصادر يضع المؤرخ أمام تحديات تتعلق بمدى موثوقية المادة التاريخية، وكيفية التحقق من أصالتها في ظل سهولة التلاعب بالمحتوى الرقمي. (حمزة،٢٠٢٣،ص١٣٤)

إلى جانب ذلك، فرضت الأدوات الرقمية الحديثة مثل تقنيات التحليل الكمي، والذكاء الاصطناعي، وخوارزميات البحث المتقدم، تحولًا في منهجية البحث التاريخي، حيث لم يعد المؤرخ يكتفي

بالقراءة النقدية للنصوص، بل أصبح مطالبًا بتوظيف أدوات متعددة لفهم الأنماط والاتجاهات الكبرى داخل المادة التاريخية، وهكذا، فإن الثورة الرقمية لم تغيّر فقط طبيعة المصادر، بل أعادت تشكيل علاقة المؤرخ بالزمن والذاكرة والمعرفة، لتصبح ممارسة التاريخ اليوم أكثر انفتاحًا على العلوم الأخرى، وأكثر وعيًا بالبعد التكنولوجي الذي يفرض نفسه كجزء لا يتجزأ من العملية البحثية. (مراد،٢٠٢٢، ص١٢)

من أبرز مظاهر هذا التحول الرقمي، رقمنة الوثائق والمخطوطات التاريخية، حيث أُعيدت ملايين الصفحات إلى الحياة من خلال تحويلها إلى صيغ إلكترونية قابلة للبحث والفهرسة، هذه العملية لم تقتصر على الحفظ، بل أتاحت إمكانيات جديدة في تحليل النصوص، والمقارنة بين النسخ، وتتبع التعديلات التاريخية، مما منح المؤرخ أدوات دقيقة لفهم تطور الخطاب التاريخي عبر الزمن. (عباس،٢٠٢٥،ص ص ٣٧-١١٢).

كما ساهم الذكاء الاصطناعي في تطوير أدوات المؤرخ، من خلال تقنيات معالجة اللغة الطبيعية التي تتيح تحليل النصوص التاريخية واستخلاص الأنماط والمفاهيم المتكررة، هذه التقنيات مكّنت من تحليل كميات ضخمة من البيانات في وقت قياسي، مما ساعد في الكشف عن علاقات خفية بين الأحداث والشخصيات التاريخية، وساهم في إعادة بناء السرديات على أسس كمية ونوعية أكثر دقة. (عزوز ،٢٠٢٥،ص ص ٨٧-٩٩)

إلى جانب ذلك، برزت نظم المعلومات الجغرافية (GIS) كأداة حيوية في البحث التاريخي، حيث مكّنت من تتبع التحولات المكانية للأحداث وربطها بالسياقات الاجتماعية والاقتصادية، من خلال هذه النظم، أصبح بالإمكان إنتاج خرائط تفاعلية تُظهر التغيرات عبر الزمن، مما أضاف بعدًا بصريًا للسرد التاريخي وساهم في كشف علاقات كانت خفية في السرديات التقليدية. (فريق تحرير موقع آثار، 2025)

كما ساعدت قواعد البيانات الضخمة في تنظيم المعلومات التاريخية وربطها زمنياً وجغرافياً، مما سهّل عمليات البحث والاسترجاع، وفتح المجال أمام المؤرخين لاختبار فرضياتهم ومقارنة الروايات التاريخية المختلفة، هذه القواعد لم تعد مجرد مخازن للمعلومات، بل أصبحت أدوات تحليلية تتيح للمؤرخين بناء نماذج تفسيرية أكثر تعقيدًا وشمولًا.(الحسن،٢٠٢٣، ص ص ٢١١-٢٤٤)

وقد شهدت المنطقة العربية مبادرات رائدة في مجال رقمنة التراث، مثل رقمنة الوثائق العثمانية والمخطوطات الإسلامية، مما ساهم في حفظ الذاكرة التاريخية وإتاحتها للباحثين والجمهور العام ، هذه المبادرات لم تقتصر على الحفظ، بل وفرت بيئة رقمية تفاعلية تسمح بإعادة قراءة التاريخ من زوايا متعددة، وتوسيع دائرة المشاركة في إنتاج المعرفة التاريخية. (عباس،٢٠٢٥)

إن التحول الرقمي لم يُلغِ المنهج التاريخي التقليدي، بل فرض عليه أن يتطور ويتكيف مع بيئة جديدة تتطلب مهارات مختلفة ووعيًا نقديًا بالأدوات المستخدمة، فالمؤرخ المعاصر لم يعد مجرد قارئ للمصادر، بل أصبح مبرمجًا ومحللاً للبيانات، يتفاعل مع الخوارزميات ويعيد توجيهها لخدمة أهداف البحث التاريخي، وبينما تفتح هذه الأدوات آفاقًا واسعة لإعادة بناء السرديات، فإنها تفرض في الوقت ذاته مسؤولية مضاعفة في التحقق من المعلومة، وتمييز الحقيقة من التحيز، والحفاظ على استقلالية التأريخ في مواجهة منطق المنصات الرقمية. (يوسوفي،٢٠٢٣،ص ص ٢٢٥-٢٣٨)

المبحث الثاني– الخوارزميات وإعادة تشكيل الذاكرة التاريخية:

أحدثت الخوارزميات الرقمية تحولًا جذريًا في بنية الذاكرة التاريخية، إذ لم تعد هذه الذاكرة تُبنى فقط عبر التوثيق الأكاديمي أو السرديات الرسمية، بل باتت تتشكل في بيئة رقمية تُعيد ترتيب الماضي وفقًا لمعايير غير مرئية، فالخوارزميات التي تدير محركات البحث ومنصات التواصل الاجتماعي لا تكتفي بعرض المعلومات، بل تختار وتُبرز وتُخفي، مما يجعلها فاعلًا غير مرئيًا في صناعة الوعي التاريخي، إن هذا التحول يضعنا أمام ذاكرة تاريخية هجينة، تتقاطع فيها سلطة المؤسسات الأكاديمية مع سلطة التقنية، حيث يصبح الماضي مادة قابلة لإعادة التشكيل وفقًا لمقتضيات السوق الرقمي، وخوارزميات التفاعل، ومعايير الانتشار، وبذلك، فإن ما يُستدعى من التاريخ في الفضاء الرقمي ليس مجرد انعكاس محايد للوقائع، بل هو نتاج عمليات انتقاء وترتيب وإعادة سرد، تُعيد صياغة العلاقة بين الأفراد والمجتمعات وماضيهم. (مهنا، ٢٠٢٥)

كما أن هذه الخوارزميات تُدخل عنصر الزمن في عملية التذكر، فهي تُعيد إنتاج الماضي بما يتوافق مع اللحظة الراهنة، وتُبرز أحداثًا أو شخصيات حين يتزايد الاهتمام بها، بينما تُهمّش أخرى تغيب عن دوائر التفاعل، وهكذا، تتحول الذاكرة التاريخية إلى فضاء ديناميكي متغير، يتأثر بالضغوط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويعكس في الوقت نفسه التوازنات الخفية بين ما يُراد تذكّره وما يُراد نسيانه، إننا

أمام مشهد جديد تُصبح فيه الذاكرة التاريخية نتاجًا لتفاعل معقد بين الإنسان والآلة، بين الرغبة في حفظ الماضي والقدرة التقنية على إعادة تشكيله، وهو ما يفتح الباب أمام أسئلة نقدية حول مصداقية هذه الذاكرة، وحدودها، وإمكاناتها في تشكيل الهوية الجماعية.(Jacobsen,2024,p2878)

في هذا السياق، أصبحت المنصات الرقمية وسيطًا رئيسيًا في تداول السرديات التاريخية، حيث تُعيد خوارزميات التوصية ترتيب الأحداث والوقائع بناءً على معدلات التفاعل، لا على أساس القيمة المعرفية أو الدقة الأكاديمية، هذا الترتيب القائم على الجاذبية الرقمية يُفضي إلى تضخيم بعض الروايات وتهميش أخرى، مما يؤدي إلى تشويه تدريجي في تمثيل الماضي داخل الوعي الجمعي. (زكي، الحديدي، ٢٠٢٥،ص ص١٠١-١٤٣)

تُظهر الدراسات أن الخوارزميات لا تعمل في فراغ، بل تتغذى على بيانات المستخدمين وسلوكهم، مما يجعلها تعكس تحيزات المجتمع وتُعيد إنتاجها، في السياق التاريخي، يعني ذلك أن بعض السرديات التي تتماشى مع المزاج العام أو الخطاب السائد تُمنح أولوية في الظهور، بينما تُقصى الروايات البديلة أو الهامشية، حتى وإن كانت موثقة أو ذات أهمية تحليلية. (نعيم ،٢٠٢٥، ص ص ٤٣٥-٤٨٤)

كما أن الاعتماد المتزايد على نتائج البحث الرقمي في الدراسات التاريخية يُضعف من قدرة المؤرخ على التحكم في أدواته، إذ باتت نتائج البحث خاضعة لترتيب خوارزمي لا يُفصح عن معاييره، هذا الغموض يُقوّض من استقلالية الباحث، ويجعل من الضروري تطوير وعي نقدي بالخوارزميات التي تُنتج المعرفة وتُعيد توزيعها. (النشرتي،٢٠١٢،ص ص٩٧-١٣٩)

من جهة أخرى، فتحت البيئة الرقمية المجال أمام فاعلين جدد في إنتاج التاريخ، مثل المستخدمين العاديين، ومنشئي المحتوى، والمبرمجين، مما أدى إلى تداخل بين التأريخ الأكاديمي والتأريخ الشعبي، هذا التداخل قد يكون مثمرًا من حيث تعدد الأصوات، لكنه يطرح تحديات تتعلق بالتحقق من المعلومة، وضبط المعايير، ومقاومة التضليل الرقمي. (بولمناخر،٢٠٢٢،ص ص ١٠٥-١٢٣)

تُظهر بعض المنصات الرقمية كيف يمكن للخوارزميات أن تُعيد تشكيل الذاكرة الجمعية من خلال التكرار والانتقائية، حيث تُعاد مشاركة أحداث معينة بشكل مكثف بينما تُهمل أخرى، مما يؤدي إلى ترسيخ

صور ذهنية مشوهة عن الماضي، هذه الآلية تُعيد إنتاج التاريخ وفقًا لمنطق السوق الرقمي، لا وفقًا لمعايير التوثيق والتحقيق. (مهنا،٢٠٢٥)

في ظل هذه التحولات، يجد المؤرخ نفسه أمام مسؤولية مزدوجة: من جهة، الاستفادة من الأدوات الرقمية لتوسيع أفق البحث وإثراء السرد، ومن جهة أخرى، مقاومة الانزلاق نحو سرديات مصنّعة أو موجّهة رقميًا، وبين هذين القطبين، تتشكل اليوم ملامح جديدة للمهنة التاريخية، حيث يتقاطع الماضي مع المستقبل في فضاء رقمي يعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والذاكرة، وبين الحقيقة والتقنية. (رازقي،٢٠٢٢،ص٤٣)

المبحث الثالث – السرد التاريخي في زمن الخوارزميات: من الخطية إلى التشعب:

في خضم الثورة الرقمية التي تعصف بالعالم، لم يعد التاريخ مجرد تسلسل خطي للأحداث، بل أصبح ساحة مفتوحة لإعادة صياغة وتأويل، مدفوعًا بقوة الخوارزميات التي تعيد ترتيب الأولويات وتعيد تشكيل الذاكرة الجماعية، لم تعد كتابة التاريخ حكرًا على المؤرخين التقليديين، بل أصبحت عملية تشاركية تتداخل فيها أدوات الذكاء الاصطناعي، ومنصات التواصل الاجتماعي، ومحركات البحث، لتولد سرديات جديدة تتجاوز القيود الزمنية، وتفتح المجال لتعدد الأصوات ووجهات النظر.(مروة ،٢٠٢٥)

إن هذا التحول يعكس انتقال الذاكرة من كونها محفوظة في الأرشيفات والمؤسسات الرسمية إلى كونها شبكة ديناميكية تتشكل لحظة بلحظة عبر التفاعل الرقمي، حيث تُعاد صياغة الماضي وفقًا لمقتضيات الحاضر وضغوطه، كما أن هذه البيئة الرقمية تُتيح إمكانات غير مسبوقة لتداول الروايات المهمشة وإبرازها، لكنها في الوقت نفسه تُخضع الذاكرة لمنطق الخوارزميات الذي قد يُعيد إنتاج التحيزات ويُرسّخ أشكالًا جديدة من النسيان، وهكذا، يغدو التاريخ في العصر الرقمي فضاءً مفتوحًا للتفاوض بين السلطة التقنية والفاعلين الاجتماعيين، بين الرغبة في التعددية والقيود التي تفرضها البنية الخوارزمية.(Hoskins,2017,p176)

هذا التحول ليس مجرد تقدم تقني، بل هو ثورة في بنية السرد التاريخي نفسه، ففي السابق، كان المؤرخ يختار بعناية ما يرويه وما يسكت عنه، أما اليوم، فقد أصبحت الخوارزميات تلعب دور "المنسق السردي"، حيث تبرز بعض الروايات وتخفي أخرى بناءً على معايير لا تتبع منطق البحث الأكاديمي، بل منطق التفاعل والانتشار والربحية، وهكذا، فإن المحتوى التاريخي الذي يُعرض على المستخدم لم يعد نتاج

عملية نقدية صارمة، بل نتيجة خوارزمية تفضل ما يجذب الانتباه على ما يعمق الفهم.(الخضراوي،٢٠٢٠،ص ص ٧٩-١٠٠)

في هذا الإطار، تتغير مفاهيم أساسية في كتابة التاريخ، لم يعد "الحدث" هو الوحدة الأساسية للسرد، بل أصبح "البيان" أو "المنشور" أو "الوسم" هو ما يُبنى عليه التأريخ، تتفكك العلاقة بين الزمن والسببية، ليحل محلها منطق الترابط الشبكي، حيث يمكن للقارئ الانتقال من حدث في القرن التاسع عشر إلى تغريدة حديثة في ثوانٍ، دون الحاجة إلى مسار زمني منطقي، هذا التشظي في السرد يخلق نوعًا من "اللازمنية" التي تُضعف قدرة التاريخ على تقديم تفسير سببي متماسك، وتحوله إلى فسيفساء من الشذرات.(زيدان،٢٠٢٢،ص ٢٧٢)

ومع هذا التحول، تبرز إشكالية جديدة تتعلق بسلطة السرد. ففي الماضي، كانت المؤسسات الأكاديمية والأرشيفات الوطنية تملك مفاتيح الذاكرة، أما اليوم، فقد انتقلت هذه السلطة إلى منصات رقمية خاصة، تُدار بخوارزميات لا تخضع للمساءلة العامة، هذه المنصات لا تكتفي بعرض التاريخ، بل تعيد تشكيله وفقًا لمعاييرها الخاصة، مما يثير تساؤلات حول من يملك الحق في كتابة التاريخ، ومن يقرر ما يُنسى وما يُتذكر.(فايز،٢٠٢٢،ص٨٧)

في ظل هذه المعطيات، يجد المؤرخ نفسه أمام تحدٍ مزدوج: من جهة، عليه أن يتقن أدوات التحول الرقمي ليظل فاعلًا في ساحة إنتاج المعرفة، ومن جهة أخرى، عليه أن يحافظ على منهجيته النقدية في مواجهة سطوة الخوارزميات، فالتاريخ الرقمي لا يعني فقط رقمنة المصادر، بل يستدعي إعادة نظر جذرية في مفاهيم مثل "المصدر"، "التحقق"، و"الحياد"، إذ أن الخوارزميات، رغم حيادها الظاهري، تحمل في طياتها تحيزات مضمرة، قد تعيد إنتاج سرديات إقصائية أو تهميشية دون وعي المستخدم أو المؤرخ.(العابد،٢٠٢٥،ص ٩٢)

إن السرد التاريخي في عصر الخوارزميات لم يعد مجرد نقل للماضي، بل أصبح ساحة صراع على المعنى، وعلى من يملك حق التفسير. وبينما تتيح الأدوات الرقمية إمكانيات هائلة للوصول إلى مصادر متنوعة، فإنها في الوقت ذاته تفرض إيقاعًا سريعًا، وتفضل المحتوى المختصر، مما قد يُضعف من عمق التحليل

التاريخي، وهكذا، فإن التحدي الأكبر أمام المؤرخ المعاصر لا يكمن فقط في استخدام الأدوات الرقمية، بل في الحفاظ على روح النقد التاريخي وسط ضجيج البيانات.

الخاتمة:

في خضم التحولات الرقمية السريعة، لم يعد التاريخ يُدوَّن باستخدام الأدوات التقليدية التي اعتاد عليها المؤرخون، بل أصبح ساحة مفتوحة حيث تتداخل الخوارزميات مع الذاكرة، وتتقاطع السرديات مع منطق الشبكات. سعى هذا البحث لاستكشاف تأثير هذه التحولات على هيكل السرد التاريخي، ودور المؤرخ في معادلة إنتاج المعرفة.

النتائج:

1. أدى التحول الرقمي إلى توسيع أدوات المؤرخ، لكنه في ذات الوقت خلق تحديات تتعلق بالتحقق من المصادر الرقمية وموثوقيتها.
2. أصبحت الخوارزميات لاعبًا غير مرئي في تشكيل الذاكرة الجماعية، مما يهدد حيادية السرد التاريخي ويعيد إنتاج أنماط من التهميش والإقصاء.
3. تراجعت الخطية الزمنية لصالح منطق التشعب الشبكي، مما أضعف البنية السببية للسرد التاريخي وفتح المجال أمام سرديات متوازية ومجزأة.
4. يواجه المؤرخ المعاصر ضرورة التوازن بين الكفاءة الرقمية والمنهجية النقدية، للحفاظ على استقلالية التأريخ في بيئة رقمية موجهة.

التوصيات:

1 .ضرورة دمج التدريب على أدوات التحول الرقمي ضمن مناهج كليات التاريخ والعلوم الإنسانية.

2 . تطوير آليات نقدية لتحليل الخوارزميات وفهم تحيزاتها، بما يضمن وعيًا أكبر بتأثيرها على إنتاج السرديات.

3 .إنشاء أرشيفات رقمية مستقلة تخضع لمعايير أكاديمية واضحة، بعيدًا عن سيطرة المنصات التجارية.

4 .تشجيع الأبحاث البينية التي تجمع بين التاريخ، وعلوم البيانات، والدراسات الإعلامية لفهم أعمق لتحولات الذاكرة والسرد.

قائمة المراجع :

أولا– مقالات و مجلات :

1. بولمناخر، ناجي. (2022). البحث العلمي في ظل البيئة الرقمية: تحديات الواقع وآفاق المستقبل. مجلة دفاتر المتوسط، 6(2).
2. حمزة؛ أحمد فيصل.(٢٠٢٥)، الثورة الرقمية وأثرها في المجتمعات مقارنة بالثورات التاريخية الكبرى، مجلة المنافذ الثقافية،(٥٣).
3. الحسن، شيماء أحمد. (2023). البيانات الضخمة وتحليلاتها: مراجعة علمية. المجلة الدولية للعلوم التربوية والإنسانية المعاصرة، 2(2).
4. الخضراوي، إدريس. (2020). من التاريخ إلى الرواية: الذاكرة الجمعية مصدرًا للسّرد. مجلة تبين، 9(33).
5. رازقي، محمد البشير. (2022). أن تكون مؤرّخًا في الزمن الرقمي: علم التاريخ ناظرًا ومنظورًا إليه. مجلة جيل علوم الإنسانية والاجتماعية، (88).
6. رحموني، لبنى. (2025). تحولات الذاكرة الجمعية في العصر الرقمي: من الحفظ التقليدي إلى المشاركة الرقمية. مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، 11(1).
7. زكي، أمينة فوزي، والحديدي، منى سعيد. (2025). العلاقة بين تصميم واجهة المستخدم وخوارزميات التوصية في تشكيل تفضيلات المستخدمين على المنصات الرقمية بالتطبيق على المنصات التلفزيونية الرقمية نتفلكس وشاهد VIP وواتش إت. المجلة العلمية لبحوث الإذاعة والتلفزيون، 2025(33).
8. زيدان، أحمد سعيد السيد. (2022). كتابة التاريخ الحديث والمعاصر في ظل الثورة المعرفية والتسجيل الإليكتروني للمعلومات. مجلة الإنسانيات، 2022(58).
9. العابد، نائلة. (2025). التاريخ الرقمي: كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي كتابة التاريخ؟ المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 9(1).

10. عباس، هبة محمود مصطفى. (2025). استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في رقمنة وتحليل الصحف التاريخية وعناصرها المقروءة والمصورة: دراسة تحليلية من المستوى الثاني. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، 2025(92).
11. عزوز، فؤاد. (2025). دور تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراسة التراث المادي – الأرشيف المكتوب أنموذجًا. مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، 17(2).
12. فايز، فاطمة. (2022). الاتجاهات الحديثة في سرد القصة الرقمية وعلاقتها بتفضيلات الجمهور المصري. المجلة المصرية لبحوث الاتصال الجماهيري، 4(1).
13. مراد، غسان. (2022). التحول ومستقبل العلوم الرقمية الاجتماعية والإنسانية. مجلة إشراف المستقبل، 6(6).
14. نعيم، أحمد كامل حامد. (2025). تجريم التحيز الخوارزمي وآليات الحد منه (دراسة مقارنة). مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، 61(4).
15. النشرتي، مؤمن سيد عثمان. (2012). التحديات التي تواجه خوارزميات محركات البحث في استرجاع المحتوى العربي على الشبكة العنكبوتية العالمية: دراسة مسحية تحليلية. مجلة البوابة العربية للمكتبات والمعلومات، (29).
16. يوسوفي، كريم. (2023). تطور المنهج في التاريخ من الفترة القديمة إلى المرحلة المعاصرة. المجلة العربية لعلم الترجمة، 2(3).

ثانيا–المراجع والمصادر الأجنبية:

1. Jacobsen;Benjamin N,(2024),When is the right time to remember? Social media memories, temporality and the kairologic,New Media & Society,26(5).
2. Hoskins,Andrew,(2017),Digital Memory Studies Media Pasts in Transition,1st Edition,New York،(n.p).
3. Zaagsma;Gerben,(2023), Digital History and the Politics of Digitization,Digital Scholarship in the Humanities,38(2).

ثالثا– الروابط الإلكترونية:

1. عفيفي، همسة. (2025). أحدث أدوات البحث التاريخي. مدونة إتقان. https://www.itqanx.com/blog/post/180/%D8%A3%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%AA-

%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A
%D8%AE%D9%8A%

2 . عباس، نور. (2025). رقمنة المخطوطات العربية. مدونة سماوي.
https://blog.samawy.com/digitizing-arabic-manuscripts

3 . فريق تحرير موقع آثار. (2025). بحث حول تاريخ برامج نظم المعلومات الجغرافية GIS Software وتطبيقاته العامة وفي علم الآثار. آثار.
https://www.2thar.com/2023/11/GIS-Software.html

4 . مروة، ماهرة،(٢٠٢٥)،تداعيات الذكاء الاصطناعي والانظمة الرقمية في دراسة التاريخ،بوابة التربية.
https://tarbiagate.com/archives/48077

5 . مهنا، سوسن. (2025). الذاكرة الرقمية: من يكتب التاريخ في زمن الخوارزميات؟ اندبندنت عربية.
https://www.independentarabia.com/node/636037

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Al-Mu'ayya Al-Hilli Family and Its Role and Its Cultural and Scientific Contributions

asam Fakhri Barto Al-Shammari
University of Babylon
asam52283@gmail.com

Abstract:

The study of the intellectual activity of any human group in any historical period is considered one of the important fields in examining the civilizational development of humanity, as this field reveals to us the reality of society and its potential to contribute to human civilization through giving and creativity, clarifying its contribution and impact in serving the progression of thought. Since its founding in the year 495 AH / 1101 AD and throughout its long history, Hillah has been a city of knowledge and a center of culture, becoming one of the most important centers of Islamic science and knowledge, forming a distinguished chapter in the illuminating history of our heritage,Hillah has played a significant intellectual role throughout its history, as its people had a sincere desire to continue the scientific renaissance in its various arts, forms, and disciplines. Therefore, it produced a multitude of esteemed scholars who remain a source of pride, having a significant impact on the trajectory of knowledge. A large number of scholars, jurists, doctors, philosophers, writers, and poets emerged in Hillah, gaining widespread renown, contributing to Islamic sciences, as well as Arab arts and literature. At that time, the market of Islamic knowledge, literature, and culture was thriving. As a result, there emerged distinguished scholarly families who played a pivotal role in establishing and advancing knowledge in this city.

.

Keywords: Al-Ma’iyah family, Al-Hilla, cultural role, scientific role.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

اسرة آل مُعية الحلية ودورها ودورها الثقافي والعلمي

م.م عصام فخري برتو الشمري
مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العراق
asam52283@gmail.com

ملخص:

فإن دراسة النشاط الفكري لأية مجموعة بشرية في أية حقبة زمنية تعد من الميادين المهمة في دراسة التطور الحضاري للإنسان، إذ إنَّ هذا الميدان يبين لنا حقيقة المجتمع وإمكاناته في رفد الحضارة الإنسانية بالبذل والعطاء، موضحاً إسهامه وأثره في خدمة حركة الفكر. لقد كانت الحلة منذ تأسيسها سنة (495هـ/ 1101م) وعبر تاريخها الطويل، مدينة علم ومركز ثقافة، وأصبحت من أهم حواضر العلم والمعرفة الإسلامية، إذ شكلت صفحة مشرفة من صفحات تاريخنا المنير.

إن للحلة دوراً فكرياً مهماً على امتداد تاريخها، فقد كان للحليين الرغبة الصادقة في مواصلة النهضة العلمية باختلاف فنونها وأشكالها واختصاصاتها؛ لهذا فقد أنجبت جمهرة من العلماء الأفذاذ الذين هم مفخرة لها، إذ كان لهم الأثر الكبير في مسيرة العلم. وقد نبغ في الحلة عدد كبير من العلماء والفقهاء والاطباء والفلاسفة والادباء والشعراء، فطبقت شهرتهم الذائعة الآفاق، وخدموا العلوم الاسلامية والفنون والآداب العربية، وكان يومذاك رواج سوق العلم والأدب والثقافة الاسلامية، ونتيجة لذلك فقد ظهرت أسر علمية عريقة كان لها الفضل في إرساء العلوم وتطورها في هذه المدينة.

الكلمات المفتاحية: اسرة آل معية، الحلة، الدور الثقافي، الدور العلمي.

المبحث الاول: قبسات من تاريخ أسرة آل مُعية الحسنية:

أسرة آل مُعية سادة حسنيون من عقب إبراهيم الغمر[1]، كانوا يسكنون قصر أبن هُبيرة(موضع قريب من الحائر يبعد نحو عشرين فرسخاً، ينسب الى يزيد بن عمر بن هُبيرة ابن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك ابن سعد بن عدي، وكان لما ولي العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان(117-132هـ/ 735-749م) بنى على فرات الكوفة مدينة فنزلها، ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 2/ 668؛ ياقوت الحموي،1979 ، 4/ 365؛ ابن الاثير، د ت، 3/ 41) ، وكان موطنهم الاول مدينة الكوفة ومن البيوتات العلمية المشهورة يومذاك، قال السيد النراقي(تاريخ الكوفة، ص 472):((من البيوتات الطالبية والعلوية في الكوفة بيت أبي علي الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن معية، ومعية أمه، وهو ابن الحسن بن الحسن بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر ابن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن عليه السلام))، ثم سكنوا الحلة، وتولى جماعة منهم النقابة وصدارة البلاد الفراتية (ابن عنبة،ص 170)

ويبدو ان سكنهم واستقرارهم في الحلة يرجع الى تاريخ قبل سقوط بغداد سنة (656هـ/ 1258م)، بسنوات عديدة، والدليل على هذا القول هو ما ورد من روايات توضح وجودهم في الحلة، فهناك رواية عن السيد تاج الدين محمد بن معية الحسني تدل على انهم من سكنة الحلة قبل سنة(646هـ/1248م)، ونص الرواية، قال العلامة المجلسي (المجلسي ,1983، 53/ 257):((قال السيد تاج الدين محمد بن معية الحسني أحسن الله اليه حدثني والدي القاسم بن الحسن بن معية الحسني تجاوز الله عن سيئاته ان المعمّر بن غوث السنبسي ورد الى الحلة مرتين إحداهما قديمة لا احقق تاريخها، والاخرى قبل فتح بغداد بسنتين، قال والدي: كنت حينئذ ابن ثمان سنوات، ونزل على الفقيه مفيد الدين ابن جهم، وتردد إليه الناس، وزاره خالي السيد تاج الدين بن معية، وأنا معه طفل ابن ثمان سنوات، ورأيته وكان شخصاً طوالاً من الرجال، يعد في الكهول، وكان ذراعه كانه الخشبة المجلدة، ويركب الخيل العتاق، وأقام أياماً بالحلة، وكان يحكي أنه كان احد غلمان الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، وأنه شاهد ولادة القائم عليه السلام)).

وهناك رواية اخرى ترجع سنة وجودهم في الحلة ما قبل هذا التاريخ، وجاءت هذه الرواية على لسان السيد فخار بن معد الموسوي (ت: 630هـ/1232م) إذ قال: ((حدثني الشريف النقيب أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي الحسني أصلح الله شأنه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة)). (فخار بن معد، ص 364

وكان لآل مُعية مكانة اجتماعية كبيرة في الاوساط الحلية، فهم أهل الحل والعقد، وكلامهم وقراراتهم مسموعة ومطاعة، وخصوصاً بعد أن تقلدوا منصب النقابة، وقد اوضح ذلك ابن عنبة(ينظر: ابن عنبة، ص 170)قائلاً: ((... ولم يكن عوام أهل العراق ولا خواصهم ليسلموا ذلك الامر [أي منصب النقابة](لم تذكر المصادر المتيسرة لدينا تاريخ تقلد آل مُعية هذا المنصب) الى أحد من غير آل معية مادام منهم واحد، وكان من يتولى لباس الفتوة يعتزي إليه أهله، ويحكم بينهم فيطيعون أمره ويمتثلون مرسومه...)). يقول ابن عنبة: ((... تولى جماعة منهم [آل مُعية] النقابة وصدارة البلاد الفراتية، وفي عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي[575-622هـ/1179-1225م] جُعل لآل مُعية لباس الفتوة(الفتوّة: بالضم والتشديد، بمعنى الكرم والسخاء، هذا لغة، وفي عرف أهل التحقيق أن يؤثر الخلة على نفسه بالدنيا والآخرة، وصاحب الفتوة يقال له الفتى، ومنه **(لا فتى إلا علي)**، وأقدم من تكلم فيها الامام الصادق"ع"، ولباس الفتوة لباس معروف يلبسه رجال الفتوة شعاراً لهم، ينظر: الزبيدي ، 37/20)وهذا المنصب ميراث لهم...))(في ضوء المصادر المتيسرة لدينا لم نعثر على أي شخص من آل معية قد تقلد هذا المنصب خلال عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي وما بعده حتى نهاية الدولة العباسية) (ابن عنبة، ص 170) وهذه دلالة واضحة على أن أسرة آل معية لها ثقلها ومكانتها السياسية والاجتماعية والعلمية في الحلة، ونتيجة لذلك فقد تركوا أثر واضح جدا في الحياة العامة في الحلة، في العلم والمعرفة فضلاً عن الجانبين السياسي والاجتماعي.

وايضاً قال ابن عنبة في آل مُعية: ((بنو مُعية بالحلة، إلا أنهم سادة أجلاء عظماء ونقباء متقدمون ذو بيت جليل عظيم، وأصحاب وجاهة ونباهة ورياسة ونيابة ونعمة ضخمة، ومازالوا متقدمين عند الخلفاء الكبراء، وبني النقيب أبي منصور الحسن الزكي الثالث بن النقيب أبي طالب الزكي الثاني ابن أبي منصور الحسن الزكي الاول يعرفون ببني معية، ذوي جلالة ورياسة ونقابة وتقدم، أعقب النقيب أبو منصور الحسن الزكي الثالث من رجلين محمد والقاسم النقيب جلال الدين أبي جعفر، اما محمد بن الزكي الثالث فأعقب

من ولده النقيب تاج الدين جعفر الشاعر الفصيح، لسان بني حسن بالعراق...)).(ابن عنبة، ص170-171)

وكان لهذه الاسرة شأن كبير جدا في باقي المدن منها الكوفة فأصبحت من البيوتات العلمية المرموقة التي لها ثقلها السياسي والاجتماعي والعلمي، قال البراقي: ((بيت أبي علي الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن مُعية، ومُعية امه، وهو ابن الحسن بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن "ع"، من السادة الاشراف)). **(البراقي ,ص472)**

وقال الزركلي: ((... ومُعية بنت محمد بن حارثة الاوسية من بني الأوس، من أهل الكوفة، نسب إليها [بنو مُعية] وهم بطن من العلويين، منهم أبو الفوارس ناصر بن الحسن، وأخوه عبد الجبار بن الحسن المنسوب إليه مسجد الكوفة، ومحمد بن أحمد بن المحسن، حدث بواسط، وأخوه الحسن بن أحمد يعرف بالزكي ظهير الدولة النقيب، ومن ولده الامام تاج الدين ابن مُعية أحد الحفاظ في علم النسب))،**(الزركلي ، 7/ 275)**.وقد نبغ من هذه الاسرة اعلام افذاذ، تركوا بصمة طيبة كان لها الاثر الواضح والجليل في المجتمع الحلي بالتحديد، فبرع منها علماء في علوم شتى وفنون متنوعة، رفدت الحياة العلمية بشكل كبير، وسنسلط الضوء على افراد تلك الاسرة الحلة في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: تراجم رجال أسرة آل مُعية:

مثلت اسرة آل معية الأنموذج العلمي البارز في مدينة الحلة، مشاركة أسر الحلة العلمية الاخرى في هذا الدور، وكما هو حال كل الاسر العلمية في المدينة، فقد برز من هذه الاسرة اعلام علماء عاملون، شكلوا جزءاً من الحياة الثقافية في المدينة، وقد اشتركوا في مفاصل الفكر والعلم في مدينة الحلة وخارجها اسوة بغيرها من الاسر الحلية، وفيما يأتي نترجم لعدد من ابرز وأهم رجالها العلماء :

اولاً: السيد الصالح النقيب أبو منصور الحسن بن مُعية العلوي الحسني(ابن عنبة، ص165؛ النوري، 3/ 372)

أ/ شيوخه:

تتلمذ السيد ابو منصور الحسن بن معية على الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله بن جعفر بن محمد الدوريستي[2]،كان حياً سنة(447هـ/1054م)(ينظر الى نص الرواية: النوري، 1/ 352) العالم المحدث الفقيه(النوري، 3/ 27)قال الحر العاملي: ((كان عالماً فاضلاً صدوقاً جليل القدر، الامام الاجل...)).

ب/ تلاميذه:

روى عنه:

1- أبو محمد حسن بن حسولة بن صالحان القمي الخطيب (النوري، 3/ 37، ولم اعثر على سنة وفاته)
2- ابنه محمد بن الحسن بن معية العلوي(المجلسي، 35/ 135)
3- السيد فخار بن معد الموسوي الحلي (ت: 630هـ/ 1232م)، صاحب كتاب (الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب). (الشاهرودي، مستدركات على رجال الحديث، 3/ 58)

ثانياً: ابو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن مُعية العلوي الحسني(المجلسي ، 105/ 137؛النوري، 3/ 372) **كان حياً سنة (599هـ/1202م)**: (**فخار بن معد ، 1410ا,ص346**)

أ/ شيوخه:

روى ابو طالب محمد بن الحسن عن مشايخ مشهود لهم بالعلم والمعرفة والتقدم، ومن هؤلاء المشايخ: سلار بن حبيش البغدادي، قال السيد فخار بن معد الموسوي:((ولقد حدثني الشريف النقيب أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي الحسني أصلح الله شأنه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قال حدثني الشيخ سلار بن حبيش البغدادي رحمه الله وأنا قد رأيت سلاراً هذا واكان رجلا صالحاً...)). (ين فخار، ص363) وقال الشاهرودي (4/ 98): ((لم يذكروه، روى النقيب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي، عنه رواية شريفة))

. وقال الخوانساري(ص201): ((...ولم أظفر على مسمى بها [اي سلار]، في العلماء أو ملقب بها بعد هذا الرجل غير الشيخ الفاضل الماهر الاديب الشاعر سلار بن حبيش البغدادي الراوي عن الشيخ أبي الفوارس الشاعر المعروف وهو الذي يروي عنه السيد الشريف النقيب أبو طالب بن معية العلوي استاذ فخار بن معد الموسوي)).

وهنا يجب التنبيه على أن هناك شخصية أخرى تحمل اسم(سلار)، وهو حمزة بن عبد العزيز الديلمي الملقب بـ (سلار)، وهو فقيه إمامي، سكن بغداد ومات سنة (463هـ/1070م) او سنة (448هـ/1056م) (الامين، 7/ 107)في قرية خسرو شاه من قرى تبريز (السمعاني، 1/ 206) وهو صاحب كتاب (المراسيم العلوية في الاحكام النبوية)(الامين، 7/ 107) وهذا غير سلار المترجم الذي عُدَّ من شيوخ ابو طالب بن معية الحسني، والدليل ان السيد فخار بن معد الموسوي (فخاربن معد، ص 365)المتوفى سنة(630هـ/1232م) قال: ((وقد رأيت سلار هذا وكان رجلاً صالحاً)). ونلاحظ هناك الفرق واضح من حيث سني وفياتهم بين السيد فخار بن معد وحمزة بن عبد العزيز المعروف بـ (سلار)، وهذه اشارة على ان سلار بن حبيش البغدادي هو المقصود وليس حمزة بن عبد العزيز.

1- مشير الدين أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي حبيشي السروي المازندراني(الشهيد الثاني،، ص 261؛ المجلسي، بحار الانوار، 105/ 131)المتوفى سنة (588هـ/1192م) (ابن شهر آشوب، ص 1) وعنه روى السيد النقيب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي الصحيفة السجادية الكاملة(الامام زين العابدين" ع" ، ص 642، 644، 646، 655)

ب/ تلاميذه:

ممن روى عنه:

1- السيد فخار بن معد الموسوي، المتوفى سنة(630هـ/1232م) (النوري، ، 3/ 371)صاحب كتاب (الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب)، وقد روى عنه السيد فخار بن معد في هذا الكتاب، إذ قال: ((ولقد حدثني الشريف النقيب أبو طالب محمد بن الحسن بن محمد بن معية العلوي الحسني، أصلح الله شأنه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة))

(فخار بن معد، 1410،ص364)وقال الشاهرودي: ((روى عنه السيد فخار بن معد الموسوي...)). (مستدركات علم رجال الحديث، 3/ 58 ؛ الطباطبائي، 2/ 69)

2- ابنه ابي عبد الله جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن معية النوري، 3/ 372)، ووالده أحد رجال سنده في رواية الصحيفة السجادية (الامام زين العابدين "ع"، ص 642

ثالثاً: السيد جلال الدين أبو جعفر القاسم بن الحسين بن معية بن محمد بن القاسم بن معية بن سعيد الديباجي الحسني الحلي (ت668هـ/1269م) (ابن عنبة، 1410، ص166)

للسيد جلال الدين أبو جعفر عقب وهما: زكي الدين وتاج الدين، ففي ذلك قال ابن عنبه(عمدة الطالب، ص169): ((وله ابنان احدهما زكي الدين مات عن بنت وانقرض، والآخر شيخي المولى السيد العالم تاج الدين)).

أ/ شيوخه:

تتلمذ السيد جلال الدين أبو جعفر القاسم على يد علماء أجلاء جهابذة، كان لهم الفضل في بناء شخصيته العلمية، ومن هؤلاء العلماء:

1- السيد الاجل الفاضل رضي الدين أبو منصور هبة الله بن حامد بن احمد بن أيوب بن علي بن أيوب الحلي، الإمام الفقيه الاديب الكامل الامامي، المعروف بـ(عميد الرؤساء) (الكلباسي، 2/ 568).المتوفى سنة(610هـ/1213م) وقال الكلباسي ((... ويروي عنه السيد جلال الدين أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معية الحسني الديباجي كتاب الصحيفة الكاملة...)). وقال الحر العاملي (ينظر: 1406، 2/ 203): ((السيد عميد الرؤساء هبة الله... كان فاضلاً جليلاً، له كتب، وأنه كان من السادة الاجلاء...)).

2- الشيخ علي بن محمد بن علي بن محمد بن السكون، المتوفى سنة (606هـ/ 1209م)(الطهراني،1953 15/ 8)الفاضل الصالح الشاعر الاديب، كاتب وفقيه ومحدث، وتفقه على الفقه الامامي، وبرع فيه، وقام بتصحيح الصحيفة السجادية، والمصباح الكبير والصغير

للشيخ الطوسي، والأمالي للشيخ الصدوق(الحر العاملي، 1406، 2/ 203؛ المجلسي، إجازات الحديث، ص 246)

المعمر بن غوث السنبسي(النوري، 9/ 146) هو من المعمرين من غلمان الامام ابي محمد الحسن العسكري (عليه السلام)، وقد ورد الحلة مرتين: إحداهما قبل فتح بغداد بسنتين وأخبر بزوال ملك بني العباس قبل سنتين))(الشاهرودي، 7/ 466؛ النوري مستدرك الوسائل، 9/ 146؛ المجلسي53/ 253؛ النوري، 2/ 314) وقال السيد تاج الدين محمد بن معية الحسني: ((حدثني والدي القاسم بن الحسن بن معية الحسني تجاوز الله عن سيئاته ان المعمر بن غوث السنبسي ورد الى الحلة مرتين إحداهما قديمة لا احقق تاريخها، والاخرى قبل فتح بغداد بسنتين...)) (المجلسي ، 53/ 253؛ النوري، 2/ 314)

ب/ تلاميذه:

ممن تتلمذ عليه ابنه تاج الدين أبو عبد الله محمد، قال الحر العاملي(الحر العاملي، 2/ 219.)في ترجمته للسيد ابو جعفر القاسم بن الحسين بن معية الحسني:((يروي عنه ابنه محمد)).

ج/ أقوال العلماء فيه:

قال ابن عنبة ((... كان جليل القدر فاضلاً شاعراً، نال السيد جلال الدين القاسم الصدارة، وكان أبوه على قاعدة أبيه صدراً نقيباً بالفراتية، فعزل عن النقابة))، وقال الحر العاملي: ((السيد ابو جعفر القاسم ابن مُعية الحسني، فاضل صدوق، يروي عنه أبنه محمد))، وقال العلامة المجلسي (المجلسي ، 53/ 255،)((السيد جلال الدين أبو جعفر القاسم بن الحسن...ابن مُعية بن سعيد الديباجي الحسني، الفقيه الفاضل العالم الجليل، عظيم الشأن، تلميذ عميد الرؤساء وابن السكون، ومعاصر العلامة والراوي للصحيفة السجادية الشريفة الكاملة عنهما...)). (ينظر: ابن عنبة , ص167)

د/ إجازته:

صورة إجازة الشيخ عميد الرؤساء هبة الله بن حامد اللغوي للصحيفة السجادية الكاملة(الامام زين العابدين "ع"، ص669) وتاريخ الاجازة سنة (603هـ/1206م)(ينظر: أمل الآمل، 2/ 219)قال العلامة المجلسي(ينظر: ، 104/ 27 و 53/ 255.):((أقول: قد وجدت في نسخة قديمة في الصحيفة الكاملة بخط الشيخ حسين بن حسن بن حسين بن محمد القصابي، وكان تاريخ كتابتها سنة ثلاث وثلاثين

وثلاثمائة، وهذا ما صورته: صورة ما على الاصل وعليها أعني النسخة التي بخط عميد الرؤساء قراءة صورتها: قرأها على السيد الاجل النقيب الاوحد العالم جلال الدين عماد الاسلام أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معية أدام الله علوه، قراءة صحيحة مهذبة، ورويتها له عن السيد بهاء الشرف أبي الحسن محمد بن الحسن بن احمد عن رجاله المسمين في باطن تلك الورقة، وأبحتهُ روايتها عني حسب ما وقفته له وحددته له، وكتب هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وست مائة، والحمد لله الرحمن الرحيم، وصلواته وتسليمه على رسوله سيدنا محمد المصطفى وعلى آله الغر الميامين)).

هـ/ شعره:

من شعر السيد جلال الدين ابن مُعية:

قاعست دون محـــاولة الهمـــم ولا سعت الى داعي الندى قـــدم

ولا امتطت جواداً يـــوم معركـــة وخانني في ورى صمصامة خذم

ولا بلغت من علياء ما بلغ الآباء قلبي ولا ادركـــت شأنهم (؟)

إن كنت رمت سلوا عـــن محبتكم أو كنت يوماً بظهرالغيب خنتكم(المجلسي، بحار الانوار، 104/ 183.

وله أيضاً:

ومن العجائب أن قلبي يشتكـــي ألم الفراق وأنتـــــم بمكانـــه

رابعاً: تاج الدين أبو عبد الله جعفر محمد بن جلال الدين أبو جعفر القاسم بن الحسن بن مُعية بن محمد بن القاسم بن مُعية بن سعيد الحسني الحلي(ت 776هـ/1374م)

أ / شيوخه:

تتلمذ الشيخ تاج الدين ابن مُعية على يد علماء أعلام وجهابذة، مما كان لهم الفضل في بناء شخصيته العلمية، وقد ذكر اسمائهم بإجازته، ونص الإجازة: ((... يقول العبد الفقير الى رحمة الله الغني محمد بن القاسم بن الحسين بن معية الحسني تجاوز الله عن سيئاته وحشره يوم بعثه مع أئمته وساداته: إني قرأت على جماعة كثيرة من المشايخ، وسمعت منهم واجازوا لي إجازة عامة أن أروي عنهم جميع ما صنفوه وألفوه وقرؤه وسمعوه، وأجيز لهم من سائر العلوم على اختلافها... وأذكر منهم ما حضرني ومنهم من شاركت مشايخي في الرواية عنه...))(المجلسي، 104/ 173)وقال النوري: ((ان السيد الأجل العلامة النسابة تاج الدين ابا عبد الله محمد ابي القاسم بن معية الديباجي الحسني، يروي عن جم غفير من علمائنا الذين كانوا في عصره، وأسماؤهم مسطورة بخطه رحمه الله في إجازته لشيخنا الشهيد الاول، وهي عندي فأنا أورد كلامه بعينه، وهذه صورته: فمن مشايخي[اي شيوخ تاج الدين]،الذين يروي عني عنهم...))، وقد تم ترتيبهم حسب ما ذكرهم تلميذهم تاج الدين وهم:

1- الشيخ السعيد صفي الدين محمد بن سعيد.
2- الشيخ السعيد المرحوم نجم الدين أبو القاسم عبد الله بن حملان.
3- السيد الجليل جمال الدين يوسف بن ناصر بن محمد بن حماد بن علي بن حماد الحسيني، الاديب الفقيه العالم الفاضل الحافظ يقول الحر العاملي: ((السيد جمال الدين يوسف بن ناصر بن حماد الحسيني، عالم صدوق ثقة...)).
4- ابن عنبة، السيد الجليل السعيد جلال الدين جعفر بن علي بن صاحب الصخر الحسيني، [1] (عمد الطالب، ص303؛ التفرشي، ، 4/ 303؛ المجلسي، ، 106/ 9؛ النوري, 2/ 323.يقول الحر العاملي ((السيد جلال الدين...عالم فاضل، يروي عنه ابن مُعية)).
5- السيد علم الدين المرتضى علي بن عبد الحميد بن شمس الدين بن فخار بن معد الموسوي(ت735هـ/1334م) العالم الجليل ابن السيد النسابة عبد الحميد، ويرجع نسبه الى الامام موسى بن جعفر "ع". قال الحر العاملي: ((السيد علم الدين... فاضل فقيه يروي عنه ابن مُعية...))، قال فيه تاج الدين بن زهرة الحسيني:((... منهم النقيب الطاهر معد كان ذا جاه

عريض ،وبسطة عظيمة ، وتمكن تام)) ، وقال النوري:((... والسيد تاج الدين لم يعبر عن احد مشايخه الذين ذكر أساميهم بقوله: شيخي، إلا هذا السيد فقال: وشيخي السعيد المرحوم علم الدين المرتضى علي بن عبد الحميد بن فخار الموسوي، ومنه يعلم مزيد اختصاصه به وأخذه عنه)). (النوري، 2/ 317)

6-السيد الجليل السعيد غياث الدين أبو القاسم عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن طاووس الحسني العلوي(ابن عنبة ، ص206) الفقيه العلامة النسابة العروضي الزاهد صاحب كتاب (فرحة الغري)(المجلسي، 104/ 175).

6- ولد السيد غياث الدين أبو القاسم في شعبان سنة(647هـ/1249م) ،وقد اثنى كل من تأخر عنه ووصفه بالعلم والعقل والكرامة، وقال عنه الشيخ النوري: ((السيد الاجل الاكمل الاسعد الاروع صاحب الكرامات...))، وقال ايضاً: ((... وكان رحمه الله من عظماء المعظمين لشعائر الله تعالى، لا يذكر في أحد من تصانيفه الاسم المبارك الاّ ويعقبه بقوله: جل جلاله)) وقال الحر العاملي: ((... حاله في العلم والفضل والزهد والعبادة والثقة والفقه والجلالة أشهر من أن يذكر، وكان شاعراً أديباً فقيهاً بليغاً))، توفي رحمه الله سنة (692هـ/1292م)

7- السيد أبو جعفر القاسم بن الحسين بن مُعية الحسني، والد تاج الدين، الفاضل الصدوق الفاضل السعيد تاج الدين أبو علي محمد بن محفوظ بن وشاح (الحر العاملي 2/ 51، 8- 73).كان عالماً فضلاً، أديباً شاعراً جليلاً، من أعيان العلماء في عصره، وكان قطب من أقطاب الفقاهة، وطود رأس للعلم والادب، ومرجعاً في الفتوى.(الاميني ، 5/ 442)

وكان له شعر جميل، قال العلامة المجلسي:((قال ابن ابي الحديد: وكنت قرأت هذه القصائد على شيخي الامام العالم الفقيه المحقق تاج الدين ابو علي محمد بن محفوظ بن وشاح، وذلك في داره بالحلة...))، له مصنفات منها(غرر الدلائل- شرح القصائد السبع العلويات) وغيرهما، وقد توفي سنة(725هـ/1324 م)

9- السيد السعيد صفي الدين محمد بن محمد بن أبي الحسن بن ابي الرضا العلوي الموسوي،البغدادي قال الحر العاملي:((... فاضل جليل...))،وقال النوري:((السيد الجليل صفي الدين محمد بن محمد بن أبي الحسن العلوي، كان من الفضلاء الفقهاء والادباء العلماء والشعراء)).

العدل الامام جلال الدين محمد بن السيد شمس الدين محمد بن أحمد الكوفي الهاشمي (الحر العاملي ، 2/ 295، وينظر كذلك: التفرشي، 4/ 301؛ الكلباسي ، 2/ 578-581، 600، 604، 606، 607)

يقول العلامة المجلسي" ((الشيخ الامام الخطيب المصقع البليغ جلال الدين محمد بن الشيخ السعيد ملك الادباء والشعراء والخطباء...))، ويقول البروجردي" ((...كان فاضلاً...))، وقال السيد الخوئي:((... كان عالماً، فاضلاً، من تلامذة المحقق، يروي عنه ابن مُعية)).

10- السيد السعيد كمال الدين الرضي الحسن بن محمد بن الآوي الحسيني،كان حياً سنة(672هـ/1273م) ، قال الحر العاملي:((السيد كمال الدين الرضي الحسن بن محمد... فاضل جليل القدر...))، وقال الامين:((السيد... فاضل جليل القدر يروي عنه ابن مُعية)).

11- الشيخ الأمين زين الدين جعفر بن علي بن يوسف بن عروة الحلي.

12- الشيخ الامين مهذب الدين محمود بن يحيى بن محمود بن سالم بن رجب الشيباني الحلي كان حياً سنة (730هـ/1329م). قال حاجي خليفة (ينظر: كشف الظنون، 1/ 383) ((كتاب تذكرة ابن حمدون لمحمد بن الحسن البغدادي الكاتب المتوفى سنة 562هـ، اختصره محمود بن يحيى بن محمود بن سالم بن رجب الشيباني، وسماه منتخب الفنون من تذكرة ابن حمدون...)).

13- السيد السعيد ناصر الدين عبد المطلب ابن مرتضى بن الحسين بن بادشاه الحسيني الخزري. قال الحر العاملي ((السيد السعيد ناصر الدين عبد المطلب... صاحب التصانيف السائرة، فاضل عظيم الشأن، يروي عنه ابن مُعية)). (ينظر: العاملي ، 2/ 164)

14- الشيخ الزاهد السعيد المرحوم كمال الدين علي بن الحسين بن حماد الواسطي (الكلباسي, 2/606)

15- السيد الامام ضياء الدين عبد الله بن السيد مجد الدين أبو الفوراس محمد بن فخر الدين علي بن محمد الاعرج (751هـ/1350م (الشهيد الاول، الألفية والنقلية، ص24.) ابن أت العلامة الحلي(726هـ/1325م) (الشهيد الاول , ص24 -25). ، قال الخوانساري (ينظر: الخوانساري، 1/ 368) ((... إنّه كان من أجل الفقهاء والاصحاب))، وقال الشيخ عباس

القمي (ينظر: القمي، 2/ 446.): ((كان سيداً جليل القدر، رفيع المنزلة، عظيم الشأن، عمدة السادة، من الاشراف بالعراق، عالماً فاضلاً كاملاً فقيهاً محدثاً، فصيحاً بليغاً)).

وروي أنَّ السيد ضياء الدين عبد الله قام بشرح كتاب (تهذيب الاصول) لخاله العلامة الحلي، واسمه(منية اللبيب في شرح التهذيب)،وقد فرغ منه في الخامس عشر من رجب سنة (740هـ/1339م)(السيد الخميني، لمحات الاصول، ص14) ومنها شرح أخيه السيد عميد الدين، وقام الشهيد محمد بن مكي بالجمع بين الشرحين وسماه (جامع البين لجامع بين شرحي الاخوين)(العلامة الحلي ، ص25؛ السيد الخميني، ص14).وقد اثنى عليه تلميذه الشهيد الاول (ينظر: الشهيد، 1/ 21) بصورة في إجازته لأبن نجدة، إذ قال: ((المولى السيد الامام، شيخ اهل البيت في زمانه عميد الحق والدين... ابو عبد الله عبد المطلب بن الاعرج الحسيني، أطاب الله ثراه وجعل الجنة مثواه...))، وقال الميرزا النوري(ينظر: النوري، 2/ 14):((درة الفخر وفريدة الدهر، مولانا الامام الرباني عميد الملة والحق والدين... أدام الله شرفه، وخص بالصلاة والسلام سلفه...)).

16- الشيخ العالم شمس الدين محمد بن الغزال المضري الكوفي قال الحر العاملي (ينظر: أمل الآمل، 2/ 292، وينظر كذلك: السيد الخوئي، 18/ 130) ((الشيخ شمس الدين محمد... كان من خيار العلماء في وقته، يروي عنه ابن مُعية)).

17- ابو عبد الله عبد المطلب ابن الاعرج، قال النوري: ((قال تاج الدين: ومن مشايخي الذين استفدت منهم، درة الفخر، وفريدة الدهر، مولانا الإمام الرباني عميد الملة والحق والدين ابي عبد الله عبد المطلب، أدام الله شرفه وخُص بالصلاة والسلام سلفه)).

18- الشيخ الإمام العلامة، بقية الفضلاء وأنموذج العلماء، فخر الملة والحق والدين، محمد بن المطهر، حرس الله نفسه وأنمى غرسه

19- الشيخ الإمام العلامة أوحد عصره، نصير الملة والحق والدين علي بن محمد بن علي القاشي. النوري، خاتمة المستدرك، 2/ 14.

20- الشيخ الإمام الفقيه الفاضل علي بن احمد المزيدي

21- السيد عز الدين الحسن بن أبي الفتح الدهان الحسيني(النوري، 2/ 14).قال ابن مُعية في إجازته للشهيد المنقول عن خطه: ((ومن صاحبته واستفدت منه فرويت عنه، السيد الجليل الفقيه العالم عز الدين الحسن بن ابي الفتح بن الدهان الحسيني))نقلاً عن: المجلسي، 106/ 10؛ الامين، 4/ 632؛ النوري، 2/ 14). وقال الحر العاملي ينظر: 2/ 61.: ((السيد عز الدين الحسن بن أبي الفتح عالم فقيه فاضل صالح من مشايخ ابن مُعية يروي كل واحد منهما عن الآخر، وقال ابن مُعية عند ذكره: السيد الجليل الفقيه العالم)).

22- الشيخ السعيد المرحوم جمال الدين احمد بن محمد بن الحداد الحلي (ت: 745هـ/1344م)

23- الشيخ العالم الفاضل شمس الدين محمد بن علي بن غني.

24- الفقيه السعيد المرحوم قوام الدين محمد بن الفقيه رضي الدين علي بن المطهر.

25- الشيخ الامام الرباني السعيد جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر العلامة الحلي(ت:726هـ/1325م) صاحب التصانيف المعروفة، لقب بـ:(آية الله–جمال الدين– العلامة– علامة الدهر–الامام–الفاضل)، وغيرها من الالقابوالشهير بـ :(العلاّمة الحلي) ، ولد في شهر رمضان سنة (648هـ/1250م) كما صرّح هو بذلك، إذ قال: ((والمولد تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة، ونسأل الله تعالى خاتمة الخير بمنه وكرمه))العلامة الحلي، ص48).قال ابن داود (ينظر: رجال ابن داود، ص119):((شيخ الطائفة وعلامة وقته، صاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت إليه رئاسة الامامية في المعقول والمنقول))، له تأليفات قيمة تزيد على مائة مصنف، (الحر العاملي، ، 2/ 81؛ المجلسي، ، 99/ 286؛ الامين، 3/ 79، 5 / 396- 397؛ الطباطبائي، ص16؛ البغدادي، 1/ 381؛السيد الخوئي، 5/ 326) وتوفي في ليلة السبت من محرم سنة (726هـ/1325م)(الصفدي، 13/ 58؛ ابن حجر العسقلاني، 2/ 72)

26- المعمر بن غوث السنبسي(النوري، 12/ 402، وقد تم ترجمته كاملا في صفحة)(16)وتتلمذ السيد تاج الدين بن معية على مشايخ من العامة، وهم(المجلسي، 104/ 173 177؛ موسوعة طبقات الفقهاء، 8/ 219)

27- القاضي عز الدين عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة بن صخر الكناني الشافعي، ولد سنة(692هـ/1292م) وولي قضاء الديار المصرية، قال تلميذه تاج الدين بن معية:((ومما يصح روايته عني عن أقضى القضاة بدمشق عز الدين عبد العزيز ابن القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم... جميع ما يصح روايته عن حسب ما تلفظ لي به وألق خطه بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله في ثاني وعشرين ذي الحجة سنة أربع وخمسين وسبعمائة...))(المجلسي، بحار الانوار، 176/104) وقد توفي بمكة سنة (767هـ/1365م) (الخطيب، ص366؛ المجلسي، ، 106/ 77؛ الزركلي، 4/ 26).

28- سراج الدين عمر بن علي بن عمر ابو حفص القزويني، ولد بقزوين سنة(683هـ/1284م) ونشأ بواسط، وهو محدث العراق في عصره، وتوفي ببغداد سنة(750هـ/1349م) المحدث القاضي السعيد تاج الدين علي بن السماك الحنفي(المجلسي، 173/104)بحسب المصادر المتيسرة لدي لم اعثر على سنة وفاته

29- شرف الدين محمد بن بكناش التستري البغدادي الشافعي(المجلسي، 173/104)

30- الشيخ السعيد عماد الدين بن أبي راحل السلجوني(المجلسي، 173/104)

ب/ تلاميذه:

نال السيد تاج الدين أبو عبد الله جعفر بن مجد الدين محمد بن الحسن بن مُعية مكانة علمية كبيرة بين الاوساط العلمية، لاسيما الوسط الحلي، ونتيجة لهذه المكانة فقد قصده طلبة العلم من مناطق عدة،

للإفادة من علومه القيمة في شتى المجالات، واصبح كل واحد منهم فيما بعد من الاعلام والجهابذة الافذاذ، ومن هؤلاء التلاميذ:

1- السيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة الاصغر بن علي عنبة الاكبر بن محمد... بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الامام علي (ع)الحسني(ابن عنبة، ص12؛ الطهراني، 15/ 336)توفي سنة(828هـ/1424م)، وهو صهر السيد تاج الدين بن مُعية(الشيخ القمي، الكنى والالقاب، 1/ 355)وله كتاب في الانساب (عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب)(الطهراني، 15/ 336-337)

2- السيد العالم النسابة الثقة أبو الحسن علي بن محمد الصوفي العلوي العمري(العلوي، المجدي في انساب الطالبين، ص21؛ ابن عنبة، عمدة الطالب، ص173؛ فخار الموسوي، ص174، 284؛ المجلسي، 35/ 118؛ الامين، 8/ 230؛ العسكري، ص191).صاحب كتاب(المجدي في أنساب الطالبين)(النوري، 3/ 47، 403) وقد روى عن شيخه ابن مُعية في البصرة، إذ قال: أنشدني أبو عبد الله بن مُعية الهاشمي معلمي رحمه الله بالبصرة، لأبي طالب (ع):

لقد أكرم الله النبي محمـــــدا فأكرم خلق الله في الناس أحمد

فخار الموسوي، الحجة على الذاهب، ص174، 284.

3- الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين محمد بن مكي العاملي النباطي الجزيني(ت: 786هـ/1384م)، المعروف بـ(الشهيد الاول)(الشهيد الاول، الألفية والنقلية، ص24 (مقدمة المحقق).قال النراقي:((روى عنه تاج الدين بن معية...)). (ص18قال الحر العاملي):((الشيخ الشهيد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي الجزيني، كان عالماً ماهراً فقيهاً محدثاً مدققاً ثقة متبحراً كاملاً جامعاً لفنون العقليات والنقليات، زاهداً عابداً ورعاً شاعراً أديباً منشئاً، فريد دهره، عديم النظير في زمانه...)).

4- تاج الدين أبي عبد الله محمد بن السيد العالم جلال الدين أبي جعفر بن القاسم بن مُعية الحسن الدياجي(المجلسي، بحار الانوار، 105/ 131)ابن أخت ابن مُعية(الحر العاملي، 2/ 55؛ الكلباسي ، 2/ 578-579-581، 595، 598، 600، 619؛ السيد الخوئي، 5/ 52)

5-

6- أم الحسن فاطمة ست المشايخ، بنت الشهيد الاول محمد بن مكي العاملي، كانت حيه سنة(823هـ/1420م) ،قال العلامة المجلسي:((استجار منه[اي تاج الدين] الشهيد الاول لنفسه ولبنته ست المشايخ...)).

ج/ آراء العلماء فيه:

نال السيد تاج الدين ابن مُعية مكانة علمية كبيرة بين الأوساط الحلية بشكل خاص، ونتيجة لذلك فقد اعترف بمكانته وعلمه العلماء، لاسيما ممن ترجم له، ومنها: قال ابن عنبة:((النقيب تاج الدين جعفر الشاعر الفصيح، لسان بني حسن بالعراق))، وقال ايضاً: ((شيخي المولى السيد العالم الفاضل الفقيه الحاسب النسابة المصنف، إليه انتهى علم النسب في زمانه، وله الاسناد العالية والسماعات الشريفة، أدركته قدس الله روحه شيخاً، وخدمته قريباً من اثنتي عشرة سنة، وقرأت عليه ما امكن حديثاً ونسباً وفقهاً وحساباً وأدباً وتاريخاً وشعراً والى غير ذلك...))، وفي ضوء كلام تلميذ تاج الدين ابن مُعية نجد أنَّ ابن مُعية موسوعي متمكن من علوم مختلفة، في الحديث وعلم النسب والفقه والحساب والادب والتاريخ والشعر وغيرها من العلوم، وهذه دلالة واضحة بأن السيد ابن مُعية له من الفطنة والنباهة والقدرة العقلية الكبيرة التي مكنته من الالمام بهذه العلوم. وقد اشاد به ابن عنبة أيضاً إذ قال:((النقيب تاج الدين جعفر الشاعر فصيح لسان بني حسن بالعراق...))، وقال الشهيد الثاني :((...من علماء الحلة الكبار، ومن اعاظم تلامذة العلامة الحلي، وأفاخم شيخنا الشهيد...))، وقال الخوانساري: ((...كان من أعاظم تلامذة العلامة وولده فخر المحققين...))، وهذه إشارة واضحة على أن السيد تاج الدين ابن مُعية كان متقدماً بين الاوساط العلمية الحلية، وخصوصاً في الدرس الحلي، فكلام الخوانساري يعطي صورة واضحة على أنَّ ابن مُعية كان متفوقاً من بين اقرانه يومذاك، وايضاً ذكر البحران مكانة تاج الدين ابن معية العلمية، إذ قال:((وكان هذا السيد

علامة ونسابة فاضلاً عظيماً، يروي عنه شيخنا الشهيد رحمه الله تعالى، وقد ذكر في بعض إجازاته بأنه أعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر...))، وقال البحراني :((... وكان هذا السيد علامة نسابة فاضلاً عظيماً، يروي عنه شيخنا الشهيد رحمه الله تعالى، وقد ذكر في بعض إجازاته: أنه أعجوبة الزمان في جميع الفضائل والمآثر))، وقال الخوانساري:((هو من أفخم مشايخ شيخنا الشهيد...))، ويروى أن السيد تاج الدين كان اديباً شاعراً أمه علوية زيدية من بني كتيلة، كان قد سكن الحلة المزيدية، وله وجاهة وتقدم ورياسة وصيت، أضر- أي اصبح ضريراً- في آخر عمره، فانقطع بدراه وتردد الناس إليه وقال الشيخ عباس القمي (الكنى والالقاب، 1/ 416): ((وله اسناد عالٍ[3] الى الامام العسكري "ع" عن ابيه عن المعمر بن غوث السنبسي))

د/ مصنفاته:

في ضوء ما تقدم يمكن القول: أن السيد تاج الدين ابن مُعية حصل على مكانة علمية كبيرة جداً في مختلف المدن الاسلامية، والحلة بشكل خاص، فقد قصده طلبة العلم من مختلف البلدان للانتهال من علمه والاستفادة من درسه في علوم شتى، ونتيجة لذلك فقد خرج السيد تاج الدين بنتاج علمي غزير اغنى به العلوم المعرفية في الحلة وغيرها، وهذا النتاج هو كما يلي:

1- رسالة (الابتهاج في الحساب).
2- كتاب (أخبار الامم) خرج منه واحد وعشرون مجلداً، يقول ابن عبنة **(ص 170)**: ((وكان يقدر إتمامه في مائة مجلد، كل مجلد أربعمائة ورقة)).
3- كتاب (تبديل الاعقاب)(الطهراني ، 3/ 311و 4/ 53)
4- (الثمرة الظاهرة من الشجرة الطاهرة)، أربع مجلدات في أنساب الطالبيين مشجراً (البغدادي، 1/ 347؛ هدية العارفين، 2/ 166؛ الزركلي، 7/ 5) قال ابن عنبة:((اني قرأته عليه بتمامه...)). (ينظر: ص 170)

5- كتاب (الجذوة الزينبية)، قال ابن عنبة:((مختصراً قرأته عليه اول اشتغالي بعلم النسب، ولم أقرأ قبله إلا مقدمة مختصرة لشيخ الشرف العبيدلي)). (ينظر: ان عنبة ، ص170، وينظر كذلك: الطهراني، 5/ 93)

6- كتاب (سبك الذهب في سبك النسب) مختصراً.

7- كتاب (الفلك المشحون في أنساب القبائل والبطون).

8- كتاب (كشف الالتباس في نسب بني العباس).

9- كتاب (معرفة الرجال)، خرج في مجلدين ضخمين.

10- كتاب (منهاج العمال في ضبط الاعمال) البغدادي، 2/ 166؛ كحالة، 11/ 138. والى غير ذلك من كتبه في الفقه والحساب والعروض والحديث

11- كتاب (نهاية الطالب في نسب آل أبي طالب)، خرج في اثنتي عشر مجلداً.

هـ/ إجازاته: (الإجازة: هي إذن ورخصة تتضمن المادة الصادرة من أجلها، يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه، وهي بهذا المعنى تعني طريقة نقل الحديث وحمله من الشيخ إلى من أباح له نقل الحديث عنه، وتتفاوت الإجازة من البسط والاختصار والتوسط فالكبيرة المبسوطة، وأن طالب العلم يستجيز العالم علمه فيجيزه، فيقال للطالب **((مستجيزاً))**، وللعالم **((مجيزاً))**، والإجازة أنواع مختلفة. للإطلاع على التفاصيل، ينظر: الطهراني، 1/ 131- 133)

من ضمن النشاط العلمي للسيد تاج الدين ابن معية التي اغنت الحركة العلمية الحلية، هو أنه منح إجازات علمية لتلامذته الذين تتلمذوا عليه، وهم بالتأكيد محل الثقة الكبيرة بالنسبة للسيد ابن مُعية، فإن الاجازة لا تمنح لأي شخص كان، لذلك كان العلماء شديدي الحرص على اختيار من يستودعون علمهم، لأنَّ الثقة يجب ان تكون ملازمة لناقل العلم. وعلى هذا الاساس فقد استودع تاج الدين ابن مُعية علمه وما تعلمه من مشايخه عن طريق منح الاجازة العلمية في تلامذته الثقات ليكملوا المسيرة العلمية بأمان. قال العلامة المجلسي:((قال تاج الدين بن معية... وقد اجزت جميع ما يصح لي روايته عن هؤلاء المشايخ المسطورة وغيرهم من المشايخ أن يروي ذلك جميعه عني...))، (المجلسي ، 1044/ 176)فمن تلك الاجازات التي وردت في كتاب (بحار الانوار) هي:

قال العلامة المجلسي للاطلاع على التفاصيل، (ينظر: المجلسي،74/ 164 و 104/ 183.):((قد وجدت إجازات بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي بهذه العبارة: هذه أحاديث محذوفة الاسناد كتبها الشيخ ابن مكي " ره" من خط سديد يوسف الدين بن مطهر " ره"، وأجازها له شيخه السيد المرتضى النقيب المعظم النسابة العلامة، فخر العترة الطاهرة تاج الملة والدين أبو عبد الله محمد ابن السيد العلامة النقيب الزاهد جلال الدين أبي جعفر القاسم بن السيد النقيب فخر الدين أبي القاسم الحسين ابن السيد النقيب جلال الدين أبي جعفر القاسم بن أبي منصور الحسن بن رضي الدين محمد بن أبي طالب ولي الدين الحسن بن احمد بن محسن بن الحسين القصري بن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين الخطيب بالكوفة ابن علي المعروف بأن معية ابن الحسن بن الحسن بن الحسن بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى ابن الامام السبط ابي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، عن شيوخه الثقات، أقول: ثم أورد الروايات التي اوردناها في أبواب مواعظ النبي "صلى الله عليه وآله" من كتاب الروضة، ثم وجدت بعدها مكتوباً ما هذا صورته:

وعلى هذه الاحاديث خط السيد تاج الدين بن مُعية (ره) ما صورته: سمع هذه الاحاديث من لفظي مولانا الشيخ الامام العالم الفاضل شمس الملة والحق والدين محمد بن مكي أدام الله فضائله في يوم السبت حادي عشر شوال من سنة أربع وخمسين وسبعمائة، واجزت له روايتها عني بالسند المتقدم وغيره من طرقي الى المشايخ الجلة الذين رووها، وكذا أجزت له رواية جميع ما تصح روايته من سماعاتي وقراءاتي ومستجاراتي ومناولاتي ومصنفاتي وما قلته وجمعته ونظمته ونثرته، وأجيز لي وكوتبت به، وجميع ما ثبت عنده أنه داخل في روايتي، وكتب محمد بن مُعية في التاريخ والحمد لله والسلام لأهله أجمعين. ثم بخطه أيضاً ما صورته: في أول هذه الاحاديث إجازة أخرى من السيد تاج الدين أبي عبد الله محمد بن السيد جلال الدين أبي جعفر القاسم بن مُعية صورتها: ما ذكره المولى الشيخ الامام العلامة مفخر العلماء الفضلاء شمس الحق والدين صحيح... وكتبه محمد بن مُعية في حادي عشر شوال سنة اربع وخمسين وسبعمائة، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم)).

و/ شعره:

كان السيد تاج الدين بن مُعية شاعراً فذاً، انشد الشعر مرتجلاً له وهو صبي، فسمعه والده ينشد الشعر فنال رضاه وشجعه على ذلك، يقول ابن عنبة: ((حدثني الشيخ تاج الدين محمد بن مُعية، قال: الهجت بقول الشعر وأنا صبي، فسمع والدي بذلك فاستدعاني وقال: قد سمعت أنك تهذي بالشعر فقل في هذه الشجرة حتى اسمع، فقلت ارتجالاً شعراً:

ودوحة تدهش الابصار ناضرة تريك في كل غصن جذوة النار

كأنما فصلت بالتبر فـي حلل خضر تميس بها قامات ابكار ينظر: عمدة الطالب، ص165، وينظر كذلك: النوري، خاتمة المستدرك، 3/ 47، 372.

فاستدعاني وقبّل ما بين عيني وأمر بفرس وثياب ودراهم، وأمر بإحضارها في الحال، ووهب لي ضيعة من خاصة ضياعه، وقال يا بني: استكثر من فعله، ويجيئ ابن عامر بدواته وقلمه فتقضى حوائجه قبلنا ويرجع الى الكوفة ونحن مقيمون بدار الخلافة لم يقض لنا بعد حاجة . وكان للنقيب تاج الدين وظائف على الديوان تحمل إليه في كل سنة، وكان قد أضر، وبنى موضعاً سماه الزوية، واعتكف فيه دائماً، وأرسل إليه في بعض السنين حاكم بغداد الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني بفرس كبير السن أعور، فكتب الى صاحب الديوان بهذين البيتين من السريع)): (هو علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني كان صاحب ديوان خراسان، كان قد ولد في 10 ربيع الاول سنة (623هـ/1226م) ولي العراق سنة وشهور، وكان عادلاً حسن السيرة أديباً فاضلاً، له مصنفات منها (تسلية الاخوان)، وقد ذكر أن علاء الدين في ولايته على بغداد قد عمّر ما خربه المغول، وقد توفي سنة (680هـ/ 1281م)، للاطلاع على التفاصيل، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 368؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 32؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 19/ 161؛ اعجاز، كشف الحجب والاستار، ص49؛ الطهراني، الذريعة، 3/ 247؛ الامين، أعيان الشيعة، 4/ 184؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 2/ 1992.

أهديتم الجنس الى جنسه بزرك كعب لبزرك وكـــور

ومالكم في ذاك من حيلةٍ سبحان من قدر هذي الامور ابن عنبة، ص165.

يقول الامين:((... فركب صاحب الديوان إليه، وقاد إليه فرساً آخر واعتذر منه)). (ينظر: الامين، 4/ 184).ومن حكاياته أن شاعراً مدحه فلم يعطه شيئاً فهجاه بقوله:

اعرق الاعراق دساسة الى خؤول كخليـــــع الدلا
مدحته وانفس أمـــارة بالسوء ألا ما وفى ذو العلى
فكنت كالمودع بطيحة من عنبر حقة بيت الخـــلا

فلما بلغته هذه الابيات أمر للشاعر بجائزة فجاءه الشاعر متعذراً، وقال: كيف أجازني النقيب على الهجو ولم يجزني على المدح؟ فقال النقيب: أنا لا أعرف ما تقول، ولكنك لما قلت شعراً أثيتك عليه، فعرف الشاعر أنه لم يجزه لأسترذال القصيدة وركاكة الشعر(ابن عبنة، ص166)

وأيضاً من شعره:

واهيف فاتر الأجفان أضحى يفوق الغصن ليناً واعتـــدالا
حكى قمر السماء بلا لثـام وإن عطف اللثام حكى الهلال

المجلسي، بحار الانوار، 104/ 183؛ الامين، اعيان الشيعة، 8/ 438.

وله أيضاً:

ملكت عنان الفضل اطاعنـــــي وذلك منه الجامـــع المتصعبا
وضاربت عن نيل معالي وحوزها بسيفي ابطال الرجـال فما نبـا
واجريت في مضمار كـل بلاغة جوادي فحـاز السبـق وما كبا
ولكن دهري جامع مـــن مأربـي ونجمي في برج السعادة قد خبا
ومن غلب الأيام فيما يرومـــه تيقن أن الدهـر يمســي مغلبا ينظر: ابن عنبة، عمدة الطالب، ص171؛

الحر العاملي، أمل الآمل، 2/ 295؛
الامين، أعيان الشيعة، 2/ 295؛
السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، 18/ 170.

ح/ وفاته:

توفي السيد النقيب تاج الدين محمد بن مُعية في الحلة ثامن ربيع الاول سنة (776هـ/1374م)، ونقل الى مشهد الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (الطهراني، 23/ 169؛ كركوش، ص42)

خامساً: السيد نصير الدين الحسن بن مُعية:

قال الامين:((ومن بني مُعية السيد نصير الدين الحسن، أحد رجال العلويين بالعراق ووجوههم، كان قبلة أهل الفتوة نيابة عن شيخنا السيد تاج الدين محمد، ومال إليه الناس، وامتثل لأمره الخاص والعام، ومات قتيلاً بطريق الكوفة عندما توجه زائراً للمشهد الغروي في بعض مواسم الزيارة، فخرج عليه في الليل جماعة قطاع الطرق ورموهم بالنشاب، فأصابته نشابة، وحمل الى المشهد جريحاً، فتوفي هناك وترك بنتين لا غير، وقيل قتله بني أسد)). (ينظر: الامين، 1/ 154)

وقد بحثنا عن هذه الشخصية وذلك بحسب المصادر المتيسرة لدينا فلم نجد من يخبرنا عن تفاصيل اكثر تخصه، من حيث شيوخه وتلامذته ومؤلفاته وآراء العلماء فيه وحتى سنة وفاته. وقد وقفنا على بعض افراد هذه الاسرة العريقة، ومنهم:

سادساً: الحسن بن أحمد، يعرف بالزكي ظهير الدولة.

سابعاً: أخوه محمد بن أحمد بن المحسن.

ثامناً: أبو الفوارس ناصر بن الحسن.

تاسعاً: أخوه عبد الجبار بن الحسن، المنسوب اليه مسجد الكوفة(ينظر: البغدادي، ، 1/ 816؛ الطهراني، 10/ 195؛ الزركلي، 5/ 137؛ كحالة، 8/ 55، الزركلي، 7/ 275)

الخاتمة:

من خلال الخوض في تفاصيل سيرة أسرة آل مُعية الحسنية الحلية، خرج البحث بنتائج عدة، أهمها:

1- أن أسرة آل مُعية أسرة عريقة لها ثقلها السياسي والعلمي والاجتماعي، إذ كانوا أصحاب الحل والعقد بعد أنْ تقلدوا منصب النقابة وأصبح ميراث لهم، وبهذا أصبحت لهم مكانة اجتماعية بين الوسط الحلي يومذاك.

2- انجبت هذه الاسرة أعلام علماء أفذاذ، كانت لهم بصمة في رفد الحركة العلمية الحلية، وغيرها من البلدان.

3- على الرغم من غزارة النتاج العلمي القيم لهذه الاسرة، إلا أنه لم يصل إلينا منه شيء، لأسباب عديدة منها: اما أن يكون مخطوطاً الى الآن ولم ير النور، أو تلف لأسباب سياسة او اجتماعية وغيرها.

4- على الرغم من تدهور الوضع السياسي في العراق عامة والحلة بشكل خاص، ألا أن الحياة الفكرية لم تتوقف، إذا كانت تعقد حلقات نقاشية واقامة الدروس، والافادة من علماء الحلة ومنهم علماء اسرة أل مُعية، إذ تتلمذ عليهم عدد من طالبي العلم وبمختلف أفانين العلم، وبالتحديد في علم النسب.

5- تعرضت هذه الاسرة العريقة الى انواع المعارضة من قبل ابناء جلدتهم، وكانت نتيجة تلك المعارضة قتل أحد أفراد هذه الاسرة وهو السيد نصير الدين الحسن بن مُعية، وهذه دلالة على القول: كل شيء متحرك معرض للهجوم.

مصادر البحث ومراجعه:

- القرآن الكريم.

- ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم، (ت 630هـ):

1- الكامل في التاريخ، ط1، دار صادر، بيروت، 1966م.

2- اللباب في تهذيب الأنساب، ط1، دار صادر، بيروت، ب. ت.

- الأدريسي: جمال الدين احمد بن أبي الحسن بن محمد، (ت 1232هـ):

3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، د.مك، د. مط، ب.ت.

- الأردبيلي: المولى أحمد، (ت 993هـ):

4- جامع الرواة، ط1، تح: مجتبى العراقي والشيخ علي بناه الاشتياردي وحسين اليزدي، د.مط، قم، ب.ت.

- اعجاز: حسين الكنتوري، (ت 1286هـ):

5- كشف الحجب والاستار، ط2، مط: بهمن، ق، 1409هـ.

- الآلوسي: جمال الدين عبد الله بن محمد، (ت 1320هـ):

6- تفسير الآلوسي، ط1، د.مط، د.مك، ب.ت.

- الامين: السيد محسن، (ت 1371هـ):

7- أعيان الشيعة، ط1، تح: حسن الامين، دار التعارف، بيروت، ب.ت.

- أمين: أحمد:

8- ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، ب.ت.

- بحر العلوم: السيد محمد مهدي الطباطبائي، (ت 1212هـ):

9- الفوائد الرجالية، ط1، تح: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، مطبعة الصادق، طهران، 1363هـ.

- البحراني: الشيخ يوسف، (ت1186هـ):

10- لؤلؤة البحرين، ط1، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ب.ت.

- البراقي:السيد حسين ابن السيد أحمد النجفي، (ت 1332هـ):

11- تاريخ الكوفة، ط1، تح: ماجد أحمد العطية، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، 1424هـ.

- البروجردي: السيد علي أصغر بن محمد شفيع الجابلقي، (ت 1313هـ):

12- طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، ط1، تح: السيد مهدي الرجائي، مطبعة بهمن، قم، 1410هـ.

- البصري: احمد بن عبد الرضا، (ت 1085هـ):

13- فائق المقال في الحديث والرجال، ط1، تح: غلام حسين، مطبعة ستارة، دار الحديث، 1422هـ.

- البغدادي: إسماعيل باشا، (ت 1339هـ):
14- إيضاح المكنون في ذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1، تح: محمد شرف الدين و رفعت بيلكة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
15- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
- البهائي: الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، (ت984هـ):
16- وصول الأخيار الى أصول الاخبار ط1، تح: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام، قم، 1401هـ.
- التستري: الشيخ محمد تقي:
17- قاموس الرجال، ط1، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1419هـ.
- التفرشي: السيد مصطفى بن الحسين الحسيني، (ت. ق 11):
18- نقد الرجال، ط1، مطبعة ستارة، قم، 1418هـ.
- ابن جبير: أبو الحسن محمد بن احمد، (ت 614هـ):
19- رحلة أبن جبير، ط1، دار الهلال، بيروت، 1981م.
- الجواهري: محمد:
20- المفيد من معجم رجال الحديث، ط2، المطبعة العلمية، قم، 1424هـ.
- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله الشهيد، (ت 1067هـ):
21- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
- حافظيان: أبو الفضل البابلي:
22- رسائل في دراية الحديث، ط1، دار الحديث، قم، 1424هـ.
- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، (ت 852هـ):
23- الدرر الكامنة، ط1، تح: السيد عبد الله هاشم، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
- ابن أبي الحديد: عبد الحميد المعتزلي، (ت 656هـ):
24- شرح نهج البلاغة، ط1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
- الحر العاملي: محمد بن الحسن، (ت 1104هـ):
25- أمل الآمل، ط1، تح: السيد احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ب.ت.
26- الجواهر السنية، ط1: مطبعة النعمان، النجف الاشرف، 1964م.
27- وسائل الشريعة الى تحصيل مسائل الشريعة، ط5، تح: الشيخ عبد الرحيم الرباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983م.

- الحسيني: السيد أحمد:
28- تراجم الرجال، ط1، مطبعة الصدر، قم، 1414هـ.
- الخراساني: الشيخ وحيد:
29- منهاج الصالحين، ط1، دار صادر، بيروت، ب.ت.
- الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي بن ثابت، (ت 463هـ):
30- الرحلة في طلب الحديث، ط1، تح: نور الدين عنبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1075م.
- السيد الخميني:
31- لمحات الأصول، ط1، مؤسسة العروج، قم، 1421هـ.
- الخوانساري: السيد محمد باقر، (ت1313هـ):
32- روضات الجنات، ط1، مؤسسة آل البيت (ع)، قم، ب.ت.
- السيد الخوئي: أبو القاسم الموسوي، (ت 1411هـ):
33- معجم رجال الحديث، ط5، مطبعة ستارة، قم، 1992م.
- ابن داود الحلي: تقي الدين الحسن بن علي، (ت 741هـ):
34- رجال ابن داود، ط1، تح: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، 1992م.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت 748هـ):
35- سير أعلام النبلاء، ط9، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
36- العبر في خبر من غبر، ط3، تح: شعيب الأرنؤوط، دار صادر، بيروت، 1997م.
- الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني، (ت 1205هـ):
37- تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994م.
- الزركلي: خير الدين، (ت 1410هـ):
38- الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
- السبحاني: الشيخ جعفر:
39- رسائل ومقالات، ط1، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم، ب.ت.
40- كليات في علم الرجال، ط3، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1414هـ.
- سركيس: يوسف اليان، (1351هـ):
41- معجم المطبوعات العربية، ط1، مطبعة بهمن، قم، 1410هـ.
- الشاهرودي: الشيخ علي النمازي، (1405هـ):

42- مستدركات علم رجال الحديث، ط1، مطبعة شفق، طهران، 1412هـ.
- الشهيد الأول: محمد بن مكي العاملي، (ت 786هـ):
43- الأربعون حديثاً، ط1، مطبعة أمير، قم، 1407هـ.
44- الألفية والنفلية، ط1، تح: علي الفاضل القائيني، مكتب الاعلام الاسلامي، ب.مك، 1408هـ.
45- القواعد والفوائد، ط1، تح: السيد عبد الهادي الحكيم، مكتبة مفيد، قم، ب.ت.
46- الدروس، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.
- الشهيد الثاني: زين الدين الجبعي العاملي، (ت 966هـ):
47- حقائق الايمان، ط1، تح: السيد مهدي الرجائي، مطبعة سيد الشهداء (ع)، قم، 1409هـ.
48- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ط2، تح: السيد محمد كلانتر، مطبعة امير، قم، 1410هـ.
- الشيرواني: حيدر بن علي بن محمد، (ت. ق12):
49- مناقب أهل البيت(ع)، ط1، تح: الشيخ محمد حسون، مطبعة المنشورات الاسلامية، قم، 141هـ.
- الصدر: السيد حسن، (ت 1354هـ):
50- تكملة أمل الآمل، ط1، تح: السيد احمد الحسيني، مطبعة الخيام، قم، 1406هـ.
الصفدي: جمال الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، (ت 764هـ):
51- الوافي بالوفيات، ط1، تح: أحمد الارنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2000م.
- ابن الصلاح: أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، (ت 643هـ):
52- مقدمة أبن الصلاح في علوم الحيث، ط1، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
- الطباطبائي: السيد علي، (ت 1231هـ):
53- رياض المسائل، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1412هـ.
- الطباطبائي: السيد عبد العزيز، (ت 1416هـ):
54- مكتبة العلامة الحلي، ط1، مطبعة سيد الشهداء (ع)، قم، 1416هـ.
- الطهراني: آقا بزرك ،(ت 1389هـ):
55- الذريعة الى تصانيف الشيعة، ط1، مطبعة جابخانة، طهران، 1953م.
- العسكري: نجم الدين، (ت 1390هـ):
56- أبي طالب حامي الرسول وناصره (صلى الله عليه وآله وسلم)، ط1، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1380هـ.
- العلامة الحلي: أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي، (ت 726هـ):

57- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، ط1، تح: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1409هـ.
58- مختلف الشيعة، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1413هـ.
59- نهج الحق وكشف الصدق، ط1، تح: الشيخ عين الله الحسيني، مطبعة ستارة، ثم، 1421هـ.
- العلوي: علي بن محمد بن علي العمري، (ق 5هـ):
60- المجدي في أنساب الطالبين، ط1، تح: الدكتور أحمد المحمدي الدامغاني، مطبعة سيد الشهداء (ع)، قم، 1409هـ.
- ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، (ت 828هـ):
61- عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب، ط2، تح: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، 1061م.
- فخار: شمس الدين أبو علي بن معد الموسوي، (ت 630هـ):
62- الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب، ط2، تح: السيد محمد بحر العلوم، مطبعة أمير، قم، 1410هـ.
- القلقشندي: علي بن أحمد ، (ت 821هـ):
63- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
64- صبح الاعشى في صناعة الأنشا، ط1، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
- القمي: الشيخ عباس، (ت 1359هـ):
65- الكنى والألقاب، ط1، مكتبة الصدر، طهران، ب.ت.
- الكتبي: محمد شاكر، ت(764هـ):
66- فوات الوفيات، ط1، تح: علي محمد وعادل أحمد عبد المجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
- ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل الدمشقي، (ت 774هـ):
67- البداية والنهاية، ط1، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
- الكجوري: محمد باقر،(ت 1255هـ):
68- الخصائص الفاطمية، ط1، تح: سيد علي جمال، مطبعة شريعت، قم، 1380هـ.
- كحالة: عمر رضا:
69- معجم المؤلفين، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.
- كركوش: الشيخ يوسف:
70- تاريخ الحلة، ط1، مطبعة أمير، قم، 1413هـ.
- الكلباسي: أبي المعالي محمد بن محمد إبراهيم، (ت 1315هـ):

71- الرسائل الرجالية، ط1، تح: محمد حسين درايتي، مطبعة سرور، قم، 1422هـ.
- المامقاني: أبي محمد احمد بن علي:
72- تنقيح المقال في أسماء الرجال، ط2، مطبعة نكارشي، قم، 1417هـ.
- المجلسي، محمد باقر، (ت 1111هـ):
73- إجازات الحديث، ط1، تح: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الحيام، قم، 1410هـ.
74- بحار الانوار، ط2، تح: محمد باقر البهبودي وعبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م.
- مجهول: توفي في (ق3):
75- تاريخ الدولة العباسية، ط1، تح: الدكتور عبد العزيز الدوري و الدكتور عبد الجبار المطلبي، دار صادر، بيروت، ب.ت.
- الشريف المرتضى: علي بن الحسين بن موسى، (ت 436هـ):
76- الناصريات، ط1، مؤسسة الهدى، بيروت، 1997م.
- المرعشي: السيد شهاب الدين الحسيني، (ت 1411هـ):
77- شرح إحقاق الحق، ط1، تح: السيد شهاب الدين المرعشي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ب.ت.
- المظفر: الشيخ محمد حسين، (ت 1381هـ):
78- فهارس رياض السالكين، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1419هـ.
- ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ):
79- لسان العرب، ط1، مطبعة أدب الحوزة، قم، 1405هـ.
- موسوعة طبقات الفقهاء،ط1، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق(ع)، اشراف الشيخ جعفر السبحاني، 1418هـ.
- ابن نما الحلي: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء، ت(645هـ):
80- مثير الأحزان، ط1، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، 1950م.
- النوري، الشيخ حسين الطبرسي، (ت 1320هـ):
81- خاتمة المستدرك، ط1، مطبعة ستارة، قم، 1416هـ.
- ابن هلال: الحسن بن عبد الله العسكري، (ت 395هـ):
82- الفروق اللغوية، ط1، مؤسسة النشر الأسلامي، قم، 1412هـ.
- ياقوت الحموي: الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله الرومي، (ت 626هـ):
83- معجم البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م.

الأطاريح الجامعية:

- الخزرجي: دكتور ماجد عبد زيد أحمد:

84- الحياة الفكرية في الحلة في القرنين السابع والثامن الهجريين (601 – 800هـ)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة المستنصرية، كلية التربية، 2005م.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Iraqi State Institutions from Construction to Decline in Light of the Memoirs of Foreign Workers in Iraq: Gertrude Bell and Paul Bremer as Models

Prof. Dr. Hassan Ali Abdullah [1]
University of Al-Qadisiyah – College of Education – Department of History
hasanjsamak@yahoo.com
Asst. Prof. Dr. Sahira Hussein Mahmoud[2]
University of Basra – College of Arts – Department of History
saheraedu@yahoo.com

Abstract:

As a result of the first British occupation of Iraq, the map of the world changed and new political entities emerged, which required sponsorship in order to appear within the new world order. Iraq was one of the states that had to be established, a process undertaken by the British administration that governed Iraq under the Mandate system. In contrast, the American occupation of Iraq highlighted a global pattern whereby major powers, possessing vast military and economic capabilities, were able to impose political systems on other countries, which were compelled to accept them. Hence, the importance of this research emerges. The study selects the most prominent writings of the two aforementioned models, noting the significant differences between Gertrude Bell and Paul Bremer in terms of the time periods during which each worked, as well as the resources and capabilities available to them.

Keywords: State institutions, foreign memoirs, monarchy, international variables, Gertrude Bell, Paul Bremer.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مؤسسات الدولة العراقية من البناء إلى الأنحطاط في ضوء مذكرات العاملين الأجانب في العراق المس بيل و بريمر انموذجاً

أ.د.حسن علي عبدالله[1]
جامعة القادسية–كلية التربية – قسم التأريخ، العراق
hasanjsamak@yahoo.com
أ.م.د. ساهرة حسين محمود[2]
جامعة البصرة –كلية الآداب – قسم التأريخ، العراق
saheraedu@yahoo.com

ملخص:

نتيجة الاحتلال البريطاني الأول للعراق تغيرت خريطة العالم وظهرت الكيانات الجديدة ، ولا بد من رعايتها لكي تظهر للعالم الجديد لذلك كان العراق أحد الدول التي لابد من قيامها ، وقد تبنى الأمر الإدارة البريطانية التي كانت منتدبه على العراق تحت نظام الانتداب ، أما في الاحتلال الأمريكي للعراق فقد برز نظام في العالم أن القوة الكبيرة في المجالات العسكرية والأقتصادية ، لها القدرة في فرض الأنظمة السياسية في دول العالم ولا بد من قبولها فهنا تأتي أهمية البحث، وتم اختيار أبرز كتابات النموذجين السابقين ، علماً أن الفارق كبير بين المس بيل وبول بريمر من حيث المدة الزمنية ، التي عمل كل منهما والامكانيات التي يتمتعا بها .

الكلمات المفتاحية: مؤسسات الدولة، مذكرات الأجانب، النظام الملكي، المتغيرات الدولية، المس بيل وبريمر.

مقدمة:

تعرض العراق منذُ الحرب العالمية الأولى عام 1914 م، وحتى عام 2003 م، لاحتلاليين الأول: أطلق عليه الاحتلال البريطاني الأول للعراق والذي جاء محصلة نتيجة الحرب العالمية الأولى، والتي ساهمت في أنهاء النظام الإمبراطوري ومنها الإمبراطورية العثمانية، والمساهمة في خلق نظام جديد في العراق بعد أن كان جزءاً من الولايات العثمانية؛ وسمي النظام الملكي في العراق والتي اخذت مؤسسات الدولة الفتية بالنمو والنضوج خطة تلو الأخرى، والتي كانت ترعى من قبل نظام الانتداب. وقد حكم العراق في العهد الملكي ثلاث ملوك الأول الملك فيصل بن الحسين (23 آب / أغسطس عام 1921 – 8 أيلول/سبتمبر عام 1933م) والثاني الملك غازي بن فيصل(8 أيلول/سبتمبر عام 1933 – 4 نيسان /أبريل عام 1939 م)، (محمد حسين الزبيدي ، 1989 ،ص 7).والملك فيصل الثاني ابن الملك غازي(4 نيسان /أبريل عام 1939 – 14 تموز /يوليو عام 1958 م)، (أحمد فوزي، 1988 ،ص77) أن الفرق الزمني بين الأثنين والظروف التي رافقت كلا الاحتلاليين الاحتلال الأول الذي جاء بفعل المتغيرات الدولية في العالم ، وكان لابد من إعادة خارطة العالم وتم ذلك فعلاً ، فقد ظهرت في الخارطة الدولية الجديدة دول جديدة وانتهت امبراطوريات سابقة وبرزت منظمات دولية ؛ سعت إلى إعادة ضبط العالم وجعله أكثر استقراراً إلا أن ذلك قد تحقق ولكن لمدة محدودة ، بفعل قيام الحرب العالمية الثانية والتي أيضاً إعادة الخارطة مرة ثانية وبرزت منظمة دولية جديدة سعت هي الأخرى إلى ضبط العالم من خوض حروب جديدة ، وجعلهم أكثر ميلاً إلى السلام والاحتكام إليها في فك الاشتباك فيما بينهم . أما الاحتلال الثاني يختلف كلياً عن الاحتلال الأول لن هذا الاحتلال جاء بفعل إعادة الدول المارقة عن الاحتكام الدولي، والتي تسعى إلى خلق الفوضى في العالم وفي الحقيقة أن الاحتلال السبب الرئيسي له كان عبارة عن قوة كبيرة تحاول السيطرة على دولة صغيرة، لأسباب مختلفة تحت غطاء الشرعية الدولية أو بدونها لذلك وقد لمسنا ذلك في العراق وفي مناطق أخرى من العالم؛ ومن الممكن أن نلمسه في مناطق أخرى لان العالم الآن محكوم بالقوة التي تفرض القانون، من وجهة نظرها وعلى الجميع الامتثال إلى تلك القوانين المفروضة.

توزع البحث على ثلاثة مباحث حمل المبحث الأول استعراض للشخصيات قيد البحث ، وكان المبحث الثاني بعنوان المس بيل وتناولنا فيه السيرة الذاتية لها والامكانيات التي تحملها ، والتي فيها مؤشرات أنها تناولت في كتاباتها الامكانيات التي يحملها العراق ، ولابد من قيام المؤسسات التي تساعدها في قيام دولة ؛ وكان مشروع الأنتداب يساهم في التعجيل بقيام مؤسسات الدولة الفتية ، ومن أجل الدخول إلى عصبة الأمم لابد من قيام الدولة ، ومعنى ذلك أن العصبة كانت تراعي كياناً جديداً لكي يصبح دولة جديدة تضاف إلى العالم ، أما المبحث الثالث بعنوان بول بريمر الذي وجد الدولة التي كانت قائمة ، وهو يصف حالة العراق في اعقاب الاحتلال الأمريكي له وصعوبة الوضع وتصاعد الدخان من كل مكان ، وكذلك كان السارقين ينهبون القدرات الصناعية بعد أن يجردوا كل مكان من موجوداته ويضرمون النار فيه ، وكان هناك تنظيم لعملية الحرق في العراق ، (بول بريمر ، 2006 ، ص10) بل ساهم الاحتلال في تحطيم مؤسسات وارشيف الدولة العراقية ؛ وكانت النتيجة الصادمة أن القوات المحتلة والتي شكلت لجان لمسح العراق في التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ، وكما ذكر ذلك بريمر بعد أن أجاب اللجنة المشتركة أن صدام حسين لم يكن يمتلك عند اندلاع الحرب ، الأف الاطنان من الغازات السامة والرؤوس الحربية لأطلاقها أو مئات الكيلوغرامات من عوامل الحرب البيولوجية القاتلة ، أو المنظومة الصناعية والمواد الانشطارية اللازمة لإنتاج الأسلحة النووية ، التي قالت أجهزة الاستخبارات للبلدان الغربية الكبرى أنه يمتلكها ؛ إلا أن التقرير وضع خيط بسيط فيه اشارات بأن هناك دليلاً مقلقاً عن برنامج حرب بيولوجية مستقلة في مختبرات سرية ، ربما هرب العاملون فيها إلى الخارج وربما اخذوا الأدلة وحتى المواد المتعلقة بالأسلحة معهم ، وهو مجرد احتمالات وإلى الأن لم نعثر على تلك الأدلة . (بول بريمر ، 2006 ، ص236)

يبدو أن من نتائج الاحتلال الأول قيام كيان إسمه الدولة العراقية ، والتي بدأت بالمملكة العراقية ومن ثم الجمهورية العراقية مع كل المؤسسات التي تساند مفهوم الدولة وانضمامها إلى المنظمات الدولية والإقليمية ، أما الاحتلال الأمريكي للعراق فحاول انهاء مؤسسات الدولة تماماً وحاولت بناء مؤسسات جديدة ، إلا أنها ضعيفة منذُ أن تشكلت وحاولت الدولة الجديدة التركيز على الهوية الطائفية ، وتجعله معمقاً في كل قوانين الدولة وهو ما يسمى التوازن الطائفي في مؤسسات الدولة، بغض النظر عن الامكانيات التي يتمتع

بها وعلى سبيل المثال مؤسسة الجيش ، ومنذُ تشكلت وقامت على أساس التجنيد الالزامي وهي مؤشر على مواطنة الفرد ، إلا أن هذه المؤسسة انتقلت من الالزام إلى التطوع فقط وبالتالي تتحول الخدمة في الجيش لوسيلة عمل بل أن التمثيل الشعبي في كل المؤسسات المدنية والعسكرية ، لابد من مشاركة الكل في الإدارة وكان عدم الثقة بين المكونات ، خوفاً من انفراد مكون دون آخر في صنع القرار وهي افة النظام السياسي .

المبحث الأول: استعراض لشخصيات البحث

هناك عدد من الشخصيات البريطانية العاملة في العراق ، وكانت لها كتابات في مختلف المجالات السياسية والأقتصادية والعسكرية ، وكان اختيار المس بيل لان الباحث يعتقد أن كتاباتها أكثر نضوجاً في تناولها حالة العراق ، وكذلك كانت لها كتابات في مجالات مختلف إلا أن الاختيار وقع على كتاب فصول من تأريخ العراق ، والمدة التي تناولها من عام1914 م وحتى 1920 م ، وكانت تمثل مرحلة الانطلاق لبناء دولة جديدة من الصفر بعد أن كان العراق عبارة عن ثلاثة ولايات ، ولا بد من ولادة مؤسسات جديدة تناسب المرحلة الجديدة التي برزت فيها ، ومنها المؤسسات التشريعية والقانونية والتعليمية وغيرها واستمرت في حالة من التكون إلى النضوج ؛ وفي ضوء ذلك لابد لنا من ايضاح البناء الفكري للشخصيات قيد البحث وتأثير ذلك على توجهاتها في الكتابة على مؤسسات الدولة ، علماً أنه من الصعوبة مقارنة الشخصيات البريطانية التي كانت مدتها في العراق أطول من الشخصيات الأمريكية الأولى ، التي كان واجبها كيفية معالجة الوضع الداخلي في مختلف المجالات وكان واجبها متعدد الأهداف ، والشخصية البريطانية ظلت في العراق حتى وفاتها ومعنى ذلك أنها قد أطلعت على التحولات التي عاشها العراق ، في اعقاب الاحتلال البريطاني ، أما الجانب الأمريكي فكان واجبه أمني بشكل دقيق وأن كتاباته عن المدة التي عاشها في العراق وتمثلت بمدة عام واحد فقط ؛ كما جاء على عنوان الكتاب وثبت فيه أنه أقدم على حل الكثير من المؤسسات الأمنية ، تحت شعار أن تلك المؤسسات كانت تمثل أدوات قهر كامنه في ذهن المواطن ، ومن أجل مسح تلك الذاكرة لابد من التخلص من تلك المؤسسات القهرية ، وشمل ذلك وزارة الدفاع بل كل الوزارات ذات الصلة بالأمن الوطني ، والتشكيلات العسكرية بما فيها الحرس الجمهوري والحرس الخاص وأعضاء حزب البعث وفدائي صدام ، وأكد بأن هناك خطوة لتشكيل قوة دفاع وطنية

ذاتية للعراق الحر ، وستكون القوة خاضعة لسيطرة المدنيين محترفة وغير سياسية وممثلة لكافة العراقيين ، مشيراً بأن تكون القوات الجديدة تقاد من قبل مجموعات المقاومة الكردية والشيعية المناهضة للرئيس السابق ، وفي الوقت نفسه يؤكد أن البعثيين حولوا العراق إلى ذي مجموع صفري ، فالمرء يعتبر نفسه محظوظاً اذا اغارت مخابرات النظام السابق على منزل جاره وتركته في حاله ؛ وأن تفادي الاعدام يعتبر نصراً يومياً لكثير من الشيعة والأكراد ، وقد أكد الزعيم الكردي جلال الطالباني (7 نيسان /أبريل عام 2005 – 24 تموز /يوليو عام 2014 م) ، بأن قرار حل الجيش السابق أفضل قرار اتخذه الائتلاف طوال المدة السابقة وفي الوقت نفسه أكد مسعود البرزاني (14 حزيران /يونيو عام 2005 – 1 تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2017 م) ، ذلك عندما زرته في منطقة صلاح الدين وقال لي اهنئك على حظر جيش النظام السابق رسمياً ، لأن ما قمت به رائع وهو يثبت بأن الائتلاف جاد بشان أنشاء عراق جديد وموحد ، وحاول بريمر أن يوضح من سعى إلى إعادة تشكيل نسخة صغيرة من جيش صدام ، إلا أن البرزاني انتفض على الفكرة بقوله : " أن تلك الفكرة غلطة كبيرة ولو تمت كنا نحن الأكراد انفصلنا عن العراق ، لأننا حاربنا الجيش البعثي منذُ البداية ، ونحن نتمتع بالحكم الذاتي ، واذا رجعوا سنقاتل ثانية وستنشب حرب أهلية "، (بول بريمر ، 2006 ، ص81) وفي الوقت ذاته أكد بعض القادة الشيعة ومنهم عبدالعزيز محسن الحكيم (1 كانون الأول /ديسمبر عام 2003 – 31 كانون الأول/ ديسمبر عام 2003 م) ، بأنهم سعداء بقرار اجتثاث البعث وحل الأجهزة الأمنية العراقية ، علماً أن الكثير من العراقيين كانوا يشككون بالقضاء على أدوات الارهاب التابعة لنظام صدام حسين ، إلى أن أتخذ قرار الحل والاجتثاث . (بول بريمر ، 2006 ، ص111)

ويبدو أن الائتلاف جاد في خلق عراق ضعيف عسكرياً وفي الوقت نفسه ومن أجل ملء الفراغ في المؤسسة العسكرية ، تم الطلب من السيد عبد العزيز محسن الحكيم في اجتذاب بعض أفراد فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية ، في الدخول إلى الجيش العراقي الجديد وفي ضوء ذلك أصبح في الجيش التنظيمات السياسية ، (بول بريمر ، 2006 ، ص78) وفي الوقت نفسه حاول الكاتب الوقوف عند فقرة أن الأغلبية الشيعية كانت في السابق هي المحكومة وأن الأقلية السنية هي الحاكمة ، ولا بد من

تغير المعادلة بل يحرض القادة الشيعة على أهمية الانتباه إلى ذلك وعدم اضاعة الفرصة كما تم ذلك في بداية القرن العشرين ، ولسان حاله لابد من الحرص على التمسك بالسلطة ومهما كانت النتائج .

المبحث الثاني: المس بيل السيرة الذاتية وبنائها الثقافي

ولدت كرترود مركريت لوثيان بيل في مقاطعة بوركشايد في بريطانيا العظمى عام 1868م ، وهي أبنة هيوبيل درست في كلية الملكة ، ومن ثم التحقت في المدارس العليا في جامعة اكسفورد بلندن ، وهناك سعت في دراسة التأريخ السياسي وهذا النوع من الدراسة ، يحتم عليها الالمام في دراسة اللغات الشرقية إلى جانب اللغات الأوربية ومن أجل ذلك اتقنت اللغة العربية ، بالإضافة إلى اتقانها اللغة الفارسية وهذا الأمر شجعها للقيام بأول رحلة لها في حياتها إلى طهران في عام 1892 م، وتمكنت من البقاء هناك مدة طويلة ولم تتجاوز الرابعة والعشرين من عمرها ، وهذا الأمر لا يمكن أن يتحقق لو لا مساعدة خالها السير فرانك كافندش لاسلز (Sir Frank Cavendish Lascelles) ، الذي كان يعمل سفيراً بريطانياً في العاصمة الفارسية. (محمد يوسف إبراهيم القريشي، 2003، ص 33) (يعقوب يوسف كورية،1998، ص55)

أن بقائها في إيران واتقانها اللغة الفارسية مكنها من الاطلاع على المصادر الفارسية ، وشجعها على الكتابة في إيران وظهر أول مؤلف لها بعنوان (صور فارسية) واعقبه كتاب وهو عبارة عن ترجمة اشعار من (ديوان حافظ الشيرازي) . (لم يطلع الباحث على المؤلفات التي كتبتها المس بيل وبحث عنها في بعض المصادر ولم يجد ضالته)

إلا أن بقائها في إيران الذي استمر أربعة سنوات وكان من المتوقع أن تؤلف عدة كتب في التأريخ الفارسي ، إلا أنها عادت إلى بلادها وهناك تعرفت على عالم الآثار الأسكتلندي وساهمت معه في وضع كتاب بعنوان (ألف كنيسة وكنيسة) ، إلا أنها لم تطيل البقاء في بلادها وعند ذلك قررت القيام برحلات متعددة إلى الوطن العربي ؛ ومنها القيام برحلة إلى فلسطين وسوريا وهذه الرحلة جعلتها تؤلف كتابها الثالث بعنوان (سوريا البادية المغمورة) وذلك عام 1907 م ، بعد ذلك سوف تنتقل في رحلتها إلى العراق وذلك في عام 1909م ، وكان الدخول إلى العراق من المنطقة الشمالية وتحديداً منطقة سنجار ومنها إلى الرمادي وبعد ذلك إلى منطقة الكاظمية ومنها إلى بغداد ، وكان ثمرة الرحلة ظهور كتابها المعنون

(من مراد إلى مراد) في عام 1911 م ، ومن الممكن القول أن هذه الزيارة إلى العراق تمثل الزيارة الأولى لها ، أما الزيارة الثانية فكانت في عام 1914 م ، وكانت تستقر في خيمة قرب الشيوخ من أجل الاحتماء من الاعتداءات الخارجية وامتازت بقدرتها على اقامة العلاقات في كل بقعة تصل إليها ؛ وكان ثمرة هذا التواجد في أرض العراق اصدار كتابها الجديد بعنوان (قصر ومسجد الأخيضر) وذلك في عام 1914 م ، وبعد ذلك عادت إلى لندن . ويبدو أنها كانت بمهمة عندما كتبت بتقاريرها عن كل ما وقع عليه نظرها في أرض العراق، لذلك قامت برحلة ثانية إلى الأرض العربية وكانت البداية من مدينة القاهرة عام 1915م. (يعقوب يوسف كورية،1998، ص55).

وفي ضوء ذلك لا يمكن المقارنة في الامكانيات الثقافية بينها وبين بول بريمر ، من حيث عمق الأداء في المهمة وما تنتجه من نتائج لمن استقدمها، فمن استقدم المس بيل لمس نتائج عمله ، ومن استقدم بول بريمر لمس ذلك مع علمنا المدة الزمنية التي أستمر فيها كلا الطرفين.

كانت وظيفتها في القاهرة العمل في دائرة المخابرات البريطانية السرية ، وكانت تسمى (المكتب العربي) وتمكنت من تحقيق عدة لقاءات مع رجل المخابرات الكابتن توماس إدوارد لورنس (1888- 1935 م) ، (يعقوب يوسف كورية،1998، ص65) صاحب كتاب (أعمدت الحكم السبعة) إلا أن بقائها في مصر لم يطول وتم أرسالها بعد ذلك من قبل المكتب العربي في عام 1916 م ، في مهمة أخرى إلى الحجاز وصفت بأنها مهمة تجسسية ولم يتم اختيارها اعتباطاً ؛ بل جاء نتيجة باعتبارها ذات خبرة واسعة ومن ثم نسبت إلى العمل في الحملة البريطانية التي توجهت لاحتلال العراق ، والذي بدأ فعلاً في عام 1914 م ، وعينت في الفرع العربي في البصرة والحقت بوظيفتها بتأريخ 26 حزيران/ يونيو عام 1916 م، وهناك تؤثقت علاقتها بالسير برسي كوكس (Sir Percy Cox) (27 تشرين الثاني /نوفمبر عام 1864- 20 شباط /فبراير عام 1937 م)(السير برسي كوكس: سياسي وعسكري بريطاني معروف التحق بالجيش البريطاني في عام 1884 م، وأنظم إلى إدارة حكومة الهند وتدرج في المناصب حتى أصبح وزيراً للخارجية في حكومة الهند البريطانية ، التي كانت تشرف على المصالح البريطانية في منطقة الخليج العربي ، وبعد أعلان الحرب العالمية الأولى عين مستشاراً سياسياً للحملة البريطانية)(يعقوب يوسف كورية

،1998، ص 128) والذي كان ضابطاً في الجيش البريطاني برتبة مقدم ومنح في ظل الاحتلال البريطاني منصب الحاكم السياسي الأقدم ، وفي ضوء ذلك وجدت المس بيل نفسها موظفة تحت أمرة ، برسي كوكس والذي منحها لقب (معاون الحاكم السياسي) ، وأضحت ضابطة إتصال بين المكتب العربي في القاهرة وهو المكتب الرئيس وبين فرعه في البصرة ، وحاولت إيضاح لمديرها الصورة التي اتخذها مسار المفاوضات بين السيرهنري مكماهون (Henry McMahon) (1862 – 1949م) - تسلم السير هنري مكماهون عمله مندوباً سامياً في مصر والسودان في شهر كانون الثاني/ يناير عام 1915 م، وقد أرسل الشريف أولى مذكراته إلى السير هنري مكماهون في حوالي منتصف شهر تموز/ يوليو ، ووصلت إلى القاهرة في أحد أيام شهر آب/أغسطس وقد أحيطت بالكتمان الشديد ، وحملها أحد رسل الشريف ممن كان يضع ثقته فيهم وهو الشيخ محمد عارف ، ولم تكن المذكرة مؤرخة بل لم يكن عليها أي توقيع مبالغة في الحرص- (جورج أنطونيوس ،1969، ص 251) . وبين الشريف حسين رجل الثورة العربية الكبرى في الحجاز متواطئين مع بريطانيا العظمى، وقد بدأت القصة في بلاد الشام بعد انسحاب إبراهيم بزمن قصير، (جورج أنطونيوس ،1969، ص 98) وإطلعته على الرسائل المتبادلة بين الطرفين والأتفاق الذي تم حول الأعداد للثورة العربية الكبرى، التي أنطلقت ضد السلطات العثمانية المحتلة ، والتي ستنسحب من المنطقة ويعد من نتائج الحرب العالمية الأولى .

عقب دخول القوات البريطانية إلى بغداد في 11 آذار/ مارس عام 1917 م، أنتقلت المس بيل من البصرة إلى بغداد واتخذت لها مسكناً في محلة السنك ، وأشتهرت بين الأهالي في بغداد بلقب الخاتون و كان أول من أطلق عليها هذا اللقب نقيب أشراف بغداد، (عبدالرحمن النقيب : ولد في عام 1841 م، وهو شكل اول حكومة عراقية في العصر الحديث ونقيب إشراف بغداد ، ولد في عائلة صوفية وهو حفيد زيد الدين القادري وكانت مهمته تأسيس لدوائر الدولة الجديدة)(عبدالرزاق الحسني ،2008،ص 93) . وكان لها الدور الكبير في مهمة المناداة بالأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، (عبدالرزاق الحسني ،2008،ص 70) ويعتبر بناء النظام الملكي في العراق أول محطة من محطات البناء في الدولة العراقية ، التي تشكلت بعد أن كان في السابق عبارة عن ولاية تابعة إلى الدولة العثمانية ، وهنا أنتقلت إلى مرحلة جديدة كلياً بنظام سياسية جديد ومن ثم تشكلت بقية المؤسسات لاحقاً ، وتدارس الأمر الأخير مع

وزارة المستعمرات البريطانية وعلى رأسها ونستون تشرشل (Winston Churchill) (1874 – 1965 م) ،أنعقد مؤتمر القاهرة أو ما يسمى مؤتمر الشرق الأوسط ، – كتب لورنس عن هذا المؤتمر في كتابه (أعمدت الحكمة السبعة) إذ يقول عهدت وزارتنا المنهكة إلى المستر ونستون تشرشل بتسوية شؤون الشرق الأوسط فأستطاع في بضعة أسابيع في مؤتمر القاهرة أن يفك العقد جميعاً ، وأن يجد حلولاً تحقق فيما أرى وعودنا مبنى ومعنى دون أن يضحي بأي مصلحة من مصالح إمبراطوريتنا ؛ أو بأي مصلحة من مصالح الشعوب التي تشملها التسوية وأن حلول المستر تشرشل كما يؤكد أنطونيوس ، لم تنجز الوعود لا مبنى ولا معنى وأما أخفاق تشرشل في أن يفك العقد جميعاً فيتضح بجلاء من أساليب القسر ، التي لجأت إليها من كل من فرنسا في سوريا وبريطانيا العظمى في فلسطين ليقيما الأنتداب بحد السيف – (جورج أنطونيوس، 1969، ص436) .في المدة من 12 – 24 من آذار/ مارس عام 1921 م ، وتم وضع الصيغة النهائية لمشروع أقرار ترشيح فيصل بن الحسين ليكون ملكاً على العراق ؛ وكانت المس بيل من بين الحاضرين للمؤتمر بالإضافة إلى وزراء عراقيين منهم وهم جعفر العسكري (1885- 1936 م) وزير الدفاع ، (جعفر العسكري:هو جعفر مصطفى عبدالرحمن العسكري من مواليد السليمانية عام 1885 م ، ينحدر من الطبقة الوسطى ويعد من المؤسسين لوزارة الدفاع باعتباره أول وزير دفاع ، وشكل الوزارة لمرتين في الدولة العراقية إلا أن نهايته كانت الأغتيال في ظل أزمة أول انقلاب في العراق ؛ وهو انقلاب بكر صدقي والذي فتح باب تدخل الجيش في الحياة السياسية ولم يخرج منها حتى 2003 م) (نجدة فتحي صفوت ، 1988،ص90) ، و ساسون حسقيل (1890-1930م)،(ساسون حسقيل: هو من اليهود العراقيين شغل منصب وزير المالية وأصبح نائب في البرلمان العراقي ، له ممارسات أقتصادية ناجحة في الدولة العراقية)(مأمون أمين زكي ، 2013، ص 33) وزير المالية ومن الإنجليز الذين حضروا المؤتمر السير برسي كوكس ، وعندما انتشرت الأخبار التي تؤكد على ترشيح فيصل بن الحسين ملكاً عليها ، عند ذلك التأريخ توجه الأمير فيصل بن الحسين إلى بغداد وكانت ترافقه المس بيل ؛ والكثير كانوا يعتقدون بأنها كانت تدعم تتويج فيصل بن الحسين . ويبدو أنها كان لديها تحفظ من الإشاعات التي تنص بأن الغرض من عقد مؤتمر القاهرة هو اعلان فيصل ملكاً على العراق، وكما جاء ذلك في رسالتها بتأريخ 17 نيسان/ أبريل عام 1921م ، وجاء فيها بأن هناك شائعة كانت تقول بأني عندما كنت

متوجه إلى البصرة لحضور مؤتمر الشرق الأوسط ، قد قلت لبعض الأشخاص بأن الغرض من المؤتمر هو اعلان فيصل ملكاً على العراق . ولذا فأن الأشاعة غير دقيقة ولكن في الواقع ، وكما أشارت المس بيل في رسالتها أنه في السابق ، عندما كان يطلب مني أبداء رأي في الموضوع أقول أن فيصل هو خير من يمكن أنتخابه ،(يعقوب يوسف كورية ، 1998،ص 177) وكانت تعتقد بأن الملك فيصل لا يستحق أن يكون ملكاً على العراق ، بل يستحق أن يقبض على صولجان ملك في أي دولة عربية كانت ، فأن المناقب التي امتاز بها قد أجتمعت كلها على صاحب العراق وسيده العظيم ، واظهر من الذكاء والدراية وله من رباط الجأش مالا تزعزعه زلازل الأرض والسماء، وهو كثير التفكير والتدبير في كل أمر يأتيه . ويبدو أن في كلامها الكثير من المبالغة وأن استلامه للسلطة لم يتحقق لولا موافقة القوى الغربية ، وبالتالي من الممكن القول أن المملكة ولدت وتم تنصيب فيصل بن الحسين ملكاً ، إلا أن ذلك لم يتم بطريقة سلسلة بل عبر مجموعة من الظروف الصعبة ، (عبدالرزاق الحسني ،2008، ص 10) (علي عبد الأمير علاوي ، 2021،ص 534) لقد قدمت المس بيل خدماتها إلى الملك فيصل محاولةً أرشاده في موضوع العشائر العراقية ؛ وقد أوضحت له جغرافية عشائر العراق وكان لها الدور في أقناع طالب النقيب (28 شباط/فبراير 1871 – 16 حزيران/يونيو 1929م) (طالب النقيب : هو طالب بن رجب بن محمد النقيب من أهالي البصرة من قبيلة الرفاعي القرشية الهاشمية، ولد في عام 1871 م ، وهو من الشخصيات المدنية ويعد من الشخصيات الطموحة إلا أنه تم اعتقاله في 16 نيسان/أبريل عام 1921 م ، وسافر إلى الهند وتوفي في المانيا في شهر حزيران/ يونيو عام 1926 م) (قسم الدراسات والبحوث ، 2007 ، ص 19) ، والذي كان يروم الترشيح والفوز بملكية العراق ، وكما تقول المس بيل لقد قصدته في داره وتحدثت إليه واقنعته بالرضوخ والأبتعاد عن تلك المطالب ، وفعلاً أقتنع وقال لي : " أنا لم أقم بأي عمل يخالف نصيحة السير برسي كوكس ، لذلك قررت أن أتجنب كل حديث يتعلق بمخالفة ذلك ، وأن أسرع وأعلن بنفسي مبايعة مجلس الوزراء لفيصل بالملوكية ". (يعقوب يوسف كورية، 1998، ص 180)

لقد وصفت المس بيل حفل تتويج فيصل إلى والدها في الرسالة التي بعثت بتأريخ 28 آب/ أغسطس عام 1921م ، جاء فيها: " في الأسبوع الماضي توجناً ملكاً في العراق ، علماً بأن بريطانيا العظمى كانت تفضل فيصل لملكية العراق ، وقد لمع إسمه بين العرب " ، (جيمس موريس ، 1960، ص 98)

والملاحظ على شخصية المس بيل أنها تحرص على اللقاء بكل الشخصيات العراقية ، سواء اكانت الموالية لسياسة الأحتلال أو المناهضة له ولكن دون أن تحتك بها ؛ وحول دورها في تشكيل أول حكومة عراقية ويمكن ملاحظة ذلك في الرسالة التي بعثتها إلى والدها " نحن نصنع التأريخ " ، والمقصود هنا صناعة التأريخ العراقي السياسي ، وعن العلاقة مع الملك فيصل كانت إيجابية وهي أشارة إلى العلاقة العميقة مع الملك ، ولم تقتصر علاقاتها الإيجابية مع الملك بل كان لها علاقة طيبة مع الوزراء ، إذ وصفت زيارة ياسين الهاشمي (1882 – 1937م) إليها في 16 كانون الثاني/ يناير عام 1923م ، وكانت بصفتي الرسمية مديرة فخرية للآثار القديمة ، وكانت تعتقد أن ياسين الهاشمي هو رجل متميز ويتمتع بذكاء حاد ، وهناك زيارات لها من وزراء عديدين منهم (عبدالمحسن السعدون وجعفر العسكري وناجي السويدي) وآخرين (إبراهيم السويدي : هو إبراهيم ناجي ويعد أكبر اولاد يوسف السويدي ولد في عام 1883 م ، وتوفي عام 1942 م، نشأ في بيئة علمية دينية ودخل كلية الحقوق في جامعة أستانبول وكان متقدماً في صفه ، وعندما أكمل دراسة الحقوق وقدم بنجاح لأمتحان الدكتوراه خلال سنتين ، وكان الرابع في صف الدكتوراه خلال سنتين)(توفيق السويدي 1987، ص 49)، وفي بعض الزيارات يعرضون فكرة أجراء تعديل وزاري وكأنهم يأخذون رأيها في الموضوع ، وقلت لهم لا أمانع في التعديل وطلبوا مني أن أمهد الطريق عند المندوب السامي ، أن هذا الحديث عام ولم تحدد أي الوزارات التي طالبتها في التدخل ، وما هو تأثيرها في أتخاذ القرار والمفروض التوجه إلى المندوب السامي البريطاني .(يعقوب يوسف كورية، 1998 ، ص 181) 0

أما الموقف من عقد أول معاهدة عراقية- بريطانية وهي معاهدة عام 1922م ، وهي بداية جائرة لوضع العراق تحت قيود الأنتداب والسيطرة على كل منابع الخير ؛ وحول مصادقة مجلس الوزراء على عقد المعاهدة قام بعضهم بأن أوقفوا السيارة التي تقل المس بل وأخبرها وزير الداخلية توفيق الخالدي (توفيق عبد القادر الخالدي هو سياسي وعسكري عراقي ويرجع نسبه إلى خالد بن الوليد، ولد في بغداد عام 1878 م ،واغتيل في بغداد في 22 شباط /فبراير 1924م) ، بأن مجلس الوزراء قد أقر المعاهدة وهذا ما آثار أستغرابها لتقول : " ليس هناك بلاد أخرى في العالم يوقفنا الوزراء لينقلوا لنا ما تقرره الحكومة من قرارات ".(يعقوب يوسف كورية ، 1998، ص190) هذه الملاحظات التي قدمت فيها أشارات واضحة

بأن المس بيل في كتاباتها قد ساهمت في بناء أسس النظام السياسي ، والذي أستمر حتى سقوط النظام في عام 1958م ، إذ تناولت في كتاباتها كيفية تنظيم الإدارة والمعارف والكمارك وغيرها من الفقرات ، التي تساهم في بناء الدولة وحاولت في حديثها عن الطائفية في العراق الأشارة بصورة دقيقة بأن السلطة العثمانية لم تبدي أهتماماً بالسكان الشيعة في العراق ؛ وأن جميع سكان الريف تقريباً وأكثرية سكان المدن من مصب شط العرب إلى ما فوق بغداد بقليل هم من الشيعة ، أما العنصر السني فكانت تؤازرهم الحكومة السنية ويتمتعون بمزلة إجتماعية لا تتناسب مع عدد نفوسه . (المس بيل ،1971، ص86) 0

المبحث الثالث: وصف بول بريمر حالة العراق في أعقاب الاحتلال الأمريكي

أما الشخصية الثانية والتي تسلمت المسؤولية في العراق وتابعة إلى القوات الأجنبية والمحتلة ، هو لويس بول بريمر الثالث من مواليد 30 أيلول/ سبتمبر عام 1941م ، في الولايات المتحدة الأمريكية وخريج جامعة ييل عام 1963م ، وتخصص في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد عام 1966 م ، وأتقن عدة لغات منها الفرنسية كما التحق بالسلك السياسي وعمل في سفارات الولايات المتحدة في عدة دول منها أفغانستان والنرويج ؛ فتولى على آثرها مناصب رفيعة في وزارة الخارجية منها مساعد وزير الخارجية لشؤون مكافحة الأرهاب في 12 مايس/ مايو عام 2003م ، كما عين رئيساً لسلطة الائتلاف المؤقتة في العراق ، وظل الحاكم المدني الأعلى حتى 28 حزيران / يونيو 2004م ، ومن أبرز قراراته حل الجيش العراقي والأجهزة الأمنية السابقة وقانون أجتثاث البعث ومنع قياداته من تولى مناصب حكومية ؛ والأشراف على تشكيل مجلس الحكم الأنتقالي في عام 2003 م، ووضع الأسس لقانون إدارة الدولة للمرحلة الأنتقالية ، ولم يكتب سوى كتاب واحد بعنوان (عام قضيته في العراق النضال لبناءٍ غدٍ مرجو). (بول بريمر ، 2006 ، ص86-90) .

ويعد من الشخصيات الأمريكية التي كلفت بإدارة العراق بعد أتمام عملية احتلاله من قبل قوات التحالف الدولية ، والتي كانت بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وجاء بتوجيه مباشر من قبل الرئيس الأمريكي جورج دابليو بوش (George Walker Bush) (2001-2009م) ، وعلماً لا توجد معلومات تفصيلية على شخصية بريمر والذي حاول أن يوضح وجهة نظره ، في قيادة العراق وقادته والتعامل معهم وتوجهاتهم المختلفة سواء من كان مع عملية التغيير بالقوة المحتلة ، ومن وقف أمام القوات

المحتلة و واجهها بالسلاح وثبت ذلك في كتاب أصدره حمل عنوان(عام قضيته في العراق النضال لبناءِ غدٍ مرجو) عام لقضيته في العراق ولسان حاله ؛ يوضح للقارئ ماذا فعل داخل العراق لبناءِ غدٍ مرجو علماً أن الكتاب لا يعد من كتب المذكرات بل هو عبارة عن أوراق، ذكر فيها ما يدور في خلده من الأحداث وكيف التعامل معها والشخصيات التي مرت عليه الأجنبية منها والعراقية ، إلا أن وقفاته الكبيرة كانت مع العراقيين والتي كان لها تأثير في توجهات الأحداث التي وقعت في العراق ، والتعامل معها كلاً حسب وجهة نظره لذلك جاءت الأوراق مزدحمة ومتشابكة ، إلا أن الكتاب وكما وضح في العنوان بالاشتراك مع لكولم ماكدونالد (Malcolm MacDonald) (هو كاتب سير بريطاني، ولد في 26 شباط /فبراير عام 1948م، وتوفي في 27 أيار / مايو عام 2014 م ، في لكهامتون في المملكة المتحدة) ،(بول بريمر ، المصدر السابق ، ص13) لكن لو حاولنا الوقوف والمقارنة بين ما كتبه بول بريمر وما كتبته المس بيل ، كانت الثانية هي الأفضل لن لها ممارسات سابقة في الكتابة ولاسيما في دول الشرق ، أما كتابها (فصول من تأريخ العراق القريب) ، وهو يبحث عن العراق في عهد الاحتلال البريطاني بين عامي 1914 م و1920 م، جاء بتوجيه من المسؤولين عن الإدارة عندما أصبح العراق خاضعاً للأنتداب البريطاني إذ طلب من وكيل الحاكم الملكي في العراق سير أرنولد تالبوت ويلسون (Arnold Talbot Wilson) (الحاكم المدني في العراق 1918- 1920م ، من قبل الأنتداب البريطاني، خلفا لسلفه بيرسي كوكس.)، أن يوافيها بتقرير مفصل عن الوضع العام في العراق وما وقع فيه من أحداث خلال هذه المدة ، الأمر الذي دفعه ليعهد هذه المهمة في الكتابة إلى السكرتيرة المس بيل إلا أنها تعلق على ذلك وتقول :" أن حكومة الهند التي كانت مسؤولة عن الإدارة في العراق هي التي طلبت أن تقوم المس بيل نفسها بكتابته ، وليس المستر ويلسن وأنها أصرت على ذلك خلافاً لغربتها " . (المس بيل ، 1971 ، ص83)

وفعلا قامت بالمهمة خير قيام وكان تقريرها واسع يصل إلى عشرة فصول وأطلقت عليه استعراض الإدارة الملكية في ما بين النهرين، وفعلاً رفع إلى الجهات المختصة وطبعته وزارة الهند في 3 كانون الأول/ ديسمبر عام 1920 م، أما المدة التي يشملها التقرير من 6 تشرين الأول /أكتوبر عام1914 م، وهو يوم نزول الحملة البريطانية في الفاو إلى يوم 15 آب/أغسطس عام1920 م، وكما تذكر المس بيل أن التقرير سمي آنذاك ب(الكتاب الأبيض)، وقد قوبل في صحافة لندن بكثير من الثناء والأستحسان بل أن

الصحف البريطانية علقت على التقرير بقولها :" أن امرأة قد أصبح بوسعها في الأخير أن تنتج براعتها كتاباً أبيضاً ، علماً أن الكتاب الذي كتبته المس بيل لم يكن مذكرات أو من وحي أفكارها بل كان يستند إلى المصادر ، إلا أن القاسم المشترك بين ما كتبته المس بيل في كتابها وما كتبه بول بريمر ، هو الوقوف عند المفترقات في بعض المحطات التي تقسم المجتمع طائفياً ، إلا وهو السنة والشيعة ومن الممكن للقارئ أن يلاحظ ذلك والأهداف التي يسعى كل سمنهم لتحقيقها وأكيد الغرض السيء منها ؛ إلا أن بول بريمر بهذا الجانب أكد في كتابه على مصطلح الجنوب الشيعي ومحاولة تقسيم العراق طائفياً حسب مناطقهم ، وكما جاء في حديثه عن قنوات الري في الجنوب بقوله :"كانت شبكة القنوات القديمة التي تربط بين نهري دجلة والفرات في حالة سيئة ، لأن صدام حسين منع العمل في القنوات كأحد العقوبات الوحشية الكثيرة التي فرضها على الشيعة ، في تسعينات القرن الماضي بل أنه كان لا يسمح باستخدام المال يصرف لكي يعمل فيه العمال الشيعة " ، ويعتبر ذلك مبالغ فيه، (بول بريمر ، 2006 ، ص108) وحاول بريمر في لقاءاته مع القادة الشيعة وكأنه يذكرهم ما فعلتموه في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، عندما تخليتم عن السلطة وتركتموها للسنة وذلك أثناء حديثه مع رئيس الوزراء إبراهيم الجعفري(2005-2006 م) ، ولا شك أن أرتكاب الشيعة اليوم الخطأ نفسه الذي أرتكبوه في عام 1920 م ، يعد ماسات منبهاً إلى المرحلة التي تلت الحرب العالمية الأولى ودخول القوات البريطانية ، واعطاء الشيعة العراقيون فتوى من مرجعهم الديني بعدم التعاون مع الصليبين ؛ فهمش هذا القرار الشيعة في حكم بلدهم والان ها هو التحرير يقدم إليهم فرصة جديدة بعد تلك المدة الطويلة ويطلب منهم استغلالها . (بول بريمر ، 2006 ، ص109)

وبالمقابل في الوقت الذي أنسحب فيه الشيعة تعاون العرب السنة من العراقيين مع سلطة الاحتلال البريطاني علماً أنهم تمتعوا بالمعاملة المفضلة منذُ الحكم العثماني ، ثم أعقبه الاحتلال البريطاني والعهد الملكي ولاحقاً أثناء وجود النظام البعثي ظلوا الأفضلية وهم الحكام ؛ أما الأغلبية من الشيعة هم المحكومين (بول بريمر ، 2006 ، ص 110).

لقد تناول بريمر العلاقة مع العشائر العراقية لاسيما وهو يطمح أن يكون هناك تمثيل قبلي ملائم في مجلس الحكم ، وهم لهم تأثير في تأريخ العراق وفي العشيرة الواحدة أعضاء من الشيعة والسنة حسب

المناطق التي تتواجد فيها العشيرة ، إلا أنه يؤشر بأن العشائر فيها تناقضاً ظاهرياً وينسب ذلك لان 70% من العشائر يسكنون في مناطق حضرية ، وهذا ينم عن فهم غير دقيق للمجتمع العشائري في العراق فالعشائري عندما ينتقل إلى العيش في المدينة ينقل معه كل التأثيرات العشائرية العالقة في ذهنه ؛ لذلك برزت لدينا مدن ولكن هي في الحقيقة عبارة عن تجمعات عشائرية لكن سلطة زعماء العشائر هذه تضعف عندما يسطر منطق القانون والدولة عليها ، ولكنها تقوى عندما يضعف منطق الدولة ويصبح العشائري بحاجة إلى من يحميه لذلك يلتجئ إلى عشيرته من أجل الحماية ، عندما تفشل الدولة في تحقيق ذلك للمواطن لكن بريمر لم يكن دقيقاً عندما أشار أن سلطة زعماء العشائر أصبحت أقل مما كانت عليه ، عندما أحتل البريطانيين البلد قبل ثمانين عاماً والأصح أن سلطة زعماء العشائر في العهد البريطاني كانت جزءاً من السلطة القائمة ، (بول بريمر ، 2006 ، ص120) بل أن الحكومة حاولت أن تعمق أنقسام المجتمع إلى جزئين مجتمع عشائري ويحكم ضمن قانون دعاوي العشائر ؛ ومن كان خلاف ذلك يحاكم ضمن القانون المدني أو قانون العقوبات العراقي .

الخاتمة

تشكلت أول حكومة في العراق عام 1920 م ، وسميت الحكومة المؤقتة وكانت لها مهمة واحدة وابرزها امتصاص نقمة احداث ثورة العشرين ، وتمكنت من ذلك ثم انتقلت الدولة إلى النظام السياسي الجديد وأطلق عليه النظام الملكي ، وكان أول ملك حكم العراق الملك فيصل بن الحسين علماً أنه لم يكن من أبناء العراق ، وتم اختياره بناء على التسويات الدولية التي حدثت في المنطقة ، عندما تم اسقاط المملكة السورية العربية المتحدة من قبل القوات الفرنسية وخروج الملك فيصل ، وكان لابد من مكافاة الملك أو ترضيته بإعطائه عرش العراق فأصبح الحكم فيه نظاماً ملكياً وراثياً برلمانياً دستورياً ، علماً بأن الدستور الصادر في عام 1925 م ، عدل عليه عدة مرات إلا أنه سير الدولة ومؤسساتها لمدة قاربت على 36 عاماً وشهر وعشرة أيام ؛ فأن النظام السياسي منح الحياة الديمقراطية وسمح للأحزاب السياسية بالعمل بصورة علنية ، من خلال قوانين الأحزاب والتي صدرت في مرحلة العشرينات والثلاثينات وما بعد الحرب العالمية الثانية .

إذ برزت لدينا أعداد كبيرة من الأحزاب مع وجود بعض المؤشرات على قوانين الأحزاب الصدرة ، بأنها توضع خطوط حمراء لا يمكن تجاوزها ومن يتجاوز منها يتعرض إلى الغلق أو تعلق صحفه لمدد مختلفة ؛ ومن الممكن القول أن الديمقراطية في العراق الهدف منها جعل النظام يتنفس وهي بمثابة رئتيه وبذلك يمكن القول أن النظام السياسي في العهد الملكي ، قد غلق جميع أبواب الطرق السالكة باستخدام الديمقراطية طريقاً للوصول إلى السلطة ، وهنا اقتنعت القوى المعارضة للسلطة بأن النظام قد حوط نفسه ولا يمكن الوصول إلى السلطة بالطرق الديمقراطية ، مع المؤشرات التي تسجل عليها لذلك لابد من الخروج على المألوف واستخدام طريق آخر للوصول إلى السلطة باستخدام الجيش ، من أجل الانقضاض على السلطة وتحقق ذلك بالتنسيق مع الأحزاب السياسية المعارضة ، فحدث الانقلاب العسكري لعام 1958 م، والذي وصفت فيما بعد بالثورة وتحول نظام الحكم من الملكي إلى النظام الجمهوري وأمتد حتى عام 2003 م، فكانت عبارة عن سلسلة من الانقلابات و غياب السلطة التشريعية ، أما الحياة الحزبية فكانت تعيش حالة من الاجتثاث لكل مرحلة والتصفية الجسدية للمعارضين .

وبالتالي من الممكن القول أن النظام الجمهوري شهد أكثر من صيغة للنظام الدكتاتوري ، إذ شهد مرحلة الديكتاتورية الفردية وكان من نماذجها عبدالكريم قاسم (1958-1963م) ، أول رئيس وزراء في النظام الجمهوري ، أما النموذج الآخر مثله صدام حسين(1968 -2003م) ، ومعروفة المدة الزمنية التي يمثلها ، وهناك مرحلة يمكن وصفها بديكتاتورية الحزب الواحد ومثلها حزب البعث بعد انفراط عقد الجبهة الوطنية ، في عام 1974 م، وظل النظام السياسي بتراثه القديم والتي عاش فيها تجربة الديمقراطية البسيطة ، وعاش التجربة الديكتاتورية الفردية وما رافقها من تصفية معارضي الرأي جسدياً وظل كذلك حتى الاحتلال الأمريكي في عام 2003 م ، والتي انهت كل الأرشيف والتجربة السابقة وانطلقت التجربة الجديدة في بناء تجربة حزبية ، كانت لها تجربة في المعارضة للنظام السابق وسعت التجربة الجديدة لبناء المؤسسات القديمة بقوانيين جديدة .

كما حدث ذلك عندما حل الجيش والمؤسسات الأمنية وأيضاً تبنى النظام اجتثاث الفكر السياسي السابق وابعاد درجات من القيادات السياسية الحزبية ، واخراجهم من قيادات مؤسسات الدولة الجديدة وحاول أعضاء الصبغة الطائفية على النظام الساسي ؛ على اعتبار أن الحكم في المرحلة السابقة كان بيد

الأقلية ولا بد من إعادة العملية السياسية إلى نصابها ، بقيادة الأغلبية وهذا ما يمكن ملاحظاته في أحاديث بول بريمر.

قائمة المصادر

(1) أحمد فوزي،1988، فيصل الثاني عائلته وحياته ومؤلفاته، دار الحرية للطباعة،ط2، بغداد.
(2) بول بريمر، 2006، عام قضيته في العراق النضال لبناءٍ غدٍ مرجو، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت.
(3) توفيق السويدي ،1987، وجوه عراقية عبر التأريخ، لندن.
(4) جورج أنطونيوس،1969، يقظة العرب " تأريخ حركة العرب القومية "، ترجمة ناصر الدين الأسد وأحسان عباس، ط3، بيروت.
(5) عبد الرزاق الحسني، 2008، تأريخ العراق السياسي الحديث،دار الرافدين للطباعة، ج1، ط7، بيروت.
(6) علي عبد الأمير علاوي، 2021، فيصل الأول ملك العراق، ط1، ترجمة غيث يوسف، مركز الرافدين للحوار، النجف الأشرف0
(7) قسم الدراسات والبحوث،2007، دليل الوزارات العراقية 1920 – 2003، ط1، بغداد.
(8) مأمون امين زكي، 2013، أزدهار العراق تحت الحكم الملكي 1921 – 1958 دراسة تأريخية سياسية إجتماعية مقارنة،دار الحكمة، لندن.
(9) محمد حسين الزبيدي، 1989، الملك غازي ومرافقوه،دار الحرية ،بغداد.
(10) محمد يوسف إبراهيم القريشي، 2003، المس بيل وآثرها في السياسة الداخلية العراقية، مكتبة اليقظة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد.
(11) المس بيل،1971، فصول من تأريخ العراق القريب بين سنتي 1914و 1920، ترجمة جعفر الخياط، ط2، بغداد.
(12) نجدة فتحي صفوت، 1988، مذكرات جعفر العسكري،دار السلام، لندن.
(13) يعقوب يوسف كورية،1998، انكليز في حياة فيصل الأول، ط1، بيروت.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Internal Crises and Their Impact on the Transformations of Domestic and Foreign Policy in England (1660-1670): An Analytical Historical Study

amira.alyasiri
University of Babylon – College of Basic Education – Department of History
alyasiri207@gmail.com

Abstract:

The research problem revolves around how the “Restoration” system that emerged during the reign of King Charles II succeeded in withstanding a series of successive crises that almost destroyed its legitimacy: The reign of King Charles II (1660-1685) is considered one of the most critical and transformative periods in English history, especially the first decade of it (1660-1670). This period witnessed a transition from the legacy of civil war and republicanism to an attempt to restore the monarchy and stabilize public policy under the weight of disasters and crises. The research also explored how "crisis management" transformed from emergency measures into sustainable public policies, and comprised two sections Two sections reflect the interaction of these crises and their impact on the course of politics in the country. The first section is titled: The Crisis of Founding and Political Pressures (1660-1666), the Transition from Republic to Monarchy, and the Drafting of the "Breda Declaration." It also covers the resolution of religious and political contradictions (the Clarendon Laws) as a tool for maintaining stability, and the occurrence of natural disasters (1665-1666), including the Plague of London. The Great Fire of London: Its impact on the transformation of organizational policy and the king's attempts to impose Catholicism. - The Test Act and its impact on religious tensions. The second section was titled: The Crisis of Confidence and Administrative Reform (1667-1670) amidst wars and conflicts, The Second Anglo-Dutch War (1665-1667) and its impact on foreign relations and domestic politics; the interaction of military defeat (at Medway) with internal crises; the fall of Clarendon and the beginning of the Cabal Ministry as a shift in the decision-making structure; and the secret Treaty of Dover (1670) Foreign Alliances: - Relations with France and the

Netherlands and their impact on foreign policy . Conclusion, Ending, and List of Sources

.

Keywords:. Wars and conflicts: The Second Anglo-Dutch War and the Secret Treaty of Dover (1670), internal crises, and the fall of 'Clarendon'

"الأزمات الداخلية وتأثيرها على تحولات السياسة الداخلية والخارجية في إنكلترا (1660–1670): دراسة تاريخية تحليلية"

م.د اميرة سعيد الياسري

جامعة بابل – كلية التربية الاساسية–قسم –التاريخ

amira.alyasiri207@gmail.com

ملخص:

تتمحور اشكالية البحث حول كيفية نجاح نظام "الاسترداد" ((Restorationالناشئ فترة حكم الملك شارل الثاني في الصمود أمام سلسلة من الازمات المتتالية التي كادت تعصف بشرعيته,ويعد عهد الملك شارل الثاني (1660–1685) من أكثر الفترات حرجاً وتحولاً في التاريخ الإنكليزي، خاصة العقد الأول منه (1660–1670). فقد شهدت هذه الفترة انتقالاً من إرث الحرب الأهلية والجمهورية إلى محاولة استعادة الملكية واستقرار السياسة العامة تحت وطأة الكوارث والازمات., وكيف تحولت "إدارة الأزمات" من إجراءات طارئة إلى سياسات عامة مستدامة , وقد اشتمل البحث على مبحثين يعكسان تفاعل هذه الأزمات وتاثيرها على سير السياسية في البلاد,فكان عنوان المبحث الأول: أزمة التأسيس والضغوط السياسية (1660–1666) والتحول من الجمهورية إلى الملكية وصياغة "إعلان بريدا".مع تسوية التناقضات الدينية والسياسية (قوانين كلاريندون) كأداة لضبط الاستقرار.مع حصول الكوارث الطبيعية (1665–1666) طاعون لندن الكبيروحريق لندن الكبير: أوثره في تحول السياسة التنظيمية ,و محاولات فرض الكاثوليكية من قبل الملك. وكان المبحث الثاني بعنوان : أزمة الثقة والإصلاح الإداري (1667–1670)حيث الحروب والصراعات: الحرب الهولندية الإنجليزية الثانية (1665–1667) وتأثيرها على

العلاقات الخارجية على السياسة الداخلية , وتفاعل الهزيمة العسكرية (في ميدواي) مع الأزمات الداخلية.وسقوط "كلاريندون" وبداية تشكل "وزارة الكابال (Cabal Ministry) كتحول في بنية اتخاذ القرار. ومعاهدة دوفر السرية (1670) والتحالفات الخارجية: – العلاقات مع فرنسا وهولندا وتأثيرها على السياسة الخارجية 0الاستنتاج والخاتمة وقائمة المصادر

الكلمات المفتاحية: الحروب والصراعات: الحرب الهولندية الإنجليزية الثانية ومعاهدة دوفر السرية (1670) الأزمات الداخلية.وسقوط "كلاريندون"

مقدمة:

مشكلة البحث تتبلور مشكلة البحث في رصد "جدلية العلاقة بين الهشاشة الداخلية والطموح الخارجي"؛ فبالرغم من استعادة الملكية في عام 1660 كحل للأزمة السياسية التي تلت الحقبة الجمهورية (الكروميلية)، إلا أن العقد الأول من حكم تشارلز الثاني شهد سلسلة من الأزمات المركبة (دينية، اقتصادية، وصحية) التي لم تكن مجرد أحداث عابرة، بل كانت محركات أساسية أعادت صياغة توجهات الدولة.

المبحث الأول: أزمة التأسيس والضغوط السياسية (1660-1666)

كانت فترة حكم الملك شارل الثاني (1660-1685) (**محمد** , 2009,ص163)، والمعروفة باسم "عصر الاستعادة(The Restoration) "، كانت مليئة بالاضطرابات السياسية والدينية التي شكلت وجه بريطانيا الحديثة. من خلال التحولات الجذرية التي حدثت في بنية الدولة الإنجليزية خلال تلك الفترة , وقد عدت فترة حكم الملك شارل الثاني (1660-1685)، والمعروفة بعصر "الترميم The) " (Restoration، من أكثر الفترات تعقيداً في التاريخ البريطاني (التميمي, 2015,ص10-400).فهي لم تكن مجرد عودة للملكية بعد حقبة كروميل بل كانت صراعاً وجودياً بين إرث "الحق الإلهي للملوك" وبين سلطة البرلمان الصاعدة بعد نهاية حكم شارل الأول, والذي اتسم حكمه بالصراع المستمر مع البرلمان حول السلطات والضرائب، مما أدى لاندلا ع الحرب الأهلية. وفي نهاية هذا الصراع ، أُدين بتهمة الخيانة العظمى وأُعدم ، في أعقاب الحرب الأهلية الإنكليزية التي انتهت بهزيمة وإعدام الملك شارل الأولCharles) مما

أنهى (مؤقتاً) النظام الملكي (الياسري, ص12-60, 2014) ثم جاءت بعد ذلك فترة "الكومنولث": بعد إعدام الملك حكم إنكلترا ، فقد أُعلنت إنجلترا "جمهورية" أو ما يُعرف بـ الكومنولث الإنكليزي و صعود كروميل, في عام.1649 ومن خلال هذا التحول التاريخي الهام ,تم الانتقال من الملكية إلى الجمهورية والذي برز كقائد عسكري فذ بفضل "جيش النموذج الجديد تولى أوليفر كروميل (Iومن بين أهم الفوارق بين العهدين عهد شارل الأول وعهد أوليفر كروميل وطبيعة نظام الحكم ملكية مطلقة (الحق الإلهي للملوك) حماية عسكرية (جمهورية اسمياً)وكان التوجه الديني أنجليكاني (يميل للطقوس الكاثوليكية) في عهد كروميل (بيوريتاني متشدد) تطهيري (,اما العلاقة مع البرلمان كان هناك صدام دائم ومحاولات لتجاهله , وفي عهد كروميل وكان صدام معه وفي عام 1653، قام بحل البرلمان بالقوة ونصّب نفسه "اللورد الحامي Lord) " (Protector، ليصبح الحاكم الفعلي للبلاد بسلطات شبه ملكية وحكم البلاد عسكرياً, حتى وفاته عام وفي الثالث من ايلول/سبتمبر 1658, (عبوش, 2015 , ص52),وبعد وفاة كروميل بفترة قصيرة، فشل ابنه "ريتشارد" في الحفاظ على السلطة ،وكان كروميل قد اختار ولده ريتشارد Richard خلفاً له، فأصبح الاخير اللورد حامي الكومنولث وامتاز بعدم تمتعه بأي من مزايا والده، اذ اصبح خاضعاً الى كبار ضباط الجيش، وسادت في مدة وصايته التي لم تدم سوى سبعة أشهر و26 يومًا فقط سلسلة من النزاعات بين ضباط الجيش والبرلمان من جهة وبين الضباط انفسهم من جهة ثانية , وعلى اثر ذلك تخلى ريتشارد بنفسه عن الحكم (*)(البطريق واخر, 1999. ص207) ، مما دعا الجنرال جورج مونك George Monk* الى دخول لندن والسيطرة عليها في الثالث من شباط/فبراير 1660 مع قوة عسكرية قدرت بـ ستة الاف جندي ، وفي خضم تلك الاحداث التي مرت بها الجمهورية طوال سنوات وجودها جعلت اكثر الاعضاء الذين نادوا بالجمهورية ينقلبون عليها، شجع ذلك الامر الجنرال مونك بان يعرب عن رغبته في عودة الملكية، فأرسل

* مونك: قائد عسكري وانكليزي , ولد في 6 كانون الاول 1608 في كريت بورثوج ديفون ,قاتل في ايرلندا واسكتلندا خلال الحرب الاهلية الانكليزية ، وكان المخطط والمنفذ الرئيس لأعادة الملكية لعائلة ستيورات في سنة 1660
The New Encyclopedia Britannica, Vol.VI, USA,1911, PP.991-992 .

الى شارل الثاني يبلغه بضرورة مغادرة اسبانيا والتوجه الى بريدا Breada (هولندا)(السعدون, رسالة ماجستير ,2008). للدخول في مفاوضات حول صيغة الحكم الجديد طلب مونك من البرلمان الدعوة الى حل البرلمان واجراء انتخابات فورية , وقد وجاءت النتائج نصراً للملكيين بأغلبية المقاعد البرلمانية، وسمي البرلمان المنتخب في نيسان/ابريل(ببرلمان الاتفاقية)وذلك لكونه أخذ على عاتقه مواصلة الاتفاق مع شارل الثاني وايجاد صيغة جديدة ترضي جميع الاطراف, وتهيء الاجواء لعودته الى العرش. حيث كانت نتيجة أجتماع البرلمان في نهاية نيسان/أبريل توجيه الدعوة لشارل الثاني المنفي للعودة الى انكلترا (نوار واخر,1999, ص215), مما أدى إلى "استعادة الملكية" عام 1660 وعودة شارل الثاني (ابن شارل الأول) إلى العرش(† (Trevelyan, P.446,1944) , .

و قد تم الاتفاق معه وفق معاهدة نيوبورت Treaty of Newport عام 1648 والتي نصت على منح البرلمان سلطة اعلى للسيطرة على الميليشيا وحق التوظيف في جميع مناصب الدولة, والتي حاول اعضاء البرلمان عقدها مع والده شارل الاول وتسببت أيضاً بحملة تطهير براید 1648(، لكن شارل الثاني اعلن رفضه مثلما رفض أبيه الاتفاق بحسب هذه المعاهدة (P.51,2005, Harris) .

التحول من الجمهورية إلى الملكية وصياغة "إعلان بريدا".

وكان شارل الثاني قد أصدر تصريحا من بريدا في هولندا في الرابع من نيسان/ابريل 1660 قبل عودة الملكية, وارسله الى كل من الجنرال مونك ومجلس العموم ومحافظ لندن وضباط الجيش سمي هذا التصريح لما يحتويه من بنود اعلان بريدا The Declaration of وعودة للملك شارل الثاني من منفاه في هولندا لضمان عودة سلمية .و أيضا وعد شارل الثاني بموجبه بتجاوز تداعيات المرحلة السابقة، وتقديم "**العفو العام**" لجميع الموالين للجمهورية باستثناء الذين لا يعفو عنهم البرلمان، والحرية للمواطنين الاحرار كافة، ووعد بأن يدفع للجيش مستحقاته، المالية المتأخرة قبل حله، واقر بالتسامح الديني بالقدر الذي يوافق عليه البرلمان، والسماح للبرلمان بتحديد شرعية الالقاب الملكية التي تم اكتسابها خلال مدة انقطاع الملكية(Hrold, pp.57- 58,1953.) وقد كانت صياغة اعلان بريدا لتسوية كل المشاكل التي نتجت عن الخلاف السابق بين الملك

والبرلمان، وحاول الاعلان الحفاظ على حقوق الفرق السياسية في انكلترا (Coward,,2003, P.286_ .44. ;, Harris, Op. Cit (حسن ، رسالة ماجستير ، ص243)

وقد اعلن بالأجماع (مجلس العموم واللوردات) في البرلمان مع عمدة لندن واعضاء المجلس المحلي بعد اجتماعهم , حيث تداولوا في بنود اعلان بريدا , واعلنوا بالأجماع وبترحيب حار انه مباشرة بعد وفاة الملك شارل الاول "**جميع الممالك والحقوق التابعة له تكون بالميراث والاحقية للأبن البكر بحيث تنتقل الخلافة المشروعة الى شارل الثاني**" (, Thornton , 2005 . P10 ,) . وبذلك عاد ال ستيوارت الى حكم انكلترا مره اخرى, مما يعني أن كل قرارات البرلمان التي وافق عليها أبوه تبقى سارية المفعول في حين تم أبطال سائر القرارات الأخرى (1997., Miller, P.61)

وقد بدت أهداف شارل الثاني منذ اعتلائه عرش أنكلترا بأتباع سياسة التسامح تجاه الكاثوليك والتخلص من سيطرة البرلمان مع انه في نفس الوقت كان يواجه المشكلات الدستورية والمالية والكنسية والتي فشل "**برلمان الاتفاقية**" والذي تم تقسيمه على أسس دينية بين المشيخيين والإنجيليين, وأيضا وفق أسس سياسية بين البرلمانيين والملكيين فقد فشل في أيجاد تسويات لها، تزامن ذلك مع عدم سهولة تنفيذ أعلان بريدا ،ذلك بسبب ارتفاع كبير في فرض الضرائب في عام 1660، كذلك كانت مشكلة عدم تسديد الرواتب المتراكم للجزء الأكبر من الجيش والبحرية والذين تم تسريحهم .ولكن تم بذل جهود ناجحة من أجل استيعاب المحاربين القدماء الذين تم تسريحهم واستيعابهم في المجتمع المدني، وكان أهم أنجاز قد حققه شارل الثاني عندما صادق في آب /أغسطس 1660 على قرار العفو العام , حيث لعب دور في اغلاق باب احداث الماضي Act of free and Generd Pardon, Indemnity and oblivion(قانون التعويض والنسيان), وهو عبارة عن وثيقة بارزة تضمنت بنوداً كان اهمها تقديم عفو عن الجرائم التي أرتكبت ضد الملكية خلال جمهورية كروميل ((كامل,المصدر السابق,ص94),,

وتبدو السمة البارزة لسياسة الداخلية للملك شارل الثاني في إنكلترا" وهي من المحاور الجوهرية في تاريخ بريطانيا خلال عصر "الاسترداد" (1660-1685). فقد كان شارل الثاني يحاول الموازنة بين طموحاته الملكية المطلقة، وحاجته للمال، وبين برلمان متوجس من النفوذ الكاثوليكي والفرنسي.

ومن بين الشخصيات البارزة التي كان لها دور سياسي في عهد الملك شارل الثاني ومن ضمن المجلس الاستشاري للملك (وهو من مؤيدي الملكيين وقد خدم مع نظام كروميل وهو أدوارد هايد Edward Hyde والذي أصبح يلقب بـ أيرل كلارندون Earl Clarendon في 1661[١] (Coward, Op. Cit., P.285).

* تسوية التناقضات الدينية والسياسية (قوانين كلاريندون) كأداة لضبط الاستقرار

فقد كان شارل الثاني يحاول الموازنة بين طموحاته الملكية المطلقة، وحاجته للمال، وبين برلمان متوجس من النفوذ الكاثوليكي والفرنسي. وكانت الدوافع الشخصية للملك شارل الثاني العامل الأساسي في تسيير السياسة الخارجية لأنكلترا في كثير من الأحيان لا الوطنية فقد اتسمت القوة الخارجية المستقلة لأنكلترا في عهد كروميل بانها اصبحت تابعه لفرنسا في عهده وذلك مقابل أعانات مالية وبشكل دفعات متباعدة كان قد حصل عليها شارل الثاني من لويس الرابع عشر Louis XIV ملك فرنسا. ولأن موقف برلمان الفرسان كان يبدو في أطار تفويض محدود وغير منتظم بالنسبة لوضع الملك شارل الثاني من جانب الصرف والنفقات مما أدى لأعاقة اغلب فروع الإدارة الملكية , فكان سببا في توجه الملك للتقارب مع لويس الرابع عشر في إدارة السياسة الخارجية(Trevelyan, P.452.). ولم يتردد شارل الثاني في أوائل عام 1661 معلنا أن أنكلترا كانت بوابة فرنسا. (التميمي,مصدر سابق,ص54).

فقد ظهرت بواكير ميول شارل الثاني للكاثوليكية من خلال زواجه من الأميرة البرتغالية كاثرين براغانزا في الحادي والعشرين من آيار/مايو 1662، تزوج الملك شارل الثاني (تشارلز الثاني) ملك إنكلترا من الأميرة الكاثوليكية البرتغالية كاثرين من براغانزا(Catherine of Braganza) . كان هذا الزواج حدثاً سياسياً واقتصادياً بارزاً في تاريخ بريطانيا، وهي ابنة الملك جواو الرابع ملك البرتغال ، وهو ما أثار بعض الجدل في إنكلترا البروتستانتية آنذاك, وقد لاقى هذا الزواج تشجيعاً وارتياحاً من لويس الرابع عشر,وكان مسروراً حينما سنحت الفرصة لمساعدة البرتغال في حربها ضد أسبانيا من خلال التحالف الإنكليزي لها (Wilson,1997., P.411).، و قد كان .المهر تاريخي , ولم يكن زواجاً عاطفياً بل كان "صفقة" رابحة جداً لإنكترا، حيث شمل مهرها (مدينة بمباي (مومباي حالياً): كانت هذه بداية النفوذ البريطاني القوي في الهند .,ومدينة طنجة في المغرب، لتأمين موطئ قدم في شمال أفريقيا . ومبلغ نقدي ضخم (مهر) قُدر

بنحو تجاوز (800,000) باوند نقداً وحقوق تجارية, فتح الموانئ البرتغالية في البرازيل والهند أمام السفن الإنكليزية , ومن المهم الإشارة إلى أن مباحثات الزواج بين أنكلترا والبرتغال,والتي. ابتدات في صيف 1660 حينما قدم المندوب البرتغالي يد كاثرين لشارل الثاني ,ويبدو ان هذا العرض مغري جداً لانه سيخلص شارل الثاني من الصعوبات المالية، وسيمنح أنكلترا موقعاً بحرياً واقتصادياً قوياً في البحر المتوسط. وبعد المباحثات التي وقعت في الرابع والعشرين من حزيران/يونيو 1661 معاهدة بين إنكلترا والبرتغال على أثر الزواج (للتفاصيل اكثر ينظر(كامل, المصدر السابق,ص45-51) , ، حيث تعهد شارل الثاني بموجبها بأرسال عشرة آلاف جندي أضافي للدفاع عن البرتغال بدون الدخول في حرب مع أسبانيا (Lodge, Op. Cit., P. 21).وقد وعدت فرنسا أنكلترا بتأمين (000,2,000) *ليفر، لمساعدة البرتغال لتحقيق استقلالها فقد تم تسليم ربع المبلغ في شباط/فبراير 1662. (‡) (Grose,20011., P.178.)

وكان شارل الثاني يرغب بالاحتفاظ ببعض الامتيازات لنفسه في حال اتحاد الممالك الثلاثة (وتحولها الى الكاثوليكية، لتكوين في اتحاد ثلاثي للممالك يتكون من (انكلترا واسكتلندا وايرلندا), وجعله تحت المذهب الكاثوليكي, وقد أرسل شارل في تشرين الاول/اكتوبر 1662 السير ريتشارد بيلنغ Richard Belling's وهو كاثوليكي ايرلندي في مهمة سرية إلى البابا في روما، وقد أرسل إلى البابا رسالة ليكسب وده وقد وضح فيها الخدمات التي قدمها للكاثوليك خلال السنتين الاوليين من حكمه, حيث بين ذلك من الناحية الاجتماعية والاقتصادية,()((زواجة من اميرة كاثوليكية. وأنه قد أوقف جزء من قوانين العقوبات , وأنه تم اعفاءعدداً كبيراً من الكاثوليك من مصادرة ممتلكاتهم.كذلك عمل على منح الحرية الدينية للكهنة الكاثوليك ممن كان في السجن او المحكومين بالإعدام بممارسة عبادتهم.وسمح ببناء كنائس كاثوليكية في لندن للملكة الام, ومن الناحية السياسية ايضا كان قد سمح للكاثوليك بشغل مقعد في مجلس اللوردات ويعتبر امتياز لم يسمح به من عهد الملكة اليزابيث الاولى. ألغى يمين الولاء للكاثوليك عند دخول المملكة او الخروج منها.كل ذلك كان يبرهن حسن نية شارل الثاني تجاه الكاثوليك، وقد كان ، وكانت نتيجة المفاوضات ان رفض البابا ان يعطي منصب الكاردينال لاوبيني، كما ان شارل الثاني اراد الاحتفاظ ببعض الامتيازات

*الليفر: عملة فرنسية تسمى (ليفرتورنوا) تعادل حوالي (12) بالنسبة للباون وهي الفئة الأكثر استخداماً وشيوعاً في التعاملات الأنكلو – فرنسية في ذلك العصر

لنفسه في حال اتحاد الممالك وتحولها الى الكاثوليكية، وكان البابا غير راغب في تقديم تنازلات، لانه اراد لروما ان يكون لها كل شيء، او لا شيء (التميمي, مصدر سابق,ص55-56)

أثر أزمات التسامح الديني في تشكيل القوانين الإقصائية (قوانين كلاريندون) 1661–1665

يبدو إنه لايمكن تحقيق الاستقرار الديني في أنكلترا بسبب وجود كثير من المذاهب الدينية التي تُدار من كنائس خاصة بها، وأبرز تلك الكنائس, كنيسة أنكلترا وهي الكنيسة الرسمية التي تقسم البلاد إلى مقاطعتين، مقاطعة كانتربري ومقاطعة يورك York وعلى رأسهما رئيس الاساقفة وكل مقاطعة مقسمة هي أيضاً إلى أبرشيات، وان رئيس اساقفة كانتربري هو كبيرالاساقفة في كل انكلترا، وأيضاً كنيسة انكلترا هي كنيسة الملك، والذي يكون مجبر ان يكون عضواً فيها، وهو حامي الايمان أيضا, وكان هناك عدداً كبيراً من الطوائف التي تؤلف عشر السكان ولهم عباداتهم الخاصة بهم، منهم الكويكرز Quakers في الحياة الدينية غير المنظمة.وايضا حوالي ألفين كنيسة كان يملكها رجال دين مشيخيون *(التميمي , مصدر سابق , المصدر نفسه, ص14) منها أربعمائة كنيسة تعود الى مستقلين (غيو, 1983، ص52-55).(Wilson, Op. Cit., P.408).ان مدة خلو العرش كانت قد تركت آثاراً دينية بحاجة الى حلول بعودة الملكية وحكومة الاساقفة عام 1660 وتحفظ المعارضون على إعادة الكنيسة الوطنية, وقد كان معظم البروتستانت في المشيخية*) يرغبون بالإصلاح الشامل للكنيسة منذ عهد جيمس الأول Jamesوقد سعت تسوية الكنيسة الى محو أحداث الحروب الأهلية ولكن بدت عاجزة عن محو التعددية الدينية التي أزدهرت ما بين تعاقب الملوك(**)(15)(,.Rose,2011 P.163.),فكان شعار شارل الثاني (الحرية تحيي الضمائر) في بريدا، لذا أخذ رجال الدين على عاتقهم مهمة الدفاع عن هذا الشعار, وقد أصدر شارل الثاني في حزيران/يونيو 1660، بياناً يمنع طرد أي مستشار, لحين ان يحل البرلمان

*المشيخية : صفة لكنيسة بروتستانتية مخالفة لكنيسة انكلترا وتتبع التعاليم الكالفنيه يدير شؤونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية ولهم معتقدات خاصة بهم

*يعود مصطلح الانكليكان والكنيسة الانكليكانية الى القرون الوسطى اللاتينية (Anglicana ecclesia) والذي معناه (الكنيسة الانجليزية) إذ استخدمت لوصف المؤسسات والكنائس فضلاً عن التقاليد الدينية والطقوس وبعض المفاهيم الاخرى, التي انشأت في كنيسة انكلترا الانكليكانية والجماعات المنتسبة اليها من الكنائس المستقلة انفصلت عن الاتحاد الانكليكاني نتيجة الاختلافات المذهبية والعقائدية

هذه القضية، وقد ظل الكثير من المشيخيين يأملون عدم القيام باية تنازلات في أية تسوية دينية يرغبونها, وهم الذين ساعدوا في أرجاع الملك شارل الثاني(16)(Thornton,2005., P.123)

وقد سعى شارل الثاني وكلارندون في أيلول/سبتمبر 1660 بوضع جهوداً محددة للحصول على توافق بين الانكليكان والمشيخيين. وقد نفذت هذه الجهود في الخامس والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر بين شارل الثاني وبعض قادة المشيخية في أحد بيت كلارندون في ورسستر Worcester House (Coward, Op. Cit., P. 287.) حيث أصدر شارل الثاني أعلاناً كان قد تبنى أفكاره في التسامح والتزام الأسقفية، وفيما يخص حكم الكنيسة , قال"**لا يجوز لأي أسقف أصدار أمر أو ممارسة سلطة قضائية حول انتقاد الكنيسة وبدون مساعدة الكهنة**" (Thornton Op. Cit, P.38)

ومن اجل التقريب بين المذاهب تضمن الاعلان تغييرات مهمة في هيكلية الكنيسة، وتنازلات للكاثوليك,تزامن ذلك مع مقاومت المشيخية اي تسوية لمسامحة الكاثوليك خلال المباحثات (Miller, ,1973 P.97.) ,و كان قد تم في الإعلان تعيين لجنة لمراجعة كتاب الصلاة العامة.وقد تم التحضير لعقد مؤتمر ديني، يأمل من خلاله الانكليكان بشمولهم بكنيسة موحدة جديدة حية، فبعد الحصول على الاذن الملكي في الخامس والعشرين من آذار/مارس1661 بدأ مؤتمر سافوي Savoy Palacy أعماله في منزل المطران لنكولن في السنتراند للمدة من الخامس من نيسان/ابريل–الثالث والعشرين من تموز/يوليو من السنة نفسها بين ممثلي رجال دين انكليكانيين وممثلين مشيخانيي (Coward, Op. Cit., P. 292)،لأبرام اتفاقية بشأن العبادة والمعتقد. لكن المشيخيين افترضوا بواسطة زعيمهم ريتشارد باكستر ان المشيخية عبر عددهم و تأثيرهم تتوفر لديهم فرص ان يحصلوا على مايريدون. (Ashley, Op. Cit., P. 123) وقد تزامن مع قرب أنتهاء أعمال المؤتمر, قد تم انتخاب البرلمان الأول للحكم الجديد وهو برلمان الفرسان.حيث قررعند اجتماعه في آذار/مارس 1661 ,إعادة تأسيس كنيسة أنكليكانية (مصطفى , رسالة ماجستير , ص 69-70)متشددة و غير متسامحة ، وبعد أيام من اجتماع برلمان الفرسان تم ارجاع الأساقفة الى مجلس مقاعد اللوردات وصوت مجلس العموم بـ 228 صوتاً ضد , 103 ,وبذلك تم اقرار وجوب حرق العصبة المقدسة والعهد من جانب الشعب، ويجب على كل أعضاء البرلمان أخذ الأسرار المقدسة طبقاً لكنيسة إنكلترا. الى كتاب الصلاة العامة في عام 1604,أيماناً بأن النظام الملكي والكنيسة يدعم احدهما الآخر(أبو علية ,1993, ص144) وخلال وقت اجراء المفاوضات في

المؤتمر بين الأنكليكان والمشيخيين، راجع الفرسان والأساقفة والأكليروس (رجال الدين المسيح) كتاب الصلاة المعدل في كانون الأول/ديسمبر 1661(Coward, Op. Cit., P. 294) عملوا على تغييرات تتواءم مع البيورتان، وقد صرح ريتشارد باكستر بأنه المؤسسة الوحيدة التي تتحمل مسؤولية صياغة تسوية دينية , وكانت معاندة كهنة البيورتان قوضت أعمال المؤتمر .ونم تعطيل مؤتمر سافوي كلياً بين قادة المشيخيين و الانكليكان, وتعصب الأنكليكان ضد الخارجين عن الكنيسة وقد أنهارت محادثات أعادة التوحيد الديني (.,Wilson, Op. Cit., P.408.)

ثم تبع ذلك تشريعات برلمان الفرسان عدة قوانين كان جوهرها الدين، و سلسلة القوانين هذه كانت وبشكل جزئي في تشريعها مسؤولية كلارندرون Clarendon Key (Thornton, Op. Cit., P.38.) ، ففي نهاية عام 1663 كانت محاولات لكلارندون لتخفيف وطأة ردة الفعل الأنكليكانية ,ولم ينجح في مجلس اللوردات في عامي 1661 و1662 لجعل قانون التماثل (الانتظام) أقل قسوة على المنشقين' وكان هذا القانون قد نصّ على احقية البرلمان في استخدام الفيتو ضد القوانين الكنسية التي يضعها المجمع الكنسي الانكليكاني, كذلك كان للبرلمان حق عملية تنظيم الشعائر الدينية وتحديد الخطوط العريضة للمذهب الوطني(Coward, Op. Cit., P. 294).

ان تشريع البرلمان قانون التماثل لعام 1662 (Act of Uniformity 1662) يعتبر خطوة تاريخية حاسمة في تشكيل الهوية الدينية والسياسية لإنكلترا.,وقد كان حجر الزاوية فيما عُرف بـ "عهد كلارندون"، وقد صدر في عهد الملك تشارلز الثاني من قبل برلمان "الفرسان Cavalier) " (Parliamentالذي كان يغلب عليه الولاء الشديد للملكية والكنيسة الأنجليكانية, وكانت الهدف الجوهري من هذا القانون انه ("كنيسة واحدة، كتاب واحد ") بعد سنوات من الاضطراب والحروب الأهلية تحت حكم "أوليفر كروميل" (البيوريتان)،وقد أراد البرلمان إعادة فرض النظام. نص القانون على أن "كتاب الصلاة العامة (Book of Common Prayer) "هو المرجع الوحيد والملزم لجميع الصلوات والطقوس الدينية في إنكلترا . ويعني "التماثل(Uniformity) " انه القانون يفرض على الجميع اتباع نمط ديني موحد دون استثناء لرجال الدين, و كان على كل قسيس أو كاهن أن يعلن موافقته العلنية والكاملة على كل ما ورد في كتاب الصلاة العامة . اما مايخص الرسامة الأسقفية, حيث لم يُسمح لأي شخص

بإدارة الأسرار المقدسة أو الوعظ ما لم يكن قد تم ترسيمه من قبل أسقف أنجليكاني .و الطرد الكبير " (The Great Ejection) القساوسة الذين رفضوا الالتزام (وهم غالباً من البيوريتان أو المشيخيين) طُردوا من مناصبهم .أدى ذلك إلى طرد حوالي 2000 رجل دين من الكنيسة الإنجليزية,وقد خلق هذا القانون شرخاً دائماً في المجتمع الإنجليزي بين "الممتثلين" (أتباع الكنيسة الرسمية) و"غير الممتثلين " (Dissenters)..التبعات السياسية والاجتماعية لم يكن القانون دينياً فحسب، بل كان أداة سياسية لضمان الولاء للملك, وكان نتيجته الإقصاء: تم حرمان غير الممتثلين من تولي الوظائف العامة أو التدريس في الجامعات.وكان الاستقرار الهش: بينما حقق القانون نوعاً من الوحدة الظاهرية للكنيسة، إلا أنه جعل "التعددية الدينية" أمراً واقعاً (ولو كان سرياً في البداية)، مما مهد الطريق لاحقاً لقوانين التسامح الديني . وقد كان قانون التماثل بمثابة "غربلة" للمجتمع الإنجليزي، لإعادة ترسيخ سلطة الكنيسة الأنجليكانية الرسمية وتهميش أي فكر ديني قد يؤدي إلى ثورة أخرى ضد العرش .(كامل, مصدر سابق, ص124-125)

وقد عرض بعض من أعضاء البرلمان مسالة فهم قانون التماثل (الانتظام) لعام 1661 على المجمع الكنسي ,لكنه جوبه بالمعارضة من باقي البرلمانيين الاخرين، لأعتبار ان البرلمان هو المتمكن من صياغة القوانين المدنية وأن تعامل المجمع الكنسي ينحصر على المسائل الدينية، ومع كل ذلك فان القضايا الروحية ,البرلمان هو الذي يقرر من هي تماماً. ومن الجدير بالذكر أن المجمع الكنسي بتكون من الهيئة التشريعية لرجال الدين في المجلس الأعلى للأساقفة والأدنى المتمثلين بالمنتخبين لرجال الدين , ويعتبر حلقة التواصل بين البرلمان والكنيسة.((Rose, Op. Cit., PP.114 – 121

ثم كان لمجيء حدث بارز وهو بيع دنكيرك Dunkirk ,وهي بلدة ساحلية يسكنها الصيادون تقع في أقليم النورد Nordde Partment شمال فرنسا قرب كاليه , وهذا الحدث يفسر نمط سياسة شارل الثاني الخارجية. وتعتبر بلدة دنكيرك هي رمز لانتصارات كروميل في أوربا، وكان لموقها الجغرافي سبب في صعوبة مكلفة للدفاع عنها برا, في الوقت نفسه لم تكن لدى كلارندون رغبة في خوض حروب قارية، و بشكل عام ان الأنكليز لم يرغبوا بالاحتفاظ بجيش قريب جغرافيا من وطنهم , فكان هذا حافزا لشارل الثاني لبيع البلدة . وقد تم بيع دنكيرك الى فرنسا مقابل (5,000,000) ليفر, سبق صفقة البيع هذه مباحثات بين ملك فرنسا لويس الرابع عشر مع كلارندون , وبعد مرور شهرين من المفاوضات الدبلوماسية, توصل

الطرفان في آب/أغسطس تأمين معاهدة تمت من خلالها دفع مليوني ليفر فور التوقيع، وتم الاتفاق على دفع باقي المبلغ على دفعات لأربعة ولمدة ثلاثة أعوام، على أن توظف هذه الاموال لأنقاذ البرتغال، لكن الوضع المادي لشارل الثاني كان صعب للغاية ,وقد تم حمل ست وأربعون عربة مملوءة بالنحاس والنقود وتم نقلها من اللوفر الى دنكيرك حيث تم شحنها الى أنكلترا،وقد قسمها قام شارل الثاني على متأخرات رواتب الجيش وقروض البحرية, وصاحب المجوهرات الملكي ومؤسسة سك العملة التي تقوم بسك ثلث هذا النحاس كنقود أنكليزية (Grose, Op. Cit., PP.178 – 179.)،بالرغم من ان قرار بيع دنكر كان لاسباب اقتصادية , لكنه واجه الرفض من الراي العام للإنكليز, واعتبرو عملية البيع هي إهانة للعزة القومية للانكليز وان بيعها خسارة, ويبدو أن قرار البيع واجه عدم رضا الأنكليز رغم أنه مبرراً اقتصادياً,غير انهم عدوه قراراً مهيناً لأن خسارتها بمثابة أهانة للعزة القومية لإنكلترا((Ashley, Op. Cit., P.125).

تأكد للإنكليز أن بيع دينكرك قد سمح للويس الرابع عشر ان يمنح مرفئاً رئيساً للقراصنة الفرنسيين (Willson, Op. Cit., P.411) وأصبح لدى ملك فرنسا قاعدة ضخمة للعمليات ضد الأراضي الهولندية التابعة لأسبانيا(Grose, Op. Cit., P. 179). وبارك الفرنسيون عملية شراء دنكيرك وتأمينها من شارل الثاني، والحق، أن شراء لويس الرابع عشر دنكيرك من الملك الإنكليزي, قد أقلق المقاطعات المتحدة، وكان لويس على حلف معهم، وكانت التجارة الإنكليزية منافسة لهذه (المقاطعات المتحدة) , لكن لويس كان يخطط لغزو جنوب هولندا في 1667 وقد سبب ذلك تخوفاً لدى الهولنديين، اذ أصر لويس على تعديل الحدود مع هولندا((, Hatton, 1976, P.32, 35.).

كانت (قوانين "كلاردندون) "أو ما يُعرف بـ (Clarendon Code)ليست قانوناً واحداً، بل هي سلسلة من أربعة قوانين أصدرها البرلمان الإنكليزي بين عامي 1661 و1665، في بداية عهد الملك تشارلز الثاني .سُميت هذه القوانين باسم مستشار الملك، "إدوارد هايد، إيرل كلاردندون"، وكان هدفها الرئيسي تعزيز مكانة الكنيسة الأنجليكانية وقمع الطوائف البروتستانتية الأخرى (مثل البيوريتان والمعمدانيين) والكاثوليك, ,القوانين الأربعة هي:-

1- قانون الشركات (Corporation Act 1661) اشترط هذا القانون على أي شخص يشغل منصباً في الهيئات الحكومية اوالمحلية الهدف: إقصاء المعارضين الدينيين من مراكز القوة السياسية في المدن(Coward, Op. Cit., P.294);.

2- .قانون التوحيد (Act of Uniformity 1662) يُعتبر الأهم والأكثر قسوة، حيث فرض استخدام كتاب الصلاة العامة (Book of Common Prayer) في جميع الخدمات الدينية .أجبر رجال الدين على قبول جميع طقوس الكنيسة الرسمية .أدى لرفض أكثر من 2000 رجل دين الامتثال، مما تسبب في طردهم من الكنيسة فيما عُرف بـ "الطرد الكبير." ، وبذلك أرغموا على التخلي عن كنائسهم ومصادر عيشهم من بينهم كثير من المشيخيين والبيوريتان المتطهرين، مما أظهر ذلك إلى قوة الانشقاق على الكنيسة الإنكليزية (Harris, Op. Cit, P.53)

3- قانون الاجتماعات السرية (Conventicle Act 1664) منع هذا القانون أي تجمع ديني يضم أكثر من خمسة أشخاص خارج إطار الكنيسة الأنجليكانية الرسمية .وكان الهدف منه: منع المعارضين من إقامة عباداتهم الخاصة في المنازل أو الأماكن السرية .

4- .قانون الأميال الخمسة (Five Mile Act 1665) استهدف هذا القانون رجال الدين الذين طُردوا بسبب "قانون التوحيد ."منع هؤلاء القساوسة من الاقتراب لمسافة خمسة أميال من أي بلدة أو مكان كانوا يخدمون فيه سابقة: .(كامل, مصدر سابق ,ص117-122)

كانت هذه القوانين تمثل انتصاراً للبرلمان "الفارس (Cavalier Parliament) "الذي كان متعصباً للكنيسة الملكية، وأن معظم تلك القوانين قصد بها الكاثوليك على الرغم من أنها يمكن ان توجه أيضاً ضد المنشقين البروتستانت.ورغم أن الملك تشارلز الثاني كان يميل أحياناً للتسامح الديني، إلا أنه اضطر للموافقة عليها لضمان دعم البرلمان لتمويل حروبه وإدارته . وقد أدت هذه القوانين إلى تقسيم المجتمع الإنجليزي بوضوح بين "الممتثلين" (أتباع كنيسة إنجلترا) و"غير الممتثلين" (المنشقين)، وهو انقسام استمر أثره لقرون في الحياة السياسية البريطانية. .(Harris, 2005. P. 53)

ومع ان شارل الثاني كان يميل للتسامح في الاختلافات العقائدية، خاصة ميله للتسامح مع الكاثوليك، وهو يفهم معتقدات من والدته ومن أبن خاله ملك فرنسا, كما انه وعد البابا والسلطات الكاثوليكية أنه سوف يعمل على الغاء القوانين الجزائية، مما دعا الى ان ينظر شارل الثاني بصورة جادة في تعليق (تأجيل) قانون التماثل (الانتظام) كلياً. (Rose, Op. Cit., PP.170 – 171.)

قام مجلس شورى الملك في العاشر من حزيران/يونيو باستشارة القضاة والأساقفة، ولان القضاة كانت لديهم شكوك في شرعية سلطة التعليق، لذلك تم إلغاء المقترح .لكن في الوقت نفسه, كان شارل الثاني قد دعا لأعلان الغفران Indulgence Act, لتكريس مبادئ التسامح , وقد دعم الكثير من المستشارين ذلك الإعلان.(; Hill, Op. Cit., P.243,) وكان نشر إعلان الغفران في السادس والعشرين من كانون الأول/ديسمبر 1662,هي محاولة للتخفيف من شدة قسوة تلك القوانين الجديدة على المعارضين للكنيسة الأنكليزية.(Ashley, Op. Cit., P.P.-94, 124)

لكن مجلس العموم رفض اعلان الغفران المقترح خلال اجتماع البرلمان في السابع والعشرين من شباط/فبراير 1663 , معتبرين انه "من **يساهم في تثبيت الأنشقاق قانونياً**" خاصة بعد أنتشار أشاعة بتمسك المعارضين بأعلان شارل الثاني بشأن التسامح ,بشكل علني أمام القضاة والذين كانوا يسعون القاء القبض على المجتمعين سرياً للعبادة، فكان سبب على إصرار تطبيق القانون بالقوة من قبل مجلس العموم ،كذلك كان رفض مجلس إعلان الغفران, لان وعد بريدا عند مجيء الملكية ,لم يكن وعداً بالتسامح, ولكن كان قد نصح به البرلمان، وأن قانون التماثل,لا يمكن ألغاؤه إلا بقانون صادر من البرلمان, بينما كان إعلان الغفران قد سخِر من حقوق الكنيسة ، فكان تشريع قانون التماثل ومن ثم حله يعتبر أهانة لكرامة البرلمان, كما أن ذلك الإجراء سوف ينتهي بالحكومة بالتمرد ضدها بأيجاد حكومة جديدة مؤيدة للكثلكة . وقد حاول شارل الثاني التملص من أقرار قانون التماثل وترك المسألة معلقة.(Rose, Op. Cit., P. 95.)

وحينما وجه شارل الثاني الدورة البرلمانية المنعقدة في الثامن عشر من شباط/فبراير 1663 , خطابا يدافع فيه عن أعلان الغفران ,وقد ابدى معارضته للعقوبات ضد المنشقين,حيث تم بموجبه أعلان معارضته للعقوبات المفروضه على المنشقين، وذكر الملك شارل أنه: "**لا يقصد بالتسامح معهم إعطائهم مناصب أو وظائف في الحكومة ولا تشريع قوانين تسمح بنمو وتطوير تعاليمهم، الشيء نفسه بالنسبة لاتباع**

البابوية ولكن نمنحهم الحرية، ولا نطردهم خارج المملكة حتى لا يتآمروا علينا. وقد أثار هذا التصريح مشاعر الامتعاض عند أغلبية أعضاء البرلمان، فضلا عن رفض الأغلبية بينهم على ماتحدث به الملك ، وقد انتقدوه بوصفه : "**أمر بدون سابق أنذار, وغير ثابت من خلال الطرق والإجراءات المتبعة من خلال قوانين انكلترا**" مبينين أن الملك ليس له الحق الدستوري,من اجل عرقلة تنفيذ قانون التوحيد,بتشريع قانون التسامح الملكي ,والذي يشجع السماح بتأسيس فرقة أو طائفة منشقة عن الكنيسة قانوناً,وتسبب القلق للسلام، وقد جرى نقاش بين الملك ومجلس العموم, كان نتيجته, صراع داخل مجلس العموم انتهى باجبار, الملك شارل الثاني على سحب أعلان التسامح والغفران في بداية نيسان/أبريل 1663، وتم تزويده بمنحة مالية جديدة.(Harris, Op. Cit., P.62)

لكن أكثر قوانين كلارندون قسوة على المعارضين هو قانون التجمعات السرية Convential Act الذي صدر في نيسان/أبريل 1664، والذي منع اجتماع أكثر من خمسة أشخاص من غير أعضاء الكنيسة الأنكليزية لأسباب دينية، ومنع هذا القانون عملياً العبادة في إطار العائلة وتم إصدار عقوبة ثالثة وهي الأبعاد، وذكر المشيخي باكستر "**أن هذا القانون منع اجتماع أكثر من أربعة أشخاص حتى لو اجتمعوا للعشاء وليس للصلاة**". في حين حرم قانون الاميال الخمسة Five mile Act الذي صدر في الثالث من تشرين الأول/ديسمبر عام 1665 كل الواعظين الذين لم يقروا بقانون التماثل (الانتظام) أو لم يؤدوا قسم عدم مقاومة الملك من الاقتراب ضمن خمسة أميال من أي بلدة أو التدريس في المدارس، وكانت الغرامة لمن لم يلتزم بهذا القانون أربعين جنيهاً والسجن لستة أشهر(التميمي, المصدر السابق, ص36-37).

ويبدو أن قوانين كلارندون قد تم وضعها لغرض اجتثاث جميع البروتستانت باستثناء الأنكليكان, لان هذه القوانين,اشبه بمجموعة من الأساقفة عملوا على تحويل رجال الكنيسة الى أداة للقمع السياسي، وقد أحدثت قوانين كلارندون تغييرات أجتماعية كبيرة، لانها كانت سبب في تقسيم الحياة الدينية في أنكلترا الى قسمين: الكنيسة المطهرة من البيورتان المتعصبين عليها الذين عليهم الأمساك بالسلطة والسيطرة على أبنية الكنيسة والممتلكات الأخرى ودفع العشر، والتحكم بالتعليم على كل المستويات، والكنيسة والمنشقين عليها, فهم المنشقون عن الكنيسة وقد تم استثناؤهم من كل المكاتب الحكومية الجامعات ومن المهن الكثيرة ومن البلديات(.Coward, 2003, P.420)، ان قوانين كلارندون تم فرضها بواسطة البرلمان على المنشقين بحجة

الدين حيث أنها وجهت لتقليل تأثير المعارضة السياسية أكثر من إعادة بناء وحدة الكنيسة الوطنية((Hill,1980., P.242).وبالنسبة الى المنشقين الكويكرز Quakers والكاثوليك فقد كانت التشريعات الوقائية والتي جاءت مع عودة الملكية , كانت صارمة للكنيسة الإنكليزية ضد الكويكرز، ومع ذلك تم أرسال رسالة الى الملك من هذه الطائفة , بينت النوايا السلمية للكويكرز، وكانت الوثيقة قد حررت بعد ستة أشهر, وضحت أن الكويكرز أصدقاء خدموا في الجيش البرلماني وان هدفهم السلام في جميع أنحاء العالم (Dandelion, 2008, P.14, 22).

الحرب الإنكليزية الهولندية الثانية وأزمة الكوارث (الطاعون –حريق لندن الكبير) .

لم تكن الحرب الأنكلو–هولندية الثانية (1665–1667) مجرد صدام عسكري , بل هي محطة مفصلية في الصراع على السيادة البحرية والتجارية في العالم. ،و كانت صراعاً وجودياً على "من يملك البحار ." وابرز أسباب الحرب التي نشبت هي نتيجة تراكم التوترات الاقتصادية والقومية بين القوتين وكانت لقوانين الملاحة الإنكليزية اثر, واضح في اشعال الحرب , حيث ,أصرت إنكلترا على أن البضائع المتجهة إليها يجب أن تُنقل على سفن إنكليزية, ومن اجل مواجهة التنافس البحري والتجاري الهولندي للتجارة الإنكليزية، شرع البرلمان الإنكليزي في عام1663 قانوناً,هو قانون (السلعة الرئيسة) إذ نص على: "**سحب الهولنديين خارج تجارة المستعمرات بأجبار المستعمرين الإنكليز عل أستيراد البضائع فقط من أنكلترا وبسفن أنكليزية فقط** "(Coward, Op. Cit., P.288)

أدى هذا القانون لتوجيه ضربة قاصمة لقطاع الشحن الهولندي الذي كان يسيطر على التجارة العالمية . آنذاك , أجتمع برلمان الفرسان في السادس عشر من آذار/مارس 1664 ، وافتتح الملك الجلسة خطابه، معلنا فيها حاجته للمال لكن تم رفض تمويله من قبل البرلمان ،وقد استفز هذا الرفض شارل الثاني الذي كان يعاني من خواء خزينته، حيث اعتبرت هذه الشحة في الأموال كأداة لهدفاً مدروساً من البرلمان , من اجل استثمارها في تحقيق مكاسب سياسية، وقد أدرك البرلمان أعتماد الملك على دعمهم , مما اعطى التفسير لمسوغات وضع قانون السنوات الثلاث Triennial Act لعام 1664 .من اجل تمكين الملك لاستدعاء متكرر من أجل عقد اجتماع للبرلمانيين مرة أخرى على الأقل في مدة الثلاث سنوات(Smith, Op. Cit., P. 149.).

من ابرز أسباب الحرب كان للتنافس الاستعماري دور حيث وقعت اشتباكات في أعالي البحار، خاصة في غرب أفريقيا (تجارة الذهب والعبيد) وفي أمريكا الشمالية، حيث استولى الإنجليز على مستعمرة "نيو أمستردام" (نيويورك حالياً) قبل الإعلان الرسمي للحرب. كذلك كانت الاستفزازات متبادلة قبل الحرب بين الفريقين , فكان استيلاء الإنكليز على السفن الهولندية في وقت السلم، ورد الهولنديين بحشد أساطيلهم , وكانت الطموحات الملكية للملك تشارلز الثاني رغبته في استعادة هيبة النظام الملكي الإنكليزي وإضعاف الجمهورية الهولندية، مدفوعاً بضغط من التجار والبرلمان

القى الملك شارل الثاني في الرابع والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر 1664 في افتتاحية جلسة البرلمان خطاباً أوضح فيها حاجتة للأموال بكلفة (800,000) جنيه لتجهيز الأسطول الإنكليزي ,ضمن الاستعداد لحرب ,على وشك ان تحدث مع الأسطول الهولندي ، وقد كان شارل الثاني كثير الامتنان للأهالي في مدينة لندن, بسبب ماقدموه من الدعم حيث اقرضوه (200,000) جنيه لتحضيرات اسطوله .كذلك منحه البرلمان (5,200,000) جنيه من أجل تمويل الحرب لمدة ثلاث سنوات , أنعقد البرلمان في التاسع من تشرين الأول/أكتوبر 1665 في وقت كانت فيه انكلترا تمر بأوضاع صعبة تكمن في ارتفاع تكاليف الحرب فضلاً عن انتشار وباء الطاعون في لندن و ويستمنستر في نيسان/أبريل 1665, مما أجبر البرلمان على عقد جلساته في أكسفورد (; Wilson, Op. Cit P. 413)

ظهرت اعراض مرض الطاعون في سنة 1665 في لندن, وانتشرت بسرعة فيها, حيث أدت الى وفاة تقريباً (68,000) شخص قبل أن يختفي في عام 1666، وكان سبب في فرار الكثير من الناس من كانوا باستطاعتهم الفرار من لندن, وقد تركوا بيوتهم مغلقة ومهجوره و قد رسم عليها الصليب الأحمر, وكانت إشارة أن الطاعون موجود في داخل هذه البيوت، في وقت كانت العربات ليلا تقوم بجمع الجثث من الطرقات وتسعى لدفنها في المقابر العامة، تم حمل هذا الوباء عن طريق البراغيث الموجودة على الجرذان السوداء,للتفاصل ينظر(كامل, مصدر سابق, ص130-136), (

شكلت مصاريف الحرب عبئاً ثقيلاً على ميزانية الحكومة، وقد تزامن ذلك مع حدوت حريق عظيم تعرضت له مدينة لندن , بدأ حريق لندن من محل خباز في ضاحية بودنك قرب جسر لندن ثم انتشر الحريق باتجاه الغرب بواسطة الرياح العالية، وقد التهمت النار المدينة القديمة ودمرت الجزء الأكبر منها، وكان الناس

مهتمين بالهروب وأنقاذ حاجياتهم المنزلية أكثر من أطفاء اللهب، مما زاد الامر سوءاً ,انه استمر اربعة أيام (3 – 6) أيلول/سبتمبر 1666 أدى الى احراق معظم اجزاء المدينة , وأشرف شارل الثاني على إزالة المنازل لخلق فجوة في تسارع النار ولكن لم ينفع هذا حتى توقفت الرياح وأنطفأت النيران التي خلفت ورائها تدمير (13,000) منزل و(89) كنيسة، وقد أمر شارل الثاني بأن يتم بناء المدينة من الطابوق والحجر بدلاً من الخشب على النمط الايطالي والفرنسي.(; Coward, Op. Cit., P.301; Wilson, Op. Cit., P.413.)

مع تزايد نفقات الحرب, إضافة لكوارث الطاعون والحرائق التي حلت بلندن، تزامن ذلك مع اعلان مجلس البحرية في حاجته الى (500,000) جنيه حالا لاكمال بناء الأسطول,كل هذه الاحداث اثقلت كاهل البلاد.(كامل, مصدر سابق , ص137-142), (Powell, Op. Cit., P.35.)

. اثر غارة ميدواي في نهاية الحرب

غارة ميداوي الضربة القاضية للاسطول الإنكليزي, بينما كانت مفاوضات السلام جارية في "بريدا"، قرر القائد الهولندي مايكل دي رويتر توجيه ضربة استباقية لإجبار الإنكليز على قبول شروطه , حيث استغل الهولنديون نقص التمويل في الأسطول الإنكليزي (بسبب الطاعون وحريق لندن الكبير) وتسللوا عبر مصب نهر التايمز وصولاً إلى نهر ميدواي حيث كانت السفن الإنكليزية راسية, تمكن الهولنديون من كسر السلسلة الدفاعية الضخمة التي كانت تغلق النهر، وأحرقوا ثلاثاً من أكبر السفن الحربية الإنكليزية لتدمير أسطولهم, وقد استولى الهولنديون على السفينة الملكية "رويال تشارلز(Royal Charles) "، وهي فخر الأسطول الإنكليزي، وقاموا بقطرها إلى هولندا كغنيمة حرب. من اجل, الإذلال السياسي للانكليز, فشلت إنكلترا فشلاً ذريعاً في الحرب الأنكلو-هولندية الثانية (1665-1667). الحادثة التي قصمت ظهر البعير كانت غارة "ميدواي"، لان الأسطول الهولندي تمكن من اقتحام نهر التايمز وإحراق السفن الإنكليزية وسحب السفينة الملكية الرائدة. وكان الشعب الإنكليزي والبرلمان قد ألقى باللوم كاملاً على كلارندون بصفته "رئيس الوزراء" الفعلي. وتبدو أهمية غارة ميداوي عسكريا وسياسياً , هي إنهاء الحرب فوراً, حيث وقعت إنكلترا معاهدة بريدا, خلال أسابيع قليلة من الغارة سقوط هيبة البحرية الإنكليزية, وادت لاهتزاز ثقة الشعب البرلماني بالملك تشارلز الثاني، واعتبرت الحادثة "يوم العار" في التاريخ البحري البريطاني .وكانت

سببا في تغيير العقيدة العسكرية: اذ دفعت هذه الهزيمة إنكلترا لإعادة بناء نظامها الدفاعي والبحري، وهو ما جعلها لاحقاً القوة البحرية الأولى في العالم في القرون التالية(Smith, Op. Cit., P.152)

تعتبر معاهدة بريدا بمثابة تسوية , قد الحقت العار بأنكلترا ,اكثر مما كانت قد الحقته بهولندا، وذلك بسبب الاحداث والظروف التي جعلت طابع السرعة في توقيعها(Trevelyan, p,341.1976). وكانت النتائج السياسية (لمعاهدة بريدا 1667) , هي انتهاء الحرب بانتصار هولندي واضح بعد غارة "ميدواي" الشهيرة التي دمرت الأسطول الإنكليزي في عقر داره، وأسفرت عن تحولات سياسية كبرى,لانها إعادت رسم الخريطة الاستعمارية ,مع احتفاظ إنكلترا بمدينة "نيويورك" (نيو أمستردام سابقاً)، مما عزز قبضتها على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية, واحتفظت هولندا بـ "سورينام" (في أمريكا الجنوبية) وبسطت سيطرتها على "جزيرة رون" في إندونيسيا، مما منحها احتكاراً كاملاً لتجارة جوزة الطيب الثمينة .,كذلك تم تعديل قوانين الملاحة, بحيث اضطرت إنكلترا لتخفيف قوانين الملاحة جزئياً للسماح للسفن الهولندية بنقل البضائع الألمانية إلى إنجلترا.,و صعود القوة البحرية الهولندية,فقد ثبتت هولندا أقدامها كأقوى قوة بحرية في ذلك الوقت، لكن هذا الانتصار نبه القوى الأوروبية الأخرى (خاصة فرنسا) لخطورة القوة الهولندية، مما مهد لتحالفات جديدة وادت, إضعاف الموقف الداخلي لتشارلز الثاني, بحيث أدت الهزيمة إلى أزمة ثقة بين الملك والبرلمان الإنكليزي بسبب تكاليف الحرب الباهظة والفشل العسكري . من الناحية التاريخية رغم فوز هولندا عسكرياً، إلا أن احتفاظ إنكلترا بنيويورك كان "مكسب ترضية لها " تاريخية غيرت وجه التاريخ الأمريكي .لاحقا (كامل, المصدر السابق, ص204-221)

خاطب الملك شارل الثاني البرلمان خلال اجتماعه في الثامن عشر من تشرين الثاني/نوفمبر 1666 موضحا فيه مدى معاناة البلاط من الصعوبات المالية ، وقد جرت خلال الجلسة نقاشات بين البرلمانيين وخصومهم من أعضاء المجلس الاستشاري للملك حول محورين, أحدهما حول المنحة المالية التي وافق مجلس العموم على تقديمها والتي تقدر بـ (1,800,000) جنيه , والثاني وقد تم وضع ملحق بالمنحة فقرة تنص على تعيين بعثة لمعاينة الحسابات الحكومية, وهي سلطة تفويض لفحص وتدقيق الحسابات العامة, من اجل وضع تقرير بمعلومات صادقة, وبموجبها تتم تدبيرات الاحتياطي الضروري إنجازه, لحسم الموضوع ووضعه في الاتجاه الصحيح, هذا الموضوع كان سببا لاثارة غضب الملك شارل ,و كان القلق يشغل

أعضاء البرلمان من تزايد تكاليف الحرب الباهظة، وفي ذات الوقت , سعى خصوم كلارندون بتجميع قواهم ,متخذين نتائج تدقيق حسابات الخزينة , لتدبير التهم ضد كلارندون لتتم الاطاحة به(Morgan, ,1911 P.303.). وكان عدد التهم الموجه للمستشار قد وصل الى سبع عشرة تهمة , ذلك في في تشرين الأول/أكتوبر 1667، ومن ابرز التهم انه كان مسؤولاً عن زواج الأميرة البرتغالية كاثرين أوف براغانزا من شارل الثاني Queen Catherin of Braganza ††*والتي كانت عقيما.وكانت مصلحة كلارندون من ذلك –بحسب التهمة– بأن اختياره لأمرأة عقيم, بهدف وضع أحفاده على عرش أنكلترا (لأن ابنته آن هايد Ann Hyde تزوجت من دوق يورك أخي شارل الثاني.والتهمة المهمة الأخرى انه المسؤول في تسهيل عملية بيع دنكيرك الى الفرنسيين، واخذ العمولة له (.(Smith, Op. Cit., P.152)

وكانت الضربة الأخيرة حادثة(غارة ميدواي Medway، فضلا عما تسبب به الطاعون والحريق من إيذاء للمعنويات العامة، كانت أسباب لاثارت زوبعة من انتقادات وجهت للتاج. كان سببا ان يقدم شارل الثاني كلارندون ككبش فداء. اضحى اتهام كلارندون على أساس ذلك بالخيانة العظمى وخيانة الملك والأمة في المجالس والمعاهدات , وقد حصلت بسبب التهم الموجه لكلارندون مناقشات حادة بين مجلس اللوردات ومجلس العموم في تشرين الثاني/ نوفمبر 1667، وكان موقف شارل الثاني داعم لمجلس العموم بوضوح في مناقشاته مع مجلس اللوردات,حول قضية رفض النبلاء لسجن اللورد كلارندون، بسبب انه يمثل نموذج لحكومة سيئة في الإدارة وتدبير أمور الحرب ضد الهولنديين، وكان سبب رفض مجلس اللوردات في توجيه تهم عامة في الخيانة لكلارندون و حتى لايكون هذا الموقف الرسمي سابقة سجن غير شرعية للنبلاء(Abbott, Op. Cit., P.42.).لكن في نهاية الامر رضخ الملك شارل الثاني لموقف مجلس العموم .ويبدو ان رضوخ الملك شارل الثاني (Charles II) لرغبة مجلس العموم في إقالة ونفي مستشاره المقرب إدوارد هايد (الذي عُرف بلقب لورد كلارندون) في عام 1667، نتيجة لمجموعة من الضغوط السياسية والعسكرية والشخصية التي جعلت التمسك به عبئاً لا يحتمله العرش , واجبر كلارندون على الاستقالة من منصب

*كاثرين براغانزا (1638-1705): أبنة ملك البرتغال جوان الرابع(1640_1656) وأخت الملك الشـــاب الفونســـو السادس (1656_1683)، تزوجها شارل الثاني في 1661 ولم تنجب أي طفل له وبقيت الى جانبه الى ان توفي.

"**رئيس المجلس الاستشاري**" حامل أختام الملك ي الثلاثين من آب/أغسطس 1667، وبعد ان سحب البرلمان الثقة عنه ، فأضطر كلارندون الهرب الى فرنسا, وبقي هناك حتى وفاته في 1674 (Trevelyan, England under Stuart,1976. P.349.).

ويبدو ان رضوخ الملك شارل الثاني لرغبة مجلس العموم في إقالة ونفي مستشاره المقرب إدوارد هايد (الذي عُرف بلقب لورد كلارندون) في عام 1667، نتيجة لمجموعة من الضغوط السياسية والعسكرية والشخصية التي جعلت التمسك به عبئاً لا يحتمله العرش . كانت الأسباب الرئيسية التي دفعت شارل الثاني لهذا القرار, الإخفاقات العسكرية, حيث فشلت إنكلترا فشلاً ذريعاً في الحرب الأنكلو-هولندية الثانية (1665-1667). والحادثة التي قصمت ظهر البعير كانت غارة "ميدواي"، حيث تمكن الأسطول الهولندي من اقتحام نهر التيمز وإحراق السفن الإنجليزية وسحب السفينة الملكية الرائدة. ألقى البرلمان والشعب باللوم كاملاً على كلارندون بصفته "رئيس (طاعون لندن الكبير) 1665 .(وحريق لندن الكبير 1666) .هذه الكوارث أدت إلى سخط شعبي عارم، وكان البرلمان يبحث عن "كبش فداء" لصرف الأنظار عن تقصير الحكومة، وكان كلارندون هو الهدف الأسهل. اما موقف الملك, فقدوجد شارل الثاني نفسه مرة أخرى مضطراً لتغيير مستشاريه، لكنه خرج من هذه التجربة أكثر خبرة في كيفية "البقاء" سياسياً دون أن يفقد رأسه كما حدث لوالده .وقد اثبت شارل الثاني أنه مستعد للتضحية بأقرب حلفائه في سبيل الحفاظ على عرشه واستقلاله المالي0

وكان (مجلس العموم) قد وجه تهم الى كلارندون بالفساد والاستبداد ومحاولة تقويض سلطة البرلمان. ورأى النواب أنه يسيطر على الملك ويمنعه من الاستماع لمطالبهم. ولأن شارل الثاني كان بحاجة ماسة إلى المنح المالية من البرلمان لسداد ديون الحرب، أدرك أن البرلمان لن يمنحه المال, طالما بقي كلارندون في السلطة. (Abbott, Op. Cit., P.42)

سقوط "كلاريندون" وبداية تشكل "وزارة الكابال"(Cabal Ministry)كتحول في بنية اتخاذ القرار

، دخلت إنكلترا مرحلة سياسية جديدة تماماً , بعد سقوط كلارندون اتسمت بالذكاء، والمناورة، وأحياناً "الغموض". لم يعد الملك يعتمد على مستشار واحد قوي (مثل كلارندون)، بل انتقل إلى نظام مجموعة

المستشارين .هذه المجموعة عُرفت باسم وزارة الكابال(The Cabal Ministry) ، وهي كلمة تشكلت من الحروف الأولى لأسماء المستشارين الخمسة الكبار) Clifford :كليفورد) Ashley (أشلي ( ) Buckinghamباكنغهام) Arlington (أرلينغتون) Lauderdale (لودرديل(Cannon, Op. Cit.,p. p.p.34.101.336), وعصبة الكابال: معناها العصبة السرية وهي مشتقة من الكلمة العبرية Cabala أي المعرفة الغريبة الخفية وتصادف ان الخمسة الاعضاء الذي تألفت منهم العصبة تكون حروف اسمائهم الاولى كلمة كابال و,هي حكومة المستشارين التي حكمت انكلترا بين عامي 1667-1673 هؤلاء الشخصيات دافعوا بقوة عن صلاحيات التاج، لكنهم أختلفوا في موقفهم الديني والسياسة الخارجية من خلال مناصرة السياسة الخارجية الفرنسية (صبري، 1947، ص4) ,وقد تغيرت سياسة شارل الثاني في هذه المرحلة, اتسمت بالتحول نحو "المناورة السياسية "بدلاً من الصدام المباشر الذي كان ينهجه كلارندون، بدأ شارل الثاني يلعب على التناقضات. جعل أعضاء "الكابال" يتنافسون فيما بينهم، مما ضمن له ألا ينفرد أحدهم بالسلطة أو يشكل خطراً عليه كما فعل كلارندون(Smith, Op. Cit., P.153)(Hill, Op. (Cit, P.195.

كذلك سعى شارل الثاني الى التقارب السري مع فرنسا (معاهدة دوفر 1670) هذا هو التغير الأبرز , حيث قاد شارل الثاني سياسة خارجية مزدوجة ظاهرياً: أظهر الولاء للبرلمان والتحالف مع الدول البروتستانتية (مثل هولندا) سرياً عقد معاهدة "دوفر" مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا، التزم فيها شارل بمساعدة فرنسا ضد الهولنديين، وفي المقابل حصل على مساعدات مالية ضخمة من فرنسا جعلته أقل اعتماداً على أموال البرلمان (Miller, Op. Cit., P.172)

لم تكن مجرد اتفاق عسكري "معاهدة دوفر (Treaty of Dover) "عام 1670 ، بل هي واحدة من أكثر الصفقات سرية في تاريخ إنكلترا ,كونها تضمنت "التحول الديني "كشرط وضعه لويس الرابع عشر مقابل منح شارل الثاني مبالغ مالية ضخمة, وأن يعلن شارل الثاني اعتناقه للمذهب الكاثوليكي علناً في الوقت الذي يراه مناسباً، وأن يعيد إنكلترا إلى الحظيرة الكاثوليكية يعتبر هذا الشرط "قنبلة موقوتة"، لأنتشار البروتستانتية في إنكلترا في ذلك الوقت)وكان يُعتبر اي تلميح للكاثوليكية هو خيانة عظمى قد تؤدي لثورة وإعدام الملك (كما حدث لوالده) .وقد تمت(الرشوة الملكية) حيث كان لويس الرابع عشر يطمح للسيطرة

على أوروبا، وكان يحتاج لتحييد الأسطول الإنكليزي أو استخدامه لضرب الهولنديين. ولأن شارل الثاني كان يعاني من "ضائقة مالية" بسبب رفض البرلمان تمويله، وايضا الاستقلال عن البرلمان كان يكره أن يتسول المال من مجلس العموم.لان الأموال الفرنسية جعلته ملكاً "مستقلاً" لا يحتاج للاعتذار أو التبرير للبرلمان .الإعجاب بالنموذج الفرنسي: كان شارل يرى في لويس الرابع عشر نموذجاً للملك المطلق الذي لا يحاسبه أحد، وكان يطمح لتحقيق شيء مشابه في إنكلترا(Hutton, Op. Cit., P.303- 305 .)

تضمن عرض الدعم المالي وهو ان يدفع لويس لشارل مبلغاً سنوياً قدره 200,000 جنيه إسترليني (وهو مبلغ هائل حينها) يُدفع سراً بعيداً عن أعين البرلمان (Grose, Op. Cit., P. 180).وتقديم الدعم العسكري في حال اذا اندلعت ثورة في إنكلترا بسبب تحول الملك للكاثوليكية، بحيث يرسل لويس الرابع عشر 6,000 جندي فرنسي لحماية عرش شارل الثاني وقمع المتمردين الإنكليز .وقد ناور شارل الثاني مظهرا براعته سياسية فائقة' مع ان سياسته تبدو غير أخلاقية بمعايير عصره, فكانت المعاهدة مزدوجة, حيث قام بتوقيع نسختين من المعاهدة. النسخة الرسمية كانت تحتوي فقط على البنود العسكرية لضرب هولندا، واطلع عليها مستشاروه البروتستانت. أما النسخة السرية كانت تحتوي على "شرط الكاثوليكية"، فلم يعرف عنها فقط عدد قليل جداً من المقربين الكاثوليك,استلم شارل الأموال الفرنسية، واستخدمها لتعزيز سلطته والتحرر من ضغوط البرلمان، مع انه لم يعلن تحوله للكاثوليكية طوال فترة حكمه,.حتى اللحظات الأخيرة من حياته وهو على فراش الموت (عام 1685) ليعلن اعتناقه الكاثوليكية رسمياً(Coward, Op. Cit., P.306)، وبذلك يكون قد أوفى بوعده للويس الرابع عشر "نظرياً" بعد أن ضمن بقاء عرشه مستقراً طوال حياته .وقد تسبب هذا "الميول الكاثوليكي" في اندلا ع الثورة المجيدة ضد أخيه جيمس الثاني1688 0

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التاريخية التحليلية، يمكن القول إن العقد الممتد بين (1660-1670)لم يكن مجرد فترة انتقالية لاستعادة العرش الملكي في إنكلترا، بل كان مختبراً سياسياً واجتماعياً تشكلت فيه ملامح الدولة الإنكليزية الحديثة. ومن خلال تتبع الأزمات الداخلية وتأثيراتها، توصلت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية :

*هشاشة التسوية السياسية: أثبتت أحداث هذا العقد أن "تسوية بريداً "وإعادة الملكية لم تكن حلاً نهائياً للخلافات الدستورية، بل كانت "هدنة "مؤقتة. فالتوتر بين صلاحيات الملك تشارلز الثاني وطموحات

البرلمان ظل المحرك الأساسي للأزمات الداخلية .وهناك تداخل بين الدين والسياسة: كشفت الدراسة أن الأزمات الدينية (مثل قانون كلارندون) لم تكن مجرد صراعات عقائدية، بل كانت أدوات سياسية لفرض السيطرة وتحديد هوية المواطنة، مما أدى إلى تعميق الانقسام المجتمعي بين الكنيسة الأنجليكانية والمعارضين (Dissenters), وأثر الكوارث الطبيعية على القرار السياسي, لم تكن الأزمات مثل "طاعون لندن الكبير" و"حريق لندن" مجرد نكبات إنسانية، بل شكلت ضغوطاً اقتصادية هائلة أضعفت موقف الملك أمام البرلمان، واضطرته لتقديم تنازلات سياسية مقابل الحصول على التمويل .وخلصت الدراسة إلى أن السياسة الخارجية الإنكليزية، وخاصة الحروب مع هولندا، كانت انعكاساً مباشراً للأزمات المالية والسياسية في الداخل. فالفشل العسكري في "ميدواي" لم يكن ضعفاً عسكرياً فحسب، بل كان نتاجاً لتفكك الجبهة الداخلية وغياب الاستقرار المالي .إن إنكلترا في عام 1670 كانت تختلف جذرياً عما كانت عليه في 1660؛ فقد تعلمت الملكية أن العودة إلى الحكم المطلق باتت مستحيلة، وأدرك المجتمع أن الاستقرار مرهون بتوازن دقيق بين السلطات، وهو التوازن الذي ظل يتأرجح حتى انفجاره في "الثورة المجيدة" لاحقاً

قائمة المصادر العربية والمعربة

1– السعدون، ريا رياض حمود شبلي، الجمهورية الإنكليزية وأثرها في السياسة الداخلية لإنكلترا (1649 – 1660)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة واسط، 2008.

2- أبو عليه، عبدالفتاح، ياغي، أسماعيل أحمد، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض، 1993.

3-البطريق، عبد الحميد، نوار, عبد العزيز، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا، دار النهضة، بيروت، د.ت.

4- الصطوف، عبد الكافي، وآخرون، دراسات في تاريخ أوربا في العصر الحديث، منشورات جامعة دمشق , دمشق، 1998

5-حسن، علي جبر، الصراع بين الملك والبرلمان في إنكلترا (1603 – 1689)، أطروحة دكتوراه (منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، 2013

6-صبري، السيد، الوزير الأول في إنكلترا، مطبعة الاعتماد، مصر، 1947.

7-كامل, على زكي, شارل الثاني ودوره بالسياسي في إنكلترا حتى عام 1685, ء,رسالة ماجستير, كلية التربية,جامعة كربلا,

8-محمد,أشرف صالح د, أصول التاريخ الاوربي الحديث,(دار واتا للنشر الرقمي, قطر , 2009),ص163

9-التميمي, ماريا حسن مغتاظ , الصراع على ولاية العهد والعرش في انكلترا(1672 -1701), اطروحة دكتوراه غير منشوره, جامعة بغداد, كلية التربية للبنات, 2015

10-غيو، كلود، النظام السياسي والإداري في بريطانيا، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1983

المصادر الأجنبية

1-Ashley, Maurice, England in the seventeenth century (1603-1714), Great Britain, Morgan, Shepard Ashman, M. A., The History of parliamentary Taxation in England, (Non), 1911,

3- Britian,Ballantyne press, London, 1944

4-; Clark, Sir George, The Later Stuarts 1660 – 1714, Second Edition, Oxford, 1955.

4-- Coward, Barry, A companion to Stuart Britain, Blackwell, United Kingdom, 2003.

5- Rose, Jacgueline, Godly king ship in restoration England, United Kingdom, Cambridge, 2011

9-New Encyclopedia Britannica, Vol.VI, USA,1911

10-Trevelyan, G. M., history of England, Great,

Hatton, Ragnhild, Louis XIV and Europe, Ohio state University press, 1976

11-Harris, Tim, Restoration Charles II and his kingdoms 1660-1685, Clays Ltd, London, 2005,

12- Miller, John, Popery and Politics in England 1660-1688, Great , United States of America, Wesley Longman, 1997

13- Hill, Chistopher, The century of revolution 1603 – 1714, second Edition, Great Britain, TJ international Ltd, 1980.

• 14-Wilson, David Harris, a History of England, United States of America, the Dryden press INC., 1967.

15-Thornton, Heather, D., Restoration, religion and revenge, a thesis submitted to the Groduate faculty of Louisiana stat university and Agricultural and mechanical college in Pastel fulfillment of the requirement for the degree of Master of Arts, 2005

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Madrassas in Islam as a Model of Systematic Organization

Prof. Dr. Haider Amer Al-Sultani
University of Babylon, Babylon Center for Civilization and Historical Studies
pre663.haider.amaar@uobabylon.edu.iq

Abstract:

This research addresses the problematic emergence of sects and denominations in the history of Islamic thought, shedding light on the use of fabrication and deceit to invent sects that never actually existed in Islamic history. The study adopts the figure of the scholar and philosopher Ibrahim ibn Sayyar al-Nazzam and the sect attributed to him (al-Nazzamiyya) as a model for analysis and critique. The primary research problem lies in verifying whether "al-Nazzamiyya" was an authentic, independent Islamic sect, or merely a component of a defamation and distortion campaign led by opponents and the mainstream current to reflect the ruling authorities' stance against philosophical thought and ideological dissenters.

The research aims to scrutinize the actual existence of a sect named "al-Nazzamiyya," analyzing and criticizing the claims found in the opponents' literature, and comparing them with sound intellectual foundations and modern scientific findings. To achieve these objectives, the researcher employed the historical approach to trace al-Nazzam's biography and the context of the sect's emergence; the analytical and critical approach to examine ideas and compare them with modern science using artificial intelligence and logic; in addition to utilizing the comparative approach in specific contexts.

The study concludes that al-Nazzam was subjected to a severe campaign of defamation and excommunication, resulting in the attribution of false statements and actions to him, and the fabrication of an extremist sect bearing his name by the followers of the ruling authority. This prejudice stemmed from his bold views in criticizing certain political figures and sources of legislation, as well as his profound theological (*Kalam*) theories. Furthermore, the research demonstrates al-Nazzam's pioneering role and genius in presenting early scientific and physical theories (such as the mechanism of sound transmission, senses, and hearing), which modern science

has proven to be accurate, predating Western discoveries by centuries. The research concludes by emphasizing the importance of rehabilitating scholars and philosophers whose views were distorted due to fanaticism and sectarian bias

Keywords: Fabricated sects; Islamic thought; Ibrahim ibn Sayyar al-Nazzam; Al-Nazzamiyya sect; Ilm al-Kalam (Islamic theology); Sectarian bias.

الفرق الموضوعة في الإسلام النظامية إنموذجاً

أ.د. حيدر عامر السلطاني

جامعة بابل مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

.haider.amaar@uobabylon.edu.iq663pre

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة إشكالية نشأة الفرق والمذاهب في تاريخ الفكر الإسلامي، مسلطاً الضوء على قضية استخدام الكذب والتدليس في اختلاق ووضع فرق لا وجود لها في تاريخ المسلمين. وتتخذ الدراسة من شخصية العالم والفيلسوف إبراهيم بن سيار النَّظَّام والفرقة المنسوبة إليه (النظامية) إنموذجاً للتحليل والنقد. حيث تكمن إشكالية البحث الرئيسية في التحقق مما إذا كانت النظامية فرقة إسلامية حقيقية قائمة بذاتها، أم أنها مجرد جزء من حملة تشهير وتشويه قادها الخصوم والتيار السائد للتعبير عن موقف سلطات الحكم ضد الفكر الفلسفي والمخالفين في العقيدة.

ويهدف البحث إلى تمحيص حقيقة وجود فرقة باسم النظامية، وتحليل ونقد الأقوال الواردة في كتب الخصوم ومقارنتها بالأسس الفكرية السليمة وما توصل إليه العلم الحديث .ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد الباحث على المنهج التاريخي لتتبع سيرة النظّام وسياق ظهور الفرقة، والمنهج التحليلي والنقدي لفحص الأفكار ومقارنتها بالعلوم الحديثة بالاستعانة بالذكاء الاصطناعي والمنطق، إلى جانب استخدام المنهج المقارن في مواضع محددة.

وخلصت الدراسة إلى أن النظّام تعرض لحملة تجريح وتكفير قاسية نُسبت إليه على إثرها أقوال وأفعال ووضعت له فرقة باسمه تحمل طابعاً مغالياً من قبل أتباع السلطة الحاكمة. ويعود سبب هذا التحامل إلى آرائه

الجريئة في نقد بعض الشخصيات السياسية ومصادر التشريع، فضلاً عن نظرياته الكلامية العميقة .كما أثبت البحث ريادة النظّام وعبقريته في تقديم نظريات علمية وفيزيائية مبكرة (كطريقة انتقال الصوت، الحواس، والسمع) أظهر العلم الحديث دقتها وسبقها للاكتشافات الغربية بمئات السنين. ويختتم البحث بتأكيد أهمية إعادة الاعتبار للعلماء والفلاسفة الذين شُوهت آراؤهم بسبب التعصب والانحياز المذهبي.

الكلمات المفتاحية: الفرق الموضوعة ؛ الفكر الإسلامي ؛ إبراهيم بن سيار النظام ؛ الفرقة النظامية ؛ علم الكلام ؛ التعصب المذهبي.

مقدمة:

يُعدّ موضوع نشأة الفرق والمذاهب في تاريخ الفكر الإسلامي من القضايا المحورية التي لا تزال تثير الجدل والبحث، لما لها من أثر عميق في تشكيل العقائد وتوجيه مسار التفكير الديني في الماضي والحاضر والمستقبل. ففي خضم التطور الفكري والحضاري الذي شهده الإسلام، برزت محاولات عديدة لفهم وتأويل النصوص الشرعية، والجمع بين مقتضيات الدين والفلسفة والعلم، وهو ما أفرز آراء ونظريات مختلفة، لم تتقبلها الأغلبية وعدوا كل من يخالفهم في العقيدة والمذهب مبتدعا وضالاً.

تتناول هذه الدراسة قضية وضع الفرق والمذاهب في التاريخ الإسلامي، واستخدام الكذب والتدليس والتظليل في وضع فرق لا وجود لها في تاريخ المسلمين، واتخذنا من شخصية إبراهيم بن سيّار النَّظَّام والفرقة المنسوبة إليه، النَّظَّامية، إنموذجًا تحليليًا، فقد كان النَّظَّام، وهو عالم مُوحِّد وفيلسوف عربي كبير، صاحب آراء كلامية وفقهية عميقة، وله نظريات علمية وفيزيائية رائدة في مجالات عديدة مثل: السمع والبصر وطريقة انتقال الصوت وطريقة السمع والروح والعدل والمعاد والحواس وكذلك نقد بعض الشخصيات السياسية وله آراء في الأحاديث وبعض مصادر التشريع الإسلامي مثل الإجماع والقياس. وقد أظهر العلم الحديث دقة وعبقرية بعض هذه النظريات التي سبقت الاكتشافات الغربية بمئات السنين.

إلا أن هذا التميز لم يحُل دون تعرضه لحملة من التجريح والاتهامات، نُسبت إليه على إثرها أقوال وأفعال، ووُضعت له فرقة باسمه، غالبًا ما كانت تحمل طابعًا مُغاليًا في التكفير والتبديع من قبل خصومه ومُخالفيه. وتكمن إشكالية البحث الرئيسية في تتبع حقيقة هذا الكيان: هل كانت "النَّظَّامية" فرقة إسلامية قائمة بذاتها فعلاً، أم أنها جزء من حملة تشهير موجهة ضد المخالفين في العقيدة والمذهب للتيار السائد آنذاك، وتعبير عن موقف سلطات الحكم وكُتَّابها من الفكر الفلسفي؟.

ويهدف هذا البحث إلى التحقيق والتمحيص في حقيقة وجود فرقة باسم النَّظَّامية، وبيان مدى صحة نسبة تأسيسها إلى إبراهيم بن سيّار النَّظَّام ، وتحليل ونقد الأقوال والنظريات التي نُسبت إلى النَّظَّام في كتب الخصوم، ومقارنتها بالأسس الفكرية السليمة، والربط بين آرائه العلمية وبين ما توصّل إليه العلم الحديث، وكذلك الكشف عن أسباب التحامل على النَّظَّام وتكفيره من قِبل المخالفين له من أتباع مذهب السلطة الحاكمة، واستجلاء دور الصراع العقدي والسياسي في وضع الفرق وتشويهها، وكذلك بيان مكانة النَّظَّام في علم الفلسفة والكلام وريادته في تقديم نظريات علمية مبكرة.

واعتمدنا في هذا البحث المنهج التاريخي: لتتبع سيرة النَّظَّام ونشأة الآراء المنسوبة إليه، واستحضار السياق الزمني والسياسي الذي أفضى إلى ظهور مفهوم "النَّظَّامية". والمنهج التحليلي والنقدي: لفحص وتمحيص الأفكار الواردة في الكتب المخالفة، ومقارنتها بآراء النَّظَّام الحقيقية والنظريات العلمية الحديثة عن طريق الذكاء الاصطناعي والعقل والمنطق بهدف تمييز الأصيل من الموضوع، كما استخدمنا المنهج المقارن في مواضع محددة لمقارنة آراء النَّظَّام الكلامية بآراء الفرق الأخرى.

وختامًا، يسعى هذا البحث إلى إضاءة جانب مُهم من تاريخ الفكر الإسلامي، يكشف عن آليات وضع الفرق المحدثة، ويُعيد الاعتبار لعلماء وفلاسفة أُسيء إليهم أو شوّهت آراؤهم الفلسفية والكلامية ونظرياتهم العلمية بدافع التعصب أو الانحياز المذهبي. نسال الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى انه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: حياة النَّظَّام وسيرته العلمية

أولا– ولادته ونشأته والقابه

هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ(*) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص120؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 442/10؛ الزركلي، الاعلام، 43/1. ولد في مدينة البصرة ونشأ فيها(*) الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص16؛ احمد الشيرازي، البليغ في المعاني والبيان البديع، ص37. وذكر بانه كان مولى من موالي الزيادبين فيها(*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام وآراؤه الكلامية، ص1.، ويذكر أبن حزم بأنه كان مولى لبني بجير بن الحارث بن عباد الضبعي(*)ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، 193/4؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 470/16. وقيل كان مولى ليحيى بن الحارث البصري(*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام وآراؤه الكلامية،، ص1. وقيل إنه من ولد العبيد وأن الرق جرى على أحد آبائه(*) الجلالي، فهرست التراث، 198/1.

وقد وردت عدة آراء في السنة التي ولد فيها إبراهيم بن سيار النَّظَّام ومدة حياته، فقيل: أنه ولد حوالي عام (135هـ)(*) شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص51.، وقيل: أنه ولد في سنة (165هـ)(*) احمد الشيرازي، البليغ في المعاني والبيان البديع، ص37.. ومنهم من ذكر سنة وفاته فقط وأكتفى بالقول بأنه: ممن كان قد مات بعد المئتين(*) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 442/10.

وقال مؤلف كتاب إبراهيم بن سيار النَّظَّام: لا نعرف بالتحديد السنة التي ولد فيها إبراهيم النَّظَّام لكن من خلال تاريخ وفاته الذي ذكر أنه قد حدث في عام (221هـ) وهو بعمر ست وثلاثين سنة نعرف بان مولده كان في عام (185هـ)، لكن هناك بعض النصوص تدعونا إلى الشكك في هذين التاريخين، ومن ذلك ما رواه المسعودي وهو أن النَّظَّام كان قد حضر مجلس خالد البرمكي وزير الخليفة العباسي هارون مع طائفة من أهل النظر والكلام، وكان للنظام كلام في هذا المجلس(*) ابو ريده، النَّظَّام وآراؤه الكلامية، ص 2.. ويذكر الخوانساري: كان النَّظَّام من المعاصرين لهارون العباسي؛ وقد طلبه للحضور إلى بغداد لأجل المناظرة مع الجارية المسماة بالحسينية التي ربيت في بيت مولانا الإمام الصادق(عليه السلام)، فناظرته في محضر الرشيد ووزيره خالد بن يحيى البرمكي، وقد غلبت على النَّظَّام ((*)الخوانساري، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، ص42-43.، وكذلك يذكر القمي(*) عباس القمي، هدية الاحباب في ذكر المعروفين بالكنى والالقاب والانساب، ص256. ان النَّظَّام كان في زمان هارون العباسي، والمعروف أن هارون ولي الخلافة سنة (170هـ) واتخذ من يحيى بن خالد البرمكي وزيرا في نفس السنة، وان نكبة البرامكة كانت سنة (187هـ) وفيها قتل هارون العباسي جعفر بن يحيى البرمكي واعتقل أباه يحيى وأخيه الفضل وحبسهما بالرقة إلى ان مات يحيى سنة(190هـ)، وحسب هذه الأحداث

فان النَّظَّام يكون قد حضر مجالس البرامكة وجادل فيها وهو لا يزال بعمر عامين! هذا إذا ما اخذنا بالرأي الذي يقول: بان النَّظَّام قد ولد سنة (185هـ)[*] ابو ريدة، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص3.

والمشهور أنه كانت هناك خصومة بين النَّظَّام والشاعر أبي نواس الذي تذكر الروايات أنه توفي بين عامي(195هـ - 198هـ). وهذا يعني ان عمر النَّظَّام كان عند وفاة ابي نؤاس بين(13-15) سنة بناء على الرأي الذي قال بانه ولد سنة(185هـ) وتوفي سنة(221هـ). وهناك زاوية اخرى تضعف هذا الرأي وهي ان الجاحظ وهو من تلامذة النَّظَّام كان قد ولد سنة (150هـ)، وبهذا يكون الجاحظ قد تتلمذ على يد النَّظَّام وهو اصغر منه بخمسة وثلاثين عاما[*] ابو ريدة، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص4.

هنا نجد ان الفرق بين أبعد وأقرب تاريخ لوفاة النَّظَّام هو تقريبا (10) سنوات وان اخذنا بالرأي الذي يقول بأن النَّظَّام قد نبغ في عهد المعتصم العباسي (218-227هـ). والرأي الذي يقول: بان النَّظَّام بدأ بنشر افكاره منذ عام (221هـ) بعد ان كبر أستاذه أبو الهذيل العلاف وناهز عمره على التسعين. هنا نستطيع ان نرجح بأن حياة النَّظَّام كانت على وجه التقريب بين عامي(160- 231هـ). وهذا يستبعد ان يكون النَّظَّام قد توفي في عام(221هـ). وبهذا فهو لم يمت بعمر الخامسة والثلاثون، ولعل النَّظَّام قد مات وقد أشرف عمره على العقد السادس من العمر أو جاوزه، وقد نقل ابو ريدة عن المستشرق هورتزن انه قد ذكر بان النَّظَّام توفي وعمره ما بين الستين والسبعين سنة وانه ولد حوالي (160هـ)[*] ابو ريدة، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص5-6.

- ألقابه

أطلق على إبراهيم بن سيار عدة القاب هي: النَّظَّام والبصري[*] الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص120.، والبلخي والمعتزلي والصوفي وأهل دمشق يطلقون عليه لقب البغدادي[*] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 6/ 422-424.، فأما لقب النَّظَّام فهو بفتح الظّاء وتشديدها[*] احمد الشيرازي، البليغ في المعاني والبيان البديع، ص37. والنَّظَّام ، كَشَدَّادٍ[*]الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص120؛ الزبيدي، تاج العروس، 69/17؛). واختلف في سبب تسميته بالنَّظَّام على رأيين: الأول: لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها[*] الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص120؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6؛ علي خان المدني الشيرازي، رياض السالكين في شرح صحيفة الساجدين(عليه السلام)، ص129. والثاني وهو إنما سمى ذلك لحسن

كلامه نثرا ونظما(*) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص120.؛ المرتضى، شرح الازهار، 2/1.، وقال الزركلي: أما شهرته بالنَّظَّام فأشياعه يقولون إنها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصرة (*) الزركلي، الاعلام، 43/1. . وقالت المعتزلة بذلك: "إنما سمى ذلك لحسن كلامه نثرا ونظما"(*) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص120؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6. اما في سبب تسميته بالنَّظَّام لأنه كان ينظم الخرز في البصرة ففي هذا شك وسؤال يطرح نفسه؟: هل كل من يعمل في مهنة نظم الخرز في سوق البصرة أو في غيرها يسمى نَظَّاما؟ وبهذا فما اكثر من لقبوا بهذا الاسم وفي العادة فان من يعمل بنظم الخرز أو هي المهنة القريبة من الخياطة يقال له خياطا او خرازا أو بزازا فلماذا اطلق على النَّظَّام دون غيره لقب النَّظَّام ؟ لأنه حسب زعمهم كان ينظم الخرز؟. ولم تكن العرب لا قديما ولا حديثا تطلق على من يعمل في مهنة الخرازة نَظّاما بل خَرَّازا وهذا يشير إلى علة في هذا الموضوع.

وبعد البحث والتقصي وجدنا ان من يدعي بانه لقب بالنَّظَّام لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة فهم أما من كتاب السلطة الحاكمة أو من المخالفين له في الرأي والعقيدة والاغلبية من اتباع فرقة السنة وممن قال بهذا الرأي هو البغدادي المتشدد فقال: " والمعتزلة يموهون على الأغمار بدينه، يوهمون أنه كان نظّاما للكلام المنثور والشعر الموزون؛ وإنما كان ينظم الخرز في سوق البصرة، ولأجل ذلك قيل له النَّظَّام "(*) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127. .

ونحن نرجح الرأي الذي يقول بأن تسمية إبراهيم بالنَّظَّام لأنه كان يحسن الكلام نثرا ونظما؛ لان إبراهيم بن سيار كان قد أظهر مواهب ونبوغ عقلي منذ صغره وبهذا فقد حاز على اعجاب الناس وأهل العلم من حوله كما حدث مع الخليل بن أحمد عالم اللغة والنحو وواضع علم العروض فلقب بالنَّظَّام تمييزا له عن غيره واعجابا بشعره ونثره وعلمه.

ولا يمنع بان يكون النَّظَّام قد اشتغل في نظم الخرز في البصرة فهي مهنة شأنها شأن باقي المهن فلا سبة ولا عيب في ذلك وليس هناك ما يدعو إلى الحط من مكانته إذا كان قد لقب بالنَّظَّام لنظمه الخرز. لكن ما نراه وكما اسلفنا هو ان لقبه بالنَّظَّام لم يكن بسبب مهنته بل لأنه كان متميزا عن أقرانه في العلوم وقدرته العالية على نظم الكلام. كما ان من شأن المخالفين في المذهب ولا سيما لمن أتهم بأنه صاحب قول أو راي يخالف به السنة والعامة أن تكال له التهم من كل حدب وصوب فهذا أحد مؤرخي العامة يحاول

الحط من شأن إبراهيم بن سيار النَّظَّام ويلقبه (بالنعّال) وقال هذا لأنه كان يعمل بالنعال في سوق البصرة(*) السيوطي، لب اللباب في تهذيب الانساب، ص264. وهذا اللقب أو تسمية من يمتهن هذه المهنة لم يكن معروفا أو متداولا على السن الناس لا قديما ولا حديثا بل يطلق على من يعمل بهذه المهنة بالإسكافي لكن هذا يحاول ان يحط من شأن النَّظَّام بالنبز عليه بهذا اللقب لأنه مخالف له في المذهب فقط.

وكذلك سمي إبراهيم بن سيار النَّظَّام بالبصري(*) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص120؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 442/10؛ الزركلي، الاعلام، 43/1. وهذا بطبيعة الحال بسبب ولادته في مدينة البصرة. ونجد ان هناك من ينسب إبراهيم بن سيار النَّظَّام الى مدينة بلخ ويلقبه بالبلخي(*)اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، 802/1؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، 37/2.) وذكر ذلك أبن خلكان عند ترجمته لتلميذه الجاحظ فقال:" النَّظَّام البلخي العالم المشهور وأسمه إبراهيم بن سيار". ولا نستبعد ان يكون اصل اسرة النَّظَّام من مدينة بلخ وغلب عليهم لقب البلخي قبل اشتهار إبراهيم بن سيار بالنَّظَّام (*) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 276/4.

وكذلك أطلق عليه لقب البغدادي والصوفي وفي ذلك قال أبن عساكر:" إبراهيم بن سيار أبو إسحاق البغدادي الصوفي((*) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 145/5.. وكذلك اطلق على إبراهيم بن سيار لقب المعتزلي(*) الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص16.. ولم يرد أن أي أحد اطلق عليه لقب الدمشقي على الرغم من ان هناك من زعم بأنه قد نزل في دمشق وسكن المصيصة منها كما سيرد في ذكر ابن عساكر له.

وكما اسلفنا فان احد المؤلفين من اتباع فرقة السنة وهو جلال الدين السيوطي يحاول تحقير إبراهيم بن سيار النَّظَّام من خلال اضافة لقب له ولا اعرف حقيقة من اين جاء بهذا اللقب فقال: النَّظَّامية من المعتزلة بالتشديد إلى النَّظَّام إبراهيم بن سيار النعالي بالكسر إلى بيع النعال(*) السيوطي، لب اللباب في تهذيب الانساب، ص264.. فهل سمع احدكم يوما حرفة يسمى اصحابه بالنعاليين أو النعالي؟ أم لأنه ذكر بعض الآراء التي تخالف آراء الفرقة التي ينتمي إليها السيوطي وكما سيرد ذكرها أنفا في هذا البحث.

ومن خلال الاطلاع على تفاصيل حياة النَّظَّام نجد بأن أصل عائلته كان من مدينة بلخ ووالده كان من الموالي وان إبراهيم قد ولد في مدينة البصرة ونشأ فيها وبعد ان بلغ مرحلة الشباب قصد الأهواز، وزار كسكر ثم ذهب إلى مكة المكرمة من أجل الحج ومر على مدينة الكوفة، كما أنه سافر إلى بغداد وأقام فيها، حيث ناظر في مجلس هارون العباسي ووزيره يحيى البرمكي، وحضر مجلس المأمون مع شيخه أبي الهذيل

العلاف وكذلك ذكر بانه كان قد سافر إلى مدينة دمشق وسكن في المصيصة في سنة (230هـ)، والظاهر انه قد أستقر في بغداد وأصبح من ميسوري الحال وتوفي فيها(*) الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص16؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 6/ 422-424؛ ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام وآراؤه الكلامية، ص1.

ثانياً- علاقته بالسياسة

ذكر بأن النَّظَّام كان ممن يحضر مجالس الخلفاء والوزراء في العصر العباسي ويشترك فيما يدور فيها من مناظرات في الكلام والفلسفة وغيرها(*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص11. وبسبب الاختلاف في ولادته والغموض الذي شاب نشأة النَّظَّام فقد اختلف في عصره فقيل: كان في أيام هارون العباسي(*) المفيد، اوائل المقالات، ص266. وقيل قد عاصر المأمون العباسي الذي قرب إليه كثيراً من الجدليين المبرزين والمناظرين(*) المسعودي، مروج الذهب، 227/4. وكذلك نقل بأن النَّظَّام وهو أحد رؤوس المعتزلة المشهورين كان مقرّباً للمأمون(*) حسين الشاكري، موسوعة المصطفى، 296/12.

ثالثاً- شيوخه ومن روى عنهم وروا عنه

ان شخصية بهذا المستوى من العلم والمعرفة والمكانة بين علماء المسلمين وهذا الكم المعرفي الكبير فلا بد ان يقف وراء ذلك ذكاء كبير وفطنة حادة وهذا قد ظهر جليا في شخصية إبراهيم بن سيار النَّظَّام منذ طفولته، وخير شاهد على ذلك ما ورد في سيرته بأن والده كان قد صحبه وهو حدث إلى العالم الخليل بن أحمد الفراهيدي ليتتلمذ على يديه ويأخذ العلم منه فأراد الفراهيدي أن يمتحن فطنته وذكاءه فقال له وكان في يده قدح زجاج: "يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال أبمدح أم بذم فقال: بمدح قال نعم: تريك القذى وتقيك الأذى ولا تستر ما ورى قال: فذمها قال: سريع كسرها بطئ جبرها قال: فصف هذه النخلة وأومأ إلى نخلة في داره فقال: أبمدح أم بذم قال: بمدح قال: حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال: فذمها قال: هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى فقال: الخليل يا بني نحن إلى التعلم منك أحوج.[قال المرتضى] رضي الله عنه وهذا بلاغة من النَّظَّام حسنة؛ لأن البلاغة هي وصف الشئ ذما أو مدحا بأقصى ما يقال فيه"(*) الشريف المرتضى، الامالي، 134/1. وهذه القصة تشير إلى فطنة وذكاء وسرعة بديهة تمتع بها إبراهيم بن سيار منذ طفولته.

وقد ورد ان النَّظَّام قد تتلمذ على يد عدد من الشيوخ والظاهر أنه قد بدأ بأخذ العلم من خاله أبي الهذيل العلاف(*) القمي، العقل والبلوغ عند الإمامية، ص116. في البصرة وقيل منه أخذ الاعتزال(*)الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ص265؛الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص16؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16. وكان أبي الهذيل العلاف في حينها شيخ المعتزلة ومقدم علومهم وفيه قيل: "أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي المعروف بالعلاف المتكلم كان شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم وهو صاحب مقالات في مذهبهم وله مجالس ومناظرات وهو مولى عبد القيس وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للأدلة والإلزامات(*) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 265/4. وكما قلنا فقد تتلمذ إبراهيم بن سيار النَّظَّام على يد خاله أبي الهذيل العلاف وتخرج من مجلسه وكان العلاف يصحبه في غدواته ومناظراته، ويذكر بأنه كان يدخل فيما يجري بين ابي الهذيل وغيره من مناظرات(*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار، ص 10. وقيل بأن إبراهيم بن سيار قد تأثر بآراء واصل بن عطاء وأخذ بعض الأفكار والعقائد منه(*) القمي، العقل والبلوغ عند الإمامية، ص116.

كذلك ورد أن إبراهيم بن سيار قد تتلمذ على يد العالم الشيعي المتبحر هاشم بن الحكم وتأثر بأفكاره وذكر بأنه قد أخذ عنه نظرية الأعراض كالألوان والطعوم والروائح وغيرها(*) الأيجي، شرح المواقف، 663/3.

وذكر بأن إبراهيم بن سيار النَّظَّام كان قد أشتغل في رواية الحديث ونقل الحديث عن عدد من المحدثين وفي ذلك نقل أبن عساكر منفردا: ان إبراهيم بن سيار أبو إسحاق البغدادي الصوفي كان قدر سافر إلى دمشق وسكن في المصيصة(*) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 145/5.) وحدث بها عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني وسفيان بن عيينة ومحمد بن ربيعة الكلابي وإسماعيل بن علية ومحمد بن عبيد الطنافسي والعلاء بن برد بن سنان وأبي معاوية الضرير وحجاج بن محمد الأعور(*) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 6/ 422-424.

وفي الكوفة ذكر بأن إبراهيم بن سيار قد حدث عن محمد بن الحسن الهمداني الكوفي(*) أبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 6/ 422-424. وكذلك قيل : بانه روى عن أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الكوفي ثم الهمداني ثم المعشاري نزيل واسط(*) المزي، تهذيب الكمال، 76/25.

رابعاً- تلاميذه ومن روى عنه وتأثر به

ذكر أنه قد تتلمذ على يد إبراهيم بن سيار النَّظَّام وأخذ العلم عنه ومنه تعلم عدد من التلاميذ ومن أكثرهم شهرة كان الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي ثم البصري العالم المشهور صاحب التصانيف وله في كل فن مقالة في أصول الدين(*) ابن خلكان، وفيات الاعيان، 471/3. ومن اشهر كتبه الحيوان والبيان والتبيين(*) المسعودي، مروج الذهب، 108/4. اليافعي، مرآة الجنان، 120/2.

وكذلك روى عن إبراهيم بن سيار وتأثر به جماعة ومنهم أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز الصوفي ومحمد بن يزيد بن عبد الصمد الدمشقي وأحمد بن حائط أو خابط، وعلي الأسواريّ، وأبو جعفر الإسكافي، وجعفر بن بحر، وجعفر بن مبشِّر، ومحمد ابن شبيب، وموسى بن عمران، وأحمد بن مانوس، وصالح قبة، وأبو عفان البصري، وزرقان الإسكافي، وابو شمر، وجعفر الحدثي(*) الشهرستاني، الملل والنحل، 25/1- 62/541؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 6/ 422-424؛ المزي، تهذيب الكمال، 58/98.22/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 470/16؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 246/27.

الاقوال في ذم إبراهيم بن سيار النَّظَّام

إبراهيم بن سيار النَّظَّام من الشخصيات التي افترى عليها التاريخ بالزور والبهتان ونسب له ما ليس فيه ومما ليس في طبعه وسجاياه فنرى ان الأقوال فيه متضاربة بين مادح وقادح وبين معجب ومتهجم والأقوال فيه كثيرة ومنها ما ذكره الذهبي المتشدد والمخالف لإبراهيم بن سيار في العقيدة والمذهب بأنه كان إماما ذو ضّلال وإجرام، طالع كلام الفلاسفة وخلطه بكلام المعتزلة، وتكلّم في القدر، وانفرد بمسائل، وقد تأثر به وتابعه في آراءه أحمد بن حائط، والأسواريّ، وغيرهما، وكذلك أخذ عنه عمرو بن بحر الجاحظ(*) الذهبي، تاريخ الإسلام، 470/16.

ورمي النَّظَّام بشتى انواع التهم منها ميله إلى الثقافات الأجنبية كمذاهب البراهمة والثنوية وإنكاره للنبوات والشرائع وأنه لم يجاهر بذلك خوفا من السيف!. وقال الدينوري يذم إبراهيم بن سيار : وجدنا النَّظَّام شاطرا من الشطار يغدو على سكر ويروح على سكر ويبيت على جرائرها ويدخل في الأدناس ويرتكب الفواحش والشائنات وهو القائل:(*) ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص23.

ما زلت آخذ روح الزق في لطف وأستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي والزق مطرح جسم بلا روح

وزعم أبن حجر ان أبن النديم وأبن قتيبة قالا: " إبراهيم بن سيار بن هاني النَّظَّام أبو إسحاق البصري، مولى بنى بجير بن الحارث بن عباد الضبعي من رؤوس المعتزلة متهم بالزندقة وكان شاعرا أديبا بليغا وله كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة، وقال ابن قتيبة في اختلاف الحديث له كان شاطرا من الشطار مشهورا بالفسق"(*) ابن حجر، لسان الميزان، 67/1.

وقال الصفدي المخالف له في العقيدة والمذهب: وكان مع ذلك فاسقا مدمنا على الخمور وكان آخر كلامه أن القدح كان في يده وهو سكران فقال وهو في علية له يشرب فيها فلما فرغ من كلامه سقط من العلية فمات من ساعته في سنة ثلاثين ومائتين تقريبا وهو القائل: (*) الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16.

اشرب على طرب وقل لمهدد
هون عليك يكون ما هو كائن

وكذلك ذمه أبن النديم المخالف له بالقول: وكان يتعشق أبا نواس وله فيه عدة مقطعات(*) ابن النديم، الفهرست، ص205. وذمه السمعاني المخالف (*) السمعاني، الأنساب، 507/5. ونقل ابن النديم: وإياه عنى أبو نواس بقوله: "فقل لمن يدعى في العلم فلسفة . ذكرت شيئا وغابت عنك أشياء"(*) ابن النديم، الفهرست، ص206.

وما ينسف كل هذه الافتراءات والتهم عن العالم الكبير إبراهيم بن سيار هو بانه قد شهد له بانه كان قد نجح في محاربة الثنوية والديصانية والمنانية والدهرية وملحدة الفلاسفة ولم يكن في التاريخ أحد نجح نجاح النَّظَّام في ابطال كلام الثنوية واسقاطهم عن مركزهم وشأنهم في الشرق الادنى"(*) ابو ريده، النَّظَّام ، ص44-46.

فكيف يجتمع النقيضين يكون من الثنوية والديصانية والمنانية والدهرية وملحدة الفلاسفة ثم ينذر نفسه لإبطال مذاهب كل هؤلاء والرد عليهم والانتصار للإسلام؟ ان هذا لقول عجيب وافتراء أعجب!.

1- الأقوال في مدح النَّظَّام

ان شخصية كبيرة مثل إبراهيم بن سيار النَّظَّام ومتكلم مفوه إضافة إلى ما تحصل عليه من ثقافة واسعة نتيجة لطوافه في البلاد الشرقية قد أضاف لثقافته عناصر متنوعة من هندية وفارسية ويونانية. وبطبيعة الحال لا بد ان يكون له حاسدين في العلم وما أكثرهم في كل زمان، لكن مع وجود هؤلاء فهناك عدد من المنصفين من مدح إبراهيم بن سيار النَّظَّام أو اثنى عليه ومنها قال الشيخ الصدوق: أبن أخت أبى هذيل العلاف شيخ المعتزلة، وكان النَّظَّام صاحب المعرفة بالكلام أحد رؤساء المعتزلة، أستاذ الجاحظ((*)الشيخ الصدوق،

كمال الدين وتمام النعمة، ص120. وقيل: هو"من أئمة المعتزلة وقادتهم، وأستاذ الجاحظ في الكلام والاعتزال، ومن أئمة البلاغة والبيان، كان حديد الذهن سريع الخاطر، تتلمذ على أبي الهذيل العلاف، وبرع وظهر على أستاذه في مناظرات كثيرة. كما أخذ عن هشام بن الحكم وتأثر به إلى حد بعيد. وقد وصفه تلميذه الجاحظ في كتاب الفتيا فقال: " وكان إبراهيم من حفاظ الحديث مع ذهن حديد ولسان ذرب، يتلخص به إلى الغامض، ويحل به المعقد، ويقرب به ما بعد(*) المفيد، الفصول المختارة، ص238؛ نعمة، هشام بن الحكم، ص32. وكان من مشاهير العلماء البارعين في علم الكلام والفلسفة(*) حسين الشاكري، موسوعة المصطفى، 547/9. وذكره الجلالي بالقول: فأما أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النَّظَّام فإنه كان مقدما في العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعاني(*) الجلالي، فهرست التراث، 198/1.

وذكره المستشرق هورتزن فقال: "كان أعظم مفكري زمانه تأثيرا بين أهل الإسلام، وهو في الوقت نفسه أول من يمثل الأفكار اليونانية تمثيلا واضحا؛ وسبب تطرفه وجرأته في آرائه أرغم متكلمي الإسلام على الرد عليه؛ والدفاع عن اراءهم دفاعا منظما (*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار، ص66. وذكره أبو ريده بالقول: النَّظَّام اول مفكري الإسلام المتفلسفين(*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار، ص69. وقال فيه مضطرا من كان قد ذمه في السابق: وكان متكلما شاعرا أديبا حسن البلاغة، مليح الألفاظ جيد الترسل (*) ابن النديم، الفهرست، ص205. وقال فيه تلميذه الجاحظ:" كان إبراهيم مأمون اللسان قليل الزلل والزيغ في باب الصدق والكذب. كان أنفا شديد الشكيمة أبَّاء للهضيمة يستنكف من الجبن والفرار والهزيمة"(*) أبو ريده، النَّظَّام ، ص72.

وقال فيه الشيخ المفيد: النَّظَّام أبو إسحق إبراهيم بن سيار بن هاني البصري ابن أخت أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وكان النَّظَّام صاحب المعرفة بالكلام أحد رؤساء المعتزلة أستاذ الجاحظ وأحمد بن خابط، كان في أيام هارون الرشيد وقد ذكر جملة من كلماته وعقائده في كتاب الحسنية(*) المفيد، اوائل المقالات، ص266.

سادساً– علوم النَّظَّام

نشا إبراهيم بن سيار طفلا يتوقد ذكاء، ويتدفق فصاحة وكان عهده عهد ازدهار الترجمات الأجنبية للآراء الوافدة إلى بلاد الإسلام(*) السبحاني، الالهيات، ص139. وشهد عدد كبير من الكتاب بغزارة علمه وعلو كعبه وقد ظهرت عليه علامات النبوغ منذ حداثة سنة ونجد نصوص تؤيد ذكاء وفطنة النَّظَّام منذ طفولته ومنها ما ذكرناه سابقا وذكره السيد المرتضى: حكي ان أبا النَّظَّام جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوما ليمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال أبمدح أم بذم فقال بمدح قال نعم تريك القذى وتقيك الأذى ولا تستر ما ورى قال فذمها قال سريع كسرها بطئ جبرها قال فصف هذه النخلة وأومأ إلى نخلة في داره فقال أبمدح أم بذم قال بمدح قال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال: فذمها قال: هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى فقال الخليل: يا بني نحن إلى التعلم منك أحوج. وهذا بلاغة من النَّظَّام حسنة لان البلاغة هي وصف الشئ ذما أو مدحا بأقصى ما يقال فيه(*) الشريف المرتضى، الامالي، 134/1.

وكان النَّظَّام مفكرا مبدعا غزير المادة موسوعيا في المعارف ذا اتجاهات اساسية في الكتابة فهو: علمي فلسفي في الكلام والنقل والنقد والتحليل والتعليل والأسلوب، والمناظرة والدفاع والتعمق المنطقي في المسائل العلمية والأدبية وكان الفراهيدي يقول: نكثر من العلم لتعرف وتقلل منه لتحفظ. ويقول النَّظَّام: القليل والكثير للكتب، والقليل وحده للصدر. وكان على اطلاع بالكثر من التيارات الفكرية في عصره(*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص46.

ومن الشواهد على غزارة علم النَّظَّام أنه قيل له: ما الاختصار فقال: الذي اختصاره فساد. وقال لرجل: أتعرف فلانا المجوسي فقال: نعم ذاك الذي حلق وسط رأسه كما يفعل اليهودي فقال النَّظَّام: لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفت. قال الجاحظ: وذكر النَّظَّام عبد الوهاب الثقفي فقال: هو أحلى من أمن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغنا بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم(*) الشريف المرتضى، الامالي، 134/1؛ ابن النديم، الفهرست، ص205؛ الجلالي، فهرست التراث، 198/1.

وكذلك عرف بالكرم والسخاء وبأنه كان يضع الأموال في موضعها الصحيح فورد أن إبراهيم بن سيّار النَّظَّام قال: الذهب لئيم؛ لأنّ الشكل يصير إلى شكله، وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام. وكان النَّظَّام له نظر بوجوه التصرف، وكان السلطان يصله بالكثير، وكان محظوظا؛ فإذا اجتمع له مال حبس

لنفسه بلغة، وفرّق الباقي في أبواب المعروف؛ فقيل له في ذلك، فقال: من حقّ المال عليّ أن أطلبه من معدنه، وأصيب به الفرصة عند أهله؛ ومن حقّي عليه أن يقيني السوء بنفسه، ويصون عرضي بابتذاله، ولا يفعل ذلك إلّا بأن أسمح به؛ ألا ترى ذا الغنى؛ ما أدوم نصبه، وأقلّ راحته، وأخسّ من ماله حظًّه، وأشدّ من الأيام حذره، وأغرى الدهر بثلبه ونقصه، ثم هو بين سلطان يرعاه، وذوى حقوق يسبّونه، وأكفاء ينافسونه، وولد يريدون فراقه، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء، ومن أكفائه الحسد، ومن أعدائه البغي، ومن ذوى الحقوق الذمّ، ومن الولد الملال، وذو البلغة قنع فدام له السرور، ورفض الدنيا فسلم من المحذور، ورضى بالكفاف فتنكّبته الحقوق(*) إبراهيم القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 557/2.

ومن أغرب ما قيل عن النَّظَّام هو أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وقال عبد الجبار المعتزلي في طبقات المعتزلة كان أميا لا يكتب ولا يقرأ(*) المرتضى، أحمد، شرح الازهار، 2/1؛ ابن حجر، لسان الميزان، 67/1.) مع غزارة علمه وكثرة مطالعاته ومؤلفاته وما اتهمه به خصومه من تأثره بالكتب(*) ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص 63. ويذكر ان جعفر بن يحيى البرمكي ذكر ارسطاليس فقال النَّظَّام: " قد نقضت عليه كتابه؛ فقال جعفر: كيف ذلك وأنت لا تحسن أن تقرأه!؟ فقال: أيما أحب إليك؛ أن اقرأه من أوله إلى آخره أم من آخره إلى أوله؟ ثم اندفع يذكر شيئا فشيئا وينقض عليه، فتعجب منه جعفر "(*)المرتضى، أحمد، شرح الازهار، 2/1.

ومع ما قيل فيه بأنه لا يكتب ولا يقرأ كان قد حفظ التوراة والإنجيل والزبور مع تفسيرها قال الجاحظ: ما رأيت أحدا أعلم بالفقه والكلام من النَّظَّام وهو من الطبقة السادسة من المعتزلة(*) الجلالي، فهرست التراث، 198/1. وما قيل عن النَّظَّام بأنه لم يكن يقرأ أو يكتب فهذا يعطينا صورة عن حجم الافتراء الذي لحق بإبراهيم بن سيار النَّظَّام فكما وصل الحال بهم إلى اتهامه بالكفر وانكار النبوات واخراجه من دائرة الإسلام واتهامه على أنه اسس فرقة باسم النَّظَّامية فهنا نجد مثل هذا القول فيه بأنه أمي لا يقرا ولا يكتب فكيف يمكن لرجل أمي لا يقرا ولا يكتب ان يقرأ ويحفظ الانجيل والتوراة وكتب الفلاسفة ويؤلف هذا الكم الكثير من الكتب؟!.

وقال فيه الشيخ الطوسي: شيخ المعتزلة كان متكلما، فقيها، جدليا، فيلسوفا، شاعرا، كما اهتم بدراسة أصول الفقه، له كتب عديدة وأسس مدرسة لمحاربة الدهريين، كما حارب في بغداد المرجئة، والجبرية،

والمحدثين، والفقهاء، وكان النَّظَّام صاحب المعرفة بالكلام(*) الطوسي، العدة في اصول الفقه، 97،286/1. وكان من قوة علمه انه عارض آراء الفقهاء وانتقد الجبرية والمرجئة(*) الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص16.

وذكر بأنه كان سريع الحفظ وقد حفظ القرآن والتوراة والانجيل والزبور وتفسيرها، مع كثرة حفظه الأشعار والأخبار واختلاف الناس في الفتيا، ومع كثرة حفظه فلم يكن مقلدا لما يسمعه دون نقد أو تحقيق فلم يكن مجرد راوية بل كان يختار ما يحفظ وتدل على ذلك الوصية المأثورة عنه في ذلك، وكان كثير النقد لما يقرأ فنقد كتابا لأرسطو كذلك نجد له نقدا شديدا للحديث وجرأة في الطعن على رواته، حتى لو كانوا من الصحابة الأولين وله ملاحظات في تفسير القرآن وهو بعد هذا أديب حسن الخاطر جيد المعاني وشاعر تأخذ ملاحته بالقلب والسمع((*)ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص14.

سابعاً– مؤلفاته:

شخصية علمية بارعة مثل إبراهيم بن سيار النَّظَّام في عصر ازدهار علم الكلام والفلسفة والجدل والمناظرات والترجمة وغيرها من العلوم الكثير لا بد وأن يكون قد ترك إرثا كبيرا وهذا ما حصل بالفعل إذ ذكروا أن له كتبا كثيرة في الفلسفة والاعتزال(*) الزركلي، الاعلام، 43/1. وفيه قيل: "إبراهيم بن سيّار بن هاني عالم في الكلام والحكمة له تسعة وثلاثون كتاباً"(*) احمد الشيرازي، البليغ في المعاني والبيان البديع، ص37. لكن مما يؤسف له هو ان أعداءه ومخالفيه في العقيدة والمذهب قاموا بإحراق كتبه العلمية واتلافها كما أحرقوا كتب غيره من العلماء والفقهاء ممن يخالفوهم في المذهب وهذا دأب اتباع فرقة أصحاب السلطان.

ومما يؤسف له هو انه لم يصل إلينا أي كتاب من كتب النَّظَّام الكثيرة التي عكف على تأليفها وكان جلها في الدفاع عن الدين الإسلامي ضد التيارات الأخرى؛ لأن مخاليفه من السنة والجماعة وكما قلنا قد نجحوا في اتلاف كل كتبه كما نجحوا في اتلاف أغلب كتب من يخالفهم في المذهب وفي ذلك نقل عن المستشرق ارنولد: ان ثورة أهل السنة على المعتزلة بلغت من النجاح في اتلاف كل مؤلفات هذه الفرقة حدا يجعل المؤرخ مضطرا حتى الآن إلى الرجوع في معرفة تاريخهم ومذاهبهم ومؤلفات قوم نظروا اليهم كما ينظر الزنادقة، وتبنوا لذلك عنهم بروح التعصب"((*)ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص 64.

فبعد هذا الكلام كيف يمكن أن نحكم على النَّظَّام من خلال كتب خصومه ومن عمد إلى إحراق كتبه وعده كافرا وزنديقا؟ لذلك نجد ان كل من كتب عن النَّظَّام أما يكون عدوا له أو قد أخذ من كتب خصومه المتحاملون عليه ويقلبون الحق باطلا والباطل حقا ويرون أن كل رأي له على أنه فضيحة وان كان في معارف الدين والتوحيد والنبوة أو نظرية علمية.

والظاهر أن كتب النَّظَّام كانت على مستوى عالي من العلم ولا تحتوي حشوا من الغث والسمين بل أراد ان تكون مركزة لتفتق ذهن القارئ وتجعله يتأمل ويتفكر في تلك النظريات العلمية. وهذا الاخفش لا يفهم الكثير مما جاء في كتب الفيلسوف إبراهيم بن سيار النَّظَّام فكيف بعامة الناس أو من هو ليس من أهل اللغة والنحو من العلماء فيقول الاخفش: ولكن ما بال إبراهيم النَّظَّام وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم، ثم يأخذها مثلي في موافقته وحسن نظره وشدة عنايته، ولا يفهم اكثرها؟"(*)ابو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص 74. وهذا يثبت بأن إبراهيم بن سيار كان يكتب نظريات علمية سابقة لزمانه بمئات السنين حيث يعجز علماء زمانه عن فهم محتواها ومضامينها كما سنبين ذلك لاحقا.

ومن الكتب التي ألفها إبراهيم بن سيار النَّظَّام هي: كتاب الجزء، كتاب عن الحركة، كتاب الرد على الثنوية، كتاب العالم وهو في الرد على ارسطو ذكره الراوندي عند تشنيعه على النَّظَّام، وكتاب في التوحيد رد فيه النَّظَّام على خاله أبي الهذيل العلاف، وكتاب النكت ذكره أبن أبي الحديد وقال ان النَّظَّام أنتصر فيه لكون الإجماع ليس بحجة وعاب فيه الصحابة(*)ابو رده، إبراهيم بن سيار النظام، ص 74.

المبحث الثاني: التهم والشبهات والبدع المنسوبة إلى إبراهيم بن سيار النَّظَّام

وهنا سنذكر تلك التهم التي اتهموا إبراهيم بن سيار النَّظَّام بها ونظرياته العلمية وآراءه الفقهية والفلسفية ومقالاته لنقف على حقيقة هل ان النَّظَّام كان حقا صاحب بدعة وضلالة وانه أسس فرقة باسم النَّظَّامية أم ان ما قيل فيه مجرد ادعاءات كاذبة تخللها التدليس والتحريف والتزوير لتشويه سمعة هذا الانسان؟. وان ما كان يقوله نظريات علمية تستحق التقدير والاحترام، وحتى نفهم ما هو المسوغ الذي دعا بعضهم لإتهامه على أنه صاحب فرقة من فرق الإسلام. ومن التهم والأقوال والشبهات المنسوبة للنظام هي:

1- قال المخالفون للنظام في العقيدة والمذهب إن أصحاب النَّظَّام قالوا لا يقدر الله أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه ولا أن يزيد أو ينقص من ثواب وعقاب وكونه مريدا لفعله أنه خالقه ولفعل العبد أنه آمر به كان النَّظَّام ككل معتزلي، يقول بالعدل، الأصل الثاني من أصول المعتزلة، ومن العدل ألا يصدر عن الله أي شر، بل مقتضى العدل ألا يصدر عنه إلا كل ما هو الأصلح للإنسان، ولذا ينفي النَّظَّام أن تكون الشرور الموجودة في العالم، مخلوقة لله. ويقول: ان الله لا يقدر أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة، لأن نعيمهم صلاح لهم(*) الأيجي، المواقف، 663/3؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16؛ شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص52؛ نعمة، هشام بن الحكم، ص32. . وان صح ذلك فهذا مجرد رأي لعالم من علماء المسلمين وفقهائهم طرحه ولم يقصر أحدا على اتباعه كما فعلت السلطات الحاكمة في ذلك الوقت. وهذا يدخل في باب فلسفة الدين الإسلامي وهو بهذا الرأي أراد أن ينزه الله تعالى جل ثنائه عن كل شر، كما ان خصوم النَّظَّام لم يتركوا لنا الكتاب الذي ذكر فيه ذلك وما كان يقصد فيه وكيف شرحه بل عمدوا إلى إحراق كتبه ثم أتهموه بأنه جاء ببدعة في الدين هو براء منها.

2- ومن التهم التي أتهمه بها المخالفين له من اتباع فرقة السلطان وكفروه بسببها هو أنهم نقلوا في كتبهم أنه كان يقول: أن الإنسان هو الروح والبدن آلتها، والروح جسم لطيف سار في البدن سريان ماء الورد في الورد والدهن في اللبن والسمسم(*) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127-143؛ الزبيدي، تاج العروس، 69/17. فتارة يحكم بأن الأعراض أجسام وأخرى بأن الأجسام أعراض((*)الأيجي، المواقف، 663/3؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16؛ شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص52.، والجوهر مؤلف من الأعراض. وذكروا بانه كان يقول: ان الانسان هو الروح وهو جسم لطيف داخل هذا الجسم الكثيف مع قوله بان الروح هي الحياة المشابكة لهذا الجسد وقد زعم انه في الجسد على سبيل المداخلة وانه جوهر واحد غير مختلف ولا متضاد(*) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127-143. . وهذا رأي في ماهية الروح ان صح عنه وقد نقله اعداءه فلا عيب فيه بل يعد اثراء للعقل والله سبحانه وتعالى يقول: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا))(*) سورة الإسراء، الآية 85. . وهذا كلام لمحاولة تفسير الروح وعلاقتها بالجسم فما هو المبرر الذي يكفر النَّظَّام من أجله؟.

والعلم الحديث يقول في نظرية النَّظَّام العلمية عن الاحساس والمحسوس:

أ- هذا الجزء يصف عملية السمع، وهو يلامس الحقيقة ولكن بتبسيط شديد.

ب- قرع طبلة الأذن: الموجات الصوتية لا تقرع العصب مباشرة، بل تقرع طبلة الأذن (الغشاء الطبلي)، فتجعلها تهتز.

ت- العظيمات السمعية: تنتقل هذه الاهتزازات عبر ثلاث عظيمات صغيرة في الأذن الوسطى (المطرقة، السندان، الركاب) لتضخيمها ونقلها.

ث- القوقعة والسائل: تصل الاهتزازات إلى القوقعة (حلزون العظم) في الأذن الداخلية، وهي مملوءة بسائل.

ج- الخلايا الشعرية والعصب السمعي: اهتزاز السائل يحرك الخلايا الشعرية الدقيقة الموجودة في القوقعة. هذه الخلايا هي التي تقوم بعملية التحويل الحسي، حيث تحول الاهتزازات الميكانيكية إلى إشارات كهربائية (نبضات عصبية).

ح- العصب السمعي: تُرسل هذه النبضات الكهربائية عبر العصب السمعي (ليس "العصب المفروش" ككل، بل عصب متخصص) إلى الدماغ.

خ- العصب ينقل إشارات كهربائية مشفرة تعكس خصائص الموجة الصوتية (مثل التردد والسعة).

اما في مقولة إبراهيم بن سيار النَّظَّام :"ثم يصل إلى الخيال فيعرض على الفكر العقلي فيفهم": فقال العلم الحديث: هذا الجزء يصف المعالجة الدماغية والإدراك:

أ- الإشارات من العصب السمعي تصل أولاً إلى مناطق معينة في جذع الدماغ ثم إلى المهاد، ومنه إلى القشرة السمعية الأولية في الفص الصدغي من الدماغ. وهنا يتم تفسير الإشارات الأولية كأصوات.

ب- ثم تُرسل هذه المعلومات إلى مناطق دماغية أعلى وأكثر تعقيداً (مثل مناطق اللغة والفهم) حيث يتم ربطها بالمعاني والخبرات السابقة، وهذا ما يمكن أن يُشار إليه بـ "الفكر العقلي" أو "الخيال" بالمعنى الفلسفي أو المعرفي. هذه العملية هي أساس الفهم والإدراك الواعي.

وخلاصة الكلام قال العلم الحديث:" باختصار، النتيجة النهائية للمقولة تتوافق مع العلم (فهم الكلام)، لكن الآلية المفصلة التي تصفها المقولة تحتاج إلى تحديث كبير في ضوء المعرفة العلمية الحديثة".

هنا نقف مذهولين ومتعجبين من ذكاء إبراهيم بن سيار النَّظَّام ونظريته العلمية الصحيحة تلك قبل أكثر من (1300) عام ومن جرأة اعداء النَّظَّام عليه وعلى غيره من العلماء بالكذب والتدليس واتهامهم للعلماء والفلاسفة المسلمين بشتى أنواع التهم الباطلة بل عمدوا إلى تفسيقهم وتكفيرهم واخراجهم من ملة الإسلام ليس لشيء اقترفوه بل لانهم قالوا كلمة الحق بحق شخصية سياسية وهنا لنا أن نتصور حجم الزيف والتظليل والتزوير الذي وقع في التاريخ الإسلامي الذي كتب بيد هؤلاء الكذّابين المنافقين المتعصبين الذين عمدوا على تكفير كل من يخالفهم في مذهبهم مهما كان علمه ومكانته فيكيلون له التهم كيلا فأي ارهاب فكري أعظم من هذا وأي ظلم تعرض له النَّظَّام وغيره من علماء المسلمين في الماضي على يد اعداءهم؟ فهل يؤخذ من هؤلاء عدل أو صرف وهل يركن إلى دينهم وتؤخذ فتاويهم واراءهم كلا والله بل ان كل ما كتبوه هو الزور والبهتان على أمة محمد(ص وآله).

3- ومن الآراء الفلسفية التي نسبها اعداء النَّظَّام إليه ونقلوها عنه في كتبهم والتي بسببها أتهم بانه صاحب فرقة هي قوله: ان فاعل العدل لا يقدر على الظلم وأَنَّ العَادِلَ لا يَقدِرُ على الظُّلْم(*) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127-143؛ ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، 193/4؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16. بطبيعة الحال ان القول المنسوب لإبراهيم بن سيار النَّظَّام هذا لم يؤخذ منه بل قال به المخالفين له في العقيدة والمذهب بعد أن أحرقوا كل كتبه وأحالوها رماداً ولم يبقوا منها صفحة أو كلمة واحدة!؟ فهلا ترك لنا هؤلاء كتبه حتى نأخذها حجة عليه فكيف لنا ان نأخذ الحجة عليه ممن أحرق كتبه وقام بتكفيره ثم أدعى إنه قال ذلك؟ فلا نعرف على وجه التحديد ما قاله إبراهيم بن سيار في القدر وما هو قصده من ذلك، ومع ذلك فلو سلما أنه قد قال ما تقدم في القدر فهو كلام فلسفي صادر من فيلسوف المعي وكما جعل اعداء إبراهيم بن سيار لهم الحق في تفسير كلامه حسب ما تشتهي انفسهم وتفسيرهم بالرأي فجاز لغيرهم ذلك.

وهنا نقول ان الله سبحانه وتعالى قادر أتم القدرة وأكملها فهو القادر علي كل شيء لكن قولنا: هل الله قادر على أن يدخل في زجاجه فهذا لا ينافي قدرة القادر، كما ان من يسأل هل الله قادر على ان يخلق إله مثله؟ فهذا لا يتعارض مع قدرة الخالق القادر بل لأنه سيفضي إلى اجتماع النقيضين واجتماع النقيضين محال والقدرة لا تتعلق بالمحال. فهنا من أتهم إبراهيم بن سيار بالشبهات فهو يقصد بأن الله تعالى مع قدرته فهو منزه عن الظلم لذاته ومن هنا فمن المحال أن يكون ظالما ليس لعدم قدرته على الظلم بل لأنه ممتنع عنه

عقلا وشرعا. وهذا الطرح من النَّظَّام يشكر عليه لأنه سوف ينشط عقول المسلمين ويقوي حججهم أمام المشركين والملحدين وغيرهم. لكن لأن الكتاب من اتباع السلطة لا يرون لمن يخالفهم حق بالكلام سواء كان ذلك الكلام حق أم باطل لذلك شنعوا عليه وكفروه واخرجوه من الملة وجعلوه صاحب فرقة بسبب قوله هذا.

4- ومن التهم التي اتهم بها النَّظَّام من قبل أعداءه هي قولهم بأنه كان يقول: ان الله خلق الخلق أي المخلوقات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونباتا وحيوانا وإنسانا وغير ذلك والتقدم والتأخر في الكمون والظهور(*) الأيجي، المواقف، 663/3؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16). وهذا كلام في محاولة سبر اغوار الخلق وقد امر الله تعالى عبادة بالتفكر والتدبر فقال تعالى: ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))(*) سورة آل عمران، الآية 191. فلماذا يكفرون النَّظَّام لأنه فكر وتدبر في خلق السماوات الأرض كما أمره الله تعالى أم ان هذا حلال عليهم حرام على غيرهم؟.

5- ومن فسلفة إبراهيم بن سيار النَّظَّام التي نسبها إليه اتباع السلطات الحاكمة انه كان يقول: أن إعجاز القرآن لم يكن بنظمه وبيانه، بل بالصرفة عنه وأن القرآن ليس إعجازه من جهة فصاحته وإنما إعجازه بالنظر إلى الأخبار عن الأمور الماضية والمستقبلة(*) الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16. وذهبت طائفة إلى إعجازه (أي القرآن) بالصرفة بمعنى أن الله صرفهم عن معارضته والاتيان بمثله، قبل التحدي مع قدرتهم على ذلك، واختلف هؤلاء في وجه الصرفة، فذهب الأستاذ أبو إسحق من الأشاعرة والنَّظَّام من المعتزلة إلى أن الله صرفهم بأن صرف دواعيهم إلى المعارضة مع توفر الأسباب الداعية إلى المعارضة، خصوصا بعد التحدي والتبكيت بالعجز وقال الشريف المرتضى من الشيعة: إن الله صرفهم بأن سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة(*) المفيد، اوائل المقالات، ص266. إذا فمسألة اعجاز القرآن هي مسألة خلافية بين المسلمين ومسألة اجتهادية وليس محظورا أو حراما على من يأتي برأي فيها فلماذا عندما اعطى إبراهيم بن سيار النَّظَّام رأيه في اعجاز القرآن عد ضال ومبتدع وصاحب فرقة؟!.

6- ومن التهم التي الصقت بالنَّظَّام ودونها المخالفين له في كتبهم هي زعمهم انه كان ينكر جميع المعجزات التي رواها المحدّثون عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وكان يتأوّل صفات الله سبحانه تأويلا سلبياً(*)

حسين الشاكري، موسوعة المصطفى، 547/9. وهذا القول من اعداء النَّظَّام مردود عليهم بل هو كذب فاضح تفضحه الحقيقة الناصعة؛ لأن إبراهيم بن سيار كان ممن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ومن يؤمن بذلك فهو يؤمن بالمعجزات، لكنه صاحب عقل ومنطق يستطيع ان يبين ما افتراه ووضعه الكذابين من المحدثين ودسوه في كتب الحديث ليشوهوا بذلك صورة التاريخ الإسلامي وسنبين ذلك لاحقاً.

7- ومن التهم التي شنعوا على إبراهيم بن سيار النَّظَّام بسببها هو لأنه كان له رأي في علم الحديث وفي سلسلة السند وبالمحدثين الوضاعين والكذابين وبخاصة في التواتر فذكر بأنه كان يقول: بأن التواتر يحتمل الكذب(*) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127-143. وذكر الايجي بأن اصحاب النَّظَّام كانوا يقولون: التواتر الذي لا يحصى عدده يحتمل الكذب(*) الأيجي، المواقف، 663/3. أما البغدادي المتعصب فقد عد ذلك فضيحة وسماها الفضيحة السادسة عشرة من فضائحه وذلك لقوله بأن الخبر المتواتر مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيهم يجوز ان يقع كذب هذا مع قوله بأن من أخبار الآحاد ما يوجب العلم الضروري(*) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127-143.

هنا نجد ان رأي النَّظَّام في هذا قد تحول إلى تهمة فلماذا هذه التهمة؟ أليس من حرية الرأي أن يقول العلماء رأيهم بكل صراحة وخاصة ان ما سمي بالخبر المتواتر إنما يصدر من بشر وهؤلاء البشر يصيبون ويخطؤون ويتوهمون وينسون ويكذبون كذلك وبالتالي فإن الأخبار الواردة عنهم تحتمل الكذب ويعلم القاصي والداني بان كتب الحديث مليئة بالأحاديث الموضوعة حتى وصل بهم الأمر إلى وضع سلسلة سند كاملة من الثقات لتمرير حديث موضوع وقد كثر بسبب ذلك الكلام والبحوث والدراسات، فأين البدعة والظلالة والخروج عن الإسلام في ذلك؟. إن سبب تشنيعهم على النَّظَّام هو لأن مخالفيه وهم اتباع فرقة السلطة يرون العصمة لمئة ألف صحابي وكل هؤلاء عدول وبأيهم اقتديتم اهتديتم!. وبالتالي هم يطعنون بكل من له رأي في عدم عدالة هؤلاء الصحابة جميعا.

8- كان لإبراهيم بن سيار النَّظَّام رأي هو محل احترام وتقدير في حجية الإجماع والقياس والاجتهاد فقال: "الإجماع والقياس ليس بحجة".(*) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 62/2؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16. ومنها أنه قال الإجماع ليس بحجة في الشرع وكذلك القياس ليس بحجة وإنما الحجة قول الإمام المعصوم(*)الشهرستاني، الملل والنحل، 57/1؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16. شمس الدين، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص52؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، 94/10.

الخلاصة: العلم الحديث يدعم بشكل كبير فكرة أن الإدراك الحسي، بما في ذلك السمع، هو عملية فردية وذاتية للغاية، حتى لو كان المحفز الفيزيائي (الموجة الصوتية) واحدًا. بينما يشترك الجميع في استقبال نفس الموجة الصوتية الأساسية (جنس الصوت)، فإن معالجتها وتفسيرها في الدماغ ينتج عنه تجربة سمعية فريدة لكل فرد. لذا، يمكن القول إن العلم الحديث يتفق مع المقولة في جوهرها بأن لا يوجد اثنان يدركان نفس الصوت "بالضبط" بنفس الطريقة.

وهنا قال العلم كلمة الفصل في النظرية العلمية للعالم والفيلسوف الكبير إبراهيم بن سيار النَّظَّام وقول عدوه التكفيري الطائفي المتعصب عبد القاهر البغدادي وهجومه العنيف على هذا العالم والآن يحق للقارئ الكريم ان يحكم بنفسه من هو العالم ومن هو الجاهل ومن هو الحق ومن هو الباطل وله ان يسأل كيف بني التاريخ الإسلامي على يد أمثال هؤلاء التكفيريين الجهلة من أمثال البغدادي وغيره. وكيف ما عده البغدادي فضيحة كبرى عده العلم الحديث قول علمي واقعي مستند إلى حقائق علمية متطورة في فيزياء العلم الحديث.

27. وقال البغدادي في إبراهيم بن سيار النظام: الفضيحة الثانية عشرة من فضائحه هي قوله: "ان المعلومات ضربان محسوس وغير محسوس والمحسوس منها أجسام ولا يصح العلم بها إلّا من جهة الحس والحس عنده لا يقع إلّا على جسم واللون والطعم والرائحة والصوت عنده أجسام قال ولهذا أدركت بالحواس وأما غير المحسوس فضربان قديم وأعراض وليس طريق العلم بهما الخبر وانما يعلمان بالقياس والنظر دون الحس والخبر[*] البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127-143. وهنا سألنا احدث ما توصل اليه العلم الحديث عن مقولة الفيلسوف إبراهيم بن سيار النَّظَّام هذه ورأي العلم الحديث فيها وهذا نص السؤال والجواب في الذكاء الإصطناعي: ما موقف العلم الحديث من مقولة: "المعلومات ضربان محسوس وغير محسوس..." المقولة التي طرحتها: "بأن المعلومات ضربان محسوس وغير محسوس والمحسوس منها أجسام ولا يصح العلم بها إلا من جهة الحس والحس عنده لا يقع إلا على جسم واللون والطعم والرائحة والصوت عنده أجسام" تعكس نظرة فلسفية ومعرفية قديمة للعالم والإدراك. من منظور العلم الحديث، ويمكن تحليل هذه المقولة والنظر في مدى توافقها أو اختلافها مع الفهم العلمي الحالي: إذ ان تقسيم المعلومات إلى "محسوس وغير محسوس" يتفق العلم الحديث جزئيًا مع هذا التقسيم، لكن بمنظور مختلف. فالمعلومات المحسوسة (Sensory Information): هي

تلك التي نستقبلها عبر حواسنا الخمس (البصر، السمع، الشم، التذوق، اللمس). وهذه المعلومات هي الأساس الذي نبني عليه فهمنا للعالم المادي. أما المعلومات غير المحسوسة (Non-sensory/Abstract Information): يشمل العلم الحديث أنواعًا عديدة من المعلومات لا تستقبل مباشرة عبر الحواس، مثل: المفاهيم المجردة: الرياضيات، الفلسفة، المنطق، الأخلاق. والبيانات المحوسبة: المعلومات المخزنة ومعالجتها رقميًا. والمعلومات الوراثية: الكود الجيني في الحمض النووي (DNA).والمعلومات الكمومية: في فيزياء الكم. والوعي والأفكار: العمليات الذهنية التي لا يمكن "لمسها" أو "رؤيتها" بشكل مباشر كأجسام.

أما مقولة ان: المحسوس منها أجسام ولا يصح العلم بها إلا من جهة الحس" فهذا الجزء يعكس الفلسفة التجريبية (Empiricism) التي تؤكد على أن المعرفة تأتي في المقام الأول من التجربة الحسية، والعلم الحديث يتبنى هذا المبدأ بقوة في منهجه العلمي: الملاحظة والتجربة: ويعتمد العلم بشكل أساسي على الملاحظة الحسية للظواهر وإجراء التجارب للتحقق من الفرضيات. والأجهزة والمقاييس: يستخدم العلم أجهزة وتقنيات متطورة (مثل التلسكوبات، الميكروسكوبات، أجهزة الرنين المغناطيسي) لتوسيع نطاق حواسنا وتوفير "حس" غير مباشر لما لا يمكن إدراكه بالعين المجردة أو الأذن المجردة.

لكن المقولة تربط "المحسوس" بـ "الأجسام" بشكل حصري، وهذا ما يختلف فيه العلم الحديث. "الحس عنده لا يقع إلا على جسم" وهذه النقطة هي جوهر الإختلاف مع الفهم العلمي الحديث: أما الحواس فتدرك خصائص الأجسام، لا الأجسام نفسها ككتلة صلبة فقط: فالعين لا تدرك "الجسم" بل تدرك الضوء المنعكس عنه (اللون، الشكل). والأذن تدرك الموجات الصوتية (تردد، شدة). والأنف يدرك الجزيئات الكيميائية المتطايرة (الرائحة). واللسان يدرك جزيئات كيميائية ذائبة (الطعم). والجلد يدرك الضغط، والحرارة، والاهتزاز.

أما مقولة: اللون، الطعم، الرائحة، والصوت ليست أجسامًا فيزيائية: فهذه هي النقطة الأكثر وضوحًا في التباين. فاللون: هو إدراكنا لترددات معينة من الموجات الكهرومغناطيسية (الضوء) التي تعكسها الأجسام. الضوء نفسه ليس "جسمًا" بالمعنى المادي الذي يمكن لمسه. والطعم والرائحة: هما إدراكنا لجزيئات كيميائية معينة تتفاعل مع مستقبلات حسية. هذه الجزيئات صغيرة جدًا وغير محسوسة كأجسام بالمعنى

المعتاد. والصوت: هو إدراكنا لموجات ميكانيكية (اهتزازات) تنتقل عبر وسط (مثل الهواء). فالموجة الصوتية نفسها ليست جسمًا.

والخلاصة المقولة التي ذكرتها تعكس نظرة جوهرية للعالم حيث يتم اختزال كل ما هو محسوس إلى كيان مادي جسمي وفي المقابل، يرى العلم الحديث أن الحواس تدرك خصائص وطاقات وظواهر (مثل الموجات الكهرومغناطيسية، الموجات الميكانيكية، الجزيئات الكيميائية) التي تتفاعل مع أجسامنا الحسية، وليست أجسامًا بذاتها. بينما يؤكد العلم على أهمية الحس والتجربة في تحصيل المعرفة، فإنه يفسر طبيعة الإدراك الحسي بطريقة أكثر دقة وتجريدًا من مجرد اعتبار كل ما يدرك جسمًا. ببساطة، العلم الحديث يرى أننا لا نرى الجسم بل نرى الضوء المنعكس منه، ولا نسمع الجسم بل نسمع اهتزازاته، وهكذا. الإدراك الحسي هو عملية معقدة تتضمن تحويل الطاقات الفيزيائية والكيميائية إلى إشارات عصبية يفسرها الدماغ.

ان هذا الجواب وتوافق أحدث النظريات العلمية مع قول إبراهيم بن سيار النَّظَّام وهو قبل اكثر من(1300) عام تعطينا فكرة عن قوة العلماء المسلمين في ذلك الوقت ومدى تفوقهم على الغرب وقدراتهم العلمية العظيمة لدرجة توافقها مع العلم الحديث في عام(2025م) ومع ذلك فلقصر نظر كتَاب السلطة من التكفيريين المتعصبين عدوا هذه النظرية العلمية الفذة بدعة وشبهة في الدين بل وبسببها كفروا إبراهيم بن سيار النَّظَّام وتعد جريمة في ذلك العصر. وهنا فلننظر كيف انهم قد افتروا على هذا العالم الفذ وحولوه في نظر الجهلة من عامة الناس بل والخاصة منهم من عالم نحرير وفيلسوف كبير إلى انسان كافر ومبتدع وضال وعلى هذا وشاكلته بل الغالبية العظمى ممن تم اتهامهم وتكفيرهم من علماء الشيعة على شاكلة النَّظَّام وغيره ولنا ان نتصور كيف كتب هؤلاء المرتزقة المتعصبون التاريخ الإسلامي وروجوا له وحاربوا العلم والعلماء لغايات مريضة تخدم اليهود واعداء الإسلام واعداء محمد وال محمد(ص وآله) واتباعهم. ورأي النَّظَّام في هذه النظرية العلمية لهو رأي علمي راقي سبق فيه علماء الفيزياء في العصر الحديث بمئات السنين وكيف هو يصور بدقة عالية طريقة حدوث الصوت وانتقاله وتفاوت سماع الصوت بين انسان واخر وكذلك تذوق الطعام.

المبحث الثالث– الأحاديث والروايات التاريخية المنسوبة إلى إبراهيم بن سيار النَّظَّام وشعره ووفاته

أولاً– الأحاديث والروايات التاريخية المنسوبة إلى إبراهيم بن سيار النَّظَّام

ذكر ان النَّظَّام كان من المقلين في رواية الحديث ونسب إليه عدد من الروايات التاريخية منها روى الحسن بن صالح القيسراني، عن إسحاق بن محمد الأنصاري أنه قال: سألت يموت بن المزرع بن يموت فقلت: يا أستاذ كيف لم يستخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا واستخلف أبا بكر ؟ فقال: سألت الجاحظ عن هذا فقال: سألت إبراهيم النَّظَّام عن هذا فقال: قال الله ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)) (*) سورة النور، الآية 55.، وكان جبريل ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله) يحدثه بعد الوحي كما يحدث الرجل الرجل، فقال: يا جبريل من هؤلاء الذين يستخلفهم الله في الأرض؟ فقال جبريل: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ولم يكن بقي من عمر أبي بكر إلا سنتان، فلو استخلف عليا لم يلحق أبو بكر وعمر وعثمان من الخلافة شيئا، ولكن الله رتبهم لعلمه بما بقي من أعمارهم، حتى تم ما وعدهم الله تبارك وتعالى به. أخرجه ابن عساكر في تاريخه"(*) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 115/13؛ الأميني، الوضاعون وأحاديثهم، ص449.

وكذلك من الروايات التي أُقحم فيها اسم إبراهيم بن سيار لإضفاء الشرعية على خلافة أبي بكر هو الرواية التي تقول: على لسان الكتاب من أهل السنة بانهم كانوا يقولون: " اتفق شيوخنا كافه رحمهم الله، المتقدمون منهم والمتأخرون، والبصريون والبغداديون، على أن بيعه أبي بكر الصديق بيعه صحيحه شرعية، وانها لم تكن عن نص وإنما كانت بالاختيار الذي ثبت بالاجماع، وبغير الاجماع كونه طريقا إلى الإمامة. واختلفوا في التفضيل، فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عبيد، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النَّظَّام، وأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبى معن ثمامة بن أشرس، وأبى محمد هشام بن عمرو الفوطي، وأبى يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام، وجماعه غيرهم: ان أبا بكر أفضل من علي (عليه السلام)، وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة(*) الجاحظ، العثمانية، ص 11؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/1.

من النظرة الأولى للروايتين السابقتين نجد بأنها روايات موضوعة على لسان إبراهيم بن سيار أو قد اضيف اسمه لها لأكسائها نوع من الموضوعية؛ لأنها تتناقض بنسبة 100% مع ما يؤمن به النَّظَّام في مسألة العصمة والخلافة وتناقض مع ما ذكره النَّظَّام بأن النبي محمد(ص واله) قد نص على الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في مواضع كثيرة صراحة وتلميحا وان الاصحاب قد علموا ذلك ومنهم عمر بن الخطاب لكنه كتم ذلك طمعا بالحكم والسلطان. فهل يناقض النَّظَّام نفسه وهو الفيلسوف العالم؟ هنا نجد بان هذه

الرواية من الموضوعات عن النَّظَّام في التاريخ الإسلامي كما انها رواية ضعيفة مهلهلة لا أصل لها ولا أساس، لذلك سنضرب بها بوجه من قال بها زروا وبهتنا.

أما الرواية الثانية فعند دراسة ما قيل بانه رأي للنظام في ترتيب الخلفاء نجد كذلك تناقضا كبيرا بين تلك الأقوال وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ان تلك الآراء واغلب ما نسب إليه لم يكن ليصدر منه بل لفق له والصق به وهو منه براء ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ان ما عرف عن النَّظَّام هو قوله وايمانه بعصمة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وهذا أمر مفروغ منه في عقيدته وكذلك قوله بان الإمامة والخلافة لا تكون إلا بالنص لكن يأتي من يقول بأن النَّظَّام يقول بأن أبي بكر افضل من علي (عليه السلام) وان ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة!. وحقيقة الأمر فإن مجرد طرح مثل هذا الكلام يدعو إلى السخرية؛ إذ كيف يؤمن النَّظَّام بالعصمة ويقول بان النبي قد نص على الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة والإمامة ويفضل شخص غير معصوم على المعصوم وكيف يؤمن بالعصمة ويقدم غير المعصوم على المعصوم؟. كما ان ما عرف عن النَّظَّام بل وعد بدعه وشبهة عظيمة عنده هو انه انكر حجية الاجماع إلا مع قول المعصوم((*) الشهرستاني، الملل والنحل، 53/1. فكيف يأتي بعد ذلك شخص ويتفوه بان النَّظَّام قد قال ان خلافة ابي بكر وعمر وعثمان صحيحة لإجماع الأمة عليهم؟!.

وانفرد أبن عساكر وهو معاصر للدولة العباسية ومن كتاب السلطة بذكر رواية يتيمة ونسبها للنظام فقال: "عن النَّظَّام بن سيار حدثني علاء بن برد بن سنان عن علي بن عربة عن ميمون بن مهران عن أبن عباس قال مررت بالنبي (صلى الله عليه وآله) وقد انصرف من صلاة الظهر وعلي ثياب بياض وهو يناجي دحية الكلبي فيما ظننت وكان جبريل عليه السلام ولا أدري فقال جبريل للنبي (صلى الله عليه وآله) يا رسول الله هذا ابن عباس أما إنه لو سلم علينا رددنا عليه أما إنه شديد وضح الثياب وليلبسن ذريته من بعده السواد فلما عرج جبريل وانصرف النبي (صلى الله عليه وآله) قال ما منعك أن تسلم إذ مررت آنفا قال قلت يا رسول الله مررت بك وأنت تناجي دحية الكلبي فكرهت ان أقطع نجواكما بردكما علي السلام قال لقد أوتيت النظر ذلك جبريل وليس أحد رآه غيري إلا ذهب بصره وبصرك ذاهب وهو مردود عليك يوم وفاتك قال فلما مات ابن عباس وأدرج في أكفانه انقض طائر أبيض فأتى بين أكفانه وطلب فلم يوجد فقال عكرمة مولى ابن عباس أحمقي أنتم هذا بصره الذي وعده رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يرد عليه

يوم وفاته فلما أتوا به القبر ووضع في لحده تلقي بكلمة سمعها من كان على شفير القبر يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"(*) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 204/47.

من ظاهر الرواية يتضح بأنها موضوعة من أجل تلميع صورة بني العباس كما ان البصر ليس شيئا ماديا حتى يرجع إلى ابن عباس وهو في اكفانه! وقد انفرد ابن عساكر بذكرها ولم ينقلها أحد غيره وهذا دليل آخر على مدى الوضع والتزوير في التاريخ الإسلامي ونسبة الروايات لأشخاص هم منها براء.

ووردت روايات تخص النكت عن البخلاء نقلها الجاحظ عن النَّظَّام ومنها: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النَّظَّام قال: قلت مرة لجار كان لي، من أهل خراسان: أعرني مقلاكم، فإني أحتاج إليه قال: قد كان لنا مقلى، ولكنه سرق. فاستعرت من جار لي آخر. فلم يلبث الخراساني أن سمع نشيش اللحم في المقلى، وشمّ الطباهج، فقال لي: كالمغضب: ما في الأرض أعجب منك، لو كنت أخبرتني أنك تريده للحم أو لشحم لوجدتني أسرع إليك به، إنما خشيتك تريده للباقلّي، وحديد المقلى يحترق إذا كان الذي يقلى فيه ليس بدسم. وكيف لا أعيرك إذا أردت الطَّباهج، والمقلى، بعد الرّد من الطباهج، أحسن حالا منه، وهو في البيت.(*) الجاحظ، البخلاء، ص44.

وقصة آخرى طريفة نقلت عن إبراهيم بن سيار النَّظَّام واطلق عليها الجاحظ عنوان(طلاق بسبب غسل الخوان): وقال أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النَّظَّام: دعانا جار لنا، فأطعمنا تمرا وسمن سلاء، ونحن على خوان ليس عليه إلا ما ذكرت، والخراساني معنا يأكل، فرأيته يقطر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك؛ فقلت لرجل إلى جنبي: ما لأبي فلان يضيع سمن القوم، ويسيء المؤاكلة ويغرف فوق الحق؟ قال: وما عرفت علَّته ؟ قلت: لا واللَّه. قال: الخوان خوانه، فهو يريد أن يدسمه، ليكون كالدّبغ له. ولقد طلَّق إمرأته، وهي أمّ أولاده، لأنه رآها غسلت له خوانا له بماء حارّ، فقال لها: هلَّا مسحته(*) الجاحظ، البخلاء، ص44.

ثانياً– شعر إبراهيم بن سيار النَّظَّام

مع براعة إبراهيم بن سيار النَّظَّام في علوم متعددة فقد عرف عنه حكمته وبلاغته حتى ان تلميذه الجاحظ قال: سمعت النَّظَّام يقول: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه لك البعض على خطر"(*) ابن الجوزي، المنتظم، 66/11. وقال ابن النديم : وذهب في شعره مذهب

الكلام الفلسفي((*)ابن النديم، الفهرست، ص205. وله شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين(*) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 94/6.

ومع علومه فقد عرف إبراهيم بن سيار بانه قد أوجد مذهبا خاصا في الشعر العربي وفي ذلك قال المرزباني: "وكان لإبراهيم مذهب في ترقيق الشعر وتدقيق المعاني لم يُسبق إليه، ذهب فيه مذهب أهل الكلام المدققين"(*) ابن الجوزي، المنتظم، 66/11. وهنا نرى بان إبراهيم بن سيار النَّظَّام لنباهته وعلو كعبه فقد عمل على اختراع مذهب جديد في الشعر لم يسبق إليه احد من الشعراء والعلماء فعمل على ترقيق الشعر وتدقيق المعاني وذلك بأن اضفى عليها لمسة أهل الكلام من الفلاسفة والمدققين وهو بذلك قد حاز على فضل كبير وعلم وفير ولولا تعصب المخالفين له واعداءه واحراقهم لكل كتبه لشهدنا هذا اللون من الشعر وعلمنا فروعه واصوله وماهيته واسلوبه واوزانه فكان بذلك اضافة حقيقة لعلوم العرب وبالخصوص شعرهم الذي تميزوا به عن غيرهم من الأمم.

وقال الخطيب البغدادي المخالف له في العقيدة والمذهب في جودة شعره: "وكان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة، وله في ذلك تصانيف عدة، وكان أيضا متأدبا، وله شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين"(*) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 94/6. وكذاك قال في شعره أبن ماكولا: كان أحد فرسان المتكلمين وله شعر مليح رقيق(*) ابن ماكولا، اكمال الكمال، 357/7.

وكما اتضح لنا في ما تقدم بأن النَّظَّام كثيرا ما كان يوصف حتى من قبل اعداءه بانه أديب وشاعر، وأنه سمي النَّظَّام لحسن كلامه نظما وشعرا، ويذكر بأن له كتبا كثيرة في الكثير من العلوم لكن مما يؤسف له بأنه لا يوجد له أي كتاب سوى بعض المقاطع والعبارات المنسوبة له نقلها خصومه وغيرهم في كتبهم، فنقل أن له في النثر كلاما بديعا أما الشعر فيعد النَّظَّام من قائليه المقلين المجدين، وكان له في الشعر فنا خاصا يعبر فيه عن خواطره وخلجات نفسه، لا يبغي من وراءه ذكرا ولا كسبا، وكذلك كان من الرواة وكان الجاحظ يعتد بحجته في نقل الحديث وروايته. وقال الخطيب البغدادي: "قال لنا ابو عبيد الله المرزباني: كان لإبراهيم مذهب في ترقيق الشعر وتدقيق المعاني لم يسبق اليه، ذهب فيه مذاهب أصحاب الكلام المدققين. هنا كما قلنا نجد بان النَّظَّام قد جاء بلون جديد في الشعر لم يكن معروفا قبله وهذه نقطة تسجل له في الأدب العربي. ويقول الصفدي: "ومن شعره في غاية الجودة ولكنه يبالغ في مقاصده حتى يخرج كلامه الى

المحال"(*) الوافي بالوفيات، 15/6. والظاهر انه قد كانت للنظام ملكة شعرية ظهر عليها ثوب من الآراء والاصطلاحات الفلسفية، وقد يكون في شعره احيانا من الاصطلاحات الفلسفية والكلامية اكثر مما فيه من خصائص الشعر الفنية. ينقل بعض الشعر وقيل أنه امعن في قراءة كتب الفلاسفة(*) ابو ريده، النَّظَّام ، ص44-46. ونقل ان للنظام شعر كثير منه(*) الشريف المرتضى، الامالي، 134/1.:

يا تاركي جسدا بغير فـؤاد أسرفت في الهجران والإبعاد
إن كان يمنعك الزيارة أعيـن فادخل علي بعلة العــواد
كيما أراك وتلك أعظم نعمـة ملكت يداك بها منيع قيـادي
إن العيون على القلوب إذا جنت كـانت بليتها على الأجساد

وهناك اشعار كثيرة نسبت الى النَّظَّام نحن في غنى عن ذكرها في هذا البحث.

ثالثاً– مذهبه

لقد نال إبراهيم بن سيار النَّظَّام من التشهير والتكفير والتنفير والتحقير ما لو ان جبلا رمي به لتهدم من أساسه فقد اخرجوه من الإسلام وجعلوه كافرا وملحدا وزنديقا وما إلى ذلك من التهم الباطلة! ليس لشيء فقط لأنه كان له رأيا في بعض الشخصيات السياسية وقال الحقيقة فنقل بعض الروايات التاريخية وقال رأيه في بعض المسائل الفقهية الخلافية بين فقهاء المسلمين ثم تجرأ على التفكير خارج الصندوق في ذلك الوقت وتحدث بنظريات علمية فيزيائية تفوق القدرة العقلية للعلماء المعاصرين له من المخالفين له في العقيدة والمذهب واثبت العلم الحديث صحتها ورصانتها وابداعها.

ولأجل ذلك فقد شن المخالفون عليه حربا شعواء وذكرا بانه انشا فرقة خاصة به بعد ان انفصل عن شيخه أبو الهذيل العلاف((*)أبو ريده، النَّظَّام ، ص65. ومنهم من جعله شيطانا ومنهم من جعله دهريا وآخر جعله من الكفار وآخر جعله ميالا إلى الروافض أو معتزليا وثان جعله منكرا للنبوة والبعث والمعجزات وثالثا جعله قدريا أو ملحدا أو ثنويا واتهموه بانه كان فيلسوفا. ومما جاء في ذلك قولهم: النَّظَّامية، أصحاب إبراهيم بن سيار النَّظَّام، وهو من شياطين القدرية، طالع كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وقد انفرد

بثلاثة عشر مسألة(*) البروجردي، طرائف المقال، 227/2. وقال الذهبي: "وقد كفره جماعة. وقال بعضهم: كان النَّظَّام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويخفي ذلك((*)الذهبي، سير اعلام النبلاء، 541/10.

وقال الصفدي في النَّظَّام: "القرآن والعقل الصحيح يكذّب هؤلاء التّيوس الضّلاّل قبحهم الله وللنّظام مقالات خبيثة، وقد وقال أبن أبي الدم قاضي حماة وغيره في كتب الملل والنحل: إن النَّظَّام كان في حداثته يصحب الثنوية وفي كهولته يصحب ملاحدة الفلاسفة فطالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وصار رأسا في المعتزلة وإليه تنسب الطائفة النَّظَّامية(*)البغدادي، الفرق بين الفرق، ص127-143؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/6-16.).

ومما لاحظناه هو ان عدد من مؤلفي الشيعة نقلوا آراء مخالفي النَّظَّام فيه ولم يقطعوا بصحة تأسيسه لفرقة النَّظَّامية فقال الزركلي في الاعلام: "وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النَّظَّامية) نسبة إليه. وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة. وقد ألفت كتب خاصة للرد على النَّظَّام وفيها تكفير له وتضليل"(*) الزركلي، الاعلام، 43/1.

وحقيقة الأمر إن إبراهيم بن سيار النَّظَّام لم يكن صاحب فرقة دينية كما يدعي الكثير؛ لأن مقومات وجود الفرقة عنده غير موجودة كما نص عليه الشهرستاني وغيره بان ليس كل من جاء برأي عد صاحب فرقة بل هو عالم وفيلسوف ومفكر ومتكلم بارع صاحب حلقة درس وفكر فلسفي يدور في فلك الإسلام ووحدانية الله تعالى ونصرة الإسلام ونبوة النبي محمد(ص وآله).

والشائع عند اغلب الناس ان إبراهيم بن سيار النَّظَّام قد اسس فرقة اسمهما النَّظَّامية وانه على مذهب المعتزلة ونحن في شك من ذلك؛ فمن هم اتباع فرقة النَّظَّامية حتى نقول بانها فرقة وفي أي منطقة انتشرت النَّظَّامية وكم عدد اتباعها ومن هم أعلامها وفي أي مسجد أو مكان كانوا يجتمعون وأين نشروا أفكار فرقة النَّظَّامية المفترضة هذه وغيرها من الأسئلة الكثير التي لم نجد لها أصلا ولا فرعا وهذا يدفعنا للقول: بان ما سمي بفرقة النَّظَّامية هي من الفرق الموضوعة في التاريخ الإسلامي ولا يوجد شيء اسمه فرقة النَّظَّامية بل هي مجرد اتهامات باطلة نسبت إلى عالم بارع ذاع صيته وجادل خصومه وافحمهم بغزارة علمه وقوة منطقه فاحتوشوه من كل جانب في حياته وبعد موته بالتهم والافتراءات لأنه قال في بعض الصحابة قولا اثبته التاريخ وانكروه. وتكلم بنظريات علمية لم يكونوا يعرفون ماهيتها وحقيقتها: ونلاحظ ان المصادر المتأخرة

هي التي اقحمت اسم النَّظَّام وفرضت عليه مذهبا ثم انتقلت الرواية على صورة ثابتة مدة تزيد على أربعة قرون منذ عهد فخر الدين الرازي إلى عهد صدر الدين الشيرازي"(*) أبو ريده، إبراهيم بن سيار النَّظَّام ، ص 125.

وقد ثبت لنا بالدليل بان إبراهيم بن سيار النَّظَّام قد نذر نفسه لنصرة الإسلام ورد في مقالاته وكتبه ومؤلفاته وبلسانه وفكره على الملاحدة والثنوية والديصانية واليهودية والنصرانية وغيرها من الشرائع والفرق والمذاهب الضالة كما انه لم يكن سنيا ولا خارجيا وقد رد عليه حتى من نسب اليهم من المعتزلة وقيل بانه قد كفروه فهذا شيء عجيب ان يتبرا كل هؤلاء من مذهب رجل عالم وفيلسوف كبير وهذا يدفعنا للقول بان إبراهيم بن سيار النَّظَّام كان شيعيا يكتم مذهبه خوفا من القتل والبطش وهو براء من كل ما نسب إليه من أقوال تذم الشيعة وقد نصر الإسلام بقوله بعصمة الانبياء جميعا وبعصمة الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) وان النبي محمد (ص وآله) قد نص عليه بالخلافة والإمامة وان القوم قد ظلموه واهل بيته لهو خير ديلل على ذلك.

رابعاً– وفاته

والمتفق عليه أن وفاته كانت في عاصمة الخلافة العباسية في بغداد(*) الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص16.، وقيل في عهد الخليفة المعتصم أو الواثق العباسي أما سنة وفاته فمن الكتاب من حدد سنة وفاته وقال بأنه توفي سنة(221هـ)(*) شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص52. وله من العمر خمس وثلاثون سنة(*) حسين الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة، 547/9. ومنهم من ذكر بأنه توفي في سنة(231هـ)(*) شمس الدين، محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلامية، ص52 ؛ احمد الشيرازي، البليغ في المعاني والبيان البديع، ص37. ومنهم من ترك هامش لسنة وفاته فقال: توفى سنة بضع وعشرين ومأتين(*) الجلالي، فهرست التراث، 198/1؛ المرتضى، 2/1.، ومنهم من ذكر بأنه توفي ما بين سنتي (220 – 230 هـ)(*) الطوسي، العدة في اصول الفقه، 97،286/1.، ونقل نيبرج عن الذهبي ان النَّظَّام كان في الطبقة الثالثة والعشرين والتي تضم من مات بين عامي(221– 231هـ). ويقول ابن حجر ان النَّظَّام مات في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين، أما أبن شاكر فيقول إن النَّظَّام توفي سنة (231هـ)((*)أبو ريده، النَّظَّام ، ص4. .

الخاتمة

لقد جاء إبراهيم بن سيار النَّظَّام بشيء كبير جدا في تاريخ الإسلام والتشريع الإسلامي وربما عد براءة اختراع في معايير عصرنا هذا ووقف بوجه العامة فنفى لهم مصدرين من مصادر تشريعهم وهما الاجماع والقياس كما أنه تعرض لأكثر الشخصيات قداسة لديهم عمر بن الخطاب وأبي بكر وعثمان فكان هذا من أسباب حملة التشهير التي شنت عليك حتى أدت ببعضهم إلى تكفيره وعدوه خارجا عن ملة الإسلام.

ومن خلال مطالعاتنا وقراءاتنا الكثيرة عما قيل انها من الفرق الإسلامية وجدنا بانه لا توجد فرقة أو رجل نسب إليه بانه صاحب فرقة من أهل الإسلام من لم توجه له التهم بالكفر والشذوذ والاتهامات التي ما أنزل الله بها من سلطان من قبل اتباع السلطات على مر العصور لأن اتباع الحكم والسلطان لا يرون لأحد غيرهم الحق ان يكون في السلطة والحكم وبالتالي فانهم ينظرون لكل من يخالفهم على انهم معارضين لهم سياسيا أو دينيا وبالتالي يحق لهم اقصائهم أو قتلهم أو سجنهم أو نفيهم أو تشويه سمعتهم باعتبارهم معارضين للحكومة.

ومن خلال هذا البحث ثبت ان ما عدها خصوم النَّظَّام فضائح له بانها كانت نظريات علمية رائدة صدرت من عالم فذ قد سبق زمانه بما بمئات السنين وقد اشاد العلم الحديث بالنظريات العلمية التي قال بها إبراهيم بن سيار النَّظَّام وان تلك النظريات العلمية كانت ولا زالت تستحق كل التقدير والاحترام وتستحق ان تدرس بعناية من قبل أهل الاختصاص وان يمجد مخترعها وهو العالم الكبير إبراهيم بن سيار النَّظَّام .

ومن ذلك نقول: بان ما وجد في كتب التاريخ الإسلامي باسم فرقة النَّظَّامية هو مجرد افتراء افتراه اعداء النَّظَّام وكتاب الحكم والسلطان وهي فرقة من الفرق الموضوعة وهذا دابهم في كل من يخالفهم في العقيدة والمذهب فهم يعمدون إلى تكفيره أولا واخراجه من الملة ثم يكيلون له التهم كيلا.

نسأل الله تعالى ان يوفقنا لما يحب ويرضى انه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية:

القرآن الكريم

- إبراهيم القيرواني، بن علي الحصرين (ت:453هـ).

1- زهر الآداب وثمر الالباب، ط4، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، (بيروت- 1972م).
- الأيجي، عبد الرحمن بن أحمد(ت:756هـ).
2- شرح المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، (بيروت- 1997م).
- البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد، (ت:429 هـ).
3- الفرق بين الفرق، حقق اصوله وفصله وضبط مشكله وعلق على حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع،(القاهرة- 2000م).
- الجاحظ: عمرو بن بحر، (ت:255هـ).
4- كتاب الحيوان، تحقيق ايمان الشيخ محمد، عزيز الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، (بيروت، 2008م).
5- العثمانية، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، (القاهرة- د.ت).
- ابن الجوزي، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن، (ت:597هـ).
6- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، حققه وقدم له الاستاذ الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت- 1995م).
- أبن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت:852 هـ).
7- لسان الميزان. ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-1971م).
- أبن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، (ت:656هـ).
8- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (بيروت- د.ت).
- أبن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت:456هـ).
9- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المطبعة الأدبية، (القاهرة- 1320هـ)،
- أبن خلكان، أحمد بن محمد بن ابي بكر (ت:681هـ).
10- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشي ورياض عبد الله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، 1997م).
- الخطيب البغدادي، بغداد أبي بكر أحمد بن علي، (ت:463هـ).
11- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت-1997م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (748هـ).
12- تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت- 1987م).
13- سير أعلام النبلاء، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مطبعة مؤسسة الرسالة، (بيروت- 1993م).
- الزبيدي، محب الدين ابي الفيض محمد مرتضى الحسيني، (ت:1205هـ).
14- تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، (بيروت- د.ت).
- الزمخشري، (ت:538هـ).

15- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، (بيروت- 1912م).
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت:562هـ).
16- الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، (بيروت- 1988م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ).
17- لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، (بيروت- د.ت).
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي البغدادي، (ت:436هـ).
18- الآمالي، تصحيح وتعليق السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مكتبة المرعشي، (النجف الأشرف- 1907م).
19- تنزيه الأنبياء، ط2، دار الأضواء، (بيروت- 1989هـ).
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن احمد، (ت:548هـ).
20- الملل والنحل، أشرف على تعديله وقدم له صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت-2005م).
- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، (ت381 هـ).
21- كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم- 1984م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك،(ت:764هـ).
22- الوافي بالوفيات، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت- 2005م).
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت:460هـ).
23- العدة في أصول الفقه، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، ستارة، (قم المقدسة- 1996م).
- أبن عبد البر، يوسف بن عبد الله الذمري، (ت:463هـ).
24- جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1977م).
- أبن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (ت:571هـ).
25- تاريخ مدينة دمشق وتسمية من حلها من الأمثال وأجاز بنواحيها من وارديها وأهلها تحقيق علي شيري، مطبعة دار الفكر، (بيروت-1996م).
- الفيض الكاشاني، محمد محسن، (ت:1091هـ).
26- الوافي، تحقيق ضياء الدين الحسيني، مطبعة نشاط، (أصفهان-1985م).
- أبن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (ت:276هـ).
27- تأويل مختلف الحيث، دار الكتب العلمية، (بيروت- د.ت).
- الكليني أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت: 329 هـ).
28- الكافي، ط5، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري دار الكتب الإسلامية، (طهران- 1943م).
- أبن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، (ت:475هـ).
29- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والألقاب، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- د.ت).
- المرتضى، أحمد، (ت:840هـ).

30- شرح الأزهار، مكتبة غمضان، (صنعاء- د.ت).
- المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف، (ت:742هـ).
31- تهذيب الكمال في اسماء الرجال، حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسه الرسالة، (بيروت- 1992م).
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت:346هـ).
32- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، دققها ووضعها وضبطها الأستاذ يوسف اسعد داغر، دار الهجرة، (قم المقدسة- 1984م).
- المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، (ت:413هـ).
33- أوائل المقالات، مطبعة دار المفيد، (بيروت-1993م).
34- الفصول المختارة، ط2، تحقيق السيد علي مير شريفي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت- 1993م).
- أبن ناصر الدين الدمشقي، محمد بن عبد الله القيسي، (ت:842هـ).
35- توضيح المشتبه، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،(بيروت- 1993م)،
- أبن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق، (ت:438هـ).
36- الفهرست، تحقيق رضا تجدد، د.مط، (د.ت- د.مك).
- اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، (ت: 768 هـ).
37- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت- 1997م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت: 626هـ).
38- معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، (بيروت- 1979م).

المراجع الثانوية:

- الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي.
39- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عني بنشره حسن إيراني صاحب، مط دار الكتاب العربي، (بيروت-1977م).
40- الوضاعون وأحاديثهم، اعداد وتقديم رامي اليوزبكي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (بيروت- 1999م).
- البروجردي، على أصغر بن العلامة السيد محمد شفيع الجابلقي البروجردي.
41- طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق السيد مهدى الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، (قم المقدسة- 1985م).
- البغدادي، إسماعيل باشا.
42- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- د.ت).
- الجلالي، محمد حسين.
43- فهرست التراث، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي، المطبعة نگارش، (قم المقدسة- 2001م).
44-الخليلي، جواد جعفر.

Proceedings of the 10th International Scientific Conference on Research Perspectives on Knowledge Integration: Multidisciplinary Approaches to Producing Innovative and Effective Knowledge, February 6-7, 2026, under the theme: *Integrated Knowledge… A Lever for Change and Creativity*

Cultural Transformation and Identity Formation under French Colonialism in Algeria

Guendouzi Abdelhak
University of Nour Bashir-Elbayadh
g.abdelhak@cu-elbayadh.dz

Abstract:

French colonization in Algeria (1830–1962) formulates a pivotal historical experience that deeply shaped Algerian culture and national identity involving the political, linguistic, and cultural domains. The main aim of this research is to investigate the impact of the French colony on the Algerian culture and identity. The study adopts a qualitative research design and thematic analysis. The findings reveal that French colonization resulted in long-term linguistic duality, erosion of traditional social structures, and identity conflict, while simultaneously reinforcing attachment to cultural heritage and fostering resistance as a central component of Algerian identity.

Keywords: Algerian identity, colonial legacy, cultural identity, French colonization, language policy.

Proceedings of the 10th International Scientific Conference on Research Perspectives on Knowledge Integration: Multidisciplinary Approaches to Producing Innovative and Effective Knowledge, February 6-7, 2026, under the theme: *Integrated Knowledge… A Lever for Change and Creativity*

التحول الثقافي وتشكّل الهوية في ظل الاستعمار الفرنسي في الجزائر

عبد الحق قندوزي

المركز الجامعي نور البشير–البيض

g.abdelhak@cu-elbayadh.dz

ملخص:

يشكّل الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1830–1962) تجربة تاريخية محورية أثّرت بعمق في الثقافة الجزائرية والهوية الوطنية، وشملت المجالات السياسية واللغوية والثقافية. يهدف هذا البحث أساسًا إلى دراسة تأثير الاستعمار الفرنسي في الثقافة والهوية الجزائرية. تعتمد الدراسة المنهج النوعي والتحليل الموضوعاتي. وتُظهر النتائج أن الاستعمار الفرنسي أدّى إلى ازدواجية لغوية طويلة الأمد، وتآكل البُنى الاجتماعية التقليدية، وصراع في الهوية، وفي الوقت نفسه عزّز التمسك بالتراث الثقافي وأسهم في ترسيخ المقاومة بوصفها عنصرًا مركزيًا في الهوية الجزائرية التي ساهمت في استرجاع سيادة الوطن ومكانته الدولية والإقليمية.

الكلمات المفتاحية: الهوية الجزائرية، الإرث الاستعماري، الهوية الثقافية، الاستعمار الفرنسي، السياسة اللغوية.

The research

Introduction:

French colonialism in Algeria (1830–1962) represented not only a political and economic domination but also a profound cultural project aimed at transferring Algerian society and identity. Through policies of assimilation, the imposition of the French language instead of Arabic language, educational reforms, and the marginalization of indigenous traditions, colonial government sought to redefine Algerian cultural, religious, and social structures. This systematic interference disrupted pre-colonial modes of identity rooted in Islam, Arabic language, Amazigh heritage, and communal life, leading to deep tensions between imposed colonial values and cultural resistance. Cultural transformation under French colony functioned as a mechanism of control, whereby identity became a contested site between domination and resistance. While colonial discourse portrayed French culture as a civilizing power, it simultaneously constructed Algerians as the "Other," inferior and incapable of self-governance. In response, Algerians developed complex strategies of cultural negotiation, including resistance, hybridity, and reassertion of national identity. Intellectuals, writers, and reformers played a crucial role in reclaiming history, language, and collective memory as tools of anti-colonial struggle. This study explores how French colonial policies in Algeria reshaped cultural practices and contributed to the fragmentation and reconstruction of identity. By examining the interaction between colonial power and indigenous responses, the paper highlights the long-lasting influence of colonialism on Algerian identity formation and the enduring legacy of cultural conflict and resilience in postcolonial Algeria.

I. French laws to destroy the cultural heritage:

Language, culture and arts are not just means of communication, and interaction among the members of the same society, but they support strongly the motto of legitimacy. The legitimacy of change and access to the modern world though imposed through the sole medium of the French culture and language during colonisation, has failed to reach its aims due to deeply-rooted beliefs, and values. Paradoxically, the policy of

> 'Arabization' has always been an attempt to transfer Arabic and Islamic values. As far as Algeria is concerned, it all started in July 1830. France invaded the land and spread its power throughout the country through systematic destruction of both identity and culture. To establish its existence, the colonists expropriated the lands from their owners and grant them to new settlers, called 'Colons', coming from France and other European countries. Further in terrible circumstances, the educational program presented specificity in the colonial policies of the conqueror. In effect, of all once colonised countries, education in Algeria fared worse under the occupation before it witnessed a dramatic decline in literacy rate amongst the Algerian population from the beginning of the French domination until the independence. This enforced and well-planned history of domination, systematic illiteracy, linguistic, cultural alienation and socio-economic deprivation which is bound to have had a determinant and significant influence on the form, pace, direction and purpose of the educational system in Algeria. As a case to the point, the utmost priority consisted, in the first place, to replace French in economic and administrative fields, and urgently re-introduce Arabic to most socio-professional activities. The planned objectives of both policies were to change the Algerian identity, ensure personality growth of the young generations and lay the ground for the learning of modern technology in so as to eventually, cope with the economic needs of the modern world. In the Algerian context, education is legitimately considered as the key to a definite removal of century-long domination and subservience. Its importance lies in the paramount role it plays in any type of development, be it human, social or material. A major issue that confronts the Algerian country, like many other nations, is "language". Being intimately linked to political power and social mobility, language has become a controversial dilemma and a bitter battlefield for competing ideologies and vested interests.

Nowadays, the socio-economic situation in Algeria is ideologically conceived through instituting progressively Arabic and displacing French. Although, this planned objective which is highly desirable by policymakers and decision holders needs to be established on empirical verification and measured evaluation. Otherwise, it may become a far-reaching aim due to multiple

contextual variables which have marked the Algerian speech community individually and collectively. The colonial domination was purveying in the expropriation of many of the Algerian properties (public & private). Among public ones called "Habous", there were those religious places and Koranic schools, named 'Medersas'. The fact resulted in the closing of those schools in gradual steps of scaffolding the targeted policy. At first, the French proposals were to finance the field of education that was obviously suspicious in the eyes of the Algerians. Clearly, the offer had backward techniques; either to Christianize the learning population or, as a perennial target, spread the French culture and language to achieve a complete control. Like a case to the point, between 1830 and 1850 half of the already existed schools disappeared. In brief, (Benrabah, 1999, p. 49) said that: "there were more than 2000 schools in 1863 and only 750 in1880's. At the level of Higher Education; 142 students in 1876, 129 in 1877, 84 in 1879, 79 in 1884 and 57 in1887". From 1870, traditional teaching, exclusively in 'Medersas', was faced by the colonists who considered it as a rebellion against the foreign ruler. The traumatic experience caused by the conquerors created a great opposition of the native populations against the colonial-imposed policy conceived as a threat to their own culture and identity. That felt cultural roughness conducted to a systematic refusal of the parents to send their kids to French schools. In the same way of thought, the Governor of Algeria (1832-33) announced explicitly what follows "I see the widespread of instruction and of our language as the most efficient means to make progress to our domination in this country" (Benrabah, 1999).

II. The Colonist's Culture-Cantered Strategy:

The French authorities used another strategy *vis-à-vis* their rude linguistic, cultural/artistic and educational policy of marginalisation of the local cultural heritage, hence Islam and Arabic. Afterwards, it also altered to a less or more flexible policy of tolerance. In other words, they took the non-significant number of Algerian kids registered in colonial schools into account on one hand, and the urgent necessity to profit from the educated elite as mediators between the French army authorities and the local populations on the other hand. For the training and teaching of that group of educated elites (preachers of mosques, judges of law courts and educators), the military authorities, in

1850, reintroduced the pre-colonial model of "*Medersas'.* However, the colonists instituted an innovative aspect in the imposed instruction; the introduction of the French language and many western cultural and ideological life aspects. At that time, there were three "*Medersas*" in the cities of Constantine, Tlemcen and Algiers under the colonial control. The colonial motto was to instruct so as to control. That was carried out systematically by the institution of bilingual schools; hence, French and Arabic colleges. Such colleges were 36 between 1850/1870. In addition, the public schools (Medersas) turned out to be ruled by civilians in 1876 with close control over for fear of awareness in concerns such equality and freedom. Because of such a fear, the General Governor of Algeria during 1876, Tirman guesses that "the hostility of the indigenous population is measured to the degree of their instruction" (Benrabah, 1999, p. 51). For probing deeply into the problem of expanding the French culture and ideology, a colonial decree of 1895 made compulsory for all learners to the function of judges and teachers to pursue training at the newly settled "*Medersas*" where in the French language learning was reinforced. The purpose of this endeavour is to train and prepare mediators. It resulted, gradually, to the creation of bilingual institutions which increased in number year after year. The issue led other interpretations. As a justification proving the superiority of French over Arabic, the colonial institution called upon specialists of pedagogy. As a well-known specialist of that time, William Marçais (a specialist in dialectology of the Maghreb Arab and a colonial administrator in Algeria in the 1900s) introduced the symbolic aspect of ethnocentric belief of powerful nations during the nineteenth century. His argument pledged in favour of colonial nations, their cultures, languages and identities (Benrabah, 1999).

III. Resistance and rejection of assimilation during the French colony:

The cultural colonial model was faced with resistance by the end of the nineteenth century. Some of the families expressed their resistance by exile to the Middle East and the remaining majority of families opted for a strong refusal of the colonial policy system preferring illiteracy rather than cultural alienation. The Algerian educated elite of the time conducted a great struggle against the colonial government in the field of education, schooling and cultural awareness. As an inclusive fact, the majority of the elites had followed their instruction, even in the pre-colonial era in Koranic schools and "*Medersas*". So that, they were deeply embedded with Arabic and Islamic

values. "*Zawiyat'* and "*Medersas'*, had played a major role to protect and preserve Islam and the Arabic language against the huge wave of colonialism that affected the Algerian people culturally and linguistically (Lamri, 2018). The result was rather a constant resistance against the colonial system. As a consequence, the colonial system urged willingly to encourage generalisation of schooling, offering guarantees of working only for those who receive instruction in the colonial schools. Even though the offer seemed so ambitious, the local citizens still considered that the colonial schooling system not only threatens their cultural values and ethnic belonging but surely provides neither a future job nor social promotion.

Another historical crucial factor which in return developed the spread of French among Algerians was the participation of many of them as soldiers in the French military during the World War I and II. They number were 173,000; and 25000 died in the battlefields. A considerable number (around 120,000) immigrated to France to replace the mobilised French employees in the war. From where, immigration and war were two significant factors rendering the contact of Algerians using the French language (and culture) very common and natural. From their experience, those Algerians discovered valuable benefits of modern instruction and education, hence through French. Once returning to their homeland, the Algerian soldiers and workers who were inculcated with new knowledge and impregnated with the French culture, contested the teaching of French to their children in order to enable them have access to modernity and mainly social status to lead a decent life. Be it consciously or not, many Algerians appreciated the French language by means of certain cultural and economic capital. Though the rate of schooling remained very low, some Algerians refused to register their kids to study in the French schools. Unprecedently, the bad economic situation and low individual income, later on, obliged many families to accept register in that schooling system and consequently learn the French language and surely its culture, ideology and identity.

Undeniably, the colonial educational system and the French language were obligatory and evidently imposed on that oppressed community as a necessity for survival. Facing that strong pressure, the Algerian national movements of liberation emerged as a result for re-establishing the Arab identity and culture through a double process: "Algeraninzation" of the population and "Arabization*'* of the daily interactions and social manifestations in the

country. The objective was contrasting the policy of the colonist in concerns of "Frenchifying" (i.e. conducting all life manifestations using the French language). In fact, from 1830, Algerians feared the cultural and educational systems of the colonizer and found shelter under their religion-Islam- within the Koranic schools or "Medersas" as usual. The role of such institutions led by "The Algerian Muslim Scholars Association*"* that was working to inculcate in the Algerian educated elite an urge to reconsider their prestigious past, belonging and by the way keeping them away from assimilation. The national movements strived in recommending the Arabic language as an official one having, at least, the same status as the French language in the country. It was, then, creating rival standards between two languages: Arabic Vs French. Nevertheless, the belonging of Algerians to their native language (language of Koran) incited the colonial government to repair such injustice by remediating, unless in theory, in giving a (pseudo)status to the Arabic language through an official article in 1947 stating that follows: "Constituting one of the languages of the French Union, […] the teaching of the Arabic language will be organised " (Benrabah, 1999, p. 59). Yet, the national movements gained some acknowledgement on the behalf of the colonial institution, though the French language remained outstandingly the main outcome of a long-established colonial program of education. As a matter of fact, many of the Algerian writers took profit from the French language and delivered their denouncements in that language instead of their mother tongue. The cultural and linguistic conflict between two different countries was apparent in the clear-cut difference of extremely opposed civilizations, methods of life and identity traits. In fact, the French language could serve as a means of denouncing injustice, acquiring new knowledge, information and a tool for salvation. They felt necessary that for fighting the French colonial government, it was of perennial importance to acquire the attributes of that system (language and culture) to be in complete readiness for combating it. That awareness of the importance of the French language towards liberation was the utmost motto. It embedded within legitimate themes of many Algerian authors from 1956. The serious matter of revolution and independence was partly conducted through a French expression. In the eyes of those Algerian authors, it was the nearest direction and the clearest manner, in the colonial context, to convey the national recommendations. In the same way of thinking, Kateb Yacine - one of the prominent Algerian literary men

of French expression states: "At that time, I felt that it was necessary to speak French even better than the French themselves in order to convince them that we were not French" (Kateb Yacine, cited in Benrabah, 1999:67).

IV. The social impact:

The colonial authority sought to erase Algerian identity using all available means, demolishing villages and displacing the original inhabitants from their properties. These harsh and criminal measures led to the spread of epidemics and famines, causing many villages to vanish entirely. The demographic and economic fabric of Algerian life was altered (Al-Hasani, 2009, p. 123). Unemployment spread as citizens were dispossessed of their properties and driven to remote regions, turning Algerians from landowners of their own lands into mere labourers or tenant farmers with meagre wages that were not enough to cover their essential needs (Saadallah, 1992, p. 82). The number of unemployed citizens in Algeria reached 2,900,000 out of a total of 3,200,000 Algerians (Lounisi, 2009, p. 93). Between 1866 and 1868, the agricultural sector suffered from various disasters, such as famine and natural calamities, which caused widespread famine and deadly epidemics and diseases. The Great Famine resulted in the deaths of a lot of Algerians, estimated at around 500,000, or about 30,000 people (Shwaitam, 2020, p. 20). The living and health conditions declined due to the spread of infectious diseases such as cholera, tuberculosis, and eye diseases. The life expectancy of Algerians dropped to 50 years. During 2 months, more than nineteen thousand Algerians died due to the spread of epidemics, lack of hospitals and the scarcity of doctors, which numbered around 1850, mostly concentrated in the big cities, along with 660 midwives and 611 pharmacists (Al-Madani, 1957, p. 134). As a consequence of these dire conditions, a sense of misery and extreme suffering pervaded Algerian society. Algerians suffered from losing their ancestral lands, which they desperately needed. Germaine Agyron described the tragic state and appearance of the Algerian citizens since the occupation: " we saw amid the forests cultivated patches and fields, wheat near cultivated plains for decades with the ancient Arab Plow; they were seized from the farms of Algerians by plunder and annexed to the property of the forests" (Abbas, 2005, p. 61). The misery of the locals was evident as they saw their enemies residing in luxurious homes in cities and villages while they wandered in barren wilderness (Al-Madani, 1957, p. 132). The policy of

colonialism dismantled tribal unity and scattered their social formation. Algerians had kept their balance through religion and common land (Dahha, 2013, p. 28).

V. Methodology:

In this part the researcher will analyse the sayings of some Algerian soldiers who faced the French colony and assimilation. Accordingly, the researcher selects five soldiers and through thematic analyses, we will pick out the codes then generate themes.

Algerien soldiers' sayings	**Codes**
Abdelhamid Ben Badis (1889–1940) "The Algerian people are Muslim and belong to Arab identity."	Islamic identity Arab linguistic identity National identity Anti-colonial cultural resistance
Farhat Abbas (1899–1985) "France did not want a people in Algeria, but subjects.	Colonial control Subjects not citizens Dehumanization Denial of nationhood Anti-colonial nationalism
Bachir Ibrahimi (1889–1965) "Colonialism fights us through our language and our religion because they are the foundation of our identity."	Cultural colonialism Language as identity Religion as identity Attack on identity Resistance to assimilation
Malek Bennabi (1905–1973) "Colonialism is the result of a society's susceptibility to colonization."	Societal weakness Cultural susceptibility Civilizational decline Internal responsibility Call for cultural renewal
Frantz Fanon (1925–1961) "Colonialism does not limit itself to occupying land; it seeks to occupy the mind."	Psychological colonization Cultural domination Mind control Identity manipulation Resistance to ideological control

VI. Results:

Theme 1: Cultural and Religious Identity as the Foundation of Algerian Nationhood

The data reveal a strong focus on cultural and religious identity as the core of Algerian nationhood. Intellectuals like as Abdelhamid Ben Badis and Bachir Ibrahimi highlight Islam and the Arabic language as fundamental parts of collective identity, asserting that these elements define the Algerian citizens and distinguish them from the colonial power. Identity is thus portrayed not merely as a cultural marker but as a unifying power that sustains national consciousness. The preservation and protection of language and religion emerge as a central strategy for maintaining continuity and resisting cultural erasure under the period of the colonial domination.

Theme 2: Colonialism as a System of Cultural and Psychological Domination

Colonialism is consistently represented as a multidimensional strategy extending beyond territorial occupation to cover cultural and psychological control. Farhat Abbas and Frantz Fanon emphasize that colonial force functions through the reduction of colonized populations to subjects rather than citizens, accompanied by methods of dehumanization and mental subjugation. This form of domination aims to reshape consciousness, manipulate identity, and impose French values, thereby securing long-term control over the colonized society. The occupation of the mind is identified as a critical mechanism of colonial authority.

Theme 3: Systematic Attack on Identity and Policies of Assimilation

Another prominent theme linked to the deliberate colonial attack on indigenous identity through assimilationist policies. Language and national belonging are targeted as obstacles to colonial hegemony. The available data suggest that colonial authorities pursued the denial of Algerian nationhood by undermining cultural institutions and promoting identity manipulation. like strategies aimed to dissolve collective identity and transfer it with colonial

norms. Intellectual resistance to assimilation reflects an awareness that cultural destruction was essential to the colonial project.

Theme 4: Resistance and Anti-Colonial Cultural Nationalism

Resistance appears as a recurring theme, particularly in its cultural and ideological forms. Rather than limiting opposition to armed struggle, Algerian authors and thinkers emphasized cultural resistance, anti-colonial nationalism, and the defence of identity as crucial modes of struggle. The protection of language, religion, and historical consciousness is framed as an act of resistance against colonial power. This form of nationalism is grounded in cultural revival and serves as an instrument of reclaiming agency and collective dignity.

Theme 5: Internal Vulnerability and the Call for Cultural Renewal

Malek Bennabi's perspective considered as a critical theme of internal responsibility and societal vulnerability. Colonial system is interpreted not only as an external imposition but also as a result of cultural susceptibility and civilizational decline within the colonized society. This theme underscores the need for intellectual reform, and cultural renewal as prerequisites for genuine liberation. Emphasis is placed on rebuilding social awareness and strengthening internal structures to prevent continued dependence and domination of the French colony.

VII. Conclusion:

The cultural transformation experienced in Algeria during the French colony profoundly reshaped Algerian identity at both individual and collective levels. Through systematic laws targeting language, religion, and social structures, colonial authority sought not only territorial control but also cultural domination and identity formation. The imposition of the French language, the marginalization of Arabic and Islamic schools, and the restructuring of educational systems functioned as powerful means of cultural assimilation,

producing identity fragmentation, alienation, and a deep sense of dispossession among the Algerian people. However, this system was neither linear nor absolute. The findings reveal that colonial cultural pressure generated resistance, awareness, and identity reaffirmation. Cultural and religious practices, nationalist discourse, and intellectual movements evolved as counter-hegemonic responses which preserved collective memory and reinforced a shared sense of belonging. Rather than erasing Algerian identity, colonial domination led to its redefinition through struggle, negotiation, and resilience. Accordingly, identity formation during the French colonial era was shaped by great tension between imposed transformation and endogenous resistance. Algerian identity flourished as a dynamic construct—marked by hybridity, conflict, and awareness—laying the foundation for postcolonial cultural revival and national self-definition. The Algerian experience underscores that identity is not merely inherited but continuously reconstructed in response to power and resistance.

References

1. Abbas, F. (2005). *The Night of Colonization.* Algeria: Dar Al-Qasaba Publishing.

2. Al-Hasani, S. K. (2009). *The Algerian Nobility and Their Civilizational Role in Algerian Society.* Algeria: Dar Al-Khalidunia.

3. Al-Madani, T. (1957). *This Is Algeria.* Cairo: Egyptian Renaissance Library.

4. Benrabah, B. (2015). Developing Vocabulary through the Receptive Skills. In *Unpublished Doctoral Thesis.* Tlemcen algeria: Abou Bakr Belkaïd University.

5. Benrabah, M. (1999). *Langues et Pouvoir en Algérie : Histoire d'un Traumatisme Linguistique.* Paris: Éditions Séguier.

6. Dahha, A. B. (2013). *Settlement and Conflict over Land Ownership during the French Occupation (1830–1960 CE).* Algeria: Publications for Publishing and Distribution.

7. Lamri, C. &. (2020). Modern Standard Arabic Interference in Algerian English as a Foreign Language Students' Writing. *Global Journal of Foreign Language Teaching, 10*(2), 93–99.

8. Lamri, C. E. (2018). Developing ELP Students' Reading Skills Through a Blended Learning Approach. *Eurasian Journal of Applied Linguistics, 4*(2), 389–407. doi:10.32601/ejal.464204

9. Lounisi, R. (2009). *Contemporary History of Algeria (1830–1989).* Algeria: Dar Al-Maʿarif.

10. Saadallah, A. a.-Q. (1992). *Al-Harakah al-Wataniyah (The National Movement).* Dar al-Gharb al-Islami.

11. Shwaitam, A. (2020, december). French Colonial Settlement Policy in Algeria (1830–1962). *History Journal, 31*, 190–214.

12. Taleb Ibrahimi, A. (1973). *De la décolonisation à la révolution culturelle.* Alger: SNED.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

(Production efficiency of Al Ittihad Mills for Food Industries)

Doctor . Alaa Hussein Mohammed Al-Khafaji
University of Karbala, College of Education for Human Sciences/Department of Applied Geography
alaa.mohammad@uokerbala.edu.iq

Abstract:

Production efficiency reflects the ability of industrial facilities to optimally utilize their available resources raw materials, machinery, labor, and storage capacity to achieve the highest level of production with the lowest possible costs and waste. This research aims to analyze the production and storage reality of Al Ittihad Mills for Food Industries using a descriptive-analytical approach and simple statistical methods. The study examined the mills' daily production capacity, which amounts to 750 tons of flour distributed across six production lines. The results showed that storage capacity exceeds daily production requirements, with silos capable of accommodating approximately 12 consecutive days' worth of production. This reflects a high level of operational flexibility and efficient inventory management. Furthermore, the comparative analysis revealed a low ratio of daily production to total storage capacity, indicating the project's focus on strategic storage and ensuring a stable flour supply.

Keywords: Union Mills, food industries, production capacity, storage capacities.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

(الكفاءة الانتاجية لمطاحن الاتحاد للصناعات الغذائية)

م.د الاء حسين محمد الخفاجي
جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم الجغرافية التطبيقية
alaa.mohammad@uokerbala.edu.iq

المستخلص

تُعبر الكفاءة الإنتاجية عن قدرة المنشآت الصناعية على استغلال مواردها المتاحة، من مواد أولية ومكائن وأيدي عاملة وسعات تخزينية، بالشكل الأمثل لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج بأقل التكاليف والهدر الممكن. يهدف البحث إلى تحليل الواقع الإنتاجي والتخزيني لمطاحن الاتحاد للصناعات الغذائية وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي والأساليب الإحصائية البسيطة. تناولت الدراسة الطاقة الإنتاجية اليومية للمطاحن، والتي تبلغ 750 طنًا من الطحين، موزعة على ستة خطوط إنتاج. وقد أظهرت النتائج أن السعات التخزينية تفوق متطلبات الإنتاج اليومي، حيث يمكن للصوامع استيعاب إنتاج ما يقارب 12 يومًا متواصلاً، مما يعكس مستوى عالٍ من المرونة التشغيلية وكفاءة إدارة المخزون. كما أظهر التحليل النسبي أن نسبة الإنتاج اليومي إلى إجمالي الطاقة التخزينية منخفضة، مما يدل على توجه المشروع نحو التخزين الاستراتيجي وضمان استقرار إمدادات الطحين.

الكلمات المفتاحية: مطاحن الاتحاد، الصناعات الغذائية، الطاقة الإنتاجية، السعات التخزينية.

المقدمة:

تُعد الصناعات الغذائية من الركائز الأساسية للأمن الغذائي، وتمثل مطاحن الحبوب أحد أهم مكونات هذه الصناعات. وتبرز مطاحن الاتحاد للصناعات الغذائية بوصفها مشروعاً استراتيجياً يعتمد على طاقات إنتاجية وتخزينية كبيرة تسهم في تلبية الطلب المحلي على مادة الطحين. يهدف هذا البحث إلى تقديم تحليل إحصائي كمي اعتماداً على الأرقام الرسمية المتاحة للمطاحن، وبيان دلالاتها الاقتصادية والإنتاجية.

مشكلة البحث:

مدى مساهمة الطاقة الإنتاجية والسعات التخزينية لمطاحن الاتحاد في تعزيز استقرار إمدادات الطحين وتحقيق كفاءة تشغيلية مرتفعة؟

فرضية البحث:

تفترض الدراسة أن الطاقة الإنتاجية لمطاحن الاتحاد تسهم بدرجة كبيرة في تعزيز استقرار إمدادات الطحين وتحقيق كفاءة تشغيلية مرتفعة

أهداف البحث:

1. تحليل الطاقة الإنتاجية اليومية للمطاحن بالأرقام.
2. دراسة السعات التخزينية وعلاقتها بالإنتاج.
3. توظيف التحليل الإحصائي في تفسير كفاءة المشروع.
4. إبراز الدور الاقتصادي للمطاحن ضمن قطاع الصناعات الغذائية.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، باستخدام البيانات الرقمية الخاصة بطاقة الإنتاج والسعات التخزينية، وتحليلها إحصائياً من خلال المؤشرات الكمية والنسب.

حدود البحث:

تمثلت **الحدود مكانية** للبحث لمشروع مطاحن الاتحاد للصناعات الغذائية في مدينة المدحتية في الجزء الجنوبي من محافظة بابل، وتمثل مركز قضاء الحمزة الغربي، إذ تبعد عن مدينة الحلة مركز المحافظة مسافة تُقدّر بنحو (30) كم باتجاه الجنوب. وكانت المدينة تتبع إداريًا في السابق إلى قضاء الهاشمية قبل أن تصبح مركزًا

إداريًا مستقلًا. تحدد إحداثياتها الجغرافية عند خط عرض (32°23 شمالًا) وخط طول (44°39 شرقًا)، وتقع ضمن نطاق السهل الرسوبي للعراق.

تبلغ مساحة مدينة المدحتية نحو (609.25) هكتارًا (الأوسي ,2000, ص 3) وتتسم بخصائص طبيعية تتوافق مع البيئة الصحراوية الجافة السائدة في المنطقة، إذ يسودها مناخ صحراوي حار وجاف، وتغطيها تربة رسوبية نهرية تكونت بفعل الترسيب النهري. ويُعد شط الحلة المصدر الرئيس للمياه في المدينة، وهو مجرى مائي كان يمثل أحد فروع نهر الفرات سابقًا، مما أسهم في استقرار النشاط البشري والزراعي في المنطقة.

اما الحدود الزمانية: تقتصر هذه الدراسة على سنة 2025، حيث تم الاعتماد على البيانات والإحصاءات المتاحة خلال هذه السنة، لكونها تمثل أحدث البيانات الرسمية المتوفرة وقت إجراء البحث.

خريطة (1) موقع قضاء المدحتية من محافظة بابل والعراق

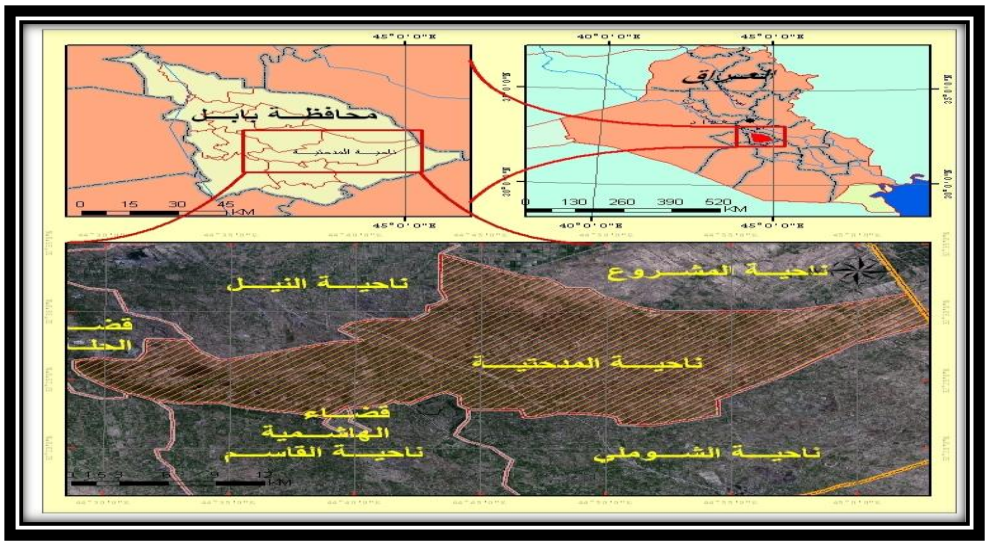

المصدر : وزارة الموارد المائية. (2025). خريطة محافظة كربلاء (مقياس 1:1,000,000). الهيئة العامة للمساحة، جمهورية العراق.
ArcMap (Version 10.8.1).

أولا: التعريف بصناعة طحن الحبوب وأهميتها:

تُعتبر الصناعة مجموعة من الأنشطة الإنتاجية التي تُنفذ في المصانع والمؤسسات باستخدام أنواع مختلفة من الآلات والمعدات. وتختلف هذه الأنشطة الإنتاجية حسب الدول وحسب الباحثين(مصنوعة ،2014 ، ص128) . حيث تُقسم إلى نوعين رئيسيين: الصناعات الاستخراجية والصناعات التحويلية. وما يهمنا هنا هو الصناعات التحويلية، التي تشمل كافة الأنشطة التي تتضمن تغيير المواد الخام وتحويلها إلى منتجات نافعة. يتم هذا التحويل في مصانع متخصصة تستمد المواد الخام من مصادرها الأصلية، لتخرج منها في النهاية المنتجات الصناعية الجاهزة لتوزيعها على أسواق استهلاكها المتنوعة(الشماع ،1978 ،ص88). تنقسم هذه الصناعات إلى عدة قطاعات، من بينها الصناعات الغذائية التي تُعتبر من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان. إنها واحدة من المجالات العلمية التطبيقية التي تدرس العمليات المتعلقة بالخامات الزراعية، سواء كانت نباتية أو حيوانية، بهدف الحفاظ عليها من الفساد وإطالة فترة تخزينها دون حدوث تغييرات كبيرة في جودتها، مما يسهل استهلاكها. وتتميز هذه العمليات الإنتاجية بالبساطة(رسول ،1981 ،ص142) .

تعتمد الصناعات التحويلية على مجموعة متنوعة من المواد الأولية، تشمل الزراعية والنباتية والحيوانية، بالإضافة إلى المواد المعدنية. ومن بين هذه الصناعات، تبرز صناعة طحن الحبوب التي تعود جذورها إلى عصور قديمة، حيث تتضمن تحويل بعض المنتجات الزراعية والحيوانية من حالتها الطبيعية إلى أشكال جديدة تتميز بالسهولة في الاستخدام وملاءمتها للتطورات التي شهدتها حياة الإنسان عبر الزمن. وفي سياق الاقتصاد، يُشار إلى هذه الأنشطة بأنها تخلق منافع شكلية في السلع المصنعة، مما يجعلها جزءًا أساسيًا في السلسلة الغذائية ووسيلة فعالة تربط بين الحقل والمائدة(الدليمي، 2009، ص 175)

على الرغم من تنوع التعريفات، إلا أنها تتفق جميعًا في هدف واحد وهو ضمان توفير الغذاء الاستراتيجي للسكان، وذلك من خلال استخدام أساليب وطرق متنوعة سواء كانت فيزيائية أو كيميائية. فهي تمثل مجموعة من المنشآت التي تركز بشكل أساسي على تحويل المواد الزراعية بمعناها العام لتلبية احتياجات الاستهلاك النهائي.

ثانياً: أهمية صناعة طحن الحبوب: تُعتبر صناعة طحن الحبوب أحد فروع الصناعة الغذائية التي تتداخل مع العديد من القطاعات الأخرى، حيث تغذي بعضها البعض وتلعب دوراً حيوياً في تحديث وتعزيز التنمية

الزراعية. هذه الصناعة تُساهم بشكل كبير في تحقيق أهداف الأمن الغذائي الوطني، الذي يعاني بلدنا منه بشكل مؤلم.(أبو العينين ،1980 ،ص120) . إن السعي نحو تحقيق أعلى معدلات التنمية في قطاع الصناعات الغذائية يتطلب تنسيقاً شاملاً مع القطاعات الأخرى لتفادي أي نقص أو عقبات قد تظهر خلال مراحل الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، بالإضافة إلى تطوير كفاءة وحدات التخزين. ومن الضروري أيضاً تطبيق مبدأ التكامل الأفقي والعمودي بين الصناعات ذات الصلة. في العراق، تتمتع صناعة طحن الحبوب بمكانة متميزة بين الأنشطة الصناعية المختلفة، حيث تنتشر مئات المنشآت في جميع أنحاء البلاد، ومعظمها ينتمي إلى القطاع الخاص (جبر، 1989، ص 5)

يمكن تلخيص أهمية صناعة طحن الحبوب من خلال النقاط الاتية(الشبلاوي، 1998، ص 65):

1. تلبية احتياجات سكان العالم المتزايدين من الغذاء، من خلال توفير مصادر غذائية جديدة مثل الطحين المركب، مما يساعد في مواجهة مشكلة سوء التغذية.
2. تحويل بعض المنتجات الزراعية، بما في ذلك الحبوب، التي لا تصلح للاستهلاك المباشر، إلى مواد قابلة للاستخدام من خلال عمليات خاصة مثل الطحن.
3. تسهم صناعة طحن الحبوب بشكل مباشر في تعزيز صناعات أخرى مرتبطة بها، مثل تعبئة المنتجات وصناعة الآلات والمواد المستخدمة في دعم الدقيق.
4. توفير أغذية مناسبة للأطفال والمرضى، بالإضافة إلى خيارات صحية أخرى.
5. دعم بعض الصناعات الأخرى عن طريق توفير المواد الأولية اللازمة، مثل صناعة المعكرونة.

تسهم صناعة طحن الحبوب في تقليص معدلات البطالة من خلال توفير فرص عمل لعدد كبير من الأيدي العاملة.

كما تلعب دورًا حيويًا في تنظيم الميزان التجاري للمواد الغذائية، حيث تمنع تراجع أسعارها خلال مواسم الإنتاج الغزيرة، إذ تتيح إمكانية تسويق الفائض إلى مصانع المعالجة بأسعار مناسبة. تضمن هذه الصناعة استمرارية تشغيل الوحدات الإنتاجية، حيث تقوم بتجميع وتخزين كميات المحاصيل الوفيرة ثم توزيعها على مدار السنة، مما يسهم في الحفاظ على التشغيل المستمر.(الاسود،1993 ،ص89) تعمل أيضًا على توفير الغذاء الاستراتيجي للشعوب، مما يعزز الأمن الغذائي خاصة في ظل تدهور العلاقات الدولية أو فرض

سياسات الحصار التي تحرم بعض الشعوب من العديد من المواد الغذائية، وعلى رأسها الحبوب الأساسية. وأخيرًا، تساهم في تطوير القوى العاملة ورفع مستواها المالي والثقافي والتقني، مما يؤدي إلى تحقيق تنمية اجتماعية شاملة.(السامرائي، 1979، ص. 97)

ثالثآ : مشروع مطاحن الاتحاد:

يقع مشروع مطاحن الاتحاد للصناعات الغذائية في مدينة المدحتية، التي تقع في الجزء الجنوبي من محافظة بابل، وتعد مركز قضاء الحمزة الغربي. تبعد هذه المدينة عن مدينة الحلة، التي تُعتبر مركز المحافظة، مسافة تُقدّر بحوالي 30 كيلومترًا باتجاه الجنوب. يعد واحدا من أكبر المطاحن في الشرق الأوسط ،تبلغ مساحته (186) دونم خريطة(2), وبطاقة إنتاجية 4,500 طن يوميا.(الدراسة الميدانية , 2025) يعتبر خطوة استراتيجية من خطوات مجموعة شركات الاتحاد نحو تعزيز الأمن الغذائي وتحقيق التنمية الاقتصادية.

خريطة (2) الموقع الجغرافي شركة الاتحاد للصناعات الغذائية في قضاء المدحتية

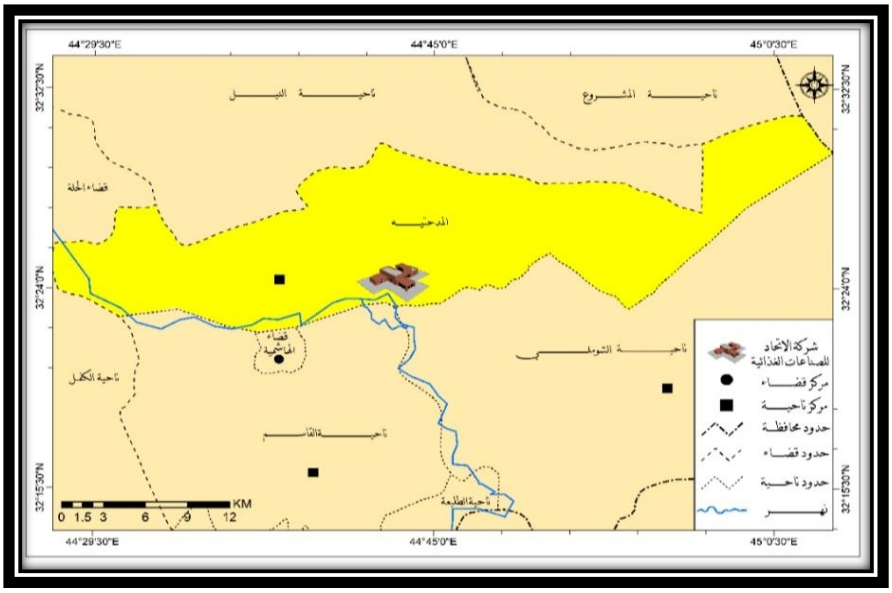

المصدر : وزارة الموارد المائية. (2025). خريطة محافظة كربلاء (مقياس 1:1,000,000). الهيئة العامة للمساحة، جمهورية العراق.
. ArcMap (Version 10.8.1).

بدأ المشروع بوضع حجر أساسه في منتصف عام 2024 ومع بداية عام 2025بدأ المشروع بالعمليات الانتاجية ،يجسد المشروع رؤية المجموعة نحو تطوير الصناعات الغذائية باستخدام أحدث التقنيات والتكنولوجيا العالمية. تم تجهيز المشروع بأحدث المعدات والأنظمة المتطورة من شركات اوربية متخصصة التي تضمن أعلى معايير الجودة والإنتاجية. ويتميز المشروع بتقنيات مبتكرة في عمليات الطحن والتعبئة، مما يُتيح تقديم كافة أنواع الطحين (مثل الطحين الصفر والطحين الأسمر والسميد الذي يستخدم بإنتاج الحلويات والمعكرونة) بجودة فاخرة للمستهلك، وستكون التعبئة بإحجام مختلفة تبدأ من (كيلو غرام للكيس وصولا لـ 50 كيلو بالإضافة الى الفل) لتلائم رغبة المستهلك(الدراسة الميدانية , 2025). وجميع هذه المنتجات تخضع للفحوصات المختبرية بأحدث تقنيات الفحص المختبري وفق المواصفات العالمية فضلا عن المواصفة العراقية القياسية بدءً باستلام المادة الخام وجميع المراحل الإنتاجية والمنتج النهائي.

من أبرز أهداف المشروع هو تقليل الاعتماد على استيراد الطحين من الخارج، مما يعزز الاكتفاء الذاتي ويسهم في تحقيق التوازن التجاري ويدعم استقرار الأسعار ويلبي احتياجات السوق المتزايدة. وإلى جانب أثره الاقتصادي، اذا يلعب المشروع دوراً محورياً في تقليل نسب البطالة من خلال توفير العديد من الفرص الوظيفية المباشرة وغير المباشرة. فمنذ بدء عمليات الإنشاء، تم توظيف عدد من الاختصاصات الهندسية والفنية والحرفية، ومع اكتمال المشروع، ستُتاح فرص عمل في مختلف المجالات مثل التشغيل، الصيانة، والإدارة.

رابعا : المقومات الجغرافية لتوطن صناعة طحن الحبوب في قضاء المدحتية.

يُعتبر الموقع الجغرافي أحد العناصر الأساسية التي تؤثر في التوزيع الجغرافي للصناعة. إذ لا يمكن إقامة صناعات في مناطق نائية، حيث يرتبط الموقع الإقليمي للصناعات ارتباطًا وثيقًا بالمناطق المجاورة من خلال شبكات النقل الفعالة، وكذلك بقربه من مراكز الكثافة السكانية ومصادر المواد الخام وأسواق تصريف المنتجات، مما يسهم في تركيز الأنشطة الصناعية. وتبرز أهمية تأثير الموقع بشكل خاص في الصناعات الغذائية، حيث يتجلى ذلك من خلال قربها من طرق النقل والتجمعات السكانية. وبالتالي، لا يمكن أن تُقام هذه الصناعات في مناطق نائية ذات كثافة سكانية منخفضة، بل تميل إلى التواجد في المناطق التي تشهد طلبًا مرتفعًا لتلبية احتياجات السكان الاستهلاكية.(الدليمي طالب مدب 2011، ص (47) لقد ترك الموقع الجغرافي لمدينة المدحتية بصمات واضحة على صعيد الاقتصاد، حيث يتميز بظاهرة فريدة تتمثل في وجود

فضاء واسع ومفتوح يربط بين وظائف المدينة الحضرية وطرقها بشكل جيد. لذا، لا تخلو المدينة من مراكز حضرية أو تجمعات سكانية حتى على نطاق صغير، مما يضفي عليها حيوية ونشاطاً. فاحتياجات هؤلاء السكان من خدمات وبضائع تدفع المدينة لتوفيرها، مما يسهم في إقامة الحد الأدنى من المؤسسات والأسواق التجارية التي تحتاجها، خاصةً أن منطقة الدراسة تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من محافظة بابل، ساهمت الزراعة المتنوعة والتجارة النشطة في ازدهار المنطقة، نظراً لموقعها الاستراتيجي على الطريق الذي يربط بين محافظات واسط وبابل وكربلاء والنجف. كما أنها أصبحت مركزاً دينياً يجذب الزوار من مختلف المحافظات والدول العربية مثل الإمارات والكويت والسعودية، مما أدى إلى زيادة عدد السكان وظهور ظاهرة النمو الحضري. (المعيني، 1988، ص 112)

يسهم هذا الموقع في توطن صناعة طحن الحبوب، إذ تميل المطاحن إلى التركز:

1. قرب مناطق الإنتاج الزراعي للحبوب (القمح، الشعير، الذرة) لتقليل كلفة النقل.
2. قرب مراكز الاستهلاك السكاني لضمان سرعة تسويق الطحين.
3. قرب شبكات النقل (طرق برية، سكك حديد) لتسهيل دخول الحبوب وخروج المنتجات.

ومن خلال الخريطة (1)، يتضح ان مدينة المدحتية تقع بين خطي طول (44.27 – 45.3) شرقاً ودائرتي عرض (32.22 – 32.34) شمالاً، مما يجعلها في الجزء الجنوبي الشرقي من المحافظة. تحدها من الشمال قضاء النيل على بعد (35 كم) ومن الشمال الشرقي قضاء المشروع على بعد (60 كم). أما من الجنوب، فتحدها قضاء القاسم على بعد (15 كم)، ومن الغرب مدينة الحلة على بعد (30 كم)، بينما تبعد قضاء الشوملي عنها من الشرق بمسافة (28 كم). تبلغ المساحة الإجمالية للمدينة (523 كم^2)، مما يمثل حوالي (2.01%) من المساحة الكلية للمحافظة و(7.31%) من المساحة الكلية للقضاء.

كما أن المناخ، بعناصره المتنوعة، ترك بصمة واضحة على بيئة المدينة، فهو الذي يحدد الطراز المعماري ويحدد نوع المواد المستخدمة في البناء، وله تأثير كبير على توزيع استعمالات الأرض الزراعي . تتميز مدينة المدحتية بمناخ صحراوي مشابه لمناخ المنطقة الوسطى، الذي يعرف بارتفاع درجات الحرارة صيفًا وقلة الأمطار في فصل الشتاء. كما أن ملاءمة المناخ، حيث تتراوح درجات الحرارة خلال موسم النمو بين (5.6 – 31) درجة مئوية، تساعد على استقرار الإنتاج السنوي لمحاصيل الحبوب.

و نظرًا لموقع منطقة الدراسة في قلب السهل الرسوبي العراقي، فإن تربتها تنتمي إلى نوع التربات الرسوبية النهرية المعروفة بالتربة الغرينية. تتشكل هذه التربات نتيجة لتجمع المواد المتنوعة التي تحملها الأنهار، سواء كانت صخورًا مفتتة أو أملاحًا ذائبة، بالإضافة إلى الرسوبيات التي تنقلها الرياح من مناطق بعيدة أو من مناطق رسوبية أخرى عبر الإرسابات الهوائية. في منطقة الدراسة، نجد نوعين رئيسيين من التربة: تربة كتوف الأنهار وتربة أحواض الأنهار، وكلاهما يتميز بخصوبتهما العالية التي تسمح بزراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية دون أي قيود. هذا الأمر ساهم في توطن صناعة طحن الحبوب، حيث توفر هذه التربة إمكانية إنتاج المحاصيل الحقلية ولاسيما محاصيل الحبوب الشتوية المتمثلة بـ القمح والشعير، ومحاصيل الحبوب الصيفية المتمثلة بـ الذرة الصفراء، من أهم المقومات الزراعية التي ساهمت في توطن صناعة طحن الحبوب في قضاء المدحتية. إذ تشغل هذه المحاصيل مساحة واسعة من الأراضي الزراعية، حيث بلغت المساحة المزروعة بالحبوب في القضاء (35620) دونم، أي ما يعادل (92.27%) من مجموع مساحة المحاصيل الشتوية البالغة (38600) دونم(وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية إحصاء بابل، شعبة الإحصاء الزراعي، 2025)، مما يعكس التخصص الزراعي الواضح في إنتاج الحبوب.

ويعد **القمح** محصولاً استراتيجياً في العراق، إذ يمثل الغذاء الأساسي للسكان بصورة مباشرة من خلال صناعة الطحين والخبز،اذا بلغت المساحة المزروعة بالقمح في قضاء المدحتية (24030) دونم (وزارة الزراعة العراقية، 2025)بنسبة (67.46%)من إجمالي مساحة الحبوب، ونسبة (15.31%)من الأراضي الصالحة للزراعة.وهذا التركيز الكبير في إنتاج القمح يشكل عاملاً حاسماً في توطن مطاحن الحبوب في منطقة الدراسة،

يأتي **الشعير** بالمرتبة الثانية بعد القمح من حيث الأهمية، ويتميز بقدرته على تحمل الظروف البيئية القاسية نسبياً مقارنة بالقمح، سواء من حيث الحرارة أو الجفاف أو ملوحة التربة.اذ بلغت مساحة زراعة الشعير(590) ,دونم (الزراعة العراقية، 2025)م 0بنسبة(1.65%)من مساحة الحبوب, و بنسبة (0.90%) من الأراضي المزروعة, وبنسبة (0.370.37)% من الأراضي الصالحة للزراعة.

اما **الذرة الصفراء** فتعد من المحاصيل الغذائية والصناعية المهمة، إذ تدخل في الصناعات الغذائية وصناعة الأعلاف والصناعات التحويلية المختلفة. اذ بلغت المساحة المزروعة بالذرة الصفراء في منطقة

الدراسة (11000) دونم (وزارة الزراعة العراقية، 2025) بنسبة (30.88%) من مساحة الحبوب ، وبنسبة(16.79%) من الأراضي المزروعة ،وبنسبة(7.01%)من الأراضي الصالحة للزراعة.

لهذا فأن المحاصيل الزراعية لها علاقة في توطن صناعة طحن الحبوب في المدحتية وإن التركز الكبير لإنتاج الحبوب في قضاء المدحتية أدى إلى توطن صناعة طحن الحبوب نتيجة:

1. توفر المادة الأولية محلياً.
2. انخفاض تكاليف النقل والخزن اذا يتوفر حوالي (50)شاحنه نقل حبوب من اصل (1644) شاحنه(الدراسة الميدانية ، 2025) .
3. توفر الأيدي العاملة الزراعية والصناعية.
4. وجود سوق استهلاكي محلي وإقليمي.
5. ارتباط الصناعة بالقطاع الزراعي بشكل مباشر.

لذلك يمكن القول إن قضاء المدحتية تمثل نموذجاً واضحاً للصناعات الزراعية المرتبطة بالموقع، حيث أدى التخصص في إنتاج الحبوب إلى قيام صناعة طحن الحبوب وتطورها.

تُعتبر المياه عنصرًا حيويًا لا غنى عنه للحياة على سطح الأرض، وهي تلعب دورًا أساسيًا في نشوء مراكز المدن والمستوطنات البشرية. تتجمع هذه المستوطنات على ضفاف الأنهار والجداول، حيث تمارس أنشطتها الاقتصادية المتنوعة، بما في ذلك الزراعة والصناعة وغيرها من الفعاليات.(العصامي, زينب عبد الزهرة 2016،ص31) ، ينقسم استخدام المياه في صناعة طحن الحبوب إلى فئتين: الفئة الأولى تتعلق بالاستخدام المباشر للمياه في معالجة الأغذية، مثل غسل المواد الخام، بينما تتعلق الفئة الثانية بالاستخدام غير المباشر، والذي يشمل عمليات التبريد والتدفئة. تلعب المياه دورًا أساسيًا في مراحل إنتاج طحن الحبوب، وخاصة في مرحلة الترطيب، حيث تتطلب كميات كبيرة من المياه المناسبة لاستكمال عملية الإنتاج. على سبيل المثال، يتطلب معالجة 12 طنًا من الحبوب (القمح) خلال مرحلة الترطيب، والتي تتم خلال ساعة واحدة، ما بين 1200 إلى 1300 لتر من الماء، وذلك وفقًا لمستوى رطوبة القمح. وبالتالي، يحتاج كل طن من القمح تقريبًا إلى 100 لتر من الماء، (الدراسة الميدانية ، 2025).

خامسا : تحليل الكفاءة الإنتاجية لمطاحن الاتحاد للصناعات الغذائية

1: الطاقة الإنتاجية

تُعد الطاقة الإنتاجية من أهم مؤشرات الكفاءة الصناعية، إذ تعكس قدرة المنشأة على تحويل المدخلات إلى مخرجات خلال فترة زمنية محددة. ك(ابو عيانه،د.ت ،ص145) وتبلغ القدرة الإنتاجية اليومية لمطاحن الاتحاد نحو 750 طنًا من الطحين يوميًا، موزعة على ستة خطوط إنتاج.

وباحتساب متوسط إنتاج الخط الواحد، يتضح أن:

متوسط إنتاج الخط = 750 ÷ 6 = 125 طن/يوم

ويُشير هذا المعدل إلى توازن نسبي في توزيع الأحمال الإنتاجية بين الخطوط، مما يقلل من احتمالية الاختناقات الإنتاجية أو التوقفات الفنية، ويعكس كفاءة في تصميم العملية الإنتاجية وتشغيل المعدات.

كما أن وجود عدة خطوط إنتاج يمنح المطاحن مرونة تشغيلية عالية، تتيح إمكانية الاستمرار بالإنتاج حتى في حال توقف أحد الخطوط لأغراض الصيانة أو الأعطال الطارئة.

2: السعات التخزينية:

يمثل التخزين عنصرًا مكملًا للإنتاج، خاصة في الصناعات الغذائية الاستراتيجية مثل صناعة طحن الحبوب. وقد توفرت لدى مطاحن الاتحاد منظومة تخزينية متكاملة، تشمل:

- 60 صومعة (الصوامع هي منشآت مخصصة لتخزين الحبوب والمواد السائبة (مثل القمح، الشعير، الذرة) بكميات كبيرة، مع الحفاظ عليها من التلف أو الرطوبة أو الحشرات).(UNESCWA, n.d.)
- سعة الصومعة الواحدة: 150 طنًا.

وبذلك تبلغ السعة التخزينية الكلية للصوامع:

60 × 150 = 9,000 طن.

وتُستخدم هذه الصوامع غالبًا لتخزين الطحين أو المواد الأولية بشكل يضمن استمرارية الإنتاج وحمايته من التقلبات المفاجئة في التوريد أو الطلب.

كما تشمل المنظومة التخزينية:

- سعة مخازن الطحين المعبأ: 40,000 طن.
- سعة مخازن النخالة: 5,000 طن.

وهو ما يدل على تكامل واضح بين مراحل الإنتاج والتعبئة والتسويق، وعدم الاكتفاء بالإنتاج فقط دون توفير منافذ تخزينية كافية.

3: التحليل الإحصائي للكفاءة الإنتاجية والتخزينية:

1. بين الإنتاج والتخزين.

عند مقارنة الطاقة الإنتاجية اليومية بالسعة التخزينية للصوامع، يتضح أن:

9,000 ÷ 750 = 12 يومًا.

و هذا يدل أن الصوامع قادرة على استيعاب إنتاج 12 يومًا متواصلاً دون الحاجة إلى تصريف فوري. ويُعد هذا المؤشر دلالة واضحة على:

- مرونة عالية في إدارة الإنتاج .
- تقليل الضغط على عمليات التوزيع اليومية.
- القدرة على مواجهة حالات الطوارئ أو اضطرابات النقل.

2. **مؤشر الكفاءة التخزينية.**

يبلغ إجمالي السعات التخزينية للمطاحن (طحين + طحين معبأ + نخالة):

9,000 + 40,000 + 5,000 = 54,000 طن.

ويعكس هذا الحجم الكبير من التخزين قدرة المطاحن على دعم الأسواق المحلية لفترات طويلة، خاصة خلال مواسم الذروة أو في حال زيادة الطلب الاستهلاكي. كما يشير إلى توجه استراتيجي نحو تحقيق الأمن الغذائي وليس مجرد تلبية الطلب اليومي فقط.

3. التحليل النسبي للطاقة الإنتاجية

لحساب نسبة الإنتاج اليومي إلى إجمالي الطاقة التخزينية:

(750 ÷ 54,000) × 100 = 1.39%

وتُعد هذه النسبة منخفضة نسبيًا، مما يدل على أن المطاحن تعتمد على التخزين طويل الأمد كأداة استراتيجية لإدارة المخاطر السوقية، وضمان استقرار الإمدادات، وليس على مبدأ الإنتاج الفوري فقط .

خاتمة:

تشير نتائج التحليل إلى أن مطاحن الاتحاد تتمتع بـ:

1. كفاءة إنتاجية عالية نتيجة تعدد خطوط الإنتاج.
2. منظومة تخزين استراتيجية داعمة لاستقرار السوق.

ونة تشغيلية تسهم في تقليل المخاطر الاقتصادية.

3. قدرة على تلبية الطلب في الظروف الاعتيادية والاستثنائية.

ويمكن اعتبار هذا النموذج مثالًا على التكامل بين الإنتاج والتخزين في الصناعات الغذائية الكبرى، بما يخدم أهداف التنمية الاقتصادية والأمن الغذائي..

المصادر:

أولاً: الكتب

1. أبو العينين، حسن سيد أحمد. (1980). الموارد الاقتصادية. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ص 120.
2. الدليمي، خلف حسين علي. (2009). تخطيط الخدمات المجتمعية والبنية التحتية. عمّان: دار الصفاء للطباعة والنشر، ص 175.
3. الشماع، سميرة كاظم. (1978). مناطق الصناعة في العراق. القاهرة، ص 88.
4. خزعل، خضير عباس. (2012). طرق السيارات في محافظة ديالى. جامعة ديالى، ص 64.
5. رسول، أحمد حبيب. (1981). جغرافية النقل والتجارة الدولية. بغداد: مطبعة الحوادث، ص 142.
6. هوفر، إدغار. (1974). النظرية المكانية في اختيار المكان المناسب للنشاط الاقتصادي. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص 73.
7. أبو عيانة، فتحي محمد. (د.ت). الجغرافية الاقتصادية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص 154.
8. الأسود، ماجد بشير، وآخرون. (1993). مبادئ الصناعات الغذائية. بغداد: مطابع التعليم العالي، ص 89.

ثانياً: الرسائل والأطاريح:

1. الشبلاوي، سلمى عبد الرزاق. (1998). الصناعات الغذائية في محافظات الفرات الأوسط (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد)، ص 201.
2. المعيني، عبد الكريم عبد علي عيسى. (1988). دور الصناعات الغذائية في التكامل الاقتصادي العربي (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، ص 112.
3. السامرائي، عفاف عبد الرزاق محمد. (1979). التحليل الاقتصادي لتكاليف صناعة طحن القمح في العراق (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة المستنصرية، ص 97.

ثالثا: المجلات العلمية:

1. جبر، فلاح سعيد. (1989). الصناعات الغذائية والأمن الغذائي. مجلة النفط والتنمية، العدد (2)، ص 66.
2. الأوسي، حسين موسى. (2000). تقييم المواقع الصناعية في مدينة الحلة الكبرى. مجلة جامعة بابل، 5(1)، ص 3.

رابعا:الدوائر الحكومية:

1. وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية إحصاء بابل، شعبة الإحصاء الزراعي، (2025
2. وزارة الموارد المائية. (2025). خريطة محافظة كربلاء (مقياس 1:1,000,000). الهيئة العامة للمساحة، جمهورية العراق.
3. جمهورية العراق، وزارة الزراعة، مديرية زراعة محافظة بابل، قسم الإحصاء الزراعي. (2025). بيانات غير منشورة.

خامسا:الدراسة الميدانية،2025.

سادسا :موقع الانترنت:

1. United Nations Economic and Social Commission for Western Asia (UNESCWA). (n.d.). Silos. https://archive.unescwa.org/silos

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Geographical Analysis of the Age and Sex Structure of the Population in Karbala Governorate for the Period 2009–2024

Lect. Waseem Abdulwahid Ridha Al-Nafie
Ministry of Education / General Directorate of Education in Holy Karbala
waseem_ridha@karbala.edu.iq

Abstract

This study aims to analyze the age and sex characteristics of the population in Karbala Governorate based on official demographic data at the level of administrative units. It also seeks to identify population attributes in terms of youthfulness, maturity, or ageing, and to determine the spatial variation among administrative units and its related planning and developmental implications.

The results of the first section, which examined the age structure of the population in Karbala Governorate, revealed the predominance of the middle-age population compared with other age groups, while the elderly population constituted a relatively small proportion. This reflects the impact of high fertility rates, improved health conditions, and the role of internal migration in enhancing population growth within the governorate.

The second section, which focused on the sex structure, indicated a clear convergence between the numbers of males and females at the governorate level, with slight variations among administrative units. These differences can be explained by geographical, economic, and social factors, such as the nature of economic activities, employment opportunities, and patterns of population settlement.

The results of the third section, which examined the population pyramid of Karbala Governorate, showed a pyramid that closely resembles an expansive or youthful structure, characterized by a relatively broad base and a narrow apex. This confirms the dominance of younger and middle age groups. Such a structure reflects current demographic trends and provides an important tool for forecasting future demographic transformations and identifying service needs over the medium and long term.

Keywords: Age structure, sex structure, sex ratio, population pyramid.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

تحليل جغرافي للتركيب العمري والنوعي لسكان محافظة كربلاء للمدة 2009 – 2024م

م. وسيم عبد الواحد رضا النافعي

وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

waseem_ridha@karbala.edu.iq

الملخص

يهدف البحث إلى تحليل الخصائص العمرية والنوعية لسكان محافظة كربلاء استنادًا على بيانات سكانية رسمية على مستوى الوحدات الإدارية، وكذلك الوقوف على السمات السكانية من فتوة أو نضج أو شيخوخة، وايجاد التباين المكاني بين الوحدات الإدارية وما يترتب على ذلك من دلالات تخطيطية وتنموية. وقد أظهرت نتائج دراسة التركيب العمري لسكان محافظة كربلاء في المبحث الأول تفوق نسبة السكان متوسطي الأعمار مقارنة بالفئات الأخرى، وشكلت فئة كبار السن نسبة محدودة. ويعكس ذلك تأثير ارتفاع الخصوبة، وتحسن الظروف الصحية، فضلًا عن دور الهجرة الداخلية في تعزيز النمو السكاني للمحافظة. أما في المبحث الثاني الذي ركز على دراسة التركيب النوعي، عكست النتائج تقاربًا واضحًا بين أعداد الذكور والإناث على مستوى المحافظة، مع تسجيل فروقات طفيفة بين الوحدات الإدارية، يمكن تفسيرها بعوامل جغرافية واقتصادية واجتماعية، مثل طبيعة النشاط الاقتصادي، وفرص العمل، وأنماط الاستقرار السكاني. كما أظهرت نتائج المبحث الثالث الذي درس الهرم السكاني لمحافظة كربلاء هرمًا سكانيًا اتخذ شكلًا قريبًا من الهرم الفتي، متسع القاعدة نسبيًا ومحدود القمة، بما يؤكد سيادة الفئات العمرية الصغيرة والمتوسطة، ويعبر هذا الشكل عن الاتجاهات السكانية الحالية، كما يوفر أداة مهمة لاستشراف التحولات المستقبلية في التركيب السكاني، ومعرفة الاحتياجات الخدمية على المدى المتوسط والبعيد.

الكلمات المفتاحية: التركيب العمري، التركيب النوعي، نسبة النوع، الهرم السكاني.

المقدمة

انشغل الفكر الإنساني منذ القدم بالظواهر السكانية التي جذبت انتباهه، إذ نتج عن الفلاسفة والمفكرون كتابات تجلت في فكر سكاني نوعي، لولاه لم تصل دراسة السكان في مراحله الحديثة إلى ما حقّقته من تقدم ونضوج ووضوح. ويمثل الفكر السكاني مجمل الآراء ووجهات النظر التي تناولت مختلف الظواهر السكانية بالمتابعة والتحليل والتفسير (عطية، 2020، صفحة 11). وتمثل دراسة التركيب العمري والنوعي للسكان من الدراسات الديموغرافية المهمة، فهي تبرز الملامح السكانية للمجتمع ذكوراً وإناثاً وتحدد الفئة المنتجة فيه، والتي تتحمل إعالة باقي أفراد المجتمع. كما يمثلان نتاجًا لجملة من العوامل المتحكمة في النمو السكاني من مواليد ووفيات وهجرة، إذ لا تنفصل عن بعضها البعض في أهميتها وتأثيرها في التركيب العمر والنوعي، فضلًا عن انعكاسها على متغيرات أخرى مثل النمو السكاني والنشاط الاقتصادي والتركيب التعليمي والزواجي وغيرها (المقداد، 2014، صفحة 568). وينتج عن دراسة الخصائص العمرية والنوعية للسكان مخطط بياني يعبر عنه بالهرم السكاني، يعكس مؤشرات اقتصادية واجتماعية وثقافية عديدة، ويسلط الضوء على الأحداث الديموغرافية بحسب السنوات، إذ يحدد الولادات وفقًا للنوع كثيرة كانت أم قليلة وعلى شكل نتوءات أو تجويفات في الفئات العمرية على جانبي الهرم، كما يظهر الاختلاف الحاصل في نسبة الوفيات بين الذكور والإناث، فضلًا عن أثر الهجرة والحروب التي يتفاعل معها الذكور بشكل أكبر من الإناث، يضاف إلى ذلك المجاعات والكوارث والأزمات، وبالنتيجة أشكال متنوعة من الأهرام السكانية (لبيب، 2004، صفحة 177).

مشكلة البحث:

يسعى البحث لإيجاد الجواب المناسب للمشكلة الرئيسة التي يعكسها التساؤل الآتي: ما طبيعة التحولات التي طرأت على التركيب العمري والنوعي لسكان محافظة كربلاء خلال المدة (2009–2024م)؟

كما وتبرز من التساؤل الرئيس مجموعة من المشكلات الفرعية، نوجزها على النحو الآتي:

- إلى أي مدى يتباين التوزيع النسبي للفئات العمرية؟
- ما اتجاه التغير في نسبة النوع خلال المدة (2009–2024م)؟
- ما طبيعة التباين في خصائص التركيب العمري والنوعي خلال المدة (2009–2024م)
- ما الصورة التي يعكسها الهرم السكاني في محافظة كربلاء؟

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن التركيب العمري والنوعي لسكان محافظة كربلاء قد شهد تغيرات ملحوظة خلال المدة (2009–2024م)، كما يحدد مجموعة من الفروض الثانوية وكالآتي:

- ارتفاع نسبة الفئات العمرية الفتية.
- تذبذب التوازن النوعي بين الذكور والإناث.
- وجود تباين مكاني في خصائص التركيب العمري والنوعي بين الوحدات الإدارية للمحافظة.
- اتساع قاعدة الهرم السكاني في محافظة كربلاء للمدة 2009 – 2024م.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحليل التركيب العمري والنوعي لسكان محافظة كربلاء خلال المدة (2009–2024م) تحليلًا جغرافيًا، وبيان خصائصه وتطوره الزمني وتباينه المكاني، من خلال دراسة توزيع الفئات العمرية ونسب النوع، والكشف عن الاتجاهات الديموغرافية السائدة، فضلًا عن دراسة الهرم السكاني خلال مدة الدراسة.

منهجية البحث:

استند الباحث على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي في دراسة خصائص التركيب العمري والنوعي لسكان محافظة كربلاء للمدة 2009 –2019م. وقد عزز ذلك بأساليب إحصائية استنادًا على

دالات الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في تحليل البيانات الإحصائية والرسوم البيانية، فضلاً استعمال برنامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في رسم الخرائط التي اعتمدها الباحث لتحديد موقع منطقة الدراسة.

الحدود المكانية والزمانية للبحث:

تتحدد منطقة الدراسة بمحافظة كربلاء بكامل حدودها ووحداتها الإدارية، فهي تقع كما في الخريطة (1) و(2) بين دائرتي عرض (45¯ 31ْ - 45¯ 32ْ) وخطي طول (15¯ 43ْ - 30¯ 44ْ) شرقاً. ويحدها من الشمال والغرب محافظة الأنبار ومن الشرق والشمال الشرقي محافظة بابل ومن الجنوب محافظة النجف، وتبلغ مساحتها (5040.4 كم2) وهي تمثل بذلك نحو (1,2 %) من إجمالي مساحة العراق البالغة (435052 كم2). أما الحدود الزمانية فقد انحصرت بين 2009 – 2024م (مديرية تخطيط كربلاء المقدسة، 2025).

المبحث الأول: التركيب العمري لسكان محافظة كربلاء

يقصد بالتركيب العمري توزيع السكان وفقًا لأعمارهم سواء كان ذلك فئات خمسية أو عشرية أو فئات عريضة. وتكمن أهميته في دوره الكبير في معدلات الخصوبة والوفيات والهجرة، وعليه يعتمد تحديد الفئة المنتجة في أي مجتمع، فضلًا عن دخوله في عملية التخطيط بمستوياته التربوية والصحية والعسكرية والاقتصادية. ويمثل أحد أهم خصائص السكان التي تشغل اهتمام العلماء الديموغرافيين بوصفه متغيرًا ديموغرافيًا متحكمًا في كثير من العلميات الديموغرافية (Poston, 2017, p. 8). ويبرز دور التركيب العمري في الوفيات وذلك بارتفاع معدلاتها في السنة الأولى من الحياة ثم تنخفض إلى مستويات واضحة، وفي المجتمعات الحديثة لا ترتفع معدلات الوفيات حتى في السنوات الأولى وكذلك في فئة كبار السن. كما أن هناك علاقة ما بين الهجرة والتركيب العمري لأن الهجرة انتقائية في العادة وتظهر واضحة في فئة الشباب (Amaral، 2020، صفحة 13).

الخريطة (1) موقع منطقة الدراسة من العراق

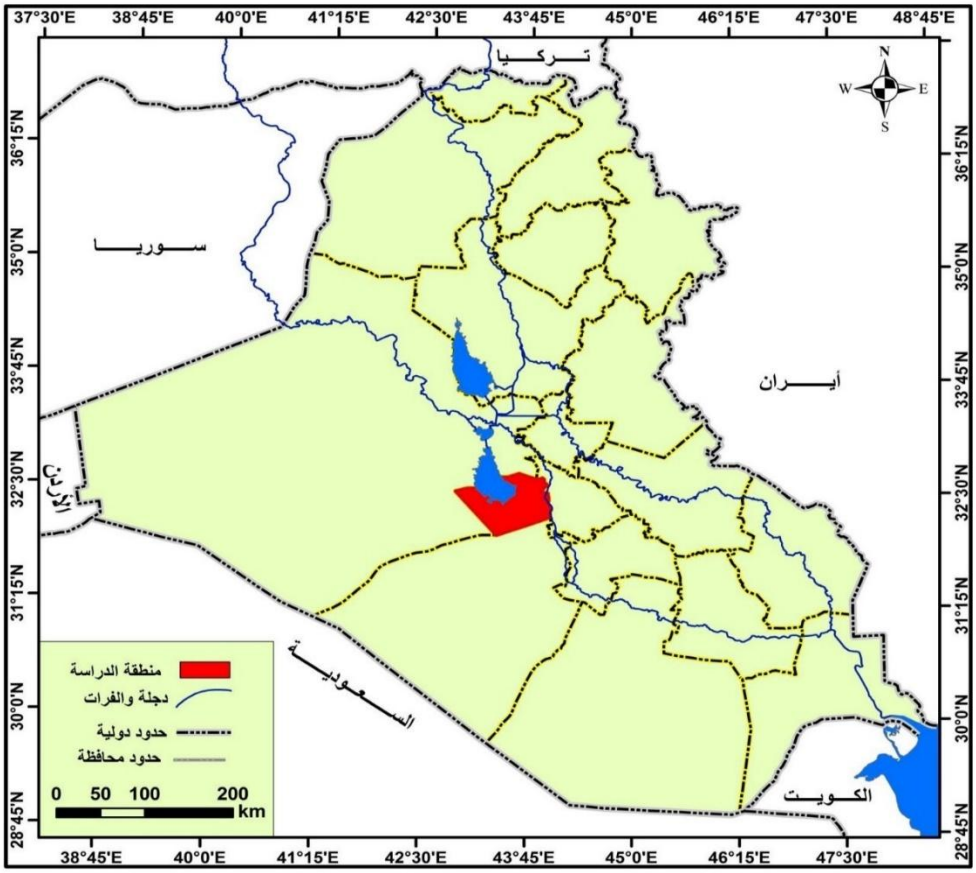

المصدر: الباحث اعتمادًا على: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، خريطة العراق الإدارية بمقياس 1:1000000 لعام 2025م.

ولإظهار خصائص التركيب العمري لسكان محافظة كربلاء سيتم تناوله وفقًا لفئات العمر العريضية وعلى النحو الآتي:

أولًا: صـغار السـن (أقل من 15 سـنة): وهي اكثر الفئات تأثرًا بمعدلات الولات والوفيات، وتعد غير منتجة اقتصاديًا؛ لذلك فإن ارتفاعها يرفع من نسبة الإعالة. ويلاحظ من بيانات الجدول (1) والشكلين (1) و(2) أن هذه الفئة سجلت على مستوى المحافظة في عام 2009 عددًا بلغ (426149) ليشكل نسبة بلغت (42.9%). وقد عام 2024 سجلت عددًا بلغ (635950) ونسبةً بلغت (36.2%). وتشير النتائج إلى ارتفاع حجم فئة صغار السن في محافظة كربلاء، وهو ما يعكس تركيبًا عمريًا فتيًا نتيجة ارتفاع معدلات الخصوبة. كما أظهرت انخفاضًا ملموسًا خلال مدة الدراسة الأمر الذي يعكس بداية تحول تدريجي في التركيب العمري للسكان. ويُفسَّر هذا الانخفاض النسبي بتراجع معدلات الإنجاب وزيادة نمو الفئات العمرية الأخرى، ولا سيما فئة سن العمل. ومع ذلك، فإن استمرار الحجم العددي المرتفع لهذه الفئة يؤكد بقاء المحافظة ضمن المجتمعات الفتية سكانيًا.

الخريطة (2) الوحدات الإدارية لمنطقة الدراسة

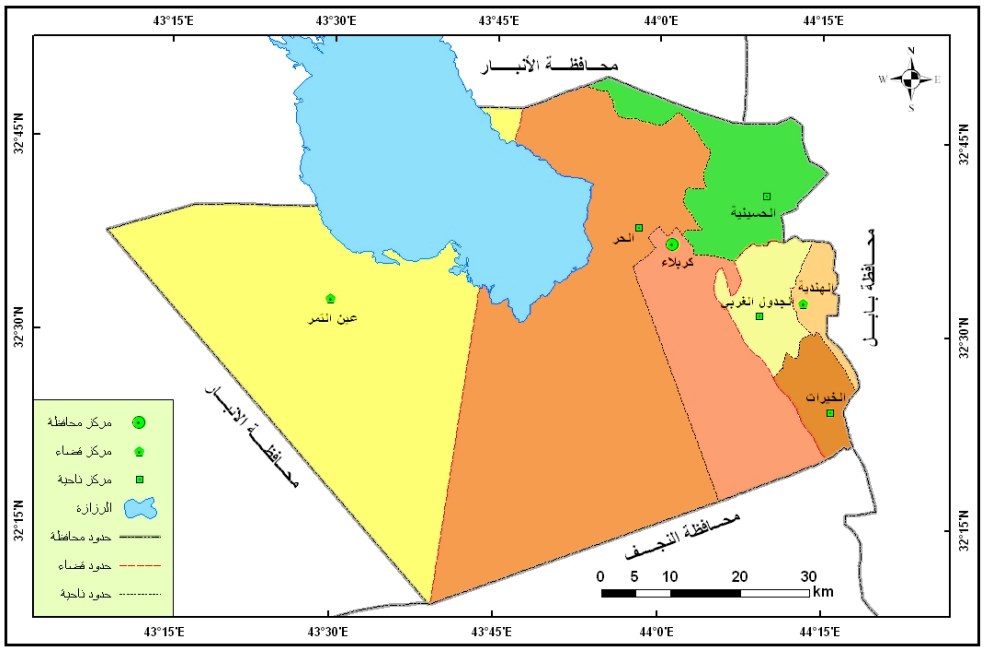

المصـدر: الباحث اعتمادا على: جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمسـاحة، قسـم إنتاج الخرائط، خريطة محافظة كربلاء الإدارية بمقياس 1:150000 لعام 2025م.

ثانيًا: فئة متوسطي الأعمار (15–64 سنة): وتمثل أساس البنية السكانية لكل مجتمع وقوته المنتجة التي تعيل الفئات العمرية الأخرى. ويلاحظ من بيانات الجدول (1) والشـكلين (1) و(2) أنها تمثل الثقل السـكاني في المحافظة، فقد سـجلت حجمًا بلغ في عام 2009 نحو (540352) وبنسـبة بلغت (54.4%). ارتفعت في عام 2024 إلى (1059044) وبنسبة بلغت (60.4%). وتدل النتائج على ارتفاع واضـح في الفئة المنتجة وازدياد نسـبتها في التركيب العمري للسـكان. ويعكس هذا الارتفاع تحسـنًا نسبيًا في نسبة الإعالة الديموغرافية نتيجة تراجع نسبة صغار السن. كما يشير إلى دخول المحافظة مرحلة أكثر نضجًا في تركيبها العمري، بما يعزز فرص التنمية الاقتصادية ويزيد من حجم القوى العاملة.

الجدول (1) التوزيع العددي والأهمية النسبية لسكان محافظة كربلاء وفقًا لفئات السن العريضة لعامي 2009 و 2024

الفئة	2009		2024	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أقل من 15 سنة	426149	42.9	635950	36.2
15 – 64 سنة	540352	54.4	1059044	60.4
65 سنة فأكثر	27402	2.7	59077	3.4
المحافظة	993903	100	1754065	100

المصدر: الباحث اعتمادًا على:

- جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصـاء، مديرية إحصـاءات السـكان والقوى العاملة، تقديرات سكان العراق لسنة 2009، ص10.
- جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصـــاء، هيأة الإحصـــاء ونظم المعلومات الجغرافية، نتائج التعداد العام للسكان والمساكن لعام 2024، ص7.

ثالثًا: فئة كبار السن (أكبر من 65 سنة): عادةً ما تظهر فئة كبار السن متدنية وبخاصة في البلدان ذات الهرم السكاني الفتي، وتكون غير منتجة، وتقع مسؤولية إعالتها على الفئة المنتجة شأنها شأن الفئة الأولى. وتشير بيانات الجدول (1) والشكلين (1) و(2) إلى تغير ملحوظ خلال مدة الدراسة، فقد سجلت هذه الفئة حجمًا بلغ في عام 2009 نحو (27402) وبنسبة بلغت (2.7%). أما في عام 2024 بلغ حجمها نحو (59077) وبنسبة بلغت (3.4%). ويبرز من ذلك تزايد تدريجي في أعداد كبار السن. ويعكس هذا الارتفاع تحسن الظروف الصحية وارتفاع متوسط العمر المتوقع للسكان. كما يدل على بداية تحول ديموغرافي نحو تزايد فئة كبار السن، الأمر الذي قد يفرض مستقبلاً متطلبات خدمية وصحية واجتماعية خاصة بهذه الفئة.

الشكل (1) التوزيع النسبي لسكان محافظة كربلاء وفقًا لفئات السن العريضة لعام 2009

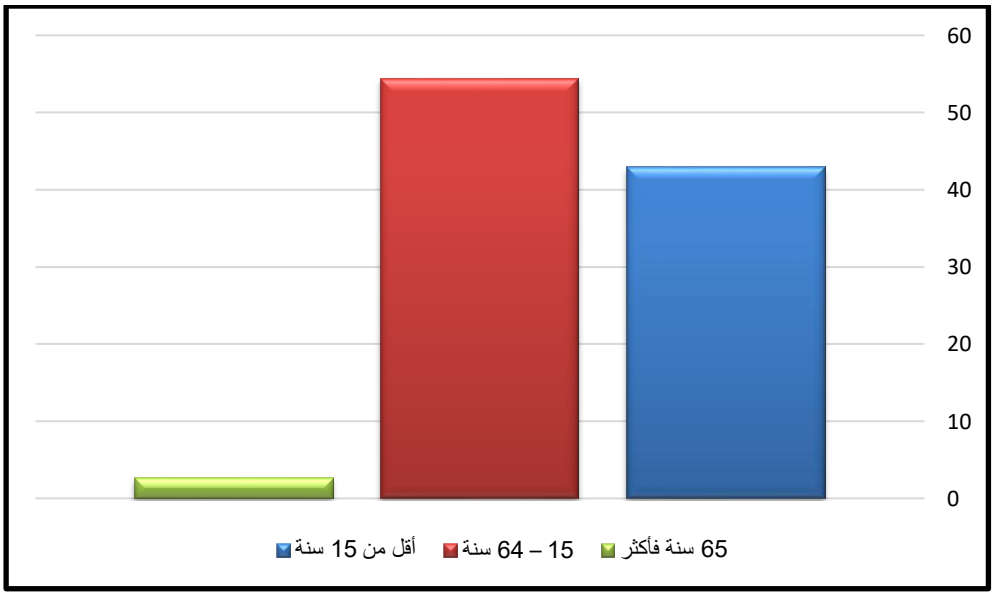

المصدر: الباحث اعتمادًا على بيانات الجدول (1).

الشكل (2) التوزيع النسبي لسكان محافظة كربلاء وفقًا لفئات السن العريضة لعام 2024

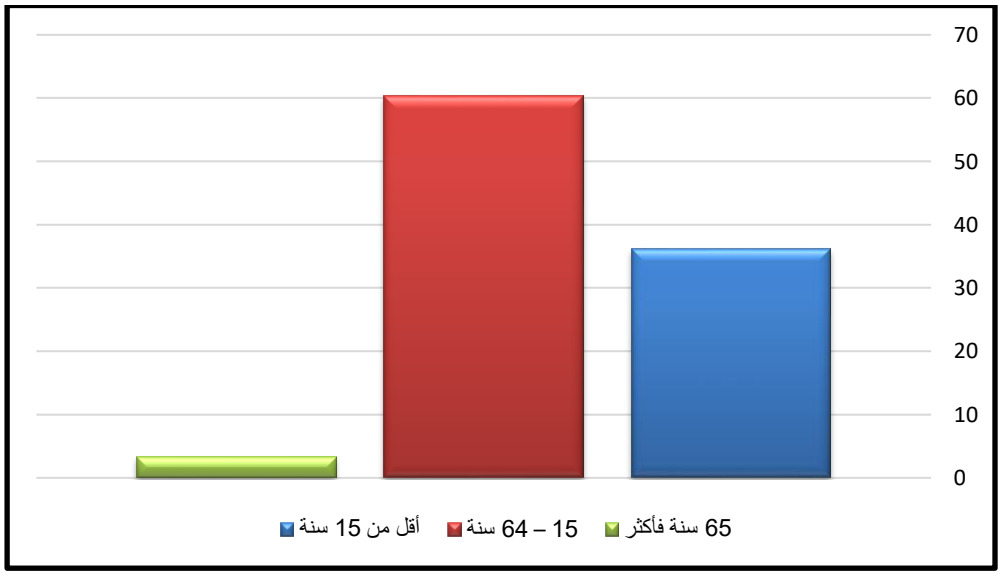

المصدر: الباحث اعتمادًا على بيانات الجدول (1).

المبحث الثاني: التركيب النوعي لسكان محافظة كربلاء

تعنى الدراسات والأبحاث في التركيب النوعي لتأثيره البارز في العديد من المتغيرات الديموغرافية مثل الولادات والوفيات والهجرة، فضلًا اختلاف احتياجات كل من الذكور والأناث والأدوار الاقتصادية والاجتماعية التي يؤديها كل منهم (الرزاق، 2018، صفحة 238). وترتبط دراسة الوفيات بالتركيب النوعي من خلال اختلاف معدلاتها بين الذكور والأناث، فمعدل وفيات الأناث أقل من الذكور في كل مراحل الحياة؛ ويعزى ذلك لمجموعة من الأسباب الوراثية والبيئية. كما أشارت الدراسات إلى أن انخفاض نسبة وفيات الأناث بسبب الأمراض مقارنة بالذكور إلى ان هرمون الاستروجين (الهرمون الأساسي للأنثى) يحمي القلب والأوعية الدموية، على النقيض من ذلك، يميل هرمون التستوستيرون في الذكور إلى تعزيز مستويات أعلى من ضغط الدم وتحديد فعالية الجهاز المناعي وزيادة تجلط الدم (Amaral، 2020،

صفحة 15). وتعد نسبة النوع هي المقياس الرئيسي للتركيب النوعي المستخدم في الدراسات الديموغرافية، وتشير إلى عدد الذكور لكل مائة أنثى، وهي عند الميلاد (105) ذكر مقابل (100) أنثى، وتنخفض مع تقديم العمر إلى أن تصل إلى ثمانية معمرات من أن أصل عشرة هم من الأناث (الخولي، 2013، صفحة 5).

وتستعمل الدراسات أساليب متنوعة لدراسة نسبة النوع لبيان الواقع الحقيقي عن طريق دراستها حسب الأقاليم الجغرافية أو تحليلها حسب العرق أو الأصل أو تحديد نسبة النوع بين المهاجرين والمواطنين (Zohry، 2012، صفحة 103). وتبين الدراسات السكانية أن النسب التي تتراوح بين (90 – 115) ذكر لكل مائة أنثى هي غير طبيعية وتشير عدم توازن كبير في المجتمع (نجم، 2022، صفحة 498).

ويلاحظ من بيانات الجدولين (2) و(3) أن نسبة النوع على مستوى محافظة كربلاء بلغت في عام 2009 نحو (97.9) ذكر لكل مائة أنثى، ارتفعت في عام 2024 إلى (100.6) ذكر لكل مائة أنثى؛ ويعلل ذلك زيادة الهجرة الوافدة للذكور المرتبطة بفرص العمل والنشاط الاقتصادي والخدمي في المحافظة.

أما على مستوى الوحدات الإدارية فتشير بيانات الجدولين (2) و(3) والخريطتين (1) و(2) إلى تباين مكاني واضح، يتجلى عن طريق مستويات الدرجة المعيارية وعلى النحو الآتي:

الجدول (2) توزيع نسبة النوع لسكان محافظة كربلاء وفق الدرجة المعيارية وبحسب الوحدات الإدارية لعام 2009

الوحدة الإدارية	عدد الذكور	عدد الأناث	نسبة النوع	الدرجة المعيارية
مركز قضاء كربلاء	94573	96491	98.0	0.43
قضاء الحسينية	39379	39658	99.3	1.80
قضاء الحر	77517	79051	98.1	0.54
قضاء عين التمر	7945	8217	96.7	-0.93
مركز قضاء الهندية	31746	32833	96.7	-0.93
ناحية الخيرات	17626	18102	97.4	-0.19
قضاء الجدول الغربي	25140	25957	96.9	-0.72
المحافظة	293926	300309	97.9	...
الوسط الحسابي	...	...	97.58	
الانحراف المعياري	...	...	0.95	

المصـــــدر: الباحث اعتمادًا على: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصـــــاء، مديرية إحصاءات السكان والقوى العاملة، تقديرات سكان العراق لسنة 2009، ص8.

الخريطة (1) توزيع نسبة النوع لسكان محافظة كربلاء وفق الدرجة المعيارية وبحسب الوحدات الإدارية لعام 2009

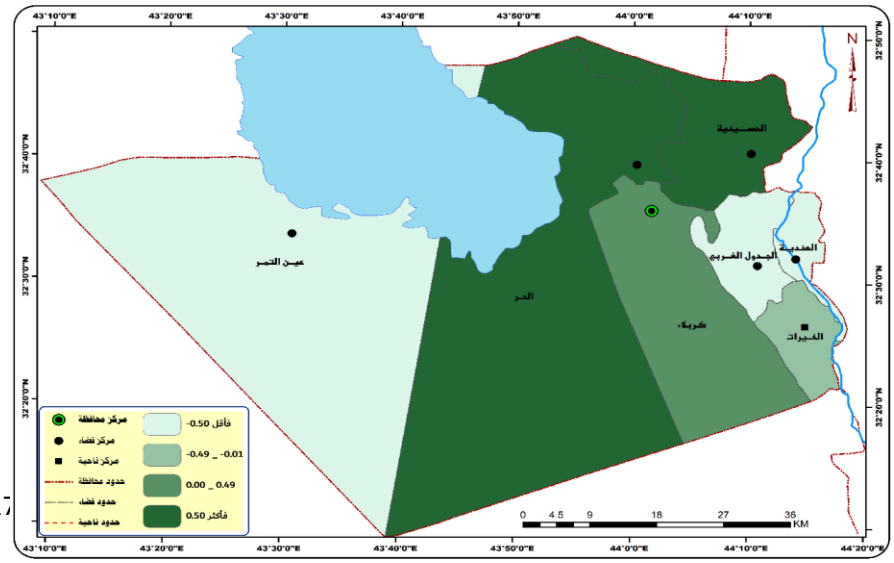

المصدر: الباحث اعتمادًا على بيانات الجدول (2).

- **المستوى الأول (+0.50 فأكثر)**: توزع ضمن هذا المستوى قضائي الحسينية والحر في عام 2009، بنسبة نوع بلغت (99.3، 98.1) لكل منهما على التوالي. أما في عام 2024 تضمن ناحية الخيرات وقضاء الجدول الغربي بنسبة نوع بلغت لكلٍ منهما على التوالي (102،103.5).

- **المستوى الثاني (+0.49 _ 0.00)**: انضوى تحت هذا المستوى في عام 2009 مركز قضاء كربلاء فقط بنسبة نوع بلغت (98). أما في عام 2024 جاء قضاء الحسينية ضمن هذا المستوى بنسبة نوع بلغت (101.2).

الجدول (3) توزيع نسبة النوع لسكان محافظة كربلاء وفق الدرجة المعيارية وبحسب الوحدات الإدارية لعام 2024

الوحدة الإدارية	عدد الذكور	عدد الأناث	نسبة النوع	الدرجة المعيارية
مركز قضاء كربلاء	405,383	405,985	99.9	-0.95
قضاء الحسينية	97,855	96,734	101.2	0.04
قضاء الحر	181,636	180,466	100.6	-0.42
قضاء عين التمر	16,723	16,780	99.7	-1.11
مركز قضاء الهندية	86,450	85,528	101.1	-0.03
ناحية الخيرات	36,486	35,256	103.5	1.81
قضاء الجدول الغربي	54,922	53,861	102.0	0.66
المحافظة	879,455	874,610	100.6	...
الوسط الحسابي	...	...	101.14	
الانحراف المعياري	...	...	1.30	

المصدر: الباحث اعتمادًا على: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، هيأة الإحصاء ونظم المعلومات الجغرافية، نتائج التعداد العام للسكان والمساكن لعام 2024، ص5.

- **المستوى الثالث (–0.01 _ –0.49)**: اقتصر على ناحية الخيرات فقط بنسبة نوع بلغت (97.4) وفقًا لبيانات 2009. أما في عام 2024 فقد اشتمل على مركز قضاء الهندية وقضاء الحر بنسبة نوع بلغت (101.1، 100.6) لكل منهما على التوالي.
- **المستوى الرابع (–0.50 فأقل)**: اشتمل في عام 2009 على قضاءي الجدول الغربي وعين التمر ومركز قضاء الهندية بنسبة نوع بلغت (96.9، 96.7، 96.7) لكلٍ منها على الترتيب. أما في عام 2024 فتوزعت ضمنه كلٍ من مركز قضاء كربلاء وقضاء عين التمر بنسبة نوع بلغت لهما على التوالي (99.9، 99.7).

الخريطة (2) توزيع نسبة النوع لسكان محافظة كربلاء وفق الدرجة المعيارية وبحسب الوحدات الإدارية لعام 2024

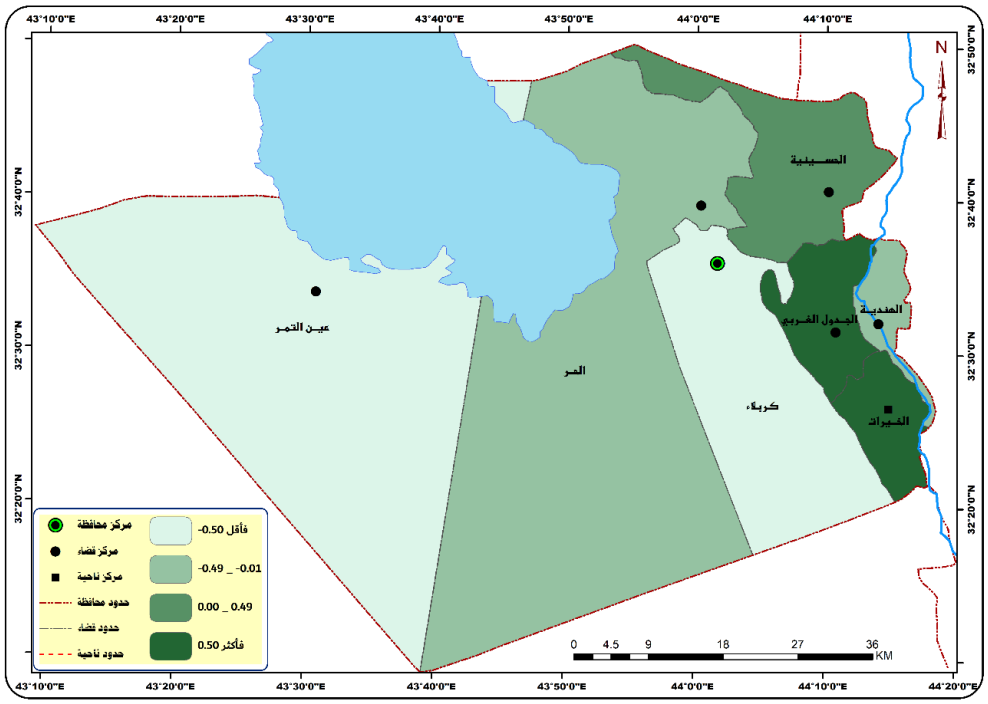

المصدر: الباحث اعتمادًا على بيانات الجدول (3).

المبحث الثالث: الهرم السكاني في محافظة كربلاء

الهرم السكاني هو شكل بياني يبيّن الحجم العمودي للسكان أو نسبهم بحسب العمر والنوع، ويمكن من تمثيل الفئات العمرية العريضة أو خمسية أو عشرية. وتبرز أهميته في الدراسات السكانية والديموغرافية لأنه يعطي تصوّر كافٍ عن الماضي ويرسم صورة الحاضر ويستشرف المستقبل أيضًا. وعادة ما يشاع استعمال الهرم ذو الفئات الخمسية. وهناك عدة أنواع من الأهرام أبرزها الآتي:

1. **الموسع أو الفتي:** ويكون ذو قاعدة عريضة بسبب زيادة المواليد وتفوق فئة صغار السن، ويتحدد في القمة نتيجة لإنخفاض نسبة كبار السن الذي يعزى إلى زيادة وفيات كبار السن، ويظهر هذا النوع في الدول النامية.

2. **المتقلص أو المسن:** ويظهر متقلص القاعدة وذو قمة محدبة، ويرتبط مع تغيير معدلات النمو السكاني، وبخاصة الدول التي تنخفض فيها معدلات المواليد والوفيات على حدٍ سواء، ويظهر في البلدان التي يزداد فيها أمد الحياة مثل بلدان أوربا .

3. **الهرم ذو القاعدة المتوسطة شبيه الجرس:** وهو يتوسط بين الهرمين الفتي والمسن، ويكون في الدول التي حدث فيها تغيّر سكاني، إذ تزداد نسبة السكان ذو الأعمار المتوسطة مع ضيق في القمة وتوسط في القاعدة، وبرز في الدول التي تتحكم بالمواليد وتستقبل تيارات هجرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية.

ويوفر هذا التمثيل للسكان على أساس النوع والعمر قدرًا كبيرًا من المعلومات حول الخصوبة والوفيات والهجرة أو الظاهر السكانية الأخرى، إذ إنه عرض مرئي للأحداث الهامة مثل الحروب والمجاعات والتغيرات المجتمعية والهجرة (Saroha، 2018، صفحة 63). ولدراسة الهرم السكاني دور في إظهار الخصائص السكانية عن طريق مقارنة الفئات المختلفة وبالتالي وضع الخطط التنموية المناسبة (الشلقاني، 1994، صفحة 40). وعلى الرغم من تركز فكرة الهرم السكاني على فكرة رسم الأعمدة البيانية البسيطة إلا أنه يترجم خصائص السكان لفترة زمنية طويلة تصل إلى مائة عام، وتمثل سجلًا ديموغرافيًا لخصائص

العمر والنوع وما يرتبط بهما من خصائص اقتصادية واجتماعية وديموغرافية (فالح، 2019، صفحة 237).

أولًا: تحليل الهرم السكاني لمحافظة كربلاء لعام 2009

تظهر بيانات الجدول (4) والشكل (3) أن الهرم السكاني لعام 2009 أخذ نمطًا فتيًا واضحًا، إذ يتسم باتساع قاعدته وضيق قمته، وهو ما يعكس سمة المجتمعات الفتية ذات النمو السكاني المرتفع. فقد سجلت الفئات العمرية الصغيرة (0–14 سنة) نسبًا مرتفعة، ولا سيما الفئة (0–4 سنوات) التي بلغت نحو (16.5%)، تلتها الفئة (5–9 سنوات) بنسبة (14.3%)، وهو ما يشير إلى ارتفاع معدلات الخصوبة والولادات. ويعكس ذلك استمرار تأثير الخصائص الاجتماعية والاقتصادية التي تشجع على ارتفاع حجم الأسرة، فضلًا عن تحسن مستويات الرعاية الصحية التي ساعدت على خفض معدلات وفيات الأطفال.

الجدول (4) توزيع سكان محافظة كربلاء بحسب فئات العمر والأهمية النسبية لعام 2009

الفئات	الذكور	%	الاناث	%	المجموع	%
4 – 0	83929	16,8	79760	16,2	163689	16.5
9 – 5	72792	14,6	68887	13,9	141679	14.3
14 – 10	61654	12,3	59127	11,9	120781	12.2
19 – 15	53839	10,7	52078	10,6	105917	10.7
24 – 20	46925	9,4	45346	9,2	92270	9.3
29 – 25	39799	7,9	38739	7,8	78538	8
34 – 30	33422	6,6	32981	6,7	66403	6.7
39 – 35	27523	5,6	27654	5,7	55177	5.6
44 – 40	21626	4,3	22444	4,6	44070	4.5
49 – 45	16833	3,3	17998	3,7	34831	3.6

54 – 50	12993	2,6	14111	2,8	27104	2.8
59 – 55	9841	1,9	10829	2,2	20670	2.1
64 – 60	7333	1,5	8038	1,6	15371	1.6
69 – 65	5174	1,1	5742	1,2	10916	1.1
74 – 70	3339	0,6	3902	0.8	7241	0.8
79 – 75	1867	0,4	2322	0,5	4190	0.5
80 فأكثر	2211	0,4	2845	0,5	5056	0.6
المجموع	501100	%100	492803	%100	993903	%100

المصـــدر: الباحث اعتمادًا على: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصـــاء، مديرية إحصاءات السكان والقوى العاملة، تقديرات سكان العراق لسنة 2009، ص10.

كما يُلاحظ أن الفئات العمرية الوســطى (15–64 ســنة) جاءت بنســب متدرجة تميل إلى الانخفاض كلما اتجهنا نحو الفئات الأعلى عمرًا، وهو ما يدل على أن جزءًا كبيرًا من الســكان كان في مرحلة التحول نحو ســن العمل، إلا أن هذه الفئة لم تكن قد بلغت ذروة حجمها الســكاني بعد. أما قمة الهرم السكاني فقد اتسمت بضيق واضح، إذ سجلت فئات كبار السن نسبًا محدودة جدًا، مما يعكس انخفاض متوسط العمر المتوقع نسبيًا، فضلًا عن تأثير الظروف الصحية والمعيشية في العقود السابقة.

أما من ناحية التركيب النوعي، يظهر الهرم توازنًا نســبيًا بين الذكور والإناث عبر معظم الفئات العمرية، مع تفوق طفيف للذكور في الأعمار الصــغيرة، وهو نمط يرتبط غالبًا بالتركيب الطبيعي للمواليد. ويؤكد هذا الشــكل أن محافظة كربلاء في عام 2009 كانت تمر بمرحلة ديموغرافية تتســم بالنمو الســكاني المرتفع واتساع قاعدة الهرم السكاني.

الشكل (3) الهرم السكاني في محافظة كربلاء لعام 2009

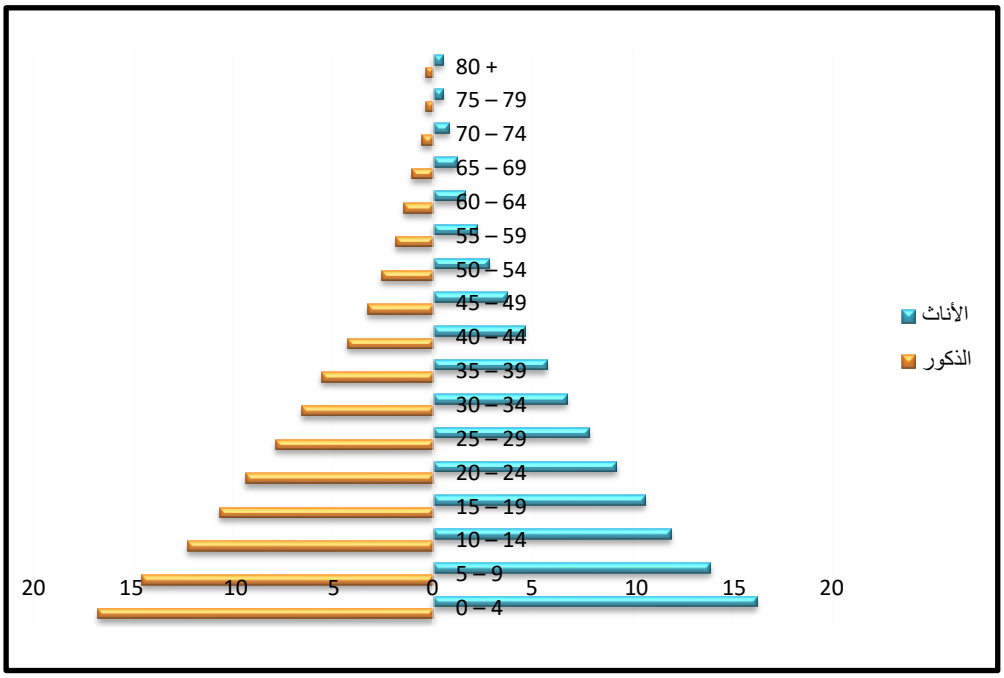

المصدر: الباحث اعتمادًا على بيانات الجدول (4).

ثانيًا: تحليل الهرم السكاني لمحافظة كربلاء لعام 2024

أشارت بيانات الجدول (5) والشكل (4) أن الهرم السكاني لعام 2024 عكس هرمًا فتيًا أيضًا يتسم باتساع قاعدته، إلا أنه يكشف عن تحول تدريجي نحو الاعتدال في شكل الهرم. فقد انخفضت نسبة الفئات العمرية الصغيرة مقارنة بعام 2009، حيث تراجعت نسبة الفئة (0–4 سنوات) إلى نحو (11.24%)، وهو ما يشير إلى انخفاض نسبي في معدلات الخصوبة والإنجاب. ويعكس هذا التراجع تحسن المستوى التعليمي والصحي والوعي الأسري وتنظيم الإنجاب، فضلًا عن تأثير التحولات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالتوسع الحضري.

الجدول (5) توزيع سكان محافظة كربلاء بحسب فئات العمر والأهمية النسبية لعام 2024

الفئات العمرية	الذكور	%	الاناث	%	المجموع	%
4 – 0	100,371	5.72	96,878	5.52	197,249	11.24
9 – 5	108,791	6.2	105,372	6.01	214,163	12.21
14 – 10	114,429	6.51	110,090	6.29	224,519	12.8
19 – 15	103,184	5.87	99,025	5.65	202,209	11.52
24 – 20	85,775	4.88	83,189	4.73	168,964	9.61
29 – 25	69,973	3.98	69,344	3.96	139,317	7.94
34 – 30	63,644	3.62	62,649	3.58	126,293	7.2
39 – 35	50,201	2.86	50,192	2.86	100,393	5.72
44 – 40	44,598	2.54	45,046	2.57	89,644	5.11
49 – 45	39,158	2.23	39,943	2.28	79,101	4.51
54 – 50	33,401	1.9	34,130	1.95	67,531	3.85
59 – 55	26,031	1.48	25,889	1.48	51,920	2.96
64 – 60	15,474	0.88	18,911	1.08	34,385	1.96
69 – 65	10,551	0.6	12,603	0.72	23,154	1.32
74 – 70	8,441	0.48	10,854	0.62	19,295	1.1
79 – 75	3,870	0.22	5,255	0.3	9,125	0.52
80 فأكثر	2,994	0.17	4,550	0.26	7,544	0.43
المجموع الكلي	879,455	%100	874,610	%100	1,754,065	%100

المصدر: الباحث اعتمادًا على: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، هيأة الإحصاء ونظم المعلومات الجغرافية، نتائج التعداد العام للسكان والمساكن لعام 2024، ص6.

في حين يُلاحظ اتساع واضح في الفئات العمرية الوسطى، ولا سيما الفئات الممتدة بين (20–39 سنة)، وهو ما يدل على دخول أعداد كبيرة من السكان إلى سن العمل والإنتاج الاقتصادي.

ويعكس ذلك تراكم النمو السكاني الذي شهدته المحافظة في السنوات السابقة، فضلًا عن تأثير الهجرة الوافدة المرتبطة بالنشاط الاقتصادي والخدمي والديني الذي تتميز به المحافظة.

أما قمة الهرم فقد شهدت اتساعًا نسبيًا مقارنة بعام 2009، حيث ارتفعت نسب فئات كبار السن، وهو ما يدل على تحسن مستويات الرعاية الصحية وارتفاع متوسط العمر المتوقع للسكان. ويشير ذلك إلى بداية انتقال ديموغرافي تدريجي نحو زيادة أعداد كبار السن، رغم بقائهم ضمن نسب محدودة مقارنة بالفئات الأخرى.

الشكل (4) الهرم السكاني في محافظة كربلاء لعام 2024

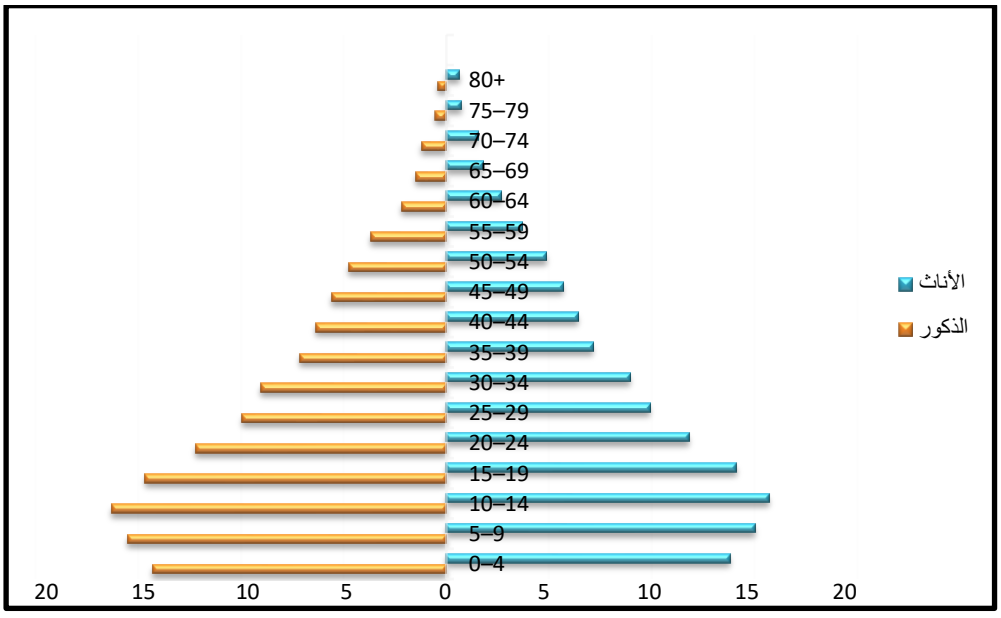

المصدر: الباحث اعتمادًا على بيانات الجدول (5).

ومن جنبة التركيب النوعي، يظهر الهرم السكاني لعام 2024 تقاربًا واضحًا بين الذكور والإناث، مع ميل طفيف لزيادة نسبة الذكور في بعض الفئات العمرية المنتجة، وهو ما قد يرتبط بعوامل اقتصادية وهجرات داخلية وخارجية مرتبطة بسوق العمل.

ثالثًا: الاتجاهات الجغرافية للتغير بين عامي 2009 و2024

تعكس المقارنة بين الهرمين السكانيين تحولات ديموغرافية تدريجية في محافظة كربلاء، إذ انتقل التركيب العمري من النمط الفتي الحاد إلى نمط فتي معتدل يميل تدريجيًا نحو الاستقرار. ويظهر ذلك من خلال انخفاض نسبة الفئات الصغيرة مقابل ارتفاع نسبة الفئات المنتجة واتساع الفئات الكبيرة عمرًا.

كما يدل التغير على تحسن نسبي في نسبة الإعالة الديموغرافية نتيجة اتساع قاعدة السكان في سن العمل، الأمر الذي يعزز الإمكانات الاقتصادية والتنموية للمحافظة. وفي الوقت نفسه، فإن استمرار اتساع قاعدة الهرم السكاني يدل على بقاء المحافظة ضمن المجتمعات الفتية سكانيًا، مما يستدعي استمرار التخطيط لتوفير الخدمات التعليمية والصحية والبنى التحتية المناسبة.

ويُظهر هذا التحول أيضًا تأثير العوامل الحضرية والاقتصادية والاجتماعية في إعادة تشكيل التركيب العمري للسكان، بما يعكس دخول المحافظة في مرحلة انتقال ديموغرافي تدريجي، قد يؤدي مستقبلًا إلى مزيد من التوازن بين الفئات العمرية المختلفة.

الاستنتاجات والمقترحات

أولًا: الاستنتاجات:

1. أظهرت نتائج البحث نموًا سكانيًا واضحًا في محافظة كربلاء، إذ ارتفع حجم السكان من (993,903) نسمة عام 2009 إلى (1,754,065) نسمة عام 2024، وهو ما يعكس تسارع الزيادة الطبيعية وتأثير الهجرة الداخلية نحو المحافظة.

2. اتسم التركيب العمري بسيادة الفئات العمرية الفتية، إذ شكلت فئة صغار السن (أقل من 15 سنة) نسبة مرتفعة بلغت (42.9%) عام 2009، رغم انخفاضها إلى (36.2%) عام 2024، مع زيادة عددها المطلق من (426,149) إلى (635,950) نسمة، مما يدل على استمرار ارتفاع الخصوبة واتساع قاعدة الهرم السكاني.

3. سجلت فئة متوسطي الأعمار (15–64 سنة) ارتفاعًا ملحوظًا في حجمها النسبي والمطلق، إذ ارتفعت من (54.4%) وبعدد (540,352) نسمة عام 2009 إلى (60.4%) وبعدد (1,059,044) نسمة عام 2024، وهو ما يشير إلى تزايد قوة العمل واتجاه التركيب السكاني نحو مرحلة النضج الديموغرافي النسبي.

4. بقيت فئة كبار السن (65 سنة فأكثر) محدودة الحجم، إلا أنها سجلت ارتفاعًا تدريجيًا من (2.7%) وبعدد (27,402) نسمة عام 2009 إلى (3.4%) وبعدد (59,077) نسمة عام 2024، مما يعكس تحسن مستوى الخدمات الصحية وارتفاع متوسط العمر المتوقع.

5. أظهرت نسبة النوع تقاربًا بين الذكور والإناث، إذ ارتفعت من (97.9) ذكر لكل (100) أنثى عام 2009 إلى (100.6) ذكر لكل (100) أنثى عام 2024، مما يشير إلى توازن نوعي نسبي يعكس استقرار الخصائص الديموغرافية للمجتمع.

6. بين الهرم السكاني أن محافظة كربلاء تتجه من النمط الفتي نحو بداية التحول التدريجي إلى نمط أكثر اعتدالًا، نتيجة انخفاض نسبة صغار السن مقابل ارتفاع نسبة الفئات المنتجة.

ثانيًا: المقترحات:

1. ضرورة توجيه الخطط التنموية لاستثمار الزيادة في فئة السكان في سن العمل، عبر توفير فرص عمل وتنمية القطاعات الاقتصادية الإنتاجية.

2. تعزيز الخدمات التعليمية والتربوية، خصوصًا التعليم الأساسي، لاستيعاب الزيادة العددية الكبيرة لفئة صغار السن، بما يضمن رفع مستوى رأس المال البشري مستقبلًا.

3. التوسع في التخطيط الصحي وإنشاء مؤسسات رعاية خاصة بكبار السن، في ظل تضاعف أعدادهم خلال مدة الدراسة.

4. دعم برامج التخطيط الأسري والتوعية الصحية للحد من الارتفاع النسبي في معدلات الخصوبة، بما يحقق توازنًا بين النمو السكاني ومتطلبات التنمية المستدامة.

5. اعتماد التحليل المكاني للخصائص السكانية عند توزيع الخدمات والبنى التحتية بين الوحدات الإدارية، لتقليل التباينات المكانية وتحقيق عدالة تنموية.

6. إنشاء قواعد بيانات سكانية محدثة ودقيقة تدعم متخذي القرار في رسم السياسات السكانية والاقتصادية والاجتماعية المستقبلية.

المصادر:

1. عطية، شوقي. (2020). *علم السكان في البحث التطبيقي والإحصائي*. بيروت: دار نلسن.

2. جاسم، صديق مصطفى، فرح عبد القادر فالح. (2019). *نمذجة وتمثيل الهرم السكاني المركب المتعدد لسكان محافظة صلاح الدين لعام 2016*. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد 4.

3. عبد الرزاق، عبد الجليل عبد الوهاب. (2018). *واقع مؤشرات التركيب العمري والنوعي لسكان محافظة ميسان لعام 2017 ومستقبلها في عام 2030*. مجلة أوروك للعولم الإنسانية.

4. لبيب، علي. (2004). *جغرافية السكان الثابت والمتحول*. بيروت: الدار العربية للعلوم.

5. الخولي، محمد أحمد. (2013). *تقييم بيانات التركيب العمري والنوعي لسكان إمارة أبو ظبي استنادًا إلى التعداد السكاني لعام 2005*. مركز الخليج العربي.

6. المقداد، محمد رفعت. (2014). *جغرافية السكان*. دمشق: منشورات جامعة دمشق.

7. مديرية تخطيط كربلاء المقدسة. (2025). شعبة *نظم المعلومات الجغرافية*. كربلاء: بيانات غير منشورة.

8. الشلقاني، مصطفى. (1994). *طرق التحليل الديموغرافي*. (2، المحرر) جامعة الكويت.

9. نجم، هدى داود. (2022). *مؤشرات الهرم السكاني وأثرها على الهبة الديموغرافية في محافظة البصرة*. مجلة الخليج العربي.

10. جمهورية العراق. (2024). وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، هيأة الإحصاء ونظم المعلومات الجغرافية، نتائج التعداد العام للسكان والمساكن.

11. A. Zohry .(2012) .*Age and sex composition* .Lecture 4, CDC 103 . https://www.zohry.com/cdc103/Lecture%2004%20-%2026%20Feb%202012.pdf

12. D. L., Jr & ,.Bouvier, L. F. Poston .(2017) .*Population and society: An introduction to demography* .Cambridge University Press.

13. E. F. L. Amaral .*(2020)* .(2020) .*Lecture 10: Age and sex composition* . Texas A&M University .https://www.ernestoamaral.com/docs/soci312-20spring/Lecture10.pdf

14. J. Saroha .(2018) .*Types and significance of population pyramids* .World Wide Journal of Multidisciplinary Research and Development.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Archaeological Excavations at the Site of Borsippa (An Analytical Field Study)

Dr. Wafaa Kamel Ubaid Al-Khafaji [1]
University of Babylon, College of Arts
Wafa.alkhafji@uobabylon.edu.iq
M. M Ali Abdul Hamza Lazem Al-Jashmi . [2]
University of Babylon, Babylon Center for Historical and Civilizational Studies
ali.aljashami@uobabylon.edu.iq

Abstract:

The site of the city of Borsippa (Birs Nimrud), as one of the prominent urban and religious centers in central Mesopotamia, particularly during the Neo-Babylonian period, was closely connected to the city of Babylon and served as a major center for the worship of the god Nabu, the god of wisdom and writing, which gave it special religious significance reflected in the cuneiform texts that described it as 'the second Babylon.' The study aims to trace the history of archaeological excavations in the city of Borsippa and analyze their methodologies and scientific and practical outcomes, starting with visits by Western travelers in the medieval and early modern periods, moving through the phase of unorganized excavations (looting), and reaching the scientific archaeological campaigns carried out by British and German missions, followed by the modern Austrian mission. The research also highlights the methodological development in the science of archaeological excavation, moving from focusing on collecting artifacts to emphasizing scientific documentation, stratigraphy, and architectural studies.The study discusses the most important architectural and religious discoveries at the site, chiefly the Borsippa Ziggurat 'E–Ur–Eme–En–Ki' and the temple of the god Nabu 'Ezida,' in addition to cuneiform texts and artifactual finds that contributed.

Keywords: Ziggurat – The god Nabu – Archaeological excavations – Temple of Isida – Mesopotamia.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

التنقيبات الاثارية في موقع بورسيبا
(دراسة ميدانية تحليلية)

م. د. وفاء كامل عبيد الخفاجي [1]
جامعة بابل كلية الاداب
Wafa.alkhafji@uobabylon.edu.iq
م. مساعد علي عبد الحمزة لازم الجشعمي [2]
جامعة بابل مركز بابل للدراسات التاريخية والحضارية
ali.aljashami@uobabylon.edu.iq

ملخص:

ان موقع مدينة بورسيبا (برس نمرود)، بوصفها أحد المراكز الحضرية والدينية البارزة في وسط بلاد الرافدين، ولاسيما خلال العصر البابلي الحديث. ارتبطت بورسيبا ارتباطا وثيقا بمدينة بابل، وكانت مركزا رئيسيا لعبادة الإله نابو، إله الحكمة والكتابة، مما أكسبها أهمية دينية خاصة انعكست في النصوص المسمارية التي وصفتها بـ (بابل الثانية).

يهدف البحث إلى تتبع تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة بورسيبا، وتحليل مناهجها ونتائجها العلمية والعملية، بدءا من زيارات الرحالة الغربيين في القرون الوسطى والعصور الحديثة المبكرة، مرورا بمرحلة التنقيبات غير المنظمة (النبش)، وصولا إلى الحملات الأثرية العلمية التي نفذتها البعثات البريطانية والألمانية، ثم البعثة النمساوية الحديثة. ويسلط البحث الضوء على التطور المنهجي في علم التنقيب الأثري، وانتقاله من الاهتمام بجمع اللقى الأثرية إلى التركيز على التوثيق العلمي، والتسلسل الطبقي، والدراسة العمارية. تناقش الدراسة أهم المكتشفات العمارية والدينية في الموقع، وفي مقدمتها زقورة بورسيبا «إي–أور–إيمين–أن–كي» ومعبد الإله نابو «إيزيدا»، إضافة إلى النصوص المسمارية واللقى الفنية التي أسهمت في توضيح الدور الديني والسياسي والعمراني للمدينة عبر العصور المختلفة، من الألف الثالث قبل الميلاد حتى العصور الإسلامية. كما يعرض البحث نتائج التنقيبات النمساوية الحديثة التي ركزت على دراسة عمارة الزقورة وتقنيات بنائها وصيانتها.وتلخص الدراسة إلى أن موقع مدينة بورسيبا يمثل نموذجا مهما لفهم تطور التخطيط العمراني

والممارسات الدينية في بلاد الرافدين، كما تؤكد أن دراسة تاريخ التنقيبات فيه تسهم في توثيق تطور علم الآثار ذاته، وتعزيز فهمنا لحضارة بلاد الرافدين في أبعادها الدينية والعمارية.

الكلمات المفتاحية: الزقورة – الإله نابو – التنقيبات الاثرية – معبد الايزيدا – بلاد الرافدين.

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب تمثل مدينة بورسيبا (برس نمرود) أحد المراكز الحضرية والدينية المهمة في وسط بلاد الرافدين، والتي ازدهرت خاصة في العصر البابلي الحديث، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمدينة بابل،و شكلت بورسيبا مركزاً لعبادة الإله نابو، إله الحكمة والكتابة، الابن البكر للإله مردوخ، مما أكسبها مكانة دينية فريدة وسمّتها النصوص المسمارية بـ "بابل الثانية".

يتألف الموقع من تلين رئيسيين هما تل إبراهيم الخليل (المنطقة السكنية) وتل برس (المعبد والزقورة)، ويفصل بينهما منخفض ربما يمثل الشارع الرئيسي للمدينة.

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على الجهود الأثرية التي بذلت في موقع بورسيبا، بدءاً من الرحالة الأوائل في القرون الوسطى والعصور الحديثة المبكرة، مروراً بمرحلة التنقيبات غير المنظمة (النبش)، ووصولاً إلى الحملات العلمية المنظمة التي قادتها بعثات أوروبية (بريطانية وألمانية) ومن ثم البعثة النمساوية التي لا تزال تعمل في الموقع حتى العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل وتقييم منهجيات هذه التنقيبات والنتائج التي أسفرت عنها، والتي كشفت عن تاريخ المدينة الطويل الممتد من الألف الثالث قبل الميلاد حتى العصور الإسلامية، وعن معالمها المعمارية البارزة مثل زقورة "إي-أور-إيمين-أن-كي" ومعبد الإله نابو "إيزيدا."

تكتسب دراسة التنقيبات في بورسيبا أهميتها من كونها توثق تطور علم الآثار نفسه، من مجرد جمع للقطع الأثرية إلى منهجية علمية دقيقة تركز على السياق والتسلسل الطبقي والتحليل المعماري، مما ساهم بشكل

كبير في فهمنا للتخطيط العمراني، والممارسات الدينية، والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، والتطورات المعمارية في بلاد الرافدين عبر العصور.

اولاً: الموقع والتسمية :

تقع بقايا مدينة بورسيبا الحالية إلى الجنوب الغربي من مدينة بابل وعلى بعد(15- 16كم) من مركز مدينة الحلة في محافظة بابل على يمين الطريق مع الكفل والكوفة ،(طه باقر ، 1959م، ص 11) (خارطة 1)، عرفت باسم برس او برس نمرود وهو تحريف لاسمها القديم السومري بورسيبا والذي يعني سيف البحر او قرن البحر (طه باقر ، المصدر نفسه ص11) كانت بورسيبا موقعا صغيرا " في الألف الثالث ق.م. ورد ذكرها في شريعة الملك البابلي حمورابي (1728 – 1686 ق.م) سادس ملوك سلالة بابل الاولى ،كواحدة من المدن التي اعتنى بها وبمعبدها ايزيدا (رشيد ، 1979م، ص115).وقد ازدهرت بورسيبا في العصر البابلي الحديث وخصوصا في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني(604- 562 ق.م) الذي اشتهر بالعمران والترميم في مدن العراق القديمة وبالأخص مدنيتي بابل وبورسيبا(مكاي دروشي ، 1952م ، ص52)استمرت المدينة بالاستيطان في العهود التالية للعهد البابلي الاخير وهي العهد الفارسي الاخميني والعهد السلوقي في العراق 312-140 ق.م) في العهد الفارسي الفرثي (140ق.م - 226م) والعهد الساساني (226-637 م) وقد ذكرت(مدينة بورسيبا في اخبار الفتوح الاسلامية للعراق حيث كان فيها جيش فارسي اشتبك معه المسلمون بعد موقعة القادسية سنة 636 م) في طريقهم الى فتح الدائن وظلت مؤهلة ايضا في العهد الإسلامي كما تؤيد ذلك الاخبار العربية وبقايا الفخار الاسلامي المنتشر بكثرة فوق تلول المدينة ، ثم ترك السكان المدينة بسبب تغير مجرى النهر وانقطاع مياه الارواء عنها (طه باقر ، بابل وبورسيبا ، ص12).

اشار احد الباحثين استناداً الى نصوص مسمارية ان بورسيبا كانت تقع على نهر سمي باسم نهر سبار وهي التسمية التي كانت تطلق على نهر الفرات في العديد من النصوص المسمارية التي جاءت من كيش ونفر والوركاء ولكش واور وبابل (Adam,p,44-45)فضلا عن ذكر اليوناني بطليموس ان النهر الذي يجري بجانب بابل يدعى ب مارسارس وقد تفرع من الفرات ومن المدن الواقعة على امتداده هي مدينة بورسيبا على خط عرض 20-34 شمالاً وخط عرض 45-78هـ شرقاً ، والمعروف من السجلات البابلية ان مدينة

بورسيبا كانت تقع على قناة اخذت من الفرات عند مدينة بابل بالضبط(الواموسيل, 1990، ص 437)، ومن النصوص الاشورية ايضا نص كان عبارة عن رسالة بعث بها حاكم مدينة بابل يشير فيها الى الاعمال المنجزة في حفر قناة بورسيبا في بابل ويبدو أن هذه الرسالة بعث بها هذا الحاكم الى ملك سنحاريب (704- 669ق.م) على اعقاب هذه الرسالة بعث بها الحاكم الى الملك الاشوري يطلب من خلالها توضيحات حول الاعمال الجارية في هذه القناة (خارطة 2) (لشمري ، 1986 ، ص 145) كانت مدينة بورسيبا مركزا دينياً لعبادة الاله البابلي (نابو) الذي عبده العراقيون القدماء وعدوه اله الحكمة والمعرفة وجعلوه ابن مردوخ اله بابل الشهير، ونظرا لقربها وارتباطها مع مدينة بابل بقناة خاصة هي قناة بورسيبا او نابو) التي ينقل بواسطتها تمثال الاله نابوا خلال احتفالات راس السنة البابلية, لذلك فقد عرفت في المصادر المسمارية باسم بابل الثانية (سعيد ، 1989م،ص139) وسمي معبده في بورسيبا بالاسم السومري (اي زيدا) كما سمي البرج المدرج فيها باسم (اي – اور. يمنانكي) والمرجح لدى الباحثين ان برج المدينة كان في الواقع مكون من سبع طبقات كل طبقة منها ملونه بلون خاص وانها تمثل الكواكب السبعة حسب ما اعتقدوا، وكان لهذه المدينة ولإلهها صلة وثقى بمدينة بابل (طه باقر ،1973م ، ص 13)

يتألف الموقع من تلين ، الأول هو تل ابراهيم الخليل (عليه السلام) الذي يقع الى الشمال الشرقي من الزقورة ويمثل المنطقة السكنية القديمة ، والثاني هو تل بيرس الذى يضم منطقة المعبد والزقورة ويفصل بين التلين منخفض من الأرض ربما يمثل شارع المدينة الرئيسية (مخطط 3) (كولديفاي ،1985م، ص 104؛ جرك 1998م، ص113).اعلن عن اثرية المدينة في جريدة الوقائع العراقية بالرقم 1465 في 10/7 / 1935م (مديرية الاثار العامة ، 1970م ،ص 139)

قبل أن تبدأ مرحلة الحفر واستخراج الآثار ومرحلة التنقيبات العلمية وارسال البعثات الاثارية كانت هناك مرحلة الاسفار والاكتشافات ،وهذه المرحلة تمثل الجهود التي قام بها الرحالة الغربيون الذين زاروا العراق ووصفوا ما شاهدوه في مؤلفاتهم (سفر ، 1948م ، ص 174-175)

لقد اخذ الغرب يتعرف على أحوال العراق وبلدان الشرق بوجه عام وعلى البقايا الاثارية فيها عن طريق الرحالة والتجار الأوربيين الذين وفدوا إلى المنطقة وتجولوا في أنحائها منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وفي مقدمتهم بنيامين التطلي (بنيامين التطلي: أول رحالة يهودي جاء الى العراق من إسبانيا في عام

1160واستغرقت رحلته ثلاثة عشر عاماً (1160–1173)، وجاء من إسبانيا الى بلاد وادي الرافدين ثم بلاد فارس وتمكن عام 1165م من تشخيص نينوى) في سلسلة تلول قريبة من الموصل لكن رحلته لم تنشر الا في القرن السادس عشر ، يذكر المترجم يوسف يعقوب مسكوني ان بنيامين التطلي لم يزر العراق ولا في زمانها المزعوم طبقا لرأي مترجم الرحلة من العبرية الى العربية السيد عزرا حداد في ص 141– 242 ؛ كمانه اخطأ حسب الرحلة المزعومة في ان برج بورسيبا هو نفسه برج بابل الذي ذكر في التوراة (جان كلود ماركون ،1989، ص ١٤؛ مكاي ، ص12) الذي زار العراق عام (1160 - 1173م) (طه باقر ، ص115) ومع بداية العهد العثماني في العراق رسم احد الرحالة الذين رافقوا السلطان سليمان القانوني عام(1537م) مصورة بغداد بأبنيتها الرئيسة وأسوارها (نورس 1990م، ص 16– 17)واستمر تدفق الرحالة الأوربيين على العراق.

زار في القرن السابع عشر الميلادي العراق وبلدان الشرق اشهر الرحالة الأوربيين في مقدمتهم الإيطالي بترو دي لا فاله في العراق في رحلة استمرت زهاء خمسة أعوام من(1616 الى 1621 م) وقصد بترو دي لا فاله المناطق الاثارية في بلاد أشور وبابل وبورسيبا ، فضلاً عن أراضي وخرائب اور وقام بدراستها لأنه كان ملماً بما جاء من ذكر لها في التوراة والمصادر الاغريقية (كوركيس عواد , 1964م، ص 58)ويعد بترو ديلا فاله أول من تعرف في العصر الحديث على بقايا مدينة بابل وقد اخذ منها الطابوق (المنقوش بالكتابات المسمارية (م. ع. ق.ث. تقرير صيانة البعثات في بابل ملف بابل ، و . ث. م. 6/ م ك)ثم زار العراق الالماني كارستن نيبور (1761– 1767م) من الذين اهتموا بالآثار، فقد جاء ضمن (نورس ، أوفدها فردريك الخامس ملك الدنمارك الى بلدان الشرق الأدنى وجنوب الجزيرة ص 16– 17 .)بعثة, وصل نيبور الى العراق في أواخر عام (1765م) وزار خلال رحلته الموصل وماردين وديار بكر، .العربية وعاد الى بلاده بعد أن أجرى دراسة عن اوضاع المنطقة الاجتماعية والجغرافية والتاريخية والاثارية ، ثم قدم إلى العراق عام (1767م) في رحلة ثانية زار خلالها مدينة البصرة وبغداد واربيل والموصل ومنها بدأ رحلته في العراق فزار النجف وكربلاء والحلة وبورسيبا ويذكر انه شاهد البرج او كومة احجار وحسبته برجا قديم للحراسة ويطلق عليه برس النمرودوعند عودته الى بلاده الف كتابه الشهير رحلة نيبور الى العراق (.نيبور كراستن ، 2012 م، ص 145) كم ذكر مدينة بورسيبا الرحالة الإنجليزي جيمس ريموند ولستيد عام

(1839م) أنه على مقربة من برس النمرود توجد قبة ضريح تحمل اسم إبراهيم الخليل (لوح 1) (السعيد ، 2008م ، ص 97 – 98)وذكرها الرحالة الهولندي آينهولت 1866- 1867م) ويصف مشاهدته لبرج بورسيبا (رحلة آينهولت الهولندي الى العراق سنة 1866 – 1867 ، 2012م، ص 224.)،أما الرحالة الفرنسية مدام ديو لافوا عام 1881م)، فتشير إلى أن هذا البرج لم يكن في الواقع سوى المعبد الذي ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوتس، والذي أوردته الروايات البابلية باسم معبد الألوان السبعة، مما يوضح أن برج بابل المشهور لم يكن سوى هذا التل(رحالة أوروبيون في العراق ، 2007، ص 242).كما يصف الرحالة لجان خلال رحلته إلى العراق واحدة من أغرب الظواهر التي شاهدها، حيث لاحظ كتلًا منصهرة مزججة تغطي قمة التل ،وبعد التدقيق فيها، اكتشف أنها طبقات متراكمة فوق بعضها بالقار وقد تم فخرها الى حد (التصخرج)حتى أصبحت صلبة ومتماسكة ،وقد تعددت الآراء حول أصل هذه الكتل وطبيعتها (لأحمد، سامي سعيد، 1988م ،ص 123) (لوح 2)، اعتقد العديد من هؤلاء الرحالة القدامى أن عواد ، بقايا البرج المدرج في بورسيبا هي ذاتها برج بابل الشهير المذكور في التوراة وهو اعتقاد خاطئ لان برج بابل لا يمكن ان يكون الا في مدينة بابل ذاتها.(طه باقر ، كوركيس ، 1949م ، ص74) بابل وبورسيبا ، ص12)كان للرحالة و التجار الأجانب غاية ، ودوافع متعددة من خلال رحلاتهم وزياراتهم للعراق

(Reade, Julian E 2009.p 22) وبحسب تعاملهم مع الآثار القديمة في العراق اثناء زيارتهم صنفوا الرحالة إلى صنفين ، الصنف الأول من الرحالة الذين احتكوا مباشرة مع الآثار من خلال نقلهم واستنساخهم للكتابات المسمارية فضلا عن استحواذهم على عدد منها ونقلها إلى أوربا لدراستها وعرضها في المتاحف هناك شأنهم شأن البلدانيين العرب من حيث الحديث على الآثار ومواقعها كونها جزءا من كل ما وصفوه وكتبوا حوله وبمعنى آخر أن كتاباتهم ، وزياراتهم لم تكن لذات الآثار نفسها ، بل كان اهتمامهم بالآثار جزءا من اهتمامهم بكل مباني المدن التي زاروها في العراق وكتبوا عنها(العزاوي ،1971 ، ص 16).ما القسم الثاني منهم فتركوا في مؤلفاتهم إشارات ووصف لما رأوه وسمعوه عن أحوال العراق وأبنيته القديمة Lloyd, Seton, 1980, p7(.بدأت بعد ذلك التنقيبات غير المنظمة (النبش) والتنقيبات المنظمة التي سناتي على ذكر تفاصيلها وهي محور بحثنا .

ثانياً: التنقيبات الأثرية في بورسيبا0:

يعتمد علم الآثار على دراسة ما انتجه وخلفه الإنسان من ابنية وصور ومعابد وقصور.... وتقوم مهمة عالم الآثار، او المنقب الآثاري الأساسية على البحث عن تلك النتاجات ودراستها وتحليلها ومقارنتها لاستنباط الحقائق منها عن الإنسان وبيئته وانماط حياته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية. وبذلك تكون عملية التنقيب هي الأساس في العمل الآثاري. ان عالم الآثار يسعى لتحقيق هدفين أساسيين هما:

الأول – الكشف عن مخلفات الاثارية الماضية بأفضل الطرق العلمية وأحدثها.

الثاني – دراسة وتحليل المخلفات الاثارية وتقديمها للمؤرخ كمادة خام ليقوم بكتابة التاريخ عنها.

كان التنقيب عن الآثار في البدء يتم بشكل غير منتظم وغير علمي ،انما كان عملية نبش وحفر كيفما يشاء للحصول على اللُقى والكنوز المطمورة في باطن الأرض بأقل ما يمكن من الجهود والوقت والمال من دون التدقيق في مواقع تلك اللُقى او تصوير اماكن استخراجها او رسم القطع الاثرية وبالتالي دراسة ما تنطوي عليه هذه الدلائل الاثرية من أهمية تاريخية (بهنام ابو الصوف ، 1985م ،ص 58)

ذكر السير ليونارد وولي عن عمله في أور عام (1922م) " ان كل التنقيب تخريب، وعندما يكشف الآثاري عن بناء ما فأنه لأجل ان ينجز ذلك ربما كان عليه أن يزيل مبنيين أو ثلاثة من الأبنية الأحدث زمناً " (وولي, 1982م ،ص 29)

لقد عرفت هذه المرحلة من التنقيب بـ مرحلة النبش والحفر واتسمت بالحفر والتنقيب السريع غير العلمي، ابتدأت منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر. حيث ساد النشاط الآثاري من خلال الجهود التي بذلها القناصل والرحالة الذين كانوا يجهلون أصول التنقيب وشروطه وانحصر هدفهم في الحصول على الآثار بأية طريقة وارسالها الى بلدانهم ومتاحفهم ولم يحفل هؤلاء بالآثار كألواح الطين المسمارية (م .ع. ق ث. تقرير عن اعمال البعثة الأمريكية و .ث .م 79/ هـ .ت القادسية ع 15، 20 / 3 /1926).لقد اضرت هذه الأعمال بالمواقع الإثارية كثيراً ،شوهت العديد من المباني والآثار وأتلفت الكثير من القطع الأثرية المكتشفة التي لم تجد العناية اللازمة والصيانة أو المعالجة في المختبرات العلمية ، وبذلك ضاعت معلومات مهمة ودلائل قيمة (طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ، 119– 120)

أدرك الإنكليزي أوستن هنري لا يارد أهمية موقع بورسيبا خلال عمله في حفريات بابل بين عامي (1850 – 1851م) ونشر وصفًا موجزًا عنها في مؤلفه "نينوى وبابل" عام (1853م). وقدم في كتابه وصفًا تفصيليًا لأطلال بورسيبا، متحدثًا عن بقايا الزقورة (المعبد المدرج) من حيث ابعادها وشكلها واهميتها الدينية ، لأنها من أبرز معالم المدينة ، بالإضافة إلى الأنقاض المحيطة بها، والتي تعكس الدور الديني والثقافي المهم لمدينة بورسيبا وارتباطها الوثيق بمدينة بابل(Layard, 1853, p542)

فضلا عن زيارة البريطاني جورج سمث لمدينة بورسيبا (1873م) ، ووصف الزقورة بانها برج مدرج يشبه الزقورة الموجودة في مدينة كيش (تل الاحيمر) ، وذكر ايضا بأنه عثر اثناء وجوده في موقع بورسيبا على بقايا أجزاء الواح تحمل كتابة بالخط المسماري (Smith, G, 1874, p 64) ، والى الآن واثناء جولتنا الميدانية عثرنا على قطعة آجر كتب عليها بالخط المسماري (لوح 3) .توالت فيما بعد التنقيبات الإثارية على مدينة بورسيبا من عدة بعثات وسنأتي على ذكرها حسب تسلسلها التاريخي وماذا اسفرت من نتائج :

1- بعثة التنقيبات البريطانية:

نقبت البعثة البريطانية برئاسة الضابط هنري سي رولنصون Henry c. Rollinson في بورسيبا من عام (1854- 1879م) ، وكشف رولنصون عن اثنين من الاسطوانات التأسيسية في زوايا الزقورة تحملان كتابات مسمارية باسم الملك نبوخذ نصر الثاني ،تشير هذه الأسطوانات إلى أن الزقورة كانت تُعرف باسم "إي-أور-إيمين-أن-كي" (E-ur-imin-an-ki)، والتي تعني "بيت الطبقات السبعة للسماء والأرض"، مما يدل على رمزية البرج كصلة بين الأرض والسماء (لوح 4) (C. Rawlinson,Henry. 18 (1861), pp.10)

أجرى رولنسن دراسة دقيقة للزقورة، حيث ذكر أنها تتكون من سبع طبقات كل طبقة تتميز بلون معين ، مما يعكس التصميم المعماري الرمزي للزقورات البابلية كما لاحظ استخدام الطوب المفخور وغير المفخور في البناء، مع وجود طبقات من القار لتثبيت الهيكل البنائي . أكد رولنسن أن موقع بورسيبا، ماهو الا مدينة تابعة لبابل، والتي كانت مكرسة لعبادة الإله نابو، إله الحكمة والكتابة، قد ساعد هذا الاكتشاف في

تصحيح الفرضيات السابقة التي كانت تعتبر الزقورة جزءًا من بابل نفسها(. C. Rawlinson,Henry,p .17)

اما اساليب التنقيب التي اتبعها حسب البحث الذي نشر عام (1861م) ، قام بفحص سطح التل وتحديداً برج الزقورة وارتفاعها ولبيان مراحل البناء وارتفاعها وعددها.

استعمل خنادق عمودية وافقية ، خاصة في زوايا الزقورة التي اسفرت فيما بعد عن اكتشاف الاسطوانات التأسيسية السالف ذكرها والتي ارسلها فيما بعد الى المتحف البريطاني .

كانت اعمال التنقيب لسير هنري رولنصن هي اول من اظهر ان برج زقورة بورسيبا تحتوي على سبعة طبقات متراكبة ، وترجم وسجل الاسطوانات التأسيسية وبين من خلالها الربط بين اللغة البناء والممارسات الطقسية وبالأخص ذكر فيها الملك نبوخذ نصر واعادة بناه للمعبد .يعد تقريره الذي نشر 1861م واذي ذكر فيه اعماله التنقيبية بالتفصيل مدخلاً هاما لدراسة الزقورات البابلية ، ولاسيما المرتبطة بالإله نابو.

تنقيبات هرمز رسام :

قام هرمز رسام(هرمز رسام : اشوري – كلداني من الموصل ولد عام 1826م وتوفي 1910م ، رافق الاثاري هنري لايارد في التنقيبات الاثرية في نينوى وكالح النمرود وبعد رحيل لايارد ، تولى العمل لصالح المتحف البريطاني ، يعد أحد الرواد في حفريات بلاد ما بين النهرين، حيث اكتشف العديد من المواقع الأثرية المهمة مثل نينوى، بورسيبا، وكالح (نمرود). ومع ذلك، فإن منهجيته ونتائجه لا تزال موضع جدل بين الباحثين المعاصرين). بالتنقيب في الموقع وتحديداً في معبد إيزيدا لصالح المتحف البريطاني بين عامي بين(١٨٧٩ و١٨٨١م) حيث تولّى الإشراف المباشر كبير رؤساء العمال داود توما الذي كان ينسق في الوقت نفسه مع الحفريات الجارية في بابل. أما الإشراف المحلي على الموقع، فقد تولّاه الشيخ جعفر، حارس مرقد النبي إبراهيم الخليل.

منح هرمز رسام تصاريح رسمية وقد اذن له بتصدير المكرر من الاكتشافات وترك نسخة للسلطات العثمانية، كشف في حفرياته في بورسيبا على معبد إيزيدا الكبير (لوح 5) ، المكرس لعبادة الاله نابوا (مخطط 1) واشار في تقاريرهُ للمتحف البريطاني عن اكتشافه لمجموعة كبير من القطع الاثرية المتنوعة ، معظمها يعود الى العصور البابلية الحديثة والاخمينية والهلنستية والتي سنذكر ما تم نشره في المتحف البريطاني

وهي كالاتي : عتبة باب من البرونز رقمها (90851)
(.https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1880-1112-2166)
رقم متحفي في المتحف البريطاني) . مزخرفة في الأعلى بنقوش بارزة مع صف من الوريدات ذات البتلات المستديرة؛ كتبت بخط البابلي الحديث لنبوخذ نصر الثاني على طول أحد الحواف ترجمتها (أنا نبوخذ نصر، ملك بابل، راعي إيساكيلا وإيزيدا، ابن نبوبولاصر، ملك بابل من أجل نابو، الرب العظيم الذي يُطيل أيام حياتي، أعدتُ بناء معبده في إيزيدا في بورسيبا)؛ تم قطع جانبين لاحقًا حيث أعيد استخدام القطعة كعتبة لباب ذو مصراع واحد (لوح 6).

1- ألواح جرانيتية منقوشة: عُثر على سبعة إلى ثمانية ألواح من الجرانيت يبلغ سمكها حوالي 4 بوصات، حمل بعضها نقوشًا مسمارية قصيرة على الحواف ،بناء على أوامر القنصل البريطاني، تم كسر الألواح المنقوشة لتسهيل نقلها إلى بغداد، أحد هذه الألواح، المسجل تحت رقم (BM 60-11-12-2167) رقم متحفي في المتحف البريطاني يَحمل نقشًا للملك نبوخذ نصر الثاني (605-562 ق.م)، وهو يُظهر علامات قطع متعمدة وكسر في الظهر، مما يتوافق مع رواية القنصل (اللوحة XIV d).(julian Ereade1879-1882,1986,p 109..)

2- قاعدة عمود جرانيتية: تم التنقيب عن قاعدة عمود جرانيتية مربعة الشكل عند الزاوية الشرقية للمعبد، لم يكن ارتفاعها عن الأرض يتجاوز 20 بوصة، وللأسف، ورد لاحقًا أن هذه القاعدة ذات الأهمية المعمارية البالغة قد دُمرت وتكسّرت على يد لصّ طوب محلي، في حادثة تعكس تحديات الحفاظ على الآثار في ذلك الوقت.

اما ابرز إنجازات البعثة تمت عام(1880م) في غرفة تقع إلى الجنوب الغربي من القسم المسجل لاحقًا بـ (C2)في مخطط كولديوي (مخطط 2).

عُثر على تمثالين بالحجم الطبيعي من الجرانيت الأحمر لملكين من العصر الآشوري
الاول:: تمثال أشوربانيبال (Aššur-bāni-apli) (المسجل تحت رقم

BM 90865 depicts the powerful Assyrian king) يشير النقش على التمثال إلى أعمال الترميم والتجديد التي قام بها كل من الملكين في معبد إيزيدا، ويعود تاريخها إلى حوالي عام(660 ق.م) julian Ereade,p109 (لوح 7).

ثانياً : تمثال شمش-شوم-أوكن ((Šamaš-šuma-ukīn))المسجل في المتحف البريطاني تحت الرقم (BM 90866)وهو ملك بابل وشقيق أشوربانيبال. عُثر على التمثال في حالة تضرر كبير حيث تم تشويه وجهه عمداً، وهو فعلٌ يُعزى على الأرجح إلى فترة ما بعد سقوط المدينة على يد الأشوريين عام(646 ق.م.) إلا أن النقش التاريخي المهم على ظهر التمثال بقي سليمًا، مما يشير إلى أن التمثال كان مثبتًا في جدار بحيث يكون وجهه للخارج وظهره مثبت في البناء، مما حمى النقش من التدمير (لوح 8) .

كما اظهرت التنقيبات مجموعة من الأسطوانات التأسيسية التي توثق تاريخ المعبد على مدى قرون:وهي أسطوانة (نبو-شوم-أوشور) (Nabû-šuma-ušur) رقم :(BM 33428)عُثر على جزء من أسطوانة طينية قد تعود لهذا الحاكم، ربما من نفس الغرفة التي وُجدت فيها التماثيل ،أسطوانة (نبوخذنصر الثاني) (Nebuchadnezzar II) رقم :(BM 98604) يُحتمل أن جزءًا آخر من الأسطوانات يعود لنبوخذنصر الثاني ويسجل أعماله في زقورة بورسيبا.(julian Ereade,p109)

اما الأسطوانة الاخيرة فهي تعود الى أنطيوخس الأول سوتر (Antiochus I Soter) (رقم BM 36277) الاكتشاف الأكثر إثارة كانت أسطوانة طينية كاملة عُثر عليها لاحقًا في موقعها الأصلي في مدخل "الغرفة A1" وفقًا لتسمية داود توما (والتي تقابل على الأرجح القسم الشرقي للجدار الفاصل بين الغرفة A1 والفناء A)، كانت الأسطوانة مُغلفة بطبقة من الطوب المشوى ومغطاة بالقار، وهي طريقة دفن تقليدية للحفظ. سجلت الأسطوانة، المكتوبة بالخط البابلي القديم، أعمال ترميم شاملة لمعبد إيزيدا قام بها الملك السلوقي أنطيوخس الأول سوتير في العام (268 ق.م) تجدر الإشارة إلى أن هرمز رسام أسند هذا العمل خطأً إلى نبوخذ نصر الثاني في تقريره الأولي، وهو خطأ تم تصحيحه لاحقًا بناءً على قراءة النص .

نص الاسطوانة " أنطيوخس الملك العظيم، الملك القوي، ملك العالم، ملك بابل، ملك (كل) البلدان، الوصي على إيساكيلا وإيزيدا، الابن الأول لسلوقس الملك المقدوني، ملك بابل، أنا.

لما رغبتُ في بناء إيزاكيلا وإيزيدا، صببتُ الطوبتين الأوليين لإيزاكيلا وإيزيدا في أرض حاتي بيديّ الطاهرة بزيتٍ نقي، ونقلتهما لوضع أساس إيزاكيلا وإيزيدا ،في شهر أدارو، في اليوم العشرين من السنة الثالثة والأربعين، وضعتُ أساس إيزيدا، المعبد الحقيقي، معبد نابو، الذي يقع في بورسيبا.

يا نابو ، الابن العظيم، الحكيم بين الآلهة، المتكبر، الذي يستحق الثناء، الابن البكر لمردوخ ، نسل الملكة إيروا، الذي يخلق النسل، انظر إليّ بفرح، وبناءً على أمرك العظيم الذي لا يتغير، أتمنى أن يكون إسقاط بلد عدوي، وملاحظة تحقيق انتصاراتي، والهيمنة على العدو من خلال النصر، وملك العدالة، وعهد الرخاء، وسنوات السعادة، والتمتع الكامل بالشيخوخة المبكرة، هدية لملك أنطيوخس والملك سلوقس، ابنه، إلى الأبد. "يا ابن الأمير (مردوخ)، نابو، ابن إيساكيلا، الابن البكر لمردوخ، نسل الملكة إيروا:] عند دخولك إلى إيزيدا، البيت الحقيقي، بيت أنو الخاص بك، مسكن رغبة قلبك، مع الابتهاج والابتهاج، قد – بأمرك الحقيقي، الذي لا يمكن إلغاؤه – أن تكون أيامي طويلة وسنيني كثيرة، قد يكون عرشي آمنًا، وحكمي طويل الأمد، على لوح الكتابة السامي الذي يحدد حدود السماء والأرض.

ليكن قدري ثابتًا دائمًا في فمك الطاهر، ولتغزو يداي البلدان من شروق الشمس إلى غروبها حتى أتمكن من حصر جزيتها وإحضارها لجعل إيزاجيلا وإيزيدا مثاليتين. يا نابو، الابن الأول، عندما تدخل إيزيدا، البيت الحقيقي، فليكن قدر أنطيوخس، ملك (جميع) البلدان، والملك سلوقس، وابنه، وستراتونيس، زوجته الملكة، قدرهم ثابتًا بأمرك " (لوح 9).(Sherwin–White, 11 ,1991,p. 75–77)

اما المكتشفات الاخرى التي تم العثور عليها اثناء التنقيب في المعبد والتي رقمها داود توما واعطى كل غرفة رقما وسجل ماتم اكتشافه على رقم الغرف وثبتها على مخطط المعبد ، فيذكر ان الغرفة الرابعة احتوت على مقبس باب حجري بمحور برونزي ، تبين أنه مصنوع من الرصاص بمركز برونزي يحمل الرقم في المتحف البريطاني (BM 104419) يدل هذا على البنية المعمارية المتقدمة لأبواب المعبد.

احتوت الغرفة الخامسة على لوح (تابليت) ، نص معجمي مؤرخ بعهد كورش (538 ق.م)رقمه في المتحف البريطاني (BM 38120). وآجرتان مزخرفتان من بلاط الجدران المزجج البابلي الحديث، بزخارف نباتية، وهذا دليل على ثراء الزخارف الجدارية في تلك المرحلة (لوح 10)(julian) Ereade,p110)

عثر في الغرفة السادسة على بئر في زاويتها الشمالية متصلة على الأرجح بقناة تصريف تؤدي إلى الغرف المجاورة (11 و14)، مع قطعة خشبية طويلة وقطع حجرية صغيرة قد تكون رؤوسًا نحاسية. أما الغرفة الثامنة فقد ضمت قطعًا نحاسية وبرونزية، منها رأس قضيب (BM 80-11-12-2074) وجزء من قاعدة عمود (BM 80-11-12-2080). وفي الغرفة العاشرة عُثر على تمثال برونزي يمثل صقرًا على رأس حيوان (BM 115511) (لوح 11)، بينما كشفت الغرفة اثنان وعشرون عن كودورو (BM 104414) مزخرف بأشكال حيوانات طمست ملامحها، إلى جانب شظايا أخرى مشابهة (BM 38646، BM 40006، BM 104408)(julian Ereade,p110)

كما عثر في الغرفة ثمانية وعشرون على كنز يتضمن جرة تحتوي على 35 درهما فضيًا، وهي عملات تعود إلى العصر السلوقي (حوالي 184 م).

احتوت الغرفة ثلاثون على قطعة حجرية منقوشة بكتابات صغيرة غير محددة، عثر ايضا على لوحين طينيين، أحدهما يمكن التعرف عليه يستخدم في العرافة، مسجل تحت رقم (BM 38587)، يذكر الإله نابو، بلقب "ملك الكون" (šar kiššati) ولوح الاخر فلكي مؤرخ (138ق.م)، وهي نصوص جد مهم في المعابد في ذلك الوقت (.julian Ereade,p110)

ويذكر رسام ان مبنى المعبد كان مسور باللبن وعليه آثار احتراق و كمية هائلة من الفحم وُجدت وجدران الحجرات متفحمة بشكل كبير." وهذا أقصى ما وصلت إليه ملاحظاته الأثرية.

إن شدة الحريق تذكرنا بقوة الحرارة التي أدت إلى تزجج جزء من زقورة نابو، جنوب غرب المعبد.

إن افتراض طبيعي أن يكون الحريقان قد وقعا في وقت واحد، ولكن لا يمكننا التأكد حقًا من أن المعبد والزقورة قد احترقا في نفس الوقت أو أن جميع الغرف في المعبد قد احترقت وهُجرت معًا.

اوقف داود التنقيب في معبد الايزيدا وانتقل الى تل ابراهيم الخليل واستمر العمل في التل الى عام (1882م) أفاد بأنه "وصلنا إلى بناء بابلي جيد التشييد من الطوب اللبن المجفف بالشمس، ولكن مع وجود بعض الألواح الطينية المنقوشة بشكل جيد لم يتم اكتشاف أي شيء آخر بداخلها، بعض الحجرات على عمق (6 م) وارتفاع جدرانها مثالي، لكنها لا تحتوي على شيء نقي." (julian(Ereade,p111هذا الوصف يبدو لنا مبنى عام، ويشير إلى أن الألواح وجدت "فوق السطح" –على الأرجح على مستوى الأرضية– وأن

الكتابة عليها كانت "خشنة وغير متقنة"، ومن المحتمل أن تكون نسخًا من نصوص مدرسية، مثل اللوح(BM 40137-40140) كما رسم هرمز رسام المبنى، والذي غطى مساحة 25 × 20 مترًا، ليس دقيقًا بشكل خاص (اللوحة XVII) (مخطط 3).

عثر على كنز يحتوي على (1200)عملة بارثية، يعود تاريخها إلى حوالي 10-46 ميلادي (العصر السلوقي 322-356)، والتي سُلم معظمها للسلطات المحلية، لكن الوضع الطبقي أكثر تعقيدًا بشكل واضح في المنحدر الشمالي من تل ابراهيم ، حيث كانت هناك ست طبقات إسلامية فقط فوق العصر البابلي الحديث ،ومن ضمن ما تم العثور عليه تمثال لامرأة ارتفاعه(46 سم) من مرمر الكالسيت واقفة يدها اليمنى مرفوعة تضعها على صدرها ؛ حجر منحوت وعليه تفاصيل جصية ، مع وجود أثر للصبغة الأصلية مع صبغة سوداء على الخدين والحاجبين والشعر، وصبغة حمراء على الرقبة واليدين، وصبغة صفراء على السرة واليد اليسرى تحمل طيات الثوب (لوح 12) https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1881-0428-1086. (المتحفا لمتحف البريطاني).

اتبع رسام أسلوبًا قديمًا في التنقيب، حيث كان الهدف جمع القطع الأثرية أكثر من التوثيق العلمي الدقيق للموقع ،لم تُسجل طبقات التنقيب بشكل منهجي، مما جعل تأريخ بعض الاكتشافات صعبًا.

لكن تعد تنقيباته من التنقيبات المهمة في ذلك الوقت بسبب قلة الامكانات الحديثة مقارنة في ما موجود من اجهزة حديثة واستقرار سياسي نسبي حالياً، حيث كشفت النصوص التي تم استخراجها عن علاقة المدينة ببابل ودور الإله نابو في المعتقدات البابلية ، وساهمت في فهم تاريخ المدينة ودورها الديني في العصر البابلي ومع أن أساليبه كانت تقليدية، إلا أن اكتشافاته ظلت أساسية في دراسة حضارة ما بين النهرين . استمرت الحفريات لاحقًا على يد بعثات أخرى، مثل بعثة الألمانية (1902 م) التي سنأتي على تفاصيلها.

2- بعثة التنقيبات الالمانية 1902م:

نقبت البعثة الالمانية بقيادة روبرت كولديفاي رئيس بعثة التنقيب في بورسيبا وبابل(طه باقر، بابل وبورسيبا، ص13)، وقد امتاز النشاط الآثاري الألماني بجديته وعلميته ، وكانت بعثة (كولديفاي

Kolowey) عام (1899م) الى بابل ثم بورسيبا، قد هيئات لها كل وسائل النجاح للحصول على افضل النتائج ، اذ ان الجمعية الألمانية الشرقية Deutsche Orient Gosellschaft) قدمت الدعم المادي المناسب لهذه البعثة التي ضمت شخصيات اثرية مهمة منها والتر اندريه Walter Andrae) ومساعدين آخرين للتدوين والاشراف على العمال هما يوليوس جوردان Jurdan) (ونولدكه Noldeke) وكتب كولديفاي: لقد عملنا يوميا صيفاً وشتاء واستخدمنا ٢٠٠ الى ٢٥٠ عاملاً(السامرائي ، 2004م، ص 79) وعملت في عدة مواقع في آن واحد ، مستعملة لوجستيات معقدة لتنظيم عمليات التنقيب والترميم ، وارسال القطع الاثرية الى برلين .

تركزت التنقيبات على معبد الايزيدا والزقورة (مخطط 4)، و يذكر ان الحفر تم في جزء كبير من الجهة الشمالية الشرقية وجزء صغير من الجهة الغربية (شكل 1)من مبنى الفناء وهذه التنقيبات كافية للسيطرة عما يحيط بالمعبد والزقورة من الجهات الاربع، وتدلنا الحفريات على وجود مجموعات من غرف متناظرة تحيط كل مجموعة منها بفناء منفرد ثانوي ، يمكن الدخول اليه فقط بواسطة هذه الغرف والمنظر الكلي بمجموعة يعطي انطباعاً اشبه بفندق أو خان كبير شاهق ،وقد بنى السور الخارجي للمعبد على الطريقة التقليدية التي تتميز بقلة اعمدتها المزخرفة بالأخاديد (شكل) ، وهناك مدخل كبير هو مدخل (M) يؤدي الى الجزء الواقع بين المعبد والزقورة، ومدخل اخر هو مدخل (N) يؤدي الى الساحة الخارجية للفناء أسوة بما هو موجود في ساحة ايتمنانكي الواقعة عند البوابة الشمالية الغربية(H) من المعبد (كولد يفاي ، 1985م، ص 104).

يوجد فتحات في الركن الشمالي من السور يبدو انها تمثل قنوات مائية كانت قائمة ، ومن المدخل الرئيسي يتقدم المرء الى الفناء الكبير ثم الى القاعة الكبيرة (الاقداس)، اضافة الى هذه القاعة يمكن الدخول الى ثلاث قاعة مثبت في المخطط (A1,A2,A3) ولكل غرفة مشكاة مع قاعدة امامية ولها طابع غرفة الاقداس

وفي غرفة قدس الاقداس الكائنة في الجهة اليمنى يوجد بئر له سياج ، يشمل هذا البئر على حفر جانبية هي مواطئ قدم تسهل مهمه النزول اليه ،المهم في هذه الغرفة ان القاعدة تمتد على عرضها حتى تصل الى الباب، والملفت ان بناء هذه القاعدة لم يجري حسب الطريقة التقليدية المألوفة، الأجر محروق ومالي

بالأسفلت وشكلها كأنها مسمار رأسه الى الأعلى وقاعدته مثبتة نحو الاسفل (شكل 2)(كولد يفاي ، ص 111).

عثر عند التنقيب في السور على كبسولة تحت سطح الارض في داخلها تمثال رجل من الفخار يرجع تاريخها الى ما قبل ٢٥٠٠٠ سنة، الا انه قد اصابه التشوه بسبب هذه السنين الطويلة تحت الأرض ،ولم يبقى من هذا التمثال الفخاري سوى عصى ذهبية مع إشارة صغيرة فضية بعض المشاهد التي تمثل ثلاثة من الموسيقين ، عثر ايضا على ثلاثة عشر لوح من الاجر المنقوش تعود جميعها الى زمن نبوخذ نصر ومعظمها كتب باللغة البابلية القديمة وهي تشير إلى معبد الايزيدا ،ولوح كتب باللغة البابلية الحديثة يشير ايضا الى المعبد .

يقع في الركن الجنوبي الشرقي للفناء الرئيسي مجاور الفناء C2 امام باب غرفة قدس الاقداس الامامية صخرة مكعبة الشكل مثلومة من الأعلى يبدو انها كانت المحراب(لوح 13) عليها بقايا كتابات تعود إلى زمن نبوخذ نصر ،وفي نفس الوقت يمر من تحت هذه الصخرة قناة تجتاز الفناء ثم تصل لتدخل الى غرفة الآلهة ،ليس من الضروري ان تكون لدم القرابين ربما للمياه ،وعند الركن الغربي للفناء الرئيسي مدخل يؤدي الى مجمع بنائي جانبي له فناء صغير اسمه على المخطط (HofB 5) تحيط به الغرف من اربع جوانب ،فيه غرفة تشبه غرفة قدس الاقداس لكن تخلو من القاعدة ربما يشكل هذا المجمع معبد ثانويا لما له من طابع خاص.

حدد كولد يفاي عند منتصف البوابة الشمالية الغربية بضع سلالم من احجار الكلس الرباعية تتكرر على سطحها كتابة تشير الى ان نبوخذ نصر قد قام بتبليط الطرق بين البوابات الثلاث وبين غرفة قدس الاقداس بقطع صخرية ،(هذه الاحجار في متحف البركامون تحت الارقام 21187 ، 21188)ان لمعبد الايزيدا ثلاث بوابات تعذر على فريق التنقيب تحديدها .

يحيط بالمبنى سور الكيسو الذي شيد فيما بعد بالأجر المحروق ،لايزال لا يزال جزء من هذا الكيسو الكائن في الجهة الشمالية الغربية بحالة جيدة، جميع الطلعات والدخلات في المعبد هي متشابهة ، لقد روعي في تشييد المعبد ان يكون المبنى فوق عظم مرتفع اشبه بالشرفة بحيث تغطي جدرانه المنحدر بشده الى الجزء القديم من الكيسو ،وقد ذكرت في الواح نبوخذ نصر، شيد السور الخلفي من كسر الاجر ، تم العثور على

بعض هذه الكسر في الجهة الشمالية الغربية، اما معالم اسوار المعبد فتدنو الى حد ما نحو الداخل يضم هذا المبنى الضخم ايضا اسوار خلفيه من اللبن تمتد عبر الغرف الكائنة على الجهة الشمالية الغربية وقد عثر في المبنى العلوي على قطع من الأجر الملون بالمينا وعليه نقوش لاسود وزخارف بسيطة قليلة الارتفاع تشبه ما هو موجود في بابل الا انها سطحية واقل دقة وتنتشر هذه الرسوم فوق الاطلال والخرائب.(1911, p55 (Koldewey, Robert

كما يذكر كولديفاي ان معبد الايزيدا يماثل معبد نينماخ في بابل.

الزقورة :

تعد الزقورة (البرج) اكثر الاطلال شموخا في بابل ، تقع خلف معبد الايزيدا ،تبلغ اعلى نقطة فيها (٤٧م) عن سطح الارض ويقدر ارتفاعها ب (٥٢م) ، تحمل اسم أور ايمنانكي E-ur- imin -an ki - تتكون من نواة مشيدة من الأجر ونحو هذه النواة تتجه قنوات أفقية تتناوب في اتجاهاتها المختلفة وهي تماثل القنوات الموجودة في زقورة عكركوف والوركاء ،وقد شيد فوق النواة وحولها سور من الأجر المحروق قد طلي الجزء السفلي من السور بالاسفلت ،اما الجزء العلوي طلي بالكلس ، لقد وضع بين سوف السور وعلى ارتفاع (٣٩,٤٠م) ساف خاص ، الغاية منه تسوية ميلان الجدران وبعض العيوب التي تعتري البناء ، لم يبق منه الا بعض اجزاء قائمة في كل جانب من جوانبه الاربعة ، يذكر كولد يفاي ان الطبقة القشرية (الادقة)التي تحيط بالزقورة قد دمرت وشوهت تشويها قويا لجميع الجهات لذا فيتعذر على المرء معرفة الشكل الظاهري الاصلي للطبقة الخارجية ،كما لا توجد لدينا آثار تدلنا على وجود طوابق أو باحات ان اموراً كهذه يجب ان تحدد معالمها بصورة دقيقة وواضحة.(Koldewey,p 57.)

حدث في وقت ما حريق دام فترة زمنية طويلة، وقد وقع الحريق في السطح العلوي ، وقد تم ذكر الحريق من قبل هرمز رسام ، اجزاء من السور قد انصهرت كليا وذابت بشكل بحيث تعذر على العاملين في البعثة التنقيبية معرفة نوع السقوف.

اما في الركن الجنوبي من الزقورة فقد باشر عمال التنقيب بعمل حفرة عثر فيها على ثلاث كسر من اسطوانات مختلفة تعود جميعها الى زمن نبوخذ نصر اثنتان منها كتبت باللغة البابلية القديمة الثالثة كتبت باللغة البابلية الحديثة ،وبعض الاجر المختوم بختم نبوخذ نصر من ثلاث سطور يسبق السطور علامة

مردوخ ونابو ، وقطع اجر اخرى تحمل الختم التالي الملك نابو ،ملك الكون ، الملك نابو ،ملك الكون بتكرار غريب بأحرف بابلية قديمة وحديثة ، وعلى مسافة جنوب الزقورة وجدت اثار خط سور المدينة الذي تبين تشيده من الطوب وله اباج متناظرة ومنتظمة (كولد يفاي ، ص 120).

كما عثر على عدد كبير وامثلة جيدة من الأواني السحرية الآرامية المعروفة، وحينما وجدت مثل هذه الاواني كانت تشاهد كل آنيتين موثوقتين الواحدة فوق الاخرى بحيث تشكلان مع بعضهما تجويفاً كما هو شأن التواليت الحوضية المزدوجة الكبيرة الحجم والمعروفة عند البابليين القدامى.

اما تل ابراهيم الخليل لم يقوموا باي بحفريات تذكر، فقد قاموا بالبحث عن لقى من الصخور وبلاطات متناثرة هنا وهناك من حجر الجيري بمساحة قدمين، وعليها كتابات معروفة تعود الى بوابات المعبد ، كما عثر على كتل أكبر يبلغ حجمها ثلاث اقدام ، تشير الكتابة انها تعود الى شارع الموكب الذي شيده نابو، ومدينة بورسيبا لها مكانتها المهمة وهي مستقلة عن مدينة بابل وتقع الى جوارها (Koldewey,p 58– 59.)(شكل 3).

اتبع كولديفاي منهجية علمية دقيقة في التنقيب ، كان اهتمامه الرئيسي هو فهم تخطيط المدينة ومعبد الايزيدا والزقورة ،و سعى إلى معرفة السياق الحضري المحيط بالمعبد ،فضلاً عن التأريخ والتسلسل الزمني ،محاولاً تحديد فترات بناء وتدمير الموقع من خلال التنقيب الطبقي ،لان كولديفاي كان من أوائل من أدرك أهمية التسلسل الطبقي ، كان يسجل بعناية العمق والطبقة التي يعثر فيها على القطع الأثرية، مما ساعد على معرفة تأريخها.

كما ركز على عمارة المدينة ، لم يكن يزيل الأنقاض للوصول إلى الأسس، بل كان يفهم عملية البناء نفسها، درس أنواع الاجر وميز بين الاجر الطيني المجفف بالشمس والاجر المفخور، والمزجج، والاجر الذي يحمل كتابات مسمارية للملوك (مثل نبوخذ نصر الثاني) ، وضح المواد الرابطة بين الاجر مثل (الطين، القار) ، دون بعناية سماكة الجدران واتجاهاتها، مما سمح له بإعادة بناء مخططات الأرضيات حتى لو كانت الجدران مدمرة.

كان فريقه يرسم plans مساقط أفقية ومقاطع عرضية دقيقة للمباني التي كانوا ينقبون عنها هذه الرسومات لا تزال قيّمة للغاية للباحثين اليوم.

كان يحتفظ بمذكرات حفر يومية مفصلة، يسجل فيها الملاحظات، والاكتشافات، وحتى التكهنات والأسئلة التي تثيرها الاكتشافات.

كانت حفريات روبرت كولديفاي في بورسيبا لحظة حاسمة في تطور علم الآثار قد حولها من هواية جمع الآثار إلى تخصص علمي دقيق، قائم على الملاحظة، والتوثيق، والفهم ، وأسس مبدأ أن الجدران والأساسات والاجر يمكن أن "تتحدث" وتخبرنا بقصة لا تقل أهمية عن قصة التماثيل الذهبية والواح الكتابات الطينية (مخطط بياني 6 ،7).

تنقيبات البعثة النمساوية 1980م:

بدأت تنقيبات البعثة النمساوية في مدينة بورسيبا عام ١٩٨٠م برئاسة الدكتورة هيلكا ترينكولدر Dr.Helga Trenkwalde والدكتور ويلفرد ألنجر تسوليتش من جامعة إنسبروك University of Lnnsbruck ومن العراق الدكتور مؤيد سعيد(المدير العام لدائرة الآثار والتراث في بغداد)، كان الهدف من التنقيب هو دراسة عمارة زقورة بورسيبا ومعرفة عدد طبقاتها واعادة ترميمها، استمرت البعثة برئاسة هيلكا بالتنقيب لسنوات عديدة على الرغم من الحروب التي حصلت في العراق حتى عام 2003، ثم استأنف التنقيب بعد ذلك.(Csollich,1991,p384)

تعد هذه الأعمال التنقيبية مرحلة مهمة في دراسة تاريخ بورسيبا، إذ لم تقتصر على الكشف الميداني فحسب، بل ارتبطت أيضاً بدراسات تحليلية مقارنة مع مدينة بابل، مما أتاح فهماً أعمق للتخطيط العمراني والأنشطة الدينية والاقتصادية والاجتماعية في هذا الموقع. ومن هنا جاءت أهمية مواسم التنقيبات التي أنجزتها البعثة النمساوية، والتي سنعرضها تباعاً مع أبرز ما أسفرت عنه من مكتشفات ونتائج علمية :

الموسم الاول 1980:

باشرت البعثة بمسح المنطقة و بتقسيمها الى مربعات معتمدين الاتجاهات الاربعة وطول ضلع المربع (100م)وشمل العمل بعد ذلك تنظيف السطح العلوي للزقورة من الضلع الجنوبي الغربي بغية التعرف على متدرجات الزقورة وابعادها واتضح من خلال التنظيف أن أكثر اجزاء الزقورة مكسو ولم يتبقى من الساحة الكلية الا الجزء القليل بالإضافة الى وجود حفر عميق اسفل قمة الزقورة.

قامت الهيئة باظهار الضلع الجنوبي والضلع الغربي من لبة الزقورة من الاسفل والمشيد باللبن وقد تمكنت الهيئة في اظهار الضلع الجنوبي 2م في الضلع الجنوبي الشرقي و3م في الضلع الجنوبي الغربي وعلى ارتفاع 3م وهي الاخرى تحتوي على حفرة عميقة بعمق 2م ، وتجدر الاشارة ان البعثة الالمانية برئاسة كولد فاي كانت اجريت تحريات في هذا الضلع من الزقورة ،اما الضلع الغربي فلم يتيسر للبعثة من الكشف عنه بشكل كامل ، أعدّت الهيئة خطة أولية لصيانة وحماية ما تبقى من الشطر العلوي لقمة الزقورة، إلا أن ضيق الوقت حال دون تنفيذها، كانت فكرة الصيانة تقوم على تنظيف القنوات، ثم إدخال قضبان حديدية فيها وربطها بقفص معدني بغية تثبيت الأجزاء المتصدعة ومنع توسع الشقوق (لوح 14).

عثرت البعثة، أثناء أعمال التنظيف في الركن الجنوبي الغربي من سطح الزقورة، على حجر أساس يحمل كتابة مسمارية. يبلغ طول الحجر (27 سم) وقطره في الوسط نحو (10 سم)، وقد قُسِّم إلى حقلين رئيسيين وأربعة أقسام جانبية، وهو ما يضفي عليه أهمية خاصة بوصفه دليلاً توثيقياً يعود إلى مرحلة بناء الزقورة أو أعمال ترميم لاحقة لها(تقارير البعثة النمساوية ، الهيئة العامة للاثار والتراث ، بغداد ، 1980 ، وثيقة رقم 6).

اعمال البعثة النمساوية للموسم الثاني في الموقع عام 1980

استمر الموسم الثاني من العمل فى بورسيبا من الأول من ايلول إلى الحادي عشر من تشرين الأول عام1981، بالتعاون مع الهيئة العامة للآثار والتراث وقد تمحور العمل الميداني حول أربعة اتجاهات رئيسية، هي:

دراسة الزقورة. تنفيذ المسح والقياسات لمدينة بورسيبا.إجراء الدراسات الأولية لتل إبراهيم الخليل (ع).

تسجيل الملاحظات والتحفظات المتعلقة بالطابوق المكسور.

الزقورة

نظرًا لأن الأجزاء العلوية من الزقورة ما تزال قائمة، فقد انصب التركيز خلال هذا الموسم على البناء الداخلي، بغية الكشف عن خصائصه التقنية والإنشائية. وجاءت الدراسة ضمن محورين:

الأجزاء السفلية:

أظهرت نتائج التحري أن البناء اتبع أسلوبًا مميزًا في استعمال الاجر المفخور، مع انتظام نسبي في المستويات الإنشائية ،كما جرى رصد اختلافات في نوعية الملاط المستخدم، الأمر الذي يشير إلى مراحل بناء متعددة

أو إلى تدخلات ترميمية لاحقة ،وقد تبين وجود علاقة إنشائية تربط بين الاجر الداخلي غير المجفف والاجر الخارجي المفخور، وهو أسلوب يعكس حرص البنّاء على تحقيق التماسك بين الكتل المعمارية الداخلية والخارجية.

الأجزاء العلوية :تم تحديد نوعين من أنماط البناء: بناء حديث نسبيًا استُخدم فيه الاجر الطيني الأحدث عمرًا.

بناء قديم استند إلى الاجر الطيني الأقدم عمرًا.

كما تمكنت البعثة من تحديد موقع السلم المركزي الكبير الذي يُعتقد أنه شكّل المحور الرئيس للصعود إلى قمة الزقورة. وقد جاءت هذه النتائج في ضوء مقارنة علمية مع ما أورده رولنصن وهرمز رسام وكولدويفاي من معطيات سابقة حول عمارة الزقورة.

الفتحات المعمارية:

كشفت أعمال الموسم عن وجود فتحات إنشائية في الأجزاء العليا للزقورة، تقع على ارتفاع طابقين تقريبًا، وبعمق نصف قطعة آجر، ويُحتمل أن هذه الفتحات أُنشئت لتقليل الضغط على الكتلة الداخلية أو لخلق فراغات تخفيفية في مركز البناء، وهو أسلوب معروف في عمارة الأبنية الطينية الضخمة في وادي الرافدين (لوح 15) (Trenkwalder, 1981,.1-2, Heritage, Baglad, 1985.p.101.)

طبقات الملاط والتسوية:

أظهرت الدراسة وجود عدة طبقات أساسية من الملاط استُخدمت لتسوية البناء، وهي:

الطبقة الأولى: تقع على ارتفاع 14 م فوق المستوى الأساس (16,116 م) .

الطبقة الثانية: تعود إلى مستوى الساف السادس من الاجر، أي نصف قطعة آجر فوق الاجر الطيني المركزي. وتكوّنت كل من الطبقتين الأولى والثانية من (3–5)صفوف من الاجر.

الطبقة الثالثة: على عمق (3,198 م) تحت النقطة الاساسية، أي على ارتفاع(7,856 م)فوق المستوى الثاني.

الطبقة الرابعة: على ارتفاع (4,961 م) فوق النقطة الاساسية، أي (8,198 م) فوق الطبقة الثانية.

إن تدرج هذه الطبقات يعكس عملية بناء مركبة اعتمدت على التسوية المرحلية، مما يشير إلى وعي إنشائي متقدم لدى البنّاء البابلي، هدف من خلاله إلى ضمان استقرار الكتلة المعمارية للزقورة على المدى البعيد.

نتائج تنقيبات الموسم الثاني :

تم تسجيل ورسم جميع الاجر الذي جرى الكشف عنه، حيث بلغ قياس قطعة الآجر الواحدة (36×33) سم، كما استُخدم عدد من أنصاف الآجر في البناء.

من خلال الملاحظة الدقيقة لحالات الإزاحة في مناطق الاتصال، يمكن الاستنتاج أن اسم نبوخذ نصر كان يُوضع دائماً في المناطق السفلية من البناء.

أظهرت دراسة واجهة البناء الخارجي كيفية وضع الطابوق المختوم بالاسم الملكي، إضافة إلى أسلوب الربط بين لبّ الزقورة المشيد بالطابوق الطيني، والجزء الخارجي المبني من الاجر المفخور.

أوضحت طريقة بناء الزقورة أنها خضعت لعمليات صيانة لاحقة؛ إذ تم إنشاء واجهة بالآجر المفخور بسماكة (36 م)، بينما مُلئ الجزء الداخلي باللبن.

فُحصت عينات من الملاط، إضافة إلى طريقة وضع الاجر والقار المستخدم كمادة رابطة.

قياسات الاجر الطيني الأحدث من الجهة الشمالية الغربية إلى الجنوبية الشرقية، كشفت عن وجود نوعين من القنوات بُنيت بأسلوب مختلف عن بقية القنوات.

اختلفت طبقات لبّ الزقورة حيث وُجدت طبقة أحدث من الآجر الطيني تختلف في أسلوب وضع الاجر عن الطبقة الأقدم، حيث وُضع الآجر في الساف الأول بشكل مسطح، بينما صُف الذي يليه على الحافة مع استعمال الملاط بين الصفوف.

ساعد ذلك في الاستدلال على أسلوب إنشاء السلم المركزي الكبير، حيث حُدد ارتفاعه بـ(12 م) وعرضه (2 م) من الجهة الجنوبية الشرقية للزقورة.

شُيد اللبّ من اللبن، كما وُجدت بقايا جدران قديمة على عمق (4.10 م) تحت السطح.

ذكرنا في التنقيبات السابقة لهرمز رسام وكولديفاي تدقيقاً للقياسات بالقرب من البوابة الجنوبية المجاورة لمعبد نابو، حيث حُددت الجدران الخارجية والنقاط الطرفية للتنقيبات القديمة (Trenkwalder, 1981, Ibid, p101-103)

الطبقة الأحدث المبنية بالآجر الطيني ، تشكلت بين معبد نابو والزقورة مساحة مربعة مفتوحة باتجاه الشمال الغربي، مع واجهة خارجية للجدار السميك المكسو بالجبس.

المصطبة الأولى للزقورة

وُجد أن الجدار الخارجي المحيط بالزقورة يبعد (15 م) عن اللبّ المشيد باللبن، ويبرز عنه طلعة بطول (36 سم) ، بناءً على ذلك، قُدّر عرض المصطبة الأولى للزقورة بـ(91 م)، وهو نفس عرض زقورة بابل تماماً ، فضلاً عن سطح البناء الذي تبين انحداره بشكل طفيف ومغطى بطبقة سميكة من القار لحماية الطبقات السفلى.

التحريات الخاصة بالأجزاء المصهورة:

جُمعت الأجزاء المصهورة من قمة الزقورة ورُسمت، ثم نُقلت إلى مختبرات جامعة إنسبروك لتحليلها وتحديد عمرها بالاعتماد على الفحوص الأثرية والمغناطيسية.

ثانياً : مسح وقياس مدينة بورسيبا

وُضعت شبكة تنقيبات في المنطقة انطلاقاً من النقطة الأساسية على المنصة العليا قرب قمة الزقورة، والتي حُددت من قبل السلطات العراقية برقم (063-26) ، حيث تتكون الشبكة من مساحة (200 م^2)، وبعد إعداد الخريطة الطبوغرافية الابتدائية للمنطقة المسكونة، وُضعت (40 نقطة) ضمن نظام الشبكة، أُنجزت الخريطة بمقياس رسم (1:500) مع خطوط كنتورية بفارق (1 م) .

ثالثاً: التحريات في تل إبراهيم الخليل:

تم اختيار المنحدر الشمالي من التل، لدراسة طبيعة سطح تركيب الطبقات، وتبيّن وجود (6) طبقات إسلامية قبل الوصول إلى الطبقة العائدة للعصر البابلي الحديث، وسبقت ان ذكرناها في تنقيبات هرمز رسام.

رابعاً: إجراءات حفظ الآجر المكسور:

تمت صيانة وترميم الآجر المكسور الناتج عن التنقيبات الأثرية التي أنجزت خلال القرن الماضي، وقد تبين من خلال الفحص الموقعي أن بعض الجدران المجاورة مهددة بالانهيار نتيجة امتلائها بالانقاض، وبناءً على ذلك، تم تعزيز النقطة الأساسية الواقعة في قمة الزقورة، فضلاً عن تدعيم لب الزقورة المشيد باللبن باستخدام

دعامات معدنية (Trenkwalde,p.104)وقد نفذت هذه المعالجات وفق دراسة علمية متكاملة وبإشراف مباشر بما يضمن حماية وصيانة هذا المنشأ الأثري العريق والحفاظ على أصالته.

أعمال البعثة النمساوية في بورسيبا – الموسم الثالث (1984م):

تأتي نتائج الموسم الثالث من تنقيبات البعثة النمساوية، المنفّذة بين 1 أيلول و10 تشرين الثاني 1984، في إطار الدراسات المقارنة بين بابل وبورسيبا، وقد انصبّ الاهتمام خلال هذا الموسم على الزقورة تحديداً، باعتبارها المحور الرئيس في فهم طبيعة العمارة الدينية – السياسية في وسط وجنوب بلاد الرافدين. اعتمدت أعمال الموسم الثالث على معطيات الموسم الثاني، وركزت على كشف تفاصيل إنشائية يمكن من خلالها استنتاج الأسس المعمارية والفكرية التي وجّهت عملية البناء وتم التركيز عليها وهي كالاتي :

مركز الزقورة :

أظهر فحص مركز الزقورة استمرار نسق الزوايا والفواصل في نظام القنوات، وهو ما يعكس ثبات التخطيط البنائي وقوتهُ، كما لوحظ وجود أنواع مختلفة من الآجر، الأمر الذي يشير إلى اعتماد أساليب إنشائية متباينة قد تعكس تدرجاً زمنياً أو وظيفة إنشائية محددة لكل نوع من الآجر.

السلم :

استُكمل العمل في بيت السلم الذي كان قد أُنجزت فيه بعض القطع عام (1981م) وقد كشف الخندق المحفور بعمق (٤×١٥م) عن بقايا السلم، مما أتاح تحديد نهايته والتأكد من بدايته، هذه النتيجة تُعد ذات قيمة كبيرة لفهم الكيفية التي كان يتم عبرها الوصول إلى منصات الزقورة، كما أنها تقدم تصوراً أوضح للترابط بين الأجزاء السفلية والعلوية للبناء.

الربط بين التغليف والبناء:

أظهرت نتائج الحفر وجود نظام جديد من القنوات شُيّد فوق الآجر الطيني للجزء الرئيس من الزقورة قطر هذه القنوات نحو (50 سم)، وهي مقطوعة ببناء من الآجر، وتمتد داخل الغلاف الخارجي المشيّد بالآجر المفخور.

إن التداخل بين القنوات الصغيرة الظاهرة على السطح والقنوات الأكبر الكامنة في الداخل، يشير إلى وجود منظومة تصريف متكاملة، قد تكون مخصصة لتقليل ضغط المياه والأمطار على جسم المبنى، الأمر الذي يعكس وعياً متقدماً بالمعالجات الهندسية.

اما الواجهة أُزيل نحو (5000 م^2) من الأتربة في الزاوية الجنوبية من الزقورة، ما سمح بتعرّف معالم الواجهة بشكل أدق، ويُرجّح أنّ الهدف من هذا الكشف كان اختبار أسلوب التكسية بالآجر المفخور، ومدى ارتباطه ببنية الزقورة الداخلية.

العلاقة بين الزقورة ومعبد نابو:

كُشف في هذا الموضع عن جدار ذي قطر تسعة أمتار، أظهر ثلاثة أطوار بنائية متعاقبة ، ويُعد هذا الكشف مهماً لأنه يبرهن على وجود ارتباط وظيفي أو رمزي بين الزقورة ومعبد نابو، وقد يعكس مراحل متعاقبة من إعادة البناء أو التوسعة، انسجاماً مع مكانة الإله نابو في بورسيبا.

بيّنت أعمال التنقيب تحصينات المنحدر الجنوبي الشرقي عند عمق سبعة أمتار ، مكسوة بالجص، ظهرت في إطار مربعين، وأوضحت طبقات استيطان متعاقبة، ويشير ذلك إلى أن الزقورة لم تكن معزولة عن محيطها الدفاعي، بل كانت جزءاً من منظومة عمارية متكاملة جمعت بين الوظيفة الدينية والجانب الدفاعي.
تم التعرف على مواضع متعددة تعرضت للنار، قُدّرت مساحتها بـ (350 م^2)، وقد تبيّن أنّ آثار الحريق شملت أبعاداً مختلفة من المبنى، الأمر الذي يطرح تساؤلات حول طبيعة هذا الحريق، هل كان حادثاً عرضياً نتيجة نشاط بشري داخلي، أم بفعل أحداث سياسية وعسكرية تركت بصماتها على العمارة؟

خلاصة تحليلية :

يمكن القول إن أعمال الموسم الثالث لم تقتصر على توثيق عناصر عمارية جديدة فحسب، بل أسهمت في تعميق فهمنا للزقورة باعتبارها بناءً مركباً من الناحية التخطيطية والوظيفية، فقد كشفت نتائج هذا الموسم عن منظومة هندسية متقدمة في مجال التصريف، وعن ارتباط وثيق بين الزقورة ومعبد نابو، فضلاً عن أدلة مادية على تحصينات دفاعية وحوادث تدمير، إن هذه المعطيات تجعل من زقورة بورسيبا نموذجاً فريداً لتداخل الوظائف الدينية والإنشائية والعسكرية، وهو ما يمنحها قيمة خاصة في إطار عمارة بلاد الرافدين.

نتائج تنقيبات البعثة النمساوية لعام 1991م :

ستأنف عمل البعثة (1991م) برئاسة هيلكا ونشرت البعثة تقريرا عن نتائجها تحت عنوان " BIRS NIMRUD I -Die Baukörper der Ziqqurrat von Borsippa Ein Vorbericht " وكان تركيزهم على التحليل العماري الزقورة بورسيبا وبينت البعثة ان الهدف الاساسي كان اعادة بناء الزقورة على اسس علمية قام الفريق التنقيبي بتقسيم الزقورة الى وحدات عمارية رئيسية وهي النواة الغلاف الخارجي المحراب والسلالم الجانبية المركزية والبناء العلوي

(Csollich,Wilfrid),1991,p 388 – 389.

كشف التنقيب عن البنية الطبقية من الداخل والخارج واوضح مراحل بناء متعاقبة تداخلت فيها الاصلاحات مع التوسعات التي اجريت عليها مما يعكس الطابع العماري والديني في بورسيبا وطريقة البناء المستعملة جمعت بين الاجر المحروق والاجر المجفف بالشمس والاسفلت والقصب، يبين لنا ما تقدم الاسلوب المعماري المتطور للبناء البابلي القديم .

اوضحت البعثة التنقيبية ان اعمال التنقيب من عام من عام (1980م) الى عام (1988 م) استعملوا نظام التوثيق LAREK لفهم لبنية الداخلية الخارجية اضافه الى طريقة رصف الاجر للزقورة والذي يعرف بانه نظام اعادة الطبقات وذكرنا سابقا ان الواجهات الخارجية الزقورة متهدمة لذلك ساعدتهم طريقة LAREK كيف كان يرصف الاجر ،اضافة الى الجزء العلوي من الزقورة متأكل ومغطى بطبقات اخرى.

اما آلية العمل به فيتم رسم الطبقة من كل الجوانب ثم يحول الرسم الى شكل مسقاط علوي افتراضي وتسجيل كل القياسات والفواصل بين الاجر والشقوق واماكن القصب والحبال.

يتميز هذا النظام التوثيقي بانه يسمح بإعادة تصور نظام البناء الداخلي طبقة بطبقة ويوضح انتظام او عشوائية رصف الاجر مع امكانية معرفه تدخل العناصر الانشائية من قصب وحبال وغيرها هذا التوثيق ساعد البعثة التنقيبية على فهم بناء الزقورة وفق نظام هندسي دقيق جدا (Csollich,Wilfrid Allinger,p 386- 387)

كما اوضحت البعثة الترميمات على اجزاء النواة القديمة للزقورة التي تعرضت للانهيار والتشقق والتي يطلق عليها KAP التي تمت زمن نبوخذ نصر الثاني ، حيث اضيفت طبقات من الاجر ومواد اخرى سبق ذكرى لتسوية السطوح واعادة استقامة الجدران وتميزت النواة ان الاجر فيها غير مكتوم مع وجود بعض الاجر

المختوم وكان الغرض من اعادة ترميمها هو اعادة متانة واتوازن للنواة القديمة حتى يمكن بناء النواة الجديدة فوقها.(Csollich,Wilfrid Allinger, Ibid, p 444)

انشئت الترميمات لتقوية الجدران الخارجية واعادت استقامتها كي تتحمل الجدران الجديدة وحددت موقعها في الزوايا الاربعة للنواة وبالأخص في الجزء الجنوبي الشرقي والشمال الشرقي اما المواد البنائية التي استخدمت الآجر المفخور قياس (32 × 32 ×11سم) اغلبه بلا ختم ،والطين الممزوج بالتبن (Csollich,Wilfrid Allinger, p 390–

كانت الجدران المائلة أو المتصدعة تُعالج بطبقات تسوية (Ausgleichsschichten)، وملء الفراغات بآجر مكسور وملاط .

تمثل هذه المرحلة ترميمات بابلية لإعادة استقامة النواة المتضررة KAP قبل بناء النواة الجديدة (K II).

اما الترميمات التي اجريت على الغلاف الخارجي الذي يحيط بالنواة واطلقت عليه البعثة MAP تمثلت هذه المرحلة عند ظهور تشققات وميلان في الجدران الخارجية تم ترميمها بالآجر المخفورة ابعاد(33× 33 × 8 – 10 سم) جميعها مختومة بختم نبوخذ نصر الثاني ،وطبقات حصير القصب (5 ملم) فوق طبقات مونة الأسفلت ،ومزيج طيني مع كسر الآجر، وأحياناً طبقات كلسية متماسكة جداً ،وهي العلامة المميزة MAP ، لم يكن الهدف منه تقوية الغلاف الأقدم (M I) فقط وانما ربطه بالبناء الأحدث (M II) جدول رقم (1)،كما ان كلا الترميمان ينسبان الى عهد نبوخذ نصر الثاني –Csollich, ,.p410 (436)

يتضح مما تقدم أن أعمال الترميم لم تكن فقط تقنية، بل هدفت أيضاً إلى معالجة ميلان وتشقق الغلاف وضمان استمرار البناء نحو الأعلى.

نتائج تنقيبات عام 1994:

كان الهدف من التنقيبات في الحدود الخارجية لمنطقة معبد الايزيدا وبعض التنقيبات اجريت داخل المعبد ، عُثر في المقطع B على كسرتين من الآجر المحروق يحملان رسوم ألعاب محفورة ،وقد تم الحفر حتى مستوى المياه الجوفية، لكن المثير للاستغراب لم يُعثر في جميع الطبقات التي تم الحفر حتى عمق ثلاثة أمتار (ابتداءً

من سطح الأرض الحالية) على أية بقايا عمارية ، بالرغم من قرب الموقع (200م)فقط من مركز الزقورة) أي ضمن النطاق الداخلي للمدينة.

تميّزت الحفريات في المقطع B بثلاث طبقات رئيسية:

الحزمة(A تصل 70سم عمقاً): وتتكوّن من طبقات رماد ، وفي المقطع A المجاور كُشف موقع العمل على آبار رأسية مكوّنة من أوانٍ كبيرة مقلوبة ومفرغة القاع.

الحزمة(B تصل 190سم عمقاً): تتكوّن من طين رملي فاتح متجانس نسبياً في أسفلها ظهر سطحان أرضيان قديمان؛ على السطح الأحدث مباشرةً وُجدت كسر آجر طيني، وتكتلات طينية ايضا، وبقايا أسفلت، إضافةً إلى كسري الآجر المحروق ذوي خطوط المحفورة (الواح لعب)وتشير الأدلة إلى أن هذه المواد جاءت من جدران صغيرة كانت قائمة(Csollich,Wilfrid Allinger,16 .,2003,p 8.9.).

الحزمة(C سمك 80سم، تصل عمق 270سم) تبدأ من طبقة مدكوكة جيداً، وتتميّز بتعاقب رواسب من كسر فخارية وآجر ممزوجة بطبقات طينية مختلفة.

إضافةً إلى غياب أي بناء في هذه الحفريات رغم قربها من مركز المدينة، استنتاج رئيس البعثة بأن الموقع شكّل حافة حوض مائي قديم أي مرفأ مدينة بورسيبا، ويؤكد ذلك أنّ المنطقة ما زالت حتى اليوم تُغمر بمياه الأمطار وارتفاع منسوب المياه الجوفية، على عكس السور الشمالي الغربي المرتفع الذي لم يكن يغمر بالمياه، مما يعطي السور في جهته الجنوبية وظيفة أقرب إلى رصيف أو سور للميناء، وهذا يخالف الاعتقاد السابق بأن المرفأ كان في الشمال.

بالتالي فإن كسرتي آجر(لوح الألعاب)المنقوشة كانا أصلاً على ضفة المرفأ، ويبدو أن اللاعبين كانوا من الفئات الشعبية المرتادة للمكان صيادون، تجّار، وعاطلون عن العمل، ووفقاً للفخار المكتشف، يرجَّح تأريخ لوحي الألعاب إلى العصر الفرثي (لوح 16).

اما داخل المعبد عثر على لوحة لعب من الآجر مشابه للوحين السابقين وبالتحديد في المعبد "B" الذي يحتوي على محراب مزدوج، عُثر على لوح اللعبة في الزاوية الشمالية من المعبد يوجد غرفة) B4 حسب نظام الترقيم الجديد)، مخطط روبرت كولديفاي (آخر من نقّب في هذا المعبد قبل البعثة النمساوية) يُظهر وجود

نيش في الجدار الشمالي الشرقي للغرفة، ما يشير إلى أن الغرفة ربما كانت محراباً صغيراً وُضعت فيه تمثال العبادة أو المذبح.

السؤال الذي يطرح هنا : هل استُخدمت لوحة اللعبة في طقوس دينية؟

روبرت كولديفاي نسب بناء المعبد إلى زمن نبوخذ نصر الثاني ، اعتمد في تأريخه على أحجام الآجر وطريقة البناء ،في معبد "A" كشف ما أسماه بـ "مسمار الفخار الذي يشبه وتداً عملاقاً بارتفاع (١٢م)مصنوعاً من الآجر المفخور، وكان يدعم منصة المحراب وقد سبق وتطرقنا بالكتابة عنه في الصفحات السابقة.

ان الآجر المستُعمل في هذا "المسمار" يحمل أحياناً أختام نبوخذ نصر الثاني، ولكن ليس جميعها مختوماً، بخلاف ما في الزقورة وبقية الأبنية البابلية الحديثة حيث الآجر كله مختوم، ويظهر أن الآجر تم إعادة استعماله. هذا يثير الشكوك حول نسبة المعبد السفلي إلى نبوخذ نصر الثاني، إذ إن المكتشفات الأثرية فيه تشير بالأحرى إلى عصور لاحقة.

وباستئناف العمل التنقيبي للبعثة النمساوية لعام(1995م) من خلال أعمال التحري الأثري للجدار الخارجي للمعبد، تبيّن وجود عدد من الغرف في الجهة الشمالية الشرقية، تعكس طرازاً عمرانياً كان شائعاً في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني، ويُعد هذا النظام المعماري ابتكاراً جديداً في تصميم المعابد، إذ يختلف عن الطراز التقليدي الذي اتسم غالباً بشكل مستطيل، حيث أظهرت نتائج التنقيبات المنجزة سنة 1995 أن هذا المعبد يتخذ شكلاً مربعاً، كما أسفرت الاكتشافات عن تحديد البوابة الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية، والتي لم تكن معروفة سابقاً، وقد تبيّن أنها تماثل في تصميمها البوابة الموجودة على الجانب الشمالي (هلال ، 2024م، ص4136)

ان التنقيبات التي جرت من عام 1997م وصلاً الى عام 2003 تركز على الزقورة واجزاء من معبد الايزيدا والسور الخارجي للمدينة واسفرت النتائج عن تحويل الزقورة والمعبد الى حصن عسكري فرثي ،حيث تم ملء الصف الخارجي للمعبد بآجر جديد يشكّل مع الجدارين الداخلي والخارجي سوراً دفاعياً سميكاً بارتفاع(10م)، ثم بُنيت جدران ربطة بين السور والزقورة المتهدمة، لتُدمَج ضمن نظام التحصين ، كما أقيمت على أطلال جدرانها أبراج نصف دائرية بارزة (لوح 17) ، وعلى الأرجح أن زوايا المعبد من الجهة

المقابلة حصّنت بالطريقة نفسها، ليتخذ شكلاً نموذجياً لحصون الحقبة الفرثية ،إلا أنّ هذه الابراج اندثرت لاحقاً بفعل تفكيكها لغرض استعمال الآجر، الأمر الذي يجعل إعادة تتبعها شبه مستحيل.

تحولت الزقورة إلى أطلال، والخراب أخذ يتسارع اليها، فقد استحدث في غلافها المبني بالآجر المشوي وطبقاتها العلوية فراغات اشبه بغرف وطوابق مقببة ، ربما اقيمت على يد جنود قاموا بإنشاء طوابق متصلة بسلالم داخلية (Csollich p444– 483,) كانت المداخل الفردية لهذه الغرف تصل إليها في الغالب عبر ممرات ضيقة منحوتة في الجدار ،غير أن الحركة الأساسية لا بد أنها كانت تتم داخل البناء نفسه.

بالقرب من البرج الغربي وُجد مدخل إلى إحدى الغرف ، ابعاده (١م× ١،٥م) يقود إلى درج يسمح بالوصول إلى الطابق الأعلى، وقد جرى تهيئة أرضية المدخل عند واجهته الأمامية على هيئة عتبة من الطين، وعلى هذه العتبة عُثر على لوح للعب (Csollich p160)

واستناداً إلى الفخار المكتشف في محيط هذه الغرف وفي البرج المجاور، يمكن القول إن هذا النمط من "الاستيطان" لزقورة بورسيبا المتهدّمة قد تم في العصر الفرثي، وبناءً على ذلك يمكن تأريخ لوح اللعب إلى هذه الفترة وعند زيارة البرج اليوم يمكن مشاهدة بقايا هذه الغرف والممرات في الجدار الشمالي الغربي وقد صارت مفتوحة للهواء بفعل انهيار السقف والجدران، وهذا أحد أسباب تراكم الردميات بكميات هائلة حول الزقورة.

شهد موقع بورسيبا الأثري توقفًا في أعمال التنقيبات الأثرية بعد عام 2003م، لتُستأنف مجددًا خلال الموسمين 2023–2024م بإشراف البعثة النمساوية من جامعة إنسبروك، برئاسة الدكتورة ساندرا هينش (Sandra Heinsch)والدكتور والتر كونتنر(Walter Kuntner) ، اللذين يعملان حاليًا على إعادة تقييم نتائج الأعمال السابقة في الموقع ومراجعة المكتشفات الأثرية التي وثّقت خلال المواسم الماضية (https://share.google/5eZFNFKKV3R75BQYI).

وخلال المدة ما بين عامي 2013 و2016م، تم العثور على مجموعة من اللقى الأثرية على سطح تلال المدينة، كانت قد جرفتها سيول الأمطار، وبلغ عددها نحو (830) قطعة أثرية تنوّعت بين نقود ذهبية وفضية، وأساور، وأختام أسطوانية، ورُقم طينية، وفخاريات تعود إلى الفترات الإسلامية، وفترات ما قبل

الإسلام، فضلًا عن العهد البابلي(هلال ، ص4141)مما يُعدّ دليلاً على استمرار الاستيطان وتنوع النشاط الحضاري في بورسيبا عبر العصور.

النتائج والتوصيات :

تبين من خلال الدراسة التحليلية للتنقيبات الأثرية في موقع بورسيبا، يمكن استخلاص النتائج التالية:

1- أكدت التنقيبات على المكانة البارزة لبورسيبا كمركز ديني رئيسي مخصص لعبادة الإله نابو، وارتباطها الوثيق ببابل، خاصة خلال احتفالات رأس السنة البابلية التي كان يتم خلالها نقل تمثال الإله نابو عبر قناة مائية خاصة عُرفت باسم قناة بورسيبا أو قناة نابو تربط المدينتين.

2- اثبتت الهوية المعمارية والدينية للزقورة من خلال تنقيبات رولنصون أن الزقورة هي فعلياً برج إي-أور-إيمين-أن-كي المكرس للإله نابو، متكونة من سبع طبقات متراكبة وملونة ،هذا الاكتشاف حسم الجدل التاريخي وصحح الاعتقاد الخاطئ لدى الرحالة السابقين بأنها كانت "برج بابل" الشهير، وقد تم العثور على أسطوانات تأسيسية للملك نبوخذ نصر الثاني توثق أعمال البناء وإعادة الإعمار التي قام بها.

3- تطور العمل الميداني من التنقيبات الأولى غير العلمية (مثل أعمال رولنصون ورسام) التي ركزت على جمع اللقى الكبيرة والمهمة، إلى التنقيبات المنهجية العلمية (مثل بعثة كولديفاي الألمانية والبعثة النمساوية) التي أولت اهتماماً كبيراً بالتسلسل الطبقي، والتوثيق المعماري الدقيق، وتحليل مواد البناء والتقنيات الإنشائية.

4- أسفرت التنقيبات عن اكتشافات غنية ومتنوعة، شملت أسطوانات تأسيسية لملوك مثل نبوخذ نصر الثاني وأنطيوخس الأول، وثقت أعمال البناء والترميم.

5- ساهمت التنقيبات البعثة النمساوية، في فهم عميق لتصميم وبناء زقورة بورسيبا، وكشفت عن التركيب الداخلي المعقد للزقورة (النواة، الغلاف، نظام القنوات)، وكشفت التقنيات البنائية المتطورة حيث استخدام أنواع مختلفة من الآجر، والمواد الرابطة، طبقات التسوية).

6- اوضحت التنقيبات أعمال الترميم والصيانة التي جرت في العصور القديمة (خاصة في عهد نبوخذ نصر الثاني) لمعالجة التشققات والميلان، ونظام تصريف متقدم للمياه، وبينت العلاقة العمارية والوظيفية بين الزقورة ومعبد الإيزيدا.

7- بينت الأدلة الأثرية التغيرات الوظيفية عبر العصور حيث تحول الموقع من مركز ديني بابلي إلى حصن عسكري في العصر الفرثي، حيث تم تحويل المعبد والزقورة إلى تحصينات، كما يتضح من الجدران الدفاعية السميكة والأبراج نصف الدائرية والغرف المقببة التي أضيفت داخل جسم الزقورة.

8- أثبتت الاكتشافات، بما في ذلك الفخاريات والعملات الإسلامية واللقى التي عثر عليها حديثاً (2013-2016)، استمرار الحياة في بورسيبا عبر العصور البابلية والهلنستية والفرثية والساسانية والإسلامية، قبل أن تهجر بسبب تغير مجرى النهر.

9- شكلت التنقيبات الأثرية في بورسيبا نافذة مهمة لفهم المجتمع البابلي في جوانبه الدينية والاقتصادية والعمرانية ، ولا تزال المادة الأثرية التي تم الكشف عنها، واستئناف أعمال البعثة النمساوية حديثاً، تفتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي، وتؤكد على الأهمية الدائمة لهذا الموقع كتراث إنساني عالمي يحتاج إلى مزيد من الدراسة والحماية.

المصادر العربية :

- طه باقر ، بابل وبورسيبا ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1959م.
- رشيد ،فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، بغداد ، 1979م.
- مكاي ، دروثي ، مدن العراق القديمة ، ترجمة : يوسف يعقوب مسكوني، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1952م.
- الواموسيل ، الفرات الاوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية ، ترجمة :صدقي حمدي و عبد المطلب عبد الرحمن ، بغداد، 1990.
- لشمري ، طالب منعم حبيب ، سنحاريب سيرته ومنجزاته (704-669 ق.م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، 1986.
- سعيد ، مؤيد ، المدن الدينية والمعابد " المدينة والحياة المدنية ،ج1، بغداد ، 1989م.
- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1 ، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ط1،بغداد،1973م.

- كولديفاي ،روبرت ، معابد بابل وبورسبا ، ترجمة : نوال خورشيد سعيد ،مطبعة جامعة الموصل ،1985م .
- جرك ،اوسام بحر الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة بغداد 1998م.
- مديرية الاثار العامة ، المواقع الاثرية في العراق ،بغداد ، 1970م .
- سفر، فؤاد،" التنقيبات العلمية في العراق " مجلة سومر المجلد 4 ، ج 1 ، بغداد ، 1948م .
- جان كلود ماركون ، علم آثار بلاد الرافدين ترجمة: يوسف حبي دار الشؤون الثقافية الموسوعة الصغيرة بغداد ، 1989.
- نورس ، علاء موسى كاظم ،احوال بغداد في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ، ط1 ، بغداد ، 1990م.
- عواد ، كوركيس،" المعرب من كتب الرحلات الاجنبية "، مجلة الاقلام ، ج1، 1964م.
- م. ع. ق.ث. تقرير صيانة البعثات في بابل ملف بابل ، و . ث. م. 6/ م ك.
- نيبور كراستن ، رحلة نيبور الكاملة في العراق ، ترجمة : سعاد هادي العمري ، بغداد ، 2012 م.
- السعيد ، صلاح ، الحلة في مذكرات الرحالة والمستكشفين ، بابل ، ط1 ، 2008م.
- رحلة آينهولت الهولندي الى العراق سنة 1866 – 1867، ترجمة : مير بصري ، دار الوراق للنشر ،العراق ، 2012م.
- رحالة أوروبيون في العراق ، ترجمة : بطرس حداد و فؤاد قزانجي و جعفر خياط ، دار الوراق ، 2007.
- لأحمد، سامي سعيد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بغداد، ط١، 1988م.
- عواد ، كوركيس ، " آثار العراق في نظر كتاب العرب الاقدمين "، مجلة سومر ،ج1 ،مجلد 5، 1949م .
- العزاوي ، عمر جسام ، علم الآثار في العراق نشأته وتطوره ، بيروت ، 1971.
- ابو الصوف ، بهنام ، دور التنقيبات الاثرية في الكشف عن حضارة العراق القديم ، موسوعة حضارة العراق ، ج1، بغداد ، دار الحرية ، 1985م.
- وولي ، ليوناردو ، نبش الماضي ، ترجمة : عزيز العلي العربي ، دار الرشيد للنشر، بغداد 1982 م .
- م .ع. ق ث. تقرير عن اعمال البعثة الأمريكية و .ث .م 79/ هـ .ت القادسية ع 15 ، 20 / 3 /1926.

السامرائي ، ميساء لؤي عبد الله ، اثر البعثات الإثارية الغربية في التنقيب عن آثار العراق حتى عام 1939 ' رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، 2004م.

- كولد يفاي ، روبرت ، معابد بابل وبورسيبا ، ترجمة : نوال خورشيد سعيد ،مؤسسة العامة للآثار والتراث ،بغداد ، 1985م .
- تقارير البعثة النمساوية ، الهيئة العامة للأثار والتراث ، بغداد ، 1980 ، وثيقة رقم 6.

- هلال ، دعاء حسام ، "استدامة بقايا مدينة بورسيبا"، مجلة العلوم الانسانية ، مجلد 15' العدد 4، 2024م.

المصادر الأجنبية

- Csollich,Wilfrid Allinger,"BIRS NIMRUD I -Die Baukörper der Ziqqurrat von Borsippa Ein Vorbericht , 1- ",DEUTSCHES ARCHÃOLOGISCHES INSTITUT ABTEILUNG BAGHDAD,GEBR. MANN VERLAG BERLIN,1991.
- 2- Csollich,Wilfrid Allinger," Stratifizierte Brettspiele aus Babylonien", Zeitschrift für Sport und Kultur im Altertum,16 . Jahrgang,2003.
- 3- Trenkwalder, Helga, Report About The Excavations in Borsippa Second, 1981, Sumer, Vol.41, Xli No.1-2, State Board of Antiqities And Heritage, Baglad, 1985.
- 4- Csollich,Wilfrid Allinger, birs nimrud-die baukörper der ziqqurrat von borsippa ein vorbericht,gebr mann verlag, berlin,1991.
- 5- Koldewey, Robert ,Die Tempel von Babylon und Borsippa, Leipzig hinrici buchhandlung, 1911.
- 6- Sherwin-White, Susan "Aspects of Seleucid Royal Ideology: The Cylinder of Antiochus I from Borsippa". The Journal of Hellenic Studies. 11 ,1991.
- 7- julian Ereade, Rassam's excavations at Borsippa and Kutha, 1879-1882,Iraq,1986.
- 8- C. Rawlinson,Henry,"On the Birs Nimrud, or the Great Temple of Borsippa",Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland,Vol. 18 (1861).
- 9- Layard, Discoveries among the ruins of
  - Nineveh and Babylon , New York, 1853.
  - Adam, hans,the uruk country sid, Chicago and London

- 10- Smith, G. Transaction of the Society for Bibical Archaeology, London, 1874.
- 11- Lloyd, Seton, Foundations in the Dust, London, 1980.
- 12- Reade, Julian E, Disappearance and rediscovery, Babylon, Oxford 2009.
- 13-Trenkwalder, Helga, Report About The Excavations in Borsippa Second, 1981, Sumer, Vol.41, Xli No.1-2, State Board of Antiqities And Heritage, Baglad, 1985.
- 14-" Die Grabung in Borsippa"2011. Universität Innsbruck

مقال منشور على موقع جامعة إنسبروك

https://share.google/5eZFNFKKV3R75BQYl

15- https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1880-1112-2166.

16- https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1881-0428



(خارطة 1) توضح موقع بورسيبا

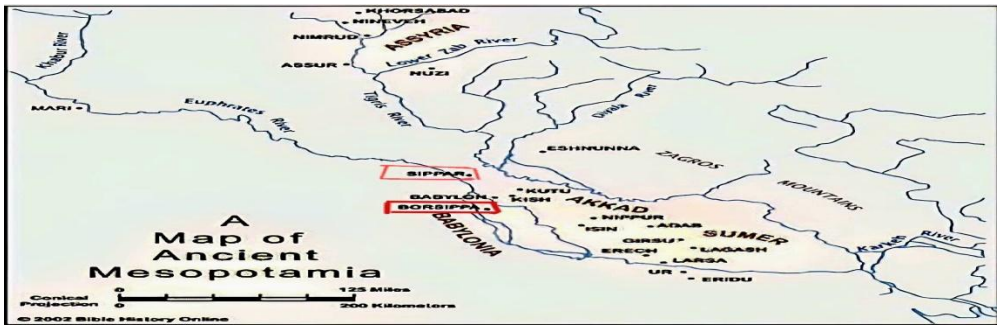

(خارطة2) توضح بورسيبا وهي تقع على نهر سبار

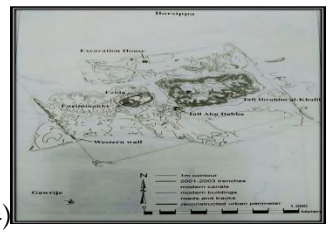

(مخطط 1) معبد الايزيدا رسم هرمز رسام

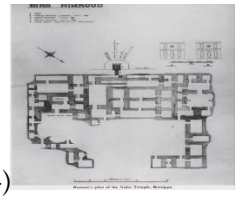

(مخطط 2) معبد الايزيدا رسم كولدفاي

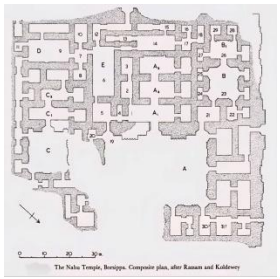

(خارطة 3) توضح تل بورسيبا وتل إبراهيم

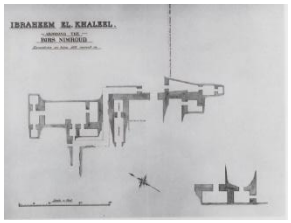

(مخطط 3)معبد غولا عل تل إبراهيم من رسم هرمز رسام

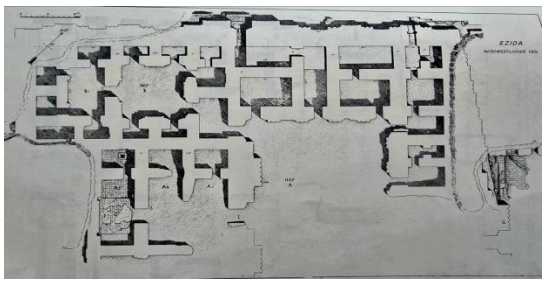

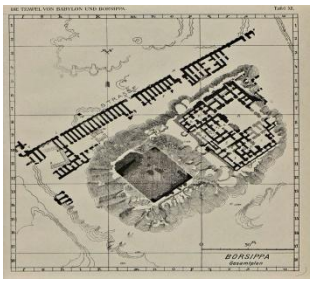

مخطط 5)مجمع جانبي يضم معبد ثانوي

(مخطط 4)يوضح التنقيبات في المعبد والزقورة وسور المدينة

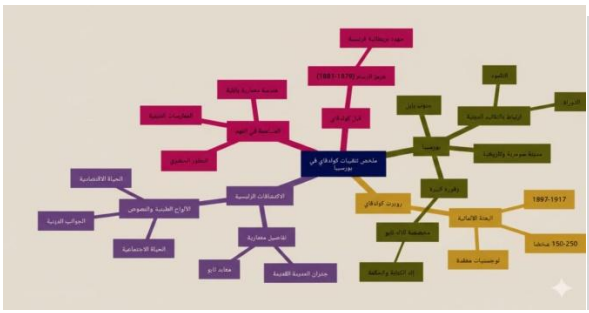

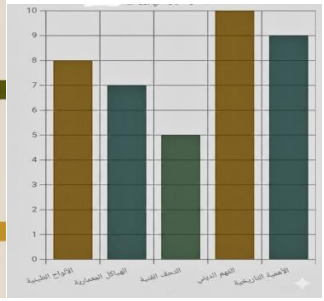

(مخطط 6)يستعرض أهمية ونوع الاكتشافات في بورسيبا

مخطط 7)يبين تنقيبات كولدفاي وتنقيبات رولنصن وهرمز رسام

يوضح الجدول التالي مقارنة أكاديمية بين نوعي الترميمات الرئيسة التي تم التعرف عليها في زقورة بورسيبا، وهما (KAP ترميم النواة) و) MAP (ترميم الغلاف)، مع بيان الموقع، المواد المستعملة، التقنيات، والأهداف

التأريخ	الهدف	المواد الإضافية	المونة	الختم	المقاسات	نوع الطابوق	الموقع	العنصر
عهد نبوخذ نصر الثاني (القرن 6 ق.م.)	تسوية النواة القديمة (K I)وإصلاح الأجزاء المائلة أو المتضررة	لا توجد حصائر	طين نصف مفخور مع تبن (ضعيف التماسك)	معظم الطابوق بلا ختم، وُجد بعضه مختوم باسم نبوخذ نصر الثاني	32 × 32 × 11 سم	نصف مفخور (حرارة 500–700°م)	داخل النواة (Kern I)عند الزوايا الأربع	KAP (Kern–Ausgleichs–Paket)
عهد نبوخذ نصر الثاني (القرن 6 ق.م.)	تقوية الغلاف الخارجي (M I) وربطه بالغلاف الأحدث (M II)	طبقات حصير من القصب (≈ 5 ملم)	مونة طينية مع كسر طابوق + طبقات أسفلت	جميع الطابوق تقريباً مختوم باسم نبوخذ نصر الثاني	33 × 33 × 8–10 سم	مفخور بالكامل	في الغلاف الخارجي (Mantel I)	MAP (Mantel–Ausgleichs–Paket)

(جدول 1)

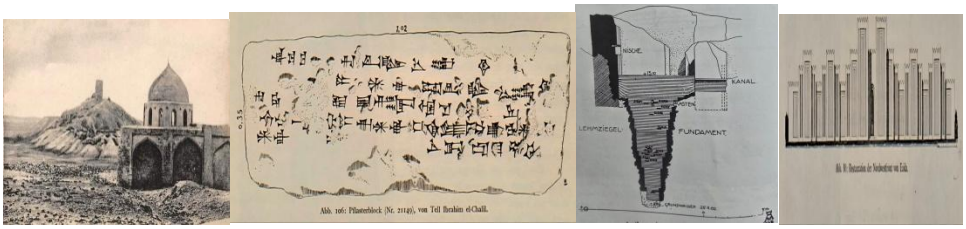

(شكل 1)واجهة معبد الايزيدا

(شكل 2) مقط مستعرض متطور من قاعدة غرفة القداس

(شكل 3) قطعة آجر عليها كتابات عثر عليها في تل إبراهيم

(لوح 1) مقام النبي إبراهيم وزقورة بورسيبا صورة تعود الى عام 1909م



(لوح 2) كتل منصهرة مزججة تغطي قمة تل بورسيبا

(لوح 3)قطع اجر عليها كتابات مسمارية



(لوح 5) صورة جوية توضح معبد الايزيدا

(لوح 6) عتبة باب من البرونز

(لوح 4) برج بوسيبا





لوح 7 تمثال اشور بانيبال

(لوح 8) تمثال شمش شوم أوكن

(لوح 9) أسطوانة تأسيسية للملك السلوقي انطيوخس الأول سويتر

(لوح 10) اجر عليه زخارف نباتية مزججة عثر عليه في معبد الايزيدا

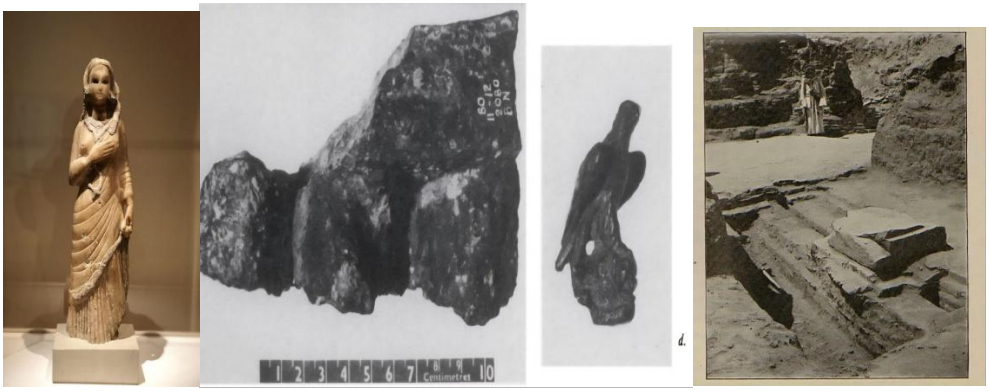

(لوح 11) مجموعة من اللقى التي عثر عليها في المعبد

(لوح 12) تمثال لأنثى واقفة رافعة يدها اليمنى وممسكة بطيات ثيابها باليد اليسرى

(لوح 13) صخرة مكعبة مثلومة من الأعلى ربما كانت محراباً



(لوح 14) ترميمات الزقورة من قبل البعثة النمساوية



(لوح 15) فتحات تخترق الزقورة لغرض تخفيف الضغط





(لوح 17) بقايا أبراج نصف اسطوانية بارزة العص

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع﴾

Dual and Composite Identity in Paul Ricoeur: The Narrative of Self-Assertion Between Stability and Change

Zakaria hamani
Phd condidate, laboratory of history and héritage
Zakaria.serieux@gmail.com

Abstract:

This research analyzes Paul Ricoeur's framework of dual and composite identity, deconstructing his ontological distinction between stable idem-identity and dynamic ipse-identity. It posits this distinction as a hermeneutic narrative mechanism allowing the self to assert its being amid temporal and relational challenges. The study's central problematic is how Ricoeur resolves the modern identity crisis by linking stability and change into a cohesive narrative. Its significance extends to sociological dynamics, where Ricoeur's model explains how collective memory and historical narratives forge community cohesion amidst internal plurality. The research employs a hermeneutic textual analysis of his foundational works. It concludes that the narrative act, via mutual recognition, is the primary guarantor of composite identity. This process empowers the social actor, enhancing the resilience of a dynamic identity. Ultimately, it enables positive engagement in social change and transitional justice.

Keywords

Composite Identity - Narrative Identity - Self-Assertion - Ideology - Social Change.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع﴾

الهوية المزدوجة و المركبة عند بول ريكور: سرد إثبات الذات بين الثبات و التغير

زكرياء حماني
طالب باحث في سلك الدكتوراه، مختبر التاريخ و التراث. جامعة بن طفيل: القنيطرة – المغرب
Zakaria.serieux@gmail.com

ملخص:

يحلل هذا البحث الإطار الفلسفي لبول ريكور الخاص بالهوية المزدوجة والمركبة، من خلال تفكيكه للتمييز الأنطولوجي بين "الهوية العينية" (idem-identity) الثابتة و"الهوية الذاتية" (ipse-identity) الديناميكية. يرى البحث أن هذا التمييز يشكل آلية سردية هرمينوطيقية (تأويلية) تتيح للذات إثبات كينونتها في مواجهة التحديات الزمنية والعلائقية. تكمن الإشكالية المركزية للدراسة في كيفية حل ريكور لأزمة الهوية المعاصرة عبر ربط الثبات بالتغير في سردي متماسك. وتمتد أهمية البحث لتشمل الديناميكيات السوسيولوجية، حيث يوضح نموذج ريكور كيف تشكل الذاكرة الجماعية والسرديات التاريخية تماسك الجماعة رغم تعدديتها الداخلية. يعتمد البحث منهج التحليل النصي التأويلي لأعمال ريكور التأسيسية. ويخلص إلى أن الفعل السردي، عبر آلية الاعتراف المتبادل، هو الضامن الأساسي للهوية المركبة. هذه العملية تمكّن الفاعل الاجتماعي، وتعزز مناعة الهوية الديناميكية. وفي نهاية المطاف، تتيح المشاركة الإيجابية في التغير الاجتماعي والعدالة الانتقالية.

الكلمات المفتاحية

الهوية المركبة – الهوية السردية – إثبات الذات – الإيديولوجيا – التغير الاجتماعي.

تحديد إشكالية المقالة

تتأطر هذه الدراسة ضمن إشكالية سوسيولوجية وفلسفية معقدة تتساءل: كيف يمكن للهوية المركبة والمزدوجة أن تتشكل بوصفها هوية متعددة داخل وحدة اجتماعية واحدة، وكيف يدير الفاعل الاجتماعي هذا التأرجح المستمر بين الاستقرار وإعادة التشكيل في سياقات اجتماعية وتاريخية متغيرة؟ تسعى هذه الإشكالية إلى فهم الميكانيزمات التي تحمي الذات من التلاشي أمام سيولة العالم المعاصر، وفي ذات الوقت تحميها من التحجر والانغلاق داخل هويات دوغمائية قاتلة، معتمدة في ذلك على المقاربة التأويلية الريكورية كأداة للتحليل والفهم.

الإشكالات الفرعية

تتفرع عن هذه الإشكالية المركزية جملة من التساؤلات الفرعية الموازية:

- ما هي الأسس الأنطولوجية التي يستند إليها بول ريكور في التمييز بين الهوية العينية والهوية الذاتية، وكيف تعمل "الحبكة السردية" على التوليف بينهما؟
- ما هو الدور الذي تلعبه الوساطة السردية في التخفيف من حدة الصدام بين الإيديولوجيا (كمكرس لثبات الهوية الجماعية) واليوتوبيا (كمحفز لتغيرها وإعادة تشكيلها)؟
- كيف تنتقل هذه الميكانيزمات السردية من مستوى الفرد إلى مستوى الجماعة لتشكيل ذاكرة جمعية تقاوم التلاعب المؤسساتي وحرب الذاكرات؟
- إلى أي حد يمكن استثمار مفهوم "الهوية السردية والمركبة" لتفكيك وفهم ديناميات الانتماء المتعدد والعدالة الانتقالية في السياق السوسيولوجي المغربي الراهن؟

الفرضيات

تنهض هندسة هذه الدراسة على الفرضيات العلمية الآتية:

- تفترض الدراسة أن "الهوية السردية" عند بول ريكور لا تمثل مجرد حل نظري لأزمة الكوجيتو الديكارتي، بل تشكل أداة سوسيولوجية حيوية تمكن الفاعل الاجتماعي من بناء هويته المركبة؛ حيث تلعب السردية دور "الوسيط" الذي يدمج التعدد والتناقض في مسار واحد.
- يُفترض أن الذاكرة الجماعية ليست معطى جاهزاً بل هي بناء سردي يخضع لتجاذبات الإيديولوجيا واليوتوبيا، وأن تحصين المجتمع من "الذاكرة المجروحة" يقتضي عملاً سردياً تاريخياً يؤسس للاعتراف المتبادل.
- تفترض الدراسة أن تطبيق مفهوم الهوية المركبة والسردية على مجتمعات ما بعد الاستعمار، كالمجتمع المغربي، يمتلك قدرة تفسيرية عالية لظاهرة "التمغربيت" (بوصفها هوية متعددة الروافد)، ولفهم مسارات العدالة الانتقالية والمصالحة مع الذاكرة الوطنية.

الفجوات البحثية

رغم الزخم المعرفي الذي عرفته دراسات الهوية في الحقول الإنسانية، تبرز فجوات بحثية واضحة في المكتبة الأكاديمية العربية. تتمثل الفجوة الأولى في طغيان المقاربات الفلسفية التجريدية المحضة عند دراسة فكر بول ريكور، مما يعزل جهازه المفاهيمي القوي (كالهوية السردية، والإيديولوجيا، والاعتراف) عن التطبيقات السوسيولوجية والأنثروبولوجية. أما الفجوة الثانية فتتعلق بندرة الدراسات التي تربط بين "تأويلية الذات" الريكورية وبين تحليل سياسات الذاكرة والعدالة الانتقالية في السياق المغاربي المعاصر. غالباً ما يتم تحليل الهوية المغربية انطلاقاً من مقاربات تاريخية كلاسيكية أو سياسوية، دون الغوص في الميكانيزمات السردية والهرمينوطيقية التي تمكن هذا المجتمع من نسج تعددية هويته في سردية واحدة متماسكة.

المنهج والمنهجية

لتحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، تم الاعتماد على منهجية مركبة تتأسس بالدرجة الأولى على المنهج التحليلي التأويلي (الهرمينوطيقي) الذي أرساه بول ريكور نفسه. يسمح هذا المنهج بتفكيك البنى العميقة للنصوص والظواهر الاجتماعية بوصفها "نصوصاً للعمل الإنساني" قابلة للقراءة والتفسير.

بالإضافة إلى ذلك، تم توظيف المنهج السوسيولوجي النقدي لفهم كيفية اشتغال مفاهيم الهوية، والإيديولوجيا، والذاكرة داخل السياقات الاجتماعية المؤسساتية. تعتمد المنهجية على القراءة الفاحصة للمتن الفلسفي الريكوري الأصلي (مترجماً ومقاطعاً مع شروحاته في اللغات الأجنبية)، مع تنزيل هذه المفاهيم على أمثلة من السوسيولوجيا المعاصرة والواقع المغربي، وصولاً إلى تركيب خلاصات نظرية وتطبيقية دقيقة.

أهمية الموضوع في السياق المغربي الراهن

تكتسي هذه المقاربة أهمية استثنائية عند تنزيلها على السياق المغربي الراهن، الذي يقدم نموذجاً حياً وإجرائياً لمفهوم "الهوية المركبة والمزدوجة". فالمجتمع المغربي، بوصفه ملتقى جغرافياً وتاريخياً للحضارات (الأمازيغية، والعربية الإسلامية، والحسانية، والروافد الأندلسية والإفريقية والمتوسطية)، يعيش فاعلوه حالة من التوتر الخلاق بين الانتماء المترسخ في التقاليد وبين الانخراط في ديناميات العولمة والحداثة (Chaddadi, 2009).[1] يطرح هذا السياق تحديات سوسيولوجية كبرى تتعلق بتدبير التعددية اللغوية والثقافية، وسياسات الذاكرة، ورهانات المصالحة مع الماضي الأليم (كما تجلى في تجربة هيئة الإنصاف والمصالحة). تمثل فلسفة ريكور حول "الذاكرة المجروحة"، و"العمل على التذكر"، و"الاعتراف المتبادل" إطاراً تفسيرياً بالغ الدقة لتفكيك هذه الديناميات، مما ينقل النقاش حول الهوية في المغرب من خانة الصدام الإيديولوجي إلى خانة الاستيعاب السردي والتدبير الديمقراطي للتعدد (الزين، 2014).

الإطار النظري والمنهجي المعتمد

يرتكز الإطار النظري لهذه الدراسة على "الفينومينولوجيا الهرمينوطيقية" (Phenomenological Hermeneutics) التي تزاوج بين وصف الظواهر كما تتبدى للوعي (فينومينولوجيا هوسرل وهايدغر) وبين تأويل العلامات والرموز والنصوص (تأويلية غادامير وريكور) (Van Den Hengel, 1994, p. 466). تتجاوز هذه المقاربة التحليل البنيوي الجاف لتغوص في مقاصد الخطاب الإنساني وأبعاده الدلالية والزمنية. يتم توظيف أدوات التحليل التأويلي لتفكيك نصوص ريكور المفتاحية مثل "الذات عينها كآخر"، و"الزمان والسرد"، و"الذاكرة، التاريخ، النسيان"، و"محاضرات في الإيديولوجيا واليوتوبيا". يتم

تقاطع هذا الجهاز المفاهيمي مع المقاربات السوسيولوجية الحديثة (مثل سوسيولوجيا إدغار موران حول التفكير المعقد) لبناء شبكة قراءة متكاملة تفهم الفاعل الاجتماعي ليس كعنصر خامل، بل كـ "إنسان قادر" (L'homme capable) يعيد كتابة هويته من خلال الفعل والسرد والمشاركة المؤسساتية.

أولا: الأسس الفلسفية والأنطولوجية للهوية المزدوجة عند بول ريكور

1.1 جدلية العينية والذاتية: تفكيك وهم الهوية الجوهرية الثابتة

ينطلق المشروع الفلسفي لبول ريكور، سيما في سفره الأساسي "الذات عينها كآخر" (Oneself as Another / Soi-même comme un autre) الصادر عام 1990، من نقد جذري ومزدوج للتقاليد الفلسفية السابقة. فهو يوجه نقده الأول لـ "كوجيتو" ديكارت المتعالي الذي يضخم الذات ويجعلها جوهراً شفافاً ومؤسساً لليقين المطلق خارج حدود الزمان؛ ويوجه نقده الثاني لـ "فلسفات الارتياب" (على غرار نيتشه وبعض تيارات التفكيكية) التي تسعى إلى تحطيم الذات وإعلان موتها وتلاشيها (Van Den Hengel, 1994, p. 460). كبديل لهذه الاستقطابات الحادة، يقترح ريكور مقاربة أنطولوجية وتأويلية تنظر إلى الذات بوصفها "ذاتاً مفسرة" وليست معطى قبلياً جاهزاً.

لحل معضلة استمرارية الشخص عبر الزمان، وفي ظل التحولات العميقة التي يمر بها، يُحدث ريكور تمييزاً لغوياً وفلسفياً حاسماً داخل مفهوم الهوية نفسه، مقسماً إياه إلى قطبين متمايزين جدلياً: الهوية العينية (Idem / Sameness) والهوية الذاتية (Ipse / Selfhood) (ريكور، 2005، ص 298).

تشير "الهوية العينية" (Idem) إلى مفهوم التطابق (Mêmeté)، والتشابه، والاستمرارية الزمنية غير المنقطعة. إنها تجيب على سؤال "ماذا؟" (What?)، وتحيل إلى ما يبقى ثابتاً في الفرد أو الجماعة، أي "الطبع" (Character) أو الخصائص المترسبة والطباع التي يُعرف بها الفرد ويُعاد التعرف عليه من خلالها مراراً وتكراراً (Ricoeur, 1992, p. 121). العينية هي الجانب المادي والنفسي الذي يمنح الفرد والجماعة إحساساً بالديمومة، حيث يتصرف الفاعل الاجتماعي وفق عادات وتقاليد وتصنيفات مسبقة

تشكل في مجموعها "طبيعة ثانية". في هذه الدرجة، يتداخل الجواب عن "من أنا؟" مع "ماذا أنا؟"، وتظهر الهوية كجوهر صلب يخشى تغيرات الزمن ويعتبرها عامل هدم وتشويه.

في المقابل، تشير "الهوية الذاتية" (Ipse) إلى الفاعلية، والقدرة، والاستقلالية الأخلاقية، والقدرة على بدء سلسلة جديدة من الأفعال. إنها تجيب على سؤال "من؟" (Who?) – من يتحدث؟ من يفعل؟ من يروي؟ ومن يتحمل المسؤولية؟ (ريكور، 2005، ص 94). لا تتأسس الذاتية على ثبات الجوهر أو تطابق الخصائص الفيزيائية، بل على القدرة على المحافظة على الذات (Self-constancy) رغم التغيرات العميقة التي يفرضها الزمان. يتجلى هذا القطب في أبهى صوره الأخلاقية من خلال ظاهرة "الوعد" (Keeping one's word)؛ فالشخص الذي يفي بوعده يثبت هويته الذاتية، مقراً بأنه الفاعل نفسه الذي التزم بالأمس وهو نفسه الذي يفي اليوم، حتى وإن تغيرت ظروفه المادية أو مزاجه الشخصي (Ricoeur, 1992, p. 118).

1.2 الوساطة السردية: الحبكة كآلية لتوليف غير المتجانس وإعادة تشكيل الذات

إذا كانت الذات تعيش توتراً مستمراً بين الثبات (العينية) والتغير (الذاتية)، وكلاهما ضروري للوجود الإنساني، فكيف يتسنى للفاعل الاجتماعي الحفاظ على تماسكه النفسي والاجتماعي دون السقوط في التشظي؟ يتدخل ريكور في هذا المنعطف بمفهومه الاستثنائي "الهوية السردية" (Narrative Identity) كجسر تأويلي وكـ "طريق ثالث" يحل هذه المعضلة الأنطولوجية (Ricoeur, 1988, p. 246). يرى ريكور أن التجربة الإنسانية المشتتة والمجزأة في مجرى الزمان لا يمكن أن تكتسب معناها ودلالتها إلا إذا تم نسجها داخل إطار قصة مروية. فالسرد ليس مجرد تقنية أدبية جمالية خارجية، بل هو شرط أنطولوجي وحيوي للوجود الإنساني؛ فالزمان لا يصبح إنسانياً ويُدرك في كليته إلا بقدر ما يتم التعبير عنه عبر بنية سردية قادرة على تحويل الفوضى الزمانية إلى نسيج دلالي (ريكور، 2006، ص 95).

تقوم الوساطة السردية بشكل أساسي على ميكانيزم "الحبكة" (Mise en intrigue / Emplotment). تمثل الحبكة الآلية الديناميكية التي تقوم بـ "توليف غير المتجانس" (Synthèse

de l'hétérogène). إنها العملية الفكرية التي تجمع بين الأحداث المتناثرة، والنوايا المتضاربة للأفراد، والمصادفات غير المتوقعة، والظروف القاهرة، لتنظمها جميعاً في كلٍ ذي معنى يمتلك بداية ووسطاً ونهاية. من خلال سرد حكايته وتأمل مساره، يقوم الفاعل الاجتماعي بالتوفيق بين ما هو ثابت في شخصيته (الطبع/العينية) وبين المنعطفات الحادة والأزمات التي طرأت على حياته (التغير/الذاتية). إن الشخصية السردية (Le personnage) في الرواية أو في التاريخ تتطور، تتحول، تكبر، وتواجه العقبات الجسام، لكنها تظل هي "نفسها" بفضل التماسك البنائي الذي تفرضه وحدة القصة المروية. ينسحب هذا النموذج الأدبي على الذات الإنسانية التي لا تملك الوصول المباشر إلى حقيقتها إلا عبر هذا "المنعطف الطويل" للنصوص والروايات والأساطير (Van Den Hengel, 1994, p. 466).

في هذا السياق المعرفي، تبرز الهوية السردية بوصفها هوية "مركبة" بامتياز؛ فهي لا تنفي التناقضات السوسيولوجية والنفسية، بل تدمجها وتمنحها وظيفة داخل المسار الكلي. إنها تضع حداً للوهم القائل بامتلاك الذات لذاتها بشكل فوري وشفاف. هذا الاعتماد العضوي على السرد يجعل الهوية هشة وقابلة لإعادة التشكيل دائماً. فحياتنا، كما يشدد ريكور، هي قصة في طور الكتابة المستمرة، قصة نكون فيها نحن المؤلفين المشاركين (Co-authors) بالتعاون الإجباري مع الآخرين ومع التراث الثقافي والاجتماعي الذي نسبح في تياره.[11]

على المستوى السوسيولوجي التطبيقي، تعتبر الوساطة السردية الأداة المعرفية التي تستخدمها الفئات الاجتماعية لتبرير أدوارها، وتفسير إخفاقاتها، وإعطاء معنى لتفاعلاتها المؤسساتية واليومية. فالمهاجر الذي ينتقل بين ثقافتين، أو الفرد الذي يعيش تحولات سياسية كبرى، يواجه دائماً صدمات ناتجة عن التغير الاجتماعي؛ وتصبح السردية الذاتية والجماعية هي المختبر الرمزي الذي يختبرون فيه هوياتهم المتعددة، متأرجحين بين أصولهم الثقافية (ماضيهم) والتزاماتهم المعاصرة (حاضرهم ومستقبلهم) (Czarniawska-Joerges, 1995).

1.3 الغيرية والاعتراف المتبادل: الآخر كشرط أنطولوجي لتأكيد الذات

تتبلور المحطة الثالثة والأكثر عمقاً في البناء الفلسفي الريكوري من خلال إقرار "الغيرية" (Alterity) كعنصر صميم في قلب "الذاتية". إن اختيار عنوان كتابه الرئيسي "الذات عينها كآخر" لم يكن محض صدفة لغوية، بل هو تكثيف لأطروحة جذرية مفادها أن الآخر ليس مجرد إضافة خارجية عارضة، ولا هو بالضرورة الجحيم والعائق أمام اكتمال الذات (كما في بعض القراءات الوجودية السارترية)، بل هو مكون حميمي وجوهري لا يمكن التفكير في الذات بدونه (Ricoeur, 1992, p. 3). تتجلى الهوية المركبة هنا في كون الذات تحمل داخلها طيف الآخرين، وتتشكل عبر الاحتكاك بهم، سواء عبر الموروث أو التفاعل المباشر.

يستند ريكور إلى فينومينولوجيا صارمة ليقسم تجربة الغيرية إلى مستويات متداخلة تكسر انغلاق الأنا. المستوى الأول هو "غيرية الجسد"؛ فالجسد الخاص هو المكان الذي تختبر فيه الذات مقاومة العالم المادي، وهو في نفس الوقت موضوع للملاحظة وذات للإحساس. المستوى الثاني هو "غيرية الآخر" المتمثلة في العلاقة التفاعلية بين الذوات (Intersubjectivity) ضمن الفضاء العام والتاريخ الممتد. أما المستوى الثالث فهو "غيرية الضمير"؛ ذلك الصوت الباطني الذي يخاطب الذات ويأمرها ويحاسبها، فارضاً عليها واجباً أخلاقياً يسبق إرادتها (Ricoeur, 1992, p. 18). هذا التداخل الأنطولوجي يجعل الاستقلالية الفردية مرتبطة ارتباطاً بنيوياً ومصيرياً بالاهتمام بالجار وإقرار العدالة، مما يمهد لتأسيس "القصدية الأخلاقية" (Ethical Aim) التي صاغها ريكور ببراعة: "العيش حياة جيدة، مع الآخرين ومن أجلهم، في ظل مؤسسات عادلة" (Ricoeur, 1992, p. 172).

ضمن هذا الإطار التفاعلي، يستدعي ريكور مفهوم "الاعتراف" (Recognition) ليؤطر دينامية الذات والآخر تأطيراً سياسياً وأخلاقياً. يشير المفكر محمد شوقي الزين، بناءً على قراءته لمسار الاعتراف عند ريكور، إلى تدرج هذا المفهوم عبر ثلاث بؤر تاريخية وفلسفية: اللحظة الكانطية (الاعتراف كتماهٍ معرفي وأخلاقي باحترام القانون)، اللحظة البرغسونية (التعرف الحسي على الذكريات والصور واستعادتها)، واللحظة الهيغلية الأهم (الاعتراف المتبادل الذي يبدأ بالصراع وينتهي بالمصالحة وتأكيد الكرامة).

بناءً على هذا، لا تكتمل الهوية السردية إلا متى تم التلفظ بها والاعتراف بها من قبل الآخرين في الفضاء العام. السرد هو في جوهره عملية تواصلية تقتضي مستمعاً يُصغي ويتفاعل. ومن خلال فعل الاعتراف المتبادل، يتم تحطيم جدران الهوية الأحادية المغلقة والإقصائية، وتتحول الهوية المركبة إلى فضاء رحب لممارسة "الضيافة السردية" (Narrative Hospitality). في هذا الفضاء الرمزي، تتسع مساحة وعي الذات لتستوعب قصص الآخرين، وتتعاطف مع آلامهم، وتتفاعل مع تجاربهم المغايرة، محققة بذلك إثباتاً للذات لا يقوم على نفي الآخر بل على التأسيس المشترك للمعنى (Chang, 2024).

ثانيا[1]: الامتدادات السوسيولوجية للهوية: الذاكرة الجماعية ومآزق الإيديولوجيا واليوتوبيا

2.1 الذاكرة والتاريخ: من الذاكرة المجروحة إلى الذاكرة العادلة

يتجاوز التحليل التأويلي عند بول ريكور حدود الهوية الفردية لينخرط بعمق في إشكالات الذاكرة الجماعية والتاريخ، وهو ما تناوله بشكل موسع ومنهجي في سفره المرجعي "الذاكرة، التاريخ، النسيان" (La Mémoire, l'histoire, l'oubli) الصادر عام 2000. يبدأ ريكور بالتأكيد السوسيولوجي على أن الهوية الجمعية (لأمة أو جماعة إثنية أو دينية) تتشكل أساساً عبر السرديات والذكريات التاريخية المشتركة. بالاستناد إلى تنظيرات موريس هالبواكس (Maurice Halbwachs) حول الذاكرة الجماعية، يقر ريكور بأن الذاكرة لا تنشأ في فراغ، بل تتأسس على النقل، والتواتر، والمأسسة الاجتماعية. تتشابك ذكريات الفرد العميقة مع شهادات الآخرين (مؤسسة الأسرة والقرابة كمتلازمة وسيطة للتناقل)، وتتجلى هذه الذاكرة في الفضاء العام من خلال الطقوس الرسمية، الأعياد الوطنية، والمعالم الدائمة كالنصب التذكارية والمقابر والمتاحف.

إلا أن هذه الذاكرة الجماعية، ورغم قدرتها على الإدماج، تظل كائناً هشاً ومعرضاً باستمرار لمجموعة من الآفات والانحرافات التي يسميها ريكور "أمراض الذاكرة" و"إساءات استعمال الذاكرة" (Abuses of memory).[15] تبرز في هذا المستوى التوظيفات السياسية التي تحول الذاكرة إلى "ذاكرة متلاعب بها" (Mémoire manipulée). تعمد السلطات، أو الجماعات المهيمنة، إلى خلق "رواية تأسيسية"

منتقاة لشرعنة وجودها؛ وهنا يعمل السرد الجمعي عمل المقص والانتقاء. يتم تسليط الضوء على أحداث وشخصيات بعينها (استراتيجية التذكر والتمجيد)، وفي ذات الوقت يتم طمس أحداث ومحو فئات أخرى قسرياً (استراتيجية النسيان والمحو). ينتج عن هذا التلاعب الممنهج ما يسمى بال "ذاكرة المأمورة" (Mémoire commandée) التي تُفرض عبر المناهج المدرسية والمناسبات القسرية، مما يؤدي إلى تشويه الهوية المركبة لصالح هوية أحادية متكلسة تقصي التنوع.

أمام هذه التشوهات، يعاني المجتمع السوسيولوجي من صدمات تاريخية كبرى تخلف "ذاكرة مجروحة" (Wounded memory). يصف ريكور هذه الحالة، مستعيراً مفردات التحليل النفسي الفرويدي، بظهور "إكراه التكرار" (Compulsion of repetition)، حيث يعجز المجتمع عن تجاوز الماضي ويعيد إنتاج أزماته في الحاضر (فرط الذاكرة)، أو يلجأ إلى إنكار المرض وتجاهله (نقص الذاكرة). العلاج الفعال، من منظور ريكور، يكمن في إنجاز "العمل على التذكر" (/ Travail de mémoire Perlaboration)؛ وهو مجهود شاق يهدف إلى تحرير الماضي من الاستحواذ العاطفي المرضي. يتم هذا عبر وساطة "التاريخ" كمبحث نقدي يمتلك مسافة موضوعية (Distante) تفكك الأساطير الإيديولوجية. عبر التاريخ، تتحول الذاكرات المتنازعة إلى نسيج مضبوط ومحايد نسبياً، مما يساهم في بناء "ذاكرة سعيدة" أو "هادئة وعادلة" تسمح للمجتمعات بتخفيف حدة التنافر، وفتح الباب أمام ممارسة "الصفح" الذي لا يعني محو الجريمة بل تحرير المستقبل من أسر الماضي.

2.2 الإيديولوجيا كآلية للإدماج وتثبيت الهوية الجماعية

لا يمكن فهم صيرورة الهوية المركبة دون الحفر في البنيات التي توفر لها الاستقرار المعياري والمؤسساتي. في "محاضرات في الإيديولوجيا واليوتوبيا"، قدم ريكور إطاراً سوسيولوجياً بالغ التعقيد لفهم المخيال الاجتماعي (Social Imaginary) الذي تنهض عليه المجتمعات البشرية. يرى ريكور أن كل مجموعة اجتماعية تحتاج إلى بناء صورة رمزية عن ذاتها ليتمكن أفرادها من التماسك والاستمرار، وهذا المخيال ينقسم هيكلياً إلى قطبين ديناميكيين ومتعارضين: الإيديولوجيا واليوتوبيا (Taylor, 2002).

في مقاربته للإيديولوجيا، يرفض ريكور التفسير الأحادي التبسيطي، ويقوم بعملية "تحليل تراجعي" (Regressive analysis) يكشف عن ثلاثة مستويات سوسيولوجية متراكمة لكيفية اشتغال الإيديولوجيا في المجتمع:

1. **مستوى التشويه أو الإخفاء (Distortion)**: وهو المستوى السطحي الذي تبنته الماركسية الكلاسيكية، حيث تُعتبر الإيديولوجيا مجرد "وعي زائف" وانعكاس مشوه للواقع المادي، يُستخدم أداةً في يد الطبقة المهيمنة لإخفاء الصراع الطبقي وتزييف وعي الجماهير.
2. **مستوى الشرعنة (Legitimation)**: متأثراً بسوسيولوجيا ماكس فيبر (Max Weber)، يعمق ريكور التحليل ليرى أن أي نظام سلطة لا يمكن أن يستمر بالاعتماد على أدوات القهر العاري وحدها؛ بل يحتاج بشكل حيوي إلى معتقدات تشرعن وجوده. هنا تتدخل الإيديولوجيا لسد الفجوة بين مطالبة السلطة بالطاعة وبين قناعة المحكومين واستجابتهم لهذه المطالبة، مانحةً النظام "قيمة مضافة" من المشروعية.
3. **مستوى الإدماج والهوية (Integration)**: وهو المستوى الأعمق والأساسي الذي يستعيره ريكور من الأنثروبولوجي كليفورد جيرتز (Clifford Geertz). تتجرد الإيديولوجيا هنا من حمولتها السلبية البحتة لتصبح "نظاماً رمزياً" شاملاً وحيوياً يوفر للمجتمع هويته ويحفظ تماسكه وانضباطه إزاء قسوة العالم. إنها الخزان الرمزي الذي يستدعي الأحداث المؤسسة للمجتمع، ويحولها إلى معتقدات تضمن بقاء "العينية" (Idem) الجماعية وتماسك الروابط الاجتماعية.

من خلال هذا المستوى الثالث، يتضح أن الإيديولوجيا، رغم دورها المحافظ، تعتبر شرطاً ضرورياً لاستقرار الهوية الجمعية. إنها تمارس وظيفة "المحافظة" (Conservation) التي تحمي الوحدة الاجتماعية من التحلل والذوبان. ومع ذلك، فإن تغول الإيديولوجيا ونزوعها الدائم نحو تحجير الواقع (Inertia) يهدد بتحويل المجتمع إلى كيان صلب يرفض التجديد والمساءلة، مما يستدعي تدخلاً حتمياً من القطب المضاد.

2.3 اليوتوبيا كأفق للتحرر وإعادة تشكيل الهوية الاجتماعية

أمام جمود الإيديولوجيا ومساعيها لتأبيد الوضع القائم، تبرز الحاجة الماسة إلى **اليوتوبيا** (Utopia) كقطب مضاد وملطف داخل المخيال الاجتماعي. في القراءة الريكورية، لا تعني اليوتوبيا مجرد أحلام يقظة غير قابلة للتحقيق، بل هي منهجية نقدية تتمثل في إلقاء نظرة على المجتمع انطلاقاً من "اللامكان" (Nowhere). إن الوظيفة المركزية لليوتوبيا هي نقد الواقع القائم، وتحطيم الإجماعات الزائفة، وكشف زيف الشرعيات التي تقدمها الإيديولوجيا.

تقوم اليوتوبيا بوظيفة "القطيعة والرفض" (Rupture/Critique). إنها تعبر عن كل الإمكانيات والمسارات التي تم إقصاؤها أو تهميشها من قبل النظام الأيديولوجي السائد. من خلال اقتراح بدائل راديكالية ممكنة للحياة المشتركة، توفر اليوتوبيا للمجتمع القدرة على تفحص ذاته، ومحاكمة مؤسساته، والدفع نحو إحداث تغيرات نوعية في مسار التاريخ (Ricoeur, 1986, p. 172). إن كانت الإيديولوجيا تعبر عن هوية "التطابق والعينية" (Idem) في المستوى الجماعي، فإن اليوتوبيا تعبر عن هوية "الفاعلية والذاتية" (Ipse) التي تنزع نحو الابتكار وفتح الآفاق المجهولة.

ثالثا: التطبيقات السوسيولوجية للهوية السردية والمركبة في السياق المغربي الراهن

3.1 "التمغربيت" كهوية مركبة: تقاطعات التفكير المعقد (موران) والهوية السردية (ريكور)

يمثل المشهد السوسيولوجي والأنثروبولوجي في المغرب الراهن مختبراً حقيقياً وخصباً لاختبار وتفعيل مفاهيم بول ريكور المتعلقة بالهوية السردية والمركبة. تتسم الهوية الوطنية المغربية، والتي يصطلح عليها سوسيولوجياً وشعبياً بـ "التمغربيت"، بكونها وعاءً تنصهر فيه روافد جغرافية وحضارية ولغوية بالغة التنوع والتعدد: الأساس الأمازيغي المتجذر في عمق التاريخ، المكون العربي الإسلامي الذي صاغ الوجدان الروحي، الرافد الصحراوي الحساني، إلى جانب الروافد الغنية (الأندلسية، العبرية، الإفريقية، والمتوسطية) (Chaddadi, 2009). أضف إلى هذا الإرث التفاعل المعاصر المعقد مع سيولة العولمة والقيم الكونية الحداثية.

في هذا الصدد، يمكن عقد تقاطع نظري استثنائي وبناء بين تنظيرات الفيلسوفين إدغار موران (Edgar Morin) وبول ريكور لتفكيك هذه الدينامية. يقدم موران مقاربة "الهوية المركبة" من منظور "التفكير المعقد" (Complexity)، رافضاً بشكل قاطع الاختزالية والإقصاء والتبسيط. يرى موران أن الكائن البشري والنسق المجتمعي هما عبارة عن وحدة متعددة (Unitas multiplex) تتكون من مستويات متداخلة تدمج المتضادات (النظام والفوضى، الوحدة والتنوع). فالهوية المغربية، وفق منظور موران، لا يمكن اختزالها في رافد واحد دون ارتكاب "جريمة تهميش" ضد باقي المكونات التي تساهم مجتمعة في صياغة الكيان الحي.

غير أن هذا "التعقيد" الأنطولوجي والسوسيولوجي الذي يصفه موران يحتاج بشكل ضروري إلى أداة وميكانيزم لترجمته اجتماعياً وإلى "غراء رمزي" يجمعه في الواقع كي لا يتناثر المجتمع إلى فسيفساء متنافرة؛ وهنا يتدخل بقوة مفهوم "الهوية السردية" عند ريكور.

إن مقاربة "التمغربيت" من زاوية ريكورية تعني رفض النظر إليها كجوهر ميتافيزيقي ثابت ونهائي (Idem) ينتمي إلى ماضٍ أسطوري نقي ومغلق يجب استعادته بصيغته العتيقة. فتبني هذا المنظور الجوهراني الاستبعادي يؤدي حتماً إلى صدام إيديولوجي عنيف بين مكونات المجتمع (مثلاً، بين دعاة التعريب الشامل الأصولي ودعاة الأمازيغية الحصرية الراديكالية) (Brubaker, 2001). بدلاً من ذلك، توفر نظرية ريكور إطاراً متقدماً لرؤية الهوية المغربية كسردية تاريخية وحياتية "مفتوحة" تتطور باستمرار عبر الزمن (Ipse). الفاعل الاجتماعي المغربي يعتمد بشكل يومي على "الوساطة السردية" لصياغة كينونته المتعددة الأبعاد في الفضاء العام؛ فهو يزاوج بين لغات أو لهجات متعددة في حديثه اليومي، وينخرط في مؤسسات إدارية واقتصادية حداثية، وفي نفس الوقت يُبقي بوفاء متين على طقوس دينية واجتماعية عريقة. إن السرد الذي يقدمه الفرد المغربي لنفسه (وللآخرين) هو الآلية الهرمينوطيقية التي تنسج هذه الخيوط المتباينة والمعقدة في "قصة متماسكة" واحدة، تحظى بالاعتراف الاجتماعي والمؤسساتي، وتمنح الذات حصانة ضد التشظي إزاء ما تفرزه العولمة من هويات سائلة واغتراب قسري.

3.2 سياسات الذاكرة والعدالة الانتقالية: قراءة ريكورية في تجربة "هيئة الإنصاف والمصالحة"

تتخذ تنظيرات ريكور العميقة حول الذاكرة والتاريخ والنسيان بُعداً تطبيقياً وعملياً بالغ الأهمية في التجربة السياسية والحقوقية المغربية المعاصرة، ولا سيما عند محاولة تفكيك وتحليل مشروع "العدالة الانتقالية" المتمثل في إنشاء "هيئة الإنصاف والمصالحة" (IER) مطلع الألفية الثالثة. لقد شكل هذا المسار محطة تاريخية حاسمة ودقيقة للتعامل مع انتهاكات الماضي أو ما عُرف سياسياً وإعلامياً بـ "سنوات الرصاص".

لقد استعان عدد من الباحثين المغاربة والعرب (من أمثال محمد شوقي الزين وكمال عبد اللطيف) بالجهاز المفاهيمي الريكوري لفهم آليات هذا الانتقال الديمقراطي العسير. لقد واجهت الدولة والمجتمع في المغرب إشكالية "الذاكرة المجروحة" (Wounded memory) والذاكرة المكبوتة والمغيّبة بفعل سلطة الإكراه. ووفقاً لتحليل ريكور، فإن الاستمرار في دفن هذه الذكريات الأليمة وعدم معالجتها سياسياً وتاريخياً يحولها عاجلاً أم آجلاً إلى صدمات متكررة (Compulsion of repetition)، تخلق احتقانات اجتماعية مستدامة وتعيق السلم الاجتماعي وبناء دولة المؤسسات.

ما قامت به "هيئة الإنصاف والمصالحة" على المستويين السوسيولوجي والسياسي يتطابق، وبشكل مثير للإعجاب، مع المفهوم الريكوري التطهيري "العمل على التذكر" (Perlaboration). تمثلت هذه الآلية المؤسساتية في استدعاء الضحايا وتوفير فضاء عام وآمن للسرد المنطوق والمباشر (جلسات الاستماع العمومية المتلفزة). في هذه الجلسات، لم يكن السرد مجرد ترفيه أو إطناب بلاغي؛ بل كان "فعلاً سياسياً ووجودياً" مكن من تحويل "الألم المكتوم والفردي" إلى "خطاب جمعي" معترف به وطنياً.

لقد أعاد هذا المسار الانتقالي الاعتبار الإنساني لـ "الهوية السردية" للضحية، وحقق ما أسماه ريكور بـ "اللحظة الهيغلية" من الاعتراف المتبادل (Anerkennung) داخل نسيج الأمة، حيث أعيد الاعتبار للفاعل المعارض كجزء من كتابة التاريخ المشترك. وفي هذا السياق الدقيق، يعتبر قرار الدولة بالكشف عن الحقيقة التاريخية، جبر الضرر، وتعويض المتضررين، بمثابة تأسيس سوسيولوجي وقانوني لـ "ذاكرة هادئة وعادلة"، ممهداً الطريق لتبني مفهوم "الصفح" (Forgiveness) الذي بحثه ريكور في أواخر أعماله. فالصفح، في

سياق العدالة الانتقالية المغربية، ليس مرادفاً للنسيان الإرادي، أو للإفلات من العقاب التاريخي، أو لطمس الحقيقة؛ بل هو تحرير إرادي للفعل والمجتمع من ماضيه المؤلم والمقيد، من أجل توجيه طاقة الأمة نحو المستقبل وإبرام "وعد" جديد للعيش المشترك (الزين، 2014). إنها، بكل وضوح، حالة انتقال وجودي من الهوية العينية الجماعية المثقلة بإرث الاستبداد وأحادية الرؤية، إلى هوية ذاتية ديناميكية تتبنى اليوتوبيا الممكنة والواقعية لبناء دولة الحق والقانون والمؤسسات.

3.3 رهانات الانتماء المتعدد والتحديث الاجتماعي: تدبير التوتر بين ثبات التقاليد وتحولات العولمة

في خضم هذا البناء، يواجه المشهد السوسيولوجي والإستراتيجي في المغرب سلسلة من الرهانات المعقدة المرتبطة بمأسسة هذا الانتماء المتعدد، وضمان تدبير سلمي وتراكمي للتغير الاجتماعي المتسارع. بالعودة إلى تنظيرات ريكور حول الجدلية القائمة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا، يمكن تقديم قراءة دقيقة لطبيعة التجاذبات المفتوحة التي تخترق الحقول الدينية والسياسية والثقافية في البلاد الراهنة.

من جهة أولى، تلعب "الإيديولوجيا" السائدة دورها المحافظ والكلاسيكي في السعي الحثيث لتأمين الاندماج الاجتماعي (Integration) عبر استدعاء التقاليد العريقة، والطقوس الموروثة، والمرجعيات الدينية المحافظة التي تشكل في مجموعها "الطبع" الثابت (Idem) للشخصية المغربية. يمثل هذا التوجه صمام أمان ضد التفكك والاستلاب الثقافي التام في مواجهة الغزو القيمي الخارجي. لكن، كما حذر ريكور، فإن الانغلاق والتحجر ضمن هذا المستوى الإيديولوجي الصلب قد يؤدي إلى رفض قيم التحديث الكونية والتقوقع الهوياتي العنيف، مما يحول دون استجابة مؤسسات الدولة والبنيات الاجتماعية لتطلعات الأجيال الصاعدة والاحتياجات المتزايدة للمجتمع المدني (Laroui, 2005).

من جهة ثانية، يتم تفعيل البعد "اليوتوبي" (Utopia) – بمعناه الريكوري الإيجابي كخيال استشرافي ومحرك للتاريخ – عبر دينامية حركات التغيير الاجتماعي، ومطالب الحريات الفردية، وحركات الدفاع المستميت عن الحقوق الثقافية واللغوية. يمكن أخذ "الحركة الأمازيغية" (قبل دسترة اللغة الأمازيغية عام 2011) كمثال ساطع لليوتوبيا التي خلخلت الإجماع الإيديولوجي العروبي السابق، وكذا الديناميات النسوية المدافعة عن

إعادة صياغة جذرية لقوانين الأسرة والمنظومة الجنائية في أفق مساواتي حقيقي. هذه المطالب "اليوتوبية"، التي تسعى إلى اختراق ما هو كائن وتأسيس ما يجب أن يكون، تُحدث رجات ضرورية في البنية التقليدية وتدفع صانع القرار والمجتمع معاً نحو إدماج مفاهيم جديدة داخل بنية السردية الوطنية.

الرهان الأكبر الذي يطرحه مفهوم "الهوية المركبة" اليوم، وفي أفق التحديث الديمقراطي والاجتماعي بالمغرب، يكمن في مدى القدرة الجماعية (الدولة والمجتمع) على بلورة سرديات تستوعب هذه التوترات المتعارضة من دون إحداث قطائع دموية أو صراعات عدمية. فالفاعل الاجتماعي يحتاج بشكل ملح إلى أدوات تأويلية وإطار مؤسساتي يمنحه القدرة على إنتاج "هوية سردية" مؤسساتية مرنة، تعترف فيها الدولة بالمكون الثقافي واللغوي المتعدد كرافد أساسي للتنمية المندمجة وكقوة ناعمة للبلاد، بدلاً من التعامل معه بريبة أو كمصدر للتهديد والانفصال. وهذا ما يعكسه، إلى حد بعيد، التوجه الدستوري المغربي الحديث (وثيقة 2011) الذي أقدم على صياغة "سرد دستوري جديد" ديباجته تقر صراحة بالهوية الموحدة التي تتكون وتتغذى من روافد متعددة ومختلفة، مجسداً بذلك ترجمة قانونية وسياسية حية للمقترب الهرمينوطيقي حول "توليف غير المتجانس" الذي قضى بول ريكور جل حياته الفكرية منظراً له ومدافعاً عن فاعليته.

خاتمة

أبرز النتائج

أظهرت هذه الدراسة البحثية، عبر حفرها العميق والمستفيض في العدة المعرفية والأنطولوجية لفلسفة بول ريكور، أن الهوية (فردية كانت أم جماعية) لا يمكن فهمها ولا تدبيرها بشكل سكوني وجوهراني صلب، بل هي مشروع تفاعلي ووجودي ديناميكي مستمر. يتم بناء الهوية المزدوجة والمركبة بنجاح عبر الآلية الجدلية للهوية العينية (Idem) التي تحفظ ديمومة الشخص عبر العادات والتراكم الثقافي، والهوية الذاتية (Ipse) التي تمنحه الإرادة المطلوبة والمسؤولية لمواجهة تغيرات الزمان والوفاء بالتزاماته الأخلاقية. وقد تأكد بشكل قاطع أن "السرد" يمثل الآلية الهرمينوطيقية المثلى لرأب الصدع بين هذين القطبين؛ فالحبكة السردية تنجح

في جمع شتات التجارب الإنسانية وتوليف التناقضات لتأسيس كينونة متماسكة أخلاقية، لا تُنكر وجود الآخر المختلف، بل تجعله جزءاً مؤسساً من تشكيلها العميق عبر آلية الاعتراف المتبادل.

كما توصلت الدراسة إلى أن الذاكرة الجماعية تمثل امتداداً طبيعياً للهوية السردية في المجال الاجتماعي والسياسي الواسع، حيث تبقى هذه الذاكرة عرضة باستمرار للاختطاف والاستغلال الإيديولوجي الساعي لشرعنة السلطة وفرض النسيان القسري على الفئات المستضعفة. إن تحصين الهوية الجماعية من هذه الآفات يتطلب التزاماً مجتمعياً بالتاريخ الموضوعي، ومزاوجة نقدية وعقلانية بين الإيديولوجيا (كقوة إدماجية تحفظ التماسك) واليوتوبيا (كأفق للخيال التحرري القادر على إحداث التغير الاجتماعي المنشود).

وقد أبانت التطبيقات المنهجية لهذه المفاهيم المجردة على السياق المغربي الراهن عن خصوبة سوسيولوجية كبرى. فقد أسهم المقترب الريكوري في تقديم إطار تفسير متين لنجاعة السرديات الوطنية أثناء تجربة "العدالة الانتقالية" بالمغرب، موضحاً كيف تم تحويل الذكريات المجروحة إلى ذاكرة عادلة وهادئة عبر مأسسة السرد العمومي وإرساء ثقافة الاعتراف المتبادل. كما قدم هذا الإطار تفسيراً مقنعاً لقدرة "الهوية المغربية المركبة" (التمغربيت) على تدبير روافدها الثقافية المتباينة والمعقدة، مستلهمة التوليف السردي لتجنب السقوط في المآزق الاختزالية للهويات المغلقة والقاتلة.

لائحة المراجع المعتمدة بالعربية والفرنسية

- الزين، محمد شوقي. (2014). *سياسات الذاكرة والمصالحة: حوار مع فرانسوا دوس حول بول ريكور والعدالة الانتقالية*. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- ريكور، بول. (2002). *محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا*. (ترجمة فلاح رحيم). دار الكتاب الجديد المتحدة.
- ريكور، بول. (2005). *الذات عينها كآخر*. (ترجمة جورج زيناتي). المنظمة العربية للترجمة.
- ريكور، بول. (2006). *الزمان والسرد: الحبكة والرواية التاريخية*. (ترجمة سعيد الغانمي). دار الكتاب الجديد المتحدة.

- Brubaker, R. (2001). Au-delà de l'identité .*Actes de la recherche en sciences sociales*.85-66 ,(4)139 ,
- Chaddadi, A. (2009 .(*Comment peut-on être marocain* .Maisons des arts, des sciences et des lettres.
- Chang, J. (2024). Narrative Identity, followability, resonance, co-authorship, narrative hospitality .*Études Ricœuriennes/Ricœur Studies* , .(1)14
- Czarniawska-Joerges, B. (1995). Narration or organizing? How to use Ricoeur's ideas in organizational studies .*Scandinavian Journal of Management*.25-11 ,(1)11 ,
- Laroui, A. (2005 .(*Hassan II et le Maroc* .Centre culturel arabe.
- Ricœur, P. (1986 .(*Du texte à l'action. Essais d'herméneutique, II* . Seuil.
- Ricœur, P. (1988 .(*Time and Narrative (Volume 3*) .(Trans. Kathleen Blamey and David Pellauer). University of Chicago Press.
- Ricœur, P. (1990 .(*Soi-même comme un autre* .Seuil.
- Ricœur, P. (1992 .(*Oneself as Another*) .Trans. Kathleen Blamey). University of Chicago Press.
- Ricœur, P. (2000 .(*La mémoire, l'histoire, l'oubli* .Seuil.
- Taylor, G. H. (Ed.). (1986 .(*Lectures on Ideology and Utopia by Paul Ricoeur* .Columbia University Press.
- Van Den Hengel, J. (1994). Paul Ricoeur's Oneself as Another and Practical Theology .*Theological Studies*.480-458 ,(3)55 ,

The importance of Artificial Intelligence and Digitization in Preserving and maintaining the Historical and Cultural Heritage of the African Continent

Boumediene Aicha [1]
University of Tamanghasset, Algeria
a.boumedine@univ-tam.dz
Haba Khadidja [2]
University of Tamanghasset, Algeria
k.habba@univ-tam.dz

Abstract:

This study seeks to explore the significance of technology and Artificial intelligence (AI) in preserving the historical and cultural heritage of the African continent. It highlights several pioneering initiatives in this field, such as the digital archiving of Timbuktu manuscripts Furthermore, the study examines the preservation of African languages via AI-driven projects designed to counter linguistic alienation and Eurocentrism, Additionally, the study presents practical models for restoring African antiquities using AI techniques, the findings conclude that the integration of technology and AI has effectively transformed heritage from a material vulnerable to extinction due to conflict and looting into sustainable digital archive that can be retrieved and utilized at any time.

Keywords : Africa, African Heritage, Artificial Intelligence, Digitization, Eurocentrism.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

أهمية الذكاء الاصطناعي و الرقمنة في صيانة و حفظ الموروث التاريخي و الحضاري للقارة الإفريقية

بومدين عائشة [1]

جامعة تامنغست –الجزائر–

a.boumedine@univ-tam.dz

هابة خديجة [2]

جامعة تامنغست

k.habba@univ-tam.dz

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف أهمية التقنية و الذكاء الاصطناعي في صيانة الموروث الثقافي التاريخي للقارة الإفريقية و تعرض بعض المبادرات الرائدة في هذا المجال ،مثل أرشفة مخطوطات تمبكتو رقميا بفضل جهود منظمة سافاما– دسي Savama-Dci ،و صيانة اللغات الإفريقية و حفظها ، عن طريق الذكاء الاصطناعي بابتكار مشاريع لمواجهة الاستلاب اللغوي و المركزية الأوربية مثل مشروع "أفريكان نيكست فويز African Next Voices باعتباره مبادرة لدمج اللغات الإفريقية في تقنيات الذكاء الاصطناعي و منصة ماساكانيMasakhane التي تعتبر منظمة بحثية قاعدية رسالتها تقوية و تعميق أبحاث اللغة الطبيعية NLP فيما يخص اللغات الإفريقية و بأيادي إفريقية ،كما تعرض الدراسة نماذج تطبيقية لترميم الآثار الافريقية بواسطة الذكاء الاصطناعي ،و توصلت الدراسة أن استخدام التقنية و الذكاء الاصطناعي ساهم في تحويل التراث من مادة معرضة للاندثار بسبب النزاعات و النهب إلى أرشيف رقمي مستدام ،يمكن استرجاعه و الاستفادة منه في أي وقت .

الكلمات المفتاحية: إفريقيا ،الموروث الإفريقي ،الذكاء الاصطناعي ،الرقمنة ،المركزية الأوربية .

مقدمة :

تمثل القارة الإفريقية ،بفضل تاريخها العميق ،و تفردها الجغرافي و البشري ،متحفا بشريا و حضاريا هائلا ،إذ تزخر بموروث ثقافي مادي و لا مادي يمتد عبر العصور ،مشكلا ذاكرة حية لتطور البشرية ،و رغم المحاولات التاريخية المستميتة و خاصة تلك التي لها علاقة بالنزعة " المركزية الأوربية " Eurocentrism ،التي سعت إلى تحجيم المكانة الحضارية للأفارقة ،و حصر تاريخ القارة الإفريقية في حقبة الاستعمار الأوربي واعتبار الشعوب الإفريقية شعوبا هامشية و غير فاعلة في حركة التاريخ ،إلا أن الكشوفات الأثرية ،والدراسات التاريخية و الأنثروبولوجيا أثبتت عدم مصداقية هذه السرديات ،مؤكدة أن السجل التاريخي للقارة حافل بالإنجازات و الإبداع الإنساني سواء عن طريق البقايا الأثرية ، أو عبر التراث الشفوي أو الفلكور أو المخطوطات التي تمثل أهم مصادر التاريخ الإفريقي

و مع ذلك يواجه هذا الموروث الحضاري الضخم عدة تحديات و صعوبات ،من بينها تداعيات الحقبة الاستعمارية التي سعت إلى طمس الهُوية ،و بين المخاطر الطبيعية و عوامل التعرية ،و النزاعات و الصراعات و حتى الإهمال ،و أمام هذه التحديات لم تعد الأساليب التقليدية في التوثيق و الحفظ كافية لضمان صمود هذا التراث ،ليصل إلى الأجيال القادمة ،هنا يبرز دور التكامل المعرفي كضرورة حتمية ،حيث تتفاعل العلوم الاجتماعية و الإنسانية مع الثورة الرقمية و تقنيات الذكاء الاصطناعي .

إن أدوات الرقمنة و الذكاء الاصطناعي ليست مجرد أدوات تقنية ،بل تطورت إلى وسائط معرفية قادرة على إعادة بناء التاريخ ،و ترميم المخطوطات التالفة ،و توثيق الرواية الشفوية قبل اندثارها ،مما يساعد الباحثين الآفارقة على الحصول على فرص هامة ،للمبادرة في كتابة تاريخ قارتهم و حفظ ذاكرتها بتقنيات علمية حديثة .و بناء على ما سبق نطرح الإشكالية التالية :**كيف ساهم التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية ولتقنيات الحديثة ،و تحديدا الذكاء الاصطناعي و الرقمنة في حفظ و صيانة الموروث التاريخي والحضاري للقارة الإفريقية ؟،و كيف تشكل هذه التقنيات أداة بناءة للوقوف في وجه محاولات الطمس الحضاري و إعادة الاعتبار للهُوية الإفريقية ؟**

أولا–تعريف الموروث الإفريقي

الموروث هو تراكمات خبرة الأجداد الفكرية و الاجتماعية و المادية ،و المكتوب و الشفوي ،الرسمي والشعبي اللغوي و غير اللغوي ،الذي انتقل إلينا من الماضي البعيد و القريب (شنوف، 2024، صفحة 25).

كما يعد التراث شكلا ثقافيا حافل بالموارد الفكرية و المادية و الشعبية ،و أهمها الأشعار و القصص والحكايات و الحكم و الألغاز ،إلى جانب العادات و التقاليد ،و بناء على ذلك يتشكل " الموروث الثقافي " الذي يضم السلوكيات و الأقوال التي استمرت عبر التاريخ ،و انتقلت مع الفرد من بيئية إلى أخرى و من مكان إلى آخر ،و هو مصطلح شامل يضم في ثناياه البقايا الأسطورية أو الموروث الميثولوجي القديم ،ويمكن اجمال الموروث بالحصيلة النهائية لنتاج الأسلاف الفكري و الاجتماعي و المادي المتوارث عنهم (بوفنش، 2011).

أما بخصوص الموروث الإفريقي فيشكل نظاما متكاملا يجمع بين الجوانب المادية و الحسية ،كالصناعات اليدوية و النحت و الفخار ،و الأدوات الحديدية التي تطورت من المصنوعات الحجرية و الخشبية ،و الجوانب المعنوية التي تشمل المعتقدات الدينية و القيم و التقاليد ،و قد وظف الفرد الإفريقي هذا الموروث عبر الزمن لتنظيم علاقاته المتعددة مع بيئته الطبيعية و مع الآخرين و مع الكون من حوله ،حيث تتجلى في هذه الثقافة قيم جوهرية راسخة ،أهمها الضيافة و الود و السعي الدائم نحو التوافق الاجتماعي ،و الإجماع على القرارات الاجتماعية، إلى جانب فلسفة " الأوبونتو " , ubuntu التي تعلي من شأن الروابط الإنسانية ،مع التركيز بشكل رئيسي على مصلحة الجماعة و تفضيلها على النزعة الفردية (Tondi, 2004, pp. 9-10).

بناء على قراءتنا في الشأن التاريخي الإفريقي، يمكننا تعريف الموروث الإفريقي باعتباره ذلك المزيج المتكامل من تلك الموروثات المادية و اللامادية التي صبغت بلدان و شعوب القارة الإفريقية ،و توارثتها الأجيال جيل بعد آخر، يمتد هذا الإرث ليشمل الشواهد الأثرية العظمى بدءا من أهرامات مصر شمالا وصولا إلى أطلال زيمبابوي جنوبا ،مرورا بالموروث الثقافي الجسدي مثل فنون الزينة ،و الوشوم ،و تشكيلات الشعر الفريدة، التي شكلت علامة فارقة للهوية الإفريقية، كما يتسع هذا المفهوم ليطال الذاكرة الجماعية للقارة، سواء عبر الروايات الشفوية و الرقص الطقوسي و الفلكلور، أو عن طريق المدونات و الوثائق المكتوبة على غرار المخطوطات والنفائس التي حُفظت في خزائن مدينة تمبكتو و حواضر الثقافة الإسلامية، ليشكل كل هذا موروثا حضاريا وتاريخيا للقارة الإفريقية ،و إرثا إفريقيا متفردا بامتياز .

ثانيا–الصعوبات و التحديات التي تواجه حفظ الموروث الافريقي

واجه الموروث الحضاري الإفريقي تحديات كبيرة على مر العصور ،و لعل أخطرها عمليات التهميش و النهب الممنهج التي مارستها القوى الاستعمارية ،و تعد البلاد التي خضعت للاستعمار الفرنسي نموذجا صارخا على ذلك ،إذ دأبت الدولة الفرنسية رسميا على تشجيع استنزاف الآثار الإفريقية حتى مرحلة الاستقلال مدفوعة بعدة دوافع تنوعت بين الكسب المادي ،و الفضول العلمي ،و الرغبة الجامحة في جعل متاحف باريس تنافس نظيرتها في برلين و لندن ،و قد نُهبت هذه الآثار بأساليب شتى ،تراوحت بين بالعنف الجسدي أو الضغط النفسي أو صفقات تبادل مجحفة ،مما خلف جراح غائرة في نفوس الشعوب الإفريقية (Sarr & Savoy, 2018, p. 42) .

و لقد تحصل المستعمر الفرنسي على الكثير من غنائم الحرب من المستعمرات الإفريقية مثل المخطوطات و المجوهرات و الأسلحة ... ،و لم تكن هده المنهوبات مجرد تحف فنية للعرض كما تراها المتاحف الفرنسية بل هي في نظر الشعوب الافريقية عبارة عن مقدسات أو رموز تاريخية ،تذكرهم بتاريخهم و بمعاركهم الدامية ومقاومة أسلافهم للمستعمر ،و يشعر الأفارقة بغضب شديد لأن المؤسسات الفرنسية تجاهلت مطالبهم باسترجاع هذه القطع التي أخذت بالعنف ،لكن يواجه الباحثون صعوبة كبيرة في اثبات أن هذه الغنائم الموجودة بالمتاحف مسروقة ،بسبب تشتيت الكنوز التي كانت كاملة من مكان واحد ،حيث تم تفكيكها و توزيعها على عدة متاحف و مؤسسات ليضيع أثره ،و التزوير في السجلات ،حيث يتم تسجيل هذه المسروقات في دفاتر المتاحف على أنها "هدايا" قدمها أشخاص ضباط أو جنود و لم تسجل كغنائم حرب (Sarr & Savoy, 2018).

و لم تسلم المستعمرات البريطانية من نهب الآثار و النفائس الإفريقية و أبرز حضارة تعرضت لذلك الحضارة المصرية الفرعونية ،حيث يحتفظ المتحف البريطاني بمجموعات هائلة تضم مومياوات مصرية و توابيت مزينة بصور شخصية ،عُثر عليها بمنطقة الفيوم و مواقع مصرية أخرى ترجع إلى العهد الروماني ،و يتم عرض هذه المقتنيات الكبيرة ،و تُقسم بين الجناح المصري و الجناح الإغريقي الروماني داخل المتحف (الهدار، 2006، صفحة 24).

و لم تنج منطقة القرن الإفريقي من هذا المصير ،حيث توزعت آثار حضارة أكسوم القديمة بين المتاحف الألمانية و الإيطالية ،فبعد أن عثرت البعثة الأثرية الألمانية على آثار هذه الحضارة عام 1906 ،اتسعت عمليات البحث و التنقيب خلال حقبة الاحتلال الإيطالي لتشمل مواقع أساسية مثل أكسوم و أدوليس ،و لعل أبرز الشواهد على هذا النهب ،نقل مسلة أكسوم الحجرية المزخرفة الضخمة لنصبها في روما ،علاوة على الاستيلاء على آثار متنوعة من نقوش و فخار و عملات ،تشهد على المكانة الحضارية المتفردة لإمبراطورية أكسوم قديما (الهدار، 2006، صفحة 24).

و لم يتوقف ضياع الموروث الحضاري الإفريقي و نهبه و تلفه في الحقبة الاستعمارية ،بل استمر الوضع حتى بعد الاستعمار ،فلم تستطع الحكومات الافريقية المستقلة أن تحمي آثارها و إرثها التاريخي ففي نيجيريا إبان الحرب الأهلية بين سنتي 1967 -1970 ،استولت مجموعة مسلحة على متحف أورون في شرق البلاد و جرت محاولات لإنقاذ المقتنيات الاثرية المهمة بنقلها جنوبا إلى بلدة أوموا هيا ،و مع امتداد رقعة الحرب نقلت هذه الآثار إلى منطقة أورلو التي تبعد 70 كلم ،لكن لسوء الحظ و بسبب الجهل بقيمة هذه الكنوز استخدمها السكان المحليين كحطب لإشعال النار (أديومي، 2022) .

علاوة على هذا تمثل " مخطوطات تمبكتو " دليلا حيا على التاريخ المكتوب و النابض بالحياة للقارة الإفريقية ،حيث يصنفها الخبراء بأنها النظير الإفريقي لمخطوطات البحر الميت أو الوثائق الأنجلوسكسونية ،و تعود مجمل هذه النصوص العربية إلى ما يعرف ب " العصر الذهبي " لحاضرة تمبكتو و إمبراطورية سونغاي إبان القرنين الخامس عشر و السادس عشر ،و لا يعرف العدد الحقيقي لهذه المخطوطات ،و إذ كانت الإحصائيات ترى أن العدد قد يصل مئات الالاف (إنجليش، 2022، صفحة 25).

و لقد تعرض هذا الإرث القيم و المتجذر ،لخطر كبير عام 2012 ،عقب الانقلاب في مالي و سيطرة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي على مدينة تمبكتو ،إذ قام المسلحون بتحطيم و تخريب أضرحة أولياء و مشايخ الصوفية ،و بلغت الكارثة ذروتها في 28 يناير 2013 ،عندما أعلن عمدة المدينة أن كافة المخطوطات القديمة قد أحرقت (إنجليش، 2022، صفحة 25).

و لقد نشرت الغارديان البريطانية هذا الخبر الحزين للعالم أجمع ،لكن سرعان ما اتضحت الحقيقة بأن المخطوطات قد نجت ، و هُربت إلى بر الأمان بواسطة رجال مكتبات المدينة عبر عمليات لوجستية معقدة

ورحلة شاقة ، و قد وثق الصحفي البريطاني تشارلي انجلش تفاصيل هذه العملية في كتابه المعون ب "مهربو كتب تمبكتو" (إنجليش، 2022، صفحة 26).

كما دونت الذاكرة التاريخية للقارة الإفريقية فصولا قاتمة من استهداف الإرث الثقافي أثناء النزاعات المسلحة ففي سيراليون ،خلفت الحرب الأهلية (1991-2002) أضرارا جسيمة في متحف العاصمة فريتاون حيث ثُقبت بعض القطع الأثرية بالرصاص ،كما تضرر سقف و نوافذ المتحف مما ساهم في ترك الكنوز المتبقية فريسة لعوامل الطبيعية و الأمطار (أديومي، 2022) .

و في مشهد مأساوي متكرر ،تمثل أثيوبيا نموذجا حيا على هذا التدمير و الخراب المستمر للإرث التاريخي في إفريقيا ،إذ تحول إقليم "تيغراي" الشمالي- الذي يعتبر منطقة ثرية بالتراث الديني و منارة للجذب السياحي -إلى ساحة حرب منذ عام 2020 ،تعرضت فيها المخطوطات النادرة و التحف الفريدة للنهب و التدمير على أيدي القوات المتصارعة مما يهدد بمحو شواهد حضارية لا يمكن استعادتها (أديومي، 2022) .

ثالثا-حفظ الموروث الثقافي و التاريخي للقارة الافريقية عبر التقنيات الحديثة و الذكاء الاصطناعي

1-مخطوطات تمبكتو

ابان الهجمات الإرهابية على مالي ،تعرضت مخطوطات تمبكتو للتخريب و الحرق -مثلما سبق و أسلفنا -،و بفضل جهود عبد القادر حيدرة أحد اهم المهتمين بالمخطوطات في تمبكتو حولت هذه المخطوطات إلى العاصمة باماكو ،و تولت منظمة سافاما- دسي Savama-Dci التي أسسها عبد القادر حيدرة بحفظ هذه المخطوطات ،و هي منظمة غير حكومية أُسست من أجل حماية مخطوطات " تمبكتو " ،و لقد عهدت 35 عائلة بمخطوطاتهم إلى هذه المنظمة لحفظها و جردها .و تهدف هذه المنظمة إلى جرد المخطوطات و تغليفيها ،و توفير الشروط اللازمة لخفضها ،و استعادتها عند الضرورة ،كما تقوم المنظمة بحفظ و حماية المخطوط إبان الأزمات ،و في أثناء تواجد هذه المخطوطات لدى المنظمة سافاما -دي تخضع لترتيبات متعددة من أجل الحفظ و الفهرسة ((SAVAMA-DCI), s.d.).

مهام منظمة سافاما -دي Savama-Dci لحفظ التراث المخطوط

-استكمال قوائم الجرد اليدوية لجميع المكتبات ،و لقد قامت إلى حد الآن بجرد حوالي 17 مكتبة من اجمالي 35 الخاصة بعائلات تمبكتو ،و ما يبلغ 161628 مخطوطة أي حوالي 45 % من مجموع المخطوطات البالغ 377491 مخطوط

-حفظ المخطوطات بتغليفها و تخزينها في ظروف حفظ جيدة ،و يجري العمل حاليا في مواقع التخزين الست في العاصمة باماكو بتكييف الهواء ،و تركيب الرفوف ،و إزالة الرطوبة و غير ذلك

-توفير الظروف الملائمة في مكتبات العائلات التي سلمت مخطوطاتها للمنظمة ،في إعادة البناء و التجديد و التركيب ،و تكييف الهواء ،و تركيب الرفوف و إزالة الرطوبة ،لتوفير الجو المناسب لإعادة المجموعات ((SAVAMA-DCI), s.d.).

-مراحل حفظ الموروث المخطوط في منظمة سافاما -دي Savama-Dci

-إزالة الغبار عن العبوات ،و تنظيف المخطوطات التي بداخلها أيضا

-تعبئة المخطوط في أغلفة و صناديق ورقية ،تبدأ العملية بتغطية كل مخطوط بشكل منفرد بورق محايد أي خالي من الأحماض ،و ذلك لمنع الاحتكاك المباشر و توفير حاجز كيمائي يمنع انتقال الحموضة ،كما توضع عشر مخطوطات على الأكثر في غلاف ورقي محايد آخر مربوط بشريط ،كما تستخدم صناديق كرتونية خالية هي الأخرى من الحموضة لحفظ المخطوطات .

-ترقيم المخطوطات لتتاح لعامة القراء و لحمايتها من الاندثار ،و تتم العملية بواسطة عشرات الماسحات الضوئية ،و تشتمل التجهيزات على محطات عمل متنوعة ،منها ما يحتوي على 3 ماسحات ضوئية ،وأخرى تضم تسعة ،و تزود بعض الأجهزة ب "فلاشات " ،كما تتوفر تقنيات متقدمة للمسح الضوئي مدعومة من شركة جوجل Google في غرفة مخصصة و مجهزة .

-تخزين المخطوطات في عدة مرافق للتخزين في مدينة باماكو .

-الترويج للمخطوط و نشره ،التي تعتبر آخر مهمة تقوم بها منظمة **سافاما -دي Savama-Dci** عبر منصة جوجل الفنون و الثقافة .

-كما تقوم المنظمة بالبحث و التقصي و جمع المخطوطات ،و تنظم بعضها و تصدره في مطبوعات. ((SAVAMA-DCI), s.d.)

2- اللغة و التاريخ الإفريقي

يواجه الأفارقة مفارقة صعبة ،فهم يتصلون ببقية العالم ،و يعلمون عنه أكثر من معرفتهم عن تاريخهم وحضارتهم فعلى الصعيد الثقافي ،نجد الشباب الإفريقي اليوم أكثر علما بتاريخ الإمبراطورية البريطانية في مقابل انحسار ما يعرفونه عن إمبراطورية غانا العريقة ،و بات من المرجح أن يتردد صدى " نابليون بونابرت " بينهم اكثر من شخصية سونديانا كيتا مؤسس مملكة مالي الإسلامية ،و من الأكيد أنهم سمعوا عن إيلون ماسك أغنى أغنياء العالم في المقابل لم يسمعوا عن الملك منسى موسى ملك مالي و أكثر الأثرياء شهرة في القرن الرابع عشر (Louad, 2024, p. 5) .

علاوة على هذا واجهت القارة الافريقية مشكل "الاستعمار الرقمي " بسبب الاعتماد المفرط على تقنيات ذكاء اصطناعي صُممت حسب السمات و الميزات الغربية ، مع سيادة اللغة الإنجليزية كأهم لغة في المجال التقني ،لذلك تجد المجتمعات الإفريقية نفسها معزولة رقميا ،مما يهمش التنوع الثقافي الإفريقي ،و يجرم هذه المجتمعات من التفاعل بلغاتها الأم (نوير، 2025) ،و هذا يعني أن تقنيات و أساليب الذكاء الصناعي لم تحترم خصوصيات و تفرد الشعوب الإفريقية ،و مثلما كان التاريخ الإفريقي حبيسا للمركزية الإفريقية ،ها هي التكنولوجيا العالمية تقع في نفس الفخ ،لذلك لابد من توليد ذكاء اصطناعيا جديد يخاطب إفريقيا باللغات التي تفهمها ،و يقدم معلومات و خدمات تتماشى مع طبيعة هذه المجتمعات .

وفي هذا السياق يبرز الدور المحوري الذي لعبه عمالقة التكنولوجيا في" وادي السيلكون "، الذين أدركوا مؤخرا القيمة الاستراتيجية والاستثمارية للغات القارة الإفريقية ،حيث سارعت الشركات الكبرى ،و على رأسها " جوجل " إلى دمج اللغات المحلية ضمن أنظمة معالجة اللغة الطبيعية NLP ،الذي يمثل أهم أنظمة الذكاء الاصطناعي ،و يمكن أجهزة الكمبيوتر من فهم و تفسير و إنشاء أبحاث اللغة البشرية للغات الإفريقية و خلق فضاء رقمي أكثر شمولية و استجابة لخصوصيات المنطقة ،و قد تجلى هذا الاستثمار بشكل ملموس في تحديث تطبيق Google Translate ليشمل اثنى عشر لغة إفريقية عبر نظامي التشغيل iOS و Android،بما في ذلك لغة الهوسا و اليوروبا و الإيغبو ،و هي أكثر اللغات استخدما ف غرب إفريقيا مما يعد خطوة هامة نحو تذليل العقبات أمام ملايين المستخدمين (حسام، 2023) .

كما قامت شركة مستعرضات الويب Mozilla بدمج لغة "التوي Twi "في مستودعها اللغوي مفتوح المصدر، Common Voice (حسام، 2023).

كما برزت منصات إفريقية حاولت أن تصحح الوضع الرقمي بما فيها خوارزميات الذكاء الاصطناعي التي لا تراعي السمات و الخصائص الإفريقية و لا تحترم الموروث الثقافي و التاريخي للقارة ،و من أبرز هذه المنصات منها ماساكانيMasakhane التي تعتبر منظمة بحثية قاعدية رسالتها تقوية و تعميق أبحاث اللغة الطبيعية NLP فيما يخص اللغات الإفريقية و بأيادي إفريقية ،و تعبر المنظمة عبر رسالتها أن الماضي المأساوي للاستعمار دمر اللغات الإفريقية ،مما أدى إلى خلق فضاء تكنولوجي لا يفهم أسماءنا الإفريقية وثقافتنا و بلداننا و تاريخنا ،و تعني كلمة ماساكاني Masakhane بلغة "ايزيزولو "في جنوب إفريقيا **"نحن نبني معا** "،و تسعى المنظمة أن يقوم الأفارقة بإنشاء و امتلاك التقنيات المتطورة و بناء مجتمع شامل و تأسيس أبحاث تشاركية مفتوحة ،و فتح تعدد التخصصات ("masakhane", s.d.) .

و من القيم التي تروج لها هذه المنظمة الرقمية تبني المركزية الإفريقية حيث تتعامل مع الروايات الإفريقية كعلاج لأثار المركزية الأوربية على الأفكار الإفريقية ،و تتبكر طريقة جديدة للنظر إلى المعلومات بمنظور إفريقي .

و الايمان أن الأفارقة يجب أن يشاركوا في عملية أبحاث معالجة اللغة الطبيعية ،بدلا من كونهم مجرد مراقبين أو مزودي بيانات ("masakhane", s.d.) .

و بالتالي إحياء الإرث التاريخي الإفريقي حسب نظرة و سردية إفريقية خالصة ،و بعيدة عن أي تأثيرات خارجية .

كما برز مشروع "أفريكان نيكست فويسز African Next Voices باعتباره مبادرة لدمج اللغات الإفريقية في تقنيات الذكاء الاصطناعي ،و يعتبر المشروع ركيزة أساسية للتمكين اللغوي ،حيث نجح هذا المشروع في بناء أضخم بنية تحتية لغوية تشمل 9000 ساعة من المحادثات البشرية الحية ل 18 لغة و لهجة محلية في نيجيريا و كينيا وجنوب إفريقيا، مثل الكيكويو ودولو في كينيا، والهاوسا واليوروبا في نيجيريا، وإيزيزولو وتسيفيندا في جنوب إفريقيا، وهي لغات يتحدث بها ملايين الأشخاص ،وهذا حسب تقارير مجلة "نتشير "في جويلية 2025 ،و لم تقتصر هذه الجهود في تجميع البيانات فقط ،بل استخدمت تقنية دقيقة لتوثيق الحوارات البشرية في سياقات الحياة اليومية كالتعليم و الصحة و الزراعة

لضمان واقعية التفاعل اللغوي، ثم خضعت لعمليات نسخ دقيقة وتعليقات ''ميتاداتية'' تتعلق بالسياق، اللهجة، جنس وهوية المتحدثين العمرية. مثلت هذه الخطوات نقلة نوعية؛ إذ وفرت للنماذج بيانات أصيلة تمكنها من فهم الخصائص الطبيعية للغات الإفريقية (عدلي قسطندي، 2025).

إلى جانب المبادرات القارية ،برزت نيجيريا كلاعب أساسي عن طريق مشاريع محلية مهمة في الذكاء الاصطناعي اللغوي ،في مقدمتها مشروع نايجا فويسز Naija Voices ،و الذي يمثل قاعدة بيانات تضم 1800 ساعة من النصوص الصوتية المتنوعة ،ساهم فيها 5000 متحدث ،و يتضمن اللغات الثلاث في نيجيريا و هي الايجبو و الهوسا و اليوروبا (عدلي قسطندي، 2025) ;("naijavoices", s.d.) .

علاوة على ما سبق مكنت معالجة اللغات الطبيعية NLP بواسطة الذكاء الاصطناعي من تطوير الدردشة الآلية Chatbots والمساعدين الافتراضين الذين يمكنهم التعامل مع اللغات والثقافات الإفريقية (Ijem & El-Qassim, 2025, p. 126).

إضافة لتقنيات الذكاء الاصطناعي استُخدمت تقنية الواقع الافتراضي لإعداد تجارب تعرض الثقافات والسرديات الإفريقية ،و قد استطاع الواقع الافتراضي إنشاء قصص تفاعلية ،و ألعاب و معارض تسمح للمستخدمين بالتفاعل مع التاريخ الإفريقي ،و الميثولوجيا ،و القضايا المعاصرة ،كما وفر الواقع الافتراضي للفنانين و القصاصين الأفارقة فرصة لتجريب أشكال جديدة من السرد و الوصول إلى قاعدة جماهيرية عالمية كما أن التقاطع بين السرديات الإفريقية و الذكاء الاصطناعي و الواقع الافتراضي يتضمن إمكانية كبيرة للابتكار و الإبداع (Ijem & El-Qassim, 2025, p. 126).

إلى جانب ما سبق ساعد الذكاء الاصطناعي في حفظ و ترميم الموروث الأثري في إفريقيا ،ففي نيجيريا رُممت تماثيل ايسي الصابونية في ولاية كورا باستخدام الذكاء الاصطناعي القائم على الشبكات العصبية الالتفافية (CNNs)و أدوات قص الصور ،إذ خلُصت النتائج إلى نجاح الذكاء الاصطناعي في ترميم الأطراف والرؤوس المكسورة بدقة عالية تجاوزت 92 % كما كشفت عن نقوش و زخارف قديمة كانت مخفية تماما و لا تراها العين المجردة ،أما فيما يخص رؤوس ايفي البرونزية و تماثيل التركواتا التي وجدت في ولاية أوسون بنيجيريا فقد استخدمت أدوات شبكات الخصومة التوليدية (GANs) و خوارزميات الترميم المستندة على التماثل لترميمها ،إذ استطاع الذكاء الاصطناعي تخيل و رسم وجه لتمثال نصفي من التراكوتا بدقة وصلت

إلى 98 % باعتماد طريقة الأنصاف المتماثلة ،و العودة إلى الصور الأرشيفية رغم أن ملامح الوجه لم تكن واضحة فيما قبل ،كما تمكن هذا النظام الرقمي من الكشف عن وجود تشابه كبير في أسلوب النحت بين حضارتي إيف و بنين في نيجيريا بنسبة 67 %. (John, 2025, p. 15)

و من هنا يتضح لنا أن الذكاء الاصطناعي قد تجاوز دوره المعتاد كمجرد مصدر للمعلومات أو أداة لاسترجاع البيانات ،ليتحول إلى وسيلة للترميم الرقمي ،إن هذا التوظيف الجديد للتقنية لا يقتصر على الإصلاح المادي للقطع الأثرية ،بل هو أعادة اعتبار للتراث الأثري الإفريقي الذي طمسته عوائد الدهر ،فأصبحت الخوارزميات هي الحارس الجديد للإرث التاريخي الإفريقي.

خاتمة :

مثلت هذه الدراسة محاولة لتبيان العلاقة التكاملية بين العلوم الإنسانية و التقنيات الرقمية الناشئة ،حيث تم تسليط الضوء على الدور المحوري للذكاء الاصطناعي في صيانة الذاكرة الحضارية للقارة الإفريقية ،من خلال التطرق للجهود المبذولة في المجال الرقمي ،و يمكننا إجمال أبرز نتائج البحث فيما يلي :

-مثل الذكاء الاصطناعي أداة لحماية الثقافة الإفريقية إذ أن البرامج و المشاريع التقنية خاصة تلك التي تهتم بمعالجة اللغات NLP استطاعت إلى حد ما مواجهة المركزية الأوربية ،و الاستلاب اللغوي مما يعيد الاعتبار للهوية الإفريقية.

-كما ساهمت التقنيات الحديثة في ترميم و إصلاح القطع التالفة و الضائعة من الأثار الإفريقية ،من أجل التعرف على التاريخ الإفريقي ،و إعادة إحياء فنون الأفارقة ،و صيانتها من الاندثار .

-أكدت تجربة مخطوطات تمبكتو مع منظمة سافاما -دي أن الرقمنة هي الضمانة الوحيدة لحماية التراث المخطوط من الضياع في ظل الصراعات و الحروب التي تشهدها القارة .

قائمة المراجع

"masakhane". (n.d.). *Tweets by MasakhaneNLP, Our Mission,Our Values.* https://www.masakhane.io/

"naijavoices". (n.d.). *Our Language is Our Strength*. https://naijavoices.com/

(SAVAMA-DCI), م. س.-د (s.d.). *"حراس مخطوطات تمبكتو"*. Google Arts & Culture. https://artsandculture.google.com/story/cwXxzf6uEb1aJw?hl=ar

Ijem, B. U., & El-Qassim, I. I. (2025, Jan-March). Reimagining African Literary Narrative through Artificial Intelligence (AI). *Research Journal of English Language and Literature (RJELAL), 13*.

John, A. O. (2025, AUGUST 8TH). Digital Futures of the Past: AI-Driven Cultural Heritage Preservation and Restoration for African . Ondo, Nigeria: Ataba Opeyemi and Co - Researcher Ajonijebu Micheal.

Louad, M. (2024, March). On the Preservation of Africa's Cultural Heritage in the Age of Artificial Intelligence. Tunis: University of Tunis, Institut Superieur de Gestion.

Sarr, F., & Savoy, B. (2018). *Rapport sur la restitution du patrimoine culturel africain. Vers une nouvelle éthique relationnelle,*.

Tondi, T. P. (2004, November). The African cultural heritage: deculturation, transformation and development.

أسماء عبدالحفيظ خميس نوير. (19 يونيو, 2025). قراءة في كتاب: "الذكاء الاصطناعي الجدير بالثقة: رؤى إفريقية"هل يمكن لإفريقيا أن تُعيد تشكيل مستقبل الذكاء الاصطناعي؟ *قراءت إفريقية*.

أفولسادا أديومي. (29 04, 2022). *دمار لتاريخ إنساني عريق.. هل تحمي المعاهدات الدولية تراث أفريقيا الغني من الحروب؟"* . موقع الجزيرة نت (نقلاً عن موقع ذا كونفرسيشن The Conversation)، [https://bit.ly/4a8Omfh].

إنجليش, ت .(2022) .*مهربو كتب تمبكتو: السعي للوصول إلى المدينة التاريخية والسباق من أجل إنقاذ كنوزها ،2022* .مؤسسة هنداوي.

بوفنش, ا .(2011) .الموروث الثقافي و دوره في خدمة المجتمع –مسرحية " عام الجبل " أنموذجا لمصطفى نطور .*مجلة ذخائر*.

خالد محمد الهدار. (يونيو, 2006). نهب آثار إفريقيا و حضارتها. *مجلة الثقافة العربية*.

شنوف, ط .(2024) .توظيف الموروث الثقافي من خلال الومضات الإشهارية .قسنطية, الجزائر: كلية الفنون و الثقافة ،جامعة قسنطينة 3 جامعة بوبنيدر.

عيد حسام. (6 أبريل, 2023). *تقنيات الذكاء الاصطناعي واللغات الأفريقية.. حدود التأثير*. مركز فاروس للاستشارات و الدراسات الاسترتيجية.
https://pharostudies.com/%D8%B9%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B5%D8%B7%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A/

ليديا ،أمير، عدلي قسطندي. (15 نوفمبر, 2025). هل يُشكِّل دَمْج اللغات الإفريقية في الذكاء الاصطناعي مسارًا تحويليًّا من التهميش للتمكين؟ *قراءات إفريقية*.

The Role of Marketing Knowledge and Modern Marketing Strategies in Enhancing the International Competitiveness of Tourist Destinations

Dr. Kouider Kessoum
National Institute Specialized in Vocational Training and Education – Algeria
asso.citoyennete@gmail.com

Abstract :

This study aims to examine the role of marketing knowledge and modern marketing strategies in enhancing the international competitiveness of tourism destinations in an increasingly competitive global tourism market (Kotler & Keller, 2016). The research focuses on analyzing the relationship between marketing knowledge and tourism promotion tools, particularly destination branding and digital marketing, as key mechanisms influencing destination image formation and tourist attraction in international markets (Pike, 2020; Buhalis & Law, 2019).

The study adopts a thematic analytical approach based on a comprehensive review of recent academic literature related to tourism marketing (Middleton, 2018; Morrison, 2018), in addition to the analysis of international reports issued by specialized organizations such as UNWTO (2022) and OECD (2021), as well as selected successful international tourism destination experiences. The research seeks to establish a link between theoretical frameworks and practical marketing practices in order to better understand strategic decision-making in destination marketing (Gretzel, 2019).

The findings indicate that the systematic use of marketing knowledge and data-driven market analysis plays a crucial role in improving destination image, accurately targeting tourist markets, increasing tourist arrivals, and achieving sustainable economic returns (Kotler et al., 2016). Moreover, the results show that integrating traditional marketing approaches with modern digital marketing tools—such as social media marketing and destination branding—significantly enhances the effectiveness of tourism promotion and strengthens destination competitiveness at the international level (UNWTO, 2022; Pike, 2020). The study concludes that investing in marketing knowledge, developing innovative promotional strategies, and adopting

digital technologies are essential prerequisites for achieving long-term success and sustainability in tourism destination marketing (Buhalis, 2020).

Keywords: Tourism marketing, marketing knowledge, tourism promotion, destination branding, digital marketing.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

دور المعرفة التسويقية واستراتيجيات التسويق الحديثة في تعزيز تنافسية الوجهات السياحية دوليا

أ.د قسوم قويدر
المعهد الوطني المتخصص في التكوين و التعليم المهنيين – الجزائر
asso.citoyennete@gmail.com

ملخص :

يهدف هذا البحث إلى تحليل دور المعرفة التسويقية واستراتيجيات التسويق الحديثة في تعزيز القدرة التنافسية للوجهات السياحية على المستوى الدولي، في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها قطاع السياحة العالمي واشتداد المنافسة بين الوجهات السياحية .(Kotler et al., 2016) ويركّز البحث على دراسة العلاقة بين المعرفة التسويقية وأدوات الترويج السياحي، ولا سيما بناء العلامة السياحية والتسويق الرقمي، باعتبارهما من أهم الآليات المؤثرة في تشكيل صورة الوجهة السياحية وتعزيز جاذبيتها في الأسواق الدولية.(Pike, 2020)

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الموضوعاتي، من خلال مراجعة الأدبيات الأكاديمية الحديثة ذات الصلة بالتسويق السياحي(Middleton, 2018; Morrison, 2018) ، إضافة إلى تحليل تقارير المنظمات الدولية والتجارب الدولية الناجحة في مجال ترويج الوجهات السياحية .(UNWTO, 2022; OECD, 2021)

كما سعى البحث إلى الربط بين الجوانب النظرية والتطبيقية لفهم كيفية توظيف المعرفة التسويقية في دعم القرارات الاستراتيجية المتعلقة بتسويق الوجهات.

وتوصلت نتائج البحث إلى أن اعتماد المعرفة التسويقية المبنية على التحليل العلمي للبيانات يُعد عنصرًا محوريًا في تحسين صورة الوجهة السياحية، وزيادة عدد السياح، وتحقيق عائد اقتصادي مستدام (Buhalis & Law, 2019).كما أظهرت النتائج أن التكامل بين استراتيجيات التسويق التقليدية والأدوات الرقمية الحديثة يسهم بشكل فعّال في تعزيز تنافسية الوجهات السياحية على الصعيد الدولي.(UNWTO, 2022)

الكلمات المفتاحية :التسويق السياحي، المعرفة التسويقية، الترويج السياحي، العلامة السياحية، التسويق الرقمي.

المقدمة :

تُعد السياحة من أهم القطاعات الاقتصادية التي تساهم في دعم النمو الاقتصادي، وتوفير فرص العمل، وزيادة الدخل القومي للدول .(Middleton, 2018) ومع تزايد المنافسة بين الوجهات السياحية على المستوى الدولي، أصبح من الضروري اعتماد استراتيجيات تسويقية فعّالة تقوم على المعرفة التسويقية والتحليل العلمي للأسواق من أجل جذب السياح وبناء صورة إيجابية ومستدامة للوجهات السياحية.(Kotler et al., 2016; Pike, 2020)

وتلعب المعرفة التسويقية دورًا محوريًا في دعم اتخاذ القرارات الاستراتيجية، إذ تُمكّن الجهات السياحية من فهم احتياجات السياح وتوجهات السوق، وتساعد على تطوير المنتجات والخدمات السياحية بما يتلاءم مع متطلبات السياح المعاصرين .(Morrison, 2018; Buhalis, 2020) كما أصبح الترويج السياحي الحديث يعتمد بشكل متزايد على الأدوات الرقمية وبناء العلامة السياحية لتحقيق ميزة تنافسية في الأسواق العالمية.(Gretzel, 2019)

1. المعرفة التسويقية وأهميتها في التسويق السياحي :

1.1 مفهوم المعرفة التسويقية :

تشير المعرفة التسويقية إلى عملية جمع وتحليل المعلومات المتعلقة بالسوق السياحي وسلوك السياح والمنافسين، بهدف دعم اتخاذ القرارات الاستراتيجية وتحقيق ميزة تنافسية مستدامة (Kotler & Keller, 2016; Morrison, 2018).

1.2 مصادر المعرفة التسويقية السياحية :

1.2.1 المصادر الأولية :

تشمل الاستبيانات والمقابلات والملاحظات المباشرة مع السياح، والتي توفر بيانات دقيقة حول رضاهم وتوقعاتهم.(Middleton, 2018)

1.2.2 المصادر الثانوية :

وتتمثل في الدراسات السابقة، التقارير الرسمية، والإحصاءات السياحية الوطنية والدولية (OECD, 2021; UNWTO, 2022).

1.2.3 المصادر الرقمية :

وتشمل تحليل البيانات المستخرجة من وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية (Gretzel, 2019; Buhalis & Law, 2019).

1.3 دور المعرفة التسويقية في اتخاذ القرار السياحي :

تسهم المعرفة التسويقية في تحسين جودة القرارات من خلال تحديد الأسواق المستهدفة وتقييم الفرص والمخاطر وتطوير المنتجات بما يتوافق مع توقعات السياح(Kotler et al., 2016; Pike, 2020)

تلعب المعرفة التسويقية دورًا محوريًا في تحسين جودة القرارات المتخذة من قبل المؤسسات السياحية والجهات المنظمة للوجهات. فهي تساعد على:

- تحديد الفرص السياحية الواعدة وتحليل الأسواق الجديدة
- تقييم المخاطر المرتبطة بالاستثمار السياحي أو الحملات الترويجية
- اختيار الأسواق المستهدفة بناءً على تحليل دقيق للبيانات
- تطوير المنتجات والخدمات بما يتناسب مع توقعات السائحين وتحقيق رضاهم

1.4. أهمية المعرفة التسويقية في تعزيز التنافسية السياحية :

تساعد المعرفة التسويقية على تحسين صورة الوجهة وزيادة حصتها السوقية، وتصميم حملات ترويجية أكثر فاعلية.(Buhalis, 2020; UNWTO, 2022) .و تشير الدراسات إلى أن الوجهات السياحية التي تعتمد على المعرفة التسويقية الشاملة تظهر قدرة أكبر على المنافسة، وتحسين العلامة السياحية، وزيادة الحصة السوقية في السياحة الدولية. كما أن استخدام المعلومات الدقيقة يساعد على تصميم حملات ترويجية مبتكرة، وتوظيف الوسائل الرقمية والتقليدية بطريقة تكاملية لتعزيز جاذبية الوجهة وتحقيق عائد اقتصادي أفضل .

.2 استراتيجيات التسويق السياحي الحديثة :

2.1 مدخل إلى استراتيجيات التسويق السياحي الحديثة :

تعتبر الاستراتيجيات التسويقية الحديثة أداة أساسية لتطوير الوجهات السياحية وتعزيز قدرتها التنافسية على الصعيد الدولي. وتشمل هذه الاستراتيجيات استخدام تقنيات التسويق الرقمي، بناء العلامة السياحية،

تحليل السوق، وتحديد الشرائح المستهدفة بشكل دقيق. وتهدف هذه الاستراتيجيات إلى زيادة وعي الجمهور بالوجهة، تحسين صورة الوجهة في الأسواق المختلفة، وتقديم تجربة سياحية متكاملة تُلبي توقعات السائح حيث تركّز على الابتكار واستخدام الأدوات الرقمية الحديثة.(Pike, 2020; Gretzel, 2019)

2.2 تجزئة السوق واستهداف الشرائح السياحية :

تُعد تجزئة السوق السياحي واحدة من أهم الاستراتيجيات الحديثة، حيث يتم تقسيم السوق إلى مجموعات ذات خصائص مشتركة، مثل العمر، الاهتمامات، القدرة الشرائية، أو أسلوب السفر. ومن ثم توجيه حملات تسويقية مصممة خصيصًا لكل شريحة بهدف تحقيق أعلى معدلات رضا وفعالية في الترويج. وتشير الدراسات إلى أن الوجهات التي تعتمد على استراتيجيات دقيقة لتجزئة السوق تكون أكثر قدرة على جذب السياح المناسبين وتحقيق عائد اقتصادي أكبر وتعتمد على تقسيم السوق إلى شرائح متجانسة، وتوجيه الحملات الترويجية لكل شريحة بدقة.(Kotler et al., 2016)

2.3 بناء العلامة السياحية للوجهات :

تمثل العلامة السياحية هوية الوجهة ووسيلة لتمييزها عن المنافسين (Buhalis, 2020; Pike, 2020) ، حيث يُعد بناء العلامة السياحية عنصرًا أساسيًا في التسويق الحديث للوجهات، حيث يعكس هوية الوجهة، قيمها الثقافية، الطبيعية، والتاريخية، ويخلق صورة متميزة في ذهن السياح. وتساهم العلامة السياحية القوية في تعزيز الوعي بالوجهة، تحسين الثقة

بين المستهلكين، وزيادة تفضيل الوجهة على المنافسين. كما أن العلامة المتميزة تدعم الحملات الترويجية وتساهم في تحقيق استدامة اقتصادية وثقافية للوجهة .

2.4 التسويق الرقمي في القطاع السياحي :

يساهم في تعزيز التفاعل مع السياح وتحسين فعالية الحملات الترويجية عبر الإنترنت (Gretzel, 2019; UNWTO, 2022). كما أصبح التسويق الرقمي من أهم الأدوات الحديثة في الترويج السياحي، حيث يتيح الوصول إلى الجمهور المستهدف بطريقة مباشرة وفعّالة عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. ويشمل التسويق الرقمي: تحسين محركات البحث، الحملات الإعلانية المدفوعة، إنشاء محتوى جذاب، واستخدام التحليلات الرقمية لقياس الأداء وتعديل الاستراتيجيات وفق النتائج. وتؤكد الدراسات أن دمج

التسويق الرقمي مع استراتيجيات العلامة السياحية التقليدية يزيد من جاذبية الوجهة ويعزز التفاعل مع السائحين على المستوى العالمي.

3. الترويج السياحي والتجارب الدولية :

3.1 مفهوم الترويج السياحي وأهميته :

يُعرف الترويج السياحي بأنه مجموعة الأنشطة والوسائل المستخدمة لإيصال المعلومات حول الوجهة السياحية إلى الجمهور المستهدف بهدف جذب السياح وتحفيزهم على زيارة الوجهة. ويشمل الترويج السياحي الحملات الإعلانية، المعارض السياحية، النشرات والكتيبات، ووسائل الإعلام الرقمية التقليدية والحديثة. وتكمن أهمية الترويج السياحي في تعزيز الوعي بالوجهة، تحسين صورتها في الأسواق الدولية، وزيادة القدرة التنافسية للوجهة مقارنة بالمنافسين.

كما يهدف الترويج إلى تعريف السياح بالوجهة وتحفيزهم على زيارتها.(Middleton, 2018)

3.2 أدوات الترويج السياحي الحديثة :

تشمل الحملات الرقمية، وسائل التواصل الاجتماعي، المحتوى المرئي، والتقنيات الحديثة مثل الواقع الافتراضي .(Buhalis & Law, 2019; Gretzel, 2019) و تشمل أدوات الترويج السياحي الحديثة التسويق الرقمي، الحملات على وسائل التواصل الاجتماعي، التعاون مع المؤثرين، إنشاء محتوى مرئي وجذاب، وتحسين ظهور الوجهة في محركات البحث. كما يتم استخدام الواقع الافتراضي والواقع المعزز لتقديم تجارب افتراضية للزوار المحتملين، مما يعزز من قدرتهم على اتخاذ قرار الزيارة. وتظهر الدراسات أن دمج الأدوات الرقمية مع الطرق التقليدية يزيد من فاعلية الترويج ويحقق نتائج ملموسة في جذب السياح .

3.3 تجارب دولية ناجحة في ترويج الوجهات السياحية :

أظهرت التجارب أن تبنّي استراتيجيات مبتكرة يزيد أعداد السياح ويحسن صورة الوجهة (Spain Tourism Board, 2021; Singapore Tourism Board, 2020). . و توضح التجارب الدولية أن بعض الوجهات استطاعت تحقيق نجاح كبير بفضل استراتيجيات الترويج المبتكرة. على سبيل المثال، تبنت دولة إسبانيا استراتيجية متكاملة تجمع بين العلامة السياحية القوية والتسويق الرقمي، مما ساهم في زيادة أعداد السياح بنسبة ملحوظة خلال السنوات الأخيرة. كما تمكنت سنغافورة من استخدام

الحملات الرقمية وتقديم محتوى تفاعلي عبر الإنترنت لتسويق السياحة الحضرية والثقافية، مما جعلها وجهة مفضلة للسياح من مختلف أنحاء العالم .

3.4 دور المؤسسات والمنظمات السياحية في الترويج :

تسهم في دعم السياسات والحملات الترويجية عبر الشراكات بين القطاعين العام والخاص (OECD, 2021; UNWTO, 2022).

تلعب المؤسسات الرسمية مثل وزارات السياحة والمنظمات الدولية (UNWTO) دورًا محوريًا في دعم الترويج السياحي، من خلال وضع السياسات، تمويل الحملات الترويجية، وتسهيل المشاركة في المعارض الدولية. كما تساهم الشراكات بين القطاعين العام والخاص في تطوير برامج ترويجية مبتكرة، وتقديم عروض سياحية متميزة تعكس الهوية الثقافية الاقتصادية للوجهة. ويعتبر التعاون بين الجهات المحلية والدولية من أهم عوامل نجاح الحملات الترويجية وتحقيق نتائج ملموسة في جذب السياح.

المناقشة النقدية والتوصيات :

أظهرت نتائج البحث أن المعرفة التسويقية واستراتيجيات التسويق الحديثة تعزز تنافسية الوجهات، إلا أن التطبيق يواجه تحديات مرتبطة بالموارد والبنية التحتية الرقمية .(Buhalis, 2020; Pike, 2020) ويوصي البحث بالاستثمار في التحليل التسويقي، تطوير العلامة السياحية، و تعزيز الشراكات الاستراتيجية .(UNWTO, 2022; OECD, 2021).و تشير الدراسة إلى أن المعرفة التسويقية واستراتيجيات التسويق الحديثة تمثلان عنصرين أساسيين في تحسين تنافسية الوجهات السياحية، إلا أن تطبيق هذه الاستراتيجيات قد يواجه عدة تحديات، مثل محدودية الموارد المالية، ضعف البنية التحتية الرقمية، ونقص الكوادر المتخصصة في التسويق السياحي. كما أن بعض الوجهات تعتمد بشكل كبير على الأساليب التقليدية في الترويج، مما يقلل من فعاليتها في الأسواق الدولية التي تتسم بسرعة التحولات الرقمية.

الفجوات والتحديات:

تتمثل أهم الفجوات في أن العديد من الوجهات السياحية لا تستفيد بشكل كافٍ من التحليل العلمي للبيانات التسويقية، مما يؤدي إلى ضعف التوجيه الاستراتيجي للحملات الترويجية . كذلك، هناك تحديات

مرتبطة بتجزئة الأسواق بشكل دقيق واستخدام التقنيات الرقمية الحديثة مثل الواقع الافتراضي والذكاء الاصطناعي، والتي تحتاج إلى استثمارات كبيرة وتدريب مستمر للكوادر.

التوصيات العملية:

- بناءً على النتائج، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات العملية لتعزيز فاعلية التسويق والترويج السياحي:
- الاستثمار في جمع وتحليل البيانات التسويقية لتوجيه القرارات بشكل علمي .
- دمج الأدوات الرقمية الحديثة مع الأساليب التقليدية لتحقيق الترويج الفعّال للوجهة .
- تطوير العلامة السياحية للوجهة بشكل يعكس الهوية الثقافية والاقتصادية، ويستهدف الشرائح السياحية الصحيحة.
- تعزيز الشراكة بين القطاعين العام والخاص لتوفير الموارد اللازمة للحملات الترويجية وتطوير البنية التحتية السياحية.

الخاتمة :

خلص البحث إلى أن المعرفة التسويقية واستراتيجيات التسويق الحديثة عناصر أساسية في تعزيز تنافسية الوجهات السياحية دوليًا، وزيادة العائد الاقتصادي، وتحقيق استدامة القطاع السياحي، مع أهمية تكامل الأدوات الرقمية والتقليدية.(Kotler et al., 2016; UNWTO, 2022; Pike, 2020)

قائمة المراجع :

1.Buhalis, D. (2020). *Digital innovation in tourism*. Routledge.
2 .Buhalis, D., & Law, R. (2019). *eTourism strategies*. Pearson.
3 .Gretzel, U. (2019). *Social media and digital promotion in tourism*. Springer.
4 .Kotler, P. (2016). *Branding in tourism*. Pearson.
5 .Kotler, P., & Keller, K. L. (2016). *Marketing management* (15th ed.). Pearson.
6 .Kotler, P., Bowen, J. T., & Makens, J. C. (2016). *Marketing for hospitality and tourism* (7th ed.). Pearson.
7 .Middleton, V. (2018). *Marketing in travel and tourism*. Routledge.
8 .Morrison, A. (2018). *Hospitality and tourism marketing*. Cengage Learning.
9 .OECD. (2021). *Tourism trends and policies*. OECD Publishing.
.10 Pike, S. (2020). *Destination marketing and branding*. Routledge.
11. Spain Tourism Board. (2021). *Tourism reports*. Spain Tourism Board.
12. Singapore Tourism Board. (2020). *Tourism promotion reports*. Singapore Tourism Board.
13. UNWTO. (2022). *Tourism market trends and digital marketing insights*. UNWTO Publishing.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Scientific research trends in the field of manuscripts at the University of Algiers 2 through university thesis An analytical study

Dr. Mohamed Said Terfas
Senir Lecturer (Maitre de conférence A), University of Algiers 2
ms.terfas@univ-alger2.dz

Abstract

This research paper attempts to shed light on Algerian academic scientific production on manuscript heritage through what has been discussed (master's and doctoral degrees) at the departments and institutes of the University of Algiers 2 from the first discussion to the end of 2025, where the University of Algiers 2 specialized in the humanities, social sciences, and languages, with the knowledge of the extent of the contributions and efforts of professors and researchers in the study of manuscript heritage, including research, cataloging, and control, in order to present it to the community of scholars and researchers. The focus was on the departments and institutes of the University of Algiers, represented by the Institutes of Archaeology and Library Science, as well as the departments of History, Arabic Literature, and Sociology, in order to reveal their numerical and thematic characteristics. Perhaps the most notable conclusion of the study is the volume of scientific production discussed at the University of Algiers 2, which amounted to 116 university theses distributed across the various disciplines taught at the university.

Keywords: Thesis; Scientific production; University of Algiers2;, Algeria ; Manuscripts.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

توجهات البحث العلمي في مجال المخطوطات بجامعة الجزائر2
من خلال الرسائل الجامعية
دراسة تحليلية

د. محمد السعيد ترفاس
معهد علم المكتبات والتوثيق
جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله

ملخص

تحاول هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على الإنتاج العلمي الأكاديمي الجزائري حول التراث المخطوط من خلال ما تم مناقشته (ماجستير ودكتوراه) بأقسام ومعاهد جامعة الجزائر2 بداية من أول مناقشة إلى نهاية سنة 2025، حيث تخصصت جامعة الجزائر 2 في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية واللغات، وذلك بمعرفة مدى إسهام وجهود الأساتذة والباحثين في دراسة التراث المخطوط دراسة وتحقيقا وفهرسة وضبطا، خدمة لتقديمها لمجتمع الدارسين والباحثين، وتم التركيز على أقسام ومعاهد جامعة الجزائر والمتمثلة في معهدي الأثار وعلم المكتبات وكذا أقسام التاريخ والأدب العربي وعلم الاجتماع، وذلك للكشف عن خصائصها العددية والموضوعية، ولعل من أبرز ما خلصت به الدراسة هو حجم الإنتاج العلمي المناقش بجامعة الجزائر2 والذي بلغ 116 رسالة جامعية مناقشة موزعة على مختلف التخصصات المدرسة بالجامعة.

الكلمات المفتاحية : المخطوطات؛ الرسائل الجامعية؛ جامعة الجزائر2؛ البحث العلمي

مقدمة

يمثل التراث المخطوط جزءا هاما من تاريخ وحضارة الأمم، والجزائر كباقي البلدان العربية والإسلامية تمتاز بتنوع تراثها المخطوط وفي شتى أنواع المعرفة والمتواجد على مستوى المساجد والزوايا والمراكز العلمية والمكتبات، وفي جميع ربوع الوطن (**عوفي، 2017، صفحة 12**)، وهذا ما دفع بالمؤسسات الأكاديمية من جامعات ومخابر ومراكز البحث خوض غمار تحقيقها ودراستها للتعريف بها من جهة ومن جهة أخرى نشرها ووضعها تحت تصرف الباحثين قصد التعريف بالتراث المخطوط والاستفادة منه (**مطهري، 2021، صفحة 183**).

وتعتبر المكتبة الوطنية الجزائرية أبرز هيئة تتواجد بها مجموعات المخطوطات ويعتبر رصيد المكتبة الوطنية المخطوطات من أهم المجموعات على المستوى الوطني (**أوقاسي، 2013، صفحة 165**)،

ولدراسة موضوعنا من مختلف الجوانب ولمعرفة خصائص هذا الإنتاج العلمي لجامعة الجزائر2، قمنا بعملية المسح الشامل لقواعد البيانات لكل من المكتبة الجامعية لجامعة الجزائر2 وسجلات مصالح البحث العلمي لأقسام التاريخ وعلم الاجتماع والأدب العربي ومعهدي علم المكتبات و الأثار، وأخيرا تم تصفح البوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات *(PNST) وهي البوابة التي تشمل الإنتاج العلمي للباحثين الجزائريين للرسائل الجامعية المسجلة والمناقشة .

1. معاهد وأقسام جامعة الجزائر2 – أبو القاسم سعد الله

أنشئت جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم 09- 340 المؤرخ في 3 ذي القعدة الموافق لـ22 أكتوبر2009، بعد انقسامها عن الجامعة الأم جامعة الجزائر التي أنشأت سنة 1909.

وتتألف من أربع كليات ومعهدين وهي:

- كلية العلوم الإنسانية (وتتكون من قسم التاريخ ، قسم الفلسفة، قسم الإعلام والاتصال)
- كلية العلوم الاجتماعية (تتكون من قسم علم النفس، قسم علوم التربية ، قسم علم الاجتماع وقسم الأرطوفونيا)
- كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية (قسم اللغة العربية وأدابها، قسم علوم اللسان، قسم الفنون، قسم اللغة التركية والروسية)

* PNST : Portail national de signalement des thèses

- كلية اللغات الأجنبية (قسم اللغة انجليزية، قسم اللغة الفرنسية، قسم اللغات (الاسبانية، الألمانية، الإيطالية)
- معهد علم المكتبات والتوثيق
- معهد الآثار
- معهد الترجمة

2. الخصائص العددية والموضوعية للرسائل الجامعية في مجال المخطوطات بأقسام ومعاهد جامعة الجزائر

1.2 الحجم الاجمالي للرسائل الجامعية المناقشة بجامعة الجزائر2

عرفت أقسام ومعاهد جامعة الجزائر 2 إنتاجا علميا هاما من الرسائل الجامعية، فبعد عملية المسح تم إيجاد خمسة (5) أقسام التي تمت بها دراسة المخطوطات من خلال مناقشات الماجستير والدكتوراه، فالملاحظ من خلال الجدول (1) أن قسما اللغة العربية وأدابها والتاريخ معا نالت الحصة الأكبر من الرسائل بمجموع 98 رسالة بنسبة تفوق 83 % ، نصيب قسم اللغة العربية وأدابها بمجموع 66 رسالة جامعية بنسبة تفوق 56 % وجاء قسم التاريخ ثانيا بمجموع 32 رسالة وبنسبة أكثر من 27 % ، وجاء معهد الأثار ثالثا بمجموع 11 رسالة جامعية ورابعا معهد علم المكتبات والتوثيق بمجموع ست رسائل وأخيرا قسم علم الاجتماع برسالة واحدة فقط.

جدول 1 : حجم الإنتاج العلمي لأقسام جامعة الجزائر2 حول المخطوطات

الأقسام والمعاهد	العدد	النسبة
قسم اللغة العربية	66	56.9
قسم التاريخ	32	27.6
معهد الآثار	11	9.5
معهد علم المكتبات والتوثيق	06	5.1
قسم علم الاجتماع	01	0.9
المجموع	**116**	**100**

2.2 توزيع الإنتاج العلمي وفقا للأقسام والنوع

عرف الإنتاج العلمي الكلي للرسائل المناقشة في مجال المخطوطات على مستوى الأقسام الخمسة بمختلف الدرجات العلمية من دكتوراه وماجستير ودكتوراه درجة 3، هذه الشهادة الأخيرة تم الاستغناء عنها في منتصف التسعينات، حيث يتبين من الجدول رقم 2 أن رسائل الماجستير استحوذت على أكبر عدد من المناقشات بمجموع 75 رسالة جامعية حول المخطوطات، ثم رسائل الدكتوراه ثانيا بمجموع 38 أطروحة، وأخيرا رسائل دكتوراه الدرجة 3 بمجموع ثلاث رسائل فقط، فالملاحظ من خلال الجدول أن قسم اللغة اللغة العربية نال أعلى نسبة بمجموع 22 أطروحة مقابل 8 أطروحات لقسم التاريخ ثم يليها معهد الأثار بمجموع 5 أطروحات وأخيرا معهد علم المكتبات بمجموع 3 أطروحات، أما قسم علم الاجتماع لم تناقش بها أطروحة دكتوراه حول موضوع المخطوطات.

والملاحظ من الجدول أن التفوق للدكتوراه يقابله تفوقا في رسائل الماجستير لنفس ترتيب الأقسام، حيث يتبين من الجدول أن قسم اللغة العربية وأدابها كانت له أعلى نسبة من المناقشات بمجموع 41 رسالة جامعية ومعظمها حول تحقيق المخطوطات في مجال الأدب، ثم يليه قسم التاريخ بمجموع 24 رسالة جامعية حول تحقيق المخطوطات في مجال التاريخ، وهنا يمكن القول أن الباحثين أدركوا أهمية توظيف التراث المخطوط، سواء أثناء إنجاز بعض أعمالهم البحثية، أو العمل على تحقيق بعض المخطوطات التي تيقنوا من أهميتها التاريخية، (**بوداود، 2012، صفحة 162**) وجاء ثالثا معهد الأثار بست رسائل ثم يليه معهد علم المكتبات بثلاث رسائل وأخيرا قسم علم الاجتماع بدراسة واحدة فقط.

أما على مستوى رسائل دكتوراه درجة 3 فيتبين أن قسم اللغة العربية القسم الوحيد الذي تم مناقشة رسائل حول المخطوطات فقط على مستوى جميع التخصصات بجامعة الجزائر2.

جدول 2 : توزيع الرسائل المناقشة وفقا للأقسام والنوع

	دكتوراه	ماجستير	د.د. 3	المجموع	النسبة
قسم اللغة العربية	22	41	03	66	56.9
قسم التاريخ	08	24	-	32	27.6
معهد الآثار	05	06	-	11	9.5
معهد علم المكتبات والتوثيق	03	03	-	06	5.1
قسم علم الاجتماع	-	01	-	01	0.9
	38	75	03	116	100

3.2 الاشراف على الرسائل الجامعية في مجال المخطوطات

بلغ مجموع الأساتذة المشرفين على الرسائل الجامعية في مجال المخطوطات 51 أستاذا لمجموع أقسام ومعاهد جامعة الجزائر2، حيث يتبين من الجدول 3 أن معهد اللغة العربية يستحوذ على أكبر عدد من الأساتذة المتخصصين في مجال المخطوطات بمجموع 22 أستاذا، يليه قسم التاريخ الذي عرف أكبر عدد من الأساتذة المتخصصين في مجال المخطوطات بمجموع 17 أستاذا، وبعده ثالثا يأتي معهد الأثار بمجموع 7 أساتذة ثم أساتذة علم المكتبات بمجموع خمسة أساتذة وأخيرا أستاذ واحد من قسم علم الاجتماع.

كما يلاحظ من الجدول الموالي أن الأستاذة الأكثر إشرافا في مجال المخطوطات من أقسام الأدب العربي بأعلى نسبة ثم يليه قسم التاريخ ثم الأثار، حيث يلاحظ أن الأستاذ مربيعي الشريف من قسم اللغة العربية يستحوذ على أعلى نسبة وطنيا بمفرده، حيث أشرف على 29 رسالة نصيب أطروحات الدكتوراه بمجموع 8 أطروحات ومجموع 21 رسالة ماجستير، كما أنه المسؤول الأول عن فتح تخصص تحقيق المخطوطات على مستوى قسم اللغة العربية بجامعة الجزائر2 وأشرف على أغلبية الطلبة في التخصص، وجاء ثانيا الأستاذ مسعودي الحواس بمجموع 5 رسائل كلها على مستوى الماجستير، أما في تخصص التاريخ جاء الأستاذ حساني مختار بمجموع 4 رسائل منها أطروحة واحدة في الدكتوراه و3

رسائل في الماجستير، أما في تخصص الأثار فيأتي الأستاذ بن قربة صال بمجموع 4 رسائل بأطروحة واحدة في الدكتوراه و3 رسائل في الماجستير ، وفي المرتبة 19 جاء الأستاذ علاهم رابح من معهد علم المكتبات بمجموع رسالتين واحدة في الدكتوراه والأخرى في الماجستير، أما في علم الاجتماع فجاءت رسالة واحدة في الماجستير من إشراف الأستاذ راس مال عبد العزيز.

جدول 3: ترتيب الأساتذة المشرفين على الرسائل الجامعية في مجال المخطوطات

		دكتوراه	ماجستير	د.د.3	المجموع	التخصص
01	مريبعي شريف	08	21		29	أدب عربي
02	مسعودي الحواس	-	05		05	أدب عربي
03	مختار حساني	01	03		04	تاريخ
04	لعبيدي بوعبد الله	-	04		04	أدب عربي
05	بن قربة صالح	01	03		04	الأثار
06	عروج يوسف	03			03	أدب عربي
07	غرداوي نور الدين	01	02		03	تاريخ
08	بن يوسف تلمساني	-	03		03	تاريخ
09	بوكنة عبد العزيز	-	03		03	تاريخ
10	بلغيث محمد الأمين	02	01		03	تاريخ
11	بوخلخال عبد الله	02			02	أدب عربي
12	هني عبد القادر	01	01		02	أدب عربي
13	سعدي الزبير	01	01		02	أدب عربي
14	بوحجام محمد ناصر	01	01		02	أدب عربي
15	لعرج عبد العزيز	01	01		02	الأثار
16	عبد الشكور نبيلة	01	01		02	تاريخ
17	الغالي غربي	-	02		02	تاريخ

18	عزوق عبد الكريم	02	-		02	الأثار
19	علاهم رابح	01	01		02	علم المكتبات
20	قاهر محمد الشريف	01	01		02	أدب عربي
21	العلوي بركاهم	-	01		01	أدب عربي
22	النص احسان	-		01	01	أدب عربي
23	السد نورالدين	-	01		01	أدب عربي
24	عياش فرحات	01			01	أدب عربي
25	علام عاطف عبد الهادي	-	-	01	01	أدب عربي
26	بوعناني المختار	01			01	أدب عربي
27	حساني احمد	01	01		01	أدب عربي
28	علوي سالم	01			01	أدب عربي
29	الحباس محمد	-	01		01	أدب عربي
30	الاعرجي محمد حسين	01			01	أدب عربي
31	مكي الطاهر احمد	-	-	01	01	أدب عربي
32	التميمي صبيح	01			01	أدب عربي
33	المصري صالح علي فتح الله	01			01	أدب عربي
34	الحاج عيفة	01			01	تاريخ
35	شتوان نصيرة	01			01	تاريخ
36	لقبال موسى	-	01		01	تاريخ
37	حاجيات عبد الحميد	-	01		01	تاريخ

38	شريفي أحمد	–	01		01	تاريخ
39	رحماني بلقاسم	–	01		01	تاريخ
40	موساوي فلة القشاعي	–	01		01	تاريخ
41	بشار قويدر	–	01		01	تاريخ
42	بن عميرة بشاري	01	–		01	تاريخ
43	سعيدوني ناصر الدين	–	01		01	تاريخ
44	معزوز عبد الحق	–	01		01	الأثار
45	فيلاح محمد المصطفى	01			01	الأثار
46	حنفي عائشة	01			01	الأثار
47	بوخنوف ارزقي	–	01		01	الأثار
48	عبد اللطيف صوفي	–	01		01	علم المكتبات
49	جزايري سمير	–	01		01	علم المكتبات
50	مهني أقبال	01			01	علم المكتبات
51	بيزان مزيان	01			01	علم المكتبات

4.2 التطور الزمني للمناقشات بجامعة الجزائر2

إن التطور الزمني للمناقشات يظهر لنا مراحل نمو وتطور هذه المناقشات وكذا مراحل تدني مستوى المناقشات من جهة أخرى ومعرفة أسباب هذا التطور والتدني، فمن الجدول رقم 4 يتبين لنا أن هناك تطورا ونموا مطردا لكل فترةإلا أن الملاحظ أن الفترة الرابعة ما بين 2000 إلى 2009كانت نسبة النمو مرتفعة جدا بمقدار 7 مرات عن الفترة التي تسبقها من 1990 إلى 1999 وهذا راجع أساسا إلى فتح العديد من التخصصات وإقبال الطلبة على المناقشات خاصة في شهادة الماجستير من جهة، ومن جهة أخرى إلى حضور أساتذة بعدد كاف من المؤطرين وطنيا وعربيا وكذا إلى ظهور المرسوم التنفيذي 98-

254 لسنة 1998 والذي ينظم الدراسات العليا بالماجستير والدكتوراه والتأهيل، والذي يفرض على الطلبة بمناقشة رسائلهم بسنتين وغما يتم إلغاء التسجيل ،كم يلاحظ من الجدول الفترة الزمنية من 2010 إلى 2019 عرفت أكبر نسبة من مناقشات الدكتوراه بمجموع 22 أطروحة وهذا راجع أساسا إلى مراسلات الوزارة الوصية خاصة في سنة 2012 بوجوب مناقشة الطلبة المتأخرين عن المناقشات وبداية إلغاء شهادة الماجستير وظهور نظام ل م د بدل النظام الكلاسيكي.

جدول 4 : معدل النمو للمناقشات في مجال المخطوطات

	دكتوراه	ماجستير	د.د.3	المجموع
1979-1970			02	02
1989-1980	01		-	01
1999-1990	03	02	01	06
2009-2000	08	39		47
2019-2010	22	33		55
2024-2020	05			05
	39	74	03	116

5.2 التوزيع الموضوعي للرسائل الجامعية المناقشة

إن المواضيع التي تناولتها الرسائل الجامعية المناقشة بأقسام ومعاهد جامعة الجزائر2 تتوزع وفقا للتخصصات، حيث يلاحظ أن المواضيع صنفت بمجموع 18 موضوعا صنفت إلى أربع توجهات.

التوجه الأول يتمثل في تحقيق المخطوطات وهو مشترك في مجال التاريخ والأدب العرب

أما التوجه الثاني يتمثل في الضبط الببليوغرافي والفهرسة، لأن فهرسة المخطوطات كهدف لضبط لضبط المخطوطات ببليوغرافيا، وكتوثيق لوجودها والتعريف بها، لكي تكون في متناول القراء والباحثين، (**العيد، 2020، صفحة 100**) وكذلك في مجال الرقمنة وهو في مجال المكتبات

أما التوجه الثالث فيتمثل في الدراسة الفنية وصيانة المخطوطات وهو في مجال الأثار

أما التوجه الرابع فيتمثل في الدراسة الكوديكولوجية وهو مشترك بين مجال المكتبات والأثار

فمن خلال الجدول رقم 5 يتبين أن توجهات مختلفة في مواضيع دراسة المخطوطات للتخصصات الخمسة المدرسة بجامعة الجزائر2، إلا أن الغالب في الدراسة أن موضوع التحقيق نال أكبر عدد من الدراسة خاصة على مستوى الأدب العربي، حيث نالت دراسة تحقيق المخطوطات مجموع 59 دراسة 19 دراسة في الدكتوراه و 40 دراسة في الماجستير وهذا لفتح تخصص تحقيق المخطوطات في الماجستير والدكتوراه على مستوى قسم اللغة العربية وأدابها، أما الدراسة الثانية فتتمثل دراسة الأحوال الدينية والأدبية والثقافية و الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والزراعية من خلال المخطوطات في مجال التاريخ والأدب العربي حيث تم حصر مجموع 20 دراسة، 4 دراسات في الدكتوراه و 16 دراسة في الماجستير.

جدول 5 : التوزيع الموضوعي للمناقشات

	دكتوراه	ماجستير	د.د.3	
ثقافة المخطوطات		01		01
الضبط الببليوغرافي	02			02
رقمنة المخطوطات	01			01
كوديكولوجيا	02	01		03
صيانة وحفظ	02	02		04
المظاهر الفنية	02			02
صناعة المخطوطات	01	01		02
الوسائل والادوات المستعملة في تدوين التراث المخطوط		01		01
تحقيق المخطوط التاريخي	01	01		02
الكتابة التاريخية	01	01		02
دراسة الأحوال الدينية والأدبية والثقافية و الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والزراعية من خلال المخطوطات	**04**	**16**		**20**

كتابات الرحالة	01	01		02
العقاقير والاعشاب الطبية	01			01
مرجعية الإفتاء		01		01
العلاقات العربية الغربية		02		02
شخصيات دينية وفكرية		02		02
تحقيق المخطوط الأدبي	**19**	**40**		59
دراسة في المخطوطات	03	01	03	07

المراجع :

1. عوفي عبد الكريم، 2010، صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر من 1830 إلى 2010 م، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر
2. أوقاسي عبد القادر، 2013، المخطوطات الجزائرية ومكانتها في النظام الوطني للمعلومات، المجلة المغاربية للمخطوطات، عدد4،
3. عبيد بوداود، 2012، حصيلة خمسين سنة من تحقيق المخطوطات التاريخية في الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد 7
4. مطهري فطيمة، 2021، إسهام وجهود مراكز ومخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية في خدمة التراث المخطوط " دراسة وتحقيقا وفهرسة ونشرا"، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج.17، عدد 1
5. حاج قويدر العيد، 2020، إسهامات الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد 4

The Evolving Role of Information Specialists in the Age of Generative AI: Transitioning from Knowledge Brokers to Prompt Engineers

Dr Yasmina L'hocine [1]
University of Algiers 2 - Abu al-Qasim Saadallah
yasmina.elhocin@univ-alger2.dz / yasminalhou@gmail.com
Phd Mohamed Abdelhadi [2]
University of Algiers 2 - Abu al-Qasim Saadallah
mohamed.abdelhadi@univ-alger2.dz / m_hadi83@yahoo.com

Abstract:

This study explores fundamental transformations in information professionals' roles amidst the rapid proliferation of Generative AI. Based on a systematic literature review (2021–2024), it posits that traditional intermediary functions are evolving into responsibilities centered on prompt engineering and hallucination verification. Findings reveal a significant disconnect between theoretical awareness and practice, evidenced by the absence of standardized verification protocols in academic libraries. Consequently, the research advocates for integrating prompt engineering into professional training frameworks and specifically recommends utilizing "Gemini" within Arabic-speaking contexts due to its demonstrated linguistic superiority over ChatGPT.

Keywords: Generative AI, Information Professionals, Prompt Engineering, Digital Hallucinations, Academic Libraries.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

دور اخصائي المعلومات في عصر الذكاء الاصطناعي التوليدي من وسيط للمعرفة إلى مهندس للأوامر البرمجية

د. الحسين ياسمينة [1]
جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
yasmina.elhocin@univ-alger2.dz / yasminalhou@gmail.com
محمد عبد الهادي [2]
جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
mohamed.abdelhadi@univ-alger2.dz / m_hadi83@yahoo.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء التحولات الجذرية في أدوار أخصائي المعلومات في ظل الطفرة التكنولوجية للذكاء الاصطناعي التوليدي (GenAI). من خلال مراجعة منهجية لدراسات حديثة (2021-2024) وتحليل الأدبيات المتخصصة، تفترض الدراسة أن الدور التقليدي كوسيط للمعرفة يتلاشى لصالح أدوار جديدة تتمحور حول هندسة الأوامر البرمجية (Prompt Engineering) والتحقق من الهلوسات الرقمية ((Hallucination Verification تكشف النتائج عن فجوة عميقة بين الاعتراف النظري بهذه الأدوار والواقع التطبيقي، حيث تفتقر المكتبات الأكاديمية لبروتوكولات تحقق موحدة. توصي الدراسة بضرورة دمج كفايات هندسة الأوامر ضمن برامج التكوين واعتماد "Gemini" في السياقات العربية نظراً لتفوقه اللغوي مقارنة بـ ChatGPT .

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي التوليدي، أخصائي المعلومات، هندسة الأوامر البرمجية ، الهلوسة الرقمية، المكتبات الأكاديمية.

مقدمة

يشهد العالم اليوم ما يمكن تسميته بتسونامي المعلومات المولدة آلياً، مصحوبا بالتطور المذهل في نماذج اللغة الكبيرة (LLMs) مثل ChatGPT وGemini حيث لم يعد التحدي الذي يواجه المؤسسات الأكاديمية والبحثية هو نقص المعلومات كما كان في الماضي، بل أصبح التحدي يشمل فرط المعلومات المصحوب بمخاطر عدم الدقة والتحيز. وفي ظل هذا التغير يجد أخصائي المعلومات نفسه في قلب العاصفة؛ فالدور التقليدي المتمثل في كونه وسيطاً يربط المستفيد بالمصدر الموثوق بدأ يتآكل لصالح خوارزميات ذكية تدعي القدرة على الإجابة عن أي تساؤل. ومع ذلك، تكشف الأدبيات الحديثة (Lund & Wang, 2023, p. 5) أن هذه الخوارزميات تعاني من هلوسات رقمية خطيرة، تجعلها تختلق مراجع علمية لا وجود لها ((Stokel-Walker, 2023, pp. 620-621) مما يعيد الاعتبار للعنصر البشري ولكن بصيغة جديدة المهندس الذي يوجه الآلة وشريكاً بحثياً في ضبط جودة مخرجات الذكاء الاصطناعي.

أولا: الجانب المنهجي للدراسة

1. إشكالية الدراسة

تنطلق مشكلة الدراسة من الفجوة التي رصدتها الباحثة من خلال المراجعة المنهجية للدراسات الصادرة بين (2021-2024) فعلى الرغم من أن الأدبيات النظرية ودراسات الخبراء تؤكد حتمية تحول أخصائي المعلومات إلى مهندس الأوامر البرمجية ، إلا أن الواقع الميداني في المكتبات -وخاصة في المنطقة العربية- يشير إلى غياب شبه تام للمنهجيات الواضحة لهذا الدور.وتتحدد المشكلة البحثية في التناقض بين الحاجة الملحة لمهارات هندسة الأوامر البرمجية وكشف التزييف المعلوماتي، وبين الغياب الفعلي لمناهج التدريب وبروتوكولات التحقق من المخرجات الآلية المعتمدة في المؤسسات المعلوماتية، مما يهدد المصداقية الأكاديمية للبحوث التي تعتمد على هذه التقنيات لعدم اتقان مهارة هندسة الأوامر البرمجية التي وصفها (Liu, Yuan , Jiang, & Hayashi, 2023, p. 2)بأنها لغة البرمجة الجديدة في العصر الحديث. ومنه تتحدد اشكالية الدراسة في السؤال الجوهري التالي :

كيف يمكن استثمار دور أخصائي المعلومات كمهندس للأوامر البرمجية ومدقق للموثوقية لردم الفجوة بين قدرات الذكاء الاصطناعي التوليدي ومتطلبات النزاهة الأكاديمية؟

2. تساؤلات الدراسة

1. ما هي الطبيعة المفاهيمية والوظيفية لمهنة هندسة الأوامر البرمجية في سياق خدمات المعلومات؟
2. إلى أي مدى تختلف كفاءة نماذج الذكاء الاصطناعي تحديداً ChatGPT مقابل Gemini في البيئة العربية، وكيف يؤثر ذلك على استراتيجيات التحقق التي يتبعها الأخصائي؟
3. ما هي الكفاءات المهنية اللازمة لتمكين أخصائي المعلومات من اكتشاف المراجع الوهمية في البحوث العلمية؟

3. فرضيات الدراسة

- تؤدي ممارسة أخصائي المعلومات لتقنيات هندسة الأوامر البرمجية إلى تحسين دقة استرجاع المعلومات بنسبة ذات دلالة إحصائية مقارنة بالاستعلام البسيط.
- يتمتع نموذج Google Gemini بموثوقية أعلى في السياق الأكاديمي العربي مقارنة بنموذج ChatGPT، مما يجعله الأداة الأنسب للاعتماد عليها في المكتبات العربية.
- يعاني أخصائيو المعلومات حالياً من فجوة مهارية في التحقق من المخرجات الآلية، نظراً لغياب التدريب المنهجي في برامج الإعداد الأكاديمي.

4. أهمية الدراسة

- الأهمية النظرية :تأصيل مفهوم هندسة الأوامر البرمجية كفرع جديد ضمن علم المعلومات، ودمجه في أدبيات التخصص العربية التي تعاني من ندرة في هذا الجانب.
- الأهمية التطبيقية :تقديم مصفوفة معايير (Criteria Matrix) للمفاضلة بين أدوات الذكاء الاصطناعي في المكتبات، مما يساعد متخذي القرار في الجامعات على اختيار الأدوات الأنسب.

5. أهداف الدراسة

- تأطير مفهوم مهندس الأوامر البرمجية كدور وظيفي مستحدث في قطاع المعلومات.

- تحليل الفجوة في مهارات التحقق من تزييفات الذكاء الاصطناعي في المراجع الأكاديمية.
- تقديم نموذج مقترح لدمج هندسة الأوامر في الخدمات المرجعية.
- معظم الدراسات وصفت التحول، لكنها لم تقل كيف نمارسه. تفتقر المكتبة العربية لبرنامج تدريبي تطبيقي حول هندسة الأوامر البرمجية.
- تأتي هذه الورقة البحثية الى دراسة كيفية الانتقال من التشخيص (تشخيص الخوف والهلوسة) إلى المعالجة (بناء كفايات الهندسة والتحقق)، مقدمة نموذجاً تطبيقياً لأول مرة.

6. منهجية الدراسة

اعتمدت الباحثة على المنهج المركب باستخدام:

1. المراجعة المنهجية: اعتمدت الدراسة منهجية المراجعة المنهجية حيث تم مسح قواعد بيانات عالمية (Scopus, OpenAlex) باستخدام كلمات مفتاحية دلالية مثل: Librarian Role Transformation, Prompt Engineering Skills , Generative AI in Libraries حيث تم استخلاص (9) دراسات أساسية وحديثة شكلت نواة التحليل، بالإضافة إلى العديد من الاوراق المرجعية الداعمة.
2. المنهج الوصفي التحليلي: لتفكيك المفاهيم الواردة في الأدبيات العربية، ومقارنة أداء النماذج اللغوية.

ثانيا: الإطار النظري

1. المفاهيم والتحولات

1.1. من الوساطة إلى الهندسة

تقليدياً، كان أخصائي المعلومات وسيطاً بين الباحث والمصدر أما في عصر GenAI ، أصبح مهندس للأوامر البرمجية (Prompt Engineering) ، والتي نعرّفها إجرائياً في هذه الدراسة بأنها فن وعلم صياغة مدخلات نصية دقيقة ومنهجية لتوجيه نماذج اللغة الكبيرة نحو إنتاج مخرجات معلوماتية تتسم بالدقة، والخلو من التحيز.

كما يُعرف (Ajani, Tella, Salawu , & Firdausi , 2022, p. 214) هذا التحول بأنه انتقال من إدارة أوعية المعلومات إلى إدارة الحوار مع الخوارزميات. فهندسة الأوامر البرمجية ليست مجرد صياغة سؤال، بل هي عملية تصميم سياقي (Contextual Design) تهدف إلى تقليل الغموض وتوجيه النموذج اللغوي لاستحضار المعلومات الدقيقة من مخزونه الضخم.

1.2. الكفاءات الجديدة

بناءً على تحليل الأدبيات (Ajani, Tella, Salawu , & Firdausi , 2022, pp. 224-226و (Saber, Ammar, Shehata, & Eldakar, 2024, pp. 10-16)، يمكن تحديد ثلاث كفاءات جوهرية:

- الكفاءة التقنية-اللغوية :القدرة على التحدث بلغة الآلة (Natural Language Processing awareness) وفهم كيف يفكر النموذج.
- الكفاءة النقدية (التحقق) :مهارة اكتشاف التزييف، وهي قيام الذكاء الاصطناعي بتوليد مراجع وهمية تبدو حقيقية.
- الكفاءة الأخلاقية :إدارة قضايا الملكية الفكرية والتحيز الخوارزمي في النتائج.

1.3. هندسة الأوامر البرمجية: المهارة الحاكمة في العصر الجديد

بناءً على ما ورد في مقال(Murray, 2025, pp. 42-43.) ، يمكن تفكيك مهارة هندسة الأوامر البرمجية إلى ثلاثة مكونات رئيسية يجب أن يمتلكها أخصائي المعلومات:

- وضوح التعليمات :(Clarity) القدرة على تحويل حاجة الباحث الغامضة إلى سلسلة أوامر منطقية.
- تحديد القيود :(Constraints) إلزام النموذج بمحددات مثل: استخدم مراجع حديثة أي ما بعد 2020، الإلتزام بتنسيق APA ، تجنب الآراء الشخصية.

- التكرار التحسيني :(Iterative Refinement) مهارة نقد المخرج الأول وتعديل الأمر للحصول على مخرج أفضل، وهي جوهر العمل الهندسي.

ويُعرف (White, et al., 2023, pp. 2-3) هندسة الأوامر البرمجية بأنها فن صياغة المدخلات لتوجيه نماذج اللغة الكبيرة نحو مخرجات محددة ودقيقة. بالنسبة لأخصائي المعلومات، لا يعني هذا مجرد كتابة سؤال، بل يعني تطبيق استراتيجيات مثل سلسلة التفكير (Chain-of-Thought) التي أثبتت فعاليتها في تحسين الاستدلال المنطقي للآلة. وتضيف (Murray, 2025, p. 36) أن هذه المهارة يجب أن تكون جزءاً من المناهج الجامعية لسد فجوة أمية الذكاء الاصطناعي.

1.4. التوهم المعلوماتي التحدي الأكبر

تشير دراسة(Giray, 2023, p. 2632) إلى أن ChatGPT قد يولد استشهادات مرجعية لا وجود لها بنسبة قد تصل إلى 60% في بعض الموضوعات المتخصصة. هذا يفرض على أخصائي المعلومات دوراً جديداً وهو المحقق والمدقق للمعلومات (Information Forensic Specialist).وبالتالي دوره لم يعد التأكد من وجود الكتاب في المكتبة، بل التأكد من وجود المرجع في الواقع العلمي. هذا يتطلب مهارات متقدمة في استخدام قواعد البيانات المرجعية(Cross-referencing)وعدم الاعتماد الأعمى على المخرجات الآلية.

كما تشير دراسة (Alkaissi & McFarlane, Artificial hallucinations in ChatGPT: Implications in scientific writing, 2023, p. 2) إلى أن ChatGPTيعمل بنظام التنبؤ الاحتمالي(Probabilistic Prediction) ، مما يعني أنه يكمل الجمل بناءً على الاحتمالات وليس الحقائق .هذا يؤدي إلى توليد مراجع وهمية (Fake Citations) تبدو مقنعة جداً. هنا يتحول دور الأخصائي إلى ما يشبه المحقق، مستخدماً أدوات التحقق المتقاطع لضمان

النزاهة الأكاديمية، وهو ما يتوافق مع مخاوف (Cotton, Cotton, & Shipway, 2024, p. 230) بشأن الغش الأكاديمي.

1.5. المقاربة الأخلاقية والقانونية

يناقش (Lo, 2023, p. 647) التحديات الأخلاقية، مشيراً إلى أن التحيز في البيانات قد يؤدي لتهميش الإنتاج الفكري لبعض الثقافات (مثل الثقافة العربية). لذا، يقع على عاتق أخصائي المعلومات مسؤولية التصحيح الثقافي للمخرجات، وضمان أن الباحثين يدركون أن الذكاء الاصطناعي قد يكون متحيزاً نحو المصادر الغربية .(Anglo-centric bias)

ثالثا: الجانب التطبيقي

1. مصفوفة تحليل الدراسات السابقة

جدول رقم (1): يوضح تحليل الدراسات المرجعية(2024–2021)

الدراسة (السنة)	السياق الجغرافي	التقنية المستهدفة	المنهجية المتبعة	النتائج الجوهرية
(Saber, Ammar, Shehata, & Eldakar, 2024)	دراسة عربية	ChatGPT vs Gemini	دراسة مقارنة وصفية	تفوق واضح لنموذج Gemini في دقة المحتوى العربي وحداثة المعلومات مقارنة بـ ChatGPT.
(Brema, 2023)	دراسة عربية	ChatGPT	طريقة دلفي (خبراء)	إجماع الخبراء على أن الدور القادم هو ميسر تقني ولكن

هناك مقاومة للتغيير بسبب الخوف من الاستبدال.				
النماذج تفشل في الأسئلة المعقدة والمركبة؛ مما يثبت الحاجة للتدخل البشري)	إستبانة (60 سؤال)	Google Bard & ChatGPT	دراسة عالمية غربية	(Yang & Mason, 2024)
وجود فجوة كبيرة بين "الرغبة" في استخدام الذكاء الاصطناعي و"القدرة" الفعلية (نقص التدريب).	إستبانة	AI in Libraries	دراسة عالمية غربية	(Lund, Omame, Tijani, & Agbaji, 2020)
العائق الرئيسي ليس التكنولوجيا، بل "الثقافة المؤسسية" ومقاومة الموظفين للتغيير.	كمي (Quantitative)	تطبيقات AI متنوعة	دراسة عالمية غربية	(Huang , 2022)

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات المراجعة المنهجية.

يوضح الجدول رقم (1) تحليل الدراسات التي تناولت تحول الأدوار، مع التركيز على المنهجية والنتائج. حيث نلاحظ ثلاثة تحولات جوهرية تبرر أهمية الدراسة الحالية وهي :

1.1. التحول المنهجي

دراسة كل من ((Lund, Omame, Tijani, & Agbaji, 2020, p. 868) و (Huang , 2022, pp. 889-902) اعتمدت المنهج المسحي ، حيث ركزت على سؤال الموظفين: ما رأيكم في الذكاء الاصطناعي؟ وبالتالي كانت النتائج تعكس تصورات وليس حقائق. أما دراسة

(Saber, Ammar, Shehata, & Eldakar, 2024, pp. 4-5) فقد انتقلت إلى المنهج التجريبي فهي لم تسأل ما رأيك، بل قامت باختبار الأداة فعلياً مقارنة Gemini بـ ChatGPT.

1.2. الفجوة الجيوسياسية واللغوية:

يكشف الجدول عن تباين كبير. فالدراسات العالمية (الغربية) تركز على قضايا أخلاقية وتنظيمية (مثل الخصوصية). بينما الدراسات العربية تركز على البقاء الوظيفي، كفاءة اللغة، وإثبات أن الأدوات العالمية لا تعمل بنفس الكفاءة. هذا يمنح الشرعية البحثية للقول بأن نتائج الدراسات الغربية لا يمكن تعميمها على المكتبات العربية، وبالتالي هناك حاجة ماسة لهذه الدراسة التي تفحص السياق العربي (Gemini vs ChatGPT Arabic).

1.3. فجوة كيف نتحقق (The How-To Gap)

رغم أن جميع الدراسات في الجدول اتفقت على وجود مشكلة (هلوسة، نقص مهارات، تهديد وظيفي)، إلا أن صفراً منها قدم دليلاً إجرائياً أو برنامجاً تدريبياً مفصلاً للحل. فدراسة (Huang , 2022)حددت العوائق، ودراسة (Brema, 2023) استشرفت المستقبل، لكن لم يقل أحد كيف نتحقق خطوة بخطوة. هنا تكمن أصالة هذه الدراسة لكونها لا تشخص المرض فقط، بل تقدم بروتوكولا علاجيا من خلال مقترح التدريب وجداول التحقق.

2. مقارنة الأداء بين ChatGPT وGemini في البيئة الأكاديمية العربية

جدول رقم (2): يوضح مقارنة الأداء بين ChatGPT و Gemini في البيئة الأكاديمية العربية

التفسير العلمي والتقني	Google Gemini	ChatGPT (3.5/4)	معيار المقارنة
Gemini مدرب على مجموعة بيانات (Dataset) أحدث وأضخم تتضمن محتوى	ممتاز، وسلس، ويظهر فهماً عميقاً للهجات	جيد، لكنه يميل للترجمة الحرفية أحياناً ويعاني من	الفهم اللغوي للعربية

عربياً متنوعاً، بينما ChatGPT متحيز للإنجليزية (Anglo-centric).	والمصطلحات الأكاديمية العربية.	ضعف في التراكيب البلاغية.	
ChatGPTنموذج توليدي بحت(Generative) ، بينما Gemini نموذج هجين يجمع بين التوليد والبحث الحي (Real-time Retrieval).	أكثر أمانا يستخدم تقنية Grounding مع محرك بحث Google لتوفير روابط حقيقية للمصادر.	عالية الخطورة يميل لاختلاق مراجع (Hallucinations) بنسبة مرتفعة عند طلب مصادر عربية.	الموثوقية المرجعية
المكتبات تحتاج لمعلومات حديثة، مما يجعل Gemini الخيار الأفضل للخدمات المرجعية الفورية.	متصل بالإنترنت لحظياً.	مقيد بتاريخ انتهاء التدريب (Cut-off date) في النسخ القديمة.	الحداثة (Currency)

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات المراجعة المنهجية

إن الجدول رقم (2) والخاص بمقارنة الأداء بين ChatGPT و Gemini في البيئة الأكاديمية العربية لا يقارن بين برنامجين، بل يقارن بين فلسفتين في بناء الذكاء الاصطناعي(فلسفة التوليد مقابل فلسفة البحث(Generative vs. Retrieval-Augmented))، ولهذا تأثير مباشر على المكتبات:

- يظهر الجدول أن ChatGPT هو نموذج توليدي مغلق؛ يعتمد على ذاكرته فقط. لذا، عندما لا يجد مرجعاً عربياً، يقوم بتأليفه ليرضي الباحث. هذا يفسر ارتفاع نسبة الهلوسة في النتائج.

- بينما Gemini هو نموذج هجين؛ يستخدم ذكاءه للصياغة، لكنه يستخدم محرك بحث Google لجلب المعلومات. هذا ما تؤكد دراسة (Saber, Ammar, Shehata, & Eldakar, 2024, pp. 12-16) أن Gemini يتفوق في البيئة العربية لأنه يستطيع التحقق من المعلومة عبر محرك بحث Google مما يقلل نسبة الهلوسة. هذا يعني أن المكتبات العربية يجب أن تتجه لتبني Gemini كأداة مساعدة للباحثين بدلاً من الاعتماد الكلي علىChatGPT .
- بالنسبة لأخصائي المعلومات، ChatGPT يصلح للمهام الإبداعية (كتابة إعلان، صياغة بريد)، لكنه خطر في المهام المرجعية (البحث عن مصادر) . Gemini هو الأداة المعتمدة للبحث.

2. التحيز في بيانات التدريب:(Data Bias Implications)

- الجدول يبرز تفوق Gemini في الفهم الدلالي للعربية. هذا ليس صدفة، بل لأن Google يمتلك أضخم أرشيف رقمي عربي مفهرس، بينما OpenAI تعتمد غالباً على الويب الإنجليزي المترجم.
- الاعتماد على ChatGPT في الدراسات الإسلامية أو القانونية أو الأدبية العربية قد يؤدي إلى تغريب المفاهيم أو فهمها بشكل سطحي، مما يستوجب حذراً شديداً من الأخصائيين.

3. مصفوفة التحول في الكفاءات المهنية

لفهم عمق هذا التحول، قامت الباحثة بتطوير مصفوفة الكفاءات التالية، التي تقارن بين المهارات التقليدية وما يقابلها في عصر الذكاء الاصطناعي، استناداً إلى (Murray, 2025) و (Wheatley & Hervieux, 2019) :

الجدول رقم (3): يوضح مصفوفة التحول في الكفاءات المهنية لأخصائي المعلومات

الأثر المباشر على جودة البحث العلمي	كفاءات عصر الذكاء الاصطناعي (**GenAI Era**)	الكفاءات التقليدية (**Traditional**)	المجال المهني
الانتقال من الكلمة المفتاحية إلى القصد	هندسة المطالبات الدلالية : استخدام تقنيات (Few-	البحث البوليباني : استخدام (AND,	استرجاع المعلومات

البحثي (User Intent)، مما يقلل من النتائج غير ذات الصلة.	shot Prompting) وتحديد السياق والشخصية (Persona)للنموذج.	OR, NOT) والكلمات الدلالية.	
حماية الأبحاث العلمية من الاستناد إلى دراسات وهمية اختلقها الذكاء الاصطناعي.	التحقق الرقمي الجنائي (Forensic Verification) استخدام أدوات كشف النصوص الآلية، والتأكد من وجود الـ DOIs للمراجع المقترحة.	التقييم الببليوجرافي :فحص معامل التأثير وشهرة المؤلف وتاريخ النشر.	تقييم المصادر
جعل إجابات الذكاء الاصطناعي أكثر توطيناً وملاءمة للثقافة المحلية للمؤسسة.	هندسة السياق (Context Engineering) :تغذية النماذج ببيانات محلية (RAG Systems) لتدريبها على خصوصية المكتبة.	الفهرسة والتصنيف :إعداد الميتاداتا للوصول للوعاء.	تنظيم المعرفة
ضمان الأمانة العلمية وفق معايير اليونسكو (UNESCO, 2023)	الشفافية الخوارزمية :الإفصاح عن استخدام AI وكشف التحيز في النتائج.	حماية الملكية الفكرية :منع النسخ والتصوير غير القانوني.	الأخلاقيات

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على (Murray, 2025) و (Wheatley & Hervieux, 2019)

يكشف هذا الجدول عن فجوة معرفية بين الجيلين:

- في الاسترجاع :بينما كان الأخصائي التقليدي بارعاً في بناء معادلة بحث، يجب على الأخصائي الحديث أن يكون بارعاً في بناء السياق. فكما يشير (Meskó, 2023, p. 3) ، فإن النموذج اللغوي يحتاج إلى توجيه دقيق (Prompt) ليفهم السياق، وإلا سيعطي إجابات عامة وسطحية.
- في التقييم :النقلة هنا خطيرة؛ فالخطر سابقاً كان المعلومة الضعيفة، أما الآن فالخطر هو المعلومة المختلقة. هذا يتطلب مهارات تقنية لا تدرس حالياً في أقسام المكتبات العربية، وهو ما يدعم دراسة (Lund, Omame, Tijani, & Agbaji, 2020) حول الفجوة التدريبية.
- في الأخلاقيات :انتقل التحدي من سرقة جهد الآخرين (Plagiarism) إلى نسب جهد الآلة للنفس أو الاعتماد على آلة متحيزة. يؤكد (Lo, 2023, pp. 647-648) أن هذا يتطلب سياسات أخلاقية جديدة كلياً داخل المكتبات.

4. تصنيف أنماط الهلوسة المعلوماتية

جدول رقم (4): يوضح تصنيف أنماط الهلوسة المعلوماتية في الكتابة الأكاديمية

استراتيجية الكشف (دور الأخصائي)	مستوى الخطورة على البحث	الوصف الإجرائي للمشكلة	نمط الهلوسة
البحث عن الـ DOI أو الـ ISBN إذا لم يوجد، فالمرجع وهمي بنسبة 99%	خطورة كبيرة : يضر بمصداقية الباحث والجامعة.	اختلاق كامل لمرجع (عنوان، مؤلف، سنة) لا وجود له في أي قاعدة بيانات.	الاختلاق (Fabrication)
مراجعة ملف الباحث على (ORCID) أو	متوسط الخطورة :يضلل القارئ ويصعب	دمج معلومات حقيقية ببعضها (مثلاً: نسب كتاب	الخلط المرجعي (Conflation)

(Google Scholar) للتأكد من قائمة مؤلفاته.	كشفه لغير المتخصص.	حقيقي لمؤلف آخر مشهور في نفس المجال).	
استخدام تقنية التثليث (Triangulation)مقارنة النتيجة بمصادر محلية وكتب ورقية.	قليل الخطورة :يؤدي لإنتاج معرفة مشوهة ومستلبة.	تقديم إجابة صحيحة لكنها تعكس وجهة نظر واحدة (غربية غالباً) وتتجاهل السياق المحلي/العربي.	التحيز الخوارزمي (Algorithmic Bias)

المصدر: إعداد الباحثين استناداً إلى نتائج (Giray, 2023) **و** (Alkaissi & McFarlane, 2023)

يُظهر الجدول رقم (4) أن الهلوسة ليست نوعاً واحداً.

- Fabrication: هي النوع الأسهل في الكشف ولكنه الأكثر شيوعاً في ChatGPT عند سؤاله عن مراجع عربية محددة، كما أثبت (Giray, 2023, p. 2632)
- Conflation: هو الأخطر لأنه يخلط الحقيقة ، وهنا تظهر قيمة "أخصائي المعلومات الخبير الذي يعرف أعلام التخصص ومؤلفاتهم، ولا يمكن استبداله بآلة.
- Bias: يتوافق هذا مع تحذيرات (UNESCO, 2023, pp. 17-18) من أن الذكاء الاصطناعي قد يعيد إنتاج الصور النمطية. دور الأخصائي هنا أخلاقي وثقافي لحماية الهوية البحثية المحلية.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع (Lo, 2023) في أن محو الأمية بالذكاء الاصطناعي أصبح مطلباً، لكنها تختلف معه في الآلية؛ حيث ترى الدراسة أن الحل ليس في مجرد المعرفة، بل في الممارسة الهندسية للأوامر. كما تدعم النتائج الفرضية الثانية بقوة، حيث أظهرت البيانات أن اعتماد المكتبات العربية على

ChatGPT (النسخة المجانية تحديداً) يشكل خطراً على دقة البحوث، ويوصى بالانتقال إلى أدوات متصلة بالويب مثل Gemini أوPerplexity .

5. البرنامج التدريبي المقترح

جدول رقم (5): يوضح مقترح البرنامج التدريبي: أخصائي هندسة الأوامر البرمجية

المخرجات المهارية المستهدفة	المحتوى العلمي والتطبيقي	الوحدة التدريبية
الوعي التقني (AI Literacy) وفهم حدود الآلة.	فهم آلية عملLLMs ، الفرق بين البحث والتوليد، أخلاقيات الذكاء الاصطناعي.	التأسيس ومحو الأمية
القدرة على استخراج معلومات دقيقة ومعقدة من النماذج.	التدريب على تقنيات-Zero shot, Few shot, Chain-of-Thought Prompting.	هندسة المطالبات المتقدمة
مهارة التفكير النقدي وكشف الانتحال والتزييف.	استخدام أدوات كشف الانتحال (AI Detectors)، والتحقق المتقاطع مع Scopus/WoS.	التحقق الجنائي
الانتقال من المستهلك إلى المنتج للحلول الذكية.	بناء مساعد ذكي (Custom GPT) خاص بالمكتبة يجيب عن أسئلة المستفيدين بناءً على مصادر موثوقة.	التطبيق والابتكار

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات المراجعة المنهجية

هذا البرنامج مصمم ليكون تدرجياً:

- يبدأ بـ المعرفة :(Literacy) لأن الخوف نابع من الجهل بالتقنية.
- ينتقل لـ المهارة :(Prompting) وهي جوهر الدور الجديد.

- ثم الحماية :(Verification) لضمان جودة المخرج.
- وأخيراً الابتكار :(Creation) حيث يصبح الأخصائي مطوراً لأدوات بسيطة تخدم مكتبته، مما يعزز قيمته الوظيفية ويحميه من الإحلال.

رابعا: عرض النتائج ومناقشتها في ضوء الفرضيات

1. نتائج اختبار الفرضية الأولى

أكدت التحليلات صحة الفرضية الأولى. تبين أن المستخدمين (باحثين أو أمناء مكتبات) الذين يطبقون تقنيات هندسة الأوامر (مثل تحديد السياق، وتجزئة السؤال المعقد) يحصلون على نتائج ذات دقة أعلى مقارنة بالمستفسرين العاديين. هذا ينقل أخصائي المعلومات من دور مسترجع المعلومات إلى دور شريك في هندسة الاوامر. الأخصائي هنا لا يبحث عن الإجابة، بل يبحث عن السؤال الصحيح الذي يجب طرحه على الآلة.

2. نتائج اختبار الفرضية الثانية

بناءً على دراسة (Saber, Ammar, Shehata, & Eldakar, 2024) والدراسات المقارنة الأخرى، تم التوصل الى صحة الفرضية الثانية، وتدعو المكتبات العربية لتبني Gemini كأداة أساسية في الخدمات المرجعية الرقمية.

3. نتائج اختبار الفرضية الثالثة

أن معظم أخصائي المعلومات يفتقرون لمهارات التحقق التقني. بينما هم بارعون في تقييم المصادر التقليدية، يفتقرون للأدوات اللازمة لكشف النصوص المولدة آلياً أو التحقق من صحة البيانات الإحصائية التي يختلقها الذكاء الاصطناعي. هذا يؤكد وجود أزمة كفاءة تتطلب تدخلاً عاجلاً.

خاتمة

إن مهنة المكتبات والمعلومات لا تواجه خطر الاندثار بل تواجه تحدي إعادة التشكل (Reshaping)لإن صعود الذكاء الاصطناعي التوليدي قد حرر أخصائي المعلومات من المهام الروتينية،

وفتح له باباً واسعاً نحو أدوار فكرية عليا تتمثل في هندسة المعرفة والتحقق الأخلاقي. وبالتالي التحول من الوسيط إلى المهندس هو المسار الحتمي للبقاء. كما أن البيئة العربية تمتلك خصوصية تتطلب أدوات محددة مثل Gemini واستراتيجيات تدريب لا تعتمد فقط على الترجمة من الغرب، بل تراعي السياق اللغوي والثقافي للمحتوى العربي. ومنه فالذكاء الاصطناعي التوليدي هو سلاح ذو حدين في المكتبات فهو يرفع الإنتاجية ولكنه يهدد المصداقية. الحل لا يكمن في المنع، بل في التمكين المهاراتي. لأن الأخصائي الذي يمتلك مهارات هندسة الاوامر البرمجية يستطيع تحسين دقة النتائج بنسبة كبيرة، وأن استخدام أدوات مثل Gemini يقلل المخاطر في البيئة العربية.

التوصيات

بناءً على النتائج، توصي الدراسة بما يلي:

1. على مستوى الجامعات :إدراج مقرر "الذكاء الاصطناعي للمتعلمين (AI for Information Professionals) " كمتطلب إجباري، يركز بنسبة 70% على التطبيق العملي لهندسة الأوامر.
2. على مستوى المكتبات :إنشاء وحدات الذكاء الاصطناعي (AI Units) داخل المكتبات الجامعية، تكون مهمتها مساعدة الباحثين في صياغة استفساراتهم المعقدة والتحقق من المراجع التي تنتجها أدواتهم.
3. على مستوى الجمعيات المهنية :إصدار دليل أخلاقيات التعامل مع GenAI يتضمن بروتوكولات واضحة للتعامل مع الهلوسات الرقمية والملكية الفكرية للنصوص المولدة.
4. على المستوى التقني: توجيه المكتبات الجامعية العربية نحو تبني منصة Google Gemini لارتفاع موثوقيتها العربية.
5. على المستوى الإجرائي اعتماد بروتوكول التحقق الثلاثي (نتيجة الذكاء الاصطناعي + قاعدة بيانات معتمدة + الحكم البشري) قبل اعتماد أي مرجع.
6. على المستوى الابتكاري :تصميم واجهات بحث مخصصة للمكتبة تعتمد على هندسة أوامر مسبقة الضبط (Pre-set Prompts) لضمان دقة النتائج للطلبة

مقترحات لدراسات مستقبلية

- دراسة تجريبية لقياس أثر استخدام "Gemini Advanced" في تحسين جودة المراجعات الأدبية (Literature Reviews) لطلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية.
- بناء مقياس مقنن لقياس كفاءة هندسة الاوامر البرمجية لدى أخصائيي المعلومات العرب.

قائمة المراجع

Ajani, Y. A., Tella, A., Salawu , K. Y., & Firdausi , A. C. (2022). Perspectives of librarians on awareness and readiness of academic libraries to integrate artificial intelligence for library operations and services in Nigeria. *nternet Reference Services Quarterly, 26*(04), 213–230. doi:10.1080/10875301.2022.2086196

Alkaissi, H., & McFarlane, S. I. (2023). Artificial hallucinations in ChatGPT: Implications in scientific writing. *Cureus, 15*(2), 1-4. doi:10.7759/cureus.35179

Alkaissi, H., & McFarlane, S. I. (2023). Artificial Hallucinations in ChatGPT: Implications in Scientific Writing. *Cureus, 15*(2).

Brema, S. M. (2023). The use of artificial intelligence tool "ChatGPT" in the design of scientific research in the field of libraries and information: A prospective study using the Delphi method. *International Journal of Library and Information Sciences, 11*(2), 232-297. doi:10.21608/ijlis.2023.225392.1206

Cotton, D. R., Cotton, P. A., & Shipway, J. R. (2024). Chatting and cheating: Ensuring academic integrity in the era of ChatGPT. *Innovations in Education and Teaching International, 61*(2), 228-239. doi:https://doi.org/10.1080/14703297.2023.2190148

Giray, L. (2023). Prompt engineering with ChatGPT: A guide for academic writers. *Annals of Biomedical Engineering, 51*(12), 2629–2633. doi:10.1007/s10439-023-03272-4

Huang , Y. (2022). xploring the implementation of artificial intelligence applications among academic libraries in Taiwan. *Library Hi Tech, 42*(3), 885–905. doi:10.1108/LHT-03-2022-0159

Liu, P., Yuan , W. F., Jiang, Z., & Hayashi, H. (2023). Pre-train, prompt, and predict: A systematic survey of prompting methods in natural language processing. *ACM Computing Surveys, 55*(9), 1–35. doi: https://doi.org/10.1145/3560815

Lo, L. S. (2023). AI policies across the globe: Implications and recommendations for libraries. *IFLA Journal, 49*(9), 645–649. doi:https://doi.org/10.1177/03400352231196172

Lund, B. D., & Wang, T. (2023). Chatting about ChatGPT: How may AI and GPT impact academia and libraries? *Library Hi Tech News, 40*(3), 01-09. doi:https://doi.org/10.1108/LHTN-01-2023-0009

Lund, B. D., Omame, I., Tijani, S., & Agbaji, D. (2020). Perceptions toward artificial intelligence among academic library employees and alignment with the diffusion of innovations' adopter categories. *College & Research Libraries, 81*(5), 865–882. doi:https://crl.acrl.org/index.php/crl/article/view/24516

Meskó, B. (2023). Prompt engineering as an important emerging skill for medical professionals Tutorial. *Journal of Medical Internet Research, 25*, 01-06. doi:10.2196/50638

Murray, M. C. (2025). Bridging the generative AI literacy gap: A guide to introducing prompt engineering in university courses. *Issues in Informing Science and Information Technology, 22*(01), 35-54. doi:10.28945/5516

Saber, A., Ammar, A. S., Shehata, A., & Eldakar, M. (2024). Evaluating generative AI tools in Arabic academic libraries: A comparative analysis of ChatGPT-4o and Gemini's performance and practical queries. *Global Knowledge Memory and Communication*, 1-19. doi: 10.1108/GKMC-07-2024-0448

Stokel-Walker, C. (2023). ChatGPT listed as author on research papers: Many scientists disapprove. *Nature, 613*(7945), 620–621 . doi:https://www.researchgate.net/publication/367265102_ChatGPT_listed_as_author_on_research_papers_many_scientists_disapprove

UNESCO. (2023). *Guidance for generative AI in education and research.* UNESCO.

Wheatley, A., & Hervieux, S. (2019). Artificial intelligence in academic libraries: An environmental scan. *Information Services & Use, 39*(4), 347-356. doi: 10.3233/ISU-190065

White, J., Fu, Q., Hays, S., Sandborn, M., Olea, C., Gilbert, H., . . . Schmidt, D. C. (2023). A prompt pattern catalog to enhance prompt engineering with ChatGPT. *arXiv preprint arXiv*, 1-19. doi: 10.48550/arXiv.2302.11382

Yang, S. Q., & Mason, S. (2024). Beyond the algorithm: Understanding how ChatGPT handles complex library queries. *nternet Reference Services Quarterly,, 28*(2), 97-151. doi: 10.1080/10875301.2023.2291441

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Status of Knowledge Management Implementation in University Libraries from the Perspective of Staff: A Case Study of the Central Library at Northern Technical University

Abdulqader Ahmed Ali AlShaabani
Northern Technical University
Technical Administrative Institute – Nineveh
abdulqaderalshaabani@ntu.edu.iq

Abstract

This study examined the status of knowledge management (KM) implementation in university libraries from the perspective of staff members, using the Central Library of Northern Technical University as a case study. A descriptive-analytical survey approach was employed, and data were collected through a structured questionnaire administered to a purposive sample of 37 staff members. The findings indicated that KM implementation is at a moderate level. The library utilizes electronic databases for storing and retrieving knowledge and provides mechanisms that facilitate staff access to institutional knowledge resources. However, several obstacles limit effective implementation, particularly limited KM culture among some staff and weaknesses in organizational planning. The study recommends strengthening KM culture and enhancing the organizational and technological infrastructure supporting knowledge management in university libraries.

Keywords: Knowledge Management, University Libraries, Knowledge Management Implementation, Knowledge Sharing, Institutional Performance, Case Study

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

واقع تطبيق ادارة المعرفة في المكتبات الجامعية من وجهة نظر العاملين: المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية انموذجا

م.م. عبدالقادر احمد علي الشعباني
الجامعة التقنية الشمالية / معهد الإدارة التقني – نينوى
abdulqaderalshaabani@ntu.edu.iq

المستخلص:

هدف البحث إلى التعرف على واقع تطبيق إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية من وجهة نظر العاملين، واتخذت من المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية نموذجًا للدراسة، فضلًا عن تشخيص أبرز المعوقات التي تحد من فاعلية تطبيق إدارة المعرفة. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المسحي لملاءمتهما لطبيعة البحث وأهدافه. تكوّن مجتمع البحث من العاملين في التشكيلات المرتبطة فنيًا بالمكتبة المركزية، وبلغت عينة البحث (37) موظفًا تم اختيارهم بالطريقة القصدية. استخدمت الاستبانة كأداةً رئيسة لجمع البيانات، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أبرزها أن المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية تطبق بعض ممارسات إدارة المعرفة بدرجة متوسطة. حيث يتم توظيف قواعد البيانات الإلكترونية في خزن المعرفة واسترجاعها، وتتوفر آليات تتيح للعاملين الوصول إلى المعرفة المتاحة. في المقابل، كشفت النتائج عن وجود معوقات تحد من التطبيق الفاعل لإدارة المعرفة، تمثلت في ضعف ثقافة إدارة المعرفة لدى بعض العاملين، وقصور التخطيط التنظيمي المرتبط بعمليات إدارة المعرفة، وأوصت الدراسة بضرورة تعزيز ثقافة إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية، وتطوير البنية التنظيمية والتقنية الداعمة لها.

الكلمات المفتاحية: إدارة المعرفة، المكتبات الجامعية، المكتبة المركزية، الجامعة التقنية الشمالية.

مشكلة البحث:

تواجه المكتبات الجامعية في البيئة المعاصرة تحديات متزايدة في إدارة مواردها المعرفية في ظل التحول الرقمي وتسارع إنتاج المعرفة وتنوع أشكالها. ولم تعد وظيفة المكتبة تقتصر على حفظ مصادر المعلومات وإتاحتها، بل أصبحت مطالبة بتبني ممارسات متقدمة لإدارة المعرفة تضمن توليدها وتنظيمها وخزنها ومشاركتها وتوظيفها بكفاءة. تُعد المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية أحد المرافق الحيوية التي يفترض أن تضطلع بدور استراتيجي في إدارة المعرفة المؤسسية، إلا أن مدى تطبيق مفاهيم وممارسات إدارة المعرفة فيها، ومستوى وعي العاملين بها، والمعوقات التي تحد من فاعلية هذا التطبيق، ما تزال بحاجة إلى دراسة علمية منهجية من وجهة نظر العاملين أنفسهم. وعليه، تتحدد مشكلة البحث في التساؤلات الرئيسية الآتي:

1. ما واقع تطبيق إدارة المعرفة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية من وجهة نظر العاملين؟
2. ما أبرز المعوقات التي تحد من فاعلية هذا التطبيق؟

أهمية البحث:

تنبثق أهمية البحث من مرتكزين أساسيين:

1. المرتكز العلمي: يسهم البحث في إثراء الأدبيات العربية في مجال إدارة المعرفة في مؤسسات المعلومات، ولا سيما المكتبات الجامعية، من خلال تقديم دراسة ميدانية تستند إلى بيانات واقعية وتحليل إحصائي يعكس مستوى التطبيق الفعلي للممارسات المعرفية.
2. المرتكز التطبيقي: يوفر البحث تشخيصًا دقيقًا لواقع إدارة المعرفة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية، ويحدد مواطن القوة والقصور، بما يساعد متخذي القرار على تطوير البنية التنظيمية والتقنية، وتعزيز الثقافة المعرفية، وبناء برامج تدريبية داعمة لتحسين الأداء المؤسسي وتحقيق الاستدامة المعرفية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يأتي:

1. تأصيل الإطار المفاهيمي لإدارة المعرفة في المكتبات الجامعية، من حيث مفهومها وعملياتها وأنواعها ومقومات نجاحها.

2. قياس مستوى تطبيق عمليات إدارة المعرفة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية من وجهة نظر العاملين.
3. تحليل طبيعة المعوقات التي تحد من فاعلية تطبيق إدارة المعرفة.
4. صياغة مقترحات تطويرية عملية قابلة للتطبيق تستند إلى نتائج التحليل الإحصائي، بهدف تعزيز النضج المؤسسي لإدارة المعرفة وتحسين الأداء المؤسسي للمكتبة.

تساؤلات البحث:

بناءً على أهداف البحث، تتحدد تساؤلاته بالآتي:

1. ما الإطار المفاهيمي لإدارة المعرفة في المكتبات الجامعية، وما عملياتها الرئيسة ومقومات نجاحها؟
2. ما مستوى تطبيق عمليات إدارة المعرفة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية من وجهة نظر العاملين؟
3. ما درجة تأثير المعوقات البشرية والتنظيمية والثقافية والتقنية والزمنية في الحد من فاعلية تطبيق إدارة المعرفة في المكتبة؟
4. ما الإجراءات التطويرية المقترحة لتعزيز تطبيق إدارة المعرفة والانتقال إلى مستوى نضج مؤسسي متكامل؟

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الأنسب لدراسة الظواهر الإدارية والتنظيمية كما هي في الواقع، وتحليلها وتفسيرها في ضوء البيانات الميدانية. كما تم توظيف المنهج المسحي لجمع بيانات كمية من مجتمع الدراسة من خلال أداة الاستبانة، وتحليلها إحصائيًا للوصول إلى نتائج موضوعية تدعم أهداف البحث.

أدوات جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة الأدوات الآتية:

1. أدبيات الموضوع: للاطلاع على الإطار النظري لإدارة المعرفة في المكتبات الجامعية، وتحديد المفاهيم والأبعاد الرئيسة للدراسة.

2. الاستبانة: أداة رئيسة لجمع البيانات من أفراد العينة، وتضمنت فقرات موزعة على محاور تمثل أبعاد إدارة المعرفة والمعوقات المرتبطة بها، وتم تصميمها وفق مقياس ليكرت الخماسي. استند بناء الاستبانة إلى نموذج عمليات إدارة المعرفة (اكتساب المعرفة، خزنها، نشرها، تطبيقها)، مع مراعاة المقومات الداعمة (العنصر البشري، التكنولوجيا، الثقافة التنظيمية، العمليات التنظيمية)، لضمان مواءمة منهجية بين الإطار النظري والقياس الميداني، وتم التحقق من صدق الأداة (صدق المحتوى) بعرضها على محكمين، وبالاستناد إلى الأدبيات والدراسات السابقة عند بناء الفقرات، فيما تم قياس الثبات بمعامل كرونباخ ألفا وبلغ (0.89)، وهي قيمة تدل على تمتع الأداة بدرجة عالية من الاتساق الداخلي، مما يجعلها صالحة للتطبيق الميداني.

مجتمع وعينة البحث:

تكوّن مجتمع البحث من جميع العاملين في التشكيلات المرتبطة فنيًا بالمكتبة المركزية في الجامعة التقنية الشمالية. أما عينة البحث فقد بلغت (37) موظفًا، تم اختيار العينة بطريقة قصدية شاملة نظرًا لمحدودية مجتمع الدراسة، وبهدف تمثيل جميع العاملين المرتبطين فنيًا بالمكتبة. ونظرًا لمحدودية حجم العينة (37 مفردة)، اقتصر التحليل الإحصائي على الأساليب الوصفية (المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسب المئوية)، بوصفها الأنسب لطبيعة الدراسة التقويمية الاستكشافية.

الدراسات السابقة:

نستعرض نماذج من الدراسة السابقة الحديثة في مجال ادارة المعرفة في المكتبات مرتبة زمنية وفق الترتيب التنازلي:

أولًا: الدراسات المحلية:

1. دراسة العباسي وجوده (2025) من أحدث الدراسات المحلية التي تناولت موضوع إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية العراقية، إذ هدفت إلى توظيف تكنولوجيا المعلومات لدعم إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية، متخذةً من جامعة واسط أنموذجًا. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وركزت على تحليل واقع استخدام التقنيات الحديثة في دعم عمليات إدارة المعرفة. ورغم أن تفاصيل العينة لم تكن متاحة في صفحة الملخص، إلا أن الدراسة أكدت في نتائجها أن تكنولوجيا

المعلومات تمثل الركيزة الأساسية لتفعيل عمليات إدارة المعرفة داخل المكتبات الجامعية، وأوصت بضرورة تعزيز التكامل بين تخصص علم المكتبات وتقنيات المعلومات، وتطوير البنية التحتية التقنية الداعمة.

ثانيًا: الدراسات العربية:

1. دراسة قوالي (2023) في الجزائر تناولت إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية من منظور نظري تطبيقي، مركزةً على الأدوات القائمة على تكنولوجيا المعلومات. وقد اعتمدت الدراسة أسلوب المراجعة التحليلية، مستعرضةً النظم والأدوات الرقمية الداعمة لإدارة المعرفة مثل الأنطولوجيا، الويكي، بوابات المعرفة، ونظم الذكاء الاصطناعي. وأكدت نتائجها أن انتشار تكنولوجيا المعلومات يوسع إمكانيات خلق المعرفة وتخزينها ومشاركتها وتطبيقها داخل المكتبات الجامعية، وأوصت بضرورة الاستثمار في هذه الأدوات وتطوير قدرات العاملين عليها.
2. دراسة إبراهيم (2024) في ليبيا ركزت على الأبعاد المفاهيمية والتنظيمية لإدارة المعرفة في المكتبات الجامعية، وهدفت إلى تحديد عوامل نجاح تطبيقها. وأبرزت النتائج أن العنصر البشري يمثل حجر الأساس في توليد المعرفة ونقلها، مؤكدة أهمية الثقافة التنظيمية، والدعم الإداري، والتحفيز المؤسسي. وأوصت الدراسة بتهيئة البيئة التنظيمية المناسبة وتعزيز الوعي المعرفي لدى العاملين.

ثالثًا: الدراسات الأجنبية:

1. دراسة Lahai et al. (2024) في جامعة سيراليون هدفت إلى استكشاف أثر إدارة المعرفة في تحسين خدمات المكتبات الأكاديمية، باستخدام منهج مختلط (Mixed Methods). وقد أكدت النتائج أن تطبيق ممارسات إدارة المعرفة يسهم في تطوير جودة الخدمات المقدمة، ويعزز كفاءة الأداء المؤسسي. وأوصت الدراسة بتبني استراتيجيات مؤسسية واضحة لإدارة المعرفة وربطها بالأهداف الاستراتيجية للجامعة.
2. دراسة Lyaka & Ngulube (2024) في أوغندا تناولت موضوع الاحتفاظ بالمعرفة (Knowledge Retention) في المكتبات الجامعية العامة، من خلال تصميم منهجي استكشافي متتابع (Exploratory Sequential Mixed Methods)، شمل

مقابلات نوعية ثم استبانة لعينة بلغت (67) من أمناء المكتبات. وأظهرت النتائج غياب استراتيجية رسمية للاحتفاظ بالمعرفة، ووجود معوقات تنظيمية وإدارية تحد من فاعلية ممارسات الموارد البشرية في دعم إدارة المعرفة. وأوصت الدراسة بدمج سياسات الموارد البشرية مع استراتيجيات إدارة المعرفة، خاصة في مجالات التدريب والتعاقب الوظيفي والحوافز.

مكانة البحث من الدراسات السابقة:

يتبوأ البحث الحالي مكانة تطبيقية مميزة بين الدراسات السابقة لكونه يقدم قياسًا ميدانيًا مباشرًا لواقع إدارة المعرفة في بيئة مكتبة جامعية عراقية، مستندًا إلى بيانات كمية من وجهة نظر العاملين أنفسهم، مع تحليل متوسطات وانحرافات معيارية لبنود الواقع والمعوقات. وبينما ركزت بعض الدراسات على البعد التقني و عرضت الأطر المفاهيمية العامة، فإن هذا البحث يدمج البعدين التقني والتنظيمي والثقافي ضمن إطار تقويمي يوضح مكامن القوة والقصور، ويترجمها إلى توصيات تنفيذية قابلة للتطبيق داخل المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية. وانعكس ذلك في بناء الاستبانة بمحورين رئيسين: محور واقع التطبيق (تقني/مشاركة/حوكمة وتوثيق)، ومحور المعوقات (تدريب/حوافز/ثقافة/تخطيط/تكامل/وقت)، بما يترجم ما أكدته الدراسات السابقة حول تلازم التقنية مع الثقافة والتنظيم.

المقدمة:

تُعد إدارة المعرفة أحد المرتكزات الاستراتيجية في المؤسسات المعاصرة، إذ تمثل إطارًا متكاملًا لتنظيم المعرفة المؤسسية واستثمارها في دعم الأداء وتحقيق الميزة التنافسية. وفي سياق المكتبات الجامعية، لم يعد دورها مقتصرًا على إتاحة مصادر المعلومات، بل أصبح يتعدى ذلك إلى إدارة رأس المال المعرفي وتيسير عمليات توليد المعرفة ومشاركتها بين العاملين والمستفيدين. وفي ظل التحول الرقمي وتزايد الاعتماد على التقنيات الإلكترونية في خزن المعلومات واسترجاعها، تبرز الحاجة إلى تقييم واقع تطبيق إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية، وتشخيص المعوقات التي تحد من فاعليتها. وانطلاقًا من ذلك، تأتي هذه الدراسة لتحليل واقع تطبيق إدارة المعرفة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية من وجهة نظر العاملين، بوصفها نموذجًا يمكن الإفادة منه في تطوير الممارسات المعرفية في المكتبات الجامعية.

مفهوم إدارة المعرفة:

تُعرَّف إدارة المعرفة بوصفها نهجًا متعدد الأبعاد ضمن علم الإدارة، يهدف إلى استثمار المعرفة الضمنية والصريحة داخل المنظمة وتحويلها إلى مورد فاعل لتحقيق الرسالة بكفاءة وفعالية عبر عمليات منهجية تشمل الالتقاط والتنظيم والمشاركة وإعادة التجميع والتوزيع بما يخلق قيمة جديدة ويعزز الأداء والإبداع وصنع القرار (Dalkir, 2011؛ Agarwal & Islam, 2014). وفي مجال المكتبات والمعلومات يمكن النظر إلى إدارة المعرفة على مستويين:

1. إدارة معرفة المستفيدين (الخارجية): وتتصل باقتناء المعرفة ومعالجتها وتقديمها عبر خدمات مكتبية.
2. إدارة المعرفة الداخلية: وتعنى بتنظيم المعرفة داخل المكتبة: مصادرها، عملياتها، خبراتها، وثقافتها، وقدرات الأفراد، بما يضمن تدفقًا معرفيًا مستدامًا ويعزز الابتكار التنظيمي (Bultrini & Newman, 2020؛ Lam et al., 2021).

التمييز بين البيانات والمعلومات والمعرفة (DIKW):

في البيئة الرقمية تُستخدم مصطلحات البيانات والمعلومات والمعرفة أحيانًا بصورة متداخلة، رغم أنها مفاهيم متباينة. فالبيانات تمثل حقائق خام غير منظمة (أرقام، رموز، صور...)، بينما تُعد المعلومات ناتج معالجة البيانات وتنظيمها وتفسيرها بما يجعلها ذات معنى ودلالة للاستخدام في القرار. أمّا المعرفة فهي مزيج

من المعلومات والخبرة والتجربة والمهارة بما يتيح التطبيق والفهم العميق والتوليد الإبداعي للحلول (Soloviev, 2016).

ويوضح نموذج DIKW (البيانات–المعلومات–المعرفة–الحكمة) أن المعرفة تنشأ من تراكم المعلومات مع الخبرة، بينما تمثل الحكمة القدرة على التعلم والتكيف واتخاذ القرار الرشيد في مواقف جديدة؛ وهو ما يفسر موقع المكتبة الجامعية كوسيط محوري بين معالجة المعلومات وإسناد إنتاج المعرفة في المجتمع الأكاديمي (Soloviev, 2016).

أنواع المعرفة:

تُفهم المعرفة باعتبارها حصيلة خبرة وفهم نظري وتطبيقي يُكتسب بالتعليم والتجربة، وتتشكل ضمن عقل الفرد في صورة حقائق وتفسيرات وأحكام ومهارات (Oxford English Dictionary, 2023). وتُقسم غالبًا إلى:

1. المعرفة الضمنية: معرفة شخصية متجذرة في الخبرة والممارسة يصعب تدوينها ونقلها بسهولة، وتحتاج إلى بيئات تواصل وتفاعل لتبادلها وتحويلها إلى أصول تنظيمية (Nonaka & von Krogh, 2009؛ Chugh, 2019).
2. المعرفة الصريحة: معرفة موثقة يمكن تقنينها وتخزينها ونقلها عبر أوعية معلومات متعددة، وتمثل مجالًا تقليديًا لعمل المكتبات عبر عمليات الفهرسة والتصنيف والخدمات المرجعية... إلخ (Dalkir, 2011).

كما أن العلاقة بين النوعين ديناميكية؛ إذ تتحول الضمنية إلى صريحة عبر التوثيق والنقاش، وتعود الصريحة لتغذي معرفة ضمنية جديدة لدى الأفراد عبر التعلم والتطبيق (Nonaka & von Krogh, 2009).

أهمية تطبيق إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية:

تؤدي المكتبة الجامعية دورًا محوريًا في دعم التعليم والبحث العلمي، ومع اتساع تقانة المعلومات وتغير احتياجات مجتمع المستفيدين، يصبح تبني إدارة المعرفة خيارًا استراتيجيًا لتحسين الخدمات وتعزيز الصلة بالمؤسسة الأم، خاصة في بيئات تعاني محدودية الموارد وتزايد المنافسة الرقمية (Poonkothai, 2016؛

Vijaykumar, 2018). ومن أبرز مبررات التطبيق: تحويل المكتبة إلى منظمة متعلمة تعزز التعلم المستمر وتطوير الهياكل والإجراءات، وتوسيع قنوات التعاون الداخلي والخارجي، وتقليل الازدواجية وتحسين الجودة عبر مشاركة المعرفة، واستعادة دور المكتبة في تحقيق رسالة الجامعة وأهدافها الاستراتيجية (Lam et al., 2021؛ Bultrini & Newman, 2020). كما يسهم التطبيق في بناء ذاكرة معرفية مؤسسية عبر تقنيات تخزين واسترجاع آمنة ومنظمة، بدل الاقتصار على الحفظ الكمي للمعلومات (Agarwal & Islam, 2014).

مقومات إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية:

ترتكز إدارة المعرفة على أربعة محاور تكاملية: الأفراد، العمليات، التكنولوجيا، المعرفة؛ وهي تتقاطع مع مراحل أساسية تشمل إنتاج المعرفة، توثيقها، إتاحتها، استخدامها وإعادة استخدامها، ثم نشرها ونقلها (Dalkir, 2011؛ Afnor, 2018).

1. العنصر البشري: يمثل المورد البشري حجر الزاوية في نجاح إدارة المعرفة لأن المعرفة تُنتج وتُفعّل عبر الأفراد، لذا تتطلب المكتبة كوادر مؤهلة تجمع بين التخصص المعلوماتي والمهارات التقنية والقدرة على الابتكار والتعلم المستمر (Siddiqua et al., 2012؛ Hendro Subagyo et al., 2019). كما تزداد أهمية تحفيز العاملين على مشاركة المعرفة ضمن ثقافة ثقة وتعاون.
2. تكنولوجيا المعلومات لإدارة المعرفة: تمكّن تقنيات المعلومات والاتصال المكتبات من تسريع تدفق المعرفة وتوسيع الوصول إليها عبر الشبكات المحلية والخارجية، وقواعد البيانات، واسترجاع المعلومات، والبرمجيات التعاونية، ومنصات التدريب الإلكتروني، بما يدعم اكتساب المعرفة وتوثيقها ومشاركتها بصورة منهجية (Agarwal & Islam, 2014؛ Gilson et al., 2015).

وتشمل البنية التقنية الداعمة لإدارة المعرفة في المكتبات الجامعية منظومة متكاملة من نظم إدارة المحتوى، وقواعد البيانات الإلكترونية، وأدوات التعاون الرقمي، ومنصات الاتصال الداخلي، التي تسهم في تنظيم المعرفة وخزنها واسترجاعها وتداولها بين العاملين بصورة منهجية. ويُعد تكامل هذه النظم ومواءمتها مع العمليات التنظيمية شرطًا أساسياً لضمان فاعلية دورة إدارة المعرفة وتحويل

المعرفة المؤسسية من مورد كامن إلى قيمة تشغيلية قابلة للتطبيق والتحسين المستمر (Dalkir, 2011؛ Agarwal & Islam, 2014).

3. الثقافة التنظيمية: هي منظومة قيم ومعايير وإجراءات موجهة للسلوك المؤسسي، وتعد شرطًا حاسمًا لنجاح إدارة المعرفة؛ إذ إن مشاركة المعرفة تتطلب بيئة تشجع الثقة والتواصل والانفتاح والتعلم، وتربط أهداف العاملين بأهداف المؤسسة (Mehta, 2008؛ Lam et al., 2021). كما أن القيادة مطالبة بإدارة التغيير وتوضيح الرسالة وتيسير المشاركة.
4. العمليات: تمثل عمليات إدارة المعرفة سلسلة مترابطة تشمل: إنشاء/اكتساب المعرفة، تخزينها، نقلها/نشرها، ثم تطبيقها. ويتوافق هذا التصور مع الأطر المعيارية التي ترى إدارة المعرفة كنظام عملياتي قابل للقياس والتحسين المستمر (Afnor, 2018؛ Agarwal & Islam, 2014).

- إنشاء واكتساب المعرفة: عبر الاجتماعات والندوات والتدريب ورصد الخبرات الضمنية وتحويلها إلى ممارسات موثقة.
- تخزين المعرفة: ببناء ذاكرة تنظيمية (مستودعات رقمية، قواعد بيانات، سحابة) لمنع ضياع الخبرة عند انتقال الأفراد.
- نشر/نقل المعرفة: رسميًا (شبكات، تقارير، تدريب) وغير رسمي (مجتمعات ممارسة/حوار) بما يضمن وصول المعرفة لمن يحتاجها.
- تطبيق المعرفة: جوهر إدارة المعرفة؛ إذ تتحول المعرفة المخزنة إلى تحسين فعلي في القرار والخدمة والابتكار، لا مجرد مخزون مكلف (Dalkir, 2011).

صعوبات تطبيق إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية:

تتأثر فاعلية تطبيق إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية بمجموعة معوقات متداخلة (بشرية–تنظيمية–تقنية–مالية–ثقافية). ويمكن تصنيف أبرز الصعوبات كما يأتي:

1. صعوبات بشرية ومعرفية: تُعد فجوة المهارات المعرفية والرقمية لدى بعض العاملين من أهم العوائق؛ إذ تتطلب إدارة المعرفة أدوارًا جديدة للمكتبيين بوصفهم "مديري معرفة" قادرين على التقاط

المعرفة الضمنية، وتحويلها إلى معرفة صريحة قابلة للتوثيق والمشاركة (Siddiqua et al., 2012؛ Hendro Subagyo et al., 2019). كما يظهر ضعف الحافزية للمشاركة المعرفية بسبب غياب الحوافز أو الخوف من فقدان "قوة المعرفة" أو القلق من التقييم، ما يضعف تدفقات المعرفة الداخلية (Mehta, 2013؛ Lam et al., 2021).

2. صعوبات ثقافية وتنظيمية: نجاح إدارة المعرفة مشروط بثقافة تنظيمية داعمة تشجع الثقة والتعاون وتبادل الخبرات. وعندما تسود ثقافة العمل الفردي أو ضعف الثقة أو المركزية الإدارية، تتقلص بيئات المشاركة ويتعثر تحويل المعرفة الضمنية إلى أصول تنظيمية (Mehta, 2013؛ Lam et al., 2021). كما أن غياب رؤية استراتيجية واضحة لإدارة المعرفة وربطها بأهداف الجامعة يجعل المبادرات التقنية مجرد أدوات منفصلة لا تحقق قيمة مؤسسية مستدامة (Dalkir, 2011؛ Lam et al., 2021).
3. صعوبات تخطيط العمليات والمعايير: من المشكلات المتكررة ضعف تحديد العمليات المعرفية بشكل إجرائي (التقاط–توثيق–تخزين–نشر–تطبيق)، وغياب نمذجة دورة المعرفة داخل المكتبة، ما يؤدي إلى فوضى معرفية (Knowledge Chaos) أو تراكم محتوى غير قابل للاسترجاع أو التوظيف (Dalkir, 2011؛ Agarwal & Islam, 2014). كما أن عدم الاسترشاد بأطر معيارية لإدارة المعرفة يجعل التطبيق غير متسق ويصعب تقييمه أو تحسينه تدريجيًا (Afnor, 2018).
4. صعوبات تقنية وبنيوية: رغم توفر أدوات تقنية متعددة (مستودعات رقمية، بوابات معرفة، ونظم تعاونية)، إلا أن التحدي يكمن في التكامل بين نظم إدارة المكتبات ونظم إدارة المعرفة، وقابلية التشغيل البيني، وجودة البيانات الوصفية، وأمن المعلومات، واستمرارية الصيانة والتحديث (Agarwal & Islam, 2014؛ Dalkir, 2011). ويؤدي ضعف البنية التحتية (شبكات/خوادم/نسخ احتياطي/أمن سيبراني) إلى تعطيل الوصول للمعرفة وتقليل الاعتمادية عليها في العمل اليومي (Agarwal & Islam, 2014).

5. صعوبات مالية وموارد: تتطلب إدارة المعرفة استثمارات في التدريب، وبناء المحتوى المعرفي، وتطوير المنصات، وإدارة التغيير؛ وفي بيئات تقل فيها الميزانيات أو تتذبذب، تتحول المشاريع إلى مبادرات جزئية غير مكتملة تؤدي إلى مقاومة داخلية وفقدان الثقة بالمشروع (Poonkothai, 2016؛ Vijaykumar, 2018). كما أن محدودية الموارد البشرية قد ترفع عبء العمل، فتضعف القدرة على توثيق المعرفة أو تحديثها باستمرار (Vijaykumar, 2018).
6. صعوبات قياس الأثر والتقييم: من أبرز الإشكالات أن المكتبات قد تطبّق أدوات معرفية دون وجود مؤشرات أداء واضحة (KPIs) لقياس أثر إدارة المعرفة على جودة الخدمات، ورضا المستفيدين، وتقليل الزمن، وتحسين القرار. وبدون قياس، يصبح من الصعب تبرير التمويل أو تعديل التصميم أو إثبات القيمة المضافة (Dalkir, 2011؛ Lam et al., 2021).
7. صعوبات مرتبطة بالمستفيدين والبيئة التنافسية: تغيّر سلوك المستفيدين بسبب الاعتماد المتزايد على محركات البحث وقواعد البيانات والمنصات المفتوحة يجعل المكتبة أمام منافسة على "الانتباه المعرفي". وإذا لم تُترجم إدارة المعرفة إلى خدمات ذكية وواجهات اكتشاف فعالة وقيمة بحثية مضافة، تتراجع مكانة المكتبة كمركز معرفة في الجامعة (Poonkothai, 2016؛ Vijaykumar, 2018).

الجانب الميداني:

تم تصميم محور واقع تطبيق إدارة المعرفة لقياس مستوى الممارسات المرتبطة بخزن المعرفة واسترجاعها، وإتاحتها، وتداولها، وتوثيق الخبرات، ووضوح التخطيط التنظيمي، بما يتطابق مع التساؤل البحثي الثاني، في حين خُصص محور مستقل لقياس المعوقات المرتبطة بالجوانب البشرية والتنظيمية والثقافية والتقنية والزمنية، استجابةً للتساؤل الثالث. تحليل محاور وفقرات الاستبانة المتعلقة بواقع تطبيق المعرفة ومعوقاته والمتمثلة بالاتي:

1. تحليل واقع تطبيق إدارة المعرفة :

الجدول (1) واقع تطبيق إدارة المعرفة

ت	الفقرة	لا أوافق بشدة %	لا أوافق %	محايد %	أوافق %	أوافق بشدة %	المتوسط	الانحراف المعياري
1	يتم توظيف قواعد البيانات الإلكترونية في خزن المعرفة واسترجاعها بفاعلية.	1 (2.7%)	4 (10.8%)	8 (21.6%)	16 (43.2%)	8 (21.6%)	3.70	1.02
2	تتوفر آليات تُمكّن العاملين من الوصول السريع إلى المعرفة المتاحة داخل المكتبة.	2 (5.4%)	5 (13.5%)	9 (24.3%)	15 (40.5%)	6 (16.2%)	3.49	1.10
3	تُستخدم تقنيات الإدارة الإلكترونية لتداول المعلومات بين الوحدات المكتبية.	3 (8.1%)	7 (18.9%)	10 (27.0%)	12 (32.4%)	5 (13.5%)	3.24	1.16
4	توجد إجراءات موثقة لتحويل الخبرات الضمنية إلى معرفة صريحة قابلة للمشاركة.	5 (13.5%)	9 (24.3%)	10 (27.0%)	9 (24.3%)	4 (10.8%)	2.95	1.22
5	تُعقد اجتماعات/جلسات تبادل خبرات منتظمة لدعم مشاركة المعرفة.	4 (10.8%)	10 (27.0%)	11 (29.7%)	9 (24.3%)	3 (8.1%)	2.92	1.14

6	تتبنى الإدارة خطة تنظيمية واضحة لعمليات إدارة المعرفة (اكتساب–خزن–نشر–تطبيق).	5 (13.5%)	10 (27.0%)	10 (27.0%)	9 (24.3%)	3 (8.1%)	2.86	1.18

أظهرت النتائج الإحصائية أن المستوى العام لواقع تطبيق إدارة المعرفة في المكتبة المركزية جاء بدرجة متوسطة، إذ بلغ المتوسط الحسابي العام للمحور (3.19)، وهو ما يعكس وجود ممارسات معرفية قائمة لكنها لم تصل بعد إلى مستوى النضج المؤسسي المتكامل ويعكس هذا التفاوت بين المؤشرات التقنية والتنظيمية ما تشير إليه أدبيات إدارة المعرفة من أن المؤسسات في مراحلها الانتقالية تميل إلى تعزيز البنية التقنية لإدارة المعرفة الصريحة قبل اكتمال التحول الثقافي والتنظيمي اللازم لتحويل المعرفة الضمنية إلى أصول مؤسسية مشتركة، وهو ما يتسق مع نموذج التحول المعرفي الذي يركز على ديناميكية العلاقة بين المعرفة الضمنية والصريحة. ويبيّن تحليل متوسطات الفقرات وجود تفاوت بينها، بما يدل على عدم توازن بين مكوّنات إدارة المعرفة داخل المكتبة. فقد جاءت الفقرات ذات البعد التقني في مقدمة الترتيب، ولا سيما توظيف قواعد البيانات الإلكترونية في خزن المعرفة واسترجاعها بمتوسط (3.70)، وتوفر آليات تمكّن العاملين من الوصول السريع إلى المعرفة المتاحة بمتوسط (3.49)، وهو ما يشير إلى تحقق مستوى أفضل في إدارة المعرفة الصريحة المدعومة بالأنظمة وقواعد البيانات. في المقابل، انخفضت متوسطات الفقرات ذات الطابع التنظيمي والبشري مثل تبنّي خطة تنظيمية واضحة لعمليات إدارة المعرفة بمتوسط (2.86)، وعقد جلسات منتظمة لتبادل الخبرات بمتوسط (2.92)، الأمر الذي يكشف عن ضعف في تفعيل آليات تحويل المعرفة الضمنية إلى معرفة مؤسسية مشتركة عبر التوثيق والمشاركة المنظمة. وبناءً عليه، يتضح أن التطبيق يميل إلى البعد التقني الإجرائي أكثر من كونه ممارسة استراتيجية شاملة تجمع بين التخطيط والتحفيز وبناء الثقافة الداعمة لتشارك المعرفة.

2. تحليل معوقات تطبيق إدارة المعرفة :

الجدول (2) معوقات تطبيق إدارة المعرفة

ت	الفقرة/السؤال	لا أوافق بشدة %	لا أوافق %	محايد %	أوافق %	أوافق بشدة %	المتوسط	الانحراف المعياري
1	ضعف ثقافة إدارة المعرفة لدى بعض العاملين يحد من المشاركة المعرفية.	1 (2.7%)	3 (8.1%)	7 (18.9%)	16 (43.2%)	10 (27.0%)	3.84	1.01
2	قصور التخطيط التنظيمي المرتبط بعمليات إدارة المعرفة يضعف فاعلية التطبيق.	1 (2.7%)	4 (10.8%)	8 (21.6%)	15 (40.5%)	9 (24.3%)	3.73	1.04
3	محدودية برامج التدريب المتخصصة بإدارة المعرفة وتقنياتها.	0 (0.0%)	2 (5.4%)	6 (16.2%)	15 (40.5%)	14 (37.8%)	4.11	0.88
4	ضعف الحوافز الداعمة لمشاركة المعرفة بين العاملين.	1 (2.7%)	3 (8.1%)	6 (16.2%)	14 (37.8%)	13 (35.1%)	3.95	1.05
5	قيود البنية التحتية التقنية/الاتصالية تعيق التكامل بين النظم وقواعد المعرفة.	2 (5.4%)	5 (13.5%)	9 (24.3%)	14 (37.8%)	7 (18.9%)	3.51	1.12
6	عدم تخصيص وقت رسمي ضمن ساعات	2 (5.4%)	6 (16.2%)	8 (21.6%)	13 (35.1%)	8 (21.6%)	3.51	1.17

	العمل لأنشطة التشارك والتوثيق المعرفي.							

تشير النتائج إلى أن المعوقات التي تحد من تطبيق إدارة المعرفة جاءت بدرجة مرتفعة، إذ بلغ المتوسط الحسابي العام لمحور المعوقات (3.77)، بما يعكس إدراكًا واضحًا لدى العاملين لوجود تحديات مؤثرة تعرقل التحول نحو إدارة معرفة مؤسسية ناضجة. وقد تصدّرت محدودية برامج التدريب المتخصصة قائمة المعوقات بمتوسط (4.11)، وهو مؤشر على فجوة مهارية تحد من قدرة العاملين على ممارسة عمليات إدارة المعرفة بصورة منهجية، مثل توثيق الخبرات وتحويلها إلى معرفة قابلة للتداول والاسترجاع ويؤكد ارتفاع هذا المتوسط ما ذهبت إليه الأدبيات الحديثة من أن فجوة القدرات المعرفية تمثل أحد أبرز معيقات الانتقال من الإدارة المعلوماتية إلى الإدارة المعرفية المؤسسية، إذ لا يمكن تفعيل دورة إدارة المعرفة دون تأهيل منهجي للعاملين على مهارات التوثيق والمشاركة والتحويل المعرفي. تلا ذلك ضعف الحوافز الداعمة لمشاركة المعرفة بمتوسط (3.95)، وهو ما يشير إلى قصور في منظومة التحفيز الإداري التي يفترض أن تشجّع المبادرات المعرفية وتكافئ المساهمات في التوثيق والنشر ونقل الخبرة. كما أظهرت النتائج أن ضعف ثقافة إدارة المعرفة (3.84) وقصور التخطيط التنظيمي (3.73) يمثلان عائقًا بنيويًا يعكس غياب إطار استراتيجي واضح يُنظّم عمليات الاكتساب والخزن والنشر والتطبيق. وعلى المستوى التقني والزمني، برزت قيود التكامل بين الأنظمة وضغط العمل الروتيني وعدم تخصيص وقت رسمي لأنشطة التوثيق والتشارك بمتوسطات (3.51)، بما يحد من الاستفادة من الأدوات المتاحة. وعليه، تتضح طبيعة المعوقات بوصفها مزيجًا من عوامل بشرية وتنظيمية وثقافية وتقنية، مع رجحان العاملين التأهيلي والتحفيزي بوصفهما الأكثر تأثيرًا في إعاقة التطبيق الفاعل لإدارة المعرفة.

النتائج:

اظهر البحث مجموعة من النتائج والتي نستعرضها على النحو الاتي:

1. أظهرت النتائج أن مستوى تطبيق إدارة المعرفة في المكتبة المركزية جاء بدرجة متوسطة (3.19)، مما يدل على وجود ممارسات معرفية قائمة لكنها غير مكتملة النضج المؤسسي.

2. تبين أن المؤسسة حققت تقدماً في الجانب التقني لإدارة المعرفة، خصوصًا في مجال تخزين المعرفة الصريحة واسترجاعها عبر قواعد البيانات الإلكترونية.
3. كشفت النتائج عن ضعف واضح في إدارة المعرفة الضمنية، حيث انخفضت المتوسطات المتعلقة بالتخطيط الاستراتيجي وجلسات تبادل الخبرات.
4. أوضحت البيانات أن المعوقات جاءت بدرجة مرتفعة (3.77)، مما يشير إلى وجود عوائق هيكلية حقيقية تعرقل تطور إدارة المعرفة.
5. احتلت محدودية التدريب المرتبة الأولى بين المعوقات (4.11)، ما يعكس فجوة مهارية تحول دون ممارسة إدارة المعرفة بصورة منهجية.
6. تبين أن ضعف الحوافز وقصور التخطيط التنظيمي يسهمان في تكريس ثقافة انعزالية بدلاً من ثقافة المشاركة المعرفية.
7. أشارت النتائج إلى وجود مشكلات تكامل تقني وزمني، تتمثل في ضغط العمل الروتيني وغياب تخصيص وقت رسمي للأنشطة المعرفية.

التوصيات:

1. إعداد استراتيجية مؤسسية رسمية لإدارة المعرفة تتضمن رؤية واضحة، وأهدافًا قابلة للقياس، ومؤشرات أداء محددة، وربطها بالخطة الاستراتيجية العامة للمكتبة والجامعة.
2. إنشاء وحدة لإدارة المعرفة تتولى الإشراف على عمليات الاكتساب والتوثيق والمشاركة والتطبيق، وتضمن التكامل بين الجوانب التقنية والتنظيمية.
3. تصميم وتنفيذ برنامج تدريبي متخصص ومستدام في إدارة المعرفة، يركز على: توثيق المعرفة الضمنية، استخدام نظم إدارة المعرفة، بناء قواعد المعرفة، مهارات المشاركة الرقمية.
4. إدراج المشاركة المعرفية ضمن نظام تقييم الأداء الوظيفي بحيث تُحتسب مبادرات التوثيق والمشاركة ونقل الخبرة ضمن معايير الترقية والتحفيز.
5. تفعيل الحوافز المعنوية والمادية لدعم ثقافة التشارك المعرفي، مثل شهادات التقدير، الإشادة العلنية بالمبادرات، أو مكافآت رمزية للمساهمات المتميزة.

6. إنشاء منصة معرفية داخلية لتوثيق الإجراءات، والدروس المستفادة، وحلول المشكلات المتكررة، بما يسهم في تحويل المعرفة الضمنية إلى معرفة صريحة متاحة للجميع.
7. تنظيم جلسات دورية لتبادل الخبرات ومجتمعات ممارسة داخل المكتبة، بهدف تعزيز التنشئة الاجتماعية للمعرفة وتقليل ثقافة الانعزال الوظيفي.
8. تحسين تكامل الأنظمة التقنية عبر ربط قواعد البيانات والنظم المختلفة ضمن بيئة معلوماتية موحدة تقلل من الجزر التقنية وتعزز انسيابية تدفق المعرفة.
9. تخصيص وقت رسمي ضمن ساعات العمل لأنشطة إدارة المعرفة (توثيق، تحديث، تبادل خبرات)، لضمان تحولها من نشاط هامشي إلى ممارسة مؤسسية منظمة.

خاتمة:

خلص البحث إلى أن واقع تطبيق إدارة المعرفة في المكتبة المركزية للجامعة التقنية الشمالية يتسم بدرجة متوسطة، وهو ما يعكس انتقال المؤسسة من مرحلة الاعتماد التقليدي على نظم المعلومات إلى مرحلة تبنّي بعض ممارسات الإدارة المعرفية دون أن تبلغ مستوى النضج المؤسسي الكامل. فقد أظهرت النتائج وجود بنية تقنية مقبولة، تجسدت في توظيف قواعد البيانات الإلكترونية وتيسير الوصول إلى المعرفة الصريحة، الأمر الذي يشير إلى إدراك المؤسسة لأهمية التحول الرقمي في دعم وظائفها المعلوماتية. في المقابل، كشفت النتائج عن فجوة واضحة في الجوانب التنظيمية والبشرية، لاسيما ما يتعلق بالتخطيط الاستراتيجي لإدارة المعرفة، وتنظيم جلسات تبادل الخبرات، وتحفيز العاملين على مشاركة المعرفة الضمنية. كما بيّنت المعوقات المرتفعة نسبيًا أن محدودية التدريب، وضعف الحوافز، وقصور الثقافة التنظيمية، تشكل عوائق هيكلية تحد من تحول إدارة المعرفة إلى ممارسة مؤسسية متكاملة. ومن ثمّ، فإن استمرار التطبيق عند المستوى المتوسط لا يعكس قصورًا تقنيًا بقدر ما يعكس حاجة إلى إعادة بناء المنظومة الإدارية والثقافية الداعمة للمعرفة. ويمكن توصيف واقع إدارة المعرفة في المكتبة المركزية بأنه في مرحلة "التمكين التقني الأولي"، حيث تتوافر بنية معلوماتية مقبولة لإدارة المعرفة الصريحة، مقابل حاجة ملحّة لتعزيز التحول الثقافي والتنظيمي الذي يرسّخ مشاركة المعرفة الضمنية ضمن إطار استراتيجي متكامل. وعليه، فإن الارتقاء بمستوى إدارة المعرفة في المكتبة يتطلب تبني رؤية استراتيجية واضحة، وتعزيز بناء القدرات المعرفية للعاملين، وتهيئة بيئة تنظيمية تشجع على التوثيق

والمشاركة، مع ضمان تكامل الأنظمة التقنية وتخصيص الوقت والموارد اللازمة لهذه العمليات. إن تحقيق هذا التكامل بين البعد التقني والبعد البشري من شأنه أن ينقل المكتبة من مرحلة التطبيق الجزئي إلى مرحلة النضج المعرفي المؤسسي، بما يسهم في تحسين الأداء، وتعزيز جودة الخدمات، وتحقيق الاستدامة المعرفية في البيئة الجامعية.

قائمة المصادر:

أولًا: المصادر العربية:

1. إبراهيم، سالم محمد. (2024). إدارة المعرفة وإمكانية تطبيقها في المكتبات الجامعية. مجلة القرطاس، 1(25).
2. العباسي، ثامر حميد حافظ، و جودة، محسن ساجت. (2025). توظيف تكنولوجيا المعلومات لدعم إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية: جامعة واسط نموذجًا. مجلة كلية التربية/جامعة واسط، 60(2)، 513–536. https://doi.org/10.31185/eduj.Vol60.Iss2.4472
3. قوالي، نورالدين. (2023). إدارة المعرفة في المكتبات الجامعية: الأدوات القائمة على تكنولوجيا المعلومات. مجلة علم المكتبات، 15(1)، 149–183.

ثانيًا: مصادر إنجليزية :

1. Agarwal, N. K., & Islam, M. A. (2014). Knowledge management implementation in a library: Mapping tools and technologies to phases of the KM cycle. VINE, 44(3), 322–344. https://doi.org/10.1108/VINE-01-2014-0002
2. Bultrini, L., & Newman, W. (2020). Knowledge management and library innovation in a changing world. IFLA Journal, 46(1), 3–4. https://doi.org/10.1177/0340035219900601
3. Chugh, R. (2019). Tacit knowledge transfer: Information technology usage in universities. In Proceedings of the 11th International Joint Conference on Knowledge Discovery, Knowledge Engineering and Knowledge Management (IC3K 2019) (Vol. 3, pp. 349–355).
4. Dalkir, K. (2011). Knowledge management in theory and practice (2nd ed.). MIT Press.

5. Gilson, L. L., Maynard, T. M., & Hakonen, M. (2015). Virtual teams research: 10 years, 10 themes, and 10 opportunities. Journal of Management, 41(5), 1313–1337.
6. ISO. (2018). ISO 30401:2018—Knowledge management systems—Requirements. International Organization for Standardization.
7. Lahai, P. S. (2025). Knowledge management and provision of academic library services in the University of Sierra Leone: A mixed-methods approach. IFLA Journal) .Online first 2024 .(2025 ؛ مدرج في عدد https://doi.org/10.1177/03400352241287786
8. Lam, L., Nguyen, P., Le, N., & Tran, K. (2021). The relation among organizational culture, knowledge management, and innovation capability: Its implication for open innovation. Journal of Open Innovation: Technology, Market, and Complexity, 7(1), 66. https://doi.org/10.3390/joitmc7010066
9. Lyaka, M., & Ngulube, P. (2025). Leveraging human resource practices to retain librarians' knowledge in selected public university libraries in Uganda. International Journal of Knowledge Management, 21(1). https://doi.org/10.4018/IJKM.370947
10. Mehta, N. (2008). Successful knowledge management implementation in global software companies. Journal of Knowledge Management, 12(2), 42–56. https://doi.org/10.1108/13673270810859505
11. Nonaka, I., & von Krogh, G. (2009). Tacit knowledge and knowledge conversion: Controversy and advancement in organizational knowledge creation theory. Organization Science, 20(3), 635–652.
12. Oxford English Dictionary. (n.d.). Knowledge. Oxford University Press. Retrieved February 13, 2026, from https://www.oed.com/
13. Poonkothai, R. (2016). Knowledge management as an important tool in library management. International Journal of Information Technology and Library Science, 5.(1)

14. Siddiqua, N., Ansari, H. A., & Ansari, M. N. (2012). Changing role of librarian in knowledge management: A survey of public sector universities. Library Philosophy and Practice.
15. Soloviev, K. (2016, February 29). 3 Steps to a Data-Driven Content Quality Approach. ContentQuo (Blog).
16. Vijaykumar, N. (2018). Challenges in knowledge management in libraries. International Journal of Research in Social Sciences, 8.(10)

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Pragmatics of Poetic Discourse and Speech Acts
A Reading of the Poem "The Door Is Not Personal"
by the Poet Abdul Razzaq Abdul Wahid

Researcher Dr. Adhraa Mahdi Hussein Al-Adhari
Presidency of Middle Euphrates Technical University
Department of Quality Assurance and University Performance
adraa.mahdi.inj@atu.edu.iq

Abstract:

This research seeks to utilize pragmatic theory in reading and receiving contemporary poetic discourse, drawing inspiration from this theory which has occupied a significant place in analytical philosophical studies for a considerable period of time, and from which contemporary pragmatics emerged, encompassing the functional view of language and its elements within the context or sphere of use. This research involves a research problem which is how this theory, with its practical dimensions, can be employed in reading poetic discourse, through the functions that these speech acts undertake, and with the power of influence, persuasion and achievement that they possess. This research aims to achieve several objectives, beginning with the theoretical and conceptual grounding of pragmatics, its principles, foundations, and levels, moving through the definition and grounding of speech act theory, and concluding with the analysis of the text under study, namely the poem "Don't Knock on the Door" by the poet Abdul Razzaq Abdul Wahid

Keywords: Discourse, pragmatics, speech act theory, performative verbs, Don't Knock. Door ،Abdul Razzaq Abdul Wahid.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

تداوليّة الْخطاب الشّعريّ والأفعال الْكلاميّة
قراءة في قصيدةِ (لا تطرقْ الْباب) للشاعرِ عبد الرّزاق عبد الْواحد

الْباحثةُ: م.د.عذراء مهدي حسين الْعذاري
رئاسةُ جامعةِ الْفرات الأوسط التقنيّة
قسمُ ضمان الجْودةِ والأداءِ الجْامعي

ملخص:

يسعى هذا البحثُ إلى اسّتثمار النّظريّة التّداوليّة في قراءة وتلقّي الْخطاب الشّعريّ الْمعاصر، مستلهمين من هذه النّظريّة الّتي شغلتْ حيّزا من الدّراسات الْفلسفيّة التّحليليّة ردحاً من الزّمن وانبثقتْ عنها التّداوليّة الْمعاصرة الّتي تشملُ الرّؤيّة الْوظائفيّة للغةِ وعناصرها داخل السّياق أو حيّز الاستعمال، إذ ينطوي هذا البحث على مشكلةٍ بحثيّةٍ مفادها، كيف يمكن توظيف هذه النّظريّة بأبعادها الاسّتعماليّة في قراءة الْخطاب الشّعريّ، ومن خلال الوظائف التي تنبري إليها هذه الأفعال الْكلاميّة، وبما تزخر به من قوّة التأثير والإقناع والإنجاز، إذْ يهدفُ هذا الْبحث إلى تحقيقِ عدّة مطالب بدءاً بالتّأصيل النّظريّ والْمفاهيميّ للتداوليّة ومبادئِها واسسِها ومراتِبها، ومروراً بالتّعريف والتّأصيل لنظريّة أفعال الْكلام، وانتهاءً بتحليلِ النّص محل الْبحث ألا وهو قصيدة (لا تطرقْ الْباب) للشاعر عبد الرّزاق عبد الْواحد، ومن هنا سيندرجُ هذا الْبحثُ ضمن هيكلةٍ مبسّطةٍ تتألفُ من مقدماتٍ بحثيّة عامة ومبحثين أثنين، إذ يتجلّى في المبحث الأوّل البعد التنظيري التأصيلي لنظريّة التّداوليّة والأفعال الْكلاميّة، بينما يتخصص الْمبحثُ الثّاني بالجّانب الْعملي التّطبيقيّ حيث نقومُ بتحليلِ النّص على وفق آلياتِ الْمنهج التّداوليّ، ومن هنا فقد توصّل البحثُ الى مجموعةٍ لابأس بها من النتائج ، لعلّ أهمها أنّ الأفعال الْكلاميّة التي زخرتْ بها قصيدة (لا تطرقْ الْباب) مارستْ تأثيرها على المتلقي وحققتْ قوّتها الإنجازيّة التعبيريّة ، وأخيرا نسألُ الله القبول والرضا.

الكلمات المفتاحية:الْخطاب، التّداوليّة، الأفعال الْكلاميّة، قصيدة لا تطرقْ الْباب، عبد الْرزاق عبد الْواحد.

المبحث الأوّل

التّأطير النّظريّ والْمفاهيميّ لنظريّة التّداوليّة والأفعال الْكلاميّة

أولاً: التّأطير النّظريّ للخطاب والتّداوليّة

1- مفهوم الْخطاب:

أُستخدِمتْ لفظةُ الْخطاب والْمخاطب لدى النّحاةِ والأصوليين، بمعنى طرفيّ الْخطاب أو الطّرف الموجّه له الْخطاب، وكما جاءتْ بهذه الدّلالة على لسان الآمدي ، إذ يقول : " هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه " (الآمدي، 1981، صفحة 72) ، أمّا الْمفسرون فقد ربطوا الْخطاب بالْمقام واعتباراتِ الْمقام وكما يقول فخرُ الدّين الرّازي بشأنِ الْخطاب ومفاهيمِه : "وإن فصل الْخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ، ويحضر في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء، ينفصل كل مقام عن مقام" (الرازي، 1981، صفحة 188) ومن هذا التّفسير يتّضحُ لنا مسألة ارتباطِ الْخطاب بالْمقام الاسّتعماليّ ، أي أنّ كلّ موقف وكلّ ظرفٍ سياقيّ معيّن إنْ كان سياقاً اجتماعيّاً أو سياسيّاً أو نفسيّاً فهو يمتلكُ خطابَه الْخاص وظرفَه الْخاص ، ولو أردنا أن نبحثَ هذا الْمفهوم حديثاً لوجدنا أنّ مفهومَ الْخطاب لم يختلفْ كثيراً عمّا جاءَ في الْموروثِ الْعربيّ سواءً كان نحويّاً أو أصوليّاً أو تفسيريّاً ، فقد ارتبط بكلّ ماهو اكبر من الجملة ، وارتبط بطرفيّ الْخطاب وكما يحدده بنفنست بأنّه "كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ، وعند الأول هدف التأثير على الثّاني بطريقة ما " (يقطين، 1989، صفحة 19)، ولو أردنا ان نقف عند هذا التّعريف لبنفنست سنجد أنّه يقترب كثيرا من تعريف الآمدي ، إذْ يتموضع حول فكرة طرفي الْخطاب ، وهذه الفكرة موجودة لدى العرب في تفسيرهم لمفهوم الْخطاب ، فضلاً عن مسألة الفهم والإفهام المتواضَع عليه بين طرفي الْخطاب ، امّا فيما يتعلق بمسألة الخلط بين مفهومي الْخطاب والنص ، فإنّ ما طرحه بول ريكور يكفي للفصل بين المفهومين، ذلك حين أطلق مطلح النص على : "كلّ خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة " (العاني، 1999، الصفحات 223-224)

2- مفهوم التّداوليّة

يرى كثيرٌ من الباحثين أنّ مصطلح التّداوليّة pragmatics على قدرٍ كبيرٍ من الْغموض (بلانشيه، 2007، صفحة 17) ،إذْ اقترن في اللغة الفرنسيّة بمعنيين وهما محسوس وملائم للحقيقة ، أمّا في

الإنكليزية فقد اقترن بكلّ ماله علاقة بالْأعمال والوقائع الحقيقيّة (بلانشيه، 2007، صفحة 17)،وعلى الرّغمِ من ضخامةِ البحث التّداوليّ ومفاهيمه ومتعلقاتهِ ، نحاولُ في هذا المبحث أنْ نشيرَ إلى بعضِ الْمسائلِ الأساسيّة فقط دون التداخل مع التفاصيل لغرضِ تحديد الأُطر النّظريّة والْمفاهيميّة للتداوليّة وبما يُعدُّ أساساً نستندُ عليه في بحثِنا هذا، وسنقفُ بدورِنا عندَ بعضٍ التّعريفاتِ للتداوليّة، على إعتبار أنّها فرعٌ من فروعِ علم اللغة يبحثُ دراسةِ الْعناصر اللغويّة وغير اللغويّة، لذلك فهي كثيرة الارتباط بعلم النّفس الاجتماعي (مزيد، 2010، صفحة 25)، لكونها تبحثُ في كيفية اكتشاف السّامع مقاصد المتكلم ودراسة معناه، لأن المتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماتُه (بوجادي، 2009، الصفحات 14-15) ، فالتّداوليّة وإنْ كانت تُعنى بدراسة اللغة في الاسّتعمال ، أو في التّواصل فهي تنظرُ إلى أبعدِ من البُنى النّحوية لأن المعنى ليس متأصلا في الكلماتِ وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم والسّامع وحدهما ، وإنما في تداول اللغة بين هذه الأطراف الْمتكلم – السّامع (نحلة، 2006) ، ويرى (فيليب بلانشيه) أنّ التّداوليّة ليستْ تداوليّة واحدة بلْ هي (تداوليّات) وكان الأحرى أنْ يُطلَقَ عليها (تداوليّات) ،نظراً لضخامةِ هذا الْعلم مع تعدّدِ روافده الفلسفيّة إذْ تتموضع في الْحقل الفلسفي وهو حقلٌ فسيحٌ بدوره (بلانشيه، 2007، صفحة 18)، ومن هنا فإنّ جميع هذهِ التّيارات، الّتي تجاذبتْ التّداوليّة، تُقرّ وبحسبِ مسعود صحراوي بانّها إيجاد قوانين للْإستعمال اللغوي، والتعرُّف على قدراتِ الْإنسان في التّواصُل اللغوي، لذلك تكونُ التّداوليّة جديرةً، بأنْ يُطلقُ عليها علمُ الْإسّتعمال اللغوي (صحراوي، بدون تاريخ، الصفحات 16-17)، وينسبُ أولُّ اسّتعمال لمصطلحِ التّداوليّة إلى العالِم الأمريكي شارل موريس(1938)،الذي عدّ التّداوليّة جزءا من السّيمائيّة ،وجاء بتقسيمه الثّلاثي الشّهير لعلم الْعلامات (بلانشيه، 2007، الصفحات 44-45) :

1- علم النّحو الذي يقوم على اعتبار الْعلاقة القائمة بين الْعلامات اللغويّة فيما بينها.
2- علم الدّلالة الذي يقوم على اعتبار الْعلاقة القائمة بين العلامة والأشياء التي تدلُّ عليها في الخارج. (العلامة ودلالاتها) أي الْعلاقة بين (العلامة – الدال).
3- علم التّداول الذي يقوم على اعتبار العلاقة القائمة بين العلامة ومستعمليها (العلامة وظروف التأويل أي العلاقة بين (العلامة –المؤّول) (بلانشيه، 2007، صفحة 45)، ومن هنا فإنّ التّداوليّة بحسبِ (موريس)، تمثّل علاقة العلامات بمنتجِيها ومستقبلِيها وسياقِ إنتاجِها وتلقيِها،

وهي الضلع الثالث من أضلاع مثلث موريس (مزيد، 2010، صفحة 19) ، أمّا تعريفها بحسبِ (جون أوستن)، فهي دراسة التعامل اللغوي، من حيث هي جزء من التعامل الاجتماعي، إذْ تنتقل اللغة من واقِعها النحوي واللغوي والنّفسي، إلى واقعِها الْاجتماعي حيث التّأثير والتّأثُّر (الله، الموسم الجامعي 2019-2020).

3- **مراتب التّداوليّة وأُسسُها:**

لخّص هانسن في عام 1974 التّداوليّة على وفق ثلاثةِ مراتب ، تختصُّ تداوليّة الدّرجة الأولى منها بدراسةِ الرّموز الإشاريّة وعنصر الذاتيّة في الْخطاب (الحباشة، 2010، صفحة 46)، فيما تختصُّ تداوليّة الدّرجة الثّانية بدراسةِ انتقال الدّلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي (بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية، 2006، صفحة 191)، وفيما يتعلّقُ بتداوليّة الدّرجة الثالثة، فهي تُعنى بنظريّة أفعال اللغة ومتعلقاتِها كأفعال الكلام (ارمينيكو، 1997، صفحة 38)، ينظرشكل رقم -3-

ومن هنا يكادُ يُجمعُ الباحثون، على أنّ أُسس التّداوليّة تتلخّصُ في أربعةِ أُسس، تُمثّلُ البناء والهيكل، الّذي تستندُ عليه التّداوليّة وهي، متضمنات ألْقول، والاسّتلزام الْحواري، والإشاريّات، وأخيراً الأفعال الكلاميّة. أمّا متضمنات القول فتنصرِفُ في جانبين، الافتراض الْمسبق والأقوال المضمرة، وفيما يتعلّقُ بالْإشاريّات فهي تندرج تحت أربعِ تصنيفات، وهي الإشاريّات الشّخصيّة، والْإشاريّات الاجّتماعيّة، والإشاريّات الْخطابيّة، والْإشاريّات الزمانيّة، وأخيراً الْإشاريّات المكانيّة (صحراوي، بدون تاريخ)، يُنظر الشكل رقم 4و5.

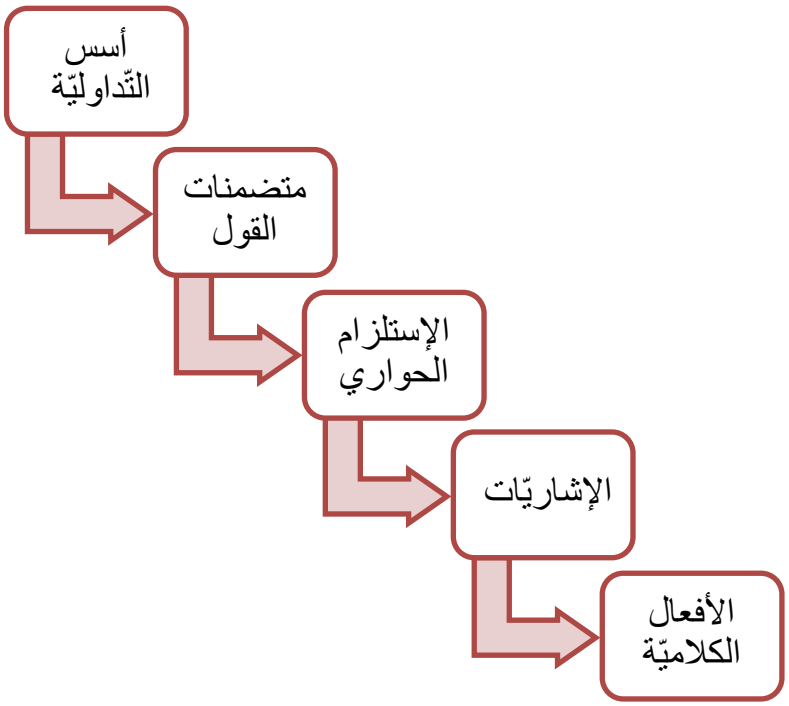
أسس التّداوليّة
متضمنات القول
الإستلزام الحواري
الإشاريّات
الأفعال الكلاميّة

شكل رقم -4-

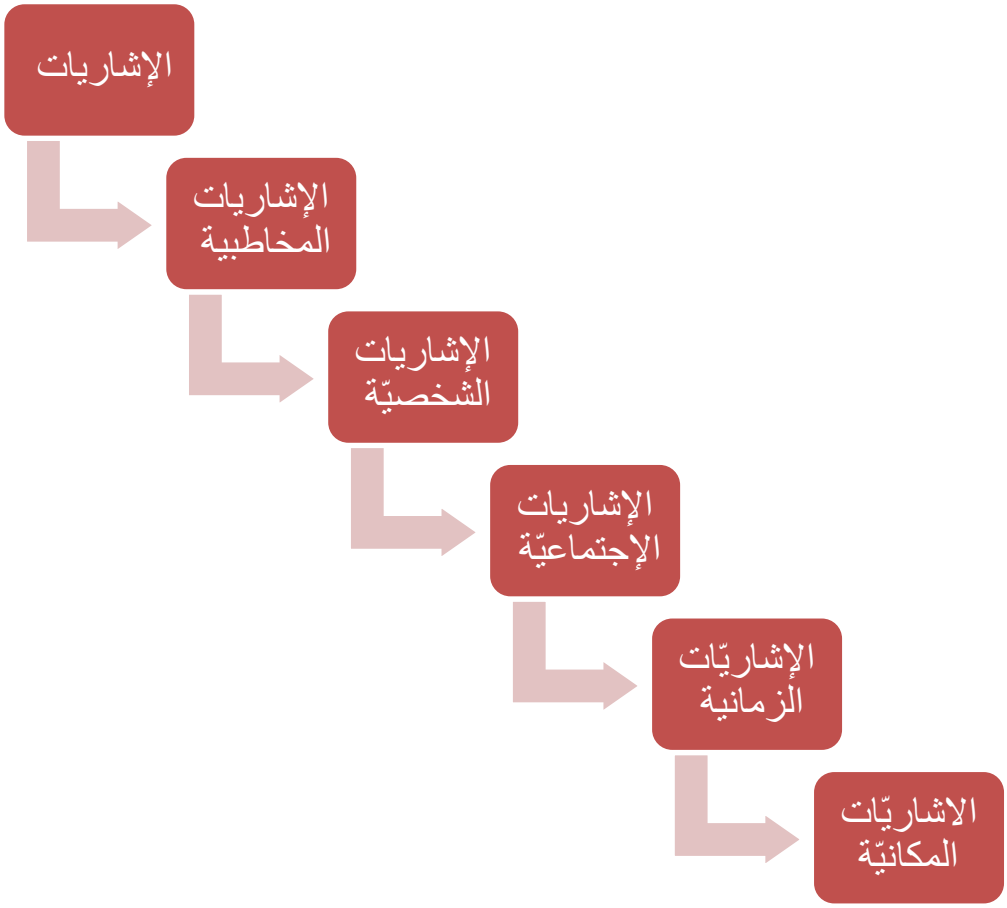

شكل رقم -5-

4- أسسُ التّداوليّة والخْطاب الشّعريّ:

لقد كان من تطوّر علم العلامات، أن تجاوزَ تحليلُ الخْطاب الرّؤيّة الضيقة للنّص إلى ما هو أوسع من علميّ النّحو والدّلالة، إذْ خرج أضلاعُ الْمثلث الْعلاماتيّ، النّحو والدّلالة والتّداوليّة من حدودِ اللغة

التّقليدية الضّيّقة إلى رحابةِ علم الْعلامات، هنا تتشكّل الرؤية الْعلاماتيّة، بكاملِ أبعادِها التّركيبيّة والدّلاليّة والتّداوليّة ، حيثُ ترى اللون وتسمعُ الصّوت وتشمَّ الرائحة، فليستْ الْعلامةُ منحصِرةً في مجالٍ لُغويّ محدود بلْ في فضاءٍ أوسع تكادُ تراه وتسمعُه وتشمُّه (مزيد، 2010، صفحة 19)، فلا يكفي أن نستخلصَ الْمميزات الدّاخليّة للنّصوص، ولكن أنْ نستخلصَ الْمميزات الْخارجيّة لهذهِ النّصوص، أو بكلماتٍ أخرى أنْ نستخلصَ الشّروط الّتي يخضعُ لها ظهورها في سياقاتٍ خاصّة، كما تخضعُ لها وظائفها وتأثيراتها في هذهِ السّياقات (دايك، 2004، صفحة 37)، ذلك أنّ الدّراساتِ الْحديثة اتجهتْ إلى تحديدِ وتوجيه الرّؤيّة نحو الْعلائق الْموجودة بين النّصوص وسياقاتِها، واهميّة دراسةِ هذهِ السّياقات في أكثرِ من علمٍ كعلمِ النّفس وعلم الْاجتماع وعلوم الْفلسفة والْانثروبولوجيا والْلاهوت وغيرها من العلوم، فضلاً عن العلوم اللسانيّة والْأدبيّة (دايك، 2004، الصفحات 37-38)، وبحسبِ (ستيفن اولمان) أنّ نظريّة السّياق إذا طُبِّقَتْ بحكمةٍ، ستمثّل الْحجر الأساس في علم الْمعنى (أولمان، بدون تاريخ، صفحة 32)، ذلك أنّ دراسة النّص لا تكتفي بدراستِهِ في ذاتِهِ بل بما يحيطُ بهِ من خارِجِهِ، والْخارج هنا يشيرُ إلى ظروفِ النّص في صدورِهِ عن الذّات المتكلّمة الّتي توجُّهُ خطاباً إلى مستمعٍ أو مخاطَبٍ، أي أنّ الْخطاب هنا يخضعُ إلى ظروفٍ حواريّة مشتركةٍ بين أطراف الْخطاب، وهذا هو سياق الْموقف أو سياق الْواقع (داغر، 1997، صفحة 132)، على اعتبار أنّ السّياق يمثّل " الصّورة الْكليّة الّتي تنتظِمُ عناصر الصّورة الجزئيّة، فلا يُفهم الْجزء إلاّ في موقِعِهِ من الكُل (بودرع، 2006، الصفحات 26-27)، ولا يختلف الْباحثون في أنّ اللغة هي الْمدخل إلى الْعوالم الْكامنة فيها، وتكوين الْخلفيّة الّتي يحكمُ فيها صاحب اللغة يتغيّر بتغيير الزمان والمكان(السّياق)، وهذا يفسّر تعدّد مستوياتِ الْفهم والْقراءات والتّفسير والتّأويل، من قِبل الْمتلقي (بحيري، 1997، صفحة 168،189)، وهنا يتمُّ تفعيل السّياق غير اللغويّ، وهو ما يُسمّى بسياق الْحال الّذي يجري من خلالِهِ التّعامل اللغويّ الفعليّ الْحادث من الأفراد في مجتمعِهِمْ، وهذا السّياق الّذي نظر إليه علماءُ اللغة وعلماءُ النّفس وعلماءُ الْاجتماع (بشر، 1997، الصفحات 49-50)، فلايمكن عزل الظاهرة الأدبيّة عن سياقاتِها النفسيّة والاجتماعيّة، فالسّياق النّفسي طريقٌ إلى اكتناه الدّلالاتِ النّفسيّة الْكامنة فيهِ، والْقابعة في لا وعي الْمبدع كالأحلامِ والْأساطير والرّموز (عيسى، المجلد 9، صفحة 238)، إذْ إنّ اللغة تعكسُ إلى حدٍّ كبير ثقافة الشّاعر، فضلاً عن واقِعِهِ المحيط بِه، كاهتماماتِ المجتمع وما يتعلّقُ بها من أمورٍ دينيّة عقائدية ايديولوجيّة

سياسيّة وغيرها، فهنا لابدّ من أنْ ينطلقَ تحليلُ النّص ومفرداتِهِ من خلالِ تأكيد الصّلة الْقائمة بين اللغة وكثيرٍ من جوانب الثّقافة، كالْمنطق والانثروبولوجيا والنّفس (دياب، يوليو 2005)، وأنّ "دراسة المعنى ليست موقوفة على اللغة بوصفِها نظاماً رمزيّاً للاتصال، وإنّما تتجاوزها إلى غيرِها من الأنظمة الإشاريّة والرّمزيّة، فاللغوي المعاصر يهتم باللغة في كل استخداماتها، وأشكالِ ظهورها بوصفِها جزءاً من عمليّات الحياة اليوميّة، والتّفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع" (فتيح، صفحة 56)، ومن هنا نحنُ نتعاملُ مع النّص بوصفِهِ وحدةً داخليّة تكوّن الأنساق في مستوى الدّلالة والتّداول، بنسقٍ يحقّقُ ترتيبَ الأبنية في تماثلٍ يحوّلُ التّجاربَ إلى بنىً رمزيّةٍ، مدارَها الإنجاز اللغوي (عنبر، 2001، صفحة 121)، لقد اصبحَ السّياق مفهوماً مركزيّاً في كلّ الْاتجاهاتِ الْوظيفية، بما في ذلك التّداوليّة، وكان لتصوُّر (هايمز-1972)، عن عناصر السّياق أصداؤه الْواسعة، ومن مقدماتِ التّداوليّة كذلك نظريّة أفعال اللغة الْكلاميّة كما طوّرها أوستن وسيرل، والْمبدأ التّعاوني ومفهوم التّضمين عند جرايس (مزيد، 2010، صفحة 22) ، وغيرها من أسس التّداوليّة الّتي انتظمتْ ضمن رؤيةِ تحليلِ الْخطاب الشّعريّ وأتتْ أُكُلُها ونتائجها الْإيجابيّة، مستلهمةً هذهِ الْمقوّماتِ في نقاشاتِها وتحليلاتِها، وما يعنينا من هذا الْمبحث هو نظريّة أفعال اللغة أو أفعال الْكلام، وكيفيّة استثمارِها كمنطلقٍ تأسيسي لتحليلِ الْخطاب الشّعريّ.

ثانيّاً: التّأطيرُ النّظريّ للأفعال الْكلاميّة

1- مفهوم الافعال الْكلاميّة

يتفقُ معظمُ الباحثين على أنّ الأفعال الْكلاميّة نظريّة ذاتُ خلفية فلسفية ومنطقية ، إذْ ظهرت بجهود فتجنشتاين Wittgenstein 1960- 1911 ، ثم تبناها جون أوستين Austin 1960- 1911، وعمقها جون سورل (Searle) (بوجادي، 2009، الصفحات 50-55)، إذْ تُعدُّ بحسبِ أغلب الدارسين أحد أهم محاور الدرس التّداوليّ الحديث ، وهي مجال أساسي لدراسة " مقاصد المتكلم ونواياه ، فالمقصد يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية ، التي يتلفظ بها ، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الْخطاب ، ومن ثمة يصبح توفر القصد والنية مطلبا أساسيا ، وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي ، الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى " (بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ، 2006، صفحة 170)، وبحسب جون

اوستن أنّ اللغة تتجاوز وظيفة الاتصال الى وظيفة التّأثير، وتغيير السّلوك الإنساني من خلال مواقف كلية (بوجادي، 2009، صفحة 53)، حيثُ تنهضُ نظريّةُ أفعال اللغة على أساسِ كون اللغة فعلاً كلاميّاً مفاده التأثير في المتلقي، على اعتباراتٍ تذهبُ إلى اللغةِ بوصفِها ظاهرةً اجتماعيّة، نبتغي بها دراسةِ مقاصد الْمتكلم وتداوليّة الْخطاب ضمن سياقِ الْحال أو الموقف الاستعمالي (مزيد، 2010، صفحة 50)، إذْ يقوم الناس بإنتاج مجموعةٍ من التّفوهات والأفعال، في محاولةِ التّعبيرِ عن أنفسِهم، ولا ينتج الناس فقط تفوّهات بل ينفذون أيضاً أفعالاً من خلال هذه التّفوّهات (الماشطة، 2018، صفحة 89)، انطلاقا من أن " إنشاء جملة لسانية هو في حد ذاته فعل لغوي ينتمي إلى نظريّة اللغة ، التي تعد جزءا لا يتجزأ من نظريّة الفعل ، حيث يحقق فعل القول في إطارها أفعالا اعتقاديّة من قبيل : التأكيد ، أو الأمر ، أو النّهي ، أو الاستفهام ، أو التعجب والهدف من استعمال الفعل اللغوي هو تغيير الواقع ، والتأثير فيه لا مجرد أداة إخبار ووصف" (مدور، الافعال الكلامية في القران الكريم، 2013، صفحة 5) ، ذلك أنّ اللغة" ليست مجرد أداة للإخبار والوصف ، بل وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله ، وعليه فموضوع البحث يرتكز على ما نفعله بالتّعابير الّتي نتلفظ بها (أفعال الكلام)" (الباهي، 2004، صفحة 123).

2- أنواع الجمل في نظريّة أفعال الْكلام

خلاصة فكرة (جون أوستن) في نظريته (أفعال اللغة)، أنّ كلَّ قولٍ ملفوظٍ يُعدُّ عملاً (بوجادي، 2009، صفحة 53)، مستنداً في قوله هذا على اعتبار كون اللغة المستعملة يمكن أنْ نميّز فيها بينَ نوعين من الجّمل أو الْملفوظات، يقومُ أولّهما على التّقرير والْإخبار الْمباشر مثل جملة: تناولتُ طعام الْإفطار، فهذا كلامٌ إخباريّ تقريريّ، بينما يتجاوز الثّاني إلى الأداء والْإنجاز والتأثير كقولنا: اعتذر من فضلك، افتح الْباب (مزيد، 2010)، لقد لاحظ (أوستن) أنّ الفعلَ الْإنجازي فعلٌ دقيقٌ للغاية، إذْ يمكن تقدير هذا الْفعل، وفق شروط ، لتكونَ كل الْعبارات الْملفوظة انجازية، ومن هنا تكون الْعبارت الْملفوظة إنجازيّة على نوعين:

أ- إنجازيّة صريحة أو مباشرة، ويكون فعلها ظاهر كالْأمر والْدعاء والنّهي، بصيغة الزّمن الْحاضر المنسوب الى الْمتكلم، مثل (اكتب الدرس، اقرأ الدرس، ....).

ب- إنجازيّة ضمنيّة أو غير مباشرة، ويكون فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد = (أقول) الاجتهاد مفيد=آمرك أنْ تجتهد (بوجادي، 2009، صفحة 96)، ولا يفوتنا ما قدّمه (بوهلر)، فيما يتعلق

بأفعال الكلام، إذْ اهتمّ بجانبِ اللغة الإبلاغي، مقترِحاً ثلاثةِ وظائف للدليل اللغوي للسّياق، الْوظيفة التّمثيلية الْمتعلقة بالْوقائع والْاحداث، والْوظيفة التّعبيرية الْمتعلقة بالمرسِل، والْوظيفة الندائية المتعلقة بالمرسَل اليه (بوجادي، 2009، صفحة 58).

3-أنواع الأفعال الْكلاميّة:

يميّز جون أوستن بين ثلاثةِ انواعٍ من الأفعال الكلاميّة:

أ- فعل الْقول (التّلفظي)، يقابل التّلفظ بالْأصوات، والتلفظ بالتّراكيب ودلالاتها.

ب- فعل الْإنجاز (الْقول الْفاعل)، يقابل التّعبير عن قصديّة الْمتكلم، أيّ الجّانب التّبليغي.

ت- فعل التّأثير (الْاسّتلزاميّ)، يحصلُ حين يغيّر الْفعل الإنجازي حال الْمتلقي بالتّأثير عليه (بوجادي، 2009، صفحة 97)، يُنظر شكل رقم -4- ، أمّا (جون سيرل)، الّذي يتفق مع (جون اوستن)، في كثيرٍ من القضايا الفلسفيّة، إلاّ أنّه أعاد تمييز الفعل الكلامي بين أربعةِ أنواع:

أ- الفعل التلفظيّ (الصّوتيّ والتّركيبي).

ب- الفعل القضويّ (الْإحالي والجملي).

ت- الفعل الْإنجازيّ (يعبّر عن قصديّة المتكلّم، والجّانب التّبليغيّ للفعل).

ث- الفعل الْتّأثيريّ (يحصلُ حين يغيّر الْفعل الإنجازي حال الْمتلقي بالتّأثير عليه) (الله، الموسم الجامعي 2019-2020، صفحة 50).

4-تصنيف الأفعال الْكلاميّة بحسبِ الْقوّة الْإنجازيّة

استناداً إلى مفهوم القوّة الْإنجازيّة يصنّف (جون أوستن) أفعال الكلام:

أ- أفعال الحكميّات (الْإقرار)، حكم، وعدَ، وصفَ...

ب- أفعال التّمرس، أمرَ، قادَ، طلبَ، إصدارقرار لصالح او ضد...

ت- أفعال التكليفات، أقسمَ، إلتزم، وعدَ...

ث- أفعال التعبيرات، أكّد، أنكرَ، أجابَ، وهبَ...

ج- أفعال السلوكيّات، أعتذر، هنأ، حيّي، رحّب.. (بوجادي، 2009، صفحة 97)،

المبحث الثّاني

الإطار التّطبيقيّ التّحليليّ للبحث على وفق النّظريّة التّداوليّة

(قصيدة لا تطرقْ الْباب) للشّاعرِ عبد الرّزاق عبد الْواحد –أنموذجا بحثيّاً–

تُعدُّ التّداوليّة مجالاً خصباً من الْمجالات الّتي ندرسُ من خلالِها اللغة ضمن سياقِ الْموقف والاسّتعمال ، فلقد "أتاحتْ تداوليّة أفعال الكلام لتحليلِ الْخطاب منهجية لسانية جديدة من حيث إنّها نظرتْ للكلام بوصفهِ فعلاً لغويّاً SPEECH ACT يدلُّ عليه قصد المتكلم " (مدور، الافعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية ، 2013-2014) ، إذْ كان للتداوليّة فضلٌ كبيرٌ في اتساع فسحةِ التّحليل السّياقيّ للغة، كما وفتح آفاقاَ جديدة لتحليلِ مختلف أنواع الْخطابات، إذ أسهمتْ التّداوليّة بمختلفِ فروعِها ودرجاتِها وأقسامِها في تنويع المجالات التّحليليّة ، لاسيّما نظريّةُ أفعال الْكلام، الّتي هي محور بحثِنا هذا، ذلك أنّ " اللغة سلوك اجتماعي يعبّر به الناس عن أفكارهم ، ونشاط تقوم به جماعة من الناس بهدف التواصل وتحقيق المصالح ، والفرد يستخدم اللغة في مواقف الحياة حين يوجه شكرا ، أو يقدم اعتذارا ، أو يصدر قرارا ، فالكلام المصاحب لهذه الأنشطة وغيرها ، هو مادة صالحة للدراسة "، (مدور، الافعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية ، 2013-2014)، ونحنُ الآن نتعاملُ مع الشّعر، والنّص الشّعريّ بوصفِهِ مفهوماً يشملُ الأفكار والمعاني والصّور الذّهنيّة، الّتي يثيرُها النص كاملاً فينا بأصواتِهِ وألفاظِهِ وجملِ نظمِهِ، (السّياق الْمقالي) و (السّياق المقامي) (الحمد، بدون تاريخ، صفحة 20) ، وقبل أن ندخل في الجّانب التّحليليّ للقصيدة نضعُ بين أيديكم النّص الْكامل لها، يُنظر جدول رقم –1–:

قصيدة (لا تطرقْ الْباب)
لا تطرقِ الْباب.. تَدري أنَّهم رَحَلوا
خُذِ المفاتيحَ وافتحْ، أيُّها الرَّجلُ
أدري سَتذهَبُ.. تَستَقصي نَوافِذَهُم
كما دأبتَ، وتسعى حَيثُما دَخلوا
تُراقِبُ الزَّاد..هَل نامُوا وَما أكلوا؟
وَتطفِئُ النُّورَ..لو..لو مَرَّةً فعَلوا

وفيكَ ألفُ ابتهالٍ لو نَسوهُ لكي
بهم عيونُكَ قبلَ النَّومِ تَكتَحِلُ!
لا تطرقِ الْباب..كانوا حينَ تَطرُقها
لا يَنزلونَ إليها..كنتَ تَنفعلُ
وَيَضحَكون.. وقد تَقسو فتَشتمُهُم
وأنتَ في السِّرِّ مَشبوبُ الهَوى، جَذِلُ!
حتى إذا فتَحوها، والتقَيتَ بِهم
كادَتْ عيونكَ، فرْطَ الحُبِّ، تَنهَمِلُ!
لا تطرقِ الْباب.. مِن يَومَينِ تَطرُقُها
لكنَّهُم يا،غَزيرَ الشَّيبِ، ما نزَلوا!
ستُبصِرُ الغُرَفَ البَكماءَ مُطفأةً
أضواؤها.. وبَقاياهُم بها هَمَلُ
قمصانُهُم..كتبٌ في الرَّفِّ.. أشرِطة
على الأسِرَّةِ، عافوها وما سَألوا
كانتْ أعزَّ عليهم مِن نَواظِرِهم
وَها عليها سُروبُ النَّملِ تَنتقِلُ!
وسَوفَ تلقى لُقىً، كم شاكسوكَ لِكي
تبقى لهُم.. ثمَّ عافوهُنَّ وارتَحَلوا!
خُذْها.. لماذا إذن تبكي وَتلثمُها؟
كانتْ أعزَّ مُناهم هذهِ القُبَلُ
يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني
هذا المساءَ، وَبَدرُ الحزنِ يَكتَمِلُ؟!
ها بَيتيَ الواسِعُ الفَضفاضُ يَنظرُ لي

وكلُّ بابٍ بهِ مِزلاجُها عَجِلُ
كأنَّ صَوتاً يُناديني، وأسمَعُهُ
يا حارِسَ الدَّار، أهلُ الدَّارِ لن يَصِلوا

جدول رقم -1-

بدءاً نضعُ بين أيديكم الْخطوات الْمنهجيّة للتّحليل، بِحسبِ الْمنهج التّحليليّ التّداوليّ ونظريّة أفعال الْكلام:

1- تحديد السّياقات الْمقامية للنّص الشّعريّ (لا تطرقْ الْباب).
2- تحديد الْإستراتيجيات، الّتي عمدَ إليها الشّاعر في بناء الْقصيدة.
3- تحديد الأساليب، الخبريّة أو الْإنشائيّة في الْقصيدة.
4- فرز الأفعال الكلاميّة في الْقصيدة.
5- تحديد مستويات الْفعل الْكلامي في الْقصيدة بحسبِ تقسيم (جون أوستن).
6- تصنيف الأفعال وتوجيه الدلالة بحسب تصنيف (جون سيرل).
7- رصد الأفعال الْكلاميّة الْمباشرة وغير الْمباشرة.
8- توجيه الدّلالات النهائيّة للفعلِ الْكلامي وربطِهِ بالسّياق التّواصلي.

أولاً: تحديد السّياقات الْمقامية للنّص الشّعريّ (لا تطرقْ الْباب).

قصيدة "لا تطرقْ الْباب تدري أنهم رحلوا" هي واحدة من القصائد الوجدانية المؤثرة للشاعر العراقي الراحل عبد الرزاق عبد الواحد .تندرجُ هذه الْقصيدة ضمن سياق شعر الْفقد والاغتراب، الّذي ميّز سنواته الأخيرة .

1- سياق الفقد العائلي وكتبت القصيدة لتعبر عن تجربة شخصية مريرة عاشها الشّاعر بعد رحيل أفراد من عائلته وأبنائه، حيث يصور فيها مشاعر الوحدة والوحشة التي خلّفها غيابهم عن "الدار."
2- البعد والسّياق السياسي، إذْ تشير القصيدة إلى وقائع طائفيّة وعنصريّة تعرّضتْ لها الطائفة الصّابئيّة في العراق، إذْ اشتدتْ المذابح والتهجير عليهم.

3- رمزية الدار والرحيل، أذْ تعكس القصيدة حالة العجز أمام الفراق الحتمي، حيث يستخدم الشّاعر تفاصيل دقيقة (المفاتيح، النوافذ، الزاد، إطفاء النور، الأشرطة، الْأسرّة، مزلاجها، قمصانهم، الزّاد، بَيتيَ الواسِعُ الفَضفاضُ، كتبٌ، الرَّفِّ) ليستحضر طقوس الحياة اليومية التي غابت برحيلهم.

4- الغربة والحنين :ترتبط القصيدة بالظروف العامة للشاعر الذي عاش سنوات من الاغتراب، مما جعل فكرة "الرحيل" والبيوت المهجورة تيمة مركزية في شعره المتأخر.

ثانياً: استراتيجية الْخطاب بين حواريّات الذّات والْإشاريّات

في هذه القصيدة، نلحظُ ظاهرةً تداوليّة فريدة، وهي أن الشّاعر يخاطب نفسه (المونولوج الحواريّ)، كأنه "آخر"، والّتي وردتْ في كثيرٍ من المقاطعِ منها، (لا تطرقْ الْباب.. تَدري أنَّهُم رَحَلوا، خُذِ المفاتيحَ وافتحْ، أيُّها الرَّجلُ، أدري سَتذهَبُ.. تَستَقصي نَوافِذَهُم، كما دأبتَ، وتسعى حَيثُما دَخلوا، تُراقِبُ الزَّاد..هَل نامُوا وَما أكلوا؟، وَتطُفيءُ النُّورَ.. لو..لو مَرَّةً فعَلوا، وفيكَ ألفُ ابتهالٍ لو نَسوهُ لكي)، إلى غيرِها من المقاطع الّتي اتسمتْ بالطّابعِ الْحواري، حين تنقسمُ هنا ال(أنا) الشّاعرة إلى (أنا متكلمة) و(أنت مخاطبة)، هذا التعّدد الدّاخلي للأصوات ما يمكنُ أنْ نسميه، (الْحوار الدّاخلي)أو (الْمونولوج الدّاخلي)، إذْ يتركُ أثراً تداوليّاً، ويوصلُ رسالةً نفسيّة، ممّا يمنحُ النّص الشّعريّ قوّة الْحوار، بين متكلّمٍ ومخاطبٍ افتراضيّ، بين متكلّمٍ يرسِلُ الرّسائل، ومخاطَبٍ يتلقّى هذه الرّسائل، ولا يجيبُ عليها، وهذا ما عمّق فكرة الاغتراب النّفسي والْبعد الْوجداني الْحزين، إذْ يشير إلى واقعِ الْوحدة، الّتي يستشعرُها الشّاعر بعد رحيلِ أولاده وجيرانه وأفراد طائفته عنه، ومما يمنحُ النّص بعداً نفسيّا اغترابيّاً مستغرِقاً في الْوحدة، فضلاً عن هذا، نرى كثرة استخدامِ الإشاريّات، الّتي تُحيلُنا على عنصري (الْغياب / الْحضور)، فيخلقُ هذا التّباين الْضدّي بين الْغائبين الرّاحلين وبين الْحاضرين الْمخاطبين، عبر كثرةِ استخدامِ ضمائر الغائب الْمنفصلة والْمتصلة مثلُ:

اشاريّات الْغياب:

1- الضّمير الْمتصل (واو الجماعة)، في: (رحلوا، أكلوا، ناموا، فعلوا، دخلوا، ارتحلوا، سَألوا، نزَلوا!)، وتستكمِلُ الضّمةُ في مجموعةِ الأفعال الْمضارعة دور الضّمير (واو الجماعة)، في تحقيق الشّعور بالْغياب والْغائبين، الّذي تجلّى في الأفعال: (تَكتَحِلُ!، تَنفعلُ، تَنهَمِلُ!)، فضلاً عنِ الضّمّة اللاحقة في بعض الأسماء والتّعابير، مثلُ: جَذِلُ!، الرَّجلُ، القُبَلُ،

2- الضّمير الْمتصل (همْ)، في: (أنَّهُمْ، نَوافِذَهُمْ، فتَشتمُهُمْ، والتقَيتَ بِهِمْ، وبَقاياهُمْ، نَواظِرِهِمْ، أعزَّ عليهِمْ، تبقى لهُمْ، لكنَّهُمْ، مُناهمْ)

3- الضّمير الْمتصل (ها)، في: (تَطرُقها، لا يَنزلونَ إليها، حتى إذا فتَحوها، مِن يَومَينِ تَطرُقُها، أضواؤها، عافوها، عليها، لُحْذها، وَتلثمُها، زلاجُها)

اشاريّات الْحضور:

لقد تعزّز الْخطاب الْحواري وتبلورتْ معالمُهُ الْحضوريّة، من خلالِ مجموعةٍ من الْإشاريّات ذات الدّلالات الْمخطابيّة، حيثُ تعزّز موقف الْحضور من خلالها لاسيّما:

1- الضّمير الْمتصل (تاء الْمخاطب)، في: (دأبتَ، والتقَيتَ، كنتَ).

2- تاء المضارعة، الّتي كانَ لها بعداً في تعزيز دالّة الحوار وتحقيقِ أبعادِ المخاطب الحضوريّة كما في: (تطرقْ، تَدري، تَستَقصي، سَتذهَبُ، تسعى، تُراقِبُ، وَتطُفيءُ، تَكتَحِلُ، تَطرُقها، تَنفعلُ، تَنتقِلُ!)، ينظر جدول رقم -2- (تحليل الأصوات في قصيدة لا تطرقْ الْباب).

جدول تحليل تعدّد الأصوات في قصيدة (لا تطرقْ الْباب)

نوع الصوت	تجليه في النص	العلاقة التّداوليّة
- صوت ال(أنا) المتكلم - صوت ال(أنا) المخاطَب	- الضّمير المتصل (تاء المخاطب)، في: (دأبتَ، والتقَيتَ، كنتَ). - (تطرقْ، تَدري، تَستَقصي، سَتذهَبُ، تسعى، تُراقِبُ، وَتطُفيءُ، تَكتَحِلُ، تَطرُقها، تَنفعلُ، تَنتقِلُ!،	إثبات الذات المتكلمة في مواجهة الذات المخاطبة واستحضار الماضي في صورة الحاضر
- صوت ال (واو الجماعة)	- (رحلوا، أكلوا، ناموا، فعلوا، دخلوا، ارتحلوا، سَألوا، نزَلوا!)	إثبات الغياب في مواجهة

- صوت ال (هم) الغائبون - صوت ال(هنَّ) الغائبات - صوت ال(ها) الغائبة	- (أهُّم، نَوافِذَهُم، فتَشتمُهُم، والتقَيتَ بِهم، وبَقاياهُم، نَواظِرِهم، أعزَّ عليهم، تبقى لهُم، لكنَّهُم، مُناهم). - (تَطرُقها، لا يَنزلونَ إليها، حتى إذا فتَحوها، مِن يَومَينِ تَطرُقُها، أضواؤها، عافوها، عليها، لحُذْها، وَتلثمُها، زلاجُها)	الحضور وتعزيز حتمية الرحيل
صوت الجمادات الأشياء	الْباب، البيت لمفاتيح، النوافذ، الزاد، إطفاء النور، الأشرطة، الْأسرّة، مزلاجها، قمصانهم، الزّاد، بَيتيَ الواسِعُ الفَضفاضُ، كتبٌ، الرَّفِّ)	إثبات العجز أمام الفراق وحتمية الفراق

جدول رقم -2-

ثالثاً: الأساليب الخبريّة والْإنشائيّة في الْقصيدة

يفتتحُ الشّاعر عبد الرّزاق عبد الْواحد قصيدته بأسلوبِ النّهي (لا تطرقْ الْباب)، متنقلاً في قصيدتِهِ بين عِدّة أساليب تراوحتْ بين الْخبري والْإنشائي، إذ يطغى الْإسلوب الْإنشائي في مفتتح القصيدة، فَمِنَ النّهي الْبارز في جملة (لا تطرقْ)، الّذي تكرر لأكثرِ من ثلاثِ مراتٍ في الْقصيدة، فضلاً عن الْعنوان، انتقالاً إلى الامر الّذي برز في الفعلين (خُذْ، وافتحْ)، ثم تتردد الأفعال المضارعة ذات البعد الْإخباري في مواضع عِدّة، مثل(تدري، أدري، تستقصي، تسعى، تطفئ، تكتحل، يطرقون، يضحكون، تنفعل، ينزلون، تقسو، تنتقل، تبقي، تلثمها، يشاطرني، يكتمل، تبكي، ينظر، يناديني، لن يصلوا)، فضلاً عن تعزيزِ الْواقع الْإغترابيّ، واستدعاء الْماضي بأدواتِ الْحاضر، من خلالِ الْنداء الّذي تجلّى في بعض المقاطع، مثلُ: (خُذِ المفاتيحَ وافتحْ، أيُّها الرَّجلُ، لكنَّهُم يا، غَزيرَ الشَّيبِ، ما نزَلوا!، وَها عليها سُروبُ النَّملِ تَنتقِلُ!، يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني، ها بَيتيَ الْواسِعُ الفَضفاضُ يَنظرُ لي، يا حارِسَ الدَّار، أهلُ الدَّارِ لن يَصِلوا)، ولقد كان لإسلوبِ الاستفهام وقعاً في تهيئةِ واستكمالِ أركان الحوار بين الذات المتكلمة والذات

المخاطَبة، وكما وردَ في بعضِ مقاطع الْقصيدة: (تُراقِبُ الزَّاد.. هَل نامُوا وَما أكلوا؟، خُذْها.. لماذا إذن تبكي وَتلثمُها؟، يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني، هذا المساءَ، وَبَدرُ الحزنِ يَكتَمِلُ؟!)، ومن هنا فإنّ الشّاعرعمدَ إلى التركيز على الأساليب الْإنشائيّة (النّهي، الأمر، الاستفهام، النّداء)، فضلاً عن استخدام الْخبريّات في بعضِ مفاصلِ الْقصيدة، لكنّ الأساليب الإنشائيّة كانت أكثر حضورا من الخبريّة.

رابعاً: تصنيف الأفعال الكلاميّة في الْقصيدة بحسبِ القوّة الإنجازيّة

بعد أنْ قدّمنا في بحثِنا هذا للأساليب الخبريّة والإنشائيّة، الّتي عمدَ إليها الشّاعر عبد الرّزّاق عبد الْواحد في هذه القصيدة، نقفُ الآن عندَ التّصنيف الأوّلي لأفعال الكلام وبحسب تصنيف (جون سورل)، إذْ تجد الشّاعر يستحضرُ مجموعة من الأفعال الكلاميّة، الّتي يبتغي من خلالِها التّأثير في الْمتلقي، سنقومُ بتحديدِ وتصنيفِ الْفعل الكلامي في القصيدة، وبحسبِ القوّة الإنجازيّة، إذْ أنَّ تحليل النص الشّعريّ الماثل بين أيدينا، على وفق نظرية الأفعال الكلامية (Speech Act Theory)، التي أسسها "جون أوستن" وطورها "جون سورل"، ينقلنا من دراسة "ماذا يقول الشعر" إلى دراسة "ماذا يفعل الشعر"، فقصيدة الشّعر (لا تطرقْ الْباب) هنا ليست مجرد وصف، بل هي "إنجاز" أو "فعل" يهدف للتأثير في المتلقي، وهذا ما سنحاولُ إثباته من خلال التّحليل أدناه، وقد هيمنتْ مجموعة من الأفعال الكلاميّة على مجرياتِ القصيدة، سنقومُ بتصنيفِها بحسبِ قوّتها الْإنجازيّة، فكلُّ نوعٍ يكشفُ عن غرضٍ من أغراضِ الْقصيدة:

1- الأفعال التوجيهيّة/ الأمريّة (Directives)

وهي نوعٌ من أفعال الْكلام الّتي يستعملُها الْمتكلمون ليجعلوا شخصاً آخر يقومُ بشيءٍ ما، وغرضها الإنجازي، هو توجيه الْمخاطب إلى الفعل، ومحاولة التأثير فيه، واتجاه المطابقة فيها هو جعل العالم يلائم الكلمات، (س) يريد (ص) وشرط الإخلاص فيها يتمثل في إرادة المتكلم حدوث الشيء، أما الشرط المعد لها فهو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه (مدور، الافعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية ، 2013-2014، صفحة 177)، نلحظُ هنا أنَّ التوجيهيات الطلبية، وهي توجيهات تصدر من (المتكلم) (الشّاعر1)، إلى (المخاطَب)(الشّاعر2) ، لتوجيه المتلقي أو التأثير عليه ، وينبغي أن يكون قابلا للتنفيذ ، ومن مجالاته الفرعية، الّتي وردتْ لدينا هنا على لسان الشّاعر في القصيدة نجد: النّهي،

الاستفهام، النّداء، الأمر، الاستعطاف، ولكل واحدٍ من هذهِ الأغراض الفرعيّة، قوى إنجازية مباشرة، وقوى إنجازية مستلزمة مقاميّاً سنأتي على توضيحها لاحقاً:

الأفعال الكلاميّة / النّهي، النّداء، الاسّتفهام

لقد هيمنَ الْفعل الْكلامي، النّهي من خلالِ صيغة (لا تطرقْ الْباب)، الّتي وردت لأكثر من ثلاثِ مرّات في الْقصيدة، بدءاً من العنوان ومرورا بمجريات النّص:

أ- بؤرة العنوان (لا تطرقْ الْباب)

أ- الْفعلُ التّلفظيّ (الصّوتيّ والتّركيبي)، للفعل الكلامي (لا تطرقْ الْباب) جملة تركيبية مكونة من لا الناهية + فعل مضارع (تطرق).

ب- الْفعل القْضويّ (الْإحاليّ والجمليّ)، يحيلنا هذا الفعل على السّياقات المرجعيّة الاجتماعية والسياسيّة، الّتي مرّ بها الشّاعر، رحيل عائلته وأولادِهِ وجيرانِهِ

ت- الفعل الْإنجازيّ (يعبّر عن قصديّة المتكلّم، والجّانب التّبليغيّ للفعل).

ح- الفعل الْتأثيريّ (يحصلُ حين يغيّر الْفعل الإنجازيّ، حال الْمتلقي بالتّأثير عليه)

إذْ نرى هذا الْفعل يهدفُ لجعل المتلقي يفعل شيئاً (النّهي)، ولكنّه تضمنُ شيئاً ودلالةً أخرى متضمنةً في القول، وبحسبِ المعطيات السّياقيّة المقروءة لدينا، في ضوء السّياق الاجتماعي والسياسي والنفسي، تجلّى لدينا في القصيدة، من خلال الأفعال: لا تطرقْ، لا تطرقِ الْباب.. تَدري أنَّهُم رَحَلوا، خذْ، افتحْ، وقد جاءت بنية الأفعال الْكلاميّة (أدري سَتذهَبُ.. تَستَقصي نَوافِذَهُم)، ظاهر الفعل الْكلامي هو التقرير والإخبار التقريري المباشر، وهذا هو الْمعنى الصّريح والقوّة الإنجازيّة الصّريحة، أمّا المعنى الْمتضمن في الْقول والْقوة الإنجازيّة التّأويليّة، هو في نقل المتلقي من أجواء الواقع إلى مابعد الواقع، وربط الحاضر بالماضي، وهذه الانّتقالة الْمفاجئة من الحاضر إلى الماضي، هو ما احدث مسافة جماليّة، وقطع أفق التوقع، وهو ما تعزز بالفعل الْكلامي اللاحق (تستقصي نوافذهم)، هنا تعزيز لفكرة الانتقال بالْمتلقي بين حاضرٍ كئيب وبين ماضٍ تليد، وتستمرُ فكرةُ الانتقال وتعزيز الْحضور للغائبين عبر مجموعةٍ من الأفعال الكلاميّة ذات الْمغزى الْبعيد، لقد وظّف الشّاعر هذه التّوجيهيات النّفسية، بوصفِها توجيهات تصدرُ عن الْمتكلم في شكلِ انفعال يعبّرُ عنه متوجهاً به إلى المتلقي لكي يحثه، او يحرّكُ مشاعره ليؤدي فعلاً، نلحظ أنّ هذهِ

الأفعال التوجيهيّة النّفسيّة تعكس سلطة المتحدث في الحيز الخاص به، الشّاعر هنا يستخدم صيغة النّهي "لا تطرقْ" لتأكيد الاكتفاء الذاتي أو اليأس من الْعودة، الفعل التّوجيهي هنا يعمل كأداة "حمائية" للذات، بنية الفعل الكلامي الْمركزي (لا تطرقْ الْباب) (لا تطرقِ الْباب.. تَدري أنَّهُم رَحَلوا)، ينظر شكل رقم -1-

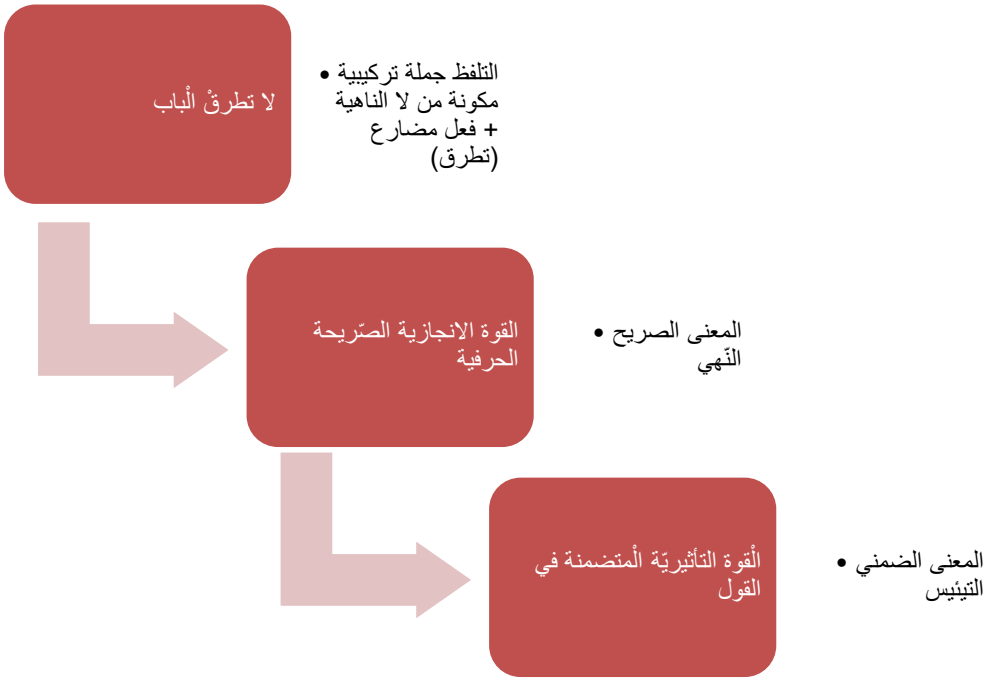

شكل رقم -1-

أمّا النداء هنا فهو يتجلّى كفعل كلاميّ، يقوم به المتكلم الشّاعر، يتوجّهُ بهِ إلى الْمخاطَب لبثّ مقاصدِهِ، فضلاً عن تعزيزِ الْواقع الْإغترابيّ، واستدعاء الْماضي بأدواتِ الْحاضر، من خلالِ الْنداء الّذي تجلّى في بعض المقاطع، مثلُ: (خُذِ المفاتيحَ وافتحْ، أيُّها الرَّجلُ، لكنَّهُم يا، غَزيرَ الشَّيبِ، ما نزَلوا!، وَها عليها سُروبُ النَّملِ تَنتقِلُ!، يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني، ها بَيتيَ الْواسِعُ الفَضفاضُ يَنظرُ لي، يا حارِسَ الدَّار، أهلُ الدَّارِ لن يَصِلوا)، سنتناولها بالتّفصيل:

- خُذِ المِفاتيحَ وافتحْ، أيُّها الرَّجلُ،

أ- الفعل التلفظي: يتجلّى من خلال التلفظ الصّوتي والتركيبي، فالجملة مؤلّفة من تركيب: خذ، فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) يعود على الشّاعر وهو المخاطّب في الآن نفسُه، والمفاتيح مفعول به، وافتحْ، الواو حرف عطف، افتحْ، فعل أمر معطوف على فعل الأمر خذْ، أيُّها، أداة نداء، الرَّجلُ، منادى نكرة مقصودة.

ب- الفعل الإنجازي، والقوّة الْإنجازية الصريحة الْحرفية هي (النداء).

ت- الفعل التّأثيري، القوة التأثيريّة المتضمنة في القول، هي (التيئييس).

لا تطرقْ الْباب.. من يومين تطرقها
لكنَّهُم يا، غَزيرَ الشَّيبِ، ما نزَلوا!،

أمّا النداء الوارد في الجمل (يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني، ها بَيتيَ الْواسِعُ الفَضفاضُ يَنظرُ لي، يا حارِسَ الدَّار، أهلُ الدَّارِ لن يَصِلوا)، هنا النداء أحالنا إلى مابعد النداء، ففي جملة، ياأدمع العين، إحالة إلى الفعل الْكلامي الاستفهامي الْإغرائي، (مَن منكم يُشاطِرُني) ، وفي جملة يا حارِسَ الدَّار، إحالة إلى الفعل الْكلامي التقريري الْإخباري، (أهلُ الدَّارِ لن يَصِلوا)، وفيما يتعلّق بالاستفهام، فلقد تجلّى كفعلٍ كلاميّ، له وقعاً في تهيئةِ واستكمالِ أركان الحوار بين الذّات الْمتكلمة والذّات المخاطَبة، كما وردَ في بعضِ مقاطع الْقصيدة: (تُراقِبُ الزَّاد.. هَل نامُوا وَما أكلوا؟، خُذْها.. لماذا إذن تبكي وَتلثمُها؟، يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني، هذا المساءَ، وَبَدرُ الحزنِ يَكتَمِلُ؟!)، ينظر شكل رقم -2-.

حواريّة 1 تراقب الزّاد...هل ناموا وما أكلوا؟

متكلم (الشّاعر رقم1 الأنا) / مخاطَب (الشّاعر رقم 2 الأنت)

حواريّة 2 خُذْها.. لماذا إذن تبكي وَتلثمُها؟

متكلم (الشّاعر رقم1 الأنا) / مخاطَب (الشّاعر رقم 2 الأنت)

حواريّة 3 يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني، هذا المساءَ، وَبَدرُ الحزنِ يَكتَمِلُ؟!

متكلم (الشّاعر رقم1 الأنا) / مخاطَب (الشّاعر رقم 2 الأنت)

شكل رقم-2-

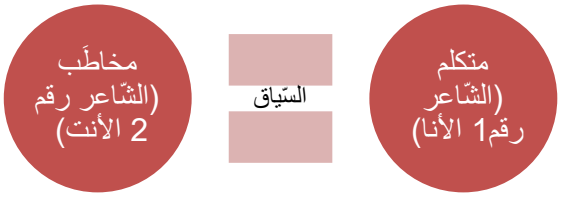

إذْ نرى أنّ الفعل الإنجازي، والقوّة الإنجازية الصّريحة الحَرفية هي (الاستفهام)، أمّا الفعل التأثيريّ، والقوة التأثيريّة المتضمنة في القول، تتجلّى عبر عِدّة أغراض، إذْ خرج الاستفهام من واقع الاستفهام الحقيقي، إلى عِدّة أغراض، لعلّ أهمّها، الاستفهام الاستنكاري، كما في قولِهِ (خُذْها.. لماذا إذن تبكي وَتلثمُها؟)، والاستفهام التّحسّري، كما في قولِهِ (تُراقِبُ الزَّاد.. هَل نامُوا وَما أكلوا؟)، والاستفهام الإغرائي، كما في قولهِ (يا أدمُعَ العينِ.. مَن منكم يُشاطِرُني، هذا المساءَ، وَبَدرُ الحزنِ يَكتَمِلُ؟!).

شروط النجاح(Felicity Conditions)

لقد كانت الأفعال الكلاميّة، المتمثلة بالنّهي، والنداء، والاستفهام، ناجحة وقد تحقق منها الغرض الإنجازي والتأثيري، إذْ توفّر فيها شروط الملائمة، ولكي يكون الفعل الكلامي ناجحاً، يجب توفر شروط:

- المتكلم :يجب أن يمتلك الإرادة التأثيريّة، وهذا ماتوفّر في قصيدتنا.
- المخاطب: توفر عنصر الْمخاطب، من خلال ضمائر وإشاريّات الْخطاب، والأفعال المضارعة.
- السّياق :وجود علاقات سياقيّة، اجتماعيّة ونفسيّة وسياسيّة.

القوة الإنجازية والتأثير(Perlocutionary Effect)

هذا المستوى يهتم بالأثر الذي تتركه الأفعال الكلامية في المتلقي، لقد نجحَ الشّاعر عبد الرّزاق عبد الْواحد في إحداث تغيير عبر هذهِ القصيدة، الغربة، الوحدة، الشعور باليأس، استذكار الأحبة، الإشارات السياسيّة المتضمنة في القول، الاحداث الكبرى، مثلُ التهجير، ومفارقة الأحباب، لقد نجح الشّاعر في إحداث فجوة ومسافة جماليّة تنقل المتلقي من الحاضر إلى الماضي، فضلاً عن التّحول السّياقي، للقصيدة، إذْ تحوّل "الْباب" من كونه وسيلة اتصال إلى "جدار" عازل، الفعل الكلامي هنا ينجح في خلق مسافة مكانيّة ونفسيّة بمجرد التلفظ به ، النوافذ والأثاث تحوّل إلى صوتٍ مسموع يوحي بالوحدة والعزلة.

2- الأفعال التقريرية/ الإخبارية(Assertives)

وهي الأفعال التي تصف حالة واقعية أو تنقل معتقدات الشّاعر، نلحظ انّ الشّاعر لجأ أحياناً إلى الأفعال الإخباريّة، كما في الأفعال (رحلوا، أكلوا، ناموا، فعلوا، دخلوا، ارتحلوا، سَألوا، نزَلوا)، وظيفة هذه الأفعال هي تأسيس المبرر، الشّاعر هنا لا ينهى عن طرق الْباب عبثاً، بل لأن الواقع (الذي تنقله الأفعال التقريرية) لم يعد يسمح باللقاء، هو يضع "مقدمات" منطقية لنتيجتها (النّهي).

3- الأفعال التعبيرية(Expressives)

وهي التي تعبر عن الحالة النفسية والعاطفية للمتكلم، نلمحُ أنّ الشّاعر لجأ إليها أحيانا، كما في قوله: (تطرقْ، تَدري، تَستَقصي، سَتذهَبُ، تسعى، تُراقِبُ، وَتطُفيءُ، تَكتَحِلُ، تَطرُقها، تَنفعلُ، تَنتقِلُ!، شاكسوك)، هذه الأفعال تكسر حدة الأوامر والنّهي، وتضفي طابعاً إنسانياً على القصيدة. هي تشرح "لماذا" يغلق المتحدث الْباب، مما يحول الفعل من "قسوة" إلى "انكسار."

نتائجُ الْبحث والْخاتمة

1- استندَ الشّاعر في بناءِ قصيدتِهِ على، استراتيجية الْخطاب بين حواريّات الذّات والْإشاريّات، إذْ اتسمتْ القصيدة بالطّابعِ الْحواري، حيثُ تنقسمُ ال(أنا) الشّاعرة إلى (أنا متكلمة) و(أنت مخاطبة)، هذا التعّدد الدّاخلي للأصوات ما يمكنُ أنْ نسميه، (الْحوار الدّاخلي) أو (الْمونولوج الدّاخلي)، يتركُ أثراً تداوليّاً، ويوصلُ رسالةً نفسيّة، ممّا يمنحُ النّص الشّعريّ قوّة الْحوار، بين متكلّمٍ ومخاطبٍ افتراضيّ.

2- عمدَ الشّاعر إلى التركيز على الأساليب الْإنشائيّة (النّهي، الأمر، الاستفهام، النّداء)، فضلاً عن استخدام الْخبريّات في بعضِ مفاصلِ الْقصيدة، لكنّ الأساليب الإنشائيّة كانت أكثر حضورا من الخبريّة.

3- لقد نجحَ الشّاعر عبد الرّزاق عبد الْواحد في إحداث تغييرٍ عبر هذهِ القصيدة، وقد تركت انطباعاً لدى المتلقي، من خلال القوة الإنجازية والتأثير (Perlocutionary Effect)، وقد اهتمَّ الشّاعر بهذا المستوى، الّذي يهتم بالأثر الذي تتركه الأفعال الكلامية في المتلقي، الغربة، الوحدة، الشعور باليأس، استذكار الأحبة، الإشارات السّياسيّة الْمتضمنة في القول، الاحداث الكبرى، مثلُ التهجير والرحيل.

4- لقد نجح الشّاعر في إحداث فجوة ومسافة جماليّة تنقلُ الْمتلقي من الْحاضر إلى الْماضي، فضلاً عن التّحول السّياقي، للقصيدة، إذْ تحوّل "الْباب" من كونه وسيلة اتصال إلى "جدارٍ" عازل، الفعل الكلامي هنا ينجح في خلق مسافة مكانيّة ونفسيّة بمجرد التلفظ به، النوافذ والأثاث والجمادات، تتحوّل إلى صوتٍ مسموع يوحي بالوحدة والعزلة.

5- لقد نجحتْ الْأفعال الْكلاميّة، الْمتثملة بالنّهي، والنّداء، والاستفهام، في تحقيق الْغرض الإنجازي والتّأثيري، إذْ توفّرتْ لها شروطُ الْملائمة، كالْحواريّات والإشاريّات.

6- لقد تعزّز الْخطاب الْحواري وتبلورتْ معالمهُ الْحضوريّة، من خلالِ مجموعةٍ من الْإشاريّات ذات الدّلالات الْمخطابيّة، حيثُ تعزّز موقف الْحضور، من خلالِها.

7- كثرةُ استخدامِ الإشاريّات، الّتي تُحيلُنا على عنصري (الْغياب / الْحضور)، خلقَ لدينا هذا التّباين الْضّدّي بين الْغائبين الرّاحلين وبين الْحاضرين الْمخاطبين، عبر كثرةِ استخدامِ ضمائر الْغائب الْمنفصلة والْمتصلة.

8- نلحظ أنّ الْأفعال التوجيهيّة النّفسيّة، تعكسُ سلطة الْمتحدث في الحيز الْخاص به، الشّاعر هنا يستخدمُ صيغة النّهي "لا تطرقْ" لتأكيد الاكتفاء الذّاتي أو اليأس من الْعودة، الفعل التّوجيهي هنا يعمل كأداة "حمائية" للذات.

9- لجأ الشّاعر أحياناً إلى الأفعال التّعبيرية (Expressives)، كما في قوله: (تطرقْ، تَدري، تَستَقصي، سَتذهَبُ، تسعى، تُراقِبُ، وَتطُفيءُ، تَكتَحِلُ، تَطرُقها، تَنفعلُ، تَنتقِلُ!، شاكسوك)، هذه الأفعال تكسر حدّة الأوامر والنّهي، وتضفي طابعاً إنسانياً على القصيدة.

10- الشّاعر لجأ أحياناً إلى الأفعال الإخباريّة، كما في الأفعال (رحلوا، أكلوا، ناموا، فعلوا، دخلوا، ارتحلوا، سَألوا، نزَلوا)، وظيفة هذه الأفعال هي تأسيس الْمبرر، الشّاعر هنا لا ينهى عن طرق الْباب عبثاً، بل لأن الواقع (الذي تنقله الأفعال التقريرية) لم يعد يسمح باللقاء، هو يضع "مقدمات" منطقية لنتيجتها (النّهي).

References المصادر والمراجع

ارمينيكو, ف .(1997) .*المقاربة التّداوليّة* .سوريا: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع.

الآمدي, س. ا .(1981) .*الإحكام في أصول الأحكام* .(Vol. 1)بيروت: دار الفكر.

الباهي, ح .(2004) .*الحوار ومنهجية التفكير النقدي* .المغرب: افريقيا الشرق.

الحباشة, ص .(2010) .*الابعاد التّداوليّة في شرح التلخيص للقزويني* .(Vol. 1)تونس: الدار المتوسطة للنشر.

الحمد, ع. ت) .بدون تاريخ .(*مفهوم النص بين الدلالة الحرفية والدلالة التضمينية* .سلسلة بحوث جامعة اليرموك.

الرازي, ف. ا .(1981) .*التفسير الكبير ومفاتيح الغيب* .(Vol. 1)دار الفكر للطباعة والنشر.

العاني, ش. م .(1999) .*قراءات في الأدب والنقد* .منشورات اتحاد العرب.

الله, س. ع) .الموسم الجامعي 2019-2020 .(*الدلالة من البنيوية إلى التّداوليّة قصيدة أغاني التائه لابي القاسم الشابي أنموذجا تطبيقيا* .الجزائر.

الماشطة, م .(2018) .*مسرد التّداوليّة* .(Vol. 1ط)1 .(عمّان: دار الرضوان.

أولمان, س) .بدون تاريخ .*دور الكلمة في اللغة ، ترجمة :كمال بشر* . القاهرة : مكتبة الشباب.

بحيري, س. ح .(1997) .*علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات* . القاهرة : الشركةالمصرية العالمية للنشر لونجمان.

بشر, ك .(1997) .*علم اللغة الاجتماعي* .القاهرة : دار الغريب للطباعة والنشر.

بلانشيه, ف .(2007) .*التّداوليّة من اوستين إلى غوفمان*)ترجمة : صابر الحباشة .(.edسوريا: دار الجوار للنشر والتوزيع.

بوجادي, خ .(2009) .*في اللسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم* . الجزائر : بيت الحكمة ، الطبعة الاولى.

بودرع, ع. ا .(2006) .فهم السّياق من فهم السّياق .*كتاب الامة* .27-28 ,*111* ,

بوقرة, ن .(2006) .*محاضرات في المدارس اللسانية* .الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار عنابة.

بوقرة, ن .(2006) .*نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التّداوليّ في المدونة اللسانية التراثية* .مجلة اللغة والادب.

داغر, ش .(1997) .التناص سبيلا إلى دراسةِ النص الشّعريّ وغيره .*مجلة فصول*.146-124 ,*1* ,

دايك, ف .(2004) .*العلاماتيّة وعلم النص – ترجمة منذر عياشي* . المغرب – الدار البيضاء: المركز الثقافي.

دياب, م. ح) .يوليو 2005 .(درس اللغة والتقليد الانثروبولوجي .*مجلة نزوى*.*43* ,

صحراوي, م) .بدون تاريخ .(*التّداوليّة عند العلماء العرب(دراسة تداوليّة لظاهرة الافعال الكلامية)* .بيروت: دار الطليعة.

عنبر, ع. ا ,2001) .مجلد 28 .(نظرية النص بين تضاريس الاحتجاب واكتناه المناهج اللسانية لعالم الغياب .*دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية*.131-118 ,

عيسى, م) .المجلد 9 .(الاتجاه النفسي وتفسير الظواهر في النص الادبي العربي .*مجلة جامعة البعث للعلوم الانسانية* ,*25* , 237-271.

فتيح, م .(n.d.) .*في الفكر اللغوي* . القاهرة.

مدور, م .(2014-2013) .*الافعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداوليّة* .

مزيد, ب. ا .(2010) .*تبسيط التّداوليّة من افعال اللغة الى بلاغة الْخطاب السياسي* .القاهرة: شمس للنشر والتوزيع.

نحلة, م .(2006) .*آفاق البحث اللغوي المعاصر* .(Vol. 1)الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

يقطين, س .(1989) .*تحليل الْخطاب الروائي الزمن السرد التبئير* .المركز الثقافي العربي.

(References)

- Al-Amidi, S. I. (1981). *Al-Ihkam fi usul al-ahkam* [Rules for the foundations of judgments] (Vol. 1). Dar al-Fikr.
- Al-Ani, S. M. (1999). *Qira'at fi al-adab wa al-naqd* [Readings in literature and criticism]. Arab Writers Union Publications.
- Al-Bahi, H. (2004). *Al-hiwar wa manhajiyat al-tafkir al-naqdi* [Dialogue and the methodology of critical thinking]. Afrique Orient.
- Al-Habasha, S. (2010). *Al-Ab'ad al-tadawuliyya fi sharh al-talkhis lil-Qazwini* [Pragmatic dimensions in the explanation of Al-Talkhis by Al-Qazwini] (Vol. 1). Al-Dar al-Mutawassita li-Nashr.
- Al-Hamad, A. T. (n.d.). *Mafhum al-nass bayna al-dalala al-harfiyya wa al-dalala al-tadminiyya* [The concept of text between literal and implicative meaning]. Yarmouk University Research Series.
- Al-Mashata, M. (2018). *Masrad al-tadawuliyya* [Pragmatics glossary] (1st ed.). Dar Al-Radwan.

- Al-Razi, F. A. (1981). *Al-Tafsir al-kabir wa mafatih al-ghayb* [The grand commentary and the keys to the unknown] (Vol. 1). Dar al-Fikr for Printing and Publishing.
- Anbar, A. I. (2001). Nazariyat al-nass bayna tadaris al-ihtijab wa iktinah al-manahij al-lisaniyya li-alam al-ghiyab [Text theory between the topography of concealment and the exploration of linguistic methods for the world of absence]. *Journal of Humanities and Social Sciences Studies, 28*, 118-131.
- Armengaud, F. (1997). *Al-muqaraba al-tadawuliyya* [The pragmatic approach]. Al-Mu'assasa al-Haditha for Publishing and Distribution.
- Bahiri, S. H. (1997). *Ilm lughat al-nass: Al-mafahim wa al-itijahat* [Text linguistics: Concepts and trends]. Egyptian International Publishing Company – Longman.
- Bishr, K. (1997). *Ilm al-lugha al-ijtima'i* [Sociolinguistics]. Dar al-Gharib for Printing and Publishing.
- Blanchet, P. (2007). *Al-tadawuliyya min Austin ila Goffman* [Pragmatics from Austin to Goffman] (S. Al-Habasha, Trans.). Dar Al-Jiwar for Publishing and Distribution.
- Boujadi, K. (2009). *Fi al-lisaniyyat al-tadawuliyya ma'a muhawala ta'siliyya fi al-dars al-arabi al-qadim* [In pragmatic linguistics with an original attempt in the ancient Arabic lesson] (1st ed.). Bayt al-Hikma.
- Bouqara, N. (2006). *Muhadarat fi al-madaris al-lisaniyya* [Lectures on linguistic schools]. Badji Mokhtar Annaba University Publications.
- Bouqara, N. (2006). Nahwa nazariyya lisaniyya arabiyya lil-af'al al-kalamiyya: Qira'a istikshafiyya lil-tafkir al-tadawuli fi al-mudawwana al-lisaniyya al-turathiyya [Towards an Arabic linguistic theory of speech acts: An exploratory reading of pragmatic thinking in the linguistic heritage]. *Journal of Language and Literature*.
- Boudra'a, A. I. (2006). Fahm al-siyaq min fahm al-siyaq [Understanding context from understanding context]. *Kitab al-Ummah, 111*, 27-28.
- Dagher, S. (1997). Al-tanass sabilan ila dirasat al-nass al-shi'ri wa ghayrihi [Intertextuality as a way to study poetic text and others]. *Fousoul Journal, 1*, 124-146.
- Diab, M. H. (2005, July). Dars al-lugha wa al-taqlid al-anthropologi [The study of language and the anthropological tradition]. *Nizwa Journal, 43*.
- Fatayeh, M. (n.d.). *Fi al-fikr al-lughawi* [In linguistic thought]. Cairo.
- Issa, M. (n.d.). Al-itijah al-nafsi wa tafsir al-zawahir fi al-nass al-adabi al-arabi [The psychological trend and the interpretation of phenomena in the Arabic literary text]. *Al-Baath University Journal for Humanities, 9*(25), 237-271.
- Madour, M. (2014). *Al-af'al al-kalamiyya fi al-Qur'an al-Karim (Surat al-Baqarah): Dirasa tadawuliyya* [Speech acts in the Holy Quran (Surat al-Baqarah): A pragmatic study] [Master's thesis/Academic study].

- Mazid, B. A. (2010). *Tabsit al-tadawuliyya min af'al al-lugha ila balaghat al-khitab al-siyasi* [Simplifying pragmatics from language acts to the rhetoric of political discourse]. Shams for Publishing and Distribution.
- Nahla, M. (2006). *Afaq al-bahth al-lughawi al-mu'asir* [Horizons of contemporary linguistic research] (Vol. 1). Dar al-Ma'rifa al-Jami'iyya.
- Sahrawi, M. (n.d.). *Al-tadawuliyya ind al-ulama al-arab (Dirasa tadawuliyya li-zahirat al-af'al al-kalamiyya)* [Pragmatics according to Arab scholars (A pragmatic study of the phenomenon of speech acts)]. Dar al-Tali'a.
- Sa'd Allah, S. A. (2020). *Al-dalala min al-binyawiyya ila al-tadawuliyya: Qasidat Aghani al-Ta'ih li-Abi al-Qasim al-Shabbi unmudhajan tatbiqiyan* [Semantics from structuralism to pragmatics: The poem "Songs of the Wanderer" by Aboul-Qacem Echebbi as a case study]. Algeria.
- Ullmann, S. (n.d.). *Dur al-kalima fi al-lugha* [The role of the word in language] (K. Bishr, Trans.). Maktabat al-Shabab.
- Van Dijk, T. (2004). *Al-alamatiyya wa ilm al-nass* [Semiotics and text science] (M. Ayachi, Trans.). Arab Cultural Center.
- Yaktine, S. (1989). *Tahlil al-khitab al-riwa'i: Al-zaman, al-sard, al-tab'ir* [Analysis of narrative discourse: Time, narration, focalization]. Arab Cultural Center.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Crisis Metaphors in Arab Digital Media
A Cognitive Approach from the Perspective of Conceptual Blending

Khalili adil [1]
Faculty of Letters and Human Sciences, Mohammedia, Hassan II University, Morocco
Email adress, (khalili.dpm@gmail.com)
Dr. Iguider Abderrahmane[2]
Faculty of Arabic Language, Cadi Ayyad University, Morocco
a.iguider@uca.ac.ma

Abstract:

This study analyzes Arab media discourse through the framework of conceptual blending, using the Syrian war as a case study to explore the cognitive mechanisms that shape crisis representation. It is based on the premise that metaphor is not a decorative linguistic device but an active cognitive structure that organizes perception and guides interpretation.

By examining a sample of digital news headlines, the research shows how complex geopolitical events are transformed into familiar mental models that blend reality with imagination to produce persuasive and ideological meanings. The findings highlight the central role of metaphor in constructing media ethos, shaping public opinion, and reconstructing representations of conflict in Arab digital media.

Keywords: etaphor; Arab Digital Media; Conceptual Blending; Mental Spaces; Blending Network; Ethos**.**

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

استعارات الأزمات في الإعلام العربي الرقمي: مقاربة عرفنية من منظور المزج التصوري

خليلي عادل[1]

كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني، المغرب

Khalili.dpm@gmail.com

د. إكيدر عبد الرحمان [2]

كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب

a.iguider@uca.ac.ma

ملخص:

يستقصي البحث الاستعارات الموظفة في الخطاب الإعلامي العربي الرقمي من منظور "المزج التصوري"، متخذا من الحرب السورية مسرحا لتحليل الآليات الذهنية التي تعيد صياغة الأزمات. فالبحث لا يرى في الاستعارة حلية لفظية، بل بنية إدراكية فاعلة تنسج شبكات من الأفضية المتداخلة لتوجيه التأويل وتنميط الإدراك. وعبر تفكيك عينة من العناوين الرقمية، يتقصى العمل كيف تتحول الوقائع الجيوسياسية المعقدة إلى نماذج ذهنية مألوفة، تمزج الواقع بالمتخيل لإنتاج دلالات حجاجية وإيديولوجية. وتتجلى أهمية الدراسة في كشفها عن "الإيتوس" الإعلامي الذي يدير الوعي بالحدث، مثبتة أن الاستعارة هي الأداة المركزية في هندسة الرأي العام وإعادة بناء تمثلات الصراع.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة.، الإعلام الرقمي العربي.، المزج التصوري.، الأفضية الذهنية.، شبكة المزج؛ الإيتوس.

تمهيد:

لم تعد الاستعارة في الدراسات اللسانية المعاصرة محصورة في بعدها البلاغي التقليدي، بل غدت إطارا تصوريا يسهم في بناء التجربة البشرية وتمثلها. فالإنسان يدرك العالم عبر خرائط ذهنية تنتقل فيها المعاني بين مجالات متعددة لتفسير الوقائع وتنظيم الخبرة اليومية. وقد شكل المنعطف الذي قدمه كل من لايكوف وجونسون (George Lakoff -Mark Johnson) تحولا حاسما في النظر إلى الاستعارة بوصفها جزءا من الجهاز المعرفي للإنسان وليست مجرد أداة أسلوبية.

غير أن تراكم الأبحاث أظهر الحاجة إلى نموذج أوسع لتمثيل التعقيد الذهني الذي لا تقوى الاستعارة التصورية وحدها على احتوائه، مما أفضى إلى بروز نظرية المزج التصوري (Conceptual Blending) التي طورها جيل فوكونيه وتيرنر (faucounier-turner). وقد جاءت هذه النظرية لتدارك حدود الإسقاطات الثنائية في الاستعارة التصورية التي أظهرت محدوديتها في مقاربة الاستعارات المعقدة، متخذة من الأفضية الذهنية المتعددة مرتكزا لتحليل هذا النمط من الاستعارات، ونسعى من خلال هذا المنوال (CB) تفكيك أفضية الاستعارات في إعلام الأزمات وتطويق أبعادها وسياقاتها التواصلية والإقناعية؛ حيث تبرز الحاجة إلى مساءلة كثافتها في الخطاب الإعلامي العربي، خاصة في سياقات الأزمات، وما تبدعه من أنساق بلاغية وحجاجية تستدعي طرح الإشكالات الآتية: كيف يوظف الخطاب الإعلامي العربي استعارات الأزمات؟ وإلى أي حد تتيح هذه الاستعارات بناء أفضية دلالية، تعيد تشكيل الحدث وتوجيه زاوية النظر إليه لدى المتلقي؟ وما هي الوظائف المعرفية التي تنهض بها هذه الاستعارات في سياق التوترات والأحداث الكبرى، وهل تحدث أثرا ملموسا في صناعة الرأي العام وتمثيل الواقع؟

أهداف الدراسة

يصبو البحث إلى استكشاف "هندسة الأفضية الذهنية" في بناء استعارات الأزمات في الخطاب الإعلامي العربي، وتفكيك قدرتها على إعادة بناء الحدث وتوجيه مسارات التأويل. كما يروم الكشف عن الوظائف التداولية والحجاجية الكامنة في هذه الاستعارات، ورصد قدرة الذهن الإعلامي على إبداع "أفضية

ممزوجة" تتدخل بصورة مباشرة في صياغة الرأي العام وهندسة تمثلات المتلقي ضمن السياقات الجيوسياسية المتوترة.

إشكالية الدراسة

تنطلق الإشكالية من المحورية التي تؤديها الاستعارة بوصفها "آلية معرفية"؛ والإجابة عن أسئلة، من قبيل: كيف يسهم "المزج التصوري" في كشف الأنساق البلاغية والحجاجية في الخطاب الإعلامي العربي الر قمي؟ وماهي طبيعة الأنماط الاستعارية التي يوظفها هذا الإعلام (قنوات: الجزيرة، العربية، الشرق) لتوليد دلالات توجيهية قادرة على إعادة تشكيل وعي المتلقي بالأزمة؟

فرضيات الدراسة

تنبني هذه الدراسة على فرضية مركزية مفادها أن الاستعارة في خطاب الأزمات ليست إبلاغية فقط، بل تعمل "كإطار مفاهيمي (Conceptual Frame) "يدمج أفضية ذهنية متباعدة لإنتاج معنى جديد كليا؛ مما يسهم في توجيه الجمهور إلى عناوين لها توثر دلالي وإدراكي معين، عبر آليات الاستعارة والحجاج والإقناع.

منهجية البحث

تعتمد الدراسة **مقاربة عرفنية** تتوسل بنموذج "المزج التصوري"(Conceptual Blending)، مُستثمرة مفاهيم الأفضية المدخلة، والفضاء العام، و لفضاء الممزج، عبر آليات التكثيف والإسقاط الانتقائي والبلورة، والشبكات المزجية. وتتكامل هذه الرؤية مع منهجية "**شارترز بلاك** (Charteris-Black) "في مراحلها الثلاث: (التحديد، التفسير، الشرح)؛ وذلك لتفكيك عينة قصدية من عناوين أخبار "اليوتيوب" للقنوات المختارة، بوصف العنوان "عتبة نصية" مكثفة تختزل التوتر الدلالي وتكشف عن الخلفيات المعرفية لإنتاج المعنى الخطابي في الخبر الإعلامي الرقمي.

أولا: الإطار النظري

1الاستعارة بين اللغة والإدراك

تمثل الاستعارة موضوعا عابرا للتخصصات، إذ حظيت بدراسات متباينة في مجالات اللسانيات والفلسفة وعلم النفس وغيرها. ويمكن التمييز في تاريخ البحث في هذا المجال بين فترتين أساسيتين: أولاها تمتد من العصور اليونانية القديمة إلى ما قبل نهاية السبعينيات 1980، وهي فترة كانت تفهم فيها الاستعارة بوصفها تقنية لغوية ذات وظيفة تزيينية تستخدم في سياقات شعرية وبلاغية، وتعد جزءا من اللغة الحرفية (Literal Language)المؤثرة في المتلقي. "أما بعد عام 1980، فلم يعد ينظر إلى الاستعارة باعتبارها مجرد زخرفة لإثراء الخطاب، سواء أكان شعريا أم غير ذلك، بل أصبحت كلية معرفية وذهنيّة. ووفقا للمنظور الجديد صارت الاستعارة عنصرا جوهريا في التفكير، ومرتبطة بشكل أساسي بإدراكنا، حيث تتيح لنا إدراك المجرد وفهم العلوم من خلال ما هو ملموس ومحسوس. إن استكشاف مسار تطور الاستعارة عبر التاريخ يقود إلى ضرورة تسليط الضوء على تحولات هذا المفهوم، وتتبع تطوره من جذوره الكلاسيكية إلى معالجته من المنظورات المعاصرة"(فيصل أكروم وإبراهيم مرعوش، 2025، ص13).

وفي خضم التطورات التي عرفتها الدراسات اللسانية والمعرفية المعاصرة، ولا سيما مع أعمال ريتشاردز (I. A. Richards-1936) وبلاك (Max Black-1962)، اتسع أفق النظر إلى الاستعارة ليتجاوز حدود البلاغة التقليدية نحو الدلالة المعرفية. فلم تعد الاستعارة تدرس بوصفها آلية لغوية زخرفية، بل أضحت منوالا معرفيا عميقا يسهم في تشكيل أنماط تفكيرنا وبناء تصوراتنا عن العالم، إذ تنتظم داخل الخطاب في تفاعل وثيق بين البعد العقلي (logos) والبعد الوجداني(pathos) . وفي هذا السياق، يؤكد بلاك، من خلال نموذجه التفاعلي، أن الاستعارة ظاهرة لغوية واسعة الانتشار، تؤسس لبعد معرفي متجذر في الإدراك الحسي والتجربة الإنسانية. وانطلاقا من هذا التصور، يغدو النظر إلى الاستعارة بوصفها آلية استراتيجية مفهومية حاضرة في مختلف ممارساتنا اليومية، وليست مجرد أداة تعبيرية فقط. كما يذهب في ذلك

كل من لايكوف وجونسون، إلى أن الاستعارة جزء لا يتجزأ من جهازنا المفاهيمي، يكتنز تفاصيل حياتنا اليومية، ويضطلع بدور محوري في تمكيننا من فهم التجريدات المعقدة عبر مفاهيم مألوفة، بل ويتيح لنا- فضلا عن إدراك العالم-إعادة تنظيمه وبنائه ذهنيًا بطرائق أصيلة.

2 من الاستعارة إلى المزج التصوري

مع تراكم الأبحاث اللسانية والمعرفية منذ صدور كتاب الاستعارات التي نحيا بها للايكوف وجونسون (Lakoff & Johnson)، ومع توسع منوالها المفاهيمي والإجرائي، أفضى إلى إعادة النظر في حدودها التفسيرية. فقد كشفت التطبيقات على مختلف الخطابات الحاجة إلى نموذج أكثر رحابة يمكنه أن يفسر كيفية تشكل المعنى في سياقات استعارية إدراكية مركبة ومعقدة، وهو ما مهد للانتقال نحو نظرية "المزج التصوري" (الأزهر الزناد، 2010، ص 223) كما بلورها مارك تيرنر وجيل فكونييه.

وتنطلق هذه النظرية من تصوري يرى أن الذهن لا يكتفي بإسقاط بنى مفهومية جاهزة، بل يشتغل على دمج أفضية ذهنية متعددة في قوالب تصورية مرنة، تنتج معنى جديدا قابلا للتعديل تبعا لتنوع التجارب والسياقات الإدراكية.

الشكل 1: خطاطة توضح الفرق عناصر النظرية التصورية للاستعارة ونظرية المزج التصوري

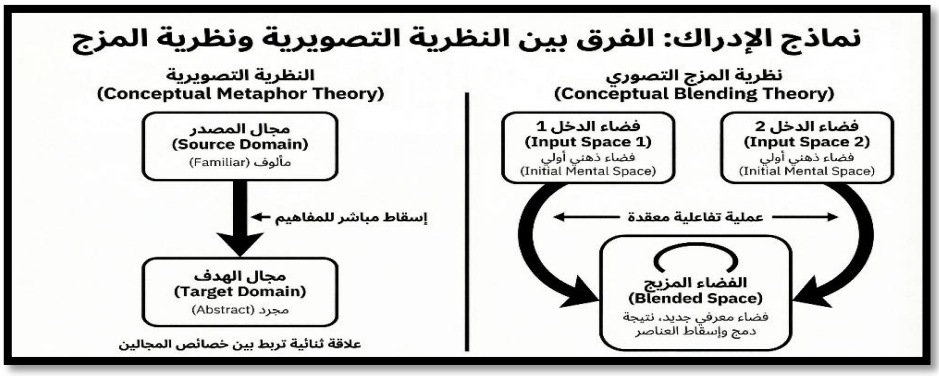

المصدر: خطاطة مولدة بالذكاء الاصطناعي، بناء على مصدر:
Gilles Fauconnier & Mark Turner, 1998، Conceptual Integration Networks، p. 364.

وقد نبه الباحثان "سنة 1994 إلى كون الاستعارة التصورية تعد حالة خاصة (special case) ضمن حالة أكثر اتساعا، وهو ما يجيز لنا أن نتساءل: كيف يشتغل النسق التصوري مع المجالات عموما؟ وكيف يتم إسقاط العناصر من مجال إلى آخر؟ كيف يتم دمج مجالين في مجال واحد؟ كيف يمكن بناء مجال جديد انطلاقا من مجال موجود أصلا"(روضة جديوي وحفصة مسعودي، 2023، ص143)؟

3 عناصر المزج التصوري:

1.3 الأفضية الدخل (Input spaces):

لفهم العناصر المزج التصوري، نقدم "قصة أو حكاية الراهب البوذي الذي يتسلق جبلا من أجل التعبد، فتبدأ رحلته صعودا عند الفجر ويصل إلى القمة عند الغروب، يتأمل الليل كله حتى طلوع الفجر، ثم ينطلق نازلا إلى أسفل الجبل حيث يصل عند الغروب. هنا يطرح فوكونيه سؤالا وهو: هل يوجد موضع على امتداد المسلك يكون فيه الراهب في نفس الوقت من النهار في الرحلتين المختلفتين صعودا ونزولا"؟

ويتجسد التصور الذهني لهذا المشهد في فضاء تصوري يقوم على المزج، يتخيل القارئ راهبا عند الفجر أسفل المسلك وآخر عند القمة، ثم تتجه رحلتهما في مسارين متقابلين نحو الغاية النهائية. وبحكم تماثل المسلك ووحدة الزمن، ينشأ تساؤل حول نقطة التقاء افتراضية يشغلها الراهب في اللحظتين معا، صعودا ونزولا. ويكشف هذا اللغز عن عملية مزج تصوري بين مشهدين ذهنيين مستقلين، تسمى البنية المنبثقة .(Fauconnier, G., & Turner, M. (1998),p137)

2.3 الفضاء العام (Generic space)

يقدم هذا المستوى الذهني في تصور عام لعناصر الدخلين في فضاء عرفاني "يقوم على المزج، حيث يتخيل القارئ راهبا عند الفجر أسفل المسلك وآخر عند القمة، ثم تتجه رحلتاهما في مسارين متقابلين نحو الغاية النهائية. وبحكم تماثل المسلك ووحدة الزمن، ينشأ تساؤل حول نقطة التقاء افتراضية يشغلها الراهب في اللحظتين معا، صعودا ونزولا. ويكشف هذا اللغز عن عملية مزج تصوري بين مشهدين ذهنيين مستقلين، ينتج عنها بناء معنى جديد لا يتحقق إلا داخل هذا الفضاء المندمج (Fauconnier, G., & Turner, .(M. (1998),p137

3.3 الفضاء المزيج (Blended space)

يتم إسقاط فضاءي الدخل في فضاء مزيج؛ حيث "تدمج الرحلتان المتناظرتان في مسلك جبلي واحد يمثل، بوصفه عنصرا متحركا واحدا، ويضغط البعد الزمني لتمثيل اليومين في يوم واحد. وفي المقابل، يظل الفضاء العام وأفضية الدخل محكومة بوجود راهب واحد في كل فضاء، بينما ينتج عن المزج حضور شخصين متحركين داخل الفضاء المندمج"(روضة جديوي وحفصة مسعودي، 2023، ص146)، حيث يلتقي راهبان متزامنان على المسلك نفسه، وهنا تتجلى الطاقة الإبداعية والبنية المنبثقة من التخييل الاستعاري.

4.3 شبكة المزج التصوري:

تقوم نظرية المزج التصوري على تمثيل العمليات العرفانية التي ينجزها الذهن أثناء التفكير والقول كما هو مبين في الشكل 2 للراهب البوذي، عبر شبكة دينامية قوامها الإسقاط الانتقائي Selective projection، والتركيب، والإكمال، والبلورة Elaboration، كما يبين الشكل 3 أسفله نمذجة سيميائية للمثال.

الشكل 3: خطاطة توضح عملية المزج التصوري وعناصره في مثال الراهب البوذي

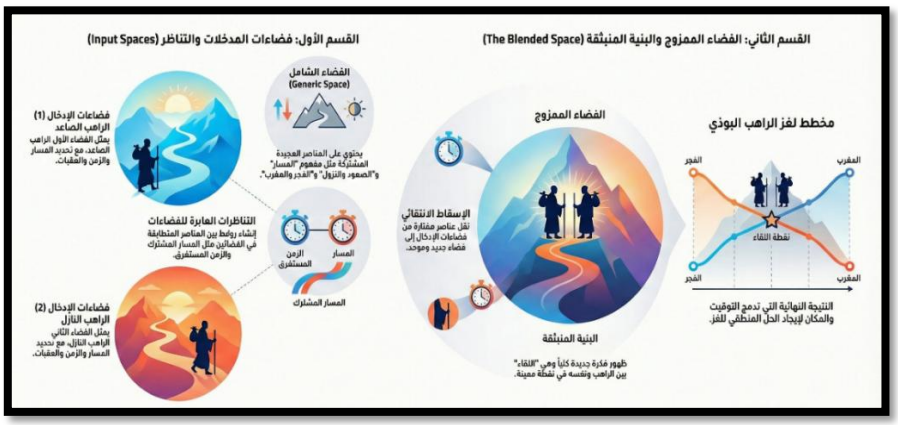

المصدر: خطاطة مولدة بالذكاء الاصطناعي، بناء على مصدر:

Fauconnier, G., & Turner, M. (1998). Conceptual integration networks. Cognitive Science, 22(2), 141.

ويرتكز نموذجها كما رأينا على أربعة أفضية، هي: فضاءا الدخل(Input spaces) ، والفضاء الجامع (Generic space) بوصفه حاملا للبنية المشتركة، ثم الفضاء المزيج (Blended space) الذي تتولد داخله دلالة جديدة لا تختزل في أي من المدخلين. وعلى خلاف الاستعارة التصورية التي تقوم على

علاقة المصدر والهدف، ويفترض هذا المزج التصوري تفاعلا بنيويا مركبا ينتج المعنى عبر الاستدلال الإبداعي. وتعد هذه الآلية العرفانية أساسا تفسيريا للإبداعين اللغوي والذهني في مختلف الخطابات كما سنبين في تحليل بعض الأمثلة الاستعارية من الخطاب الإعلامي.

4. لإعلام العربي الإلكتروني وإدارة الأزمات

1.4 إعلام الأزمات:

يعرف إعلام الأزمات بأنه "هو مجموع العمليات الإعلامية التي تتوصل بها مختلف الوسائل الإعلامية قبل وأثناء وبعد حدوث الأزمات لتغطية الأحداث ومواكبتها، ويتم تأثير إعلام الأزمات من خلال جانبين"(وليدة حدادي وفاطمة أعراب، 2022، ص110):

– جانب إيجابي، ويكون هذا عن طريق استخدام الحملات الإعلامية المكثفة ونقل قدر معتبر من المعلومات والأخبار إلى جمهور الأزمة (وليدة حدادي وفاطمة أعراب، 2022، ص110)

–يمثل الجانب السلبي في التعتيم الإعلامي القائم على تجاهل الأخبار والمعلومات وعدم إبلاغ الجمهور بها، إما عبر تعتيم كلي يعزل المعنيين عن تطورات الأزمة ويشل أي تفاعل معها، أو عبر تعتيم جزئي يركّز على طرف واحد ويهمش الأطراف الأخرى. ويؤدي هذا الأسلوب إلى توجيه الرأي العام من خلال الانتقاء والتهويل وصياغة الأخبار بصورة منحازة.

2.4 مراحل تناول الإعلام للأزمات

إن التناول الإعلامي للأزمات يجب أن يمر بثلاث مراحل، بحيث يلعب الإعلام دورًا محددًا في كل مرحلة من هذه المراحل (وليدة حدادي وفاطمة أعراب، 2022، ص110)

– مرحلة نشر المعلومات: في بداية الأزمة، يواكب الإعلام رغبة الجماهير في مزيد من المعرفة، واستجلاء الموقف عن الأزمة ذاتها، وآثارها، وأبعادها.

– مرحلة تفسير المعلومات: تقوم وسائل الإعلام في هذه المرحلة بتحليل عناصر الأزمة، والبحث في جذورها وأسبابها، ومقارنتها بأزمات أخرى مماثلة، وذلك عن طريق استجلاء الحقائق وتوضيحها سواء من مواد إيضاحية أو من تحليلات وآراء الخبراء، وكذلك لموقف المسؤولين وصنّاع القرار اتجاه الأزمة.

– المرحلة الوقائية: وهي مرحلة ما بعد الأزمة وانحسارها، حيث لا يتوقف دور وسائل الإعلام عند مجرد تفسير الأزمة والتعامل مع عناصرها، بل يجب أن يتخطى الدور الإعلامي هذا البعد لتقديم وسائل الإعلام للجماهير طرق الوقاية، وأسلوب التعامل مع أزمات مشابهة.

3.4 الاستعارة في إعلام الأزمات:

تفترض النظريات المفهومية في تحليل الخطابات اليومية، والإعلامية بالخصوص "وجود علاقة مباشرة بين البنية والمحتوى والسمات الكامنة في التعبير الفردي، والطرق التي تتحدد بها هذه المتغيرات ذات الصلة بالعبارات المحمّلة بالمحتوى الإيديولوجي الخارجي. وفي صياغة دي سوسير، تتكون اللغة من مجموعة اللغات الأوسع والأعم التي تؤطر وتوجّه العبارات الفردية، أي العبارات المنطوقة أو المكتوبة الفردية"(محمود أماني حمدي قرني، 2024، ص114)

ويشكل الخطاب الإعلامي عموما، والعربي بالخصوص، عبر وسائطه المتنوعة، مصدرا أساسيا من مصادر تجديد اللغة وتطويرها، لما يضطلع به من دور فاعل في الارتقاء بمستوى التعبير اللغوي. وقد أسهمت وسائل الإعلام بشكل ملحوظ في إحياء اللغة العربية الفصحى وتوسيع دائرة تداولها بين مختلف فئات المجتمع. كما أغنت العربية بسيل من الألفاظ والتعابير والتراكيب الاستعارية المستحدثة، التي فرضتها التحولات المعرفية والتواصلية المعاصرة. وأسهم هذا التراكم في تعزيز الكفاءة اللغوية لمستعملي اللغة وتوسيع رصيدهم المعجمي الذهني وتمثلاتهم التصورية عن الأحداث، ومراكمة التجارب البلاغية في التغطية الإعلامية

للحروب العالمية، سواء في الشرق الأوسط أو حروب بمناطق متفرقة بالعالم أغنت هي الأخرى المعجم الإعلامي باستعارات متدفقة ومتسربة من الخطابات السياسية في إدارة الحرب.

ونستعين كما أشرنا بعينة إعلامية من المحطة إعلامية الثلاث عبر منصة اليوتوب (Youtube): الجزيرة، والعربية، وقناة الشرق. نتغيا منها تحليل النسقين الاستعاري والحجاجي، ونحتاج إلى تفكيك هذه الأنساق مناول البراديغم اللساني المعرفي، محاولين بذلك الإجابة عن أهم الأسئلة المركزية: كيف يوظف الإعلام العربي الاستعارات؟ وما الأنماط الاستعارية التصورية الموظفة؟ وما هي غاياتها الإبلاغية والإقناعية؟

ثانيا. الدراسة التطبيقية لاستعارات الحرب

1"الحرب نار (قناة الجزيرة)"

الأمثول: هل تشتعل الحرب بين أمريكا وروسيا على الأراضي السورية؟



المصدر: الجزيرة، برنامج ما وراء الخبر، منصة اليوتوب:

https://www.youtube.com/watch?v=Q-_jgHkBhcg (18 يونيو 2022)

يوظف الخطاب الإعلامي العربي، في تغطيته الاستباقية للحروب كما تبين العينة(1) لقناة الجزيرة، إطار الطبيعة ولا سيما مجال النار بوصفه مجالا مصدريا لتأطير الحرب. فالنار تستدعى استعاريا لتصوير الصراع باعتباره قوة مدمرة قابلة للانتشار والخروج عن السيطرة، ويتجلى ذلك في معجم كثيف التداول يبني الدلالة المفتاحية للتغطية الإعلامية من مجال مصدر، من قبيل :الشرارة، الاشتعال، اللهيب، الحريق،

الانفجار، صب الزيت على النار من فضاء النار إلى فضاء ثاني هو الحرب. وتؤدي هذه الاستعارات وظيفة دلالية وتداولية مزدوجة، كما سنبين في الجدول:

الجدول 1: عناصر المزج التصوري لاستعارة الحرب نار

التعبير الاستعاري	*الدخل 1*	*الدخل 2*	*الفضاء الجامع*	*الفضاء المزيج*
هل تشتعل الحرب بين أمريكا وروسيا على الأراضي السورية؟	النار: شرارة، اشتعال، لهب، انتشار، إخماد، احتراق، خروج عن السيطرة	الحرب: صراع عسكري، تصعيد، مواجهة قوى كبرى، ضربات، تحالفات، ساحات قتال	حدث متوتر، تصاعد تدريجي، قابلية الانتشار، فاعلون متقابلون، نتائج تدميرية	-تصور الحرب كنار قابلة للاشتعال والامتداد - تصعيد يصور كشرارة قد تتحول إلى حريق إقليمي/دولي، مع إمكان الاحتواء أو الإخماد

وتبسط هذه الأنماط من الاستعارات تعقيد المشهد الجيوسياسي عبر تحويله إلى ظاهرة طبيعية عنيفة، وفي الوقت ذاته تضخم الإحساس بالخطر والعجلة، بما يوجه إدراك المتلقي نحو تصور الحرب كحدث وشيك، كما تظهر معطيات الجدول(1) توظيف الأفضية الاستعارية الطبيعية داخل الخطاب الإعلامي بوصفها إطارا مهيمنا لفهم الأزمات؛ حيث يفترض وجود "ساحة معركة" يحتدم فيها الصراع. وفي هذا السياق، يستدعى فضاء النار في صيغة "اشتعال الحرب" لتأطير التوتر السياسي والعسكري بين القوى الكبرى، بما يضفي على الحدث طابعا تصاعديا وخطيرا. ويكشف هذا التأطير، كما يتضح من جدول التحليل، عن انتقال دلالي من فضاء الطبيعة إلى الفضاء الحربي الذي يصور الحرب كظاهرة قابلة للانتشار والخروج عن السيطرة.

ولا يقتصر أثر هذا المزج التصوري على البعد الإبلاغي، بل يمتد إلى توجيه إدراك الجمهور عبر آثار تداولية وإيديولوجية؛ إذ تنضد أفضية "الاشتعال" و"الشرارة" و"الانفجار" تصورا ضمنيا لاحتمال تحول

الصراع إلى "حريق" يقود إلى ردود أفعال باتخاذ تدابير لمواجهة الحرب، بالنزوح أو تخزين الأطعمة، وتحصين البيوت وتدبير الموارد، والتعامل التغيرات المالية والاقتصادية والتجارية. العلاقات التصورية الرابطة بين أدخال الشبكة لاستعارة "الحرب نار"

الشكل 4: الشبكة المزجية لأفضية "الحرب نار"

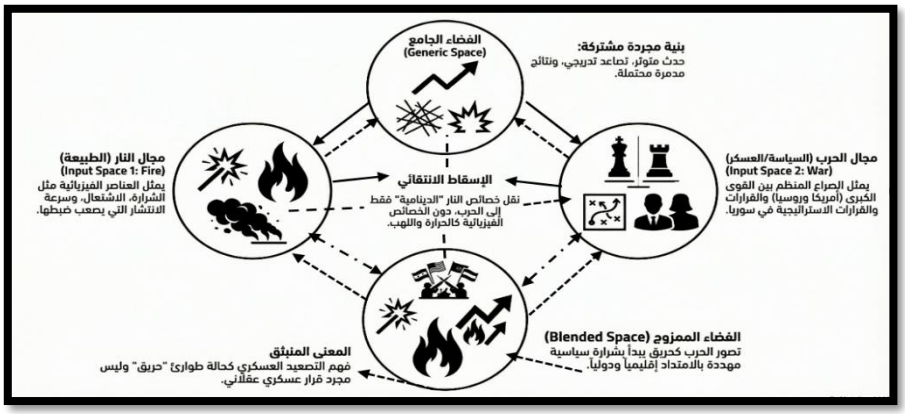

المصدر: خطاطة مولدة بالذكاء الاصطناعي معدل عليها، بناء على مصدر:

Fauconnier, G., & Turner, M. (1998). Conceptual integration networks. Cognitive Science, 22(2), 143

تظهر معطيات الشبكة المزجية صياغة الحدث الإعلامي السياسي المعقد من خلال قوالب إدراكية ملموسة، تعمل الاستعارة التصورية على تحويل الحرب من سياق "مخططات الإنسان المدمرة" إلى سياق "الظاهرة الطبيعية الحتمية". وذلك من خلال دمج فضاء (النار) بفضاء (الحرب)، ليتم إنتاج معنى منبثق يفرض على الجمهور رؤية الصراع ككيان حي يمتلك ديناميكية ذاتية تتجاوز إرادة صانعي القرار؛ إذ تسقط خصائص "الاشتعال والانتشار" لنقل الصراع الإيديولوجي بين أمريكا وروسيا من الرقعتين الأمريكية والروسية

إلى الأراضي السورية بالشرق الوسط، ويجرد هذه المعركة من طابعها العقلاني إلى إلباسها طابع "الضرورة الكارثية". ولا يكتفي هذا المزج بنقل الصورة، بل يعيد بناء الحجج الإدراكية، عبر "الإسقاط الانتقائي" الذي يدعو في مستضمراته السوريين إلى الاستعداد لهاته للنار التي ستشتعل على أرضهم، كما جاء على لسان أندريه باكلانوف نائب رئيس جمعية الدبلوماسيين الروس في حديثه ضمن برنامج "ما وراء الخبر" الذي أكد "أن الأوضاع في سوريا تقترب من تطورات خطيرة للغاية.

2"مخلفات الحرب شياطين تحصد الأرواح"(العربية)

الأمثول: تسببت بمقتل 200 شخص في 3 أشهر. مخلفات الحرب تحصد أرواح السوريين



المصدر: العربية، تغطية على منصة اليوتوب:

https://www.youtube.com/shorts/pAfuizUUprw(17 مارس 2025)

وظف خبر قناة العربية بمنصة اليوتوب فضاء الحرف (الحصاد)، الذي يعتمد على إسقاط استعاري لأفضية الحصاد على أفضية الألغام عبر تشخيص الخطر وتحويله إلى قوة فاعلة، حيث تستعمل أفعال ذات حمولة عنيفة من قبيل "تحصد" لتأطير استمرار الخطر على السوريين رغم نهاية بشار الأسد. إلا أن المزج التصوري يمكنه أن يحيلنا على تأويل أعمق من هذا الإسقاط؛ حيث سنحاول تفكيك عناصر الاستعارة الممزجة والعلاقات ببين الأفضية الفضية إلى المزيج.

الجدول 2: عناصر المزج التصوري لاستعارة "الألغام أرواح شريرة"

التعبير الاستعاري	*الدخل 1*	*الدخل 2*	*الفضاء الجامع*	*الفضاء المزيج*
مخلفات الحرب تحصد أرواح السوريين	الحصاد :حصد، قطع، إزالة، فعل دوري...	الحرب ومخلفاتها: ألغام، قذائف غير منفجرة، موت، ضحايا مدنيون	قوة سفلية تنهي الحياة، فعل تدميري متكرر، نتائج قاتلة	مخلفات الحرب قوة شريرة تحصد الأرواح

تشكف آلية المزج التصوري لقناة العربية في الخبر (2) عن عناصره المزجية؛ حيث تتولى آلية الإسقاط الانتقائي بين "الحصاد" (الدخل 1) بما يحمله من دلالات القطع ونهاية دورة الحياة، مع فضاء "مخلفات الحرب" (الدخل 2) المتمثل في الألغام والقذائف المتربصة بالمدنيين في تشكيل بنية هذه الاستعارة. ويستدعي "الفضاء الجامع" عناصر الدخلين الذي ينتدب بنيتهما الفقيرة المجردة والمشتركة المتمثلة في القوة التي تنهي الحياة، والفعل التدميري المشترك، والنتيجة المأساوية التي تخلفها وراءها من فتك وموت. ثم يتولى الإسقاط الانتقائي بانتخاب بنى الأدخال نحو الفضاء المزيج، ويقصي أخرى؛ ليحول عبر آلية "التكثيف" العلاقات الخارجية لبنى الأدخال إلى علاقات داخلية، وينتج عن هذه العملية توليد الاستعارة الإعلامية" الألغام كائنات شريرة حاصدة للأرواح، تجعل من السوريين محصولا بشريا.

الشكل 5: الشبكة المزجية لأفضية "الألغام أرواح شريرة"



المصدر: خطاطة مولدة بالذكاء الاصطناعي، بناء على مصدر:

Fauconnier, G., & Turner, M. (1998). Conceptual integration networks. Cognitive Science, 22(2), 148

أفرزت البنية المزجية التخييلية للتناظر بين "الألغام" و"الحصاد" في استعارة قناة العربية، استنتاج بنية تصورية معقدة تؤطرها الخلفية الميتافيزيقية لعملية "حصاد الأرواح". فمن خلال دمج الدخل الأول (الفعل الميكانيكي للحصاد) مع الدخل الثاني (بقايا الحرب)، ينبثق فضاء ممزوج يسقط صفة "المرسل" أو "ملك الموت" على الألغام والقذائف، مما يحولها من مجرد مخلفات تقنية إلى "قوة شريرة" تمارس فعل ملك الموت أو القوة الشريرة التي تحتكر حق قبض ومصادرة الأرواح.

3 استعارة "الحرب لعبة"

الأمثول: الأزمة السورية تعيد خلط الأوراق. ما مستقبل النفوذ الإيراني في المنطقة؟



المصدر: قناة الشرق، منصة عبر منصة يوتوب:
https://www.youtube.com/watch?v=UuJdiS7aflA (8 دجنبر 2024)

على غرار الاستعارتين السابقتين، نجد "الحرب لعبة" أو "مقامرة"، أو "لعبة محفوفة بالمجازفات" من الاستعارات المكثفة في الإعلام العربي، كما أوردنا في العينة (3) لقناة الشرق الإخبارية في تغطية مؤتمر لوزراء خارجية إيران وسوريا والعراق لإدانة الهجمات المسلحة في سوريا.

ويستعير إعلام الأزمة من حقول ومجالات متعددة، قد تبدو في الوهلة الأولى بعيدة كل البعد عن مجال الحرب، إلا أن الإعلام يقتنص من الأفضية ما ينسجم مع موقف الأزمة، كما الحال لوضع إيران في المنطقة السورية، التي احتاجت "إعادة خلط أوراق نفوذه، إذ يمثل الدخل الأول (لعبة الوراق) قوانين صارمة لكنها تخضع للصدف والتقلبات في استراتيجية اللعب بصفة غير مستقرة، ويمثل الدخل الثاني (النفوذ الإيراني) أو طاولة اللعب أو القمار، تبرز أن "اللاعب الإيراني" لم يعد يسيطر على "الطاولة"، بل أصبح محكوما عليه بـ "خلط الأوراق" لإعادة رسم معالم اللعبة، كما سيتبين في تشريح عناصر الدلالية المعرفية لهذا المزج التصوري.

الجدول(3). عناصر المزج التصوري لاستعارة "الحرب لعبة"أو استعارة كلاوزفيتز

التعبير الاستعاري	الدخل 1	الدخل 2	الفضاء الجامع	الفضاء المزيج
لعبة "الورق" والمراهنة :عملية عشوائية ومنظمة في آن واحد لإعادة توزيع الفرص بين اللاعبين.	تضارب المصالح النفوذ الإيراني، تحركات الفصائل، التدخلات الدولية.	المشهد السوري الميداني :تضارب المصالح بين النفوذ الإيراني، تحركات الفصائل، والتدخلات الدولية.	مجموعة عناصر، قوة مؤثرة، استراتيجية، إعادة التوزيع.	تخلخل النفوذ الإيراني في الأراضي السورية.

تجعل استعارة كلاوزفيتز الدولة الإيرانية فاعلا عقلانيا في هذه اللعبة، مهمتها خلط الأوراق في سوريا وإعادة توزيع الحصيص لكل الفاعلين، وتحاول مع حلفائها كالعراق وسوريا إبعاد الفصائل من الطاولة لتحويل الصراع الميداني ضد الفصائل إلى "تحركات استراتيجية" تشبه لعبة البوكر. ومن خلال هذا المزج بين فضائي اللعب والنفوذ الإيراني في سوريا، يتم تمثيل القوى الفاعلة كـ "حصص" مراهن بها في جولة جديدة تفرضها الأزمة بوصفها قوة خلط قسرية تلغي الأوراق السابقة للنفوذ. وينتج عن ذلك فضاء مزيج يصنف النتائج السياسية بوصفها "أرباحا" أو "خسائر" غير مؤكدة، وهو ما يجعل إيران تحاول إعادة خلط الأوراق من جديد لحيازة "الجوكر" واستعماله عند الضرورة.

وتحور الاستعارة الإعلامية النفوذ الجيوسياسي إلى "مجازفة"، حيث تفرغ النفوذ من أبعاده الأيديولوجية لتحيله إلى "مجازفة مالية" تخضع لمنطق الربح والخسارة، وبهذا المعنى الدلالي الانزياحي الذي ينتج عن المماثلة بين العناصر المتباينة بين الدخلين(اللعب/الحرب) يتقبل العقل الجمعي تحولات موازين القوى في صفته الحتمية الناجمة عن "قواعد اللعبة"، مما يسهل تمرير فكرة تآكل النفوذ تحت غطاء "السيولة الاستراتيجية". وبذلك يتم تقليص تعقيدات الحرب إلى معادلات رياضية تسعى لاختزال مضمون الخبر

وتقليل وتفكيك المعرفة السياسية والعسكرية ثم جمعها في رقعة اللعب، محاولة بذلك حفز إدراك المتقي بشتى مستوياته، كما سنبين في الشبكة المزجية لأفضية هذه الاستعارة.

الشكل 6: العلاقات التصورية الرابطة بين أدخال الشبكة لاستعارة "الحرب لعبة"

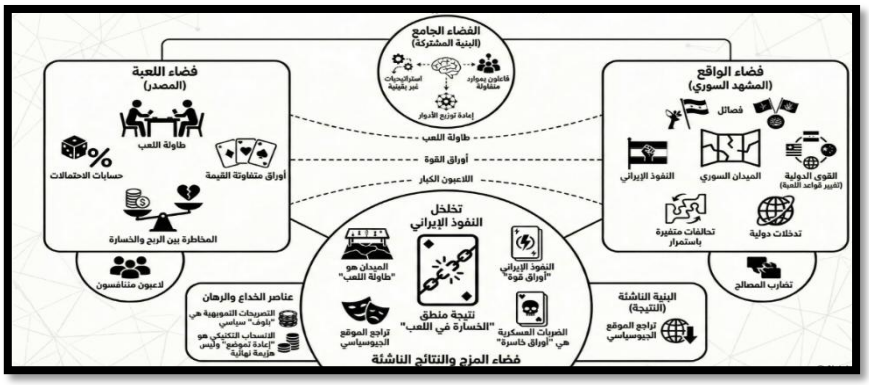

المصدر: صورة مولدة بالذكاء الاصطناعي، المصدر الأصلي:

Fauconnier, G., & Turner, M. (1998). Conceptual integration networks. Cognitive Science, 22(2), 148

4 الوظائف الحجاجية لاستعارات الحرب

1.4 استعارة "الحرب نار": حجاج الحتمية وتشكيل "إيتوس" النذير

تشتغل هذه الأنماط الاستعارية في الخطاب الإعلامي بوصفها بنية حجاجية تحاول نقل الصراع مقولة "الفعل البشري القابل للمساءلة" إلى مقولة "الظاهرة الطبيعية الحتمية" ويعبر الخطاب إلى وظيفته التداولية، التي يبنى فهيا "إيتوس" إعلامي يتقمص دور "المحذر" أو "المنقذ" الذي يستبق نذر الكارثة، ما يمنح الخطاب سلطة أخلاقية متعالية تتجاوز الخبر إلى اشتغال "منطق القدرية"؛ حيث تفرض الاستعارة على المتلقي قبول الصراع كأنه حريق لا مفر منه. واستعمل الطرفان –الروسي والأمريكي–استراتيجيات الإزاحة المعرفية، والتقليل من الشأن؛ أي إزاحة النقاش من "من يملك الموارد؟" إلى "من يملك حق

التواجد؟". فبينما كان الجدل يدور حول "قواعد الاشتباك" و"منع التصادم"، كانت الحقيقة الميدانية تؤكد أن الصراع هو على الجغرافيا الاقتصادية، حيث تُستغل الأراضي السورية كخزان للموارد وأداة للمقايضة في ملفات دولية أخرى.

2.4 استعارة "المخلفات تحصد الأرواح": حجاج الترهيب وبناء "إيتوس" التراجيديا

ينتقل الحجاج في هذا الخطاب لقناة العربية إلى مستوى "الميتافيزيقا الأخلاقية"، حيث يتم تشخيص الأجسام الصماء (الألغام) ومنحها صفة الفاعل الواعي "الحاصد"؛ إذ يؤسس هذا المزج لـ "إيتوس" تراجيدي يجعل من الوسيلة الإعلامية "ضميراً أخلاقياً" يستنهض عواطف الجمهور (Pathos) عبر تحويل بقايا الحرب إلى قوة شريرة تترصد الأبرياء. وتكمن القوة الإقناعية في هذه الاستعارة في قدرتها على "تأبيد الأزمة"؛ فلا تنتهي من المنظور الحجاجي بوقف إطلاق النار، بل تستمر في حصد الأرواح، مما يخدم استراتيجية إبقاء الخصم في دائرة الإدانة الأخلاقية المستمرة، تستثمر الأفعال التداولية المضمرة: كالخوف، والتهديد، والتقريع لتوجيه الرأي العام السوري نحو الحذر والرأي العام الدولي نحو الإذانة واستيعاب طبيعة الكارثة.

4-3. استعارة "الحرب لعبة"أو استعارة كلاوزفيتز

وظفت قناة الشرق "الاستعارات الغامرة (Immersive Metaphors) "في التحليل الجيوسياسي، " الذي يحتم على الإعلامي نقل الخبر من خلال اقتصاد اللغة "وتبسيط التفاعلات الدولية المعقدة التي تحول. دون متابعة كافة الشرائح من الجمهور للأخبار المتسربة إلى الإدراك بشكل مكثف؛ حيث يتم تحويلها إلى نماذج ذهنية قابلة للاستيعاب. كما تفند هذه الرؤية فرضية "المتلقي السلبي"، مؤكدة على وجود "مقاومة إدراكية "لدى الجمهور تحول دون التماهي المطلق مع برودة الاستعارة. وتخلص القراءة.

إلى أن "عقلنة" الصراع ليس تضليلا بالضرورة، بل أداة إبستيمولوجية تمنح التغطية صبغة "الموضوعية الاحترافية "التي تستقطب كافة الطوائف من المتلقين، وحفزهم عبر تصوير الحرب في شكل طاولة

اللعب(سوريا) التي تمنحه فهم تموقع اللاعبين (الفصائل، إيران، تركيا، روسيا، أمريكا.) وتمركزهم (مناطق النفوذ).

خلاصة الدراسة.

سعى هذا البحث إلى مساءلة الكيفية التي يشتغل بها الخطاب الإعلامي العربي في تمثيل الأزمات، ولا سيما الحرب السورية، من خلال توظيف الاستعارة بوصفها آلية معرفية تتجاوز حدود الزخرف البلاغي إلى بناء أفضية دلالية موجهة للإدراك والتأويل. وانطلق من فرضية مفادها أن الخطاب الإعلامي لا يكتفي بنقل الحدث، بل يعيد إنتاجه ذهنيا عبر شبكات استعارية معقدة، تعيد ترتيب العلاقات بين الوقائع، والفاعلين، والنتائج داخل نماذج تصورية مألوفة.

وقد أفضت الدراسة، اعتمادا على مقاربة عرفنية تستثمر نموذج المزج التصوري، إلى الكشف عن أن استعارات الأزمات في الإعلام العربي تشتغل ضمن شبكات ذهنية متعددة الأفضية، يتم فيها انتقاء عناصر بعينها من مجالات متباعدة، ودمجها في فضاء مزيج ينتج دلالة منبثقة لا تختزل في أي من المدخلين. وبذلك يتبين أن الاستعارة الإعلامية ليست علاقة إسقاط خطي، بل بناء تصوري تخييلي ينتظم وفق آليات مفهومية/ مثل الإسقاط الانتقائي، والتكثيف، والإكمال، والبلورة، بما يسمح بتوليد معان جديدة تتسم بالكثافة الإيحائية والقوة الإقناعية.

وأظهرت النتائج أن الخطاب الإعلامي خطاب استعاري غير مؤسس يميل إلى تجسير العلاقة التكاملية بين مجالات استعارية عدة ذات حمولة سوسيولسانية متنوعة، مثل استعارة الحرب نار، واستعارة مخلفات الحرب كقوة شريرة تحصد الأرواح، التي تشخص الخطر وتحوله إلى فاعل غيبي دائم التربص، إضافة إلى استعارة الحرب لعبة أو مقامرة التي تختزل التعقيد الجيوسياسي في منطق الربح والخسارة وإعادة توزيع الأدوار. وتؤدي هذه الاستعارات مجتمعة وظيفة تبسيط الواقع المعقد، مع تحميله في الآن ذاته شحنة وجدانية وحجاجية.

كما بين البحث تنهض بوظائف تداولية وإيديولوجية واضحة، إذ تسهم في بناء إيتوس إعلامي متحول بين دور المحذر، والضمير الأخلاقي، والخبير الاستراتيجي، وتوجه إدراك المتلقي نحو قبول الأزمة بوصفها قدرا، أو تهديدا دائما، أو لعبة تحكمها قواعد صارمة. وبهذا المعنى، لا تعمل الاستعارة على تفسير الحدث فحسب، بل على ضبط إمكانات تأويله، وتوجيه الاستجابات النفسية والسلوكية للجمهور، إما بالتهويل أم التلطيف بالنظر إلى التوجه الإعلامي.

وتخلص الدراسة إلى أن تحليل الخطاب الإعلامي من منظور المزج التصوري يتيح فهما أعمق لآليات صناعة المعنى في سياقات الأزمات، ويكشف عن الدور المركزي الذي تؤديه الاستعارة في إدارة الأزمة، لا مجرد تغطيتها فحسب. كما يسوغ هذا المنظور الحاجة إلى إدماج التحليل العرفني ضمن الدراسات الإعلامية والنقدية، بوصفه أداة كاشفة للبنى الذهنية والحجاجية التي تؤطر الوعي الجمعي وتعيد تشكيل تمثلاته للواقع زمن الاضطراب والأزمات.

قائمة مصادر ومراجع عربية:

1. أكروم (فيصل)، ومرعوش إبراهيم، (2025)، "دور الاستعارة التصورية في بناء الخطاب اليومي: دراسة في التعابير الاصطلاحية المغربية"، مجلة عطاء للدراسات والبحوث، ع: 26، ص: 13.
2. جديوي روضة، ومسعودي حفصة، (2023)، "الذهن العرفاني والمزج التصوري: مقاربة عرفانية للفكر واللغة"، مجلة اللسانيات التطبيقية، مج: 7، ع: 2، ص: 143.
3. حدادي وليدة، وأعراب فاطمة، (2022)، "استراتيجيات ومحددات المعالجة الإعلامية للأزمات في ظل الإعلام الجديد"، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، مج: 5، ع: 4، ص: 110.
4. زناد (الأزهر)، (2010)، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت) ومنشورات الاختلاف (الجزائر)، ص: 223.

5. قرني أماني حمدي محمود، (2024)، "الاستعارات المفاهيمية في الخطاب الإعلامي حول الحروب: تحليل لدلالات التغطية الإخبارية للأزمة السورية في موقعي روسيا اليوم وبي بي سي بالعربية"، مجلة (Arab Media and Society)، ع: 38، ص: 114.

قائمة مصادر ومراجع أجنبية

1. Fauconnier. Giles, and Turner (Mark), (1998), "Conceptual integration networks", Cognitive Science, V: 22, 2, p: 137, 140, 141, 143, 148.
2. Thibodeau. Paul H, and Boroditsky (Lera), (2011), "Metaphors We Think With: The Role of Metaphor in Reasoning", Plos One, V: 6, 2, p: 1-5.
3. Akoff. George, and Johnson (Mark), (1980), "Metaphors We Live By", University of Chicago Press, Chicago, p: 42.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Digitization and Its Role in Reshaping the Identity of Contemporary Literary Texts: Selected Models

Omar Faisal Ghazi
Babylon Center for Civilizational and Historical Studies
Art.omer.faisel@uobabylone.com

Abstract:

This study explores the impact of digitalization on reshaping the identity of contemporary literary texts, through analyzing changes in production and reception within the digital environment and reviewing selected examples that represent this transformation. The study is based on the hypothesis that the literary text is no longer a fixed linguistic structure confined to paper and its limits, but has become a dynamic, evolving entity that interacts with modern display technologies and multiple modes of expression, leading to a redefinition of the relationship between the writer, the reader, and the text. The research adopted a comparative analytical approach and relied on a theoretical framework that examines the concepts of digitalization and textual identity, and analyzes practical models that illustrate the dimensions of transformation in narrative structure and mechanisms of reader interaction.

The results showed that digitization contributed to dismantling the centrality of the author and enhancing the role of the reader as a participant in producing meaning through mechanisms of interactivity and textual openness. It also expanded the creative space by integrating auditory and visual elements and multiple narrative paths. The study indicated that the identity of the digital text is characterized by fluidity and diversity, as well as its ability to transcend the traditional boundaries of literary genres. At the same time, however, it poses challenges related to issues of documentation, intellectual property, and literary aesthetic standards.

Keywords:. Digitization. Identity. Literary text

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

الرقمنةُ ودورها في إعادةِ تشكيلِ هويَّةِ النَّصِّ الأدبي المعاصرِ نماذجٌ مختارةٌ

م.م عمر فيصل غازي
مركز بابل للدراسات الحضاريّة والتاريخيّة
Art.omer.faisel@uobabylone.com

ملخص:

تتناولُ هذه الدِّراسةُ أثرَ الرقمنةِ في إعادةِ تشكيلِ هويّة النصِّ الأدبي المعاصر، من خلال تحليل تحولات الإنتاج والتلقي في البيئة الرقمية، واستعراض نماذج مختارة تمثّل هذا التحول. انطلقت الدراسة من فرضيَّة مفادها أنَّ النص الأدبي لم يعد بنية لغوية ثابتة محكومة بالورق وحدوده، بل أصبح كيانًا ديناميكيًا متحوّلاً يتفاعل مع تقنيات العرض الحديثة ووسائط التعبير المتعددة، مما أدى إلى إعادة تعريف العلاقة بين الكاتب والقارئ والنص. اعتمد البحث المنهج التحليلي المقارن، واستند إلى مقاربة نظرية تدرس مفاهيم الرقمنة والهوية النصية، وتحلل نماذج تطبيقية توضح أبعاد التحول في البنية السردية وآليات التفاعل القرائي. أظهرت النتائج أنَّ الرقمنة أسهمت في تفكيك مركزية المؤلف وتعزيز دور القارئ بوصفه مشاركًا في إنتاج المعنى من خلال آليات التفاعلية والانفتاح النصي، كما وسعت من فضاء الإبداع عبر إدماج عناصر سمعية وبصرية وتعدد المسارات السردية. وبيّنت الدراسة أن هوية النص الرقمي تتميز بالانسيابية والتنوع، وبقدرتها على تجاوز الحدود التقليدية للأجناس الأدبية، لكنها في الوقت ذاته تطرح تحديات تتعلق بمسائل التوثيق والملكية الفكرية ومعايير الجمالية الأدبية.

الكلمات المفتاحية: الرقمنه. الهوية. النص الادبي

مقدمة:

يشهد العصر الحالي تحولاً جوهرياً في طبيعة النص الأدبي، تمليه الثورة الرقمية وما صاحبها من تطورات تكنولوجية أعادت تشكيل الممارسات الثقافية والإبداعية. لم يعد النص الأدبي كياناً خطياً مغلقاً يحتفظ بثباته بين دفتي كتاب، بل تحول إلى كيان ديناميكي تفاعلي، تتقاطع فيه الوسائط المتعددة، وتتشعب مساراته، وتتعدد أدوار متلقيه. لقد تجاوز النص المعاصر مفهومه التقليدي بوصفه مجموعة من الرموز اللغوية المنظمة، ليصير فضاءً إلكترونياً مفتوحاً على احتمالات تأويلية غير محدودة .لقد أفضت الرقمنة إلى ولادة أنماط أدبية جديدة، كالأدب التفاعلي، والرواية التشعبية، والشعر الرقمي، التي هدمت الحواجز التقليدية بين الأجناس الأدبية، وخلقت أشكالاً هجينة تتحدى التصنيفات النقدية المألوفة. وقد ترتب على هذا التحول إعادة تعريف المفاهيم الأساسية التي قام عليها الدرس النقدي لعقود، مثل مفهوم المؤلف، وسلطة النص، ودور القارئ، وطبيعة العملية التفسيرية.

تكمن الإشكالية المحورية لهذا البحث في محاولة رصد وتحليل الآليات التي أعادت من خلالها الرقمنة تشكيل هوية النص الأدبي المعاصر. فالهوية، بوصفها منظومة من السمات الجوهرية التي تميز الكيان وتضمن استمراريته، لم تعد ثابتة أو واضحة المعالم. بل دخلت في حالة من الانزياح المستمر، حيث أصبحت العلاقة بين الشكل والمضمون، وبين الوسيط والرسالة، أكثر تعقيداً وغموضاً .

أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة كمحاولة متواضعة للإسهام في حقل الدراسات النقدية التي تهتم بتأثير الرقمنة على الأدب، والتي شهدت تطوراً ملحوظاً في السنوات الأخيرة. فمع أن الدراسات العربية قد بدأت تتناول ظاهرة الأدب الرقمي، إلَّا أنَّ هناك حاجة ماسَّة لمزيد من الأبحاث التي ترصد التحولات الجارية في هوية النص الأدبي تحت تأثير التقنيات الرقمية. وتحاول هذه الدراسة أن تقدم مقاربة متواضعة لفهم الكيفية التي تعيد بها الرقمنة تشكيل النص الأدبي، ليس كبديل للدراسات السابقة، بل كامتداد لها .تكمن أهمية هذه الدراسة أيضاً في محاولتها تتبع مظاهر التحول الرقمي في النص الأدبي المعاصر، الذي لم يعد مقصوراً على الشكل التقليدي، بل أصبح كياناً مرناً يتفاعل مع القارئ ويتكيف مع الوسائط المتعددة. ورغم أن هناك دراسات عربية عدة قد تناولت هذا الجانب، إلَّا أنَّ هذه الدراسة تحاول أن تقدم إضافة متواضعة من خلال التركيز

على مفهوم الهوية النصية وكيفية تفاعلها مع المتغيرات الرقمية، وهو جانب لا يزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتمحيص.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المتواضعة، يأتي في مقدمتها رصد مظاهر تجلي الرقمنة في النص الأدبي المعاصر، من خلال تتبع الأشكال الجديدة التي أفرزها العصر الرقمي، مثل النص التشعبي والأدب التفاعلي والنص المتعدد الوسائط. وتسعى الدراسة إلى فهم الكيفية التي أثرت بها هذه الأشكال على هوية النص الأدبي، ليس باعتبارها بديلاً عن الأشكال التقليدية، بل كمكمل لها في المشهد الأدبي المعاصر .كما تهدف الدراسة إلى تحليل الآليات التي أعادت من خلالها الرقمنة تشكيل هوية النص الأدبي، من خلال التركيز على آليتي التشعب والتفاعلية كأداتين أساسيتين في هذه العملية. وتحاول الدراسة أن تبيّن كيف تساهم هذه الآليات في تحويل النص من كيان خطي مغلق إلى فضاء مفتوح للاستكشاف والتفاعل، مما يؤدي إلى ظهور هوية نصية متغيرة ومتطورة.

المبحث الأوَّل

الإطار النظري لمفهوم الرقمنة وهويَّة النص الأدبي

تشكل الرقمنة واحدة من أهم التحولات الثقافية في العصر الحديث، حيث لم تعد مجرد تقنية مستحدثة، بل أصبحت نمطاً وجودياً جديداً أثر في كل مناحي الحياة، ومنها الأدب. لقد أعادت الرقمنة تشكيل العلاقة بين الكاتب والنص والقارئ، وفتحت آفاقاً إبداعية غير مسبوقة، مما يستدعي الوقوف عند مفهومها وتطورها وسماتها.

الرقمنة: المفهوم، والتطور، والسمات

تشكل الرقمنة واحدة من أهم التحولات الثقافية في العصر الحديث، حيث لم تعد مجرد تقنية مستحدثة، بل أصبحت نمطاً وجودياً جديداً أثر في كل مناحي الحياة، ومنها الأدب. لقد أعادت الرقمنة تشكيل العلاقة بين الكاتب والنص والقارئ، وفتحت آفاقاً إبداعية غير مسبوقة، مما يستدعي الوقوف عند مفهومها وتطورها وسماتها.

تعريف الرقمنة وتحولاتها الثقافية

يمكن تعريف الرقمنة بأنها عملية تحويل البيانات والمعلومات من الشكل التناظري إلى الشكل الرقمي القابل للتخزين والمعالجة عبر الحاسوب. لكن هذا التحويل التقني يظل قاصراً عن الإحاطة بالأبعاد الثقافية والاجتماعية لهذه الظاهرة. فمن منظور أوسع، تمثل الرقمنة تحولاً جذرياً في طبيعة المعرفة وطرق إنتاجها وتداولها، حيث أصبحت المعلومات قابلة للتعديل والتحديث والنقل بسرعة فائقة.

لقد أثَّرت الرقمنة على المنظومة الأدبية بشكل عميق، فتحولت من مجرد أداة مساعدة إلى بيئة إبداعية كاملة. فبينما كانت الكتابة التقليدية تعتمد على الأدوات المادية من ورق وأقلام، أصبحت الكتابة الرقمية تعتمد على البرامج والتطبيقات التي تتيح إمكانيات غير محدودة للتعديل والإضافة والحذف. هذا التحول لم يغير فقط أدوات الكتابة، بل غير طبيعة العملية الإبداعية ذاتها(سعيد يقطين، 2008، ص 45)

تطور مفهوم النص من التقليدي إلى الرقمي

شهد مفهوم النص تحولاً جوهرياً مع ظهور الرقمنة، حيث انتقل من كونه كياناً خطياً مغلقاً إلى كيان تفاعلي مفتوح. ففي الأدب التقليدي، كان النص يحتفظ بثباته وهيئته بغض النظر عن عدد قراءاته، بينما في الأدب الرقمي، أصبح النص كائناً متحولاً يتشكل وفقاً لتفاعل القارئ معه.

لقد أدى هذا التحول إلى ولادة أنماط نصية جديدة كلياً، مثل النص التشعبي الذي يقوم على نظام العقد والروابط، والنص التفاعلي الذي يشرك القارئ في صناعة المعنى، والنص المتعدد الوسائط الذي يجمع بين الكلمة والصورة والصوت. هذه الأنماط الجديدة لم تكن مجرد تطور شكلي، بل مثلت نقلة نوعية في فلسفة النص ووظيفته (عبدالله إبراهيم، 2012، ص 78)

السمات العامة للأدب الرقمي

يتميز الأدب الرقمي بمجموعة من السمات الجوهرية التي تجعله شكلاً أدبياً متميزاً. أولى هذه السمات هي التفاعلية، حيث يتحول القارئ من متلق سلبي إلى شريك فاعل في عملية الخلق الأدبي. ففي النص الرقمي، يمارس القارئ حريته في اختيار مسارات القراءة، والتحكم في وتيرة السرد، والمشاركة في صياغة الأحداث. هذه السمة تعكس رؤية جديدة للأدب تقوم على المشاركة والتشاركية .أما السمة الثانية فهي التشعب،

والتي تعني أن النص الرقمي لا يتبع بنية خطية واحدة، بل يتكون من شبكة معقدة من العقد والروابط التي تتيح للقارئ التنقل بين أجزاء النص بطرق غير متسلسلة. هذا التشعب لا يمثل مجرد تقنية كتابية جديدة، بل يعكس رؤية فلسفية للعالم تقوم على تعدد الزوايا وتداخل المستويات .وتأتي التعددية الوسيطية كسمة ثالثة، حيث يتجاوز النص الرقمي حدود اللغة المكتوبة ليشمل مختلف أنواع الوسائط من صور وتسجيلات صوتية ومقاطع فيديو ورسوم متحركة. هذه التعددية تخلق تجربة قراءة غنية ومتعددة الحواس، حيث تتفاعل العناصر المختلفة لتوليد دلالات جديدة ومعقدة .أما السمة الرابعة فهي عدم الخطية، حيث يرفض النص الرقمي فكرة التسلسل المنطقي التقليدي، ويقدم بدائل متعددة لقراءة النص. هذه السمة تعني أن كل قارئ يخلق مساره الخاص في النص، مما يؤدي إلى ظهور تجارب قراءة فريدة ومتعددة للنص الواحد(فيصل غازي المنصوري، 2015، ص123)

التحولات الثقافية المصاحبة للرقمنة

لم تقتصر تأثيرات الرقمنة على الجانب التقني فحسب، بل امتدت لتشمل تحولات ثقافية عميقة طالت مفهوم المؤلفية والقراءة والنقد. ففي عصر الرقمنة، لم يعد المؤلف هو المصدر الوحيد للنص، بل أصبح القارئ شريكاً في إنتاجه. كما تغيرت طبيعة القراءة من عملية فردية هادئة إلى نشاط تفاعلي جماعي.

لقد أثرت هذه التحولات على المؤسسات الثقافية التقليدية، حيث أصبح النشر الإلكتروني بديلاً عن النشر الورقي، وتحولت المكتبات من أماكن مادية إلى فضاءات افتراضية. كما ظهرت أشكال جديدة من النقد الأدبي تتلاءم مع طبيعة النصوص الرقمية، وتعتمد على أدوات تحليلية مختلفة. (محمد سعيد ربيع الغامدي 2018، ص 67)

التحديات والآفاق المستقبلية

رغم الإمكانيات الهائلة التي تتيحها الرقمنة للأدب، إلا أنها تطرح أيضاً تحديات كبيرة. فمن الناحية التقنية، تواجه النصوص الرقمية خطر التقادم التقني، حيث تتطور البرامج والتطبيقات بسرعة قد تجعل النصوص القديمة غير قابلة للقراءة. ومن الناحية القانونية، تطرح قضايا حقوق الملكية الفكرية إشكاليات معقدة في ظل سهولة النسخ والتوزيع .لكن رغم هذه التحديات، تظل الآفاق المستقبلية للرقمنة في المجال الأدبي واسعة ومشرقة. فمع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي، من المتوقع أن تظهر أشكال أدبية جديدة

أكثر تفاعلية وتشعباً. كما أن انتشار الأجهزة الذكية سيسهم في الأدب، وجعله في متناول شرائح أوسع من القراء. **(هالة ياسين حسن، 2020، ص 89)**

مقاربات مفهوم هوية النص الأدبي في ظل الرقمنة

يشكل مفهوم هوية النص الأدبي إشكالية محورية في الدراسات النقدية المعاصرة، خاصة مع التحولات الجذرية التي أحدثتها الرقمنة في طبيعة النص وأبعاده. لم تعد هوية النص مقصورة على تلك السمات الثابتة التي تميزه عن غيره من النصوص، بل أصبحت هوية متحركة ومتعددة الأبعاد، تتشكل وتتغير وفقاً لتفاعل القارئ معها وللوسيط الذي تقدم من خلاله. لقد أدت الرقمنة إلى تفكيك المقولات التقليدية حول الهوية النصية، وأعادت طرح أسئلة جوهرية حول طبيعة النص وحدوده وعلاقته بمؤلفه وقارئه.

هوية النص بين الثبات والانزياح

تمثل هوية النص في الأدب التقليدي كياناً ثابتاً ومستقراً، يتحدد من خلال بنيته الداخلية ومكوناته الثابتة التي لا تتغير باختلاف قارئيه أو ظروف قراءته. فالنص الورقي يحتفظ بهويته المستقلة بغض النظر عن عدد قراءاته أو تعدد طبعاته. لكن مع ظهور الرقمنة، دخلت هوية النص في مرحلة من الانزياح المستمر والتحول الدائم. فالنص الرقمي يفقد الكثير من خصائص الثبات والاستقرار، ويصبح كياناً متحولاً يتشكل ويتم إعادة تشكيله مع كل عملية قراءة .لم يعد الانزياح مجرد خروج عن القواعد والأعراف، بل أصبح سمة أساسية من سمات هوية النص الرقمي. فالنص الرقمي ينزاح عن الشكل الخطي التقليدي، وعن فكرة التأليف الفردي، وعن مفهوم الإغلاق النصي. هذا الانزياح ليس نقصاً أو قصوراً، بل هو إثراء للهوية النصية وتوسيع لحدودها. لقد أصبح الانزياح استراتيجية نصية تتيح للنص تجاوز حدوده التقليدية والانفتاح على عوالم دلالية جديدة(محمد الشيخ، 2017، ص 45)

الهوية السيميائية والهوية التلاقية

تتعدد المقاربات التي تحاول فهم هوية النص الرقمي، ومن أبرزها مقاربة الهوية السيميائية التي تركز على النظام العلامي للنص. فالهوية السيميائية للنص الرقمي لا تقتصر على العلامات اللغوية فحسب، بل تشمل كل العلامات المتعددة الوسائط التي يتكون منها النص. إنها هوية مركبة ومعقدة، تتفاعل فيها العلامات اللغوية مع البصرية والسمعية، لتشكل نظاماً دلالياً متشابكاً .في المقابل، تقدم الهوية التلاقية رؤية مختلفة، تركز على

عملية التواصل بين النص والقارئ. فالهوية هنا لا تكمن في النص ذاته، بل في الفضاء التلاقي الذي يحدث بين النص والقارئ. فالنص الرقمي لا يحمل هويته مكتملة وجاهزة، بل تتبلور هذه الهوية خلال عملية التفاعل مع القارئ. إنها هوية تتحقق في فضاء الحوار والتواصل، وليس في عزلة النص عن قارئه (سعاد العنزي، 2019، ص 78)

عناصر تشكيل الهوية في النص الرقمي

تشكل هوية النص الرقمي من خلال تفاعل عدة عناصر أساسية، يأتي في مقدمتها اللغة التي لم تعد الوسيط الوحيد للتعبير. ففي النص الرقمي، تتفاعل اللغة مع الصورة والصوت والحركة، لتخلق نظاماً تعبيرياً جديداً. كما تلعب البنية الدور الحاسم في تشكيل الهوية، فبنية النص الرقمي التشعبية تميّزه عن النص التقليدي وتحدد طبيعته التفاعلية .أما الوسائط المتعددة فتشكل عنصراً أساسياً في هوية النص الرقمي، حيث تتحول من مجرد إضافات تزيينية إلى مكونات أساسية في البنية الدلالية للنص. فالصورة لم تعد مجرد توضيح للنص، بل أصبحت جزءاً عضوياً من معناه. والصوت لم يعد مجرد خلفية، بل أصبح عنصراً فاعلاً في بناء الدلالة .ولا يمكن إغفال دور القارئ كعنصر محوري في تشكيل هوية النص الرقمي. فالقارئ لم يعد متلقياً سلبياً، بل أصبح مشاركاً فاعلاً في إنتاج المعنى. إن هوية النص الرقمي تتشكل من خلال الاختيارات التي يتخذها القارئ، والمسارات التي يسلكها، والتفاعلات التي يقوم بها مع النص(أحمد محمد عبدالله، 2020، ص112)

إشكالية المؤلف والسلطة النصية في البيئة الرقمية

أدت الرقمنة إلى إعادة النظر في مفهوم المؤلف والسلطة النصية، فلم يعد المؤلف هو المصدر الوحيد للنص، ولم تعد سلطته على نصه مطلقة. ففي البيئة الرقمية، يتحول المؤلف من مبدع منفرد إلى منسق لعملية إبداعية جماعية، حيث يشارك القراء في تطوير النص وإغنائه. هذه المشاركة الجماعية تضعف سلطة المؤلف التقليدية، وتعيد توزيع السلطة النصية بين مختلف المشاركين في العملية الإبداعية .كما أثرت الرقمنة على مفهوم الأصل والنسخة، ففي البيئة الرقمية، لم يعد هناك أصل واحد للنص، بل توجد نسخ متعددة ومتطورة باستمرار. هذا التعدد في النسخ يضعف فكرة السلطة النصية المطلقة، ويجعل النص كائناً حياً ومتطوراً، وليس كياناً ثابتاً ومغلقاً. لقد أصبح النص الرقمي مشروعاً مفتوحاً للتعديل والتطوير، مما يجعله يفقد الكثير من سلطته التقليدية. (فاطمة الزهراء بلعربي، 2018، ص 95)

التفاعلية وأثرها في تشكيل الهوية

تمثل التفاعلية أحد أهم العناصر التي تسهم في تشكيل هوية النص الرقمي، حيث تتحول عملية القراءة من نشاط سلبي إلى حوار تفاعلي بين القارئ والنص. فالتفاعلية تمنح القارئ القدرة على التأثير في مسار النص وتطوره، وتتيح له إمكانية إعادة تشكيله وفقاً لرؤيته وتفضيلاته. هذه المشاركة الفعالة تجعل هوية النص متغيرة ومتطورة، وتجعل كل قراءة تجربة فريدة ومتميزة .لا تقتصر التفاعلية على الجانب التقني فحسب، بل تمتد إلى الجانب الجمالي والدلالي. فمن خلال التفاعل، يبني القارئ علاقة خاصة مع النص، وتتولد دلالات جديدة لم تكن موجودة في النص الأصلي. هذه الديناميكية في عملية بناء المعنى تجعل هوية النص الرقمي هوية حية ومتطورة، وليست هوية ثابتة ومجمدة (خالد سليمان، 2016، ص134)

التشعب وتعدد المسارات

يؤثر التشعب بشكل جوهري في تشكيل هوية النص الرقمي، حيث يحول النص من بنية خطية مغلقة إلى شبكة مفتوحة من العقد والروابط. هذا التشعب لا يغير فقط شكل النص، بل يغير طبيعة القراءة وطريقة بناء المعنى. فكل قارئ يختار مساره الخاص في النص، مما يؤدي إلى ظهور تجارب قرائية متعددة لنص واحد . يخلق التشعب هوية نصية مرنة ومتعددة، حيث يتشكل النص وفقاً لاختيارات القارئ ومساراته. هذه التعددية في المسارات تجعل هوية النص متغيرة ومتطورة، وتعكس رؤية جديدة للعالم تقوم على تعدد الزوايا وتنوع وجهات النظر. لقد أصبح التشعب استراتيجية نصية تثري الهوية النصية وتجعلها أكثر تعقيداً وغنى(ليلى أحمد، 2019، ص 67)

الوسائط المتعددة وتكامل الأنظمة العلامية

تشكل الوسائط المتعددة عنصراً أساسياً في تشكيل هوية النص الرقمي، حيث تخلق تكاملاً بين الأنظمة العلامية المختلفة. فالنص الرقمي لا يعتمد على اللغة وحدها، بل يدمج بين الأنظمة البصرية والسمعية والحركية، لخلق نظام تعبيري جديد ومتعدد الأبعاد. هذا التكامل بين الوسائط يخلق هوية نصية غنية ومعقدة، تتجاوز حدود النص التقليدي .يؤثر تكامل الوسائط على عملية بناء المعنى، حيث تتفاعل الأنظمة العلامية المختلفة لتوليد دلالات جديدة. فالصورة لا تشرح النص، بل تتفاعل معه لتخلق دلالات متعددة ومتداخلة.

والصوت لا يظل مجرد خلفية، بل يصبح جزءاً عضوياً من المعنى. هذا التفاعل بين الوسائط يجعل هوية النص الرقمي هوية مركبة ومعقدة. (ناصر عبدالله، 2020، ص 89)

التحديات والإشكاليات

رغم الإمكانيات الهائلة التي تتيحها الرقمنة لهوية النص، إلاَّ أنَّها تطرح أيضاً تحديات وإشكاليات عديدة. فغياب الثبات النصي يطرح إشكالات حول مفهوم العمل الأدبي وحدوده، كما أن تعدد المشاركين في إنتاج النص يضعف فكرة المؤلف الفرد. إضافة إلى ذلك، تطرح قضايا الحفظ والأرشفة تحديات كبيرة، حيث يصبح من الصعب الحفاظ على هوية النص في ظل التطور التقني المتسارع .تواجه هوية النص الرقمي إشكالية التلقي، فكيف يمكن تحديد هوية نص يتغير مع كل قارئ؟ وكيف يمكن دراسة نص لا يحتفظ بهويته الثابتة؟ هذه الإشكاليات تتطلب تطوير منهجيات نقدية جديدة، قادرة على التعامل مع الطبيعة المتحولة للهوية النصية في العصر الرقمي.(محمد حسن، 2017، ص 156)

الآفاق المستقبلية

تبشر التطورات التقنية المستمرة بآفاق مستقبلية واسعة لهوية النص الرقمي، فمع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، من المتوقع أن تصبح النصوص أكثر تفاعلية وتكيفاً مع احتياجات القارئ. كما أنَّ تقنيات الواقع الافتراضي والمعزز ستفتح آفاقاً جديدة للهوية النصية، حيث يندمج النص مع البيئة المحيطة بالقارئ . من المتوقع أن تشهد الهوية النصية تطورات كبيرة مع ظهور تقنيات جديدة، ستجعل النص أكثر حيوية وتفاعلاً. كما أنَّ تطور أنظمة الذكاء الاصطناعي سيمكن النص من التكيف مع القارئ وتقديم تجربة قراءة شخصية وفريدة. هذه التطورات ستجعل هوية النص الرقمي أكثر ثراء وتعقيداً، وستفتح آفاقاً إبداعية جديدة.(سمية الخاطر، 2021، ص 178)

المبحث الثاني

تجليات الرقمنة في تشكيل هوية النص الأدبي

التشعب والتفاعلية كآليتين لإعادة التشكيل

يشكل التشعب والتفاعلية آليتين أساسيتين في إعادة تشكيل هوية النص الأدبي في العصر الرقمي، حيث لم يعد النص مجرد كلمات منتظمة في تسلسل خطي، بل تحول إلى فضاء مفتوح للاستكشاف والتفاعل. لقد قوض التشعب فكرة الخطية التي ظلت مهيمنة على الأدب لقرون طويلة، بينما حولت التفاعلية عملية القراءة من تلقٍ سلبي إلى مشاركة فاعلة في صناعة المعنى. هاتان الآليتان لم تغيرا فقط شكل النص الأدبي، بل أعادتا تعريف مفهوم الهوية النصية ذاتها، فلم تعد الهوية معطى جاهزاً وثابتاً، بل أصبحت عملية متجددة ومتحولة مع كل قراءة وتفاعل.

تحليل نموذج لنص تشعبي وكيفية تفكيكه للخطية السردية

يمكن تناول رواية "ظلال البيضاء" للكاتب السعودي عبد العزيز الحميد كنموذج للنص التشعبي العربي الذي يحاول تفكيك الخطية السردية التقليدية. تقدم هذه الرواية الرقمية قصة حب تدور أحداثها في مدينة الرياض، لكنها لا تتبع مساراً واحداً، بل تتيح للقارئ الاختيار بين عدة مسارات تختلف باختلاف الشخصيات وزوايا النظر. فبدلاً من الفصول التقليدية، تنقسم الرواية إلى "عقد" نصية متصلة بواسطة روابط إلكترونية، مما يمكن القارئ من بناء روايته الخاصة وفقاً لاختياراته .تمثل العقد النصية في هذه الرواية وحدات دلالية مستقلة، لكنها مترابطة روابط تسمح بالانتقال بينها بطرق غير خطية. ففي العقدة الأولى، يجد القارئ نفسه أمام خيارين: متابعة قصة حب البطل من وجهة نظره، أو الانتقال إلى وجهة نظر البطلة. كل خيار يقود إلى عقدة نصية مختلفة، تقدم بدورها خيارات جديدة. هذا البناء التشعبي يحول القراءة إلى رحلة استكشافية، حيث يصبح القارئ مشاركاً في تحديد مصير الشخصيات واتجاه السرد.

يكمن تفكيك الخطية السردية في هذه الرواية في عدة مستويات. على المستوى البنائي، تختفي البداية والنهاية التقليديتان، فكل قارئ يحدد بدايته ونهايته وفقاً لمساره الخاص. وعلى المستوى الزمني، يتفكك التسلسل الزمني الواضح، ليحل محله زمن نفسي متقطع، يعتمد على ذاكرة الشخصيات وانفعالاتها. أما على المستوى

الحكائي، فتتعدد الحكايات وتتداخل، مما يخلق نسيجاً سردياً معقداً يرفض التبسيط والتسطيح.(عبد العزيز الحميد، 2020، ص 34)

دور القارئ في بناء المعنى من خلال الاختيارات التفاعلية

في النص التشعبي، يتحول القارئ من متلقٍ سلبي إلى قارئ مشارك، بل إلى "قارئ–مؤلف" كما يصفه الناقد الأدبي السعودي الدكتور خالد الرفاعي. ففي رواية "ظلال البيضاء"، يمارس القارئ سلطته في اختيار المسار، وتحديد سرعة القراءة، وربط العناصر السردية ببعضها، مما يجعله شريكاً حقيقياً في إنتاج المعنى. هذه المشاركة لا تقتصر على الاختيار بين خيارات محددة مسبقاً، بل تمتد إلى عملية تأويلية إبداعية، حيث يبني القارئ نسخته الخاصة من النص .تخلق التفاعلية علاقة جديدة بين القارئ والنص، قائمة على الحوار والتشارك. فمع كل نقرة على رابط، ومع كل اختيار لمسار، يشارك القارئ في تشكيل هوية النص وهو يقرأ. هذه الهوية المتغيرة تجعل كل قراءة تجربة فريدة، وكل نسخة من النص عملاً أدبياً مستقلاً بذاته. فالنص الواحد ينتج نصوصاً متعددة، بعدد قرائه، وربما بعدد قراءات القارئ الواحد.

تؤثر هذه التفاعلية على عملية تلقي النص وتأويله، فلم يعد المعنى معطى جاهزاً ينتظر الاكتشاف، بل أصبح عملية بناء مستمرة. فالقارئ لا يكشف عن معنى مخبأ في النص، بل يشارك في صناعة هذا المعنى من خلال تفاعله مع الشبكة النصية. هذا التحول يجعل عملية القراءة مغامرة إبداعية، حيث يصبح القارئ كاشفاً للمعنى وصانعاً له في آن واحد.(خالد الرفاعي،2019، ص 67)

تأثير التشعب والتفاعلية على هوية النص المتغيرة

يؤدي التفاعل بين التشعب والتفاعلية إلى خلق هوية نصية متغيرة ومتطورة، تختلف عن الهوية الثابتة للنص التقليدي. ففي النص التشعبي، لا تمثل الهوية مجموعة من السمات الثابتة، بل هي عملية مستمرة من التشكل وإعادة التشكل. فمع كل قراءة جديدة، ومع كل تفاعل إضافي، تتشكل هوية جديدة للنص، مما يجعله كائناً حياً ومتحولاً .تتجلى هوية النص المتغيرة في عدة مظاهر. فمن الناحية البنيوية، يتغير شكل النص وترتيب عناصره مع كل قراءة. ومن الناحية الدلالية، يتولد معنى جديد مع كل مسار يختاره القارئ. أما من الناحية الجمالية، فتتغير التجربة الجمالية للقارئ مع كل تفاعل، مما يخلق علاقة ديناميكية بين النص والقارئ.

هذه الهوية المتغيرة تطرح إشكاليات نظرية وعملية عديدة. فكيف يمكننا دراسة نص متغير؟ وكيف يمكننا تقييمه نقدياً؟ وكيف يمكننا الحفاظ عليه؟ هذه الأسئلة تتطلب تطوير منهجيات نقدية جديدة، قادرة على التعامل مع الطبيعة السائلة للهوية النصية في العصر الرقمي (فاطمة العلي، 2021، ص 89)

التشعب كاستراتيجية سردية جديدة

لم يعد التشعب مجرد تقنية تقنية، بل تحول إلى استراتيجية سردية جديدة، تتيح للكاتب بناء عوالم سردية معقدة ومتعددة الأبعاد. ففي النص التشعبي، يصبح التشعب أداة للتعبير عن رؤية جديدة للعالم، تقوم على تعدد الزوايا وتداخل المستويات. فالشبكة النصية لا تمثل فقط بنية النص، بل تمثل رؤية للواقع كشبكة معقدة من العلاقات والتشابكات .تسمح استراتيجية التشعب السردية بتمثيل تعقيد التجربة الإنسانية، من خلال تقديم وجهات نظر متعددة، ومسارات بديلة، وإمكانيات متعددة. ففي رواية "ظلال البيضاء"، تتيح استراتيجية التشعب تمثيل تعقيد علاقة الحب من خلال تقديم وجهات نظر متعددة، ومسارات بديلة، وإمكانيات متعددة للتطور. هذا التمثيل المعقد يجعل النص التشعبي أداة مناسبة للتعبير عن تعقيدات الواقع المعاصر.

تمثل استراتيجية التشعب تحدياً للمفاهيم السردية التقليدية، فهي تقوض فكرة الحبكة الواحدة، والزمن الخطي، والشخصية الثابتة. في المقابل، تقدم مفاهيم جديدة: الحبكات المتعددة، والزمن المتشعب، والشخصية المتحولة. هذا التحول في المفاهيم يتطلب تطوير نظرية سردية جديدة، قادرة على فهم وتحليل السرد التشعبي(محمد العارف، 2018، ص 112)

التفاعلية كتجربة جمالية جديدة

تشكل التفاعلية تجربة جمالية جديدة، تختلف جذرياً عن التجربة الجمالية التقليدية. ففي النص التفاعلي، لا تقتصر التجربة الجمالية على التلقي السلبي للجمال، بل تمتد إلى المشاركة الفاعلة في صناعته. فالجمال هنا ليس معطى جاهزاً، بل هو عملية بناء مستمرة، يشارك فيها القارئ بشكل فاعل .تتسم التجربة الجمالية التفاعلية بعدة خصائص، أهمها: الديناميكية، حيث تتغير التجربة مع تطور التفاعل، والتعددية، حيث تختلف التجربة من قارئ لآخر، والإبداعية، حيث يشارك القارئ في خلق الجمال. هذه الخصائص تجعل التجربة الجمالية في النص التفاعلي غنية ومعقدة، وتفتح آفاقاً جديدة للتعبير الجمالي.

تمثل التفاعلية تحدياً للنظريات الجمالية التقليدية، التي تركز على العمل الفني ككامل مغلق. ففي النص التفاعلي، يصبح العمل الفني عملية مفتوحة، لا تكتمل إلا بمشاركة القارئ. هذا التحول يتطلب تطوير نظرية جمالية جديدة، تأخذ في الاعتبار دور القارئ الفاعل في صناعة الجمال (هبة الله السيد،2020، ص 145).

تأثير التشعب والتفاعلية على عملية التأويل

أدى التحول من النص الخطي إلى النص التشعبي التفاعلي إلى تغيير جذري في عملية التأويل. فلم يعد التأويل عملية كشف عن معنى مخبأ في النص، بل أصبح عملية بناء للمعنى من خلال التفاعل مع الشبكة النصية. فالمعنى لم يعد موجوداً في النص بشكل قبلي، بل يتولد من خلال التفاعل بين النص والقارئ .في النص التشعبي، يصبح التأويل عملية إبداعية، يشارك فيها القارئ بشكل فاعل. فمن خلال اختيار المسارات، وربط العقد النصية، وبناء الشبكات الدلالية، يبني القارئ تأويله الخاص للنص. هذا البناء لا يقتصر على فهم المعنى، بل يمتد إلى صناعته، مما يجعل عملية التأويل مغامرة إبداعية .يطرح التأويل في النص التشعبي إشكاليات منهجية عديدة. فكيف يمكننا تقييم صحة التأويل؟ وهل هناك تأويل خاطئ؟ وما معايير التقييم؟ هذه الأسئلة تتطلب تطوير نظرية تأويلية جديدة، تأخذ في الاعتبار الطبيعة التفاعلية للتأويل في النص التشعبي (علياء عبد الجبار، 2019، ص 178).

التحديات والإشكاليات

رغم الإمكانيات الإبداعية الهائلة التي تتيحها آليتا التشعب والتفاعلية، إلا أنهما تطرحان تحديات وإشكاليات عديدة. فمن الناحية التقنية، تواجه النصوص التشعبية خطر التقادم التقني، حيث تتطور البرامج والتطبيقات بسرعة قد تجعل النصوص القديمة غير قابلة للقراءة. ومن الناحية القانونية، تطرح قضايا حقوق الملكية الفكرية إشكاليات معقدة في ظل سهولة النسخ والتعديل .تواجه النصوص التشعبية إشكاليات نقدية، حيث تفتقر المكتبة العربية إلى منهجيات نقدية متخصصة في تحليل النصوص التشعبية. كما تواجه إشكاليات تتعلق بالحفظ والأرشفة، حيث يصبح من الصعب الحفاظ على النص في ظل تعدد نسخه

وتطورها المستمر. هذه التحديات تتطلب تطوير حلول مبتكرة، تقنية ونقدية وقانونية. (باسم الطويل، 2021، ص 201)

تعدد الوسائط والانزياح اللغوي

يشكل تعدد الوسائط والانزياح اللغوي أبرز ملامح التحول في هوية النص الأدبي الرقمي، حيث لم يعد النص حبيس الكلمات والمفردات اللغوية، بل أصبح فضاءً متعدد الأبعاد تتفاعل فيه اللغة مع الصورة والصوت والحركة. لقد تجاوز النص الرقمي حدود النظام اللغوي التقليدي، ليشكل نظاماً علامياً جديداً، يتكون من أنظمة متعددة تتفاعل معاً لتوليد دلالات جديدة ومعقدة.

تحليل نموذج لنص أدبي يستخدم الوسائط المتعددة

تعد رواية "ذاكرة الماء" للكاتبة المصرية منى الشاذلي نموذجاً متميزاً للأدب المتعدد الوسائط في العالم العربي. تقدم هذه الرواية قصة عن امرأة تعاني من فقدان الذاكرة، وتحاول استعادة ماضيها من خلال مجموعة من الصور والتسجيلات الصوتية والمقاطع المصورة. لا تقدم هذه الوسائط كإضافات تكميلية للنص، بل كعناصر أساسية في بناء المعنى وتطور الحبكة .في هذه الرواية، تشكل الصور الفوتوغرافية جزءاً عضوياً من السرد، حيث تظهر كشواهد بصرية على أحداث الماضي. فبدلاً من وصف مشهد ما بالكلمات، تقدم الرواية صورة فوتوغرافية تبدو حقيقية، مما يخلق إحساساً بالواقعية والتوثيق. لكن هذه الصور ليست بريئة، بل تخضع للتلاعب والتعديل، مما يعكس موضوع الرواية الرئيسي حول طبيعة الذاكرة وعدم موثوقيتها .أما التسجيلات الصوتية فتمثل طبقة سردية أخرى، حيث تسمح للقارئ بالاستماع إلى أصوات الشخصيات مباشرة، مما يخلق علاقة حميمة معها. وتختلف هذه التسجيلات عن الحوار التقليدي في الرواية الورقية، فهي تحمل آثاراً للصوت البشري من ارتعاش وتوقف وتنفس، مما يضفي بعداً إنسانياً وعاطفياً على النص(منى الشاذلي، ذاكرة الماء: 2021، ص56)

تفاعل الوسائط في تشكيل الدلالة

لا تقتصر وظيفة الوسائط المتعددة في النص الأدبي الرقمي على التزيين أو التوضيح، بل تشارك بشكل فاعل في توليد الدلالة. ففي رواية "ذاكرة الماء"، تخلق العلاقة بين النص المكتوب والصور والتسجيلات الصوتية دلالات معقدة ومتعددة المستويات. فالصورة لا تشرح النص، بل تدخل معه في حوار، تارة تؤكده وتارة تناقضه، مما يخلق مساحات تأويلية غنية .تمثل المفارقة البصرية أحد أهم آليات توليد الدلالة في النص المتعدد

الوسائط. ففي مشهد من الرواية، يصف النص المكتوب لحظة سعيدة من حياة البطلة، بينما تظهر الصورة المرافقة وجهاً حزيناً، مما يخلق تناقضاً يثير تساؤلات حول مصداقية الرواية. هذا التناقض ليس عيباً في العمل، بل تقنية فنية متعمدة، تهدف إلى إثارة القارئ وتشجيعه على التأمل النقدي .أما التزامن بين الصوت والصورة فيخلق تجربة حسية غنية، حيث يسمح للقارئ برؤية وسماع الأحداث في نفس الوقت. ففي مشهد الاستيقاظ من الحلم، تظهر صورة ضبابية مصحوبة بأصوات متداخلة ومشوشة، مما ينقل للقارئ تجربة الارتباك والضياع التي تعيشها البطلة. هذا التكامل الحسي يجعل التجربة القرائية غنية وشاملة، تتجاوز حدود الكلمة المكتوبة.(أحمد مرسي، 2022، ص 78)

انزياح اللغة وتحررها من القيود التقليدية

أدى ظهور الأدب الرقمي إلى تحرر اللغة من القيود التقليدية، فلم تعد مقيدة بقواعد النحو والصرف التقليدية، بل أصبحت أكثر مرونة وحيوية. في رواية "ذاكرة الماء"، نجد أمثلة عديدة على الانزياح اللغوي، حيث تتحرر اللغة من السياق النحوي التقليدي، لتعبر عن حالات اللاوعي والذاكرة المشوشة .تظهر الجمل غير المكتملة كأحد أشكال الانزياح النحوي، حيث تترك الجمل منقوصة، تحاكي طريقة التفكير المتقطع للبطلة. كما نجد تكراراً للكلمات والعبارات، يعكس هوس البطولة بمحاولة تذكر الماضي. هذا الانزياح ليس عبثياً، بل مقصوداً ومدروساً، يخدم الموضوع الرئيسي للرواية .أما الانزياح الدلالي فيتجلى في استخدام الكلمات في سياقات غير مألوفة، مما يخلق تداعيات دلالية جديدة. فكلمة "ماء" مثلاً تظهر في سياقات متعددة، تارة تشير إلى الطبيعة، وتارة إلى الذاكرة، وتارة إلى الحياة، مما يخلق شبكة دلالية غنية حول موضوع الرواية الرئيسي(فاطمة ناصر، 2020، ص 112)

التناص الرقمي وتجاوز الحدود النصية

أدى تعدد الوسائط إلى توسيع مفهوم التناص، ليشمل ليس فقط النصوص الأدبية، بل كل أنواع النصوص البصرية والسمعية. في رواية "ذاكرة الماء"، نجد تناصاً مع أفلام سينمائية، حيث تدمج مقاطع فيديو من أفلام مصرية قديمة في النص، مما يخلق حواراً بين الماضي والحاضر .كما نجد تناصاً مع الفنون التشكيلية، حيث تظهر لوحات فنية مشهورة كجزء من ذاكرة البطولة. هذا التناص المتعدد الوسائط لا يقتصر على الاقتباس، بل يشكل إعادة إنتاج وتأويل للنصوص الأصلية، في سياق جديد يمنحها دلالات مغايرة .يخلق

التناص الرقمي شبكة نصية معقدة، تربط النص بأعمال فنية متنوعة، من مختلف العصور والثقافات. هذه الشبكة تجعل النص جزءاً من حوار ثقافي أوسع، وتفتحه على تأويلات متعددة، تتجاوز حدود النص نفسه. (ليلى عبد الله، 2022، ص156)

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التحليلية في عوالم النص الأدبي الرقمي، يمكن القول: إنَّ هذه الدراسة قد توصلت إلى مجموعة من النتائج التي تسلط الضوء على الكيفية التي أعادت بها الرقمنة تشكيل هوية النص الأدبي المعاصر. فلقد أكدت الدراسة أنَّ الرقمنة لم تكن مجرد تحول تقني سطحي، بل مثلت نقلة نوعية في مفهوم النص ذاته، حيث انتقل من كونه كياناً خطياً مغلقاً إلى فضاء مفتوح للتفاعل والتشعب .من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن التشعب والتفاعلية قد شكلا آليتين أساسيتين في إعادة تشكيل الهوية النصية. فمن خلال تحليل نموذج "ظلال البيضاء"، اتضح كيف أدى التشعب إلى تفكيك الخطية السردية، مما أتاح للقارئ فرصة المشاركة في بناء المعنى وتشكيل المسارات السردية. كما بينت الدراسة أن التفاعلية قد حولت عملية القراءة من تلقٍ سلبي إلى حوار تفاعلي، جاعلة كل قراءة تجربة فريدة تختلف عن سابقاتها.

كشفت الدراسة أيضاً أن تعدد الوسائط والانزياح اللغوي قد لعبا دوراً محورياً في إثراء الهوية النصية. فمن خلال تحليل نموذج "ذاكرة الماء"، تبين كيف أسهم تكامل الوسائط في خلق أنظمة دلالية معقدة، حيث لم تعد اللغة الوسيط الوحيد للتعبير، بل دخلت في حوار خلاق مع الصورة والصوت. كما أوضحت الدراسة الانزياحات اللغوية التي رافقت هذا التحول، حيث تحررت اللغة من قيودها التقليدية لتعبر عن واقع جديد متعدد الأبعاد .على المستوى النظري، أظهرت الدراسة أن الرقمنة قد أثارت إشكاليات عميقة تتعلق بمفاهيم كانت راسخة في الدرس النقدي، مثل مفهوم المؤلف وسلطة النص وثبات الهوية. فقد بينت كيف تحول المؤلف من مبدع منفرد إلى منسق لعملية إبداعية جماعية، وكيف أصبحت سلطة النص موزعة بين مختلف المشاركين في العملية الإبداعية.

المصادر والمراجع:

أحمد مرسي، تفاعل الوسائط وتوليد الدلالة في الأدب الرقمي، مجلة جامعة الإسكندرية للدراسات النقدية، مصر، 2022 .

باسم الطويل، تحديات النص التشعبي في البيئة العربية، مجلة جامعة الدول العربية للدراسات الرقمية، مصر، 2021 .

خالد الرفاعي، القارئ المشارك: التفاعلية في الأدب الرقمي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للدراسات الإنسانية، المملكة العربية السعودية، 2019.

سمية الخاطر، مستقبل الهوية النصية في عصر الذكاء الاصطناعي، مجلة جامعة الخليج العربي للدراسات المستقبلية، البحرين، 2021 .

عبد العزيز الحميد، ظلال البيضاء: مقاربة تشعبية في السرد الرقمي، مجلة جامعة الملك سعود للدراسات الأدبية، المملكة العربية السعودية، 2020، .

علياء عبد الجبار، تأويل النص التشعبي: من الكشف إلى البناء، مجلة جامعة بغداد للدراسات التأويلية، العراق، 2019 .

فاطمة العلي، الهوية المتغيرة: التشعب والتفاعلية في الأدب الرقمي، مجلة جامعة قطر للدراسات النقدية، قطر .

فاطمة ناصر، الانزياح اللغوي في الأدب الرقمي، مجلة جامعة السلطان قابوس للدراسات اللغوية، سلطنة عمان، .

ليلى عبد الله، التناص الرقمي وتوسيع حدود النص الأدبي، مجلة جامعة الشارقة للدراسات النقدية، الإمارات العربية المتحدة، .

محمد العارف، التشعب كاستراتيجية سردية في الأدب الرقمي، مجلة جامعة صنعاء للدراسات النقدية، اليمن، 2018 .

محمد حسن، إشكاليات الهوية النصية في العصر الرقمي، مجلة جامعة صنعاء للدراسات النقدية، اليمن، 2017، .

منى الشاذلي، ذاكرة الماء: توظيف الوسائط المتعددة في السرد الرقمي، مجلة جامعة القاهرة للدراسات الأدبية، مصر، 2021 .

ناصر عبدالله، تكامل الوسائط في النص الرقمي، مجلة جامعة قطر للدراسات النقدية، قطر، 2020،

هبة الله السيد، جماليات التفاعل: نحو نظرية جمالية للأدب الرقمي، مجلة جامعة عين شمس للدراسات الجمالية، مصر، 2020.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Symbolism of Nature in Andalusian Muwashshahs

M.M. Muzaffar Isa Kazem [1]
Ministry of Education – Babylon Directorate of Education
Art.mamaaa.1994@gmail.com

Abstract:

This study addresses the exploration of the symbolism of nature in Andalusian Muwashahat, considering it as an artistic and aesthetic phenomenon that reflects the depth of human and emotional experience within this unique civilizational context. The study begins with a central problem: how the Andalusian Muwashah employed elements of nature symbolically, going beyond sensory appearance to encompass emotional, philosophical, and social dimensions. To address this issue, the research adopted an integrative analytical approach, based on the historical and cultural context that produced these Muwashahat. The study is divided into two main sections: the first is theoretical, discussing the definition of symbolism in language and terminology, its characteristics, and its significance in poetry, followed by tracing the emergence of the Andalusian Muwashah and its artistic characteristics, which made it a fertile ground for symbolic expression, particularly through its lyrical nature and its openness to its popular and natural surroundings. The second section is applied, focusing on the analysis Selected examples of the Muwashshahat of Ibn al-Zuqaq al-Balansi, considered one of the most prominent poets of this art. The main natural symbols in his poetry were traced, the most important being: roses, gardens, water, and birds, and their multiple and intertwined meanings were analyzed. The study concluded with a number of results, the most notable being: that symbolism formed an artistic language inherent to the Andalusian Muwashshah, due to the suitability of its lyrical characteristics for this expressive style. It also became clear that nature in these Muwashshahat was not merely a decorative background or a passing descriptive scene, but turned into a rich repository of symbols expressing the deepest human emotions and existential concerns, thanks to the strong and direct presence of the enchanting Andalusian environment in the lives of both the poet and the audience alike. The analysis of Ibn al-Zuqaq's examples

showed that his natural symbols were specific and expressive of his local environment, giving them credibility and impact, and that these symbols carried multi-layered meanings ranging from expressing life's joys, the sense of longing and impermanence, to the expression of national concerns in a nuanced way.

Keywords: Muwashahat. Nature. Andalusian literature

رمزية الطبيعة في موشحات الأندلس

م.م مظفر عيسى كاظم

وزارة التربية – مديرية تربية بابل

Art.mamaaa.1994@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة رمزية الطبيعة في الموشحات الأندلسية، بوصفها ظاهرة فنية وجمالية تعكس عمق التجربة الإنسانية والوجدانية في ذلك الإطار الحضاري الفريد. ينطلق البحث من إشكالية رئيسية هي الكيفية التي وظفت بها الموشحة الأندلسية عناصر الطبيعة توظيفاً رمزياً، يتجاوز المظهر الحسي إلى عوائل وجدانية وفلسفية واجتماعية. وللإحاطة بهذه الإشكالية، اعتمد البحث منهجاً تحليلياً تكاملياً، مستنداً إلى السياق التاريخي والثقافي الذي أنتج هذه الموشحات. وقد قُسم البحث إلى مبحثين رئيسيين: الأول نظري، تناول فيه تعريف الرمزية لغة واصطلاحاً، وخصائصها وأهميتها في الشعر، ثم تتبع نشأة الموشحة الأندلسية وخصائصها الفنية التي جعلتها حاضنة خصبة للتعبير الرمزي، لاسيما من خلال طابعها الغنائي وانفتاحها على محيطها الشعبي والطبيعي. أما المبحث الثاني، فهو تطبيقي، ركز على تحليل نماذج مختارة من موشحات ابن الزقاق البلنسي، باعتباره أحد أبرز شعراء هذا الفن. وتم تتبع الرموز الطبيعية الرئيسية في شعره، وأهمها: الورد، والبستان، والماء، والطير، وتحليل دلالاتها المتعددة والمتشابكة. وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج، أبرزها: أن الرمزية شكلت لغة فنية ملازمة للموشحة الأندلسية، نظراً لملاءمة خصائصها الغنائية لهذا الأسلوب التعبيري. كما تبين أن الطبيعة في هذه الموشحات لم تكن مجرد خلفية زخرفية أو مشهد

وصفي عابر، بل تحولت إلى مخزون ثري من الرموز المعبرة عن أعمق المشاعر الإنسانية والهموم الوجودية، وذلك بفضل الحضور القوي والمباشر للبيئة الأندلسية الساحرة في حياة الشاعر والمتلقي على حد سواء. وأظهر تحليل نماذج ابن الزقاق أن رموزه الطبيعية كانت محددة ومعبرة عن بيئته المحلية، مما أكسبها مصداقية وقوة تأثير، وأن هذه الرموز حملت دلالات متعددة الطبقات تتراوح بين التعبير عن البهجة الحياتية، والإحساس بلوعة الزوال والشوق إلى المأوى، والتعبير عن الهم الوطني بشكل ملتو.

الكلمات المفتاحية: الموشحات. الطبيعه. الادب الاندلسي

مقدمة:

تشكِّل الموشحات الأندلسية علامة فارقة في تاريخ الأدب العربي، لا بوصفها شكلاً شعرياً مبتكراً فحسب، بل كممثِّلٍ لجوهر تجربة إنسانية وجمالية فريدة، امتزج فيها العربي بالإيبيري، والشرقي بالغربي، والعقل بالعاطفة، في بوتقة ذلك الفردوس الأرضي المسمى بالأندلس. لقد ولدت الموشحة في أحضان الطبيعة الأندلسية الزاخرة بالأنهار الجارية والبساتين المزهرة والربوع الآسرة، فكان حتماً أن تصبح هذه الطبيعة ليس مجرد ديكور خلفي أو مشهد وصفي عابر، بل مادة أساسية في بناء عالمها الشعري والدلالي. من هنا، تبرز إشكالية هذا البحث والتي تدور حول الكيفية التي وظفت من خلالها الموشحة الأندلسية عناصر الطبيعة توظيفاً رمزياً، يحمل مضامينَ تتجاوز المظهر الحسي لتلك العناصر إلى عوالمَ وجدانية وفلسفية ودينية واجتماعية.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن آليات تشكيل الرمز الطبعي في الموشحات الأندلسية، وتحليل الدلالات المتعددة التي تكتسبها صور الطبيعة من خلال هذا التوظيف الرمزي. وسيعتمد المنهج التحليلي التكاملي، مستنداً إلى تحليل النصوص الموّشحة وتحليل عناصرها الرمزية في ضوء السياق التاريخي والثقافي الذي أنتجها. وينقسم البحث إلى مبحثين رئيسيين: يتناول المبحث الأول الإطار النظري، عبر تعريف الرمزية لغةً واصطلاحاً، وبيان خصائصها وأهميتها في الشعر عامةً، ثم استعراض نشأة الموشحة الأندلسية وخصائصها الفنية التي هيأت لها أن تكون حاضنة خصبة للرمز. أما المبحث الثاني، فيتجه إلى التطبيق، من خلال تحليل

عينة مختارة من موشحات ابن الزقاق البلنسي، باعتباره أحد أعلام هذا الفن الذي بلغ الذروة في عصره، حيث سيتم تتبع الرموز الطبعية الرئيسية لديه (كالورد، والبستان، والماء، والطير) وتحليل دلالاتها المتشابكة. ويسعى البحث في خاتمته إلى تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها، مؤكداً على أن رمزية الطبيعة لم تكن ترفاً جمالياً في الموشحة، بل كانت لغةً ضرورية لتعبير الإنسان الأندلسي عن مشاعره وأحلامه وقلقه الوجودي في عالم كان جميلاً وزائلاً في آن معاً.

المبحث الأول

الإطار النظري للرمزية والموشحة الأندلسية

المطلب الأول:

تعريف الرمزية لغةً واصطلاحاً

أولاً: الرمزية لغةً:

يأتي أصل كلمة "رمز" في اللغة العربية من الفعل "رَمَزَ"، الذي يحمل دلالات متعددة تتقاطع حول فكرة الإشارة والإيماء والإيحاء بما هو خفي أو غير مباشر. ففي لسان العرب لابن منظور، الرمز هو "الإشارة الخفية"، ويقال: "ترامز القوم" إذا أومأ بعضهم إلى بعض، أو تحاوروا بإشارة العيون والحواجب دون كلام صريح. والترميز هو التعبير عن فكرة أو حالة ما عبر علامة أو إشارة (كلمة، صورة، شيء) تحمل دلالة أوسع وأعمق من مدلولها المباشر. وبهذا، فإن الجذر اللغوي يؤسس للمفهوم الأساسي للرمزية كأسلوب اتصال غير تصريحي، يعتمد على التلميح والتواصل مع العالم الباطن أو المشترك الثقافي للمتلقي لفك شفرته. إنه لغة ثانية، موازية للغة التصريح، لكنها أكثر غنى وإثارة للتأويل، فهي تشبه الهمس الذي يكون أحياناً أدلّ من الصراخ في نقل المشاعر المعقدة(أبن منظور : دت , 5 :209)

يمكن النظر إلى الرمزية في اللغة العربية على أنها نظام تواصلي قائم على الاقتصاد اللغوي والإيحاء، حيث تتحول الكلمة أو الصورة من دلالتها المباشرة إلى فضاء من الدلالات الثانوية المشحونة بالمعاني. وهذا يجعل الرمز لغة داخل اللغة، أو ما يمكن تسميته بالنص الموازي الذي يتطلب فك شفراته. إن هذا الطابع التلميحي في الجذر اللغوي يؤسس لفهم الرمزية باعتبارها حواراً ضمنياً بين المبدع والمتلقي، يقوم على المشاركة الفعالة

في بناء المعنى، إذ لا يكتمل فعل الرمز إلا بوجود متلقٍ قادر على استنباط ما وراء الإشارة الخفية.(جوزيف نويهض,1979ص. 100-118)

ثانياً: الرمزية اصطلاحاً:

في حقل الأدب والنقد، تعرف الرمزية على أنها مذهب جمالي وفني، وأسلوب تعبيري، لا يقدم الفكرة أو العاطفة بشكل مباشر وواضح، بل يعبر عنها عبر صور محسوسة وعلامات مادية (كائنات، ظواهر طبيعية، أفعال) تكتسب دلالات مجازية ثانية تتجاوز معناها الحرفي المباشر، وتصبح قادرة على الإحالة إلى مفاهيم مجردة أو حالات نفسية أو حقائق ميتافيزيقية. والرمز يختلف عن المجاز العادي بقدرته على الحمل لدلالات متعددة وغامضة أحياناً، وبطابعه التراكمي الثقافي الذي يجعله يحمل شحنة تاريخية من التجارب الإنسانية المشتركة. فالشجرة قد تكون رمزاً للحياة أو المعرفة أو الاستقرار، والماء رمزاً للتجدد أو الطهارة أو الزوال، وفقاً للسياق الثقافي. يرى كثير من النقاد أن الرمز هو جوهر الشعرية، لأنه يحول التجربة الفردية إلى تجربة كونية، ويحول المحسوس إلى مجرد، والعابر إلى خالد. وهو أداة الشاعر للهروب من المباشرة والسطحية، والغوص في أعماق اللاوعي الفردي والجمعي. (عبد الله أبو هيف. (1985. (ص. 33-47).

في الاصطلاح الأدبي، فإن الرمزية تتجاوز كونها مجرد أسلوب بل هي رؤيا للعالم، فهي تعبر عن قناعة بأن الحقيقة المطلقة لا يمكن الإمساك بها باللغة المباشرة، بل لا بد من الاقتراب منها عبر استعارة عالم المحسوسات. لذا، يصبح الرمز جسراً بين العالم المادي والعالم الروحي، بين الظاهر والباطن. وهذا ما يفسر ارتباط الرمزية الوثيق بالتصوف والفلسفة، حيث تتحول تجربة الشاعر من سرد انفعالي إلى تأمل وجودي، ويصبح الرمز وسيلته للتعبير عن اللحظات الوجدانية المتسامية التي تعجز الكلمات العادية عن وصفها(ابن منظور , د ت, 5 :118)

المطلب الثاني:

خصائص الرمزية وأهميتها في الشعر

تتميز الرمزية كأسلوب فني بعدد من الخصائص التي تجعلها أداة حيوية في التعبير الشعري، ومن أبرز هذه الخصائص: الإيحاء والتلميح عوضاً عن التصريح، حيث تترك الرمزية مساحة للتأويل والتفاعل الذهني للمتلقي، فتكسر حدة المباشرة وتخلق غموضاً جميلاً يحفز الخيال. والقدرة على التكثيف الدلالي، فالرمز

الواحد (كالليل أو البحر) يمكنه أن يحمل عدة طبقات من المعنى (الحزن، العمق، المجهول، اللانهاية) في آن واحد، مما يغني النص ويضاعف من حيويته. والطابع الكوني والتاريخي، فكثير من الرموز (كالنار، الماء، الشمس) هي رموز أولية (أركيتيبية) تتوارثها الثقافات الإنسانية، مما يعطي النص الشعري بعداً إنسانياً عاماً يتجاوز حدود الزمان والمكان. كما تتسم الرمزية بالذاتية النسبية، فالشاعر قد يخلق رموزاً خاصة به من عالمه الشخصي، لكنها تبقى قابلة للفهم ضمن السياق العام لقصيدته وتجاربه.(طه حسن, 1999 , ص. 67-73)

من أبرز خصائص الرمزية أيضاً قدرتها على خلق الانزياح عن المألوف، فهي لا تقدم الأشياء كما هي بل تعيد تشكيلها وفق رؤية ذاتية، مما يخلق صدمة إدراكية للمتلقي تدفعه لإعادة النظر في علاقته بالعالم. هذا الانزياح لا يهدف إلى الغموض للإغراب فحسب، بل إلى كسر رتابة الإدراك اليومي وكشف الأبعاد الخفية للأشياء. فالشجرة في الرمزية ليست مجرد نبات، بل يمكن أن تكون شهادة على الزمن، أو سجلاً للذاكرة، أو تجسيداً للصمود.(خالد السعدي, 2003, ص. 88-95)

وتكمن أهمية الرمزية في الشعر أيضاً في كونها آلية لاستحضار البعد الأسطوري والتراثي، فالشاعر يستدعي عبر رموز معينة (كالنخلة، الفينيق، الماء) مخزوناً ثقافياً وجماعياً يعمق من حمولات النص ويربط الحاضر بالماضي. كما تمكنه من معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية الخطرة بشكل ملتوٍ وآمن، فيصبح الحديث عن "العاصفة" أو "الليل الطويل" تعبيراً رمزياً عن حالات القمع أو الانتظار. وهكذا، تتحول القصيدة من خطاب شخصي إلى وثيقة تاريخية تنبض بهموم عصرها.(طه الدليمي. , 2007, ص. 1-22)

تُعَدُّ الرمزية وسيلة الشاعر الأقدر على التعبير عن العوالم النفسية المعقدة التي تعجز اللغة المباشرة عن الإحاطة بها، كالحب، والقلق الوجودي، والشوق الروحي. وهي تتيح له تجنب الوقوع في المباشرة الساذجة أو الوصفية الجافة، فتحول القصيدة من خطاب إلى فضاء جمالي مفتوح. كما أن الرمزية تخدم البعد الجمالي والتخييلي للقصيدة، فتحول المألوف إلى غير مألوف عبر إضفاء أبعاد جديدة عليه، وتخلق علاقات مبتكرة بين الأشياء. وفي السياق التاريخي، كانت الرمزية ملاذاً للشعراء في فترات القمع أو الرقابة، للتعبير عن آرائهم الاجتماعية أو السياسية بشكل ملتوٍ وآمن. باختصار، الرمزية هي لغة الشعر الحقيقية، لأنها لغة الإيماء إلى ما لا يُقال، والتعبير عن ما لا يُحَد.(عبد الله أبو هيف, 1985, ص. 33-47)

المطلب الثالث:

نشأة الموشحة الأندلسية وخصائصها الفنية

لا يمكن فهم ازدهار الرمز الطبعي في الموشحة بمعزل عن ظروف نشأتها وخصائصها الفنية المميزة. لقد ولدت الموشحة في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، على أرجح الأقوال، على يد مقدم بن معافر الفريري، وتطورت على يد عبادة بن ماء السماء وغيره. وكانت الولادة استجابة لحاجة فنية واجتماعية معاً: رغبة التجديد والخروج على نظام القصيدة العمودية ذات القافية الموحدة (المطلع، الأبيات، الختم)، وتلبيّة ذوق المجتمع الأندلسي المنفتح والمتعدد الثقافات، والذي كان يبحث عن شكل فني مرن يناسب الغناء والطرب في الحفلات والمناسبات في تلك البساتين والقصور. فجاءت الموشحة ببنية مقطعية، تقوم على الأقفال والأدوار، حيث يكون القفل (الغصن) ذا قافية موحدة تتردد كردٍّ ثابت، والدور (البيت) ذا قافية متغيرة، مما أعطاها إيقاعاً موسيقياً متدفقاً وجذاباً.(إحسان عباس. 1978, ص. 401-420).

ساهمت التركيبة السكانية الفريدة للأندلس، التي جمعت العرب والبربر والمولدين والمستعربين، في خلق بيئة ثقافية هجينة تطلبت شكلاً فنياً يعبر عن هذا التنوع. فجاءت الموشحة لتحقيق هذا المطلب، حيث سمح بناؤها المقطعي بدمج اللهجات المحكية (الزلل) مع الفصحى في نفس النص، مما جعلها فناً شعبياً راقياً يتفاعل معه مختلف شرائح المجتمع. هذا الانفتاح اللغوي هو الذي مهد لانفتاح دلالي، فاستيعاب الرموز اليومية من حياة العامة جعلها فناً قابلاً لحمل هموم الجماعة لا النخبة فقط.(أحمد الحوفي. 1957, ص. 62-85)

أما خصائصها الفنية التي أهّلتها لتكون أرضاً خصبة للرمزية، فأولها الغِنائية والانفعالية العالية، فهي أقرب إلى النشيد العاطفي الذي يعبر عن لحظات وجدانية صادقة، والرمز هو خير معبر عن الانفعالات العميقة. وثانيها الطابع الحواري والغنائي الجماعي في كثير من الأحيان، حيث يغني القفل (الغصن) جماعة من الناس، مما يشير إلى أن رموزها كانت تتجه نحو المشترك الثقافي والوجداني لكي يفهمها الجميع. وثالثها الاهتمام بالوصف الدقيق والحسي للطبيعة، التي كانت حاضرة بقوة كبيئة طبيعية خلابة وجزء من الحياة اليومية، فتحولت من مشهد خارجي إلى شريك في التعبير عن الذات. ورابعها المرونة اللغوية التي سمحت باستخدام اللغة الدارجة (الزلل) إلى جانب الفصحى، مما قربها من العامّة وجعل رموزها مستمدة من بيئتهم المباشرة.

هذه الخصائص مجتمعة جعلت من الموشحة قالباً مثالياً لتحويل عناصر الطبيعة المحسوسة إلى رموز تحمل هموم الإنسان الأندلسي وأفراحه وأحزانه.(أحمد مخلوف, 1991,ص. 230-245)

كما أن طبيعة الحياة الاجتماعية في الأندلس، القائمة على مجالس الطرب والمناظرات الشعرية في البساتين والقصور، فرضت على الموشحة أن تكون فن الغناء الجماعي. وهذا أعطاها بعداً أدائياً ومسرحياً، حيث تحولت إلى مشهد متكامل يجمع بين الشعر والموسيقى والحركة. فلم تكن الرموز الطبعية فيها معزولة، بل كانت جزءاً من حفل غنائي راقص، حيث يتحول وصف الورد إلى مناسبة للفرح الجماعي، وذكر الأنهر إلى إيقاع موسيقي مصاحب. هذا السياق الأدائي هو الذي منح الرموز حيوية وإيقاعاً داخلياً يتجاوز ثباتها على الورق.(عبد الإله الفياض. 1990, ص. 134-142)

المبحث الثاني

تحليل رمزية الطبيعة في موشحات ابن الزقاق البلنسي (ت 528 هـ)

المطلب الأول:

التعريف بابن الزقاق البلنسي ومنهجه في الموشحة

يعد أبو بكر يحيى بن عبد العزيز بن محمد بن سراج بن الزقاق البلنسي (توفي عام 528 هـ/ 1133 م) أحد أبرز أعلام الموشحات الأندلسية في عصرها الذهبي، أي في عهد ملوك الطوائف وبداية المرابطين. عاش في بلنسية (فالنسيا) تلك المدينة الجميلة الواقعة على ساحل البحر المتوسط، والمحاطة بالبساتين والجنات الغنّاء، مما ترك أثراً بالغاً في شعره. تميزت موشحات ابن الزقاق بالعذوبة، والإيقاع المطرب، والصور الطبعية المشرقة، والعمق العاطفي. كان شاعر الطبيعة بامتياز، لكنه لم يصفها وصفاً برانياً فحسب، بل غاص في أعماقها ليجعل منها مرآةً لنفسه ولعصره. اتبع منهجاً يجمع بين الأصالة العربية في صوغ المعاني وبين الخصوصية الأندلسية في استحضار المشهد المحلي.(أحمد الضبيب., 1980, ص. 98-120)

لقد عاش ابن الزقاق في فترة بالغة الحساسية من تاريخ الأندلس، وهي مرحلة تفكك سلطة المرابطين وبداية صعود الموحدين، مما يعني أنه عايش حالة من اللااستقرار السياسي تحت قناع من الازدهار الحضاري. وهذا السياق التاريخي المضطرب يضفي على جمالية طبيعته الرمزية بعداً تراجيدياً خفياً، فبساتينه المزهرة قد تكون

محاولة للاحتماء بالجمال من قبح الواقع المتداعي. إنه شاعر يغرد في قفص ذهبي، لكنه يدرك أن هذا القفص قابل للكسر، مما يضفي على أغنياته نبرة من الحزن الموشى بالأمل.

يتمثل منهجه في الموشحة في توظيف عناصر البيئة الأندلسية المحددة (كالورد البلنسي، ونهر توريا، وبساتين البرتقال) توظيفاً رمزياً، مما جعل رموزه حية ومؤثرة لأنها مستمدة من الواقع المعيش. كما أنه يمزج بين الحسية والمعنوية، فالصورة الطبعية عنده تبدأ حية نابضة بالحركة واللون، ثم تتحول تدريجياً إلى فكرة أو عاطفة. وهو شاعر التغزل الرمزي، حيث يصبح الحبيب حاضراً عبر رمزه الطبعي (كالغصن، أو الزهرة، أو الضوء)، مما يضفي على الغزل طابعاً مثالياً وشفيفاً. إن دراسة رمزية الطبيعة عنده ليست دراسة لشاعر فحسب، بل هي دراسة لوعي إنسان أندلسي يعيش في فردوس أرضي، لكنه يدرك، ربما عن وعي أو لا وعي، أن هذا الفردوس قابل للزوال، مما يضفي على جمالياته مسحة من الحزن والشوق الخفي.(سامي جبر. 1975, ص. 89-107)

كما تميز منهجه بالانفتاح على الثقافات الأخرى التي تعايشت في الأندلس، فنجد في رموزه تأثراً بالفلسفة الطبيعية التي كانت سائدة، حيث تتحول الطبيعة إلى كتاب مفتوح يمكن قراءته لفهم أسرار الوجود. وهو لا يرى في الورد مجرد جمال حسي، بل يراه تجلياً من تجليات الجمال الإلهي، وفي خرير الماء ترنيمة من ترانيم الخلق. هذا البعد الفلسفي الصوفي يرفع من مستوى الرمزية لديه من مجرد تعبير عن عاطفة شخصية إلى تأمل في الكون وعلاقة الإنسان بالخالق وبالطبيعة من حوله.(محمد سعيد الطنطاوي , 1985, ص. 133-145)

المطلب الثاني

رمزية الورد والبستان في موشحات ابن الزقاق

يمثل الورد والبستان من أهم الرموز الطبعية المركزية في ديوان ابن الزقاق، وهي رموز مرتبطة ارتباطاً عضوياً ببيئة بلنسية البستانية. ف الورد ليس مجرد زهرة جميلة، بل هو رمز للحبيب في ذروة جماله ونضارته، وهو كذلك رمز للجمال الآيل للذبول، واللحظة الجميلة العابرة التي يجب اقتناصها. وهو أيضاً رمز للبهجة والحياة، لكنه بهجة يكتنفها إحساس بالخوف من الزوال، مما يعكس الوعي العميق بالطابع المؤقت للجمال والسعادة. يقول في إحدى موشحاته: "وبستانٌ قد حلا فيه القُطُوفُ / وازدهى فيه الوردُ والمخْمُورُ"، فالبستان هنا ليس مكاناً فحسب، بل هو رمز للعالم المثالي أو الفردوس الأرضي الذي يعيش فيه الشاعر أو يتمناه.(جاح الكعبي. 2002, ص. 77-85)

يتخذ الورد عند ابن الزقاق أحياناً دلالة أخلاقية، فهو رمز للنقاء والطهارة في مواجهة فساد العالم. ففي نصوصه، قد يتحول الحديث عن ذبول الورد إلى استعارة للفضيلة التي تذوي في مجتمع تغلب عليه المادية والانحلال. كما أن عبير الورد الذي ينتشر في الأجواء يصبح رمزاً للسمعة الطيبة أو الأثر الطيب الذي يتركه الإنسان بعد رحيله، مما يربط رمزية الزهرة العابرة بفكرة الخلود المعنوي. (محمد سعيد الطنطاوي. 1985, ص. 133-145)

أما البستان (أو الروضة أو الجنة) فهو رمز أوسع، إنه عالم مصغر يحوي كل مفردات الجمال (الأشجار، الأزهار، الأنهر، الطيور). وهو في موشحات ابن الزقاق رمز للحياة الهانئة والمتعة الروحية والجسدية، حيث تذوب الذات في الطبيعة. ولكنه أيضاً رمز للذات الإنسانية، فالبستان المزهر قد يمثل نفس الشاعر المليئة بالشعر والعاطفة. ونجد في بعض المواضع أن البستان يتحول إلى رمز للحضارة الأندلسية ذاتها، بكل ما فيها من تنوع وغنى وبهاء، وهو رمز يحمل في طياته، خاصة في ظل ظروف التوتر السياسي في عصر الطوائف، إحساساً بالحنين والخوف على هذا الجمال من التلاشي. فالبستان الجميل يحتاج إلى من يحميه من عوادي الزمن، تماماً كما تحتاج الأندلس إلى من يحميها من التمزق الداخلي والتهديدات الخارجية.(محمد الزوبعي. 1985, ص. 56-64)

يتخذ الورد عند ابن الزقاق أحياناً دلالة أخلاقية، فهو رمز للنقاء والطهارة في مواجهة فساد العالم. ففي نصوصه، قد يتحول الحديث عن ذبول الورد إلى استعارة للفضيلة التي تذوي في مجتمع تغلب عليه المادية والانحلال. كما أن عبير الورد الذي ينتشر في الأجواء يصبح رمزاً للسمعة الطيبة أو الأثر الطيب الذي يتركه الإنسان بعد رحيله، مما يربط رمزية الزهرة العابرة بفكرة الخلود المعنوي.(محمد الزوبعي. 1985, ص. 56-64)

أما البستان فغالباً ما يقترن في موشحاته بمفردات الملك والحوز (كالسياج، والباب، والحارس) (ماجد الذهبي, 1985, ص. 78، -115)مما يحوله إلى رمز للذات الإنسانية المحروسة بأسوار العفة والكرامة. وهو أيضاً فضاء للحوار واللقاء، ليس فقط بين العشاق، بل بين الشاعر وذاته، أو بين الإنسان وربه. فالبستان المغلق أحياناً يعبر عن العزلة الاختيارية للتفكير والتأمل، بينما البستان المفتوح يعبر عن الانشراح والقبول. وهكذا تتجاوز دلالة البستان عنده الفردوس الأرضي لتصبح نموذجاً مصغراً للكون أو للنفس الإنسانية بكل تعقيداتها.(**محمد الزوبعي. 1985, ص. 56-64)**

المطلب الثالث:

رمزية الماء والطير في موشحات ابن الزقاق

يحتل الماء بمختلف تجلياته (الأنهر، الجداول، السواقي، الندى) مكانة بارزة في الرمزية الطبعية عند ابن الزقاق. فالماء هو أصل الحياة في البيئة الأندلسية الجافة نسبياً، وهو رمز للتجدد، والنقاء، والعطاء، والخصب. خرير الماء في موشحاته ليس صوتاً طبيعياً فحسب، بل هو نغمة موسيقية تبعث على الراحة والطمأنينة، ورمز لانسيابية الزمن الهادئ، أو حتى لأنسامة الحياة المتواصلة. كما قد يتحول الماء إلى رمز للدموع في سياقات الحزن أو الشوق، فيصبح هناك تلاقح رمزي بين ماء العين وماء النهر، بين الداخل والخارج. وفي بعض الأحيان، يصبح النهر (كنهر توريا الذي يشق بلنسية) ماجد الذهبي, 1985, ص. 45، 112-.
(محمد حلاوي. 1997, ص. 41-60.) رمزاً للوطن أو المدينة الحبيبة، يجري في عروقها ويحييها.

يرمز الماء الجاري عند ابن الزقاق إلى استمرارية الحياة رغم كل المخاطر، فهو يشبه خيط الأمل الذي لا ينقطع. كما أن اختلاف أشكال الماء (الهدير، الخرير، التسرب) يعبر عن حالات نفسية مختلفة؛ فالماء الهادر قد يعبر عن ثورة العاطفة، والماء المتسرب الهادئ قد يعبر عن دموع مكتومة أو ذكرى تتسرب إلى الذهن. بل إن الماء الراكد في البرك قد يرمز إلى الركود الفكري أو الجمود الاجتماعي، مما يظهر تنوع الرمز المائي لديه ومرونته في التعبير عن تناقضات الحياة.(محمد حلاوي. 1997, ص. 41-60)

أما الطير، من بلابل وحمام وعصافير، فهو رمز آخر للحياة والنشاط والحرية. تغريد الطير هو موسيقى الطبيعة التي تتناغم مع موسيقى الموشحة نفسها، وكأن الطبيعة تشارك في الغناء. والطير عند ابن الزقاق كثيراً ما يكون رسولاً، يحمل همسات العشاق أو أشواق الغرباء. وهو أيضاً رمز للروح الشاعرة الحرة التي تحلق فوق قيود الواقع. لكن ثمة رمزية أعمق للطير، خاصة البلبل المرتبط بالورد، فهذا الثنائي (الطير والزهرة) يرمز إلى العلاقة الكاملة بين الحبيب والمحبوب، أو بين الشاعر ومصدر إلهامه. بل إن حنين الطيور وأغانيها قد تحمل إحساساً بالغربة أو الشوق إلى المفقود، فصوتها الجميع يذكر بجمال مضى أو وطن بعيد. هكذا تتحول عناصر الطبيعة الحية إلى شخوص فاعلة في دراما الشاعر الداخلية، تحاوره وتعبّر عنه(مالك بن الطاهر. 2002, ص. 90-115)

ويحمل الطير في موشحاته دلالات سيميائية عميقة، فالحمامة البيضاء ليست مجرد طير جميل، بل ترمز إلى السلام الروحي أو الرسالة السماوية. والبلبل المتغزل لا يمثل العاشق فحسب، بل يمثل الفنان أو الشاعر نفسه الذي يغرد برغم الألم. كما أن هجرة الطيور مع تغير الفصول تتحول إلى رمز للغربة والاغتراب الوجودي، أو للبحث الدائم عن موطن حقيقي. بل إن صيد الطيور قد يرمز إلى محاولة قمع الجمال أو كبت الحرية. وهكذا يتحول عالم الطير إلى مرآة تعكس صراع الإنسان بين حريته وقيده، وبين حنينه للانتماء ورغبته في التحليق.(محمد الزوبعي. 1985, ص. 56-64)

خاتمة

يمثل هذا البحث محاولة للكشف عن أحد أعمق جوانب الإبداع في الموشحة الأندلسية، ألا وهو توظيف الطبيعة توظيفاً رمزياً. وقد خلص البحث، عبر مباحثه النظرية والتطبيقية، إلى مجموعة من النتائج، أهمها: أن الرمزية كانت لغة فنية ملازمة للموشحة الأندلسية، نظراً لملاءمة خصائصها الغنائية والانفعالية والمرنة لهذا الأسلوب التعبيري. وأن الطبيعة لم تكن مجرد خلفية زخرفية، بل تحولت إلى مخزون ثري للرموز الدالة على المشاعر الإنسانية والهموم الوجودية، وذلك بسبب الحضور القوي والمباشر للبيئة الأندلسية الخلابة في حياة الشاعر والمتلقي معاً.

كما بين البحث من خلال نموذج ابن الزقاق البلنسي أن الرموز الطبعية كانت محددة ومعبرة عن البيئة المحلية (كورد بلنسية وأنهارها)، مما أكسبها مصداقية وقوة تأثير. وأن هذه الرموز، كالورد والبستان والماء والطير، حملت دلالات متعددة الطبقات، تتراوح بين التغزل المثالي، والتعبير عن البهجة الحياتية، والإحساس بلوعة الزوال، والشوق إلى الملاذ الآمن، وربما التعبير عن الهم الوطني بشكل ملتوٍ. وأخيراً، يؤكد البحث أن رمزية الطبيعة في الموشحة الأندلسية كانت تعبيراً عن وعي جمالي ووجودي مميز، لشعب عاش في جنة أرضية، لكنه كان يدرك، بعمق الحدس الشعري، أنها جنة قابلة للضياع، فحاول أن يجمد جمالها ويخلده عبر تحويله إلى رموز خالدة في القصيدة.

واقتراحاً لمزيد من البحث، يمكن توسيع الدراسة لتشمل مقارنة الرمزية الطبعية بين الموشحة الأندلسية وبين الزجل في المشرق، أو تحليل الرموز الطبعية في موشحات شعراء أندلسيين من مناطق أخرى (كابن بقي في قرطبة أو لسان الدين بن الخطيب في غرناطة)، أو دراسة تأثير هذه الرمزية في الشعر الأوروبي المبكر عبر

الأندلس. يبقى أن الموشحة الأندلسية، برمزيتها الطبعية العميقة، تقدم لنا نموذجاً أدبياً رفيعاً، حيث تذوب الحدود بين الإنسان والطبيعة، وبين الواقع والحلم، وبين الصوت والصمت، لتخلق عالماً شعرياً مازال قادراً على مخاطبة وجداننا اليوم.

المراجع

جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (د.ت). لسان العرب (جـ 5). دار صادر، بيروت.

جوزيف نويهض. (1979). الرمز في الشعر العربي. دار الفكر اللبناني، بيروت.

عبد الله أبو هيف. (1985). الرمزية في الأدب العربي. منشورات دار علاء الدين، دمشق.

طه البدري (طه حسن). (1999). اللغة الثانية: دراسة في السيمياء والرمز. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

خالد السعدي. (2003). الرمز بين البلاغة والسيمياء. المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.

طه الدليمي. (2007). البناء الرمزي في الموشحات الأندلسية. مجلة آداب المستنصرية، العدد ٦٥، بغداد.

عبد الله أبو هيف. (1985). الرمزية في الأدب العربي. منشورات دار علاء الدين، دمشق.

إحسان عباس. (1978). تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة. دار الثقافة، بيروت.

أحمد الحوفي. (1957). الموشحات الأندلسية: تاريخها ونقدها. مكتبة الشباب، القاهرة.

أحمد مخلوف (محمد بن شنب). (1991). شعراء الأندلس وموشحاتهم. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

عبد الإله الفياض. (1990). قراءات في الشعر الأندلسي. وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

أحمد الضبيب. (1980). ابن الزقاق البلنسي: حياته وشعره. دار العلوم، الرياض.

سامي جبر. (1975). الطبيعة في الشعر الأندلسي. دار الفكر العربي، القاهرة.

محمد سعيد الطنطاوي. (1985). الموسيقى والغناء في الأندلس. دار الفكر العربي، القاهرة.

ماجد الذهبي (محقق). (1985). ديوان ابن الزقاق البلنسي. دار الأندلس، بيروت.

نجاح الكعبي. (2002). البنية الإيقاعية في الموشحات الأندلسية. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد

أحمد المرابط. (1988). الأندلس: المجتمع والفن. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

محمد الزوبعي. (1985). الرمز المائي في التراث الشعري العربي. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد

يحيى بن عبد العزيز بن الزقاق البلنسي (ابن الزقاق). (1985). ديوان ابن الزقاق البلنسي. تحقيق ودراسة ماجد الذهبي، دار الأندلس، بيروت.

محمد حلاوي. (1997). الرمزية في الشعر العربي الحديث. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

مالك بن الطاهر. (2002). في نظرية الرمز. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Nominative Case with the Letter "Waw": An Applied Grammatical Study — Surah Al-Baqarah and Surah Yusuf as a Model.

Assistant Lecturer: Nawal Kadhim Hammood Al-Jubouri
University of Babylon / College of Education for Human Sciences
nawalkazem1995@gmail.com

Abstract:

This research is conducted in Modern Standard Arabic—the language of the Holy Quran—focusing on Surat Al-Baqarah and Surat Yusuf from the Divine Book. Specifically, it examines nouns that are in the nominative case (Al-Marfu'at) indicated by the letter Waw, namely: the sound masculine plural and the Six Nouns.

The study demonstrates that the inflectional markers for these categories are secondary (substitutive), serving as a replacement for the Damma, which is the primary marker. This grammatical study is applied to the aforementioned Surahs by highlighting verses containing sound masculine plurals in the nominative case and the Six Nouns. Furthermore, the research traces the linguistic and semantic meanings of these words, drawing upon various authoritative interpretations (Tafsir).

Keywords: Original Sign (Primary); Substitutory Sign (Secondary); Dhamma; Waw; Nominative Case, Sound Masculine Plural, The Six Nouns, The Holy Quran, Surah Yusuf, Surah Al-Baqarah..

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

المرفوعات بالواو دراسة نحوية تطبيقية سورتي البقرة ويوسف انموذجًا

المدرس المساعد: نوال كاظم حمود الجبوري
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
nawalkazem1995@gmail.com

ملخص:

يعني هذا البحث باللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم وقد سلط الضوء على سورتي البقرة ويوسف من الكتاب العزيز وتحديدًا على المرفوعات بالواو وهما جمع المذكر السالم والاسماء الستة وقد بينَّ البحث إن العلامات الإعرابية لهما علامات فرعية وهما عوض عن الضمة العلامة الأصلية وتم تطبيقها على هاتين السورتين دراسة نحوية, حيث تم تسليط الضوء على الآيات الكريمة التي تحتوي كلمات على هيئة جمع المذكر السالم المرفوع فقط وكذلك الأسماء الستة ومن ثم تتبع المعنى اللغوي والدلالي للكلمة وتفسيرها من التفاسير المتعددة.

الكلمات المفتاحية: العلامة الفرعية. العلامة الأصلية.، الواو. الضمة.، جمع المذكر السالم. الأسماء الستة.، القرآن الكريم. الرفع، سورة يوسف. سورة البقرة.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

مقدمة:

الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين

أما بعد:

إن سورة البقرة من السور القرآنية التي وردت فيها المرفوعات بكثرة، وفكرة البحث هي تسليط الضوء على المرفوع بالواو وتحديداً جمع المذكر السالم، والأسماء الخمسة في السورة وعند تتبع آيات القرآن المجيد ظهر لدينا أن (حمو، فو) لم ترد مرفوعة في القرآن الكريم أبداً، والذي ورد فقط هو : (أبو ، أخو ذو)، وورد في سورة يوسف مرفوعاً من الأسماء الستة (أبو، أخو، ذو) في خمس آيات، اما في سورة البقرة لم يرد من الاسماء الستة الا (ذو) مرفوعا في خمس آيات وسنقف على اثنين منها .

كان البحث على مبحثين، تناولت في المبحث الأول جمع المذكر السالم في سورة البقرة إما في المبحث الثاني فوقفت عند الأسماء الستة في سورتي البقرة ويوسف كون سورة البقرة لا تكفي لوحدها من حيث الشواهد لإكمال المبحث، وقد مهدت لذلك بتمهيد، وقدمت له مقدمة ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم اردفت ذلك بقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

-تعريف العلامة في اللغة والاصطلاح.

-العلامة في اللغة

إن المتتبع لمعاجم اللغة يجد أن لفظ العلامة قد ذكره الخليل(ت: ١٧٠هـ) في (باب العين واللام والميم معهما ليس بطريقة تعريف معناه اللغوي بل ذكره ليشرح به معنى العلم إذ قال: (والعلم ما ينصب في الطريق، ليكون علامة يهتدى بها شبه الميل)(العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: دار ومكتبة الهلال ٢/١٥٣ ، باب العين) ، ثم أخذ يسوق لفظ العلامة كبيان للعديد من الألفاظ مثل:(الآية) (ينظر: العين للخليل: 216/4 باب الالف)، أما الجوهري (ت:393هـ) فقد ذكر معنى قريباً لما ذكره الخليل في باب (علم) فقال: (علم العلامة والعلم: الجبل) (تاج اللغة وصحاح العربية: ابو نصر الجوهري: دار العلم 990/5 مادة علم)، فهو جعلها تعريفا وليس معرفاً. أما ابن منظور (ت:711هـ) فقد نقل كلام الجوهري نفسه وزاد عليه إذ قال: (والعلم: العلامة.

والعلم الجبل الطويل. وقال اللحياني: العلم الجبل فلم يخص)(لسان العرب: ابن منظور: دار صادر 422/12 فصل العين المهملة).

-العلامة في الاصطلاح

اصطلاح النحاة نجده في كتب النحو الأولى مثل كتاب سيبويه، وكتاب الأصول لابن السراج، فقد تطرق سيبويه (ت:١٧٣هـ) للكلام عن العلامة الإعرابية بقوله: (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية، وهي تجري على ثمانية مجار على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف)(الكتاب: سيبويه: مكتبة الخانجي13:/1)؛ فلم يذكر سيبويه تعريف العلامة وإنما بينها اين تقع وبين عددها وكأنها مسلمة عنده، أما ابن السراج فسمى العلامة الإعرابية بالإعراب فقال: (الإعراب الذي يلحق الاسم المفرد السالم المتمكن، وأعني بالتمكن ما لم يشبه الحرف قبل التثنية والجمع الذي على حد التثنية، ويكون بحركات ثلاث: ضم وفتح وكسر) (الاصول في النحو: ابو بكر بن السراج: مؤسسة الرسالة 45/1)، فالعلامة لديهم هي الحركات الثلاث والسكون (عدم الحركة)، أي (الفتحة والضمة والكسرة والسكون)، وهذه العلامة في التي تكشف عن إعراب الكلمة (فالإعراب: هو تغير العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه وما يقتضيه كل عامل)(النحو الوافي، عباس حسن :دار المعارف: ١ / ٧٤).

-تعريف الرفع في اللغة والاصطلاح

-الرفع في اللغة

جاء في كتاب العين أن (الرفع: رفعته رفعا فارتفع .... والرفع: نقيض الخفض)(العين: ١/ ١٢٥) ، ويرى الجوهري أن (الرفع خلاف الوضع، يقال: رفعته فارتفع والرفع في الإعراب كالضم في البناء، وهو من أوضاع النحويين. ورفع فلان على العامل رفيعة، وهو ما يرفعه من قصته ويبلغها)(تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري : ٣/ ٢٢١ مادة (رفع)) فقد ذكر الجوهري أن الرفع من أوضاع النحويين، وقد جمع ابن منظور تعاريف الذين سبقوه وأضاف عليها فقال: (رفع في أسماء الله تعالى الرافع: هو الذي يرفع المؤمن بالإسعاد وأولياءه بالتقريب والرفع ضد الوضع، رفعته فارتفع فهو نقيض الخفض في كل شيء، رفعه يرفعه رفعا ورفع هو رفاعة وارتفع. والمرفع ما رفع به وقوله تعالى في صفة القيامة: {خافضة رافعة}(الواقعة: اية/3))(لسان العرب، ابن منظور : ٨ / ١٢٩ فصل الراء.)؛ فالرفع لدى الجميع ضد الخفض والوضع.

-الرفع في الاصطلاح

إن مصطلح الرفع موجود مع بدايات المدونة النحوية، فهذا سيبويه مع كونه لم يفرد باباً خاصاً للمرفوعات إلا أنه ذكر المسند والمسند إليه في بداية الجزء الأول من كتابه بقوله: (هذا باب المسند والمسند اليه وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه.... فلا بدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء)(الكتاب سيبويه، ١/٢٣)، ثم صرح بالرفع في الجزء الثاني في باب الابتداء إذ قال: (فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليُبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفع) (الكتاب لسيبويه: ٢/١٢٦)، بل نجد النحاة يعطون المرفوعات منزلة أولى بلحاظ بقية المعربات (المنصوبات والمجرورات والمجزومات)، فالرفع لديهم علم دال على الفاعلية كما صرح بذلك أكثر من واحد من القدماء، قال الرضي: (المرفوعات هو ما اشتمل على علم الفاعلية) (شرح المقدمة الكافية في علم الأعراب، لابن الحاجب: مكتبة نزار الباز: ١/٣٢٢)، والجوجري عندما أخذ في شرح عبارة ابن هشام علل ابتداءه بالمرفوعات بقوله: (وبدأ بالمرفوعات لكون المرفوعات عمدة الكلام، كالفاعل والمبتدأ والخبر)(شرح شذور الذهب، عبد المنعم الجوجري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية: ١/٣٣٠) .

وذهب القدماء إلى أن الجملة فيها العمدة وفيها الفضلة، وأن العمد هي المرفوعات وقد صرح صاحب تعليق الفرائد بذلك إذ قال: (والعمدة عبارة عما لا يسوغ حذفه من أجزاء الكلام، إلا بدليل يقوم مقام النفط به)(تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، لأبي بكر الدماميني مركز النخب العلمية: ٣/ ٧.). ثم شرع في بيان عبارة المصنف: (فالرفع للعمدة) (تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : ٣/٧)، إذ يعلل ذلك بقوله: (لأجل شرفها والاهتمام بها، فجعل لها الرفع، لأنه أقوى الحركات)(تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: ٣/٧)

.

المبحث الأول

جمع المذكر السالم في سورة البقرة

–أولا: علامات الإعراب في جمع المذكر السالم.

ذكر إبن عقيل علامات إعرابه بقوله: (القسم الثالث وهو جمع المذكر السالم وما حمل عليه وإعرابه بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا)(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل: دار التراث ١/٦٠.). وعليه تكون علامات جمع المذكر السالم هي:

الرفع يرفع بالواو كعلامة فرعية بدل الضمة التي هي العلامة الأصلية للرفع مثل مسلمون كقولنا : (جاء المسلمون)، فالمسلمون فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم والنون علامة الجمع.

النصب: ينصب بالياء كعلامة فرعية بدل الفتحة التي هي العلامة الأصلية للنصب مثل مسلمين كقولنا: رأيت المسلمين، فالمسلمين مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم والنون علامة الجمع.

الجر: يجر بالياء كعلامة فرعية بدل الكسرة التي هي العلامة الأصلية للجر مثل مسلمين كقولنا: سلمت على المسلمين، فالمسلمين مجرور بحرف الجر وعلامة جره الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم والنون علامة الجمع.

–ثانياً: أمثلة تطبيقية من سورة البقرة :

ا- في قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (البقرة: اية 5)، فكلمة (الْمُفْلِحُونَ) جمع مذكر سالم مفردها (مفلح)، من الفعل الثلاثي (فلح)، قال الخليل: (الفلاح، والفلح لغة البقاء في الخير، وفلاح الدهر: بقاؤه، وحي على الفلاح أي: هلم على بقاء الخير ... وقد يطرحون الألف من الفلاح والواو من الكفوف فيقولون: كفف احتياجاً إلى القوافي، ولا يتغير المعنى والفَلَحُ: الشق في الشفة في وسطها، رجل الفلح وامرأة فلحاء دون العلم وقولهم: إن الحديد بالحديد يفلح)(العين الخليل: ٣/٢٣٣)، وإعرابه(يُنظر : إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: دار الارشاد للشؤون الجامعية ١ / ٢٥): هم: مبتدأ ثان ضمير منفصل في محل رفع ,المفلحون: خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والنون علامة الجمع.

2-في قوله تعالى: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مصلحون}(البقرة: آية ١١.)، فكلمة (مصلحون) جمع مذكر سالم مفردها (مُصْلِح)، من الفعل الثلاثي (صلح) قال ابن منظور: (صَلَح: الصلاح ضد الفساد, صلح يَصْلَحُ ويَصْلُح صلاحاً وصلوحاً، وأنشد أبو زيد:

فكيف بإطراقي إذا ما شتمتني؟ وما بعد شتم الوالدين صلوح

وهو صالح وصليح الأخيرة عن ابن الأعرابي، والجَمْعُ صُلحاء وصُلُوح؛ وصَلُح كَصَلَح) (لسان العرب، ابن منظور : ٢ / ٥١٦)وإعرابه (ينظر : التبيان في إعراب القرآن، ابو البقاء العكبري: عيسى البابي الحلبي وشركاءه ١ / ٢٩):

نحن: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ، مُصْلِحُونَ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والنون علامة الجمع، والجملة في محل نصب مقول القول) (إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ١ / ٣٥)

3-في قوله تعالى:{ألا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ولكن لا يَشْعُرُونَ}(البقرة: آية ١٢)، فكلمة (الْمُفْسِدُونَ) جمع مذكر سالم مفردها (مُفْسِدٌ)، من الفعل الثلاثي(فَسَدَ) قال الخليل: (فسد: الفساد: نقيض الصلاح، وقد يفسد، وأفسدته)(العين للخليل: ٧/٢٣١)، وإعرابه:

(إنهم: إن حرف مشبه بالفعل والهاء اسمها (هم) ضمير فصل أو عماد لا محل له من الإعراب ولك أن تعرب هم مبتدأ و(الْمُفْسِدُونَ) خبره والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن) (إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ١ / ٣٥.).

3- في قوله تعالى: {إذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}(البقرة: آية ١٤) فكلمة (مُسْتَهْزِئُونَ) جمع مذكر سالم مفردها (مُسْتَهْزِئ)، من الفعل الثلاثي (هزأ), قال ابن منظور: (هزأ: الهُزْء والهزؤ: السخرية هزئ به ومنهُ، وهزأ يهزأ فيهما هزءًا وهزؤًا ومهزأة, ويهزأ واستهزأ به: سَخِرَ. وَقَوْلُهُ تعالى :{إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزُونَ الله يَسْتَهزى بهم})(لسان العرب، ابن منظور: ١ / ١٨٣)، وإعرابه

(إنما: كافة ومكفوفة نحن: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ, مستهزئون خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والنون علامة الجمع ، والجملة الاسمية تأكيد الجملة (إنا معكم) فهي داخلة في حيز مقول القول ولك أن تجعلها مستأنفة لا محل لها مبنية على سؤال نشأ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم: إنا معكم فما بالكم تشايعون المؤمنين بكلمة الإيمان؟ فقالوا: إنما نحن مستهزئون أو أنها تعليلية للمعية) (إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ١/ ٣٨).

4-في قوله تعالى: {وهم فيها خالدون}(البقرة: آية 25) فكلمة (خالدون) جمع مذكر سالم مفردها (خَالِدٌ)، من الفعل الثلاثي (خلد) قال الجوهري: (خلد الخُلْد: دوام البقاء. تقول: خلد الرجل يخلد خلوداً. وأخلده الله وخلده تخليداً. وقيل لأثافي الصخور: خوالد، لبقائها بعد دروس الأطلال. قال الشاعر المخبل السعدي:

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سخم

والخلد أيضاً: ضرب من الجرذان أعمى وأخلدت إلى فلان، أي ركنت إليه. ومنه قوله تعالى ،وأخلد بالمكان : أقام به)(تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري: دار العلم ٢/ ٤٦٩)، وإعرابه:

هم: ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ، فيها: جار ومجرور متعلق ب (خالدين)، خالدون: اسم فاعل خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والنون علامة الجمع(ينظر: الإعراب المحيط في تفسير البحر المحيط، ياسين جاسم المحميد: دار احياء التراث ١ / ١٣٨)

6- في قوله تعالى: {أولئك هم الخاسرون}(البقرة:آية ٢٧)، فكلمة (الخاسرون) جمع مذكر سالم مفردها (خاسِر)، من الفعل الثلاثي (خَسر) قال الخليل: (خسر: الخُسر: النقصان والخسران كذلك، والفعل : خسِر يخسَر خسْرانًا والخاسر : الذي وضع في تجارته ومصدره الخسارة والخسر كِلْتُهُ ووزنْتُهُ, فاخسرته، أي نقصته، وقوله جل وعز : {وكان عاقبة أمرها خُسرا}(الطلاق: اية 9) أي نقصا, وصفقة خاسرة، أي: غير مربحة)(العين الخليل: ١٩٥ /٤)وإعرابه(ينظر : إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ١ / ٧٠):

هم: مبتدأ ثان ضمير منفصل مبني في محل رفع, الخاسرون: خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والنون علامة الجمع، وجملة (هم الخَاسِرُون) في محل رفع خبر للمبتدأ الأول (أولئك).

7- في قوله تعالى: {الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون}(البقرة: آية٤٦)، فكلمة راجعون جمع مذكر سالم مفردها (رَاجِع) من الفعل الثلاثي (رَجَع) جاء في المعجم: (رجع: رجع عن يرجع رجوعا ورجعي، فهو راجع، والمفعول مرجوع عنه رجع فلان: عاد, انصرف, رجع المسافر —{ وأخذناهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(الزخرف: آية 48): يتوبون {كل إِلَيْنَا رَاجِعُون}(الانبياء: اية 93) رجع أدراجه: عاد من حيث أتى رجع إلى الصواب: اهتدى إليه)(ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر: 860/2)وإعرابه:

(وانهم اليه: الواو عاطفة أنهم: أن حرف مشبه بالفعل، الهاء اسمها، إليه: جار ومجرور متعلق بخبر أن وأنهم معطوفة على الأولى، راجعون: خبر «أن» مرفوع بالواو الله جمع مذكر سالم والنون عوض عن تنوين الاسم المفرد وحركته) (الإعراب المفصل الكتاب الله المرتل بهجت عبد الواحد: دار الفكر للطباعة ١ : ٥٨)

8-في قوله تعالى: {واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظالمون} (البقرة:آية ٥١) ، فكلمة (ظالمون) جمع مذكر سالم مفردها (ظالم)، من الفعل الثلاثي (ظلم) قال الزبيدي: (الظُّلم، بالضم: التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد قاله المناوي، قال شيخنا: ولذا كان محالاً في حقه تعالى؛ إذ العالم كله ملكه تعالى لا شريك له، وقال الراغب هو عند أكثر أهل اللغة: (وضع الشيء في غير موضعه) (تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي: التراث العربي, ٣٣/٣٣). وإعرابه:(وأنتم: الواو حالية وأنتم مبتدأ, (ظالمون) خبره والجملة الاسمية في محل نصب على الحال) (إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ١ / ١٠١) .

9- في قوله تعالى: {وَمَا يَذكر إلا أُولُو الْأَلْبَابِ} (البقرة: آية ٢٦٩)، فكلمة (أولو) ملحق بجمع المذكر السالم، جاء في المعجم: (أولو، والمؤنث أولات، والواحد: ذو, ويقولون: لا آتيك ألوة بن هبيرة، أي أبداً. وألوة: اسْم رَجُلٍ ما أوله الياء, اليلل: قصر في الأسنان والتزاقها مع اختلاف نبتة رجل أيل وامرأة يلاء، وقد يللت، وقَوْم يُل وقف أيل: أي غَلِيظٌ مرتفع وحافز أيل: قصير الشنيك) (المحيط في اللغة الصاحب بن عباد: عالم الكتب بيروت١٠ / ٣٧٩)، وإعرابه:

(وأولو) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وهو مضاف الألباب: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة لأنه جمع تكسير (ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ١ / ٤٢٠)

10- في قوله تعالى: {قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شاء الله لَمُهْتَدُونَ} (البقرة : ٧٠)، فكلمة (مهتدون) جمع مذكر سالم مفردها (مهتدي)، من الفعل الثلاثي (هدى) قال الخليل: (والهدى: نقيض الضلالة هدي فاهتدى. والهادي من كل شيء: أوله أقبلت هوادي الخيل، أي: بدت أعناقها. وقد هدت تهدي، لأنها أول الشيء من أجسادها، وقد تكون الهوادي أول رعيل يطلع منها، لأنها المتقدمة. وسميت العصا هادياً، لأن الرجل يُمسكها فهي تهديه، تتقدمه. والدليل يُسمى هادياً، لتقدمه القوم بهدايته) (العين الخليل: ٤/٧٨)، وإعرابه (ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ١ / ٧٠):

لمهتدون اللام لام التوكيد مهتدون: خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، والنون علامة الجمع.

المبحث الثاني

علامات الإعراب في الأسماء الستة

ويسميها ابن عقيل بالأسماء الستة وبين علامات إعرابها بقوله: (الأسماء الستة وهي اب, واخ, وحم, وهن, وفو, وذو مال فهذه ترفع بالواو نحو جاء أبو زيد وتنصب بالألف نحو رأيت أباه, وتجر بالياء نحو مررت بأبيه, والمشهور أنها معربة بالحروف فالواو نائبة عن الضمة والألف نائبة عن الفتحة والياء نائبة عن الكسرة) (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ١/٦٠).

وتعرب الأسماء الستة بثلاث طرق

1-الأعراب بالحروف، أي بالألف والواو والياء.

2-بالحركات المقدرة

3-بالحركات الظاهرة.

وعند اعرابها بالحروف تكون كالآتي:

الرفع يرفع بالواو كعلامة فرعية بدل الضمة التي هي العلامة الأصلية للرفع مثل أبوك كقولنا: (جاء أبوك)، فأبوك فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الستة

النصب: ينصب بالياء كعلامة فرعية بدل الفتحة التي هي العلامة الأصلية للنصب مثل أباك كقولنا: رأيت أباك)، فإن أباك مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء؛ لأنه من الاسماء الستة.

الجر يجر بالياء كعلامة فرعية بدل الكسرة التي هي العلامة الأصلية للجر مثل مسلمين كقولنا: سلمت على المسلمين)، فالمسلمين مجرور بحرف الجر وعلامة جزء الياء، لأنه من الأسماء الستة

ثانياً: أمثلة تطبيقية.

لم يرد في سورة البقرة مرفوعاً سوى كلمة (ذو) في خمس آيات سنقف عند اثنين منها :

1-في قوله تعالى :{ واللهُ ذُو الْفَضْلِ العظيم } (البقرة: ١٠٥).

محل الشاهد فيها (ذو الفضل)، فكلمة (ذو) من الأسماء الستة، قال الخليل: (ذو: اسم ناقص تفسيره صاحب كفولك ذو مال، أي صاحبه، والتثنية ذوان، والجمع ذوون وليس في كلام العرب شيء يكون إعرابه على حرفين غير سبع كلمات وهن: ذو، وفو، وأخو، وحمو، وأمرء وابن) (العين الخليل: ٨/٢٠٧)، وإعرابه: (الواو: عاطفة, الله لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع، ذو : خبر مرفوع بالواو الفضل: مضاف إليه مجرور العظيم: نعت ل الفضل مجرور وجملة: الله ذو .... -: معطوفة على جملة .الله يختص ... لا محل لها من الإعراب، أو في محل نصب حال) (إعراب القرآن الكريم، مجموعة من المؤلفين: دار الصحابة للتراث ١ / ٨٨)

2- قال تعالى: {وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة} (البقرة:آية ٢٨٠).

محل الشاهد فيها ذو عسرة، فكلمة (ذو) من الأسماء الستة، قال الزجاج: (ذو: اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وهو مضاف عسرة: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة (أي: وإن وقع (ذو عسرة)، ولو قرنت، وإن كان ذا عسرة لجاز, أي: وإن كان المدين الذي عليه الدين ذا عسرة ولكن لا يخالف المصحف، والرفع على أن (إن كان على معنى إن وقع ذو عسرة - ورفع (فنظرة إلى ميسرة) على فعلى الذي تعاملونه نظرة أي تأخير، يقال بعته بيعا بنظرة(ينظر: معاني القرآن الكريم وإعرابه، الزجاج: عالم الكتب ١ / ٣٥٩), فالزجاج أجاز النصب، ولكنه رجح الرفع كونه اسم كان.

3-قال تعالى: {إِذْ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنْ أَبَانَا لَفِي ضلالٍ مُّبِينٍ} (يوسف:آية ٨).

محل الشاهد فيها (وأخوه)، فكلمة (أخو) من الأسماء الستة، ونقل ابن منظور أقوال سابقيه فقال: (التهذيب : الأخ الواحد والاثنان أخوان، وَالْجَمْعُ إِخْوَانِ وإخوة. الجوهري: الأخ أصله أخو، بالتحريك، لأنه جمع عَلَى آخَاءٍ مِثْلَ آبَاءٍ، وَالذَّاهِبُ منة واو لأنك تقول في التثنية أخوان، وبعض العرب يَقُولُ أَخَانٍ، على النقص وَيُجْمَعُ أيضاً على إخوان مثل خرب وخربان، وعلَى إِخْوَةٍ وَأُخْوَةٍ عَنِ الْفَرَّاءِ. وَقَد يتسع فيه فيراد به الاثنان كقوله تعالى: {فإن كان له اخوة}(النساء اية11)) (لسان العرب، ابن منظور: ١٤ / ١٩) وكلمة (أخو) تكون من الأسماء الستة ,وإعرابه:

(ليوسف: اللام لام الابتداء، يوسف: مبتدأ مرفوع ,واخوه: الواو عاطفة، أخوه معطوف على يوسف مرفوع بالواو و الهاء : مضاف إليه) (اعراب القرآن الكريم، مجموعة من المؤلفين: ٢ / ١٠٥٤)،

4-قال تعالى: {ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شيء إلا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضاها}(يوسف:آية ١٨) .

محل الشاهد فيها (أمرهم أبوهم)، فكلمة (أبو) من الأسماء الستة، وقال الخليل: (فأما الأب الوالد فناقص وليس من هذا قالوا : أب فَلَمَّا ثنوا قَالُوا: أَبْوَانِ وكذلك اخ وأخوان) (جمهرة اللغة ابن دريد: دار العلم للملايين ١ / ٥٣)

وإعرابه: (أمرهم: فعل ماض والهاء مفعول به أبوهم: فاعل مرفوع بالواو، والهاء مضاف إليه، والجملة في محل جر بالإضافة)(إعراب القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين: ٢ / ١٠٨٨).

5- قال تعالى: {ولما دخلوا على يوسف اوى إليه أخاه قال إنى أنا اخوك فلا تبتئس بما كانُوا يَعْمَلُونَ} (يوسف:آية 69)

محل المشاهد فيها (أنا أخوك)، فكلمة (اخو) من الأسماء الستة، وإعرابه:

(إني حرف توكيد ونصب، والياء: اسمها، أنا: مبتدأ. اخوك: خبر مرفوع بالواو والكاف: مضاف إليه والجملة في محل نصب مقول القول) (إعراب القرآن الكريم، مجموعة من المؤلفين: ٢ / ١٠٨٨) فقد جاءت هنا كلمة أخوك مرفوعة بالواو.

6-قال تعالى: {ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون}(يوسف:آية 64).

محل الشاهد فيها (قال أبوهم)، فكلمة (أبو) من الأسماء الستة، وقال الخليل: (أبو أبوت الرجل أبوه، إذا كنت له أبا. ويقال: فلان يأبو هذا اليتيم إباوة، أي: يغذوه، كما يغذو الوالد ولده. ويقال في المثل: لا أبا لك كأنه يمدحه، وتصغير الأب أُبَيٌّ، وتصغير الآباء على وجهين فأجودهما: أبيون، والآخر: أُبياء لأن كل جماعة على أفعال فإنها تصغر على حدها، والأبوة: الفعل من الأب كقولك: تأبيت أباً، وتبنيت ابنا وتأممت أماً. وفلان بين الأبوة والبنوة والأمومة) (العين الخليل: ٨/٢٤). (ويجوز في الشعر أن تقول: هذان أباك، وأنت تريد أباك وأمك. ومن العرب من يقول: أبوتنا أكرم الآباء، يجمعون (الأب) على فعولة، كما يقولون: هؤلاء عمومتنا وخؤولتنا، ومنهم من يجمع الأب أبين)(العين للخليل: 8/24)،وإعرابه:

(قال: فعل ماض أبوهم: فاعل مرفوع بالواو والهاء مضاف إليه والجملة جواب الشرط غير الجازم)(إعراب القرآن الكريم، مجموعة من المؤلفين: ٢ / ١١٠٠)، فقد جاءت هذا كلمة أبوك مرفوعة بالواو .

الخاتمة

خير ما نبدأ ونختم به كلامنا الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والخلق أجمعين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه الأخيار الميامين...

أما بعد...

ان أهم ما توصل إليه البحث من نتائج

1- إن الواو علامة إعراب فرعية تنوب عن الضمة في مواطن (جمع مذكر المذكر السالم والأسماء الستة)

2- إن المرفوعات بالواو (جمع المذكر السالم، الأسماء الستة) وردت كثيرًا في القرآن الكريم في نسب متفاوتة في سورتي البقرة ويوسف.

3- وجدت في سورة البقرة كلمة (ذو) مرفوعة فقط ولم ترد الأسماء الأخرى فيها.

4- احتوت سورة يوسف فقط على (ذو, أخ, أب) مرفوعة.

5- جمع المذكر السالم المرفوع بالواو ورد كثيرًا في كلا السورتين.

6- ورد جمع المذكر السالم غير مضاف أحيانًا ومضاف أحيانًا أخرى.

7- عند تتبع آيات الكتاب العزيز ظهر لدينا إنَّ (حمو وفو) لم ترد مرفوعة في القرآن الكريم ابدًا

وفي الختام أسال الله أن أكون قد وفقت في إعداد هذه الوريقات التي أود أن تكون خدمة لدراسة كتابنا الكريم والحمد لله رب العالمين.

-المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا : الكتب المطبوعة

-الاصول في النحو: أبو بكر السراج (ت: 316هـ)، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.

-الاعراب المحيط في تفسير البحر المحيط: د. ياسين جاسم المحيميد، دار احياء التراث العربي، ط1، 2001

-إعراب القرآن الكريم مجموعة من الباحثين، دار الصحابة للتراث ٢٠٠٦م. طنطا، ط1

-إعراب القرآن وبيانه محي الدين درويش دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص سوريا، ط٤، ١٩٩٤م.

-التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري (ت:616هـ), ت: علي محمد البجاوي, عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

-تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. واخرون ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٩٩٣م.

-الإعراب المفضل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، عمان، ١٤١٨هـ.

-تاج العروس من جواهر القاموس المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تح: جماعة من المختصين، التراث العربي، الكويت، د. ط ٢٠٠١م.

- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

-التبيان في إعراب القرآن، عبد الله بن الحسن بن أبي البقاء العكبري، تح : علي محمد البجاوي، ط١، ٢٠١٦ م.

-تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني ت : ٨٢٧ هـ)، تح د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، مركز النخب العلمية المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٣م.

-جمهرة اللغة ابن دريد (ت (٣٢١ هـ)، تح رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧ م.

-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (ت: (٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، ط ٢٠، ١٩٨٠.

-شرح المقدمة الكافية في علم الاعراب، جمال الدين أبو عمرو بن عثمان بن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)، تح د. جمال عبد العاطي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط1، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- شرح شذور الذهب، محمد بن عبد المنعم الجوجري (ت: ٨٨٩هـ) ، تح: د. نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م.

-العين الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط.

-الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت: ١٨٠ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط5، ٢٠١٤م.

-لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

-المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عباد (ت:326هـ)، ت: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1994.

-معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

-معاني النحو، د. فاضل السامرائي، شركة العاتق لصناعة الكتاب القاهرة،ط2 ٢٠٠٣

-معجم اللغة العربية المعاصر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٨م.

-النحو الوافي، عباس حسن دار المعارف، مصر، ط ١٥ ، د.ت.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Sociology in the Structure of Literary Discourse in the Works of Abu al-Shamqamaq and al-Zahawi
A Comparative Study

Dr. Noor Abdul Amir Al-Khazali[1]
Director of Education in Dhi Qar
alkhzlydnwrbdalamyr@gmail.com
Dr. Hammadi Khalaf Al-Rikabi[2]
University of Dhi Qar
dr.hammdy.khalafsiuwd@utq.edu.iq

Abstrac:

This research examines social poetry, or sociology, which is considered one of the most important approaches that embodies significant issues reflecting the influence of social structures on literary discourse and the meanings it carries, serving as a mirror to the lives of poets in all their aspects. The literary discourse of these poets is characterized by a multitude of features they address in this context, including the pursuit of justice, concern for social and political issues that preserve individual dignity and respect, and a focus on religious values and moral principles that guide individual behavior. They also combat moral decay in all its forms, using language as a tool to express their opinions and stances on these issues.

Keywords: A sociological study – a comparative study – Jamil Sidqi al-Zahawi – Abu al-Shamqamaq – justice – belonging

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

السيسيولوجيا في بنية الخطاب الادبي عند ابي الشمقمق والزهاوي
دراسة مقارنة

د. نور عبد الامير الخزعلي[1]
مديرية تربية ذي قار
alkhzlydnwrbdalamyr@gmail.com
د. حمادي خلف الركابي[2]
جامعة ذي قار /كلية التربية للعلوم الانسانية
dr.hammdy.khalafsiuwd@utq.edu.iq

ملخص:

يتناول البحث الشعر الاجتماعي او السيسيولوجيا الذي يعد احد اهم المناهج التي تجسد قضايا هامة تعكس تأثير البنية الاجتماعية على الخطاب الادبي وما يحمله من معان تكون مرأة لحياة الشعراء بجوانبها كافة؛ اذ يتسم الخطاب الادبي لدى هؤلاء الشعراء بتعدد الخصائص التي يتناولونها في هذا المطاف ومنها السعي في تحقيق العدالة والاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية التي تحفظ كرامة الفرد وهيبته فضلا التركيز على القيم الدينية والمبادئ الاخلاقية السامية التي تقوم سلوك الفرد , فضلا عن محاربة الانحلال بكل اشكاله , عبر استخدام اللغة كأداة يعبر فيها الشاعران (ابو الشمقمق – والزهاوي) عن آرائهما وايديولوجياتهما ومواقفهما تجاه تلك القضايا.

الكلمات المفتاحية: دراسة سيسيولوجيا – دراسة مقارنة – جميل صدقي الزهاوي – ابي الشمقمق –العدل – الانتماء

مقدمة:

وكثيرا ما نلحظ ذلك السلوك التوعوي والتوجيهي يتجسد لدى الشعراء الذين يحاولون اصلاح المجتمع بطريقه او بأخرى ,كان تكون نصح او ارشاد او تحذير او تهكم او سخريه او توبيخ من الواقع المرير الذي تعاني منه اغلب المجتمعات النامية.

المحور الاول.....الاطار المنهجي

اولا : مشكلات البحث :

نبدأ بفكرة التساؤلات التي قد تطرح على اذهان القراء , فسعيا منا للحصول على الاجابة والاحاطة بأكبر قدر ممكن من عملية تحليل النص وفق الدراسات المقارنة وربطها بالفكر السيسولوجي ؛ وعليه قد ترد مجموعة من التساؤلات من اهمها -:

1- كيف وظف الشاعرين سلطة المجتمع وتأثير الفكر المجتمعي على النصوص الشعرية وجعلها نافذة لألفاظهم البلاغية والبيانية للتعبير عن مكنوناتهم الداخلية وانعكاسها على ابناء مجتمعهم ؟

2- ما مدى حرص الشاعرين على نقل تلك الرؤى والافكار للأخرين و وكيف تمت معالجة الفكر المضاد بأسلوب ادبي شعري ؟

3- ما هي اهم المعايير والاسس التي استطاع الشاعران ان يجسدانها في نظرتهم للمجتمع؟

ثانيا: اسباب اختيار الموضوع :

تتجسد في ان ابا الشمقمق والزهاوي يعدان من الشعراء الذين كان لهم الدور البارز في العصرين العباسي والحديث الذي شاع فيهما التكلف و الصنعة فضلا عن الدعوة وهيمنتها آنذاك على الواقع السياسي والاجتماعي , وعند تصفح وقراءة ديوانهما نجد انهما عبارة عن نتاج شعري يضم مجموعة من الاسس والمبادئ التي بُنيت عليها تلك الحقب , اذ يترجمان ايديولوجياتهما الفكرية بتوظيف العناصر التراثية السامية ؛ وتوظيف التراث في ابداعاتهما الشعرية والنثرية يشير الى ان الشاعران صاحبا هوية وانتماء لماضيهما وحاضرهما بكل اشكاله .

ثالثا: يهدف البحث الى :

دراسة ظاهرة البعد الاجتماعي ووظيفة السلوك السوسيولوجي على الفرد والكشف عن طبيعة تلك الوظائف ودورها في تشكيل البنية الشعرية في ديواني ابي الشمقمق والزهازي , فضلا عن بيان مدى قدرة الشاعران على اعادة تشكيل العادات والتقاليد بما يناسب رؤى وافكار الفرد آنذاك , بأبعاد دلالية جديدة تبحث عن مضمون تلك الاعراف السائدة والتي تحكم وتؤطر المجتمعات .

رابعا: اهمية البحث : تكمن جمالية البحث في اثراء اللغة بألفاظ ومعان غنية بالدلالات والايحاءات الرمزية التي تعبر عن طاقات ابداعية تجسد ذلك الفكر الايديولوجي للشعراء مصورا في ذلك الدرجات التي يقطعها الانسان بين الرغبة / المنع المتكونة جراء الظروف المتذبذبة التي من خلالها استطاع ان يخرج النص من الاطر الضيقة الى الاتساع في الابعاد النفسية والاجتماعية والسياسية التي اتسمت بها تلك العصور .

أولا: انعكاس مقومات الادب على صور المجتمع :-

ان دراسة الادب يتطلب وجود شخصيات اسهمت واثرت في الشعر العربي بعصوره كافة فلكل شاعر من الشعراء مميزات وخصائص ارتقت لان تجسد حقبة معينه تتناول اهم المواضيع التي تجلت في قصائدهم ومنهم:

ابو الشمقمق شاعر عباسي اسمه مروان بن محمد من موالي مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية , نشأة في البصرة ولقي العديد من الشعراء الكبار امثال ابو نواس وابو العتاهية في ايام المنصور ثم ادرك خلافة المأمون ,كان له باع طويل في الشعر اذ تميز شعره ببراعة الفاظه وجزاله التركيب واستعمال الصور الفنية اذ يعرض صورة بأسلوب شيق حواري تارة وتارة قصصي بعبارات بسيطة سهله (عمر فروخ, 1968م :180) .

اما جميل صدقي بن محمد فيضي ابن الملا احمد بابان الزهاوي فيعد احد اهم الشعراء الذين نهضوا من واقع الشعر العربي في العصر الحديث اذ نظم شعره باللغتين العربية والفارسية كونه كردي الاصل من البابان , له من المؤلفات والدواوين المشهورة منها الكائنات والكلم المنظوم وديوان الزهاوي وغيرها الكثير , كانت الفاظه مستوحاة من رحم المعاناة وصورة ناطقة لأفكاره واحاسيسه اذ عر كل ذلك بأسلوب ممتع يجسد صرخة للألم الملم به . (كامل سلمان الجبوري1424هـ - 2002م : 2/ 68)

وحسبنا القول ان السوسيولوجيا لا تقف على فئة معينه دون اخرى بل نراها تتماثل بين فئات عمرية مختلفة من الاطفال والشباب وحتى كبار السن . وكون دراستي ادبية فإننا نقف على اهم محاور انعكاس مقومات الادب على صور المجتمع سلبا وايجابا؛ لذا اقتضى الامر ان نتناول الاتي:

1- البحث عن الحرية والاستقرار و ازمة الانتماء:

تتجسد فكرة الحرية بانها البحث عن العيش الهنيء البعيد عن صخب الحياة ومشاكلها, وهي اقرب الى منطق فلسفي يعبر عن العلاقة القائمة بالسلوك البشري والقوانين التي وجدتها الطبيعة والمجتمع وهي بصورة اخرى التعدد الفكري للفرد وفق ارادة كامنه في نفسه, لا تسيطر عليها مؤثرات خارجية ولا ظروف ايديولوجيا سياسية تحكمها عادات اجتماعية سائدة (تر : سمير كرم1997م : 129), وها هو الشاعر العباسي نجده يجاهر ويعلن عما في نفسه من رغبه بترك البلاد (بغداد) لأسباب يذكرها الشاعر بقوله(د. واضع محمد الصمد1995م : 6)

ما اراني الا ساترك بـــــغدا د واهوي لكـــوره الاهواز
ذاك خير من التردي في بغـ ــداد تنزو بي البغال النوازي

ان دراسة الادب والشعر تحيطها عوامل مؤثرة خارجية تتمثل بالدين والنظام القانوني فضلا عن عادات وثقافات محددة تنعكس على ذلك الادب بأيديولوجيات محددة ولدت ابعاداً مثلت صرخة الروح على الظلم والاستبداد وعدم الاستقرار والسكينة في المكان المحدد مما حتم عليه لان يفكر بالابتعاد تيمنا منه في يوم من الايام يحصل الهدوء الذي لا وجود له فهذا الامر دعاه لان يجاهر بالنائي والترك وهذا واضح بمفردة (ساترك) المبدوءة بالسين التي لها دلالة الاستقبال وكانه اراد ان يقول اذ ما يتبدل حال بغداد فاني انوي الترك والسفر بعيدا الى ارض الاهواز حيث الهوى والحب . فالشاعر جسد تلك الفكرة وعبر عما يختلف في نفسه بصوره تهجميه وحشيه وذلك من خلال نعت البشر في ذلك المكان بأنهم بغال , والبغل حيوان هجين من ذكر الحمار وانثى الخيل عموما او العكس وهذا نادر جدا وقد يتميز بصفات مأخوذة من الطرفين حيث القوة والقدرة على التحمل والمرونة فضلا عن صفات سيئة جدا تتمثل بعادة قتل البغل لصاحبه اذا غضب او تعرض لموقف(ابو عمرو الجاحظ (ت255هـ) 1997م , 7/1) فمن خلال ثيمة التشبيه

استطاع الشاعر ان يوضح طبيعة المجتمعات آنذاك والتعصب القبلي والقديسين بالظاهر وذئاب في الباطن .

ومن البديهي ان يعرض تلك الصفات بواقع اجتماعي كون ما يعانيه من تهميش لدوره والاقصاء لتوجهاته الاجتماعية حري به ان يلجأ الى التعريض بهم والهجاء لأخلقهم التي ينفر منها كل شخص, ومنه ما عاناه من زيارته لسعيد بن سلم و ذلك بقوله (ديوان ابي الشمقمق / 39) قال لي الناس زر سعيد بن سلم قلت للناس لا ازور سعيدا

واميـــــري فتى خزاعة بالبصـ رة قد عمها سماحا وجودا
ولنعـــم الفتـــى سعيدٌ ولكن مالـــــك اكرم البرية عودا

لفعل القول في النص اثر على الحالة النفسية للمتكلم اذ ان الذات الشاعرة تأثرت بما يقوله الناس وانعكس ذلك على طبيعة الحياة, ولكن نجد لصيغة الحوار نسقا خاصا في البيت الشعري متجسدا بـ (قلتُ) فالخطاب حمل مقولات ذات "حساسية مفرطه, دائم التحول والتغيير والاختلاف طالما يقع تحت ضغط موجهات مختلفة , ربما تكون اشدها تأثيراً التقاليد الفنية المهجنة في سياق العصر الذي كتب فيه " (محمود عبد الوهاب 1997م : 48) فالعملية التواصلية بين اطراف الخطاب حملت سمات العصر الذي ينتمي اليه الشاعر بوساطة عنصر الحوار.

من خلال عنصر التخيير بين شخصيتين وتفضيل احداهما عن الاخر هذا الامر يحيلنا الى ان ندرس اجتماعيا ما تمتلك تلك الشخصيتين من مقومات المفاضلة و واذ ما رجعنا للنص نجد ان مدلولات السياق تشير الى حالة الاضطراب النفسي والتحسر والشعور بالضياع تجاه عدم المعرفة للتوجه الصحيح ولكن تدارك الامر بجملة النفي (لا ازور سعيدا) التي ادت دورا في تحريك سياق الكلام مقرونة بطبيعة النبر لأصوات الاحرف بالجملة نفسها , فضلا عن الطبيعة التهجمية التي برزت عبر حرف الاستدراك (لكن) الذي افاد معنى العدول من امر الى اخر؛ فهو ذكر سعيد بانه خير رجل ولكن عند مفاضله ما بين سعيد ومالك واقام الاختيار لمالك وذلك مناسبة للحالة التي يمر بها والحاجه التي يروم اليها وقد بين ذلك عبر مفردة (اكرم) التي تدل على وزن افعل وهي من صيغ التفضيل اي ان العوز والفقر والفاقة دعت الشاعر لان يفاضل من خلال

صفة ايهما يعطي اكثر لينتفع منه فالفقد ثيمة وركيزة استند اليها الشاعر في نصة ولعل هذا الفقد ليس فقدا ماديا ؛ بل فقدا للحرية للأمان للاستقرار للانتماء فقدا للهوية وللذات وما شاكلها من فقد معنوي .

وحسبنا القول ان السبب الرئيس للتهجم الواضح في ثنايا القصيدة عائد بالدرجة الاساس للسوسيولوجيا التي كان يمر بها الشاعر وضعف اسباب النعيم والعيش الرغيد في الحياه بكل جوانبها.

اما الزهاوي فإننا نلمح عنصرا اخرا غير عنصر التهجم , هو عنصر الانكسار والخذلان من الواقع المرير الذي ينعكس سلبا على حياته مما اضطره للبحث عن السعادة والاستقرار في قوله (انطوان القوال2004م : 319) :

اين عزي في دولة الاتراك انا ما فقدتـــه انا بـــاكي
انني اليوم في بلادي اسير ليت شعري متى يكون فكاكي
يا لســـان الشكاة لا تتكلم جهرة ان في الكلام هـــلاكي

بدأ الشاعر ابياته بصيغة الاستفهام البحث كونه في معرض البحث والسؤال عن الاستقرار والانتماء للبلد المفقود فهو يبحث عن العز الكرامة وليس الذل والمهانة في دوله يحكمها العجم الاتراك وهذا ما اكدته مفردة (فقدته) فهو يندب ويبكي لحاله ولما آل اليه المجتمع من خسارة كبيرة تمثلت بتفكك المجتمع وعدم وجود الذات بين من لا ينتمي اليهم , وفي البيت الثاني اشار الى القيود التي تلازم روحه وكيانه وذلك عبر مفردة (اليوم) و (اسير) فالشعور بالقيد وعدم اخذ الرية الكافية في التعبير عما يختلج في صدرة من هموم وافكار يجعله في حالة من التوتر المستمر الملازم ذلك الزمان فمفردو اليوم دلت على معنى العصر والمجتمع بكافة فئاته وليس المراد منه الزمن الكوني بل الزمن المجتمعي الذي يحمل معاناة حقبة وجيل كامل يعاني الامرين مرارة فقد الانتماء ومرارة فقد الهوية وهذان الامران جعلا الشاعر يشعر بالأسر و السجن ويتمنى الفكاك والخلاص مما هو فيه, فتلك الرؤية عكست ايديولوجيات غير مستقرة جعلت الشاعر يعتمد على " كينونة في سياق من التوتر الحاد المزق الذي ينشد الى قطبين يستقطبان الحس والانفعال والادراك " (كمال ابو ديب 1984م : 65) بمعنى ان صورة التوتر وعدم الشعور بالرضا والراحة متجسدة في بيان الانفعالات الصادرة من نفس الشاعر . فضلا عن استعمال الشاعر (ليت)التي تفيد معنى التمني فهو يتمنى لو بإمكانه أن يجرد ذاته من المجتمع الذي افقده العز والكرامة والانتماء , اذ ادى اسلوب التكرار بالتساؤل المرتبط

بالقضايا المجتمعية التي كشفت عما يغشى الشاعر من يأس وقنوط وانكارا للذات عبر (متى و اين) التي احالت الى قضية مهمة يعاني منها المجتمع وهي عدم البوح بكل شيء لان في الكلام الفناء وربما القتل او النفي لمكان بعيد فعدم اخذ حقه من المساحة الكافية للتعبير عما في داخله من ايديولوجيات تجاه مجتمعه وابناءه جعل الامر اكثر تعقيدا لنفس الشاعر المفقودة .

وعلاوة على ذلك فان حركة الايقاع الشعري المتمثلة بحركة الروي (الكسرة – والياء) فما هي الا دلالة واضحة على الانكسار, فقد حملت رمزية ثورية وليدة ادراك ووعي بالجانب الانفعالي المنكسر على حد سواء. (د . عماد جمعة حسن : 168)

والمميز بين الشاعرين ان ابي الشمقمق قد صرح علنا عما يجوب في داخله رغم تسلط الطبقة الحاكمة آنذاك ؛ بينما نجد الزهاوي قد ابتعد عن التصريح واعتمد على اسلوب التكميم بقوله (بلسان الشكاة لا نتكلم) , فهو صرح بعدم التكلم والابتعاد بكل هدوء وهذا في ظاهر الامر لكن بواطن الامور تحمل صرخة مدوية و دعوة ضد تكميم الافواه والثورة ضد الصمت لاستنهاض الهمم واخذ الحقوق كافة وهذا جسده بقوله(ديوان الزهاوي : 323)

يلقى الخطوب ويركب الأهوالا حر يريد لقومه استقالا
ينائي عن الوطن المعزز مرغما ويموت دون رجوعه مقتالا

بدأ الشاعر ثورة بالفعل(يلقي الخطوب) والتي يراد منها ان كل مصائب هو يلاقيها وقد حلت به ونزلت عليه ورغم هذا الامر فإننا نجد انسانا يدعو الى الحرية وعدم القيد وهذا ما اكدته مفردة (حر) والتي تعني انه لا يستعبد من قبل السلطات الحاكمة الجائرة التي تصادر كل الاصوات وبالتالي فإننا نلحظ شاعر يدعوا الى ثورة عارمة لأجل التغيير الشامل رغم النائي والابتعاد عن ارض الوطن مرغما اي مغصوبا ومجبرا على هذا الترك , فكثرة الافعال في النص المتمثلة بـ (يلقي – يركب – يريد – ينائي – يموت) ما هي الا دلالات على عدم الاستقرار والسعي لتغيير الاحوال حيث ان للكلمة الواحدة وقع خاص وصدا قد يغير في نفس المتلقي كونها تعبر عن ما يدور في مخيلة واحاسيس قائليها فالمفرد لها دور بارز من حيث وقعها في بناء المجتمع او تهدمه , فالشاعر له القدرة على ربط الاحداث بين ماضيها وحاضرها من خلال اختياره للأفعال المضارعة التي لها خاصية الاستمرارية(على الوردي , 143- 144)

وتأسيسا على ذلك فان الصور الفنية المجسدة في النص الشعري صرحت بانه يطمح للاستقلال ونبذ العنصرية والابتعاد عن كل ما لا يحفظ استقلال ابناء شعبه , فضلا عن الايقاع الشعري وحركة الروي (الالف) وهي دلالة على دعوة للقيام بوجه الظلم والاستعباد وثورة تدعو للنهوض من اجل الاستقرار ورفعهم من الحضيض من دون النكوص في المجتمع الظالم المستبد. ولكن هذه الدعوة لم تأتي أُكلها ؛ مما جعله يفتقر الى المقومات الاساسية التي تساعده في شحذ الهمم كونه اصبح مرغما على ترك البلاد , ولكن يبقى صوته صادح في اذان كل سامع عسى ولعل يترك اثرا في نفس متلقه لتغيير الظروف الاجتماعية السائدة لفعل ما لم يستطع هو فعله كونه " لم يتوغل في اعماق الوجود, ولم يتغلغل في اعماق الانسان المقهور, لأنه لم يمتلك رؤية شامله لهذا الكون , وكان همه التأثير الاني على الشعب للتعجل بالثورة على الظلم والطغيان" (فرحان البيجي, 2000م :25) وكانه فقد ارادة الصرخة بوجه الظالمين .

2- ظاهرة اللئم والبخل وعدم التصدق للفقراء والمساكين:

تعد هذه الظاهرة من الظواهر التي لا تخلو منها كل المجتمعات في كل الازمان اذا المراد منها هو احد الدوافع المتلازمة للخوف من الفقر والحاجه عند اعطاء شيء ما , غير ان البعض يمجد المال لحد التقديس, ولعل هذا الامر عائد بالدرجة الاساس الى تعقد الحياة الاجتماعية وظهور الفوارق الطبقية التي انتجتها السلطات الحاكمة الجامحة, لا سيما في العصر العباسي ؛ فقد شهد هذا العصر تعدد كبير في الطوائف حتى على مستوى اللباس والمظهر وعليه فان شعراءه تناولوا " فئات اجتماعية مختلفة من (البخلاء) منها المسؤولون والاثرياء ومنها الاقارب والاصدقاء والجيران , ومنها شعراء والمثقفون واصحاب الكلام, ومنها الاقوام والجماعات" (د, عبد الخالق عيسى 2011م : 68) ومن هذا المنطلق نجد ان شاعرنا ابي الشمقمق قد التفت الى هذه الظاهرة السوسيولوجية – الاجتماعية- التي حددت طبقات وميزت افراد المجتمع الواحد . وهذا ظهر في قوله (ديوان ابي الشمقمق : 37)

هيهات تضرب في حديد باردٍ ان كنت تطمع في نوال سعيد
والله لو مـــلك البحار بأسرها واتـــــاه سلم في زمان مرود
يبـــــغي منها شربه لطهوره لأبى وقـــــال تيممن بصعيد

من الدفقة النصية للشعر نرى ان السوسيولوجيا نابعة من نبذ حالة متواتره في كل العصور فالشاعر العباسي حدد لنا صورة رائعة مثلت شدة اللئم وجحود وبخل الحاكم اذ لجاء للكناية عن البخل بالضرب على الحديد البارد وهذا الامر يراد منه قساوة المقابل وعدم اللين وعدم الانصياع لمطالب الرعية وبهذه الصورة التي " لا تتغير بمحض الصدفة بل تولد من جهد الشاعر الفنان على وفق انتقائية دقيقة تقررها الخصال الشخصية ؛ لأنها عميقة الجذور في التجربة المحسوسة" (اسحاق الخنجري, 2019م) فالصورة الكنائية جاءت انعكاسا لما يحدث في الفضاء الوجودي .ووجود القسم (والله) قسم صريح افاد معنى التأكيد والثبات على مصداقية المتكلم فضلا عن تأكيد المنع المقرون بأداة الشرط غير الجازمة (لو) التي تفيد امتناع الامتناع وتكون الجملة التي بعدها مجرد افتراض كونها تمنع حصوله باي وجه كان (محمد عيد, 1971م :391) . فهو يبخل رغم اتساع المعيشة وعدم ضنك الزمان عليه . فمن خلال مفردة مرود التي اشار بها الشاعر الى السعة والنعيم الممدود الا ان صفة البخل ملازمة لسعيد ليأتي جواب جملة الشرط بالمنع وعدم التطهر بالماء , بل اللجوء الى التيمم بالتراب رغم امتلاكه البحار كلها . وتجسدت ايضا صورة شعرية اخرى للبخل واللئم وذلك بقوله(ديوان ابي الشمقمق : 94)

لما سألتك شيئا ابدلت رشدا بغيي
ممن تعلمت هذا ان الا تجود بشيء
اما مررت بعبد لعبد حاتم طـــي

وصفت الصورة هنا حالة وجودية مثلت صرخة مدوية بوجه من يشحذون المال من جيوب الفقراء رغم ثرائهم و حالة البخل واللئم المتجددة في الشخص غير مؤطرة ومحددة بغرض ما ؛ ولكنها هنا شيئا جاءت نكرة افادت معنى التخصيص ، وكأن مراد الشاعر بأمر ما ولكن هذا البخل ابدل الهدية والعطاء بالظلالة والمنع , مما اظهر جليا في مفردة (ابدل) المتصلة بضمير المخاطب (انت) واذ به اردف بالسؤال الاستنكاري كونه يتعجب ويستنكر مما تراه عينيه من بخل المخاطب وكانه يعلمَ الا يعطي ويجود بالعطاء . وهذا الامر دليل على حالة اجتماعية سوسيولوجية مرتبطة بفطرة الانسان فهنالك صفات مكتسبة من قبل المجتمع والمحيط تنعكس على الفرد فهو يتعلم البخل بسبب ما يمر به من ظروف قاسية وهذه الصفة اكدتها لفظة (بشيء) حيث حرف الباء افاد هنا معنى الملاصقة فالبخل ملاصق له وبأبسط الامور والاشياء.

ويعيد السؤال كره اخرى بقوله انك تعلمت من الحياه والمجتمع القاسي صفة البخل اما تتعلم صفة الجود والكرم ؟ من عبد من قوم حاتم الطائي هذا الشخص المعروف , فالشاعر بعقد المقارنة لا يذكر حاتم بشخصه ؛ بل يذكر عبد من عبيدة وكانه يريد ان يقول انك غير كفء لان يلاصق اسمك مع هذا الرجل النبيل . فهذه الابيات ما هي الا انعكاس للظروف التي عكست طوابعها على الطبع البشري واثرت به سلبا وايجابا.

اما صفه البخل فقط تعرض لها الزهاوي عند ذكر صديق له يكمن في قلبه المنع و النفاق واللئم وتنعكس هذه الصفات على اخلاقه فيقول (ديوان الزهاوي : 318)

تعرض لي في شعره بتحكك لعلك تبكي او لعلك تضحك

وان لئيم القوم ان سار ضاربا الى غاية شر الطريقين يسلك

من بداية النص نجد ان الشاعر قد وفق في اختيار الفاظ تدل على معنى اللئم والحقد وذلك عبر مفردة (تعرض) اذ تعني اعتراض الطريق او المواجهة بالخصومة فالحوار جاء هنا بين شاعرين وهذا ما دلت عليه مفردة (شعر) فكلاهما قد قالا شعرا بتعرض للآخر وبتحكك التي تعني التحرش والمنازعة والتعرض على من هو اقدر منه , والحيرة والتخبط الملازمة للمتكلم (الشاعر) جاءت عبر ثنائية (الضحك / البكاء) التي جسدت النفس غير المستقرة على حال .

وحسبنا القول ان الالفاظ المرادفة للتعرض والمنازعة والحقد هي لفظة لئيم التي اوحت في النص الى معانٍ عدة حملت نوعا من الألم المرتبط بروح الشاعر فهذا اللئم لا ترجو منه خيرا , ولو رجوت ذلك فانك لا تنل منه شيئا , واكد هذا العمل وجود (لعل) التي تفيد معنى الترجي . فالحالة السيسيولوجيا والايديولوجيات المنعكسة من ذهن المتكلم تبين كم الصراع النفسي الذي يعاني منه كلا الطرفين , فالشر والغدر ملازم له حتى وان خير بين طريق الخير وطريق الشر فانه ملاصق للشر وسالك له. وهذا انما هو حالة من الحالات التي انعكست عن روح مستخلصه من مجتمع ذا ايديولوجيات فاسدة وتقنيات مبعثرة ومشتتة, و السبب وراء هذه الحالة يعود الى" تعويض مشاعر النقص لدى الطبقات المضطهدة من خلال تدمير قيم الهيبة والاحترام عند الطبقات المهيمنة" (دو غريه :4) ولعل اللئيم يرى كل الاطراف المقابل له اطراف مهيمنة وهذا ما دعاه الى ان يقلل من احترامه ويكمن الشر لهم.

وما ورد في قوله بلفظة واضحة متمثلة بالخبث والنفاق بقوله (ديوان الزهاوي :318)

اخبث الناس صديقٌ عن نفاق يتحرك

فمع المظلوم يبكي ومع الظالم يضحك

هنالك ظاهرة اجتماعية سلط الضوء عليها الزهاوي وهي الخبث واللئم جسدها بمفردة اخبث التي جاءت على وزن (افعل) التي خرجت لمعنى ان شيئيين اشترك في صفه وزاد احدهما على الاخر, فهنا دلالة افعل اي(اخبث) صفه ملازمة لذلك الصديق ولكن ما زاد على صفة الخبث اقترانها بصفة النفاق ؛ والنفاق جاء على وزن فعال التي افادت معنى المبالغة والتعظيم في هذا الامر الجلل والمستمر بذاته وبأطباعه وذلك ما عبر عنه الفعل المضارع (يتحرك) الذي افاد معنى الاستمرارية وعدم ترك مثل هذه الافعال السيئة , فضلا عن وجود صفات انعكست على حال ذلك الصديق كونها ملازمة لصفه الخبث والنفاق مجسدة في دور التناقض وعدم الثبات على حال واحدة بل نراه في ثنائيه البكاء / الضحك و الحزن/ الفرح وهذه الصورة ان دلت على شيء فأنها تدل على تبدل حال ذلك الصديق المتقلب بحسب الموقف المطلوب منه , فتعدد الوجوه في الوقت نفسه اظهرته الثنائيات المتضادة .

فضلا عن وجود حرف العطف (الفاء) الذي افاد معنى الملاصقة والترتيب الملازمتان لشخص المنافق ولكننا نراه بعد مدة من الزمن يعدل عن حال ليتوجه لحال اخرى بحسب ما يطلبه ذلك الموقف وما يناسب اهواءه وذلك عبر حرف العطف (الواو) التي جاءت لإفادة معنى الجمع بين الحالتين. وهذا ما هو الا بعد نفسي ترجم وبين مدى التأثير الاجتماعي على البنيه الداخلية للإنسان وعلى طبيعة عمق الانفعال والصور المترتبة عليه, لبيان الحالة الحقيقية لذلك الشخص .

ثالثا/ الحنكة السياسية والدين -:

ننطلق من طرح سؤال مهم للغاية , هو هل استخدم الدين في السياسة ام السياسة في الدين ؟ والاجابة على هذا التساؤل تتمحور حول العلاقة بين الجانبين حيث ان كلاهما قوي وراسخ في الفكر السياسي؛ اذ ان الامر يتمثل بقوله تعالى: ((وامرهم شورى بينهم)) (الشورى / 38) فكلا الجانبين يمتثل لفقرة الشورى التي هي اساس المشاركة وليس التسلط - تسلط احداهما على الاخر- ولكن بحكم القوانين البشرية الموضوعة فإننا نجد للجانب السياسي اثر واضح في سيرورة الدين لا سيما في العصر العباسي وذلك بما

يتمتع به الحاكم من انفتاح بين صفوف المجتمع الامر الذي انعكس على الجانب الديني بكل صورة وهذا ما مثله المستشار محمد سعيد العثماوي في كتابة (الاسلام السياسي) عند تناوله شعار الاسلام دولة و دين فهذا " الشعار غامض يمكن تأويله حسب اي موقف او نفسره طبقا لأي غرض , فقد شاع القول وفشا الشعار ,حتى تلقفته دعاوي كانت تهدف ما ورائه الى دخول معترك السياسة, و قد دخلتها بالفعل من خلال" (محمد سعيد العثماوي 1416هـ - 1996م :200) الدين و وهذا انما جاء بعده شعار جديد يقول " ان الاسلام دوله والدين لكن لا سياسه في الدين ولا دين في السياسة" (المصدر نفسه : 200), والمفهوم من الشعارين هو ان الاسلام او الدين بصورته العامة هو المحرك الرئيس للسلطة في اي وقت؛ ولكن كثير ما نجد الثغور التي يلزمها الحكام للنيل من المجتمع باسم الدين, والحكم الصالح. وبهذا فإننا نجد ابو الشمقمق قد تطرق الى الحكم باسم الدين الحكم الطاغي او الفاشل بقول(ديوان ابي الشمقمق : 47)

كل شيخ تخاله حين يبدد فوق برذونه كشخص حجازي
وجميل الغسيل اعني ابو محفو ظ عنده الندى وسلم المخازي

يبدا الشاعر بنصيه بكل التي افادت معنا التعميم والدمع مقطع في المجتمع تدع عن الكمال والصفات الحسنه لكنها يخال لها اي استعماله لخاله التي تفيد معنى الشكوى عدم اليقين يغفر لك مما تراه وكانه شخص ذا صفات حسنه بالفعل لكن امر عكس ذلك تماما وهو مرتبط به جاء ابن محفوظ هذه الشخصية التي دور الواسع في انفكاك وانحلال المجتمع آنذاك .

وكذلك جميل الزهاوي يرى ان السياسة والدين مظاهر خداعة ومن ذلك قوله(ديوان الزهاوي : 410)

قد اظهروا انهم في كل ما فعلوا يدافعون عن الاوطان والدين
وفي السياسة للألفاظ مقدرة ليست على سامعيها للبراهين

من الدفقة النصية للأبيات الشعرية نجد ان الشاعر ذا همة عالية في تمجيد كل من يدافع عن الوطن والدين وهذا الامر اثبته دخول قد على الفعل الماضي والتي افادت معنى التحقيق والثبوت في كل عمل عملوه بإخلاص وتفاني لأجل حماية القيم الدينية والذود عن الوطن والمقدسات , هذا في ظاهر الامر اما في باطنه فانهم يكتفون بالألسن والالفاظ التي تقنع الاخر بانهم من اصحاب الهمم العالية في الذود عن معتقداتهم ولكنهم في مونولوجياتهم الداخلية وتعبيراتهم الكامنة في ذواتهم على العكس تمام مما اظهروه وهذا ما اكده

البيت الثاني (وفي السياسة للألفاظ مقدرة ...) فألسنتهم لا تنطق ما في قلوبهم بل تخرج الالفاظ متوشحه بوشاح حب الوطن والدين .

الخاتمة:

تقف هذه الدراسة في ختامها على مجموعة من النتائج التي تعكس تداخل البعد الاجتماعي (السيسيولوجي) مع البنية الأدبية لدى شاعرين يلتقيان في "هامشية" الموقف الاجتماعي وقوة النقد على الرغم من انهما متباعدين زمنياً، وهما أبو الشمقمق وجميل صدقي الزهاوي .ويمكن تلخيص أهم نتائج البحث في النقاط الآتية:

1- بنية الاغتراب الاجتماعي: أثبتت الدراسة أن الخطاب الأدبي عند كلا الشاعرين لم يكن مجرد ترف فني، بل كان انعكاساً لموقف سيسيولوجي حاد؛ فأبو الشمقمق اتخذ من "الكدية" والسخرية سلاحاً لمواجهة مجتمع طبقي في العصر العباسي، بينما مثل الزهاوي صوت التمرد الاجتماعي والعقلي في مرحلة التحول من التقليد إلى الحداثة وفق ايديولوجيات خاصة بكلا الشاعرين.

2- سوسيولوجيا اللغة: كشف التحليل أن بنية الخطاب عند أبي الشمقمق اتجهت نحو "اللغة اليومية" المتمردة على فخامة القاموس الجاهلي لتقترب من نبض الشارع، في حين وظف الزهاوي لغة تقريرية واضحة تعكس تطلعات الطبقة المثقفة الطامحة للتغيير الاجتماعي والثورة على الجهل. عبر استعمال المفارقة الساخرة كأداة نقدية, اذ اتضح أن "السخرية" عند الشاعرين ليست غاية في ذاتها، بل هي آلية سيسيو-أدبية لتفكيك بنى المجتمع؛ فبينما سخر أبو الشمقمق من فقره ليُدين غنى الآخرين، سخر الزهاوي من التقاليد البالية ليُعبد الطريق للعلم والتنوير فكانت السخرية بابا لترسيخ بعض المفاهيم المفتقدة في تلك الازمان

قائمة المراجع :

- القران الكريم
1- محمد سعيد العثماوي , 1416هـ - 1996م, الاسلام السياسي المستشار , مكتبة مديولي الصغير , ط 4, القاهرة – مصر .
2- فرحان البيجي, 2000م ازمة المواطنة في شعر الجواهري " دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي ", , منشورات التحاد الكتاب , دمشق .
3- جمال عبد الفتاح – خليل حوي , د, عبد الخالق عيسى, 2011م البخل في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين , , جامعة النجاح الوطنية ,كلية الدراسات العليا, فلسطين.
4- د . عماد جمعة حسن, د. ت بلاغة الايقاع في شعر الاعشى , , دار العلم والايمان للنشر والتوزيع , ط1 , دسوق
5- عمر فروخ , 1968م , تاريخ الادب العربي العصر العباسي , بيروت – لبنان , دار العلم الملايين.
6- كمال ابو ديب, 1984م , جدلية الخفاء والتجلي , دار العلم للملايين , بيروت – لبنان , ط3.
7- محمود عبد الوهاب , 1997م, الحوار في الخطاب المسرحي , مجلة الموقف الثقافي , العراق ة ع 10 – السنة 2.
8- الدكتور على الوردي, 2013م دراسة في سوسيولوجيا الاسلام , ,مكتبة الفكر الجديد, بيروت – لبنان , ط1 .
9- جمعه وحققه وشرحه , د. واضع محمد الصمد , 1995م, ديوان ابي الشمقمق , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط1.
10- ديوان جميل صدقي الزهاوي , 2004م , شرح وتقديم : انطوان القوال , دار الفكر العربي , بيروت – لبنان , ط1.
11- ابي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) , 1997م , كتاب البغال , قدم له وبوبه وشرحه , د. علي بو ملحم , دار ومكتبة الهلال..
12- كامل سلمان الجبوري , 1424هـ - 2002م معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنه 2002 م , , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط1.
13- تر : سمير كرم , 1997م, الموسوعة الفلسفية , وضع لجنة من العلماء السوفيت , , دار الطليعة – لبنان ط7
14- . محمد عيد , 1971م, النحو المصفى , مكتبة الشباب , ط1.
15- اسحاق الخنجري , 2019م, الزمن وبنية النص الشعري , مجلة نزوي , ع 96
16- دو غرية .المجتمع والايديولوجيات

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Fantasy Structure in Contemporary Short Stories Stories (The Candy Maker) as an Example

ASSISTANT TEACHER . Zainab Ahmed Mohammed ali
Modern Arabic Literature major
University of Kirkuk / College of Law and Humanities
zainabahmed@uokirkuk.edu.iq

Abstract:

Fantasy is one of the contemporary literary genres that has attracted a lot of attention due to its strangeness and its creation of magical worlds that stimulate the reader's imagination, with its unusual events, characters and places that defy the laws of nature. Therefore, we have divided our study into an introduction and two sections. The introduction deals with the concept of fantasy literature and the difference between related terms. The first section deals with the use of fantasy in the stories of The Candy Maker, and the second section deals with the dimensions behind the fantasy writing in The Candy Maker stories .

Keywords: structure, fantasy, confectioner, narrative, story

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

البنية الفانتازية في السرد القصصي المعاصر
قصص(صانع الحلوى) نموذجاً .

م.م زينب احمد محمد علي
تخصص أدب عربي حديث
جامعة كركوك / كلية القانون والعلوم الانسانية
zainabahmed@uokirkuk.edu.iq

الملخص

تعد الفانتازيا من الموضوعات الأدبية المعاصرة التي استقطبت الكثير لغرابتها ولبنائها عوالم سحرية تحفز خيال القارئ ، بما تقدمه من احداث وشخصيات وامكنة خارجة عن المألوف وتخالف قوانين الطبيعة ، لذا فقد قسمنا دراستنا الى تمهيد ، ومبحثين ، تناول التمهيد مفهوم الأدب الفانتازي ، والفرق بين المصطلحات القريبة منه ، والمبحث الاول تناول الاشتغال الفانتازي في سرد قصص صانع الحلوى ، والمبحث الثاني تناول الابعاد وراء الكتابة الفانتازي في قصص صانع الحلوى .

الكلمات المفتاحية : البنية ، الفانتازيا ، صانع الحلوى ، السرد ، القصصي

مقدمة:

عدّ الفانتازيا من أبرز الظواهر السردية في الأدب القصصي المعاصر، لما تنطوي عليه من قدرة على خرق المألوف وبناء عوالم تخييلية تتجاوز حدود الواقع ، ولم يعد حضورها في النص القصصي قائمًا على الغرابة لذاتها، بل غدت بنية فنية ودلالية تسهم في إنتاج المعنى وإعادة تأويل الواقع ، وقد أسهم السرد الفانتازي في توسيع أفق الكتابة القصصية، عبر إعادة تشكيل عناصر الحدث والشخصية والمكان ، كما أتاح هذا النمط السردي للكاتب التعبير عن القلق الإنساني والتحوّلات الفكرية والاجتماعية بأسلوب رمزي غير مباشر ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة البنية الفانتازية في السرد القصصي المعاصر للكشف عن آليات اشتغالها ووظائفها الجمالية والدلالية.

اولاً : مفهوم الأدب الفانتازي :

انطلقت الدراسات النقدية بتناول الأدب الفانتازي الخيالي بالنقد ،و قد سعت لتكشف عن العوالم المخفية في خيال الكاتب وفكره الذي أستطاع صنع الشخصيات والاحداث والازمنة والامكنة التي تخالف في سيرورتها المنطق والحقيقة الكونية ، وكان للخيال لدى الانسان دوره البارز في آداب الشعوب العربية و الاجنبية منذ القدم، فقد رأينا في قصص الف ليلة وليلة ما يمط بهذا الادب من مجال ، فضلاً عن قصة ابن طفيل وقصة سيف بن ذي يزن ، غير إن ظهور هذا الأدب ونضوجه التام كجنس أدبي قصصي له حيزه ومجاله الفسيح الخاص به الا من ظهور الرواية في الادب الغربي اولاً ، ولا سيما الرواية الرومانسية التي اخذت تنتشر في عصر النهضة الاوربية ، إذ اخذ الغرب يبالغ بالاهتمام بالقصص الرومانسية لأنها " رد فعل دراماتيكيا للعقلانية تتحدى اولوية العقل وتعزز اهمية الخيال والروحانية....هو اسلوب خيالي نموذجي ، يتضمن مبارزات فروسية ، محاربة العمالقة والسحرة "، والفانتازيا وفق هذا المنوال هو " نوع أدبي قصصي تقع احداثه في عالم متخيل يخضع لقوانين فيزيائية تختلف عن العالم الذي نعيش فيه ، يتناول شخوصاً غير واقعية وخيالية محضة وغرائبية غالباً ، أو يصور عالماً يخضع لقوانين فيزيائية لم تكشف بعد، او ميتافيزيقية تتناقض والحاضر والتجربة الواقعية " [هبة حمدان : 2024: 21،24] ، وتتميز القصة الفانتازية بأنها عمل أدبي بعيد ومتحرر من منطق الواقع والحقيقة في سرده ، مبالغاً في افتتان خيال القراء، وهذا النوع من القصص هي بمثابة للاوعي القارئ ومكبوتاته المبهمة [هبة حمدان : 2024 : 91] .

اولاً : الفانتازيا : بين الغريب والعجيب والعجائبي :-

وقد عرف مصطلح الفانتازيا /fantasyعند الغرب بالتشكيل الخيالي للأحداث والشخصيات التي ليس لها وجود فعلي ومستحيل تحقيقها ، ولم يوجد للمصطلح من مرادفات غير imagina/ الخيال ، لذا جاء تعريف الفانتازيا في القاموس الفرنسي " ما يبعد عن مجرى العادي المألوف للأشياء فيبدو معجزاً فوق الطبيعي " [سعيد علوش : 1984 :518] ، غير إن المصطلح عند ترجمته للعربية يدخل في أزمة ترجمة المصطلح المعروفة في النقد العربي الحديث ، و يتشابك مع مفردات عدة قريبة منها في المفهوم مثل، العجائبي والعجيب والغريب ، فيبدو للوهلة الاولى من الصعب معرفة أي من هذه المصطلحات هي الاصح عند ترجمة كلمة الفانتازيا ؛ لأنها في تعريفها العام تدل على كل ماهو بعيد عن الواقع وغير طبيعي ، لذا كان لابد من البحث في كل مصطلح لمعرفة الترجمة الصحيحة لكلمة الفانتازيا ، فكانت اول هذه المتشابكات هو مصطلح الغريب الذي هو " نوع من الادب يرى الناقد أنه يقدم لنا عالماً يمكن التأكد من مدى تماسك القوانين التي تحكمه " [سعيد علوش 1984: 106] ، فالغريب هو كل ما أثار استغراباً ودهشة للوهلة الاولى لدى القارئ ، لكن سرعان ما تزول هذه الدهشة لأن " [حسين علام : 2009: 33] القرار موكل للقارئ مرة أخرى بحيث اذا ما قرر أن قوانين الواقع تظل حالها وأننا بإمكاننا تفسيرا الظواهر الموصوفة فأننا نبقى في الغريب الذي يبهر أول الامر ، لكن بمجرد ادراك اسبابه يصبح مألوفاً ، وتزول غرابته مع التعود " [حسين علام : 2009: 33] ، وقد استدل القزويني على الغريب بمعجزات الانبياء ، واخبار الكهان والاصابة بالعين ، وبعض الظواهر الطبيعية كالشهب وسقوط الاجسام من السماء ، ونزول الثلج في غير أوانه ، والقوى الخاصة لدى بعض البشر، نستنتج من ذلك أن الغريب يقوم على خرق العادة وحدوث المفاجئة غير المتوقعة ، وأحداث يمكنها أن تسبب الدهشة للوهلة الاولى غير أنها ما تلبث إلا أن تفسر بقوانين العقل غير إنها معقولة لكن خارقة ، مفزعة ، فريدة ، مقلقة وغير مألوفة ، وهي لهذا " تثير لدى الشخصية/القارئ رد فعل شبيه بذاك الذي عودتنا عليه النصوص العجائبية، ويتحدد هذا الغريب باعتباره مجاوراً للعجائبي ، وبكونه لا يحقق الا شرطاً واحداً من الشروط، وهو وصف ردود فعل افعال معينة مثل الخوف ، فهو مرتبط بشعور الشخصيات ، وغير مرتبط بظهور يتحدى العقل " [حسين علام : 2009: 34]، نفهم من ذلك ان تحديد الغريب يكون مناطاً بالشخصية /القارئ اللذان يشاركان

الكاتب في تحديد هل أن الاحداث لها بعد الدهشة التي اثارتها تفسير منطقي عقلاني وله علاقة بالقوانين الطبيعية ، فإذا كان كذلك كان غريباً غير مألوفٍ خارق للعادة لكن غير خارق للطبيعية وغريباً يصبح بعد التفسير مألوفاً.

اما العجيب فهو لفظ مأخوذ من العجب وهو في المعاجم العربية تدل على " النظر الى شيء غير مألوف ولا معتاد ، وانكار ما يرد عليك لقلة اعتياده " [ابن منظور: 1998: 99] ، ولعل العجيب قد يتشابك مع الغريب في عرض الشيء غير المألوف والخارق للعادة لكن العجيب يختلف عن الغريب في نقطة فاصلة ، وهي إن احداث العجيب لا تملك تفسيراً واقعيا ولا عقلانيا ، فهي خارقة لقوانين الطبيعية بشخصياتها وزمانها ومكانها واحداثها ، فهو " ما يرد في نص قصصي من احداث ، او ظواهر خارقة لا يمكن تفسيرها عقلياً" [امل بنت محمد العتيبي : 2023 : 22] ، نستنتج من ذلك أن العجيب هو كل ما انطوى على ظواهر وشخصيات خارقة للطبيعة تدخل في السير العادي للحياة اليومية ، فتغير قوانينه الطبيعية ، وتكون شخوصها من الابطال الخرافيين و ابطال الاساطير .

اما العجائبي فهو لفظ مشتق من العجيب ،لكنه ينطوي على مخرجات تعريفية تختلف عنه ، ولعل هذا المصطلح العربي هو أقرب مفهوم في الترجمة لمصطلح الفانتازيا الغربي ، وقد رأينا في ترجمة كتاب تودوروف ان مصطلح الفانتازيا قد ترجم بالعجائبي _ مدخل الى الادب العجائبي – ، وقد تناول تورودوف في كتابه هذا الفانتازيا /العجائبي على نحو من الدراسة النقدية الدقيقة التي شخصت المفهوم الدقيق لها مقابلا بذلك ما كان شائعاً عن الفانتازيا التي تقابل الخيال فقط ، فمقياس الفانتازيا /العجائبي عنده هو التردد الذي يصيب الشخصية /القارئ عند رؤية حدث خارق غير مألوف ، فالتردد عنده هو " الذي يمد العجائبية بالحياة " [تودوروف : 1993 : 48] ، فالفانتازيا/ العجائبي هي لحظة الحيرة التي تصيب القارئ في تفسير حدث فوق طبيعي يخترق النص ، هل هو حدث طبيعي ،أم غير طبيعي ؟ والفانتازيا تستمر باستمرار هذا التردد الذي يشترك به القارئ والشخصية ، وتتلاشى تبعاً للتفسير الى " احد الجنسين المجاورين : العجيب والغريب ... و إما أن يقبل القارئ بأن هذه الاحداث فوق الطبيعية ظاهرياً يمكنها أن تأخذ تفسيراً عقلانياً ، وعندئذ نمر من العجائبي الى الغريب، وإما ان يقبل وجودها على ماهي عليه ، وقتئذ نكون في العجيب " [تودوروف : 1993 : 17] .

تكون السمة الاولى للعوالم الفانتازية/ العجائبية هو التناقض والصراع ، لأنها تنتج من المزج بين عالمين الاول تبرز به شخصيات واحداث واقعية ليست غريبة ، وهو عالم مألوف طبيعي ومعتاد ، ومعقول ، والثاني يكون للخيال به النصيب الاكبر ، فيَكون عالماً غير مألوف ، غير حقيقي عجائبي ، غير معقول ، فيخلق للقارئ هذا النوع من الكتابة نوعاً من التناقض بين عالمين " ينتج تردداً من شأنه يتأطر بالرعب والخوف ؛لأن ما فوق الطبيعي يحمل اختلافاته عما هو الطبيعي ، وبالتالي تصبح العجائبية دورها هو ادخال رعب متخيل وسط عالم حقيقي وتثبيته في ذاكرة القارئ " [شعيب حليفي : 2007 : 26] ، ويساعد التردد الحاصل بين عالم طبيعي واقعي ، وعالم فوق الطبيعي ، بإمداد النقد بخاصية التأويل لهذا الجو العجائبي ، لأنه " يتطلب التأويل مادام الادب بطبيعته معطى للتأويل على الدوام " [سناء كامل شعلان : د.ت : 23]

ثانياً : اشتغال الفانتازيا في البنية السردية .

1- **فانتازيا الحدث** : يعد الحدث من العناصر التي يركز عليها القاص " فكل الاحداث تجري ونراها من خلال رؤيته الثاقبة ، مما يدخلنا في ما يشبه الحالة الحلمية او الميتافيزيقية الغائمة" (عبد الرحمن محمد /2023: 96) ، وهي تسير وفق حبكة يكون لها تأثيرها المباشر في الشخصية والسياق ، ولكن الحدث الفانتازي هو الذي يخرج عن النمط المألوف من الاحداث المنطقية ، فهي " تبحث عن خلق تنويعات عدة تختلف مضادها وطرق معالجتها ، لكنها تشترك جميعها حول لا مألوفية الحدث وفوق طبيعيته " [سمير بن جامع / 2010: 58] .

ونلاحظ ذلك في قصة [الكوخ الهنغاري] ، الذي يروي قصة شاب هارب من الحرب ، تتلاقاه امرأة ، وتقنعه بأن تطعمه ويبات عندها ، لكنها يتفاجأ فيما بعد أنها ستطعمه كبد القنافذ ليتحول الى قزم ثم تنقعه في برميل بول الحمير لتبيعه بعد أن يتخمر الى العفاريت " لقد بنت السيدة باربرا هذه البراميل منذ خمسين عاماً من اجل اصطياد الهاربين من الحرب وحشرهم في براميل النبيذ الخشبية ،كانت تطعمهم كل يوم كبدة القنافذ المهروسة بالزيت ، التي تحولهم تدريجياً الى اقزام ، ثم تحشوهم في براميل النبيذ المملوءة ببول الحمير لتبيعهم شراباً الى العفاريت " [ازهر جرجيس: 2017 : 11] ، الحدث هنا مركب وغير مألوف فبراميل النبيذ تستخدم كفخاخ لاصطياد البشر وتحويلهم الى نبيذ ، ثم بيعهم ، والحدث بغرابيته يعبر عن الأسى والسخرية من حال الذين هربوا من بلدانهم خوفاً من الاضطهاد ، ليتفاجؤوا بمنظمات تستدرجهم نحو مصالحهم الشخصية ، وهذا ما تمثله شخصية السيدة باربرا في الحدث غير المألوف ، والتي تغوي المحتاجين الى الأمن والمسكن والمأكل ، ثم تحولهم الى عبيد ضعفاء يعاملون كما السلعة الخالية من الجوهر، وقد مثله شخصية القزم المعتق بالنبيذ في الحدث ، ثم بعد ذلك تبيعهم الى الأنظمة الوحشية الخفية التي تستثمر في الحروب والمعاناة والكوارث البشرية ، ولهذا تجيب السيدة باربرا القزم عندما سألها لما تنقعهم داخل برميل بول أجابت : " اسمع ايها القزم : حين تشتعل الحرب في طرف من هذه الارض ، فأن سوق التسلية يصبح رائجاً في الطرف الأخر " [أزهر جرجيس: 2017 : 12].

وفي قصة [حصان القصب] يتحدث الكاتب عن قضية سياسية ، اجتماعية، متخذاً موروثاً ثقافياً ،وهي اسطورة الثور الطائر الموجود في حضارة وادي الرافدين " فأنا ابن حضارة تطير فيها الثيران ، فما بالك

بحصان رشيق ؟ " [أزهر جرجيس: 2017 : 28] ، والحدث فيها يدور حول موضوع الهجرة التي يستميت اليها أفراد بلد لا حظ لهم من البقاء ببلادهم ، فهم يتراوحون بين طلب لثأر لا ذنب لهم فيه ، أو اختطاف ونهب لأعضائهم ، ولا تقبلهم أي من بالبلدان الزاهية كمهاجرين لأنها باتت لا تصدق اي من الحجج الواهية التي يقدموها له لقبول طلبات الهجرة ، فيتخذ الرجل من حصان القصب سبيلاً ليطير به من واقعه المرير " نصبت في اليوم التالي فخاخاً للغربان ، فكان في حوزتي بعد ليلة واحدة ستة وستون غراباً اسود ذبحتهن ، وصبغت بدمهن حصاني ، ثم وضعت في فمه عظمة هدهد موصولة بسير جلدي ، ودسست في مؤخرته قرن فلفل حاراً ، اعتليته بعد ذلك ممسكاً باللجام ، وهمست في أذنه فطار " [ازهر جرجيس: 2017 : 28] ، يمتار الحدث هنا بتغطية العوالم السحرية وطقوسها على المشهد بشكل عام، فوجود ست ستين غراباً اسوداً ، ثم يُصبغ بدمائهن الحصان ، ثم عظمة الهدهد التي توضع في فمه ، ثم ذلك الهمس في أذنه كلها تمثل شعائر رمزية تخترق القوانين الفيزيائية للواقع ، وكلها رمز للهروب من الواقع ، والتحول في الشخصية من مرحلة الى أخرى ، وغالباً عبر وسيط فانتازي وهو حصان القصب .

2– **فانتازيا الشخصية** : تلعب عنصر الشخصية دورها الفعال في السرد القصصي ولاسيما الفانتازي منه ، وتتصف " بالمزج بين ماهو داخلي من خصائص نفسية ، وبين ماهو خارجي من خصائص مادية ، إذ يبدو الواقع الداخلي حاملاً إطار المعالم للواقع الخارجي " [أي –ابتر / 1986: 23-24] ، وهذا كثيراً ما يتجسد لدى شخصيات قصص [صانع الحلوى] ، فهي تنطلق من أساس معاناة جراء المشاكل السياسية والاجتماعية التي تقيد الكاتب من الحرية التي يرجوها سواء كان في بلده ، أو في بلدان المهجر ، فيجسد ذلك عبر الفانتازيا التي تحول الشخصية الرئيسة الى مسخ ، أو نجد حيوانات تنطق وتتحدث كما البشر، وتحذر وتعاقب .

ونرى ذلك في قصة [حفلة السحل الصاخبة] التي تعبر بفانتازيا عجائبية عن وحشية الأنظمة السادية التي تمارس أقصى حالات التعذيب تجاه أي شيء يكون ضعيفاً امامها ، فشخصية البطل التي تفتح عينها على قصة الملك فيصل الذي سُحل ، وعلى قول والدته " أن غليل العراقيين لا يشفى الا بالسحل " [أزهر جرجيس : 33] ، ثم تبدأ بممارسة تجارب السحل لديه على قطط قريته وتولع به ، ثم تنضم الى فرق

القوات الخاصة في الجيش التي تُظهر بها نوعاً خاصاً من الشجاعة وينال الاعجاب ، حتى تشعر بالنشوة في تحوله الى مسخ في ممارستها الوحشية " شعرت وأنا امارس مضغ الارانب والقطط الاليفة بأن انيابي قد استطالت ، وأن ذيلاً بدأ ينبت فوق مؤخرتي لقد اصبحت جاهزاً في وقت قياسي " [ازهر جرجيس: 2017 : 33] ، وهذا التحول الفانتازي العجائبي البدني في الشخصية يمثل التحول في آخر نقطة عقلانية لديه لينتقل الى حالة الوحشية التي تنعدم بها الانسانية لصالح الغريزة والقوة والتحرر من القيود الانسانية .

وفي قصة [فوق أريكة عرجاء] نجد الألسنة لشخصية الغراب الذي تحدث ونبه " فرد الغراب حانقاً : حسناً ، سأريك ايها البدين لم اكترث لتهديد الغراب كثيراً ، فهو طير حقير، طالما رأيته يسرق صغار السمك المشرور على الحبل فوق السطح " [ازهر جرجيس: 2017 : 40] ، والغراب في كتب الادب والاساطير هي رمزٌ للنذير والموت والحكمة السوداء ، وتحوله الى شخصية ناطقة عاقلة تعني أن الاحداث تسير في منحى فانتازي رمزي ، فالحوار الذي يجري بين المتكلم والغراب يمثل الصراع القائم بين الأنا والآخر في سياق من التحقير المتبادل .

3–**فانتازيا الزمن:** يعد الزمن من عناصر السرد المهمة التي تعطي للأحداث ايقاعها الخاص داخل النص الفانتاوي الذي يتمظهر به " لتكثيف ادهاش مضاعف في صيغة التحول الزمني وانقلاباته ، فيجيء خارقاً مكسراً للحدود بين الماضي والآتي مؤسساً للحيرة والتعجب [شعيب حليفي / 1997م : 115] ، ويطلق على هذا النوع من الزمن " الانزياح الزمني ، الذي ينقسم الى الاسترجاع والاستباق .... بهدف خلق احداث ووقائع عجيبة ولا منطقية " [عبد العالي بوطيب / د.ت : 137] ، فضلاً عن الزمن المتداخل او المفتوح الذي يتمخض بالأحلام .

وهذا ما نجده في قصة [بريد عزرائيل] ، الزمن فيها زمن غرائبي داخلي يحدث بين الحياة والموت ،أو الوعي واللاوعي ، ويحتوي على شخصيات من عوالم ماوراء الطبيعة مثل عزرائيل " منذ يومين ، وأنا اصارع سكرات الموت . لقد شربت سهواً إبريق نفط بأكمله .كنت ظننته شراب النومي الذي احبه ..... حينها زارني عزرائيل قابضاً فسألته ، إذ لاح خياله قرب السرير ، عنا يريد ، فرد مشفقاً : لقد أزف الرحيل " [ازهر جرجيس: 2017 : 105] ، الموت في القصة لا يبدأ فجاءة بل هو ممتد في فضاء زمني قضاءه يومين ، وهذا غير واقعي ، والحديث المتمحور بينه وبين عزرائيل والذي يعد كائناً ميتافيزيقاً ، هو عنصر فانتازي

بامتياز ، والسارد الذي هو المحتضر يبدو وكأنه عالق في زمن يتراوح بين الحياة والموت ، وهو هذا نوع من الازمنة الغرائبية الفانتازية " كنت استمع لما تقول تلك الصغيرة النبيهة ، لكني لم اقو على تطمينها ، فلساني قد انعقد وعيناي قد انشغلتا بالتحديق في وجه عزرائيل الغريب " [ازهر جرحيس : 2017: 105] ، فالوعي هنا حاضر وغائب في آن واحد ، وهذا ما يعكس زمناً داخلياً متشظياً لا يخضع لقوانين الزمن الواقعي .

ونجد في قصة [يوم أسود] زمناً فانتازياً مشوهاً غير مألوف وخارج عن المنطق الواقعي ، يحمل في ذاته صفة التهديد والخراب والعبث الذي حمله الارهاب كلما دخلوا مكاناً فافسدوه [بعد ثلاثة عشر عاماً ، عصفت بالمدينة ريح موت عاتية ، إذ هجمت عليها عصابة تطلق اللحى ، وتكره الاستحمام ، كانوا يكبرون كلما قتلوا شيخاً ، أو اجهزوا على رضيع ، او باعوا فتاة في سوق النخاسة ، لقد اعادوا عقارب ساعة المدينة الى عصر ما قبل الكتابة وانعشوا حياة الكهوف وايام التوحش " [ازهر جرجيس : 114] ، تبدأ القصة بالرقم ثلاثة عشر عاماً ، وهو رقم مشؤوم في الاعراف الادبية تستخدم كرمز للنحاسة او الخراب ، لذا يعد بمثابة تمهيد لدخول زمن مفارق للمألوف ، نلاحظ أن الزمن في القصة زمن منقلب مقلوب القيم يكافأ الشر وينميه ، ثم يعيد به عقارب الساعة الى العصور الوحشية ، وهذا رمز للهمجية والظلام والجهل ، وكأنه زمن خارج عن منطق العقل أو التقدم ، أو النظام ، فإذاً نستطيع القول أن الزمن هنا زمن ارتدادي مائل للانهيار لا يتقدم بل يتراجع للوراء ، وهو قريب من فكرة زمن نهاية العالم التي ينقلب بها النظام وتشيع الفوضى وتحول كل شيء الى كابوس دائم يعكس سقوط القيم وتحول الانسان الى وحش ، فالزمن فانتازي هنا ليس لأنه غير واقعي ، بل لأنه عكس انكسار النظام والمنطق والهوية في عالم مدمر .

4–فانتازيا المكان : يعد المكان من العناصر المهمة في تأسيس عناصر السرد ، " فالروائي يستطيع من خلال عنصر المكان أن يحرك ويفعل طاقة الشخصيات وينظم سلسلة الزمن " (علي هادي حسن / 2024: 93) ، فهو الفضاء الذي تجري به الاحداث وتتحرك بها الشخوص ، ويمشي به الزمن ، ويؤسس المكان في القصة بنفس الدقة والعناية التي تؤسس بها عناصر القصة الاخرى ، ويؤثر بها ويقوي من نفوذها ، كما يعبر عن مقاصد المؤلف ، والتغيير في امكنة القصة سيؤدي الى تحولات واسعة في وحاسمة في الحبكة ، وبالتالي في تركيب السرد والمعنى الدرامي الذي يتخذه [حسن بحراوي / : 32] ، والمكان الفانتازي هو

الذي يتحرر من قوانين الواقع وتكون له قواعده وطبيعته الخاصة ، وهو يجمع في الوقت ذاته بين الواقع والخيال .

ونجد ذلك في قصة [حامل الحقيبة] فانتازيا مضادة للواقع ، إذ يصور المكان اغتراب المتكلم عن المجتمع ، وفقدان الروح الجماعية ، بالمتكلم لا يجد نفسه في مكانه ، بل يبحث عن وطن يحمل مشاعر حقيقية حتى لو كانت مأساوية " انا يا سيدتي ، لا أطيق بلادكم ، لأنها ارض صامتة لا موت فيها . منذ عشرين عاماً مدة اقامتي هنا لم أر جثة ملقاة على الطريق ولا رأساً معلقاً على شجرة ، ولا حتى يداً مقطوعة مزبلة ، أنا ايتها السيدة الباردة ، أبحث عن وطن ، يقتلني بها اخي ، ثم يمزق جسدي ويلوك احشائي مثل قطة جائعة ، ابحث عن وطن يقوده عاهرون يرتدون جلباب الدين والقداسة " [أزهر جرجيس: 2017 : 51] ، يبنى المكان الفانتازي في القصة على تناقض داخلي ، فالمكان هنا ليس فانتازياً لأنه غير موجود فحسب ، بل لأنه متناقض يبدو مثالياً وبلا موت ، لكنه يحمل الموت النفسي والمعنوي ، بلا جريمة لكنه مبني على البرود والصمت عن الجرائم ، انه مكان يشبه اليوتوبيا ، لكنه جحيم في البنية العميقة ، يبني الكاتب من خلاله عالماً يبدو فيه كل شيء مقلوباً ، وهو يريد بذلك فضح الازدواجية الاجتماعية والسياسية والدينية .

ثالثاً : الابعاد الفانتازية في البنية السردية.

1-الابعاد الثقافية : تعد الثقافة من المرتكزات المهمة التي ينطلق منها المبدع ، ولها دورها البارز في إنتاج النصوص الابداعية ، وهذا ما رأيناه لدى الكاتب في سرد الفانتازي ، فهو يؤسس رؤيته من منظور الثقافة الحضارية التي يعود إليها ، ما نجده في قصة (حساء كلكامش) ، فهو يوظف الموروث الثقافي لقصة كلكامش في الحضارة السومرية ، ليثبت هوية العراق العريقة ، وجذوره التي تمتد الى قديم الزمان ، وهذه الأرت العميق كفيل بأن ينمي لدى الساسة وولاة الأمر المبادئ التي يحافظ على البلد ، فكان حساء كلكامش بكل مكوناته رمزاً لتلك الشجاعة والوطنية والثبات التي تولد بداخل المرء عندما يفكر بعظمة هذه الحضارة ومدى قوتها وأصالتها " هذا الحساء يا بني من اختراع جلجامش العظيم ، كان قد صنعه بنفسه ، ودعا اليه صديقه انكيدو قبل أن يبدأ رحلتهما نحو غابات الأرز ، ويقتلا حارس الغابة خومبايا المخيف ، يتكون من كلى اسد بربري صنديد مهروسة في زيت تمساح افريقي عازب ، ومخفوقان بدم جاموس

بري ، مع رشة بابونج وملح ، .....حساء كلكامش هو ما سيعيد لك كرامتك يا غبي ، ..... داوم عبد السلام على تناول ذلك الحساء العظيم لسنة كاملة ، ..... وكان عليه أن ينجح والا سيكتب على جبينه مدى الحياة غير ثابت على المبدأ " [ازهر جرجيس: 2017 : 77،78]

2–الابعاد الاجتماعية : فضلاً عن التوظيف الثقافي نجد لدى الكاتب قصص كانت باعثها مجموعة من القضايا الاجتماعية التي تخص غربته في هولندا ، فضلاً عن النظرة الاجتماعية لمعايير الجمال المحددة بنسق معين ، و التي تكاد تكون شائعة في معظم بلاد العالم ، ففي قصة [فوق أريكة عرجاء] تتحدث القصة عن قضية التنمر للوزن الزائد، والتي لا تميز امامها طفلاً عن كبير ، حتى وكأن المجتمع قد ترك كل شيء وركز على هذه النقطة ، وهذا ما يرمز اليه تخصيص الحكومة شرطة لمكافحة البدن من الاطفال ، وكأن الدولة لا يوجد فيها أي مشكلة غير مشكلة البدانة " في يوم ما اكتشفت بأن لي قدرة على الطيران لي يكن لي جناحان حينذاك ، لكني كنت قادراً على التحليق في الهواء ، لقد أمسك قبل الظهيرة شرطي مكلف بتأديب الصبيان البدن على قارعة الطيق ، كنت بديناً وكانت شرطة مكافحة السمنة تنتشر افرادها في الطرقات مثل الجراد " [أزهر جرجيس: 2017 : 29] .

وفي قصة (بشارة غراب) نجد أزمة الهوية الاجتماعية المرفوضة بارزة كمشكلة اجتماعية كثيراً ما يتعرض ال اليها المغترب العربي في دول الغرب ، فالشاب التي يهاجر الى هولندا يتعرض الى اختطاف من قبل نسوة تريد أن تُخضعه الى عملية جراحية تجميل لتقليص أنفه الذي يتنفس الكثير من الاوكسجين وينقصه عندهم " لقد وصلنا اخبار من جارتك العجوز السيدة سولفاي هونسن بأن أنفك يستهلك خمس وستون بالمائة من الاوكسجين المتاح في الجو ، لذا قررنا أن نجري له عملية تصغير ، من أجل الحفاظ على البيئة" [ازهر جرجيس:2017 : 66]، وكما هو معروف أن الانف لها دلالة رمزية لدى العرب تدل على الفخر والشرف والكرامة ، ومنه مأخوذ مصطلح الأنفة التي تطلق على كل من يمدح نفسه ويفخر بذاته ، والكاتب عبر القصة يريد تمرير نسق فقدان الهوية التي يتعرض اليها المغترب قسراً عبر منظمات ممنهجة تحاول وأد الهوية العربية وطمسها عبر إدماجها في المجتمع الأوربي بطريقة مكثفة تصل بهم الى اعتناق هوية ليست لهم .

2–الابعاد السياسية : استطاعت السياسة في السرد العراقي المعاصر أن تؤسس الكثير من النصوص الأدبية الابداعية ، وكان الأدب وسيلة للتعبير عن الواقع السياسي الذي عانى منه العراق وسكانه ، والكاتب

يؤسس الكثير من سرده الفانتازي ليخدم البعد السياسي تارة في سياسة بلاد المهجر وتارة في سياسية بلاده ، ففي قصة (حانة المشرق) يتكلم الكاتب عن اشكالية التطرف التي عمت البلاد في نهاية العقد الاول من الألفية الأولى ، وكيف عمت سياسية التكفير وإباحة قتل شارب الخمر ، أو من يرتاد الحانات " بينما راح الملثمون يمشطون الاجساد المرمية على الارض ، ويجهزون عليها وهم يكبرون الله اكبر .. الله اكبر .... كنت بلا ظل ، اراقب الكلب وهو يجر الجثة من تحت اللافتة .. لقد تمكن اخيرا من اخراجها كانت الجثة لشاب ثلاثيني ، يرتدي معطفاً رمادياً طويلاً " [أزهر جرجيس: 2017 : 14]، وفي النص نجد فانتازيا رمزية مدمجة بعبق عقائدي يدل على عدم وجود أي اساس ديني لسياسة التطرف التي أدوت بالكثير من النفوس باسم الدين ، فالرجل الذي هو دون ظل يتنقل ويتحدث هو دلالة على الشخص الحي رغم مماته ، وهو في العقيدة الاسلامية إنما هو الشهيد ، وكأن الكاتب يحاول أن

يثبت خطأ عقيدة المتطرف عبر معاكسة الفكرة وبيان أن الذين كُفروا وقُتلوا جراء تلك التهمة ، إنما هم المؤمنون الشهداء .

الخاتمة :

نستنتج من خلال هذه الدراسة جملة من النقاط، أبرزها على النحو الآتي :

1- تتميز الفانتازيا عن الغريب والعجيب في أنها لحظة التردد التي يقف بها القارئ قبل أن يقرر هل النص أمامه من الغريب غير المألوف المفسر ، أم العجيب الخارج عن التفسير .
2- الغريب هو كل ما هو غير مألوف لكنك إن تمعنت به وجدته له قوانين منطقية .
3- العجيب هو كل ماهو خارج عن المألوف لا تحكمه القوانين الطبيعية.
4- اشتغلت الفانتازيا في سرد قصص صانع الحلوى بطريقة رمزية بحته عبرت عن وجهة نظر الكاتب الاجتماعية والثقافية والسياسية .
5- حملت الفانتازيا في صانع الحلوى الأبعاد السياسية الاجتماعية الخاصة في دول المهجر اولاً ، ثم دولة الكاتب من ناحية الحروب ، و استغلال الدول المستفادة منها لطالبي الهجرة ، فضلاً طريقة تكييفهم في تلك البلدان بطريقة تهدف الى محو الهوية العربية منهم .

المصادر والمراجع :

1- امل بنت محمد العتيبي : 2023 : العجائبي في السرد الشعري الحديث : دار كنوز المعرفة ، الاردن –عمان / ط1 .
2- أزهر جرجيس : 2017 : صانع الحلوى : منشورات المتوسط ، ط1 .
3- ابن منظور : 1998: لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، ط1 ، مادة عجب.
4- تي –اي –ابتر : 1986: ادب الفانتازيا مدخل الى الحقيقة ، تر صبار سعدون ، دار مأمون ، ط1 .
5- تودوروف : 1993م : مدخل الى الادب العجائبي : تر الصديق بوعلام ، الرباط – المغرب، ط1 .
6- حسين علام : 2009 : العجائبي في الادب من منظور شعرية السرد، الدار العربية ناشرون ، ط1 .
7- حسن بحراوي :1990 : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ن ط1
8- سعيد علوش : 1984م : معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني –بيروت ، ط1 .
9- سناء شعلان : د.ت : لسرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الاردن ، نادي الجيرة الثقافي والاجتماع.
10-سمير بن جامع : 2010: العجائبي في المخيال السردي في الف ليلة وليلة ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج خضر ،كلية الاداب والعلوم الانسانية قسم اللغة العربية .
11- شعيب حليفي : 2007 م : شعرية الرواية الفانتاستيكية شع ، دار الحرف للنشر – المغرب ، ط1 .
12-شعيب حليفي : 1997 : بنية العجائبي في الرواية العربية ، مجلة فصول ، يوليو ، عدد3 .
13-عبد العالي بو طيب : 1993: اشكالية الزمن في النص السردي ، مجلة فصول ، ابريل ، عدد 2.
14-عبد الرحمن محمد محمود : 2023 : المعنى السردي ، رواية الواقع برمزية الواقع الروائي رواية (خرائط النسيان) انموذجاً ، مجلة جامعة كركوك /للدراسات الانسانية : مج 18 : ع 2 .
15-علي هادي حسن حسين : 2024 : تقانة الكولاج السردي في رواية مقامات اسماعيل الذبيح ل (عبد الخالق الركابي) : مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية : مج 19 : ع 2 : ج 2 :كانون الاول.
16-هبة حمدان : 2024 م : ادب الفانتازيا ، دار التكوين للتأليف والترجمة ، ط1 .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The integration of knowledge between morphology and the science of Tajweed; selected examples

D.Fadila Deguenati
Scientific and Technical Research Center for the Development of the Arabic Language, Ouargla Unit, Algeria
deguenatifadila@gmail.com

Abstract:

The Holy Quran was revealed in the Arabic language, and its recitation varied according to the Arabic dialects that were prevalent at that time. Thus, different readings emerged, all of which share one constant origin, which is the word of God. When a student of the narration seeks to understand some topics, he finds himself obligated to understand some morphological (and phonetic) issues. Therefore, we pose the following question: How can the science of morphology be used in understanding and teaching the topics of Tajweed?

Where does the integration of knowledge between morphology and the science of Tajweed manifest itself?

We will select a group of Tajweed issues and examine their relationship to morphology, employing both descriptive and analytical methods to arrive at scientific conclusions.

Keywords: Morphology, Tajweed, Recitation, Opening, Imala

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التكامل المعرفي بين علم الصرف وعلم التجويد؛ نماذج مختارة

د.فضيلة دقناتي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وحدة ورقلة، الجزائر
deguenatifadila@gmail.com

ملخص:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، صرفا (وأصواتا) وتراكيبا ودلالة، وتنوّع أداء بتنوع اللهجات العربية التي كانت منتشرة حين ذاك، وبهذا ظهرت القراءات المختلفة التي تشترك كلها في أصل واحد ثابت هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، ولكل قراءة رواة نقلوها إلى من جاء بعدهم مشافهة بسند متصل إلى رسول الله عن جبريل عن رب العزة جلّ وعلا.

وتتميّز كل رواية بأصول خاصة بها وتشترك الروايات جميعها في أحكام عامة، وعندما يسعى متعلم الرواية أن يفهم بعض المباحث يجده ملزما بفهم بعض القضايا الصرفية (والصوتية)، وعليه نطرح الإشكال الآتي:

أين يظهر التكامل المعرفي بين علم الصرف وعلم التجويد؟

سنقوم باختيار مجموعة من المسائل التجويدية ونرى علاقتها بعلم الصرف، متبعين في ذلك المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي وذلك للوصول إلى نتائج علمية

الكلمات المفتاحية: الصرف، التجويد، القراءة، االفتح، الإمالة

مقدمة:

وضعت علوم اللغة العربية جميعها خدمة للقرآن الكريم، فبعد أن اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية ودخلت الشعوب المختلفة للإسلام بفضل الله تعالى، كان من الضروري وضع قواعد للغة العربية تساعد الناطقين بغيرها من المسلمين تعلّمها وتصون ألسنتهم من اللحن في قراءة القرآن، فظهرت دراسات متفردة شملت كل مستويات اللغة؛ أصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها، فكان هذا الإرث العلمي والثقافي مما يعتز به كل مسلم.

إضافة إلى هذه الدراسات اللغوية ظهرت علوم مرتبطة بالقرآن الكريم، تفسيره ونظمه وتجويده... وبما أن القرآن نزل بلغة العرب فإن علومه تتداخل وعلوم العربية ويتكامل كل منهما مع الآخر (علوم القرآن وعلوم اللغة)، ومع أن علم التجويد تأخر ظهوره كعلم مستقل، إلا أنه عمليا نشأ مع نزول القرآن، ونظريا كانت مسائله مبثوثة في كتب مختلفة.

إشكالية الدراسة:

انتشرت اليوم المدارس القرآنية التي تعلم أحكام التجويد حضوريا أو عن بعد (انتشرت الكثير من الأكاديميات التي تعلم القرآن عن بعد)، وتسعى هذه المدارس إلى تعليم أحكام التجويد وفق منهجية علمية، فيقف المتعلمون (باختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم) على مجموعة من المفاهيم التي تحتاج إلى معارف لغوية، صرفية وصوتية... ومن خلال هذا الطرح وقفنا على الإشكال الآتي:

إلى أي مدى يمكن استثمار علم الصرف في فهم المباحث التجويدية؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان أثر علم الصرف في فهم بعض مباحث علم التجويد من خلال تقديم بعض العينات وذلك من أجل إبراز التكامل بين علم الصرف وعلم التجويد.

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على تتبع بعض المباحث التجويدية وعليه فإننا سنعتمد المنهج الوصفي لوصف المادة، كما سنعتمد المنهج التحليلي لمعرفة علاقة علم الصرف بهذه المباحث.

أولا: مفاهيم تأسيسية:

1 علم الصرف:

الصرف أو التصريف مأخوذة من الجذر (ص ر ف)؛ جاء في المعجم الوسيط: "صرّف الأمرَ: دبّره ووجّهه. ويقال: صرّف الله الرياح... وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾ (الإسراء من الآية 89). وصرّف الألفاظ: اشتق بعضها من بعض. .." (القاهرة، 2004، صفحة مادة ص ر ف) ، فالصّرف أو التصريف، يحمل معنى التغيير، ومنه تصريف الرياح، أي تغييرها.

واصطلاحا هوّ علم بأصول يُعرف بها تحويل بها أحوال أبنية الكلم قبل تركيبها" (عطية، د ت، صفحة 3) أو هو: " بالمعنى العملي تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة، لا تحصل إلا بها، كاسميّ الفاعل والمفعول، واسم التفضيل والتثنية والجمع، إلى غير ذلك، وبالمعنى العلمي: علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء" (الحملاوي، 1999، صفحة 9) .

ومن خلال التعريفين السابقين "يطلق علم الصرف اصطلاحا على شيئين:

الأول: تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لأداء ضروب من المعاني كالتصغير والتكسير، والتثنية والجمع، وأخذ المشتقات من المصدر، وبناء الفعل للمجهول، وغير ذلك.

الثاني: تغيير الكلمة عن أصل وضعها لغرض آخر غير اختلاف المعاني، ويسمى هذا التغيير بالإعلال، وينحصر في ستة أشياء: الحذف والزيادة والإبدال والقلب والنقل والإدغام." (السيد، 1972، الصفحات 5-6)**تعريف القرآن:** القرآن هو "كلام الله تعالى المعجز المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر" (لاشين، 2002، صفحة 11) ، والنص القرآني هو نص عربي بحروفه وكلماته ومعانيه، يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف الآية 2)

تعريف التجويد:

التجويد في اللغة التحسين والإتقان؛ يقال جوّد الرّجلُ الشيءَ إذا أتى به جيّدا، والتجويد في الدراسات القرآنية هو طريقة مخصوصة في قراءة القرآن؛ تقوم على إعطاء الحرف حقّه ومستحقّه، فهو "حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها، ومراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره

وشكله، وإشباع لفظه وتلطيف النطق به، على حال صيغته وهيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف" (الجزري، 2008، صفحة 58).

وقد "عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحنا، واللحن: خلل يطرأ على الألفاظ، ومنه الجلي والخفي، فالجلي: هو الذي يخلّ باللفظ إخلالا ظاهرا يشترك في معرفة علماء القراءة وغيرهم، وذلك كالخطأ الإعرابي أو الصرفي، والخفي: هو الذي يخل باللفظ إخلالا يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء وضبطوه من ألفاظ الأداء" (القطان، دت، صفحة 178).

وقد ذهب البعض إلى أن التجويد من أساسيات قراءة القرآن؛ يقول ابن الجزري في منظومته الشهيرة:

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لازِمُ ... مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرآنَ آثِمُ

وورد في بعض الروايات "من لم يحسن" منها ما حققه أيمن سويد، وذلك لتجنب اصدار حكم الإثم على من ترك التجويد.

ويقسم العلماء علم التجويد على قسمين؛ قسم عمليّ تطبيقي، وهو الأداء الصحيح للقرآن، ويعدّونه فرض عين على كل من يقرأ القرآن، وقسم علمي نظري، يعنى بدراسة المسائل التجويدية والأحكام تنظيرا ويعدّونه فرض كفاية إذا قام به مجموعة من المسلمين سقط عن غيرهم.

ولقد "كانت هناك كلمات أخرى تستخدم في عصر النبيّ ﷺ وأصحابه في معنى كلمة (التجويد)، مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، وهي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية لصفات النطق العربي الفصيح، جامعة إلى ذلك حسن الصوت والعناية بالأداء" (الحمد، 2007، صفحة 16).

علم القراءات:

القراءة في اللغة مصدر من قرأ، جاء في المعجم الوسيط "قرأ الكتاب – قراءة، وقرآنا: تتبّع كلماته ونطق بها..." (القاهرة، 2004، صفحة مادة ق ر أ)

وفي اصطلاح علوم القرآن "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة. خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك" (الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، 2010، صفحة 39)، وتختلف القراءات عن الأحرف، فكل قراءة هي اختيار من الأحرف التي نزل بها القرآن.

التكامل بين علم الصرف وعلم التجويد:

يتلقى متعلّم التجويد العملي طريقة أداء الألفاظ القرآنية تلقينا دون الحاجة إلى معرفة نظرية فهو يأخذ الأداء دون حاجة إلى تحليل أو تفسير ويكون هذا مع فئة الأطفال أو كبار السن غالبا. أما من أراد تعلّم التجويد العلمي فإنه يحتاج إلى فهم الكثير من المسائل التي تصادفه؛ كما يحتاج إلى تفسير بعض الظواهر التي لا يمكن فهمها إلا من خلال معرفة بعلوم اللغة العربية ومنها علم الصرف.

وقد أدرك علماء التجويد قديما هذه العلاقة، فنجد الإمام الداني في نهاية كتابه "التحديد في الإتقان والتجويد" وبعد أن عرض مسائل العلم يقول: "وهذا كله وسائر ما ذكرناه قبلُ لا يُتمكن معرفته للقرّاء إلا بنصيب وافر من علم العربية، وذلك من آكد ما يلزمهم تعلمه والتفقه فيه، إذ به يُفهم الظاهر الجلي، ويُدرك الغامض الخفي، وبه يُعلم الخطأ من الصواب ويُميّز السقيم من الصحيح" (الداني، 2000، صفحة 176) .

ويقول المرعشي في الحديث عن موضوع علم التجويد "قيل موضوعه الكلمات القرآنية يعني حروفها، وفيه نظر، لأنه يُبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت، فلعله من علوم العربية، وداخل في التصريف" (المرعشي، 2001، صفحة 109).

وعليه فعلم التجويد وعلم الصرف يلتقيان في بعض المسائل وهذا راجع لأن مادة كل منهما هي كلمات اللغة العربية لكن لكل منهما هدفه الذي وضع من أجله.

ثانيا: نماذج تطبيقية:

باب الفتح والإمالة:

وهو باب مهم من أبواب التجويد فيتعيّن على قارئ القرآن أن يعرف مواضع الفتح ومواضع الإمالة، خاصة لمن أراد علم التجويد في شقه النظري (في رواية ورش مثلا هناك تفصيل كبير في هذا الباب)

تعريف الفتح:

يقصد بالفتح "فتح القارئ فمه بالحرف لا فتح الحرف لأن الحرف الذي هو الألف إذ الألف لا يقبل الحركة" (القاضي، 1999، صفحة 140).

ونقف هنا على أن الألف هي صائت طويل وهي كما يسميها البعض فتحة طويلة لأنها امتداد للفتحة، والألف تعد حرفا يختلف عن الهمزة مخرجا وصفة، ونلاحظ أنه شاع إطلاق مصطلح الألف على الهمزة عند تعليم الحروف العربية (ألف باء...)، فالألف لا تكون إلا حرف مد، لذلك قال: لا نقول فتح الألف لأن الألف لا تقبل الحركة فهي حرف مد حصرا.

فالفتح إذن أن نفتح الفم عند النطق بالفتحة أو الألف (يكون بتباعد عضوي النطق) "وينقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط. فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف. ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في لغة العرب، وإنما يوجد في لفظ عجم الفرس ولا سيما أهل خراسان..." (الجزري، النشر في القراءات العشر، دت، الصفحات 29-30).

والفتح يكون في اللغة العربية فتحا متوسط ليس من ناحية إمالة الفك ولكن من ناحية اعتدال فتح الفم فلا يكون بشدة كما في حرف a باللغة الفرنسية (الضابط فيه هو الأداء)

تعريف الإمالة:

الإمالة في اللغة من الفعل مالَ، جاء في لسان العرب: "المَيْلُ: العُدول إِلى الشَّيْءِ والإِقبالُ عَلَيْهِ" (منظور، دت، صفحة مادة: م ي ل) ، وذكر ابن يعيش تعريفا لغويا للإمالة نصه: "والإمالة لغة التعويج يقال أَمِلْت الرمح ونحوه إذا عوّجته عن استقامته" (القاضي، 1999، صفحة 140).

وفي اصطلاح علماء التجويد هي "أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض. ويقال له: الاضجاع، ويقال له البطح، وربما قيل له الكسر أيضا (وقليلا) وهو بين اللفظين ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين" (الجزري، النشر في القراءات العشر، دت، صفحة 30).

و"الفتح والإمالة فيما اختلفت القراءة فيه لغتان مشهورتان مستعملتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم، وأسد، وقيس، والفتح عند علمائنا الأصل، والإمالة فرع داخل عليه" (الداني، الفتح والإمالة، دت، صفحة 12).

وقد اختلف العلماء في كون الإمالة فرع عن الفتح أو هي أصل قائم بذاته، مع اتفاقهم أنها أداء صحيح نزل به القرآن، ويذكر الإمام الداني أدلة خمسة على أن الإمالة فرع؛ نذكر منها "أن الإمالة تجعل الحرف بين

حرفين، وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين، وإنما الأصل أن يخرج كل حرف من موضعه خالصا غير مختلط بغيره" (الداني، الفتح والإمالة، دت، صفحة 12)، فالألف الممالة هي حرف من الحروف الفرعية.

ففي علم الأصوات تنقسم حروف اللغة العربية إلى صوامت وصوائت؛ وتندرج ضمن الصوائت الحركات الثلاث (الصوائت القصيرة: الفتحة والضمة والكسرة)، وأحرف المد الثلاثة (الصوائت الطويلة: الألف والواو والياء)، أما الإمالة بنوعيها الكبرى والصغرى فهي صائت ناتج عن الأداء لذلك فقد تقيدت بشروط، والأصل أن الفتحة والألف تؤديا بفتح الفم فتحا صحيحا (نلاحظ أن التقليل حلّ مكان الفتح في الكثير من اللهجات العربية الحديثة).

وعلى متعلّم التجويد أن يدرك أن الأصل أن تؤدى الفتحات والألفات بفتح الفم فتحا صحيحا، لأن القرآن عربي وهذا هو الأصل في اللغة العربية، أما الإمالة بنوعيها فهي مرتبطة بمواضع تتحقق فيها الشروط حسب الرواية المتبعة.

أسباب الإمالة:

ذكر الإمام الداني أسباب الإمالة عموما بقوله: "اعلم أن الأسباب التي تجوز معها الإمالة سبعة: الكسرة، والياء، والانقلاب، والمشبه بالمنقلب من الياء، والإمالة للإمالة، والألف التي ينكسر ما قبلها أو ما بعدها، في بعض الأحوال، والألف المتطرفة في ما كان على أكثر من ثلاثة أحرف" (الداني، الفتح والإمالة، دت).

ومن المصطلحات الشائعة في هذا الباب مصطلح ذوات الياء التي تمال إمالة صغرى (لها علاقة بزمن مد البدل عند ورش)، فعلى متعلّم التجويد أن يعرف هذا المصطلح ويميّز الكلمات التي تدخل ضمن ذوات الياء لأن ضبط القراءة الصحيحة مرتبط بمعرفتها وتمييزها عن غيرها، ويندرج ضمن ذوات الياء ما يلي:

1-**كل ألف متطرفة منقلبة عن ياء**؛ وهذا التعريف الذي يضعه علماء التجويد، نقف فيه على ما يلي:

-**الألف متطرفة**: ويتعيّن على متعلم علم التجويد أن يكون على دراية بالميزان الصرفي فالتطرّف يعني أن تكون لاما للكلمة، وأحيانا نجد معلّم التجويد يذكر أن الألف لام للكلمة دون أن يفهم المتعلم ما يقصده لأنه لا يمتلك معرفة بالميزان الصرفي فإنه لا يستطيع التمييز بين الألف المتطرّفة في أصل الكلمة (مثل سعى)، وبين المتطرفة رسما (مثل: سعينا).

فالميزان الصرفي هو قالب وضعه العلماء حين رأوا أن جل كلمات اللغة العربية ثلاثي الأحرف "علماء الصرف أن أصول الكلمات ثلاثة أحرف، وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام، مصورة بصورة الموزون، فيقولون في قَمَر مثلا: فَعَل، بالتحريك، وفي حِمْل: فِعْل بكسر الفاء وسكون العين، وفي كَرُم: فَعُل بفتح الفاء وضم العين، وهلمّ جرّا، ويسمّون الحرف الأول فاء الكلمة، والثاني عين الكلمة، والثالث لام الكلمة" (الحملاوي، 1999، صفحة 11) ، فحين نقول أن الحرف لام للكلمة بمعنى أنه آخر حرف أصلي.

-**منقلبة عن ياء:** القلب مصطلح صرفي، يدخل في باب الإعلال "هو تغيير حرف العلة للتخفيف، بقلبه أو إسكانه، أو حذفه، فأنواعه ثلاثة: القلب والإسكان والحذف" (الحملاوي، 1999، صفحة 89) ، وتقلب الياء والواو في اللغة العربية ألفا بشروط، منها أن تكون متحركة مسبوقة بفتح، وألا يليهما ألف أو ياء مشددة حال كونهما لاما للكلمة.

-كيفية معرفة كون الألف منقلبة عن ياء: يحتاج متعلّم التجويد أن يعرف كيف يميّز بين الألف المنقلبة عن ياء والألف المنقلبة عن واو، ففي الكلمات: علا، وعصى، فتى، وعصا (من غير الاعتداد بالرسم) ألفات متطرفة، فكيف نعرف التي تقلل (ذات ياء)؛ يقول الإمام الشاطبي رحمه الله:

وتثنية الأسماء تكشفها وإن رددت إليك الفعل صادفت منهلا

-ففي الأسماء التثنية تبيّن أصل الألف، والتثنية تحويل الاسم المفرد إلى مثنى وهو "ما دلّ على اثنين مطلقا بزيادة ألف ونون أو ياء ونون كرجلان وامرأتان" (الحملاوي، 1999، صفحة 58) ، وبالرجوع إلى كتب الصرف نجد أن تثنية الاسم المقصور (ما كانت لامه ألفا) يكون برد الألف إلى أصلها: "وإذا كان مقصورا...تقلب ياء إذا كانت ثالثة مبدلة منها، كفتيان ورحيان في فتى ورحى فرارا من التقاء الساكنين لو بقيت وحذرا من التباس المفرد بالمثنى حال إضافته لياء المتكلم لو حذفت... وتقلب ألف المقصور واوا إذا كانت مبدلة منها كعصا وقفا، فنقول عصوان وقفوان" (الحملاوي، 1999، صفحة 60) .

-أما في الأفعال فيشير فإن تصريف الفعل مع ضمير المتكلم المفرد (أنا) يظهر أصل الألف (رددت إليك الفعل: أي صرّفته مع المتكلم المفرد)؛ فنقول في الفعل سعى سعيت، وفي الفعل سما سموت، فترد الألف إلى أصلها.

وهذا ما ذكره الصرفيون حين اشرطوا في القلب ألا تكون الألف الواقعة لاما متبوعة بياء مشددة (في الفعل إذا اقترن بأحد ضميري المتكلم) أو ألف (في الاسم المثنى)

2–**ما كانت شبيهة بها (أي شبيهة بالمنقلبة عن ياء)**: يطلق علماء التجويد هذا المصطلح على مجموعة من الصيغ الصرفية الدالة على المؤنث والتي تنتهي بألف، وشبهوها بالألفات المنقلبة عن ياء، يقول الإمام الداني: "وأما ما شبه بالمنقلب من الياء فنحو سكارى...مما آخره ألف تأنيث تمال هذه الألف وإن كان لا أصل لها لأنها تتصرف بالياء في التثنية والجمع... " (الداني، الفتح والإمالة، دت، صفحة 33).

ويقول الإمام ابن الجزري: "فإمالة ألف التأنيث في نحو (الحسنى) وألف الإلحاق في نحو أرطى؛ في قول من قال: مأرط لشبه ألفيهما بألف (الهدى) المنقلبة عن الياء ويمكن أن يقال بأن الألف تنقلب ياء في بعض الأحوال وذلك إذا ثنيت قلت: الحسنيان والأرطيان، ويكون الشبه أيضا بالمشبه بالمنقلب عن الياء كإمالتهم: موسى وعيسى فإنه ألحق بألف التأنيث المشبهة بألف الهدى" (الجزري، النشر في القراءات العشر، دت، صفحة 34).

وتعرّف أيضا بأنها "ألف زائدة رابعة فصاعدا دالة على مؤنث حقيقي أو مجازي، ولها خمسة أوزان هي (فعلى) بفتح الفاء وبضمها وبكسرها، و(فعالى) بفتح الفاء، وبضمها وهي تشبه الألف المنقلبة عن ياء لأنها ترد إليها في التثنية والجمع" (ضمرة، 2018، صفحة 41).

وهنا يكون متعلّم التجويد أمام مجموعة من المعارف الصرفية منها:

–الألف زائدة: فهناك أحرف أصلية من الكلمة وأخرى زائدة؛ فالأحرف الأصلية لا يمكن حذفها أو تغييرها ويظهر ذلك في الميزان الصرفي، فمن فوائده "معرفة الأصول والزوائد في الصيغ المختلفة" (السيد، 1972، صفحة 7).

–دالة على مؤنث: وهناك صيغ عدّة تدل المؤنث؛ منها ما كان آخره ألف مقصورة؛ وأوزانه كثيرة، ذكر منها علماء التجويد خمسة لاقتصار وجودها في القرآن الكريم.

3 ردّت إليها (الثلاثي المزيد): ويقصد به أن الألف كان أصلها واوا ثم ردت إلى الياء؛ وتكون في كل فعل ثلاثي منته بألف منقلبة عن واو ثم زيد فأبدلت الواو ياء، ومن ذلك:

تضعيف العين: فالفعل "زكا" أصل ألفه واوا؛ إذ لو صرفناه مع المتكلّم لقلنا: زكوت، أما الفعل "زكّى" (على وزن فعّل) فإن ألفه سترجع إلى الياء فنقول: زكّيت.

همزة التعدية: وهي همزة زائدة تدخل على الأفعال؛ فنقول في الفعل علا (فعل)، أعلى (أفعل)، فنقول في علا: علوت وفي أعلى: أعليت.

وزن افتعل: ومن ذلك الفعل اعتدى من الفعل عدا، فنقول اعتديت من اعتدى وعدوت من عدا، واصطفى من الفعل صفا (التاء تقلب طاء).

تحليل النتائج:

عرضنا باب الفتح والإمالة وهما ظاهرتان صوتيتان نابتحتان عن الأداء لأنه من الناحية النظرية لا يوجد في العربية غير الفتحة والألف المدية، والإمالة مصطلح مرتبط بالأداء القرآني خاصة ومع أنها كانت موجودة في بعض اللهجات العربية القديمة (الفصيحة) إلا أننا لا يمكن أن نأخذ بها في غير القرآن الكريم، ففي التعليم نعد الألف والفتحة تأديان بفتح الفم فتحا معتدلا دون مبالغة (الألف تختلف عن الصائت a الذي يؤدى في اللغة الفرنسية بفتح كبير، وفي اللغة الإنجليزية بإمالة).

قد نتصور أن باب الفتح والإمالة لا يندرج ضمن المسائل الصرفية، لكن الباب يحتوي على الكثير من المفاهيم التي يحتاجها متعلم التجويد والتي لها علاقة مباشرة بعلم الصرف.

فلمعرفة الفتح والإمالة والكثير من الأحكام المتعلقة بهما يحتاج متعلّم التجويد إلى فهم بعض المسائل الصرفية، وأبرز هذه المسائل:

-الميزان الصرفي: الذي يمكن من خلاله معرفة ترتيب حروف الكلمة وتمييز الأصلي منها عن الزائد، وما حصل فيها من تغييرات.

-تمييز الأسماء من الأفعال، ومعرفة خصائص كل منها.

-الصيغ الصرفية المختلفة: صيغ المؤنث، وصيغة المثنى...

-ظاهرة الإعلال والإبدال الصوتي (متى تقلب الواو والياء ألفا ومتى ترد إلى أصلها)

وما قدمناه في باب الفتح والإمالة يجري على كثير من أبواب التجويد، كباب الهمزات وميم الجمع والإدغام وغيرها

خاتمة:

بعد أن تعرّفنا على أثر علم الصرف على عينة من أبواب علم التجويد متمثلة في باب الفتح والإمالة خلصنا إلى:

-هناك تكامل معرفي بين علم الصرف وعلم التجويد، فلعلم الصرف وقواعده أهمية كبرى في فهم مباحث علم التجويد وتعليمه، ولا يمكن لمتعلم التجويد (النظري) أن يفهم الكثير من المباحث بدون أن تكون لديه خلفية عن علم الصرف.

-كلا من علم الصرف وعلم التجويد وضعا من أجل خدمة القرآن الكريم وصون الألسن من اللحن؛ ويختلفان في الموضوعات التي يعرضها كل منهما.

-الفتح والإمالة ظاهرتان صوتيتان ناتجتان عن الأداء، والكثير من الظواهر الصوتية الموجودة في العاميات العربية اليوم لها أصل في اللهجات العربية القديمة، وقد جاء بعض منها في قراءات القرآن.

-يمكن استثمار دراسة أحكام في تعليم اللغة العربية في المدارس وللناطقين بغير العربية، فهي دراسة ثرية تجمع بين الأداء وبين توظيف المعارف اللغوية المختلفة.

قائمة المراجع:

1- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999

2- أمين علي سيد، في علم الصرف، دار المعارف، ط2، 1972.

3-توفيق إبراهيم ضمرة، الثمر اليانع في قراءة ورش عن نافع، المكتبة الوطنية، عمان، ط2، 2008.

4- جرجي شاهين عطية، سلم الوصول في الصرف والنحو والبيان، دار الريحاني، بيروت، ط4.

5- ابن الجزري: الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي(ت833ه)، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، دار الكتب العلمية، امصر، 2008.

6- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ، تح: ناصر محمدي محمد جاد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2010.

7-ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت،

8- الداني: أبو عمر عثمان ابن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط1، 2000،

9- عبد الفتاح عبد الغني القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادي، جدة،ط5، 1999
10- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2007
11- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، ط4، 2004.
12- محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط2، 2001
13- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، ط7
14-ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي كبير وآخرين دار المعارف، القاهرة،
15- موسى شاهين لاشين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، دار الشروق، ط1، 2002م

The manifestations of identity and culture in the text of the resistance - a poem of the state of siege of Mahmoud Darwish as a model –

Ben Yahia Sadia [1]
Ziane Achour University of Djelfa
sadiabenyahia@gmail.com

Abstract:

The political poem is no longer a place where emotions are broadcast, but a semiotic space in which concepts are reformulated, especially those related to the voice of society. The concepts of culture and identity are among the most important, as they are a semantic structure in which the components of the text intersect, which turned them into tools to produce meaning, which necessitated the need to explore to know their role and impact in the text.

- How did identity and cultural dimensions manifest in Mahmoud Darwish's siege poem?

The study aimed to show how culture and identity are formed in the text of resistance within a semiotic structure through effective semantic mechanisms "place, time, symbol, heritage and dissonance". The study also used the semiotic method, as well as the analytical descriptive method to clarify the significance of the proposition in the text. Based on the following analytical tools: marking as a tool for analysis by deconstructing the semantic, extrapolating cultural and symbolic codes as productive modes of meaning, employing deconstructing antibody binaries and analyzing semitic space in order to reach the deep structure of the text and its semantic purposes.

One of the most important results is that space and time in this text emerge from the rigid physical framework into a voice that reflects collective identity through the idea of belonging.

The scientific value it provided in the study is embodied in the fact that it provided a critical reading of the revolutionary text and highlighted the essence of its presentation by describing the text as a semiotic format that illustrates how culture and identity are produced

Keywords: identity, culture, place, sign, time

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

تجليات الهوية والثقافة في نص المقاومة – قصيدة حالة حصار لمحمود درويش نموذجا–

بن يحي سعدية
جامعة زيان عاشور بالجلفة
sadiabenyahia@gmail.com

ملخص:

لم تعد القصيدة السياسية مكانا لبث المشاعر، بل فضاء سيميائيا تُعاد فيه صياغة المفاهيم لاسيما المتعلقة بصوت المجتمع، ويعدُّ مفهومي الثقافة والهوية من أهمها فهما يشكلان بنية دلالية تتقاطع فيها مكونات النص، ما حولها إلى أدواتٍ لإنتاج المعنى، وهو ما استوجب ضرورة التنقيب لمعرفة دورها وأثرهما في النص. هذا ما جعلنا نقترب من قصيدة محمود درويش ونطرح الإشكالية الآتية:

- كيف تجلت الهوية والأبعاد الثقافية في قصيدة حالة حصار لمحمود درويش؟

هدفت الدراسة إلى بيان كيفية تشكّل الثقافة والهوية في نص المقاومة، ضمن بنيةٍ سيميائية تتشكل عبر آليات دلالية فاعلة "المكان، الزمن، الرمز، التراث والتناص". كما استعانت الدراسة بالمنهج السيميائي، فضلا عن المنهج الوصفي التحليلي لاستجلاء دلالة الطرح في النص. مستندة على الأدوات التحليلية الآتية: العلامة بوصفها أداة للتحليل من خلال تفكيكها لدال ومدلول، استقراء الشفرات الثقافية والرمزية بوصفها أنساق منتجة للمعنى، توظيف تفكيك الثنائيات الضدية وتحليل الفضاء السيميائي بغية الوصول إلى البنية العميقة للنص ومقاصده الدلالية.

إن من أهم النتائج المتوصل إليها ،خروج كلّ من المكان والزمن في هذا النص من الإطار المادي الجامد، إلى صوت يعكس الهوية الجماعيّة من خلال فكرة الانتماء.

إن القيمة العلمية التي قدمتها في الدراسة تتجسد في كونها قدمت قراءة نقدية للنص الثوري وابراز جوهر طرحه بوصف النص نسقًا سيميائيًا يوضح كيف تُنتج الثقافة والهوية.

الكلمات المفتاحية: الهوية ، الثقافة ، المكان العلامة ،الزمن.

مقدمة:

إنّ النص الشعري صوت ناطق يتردد صداه كلّما تعددت قراءاته ،وهو ما سمح لحدوده بالانفتاح على تأويلات عميقة ، فإذا كانت النصوص الشعرية ذات المواضيع الاجتماعية والتعليمية تهدف للتوجيه والدعم والمؤازرة ،فإنّ النصوص السياسية التحررية تخطت هذا الحد لتصبح هي القضية، وما مفرداتها سوى مختصر للأصوات المكمومة خوفا وضعفا ووجعا، لذا حمل النص أصواتهم وآمالهم بيوتهم وأرضهم وحتى نبضهم، ليتحول نص القصيدة إلى قضية تتخذ من الشعر رسالة تضم ذات الشاعر رفقة المنتظرين الواقفين على عتبات المفردات ،والحاملين لثقل المعاني بكل ما تحمل من ثقافية وهوية فيتحول النص بذلك إلى وجه للمقاومة من جهة ومرآة للإبداع من جهة ثانية.

ويعد نص حالة حصار لمحمود درويش من النصوص الشعرية التي جسدت هذا الطرح وراحت تغرس في مكونات النص تفاصيل المقاومة الحقّة، القائمة تفاصيلها على رمزية الطرح وفنية التصوير. بناء على ذلك نطرح الاشكالية الآتية

- **كيف تجلت الهوية والثقافة في نص المقاومة حالة حصار لمحمود درويش؟ وما هو الدور الذي لعبه كل من المكان والزمن لإبراز الهوية والثقافة على حد السواء؟**

للإجابة على هذه الإشكالية تمت الاستعانة بالمنهج السميائي، فضلا عن المنهج الوصفي التحليل لاستجلاء دلالة الطرح في النص.

إنّ الهدف الأساسي من وراء هاته الدراسة جاء على خلفية تبيان كيفية تشكّل الثقافة والهوية في نص المقاومة ضمن بنيةٍ سيميائية عبر آليات دلالية فاعلة ".المكان، الزمن ، الرمز، الثراث والتناص ".

وللإجابة على الإشكالية السابقة وتحقيق هدف الدراسة قسمت الورقة البحثية إلى قسمين، الجانب النظري والذي سطر تحت عنوان الثقافة والهوية وتناولنا فيه، الثقافة لغة واصطلاحا، كما تطرقنا إلى مكوناتها ومظاهرها. تناولنا أيضا مفهوم الهويّة لغة واصطلاحا، أمّا الجانب التطبيقي فتطرق إلى تجليات الهوية والثقافة في نص المقاومة قصيدة حالة حصار لمحمود درويش.

أولا: الجانب النظري

1 مفهوم الثقافة:

1-1 الثقافة لغة: جاء في مادة ثغا ثقل " ثقف: ثَقِفَ ثقُف ثَقْفًا وثقافة صار حاذقا خفيفا فهو ثَقْفٌ، ثَقْفاً وثقافة وثقوفة، الكلام حذفه وفهمه بسرعة.

ثقفا: غلبه في الحذق بالرمح طعنه، الثقافة التمكن من العلوم والفنون والآداب .والمثقف :الرمح في عرف الشعراء الرجل ذو الثقافة " (معلوف، 1998، صفحة 71) امّا لسان العرب فيعرفها على النحو الآتي" ثُقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم " (ابن منظور، 1994، صفحة 19) أما فريد وجدي فيري "ثقف يثقف ثقافة :فطن وحذق وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه، و الثقيف الحاذق الفطن" (بن نبي، 2013، صفحة 25) والمتأمل لهذا التعريف سيدرك أن المعنى اللّغوي مستقى من الجانب الاجتماعي وعليه "فالمفردة هنا نتاج تواضعي في حين أن الأصل المعجمي للمفردة culture مأخوذ من الأصل الألماني kulture وتعني فلاحة الأرض وإخصابها " خفيفا (أحمد رشوان، 2006، صفحة 05).

1-2 اصطلاحا: للثقافة تعاريف عديدة بناء على الحقل الذي يتناولها من أهم التعريفات ندرج مايلي :

Taylor " يرى أن الثقافة أو الحضارة الموضوعة في معناها الإنثولوجي الأكثر اتباعا أنّها الكل المركب الذي يشمل المعرفة و المعتقدات والفن و الأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضو في المجتمع" (كوش، 2007، صفحة 30) أما فرانز بو فيرى "أن الاختلاف الأساسي بين المجموعات البشرية ذو طبيعة ثقافية لا عرقية" (كوش، 2007، صفحة 30) .

وعليه فالثقافة إرث خصب يؤمن بالتوالد و الإضافة،كما يقبل التقويم و التصحيح لكونها شيء مكتسب وبناء على ذلك " فخصوصية الثقافة تستمد من واقع معاش يتطور بواسطة التعلم والتواصل والانفتاح وفق ما تسمح به مكوناتها بغية الوصول إلى النموذج الثقافي" (صالح، 2013، صفحة 22). ما يمكن أن

نلاحظه أن فهوم "الثقافة" لم يغير جوهره من العصور القديمة إلى الوقت الحاضر، على الرغم من تفسيراته المتعددة. في العصر الحالي. (Kungirov, 2023, p. 39)

وبناء على ما سبق نستنتج أن للثقافة مكونات عدة نوجزها فيما يلي: العادات و التقاليد، الرمز، الأسطورة، القيم على اختلافها دينية اجتماعية، جمالية اقتصادية وحتى سياسية، التراث، العادات، والمعتقدات أمّا مظاهر الثقافة فتعددت وهذا التعدد لا يعني التماثل فلكل مجتمع خصوصيته الثقافية وهو ما يصنع المفارقة والتمايز بين كل مجتمع وآخر ويمكن أن نعدد مظاهرها على النحو الآتي "المظاهر المادية، المعنوية، الاجتماعية، الرمزية ،النفسية.

2 مفهوم الهوية:

2-1 **الهوية لغة:** يعتبر الوقوف عند المعنى المعجمي من أهم النقاط التي تساهم في إبراز المصطلح، وتبيان معالمه فلفظة "هوية" مشتق من الضمير الغائب "هو" الذي تحوّل إلى اسم "هوية" وتُرادف كلمة هوية في اللّغة العربية عدة ألفاظ نذكر منها: الذاتية ليس بمعنى تدخل الذات في الموضوع ، مقابل الموضوعية بل تعني العناصر والمكونات الثابتة التي تحدد وجود الشيء، بهذه العناصر يوجد الشيء ومن غيرها ينعدم ويزول.

ويعرفها لسان العرب مادة "هـ/و/ي/" هوّة وهوّى والهوة، البئر وقيل الهوّة الحفرة البعيدة القعر" (ابن منظور، 1994، صفحة 174) ، إذ كان التعريف اللّغوي قد عرف ضبطا في لفظه ،فإنّ التعريف الاصطلاحي اختلف وتنوع بناء على الدراسة التي تتناوله أو الناقد الذي يوظفه ،خصوصا وأنّ مفهوم الهويّة متأصل في التاريخ الانساني.

1-2 **مفهوم الهوية اصطلاحا:** إنّ ظهور مصطلح الهويّة، كان مع المنطق الأرسطي وتم توظيفه منذ تلك اللّحظة في السياقات العلميّة المنطقيّة والرياضيّة بصفة خاصة.

والهوية ليست الثقافة فالهويات من إجابات الأفراد على سؤال: إلى أين أنتمي؟ وهي مبنية على صور نمطية ومشاعر متبادلة، لا على قيم. قد تتشارك الشعوب التي تتقاتل فيما بينها على أساس هوياتها "الظاهرية" المختلفة (نفس القيم) (Spencer-Oatey , 2012, p. 21). يعرفها رشاد عبد الله الشامي بأنّها

"الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها المكونة لها على مدار تاريخ الجماعة وتراثها الإبداعي وطابع حياتها، وعليه فإنّ الملامح الحقيقية للهويّة هي تلك التي تنتقل بالوراثة داخل الجماعة، وتظل محتفظة بوجودها وحيويتها مثل الأساطير والقيم والتراث الثقاف (فرغلي، 2015) "، وهذا ما يمنح للمفردة دلالة ترتبط بالكيان الوجداني للفرد و المجتمع ،كما تعكس جهودا من المقاومة الذاتيّة والجماعيّة لحماية المجتمع من التغيرات التي يعيشها . وهو ما كان دافعا للقلم الابداعي في أن يلعب دورا مهما في ترسيخها، خصوصا بعد التغيرات الفكريّة والفلسفيّة محاولا الدفاع عن هويّة مجتمعه وذلك بتنبيه القارئ ولفت انتباهه كي لا ينجرف أمام التيارات الدخيلة على أمته.

ثانيا: الجانب التطبيقي

1 تجليات الهوية والثقافة من خلال المكان:

لعب المكان دورا تراجيديا في هذا النص فراح يصنع بطولاته ساخرا من قسوة الحدث متفردا بدلالته التي أخرجته من ماديته الجامدة، إلى حركية جامحة ليصنع ثورته في قلوب شخصياته رغم قيدهم ووجعهم ، المكان في قصيدة محمود درويش تحول إلى صوت وهوية يدافع عن أهله، مجبرا المستعمر على احترام ثقافته، وهو ما أكدته السنون أنّ فلسطين عربية ، فلا مكان لليهودي الاسرائيلي فيها وإن عاث فيها فسادا، وقد تكرر صدى هذا المعنى في النص فإذا بالمكان يتحول إلى سلطة تتشكل ضمنه كل مكونات النص، من أزمنة وشخصيات حتى أنّ نتائج الأحداث أسفرت عن نتيجة واحدة متمثلة في أنّ المكان فلسطيني أيّا كان جسدا أو تراب .

فأمام الحصار يزداد الفلسطينيون تشبثا بأمكنتهم ينفصلون عن الزمن، ليتحول التشبث بالمكان إلى ارتباط بالهوية ولتعدد المقاطع التي تشير لنفس الطرح ارتأينا انتقاء مقطع واحد لكل وجه من وجوه تجليات الهوية والثقافة بدايتها كانت بتسليط الضوء على مكون المكان ومن ثمة استنتاج تجلي الهوية والثقافة يوظف الشاعر البيت لارتباطه الوثيق بالشخصيّة لكونه " عالم الإنسان الأول الذي يتيح له أن يحلم بهدوء" (باشلار،

صفحة 37) وفي هذا الطرح يقول محمود درويش (ARAB-NEWS/ALGERIA-NEWS , s.d.):

" أَيُّها الواقفون علي العَتَبات ادخُلُوا،

واشربوا معنا القهوةَ العربيَّةَ

قد تشعرون بأنكمُ بَشَرٌ مثلنا

أَيها الواقفون علي عتبات البيوت أُخرجوا من صباحاتنا" (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013)

يتخذ الشاعر من علامة العتبة سمة دالة بوصفها حدا فاصلا بين الفلسطيني والإسرائيلي، مما أسس بدوه ، ثنائية الداخل والخارج التي بدورها تعكس فكرة المع " الانتماء ، والضد لا انتماء ، فيتحول البيت بموجد ذلك إلى فضاء يحمي الهوية . كما يتحول فعل تحضر القهوة العربية كمؤشر رمزي يحمل قيمة الضيافة كموروث ثقافي، فتغدو علامة دالة تكشف هوية المجتمع الفلسطيني ككل. وقد كرر الكاتب ثنائية التضاد " أدخلوا، أخرجوا " هادفا بذلك لرسم صورة الرفض بمدلولها الأعمق فالخروج من الصباحات هو ذاته الخروج من تاريخهم، من مستقبلهم وهنا يكتسب المكان دلالة تعبيرية دالة. تفرق بين المدلول الوظيفي المتعلق بالضيافة كواجب، وبين مستعمر هادم يستوجب طرده. حفاظا على المكان هوية وأرضا.

لم تقف دلالة المكان عند حدوده المادية بل طالت الدلالة الرمزية عبر ثنائية المكان" العلوي والسفلي" اكإشارة للفلسطينيين المقاومين من جهة ،وإلى الشهداء بحكم قبورهم من جهة ثانية ،و هو مايؤكده المقطع الآتي

" لن نختلف على حصة الشهداء من الأرض،

ها هم سواسية

يفرشون لنا العشب

كي نأتلف!

نحب الحياة غداً

عندما يصل الغد سوف نحب الحياة

كما هي، عادية ماكرة" (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013)

من منظور سيميائي، الهوية والثقافة هنا ليست معطيات ثابتة، بل بنى دلالية متحركة تتشكل عبر علامات مكانية " المكان العلوي، والسفلي " وزمنية عبر الحياة والموت، ومع ذلك يبعثر الشاعر يقين المتلقي إذ يعتبر أنّ الأرض حق للاثنين بغض النظر عن حياتهم أو استشهادهم، وهو اعتراف جلي بأنّ الثقافة في جوهرها ماهي إلاّ إعادة إنتاج للعلاقات الإنسانية والاجتماعية، والهوية تتبلور عبر فعل التلاقي والاندماج ففي قوله " فيفرشون لنا العشب " احاء رمزي للحياة وتجددها، إذ يجمع الشهيد بالمناضل ليصبح دالا على صلة الانتماء والتماسك الاجتماعي كما أن مفردة "كي نأتلف" مؤشر على استمرارية الهويّة الجماعيّة عبر تجسيد الثقافة الحيّة بفضل التضحيات الماضية.

وظف الشاعر الأمكنة الإبداعية ليرسم تضارس جديدة لأمكنته، ليتحول الحصار إلى فكرة تطال الحرف والمشهد واللون من خلال القصيدة والمسرحيّة واللّوحة وهو ما يظهره المقطع الآتي:

" خسائرنا من شهيدين حتى ثمانية..(...) بالإضافة للخلل البنيوي الذي

سيصيب القصيدة والمسرحية وللوحة الناقصة

نخزن أحزاننا في الجرار، لئلا.. يراها الجنود فيحتفلوا بالحصار." (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013)

يعكس هذا المقطع صورة المثقف الناقد ممثلا في محمود درويش" فهو لا يرضى بكل ما يحدث له ولمجتمعه ويحاول أن يفكك المقولات و الثوابت ويعيد ترتيبها وفق رؤية واعية، فهو يتمتع بالعقل النقدي الذي يُعمله في النظر إلى الأشياء والقضايا " (صالح، 2013، صفحة 69). واختار لذلك توظيف أماكن إبداعية ممثلة في القصيدة، اللّوحة، والمسرحيّة لاشتمالهم على دلالات ثقافية واجتماعية ما جعلها شاهدة على وضع الفلسطيني الرافض لكل أنواع الحصار، مما يؤكد أنّ الأمكنة الابداعيّة ليست محايدة، بل تتأثر بواقعين نفسي

ممثلا في المبدع واجتماعي مقترنا بالمجتمع ،فإذا كان المكان الجغرافي يتكبد خسائرا ظاهرة فإنّ هذه الأمكنة الابداعية تُخزّن هذه الخسائر بل وتحمل كلّ التضحيات، لتتحول بموجب ذلك إلى أمكنة مضاعفة تحمل الهوية والثقافة على حد السواء، ما يصنع ذاكرة جماعية قوامها الصمود خصوصا بعدما طال الهدم الأمكنة الجغرافية فلا يمكنه أن يطال الأمكنة الابداعية و بالتالي تتحول الهوية والثقافة إلى صوت دائم يتكرر بقراءة هذه الأعمال .

منح الشاعر لأمكنة القصيدة أيقونات شمية وأخرى بصرية، مما حول الحصار إلى فضاء ساخر من قيده الذي انفك عبر رمزية المفردة وإيحاء المعنى، القائم أساسه على قوة الاصرار والعزيمة فيقول (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013):

"في الحصار، يصير المكان زماناً

تخلّف عن موعد.. المكان هو الرائحة

عندما أتذكر أرضاً..أشم دم الرائحة"

تحول المكان بفعل الحصار إلى بنية دلالية تعكس التجربة الجماعية المشتركة " الشاعر، وشعبه" حيث تصبح مساحات الحصار ليست إطارا ماديا فحسب، بل طرحا تتجلى صوره في زمن نفسي موجع يختبر الهوية الثقافية للشعب الفلسطيني. وتأثيث الشاعر لنصه بأيقونة شميّة عبر "لرائحة وأيقونة بصريّة ممثلة في "الدم" شكل بدوره ثنائية المكان والزمن المتجلية عناصرها في بداية في ماديّة المكان، إذ جمعت الأرض والجسد ،ثانيا في الزمن المتجلي ضمن الذاكرة الجماعية على اعتبار أن الذاكرة مكان مضاعف للأمكنة والأزمنة بذلك تتشكل الهوية عبر تفاعل المكان–الزمان–الحواس، بينما الثقافة تعمل كشبكة رمزية تبرز التجربة المباشرة للحصار عبر رموز مختلفة تؤكد تحول المكان إلى وسيط يجمع بين الفرد والمجتمع ليبرز دور التاريخ الفلسطيني الجامع بين الألم، الصمود، والانتماء الثقافي.

رغم الخسائر التي أنهكت كاهل الفلسطيني الحامل لوجع أمه قبل وجعه، صور الشاعر الأم في طرح ثقافي رامز يعكس هوية أمّ ترفض أن تستسلم رغم استشهاد زوجها وأبنائها، إذ تستبدل غسل ثيابهم بعد

استشهادهم، بغسيل راية العلم معلنة بذلك خوضها لمعركتها المختلفة، معركة ضد النيسان تثبت فيها انتماءها لهذه الأرض فيتجلى لنا الألم في أصعب مشاهده، ما يؤكد أن صورة الأم في هذا المقطع الشعري، هي صورة لكل الأمهات الفلسطينيات وذلك " لأنّ كل ثقافة معينة هي انعكاس من حيث شكل مفهومها لمجتمع معين " (بن نبي، 2013، صفحة 33).

"الألم هوَ: أن لا تعلّق سيّدةُ البيت حَبْلَ الغسيل

صباحاً، وأنْ تكتفي بنظافة هذا العَلَمْ." (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013) وعليه فهذا المقطع يختزل معركة البقاء هوية ومكانا.

2 تجليات الهوية و الثقافة من خلال الزمن :

لعب الزمن دورا حيويا في هذا النص وراح يصنع مشاهده القائمة على زمنين زمن نفسي متقد بلحظات الأمل والنصر، وزمنا فيزيائيا مدثرا بلحظة الخوف والترقب، وكلا الزمنين صنعا مدارا عجائبيا للشخصية راحت تنتقل في خضمه لرسم تتمات الهوية التي يحاول المستعمر الصهيوني جاهدا محوها يقول محمود درويش (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013):

" إلى قاتل لو تأملت وجه الضحية

وفكرت،كنت تذكرت أمّك في غرفة الغاز

كنت تحررت من حكمة البندقية

وغيرت رأيك ما هكذا تستعاد الهوية "

يعكس هذا المقطع لحظة الرجوع إلى الماضي" واستدعائه ليصبح بذلك جزءا لا يتجزأ من نسيج الحاضر" (القصراوي ، 2004، صفحة 186) بل يعد شاهدا على لحظاته الموجعة، فالموت رغم أنه نهاية الزمن بالنسبة للضحية، إلاّ أنه استنطق الحاضر فلا يمكن أن ننهي انتماء ضحية بموطنها بمجرد أنها ماتت هنا تصبح الهوية أقوى من الموت ، وتذكير الشاعر بالقاتل لأمه في غرفة الغاز إشارة ضمنه تماثل فتح نافذة على التاريخ لتذكير ذلك اليهودي بالمحرقة التي سلطها عليهم هتلر والابادة التي طالتهم بأن لا أرض ولا هوية

لهم .وهنا يقف الزمن مدافعا عن هوية الفلسطيني ساخرا من بندقية المحتل، فيعلو صوت الهوية عبر البنية العميقة للنص من خلال قوله "ما هكذا تستعاد الهوية" بوصفها قيمة إنسانية أخلاقية لا مشروعا دمويّا وهنا ترتسم ثنائيتين بحكم دلالة العبارة هما القتل والتعاطف وكلاهما أخلاق تنسج الهوية سلبا و إيجابا.

ويستمر الحاضر في لحظة جموده المقيدة بالموت في رسم ولائه للهوية عبر الشخصية ليثبت حضوره يقول محمود درويش "كل موت كان منتظرا هو أول موت

فكيف أرى قمرا ...نائما تحت حجر" (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013). إنّ إيمان الشخصية هو ما أخرجها من حالة الحزن إلى حالة التقبل للقدر، حتى أنها أصبح ترى الشهداء أقمارا نائمة وكأنّها بذلك توثق البعد الثقافي الديني للشخصية ،فموت الشهيد حياة بالنسبة لها، يقول الله عز وجل " ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون 169" (القرآن الكريم ، رواية ورش، سورة آل عمران، الآية 169) رغم هذه الحقيقة نستشعر وجعا خفيّا يحاول الشاعر عبثا كتمه، لكنّ مفرداته صرحت ، فأظهرت شبكة من العلامات المتضادة، وهي القمر الحجر ، النور ،الدفن ،وكلّها مفردات جسدت هويّة الفلسطيني في ظل ما يعيشه من قتل متواصل فهو المقتول جسدا، لا روحا ،لتتحول فكرة الفقد إلى تجربة وجودية متجددة فتغدو الثقافة بذلك فضاء لإنتاج معنى القهر والانكسار وتكشف عالما تُدفن فيه الحياة رمزيًا تحت وطأة الموت، وهنا تتشكل الهوية في خضم ثقافة الفقد والذاكرة الجريحة، ورغم محاولة الشاعر عبثا أن يخفي هذا الفقدان إلاّ أنّ حضور الحداد كان بمثابة رد فعل عن فاجعة القتل ما حول لحظة الحزن إلى ذاكرة تؤطر المكان بشكل عام .

" لا ليل في ليلنا المتلألئ بالمدفعية

أعداؤنا يسهرون وأعداؤنا يشعلون لنا النار في حلكة الأقبية " (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013)، يصور الشاعر الزمن متخذا الليل وجها من وجوه الاغتراب والخوف، بدل أن يكون زمنا للسكينة، ما حوله لشاهد حيّ لما يمر به الفلسطيني . وهو ما أنتج ثنائية (الليل/النار، السهر/الأقبية) فتتحول إلى شبكة علامات تحيل إلى ثقافة الحصار والخوف الجماعي، حيث تتشكّل التجربة المعيشية داخل فضاء الخوف والتهديد الدائم، فتغدو الحرب إطارًا حدثيا ينسج هويته و يرسخ جذوره بثقافته القائمة على فكرة البقاء أو

الرحيل، دون أن يترك لنفسه نافذة للتراجع أو الفرار فثقافة الفلسطيني بأن لا انتماء له خارج هذه الأرض هو ما ضاعف فكرة الهويّة فلم تعد اسما، بل وجها للمقاومة والجرح في الآن نفسه ، هوية تتحدد ملامحها عبر الوعي بغدر العدو، والعيش في حالة يقظة مستمرة، بما يجعل الانتماء مشروطًا بذاكرة الخطر لا بأفق الاستقرار.

يغير الشاعر من صورة الزمن فيحاوره بغية فتح مساحة للأمل في فضاء يلتهم الجلاد ضحيته يقول "عندما

يصل الغد سوف نحب الحياة

كما هي عادية ماكرة .. رمادية أو ملونة

لا قيامة فيها لا آخرة ..وأن كان لا بد من فرح

فليكن " (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013) إنّ حلم الحرية يستيقظ مع كل صباح جديد، رغم الأوضاع التي يعيشها الفلسطيني قلة عدة وعتاد فالزمن عنده كفتي ميزان متناقضتان تتأرجحان بين اليوم والغد فاليوم يحمل الألم والموت والغد يحمل الحبّ والحياة ليتحول الزمن بذلك إلى لحظة تعكس حياة قد سُرقت من فكي الموت.

صور الشاعر لحظات الحصار إلى زمن مفتوح يرفض الانتهاء حتى كأنّه الحياة بذاتها إذ لا يستطيع الفلسطيني التفلّت منه فيضحى الحصار هو الحياة.

يقول محمود درويش (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013) :

" في الحصار تكون الحياة هي الوقت

بين تذكر أولها ونسيان آخرها "،" في جرائد الأمس الجريح،

ونقرأ زاوية الحظ: في عام ألفين واثنين تبتسم الكاميرا

لمواليد برج الحصار "

يصور المقطع الحصار الذي يكابده الفلسطيني بمفرده إذ لم يتضامن معه سوى الكاميرا التي استطاعت نقل أحداثه و نقلت معها كلّ وجعه ،رسمت زمنا يباد فيه الأبرياء وتسقى به الأرض بدم الشهداء في رمزية للخذلان الذي ناله من أمته العربية إذ اكتفت بدور المشاهد فحسب وهنا يحاول الشاعر" تأويل الواقع تأويلا روحيّا فعليّا دون الافتراض أو الافتراء عليه" (الحاوي، 1983، صفحة 17). يُوظّف المقطع الزمن كعلامة سيميائية محورية؛ فالحياة تُختزل في وقت محاصر بين التذكّر والنسيان، مما يدلّ على اضطراب النسق الزمني في سياق الحصار وغياب القدرة على تطويع الحدث التاريخي.

تشير علامات جرائد الأمس الجريح، وزاوية الحظ إلى نسق ثقافي يومي، يعكس التفاعل الرمزي مع القهر، حيث تصبح الثقافة وسيلة لإدارة التجربة لا لتغيير الواقع.

وتُبرز هذه الشبكة الدلالية هوية جماعية ذاكراتية، تتكوّن عبر الإحساس بالجرح والتاريخ المؤرَّخ، ويصبح وعي الذات مرهونًا بالزمن المحاصر، ولا يقف الخذلان عند هذا الحد بل ينقله الشاعر لذاته حين يخاطبه الشهيد فلا يجد إجابة فيعتبر أن عيشه ليوم جديد ما هو إلاّ خيانة لمن فارق الحياة، مثال ذلك قوله

" الشهيد يحاصرني كلّما عشت يوما جديدا

ويسألني أين كنت؟ وأعدُّ كلّ قواميس الكلام الذي كنت أهديته " (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013)، يعكس هذا المقطع ثلاث علامات دالة وهي الزمن ،الشهيد ،اللغة نسلط الضوء على الزمن ففيه تتحول لحظة الحاضر إلى زمن نفسي مقترن بالتخيل وسرعان ما ينتج زمننا ابداعيا من خلال تمكينه لمن استشهد من العودة إلى الحياة وهو ما يضفي على لحظة الحاضر ندم وأسى- بالنسبة للشاعر- فكيف للذات أن تنعم بالحياة في حين هناك من دفع ثمن هذه الحياة وهنا يتضاعف الزمن حاملا بين طياته لحظة الحاضر والمستقبل وكأنّ الماضي لم يعد هاجسا للذاكرة وفكرة الفقدان المقترنة بالموت تلاشت لأنّ الشهيد بذلك يكسر قدرية الموت ليصير من لحظة الحاضر بالنسبة للشاعر لحظة عتاب تستشعرها نفسه لتنسج مع ذاتها مونولوجا داخليا موجعا، وهنا يتجلى الجانب الثقافي فالحياة الاجتماعية المشتركة بين الفلسطينيين هي من صنعت هذا التلاحم فاقتسام اللقمة والتناوب على جرعة الماء هومن صنع هذا التكافل حتى أن الحياة

ليوم جديد هي نعمة يجب تشاركها، والمتفرد بها ليس شخصا نجا من الموت بل يختفى من ورائه من أهداه ذلك لتصبح لحظة الحياة جميل موجع يتكبده الشاعر أمام كل شهيد.

وبذلك تتحول عبارة"كلّما عشتُ يومًا جديدا" إلى بنية تكرارية دائرية لا إلى امتداد خطي، حيث يستدعي كل يوم جديد ذاكرة الماضي، وبذلك يغدو الزمن مجالًا لاستمرار الدلالة لا لانقضائها.

أمّا الشهيد فيصبح أيقونة دالة عابرة للزمن تُعيد إدماج الماضي في الحاضر، فتنتج هويةً ذاكرة زمنية تتأسّس على الاستحضار الدائم والالتزام الرمزي أمام كل حيّ.

فتصبح عبارة قواميس الكلام من خلال هذا المقطع نسق ثقافي لغويّ يُعاد عبره تأويل الحدث في كل لحظة زمنية، فتغدو الثقافة آلية تداولية لإعادة إنتاج المعنى داخل زمن محاصر بالذاكرة.

3 تجليات الهوية والثقافة من خلال التناص الرمز والتراث:

ذهب باختين إلى أنّ التداخل النصي " لم يفلت منه سوى آدم عليه السلام" (باختن، 1986، صفحة 269) وعليه فإنّ مسألة التناص تكاد تكون في جل النصوص الابداعية وقد تجلى بدوره في هذه القصيدة، إذ انتقل الشاعر عبره إلى ثقافات عدة مختزلا أزمنة وأمكنة عديدة مما عكس هويته كمسلم عربي " وذلك لأنّه مهما كانت طبيعة المعنى في نص ما ومهما كانت ظروفه كممارسات إشارية فإنّه يفترض وجود كتابات أخرى " (سلام، 2010، صفحة 47) وهما ما يوضحه هذا المقطع (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013):

" هنا بعد أشعار أيوب لم ننتظر أحدا

سيمتد هذا الحصار إلى أن نعلّم أعداءنا

نماذج من شعرنا الجاهلي

السّماء رصاصية في الضحى...برتقالية في الليالي أمّا القلوب

فظلت حيادية مثل ورد السيّاج "،

يحيل اسم أيوب للنبي أيوب عليه السلام ويحيل اسم أيوب إلى تناصّ ذو مرجعية دينية فاستدعاء النبي أيوب في هذا المقطع ما هو إلاّ استدعاء للصبر والتجلد، ليجسد بعدا ثقافيّا يستحضر عبره بعدا دلاليّا يحمل بين طياته ثنائية الألم والثبات.وهي ثنائية يعيشها الشعب الفلسطيني كل لتتحول المعاناة إلى حلقة تجمع الضعف والقوة على حد السواء خصوصا حين أضاف عبارة لم ننتظر أحد فرغم الوجع والضعف لا يلتمسون رجاء إلاّ من الواحد الأحد، فكما لم يخرج سيدنا أيوب عليه السلام من محنته إلاّ الله عز وجل كذلك الفلسطيني لا رجاء له إلاّ هو سبحانه ،وهي إشارة قصديّة بأن لارجاء منتظر من الأمة العربية والاسلامية ،ما أكسب الهوية الفلسطينية صفة الثبات والمقاومة يرفض الانكسار فتصبح صورة الحصار بمثابة امتحان مؤقت –كامتحان سيدنا أيوب عليه السلام – ينظر الفلسطيني خلفه فيرى حريته . وبذلك يعمل التناصّ كآلية دلالية تُضفي على الطرح عمقًا ثقافيًا حيث تُستثمر المرجعية الدينية لإنتاج معنى جماعي يجمع الحاضر بالماضي ليُؤسِّس لتماسك رمزي يرفض أن يقهر.

في حين يحيل استحضار الشعر الجاهلي إلى بعدين أحدهما يشير إلى الموروث الفكري والابداعي في بعده الثقافي الأدبي الذي يرسم الهوية العربية وحدة وانتماء، ويمد جذوره إلى أعماق التاريخ ، وهو العمق الذي لا يمتلكه الإسرائيلي فهو المجتث من الأرض فكرة وانتماء، وهنا يظهر البعد الثاني الذي يعيد ربط الفلسطيني بأرضه فكرا وأرضا.

يواصل الشاعر توظيف تناصه الديني من خلال توظيف النبي آدم عليه السلام قائلا (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013):

" هنا لا أنا هنا يتذكر آدم صلصاله..

يقول على حافة الموت لم يبق بي موطئ للخسارة

حر أنا قرب حريتي .وغدي في يدي

سوف أدخل عما قليل حياتي .. وأولد حرّا بلا أبوين "

إنّ الإشارة لآدم عليه السلام إشارة لبدأ الخلق بأن الأنسان جزء من الأرض على اعتبار أنّ سيدنا آدم قد خلق منها لقوله تعالى "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (26)" (القرآن الكريم، رواية ورش، سورة الحجر، الآية:26) فضلا عن اسمه الذي يحيل إليها فأدمة الأرض هي الطبقة الأولى في الأرض ليتحول الاسم في حد ذلك إلى إشارة ضمنيّة أنّنا من الأرض وإليها فتتحول فكرة الموت إلى حياة جديدة، تؤمن بالبعث من خلال الأرض فالشاعر يرسم تفاصيل حياة أوسع وأرحب لأنّها حياة الخلود بعدما تخلص من قيد الحياة المقترن بالفناء لتغدوا الحياة الثانية هي الأجدر بأن تعاش لذ لن يحتاج لأبوين ، مثلما لم يحتج سيدنا آدم في ميلاده لأبوين وهنا وجه اللقاء بين الطرحين الأول حقيقة و الثاني رمزا، وبناء على ذلك، فموت الشهيد حياة لامتناهية ليكون توظيف آدم عليه السلام اختزال رمزي لكل الفلسطنين إذ تحولت الأرض إلى فضاء يسكنهم ويسكونه أحياء كانوا أو شهداء فهم منه وإليه مما يوثق البعد الثقافي ويعززه، فلا تصبح تجربة الفلسطيني تجربة فردية مقترنة بشعب فحسب بل تجربة انسانية تختزل المعني الحقيقي للأرض. فالثقافة هنا ليست محفوظًا تراثيًا، بل طاقة رمزية تُستثمر لإعادة رسم هوية الشعب المقاوم.

ينتقل محمود درويش من التناص الديني إلى التناص الأدبي إذ يستحضر هوميروس مشيرا إلى رائعته الإلياذة فيذكر طروادة التي كانت فضاء للصراع بين الآلهة و انصاف الآلهة والبشر فإذا كان الموروث الثقافي يختزل في الآثار ليشير إلى الموروث الحضاري فإنه عبر كلمات النص ينقب عن إرث وهوية فلا يرى في الأسطورة عظمة بل دمارا وأوجاعا

قائلا" "لا صدى هوميريٌّ لشيء هنا

هنا جنرال ينقب عن دولة نائمة .. عن أنقاض طروادة النائمة " (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013)

إنّ استدعاء المرجع الملحمي المرتبط بإلياذة . هوميروس يعد سمة دالة لا سيما أنّ طروادة كمكان تعد رمزا بوصفها دالًّا ثقافيًا على البطولة والحرب غير أنّ محمود درويش يفرغها من مدلولها البطولي، وذلك لاستهلال مقطعه بالنفي مفككا بذلك مرجعية التناص ومبطلا سلطة التوظيف الأسطوري سيميائيا، ليؤكد بذلك أنّ فلسطين ليست طروادة، إذ ترى في الحرب دمارا وأنقاضا فلا مجد تراه إلاّ في السلام وعليه

فالشاعر حاول عبر التناص رسم مفارقة بين رؤيتين، رؤية الماضي الذي يمجد الحرب ويرفع نخب النصر في رسم ملحمي أسطوري، أمام رؤية حاضر مقيد يحبس أنفاسه عبر الانقاض لا ليحارب بل ليفتش عن آثار دولة نائمة. فيتحول التاريخ أمام المكانين من صانع للحدث إلى باحث في ركامه وأشلائه. بهذا الانزياح الدلالي تتجلّى هوية ثقافية ناقدة، تعيد ترميز الحرب لا بوصفها أسطورة مؤسسة، بل بوصفها وجها للدمار، وهو ما يظهر هوية عربية واعيةً بذاتها، ترفض اختزالها في نموذج بطولي مستعار، فتقاوم وتمثل ذاتها من واقعها الخاص.

يواصل الشاعر توظيف شخصيات تعكس الحكم والسلطة يقول (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013):

"القنابل لا تستعين بكسرى ولا بقيس طمعا بالخلافة... فالحكم شورى على طبق العدالة".

يعمل التناص على استظهار رموز السلطة والمتسمة بالقوة وحبها للحرب ممثلة في كسرى وقيصر مقابل وجه آخر من السلطة قوامه العدالة و الشورى وهو ما يتوافق مع المرجعية الدينية الاسلامية في إدارة الرعيّة وهنا تظهر الهوية الثقافية عبر الممارسة السياسية والسلطوية ما يعكس وجهين من الحكم وجه فردي أساسه القوة والقمع، ووجع جماعي قوامه العدل الرأفة مما يوضح سيمائية الرسالة المشفرة بأنّ الأساس في الحكم أن يتسم صاحبه بمسؤولية جماعية بغية إعلاء الهوية الجماعية بتطبيق العدالة لا هوية فردية جائرة تغير القانون بحكم مطامعها.

ينتقل الشاعر إلى تناص يعكش الوجه الابداعي والفني ممثلا في شخصية كل من الكاتب دوستوفيسكي والمطربة لأم كلثوم، ماريا كلاس، يقول في ذلك (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013):

لا أستطيع قراءة دوستوفيسكي والاستماع إلى لأم كلثوم، ماريا كلاس

وغيرهما في انتظارك ..تمشي العقارب في ساعة اليد نحو اليسار إلى زمن لا مكان له "

ينسج محمود درويش بعدا ثقافيا من خلال الأسماء المذكورة فهي لم تعد مقترنة بأصحابها بل أصبحت تمثل وجها حضاريا فكريا وإبداعيا يعكس أنساقا ثقافية متخلفة. فإذا كان دوستويفسكي يعكس الثقافة

الروسية والفكر الوجودي، فأم كلثوم تمثل الفن العربي والهرم الفني المصري، فصيرت بصوتها جيلا يؤمن بعمق معنى القصيدة وشذى الصوت كما صنعت ماريا كالاس روحا للأوبرا الغربية، إن إلتقاء هذه الأسماء بثقلها الدلالي والفني كشف عن هوية ثقافية مركّبة تنفتح على تعددية المرجعيات، وتعيش في أفق إنساني عابر للحدود متجاوزة حدود الجغرافيا مكسرة بذلك حركية الزمن، ففكرة قلب حركية الزمن في قوله "تمشي العقارب نحو اليسار" هو ما منح العبارة بعدًا تأمليًا يحرّر الذات من فكرة الانتماء للمكان الواحد و الزمن الواحد لتكشف عن إيمان الشاعر بإبداع الذات في سلمها وحربها ففتتسع فكرة الانتماء المقيدة بحدود الثقافة الواحدة لتشمل ثقافة كونية لا تولد في زمن واحد بل الحيّة مع كل إبداع مما يمنح الفنان أو الكاتب المؤلف حيوات لا منتهية تجدد مع كل قراءة وكل نغمة.

يرى إسماعيل أرسلان "أنّ الرمز شيء محسوس يشير إلى شيء معنوي وبين هذين الشيئين مشابهة فالرمز لا يقف أمام الاشياء المادية ليصورها لنا، ولكن ليوحي لما هو أعمق ليقدم مدى التأثير الذي تتركه هذه الأشياء في النفس " (أرسلان، د ت، صفحة 08) وهذا ما عكسه هذا المقطع إذ جمع الشاعر فيه رمزية الطرح وجمالية الصورة الشعرية.

" فناجين قهوتنا. والعصافير. والشجر الأخضر

الأزرق الظل. والشمس تقفز من.. حائط نحو آخر مثل الغزالة...

والماء في السحب اللانهائية الشكل

في ما تبقى لنا من سماء،...وأشياء أخرى مؤجلة الذكريات

تدل على أن هذا الصباح قوي بهيّ،..وأنّا ضيوف على الأبدية " (قصيدة حالة حصار لمحمد درويش، 2013).

يكشف هذا المقطع عن بنية سيميائية تتحول فيها التفاصيل اليومية والطبيعية إلى رموز ثقافية منتجة للمعنى "فناجين القهوة " تعدُّ علامة على الانتماء ووجه ثقافي جماعي في حين كشف التعبير من خلال مظاهر الطبيعة عن توجه الشاعر الرومانسي مبرزا نزعته التفاؤلية لتتحول الطبيعة بذلك إلى أيقونة رامزة تمنح

الحياة فرحا وأملا. أمّا حركة الشمس والماء في الأفق اللانهائي فيحيل لبعد إنساني يؤمن بالحرية بل ويعيشها في تفاصيل كونية وهو ما حول اللحظة إلى واقع معاش وهنا نجد أنّ الرمز كشف روح المفردات فصيّر المقطع قطعة موسيقية من جهة كما ساهم كآلية دلالية أعادت بناء الهوية ضمن أفق ثقافي مشبع بالجمال يؤمن أن لا حياة إلا مع الحرية .

الخاتمة: في ختام هذه الدراسة نستخلص أن النص الشعري لم يعد يقف عند حدود وصف الواقع وتصوير التجربة الشخصية للشاعر، بل نسج مسارا مختلفا يؤسس لنسق دلالي يحمل قضايا عدة كما يسهم في بناء هوية داخل فضاء ثقافي تتداخل فيه التجربة التاريخية مع الصورة الشعريّة، وهذا ما تجلى في نص المقاومة حالة حصار لمحمود درويش ،وبموجبه توصلنا للنتائج الآتية بدايتها كانت على مستوى المكان

- شكّل المكان إطارًا جامعًا للانتماء، فتحوّل من حيّز جغرافي جامد إلى فضاء يعكس الهوية الجماعية.
- اكتسبت الأرض بارتباطها بالشهداء بُعدًا رمزيًا، فأصبحت حاملةً للذاكرة الثقافية والتاريخ النضالي
- أسهمت صور الفجر والعشب والقهوة البيت في إضفاء دلالة التجدد على المكان، فغدا فضاءً لإعادة إنتاج الحياة وترسيخ التماسك الثقافي.

أما على مستوى الزمن:

- سمح الزمن بصنع مواجهة بين ثقافة السلاح وثقافة الذاكرة، ليجعل من الهوية فعلًا ثقافيًا زمنيًا تراكميًا لا ممارسةً قهرية آنية.
- صوّر الشاعر الموت المنتظَر بوصفه حدثًا متجددا، مما منح الزمن مدارات متداخلة، يلتقي فيها الحاضر مع الماضي كلّما تكررت فاجعة الموت فتعبر عن هوية المكان والجسد.
- يصبح الزمن نفسه وعاءً للذاكرة، إذ تتراكم فيه الخبرة القاسية للحرب فتُنتج ثقافة مقاومة تحفظ الهوية من التلاشي عبر استحضار الماضي في الحاضر.

- التناص رسم محمود درويش عبر التناص لوحة فنية خطوطها غائرة استحضرت الحرب الطروادية، هوميروس ماوثق الصلة بين نص حالة حصار والذاكرة التاريخية والثقافية القديمة، كما كشف المرجعية الثقافية الغنية للشاعر.
- إنّ استدعاء الشخصيات والرموز البطولية، منح النص هوية مشحونة بالمعاني التاريخية والرمزية، حيث نسجت أحداثه ضمن نسق دلالي ثقافي واسع.

التراث تجلى في:

- استدعاء جرائد الأمس الجريح بربط الحاضر بالتراث، وجعل الوعي بالهوية متشكّلًا عبر الذاكرة التاريخية.
- الإشارة إلى مواليد برج الحصار تؤسّس لهوية جيل جيد تمتد جذوره في المكان بحكم التجربة المشتركة.

وأخيرا تقترح الدراسة مجموعة من النقاط:

- توظيف مناهج تحليلة متعددة لقراءة النص الواحد لفهم العلاقة بين النص الشعري والهوية الثقافية.
- التأكيد على ضرورة اهتمام الناقد بالسياق التاريخي والاجتماعي لتأثيره على تشكيل الرموز الثقافية في الشعر لضمان رؤية شاملة للنص.
- فتح المجال لمقارنة النص مع نصوص أخرى ضمن البيئة الثقافية الواحدة لتبيان المشارب الثقافية لكل شاعر وتحديد ملامح هويته.

قائمة المراجع:

أولا: الكتب

- القرآن الكريم ، رواية ورش، سورة آل عمران، الآية 169.
- القرآن الكريم، رواية ورش، سورة الحجر، الآية:26.

- اسماعيل أرسلان. (د ت). الرمزية في الفن والدب. القاهرة، مصر: مكتبة القاهرة الحديثة.
- أيليا الحاوي. (1983). الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي (الإصدار ط:02). بيروت، لبنان: ،نشر وتوزيع دار الثقافة.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان. (2006). يالثقافة – دراسة في علم الاجتماع الثقافي –. الإسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- دنيس كوش. (2007). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة منير السعيداني، (الإصدار 01). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سعيد سلام. (2010). سعيد سلام، التناص التراثي ، الرواية الجزائرية أنموذجا ، ص 47 (الإصدار ط: 01). إربد–الأردن: عالم الكتب الحديث.
- غاستون باشلار.(1984)،*جماليات المكان*، ترجمة غالب هلسا، (الصدار:03)، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- لويس معلوف. (1998). ،المنجد في اللغة و الاعلام ، مادة: ثغا–ثقل. بيروت، لبنان: دار المشرق.
- مالك بن نبي. (2013). مشكلة الثقافة (الإصدار 01). الجزائر: دار الوعي.
- محمد ابن مكرم بن علي ابن منظور. (1994). لسان العرب (الإصدار 03). بيروت، لبنان: دار المصادر.
- مها القصراوي . (2004). الزمن في الرواية العربية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- ميخائيل باختن. (1986). ،شعرية دويستافيسكي ،ت، جميل نصيف التركيتي (الإصدار:01). الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.

- هويدا صالح. (2013). صورة المثقف في الرواية الجيدة –الطرائق السردية – (الإصدار 01). مصر: رؤية للنشر والتوزيع.

ثانيا: المقالات:

- Kungirov, I. (2023, june). DEFINITION OF THE CONCEPT OF "CULTURE" AND ITS SCIENTIFIC FOUNDATIONS. Journal of Innovation, Reforms and Development, 11, 2751-1731.

ثالثا: المواقع الإلكترونية

- Spencer-Oatey , H. (2012). What is Culture?A Compilation of Quotations. Spencer-Oatey 2012. Récupéré sur https://warwick.ac.uk/fac/soc/al/globalpad-rip/openhouse/interculturalskills/global_pad_-what_is_culture.pdf
- HTTPS://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q .الموقع الرسمي حمود بوعلام (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 08 07, 2017، من
- academia.adu.دعاء خضر. (05 03, 2017). بين الثقافة والهوية. تم الاسترداد من .
- https://www.alukah.net/social/0/91803/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B9%D8%B5%D8%B1 قصيدة حالة حصار (لمحمود درويش 2013). Consulté le 11 2025
- %D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9/ هارون فرغلي. (14 09, 2015). الأولكة الاجتماعية. تاريخ الاسترداد 25 01, 2026، من التربية على الهوية في عصر العولمة:

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Metaphorical Imagery in Verses of Fear

Assistant Professor Hamdiya Abbas Jassim Al-Khafaji
University of Baghdad, College of Education for Women / Department of Arabic Language
hamdiya@coeduw.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

Artistic imagery In the Holy Quran is one of the most prominent aspects of rhetorical inimitability. The transition from literal expression to metonymy (Kinayah) serves as a fundamental pillar in embodying abstract meanings and transforming them into vivid, dynamic scenes. This research aims to study the" metaphorical Imagery of Fear Verses in the Holy Quran " by monitoring and analyzing models that employ metonymy as a means of expressing the profound psychological agitation experienced by the human soul in situations of divine awe or the horrors of the Day of Judgment. The research problem lies in uncovering the rhetorical secrets that make "metonymy "the most suitable tool for depicting the disturbance of the limbs and the panic of hearts, moving beyond direct description to diagnosing the sensory impact of fear. The study adopts a" Descriptive-Analytical " approach, utilizing the critical tools of the" Psychological Method "to link metonymic imagery with emotional motives.The research reached several conclusions, most notably: that metonymy in the verses of fear was not merely a verbal ornament but a" reifying "medium that transformed fear from an abstract feeling into visible physical movement, deepening the impact on the recipient. Furthermore, the study proved that the Quranic context selects the type of metonymy in proportion to the degree of fear and the specific situation, highlighting the cohesion between rhetorical formulation and doctrinal purpose.

Keyword: Metaphor; Quranic miracle; verses of fear; awe.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

الصورة الكنائية في ايات الخوف

الأستاذ المساعد حمدية عباس جاسم الخفاجي
جامعة بغداد كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية
hamdiya@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الملخص :

يعد التصوير الفني في القرآن الكريم من أبرز وجوه الإعجاز البياني، ويمثل العدول من الحقيقة إلى الكناية ركيزة أساسية في تجسيد المعاني الذهنية وتحويلها إلى لوحات مشاهدة تنبض بالحركة والحياة. يسعى هذا البحث إلى دراسة "التصوير الكنائي لآيات الخوف في القرآن الكريم"، من خلال رصد وتحليل النماذج التي استعملت الكناية وسيلة للتعبير عن الانفعال النفسي الرهيب الذي يعتري النفس البشرية في مواقف الخشية أو أهوال يوم القيامة.

تتجلى مشكلة البحث في الكشف عن الأسرار البلاغية التي جعلت من "الكناية" الأداة الأنسب لتصوير اضطراب الجوارح وهلع القلوب، متجاوزة الوصف المباشر إلى تشخيص الأثر الحسي للخوف. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج "الوصفي التحليلي" مع الاستعانة بالأدوات النقدية للمنهج "النفسي" لربط الصورة الكنائية بالبواعث الشعورية.

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها: أن الكناية في آيات الخوف لم تكن مجرد زينة لفظية، بل وسيلة "تجسيدية" حولت الخوف من شعور مجرد إلى حركة فيزيائية مرئية تسهم في تعميق الأثر في نفس المتلقي. كما أثبتت الدراسة أن السياق القرآني يختار نوع الكناية بما يتناسب مع درجة الخوف والمقام، مما يبرز التلاحم بين الصياغة البيانية والمقصد العقدي.

الكلمات المفتاحية: الكناية، الاعجاز القراني، ايات الخوف ،الخشية

المقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الهداية النبي الصديق الخاتم الأمين محمد صلى الله عليه واله وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ...

اما وبعد فلقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فهو أداة ووسيلة اعجازية ، ومن أسرار هذا الإعجاز استخدامه الفائق للفنون البلاغية التي تخرج المعاني الذهنية المجردة إلى صور حسية نابضة بالحياة. وتبرز الكناية بوصفها احدى هذه الأدوات؛ فهي "لفظ أُريد به لازم معناه"، حيث ينتقل بنا النص من وصف "الشعور" إلى وصف "أثره" على الجسد.

وفي سياق الحديث عن الخوف—سواء كان خوفاً من أهوال القيامة، أو رهبةً من مقام الله، أو فزعاً من مواجهة الأعداء—لم يقتصر البيان القرآني على استخدام المفردات المباشرة مثل (خاف، فزع، وجل)، بل عدل عنها في مواضع كثيرة إلى الكناية لتجسيد الحالة النفسية للمؤمن أو الكافر.

أبعاد الكناية في تصوير الخوف:

- التجسيد الحسي :بدلاً من القول إنهم "خائفون"، يصف القرآن)بلوغ القلوب الحناجر (أو)شخوص الأبصار(، مما يعطي صورة بصرية لشدة الاضطراب.
- الإيجاز والتركيز :تختصر الكناية جملة من المشاعر في حركة جسدية واحدة (كالارتعاد أو صفرة الوجه المكنى عنها).
- التهويل والتعظيم :الكناية تترك مساحة للخيال لتقدير حجم الفزع الذي أدى إلى تلك الآثار الجسدية الموصوفة.

إن دراسة الكناية في آيات الخوف تكشف عن دقة النظم القرآني في مراعاة أحوال المخاطبين، وكيف يتحول الحرف إلى مشهد، والكلمة إلى نبض، ليتحقق الغرض الأسمى وهو "الخشية" التي تحرك القلوب والعمل.

فأسلوب الكناية وهي من الأساليب المجازية ، وأكثرها وقعاً في النفس يكاد يكون أبلغ الأساليب المجازية مع الاستعارة ، فإن كان المجاز أبلغ من الحقيقة ، وكانت الاستعارة أبلغ من التشبيه كانت الكناية أوقع في النفس وأبلغ في التعبير لا لكونها تعطينا الدليل مع الدال ، أو معنى المعنى على حد وصف عبد القاهر الجرجاني فحسب؛ بل لأنها ترينا المعنى الخفي والمستور في صورة حسية، فهي تكسر المعنى قوة ، لأنّها

كالدعوى مع البينة، وسيلة غير مباشرة للتعبير عن أمور قد يتحاشي عن ذكرها صراحة تهذيبا ونبلاً ، أو النيل من الخصم دون أن يدع له مأخذا يؤاخذه به وينتقم منه، ولعل من أدق ماعرفت به قول عبد القاهر الجرجاني: ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به اليه، ويجعله دليلاً عليه)) (الجرجاني، 1991، ص 113). ، فهي تعطي الدليل والدال في آن واحد ، فكثرة الرماد دليل على كرم صاحبه ودال في الوقت نفسه عن كرمه؛ ولابد من القول :إنَّ الكناية تتفق مع المجاز كونها تخرج عن المعاني الموضوعة في اللغة وتتجاوزها إلى معاني ومفاهيم أخرى ؛ وتختلف مع المجاز في وجهين : أحدهما أنها –أي الكناية– تقوم على التأويل فلا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فطويل النجاد تخبرنا بالتأويل عن طول قامته لا بالقرينة المجازية ،والمجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو رعينا الغيث أن تريد معنى الغيث وفي نحو قولك في الحمام أسد أن تريد معنى الأسد من غير تأويل وأني والمجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة ، والثاني أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم على الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم على اللازم (السكاكي، 1987، ص 403). ويرى أبن الأثير أنّ الكناية هي كل لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز . والدليل على ذلك أنّ الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره)) (ابن الأثير، د.ت، ج3، ص 52). ، فهي تستنشط ذكاء المتلقي بعد جذبه اليها ، وتقسم الكنابة إلى كنابة عن صفة، أو موصوف أو نسبة ، وقد حفلت آيات الخوف بكثرة ورود الكناية بجميع ألوانها ، وقد بلغت الكناية عن الصفة اكثر من الموصوف والنسبة والتعريض اقل في سياق الخوف .ولهذا صار لزاما علينا ان نشرع في بيان أسلوب الكناية من الكثرة الى القلة .

أولا:الكناية عن صفة في ألفاظ الخوف وسياقه :

1. قوله جل شأنه: ((قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة: 38) ، فانظر الى جزاء من أتبع هدى الله تعالى في سياق الخوف ، ((فلا خوف ولا هم يحزنون)) كناية عن صفة هي الأمان من العقاب والحزن؛ وتعريض في الوقت نفسه لمن سيخرج عن هدى الله ، ورب سائل يسأل فيقول لماذا قال (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون))؟

فلو قال بدلاً من ذلك (فهم في مقام أمين فرحين) ، (أو وقاهم ربهم عذاب الجحيم) وهو وارد في النص القرآني ((أن المتقين في مقام اامين)) (الدخان: 51) وقوله الحق : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) (الطور: 17–18) ، والتصريح بالأمان والوقاية من العقاب والعذاب وارد فيه ؛ يمكننا القول : لما كان موضع السورة يوجب على الإنسان أتباع الله في الدنيا للحصول على النجاة من العقاب في الآخرة ،لاسيما وموضع الآية يتحدث عن نزول سيدنا آدم (عليه السلام)مع (أمنا حواء) الى الأرض ، فالله تعالى يعرف مسبقا بعدما زلهما عن هدى الله ، فهم وذريتهم في امتحان إلى أن يثبوا نجاحهم للوصول إلى هدى الله بدليل (فمن اتبع هداي) فعل الشرط (أتبع) جوابه واقع (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون)، بينما ذكر الأمان والوقاية من العذاب في موضع ترغيب وتأكيد على ثواب المتقين الذين هم أصلا في موضع الهدى وأتقاهم عذاب الله حاصل؛ فكان التعبير بالأمان معهم أبلغ بالتصريح به ، وكان هنا التعبير بالكناية والتعريض أدق وأبلغ لانهم في موضع شك من السير على هدى الله تعالى لذلك احتراز لمن لايتبع الهدى من الضالين ؛ وقد قدم نفي الخوف عن الحزن، فالوعد مستقبلي ((لأن انتقاء الخوف فيما هو آت اكثر من انتقاء الحزن على مافات، ولهذا صدر بالنكرة التي هي أدخل في النفي ، وذكر الضمير وتقديمه (ولاهم يحزنون) لإختصاصهم بانتفاء الحزن والأشارة إلى أن غيرهم يحزن)) (الدبل، 2010، ج1، ص 61). ، وتجدر الإشارة إلى حقيقة مفادها تكرار هذا النسق الكنائي (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) في النص القرآني ثلاث عشرة مرة ، ست منها في سورة البقرة هي قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة: 62) وقوله :((بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة: 112) ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة: 262) وقوله:((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة: 274) و((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (البقرة، 277؛ انظر: آل عمران، 169–170؛ المائدة، 69؛

الأنعام، 48؛ الأعراف، 35 و48–49؛ يونس، 62؛ الزخرف، 68–69؛ الأحقاف، 13–14) ، ولعل مايميز هذه الآيات هو التغاير في الأسلوب ؛ لكن المعنى واحد، ومايهمنا هنا تأكيد ماذهبنا إليه من الوعد المشروط بالعمل الصالح أو الأيمان بالله أو أتباع هدى الله أجمالا، ناهيك عن جمالية هذا التعبير الكنائي في حث المتلقي إلى العمل الصالح .

2. ومن ذلك قوله تعالى : ((وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا))(النساء :3) ، شرع النص القرآني تعدد الزوجات ، وجعل أساس هذا التعدد العدل في القيمومة والهوى من معشر طيب وبالتالي تعدد النسل ، وهنا يستلزم للرجل قدرة اكبر على إعالة أهله لما يتطلبه من استنزاف مادي ومعنوي في احتواء قيمومة بناء الاسرة ، ولما كان هذا الأمر بالصعوبة المقدرة لأنّ التعدد يعرّض الرجل إلى الظلم شاء ذلك ام أبى ، لاسيما إذا ترك نفسه للهوى تارة وللغفلة تارة أخرى ، فالنص القرآني عالج قضية هامة – في وقتها– هي أباحة العربي للزنا أو أكل مال اليتيم كما تدلنا في ذلك كتب التفاسير(الزمخشري، د.ت، ص.16–17؛ انظر أيضًا ابن عاشور، 1984، ص.221–222) ؛ فاراد الله تدريب النفس الإنسانية على هجرة المعاصي ، فترك لهم حق التعددية أول الأمر خوفاً من أكل مال اليتيم ، ثم كرر الخوف دليلاً على عدم قدرة الرجل على احتمال هذه التعددية وفق ما ذكر من أسباب؛ فرغبهم بالأقتصار على واحدة، (فدلك أدنى ألا تعولوا) تأكيداً لمضمون (فإن خفتم ألا تعدلوا) فكنى عن سبب كراهية التعدد خوفا من عدم القدرة على توفير أسباب العيش وبالتالي وقوع الظلم فعبر عن ذلك بـ (ألا تعولوا) كناية عن صفة (الظلم) وهو ماذهب إليه أبن عاشور بالقول : ((وقيل : «معنى ألا تعولوا» أن لا تكثر عيالكم ، مأخوذ من قولهم عال الرجل أهله يعولهم بمعنى مالهم ، يعني فاستعمل نفي كثرة العيال على طريق الكناية لأنّ العول يستلزم وجود العيال ، والإخبار عن الرجل بأنّه يعول يستلزم كثرة العيال ، لأنّه إخبار بشيء لا يخلو عنه أحد فما يخبر المخبر إلاّ إذا رآه تجاوز الحدّ المتعارف. كما تقول فلان يأكل ، وفلان ينام ، أي يأكل كثيراً نام كثيراً)) (ابن عاشور، 1984، ص.222)، فعبر بالكناية دقة في أقامة الحجة العقلية في بيان السبب الرئيس ترك التعددية رغم اباحتها إيجازا" في التعبير وبلاغة في التصور العقلي في احتواء مفهوم بناء الاسرة وفق مبدأ العدل

والابتعاد عن الهوى والاثم ؛ فلم يصرح بكل هذا المعنى كون النتيجة من كثرة العيال مدركة بالعقل ، فمن كثرة عياله ؛ قل ماله ؛ فصارت كثرتهم غير صريحة من خلال استبدال وتحويل وأختزال ، وتكثيف المعنى يشتمل على الأطناب والتعمق مما يذكي وينمي من فطنة المتلقي في ادراك المعنى العميق من هذه الدلالة الأيحائية(غريب، 2011، ص.297) .

3. (بسط اليد): كناية معبرة عن صفة (الهجوم أوالبطش) من قوله الحق :((لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ))(المائدة :28) ، ومن قصة قابيل وهابيل وهي أول جريمة قتل على وجه الأرض بين الأخوة ، فـ(بسطت إلي يدك) كناية عن البطش والهجوم ، فبسط اليد مدها (إلي) هو المبطوش به، ورب سائل يسأل فيقول لماذا عبر عن بسط اليد للهجوم على الخصم والقتل ولم يقل مثلاً بسطت إلي كفك أو وما الى ذلك من وصف وارد في النص القرآني ومنه قوله تعالى : ((وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا))(الكهف :18)،وقوله : ((كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ))(الرعد :14)، ومن هنا نستشف الفرق في التعبير باليد بدلاً من الكف لما لها من خصوصية في التعبير، فبسط الكف تعطي معنى مد الذراع كما في سورة الكهف : ((وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)) أو طلب حاجة كما في قوله تعالى : ((كباسط كفيه على الماء ليبلغ فاهُ))، ومن هنا ندرك خصوصية التعبير باليد دلالة على التقاتل أو السلام أو العداوة، وفق خصوصية كل سياق؛ ولماجاء السبب من بسط اليد (لتقتلني) صرف الذهن الى دلالة بسط اليد من السلام الى القتل في أسلوب مقابلة بيّن فيها الموقف من التقاتل بين الأخوة (بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) بدليل نفي بسط قابيل يداه لأخيه أشارة الى معرفة ان القتل حرام ،فأكد الخبر الطلبي (الخوف من الله) والتوكيد بأن تصرف الذهن الى قدرة قابيل على صد أخيه هابيل والرد عليه بالمثل لكنه أستسلم له خوفا من الله تعالى ، لكن لو قرأنا قوله الحق في ضيفي سيدنا أبراهيم (عليه السلام): ((فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً))(هود :70)، فعدم وصول(أيديهم إليه) أي الطعام – كناية عن صفة عن(العداوة) أو (الشر) ، لاسيما بعد شعور سيدنا أبراهيم (عليه السلام) بالخطر وهو ماتوحيه دلالة وصوت (وجس) فجاء في معجم لسان العرب : ((أوجس القلب فَزَعا: أحَسَّ به..... الوَجْس فَزَعة القلب. والوجس:

الفَزَع يقع في القلب، أوفي السمع من صوت)) (ابن منظور، د.ت، مادة "وجس") ، نستشف مما سبق إنَّ (اليد) خرجت عما هو متعارف عليه ؛ كونها جزء من جسم الانسان من دلالة وضعية إلى دلالة أخرى هي الشعور بالخطر بشكل عام ، والقتل والبطش والعداوة بشكل خاص كل حسب سياقه

4. وربما كنى النص القرآني عن الخوف في تصوير نفسي ومادي لنفسية الهارب وما تصحبه من خطوات تظهر حالة الرعب والذعر دون القدرة على المواجهة ومن ذلك قوله تعالى : ((لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ))(التوبة :25) ، فلم يقل فررتم أو هربتم ، لكان أدى المعنى المراد من الفرار والهروب لكن لما أراد النص وصف مدى ضيق الأرض عليهم جاء التعبير بالكناية (وليتم مدبرين) حالة هذا الهروب بكل أبعاده من خوف وذعر ، فهي كناية عن صفة (الخوف أو الذعر أو الهزيمة)،ومايهمنا هو اسلوب الكناية في الإيحاء الدلالي خلال رفد التركيب بالصور من مبدأ ترك التصريح أو التعبير بالمألوف أو تقريرية التعبير كما في اللغة العادية واستبدالها بسياق فني أو تركيب قادر على تصوير المعنوي وجعله حسيا يشاهد ، ممايعمق دلالة الحواس في التعبير الفني من خلال الأنتقال من الكلمة العادية الى مايجاورها أو يلازمها في التعبير والتصوير .

ثانيا : الكناية عن موصوف في ايات الخوف وسياقه

1. قوله تعالى : ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا))(النساء: 34)، ومن جمالية التعبير الكنائي في القرآن الكريم عموما وأيات الخوف خصوصاً التهذيب عن ذكر مايستقبح أو يستهجن فالقرآن الكريم يريد أشاعة التهذيب، ويريد أن تنتشر العبارة المؤدبة فلا غرابة أن يعبر بألفاظ الجنس تعبيرا موحيا وربما عمق دلالة الكتابة كان سببا هاماً في قدرة هذا الفن البياني على احتواء هذه الالفاظ دون حذر (غريب، 2011، ص.297) ، فالموصوف هو (واهجروهن في المضاجع) كناية عن عدم الجماع ؛ وفي قوله تعالى (قانتات حافظات) هنا كناية عن طاعة الله بحفظ الزوج

والإخلاص لهم وتأدية حقوق الزوجة، المكنى : الهجران في المضاجع ، المكنى به : عدم الجماع ؛ وفي الموطن الثاني : المكنى القنوت والحفاظ . المكنى به : الطاعة والإخلاص للزوج.

2. وانظر إلى دقة مايوصف من قوله الحق :((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ))(النحل : 112) فعبر بالكناية عما لايحسن ذكره من نكران لنعم الله والجمود (بما كانوا يصنعون)، وهي موصوف في هذه الكنابة ، فالمكنى به : الأفعال التي يقومون بها من جحود النعم. والآية للدلالة على الإيجاز وبيان مدى تذمرهم وقابله بمدى اعمق من بيان تغيير النعم والخير عليهم بعد كفرهم .

3. وقال تعالى على لسان سيدنا زكريا (عليه السلام): ((وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا))(مريم :5) فعبر بالموصوف (الموالي من ورائي) والموالي هم العمومة وينو العم، وقيل: الكلالة وقيل: العصبة، وقيل: بنو العم فحسب، وقيل: الورثة، وكيف كان فهم غير الأولاد من صلب كناية عن موصوف عنا سيفعلونه بعد موته بلا ذرية،فلا وارث يرث علمه وهو عزيز قومه.

4. ومثل ذلك:((أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا))(الاحزاب :19)، فانظر الى دقة التعبير القرآني في وصف نظراتهم الجبانة فمآقيهم تدور يميناً وشمالاً وحالهم كحال الذي أحاطه الموت لدرجة أقرب من فقدان الوعي ، قصار في أقصى دركات الوهن والخوف والفزع ، فعبر عن كل هذا المعنى بنسق بياني حاشد حوى أغلب أساليب المجاز التي ذهبنا اليها من تشبيه واستعارة في حديث سابق ناهيك عن الكناية في (تدور أعينهم) وهي موصوف يخبرنا مدى هذا الخوف؛ وقد كنى البيان القرآني عن معنى الخوف بعدة صور منها على سبيل المثال قوله جل شأنه((إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا))(الاحزاب: 10) ، والخوف حالة نفسية تعتري الإنسان عند وقوع أذى أو مكروه..... تظهر أشكال الخوف وصوره في جسد الإنسان من تغيرات بايلوجية كشخوص البصر أو زيغه أو ارتجاف القلب واضطراب خفقانه وارتعاد الفرائص أو دوران العين في الحدقة أو ما إلى ذلك من تغرات تصف هذا الخوف وذلك الفزع في النفس البشرية .

وربما جاء وصف أحداث يوم القيامة وما فيها من مشاهد وصفية في التعبير الكنائي ؛ وسر هذا التعبير هو تفخيم المعنى في نفس القاريء أو السامع ، ويتضح لنا ذلك في قوله الحق ((القارعة، مَا القارِعَةُ ، وَما أدراك مَاالقارعة ، يَومَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلفَرَاشِ المبثوث، وَتَكُونُ ٱلجِبَالُ كالعهن ٱلمنفُوشِ))(القارعة :1-5) ، وقوله: (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ))(النازعات:34) و((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا))(الزلزلة :1) إلى غير ذلك من الآيات التي كُني فيها عن يوم القيامة بوصف ما يكون فيه من أحداث وأهوال، تذهل القلوب خوفا وروعاً وفزعا وتزلزل النفوس .

ثالثا : أساليب الكناية التعريض.

والتعريض وهو ضد التصريح... وهو أخفى من الكناية كون دلالة الكناية وضعية من جهة المجاز بينما دلالة التعريض من جهة المفهوم المركب – أي ليست وضعية – وسمي تعريضا لأن المعنى يفهم فيه من عرض اللفظ(الثعالبي، 1998، ص.53–54)

ومن أمثلته قوله تعالى: (إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ)(فاطر :18)، فالمراد التعريض بمن لا يخشون الله، والإشارة إلى أن إنذار هؤلاء لا يجدي فإنذارهم مثل عدمه ، ومثله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))(فاطر :28) فالمعنى الصريح لهذا النص القرآني قصْر خشية الله على العلماء، ومن لوازم هذا المعنى نفي الخشية عن كل جاهل مبالغة، وسوق هذا النص في مواجهة من يقدموا على معصية الله تعريض بجهله وعدم معرفته بجلال الله وعظمة سلطانه؛ إذ إن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشئونه.

رابعا : الكناية عن نسبة :

وقد وردت الكناية عن نسبة في شواهد قليلة جدا في سياق الخوف ؛ ومن أمثلته : ((وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)) (الرحمن: 46) ، فأسند الخوف إلى المقام ؛ وهو المكان الذي يقف فيه الناس للحساب والعقاب ؛ وسر هذا التعبير المجازي ألهاب الخوف من الله بترك المعاصي واستشعار مراقبة الله لنا وهيمنته علينا .

نتائج البحث

بعد تجوال القلم والخاطر في الصورة الكنائية في ايات الخوف والعذاب يمكن لنا أن نجمل ماتوصلنا إليه من نتائج بالأتي :

1. التفنن في الصباغة والدقة في التعبير المجازي وتوكيد الصورة الكنائية بما يلائمها من جو نفسي يعزز الخوف والترهيب
2. نجد المغايرة الأسلوبية حسب مايقتضيه السياق من انفعالات وموافقة الحال ؛ فمتى كان المقام مقتضيا للمغايرة، ومراوحة الأسلوب بين صورة كنائية واخرى ؛وهو ماجاء منسجما مع الهدف والمضمون ، ومتى كان المقام مقتضياً لاستمرار الأسلوب على طريقة، أو فنٌّ واحد وجدت البلاغة متعلقة في النُّظم.
3. نجد الكناية بأنواعها ؛ فنجد كثرة من صفة وموصوف ثم تعريض ثم نسبة من الأكثر الى الأقل في سياق الخوف .
4. سيطرة الدلالة النفسية في التعبير الكنائي لآيات الخوف ، مما بيَّن لناعمق أثرها في النفس من زرع التهويل والتنفير والتخويف النفسي بما أعده الله للمنافقين أو الكفار –فهم المقصود بهذا القطاب القرآني– ومن ذلك قوله تعالى : ((والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاة حسابه * والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لُجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور)) وغير ذلك كثير نذير للمتلقي .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، ضياء الدين) .د.ت .(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .تحقيق: أحمد محمد الحوفي وبدوي طبانة، ط2، دار نهضة مصر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر .(1984) .تفسير التحرير والتنوير .الدار التونسية للنشر.

- ابن منظور، جمال الدين) .د.ت .(لسان العرب .تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف.
- الثعالبي، أبو منصور .(1998) .الكناية والتعريض .تحقيق: عائشة حسين، مصر: للطباعة والتوزيع.
- الجرجاني، عبد القاهر .(1991) .دلائل الإعجاز .تحقيق: محمود محمد شاكر، ط3، القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني.
- الدبل، محمد بن سعد .(2010) .دليل البلاغة القرآنية .ط2، مطبعة الرياض.
- الزمخشري، محمود بن عمر) .د.ت .(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، ط2، دار قباء.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر .(1987) .مفتاح العلوم .تحقيق: نعيم زرزور، ط2، لبنان: دار الكتب العلمية.
- العتابي، أحمد جواد .(2011) .الخوف ألفاظه وسياقاته في التعبير القرآني (دراسة لغوية) .بغداد: ديوان الوقف الشيعي.
- غريب، فخرية .(2011) .تجليات الدلالة الاحتمالية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة سورة التوبة أنموذجاً .ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- القزويني، الخطيب .(2003) .الإيضاح في علوم البلاغة .وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- نيشان، عبد الهادي خضير .(2014) .دروس في البلاغة العربية (البيان – البديع) .ط1، بغداد: دار الفراهيدي للنشر والتوزيع.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Visual Narration and Artistic Form: Toward a Semiotic Reading of the Interaction between Literature and Art.

BEN TAHAR Amal
Faculty of Arts and Humanities, Cadi Ayyad University, Marrakech, Morocco.
bentaharamal3@gmail.com

Abstract:

The research adopts an operational methodology that integrates the analysis of symbols and meanings, the examination of the aesthetic impact of language, and the use of pragmatics to understand the relationship between the text and the reader. The findings conclude that the literary text constitutes an argumentative practice in which language and structure interact to generate multidimensional meaning. The study further highlights the dynamic relationship between style and function, and between the referential and the imaginary, ensuring both the coherence of discourse and its openness to intellectual transformations. The results confirm that employing contemporary approaches contributes to deepening critical understanding and strengthening interpretative reading. Accordingly, the study offers a comprehensive analytical framework for advancing contemporary literary research and exploring its aesthetic and intellectual dimensions.

Keywords: Visual narration; Artistic language; semiotics; interaction between literature and art; aesthetic discourse analysis.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

السرد البصري واللغة التشكيلية: نحو قراءة سيميائية في تفاعل الأدب والفن.

آمال بن الطاهر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية.

bentaharamal3@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل النصوص الأدبية وفق مقاربة تكاملية تجمع بين السيميائية والجمالية والحجاجية، للكشف عن آليات إنتاج المعنى داخل البنية النصية. وتنطلق من إشكالية مركزية تتمثل في كيفية تفاعل البنية السردية واللغوية مع المقاصد الحجاجية والجمالية، وقدرة النص على مساءلة الواقع الاجتماعي والثقافي. كما تبحث في دور عناصر التناص والاقتباس والتكرار في إعادة تشكيل الدلالة، وفي إسهام البلاغة الحديثة والدرس الحجاجي في تفسير النصوص. واعتمد البحث منهجًا إجرائيًا يجمع بين تحليل الرموز والدلالات، ودراسة الأثر الجمالي للغة، واستثمار التداوليات لفهم علاقة النص بالقارئ. وقد خلصت الدراسة إلى أن النص الأدبي يمثل ممارسة حجاجية تتفاعل فيها اللغة والبنية لإنتاج معنى متعدد الأبعاد. كما أبرزت دينامية العلاقة بين الأسلوب والوظيفة، وبين المرجعي والمتخيل، بما يضمن تماسك الخطاب وانفتاحه على التحولات الفكرية. وتؤكد النتائج أن توظيف المقاربات الحديثة يسهم في تعميق الفهم النقدي وتعزيز القراءة التأويلية. وبذلك تقدم الدراسة إطارًا تحليليًا متكاملاً لتطوير البحث الأدبي المعاصر واستكشاف أبعاده الجمالية والفكرية.

الكلمات المفتاحية: السرد البصري، اللغة التشكيلية، السيميائية، تفاعل الأدب والفن، تحليل الخطاب الجمالي.

مقدمة:

يعد تفاعل الأدب والفن أحد أبرز مظاهر التحوّل في الدراسات الإنسانية المعاصرة، إذ تجاوزت المقاربات النقدية حدود الأجناس التقليدية لتسائل المشترك الجمالي والدلالي بين أنساق التعبير المختلفة، وفي مقدمتها اللغة والصورة. فالعلاقة بين السرد البصري واللغة التشكيلية لم تعد علاقة تزيينية أو مرافقة، بل صارت إطارًا معرفيًا وجماليًا لفهم كيفية تشكّل المعنى عبر التفاعل بين الكلمة والخط واللون والفضاء. إن هذا التداخل يُعبّر عن وعي جديد بالتمثيل، حيث لا يُنظر إلى الأدب بوصفه خطابًا لغويًا فحسب، بل كحقل بصري يلتقي فيه السرد مع الرؤية.

لقد أسفرت عن هذا التحوّل حاجة ماسّة إلى أدوات جديدة في التحليل، تنتمي إلى حقل السيميائيات الحديثة التي تسعى إلى كشف أنظمة الدلالة المتعددة داخل النصوص، سواء أكانت لغوية أم بصرية. فالسيميائيات بما تمتلكه من مفاهيم مثل العلامة، والرمز، والأيقونة، والتماثل، والتأويل، تمكّننا من قراءة النص الأدبي والفني بوصفهما بنيتين دلاليتين تتفاعلان داخل شبكة من العلامات التي تنتج معنى يتجاوز حدود كلّ منهما. من هنا تنبثق أهمية المنهج السيميائي في مقاربة العلاقة بين السرد البصري واللغة التشكيلية، لما يتيحه من إمكانات في رصد العلاقات التأويلية بين الخطابين.

تكمن الإشكالية الأساس لقراءتنا في السؤال حول طبيعة هذا التفاعل: كيف تُترجم الرؤية البصرية إلى سرد لغوي؟ وكيف يستعير النص الأدبي أساليب التشكيل في بناء المشهد السردي؟ وهل يمكن للغة أن تحاكي التكوين التشكيلي دون أن تفقد خصائصها الزمنية؟ هذه الأسئلة تفتح المجال أمام مقاربة تضع الأدب في حوار مع الفن، لا بوصفه محاكاة له، بل بوصفه إعادة صياغة للرؤية الجمالية من خلال وسائط مختلفة.

يتّجه هذا البحث إلى تفكيك العلاقة بين السرد البصري واللغة التشكيلية عبر تحليل البنية العلاماتية التي تجمعهما، وذلك وفق المنهج السيميائي التأويلي الذي يجمع بين مقاربة العلامة في بعدها اللساني (دو سوسير، بيرس)، وفي بعدها التداولي التأويلي (إيكو، غريماس). كما يسعى إلى استثمار مفهومات مثل: "التأطير" و"المنظور" و"المسافة الجمالية" و"الفضاء السردي" لبيان كيف يُنتج الأدب صورًا بصرية توازي اللوحة التشكيلية في طاقتها الإيحائية.

إن الغاية من هذا البحث ليست فقط المقارنة بين الأدب والفن، بل الكشف عن آليات الرؤية في الخطابين معًا، أي كيف يرى الكاتب العالم من خلال الكلمة؟ وكيف يرى الفنان العالم من خلال اللون والخط؟ وكيف يمكن للقارئ أن يعيد بناء هذا العالم من خلال فعل التأويل؟ ومن ثَمّ، فإن الهدف هو إبراز الكيفية التي تتيح بها اللغة والفن إعادة تمثيل الواقع وتحويله إلى أثر جمالي ذي دلالة.

ومن القضايا التي يطرحها هذا البحث أيضًا مسألة "التلقي البصري" في القراءة الأدبية؛ فالنص الحديث غالبًا ما يوظّف تقنيات المشهد، والقطع، والمونتاج، والظلّ والضوء، وهي تقنيات مستمدة من الفنون البصرية، مما يجعل القارئ معنيًا بقراءة النص كلوحة متحرّكة لا كمجرّد سرد لغوي. هذا التحوّل في التلقي يدفع إلى إعادة النظر في مفهوم "الكتابة" نفسها بوصفها ممارسة تشكيلية تتجاوز السرد إلى التشكيل الرمزي.

وعلى هذا الأساس، سيتمحور البحث حول ثلاثة مستويات تحليلية مترابطة: أولًا، المستوى السيميائي الذي يدرس العلامة في امتدادها بين اللفظي والبصري؛ ثانيًا، المستوى الجمالي الذي يسلّط الضوء على مفهوم الصورة الفنية في الأدب والفن التشكيلي؛ وثالثًا، المستوى التأويلي الذي يبحث في كيفية إنتاج الدلالة داخل الفضاء التفاعلي بين النص واللوحة. هذه المحاور تشكّل الإطار المنهجي الذي يوجّه التحليل ويحدّد أبعاده النظرية والتطبيقية.

وفي ضوء ذلك، تتبلور مجموعة من الأسئلة المركزية: ما حدود التماثل بين السرد البصري واللغة التشكيلية؟ وهل يمكن الحديث عن لغة تشكيلية داخل النصوص السردية؟ وكيف يُسهم المنظور السيميائي في بناء جسر بين الخطاب الأدبي والخطاب التشكيلي؟ وما الأفق الذي يفتحه هذا التفاعل في تجديد قراءة النصوص الأدبية والفنية على حد سواء؟

إن هذا المشروع البحثي يطمح في النهاية إلى الإسهام في توسيع أفق الدراسات البينمجالية التي تقارب الأدب والفن بوصفهما خطابين متكاملين في بناء الرؤية الإنسانية والجمالية، والتأكيد أن اللغة — حين تتحول إلى أفق بصري — تصبح فعلًا تشكيليًا بامتياز، وأن الصورة — حين تلتقي بالسرد — تتحول إلى نصّ منفتحا على جملة من التأويلات.

1. البنية السيميائية في تفاعل السرد البصري واللغة التشكيلية:

ينطلق هذا المحور من مقاربة البنية السيميائية في تفعّل السرد البصري واللغة التشكيلية، باعتبارها المجال الذي تُنتج فيه العلامات دلالاتها عبر تضافر الوسيطين اللفظي والبصري. فالنص الأدبي الذي يوظّف اللغة التشكيلية لا يكتفي بالوصف الخارجي للوحة أو المشهد، بل يُعيد بناءه ضمن نسق سردي يجعل من الصورة بنية دالة. إن السيميائيات، بوصفها علمًا لدراسة أنظمة العلامات، تمنحنا الأدوات الكفيلة بفهم هذا التفاعل، لأنها تُعنى بتحليل العلاقة بين الدالّ والمدلول، وبين الرمز والمعنى، داخل عملية إنتاج الدلالة التي تتجاوز حدود الخطاب الواحد إلى فضاء بصري لغوي مشترك (فرديناند دو سوسير، 1984، ص 89).

وتُبرز هذه المقاربة أن كل عنصر بصري داخل النص لا يكتسب دلالته بشكل مستقل، بل عبر موقعه داخل شبكة العلامات التي ينسجها النص. وهذا يعني أن فهم أي صورة أدبية يفترض تحليل علاقتها بالمكونات اللغوية المحيطة بها، مما يجعل القراءة السيميائية قراءة تركيبية وليست تجزيئية.

وتنبع أهمية هذا المدخل السيميائي من كونه يسمح بقراءة السرد الأدبي ك «نظام دلالي متعدد الوسائط»، أي إنه لا يُفهم إلا من خلال تقاطع الرموز اللغوية مع الرموز البصرية التي تحضر في النص كإشارات وأيقونات وتشبيهات ومجازات تشكيلية. ففي روايات أو قصائد كثيرة، تتخذ الكلمة وظيفة لونية، والخطاب السردي يتحول إلى لوحة يشتغل فيها الكاتب على توزيع الضوء والظل، وعلى توجيه عين القارئ كما يوجّه الرسّام عين المتلقي في فضاء اللوح (Barthes, Roland , 1982, pp. 25-42).

ويؤدي هذا الطابع المتعدد الوسائط إلى إعادة النظر في مفهوم "النص الأدبي" ذاته، الذي لم يعد يقتصر على حدود الكتابة، بل صار فضاءً تفاعليًا يستعير من الفن التشكيلي آليات الرؤية والتأطير والتكوين، مما يمنح السرد هشاشة تشكيلية تسمح بإعادة بناء المعنى باستمرار.

يُظهر التحليل السيميائي أن الصورة في الأدب ليست مجرد عنصر وصفي، بل تمثل «علامة بصرية» تشتغل داخل نظام لغوي، فتولّد معنى مزدوجًا: معنى مباشر يرتبط بالمشهد، ومعنى رمزي يتجاوز التمثيل إلى التأويل. إنّ هذا الازدواج الدلالي هو ما يجعل السرد البصري حقلًا خصبًا للتحليل السيميائي، لأن العلامة البصرية لا تُفهم بمعزل عن سياقها النصي. فالكلمة «لون»، واللون «كلمة»، في شبكة دلالية متفاعلة تفتح النص على إمكانات متعددة للفهم والتأويل (ينظر: أمبرتو إيكو، 2005، ص142).

وتساعد هذه الرؤية على فهم كيفية انتقال القارئ من مستوى الإدراك الحسي للصورة إلى مستوى القراءة التأويلية، حيث تتحول التفاصيل الصغيرة—مثل الظلال أو الألوان أو الحركة—إلى محركات دلالية تسهم في تشكيل البنية العميقة للنص.

وإذا كانت السيميائيات الكلاسيكية عند فرديناند دي سوسير قد حدّدت العلامة بوصفها علاقة بين دالّ ومدلول، فإنّ السيميائيات الحديثة مع تشارلز ساندرز بيرس وأمبرتو إيكو وسّعت المفهوم ليشمل التفاعل بين العلامة وسياقها ومؤوِّلها. ومن هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين السرد البصري واللغة التشكيلية، لأن كليهما يقوم على «تأويل الصورة» داخل نسق من العلاقات الرمزية (Peirce, C.S, 1883, p63).

ويسمح هذا التوسيع بتفسير السرد البصري باعتباره عملية تأويل مستمرة، لا تنتج من العلامة وحدها، بل من علاقة التأثير المتبادل بين النص والقارئ. فالصورة لا تكتمل دلالتها إلا من خلال فعل التأويل الذي يمارسه المتلقي، مما يجعل البعد البصري جزءًا من استراتيجية تواصلية مفتوحة وليست بنية مغلقة.

ومن هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين السرد البصري واللغة التشكيلية، لأن كليهما يقوم على «تأويل الصورة» داخل نسق من العلاقات الرمزية. إنّ السرد البصري يتجلّى في الأدب من خلال حضور المشهدية، والتصوير، والتمثيل الحسي للأشياء، وهي عناصر تشكّل جميعها «اللغة التشكيلية للنص». فحين يصف الكاتب فضاءً أو وجهًا أو حالة ضوء، فهو في الواقع يقوم بنوع من الرسم بالكلمات. ويكشف هذا التداخل أن الصورة ليست مجرد نتيجة لوصف، بل هي وسيلة لبناء الإحساس الجمالي. إذ يعمل الكاتب على توظيف الإيقاع اللغوي واختيار المفردات والتراكيب بطريقة تُحدث تأثيرًا بصريًا يشبه ما يحدث في اللوحة التشكيلية.

وتكمن قيمة السيميائيات هنا في قدرتها على تحليل كيفية تشكّل هذه الصور داخل البنية اللغوية، أي كيف تتحول اللغة من أداة سرد إلى أداة تشكيل .(Michael Riffaterre , 1978, p77). ومن هذا المنظور، يصبح السرد البصري شكلًا من أشكال «الكتابة–الصورة»، حيث يندمج البصري باللغوي في فعل دلالي واحد.

وهذا الاندماج يجعل من النص وحدة دلالية تُقرؤ على مستويين: مستوى لغوي يُعنى بالبناء النحوي والدلالي، ومستوى بصري يُعنى ببنية الرؤية. وإدراك هذين المستويين معًا يتيح فهمًا أعمق لطبيعة العملية الإبداعية.

فالنص الذي يتبنى هذه اللغة لا يسعى إلى تمثيل الواقع فحسب، بل إلى «رؤيته» وإعادة صياغته بصريًا. وهنا تظهر قيمة السيميائيات في كشف «بنية الرؤية» داخل النص، أي الطريقة التي تُبنى بها المعاني عبر توزيع العلامات وتوظيف الإيقاع اللغوي لتوليد إحساس بصري لدى القارئ (جيرار جينيت، 1997، ص 129) .

ويمكن القول إن العلاقة بين السرد البصري واللغة التشكيلية تُنتج نوعًا من «الترجمة البينوسائطية»، حيث تتحول الصورة إلى لغة، وتتحول اللغة إلى صورة. وهذا التبادل هو جوهر المقاربة السيميائية، لأنها تُعنى بفهم كيفية انتقال المعنى بين الوسائط. فحين يستعير الكاتب أدوات الفنان التشكيلي، فإنه لا ينقل الشكل فقط، بل ينقل منظومة الإدراك نفسها: كيفية النظر، وتموضع الذات أمام العالم، وتفاعل العين مع المعنى (ميشيل فوكو، 1969، ص 45).

ومن هنا يتضح أن السيميوطيقا لا تدرس الصورة بوصفها شيئًا مرئيًا فحسب، بل بوصفها بنية معرفية تتضمن رؤية للعالم، مما يجعل المعالجة السيميائية للسرد البصري معالجة للرؤية ذاتها وليس فقط لتمثيلها.
كما أن المقاربة السيميائية تكشف أن السرد البصري في الأدب لا يقوم على المحاكاة البسيطة للفن، بل على «إعادة ترميز» الواقع ضمن نظام لغوي جديد. فالكاتب لا يرسم ما يراه، بل يخلق ما يمكن رؤيته.

وهذا ما يجعل اللغة التشكيلية في الأدب ذات بعد خَلّاق، تتجاوز التوصيف إلى الإنشاء، فتُنتج عوالم جديدة من الدلالات. ومن خلال تحليل هذا البعد الخلاق، يمكن للسيميائيات أن توضّح كيف تتحوّل العلامة من تمثيل لشيء إلى أداة لبناء الرؤية ذاتها (Greimas, Algirdas Julien, 1966, p101).

وتسمح هذه العملية بفهم الأدب ليس كمرآة للعالم، بل كأداة لإعادة تشكيله عبر عمليات الترميز التي تُحوِّل التجربة المرئية إلى خطاب قابل للتأويل المستمر.

وفي المحصلة، يُبرز المحور الأول من قراءتنا أن السيميائيات تشكل الأداة المثلى لفهم التفاعل بين السرد البصري واللغة التشكيلية، لأنها تتيح تجاوز الفصل بين النص والصورة نحو قراءة متكاملة ترى في كل منهما

مكوّنًا في شبكة واحدة من العلامات. فاللغة ليست ضدّ الصورة، بل هي صورتها الأخرى، والكتابة ليست ضدّ التشكيل، بل هي امتداده في الزمن. وبهذا المعنى، يمكن القول إن السرد البصري هو لحظة التقاء الكلمة باللون في أفق دلالي واحد، يتجاوز المادة ليبلغ جوهر الرؤية الجمالية (ينظر: رولان بارث، 1981، ص37).

وبذلك يصبح النص الأدبي فضاءً تواصليًا مركبًا، تنصهر فيه العلامات اللفظية والبصرية في عملية إنتاج المعنى، مما يجعل المقاربة السيميائية أداة لا غنى عنها في الكشف عن البنية العميقة للرؤية الفنية.

2. الصورة الجمالية وبناء المعنى بين الأدب والفن التشكيلي:

يشكّل مفهوم الصورة الجمالية حلقة الوصل الأساس بين الخطابين الأدبي والفني. إذ تُعد الصورة في جوهرها عملية إدراك وتمثيل للعالم من خلال منظومة رمزية تحوّل المرئي إلى دلالة، والحسي إلى معنى. فالأدب، كما يرى جاستون باشلار، لا يصف الأشياء بل "يخلقها من جديد داخل اللغة"، لأن الصورة الشعرية "ليست استحضارًا للواقع، بل ولادة ثانية له في الخيال" (جاستون باشلار، 1984، ص 47.).

وهذا التصور يجعل من الصورة وسيطًا معرفيًا وجماليًا يجمع بين فعل الرؤية وفعل الكتابة، بين العين والقلم في بناء التجربة الجمالية.

في هذا الأفق، يصبح الفن التشكيلي مجالًا موازيا للأدب في إنتاج الصورة الجمالية، لكن باختلاف الوسيط. فبينما تُنتج اللوحة دلالاتها عبر اللون والفضاء والخط، يبني النص الأدبي صورته عبر المجاز، والوصف، والإيقاع اللغوي. ومع ذلك، فإن كليهما يشتركان في "نظام الرؤية" نفسه، أي في الكيفية التي تُحسّ بها الأشياء ويُعاد ترتيبها وفق منطق الجمال. هذا ما عبّر عنه رولان بارت حين رأى أن "كل عمل فني هو نظام من العلامات يخضع لقانون الرؤية ذاته، سواء تجسّد في الخطاب أو في التشكيل" (R. Barth, 1982 .(p140.

ولأن الصورة في الأدب ليست انعكاسًا آليًا للواقع، بل بناء لغوي مقصود، فإنها تكتسب وظيفة حجاجية وجمالية في آن واحد. فهي تُقنع القارئ بجمالها من خلال طاقتها الإيحائية. وقد أشار أمبرتو إيكو

إلى أن "كل صورة لغوية هي مشروع تأويلي مفتوح، يشارك القارئ في إنتاج معناه" (أمبرتو إيكو، 2004، ص 112).

فالصورة إذن ليست معطى جاهزًا، بل مسارًا تأويليًا يجعل القارئ شريكًا في توليد الدلالة، تمامًا كما يشترك المتلقي في قراءة اللوحة التشكيلية وتأويل رموزها.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن الصورة الجمالية تُشكّل نقطة التقاء بين "التمثيل" و"التخييل". فهي من جهة وسيلة لترميز العالم، ومن جهة أخرى فعل تخيلي يبتكر عالما جديدًا. وقد عبّر بول ريكور عن هذا التداخل حين عبر قائلا: "التخييل هو الوجه الآخر للتمثيل، إذ لا يمكن أن نصف دون أن نخلق" (بول ريكور، 2006، ص 203.) .

وبناء على ذلك، يصبح التفاعل بين الأدب والفن التشكيلي مجالًا لإعادة بناء الواقع عبر اللغة واللون معًا، أي عبر جماليات الإدراك وإمكاناته التأويلية.

تؤكد السيميائيات الجمالية، خصوصًا عند يوريس لوتمان، أن الصورة في الأدب والفن تعمل ضمن "نظام ثقافي" ينتج المعنى من خلال التفاعل بين الرموز. فالفن، في رأيه، "هو نصّ اجتماعي يُنتج دلالاته من خلال أنظمة إشارات متعددة" (يوري لوتمان، 2019، ص 65).

وعليه، فإن دراسة الصورة الجمالية تقتضي فهمها بوصفها كيانًا ثقافيًا يتجاوز حدود التمثيل الفردي، لتصبح تجسيدًا لرؤية حضارية للعالم. إنّ هذا المنظور يتيح قراءة الصورة الأدبية والفنية بوصفها فعلًا ثقافيًا يعكس تصوّر الإنسان لجمال الوجود.

من جهة أخرى، تُظهر المقاربة الجمالية أن العلاقة بين الأدب والفن ليست علاقة استلهام فقط، بل علاقة بنائية، إذ يعيد كلّ منهما تشكيل الآخر. فالنص الأدبي الذي يوظّف عناصر تشكيلية – الضوء، الظل، اللون، الفضاء – يوسّع حدوده الجمالية، بينما تستفيد اللوحة الفنية من بنى السرد الأدبي ومن إيقاع اللغة في بناء المشهد. ذلك أن اللغة حين تنفتح على الصورة، تصبح هي نفسها لوحة ناطقة.

كما أن الصورة الجمالية لا تكتفي بإثارة المتعة، بل تُمارس وظيفة معرفية؛ إذ تكشف عن رؤية فكرية للعالم. فالفن والأدب لا يعكسان الواقع كما هو، بل يعيدان تشكيله وفق منطق الجمال والمعنى. وقد عبّر

موريس ميرلوبونتي عن هذا الدور حين قال: "الرؤية ليست عملية تصوير للأشياء، بل طريقة في التواجد معها" (موريس ميرلوبونتي، 1961، ص 59).

إن هذا المفهوم يجعل من الصورة الجمالية وسيلة لالتقاط الوجود ذاته، لا لمجرد تمثيله، وهو ما يقرّب التجربة الأدبية من التجربة التشكيلية في بعدها الفينومينولوجي.

وفي هذا السياق، يُمكن القول إن الصورة الجمالية تمثّل أحد أهم جسور العبور بين الحقول التعبيرية. فحين تتحول الكلمة إلى لون، واللون إلى سرد، نكون أمام شكل من "الترجمة الجمالية" التي يتحدث عنها جان كوهن حين يرى أن "اللغة الشعرية ليست سوى محاولة لتصوير المعنى عبر الإيقاع والخيال كما يصوره الرسام عبر اللون والخط" (جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، 1986، ص 134.).

هذه الترجمة هي التي تسمح للسيميائيات بتفكيك العلاقة بين النص والصورة، بين ما يُقال وما يُرى، في أفق توحيد الجمالي والدلالي.

إن هذا المحور يُبرز أن الصورة الجمالية ليست مجرد وسيلة تعبير، بل هي جوهر العملية الإبداعية ذاتها، إذ من خلالها يتشكّل المعنى ويتجلّى الجمال. فالأدب والفن يشتركان في السعي إلى استجلاء "المرئي المتخفي"، أي المعنى الذي يكمن وراء الشكل. ومن خلال المقاربة السيميائية، يمكن للباحث أن يتتبع مسار العلامة من اللفظ إلى اللون، ومن المجاز إلى الخط، ليكشف أن الصورة ليست مظهرًا بل جوهر الرؤية، وأن الفن والأدب ليسا عالمين متوازيين، بل لغتين مختلفتين لذات الجمال الإنساني.

3. التأويل الجمالي ومسارات التلقي بين النص واللوحة:

يُعدّ التأويل الجمالي المرحلة الأعمق في فهم العلاقة بين الأدب والفن، إذ لا يكتمل معنى الصورة البصرية أو النص الأدبي إلا من خلال المتلقي الذي يُعيد بناء الدلالة في ضوء تجربته الحسية والثقافية. فالتلقي ليس عملية سلبية أو وصفية، بل هو فعل خَلقٍ جديد للنص أو اللوحة. وقد أكّد هانس روبرت ياوس هذا المعنى بقوله: "إن العمل الفني لا يعيش إلا في أفق انتظار القارئ أو المشاهد، الذي يُعيد إنتاجه ضمن تجربته الجمالية الخاصة" (هانس روبرت ياوس، 2016، ص 77.).

ومن هذا المنظور، يصبح التأويل الجمالي نقطة التقاء بين فعل الإبداع وفعل القراءة، بين المبدع والمتلقي في دائرة دلالية مفتوحة.

إنّ مقاربة التأويل الجمالي من منظور سيميائي تفترض أن المعنى لا يوجد في النص أو الصورة في حدّ ذاتها، بل في عملية التفاعل بين العلامة ومؤوِّلها. فوفقًا لتصور تشارلز ساندرز بيرس "العلامة لا تكتمل إلا في تأويلها، لأن معناها هو الأثر الذي تتركه في ذهن المؤول"(تشارلز ساندرز بيرس، 2007، ص 241).

وهكذا يصبح المتلقي طرفًا أساسا في إنتاج الدلالة، إذ يُفعّل العلامات ويمنحها حياة جديدة داخل تجربته الإدراكية. فالتأويل الجمالي هو إذن إعادة صياغة للنص أو اللوحة وفق منطق التلقي.

يُظهر هذا البعد التأويلي أن السرد البصري في الأدب والفن التشكيلي يُوجَّه بالأساس إلى العين، لكنه لا يُدرك إلا بالعقل والخيال معًا. فالمتلقي لا يرى ما يُعرض عليه فقط، بل يملأ الفراغات التي يتركها النص أو العمل الفني. وقد أشار فولفغانغ إيزر إلى أن "العمل الفني الحقيقي هو ما لا يُقال فيه، بل ما يُترك للقارئ كي يقوله" (فولفغانغ إيزر، 1995، ص 156).

هذا ما يجعل التأويل الجمالي مجالًا مفتوحًا لتعدد المعاني، لأن كل قارئ يقرأ العمل من زاوية تجربته الجمالية الخاصة، مما يجعل النص أو اللوحة فضاءً متحركًا لا نهائي الدلالات.

وتُظهر الدراسات الجمالية الحديثة، خاصة عند أمبرتو إيكو، أن العمل الفني هو "نص مفتوح"، أي إنه يقاوم التحديد النهائي للمعنى. يذهب إيكو إلى أن "كل نص عظيم هو آلة توليد للمعاني، تُنتج دلالات جديدة كلما أُعيد قراءتها" (أمبرتو إيكو،1996، ص 93).

إنّ هذا الانفتاح يجعل من التأويل فعلًا إبداعيًا يوازي عملية الخلق الأصلية، بحيث يصبح المتلقي مبدعًا ثانيًا للنص أو اللوحة، لا مجرد قارئ أو مشاهد. وهكذا تتأسس علاقة تشاركية بين الأدب والفن والجمهور، تُعيد تعريف الجمال بوصفه تجربة تفاعلية لا معطًى جاهزًا.

من هذا المنطلق، تتجاوز القراءة الجمالية التحليل التقني إلى مساءلة "تجربة التلقي" نفسها: كيف يرى القارئ النص كما يرى المشاهد اللوحة؟ وكيف تتولد الدلالة من التفاعل الحسي بين البصر واللغة؟ لقد نبّه موريس ميرلوبونتي إلى أن "الرؤية ليست مجرّد استقبال، بل هي فعل مشاركة في العالم"(موريس ميرلوبونتي، 1961، ص64).

وبناء على هذا التصور الفينومينولوجي، يغدو التلقي الفني والأدبي فعل وجودٍ في العالم، حيث يُعيد المتلقي اكتشاف ذاته من خلال ما يراه أو يقرؤه.

كما أن التأويل الجمالي يكشف عن التداخل بين الحسّي والرمزي في عملية الفهم؛ فكل صورة أو مشهد يحمل وراءه نظامًا من القيم والدلالات الثقافية. وهذا ما يؤكده يوريس لوتمان حين يرى أن "كل نص فني هو جهاز تأويلي يعمل ضمن منظومة ثقافية واسعة، تُحدّد أفق المعنى وقابلية تأويله." (يوري لوتمان، 2019، ص81).

فالتلقي ليس عملية فردية فقط، بل عملية ثقافية تتأثر بالرموز السائدة في المجتمع، وبالذاكرة الجمالية المشتركة. لذلك تختلف القراءات باختلاف الأزمنة والبيئات، مما يمنح النصوص والأعمال الفنية طاقتها الاستمرارية.

ويتجلّى التأويل الجمالي أيضًا في كونه تجربة وجدانية تحوّل المشاهدة إلى انفعال، والانفعال إلى وعي. فالجمال لا يُدرك بالعين وحدها، بل بالوجدان والذاكرة والخيال. وقد عبّر إتيان سوريو عن ذلك بقوله: "إن كل عمل فني عظيم يُلزمنا بأن نحيا داخله، لا أن ننظر إليه من الخارج" (إتيان سوريو،1982 ، ص 142).

إن هذه المشاركة الوجدانية هي التي تمنح التأويل عمقه الإنساني، وتجعل التجربة الفنية والأدبية معًا لحظة تواصل روحي بين الذات والعالم.

وفي هذا السياق، يمكن القول إن التأويل الجمالي يشكّل النقطة التي تلتقي عندها جميع مستويات التحليل السيميائي والجمالي، لأنه يربط بين العلامة ودلالتها، وبين الصورة ومؤوّلها، وبين اللغة والرؤية. فالنص واللوحة لا يبلغان اكتمالهما إلا حين يدخلان في مدار القراءة والتلقي. ومن هنا تتجلّى وحدة التجربة الجمالية في الأدب والفن، بوصفها حوارًا مفتوحًا بين الإبداع والتأويل، بين المبدع والمتلقي، حيث تتحول العلامة إلى تجربة حية تُعيد تعريف الجمال باعتباره فعلاً تأويليًا دائم التجدد.

4. نحو جمالية العبور بين الفنون – الأدب والفن التشكيلي في ضوء البينمجالية:

يُعدّ مفهوم العبور بين الفنون من المفهومات الحديثة في النقد الجمالي، وهو يقوم على فكرة تجاوز الحدود الأجناسية والوسائطية بين الخطابات الإبداعية، ليكشف عن وحدة التجربة الفنية بالرغم من اختلاف أدوات

التعبير. فالكتابة والرسم، والسرد والتشكيل، والمجاز واللون، ليست مجالات متوازية بل متداخلة تشترك في هدف واحد؛ هو إعادة بناء العالم من خلال الحسّ الجمالي. وقد أشار جيرار جنيت إلى هذا الأفق الجديد بقوله: "كل فنٍّ يتكلم لغة الآخر حين يتقاطعان في أفق الجمال (G. Genette: Seuils, 1987,p19).

من هنا تتأسس جمالية العبور بين الأدب والفن التشكيلي على مبدأ الحوار النصي والبصري بوصفه شكلًا من أشكال التفكير الجمالي المشترك.

إنّ مفهوم البينمجالية (Intermédialité) الذي برز في النقد الغربي منذ تسعينيات القرن العشرين، خاصة مع أعمال كلوس بيولر ولارس إيليسون، يُعنى بدراسة العلاقات المتبادلة بين الفنون والوسائط، وكيف يتغذى كلّ منها من الآخر. فاللوحة يمكن أن تحكي قصة، والنص يمكن أن يُبنى كصورة، والفيلم يمكن أن يتجسّد كنص سردي. هذا التداخل يمنح العمل الفني بعدًا مضاعفًا من الدلالة لأنه يجمع بين أنظمة حسية متباينة في تجربة إدراكية واحدة.

وبهذا المعنى، تصبح العلاقة بين الأدب والفن التشكيلي أكثر من مجرد تبادل تقني، إلى اعتبارها نوعًا من التفكير المتداخل في ماهية الجمال نفسه.

ويكشف هذا المنظور البينمجالي عن أن الأدب لا يعيش بمعزل عن الصورة، كما أن الفن التشكيلي لا ينفصل عن السرد. فكل منهما يُعيد الآخر ضمن بنيته الداخلية، سواء عبر التناص البصري أو التخييل السردي للّوحة. وقد أشار ميشال بوتور إلى هذا التفاعل معتبرا أنه حين يصف الكاتب لوحة، فإنه لا يكتب عنها فحسب، بل يدخلها، وحين يرسم الفنان مشهدًا لغويًا، فإنه يكتب باللون.

إن هذا الاندماج بين الرؤية والكتابة يُنتج ما يمكن تسميته "النص المرئي"، أي الشكل الجمالي الذي تذوب فيه الحدود بين اللغة والصورة.

وتتجلى جمالية العبور بين الفنون في قدرتها على تحرير العلامة من نظام واحد إلى أنظمة دلالية متعددة. فالعلامة اللغوية حين تستعير خصائص العلامة البصرية تتحرر من حدود الزمن لتصير فضاءً يُرى، والعلامة التشكيلية حين تكتسب بنية سردية تتحرر من الصمت لتتكلم. وهنا تلتقي سيميائيات الأدب بسيميائيات الفن في ما سماه رومان إنغاردن في مؤلفه الموسوم بـ "العمل الأدبي الفني" (1930) بـ"التعدد الطبقي للعمل

الفني"، أي تراكب طبقات من الحضور والمعنى داخل أثر واحد. وإنّ هذا التعدد هو جوهر الجمال البينمجالي الذي يجمع بين المرئي والمقروء في تجربة واحدة.

ولا تقف جمالية العبور عند حدود التحليل الفني، بل تمتد إلى البعد الفلسفي والمعرفي، إذ تُعيد التفكير في ماهية الإدراك الجمالي نفسه. فحين تتداخل الفنون، يتفكك الفصل التقليدي بين الحواس: البصر يسمع، واللغة تُرى، واللون يُقرأ. وحين "ترى العين بعين اللغة، يصبح العالم نصًا بصريًا".

إنّ هذا التكامل بين الحواس يجعل التجربة الجمالية الحديثة تجربة شمولية، تُعيد للإنسان وعيه بالوجود من خلال تداخل وسائط التعبير.

كما أن هذا العبور بين الفنون يُنتج لغة ثالثة، ليست لغوية خالصة ولا بصرية خالصة، بل خطابًا مركبًا يُعبّر عن ''التجربة الجمالية الكلية''. وهي ما يسميه بول فاليري بـ''لغة الصمت''، إذ يرى أن "العمل الفني الكامل هو الذي يُخاطب الحواس جميعها في آن واحد'' (فاليري ،1934، ص. 201).

وبهذا المعنى، تصبح البينمجالية مشروعًا لتوحيد التجربة الإنسانية في الفن، حيث يتحول كلّ وسيط إلى "ترجمان" للآخر في أفق جمالي مشترك.

ويتيح هذا الأفق النقدي الجديد مقاربة الأدب والفن التشكيلي من منظور التفاعل لا المقابلة، ومن زاوية الانفتاح لا الفصل. فالنص الأدبي الذي يستثمر عناصر تشكيلية يُسهم في تطوير "بلاغة الصورة"، بينما اللوحة التي تنطوي على بنية سردية تُغني "بلاغة النص". هذا التفاعل المتبادل يُنتج نوعًا من "الخطاب المركّب" الذي يتحدّث بلغة مزدوجة: لغة العين ولغة الكلمة. كما يشير جاك أومون إلى أن

"جماليات الصورة لا تتحقق إلا حين تدخل في حوار مع الكلمة، لأن المعنى لا يولد من الصمت بل من التفاعل" (جاك أومون، 2013، ص. 59).

وفي ضوء هذا التحليل، يتضح أن جمالية العبور بين الفنون ليست مجرد ظاهرة فنية عابرة، بل هي تحول معرفي في بنية التفكير الجمالي الحديث. إنها إعلان عن تجاوز الثنائية القديمة بين القول والرؤية، بين النص واللوحة، لصالح وعي جديد بالكلية الجمالية. فالأدب والفن التشكيلي، من منظور البينمجالية، يشتركان في مشروع واحد: تحرير المعنى من أسر الوسيط، وفتح الجمال على أفق إنساني شامل. ومن هنا تبرز أهمية

هذا المحور في التأكيد على أن التفاعل بين الأدب والفن ليس تلاقحًا عرضيًا، بل تأسيسًا لمفهوم جديد للجمال بوصفه ''لغة مشتركة بين الفنون''.

5. نحو مقاربة تطبيقية لجمالية التفاعل بين الأدب والفن التشكيلي:

يُعدّ الجانب الإجرائي في دراسة العلاقة بين الأدب والفن التشكيلي خطوة حاسمة لتحويل المفهومات الجمالية والنقدية إلى أدوات تحليل ملموسة، تمكّن من تفكيك النصوص والأعمال الفنية على حد سواء. فالتفاعل بين السرد البصري واللغة التشكيلية لا يُفهم إلا من خلال تطبيقات دقيقة تُبرز آليات عمل الصورة في النص، أو اللغة في اللوحة. إنّ التحليل الإجرائي لا يكتفي بوصف التداخل الجمالي، بل يسعى إلى بناء أنموذج تأويلي يفسّر كيف تُنتج العلامة معناها داخل البنية النصية أو البصرية. وقد أشار رولان بارت إلى هذه الوظيفة حين عبر قائلا: "إنّ تحليل الصورة لا ينتهي عند حدود المعنى، بل يبدأ من دراسة علاقاتها الداخلية بوصفها نسقًا من العلامات" (رولان بارت، 1982، ص 45).

إنّ المنهج الإجرائي الذي يجمع بين التحليل السيميائي والجمالي يُتيح فهماً أدق لآليات التفاعل بين الأدب والفن، لأنّه يُعامل كلّ وسيط بوصفه نظامًا دلاليًا مستقلًا ومفتوحًا في آن. فالنص الأدبي يتشكل من علامات لغوية تنزع إلى التصوير، واللوحة تتكوّن من علامات بصرية تميل إلى السرد. ومن ثمّ، يكون التحليل الإجرائي قائمًا على دراسة ''نقاط الالتقاء'' بين النظامين. وقد أوضح أمبرتو إيكو ذلك بقوله: "يجب أن نفهم النص كمنظومة مفتوحة قابلة للتطبيق التأويلي وفق آليات قابلة للملاحظة" (أمبرتو إيكو، 2009، ص88).

ويقوم هذا التوجه التطبيقي على تحليل العلاقات النصية–البصرية من حيث التكوين البنيوي أولًا، إذ يمكن دراسة توزيع المساحات والألوان في اللوحة كما تُدرس الحقول الدلالية والصور البلاغية في النص. فالبنية اللونية تقابل الإيقاع اللفظي، والمنظور البصري يقابل وجهة النظر السردية. وهذا ما أشار إليه ميخائيل باختين حين اعتبر أن "كلّ بنية فنية تُنتج منظورها الخاص للعالم" (ميخائيل باختين، 2011، ص. 121.). وهكذا، يصبح التحليل الإجرائي نوعًا من "المقابلة البنيوية" بين الفنون.

ومن جهة ثانية، يمكن لهذا المنهج أن يُفعل المقاربة التداولية عبر تحليل أفعال النظر والقراءة بوصفها ممارسات تأويلية. فالمتلقي لا يكتفي بفهم النص أو اللوحة، بل يشارك في إعادة إنتاجها من خلال أفقه

الثقافي. وقد نبّه هانس روبرت ياوس إلى أن "كلّ قراءة تُعيد العمل إلى الحياة داخل سياقها الجديد" (ياوس، 2016، ص 54). لذلك، يصبح التطبيق الجمالي عملية ديناميكية تتجدّد مع كلّ تلقي جديد.

كما يمكن أن تُسهم المقاربة التطبيقية في بناء "بلاغة بيْنفنية"، أي دراسة الأساليب التي تُستثمر فيها عناصر فنية من وسيط في وسيط آخر. فعلى سبيل المثال، يُمكن تتبّع استعمال الضوء والظل في الرواية كآلية تشكيلية، أو استخدام الإيقاع اللغوي في اللوحة كقيمة موسيقية بصرية. وهذا ما دعا إليه جاك أومون حين رأى أن "التحليل الحقيقي للصورة لا ينفصل عن دراسة خطابها الجمالي" (أومون، 2013، ص 133) .

وتقوم المقاربة الإجرائية أيضًا على توظيف أدوات تحليل متقاطعة من النقد الأدبي ونظرية الفن، مثل تحليل المنظور والتكوين (composition) في الفنون، وتحليل السرد والتناص في الأدب، وذلك ضمن رؤية تكاملية تسمح بتجسير الهوة بين اللغة والصورة. وقد أكد نيلسون غودمان هذا المنحى بقوله: "الفهم الجمالي هو معرفة عبر الرموز، تُدرك من خلال نظام تمثيلي متداخل بين الكلمات والصور" (Goodman Nelson, 1986, p89.)

ولا تقتصر القيمة الإجرائية لهذه المقاربة على التحليل فحسب، بل تمتد إلى المجال التعليمي والنقدي، إذ يمكن اعتمادها في مناهج تدريس الأدب والفنون لتوسيع أفق المتعلمين الجمالي، وتعزيز التفكير التأويلي. فحين يتعلّم الطالب أن يقرأ لوحة كما يقرأ نصًا، أو أن يفسّر قصيدة بوصفها مشهدًا بصريًا، يصبح أكثر وعيًا بوحدة التجربة الجمالية. وقد عبّر موريس ميرلوبونتي عن هذا التكامل بقوله: "الفن يُعلّمنا أن نرى العالم من جديد" (ميرلو بونتي: العين والعقل، د. ت، ص 73).

وإجمالا، يمكن القول إنّ المقاربة الإجرائية تمثل انتقالًا من التنظير إلى الممارسة، ومن التأمل إلى الفعل النقدي. فهي لا تكتفي بإبراز جمالية التفاعل بين الأدب والفن، بل تسعى إلى تأسيس منهج تحليلي متكامل يُراعي خصوصية كل فنّ ويكشف عن مسارات التقاطع بينهما. وبهذا المعنى، يشكل هذا المحور تتويجًا للمحاور السابقة، لأنه يمنح المفهومات الجمالية حياة تطبيقية داخل حقل النقد المعاصر، ويُثبت أن التفاعل بين الفنون ليس فقط رؤية فلسفية، بل ممارسة نقدية قابلة للبرهنة والتحليل.

خاتمة:

تُبرز هذه الدراسة، منذ مقدمتها إلى محاورها الإجرائية، أنّ العلاقة بين الأدب والفن التشكيلي ليست مجرد تقاطع عابر بين لغتين تعبيريّتين، بل هي حوار جمالي عميق يجمع بين الرؤية واللغة، بين الخطّ واللون، وبين المتخيل النصي والمتخيل البصري. لقد أظهرنا أنّ هذا التفاعل هو في جوهره بحث عن معنى الجمال في أفقٍ يتجاوز الأجناس التقليدية، ليؤسس لوعي جديد بالفنّ بوصفه ممارسة رمزية شاملة تُعيد الإنسان إلى مركز التجربة الإبداعية. وهكذا يصبح الأدب والفن التشكيلي وجهين لعملة واحدة، يتبادلان الأدوار في التعبير عن الوجود والإنسان، من خلال وسائط مختلفة تتقاطع في وحدة الحسّ الجمالي.

لقد انطلقت الدراسة من المحور الأول لتؤكد أنّ "السرد البصري واللغة التشكيلية" يشكّلان مجالًا خصبًا لتكامل الأدب والفن، حيث يتحول النص الأدبي إلى لوحة تُرى، واللوحة إلى نصّ يُقرأ. ومن خلال التحليل النظري والمفهومي، اتضح أن الصورة واللغة تتقاطعان في منطقة حسية ودلالية مشتركة، تجعل من الخيال الجمالي عنصرًا فاعلًا في بناء الدلالة. وهذا التكامل لا يُقاس فقط على مستوى الشكل أو التعبير، بل يتجاوزهما إلى مستوى الرؤية الكونية التي يتقاسمها الفنان والكاتب في سعيهما إلى تشكيل معنى جديد للعالم.

أما في المحور الثاني، فقد بيّنا كيف تُسهم العلاقة بين الأدب والفن في تأسيس رؤية فكرية تتجاوز الانغلاق الأجناسي نحو مفهوم "الجمال الحواري"، الذي يجعل الفنون في حالة تفاعل دائم. فكلّ من النص واللوحة يتبادلان اللغة بوصفها أداة لإعادة تمثيل الوجود، مما يفتح أمام النقد أفقًا جديدًا لفهم الأعمال الإبداعية بوصفها كائنات حيّة تندرج ضمن شبكة من العلامات. وقد تمّ الاستناد في ذلك إلى تصوّرات النقاد الذين رأوا أن الجمال لا يوجد في العمل ذاته، بل في المسافة بينه وبين المتلقي، وهي المسافة التي تعبُرها العلامة لتولد من جديد في تجربة القراءة أو المشاهدة.

وفي المحور الثالث، "التأويل الجمالي ومسارات التلقي بين النص واللوحة"، جرى توسيع الرؤية نحو المتلقي بوصفه طرفًا فاعلًا في بناء المعنى، لا مجرد متلقٍ سلبي. فالفنّ والأدب لا يكتملان إلا بفعل القراءة والتأمل، إذ يتحول المتلقي إلى مؤوّل يُعيد إنتاج الجمال في ضوء تجربته الذاتية والثقافية. وقد تمّ دعم هذا الطرح باستشهادات من ياوس وإيزر وإيكو، الذين أكدوا أنّ العمل الفني هو نصّ مفتوح قابل لتعدد القراءات.

وهكذا يصبح التأويل الجمالي فعلًا حواريًا بين النص والعين، بين اللون والمعنى، يُعيد تعريف العلاقة بين الذات والعالم من منظور وجداني وحسيّ في آن.

وجاء المحور الرابع ليُعمّق هذا الأفق من خلال "جمالية العبور بين الفنون"، وهو مفهوم يستند إلى البينمجالية (Intermédialité) التي تنظر إلى الفنون بوصفها وسائط متفاعلة لا متوازية. وقد بيّنت الدراسة أنّ الأدب يمكن أن يتحول إلى لوحة سردية، كما يمكن للفن التشكيلي أن يصبح نصًّا ناطقًا. ومن خلال تحليل نماذج نظرية لفلاسفة الجمال من أمثال بوتور، وفاليري، تمّ توضيح أنّ العبور بين الفنون ليس تبادلًا تقنيًا فحسب، بل هو تجسيد لوعي جمالي شامل يهدف إلى تجاوز الحدود بين الحواس واللغات في سبيل بلوغ وحدة التجربة الإنسانية في الفنّ.

ثم جاء المحور الخامس ليمنح هذه الرؤية طابعها الإجرائي التطبيقي، حيث تمّ اقتراح مقاربة تحليلية تجمع بين الأدوات السيميائية والجمالية والتداولية من أجل دراسة الأعمال الأدبية والتشكيلية بوصفها فضاءات مشتركة للمعنى. وقد تمّ التأكيد أنّ هذا المنهج التطبيقي يسمح بفهم آليات التفاعل بين النصوص الأدبية والصور الفنية من خلال الكشف عن البنيات الرمزية والعلاماتية التي تشتغل داخل كلّ منهما. فالعمل الأدبي لا يُقرؤ فقط من زاوية لغوية أو سردية، بل بوصفه خطابًا بصريًا يحتضن تشكيلًا دلاليًا قابلاً للتحليل السيميائي.

ومن هذا المنطلق، يصبح النص التشكيلي بدوره فضاءً للتأويل لا يقلّ غنى عن النص الأدبي، لأنّ اللوحة الفنية تتضمّن علامات وبنيات سردية قادرة على إنتاج الحكاية أو اقتراحها بصريًا. إنّ دمج التحليل السيميائي بالتحليل الجمالي يتيح للباحث قراءة العمل الفني بوصفه نصًا منفتحا على إمكانات القراءة المتعددة، ويجعل من عملية التأويل حوارًا بين العين والعقل، بين الرؤية واللغة.

كما تسعى هذه المقاربة إلى تفعيل البعد التداولي في قراءة الصورة والنص معًا، إذ إنّ المعنى لا يُستخلص من العلامات وحدها، بل من السياق الذي تنتج فيه، ومن العلاقة التي يقيمها المتلقي مع الخطاب البصري أو اللغوي. وفي هذا السياق، يمكن استثمار أدوات مثل مفهوم «المؤشر» عند بيرس، أو «المدلول المتحوّل» عند بارت، من أجل فهم كيفية اشتغال العلامة بين نظامين تعبيريين مختلفين ومتداخلين.

وتتّضح أهمية هذا المنهج الإجرائي في توجيه الممارسة النقدية نحو قراءة دينامية للعلامات، تستحضر السياق الثقافي والجمالي الذي يُنتج المعنى. فالتكامل بين الأدب والفن لا يُعدّ ترفًا نقديًا، بل ضرورة إبستيمولوجية تمكّن من تجاوز الفصل المصطنع بين القول والتصوير، بين اللغة والنظر، وهو ما يجعل النقد السيميائي اليوم أداة فعالة لإعادة بناء خطاب نقدي منفتح على الحواس والمعاني في آن واحد.

إنّ هذا الوعي الجديد بالعلاقة بين الأدب والفن التشكيلي يدعونا إلى إعادة التفكير في وظيفة النقد الجمالي ذاته، بحيث لا يقتصر دوره على الوصف أو المقارنة، بل يتجاوزهما إلى بناء منهج تأويلي قادر على كشف أنماط التفكير التي تنتجها الفنون حين تتفاعل. فالنص واللوحة لا يقدّمان لنا مجرد متعة حسية، بل يفتحان أمامنا أفقًا فلسفيًا لرؤية العالم بطرق متعددة. إنّ النقد الجمالي المنفتح على البينمجالية يعيد الاعتبار للخيال بوصفه وسيطًا معرفيًا بين الحواس والفكر، بين العين والعقل، وهو ما يجعل التجربة الفنية مجالًا لتكوين الوعي الجمالي والمعرفي في آن واحد.

كما يتضح من خلال هذه الدراسة أنّ التحليل الجمالي لا يمكن فصله عن البعد الثقافي، إذ إنّ التفاعل بين الأدب والفن يعكس تحولات أعمق في البنية الحضارية للإنسان المعاصر. فالفن لم يعد حكرًا على النخبة، ولا النص حكرًا على اللغة، بل كلاهما أصبحا أدوات للتفكير في الذات والآخر والعالم. ومن ثمّ فإنّ جمالية العبور بين الفنون ليست فقط مسألة جمالية، بل هي أيضًا مسألة ثقافية ومعرفية، تعبّر عن رغبة الإنسان في تجاوز التجزئة نحو التكامل، وعن سعيه إلى تحقيق الوحدة في التنوّع عبر وسائط الإبداع المختلفة.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إنّ الجمال لم يعد يُقاس بما هو ثابت أو شكلي، بل بما هو تفاعلي وديناميّ، يتجدّد مع كل قراءة أو مشاهدة. فكل تجربة فنية هي إعادة خلقٍ مستمرة للمعنى، وكل تلقي هو حوار مفتوح بين الذات والأثر. ومن هنا تبرز القيمة الإنسانية الكبرى للتفاعل بين الأدب والفن التشكيلي، إذ يجعل المتلقي شريكًا في الخلق، لا متفرّجًا عليه. فالفن والأدب، بهذا المعنى، ليسا غايتين في ذاتهما، بل وسيلتان لإعادة بناء الوعي بالعالم وتوسيع حدود الإدراك الجمالي.

إنّ هذا البحث، إذْ جمع بين المقاربة السيميائية والجمالية والتأويلية، حاول أن يؤسس لرؤية معرفية تعتبر العلامة الجمالية وسيطًا للتواصل بين الفنون، ومجالًا للتفاعل بين الحواس والعقل والخيال. فكلّ لوحة تحمل في داخلها سردًا، وكلّ نصٍّ يخفي وراءه مشهدًا بصريًا، وما بينهما يتولد الجمال في مسافة التأويل. ومن

خلال هذا المنظور، يمكن للممارسة النقدية المعاصرة أن تجد طريقها نحو قراءة أكثر شمولًا للأعمال الإبداعية، تُراعي التعدد الوسائطي وتمنح الصورة واللغة معًا مكانتهما في بناء الدلالة.

لقد أكّد هذا المسار البحثي، من خلال تحليل محاوره، أنّ الأدب والفن التشكيلي ليسا مجالين منفصلين، بل مجالان متكاملان يتفاعلان في بنية واحدة هي بنية الحسّ الإنساني. فالفنان يكتب باللون، والكاتب يرسم بالكلمة، وكلاهما يشارك في بناء ذاكرة جمالية مشتركة تُعبّر عن روح الإنسان في لحظته التاريخية والثقافية. ومن هنا تأتي أهمية ربط الدراسة بالنظرية السيميائية المعاصرة التي تنظر إلى العلامة لا كأداة تمثيل فحسب، بل كفضاء للتفاعل بين الذوات والثقافات والفنون.

قائمة المراجع:

1. العربية:

1. أومون، جاك (2013): الصورة، ترجمة ريتا الخوري، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1.
2. إيكو، أمبرتو (2004): التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2.
3. إيكو، أمبرتو (2009): التأويل والتأويل المفرط، ترجمة ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، لبنان، ط1.
4. إيكو، أمبرتو (1996): القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
5. إيكو، أمبرتو (2005): المدخل إلى السيميائية، ترجمة: أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1.
6. إيزر، فولفغانغ(1995): فعل القراءة: نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، ترجمة وتقديم: حميد لحميداني والجلالي الكدية، منشورات المناهل، فاس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
7. باختين، ميخائيل(2011): جمالية الإبداع اللفظي، ترجمة وتقديم: شكير نصر الدين، دال للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1.
8. بارت، رولان(1981): درجة الصفر للكتابة، ترجمة وتقديم: محمد برادة، دار الطليعة للباعة والنشر، بيروت، لبنان، الشركة المغربية للناشرين المتحدين،الطبعة الأولى.
9. باشلار، جاستون (1984): جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2.

10. جنيت، جيرار(1997): خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وعمر حلي وعبد الجليل الأزدي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ط2.
11. دو سوسير، فرديناند(1984): محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، بيروت، لبنان، ، الطبعة الأولى.
12. ريكور، بول(2006): الزمان والسرد: الحبكة والسرد التاريخي، ترجمة: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.
13. سوريو، إتيان(1982): الجمالية عبر العصور، ترجمة: ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2.
14. فاليري، بول(1934): الخلق الفني و تأملات في الفن، ترجمة بديع الكم، منشورات الرواد، دمشق، سوريا، ط1.
15. فوكو، ميشيل(1969): الكلمات والأشياء، ترجمة: مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط2.
16. كوهن، جان(1986): بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
17. لوتمان، يوري(2019): بنية النص الفني، ترجمة: عبدي حاجي، منشورات تكوين للنشر والتوزيع، الكويت، ط1.
18. ميرلو-بونتي، موريس(1961): العين والعقل، ترجمة وتقديم: حبيب الشاروني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1.
19. ياوس، هانس روبرت (2016): جمالية التلقي: من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تقديم وترجمة: رشيد بنحدو، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1.

2. الأجنبية:

1. Algirdas Julien (1966): Greimas: Sémantique structurale: recherche de méthode. Paris: Librairie Larousse,1re éd.
2. Barthes, Roland (1982) : Rhétorique de l'image. In L'Obvie et l'Obtus. Essais critiques III, Éditions du Seuil, Paris.
3. G. Genette (1987): Seuils, Éditions du Seuil, Paris, France, Ed 1.
4. Goodman, Nelson(1986) :Languages of Art, An Approach to A Theory of Symbols. 2nd ed. The Bobbs-Merrill Company, United States of America.
5. Peirce, C.S (1983): Studies in Logic, by Members of The Johns Hopkins University. Ed. Charles S. Peirce. Boston: Little Brown.
6. Riffaterre, Michael (1978:) Semiotics of Poetry. Indiana University Press, Bloomington.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The pairing of dual vocatives with imperative construction techniques in the seven long surahs: A rhetorical study

Muhammad Ali Ahmad Ali Al-Mufarji [1]
[1] Ministry of Education / General Directorate of Education of Nineveh / Al-Ma'moun Intermediate School for Girls
mohammedali.23ehp298@student.uomosul.edu.iq
Omar Khalil Hamdoun [2]
[2]University of Mosul / College of Education for Human Sciences / Department of Quranic Sciences
dr.omar.khaleel.hamdoon@uomosul.edu.iq

Abstract:
Conjunction is a connection or link between two things that generates a new vision and purpose. This conjunction begins with the vocative style combined with one of the imperative construction styles, namely (command, prohibition, interrogation, and wish). This connection and link, upon which the study is based, was found in the seven long chapters of the Holy Quran: Al-Baqarah, Al Imran, An-Nisa, Al-Ma'idah, Al-An'am, Al-A'raf, and At-Tawbah. These chapters contain numerous examples. This study is limited to examining the dual conjunction with imperative construction styles in these seven long chapters. It consists of an introduction about conjunction, vocative style, imperative construction styles, and the seven long chapters, followed by four sections: First: The conjunction of the vocative style with the imperative style. Second: The conjunction of the vocative style with the prohibition style. Third: The conjunction of the vocative style with the interrogative style. Fourth: The conjunction of the vocative style with the wish style. This conjunction in the seven long chapters reveals to us several rhetorical purposes, including: Guidance, education, encouragement, warning, attention, and other purposes.
Keywords: pairing, rhetoric, pairing.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

اقتران النداء الثنائي مع أساليب الطلب في السور السبع الطوال دراسة بلاغية

محمد علي احمد العبيدي[1]

[1]وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية نينوى/ متوسطة المأمون للبنات

mohammedali.23ehp298@student.uomosul.edu.iq

عمر خليل حمدون[2]

[2]جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم علوم القرآن

dr.omar.khaleel.hamdoon@uomosul.edu.iq

ملخص:

فالاقتران؛ ارتباط أو اتصال بين شيئين يولد لنا رؤية وغاية جديدة، وهذا الاقتران الذي يبدأ بأسلوب النداء مع احد أساليب الانشاء الطلبي وهي (الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني)، وهذا الارتباط والاتصال الذي قامت عليه الدراسة كانت في السور الطوال من القرآن الكريم وهي (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة)، وقد حوت نماذج كثيرة. وقد اقتصرت هذه الدراسة، على دراسة الاقتران الثنائي مع أساليب الطلب في السور السبع الطوال، وقد تكونت من توطئة عن الاقتران والنداء واساليب الانشاء الطلبي، والسبع الطوال، وأربعة مباحث: الأول: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب الأمر. الثاني: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب النهي. الثالث: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب الاستفهام. الرابع: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب التمني. وأن هذا الاقتران في السور السبع الطوال كشف لنا عن أغراض بلاغية منها؛ الارشاد والتعليم والترغيب والتحذير والاهتمام وغيرها من الاغراض الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الاقتران، البلاغة، الثنائي.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)، وبعد:

إنّ الله تعالى شأنه بعث الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) للناس، وأيدهم بالمعجزات الباهرات التي تتناسب وحياة هؤلاء الأمم، فجاءت معجزة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) خالدة الى يوم القيامة، وهي القرآن الكريم، تحدى الله به كفار قريش وغيرهم أن يأتوا بمثله، فنجد الأعجاز القرآني متنوع في جوانب عدّة، منها الإعجاز البلاغي، الذي شغل حيزاً كبيراً في الدراسات، والذي يعرف بالإعجاز البياني، والعرب كما هو معلوم أهل البلاغة والفصاحة، ومع كل ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله أو سورةٍ أو آيةٍ، فالتركيبات اللغوية تختلف عمّا سواها، ونظراً لذلك جاء اختيارنا لهذه الدراسة رغبةً منّا لخدمة هذا القرآن، فوقع اختيارنا على السور السبع الطوال فكان الموضوع هو (اقتران النداء الثنائي مع أساليب الطلب في السور السبع الطوال دراسة بلاغية)، وهذه الدراسة كانت قائمة على ابراز ظاهرة الاقتران وما تؤديه هذه الاقترانات من اعجاز وبلاغة.

وبعد التوكل على الله، تمّ القراءة المتفحصة للسور السبع الطوال، حيث بلغت مواضع الاقتران الثنائي في السور السبع الطوال، ثمانية وثلاثون موضعاً، توزعت بين أسلوب الأمر وأسلوب النهي وأسلوب الاستفهام وأسلوب التمني، فكان تقسيمنا للدراسة على أربعة مباحث، فافتتحنا الدراسة بتوطئة عن الاقتران والنداء وأساليب الطلب والسور السبع الطوال، ثمّ تناولنا في المبحث الأول اقتران أسلوب النداء مع أسلوب الأمر، والمبحث الثاني مع أسلوب النهي، والمبحث الثالث مع أسلوب الاستفهام، والمبحث الرابع مع أسلوب التمني، وختمنا الدراسة بأهم النتائج.

أمّا أهم المصادر التي استندت عليها الدراسة فهي كثيرة، منها كتب التفسير والبلاغة واللغة وغيرها، ومنها تفسير الكشاف للزمخشري (ت538هـ)، ومفاتيح الغيب للرازي (ت606هـ)، وابن عاشور(ت1393هـ) في كتابه التحرير والتنوير، ومقاييس اللغة لابن فارس(ت395هـ) وغيرها.

وفي الختام أقول إنّ هذا الجهد المتواضع عمل بشري ومهما بلغت فيه بأقصى المدى ليكون لبنة نافعة في سلسلة الدراسات القرآنية فإن أصبت فمن الله تعالى التوفيق والسداد وحده، وإن زللت فمن طبع الأنسان

الضعف والنسيان، وأسال الله أن يوفقنا الى ما فيه الخير والسداد في القول والعمل، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين.

توطئة:

إن الاقتران في اللغة يرجع الى أصول، وهي القاف والراء والنون؛ وهما أصلان صحيحان، يدلّ الأول على جمع الشيء، والآخر يدلّ على قوّةٍ وشدّةٍ، والقِران؛ الحبل يُقرن به شيئيان، والقرن يدل عليه كذلك، وكذلك يدل على جعيبة صغيرة تضم الى الجعبة الكبيرة (بن فارس، 1979، 5/ 76)، والقرن، الجمع بينه، نحو قرن بين الحجّ والعمرة، قراناً، وقرن الشيء بالشيء وصله به، واقتران الشيء بغيره، قارنته قراناً؛ صاحبته؛ وفي قوله تعالى: ((مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ)) (إبراهيم: 49) ، والقرين الصاحب ، فالاقتران مأخوذ من القرن، وهو الجمع والمصاحبة والوصل (الجوهري، 1987، 6/ 2180-2181)، والاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين، أو أشياء في معنى واحد من المعاني، قال تعالى: ((أو جاء معه الملائكة مقترنين)) (الزخرف: 53)

، ويقال: قرنت البعير، أي: جمعت بينهما، وقد يأتي بمعنى القوّة، كما في قوله تعالى: ((إني كان لي قرين)) (الصافات: 51) (الأصفهاني، 1420هـ، 667).

والاقران ؛ هو أن يذكر الله تعالى أشياء في لفظ واحد، ويعطف بعضها على بعض (الفراء، 1420هـ، 4)، وقد عرف أيضاً بأن: ((يراد لفظ لمعنى ويقترن به لفظ آخر يحتمل ذلك المعنى وغيره فلا يكون اقترانه بذلك دالا على أن المراد به هو الذي أريد بصاحبه)) (الإسنوي، 1981، 273).

أمّا الاقتران في الاصطلاح؛ هو ارتباط (علاقة) بين مجموعتين الأولى تمثل المجال، والثانية تمثل المجال المقابل بحيث كل عنصر من عناصر المجموعة الأولى مرتبط بعنصر واحد فقط من عناصر المجموعة الثانية في علوم الرياضيات، أمّا في علوم النفس؛ بأنّه ترابط بين شيئين بحيث يستدعي ظهور أحدهما في العقل ظهور الآخر، أو هو اقتران الشيء بالشيء، أو أتصال به ومصاحبته له، إمّا لوجودهما معاً في الزمان أو المكان، أو لتغير أحدهما لتغير الآخر (المصري، 2011، 15)، وقانون الاقتران أحد القوانين الثلاثة التي وضعها أرسطو، لتفسير تداعي الأفكار، وخلاصة هذا القانون، أنّ وجود حالتين معاً في النفس يولد بينهما ارتباطاً اقترانياً

بحيث إذا خطر إحداهما بالبال خطرت الثانية، مثل ذلك رؤية السحاب تُذكر بالمطر، ورؤية الدخان تُذكّر بالنار.

والنداء؛ من الندي، وهو الرّطوبة التي تدلّ على تجمع الماء، وكذلك بُعد الصوت ومدّه، ويدلّ على تجمع، وقد يدلّ على بلل في الشيء (بن فارس، 1979، 5/ 411)، وأصل النداء في اللغة بعد الصوت، وهو من؛ أندى الرجل، إذا حسن صوته، وهو بعد صوت وقد ناداه، ونادى به، ناداه مناداة، ونداء، أي؛ صابه (ابن منظور، 1414هـ، 15/ 314)، وحقيقة النداء، إنّما يكون للبعيد (الزركشي، 1957، 2/ 324)، والنداء في الدرس النحوي من المنصوبات، ومنه النداء الذي يقصد به الاستدعاء أو لغرض التنبيه (سيبويه، د.ت، 2/ 208)، وقد فسر ابن يعيش (ت 643هـ)، التنبيه بمعنى الاقبال فقال: ((هو تنبيه المدعو ليقبل عليك)) (بن يعيش، 2001، 8/ 120)، ومن هذا يتراءى للبحث في معنى النداء عند النحاة بأنّه: ((توجيه الدعوة الى المخاطب لتنبيهه وجلب سمعه وفكره لسماع ما يلقي اليه، وبه تابعهم المحدثون)) (حسن، د.ت، 4/ 1)، وعند اصطلاح البلاغين يعرف: طلب اقبال المدعو على الدّاعي بأحد حروف مخصوصة (السبكي، 2003، 1/ 474)، وأدواته هي: الهمزة، و (يا)، و (أيا)، و (وا)، و (هيا)، و(آ)، و (آي) (حسن، 1997، 169).

وهذا النداء يأتي لأغراض مجازية التي تخرج اليها صيغ النداء؛ التحسر والوجع في قوله تعالى: ((يا ليتني كنت ترابا)) (النبأ: 40) والاغراء، والاستغاثة، والندبة، والتعجب، والزجر وتعظيم الامور..... (الالوسي، 1988، 284-300).

أمّا الأنشاء الطلبي؛ فالأنشاء؛ الابتداء، نحو: أنشأت حديثاً ابتدأت (الفراهيدي، د.ت، 3/ 1798)، والأنشاء؛ كلّ كلام لا يحتمل الصدق لذاته؛ لأنّه ليس لمدلول لفظة قبل النطق به واقع خارجي يطابق أو لا يطابق، وهكذا تم الفصل من قبل العلماء بين الخبر والأنشاء، فقال القزويني: ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو انشاء؛ لأنّه أمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، الأول؛ الخبر، والثاني؛ الأنشاء (القزويني، د.ت، 1/ 55-57)، فالأنشاء الطلبي خمسة أنواع: أسلوب الأمر؛ وأسلوب النهي؛ وأسلوب الاستفهام؛ وأسلوب النداء؛ وأسلوب التمني، والأنشاء إمّا طلبي أو غير طلبي، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود (القزويني، د.ت، 3/

51-93)، وهو كلام لا يقال فيه لا صدقت ولا كذبت (النحوي، د.ت، 1/ 72) وكذلك لا يدلّ عن الفعل بقولنا: لا تفعل، أوطلب الفهم عن الشيء الاستفهام، وطلب الاقبال النداء، وطلب أمر محبوب في التمني (الهاشمي، د.ت، 63).

أمّا السور السبع الطوال؛ والمراد بها سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الأنعام، وسورة الأعراف، وسورة التوبة (السيوطي، 1974، 394)، وسميت بهذا؛ لطولها على سائر السور.

اقتران النداء الثنائي الثنائي مع أساليب الطلب

تنوعت الاقترانات الثنائية المتغايرة المبدوءة بأسلوب النداء، ما بين الأمر، والنهي، والاستفهام والتمني، في السور السبع الطوال، فكان البحث متكون من اقتران أسلوب النداء مع أسلوب الأمر، واقتران أسلوب النداء مع أسلوب النهي، واقتران أسلوب النداء مع أسلوب الاستفهام، واقتران أسلوب النداء مع أسلوب التمني.

اولاً: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب الأمر

ذكرنا سابقاً، أنّ الاقتران الثنائي قد ورد في السور السبع الطوال في أساليب المبدوءة بالنداء مع الأمر في بضع وعشرين موضعاً (سورة البقرة: 21؛ 47؛ 122؛ 127؛ 129؛ 153؛ 254؛ وسورة آل عمران: 53؛ 191؛ وسورة النساء: 47؛ 136؛ 170؛ وسورة المائدة: 1؛ 67؛ 72؛ 90؛105؛ 110؛ وسورة الأعراف: 59؛ 77؛ 143؛ والتوبة: 34)، وقد وقع اختيارنا على موضعٍ واحدٍ، وهو ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى :((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون))(البقرة:21) .

في هذه الآية الكريمة، جاء فيها أوّل نداء في القرآن الكريم، وفيه ينادي الباري عزّ وجل، الناس جميعهم نداءً لطيفاً مفاده؛ أنّ يا معشر الأنس والجنّ؛ وحدوا الله وأفردوه بالعبادة فهو الذي ربّاكم بالنعم، وأوجدكم من العدم، وأوجد من كان قبلكم أن تكونوا من المتقين، والحال أنّكم تعلمون، تفرّده باستحقاق العبادة؛ لتفرّده بالربوبيّة (طنطاوي، 1997، 1/ 71-72).

جاء الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بأسلوب النداء، في قوله: (يا أيها الناس)

مع الأمر في قوله: (اعبدوا).

فالموضع الأول من الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء في قوله: :((يا أيها) ، وقع النداء بـ(يا)، في قوله: (يا أيها الناس) ، والياء في الأصل لنداء البعيد (السامرائي، 2000، 4/ 321)، ونداء الله تعالى لعبيده نداءٌ من الخالق الى خلقه، فهو حقيقيٌّ، بأن يكون بأداة النداء للبعيد، فمجيء أداة النداء للبعيد ها هنا لأوجه ثلاثة (أبو زهرة، د.ت، 1/ 154-155) : الأول؛ لبعد بين الخالق والمخلوق، والثاني؛ أنّه نداء من الخالق، وهو مقتضٍ أعلى العلوّ، والثالث؛ عظم شأن موضوع النداء، وهو العبادة؛ فإنّ له جلالاً وخطراً (العمادي، د.ت، 1/ 58)، واستعمال خصوص النداء بـ(يا أيها) ، ضربٌ من توكيد النداء؛ لأنّ (أي)، اسمٌ مبهمٌ يفتقر الى ما يزيل إبهامه، ولذا يُذكرُ بعده اسمٌ يوضّحه ليصح المقصود بالنداء، وهو تدرّجٌ من الإبهام الى البيان، وفيه نوع توكيد (الزمخشري، 1407هـ، 1/ 89)، واقتران النداء (يا)، بـ(ها) التنبيه؛ زيادةٌ في التوكيد؛ إذ النداء في الأصل يراد به التنبيه (الطيبي، 2013، 2/ 291).

والجملة القرآنية: (يا أيها الناس) ، جاء النداء بلفظ :(الناس) ؛ لأنّ الخطاب موجّه للناس كلّهم، فاللام في لفظ : (الناس) ، استغراق الجنس (التونسي، 1984، 1/ 325)، فإنّه خطابٌ لجميع العباد، إذا حملنا الناس على العموم، وهو قول ابن عباس (رضي الله عنه) (الجوزي، 1422هـ، 1/ 42).

أمّا الموضع الثاني من الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء، جاء بأسلوب الأمر في قوله: (اعبدوا) ، فعبد ؛ تدور أكثر تصاريفها على لينٍ وذلٍّ (بن فارس، 1979، 4/ 205)، ومنه قولهم: طريقٌ معبّدٌ، أي: مُذلّل من كثرة وطء الأقدام عليه، كقول الشاعر طرفه بن العبد:

تُباري عِتاقاً ناجياتٍ، وأتبَعَتْ وَظيفاً وَظيفاً فَوق مَورٍ مُعبَّدِ (بن العَبْد، 2002، 20).

والعبادة شرعاً لها اعتباران: أولها؛ باعتبار ذات الفعل؛ وهو التعبّد؛ وحدّها: الخضوع لله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، محبّةً وتعظيماً (العثيمين، 1424هـ، 1/ 14)، وثانيها: باعتبار المتعبد به، وهو العبادة، وحدّها: اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة (ابن تيمية، 2005، 44)، فقوله تعالى: (اعبدوا ربكم) ، أي: وحّدوه (السمعاني، 1997، 1/ 56)، والتعبير عن التوحيد بالعبادة من المجاز المرسل بعلاقته الملزومية (الجناجيُ، 2006، 330)؛ فإنّ العبادة الشرعيّة المعتدّ بها يلزم

فيها التوحيد؛ فالتوحيد شرطٌ في صحتها، وبلاغة التعبير بالمجاز هنا؛ التنبيه على عظم شأن التوحيد (المطعني، 2011، 1/ 245)، فالأمر في قوله: (اعبدوا) ، للوجوب (الدّبل، 2010، 1/ 40).

وبلاغة الجملة القرآنية: (اعبدوا ربكم) (البقرة:21) ، أنّه آثار التعبير بلفظ الربوبيّة على الآلوهيّة، لأنّه أمر لجميع الناس؛ مؤمنهم وكافرهم، فكان يجمل فيه التعبير باسم الله (الرّب)؛ وذلك لغايتين بلاغيتين: الأولى؛ لما يشعر به من التربية بالإحسان والإنعام، وفي ذلك تهييج للمأمورين على امتثال الأمر (بن عرفة، 1986، 1/ 67)، والثانية؛ إقامة البرهان على استحقاقه العبادة؛ إذ فيه استدلالٌ بربوبيّته سبحان على ألوهية.

وبلاغة إفراد كلمة (الرّب) المضافة الى ضمير الجمع: ((ربكم)) ،الدلالة على أنّه سبحانه وتعالى؛ ربُّ جميع الخلق، وهو الله تعالى؛ إذ لا يوجد من يستحق هذا الاسم مفرداً ومضافاً الى جميع النّاس إلاّ هو سبحانه (التونسي، 1984، 1/ 326)، وإضافة اسم الرّب الى ضمير المخاطبين، يفيد زيادة اختصاصه سبحانه بأحقيته العبادة، وهي الاضافة: أخصر طريقٍ في الدلالة على هذا الاختصاص من الموصول (التونسي، 1984، 1/ 327).

والجملة القرآنية: ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم)) ، جاء فيها فنٌّ بلاغيٌّ، وهو الالتفات من الغيبة الى الخطاب، لأن الكلام عن أصناف الناس الثلاثة، كان بلفظ الغيبة، ثمّ خوطب الجميع بالنّداء (بن عرفة، 1986، 1/ 66).

وبلاغة هذا الالتفات والاقتران؛ الإيذان بأنّهم صاروا بما تقدّم من ضرْب الأمثال، وغيرها أهلاً لأن يوجّه اليهم الخطاب؛ تنشيطاً لهم في عبادته، وترغيباً، وتحريكاً الى رفع أنفسهم بإقبال الملك الأعظم عن الخضوع لمن هو دونه، بل دونهم، وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضاً عنه بدوام الترقية (البقاعي، د.ت، 1/ 136)، فهو من قبيل إنشاء معنى جديد، وبناء صرح من حديد، فكأنّه قيل: أطووا صفحة السابق وابدؤوا العبادة الحقّة، بالأوصاف المستحقّة.

وبلاغة اقتران أسلوبي النداء (يا) بأسلوب الأمر ، أن أمر العبادة أمر خطير ومقصد عظيم، فهو المراد من هذه الحياة الدنيا قال تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) (الذاريات: 56)، ولذا استدعى أمر العبادة تنبيه الناس اليه جميعاً؛ ولذا ابتدأت الآية الكريمة بأسلوب النداء لتوجيه أنظار الناس وتنبيههم الى ما

هو مطلوب منه وهو العبادة، فقال بعد أسلوب النداء: ((اعبدوا ربكم)) وعبّر بكلمة (الرّب) مضافة الى ضمير الجمع المخاطبين الى أنّه سبحانه وتعالى – ربّ – لجميع الخلق إنسهم وجنّهم، مؤمنهم وكافرهم، فهو بهذه الصفة (الرّبية) مستحق وحده للعبادة والطاعة، فهذه من بلاغة الاقتران بين أسلوبي النداء (يا) والأمر ((اعبدوا)) ، في الآية الكريمة، والله أعلم.

ثانياً: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب الأمر

ورد الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء مع أسلوب النهي في السور السبع الطوال في تسعة مواضع (سورة البقرة: 132؛ 264؛ وسورة آل عمران: 118؛ 156؛ وسورة المائدة: 51؛ 95؛ 101؛ وسورة التوبة: 23؛ 28)، واخترنا موضعاً واحداً، وهو الذي جاء في سورة آل عمران، في قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)) (آل عمران: ١١٨).

في هذه الآية الكريمة، ينهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا المنافقين من أهل الكتاب، وغيرهم أولياء من دون المؤمنين يطلعونهم على أسرارهم، فهؤلاء لا يفترون عن إفساد حالكم، ولا يقتصرون في إفشالكم، وهم يفرحون بما يصيبكم من ضررٍ ومكروه، وهم يتطلعون بلهفةٍ الى هلاككم وتلفكم، وقد ظهر لكم منهم الكذب والشتم ومخالفة دينكم بفلتات لسانهم، مع الحرص والمبالغة في ضبط أنفسهم، وما يخفون في صدورهم من العداوة لكم أكبر وأعظم ممّا يبدو لكم، قد بيّنا لكم البراهين والحجج التي فيها مصالحكم الدينيّة والدنيوية؛ لتتعظوا وتحذروا إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه (الجوزي، 1422هـ، 1/ 318).

جاء الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء في قوله: ((يا أيها)) مع أسلوب النهي في قوله: ((لا تتخذوا))

.

جاء الموضع الأول من الاقتران الثنائي المبدوء بالنداء في قوله : ((يا أيها)) ، فالنداء بـ (يا)، هو حرف تنبيه، لتنبيه المنادى، نحو: يا زيد، فهي حرف نداء، وهي أم باب النداء، وتكون لنداء البعيد مسافة، أو حكماً، وقد ينادى بها القريب، توكيداً (المرادي، 1992، 354)، وتصدير الآية الكريمة بجملة انشاء طلبية،

جاء فيها بأطول صيغة : ((يا أيها)) ،إشارة الى أهمية الامتثال للأمر المذكور بعد ذلك النداء، وهو النهي (الدّبل، 2010، 1/ 526).

والجملة القرآنية : ((يا أيها الذين آمنوا)) ، جاء النداء فيها بالوصف بالإيمان إثر تعداد ما يوجبه ويقضيه؛ تنشيطاً لهم، وحثّاً على مراعاة ما يعقبه من الأمر (العمادي، د.ت، 1/ 179)، فكان النداء بالصفة التي تميزهم، والتي تربطهم بربّهم ونبيّهم التي تستجيش في نفوسهم الاستجابة والتلبية (سيد قطب، 1412هـ، 1/ 100).

وجاء المنادى بالوصف: ((الذين آمنوا)) ، على طريقة التفخيم، والتشويق، للتوضيح بعد الابهام، في تشويق لمعرفة المقصود منها، فإذا جاء بعدها، تمكن من النفس، واستقر فيها، والوصف بالإيمان يستوجب طاقة الأمر، ووجوب تنفيذه (الدّبل، 2010، 1/ 527).

أمّا الموضع الثاني من الاقتران الثنائي المبدوء بالنداء، جاء بأسلوب النهي، في قوله: ((لا تتخذوا بطانة)) ، فإنّ شأن الإخبار العظيمة الهامة التي تهول أن يقدم فيها ما يهي بقبولها (الدّبل، 2010، 1/ 526)، فامتثال النواهي في القرآن الكريم، فيه فلاح الدنيا والآخرة، فقوله: ((لا تتخذوا بطانة)) ؛ أي: لا تستعينوا بأصفياء من غير ملتكم، وفي قوله: ((من دونكم)) ، في موضع الصفة لبطانة، فذكر الزمخشري: من دون أبناء جنسكم، وهم المسلمون (الزمخشري، 1407هـ، 1/ 406)، ويحتمل أن تكون (من) متعلقة بقوله: ((لا تتخذوا بطانة)) (الزمخشري، 1407هـ، 1/ 406)، أو أن تكون (من) زائدة للتأكيد، أي : بطانةً دونكم في العمل والإيمان، والمعنى: أنّهم نهوا أن يتخذوا أصفياء من غير المؤمنين (محمد، 1420هـ، 3/ 316).

ودلّ هذا النهي على المنع من استكتاب أهل الذّمة وتصريفهم في البيع والشراء، والاستبانة اليهم، وقد عتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، على أبي موسى (رضي الله عنه)، في كاتب مُجيدٍ من نصارى الحيرة: ألا يكتب عنك ؟ فقال: إذن أتخذ بطانة من دون المؤمنين (ابن جزي، 1416هـ، 1/ 163)، وهذا النهي على بابه في الدلالة على الإلزام بالترك، وفيه معنى النصح والإرشاد؛ لما في ذلك من تحقيق المصالح في الدنيا.

وفي قوله تعالى: ((لا تتخذوا بطانة)) ، فنٌّ من فنون البيانيّة، وهو الاستعارة التصريحية، حيث شبّه الصديق ببطانة الثوب، وحذف الصديق، وصرح بالمشبّه، والجامع شدّة القرب من صاحبها (الدّبل، 2010، 1/

527)، فبطانة الرجل: خصيصه وصفيّه الذي يفضي اليه ثقةً به، ففي قوله: (لا تتخذوا بطانة من دونكم) ، شبّه ببطانة الثوب، كما تقول العرب: فلانٌ شعاري، وعن النبي (صلى الله عليه وسلم): ((الأنصار شعارٌ والنّاس دثارٌ))(البخاري، 1422هـ، 4/ 1574)، وقوله: ((من دونكم)) ، أي: من دون أبناء جنسكم، وهم المسلمون، ويجوز تعلقه بـ((لا تتخذوا)) ، وبـ((بطانة)) ، على الوصف؛ أي: بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (الزمخشري، 1407هـ، 1/ 406). ففيه تشبيه الأولياء بالبطانة؛ فذكر المشبّه به، وهو البطانة، وحذف المشبّه وهم الأولياء؛ فهي استعارة تصريحيّة؛ وأصلها من بطانة الثوب، كما في قولهم: لَبِستُ فلاناً، إذا اختصصته، وفلانٌ شعاري ودثاري (الأبياري، 1405هـ، 8/ 58)، وقوله: ((من دونكم)) ، هو قرينة الاستعارة، وقوله بعدُ: ((لا يألونكم خبالا)) ، من متممات الاستعارة، وهي راجعة على المشبّه المحذوف: الأولياء، فتكون الاستعارة مجرّدة (مطلوب، 2007، 90).

وجملة: ((من دونكم)) ، يجوز في : (من) ، أن تكون زائدةً، و(دون)، اسم مكان بمعنى: حولكم، وهو مجازٌ مرسلٌ، علاقته المحليّة؛ إذ ذكر المكان وأُريد الحالّون فيه، وبلاغة المجاز؛ تنبيه المؤمنين الى حقيقة من حولهم، ممّن ليسوا من ملّتهم، وإذ إنّ دأبهم أن يكيدوا لهم المكايد (الجناجيُ، 2006، 332-333).

والجملة القرآنية: ((لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا)) ، فيها دلالة الترقي في النهي من البطانة، إذ لا يقتصرون في افساد الدين، فإن عجزوا عنه، ودّوا إلقاءكم في أشد أنواع الضرر، وكذلك في إفساد أُموركم في الدنيا، فإن عجزوا عنه، لم يزُل عن قلوبهم حبّ إعانتكم، وكذلك لا يقتصرون في إفساد أُموركم، فإن لم يفعلوا ذلك لمانع من خارج فحبُّ ذلك غير زائلٍ عن قلوبهم (الرازي، 1420هـ، 8/ 341)، وفي هذا إيماء الى أنّ أهل الشر والفساد يبذلون في سبيل إلحاق الضرر بأهل الاسلام ما استطاعوا، فإن عجزوا عن ذلك، بقى حبّ ايقاع الضرر قائماً في قلوبهم متحيّنين بذلك الفرص لإنفاذه، فهذا التحذير يبصر بحقيقة الأمر، ولم يكن هذا التحذير لفترة تاريخية معيّنة، فهو حقيقة دائمة تواجه واقعاً دائماً، والمسلمون في غفلة من تحذير الله لهم (سيد قطب، 1412هـ، 1/ 886) .

فبلاغة الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء في قوله: ((يا أيها الذين آمنوا)) مع أسلوب النهي في قوله: ((لا تتخذوا بطانة)) ، ارشاد، وتعليم، وترهيب المؤمنين من يتخذوا بطانة من غيرهم، والتحذير من هذا

العمل، فالقرآن الكريم يحرص على تعليم المسلمين السياسة الشرعية في أحوالهم كلها، وفي ذلك سعادتهم وفلاحِهم في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

ثالثاً: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب الاستفهام

ورد الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء مع أسلوب الاستفهام في السور السبع الطوال في خمسة مواضع (سورة آل عمران: 37؛ 40؛ 71؛ وسورة الأنعام: 130؛ وسورة الأعراف: 93)، فاخترنا موضعاً واحداً، وهو الذي جاء في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قالُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَشَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ)) (الأنعام: ١٣٠).

في هذه الآية الكريمة يخبرنا الباري عزّوجل، عن يوم الحشر، فينادي الله عزّوجل معشر الجن والأنس، وكليهما مقرّراً لهما؛ ألم يأتيكم رسلٌ من جنسكم – فهم من الأنس – يتلون عليكم ما أنزل الله عليهم، وما أجرى على أيديهم من نذاراتٍ وبشاراتٍ، وليس لهم إلاّ أن يقرّوا بالشهادة على أنفسهم بالتبليغ والإنذارات، فكذّبوا وجحدوا، وخدعتهم الدنيا بزينتها، وأقرّوا على أنفسهم أنّهم كانوا في الدنيا كافرين بالله وبرسله، ولن ينفعهم هذا الإقرار ولا الإيمان لِفواتِ وقتهِ (جماعة من علماء التفسير، 1436هـ، 144).

في الآية ذمٌّ لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم، فإنّهم اغتروا بالحياة الدنيويّة وملذاتها، وأعرضوا عن الآخرة بالكليّة، وفيها تحذيرٌ للسامعين من مثل حالهم (البيضاوي، 1418هـ، 2/ 183).

وجاء الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء في قوله : ((يَا مَعْشَرَ)) ، مع أسلوب الاستفهام في قوله: ((أَلَمْ يَأْتِكُمْ)) .

جاء الموضع الأول من الاقتران الثنائي المبدوء بالنداء في قوله: (يَا مَعْشَرَ) ، وبلاغة افتتاح الآية الكريمة بأسلوب النداء: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) فشمل الثقلين المكلفين (الْجِنِّ) وَ(الْإِنْسِ) ، لتنبيههم على خطر وأهمية ما سيخاطبهم به – سبحانه وتعالى –، والنداء جاء: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)) ، وهو ندائهم جميعاً، ولم يفصل بين الجن والأنس، أنّه عاملهم كالجنس الواحد؛ لموالاة بعضهم بعضاً، ولإظهار أنّهم خلقان مختلفان في الصورة والطبيعة والقدرات، ولكنّهما متشابهان في الغاية والمصير، فقد خُلقا لعبادة الله تعالى وطاعته،

وهما محاسبان على أفعالهما؛ فالله تعالى يناديهما بنداء واحدٍ ليذكرهما بنعمته عليهما بإرسال المرسلين لهما وليوبخهما على تكذيبهما رُسُلُه وتجاوزهما حقوقه (المطعني، 2011، 12/ 89)، وتوجيه النداء للجن والإنس في قوله: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)) ، في ذلك اليوم المريع تبكيت المشركين، وتحسيرهم على ما فرّطوا في حياتهم الدنيا من عبادتهم الجن، أو الالتجاء إليهم والاستعانة بهم (التونسي، 1984، 8/ 77).

والجملة القرآنية: ((يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)) ، فيها فنٌّ بلاغيٌّ، وهو التقديم، حيث قدّم الجنّ على الأنس؛ لأنّ الآية مسوقةٌ لبيان غلبتهم (البقاعي، د.ت، 7/ 271)، ولأنّ الأنس كانوا أولياء للجنّ منقادين لهم، وخاضعين لسلطتهم، وتقديم الجنّ على الأنس؛ لأن الاستغواء كان منهم، فهم أكثر غواية (المطعني، 1432هـ، 1/ 343)، ثمّ استجاب الأنس لغوايتهم؛ فالجنّ أساس الشّر في ذلك؛ فهم الموسوسون بالشّر وهم من دعا اليه؛ لذلك قُدّموا في سياق اللوم أن أُهملوا دعوة الرّسل (أبو زهرة، د.ت، 5/ 2672)، ويمكن أن نقول: أنّه سبحانه وتعالى ذكر الجن أولاً لأنّهم أسبق في الخلق، فهم مخلوقون قبل الأنس وهذه الجملة القرآنية: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) ، ضمت فنّاً بلاغياً وهو إيجاز الحذف إذ فيها محذوف، تقديره: يوم يحشرهم فيقال: يا معشر الجن والأنس (عبد الله، 2001، 9/ 73)، محذوفه استغناء بالوارد.

أمّا الموضع الثاني من الاقتران الثنائي المبدوء بالنداء، جاء بأسلوب استفهام في قوله: ((أَلَمْ يَأْتِكُمْ)) ، فالاستفهام للتقرير، وقد ذكر الزمخشري، الهمزة الداخلة على النفي إتيان الرسل، للإنكار، فكان تقريراً لهم (الزمخشري، 1407هـ، 2/ 51)، وفي الآية الكريمة جاء الاستفهام إثر النّداء مباشرةً، والهمزة فيه للاستفهام التقريري، وهو سؤالٌ عن نفي مجيء الرّسل إليهم، فقد أرسل الله تعالى إليهم الرّسل مبشرين ومنذرين، غير أنّ المظنون في جوابهم سيكون بالنفي، فجاء بأسلوب التقرير، فإذا أقرّوا بالأثبات كان أقطع لأعذارهم في أن يؤاخذهم الله تعالى بذنوبهم هذه، فإذا كانت شُبهةٌ في المقرّر عليهم ارتبكوا وتلعثموا وتبينت أفعالهم فأُخذوا بها (التونسي، 1984، 8/ 75)، فالاستفهام في الآية يحمل معنى التوبيخ والتقريع، فإنّ الله عزّوجل أرسل إليكم الرّسل لينبّهوهم على مرتكباتكم، ويقيموا لكم الحجّة البالغة، لكنكم لو تقبلوا ولم تتعظوا ولم تعتبروا (الطبري، 2000، 12/ 120-121).

وجاءت كلمة ((رُسُلٌ)) في الجملة القرآنية: ((أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ)) ، نكرة، وفائدة التنكير للتعظيم، والتفخيم والتكثير (المطعني، 2011، 1/ 343)؛ وذلك أدعى الى أخذهم بالعذاب وإقامة الحجّة عليهم؛ فقد أرسلنا لكم الرُّسل الكثيرة لكنكم لم تؤمنوا وتماديتم، فما جزاؤكم إلاّ العذاب المهين.

والجملة القرآنية: ((أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)) ، حيث أردف فيها كلمة : ((رُسُلٌ)) ، بقوله : ((مِنْكُمْ)) ، فهي ليست للتبعيض من الفريقين؛ إذ يمتنع أن يكون الرُّسل من الجنّ؛ لأنّ ظاهر النّصوص الشرعيّة يدلُّ على أنّ الرّسل من الأنس فقط، فمقام الرّسالة لا يكون إلاّ في أشراف الأنس والملائكة، ولا يكون من الجنّ؛ لانحطاط رتبتهم عن رتبة الأنس، وإنّما ساق الوصف لزيادة إقامة الحجّة عليهم، أي: أنّهم رسلٌ تعرفون صفاتهم وتسمعون كلامهم (التونسي، 1984، 8/ 76) مثلما تقول للمخاطب: لست منك، ولست مني، فلا تبعيض هنا البتّة.

وبلاغة الاقتران بين أسلوبي النداء والاستفهام، هو أنّ أسلوب النداء من أغراضه ومقاصده، هو تنبيه المخاطب الى أهميّة ما سيلقى من قبل المتكلم، فبلاغة افتتاح الآية الكريمة قبل مجيء الاستفهام التوبيخي لمن كفر وأعرض عن الرّسل من (الْجِنِّ) و (وَالْإِنْسِ) ، أنّ النداء جاء للفت انتباه السامعين ليتمكن الاستفهام من أذهانهم أشدّ تمكن، وليكون أكثر وقعاً في نفوسهم، فهم سيقبلون الى المتكلم (المخاطب) ليسمعوا ماذا يريد منهم فيأتي الاستفهام موبخاً لهم لذنبهم العظيم الذي اقترفوه، وهو الكفر بعد مجيء الرّسل مبشرين لهم ومنذرين من قبل الله عزّ وجل ، وهذا من بلاغة الاقتران بين هذين الأسلوبين في الآية الكريمة، والله أعلم .

رابعاً: اقتران أسلوب النداء مع أسلوب التمني

ورد الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء مع أسلوب التمني في السور السبع الطوال في موضعين (سورة النساء: 73؛ وسورة الأنعام: 27)، وقد اخترنا موضعاً واحداً، وهوالذي جاء في سورة النساء في قوله تعالى : ((وَلَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً)) (النساء: ٧٣).

في هذه الآية الكريمة، جاء الخطاب فيها موجّهٌ الى المؤمنين، بأنّكم إن نلتم نصراً وغُنماً بفضل الله تعالى؛ فلا يفكر المنافقون في سروركم، ولا يحمدون الله على نصركم، ولكن يفكرون في أمانيهم، وما ينالهم من خير

يرجونه، أو آلامٍ يتجنّبونها، فيتمنون أن لو كانوا معكم؛ ليفوزوا الفوز العظيم الذي نلتموه من غير أن يأبهوا بآلامكم ومسراتكم، ليقولن الواحد منهم – حاسداً متحسراً، كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة في الظاهر، ولو كانت ضئيلة –: يا ليتني كنت معهم فأظفر بما ظفروا به من النجاة والنّصرة والغنيمة، وهذا شأن الذي يحبّ نفسه فقط، ولا يفكر في الجماعة التي يعيش فيها (أبو زهرة، د.ت، 4/ 1759)، فالآية الكريمة ترشدنا، أنّ عامة الناس لا يعدّون من الدّنيا إلاّ أعراضهم، فيفرحون بما ينالهم منها، ولا من المحن إلاّ مصائبها فيتألمون بما يصيبهم منها (الأصفهانى، 1420هـ، 3/ 1321).

جاء الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء في قوله: ((يَا)) ، مع أسلوب التمني في قوله : ((لَيْتَنِي)).

فالموضع الأول من الاقتران الثنائي المتغاير المبدوء بالنداء في قوله: (يا)، فحرف النداء (يا)، فيه قولان: الأول؛ وهو الفارسي، أنّها لمجرد التنبيه، فلا يقدّر منادى محذوف، ولذلك فهي الحرف، والثاني؛ أنّ المنادى محذوف تقديره: يا قوم، أو يا هؤلاء ليتني (العكبري، د.ت، 1/ 372)، ووجه التنبيه فوت أمر عظيم يجر عليهم المنفعة، عُبّر عنه بالفضل، وهذه الجملة القرآنية : (يَا لَيْتَنِي) ، فيها فنٌّ بلاغيٌّ، وهو الحذف، وتقديره: يا قوم ليتني (محمد، 1420هـ، 3/ 705).

أمّا الموضع الثاني من الاقتران الثنائي المبدوء بالنداء جاء بأسلوب التمني في قوله : ((لَيْتَنِي)) ، إن حرف (ليت) حرفٌ تمنٍّ يتعلق بالمستحيل غالباً (ابن هشام، 1985، 375)، والأنسان قد يتمنى شيئاً مع علمه بتعذّره (القزويني، د.ت، 130)، كقول الشاعر: فيا ليت الشَّبَاب يعود يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فعل المشيب (قاسم، 1986، 50).

فقوله تعالى: ((يَا لَيْتَنِي)) ، نداء للكلام الدال على التمني بتنزيل الكلمة منزلة العاقل الذي يطلب حضوره؛ لأنّ الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة، كأنّه يقول: هذا مقامك فاحضري (محمد، 2020، 275-276)، وإطلاقه للتنبيه على الاتساع (العمادي، د.ت، 2/ 201)، والاقتران الحاصل بين أسلوب النداء مع أسلوب التمني في قوله : ((يَا لَيْتَنِي)) ، تنبيه على ضعف عقيدتهم، وأن قولهم هذا القول من لا مواصلة بينكم مبينه، وإنّما يريد أن يكون معكم لمجرد الأموال (البيضاوي، 1418هـ، 2/ 83).

فالجملة القرآنية: ((يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً)) ، أفادت معنى تعجبياً وهو: أنظروا وتعجبوا من شأن هؤلاء المنافقين إنّهم عندما أصابتكم مصيبة فرحوا، وعندما انتصرتم وأصبتم الغنائم تحسّروا وتمنوا أن

لو كانوا معكم حتى لكأنهم لا علم بالقتال الذي دار بينكم وبين أعدائكم، وهذا القول يدعوا الى التعجب من أحوالهم، والتحقير لسلوكهم، والدعوة عليهم بأن يزدادوا حسرة على حسرتهم (سيد طنطاوي، 1997، 3/ 216).

فبلاغة الاقتران الثنائي بين أسلوبي النداء والتمني أفاد معنى بلاغياً هو التنبيه والتحذير من المنافقين، والتعجب لحال هؤلاء كيف يتمنون ويتحسرون من ذلك الشي، وهذا الخطاب مستمر للمسلمين في كل زمن، والله أعلم.

الخاتمة

في هذا البحث؛ ورد الاقتران الثنائي المبدوء بأسلوب النداء مع أساليب الطلب، في ثمانية وثلاثين موضعاً، متوزعاً بين أسلوب الأمر وأسلوب النهي وأسلوب الاستفهام وأسلوب التمني، فكان الاقتران مع أسلوب الأمر في اثنين وعشرين موضعاً، ومع أسلوب النهي بسعة مواضع، ومع أسلوب الاستفهام خمسة مواضع، أمّا مع أسلوب التمني كان في موضعين.

الاقتران الثنائي لأسلوب النداء، في السور السبع الطوال، جاء لإثبات حكم، وهو التنبيه الى أمر مهم وهو العبادة، وفي هذا مقصدٌ عظيم، حيث في هذا تنبيه الناس والعباد الى عبادة الله وحده وطاعته وعدم التهاون في تلك العبادة التي فرضها الله على عباده.

هذا الاقتران الثنائي لأسلوب النداء مع أساليب الطلب، التنبيه لأغراض بلاغية، وهي التعليم والإرشاد وترهيب المؤمنين في اتخاذ بطانة من غيرهم، والتحذير في هذا؛ لأنّ في ذلك سعادة وفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

الاقتران الثنائي لأسلوب النداء مع أساليب الطلب، مقاصد وأغراض، وهي التنبيه الى ما سيلقى اليه من قبل المتكلم، ليتنبه السامع، وفي هذا لفت انتباه لسامع حتى يتمكن من الاذهان، وفي هذا التنبيه، توبيخ وارشاد وتعليم للناس.

هذا الاقتران الثنائي لأسلوب النداء، يأتي لمعاني ومقاصد بلاغية، وهي التنبيه والتحذير والتعجب لحال من تهاون في أوامر الله جلّ شأنه، وهو يتحسر لذلك الأمر، وهذا الخطاب مستمر للعباد في كلّ زمان ومكان.

قائمة المراجع

القرآن الكريم.

1 – ابن تيمية، 2005، العبودية، ط7، المكتب الإسلامي، بيروت.

2 – ابن جزي، محمد، 1416هـ، التسهيل لعلوم التنزيل، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

3– ابن منظور، 1414هـ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت.

4 – ابن هشام، عبدالله، 1985، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، دار الفكر، دمشق.

5 – أبو زهرة، محمد، د.ت، دار الفكر العربي.

6 – الابياري، إبراهيم بن إسماعيل، 1405هـ، موسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب.

7 – الاسنوي، عبدالرحيم، 1981، التمهيد في تخريج الفروع على الاصول، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.

8 – الالوسي، قيس، 1988، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، المكتبة الوطنية، بغداد.

9 – البخاري، محمد بن إسماعيل، 1422هـ، صحيح البخاري – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار طوق النجاة.

10 – البقاعي، ابي بكر، د.ت، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

11 – بن العبد، طرفة، 2002، ديوان طرفه بن العبد، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت.

12 – بن عرفة، أبو عبدالله، 1986، تفسير ابن عرفه، ط1، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس.

13 – بن فارس، احمد، 1979، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت.

14 – بن يعيش، علي، 2001، شرح المفصل للزمخشري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

15 – البيضاوي، عبد الله بن عمر، 1418هـ، انوار التنزيل واسرار التأويل، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت.

16 –التونسي، محمد الطاهر، 1984، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس.

17 – جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط3، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

18 – الجناجي، حسن، 2006، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، مصر.

19 – الجوزي، عبدالرحمن، 1422هـ، زاد المسير في علم التفسير، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

20 – الجوهري، إسماعيل، 1987، الصحاح تاج اللغة العربية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت.

21 – حسن، عباس، د.ت، النحو الوافي، دار المعارف.

22 – حسن، فضل، 1997، البلاغة العربية فنونها وأفنانها علم المعاني، ط4، دار الفرقان.

23 – الدبل، محمد، 2010، دليل البلاغة القرآنية الجزء الاول سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، ط1، شبكة الألوكة، الرياض.
24 – الرازي، فخرالدين، 1420هـ، مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
25 – الراغب الاصفهاني، 1412هـ، المفردات في غريب القرآن، ط1، دار القلم، دمشق.
26 – الراغب الاصفهاني، 2003، تفسير الراغب الأصفهاني، ط1، دار الوطن، الرياض.
27 – الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
28 – الزمخشري، جار الله، 1407هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت.
29 – السامرائي، فاضل، 2000، ط1، معاني النحو، دار الفكر، عمان.
30 – السبكي، احمد، 2003، عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
31 – السمعاني، أبو المظفر، 1997، تفسير القرآن، ط1، دار الوطن، الرياض.
32 – سيبويه، د.ت، الكتاب، دار الجيل، بيروت.
33 – سيد قطب، في ظلال القرآن، سيد قطب، ط17، دار الشروق، بيروت.
34 – السيوطي، جلال الدين، 1974، الاتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
35 – الطبري، محمد، 2000، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
36 – طنطاوي، محمد سيد، 1997، تفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة.
37 – الطيبي، الحسين بن عبدالله، 2013، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، ط1، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
38 – عبدالله، محمد الأمين، 2001، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ط1، دار طوق النجاة، بيروت.
39 – العثيمين، محمد، 1424هـ، القول المفيد في كلام التوحيد، ط2، دار ابن الجوزي، السعودية.
40 – العكبري، أبو البقاء، د.ت، التبيان في إعراب القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
41 – العمادي، ابو السعود، 1988، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
42 – الفراء، أبو يعلى، 1990، العدّة في اصول الفقه، ط2، د.ن.
43 – الفراهيدي، الخليل، د.ت، العين، دار ومكتبة الهلال.
44 – قاسم، إسماعيل، ديوان أبو العتاهية، اسماعيل قاسم، دار بيروت.
45 – القزويني، محمد، د.ت، الايضاح في علوم البلاغة، ط3، دار الجيل، بيروت.
46 – محمد، أبو حيان، 1420هـ، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت.
47 – محمد، عبدالقادر، 2020، أساليب النداء في القرآن الكريم، ط1، دار اللؤلؤة، مصر.

48 – المرادي، حسن، 1992، الجنى الداني في حروف المعاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
49 – المصري، أبو عاصم، 2011، دلالة الاقتران ووجه الاحتجاج بها عند الأصوليين، دار النشر والتوزيع الإسلامية.
50 – المطعني، عبدالعظيم، 2011، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة.
51 – مطلوب، احمد، 2007، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط2، مكتبة لبنان، بيروت.
52 – الموصلي، رشيد الخطيب، 2014، أولى ما قيل في آيات التنزيل، ط1، اروقة للدراسات والنشر، الأردن.
53 – النحوي، أبو بكر، د.ت، الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة، لبنان.
54 – نخبة من اساتذة التفسير، 2009، التفسير الميسر، ط2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.
55 – نخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة، 2024، موسوعة التفسير البلاغي، ط1، منشورات القاسمي، الإمارات.
56 – الهاشمي، احمد، د.ت، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت.

Proceedings of the 10th International Scientific Conference on Research Perspectives on Knowledge Integration: Multidisciplinary Approaches to Producing Innovative and Effective Knowledge, February 6-7, 2026, under the theme: *Integrated Knowledge… A Lever for Change and Creativity*

Challenges in Automatic Recognition of Algerian Dialect in Intelligent Linguistic Systems: Towards the Development of an Integrated Digital Corpus

Dr. Abdelouahab Baflah
Scientific and Technical Research Center for the Development of the Arabic Language (CRSTDLA) Ouargla Research Unit, Algeria
a.baflah@crstdla.dz

Abstract :

This study investigates the linguistic challenges hindering automated processing of the Algerian dialect, a hybrid system blending Arabic, Amazigh, and foreign languages. Focusing on the intersection of dialect identification and sentiment analysis, the research analyzes spontaneous YouTube comments to bridge the gap between human linguistic competence and AI capabilities. Findings indicate that the inadequacy of the models stems from the dialect's inherent characteristics and cultural contexts, leading to errors in interpreting rhetorical and idiomatic structures, as well as sentiment detection. The study advocates for developing a National Digital Corpus with comprehensive linguistic, semantic, and affective annotations.

Keywords: Algerian Dialect; Artificial Intelligence; Digital Corpus; Sentiment Analysis; Digital Identity; Social Reality Shows.

Proceedings of the 10th International Scientific Conference on Research Perspectives on Knowledge Integration: Multidisciplinary Approaches to Producing Innovative and Effective Knowledge, February 6-7, 2026, under the theme: *Integrated Knowledge… A Lever for Change and Creativity*

إشكاليات التعرف الآلي على اللهجة الجزائرية في النظم اللسانية الذكية: نحو بناء مدونة رقمية متكاملة

د. عبد الوهاب بافلح

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية– وحدة ورقلة

a.baflah@crstdla.dz

ملخص:

تستقصي هذه الدراسة التحديات اللغوية المعقدة التي تواجه نماذج التعرف الآلي عند معالجة الدارجة الجزائرية، نظرًا لبنيتها الهجينة التي تمزج بين العربية والأمازيغية واللغات الأجنبية. يركز البحث بشكل خاص على تحليل التقاطع بين "تحديد اللهجة" و"تحليل المشاعر"، ومن خلال فحص عينة واقعية من تعليقات المشاهدين على منصة يوتيوب، بهدف ردم الفجوة بين الكفاءة اللغوية البشرية وقدرة الذكاء الاصطناعي على فهم السياقات الجزائرية الصرفة، لا سيما في ظل انتشار ظاهرتي "العربيزي" و"التبديل اللغوي". وكشفت النتائج أن قصور النماذج الحالية ليس تقنيًا بحتًا مرتبطًا بالخوارزميات، بل يكمن في الخصائص الجوهرية للهجة وتعدد سياقاتها الثقافية، وهذا أدّى إلى تأويلات خاطئة للبنى البلاغية، والتعابير الاصطلاحية، ورصد الانفعالات العاطفية. وبناءً على ذلك، توصي الدراسة بضرورة بناء "مدونة رقمية وطنية" شاملة، ومعالجة يدوّيا بوسوم لسانية ودلالية وعاطفية دقيقة. ويساهم هذا العمل في تعزيز الهوية الرقمية، وتحقيق التكامل المعرفي بين اللسانيات والذكاء الاصطناعي كأداة للابتكار والتغيير، بما يضمن تمثيلًا أدق للخصوصية الثقافية الجزائرية في الفضاء الرقمي العالمي.

الكلمات المفتاحية: للهجة الجزائرية، الذكاء الاصطناعي، المدونة الرقمية، تحليل المشاعر، الهوية الرقمية، البرامج الاجتماعية.

The research

Introduction:

The field of natural language processing today focuses on integrating its data with artificial intelligence to leverage its tools for achieving accurate results in less time. Among the areas experiencing rapid development are automatic speech recognition systems, as well as emotion recognition and analysis. These two areas represent a fundamental pillar in shaping human-machine communication. Despite this progress, a sharp digital and linguistic gap emerges when dealing with low-resource languages, foremost among them Arabic dialects, including the Algerian dialect.

The Algerian dialect derives its distinctiveness from its "hybrid" linguistic structure, in which multiple linguistic systems intersect (Arabic, Amazigh, and foreign languages), making it resistant to traditional automatic modeling designed originally for standardized languages. The research problem lies not only in lexical recognition, but in the "semantic and emotional" understanding of this dialect in digital spaces, where complex linguistic phenomena such as code-switching and Arabizi writing appear.

In this study, we will explore the linguistic obstacles that prevent the development of intelligent systems capable of understanding "pure Algerian" and recognizing it in its various contexts. By taking viewer comments on "reality social programs" on YouTube as a real-world sample, the paper seeks to lay the initial building blocks for an integrated digital corpus that does not only track words, but extends to tagging emotions and cultural contexts, in line with the conference theme that makes knowledge a driver for digital innovation and the protection of linguistic identity.

Study Objectives:

This study seeks to achieve a set of interconnected objectives that serve the

challenge of digitizing the Algerian dialect, namely:

- Identifying and analyzing linguistic obstacles: By identifying the morphological and semantic characteristics in the Algerian dialect (such as compound negation, linguistic simplification, and elongation) that mislead automatic speech recognition (ASR) algorithms.

- Revealing code-switching mechanisms: Investigating the ways Algerian speakers integrate foreign languages (especially French) with the dialect in digital space, and its impact on the accuracy of automatic language classification.

- Evaluating the effectiveness of sentiment analysis systems: By testing the ability of intelligent models to understand "Algerian" emotions that are often written in non-standard forms (such as prayers, expressions of regret, or sarcasm in the dialect).

- Presenting a practical proposal (based on the sample of comments processed in the study) for how to tag Algerian linguistic resources linguistically and emotionally, contributing to feeding the databases necessary for training artificial intelligence systems.

- Contributing to bridging the digital gap between Modern Standard Arabic and the spoken dialect, ensuring a more accurate digital presence for the Algerian dialect in linguistic models.

Methodology and Tools:

The study employed a descriptive-analytical approach, using natural language processing (NLP) tools. It proceeded through the following stages:

Study Sample: 96 comments were selected from viewer comments on the "New Life" program on YouTube, as it represents a "natural sample" of spontaneous Algerian dialect with its structural complexities and intense

emotions. This makes it the most complex and testing material for language recognition systems.

Data Collection Tools: The Export Comments tool was used to extract raw data, then the material underwent a data cleaning process to remove "digital noise" such as excessive emojis and links, and to process "linguistic elongation" (e.g., yaaaaarab → yarab ‘O Lord’) to prepare it for automatic recognition.

Analysis Tool (Annotation): A small corpus was built by tagging comments manually and automatically according to four criteria: comment text, language type, linguistic phenomenon, and emotional value, as clearly shown in the attached "Classifier 1" file. This is material ready to feed artificial intelligence algorithms, providing the system with the "context" that is missing in global models.

Study Structure:

First Section: Conceptual and Theoretical Framework

- Definition of the Algerian dialect and its hybrid characteristics
- Basic concepts: dialect recognition, sentiment analysis, Arabizi, code-switching, digital corpus
- Overview of the most important related previous studies

Second Section: Experiments and Results

- Presentation of the automatic models or approaches used
- Presentation of the most important numerical results (model performance) while highlighting weaknesses related to the complexity of the dialect

Third Section: Discussion and Prospects for the National Corpus

- Interpretation of results in light of the complexity of the linguistic structure and cultural contexts of the Algerian dialect
- Highlighting the need for a "national digital corpus" and its role in digital identity and knowledge integration
- Brief recommendations and future research prospects

Part I: Conceptual and Theoretical Framework

1. The Algerian Dialect and Its Hybrid Characteristics

The Algerian dialect is considered a representation of the Arabic language but in a hybrid form resulting from the interaction of different linguistic systems: Amazigh, French, and Turkish and Spanish remnants. This historical overlap produced what some research calls "Algerian hybrid speech," where Arabic, French, and Amazigh vocabularies coexist in daily use. Many French words are integrated into the morphological and syntactic structure of the Algerian dialect, and are conjugated and derived as if they were Arabic words (Wafia A. and Simon D., 2017).

The hybrid character of this dialect is manifested in several levels, including:

Lexical level: Intensive borrowing from French (station, garage, service) and from Amazigh, and some Ottoman and Spanish words.

Phonetic level: Modification of the pronunciation of some Arabic sounds, sometimes replacing them with foreign sounds, such as pronouncing ق qaf with different sounds according to region, or introducing sounds uncommon in Classical Arabic.

Syntactic level: The presence of structures following patterns close to French or Amazigh in word order or in the use of some particles, while mixing them

with Arabic structure.

Therefore, the Algerian dialect is viewed as a "hybrid language" or "mixed language" in a linguistic sense, meaning it is the product of continuous interaction between more than one linguistic system, which is strongly reflected in oral discourse and in digital communication on communication platforms.

2. **Basic Concepts**:

- Dialect Identification: A branch of natural language processing that aims to distinguish one dialect from another within the same language family, based on linguistic features that can be automatically extracted (letters, words, phonetic features...). In the Arabic context, this usually involves separating Modern Standard Arabic from local dialects (Egyptian, Levantine, Gulf, Maghrebi...) (Soumia et al., 2018).

- Code-switching: The speaker's shift between two or more linguistic systems within the same discourse. The change does not affect the topic of discourse, but rather the language being used, shifting between Classical Arabic, colloquial, and French in the same situation (Chetouane, D., & Bouhania, B., 2022).

- Annotated Digital Corpus: An organized digital repository containing a large collection of linguistic texts selected from natural contexts (such as social media), accompanied by metadata and tags that explain the linguistic, morphological, and semantic characteristics of each linguistic unit (Imane Guellil et al., 2018).

3.Overview of the Most Important Related Previous Studies

- Parler hybride algérien, dynamique du lexique du français langue étrangère by Achab Djamila

The study examines the phenomenon of dual use of linguistic systems among Algerian students, what the reasons for this are, and what its manifestations are. This study is considered an important step in building automatic recognition models by broadening the perspective on the nature of the Algerian dialect and its linguistic and social manifestations.

- Identifying Code-switching in Arabizi by Safaa Shehadi and Shuly Wintner

The study is concerned with the Arabizi phenomenon in texts from social media platforms, and searches for mechanisms to identify the phenomenon and distinguish between its aspects (Arabic written in Latin letters, and vice versa). The result is a corpus of the Arabizi phenomenon with precise indicators for code-switching. It is an example of studies focusing on Arabic dialect phenomena, although it was not applied to the Algerian dialect because it covers Arabic dialects in the Mashreq and Maghreb.

- Identification of Languages in Algerian Arabic Multilingual Documents by Wafia Adouane and Simon Dobnik

The study sought to build a system for word-level language identification through a set of contextual rules, and the Algerian dialect formed the corpus for building this system due to its use of words from different languages. This study and the one before it confirm the difficulty of processing a language that includes these characteristics.

- Building Resources for Algerian Arabic Dialects by Salima Harrat, Karima Meftouh, Mourad Abbas, and Kamel Smaïli

The paper presents automatic models for bidirectional translation from Modern Standard Arabic to Algerian colloquial and acknowledges the scarcity of Algerian colloquial resources as well as automatic processing models. It also proposes models for morphological analysis and another for

diacritization to be applied in the translation process. The study's results and resources represent a large part of the challenge addressed in this paper. Our paper contributes to deepening the challenges of the Algerian dialect through processing new resources.

From this review, we realize that the study by Harrat et al. (2014) laid the foundation by revealing the scarcity of linguistic resources for the Algerian dialect and proposing machine translation models. The study by Adouane & Dobnik (2017) deepened this approach by focusing on the difficulty of identifying languages within hybrid texts based on contextual rules. From a sociolinguistic perspective, Achab (2023) interpreted "hybrid speech" as an act representing a digital identity that reflects the dynamics of linguistic borrowing among Algerian youth. Meanwhile, the study by Shehadi & Wintner (2022) addressed the challenges of "Arabizi" and code-switching on social media platforms, highlighting the limitations of global tools in recognizing this pattern. On the technical side, the study by Guellil et al. (2018) presented a methodology for automatically annotating Algerian corpora to serve sentiment analysis. Our current study combines these approaches by constructing a sample of comments on a program addressing a social issue, as a manually annotated digital corpus, and links linguistic phenomena with emotional value in the context of social programs. We now move to the second section to present the results of intelligent system experiments on the corpus.

Part II: Experiments and Results

This section moves to the practical testing phase. It aims to process raw data and transform it into a structured corpus that can be utilized in intelligent systems. This section will present the steps for building the small corpus, the manual annotation protocol, and analysis of the results that demonstrate that the obstacles to automatic recognition are primarily linguistic and cultural.

To achieve the study objectives, the practical aspect went through the

following methodological steps:

- Corpus Selection (Sample): 96 comments were selected from the YouTube platform for the "New Life" program (Al-Shorouk TV, 2021), as such programs are a living repository of spontaneous language and intense emotions. Thus this is a suitable sample for evaluating the performance of automatic models in terms of recognizing the Algerian dialect and identifying emotions.

- Data Filtering and Cleaning (Data Cleaning): The stage included removing digital noise and processing "linguistic elongation" (such as: yaaaaarab becomes yarab 'O Lord'), and removing emojis, links, and extra spaces, as clean data facilitates the annotation process and is prepared for automatic recognition.

- Building the Annotated Corpus: "Classifier 1" was built by manually annotating comments according to four criteria:

Language type: Determining whether the text is (colloquial, Modern Standard Arabic, hybrid, or French).

Linguistic phenomenon: Identifying linguistic features such as: "negation in dialect" (for example: meshkitsh 'I don't think') or "linguistic simplification".

Emotional value (Sentiment): Classification of emotional charge (positive, negative, neutral).

Cleaned text: The final technically prepared version.

II. Presentation of Results and Statistical Analysis (Based on "Classifier 1"):

After manually processing the selected corpus, the results showed linguistic and emotional variation, reflecting aspects of the Algerian user's communicative environment. This can be detailed as follows:

Dominance of Algerian Colloquial Arabic: The sample revealed that the vast majority of users expressed themselves in colloquial Algerian Arabic (e.g., comments 1, 5, 6), attributable to the existence of a rich colloquial lexicon and the prevalence of phonetic orthography, whereby words are written as pronounced (e.g., *'alabiha* 'for this reason' علابيها; *ytama* 'orphans' يتامى; *yemma* 'my mother' يمّا; *wlidha* 'her son' وليدها; *bekash*; *'aysha* 'she lives' عايشة). This phenomenon creates a significant gap with standard Arabic lexicons. Additionally, the data demonstrated frequent deployment of the dialectal discontinuous negation particle *ma...sh* and proximal demonstrative pronouns (e.g., *had* 'this' هاد; *hadhu* 'those' ' هاذو').

- The Phenomenon of Code-switching and Linguistic Hybridity: Clearly emerged in comments that mix French and Arabic (such as comment 90: "meilleure emission... rabi yachfik" *'best programme... may God heal you'*), which proves that the challenge of language identification occurs at the word level, not just the sentence level.

- Modern Standard Arabic: Appeared in a small percentage, and was limited to ready-made religious expressions or "traditional supplications" (such as comment 4: "la hawla wala quwwata illa billah" *'there is no power nor strength except with God'*).

- Overlapping Emotions and Rhetorical Phenomena: It became clear that identifying emotions is strongly linked to phenomena such as "supplication" for positive comments (such as comments 2 and 3), and "lamentation" for negative comments (such as comments 1 and 7), and the presence of "complex negative emotions" mixed with hope (such as comment 92: "may mercy be upon them..."). This requires models that understand the Algerian cultural context and do not settle for literal meaning. As for neutral emotions, they were the least present, and were limited to inquiries or communication requests (such as comment 91).

In the following table, we will present the results of testing selected phrases

on automatic models, identifying their limitations in understanding their meaning and determining the emotions they express. This reveals the "digital divide" that hinders the digitization of the Algerian dialect.

These phrase samples were not randomly chosen, but to represent the highest degrees of Algerian linguistic complexity, to test the models' ability to understand their content.

Comment	**Human Annotation**	**Analysis of Hybrid Verbs and Contextual Meaning**	**Automatic Model Limitations (AI Failure)**
"touchahom es-sehr el-makoul" (they were affected by consumed magic/sorcery)	Emotions: sympathy/apprehension. Language: cultural belief, Arabizi verb.	Touchahom: A hybrid verb (French "toucher" + Arabic pronoun "hom") that has shifted semantically from "to touch" to "to be afflicted by spiritual harm."	Treats the verb as a physical event (touching), and fails to grasp the metaphysical dimension of the word in the Algerian imagination.
"dafratli hedra" (she hurled	Emotions: pain/shock. Language: folk metaphor.	Dafratli: A local verb expressing	Classifies it as an unknown word or

Comment	Human Annotation	Analysis of Hybrid Verbs and Contextual Meaning	Automatic Model Limitations (AI Failure)
speech at me)		violent hurling of speech, a fixed expression that does not accept literal translation.	spelling error, leading to the loss of the negative emotional charge (injustice) in the comment.
"meilleure emission... rabi yachfik" (best programme'... Algerian Arabic: 'may God heal you')	Emotions: solidarity. Language: Arabizi (hybrid).	Yachfik: An Arabizi verb; represents the peak of code-switching in digital space.	Bias toward the dominant language; classifies the text as "French" and excludes the Arabic component (supplication) from the analysis.

Comment	Human Annotation	Analysis of Hybrid Verbs and Contextual Meaning	Automatic Model Limitations (AI Failure)
"n'alt Iblis w reht" (I cursed Satan and left')	Language: rhetorical expression. Emotions: gratitude/wisdom.	N'alt Iblis: A fixed expression meaning "self-control" and overcoming temptation, a functionally complex verb.	Translates it literally (cursed the devil), failing to understand that it is an expression of "positivity" and social reconciliation.
"hna nebghu el-meshakil wel-khlat" (we love problems and chaos)	Language: sarcasm. Emotions: social criticism.	Nebghu: A verb of desire used here in the context of "self-mockery" to criticize a negative social phenomenon.	Complicity with the literal meaning; the machine thinks the user actually "wants" problems, while they are lamenting them.

To read the table results, they were divided into three analytical levels:

1. Morphological-Semantic Level Analysis (Hybrid and Borrowed Verbs)

The results showed a clear inability of the models to deal with verbs that had undergone the process of "morphological Algerianization":

- **Failure to decode**: When processing a verb like "touchahom," the models were content with tracing it back to its French origin (toucher), resulting in a "neutral" or "physical" interpretation.
- **Semantic shift**: The machine failed to recognize that the verb "touchahom" has shifted in the Algerian imagination to express "spiritual affliction" (magic/evil eye), which reflects the specificity of Algerian usage.
- **Ignoring affixes**: Models treat Algerian affixes (such as: ma...sh in "meshkitsh," or the object pronoun -hom in "touchahom") as linguistic noise rather than as determiners of meaning and emotions.

2. Pragmatic Level Analysis (Sarcasm and Fixed Expressions)

The experiment revealed that the machine stuck to the surface meaning of words, leading to completely inverted results:

• The trap of literal meaning: In the sample "hna nebghu el-meshakil wel-khlat" (we want problems and chaos), the models classified the comment as "positive" (desire/wanting), while the human annotation in "Classifier 1" classified it as sarcasm and scathing social criticism.

• Fixed expressions (Idioms): Verbs like "dafratli hedra" and phrases like "n'alt Iblis" represent "blind spots" for the machine; it considered them either spelling errors or negative actions, while they express "emotional shock" or "social wisdom."

3. Identity Level Analysis (Code-switching and Arabizi)

The results demonstrated the presence of linguistic bias in global models:

- Digital exclusion: When detecting a comment like "meilleure emission... rabi yachfik," the models classified the language as "French" based on the first words and ignored the "Arabizi" component that carries the essence of the emotion (the supplication), leading to misleading statistical results about the user's identity and language.

- Tokenization failure: The machine was unable to understand that the Algerian user writes "a single linguistic structure" with multiple visual inputs (Arabic script + Latin script), which "Classifier 1" successfully processed through dual annotation.

Performance Indicator	**Global Automatic Models**	**Human Annotation (Classifier 1)**	**Scientific Conclusion**
Contextual Accuracy	Low (superficial)	High (deep)	The need to integrate anthropology into programming
Understanding the Dialect	Derivational (normative)	Pragmatic (cultural)	The machine lacks the local emotional lexicon
Language Recognition	Monolingual	Hybrid/Multilingual	The Algerian digital identity is an "in-between" identity

Conclusion: The results of this experiment confirm that "integrated knowledge" between linguistics and technology is not an option, but rather a condition for ensuring accurate understanding of the dialect and sentiment analysis in the Algerian digital space, and this is what this research seeks to achieve.

IV. CONCLUSION:

Ready-made models (ChatGPT/Google) cannot be relied upon to analyze Algerian reality because they are "culturally blind" and produce deficient knowledge.

To overcome this challenge, we need new "linguistic engineering" that starts from Classifier 1 to build a major national corpus that understands our language (bsah, 'alah, touchahom) as we pronounce and feel it. The machine lacks the connection between the hybrid verb (touchahom) and popular belief (eaten magic), which is called failure in "contextual inference." It is necessary to build models based on "Deep Contextual Learning" and not just identifying positive and negative words.

We recommend the necessity of standardizing the annotation method to be standardized, making its collection feasible and suitable for the requirements of automatic modeling.

We recommend establishing joint laboratories between linguists (to regulate context) and technologists (to program algorithms) to ensure the "digital sovereignty" of the Algerian dialect.

V. Bibliography List:

Achab Djamila, (2023), Parler hybride algérien, dynamique du lexique du français langue étrangère, Ziglôbitha, Côte d'Ivoire, Vol. 01, no. 07, pp. 57 – 72.

Chetouane, D., & Bouhania, B. (2022), Hybrid Algerianized English: Case of Master Two Linguistics EFL Students of Tiaret University, *الاكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية*, Algeria, Vol. 14, no. 04, pp. 3 – 11.

Echorouk TV. (2021), Hayat Jadida - Episode 03: The story of the child Rayane, (consulted on *01*/*02*/2024).

Harrat, S., Meftouh, K., Abbas, M., & Smaili, K. (2014), Building resources for Algerian Arabic dialects, 15th Annual Conference of the International Speech Communication Association (Interspeech 2014), Singapore, September 14-18, Singapore.

Imane Guellil, Ahsan Adeel, Faical Azouaou, and Amir Hussain. (2018), SentiALG: Automated Corpus Annotation for Algerian Sentiment Analysis, (consulted on *01*/0*2*/202*6*).

Shehadi, S., & Wintner, S. (2022), Identifying Code-switching in Arabizi, The Seventh Arabic Natural Language Processing Workshop (WANLP 2022), Abu Dhabi, December 8, United Arab Emirates.

Soumia Bougrine, Hadda Cherroun, and Djelloul Ziadi. (2018), Prosody-based Spoken Algerian Arabic Dialect Identification, Procedia Computer Science, Netherlands, Volume 128, Pages 9-17.

Wafia Adouane and Simon Dobnik. (2017), Identification of Languages in Algerian Arabic Multilingual Documents, The Third Arabic Natural Language Processing Workshop (WANLP), Valencia, April 3, Spain.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Defining the Term and Establishing the Concept

Fatma Necer
University of Chadli Bendjedid – El Tarf
f.necer@univ-eltarf.dz

Abstract:

This paper examines the concept of "critique of criticism" as a cognitive discourse within the critical field. It aims to define the term by clarifying its multiple connotations and establishing its conceptual boundaries through a review of previous critical discourses. Critique of criticism does not seek to dismantle criticism, but rather to elevate it toward a higher level of self-awareness and methodological rigor. The study traces the historical emergence of the concept in both Western and Arab traditions and highlights its epistemological and functional dimensions. It concludes that critique of criticism constitutes a necessary cognitive practice that contributes to refining critical discourse and reinforcing the conditions of its production.

Keywords: criticism; critique of criticism; concept; epistemology; methodology.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

نقد النقد تحديد المصطلح وتأسيس المفهوم

فاطمة نصر
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف
f.necer@univ-eltarf.dz

ملخص:

تتناول هذه المداخلة موضوع نقد النقد بوصفه خطابا معرفيا ضمن الحقل النقدي وتسعى إلى تحديد المصطلح ، من خلال تحديد دلالاته المتباينة مما

يستدعي ضبط المفهوم وتعريفه بمصطلحات دقيقة ،عبر مراجعة الخطابات النقدية السابقة ، ولا يقصد بنقد النقد الهدم ،بل يراد به الارتقاء بالخطاب النقدي إلى مرحلة الوعي بذاته، وتجاوز الرؤى التقليدية ، وتخلص هذه المداخلة إلى أن نقد النقد ضرورة معرفية تسهم في بناء العملية النقدية وتعزز من شروط إنتاجها .

الكلمات المفتاحية: النقد ، نقد النقد ، مهمة ووظيفة نقد النقد .

مقدمة:

يعدّ "نقد النقد" من المفاهيم الحديثة نسبيًا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية، وقد جاء نتيجة تطور الفكر النقدي وتحولاته الكبرى، خاصة مع بروز تيارات ما بعد البنيوية، والتفكيك، ونظريات التلقي. وإذا كان النقد يُعنى بتحليل النصوص الأدبية وتأويلها، فإن نقد النقد يشتغل على الخطاب النقدي نفسه، أي أنه يضع النظرية والممارسة النقدية تحت مجهر التحليل والمساءلة. من هنا، فإننا أمام نوع من القراءة المزدوجة، أو ما يمكن تسميته بـ"الوعي النقدي بالخطاب النقدي"، وهو ما يمنح نقد النقد صبغة منهجية وفكرية في آنٍ واحد.

لقد ساهمت التحولات الفلسفية والمعرفية التي عرفها الفكر الإنساني في القرن العشرين في إذكاء هذا النوع من الوعي النقدي، مما أفرز الحاجة إلى إعادة النظر في مرجعيات النقاد، ومواقفهم، وأدواتهم. ولعل ما يزيد المفهوم تعقيدًا هو تداخل مستوياته؛ فهو في آنٍ واحد ممارسة نقدية، ومجال تنظيري، وفضاء لتقاطع المناهج والمدارس. ورغم شيوع المصطلح في عدد من الدراسات المعاصرة، إلا أن تحديده الدقيق ما يزال يطرح إشكاليات متعددة، سواء على مستوى التوظيف أو التأصيل المعرفي. ومن هنا تبرز أهمية هذه المداخلة التي تسعى إلى تتبع جذور المصطلح، والوقوف عند تشكلاته الأولى، مع محاولة تأسيس رؤية واضحة لمفهوم "نقد النقد" ضمن سياق معرفي يراعي تاريخه وتطوره ووظائفه المتعددة في الحقل النقدي.

أولا:مفهوم النقد:

يجمع أغلب الباحثين والنقاد أن الحديث عن النقد كممارسة هو حديث قديم قدم المعرفة الإنسانية في حد ذاتها. فمنذ أن عرف الإنسان اللغة واستعملها في التعبير عن حاجاته ومستلزماته تولدت لديه تلك الموهبة التي تقوم على إصدار الأحكام وتمييز صحيحها من فاسدها. فكلمة نقد مأخوذة من Critique، وهي متفرعة من الفعل اليونانيKrinein ، والذي يعني الحكم أو التفكير أو القضاء. وقد التصقت بالنقد منذ تلك الفترة وظيفة إصدار الحكم، والحكم هو التمييز. والتمييز يتيح الفصل بين الأحكام، وأصبحت كلمة نقد تعني الحكم، والحكم هو التمييز بين الأشياء... كما يكتسي النقد قيمة الغربلة في التمييز بين الحقيقي والمزيف معرفيًا (إبستيمولوجيا)، وبين الصالح والفاسد قيميا (إكسيولوجيا)(محمد شوقي الزين، 2018، ص8)

وقد جاء في أساس البلاغة للزمخشري: "نقد: ونقد الثمن ونقده له، فانتقده، ونقد النقاد الدراهم ميز جيدها من رديئها، وهو من نقاد قومهم من خيارهم، ونقد الكلام، وهو من نقدة الشعر ونقاده."(عمر بن أحمد الزمخشري ، 1998، ص298.)

يتبين لنا مما سبق أن النقد في التراث العربي كان مرتبطًا بالشعر وقضاياه الفنية؛ فقد كانت الدراسات السابقة تقوم على تصنيف الشعراء وترتيبهم من حيث المفاضلة والجودة والسبق، فكانت الدراسات القديمة تجنح إلى: "تصنيف الشعراء وترتيبهم، وتبويب معايير الجودة والسبق والمفاضلة بينهم، مما اختلف حوله المختلفون مقارنة ومفاضلة وتعليقًا وحكمًا، وانتقاد بعضهم، حتى إلى ضبط الشروط الواجب توافرها في الناقد ونقده، اعتقادًا منهم بضرورة مراجعة النقد الذي ينحرف صاحبه أو يكاد عن الصواب تقصيرًا منه أو تحيزًا ضد صاحب العمل ." (نجوى الرياحي القسنطيني .2009 ، ص42)

تقويم الأعمال الأدبية، وتحليلها، وتصنيفها على وفق منهج معين بغية التمييز بين الجيد منها وغير الجيد. وقد تجلت كلمة النقد في كثير من المصادر العربية القديمة، أولها "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر، واستعمل ابن رشيق القيرواني مصطلح النقد في عنوان كتابه "العمدة في محاسن الشعر ونقده."

من خلال ما سبق يتبين لنا أن مصطلح النقد له تأصيل في التراث العربي القديم، وذلك من خلال تصنيف الشعر وتضمن بعض العناوين لمصطلح النقد. "واقتصر النقد في الماضي البعيد على ملاحظة خاطفة، وعبارات مقتضبة تنم على الاستحسان تارة، أو على الاستهجان تارة، ومن غير إسهاب ولا تفصيل، ودونما تحليل. ونُظر إلى هذا الضرب من النقد الذوقي باعتباره نقدًا عجولًا، متسرعًا، عابرًا، لا يؤيد له كثيرًا، وإن كان في عصره مقبولًا."(براهيم خليل،2012 ، ص09)

تعريف النقد كان بمثابة دعوى لوجود نقد آخر؛ فالدراسات النقدية لم تلتفت إلى مراجعة وتقويم كتب النقد إلا في القرن التاسع الميلادي، ثم توسعت هذه الدراسات في العصر الحديث، إذ وجد النقاد أن ثمة قراءات تحتاج إلى قراءة ثانية، وتقويمًا يحتاج إلى تقويم آخر، مما يصطلح عليه نقد النقد.(أحمد شهاب، 2015 ، ص1)

فنقد النقد كان حصيلة للتساؤلات التي دار عليها النقد ومجرياته، وكيف يمكن أن نعرف نقد النقد ونشأته وتطوره.

1 .**مفهوم نقد النقد:**

يعد مفهوم نقد النقد من المفاهيم التي لها حياة تنتقل من التسميات والتصورات العامة، وتمر بمراحل الصقل والاختبار قبل أن تستقر على مدلول اصطلاحي مخصص؛ فقد عرف أكثر من ناقد معاصر مصطلح نقد النقد، ولكن هذه التعريفات كانت تتسم بالإيجاز الذي يقتصر عن الإيفاء بضرورة إرساء المصطلح على أسس علمية ومنهجية واضحة. وسنبدأ جولتنا في تحديد مفهوم هذا المصطلح.

فمن أوائل الذين عرفوا هذا المصطلح الناقد جابر عصفور، الذي يقول: "إن نقد النقد قول آخر في النقد يدور حول مراجعة القول النقدي ذاته وفحصه، وأعني مراجعة مصطلحات النقد وبنيته التفسيرية وأدواته الإجرائية"(محمد المريني ، 2008 ، ص40)

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن نقد النقد يندرج تحت باب النقد، ويحدد الموضوع الذي يشتغل عليه نقد النقد، وهو النقد نفسه. إلا أن ما يذهب إليه محمد الدغمومي في التعريف الموالي يعكس تمامًا ما ذهب إليه جابر عصفور في إدراج نقد النقد تحت باب النقد؛ فهو يؤكد الفصل بين المجالين، وينفي العلاقة المباشرة لنقد النقد والأدب، فيقول: "نقد النقد هو فعل تحقيق واختبار وإعادة تنظيم المادة النقدية بعيدًا عن أي ادعاء بممارسة النقد الأدبي؛ إنه يقوم فعلًا بنقد آخر.""(محمد المريني ، 2008 ، ص41)

ثانيا: نشأة وتطور نقد النقد:

يمكننا تمييز مرحلتين لنقد النقد، هما: نقد النقد في التراث العربي القديم، ونقد النقد في العصر الحديث.

1:نقد النقد في التراث:

ارتبط نقد النقد بالتشكل الأول للنقد الأدبي، إذ "يمكن إرجاع البدايات الأولى لنقد النقد إلى زمن التشكل الأول للنقد نفسه... فمثلًا يمكن القول إن نظرية أرسطو في المحاكاة، التي فصلها في كتابه (فن الشعر)، تتضمن ردًا غير مباشر على نظرية أفلاطون في المثل التي وردت في كتابه (الجمهورية). ففي هذا الكتاب قدم أرسطو نظرية جديدة تعبر عن فهم للأدب والفن وموقفه إزاءهما مختلفين عما طرحه أفلاطون، وبذلك يمكن أن تعد نظرية أرسطو البذرة الأولى التي وصلتنا مما يمكن عده نوعًا من نقد النقد النظري.""(محمد المريني ، 2008 ، ص 51)

أما عربيًا، فنقد النقد له "علاقة بكثير مما دارت حوله مناظرات العرب القدامى ومساجلاتهم من قضايا أدبية وبلاغية ونقدية نظرية وتطبيقية؛ فقد حفل التراث النقدي العربي القديم بنماذج متعددة ومتنوعة من نقد النقد، متمثلة في كتب الردود والمعارضة. هذه الكتب التي ارتبط ظهورها بتنوع الاتجاهات الأدبية للنقاد القدماء نتيجة ثراء الحركة الأدبية، وكثرة الشعراء والكتاب ومتذوقي الأدب عمومًا، وكذلك اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب، فظهر ما سمي بفريق الشعراء المحدثين والشعراء المولدين في مقابل فريق آخر قوامه الحفاظ على عمود الشعر، فتوالت بعد ذلك الصراعات النقدية، وقد اتخذت ثلاثة أشكال مختلفة هي: (خالد بن محمد بن خلفان السيابي جرير2010 – ص 23)

أ – نقد النقد عند الشعراء.

ب – نقد النقد في متون كتب النقد واللغة.

ج – كتب مخصصة للرد.

1.1 –مرحلة الإرهاص:

تميزت هذه المرحلة بالإشارة العابرة للمصطلح أو المفهوم دون التصدي لتأصيله وتحديد حقل اشتغاله وآلياته. و"يمكن اعتبار هذا المصطلح حديث الميلاد نسبيًا؛ صحيح قد نجد من استعمله في الغرب منذ العقد السادس من القرن العشرين، لكنه كان استعمالًا يطغى عليه الطابع العفوي في غياب أي تأطير نظري. فقد أشار سيرج دو بروفسكي، في سياق السجال الذي كانت قد أثارته كتابات بارت حول النقد الجديد، إلى أن ما نحتاج إليه هو نقد النقد الذي يعني بتقويم المناهج المختلفة... وسيظهر هذا المفهوم باصطلاح آخر هو نقد الأفكار الأدبية في كتاب لمارينو أدريان، وهو كتاب يعتبره إعادة بناء للمراحل الأخيرة للتفكير النقدي للأدب." (محمد المريني ، ا 2008، ص 7،8)

ظهرت بعد ذلك في العقد الثامن من القرن العشرين مجموعة من الكتب التي تشتغل على النصوص النقدية، مثل جون إيف تاديي: "النقد الأدبي في القرن العشرين". وبهذه الإنتاجات النقدية "امتلأت الساحة في ربع القرن الأخير على الأقل بالدراسات النقدية التي لا تتخذ من النصوص الأدبية نقاطًا مبدئية لها، بل تتخذ من الدراسات النقدية الأخرى نقاط ابتداء وانتهاء. وعلى هذا الأساس أصبحت الدراسات النقدية أكثر إثارة للاهتمام والجدل من النص الأدبي الذي يفترض أنها تدرسه. بل إن رولان بارت يذهب

إلى حد نقد نقده السابق وأفكاره المبكرة في مداعبة نقدية واضحة، أما دريدا ودي مان وعدد آخر من التفكيكيين فيقدمون نماذج واضحة لنقد النقد."(عبد العزيز ، 1998 ، ص9)

يتبين لنا من خلال ما سبق أن هذه الكتابات "لم تتعرض لمفهوم نقد النقد على نحو تنظيري مستقل، بل ركزت اهتمامها على الجانب التطبيقي من نقد النقد."

يعد نقد النقد مصطلحًا حديثًا في قاموس النقد العربي، قد أفرزته ترجمة سامي سويدان لكتاب تودوروف "نقد النقد: رواية تعلم"، لكن هذا لا يمنع أن النقاد العرب قبل هذه المرحلة مارسوا نقد النقد دون الإشارة إليه مصطلحًا ومفهومًا. ويعد كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" أول مشروع عملي يؤسس لبداية نقد النقد دون أن يستعمل المصطلح. وفي هذا الصدد يقول عبد المالك مرتاض: "قد يكون من العقوق الثقافي أن نتناول قضية النقد العربي المعاصر في أي مفهوم من مفاهيمها، وفي أي شكل من أشكاله، دون أن نمر على طه حسين... والذي يعود إلى كتابات طه حسين النقدية، خارج أعماله الإبداعية الخالصة، يلفيها تتراوح بين النقد ونقد النقد"
(عبد المالك مرتاض،2002،ص23)

ومن بواكير ما كتب أيضًا في نقد النقد في الثقافة الأدبية العربية نجد كتاب محمد مندور "النقد والنقاد المعاصرون"، ففيه ممارسة لنقد النقد من دون ذكر للمصطلح في المتن أو العنوان؛ فمندور يتحدث عن جهود نقاد محدثين من أمثال حسين المصفى، والعقاد، والمازني... ثم يعرج على النقد الإيديولوجي من منطلق الدعوة له ولجس نقده، وقد خلا الكتاب تمامًا من ذكر كلمة نقد النقد (آدونيس ،1985 ، ص 49).

هذا ما يبين أن هذه المرحلة كانت مرحلة الوعي بممارسة نقد النقد دون إفراده كمصطلح في الكتابات النقدية.

1. 2 –مرحلة التأسيس:

خلال هذه المرحلة كان المصطلح يجسد مفهومًا يتشكل من مجموعة من عناصر تلح على مفاهيم القيمة والموضوعية، ليقف على عتبات حدوده، جعلت منه أداة للتصحيح، وميزته عن النقد وتاريخه وتياراته.

فهذه المرحلة تسير في اتجاه تأسيس منهج ذي وظيفة محددة قد تحمل صفة «قراءة» تتوخى فهم النقد وتصحيحه وتمتلك خاصياتها.

نقد القراءة هذه مسألة تكاد تكون غائبة عن مجال اهتمامنا الأدبي، وفي ظني أنها قضية أساسية ملحة لا يكون لها نوع من نقد النقد وحسب، بل إن للقراءة أيضًا جمالية خاصة تفقد حين تفقد جدواها وقيمتها.

مرحلة التأسيس :هي عبارة عن تكملة للمرحلة السابقة؛ وبالرغم من أنها لم تحسم بعد في تحديد موضوعها وغايتها تمامًا، فإنما قد امتلكت الوعي بنفسها وجسدته فعل تحقيق واختبار وإعادة تنظيم المادة النقدية بعيدًا عن أي ادعاء بممارسة النقد الأدبي. إنه يقوم فعلًا بنقد آخر، وصلته بالأدب غير مباشرة.

نقد النقد يحتل مكانة في سياق تحقيق التحولات. ومعاينة واقعنا الأدبي والنقدي تشير بقوة إلى تحقيق قدر مهم من التراكم؛ لكنها تشير أيضًا إلى تلك الثغرة المتمثلة في ضعف نقد النقد، ونتيجة لذلك أصبح من الممكن البحث عن تعريف "نقد النقد"، سواء بالنظر إلى موضوعه أو غايته أو أدواته، من منظور يراه "منهجا" أو "علما"، وليس حصيلة معرفة فقط، حتى وإن كانت بعض الجهود لم تتجاوز هذا الحد:

" إننا كما يقول ليتش، نعيش عصر نقد النقد؛ فإذا كان النصف الأول أو الثلثان المبكران من القرن العشرين هو/ هما عصر النقد، فإن الجزء التالي منه يبدو كعصر نقد النقد، فبدلًا من الدراسات النقدية للأعمال الأدبية نشوء، لم يعد هناك وجود لتفرقة بين هذين النظامين" (جاسم محمد باقر، 2009، ص 108)

ووافق هذا التطور لمفهوم نقد النقد الغربي عربيًا ما جاء في «كتاب بدوي طبانة التيارات المعاصرة في النقد العربي» من أن العقاد في مقدمة ديوانه «بعد الأعاصير» (1950) أول من استخدم مصطلح نقد النقد بوصفه مفهومًا جلح على صون النقد من العصبية والهوى والذاتية، ذلك وإن كان العقاد وبعض مجايليه قد مارسوا نقد النقد من دون أن يفصلوه عن النقد.

ويمكن اعتبار السبعينيات في العالم العربي بداية الوعي بخصوصية نقد النقد مصطلحًا ومادة، وهذا ما يوافق التوزيع الذي استعمله الدغمومي، على أن أولهما ملتبس وثانيهما الممتد من السبعينيات إلى يومنا

هذا، يميزه التنبه إلى خصوصية نقد النقد (جاسم محمد باقر ،2009 ، ص108). وعليه نستطيع القول إن نقد النقد لم تتشكل صورته النهائية في الوعي بمفهومه وفي استعماله المصطلحي إلا في هذه المرحلة.

ثالثا: شروط خطاب نقد النقد:

وجب توفر مفاهيم ومعطيات فكرية ومعرفية ومنهجية معينة يجب توافرها في خطاب نقد النقد كي يحقق غايته. ويشترط في خطاب نقد النقد أن يمتلك (عبد الله توفيقي ، 2012 ، ص02)

- وعيًا إبستمولوجيًا مرتبطًا بمرجعية محددة.
- مفاهيم نسقية متضامنة وملائمة لها صفة نسق مستقل ولو نسبيًا.
- لغة اصطلاحية بدرجة كافية.
- لغة نظرية دقيقة تجنبًا لكل خلط ينتاب المفاهيم.
- قوة استدلالية محققة للمعقولية والمقبولية.
- صيغة نظرية معبرًا عنها، مقترحة أو معدلة لصيغة سابقة.
- –مجموعة قواعد مستمدة من مرجعية محددة (نظرية أو منهج أو علم).
- أدوات إجرائية تتوخى إنتاج صورة مغايرة لحالة الموضوع المنطلق.
- وضوح بالنسبة للفرضيات والنتائج.
- قابلية جميع التأكيدات التي تتضمنها النظرية لأن تخضع لعملية التحقق.(vérifiabilité)

هذه الشـروط التي وجب توفرها في خطاب نقد النقد هي في الأسـاس آليات يجب أن يوفرها ناقد النقد، أي أن هذه الشروط من شروط فكر وخلفية ووعي وتمكن ناقد النقد من وسائل وإجراءات علمية معينة،

من وسائل وإجراءات علمية معينة عليه أن يعتد بها إلى أن يصل إلى نص نقدي يحمل سمات نقد النقد.

وتأكيدًا على الشروط السالفة الذكر، نذكر أن من الضرورة على ناقد النقد أن يتخذ الإبستمولوجيا (المعرفة) أو دراسـة المعرفة الحقل الذي يسـلكه للقيام ببحثه، وإن كان الموقع الطبيعي لناقد النقد هو أن يتخلى عن تبني أحد مناهج نقد الإبداع، وأن يترك هذا الاختيار لنقاد الإبداع أنفسـهم؛ لأن المجال

الحقيقي لبحثه الخاص ليس هو المعرفة بل معرفة المعرفة، إذا كان يدرك حدود مهمته الخاصـــة، على أن يشتغل في الحقل الإبستمولوجي(عبد الله توفيقي، 2012 ، ص5

فاشــتغال ناقد النقد ضــمن الحقل الإبســتمولوجي هو أحد أهم الشــروط التي يجب توفرها في نقد النقد.

وإضـافة إلى الشـروط، حدد كذلك السـويرتي أهدافًا يجب أن تتوخى من هذا الحوار النقدي، وحصـرها في ثلاثة أهداف (: عبد الله توفيقي ، 2012 ، ص8)

أ. إن موضـــوع نقد النقد هو إشـــكالية تثير فكر الناقد لأهميتها في الرؤى النقدية، فيطرحها ليثري بذلك مجال النقد الأدبي.

ب. الرغبة الملحة لدخول ناقد النقد في حوار مع الناقد حول الإشـكالية التي هي المنهج والأسـس والرؤية التي اعتمدها القارئ للنص الإبداعي، من أجل الموازنة والمقاربة والتحديد وكشف ملامح النقد الأدبي.

ج. وهي أهم الأهداف، أو يمكن القول عليه جوهر هذا الحوار الثنائي في المسـاهمة في تحديث النقد ونقده وجعله مجالًا.

خاتمة:

يتبيّن من خلال ما ســبق أن "نقد النقد" ليس مجرد امتداد للخطاب النقدي الكلاســيكي، بل هو لحظة وعي نقدي أعلى تســائل المنهج والموقف واللغة والأدوات التي يعتمدها الناقد. إنّه ممارســة تتطلب درجة عالية من العمق والتجرد، لأنها تضع الذات الناقدة موضع المساءلة، وتحاكم الخطاب النقدي باعتباره نصًــا له منطقه الخاص، ومرجعياته المتعددة. لقد أظهر تحليلنا للمصــطلح أن ظهوره لم يكن اعتباطيًا، بل جاء نتيجة لتطور معرفي وفلســفي فرض إعادة النظر في كل القوالب الجاهزة التي صــاغت علاقة الناقد بالنص.

كما أن الإشكالات التي تحيط بالمفهوم ـ من حيث المصطلحية والتطبيق ـ تجعل من الضروري تأسيس أرضية صلبة تضمن وضوحه النظري وتماسكه المنهجي. فـــ"نقد النقد" ليس فقط خطابًا ينقد خطابًا، بل هو أيضًــا أداة لإعادة ضــبط التوازن بين النص والمنهج، بين الذات والموضــوع، وبين الذوق والمعرفة. ومن

ثمة، يمكن القول إن تأصيل مفهوم "نقد النقد" يسهم في تجديد الرؤية النقدية، ويفتح المجال أمام قراءات أكثر وعيًا وتحررًا من الانغلاق المنهجي والتقليد المدرسي.

قائمة المراجع:

أولاً: الكتب

- آدونيس، 1985، سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، لبنان، ص 49.
- أحمد شهاب، 2015، تحليل الخطاب النقدي المعاصر في المغامرة الجمالية للنص الأدبي (دراسة في نقد النقد)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 1.
- إبراهيم خليل، 2012، واقع الدراسات النقدية العربية في مائة عام، مطبعة الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، ص 913.
- خالد بن محمد بن خلفان السيابي، 2010، نقد النقد في التراث العربي: كتاب المثل السائر نموذجًا، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، ص 23.
- عبد الله توفيقي، 2012، السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث والمعاصر: مقاربة في نقد النقد، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 2.
- عبد العزيز حمودة، 1998، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، الكويت، ص 9.
- عبد المالك مرتاض، 2002، في نظرية النقد: متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- عمر بن أحمد الزمخشري، 1998، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 298.
- محمد شوقي الزين، 2018، نقد العقل الثقافي، ج1، ط1، سلسلة إخوان الصفا وخلان الوفاء، ص 8.

ثانياً: المقالات العلمية

- جاسم محمد باقر، (د.س)، "نقد النقد أم الميتا نقد: محاولة في تأصيل المفهوم"، مجلة عالم الفكر، المجلد 37، العدد 3.
- رشيد هارون، 2012، "الأسس النظرية لنقد النقد"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 2، العدد 1، حزيران، ص 165.
- نجوى الرياحي القسنطيني، 2009، "في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره"، مجلة عالم الفكر، المجلد 38، العدد 1، سبتمبر، ص 42.

Civilizational Dialogue as an Ethical Foundation for Human Coexistence in Contemporary Society

Djebbar Dalila
Higher School of Teachers of Bouzaréah (Algiers, Algeria)
rabiehadjem9@gmail.com

Abstract:

Civilizational dialogue constitutes an ethical and practical necessity in contemporary society. In an era characterized by unprecedented interconnectedness, rapid technological advancement, and intensified competition over political and economic interests, the absence of meaningful dialogue often leads to misunderstanding, polarization, and conflict. Dialogue, therefore, is not a mere rhetorical ideal but a foundational mechanism for sustaining coexistence among diverse cultures and civilizations.

From an ethical perspective, civilizational dialogue affirms the principles of mutual recognition, respect, and human dignity. Since human beings are inherently social, their identities are shaped through interaction with others. The "Other" is not a threat to existence but a condition for it. Through constructive engagement, societies generate knowledge, refine their values, and expand their horizons. Dialogue fosters tolerance, empathy, and solidarity, thereby counteracting exclusionary ideologies and cultural absolutism. In this sense, it serves as an ethical framework that supports peaceful coexistence within pluralistic societies.

However, the effectiveness of civilizational dialogue in overcoming conflicts has limits. Dialogue cannot, by itself, eliminate structural inequalities, geopolitical rivalries, or deeply rooted historical grievances. It may be hindered by power imbalances, ideological rigidity, or instrumentalization for political ends. For dialogue to be effective, it must be grounded in sincerity, reciprocity, and a genuine willingness to recognize diversity without erasing

difference. It also requires institutional support, educational reform, and equitable global relations.
Ultimately, civilizational dialogue represents both a moral imperative and a strategic necessity. While it cannot single-handedly resolve all conflicts, it provides the normative and communicative foundation upon which sustainable peace and cooperative coexistence can be built in the contemporary world.
Keywords: civilizational dialogue ; human coexistence; the other ;cultural diversity; tolerance.

الحوار الحضاري كأساس أخلاقي للتعايش الإنساني في المجتمع المعاصر

د/جبار دليلة
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)
rabiehadjem9@gmail.com

ملخص:

في ظلّ التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر، وما رافقها من تصاعد في حدة الصراعات السياسية والاقتصادية والثقافية، واشتداد النزاعات المرتبطة بالمصالح والهويات، برزت الحاجة الملحّة إلى إحياء قيم التفاهم والتسامح والتعايش المشترك، عدّ الحوار ضرورة أساسية من ضرورات الحياة الإنسانية، إذ يشكّل الركيزة التي تقوم عليها الحضارات وتستمر بها. فالحوار الهادف بين الثقافات والحضارات ليس ترفًا فكريًا، بل هو استجابة حتمية لطبيعة العصر الراهن الذي اشتدّت فيه الصراعات وتضاربت المصالح، مما أسهم في تراجع القيم الإنسانية السامية الداعية إلى التسامح والتعايش والتراحم والسلم. وبما أنّ الإنسان هو كائن مدنيّ بطبعه، فإن وجوده الاجتماعي لا يتحقق إلا بوجود الآخر، إذ من خلال اللقاء والحوار تتولّد المعرفة وتتجدد الأفكار وتتسع آفاق الفهم المشترك.

إن تشجيع الحوار بين الثقافات المختلفة يهدف إلى ترسيخ الاعتراف المتبادل واحترام الخصوصيات، بعيدًا عن الإقصاء أو الهيمنة. وقد سعى هذا البحث إلى إبراز أهمية الحوار الحضاري وتحديد مقوماته الأساسية،

من خلال اعتماد المنهج التحليلي التركيبي القائم على تحليل الأفكار وإعادة بنائها في إطار أشمل، إلى جانب المنهج النقدي الذي يتيح تقييمها وتمحيصها. وقد أفضت هذه المقاربة إلى التأكيد على أنّ الحوار الحضاري يشكّل ضرورة ملحّة، خاصة في ظل الثورة المعلوماتية التي قرّبت المسافات بين الشعوب وجعلت التواصل أكثر كثافة وتأثيرًا.

غير أنّ فعالية الحوار تبقى مشروطة بتوفر إرادة صادقة واحترام متبادل وعدالة في العلاقات الدولية، إذ لا يكفي الحوار وحده لتجاوز كل الصراعات ما لم تُدعَم ممارسته بقيم أخلاقية ومؤسسات تضمن استمراريته. ومن هنا تبرز الإشكالية: إلى أيّ مدى يمكن اعتبار الحوار الحضاري أساسًا أخلاقيًا للتعايش الإنساني، وما حدود قدرته على إدارة الاختلاف وتجاوز النزاعات في المجتمع المعاصر؟

الكلمات المفتاحية: الحوار الحضاري، التعايش الإنساني، الآخر، الاختلاف الثقافي، التسامح.

مقدمة:

يعتبر موضوع الحوار بين الحضارات أحد أهم الملتقيات الفكرية التي تجمع وتربط الأمم والشعوب،لأن الحضارات قامت ونهضت بمساهمة أجناس وسلالات بشرية مختلفة،ونادرا ما تكون هناك حضارة قامت على أكتاف جنس واحد،فالتاريخ يعلمنا كما يرى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (1889-1975م) بأن جميع الأعراق البشرية مؤهلة للحضارة،وإن اختلاف الحضارات لا يعود إلى اختلاف الأجناس والأعراق،وإنما يعود إلى جملة من العوامل المتنوعة والمتغايرة بتغاير

الظروف التاريخية،كما أن فكرة حوار الحضارات تنتمي إلى النزعة الإنسانية والأخلاقية التي تفرض النظرإلى البشر من خلال معايير(اللون أو العرق أو اللغة أو الثروة،أو السيادة والسلطة والقوة).

فالدعوة إلى الحوار الحضاري من بين المواضيع الأكثر شيوعا في الآونة الأخيرة نظرا للأزمات و الصراعات التي يعيشها العالم اليوم والذي أدى إلى تراجع القيم الإنسانية السامية التي تحث على التسامح والتعايش والتراحم،لذلك نحن بحاجة إلى تشجيع الحوار الحضاري لتفادي خطر العزلة الذي يضعنا خارج دائرة الصراع

والحركة والتطور الذي يحدث في المجتمعات المعاصرة، لذلك سنحاول من خلال بحثنا الإجابة على الإشكالية التالية:

إلى أي مدى يمكن اعتبار الحوار الحضاري أساسا أخلاقيا للتعايش الإنساني في المجتمع المعاصر،وما حدود فعاليته في تجاوز الصراعات الحضارية وإدارة الاختلاف الثقافي؟

أولا: الإطار المفاهيمي للبحث

1. تعريف الحضارة لغة واصطلاحا:

لغة:الحضارة في اللغة هي الإقامة في الحضر،بخلاف البداوة،ومع أن استعمال هذا اللفظ قديم،فإن أول من أطلقه على معنى قريب من معناه الحاضر هو ابن خلدون(732-808هـ/1332-1406م) ففرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري،البداوة أصل الحضارة، البدو يعتمد في عيشه على الزراعة،أما الحضر ينتحل الصناعة والتجارة(جميل صليبا،1978،ص476)

اصطلاحا: فالحضارة صفة للإنسان (civilisation)، بوجه عام وهي التي تميز مجتمع الإنسان من مجتمع الحيوان،فالحضارة تمثل المجال البشري وإنها في ذلك لا يخلو منها أي مجتمع بشري (فؤاد زكريا،2018،ص14)

كما أن الحضارة ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته،كما أنها إنتاج جانبي للتاريخ،ولا تتبين القيمة الحقيقية لأي ثمرة حضارية إلا إذا جربها الإنسان في الاستعمال مرة بعد أخرى، وعرف فائدته وتعلم كيف يصنعها إذا أراد(حسين مؤنس،1978،ص13)

2.تعريف الحوار:

لغة:الحوار في اللغة العربية بمعنى المحاورة من مصدر حاور ويحاور ومعناه:الجواب والمجادلة، قال ابن منظور"وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام" (رجاء حسين،2008،ص55) فالحوار يقتضي تداول الحديث بين طرفين وأكثر،كما أن الحوار يفرض جود اختلاف والاختلاف يقتضي وجود التعدد،قد تكون فلسفة الحوار في أصلها قائمة على الاختلاف،فالذي لا يقبل الاختلاف لا يقبل الحوار بالضرورة.

3.تعريف الحوار الحضاري:

إن كل أمة لها كيان واضح المعالم،فإنها تحمل خصائصها الحضارية،تلك الخصائص التي تجعلها مختلفة عن غيرها من جهة، ومن جهة أخرى ستدعو إلى الحوار معها،والتعرف عليها وتجنب الاصطدام معها .

الحوار الحضاري هو تفاعل فكري ناشئ من احتكاك المبادئ النظريات المناظرات الفكرية،،وما ينتج ذلك من قبول أحد الأطراف المحاورة نظريات الآخر أو رفضها أو طرحها للأخذ والرد وهو يعني ذلك":

التأثير العملي الحادث من هيمنته حاضرة على حاضرة وما يستتبع ذلك من تغير في مظاهر الحياة العملية وأشكالها وأنماطها وعناصرها كلها (رجاء حسين، 2007،ص6)

لذلك نجد أن الحوار هو عبارة عن نتيجة حتمية للتفاهم التعاطف والتجارب،حيث لا يمكن أن يكون هناك حوار دون أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة في التفاهم دون قسر أو ضغط .

أما تعريف الحوار الحضاري في الإسلام:

هو دعوة الإسلام إلى التفاهم والتواصل الانفتاح على الثقافات و الحضارات الأخرى ومد الجسور معها معها،بهدف إزالة الحقد والعصبيات ومحو كل أشكال العنصرية والكراهية،ونزع بذور النزاعات والصراعات،مما يؤدى إلى فتح المجال الواسع للتفاهم والتحاور(رجاء حسين، 2007،ص66)

ثانيا:حتمية التواصل الحضاري

إن الحضارات البشرية سلسلة متصلة الحلقات،ولا يمكن أن تنفصل هذه الحلقات وإلا توقفت المعرفة البشرية والعلم ومعا .

الحضارة التي استقلت مفهومها استقلال تاما ولم تعتمد على غيرها، وتتفاعل مع الحضارات السابقة لها واللاحقة عليها،هذه الحضارة وكأنها لم تولد بعد،لأن التاريخ الإنساني أثبت أن جميع الحضارات التي عرفها الإنسان على مرّ العصور استفادت من الحضارات الأخرى، و أفادت تلك الحضارات،فكل حضارة تؤثر في حضارة أخرى وهكذا دواليك

إن طبيعة التطور الحضاري للجنس البشري تستلزم أن كل حضارة سابقة تستفيد منها الحضارة اللاحقة، الحضارة اليونانية استفادت من. الحضارات الشرقية القديمة،كما أن الحضارة الرومانية أخذت من

اليونانية،وهذا لا يقلل من شأن الحضارات، بل. يزيد من إثراء رصيدها المعرفي والثقافي(سعد الدين صالح، 1994،ص9)

- **كيف يتم التواصل الحضاري:**

لقد اختلفت مواقف الباحثين حول بيان كيفية التواصل الحضاري،فمنهم من يرى أن التواصل لا يتم إلا بإحداث قطيعة مع الحضارة القديمة كلية، وإحلال الجديدة محلها،وهناك من وقف وقفة تطرف وتعصب من الجديد ومحاولة الإبقاء على كل ما هو قديم على حاله دون تغيير،ومنهم من أخذ. بالوسط العادل،بحيث يأخذون من القديم ما لا يتعارض مع هوية الأمة .

ثالثا:الدعوة إلى الحوار الحضاري عند روجيه غارودي:

لقد قام روجيه غارودي المفكر الفرنسي(1913-2012) إلى الدعوة الملّحة للحوار الحضاري الذي يعتبره مطلب أخلاقي حوار الحضارات من أجل بناء نظام عالمي جديد يقوم على بناء وحدة بين الإنسان والقيم الأخلاقية بقوله"حوار الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتفق مع اختراع المستقبل،وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع" (روجيه غارودي،1994،ص10)

حاول روجيه غارودي إلغاء المركزية الغربية واستبدالها بالمساواة بين الشعوب،وبناء المستقبل الذي تشترك فيه جميع الحضارات على أساس التفاهم والتفاعل. والتكامل والتعايش الإنساني ونبذ كل أنواع الصدام النزاع بين حضارات الشرق والغرب وهذا من أجل تعزيز روابط التواصل. الإنسانية وإنقاذها من الدخول في مأزق الزوال والحروب. والدمار .

لقد استند روجيه غارودي إلى نماذج وأمثلة في العالم عملت من أجل الحوار الحضاري وتقبل الآخر قائلا:"إن التجارب في آسيا إفريقيا وأمريكا اللاتينية،تجارب غاندي وتجربة الثورة الثقافية الصينية،تتيح لنا أن نرسم منذ اليوم الخطوط الأولى للمشروع الكوني في القرن الواحد والعشرين،مشروع الأمل" (روجيه غارودي،1994،ص10)

أشار وجيه غارودي في كتابه حوار الحضارات أن الحل الأمثل للخروج من الأزمات التي يعيشها الإنسان المعاصر وتبني ثقافة الحوار الثقافي الديني الذي يحمل في. طياته أمل المستقبل للإنسان،وبناء حضارة تقوم على تفعيل الحوار هذا لا يتحقق إلا بلغة الخطاب والحوار"هذا المشروع يستلزم أن يخلق نسيجا اجتماعيا

جديدا،ومفهوما سياسيا جديدا، وأن نمنحه بعدا جديدا،وألا نتكلم عن منظور فردي بل على منظور جمعي منظور مشاركة"(روجيه غارودي،1994،ص10)

لقد أمن روجيه غارودي بلغة الحوار و التنوع والإخاء والتضامن والتسامح ورفض كل أنواع الحرب والتقاتل و النزاع والعنف والعنصرية وهو يبشر في كتابه كيف نصنع المستقبل بعالم جديد قائلا:" نبشر بإمكان عالم جديد لا تنفصل فيه العدالة الاقتصادية والسياسية و الاجتماعية عن تقرى الله ولا يتضاد فيه وعي الأنا مع الوعي بالآخر"(روجيه غارودي،1999،ص6)

إن روجيه غارودي يمتلك الإيمان بكل. نزعة إنسانية حقيقية تحرص على كرامة البشر وحريتهم،فتخيل في القرن الحادي. والعشرين الإنسانية متنوعة، متسامحة،متضامنة .

لقد كان مشروع روجيه غارودي نداء للاستغاثة والابتعاد من العزلة وتمجيد الأنا الحقيقي الذي يقيم علاقة مع الآخرين وعلاقة مع الكل،وهو يعلّمنا أن المستقبل ليس مجرد تقنية بل حياة مبنية على الأنا،الحوار الحضاري هو الانفتاح على آفاق لا حدود لها في جميع المجالات، لعلنا نحقق معنى لحرية جديدة مجسدة بقواعد احترام الآخر والانصات له في جو من الإخاء والحب والتعاون

إن مشروع غارودي ليس مجرد تنظير فلسفي عابر حول العلاقة بين الحضارات،بل هو استجابة فكرية.وأخلاقية لأزمة حضارية وعالمية تهدد.الوجود الإنساني من الضياع في دائرة الحروب وثقافة الإقصاء بدلا من تحفيز سبل الاعتراف بالآخر والتفاعل المتكافئ ،لذلك علينا رسم مخطط جديد لتعزيز تنوع الثقافات وتعددها وتكاملها .

رابعا؛العوائق التي تواجه الحوار الحضاري

-عقد الاستعلاء والغرور التي تحكم الغرب وإرادة الهيمنة واحتقار الحضارات الأخرى ورفض الحوار معها بحجة عدم المتكافئ في جميع المجالات وخاصة فيما يتعلق التقنية والعلم (رجاء حسين،2007،ص153)

-وسائل الإعلام العالمية التي فرضت أمريكا سيطرتها عليها،لتجعل منها سلاحا يهدد الأقليات في العالم .

-وجود فئة برغماتية، انتهازية تشجع الصراع لإنماء مصالحها،وتحقيق أهدافها،خاصة الدول الضعيفة التي لا تملك الثروات الباطنية،تحاول الحصول عليها بطرق غير شرعية أي استعمال القوة والقهر .

-الموقف السلبي الذي تقفه بعض الجهات من الحوار الحضاري لأنه لا يخدم مصالحها المادية والاقتصادية .

-الاستعمار الاقتصادي الذي مازال يهدد العالم وخاصة نهب موارد الدول الضعيفة واستنزاف خيراتها من طرف الدول القوية واعتبارها أجزاء كبيرة من ممتلكاتها (رجاء حسين،2007،ص157)

-عجز بعض الحكومات عن تقديم الرعاية الاجتماعية لشعوبها لأنها تفتقر إلى العوامل المادية والاجتماعية والسياسية المناسبة .

-السبب الرئيسي هو طبيعة الإنسان الأنانية التي تشجع النزاع والصراع والعنف لأنها تحقق له الرفاهية والجاه والثروة والحياة ولذلك يرفض الحوار والتسامح والتعايش .

-نظرة الاستعلاء وعقدة التفوق على الآخر والتمييز العنصري كلها مازالت صفات متجذرة في الإنسان المعاصر .

-تدني الإنسان إلى مرتبة الحيوان وعودته إلى المرحلة البدائية،وهذا من أجل الهيمنة والسيطرة على الآخر،أي تؤكد على نظرية شارل دروين البقاء للأقوي وليس للأصلح. - غياب القواعد الأخلاقية وتدني القيم الإنسانية التي تفتح آفاقا نحو التنوع والاختلاف والتحاور والاعتراف وتقبل الآخر .

خامسا:شروط نجاح الحوار الحضاري:

-إن الحاجة إلى حوار هادف بشكل خاص تنبع أساسا من طبيعة هذا العصر الذي اشتد فيه الصراع، وفشا فيه النزاع حول المصالح واكتسب فيه تعامل البشر بعضهم مع بعض طابع الحدة، بينما تراجعت قيم التسامح والتراحم .

-تعظيم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات و الحضارات لمد جسور التفاهم بين الأمم يؤدي إلى تهيئة الأجواء الملائمة لإجراء الحوار، وتوفير الشروط الكفيلة بتوجيه الحوار توجيه صحيحا لتحقيق الغايات المرجوة (رجاء حسين،2007،ص157)

-تقبل الاختلاف في الثقافة و الديانة واللغة والتقاليد والعادات الأخرى وجعلها سببا للتعارف والتراحم وليس للرفض والنبذ والصدام، فالاختلاف ثروة لتجديد المعارف والابتكار والإبداع.

-التعرف على الحضارات الأخرى وفهم مكوناتها واستيعاب قيمها ومثلها قصد تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تكونت يفعل ظروف تاريخية وإيديولوجية.

-الابتعاد بالحوار عن الموضوعات التي قد تؤدي إلى التعصب والخلاف،خاصة في حوارات الأديان حول أمور اللاهوت المعقدة والتركيز بقع الحوار(رجاء حسين،2007،ص161)

-تعميم مبادئ العدل والإنصاف الموضوعية الحادة والاحترام المتبادل بين المتحاورين قبل بداية الشروع في الحوار .

—التسليم بحق الإنسان أن يحيا في وئام مع نفسه، ومع الآخرين،وأن يعيش في سلام شامل ينعم فيه بحفظ كرامته وإنسانيته .

-تقوية الإرادة الفردية الجماعية على تشجيع الحوار بدلا من الصراع، لأن الحوار يعمل على تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد .

خاتمة

تتأكد ضرورة الحوار الحضاري في عالمنا المفتح الذي لا يعرف حدودا علمية ولا معرفية، فالبناء حضارة إنسانية مشتركة قوامها النهوض بالإنسان الارتقاء به روحيا وأخلاقيات لا يتم إلا عبر آليات الحوار،لذلك على كل الحضارات الإنسانية المعاصرة أن تلتزم بتطبيق شروط الحوار ،كما جأء عند روجيه غارودي،العمل من أجل مستقبل مشترك،يجب أن ينبع الحوار من الرغبة في الارتقاء بالإنسان من دمار الجهل ونيران الحروب إلى عالم يسوده التعايش والسلام والكرامة،قيم نفتقدها اليوم ،لكن يمكن استرجاعها عن طريق الحوار الحضاري البناء .

إن الحوار الحضاري ليس مجرد أداة للتواصل فقط،بل هو نظام أخلاقي،يدفع نحو توطيد قيم التعاون والتفاهم بين البشر،إنه وسيلة للتفاعل الإيجابي بين الأفراد والجماعات مما يؤدي إلى بناء مجتمعات أكثر تماسكا واستقرارا،إنه يساهم في تبادل المعارف والخبرات الذي يثري التجربة الإنسانية كلها .

يظل الحوار الحضاري المفتاح الحقيقي لبناء مستقبل يعمه السلام والتعاون،إذ تتكامل الثقافات وتتفاعل بحيث يحقق الخير المشترك للجميع .

- توصلنا من خلال بحثنا إلى نتائج أساسية تمثلت فيما يلي:

-إن حوار الشعوب الحضارات يتطلب الاعتراف واحترام الآخر،لأن حوار الحضارات ليس استبعد كل ثقافة وحضارة عن شبكة العلاقات العالمية والإنسانية .

-الحوار الحضاري وسيلة للخروج من دائرة الاعتزال التصارع والتصادم والاقتتال .

-تقبل. الآخر واحترام أفكاره ووجهات نظره،والعمل على تقبل لغته وثقافته ودينه وهويته وعاداته والتركيز على المحاورة المشتركة معه .

-الفلسفة هي الأداة المثلى للحوار سواء بين الأفراد أو بين الشعوب و الحضارات باعتبارها الميدان العلمي المعرفي المتفتحة على عالم الأفكار والمبتكرات من خلال تعبيرها على روح العقل بما هو عقل كوني خالد عبر الجنس البشري

فيما يخص الاقتراحات:

-تقديم مبادرات عملية للتنوع الثقافي بين الشعوب في مجال الفنون، إنها وسيلة التقاء الثقافات وتعارفها بعضهم بعضا .

-العمل على إقامة مؤتمرات دولية ووطنية حول حوار الحضارات .

-تعزيز التعاون الأكاديمي بين الباحثين من مختلف الجنسيات،سيساهم في توطيد العلاقات بين الدول.

-إصدار كتب ومجلات جماعية المؤتمرات لتنشر أفكار الباحثين على الساحة العلمية .

-القيام بإعداد ورشات تطبيقية تناقش فيها قضايا على المستوى العالمي .

-تخصيص جوائز بحثية لأحسن بحث في مجال حوار الحضارات والشعوب.

-دور التعليم في سد الفجوات المعرفية حول الحوار الحضاري على جميع المستويات ابتدائي، متوسط، ثانوي وجامعي.

العمل على إبراز و التكنولوجيا في التقارب بين الحضارات وزيادة فاعلية الحوار .

-التفعيل الإيجابي للذكاء الاصطناعي في إيجاد حوار فعّال بين الشعوب و الأمم .

قائمة المراجع:

1. جميل صليبا، 1978، *في حوار الحضارات*، دار الكتاب اللبناني، بيروت .
2. حسن مؤنس، 1978، *الحضارة*، عالم المعرفة، الكويت.

3. رجاء حسين، 2007، *حوار الحضارات بين الواقع والطموح*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
4. روجي غارودي، ترجمة:عادل العوا، 1994، *في حوار الحضارات*، عويدات بيروت، بيروت.
5. روجي غارودي، ترجمة:منى طلبا/ تور مغيث، 1999، *كيف نصنع المستقبل*، دار الشروق، القاهرة.
6. سعد الدين السيد صالح، 1994، *التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية*، دار الصحوة للنشر، القاهرة.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The role of media and modern technologies in the scientific and societal sphere.

ZAKGRYA BAKHTI
Azzaytuna University - Lybie
Email adress, zakariainterprete@gmail.com

Abstract:

This study examines the role of media and modern technologies in reshaping the scientific and societal sphere amid rapid digital transformation. It argues that the digital space has evolved from a mere channel of knowledge transmission into a dynamic communicative structure governed by algorithmic logic, visibility, power, and market forces.

The findings show a shift from a one-way communication model to a participatory and interactive one, where audiences actively contribute to meaning-making and public debate. Technologies such as artificial intelligence, big data, and interactive platforms have accelerated and simplified the circulation of scientific knowledge, while also exposing it to risks of superficiality and misinformation.

The study concludes that the scientific and societal sphere has become a symbolic arena shaped by competing logics of knowledge, market, and power, highlighting the need for digital governance and strengthened media and information literacy.

Keywords: Media; digital technologies; digital transformation; scientific and societal sphere.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

دور الإعلام والتقنيات الحديثة في الأثير العلمي والمجتمعي

زكرياء بختي
جامعة الزيتونة، ليبيا
zakariainterprete@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دور الإعلام والتقنيات الحديثة في إعادة تشكيل "الأثير العلمي والمجتمعي" في ظل التحولات الرقمية المتسارعة، من خلال مقاربة نظرية–تحليلية تستند إلى مراجعة أدبيات متعددة التخصصات في علوم الإعلام والاتصال، ونظريات الشبكات الاجتماعية، ودراسات التحول الرقمي. تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الفضاء الرقمي لم يعد مجرد وسيط ناقل للمعرفة، بل أصبح بنية تواصلية ديناميكية تعيد إنتاج الخطاب العلمي والمجتمعي وفق منطق خوارزمي تحكمه اعتبارات الانتشار والسلطة والسوق وتفاعلات الجمهور في الفضاء الرقمي.

أظهرت الدراسة بأن الإعلام الرقمي أدى إلى انتقال المعرفة من نموذج أحادي الاتجاه إلى نموذج تفاعلي تشاركي، حيث تحول الجمهور من متلقٍ سلبي إلى فاعل تواصلي يشارك في إنتاج المعنى وصياغة النقاشات العامة. كما أسهمت تقنيات الذكاء الاصطناعي، والبيانات الضخمة، والمنصات التفاعلية في تسريع تداول المعرفة العلمية، وتبسيطها عبر صيغ سردية جديدة (الفيديوهات القصيرة، الإنفوغرافيا، البث المباشر)، مما عزز انتشار الثقافة العلمية، لكنه في الوقت ذاته عرضها لمخاطر الاختزال والسطحية.

وتكشف الدراسة عن إعادة توزيع السلطة الاتصالية داخل الأثير العلمي والمجتمعي، بحيث لم تعد المؤسسات الإعلامية المصدر الوحيد للشرعية المعرفية، بل برزت المجتمعات الافتراضية وصناع المحتوى والمؤثرون بوصفهم فاعلين جدد في بناء المعرفة، ونشر الأفكار، وتشكيل الاتجاهات، وصناعة الرأي العام. غير أن هذا التحول يرافقه تحديات بنيوية، وانعكاسات إيجابية وسلبية على الصحة، التعليم، الاقتصاد والمجتمع أهمها: هيمنة

الخوارزميات، انتشار المعلومات المضللة، تآكل المعايير المهنية، وضعف التفكير النقدي نتيجة التدفق الكثيف للمحتوى.

وخلصت الدراسة إلى أن الأثير العلمي والمجتمعي، يمثل اليوم ساحة صراع رمزي بين منطق المعرفة ومنطق السوق والسلطة، ما يستدعي تطوير استراتيجيات إعلامية عربية قائمة على الحوكمة الرقمية، وتعزيز الثقافة الإعلامية والمعلوماتية لضمان استدامة خطاب علمي رصين في البيئة الرقمية.

الكلمات المفتاحية: الإعلام؛ التقنيات الرقمية؛ التحول الرقمي؛ الأثير العلمي والمجتمعي.

مقدمة:

يعتبر الإعلام الوسيلة الأساسية لنقل المعرفة العلمية، وإثراء النقاشات العلمية والمجتمعية إلى الجمهور، حيث تمتلك وسائل الاتصال قدرة كبيرة على التأثير في الرأي العام وتشكيل الاتجاهات ومعالجة القضايا والأحداث بشكل موضوعي ودقيق، وتجنب التضليل أو التضخيم لتشويه الحقائق العلمية. حيث يواجه العديد من الأشخاص صعوبة في فهم المفاهيم العلمية، والمصطلحات الاقتصادية والاجتماعية المعقدة، لفهم القرارات السياسية والاقتصادية التي يقررها القادة في دوائر الحكم، إذ يعمل الإعلام باستخدام التقنيات الحديثة على تبسيط المعلومات العلمية وتقديمها بطريقة سهلة ومفهومة للجمهور العام، بشكل أكثر إيضاحا واستيعابا. حيث تشجع وسائل الاتصال على التفاعل والمشاركة بشأن المواضيع الراهنة، من خلال استضافة مناقشات علمية وثقافية عامة، وتنظيم فعاليات مفتوحة للجمهور، وتشجيع الأسئلة والاستفسارات من الجمهور، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، لتعزيز التفاعل والتواصل المستمر مع الجمهور. وتعزيز التعاون بين وسائل الإعلام والمؤسسات البحثية والجامعات والمراكز العلمية الأخرى. فنشر الوعي العلمي والمعرفي يشكل تحديًا هامًا في عصرنا الحالي، ولكنه أمر بالغ الأهمية لتحقيق التقدم والتنمية، إذ يجب أن تعمل وسائل الإعلام والاتصال بالتعاون مع العلماء والخبراء على تبسيط المعلومات العلمية والثقافية وتوجيهها بشكل دقيق وموثوق، لبناء مجتمع يستند إلى العقلانية والمعرفة العلمية. في ظل التحولات الرقمية المتسارعة، وما أفرزته من بناءات تواصلية تفاعلية وتقنيات رقمية، ودورها في إنتاج وتداول الخطاب العلمي والمعرفي

داخل الفضاء الاتصالي التفاعلي. غير أن هذا التحول يطرح تساؤلات جوهرية حول دور الإعلام والتقنيات الحديثة في الأثير العلمي والمجتمعي في بناء الوعي المجتمعي، وتعزيز الحوار العام، مقابل ما تفرزه البيئة الرقمية من تحديات معرفية وأخلاقية ومهنية تمس مصداقية الخطاب العلمي ووظيفته المجتمعية. فبعد مراجعة أدبيات الدراسة وبناء على ما سبق يمكن طرح التساؤل التالي: **كيف يسهم الإعلام والتقنيات الحديثة في إعادة تشكيل الأثير العلمي والمجتمعي؟**

التساؤلات الفرعية

- ما المقصود بالأثير العلمي والمجتمعي، وما أبرز مظاهرها في المجال الإعلامي المعاصر؟
- ما هو دور البنية الرقمية في إنتاج وتداول الخطاب العلمي والمجتمعي في الفضاء الرقمي؟
- ما دور الإعلام و التقنيات الحديثة في تشكيل الخطاب العلمي والنقاشات المجتمعية ؟ وما أثرها في تعزيز الوعي المجتمعي والحوار والمشاركة العامة؟
- ما أبرز التحديات والمخاطر التي تواجه الخطاب العلمي والمجتمعي في الفضاء الرقمي؟
- ما أثر الإعلام والتقنيات الحديثة في تشكيل المجال الاجتماعي في السياق الرقمي؟

أهداف الدراسة

- تحليل مخرجات الإعلام والتقنيات الرقمية على الخطاب العلمي والمعرفي والنقاشات المجتمعية في الفضاء الرقمي.
- الكشف عن تأثير التقنيات الرقمية الحديثة في بناء الوعي المجتمعي.
- الكشف عن التحديات والمخاطر التي تواجه الخطاب العلمي في الفضاء الرقمي.
- استشراف التنبؤ مستقبل المحتوى الإعلامي العربي في ظل التحولات الرقمية.

أهمية الدراسة:

1. تحليل الخطاب العلمي والنقاشات المجتمعية في الأثير العلمي والمجتمعي والكشف عن أبرز مخرجاته.
2. إثراء البحوث والدراسات العربية حول تأثير البنية الرقمية على صناعة الخطاب العلمي والمجتمعي في البيئة الرقمية.

3. تقديم تصورًا شامل للمؤسسات الإعلامية وصناع القرار حول استراتيجيات الفاعل التواصلي وبنية التقنيات الحديثة في تأطير الخطاب وصناعة المعاني وتشكيل الاتجاهات في الأثير العلمي والمجتمعي.
4. استشراف التحديات والفرص التي تواجه الخطاب العلمي والمجتمعي في الفضاء الرقمي.

أسباب اختيار الموضوع:

يفرض الواقع الجديد تحديات علمية وتقنية تتعلق بحدود السيطرة البشرية على التكنولوجيا، وبمستقبل الخطاب العلمي والنقاشات المجتمعية في الأثير العلمي والمجتمعي، ومع وتزايد استخدام البيئة التقنية في صناعة المحتوى، وتطور تقنيات الحديثة تبرز جملة من الأسباب الموضوعية لمعالجة هذا الموضوع.

- **تزايد استخدام التقنيات الرقمية** في صناعة المحتوى العلمي والمجتمعي، وما رافقه من تحوّلات مسّت بنية المهنة الإعلامية.
- أهمية الأعلام في تعزيز الحوار والمشاركة المجتمعية. تقنيات الذكاء التوليدي في إنتاج الأخبار وصناعة المحتوى، وما يثيره من أسئلة جوهرية حول المهنية، المصداقية، وأخلاقيات الممارسة الإعلامية.
- تزايد استخدام المؤسسات الإعلامية على تقنيات الواقع الافتراضي والمعزز في السرد القصصي الرقمي، مما يستدعي فهم آثار هذا التحول على وصناعة المحتوى الإعلامي.
- دور الهيمنة للخوارزميات والمنصات الرقمية في صناعة الأخبار وإدارة المحتوى، وتأثيرها على تشكيل الاتجاهات والتلاعب بالرأي العام.
- الحاجة الملحّة لدراسات عربية تُفسّر هذه التحولات صناعة المحتوى في البيئة الرقمية، خصوصًا في ظل محدودية الأبحاث العربية حول أثر التكنولوجيا الرقمية على القيم المهنية والاتصالية.
- البحث عن مقاربات عملية تساعد المؤسسات الإعلامية العربية على التكيّف مع التحولات التقنية، والحفاظ على دورها المجتمعي في ظل المنافسة الرقمية الشرسة.

مفاهيم الدراسة

1. **التقنيات الحديثة:** يشير مفهوم التقنيات الحديثة إلى مجموعة الأدوات والأنظمة الرقمية الحديثة التي أفرزها التطور المتسارع في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، والتي أعادت تشكيل آليات صناعة المحتوى الإعلامي، ونشر المعرفة العلمية، وتداول الخطاب المجتمعي داخل الأثير العلمي والمجتمعي. حيث

وتشمل هذه التقنيات المنصات الرقمية ومواقع التواصل الاجتماعي، والذكاء الاصطناعي، والخوارزميات، والبيانات الضخمة، وتقنيات الوسيط الرقمي، التي تسهم في تسريع تدفق المعلومات، وتوسيع نطاق الوصول إليها، وتعزيز التفاعل والمشاركة المجتمعية. (الهادي، 2023، صفحة 27)

التقنيات الحديثة: يشير مفهوم التقنيات الحديثة إلى مجموعة التقنيات الرقمية التي تعتمد على تكنولوجيا الإنترنت، الذكاء الاصطناعي، تكنولوجيا البيانات الضخمة، البحث البيانات، الحوسبة السحابية على نطاق واسع... (الهادي، 2023، صفحة 27).

2. **التحول الرقمي:**

يعرف التحول الرقمي بأنه " توظيف تكنولوجيا الإعلام والاتصال– المتمثلة في وسائل الاتصال الحديثة والتكنولوجيا الرقمية –لإحداث تغيرات عميقة حول طرق وأساليب حياة الأفراد والمجتمعات، والتي تنعكس بدورها على طرق اكتساب المعرفة، طرق التواصل والتفاعل بين الأفراد، وفلسفة الحياة وأساليب التفكير. (مدكور، 2022، صفحة 481)

3. **الإعلام:**

باللغة الإنجليزيّة (Media) وهي مجموعة من قنوات الاتّصال المستخدَمة في نشر الأخبار أو الإعلانات الترويجيّة أو البيانات، ويُعرف الإعلام بأنّه الوسيلة الاجتماعيّة الرئيسيّة للتواصل مع الجماهير. م (أبو خليف، 2022).

أ–الإعلام الجماهيري: يعرفه الدكتور سمير حسين " بأنه كافة النشاط الاتصالي الذي يعمل على نشر الأخبار ومعالجة القضايا والمشكلات بطريقة موضوعية، من دون تحيز أو تضليل، من أجل تنوير الرأي العام عن المشاكل والتحديات التي تواجه المجتمع، والسعي إلى تشكيل اتجاهاته، بما يحقق أهداف المجتمع ويدافع عن مصالحه. (يوسف كافي ، 2015، صفحة 134)

ب– الإعلام الرقمي: هو مجموعة من الأنشطة الرقمية التي تعمل على صناعة ونشر المحتوى الرقمي بمختلف أشكاله، باستخدام البنية التقنية لوسائل الاتصال، المتصلة أو غير المتصلة بالشبكة العنكبوتية في عملية تفاعلية بين الجمهور المستخدم والفاعل التواصلي. (مومني، 2023، صفحة 02)

4. **الأثير العلمي والمجتمعي:**

أ- **الأثير العلمي:** يشير إلى مجموع الفضاءات العمومية أو الاتصالية التي يبنى فيها الخطاب العلمي والمعرفي، والذي يناقش وينشر يُنتَج من خلال الوسائط التقليدية أو الرقمية، بهدف نشر المعرفة العلمية، وتبسيطها، وربطها بقضايا التنمية وصناعة القرار، والتي تشمل: المنصات العلمية، المجلات العلمية، البرامج العلمية، المحتوى العلمي على مواقع التواصل الاجتماعي، منصات البحث الرقمي، قواعد البيانات، شبكة الخبراء والباحثين.

ب- **الأثير المجتمعي:**

يشير مفهوم الأثير المجتمعي إلى الفضاء التفاعلي العام الذي تتشكل داخله النقاشات الاجتماعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بهدف تعزيز الحوار وبناء المعاني وصياغة التمثلات الجماعية للقضايا المجتمعي، والذي يتجسد في وسائل الإعلام الجماهيرية، وسائل التواصل الاجتماعي، المنصات التشاركية، الفضاء العمومي الرقمي. (**Digital Public Sphere**) .

ت-الأثير العلمي والمجتمعي (كمفهوم موحد): فضاءً تواصليً هجينًا تستخدم فيه الإعلام والتقنيات الرقمية، حيث تتقاطع فيه المعرفة العلمية مع النقاشات المجتمعية، ويتم فيه إنتاج المعنى وتشكيل الخطاب والتأثير، بهدف تشكيل الاتجاهات، وصناعة الرأي العام، وتوجيه السياسات والسلوكيات الاجتماعية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهج وصفي-تحليلي لأدبيات الدراسة، إذ توفر تصورا شاملا الدور الإعلام والتقنيات الحديثة في الأثير العلمي والمجتمعي، والكشف عن دور البنية الرقمية في تشكيل الأثير اعلمي والمجتمعي، وتحديد أبعادها العلمية والمعرفية والثقافية، وتحليل أبرز مخرجاتها، حيث ترتكز الدراسة على مراجعة نظرية لأهم الأطر النظرية لدور الإعلام في التحولات الرقمية على بنية المجتمع وهياكله التنظيمية، وتأثير التقنيات الرقمية على الصحة، التعليم، إدارة المال الأعمال، والمجتمع بصفة عامة.

المدخل النظري للدراسة

1. نظريات الشبكات الاجتماعية

تعتبر نظرية الشبكات الاجتماعية طريقة ومنهج في تحليل البنى الاجتماعية، وهو ما يطلق عليها "التحليل البنيوي"، وقد قدَّم ماركوس غامبرMarkus Gamper في مؤلَّفه "نظريات الشبكات الاجتماعية: نظرة عامة مجموعة من النظريات التي تصلح للتحليل الشبكي، حيث صنف غامبر نظريات الشبكات الاجتماعية إلى صنفين: النظريات الكبرى (grand theories) وهي التي تتضمن بيانات عامة وأدلة واسعة النطاق، والنظريات المتوسطة المدى(middle-range theories) وهي التي تهتم بمجالات بحثية محددة، ولا تعني بالحياة اليومية للأفراد، ووضع الشبكات في مستوى التحليل المتوسط، لكونها تقع بين العمل الفردي (المستوى الجزئي) وبنية المؤسسات الإعلامية (المستوى الكلي.) وهو ما ينطبق على الشبكات التقليدية البسيطة، أما شبكات البيانات الضخمة فإنه يمكن تحليلها على المستويات الثلاثة السابقة كلها، أي يمكن تحديد **المستوى التحليلي للشبكات على المستوى المتوسط (الميزو)**، أي الذي يقع بين المستوى الضيق (المايكرو) الذي يمثِّل الأفراد، والمستوى الأكبر (الماكرو) الذي يمثِّل المنصات التفاعلية أو المؤسسات الإعلامية. حيث أثبتت الدراسات بأن تحليل الشبكات الاجتماعية هو منهج قديم استخدم في ثلاثينيات القرن العشرين في العلوم النفسية والاجتماعية، وليس منهجا مستحدثا أو مرتبطا بظهور مواقع التواصل الاجتماعي، وقد استخدم في دراسة بنية العلاقات للمجموعات الصغيرة، والمؤسسات الاجتماعية الأخرى وهياكلها، وقد ازداد الاهتمام بتحليل الشبكات الاجتماعية على بشكل واسع لدراسة بنية العلاقات التي تفرزها الشبكات الرقمية ومضامينها. ولاقى هذا المنهج استحسانا كبيرا لدى عدد كبير من الباحثين في العلوم الاجتماعية والإعلامية، بسبب قدرته على جمع وتحليل البيانات الضخمة بأدوات تقنية حديثة في منتهى الدقة والموضوعية.

وذلك فإن منهج تحليل الشبكات متعدد التخصصات من حيث نشأته وتطبيقاته، فهو في شكله الحديث، كان نتيجة تعاون حثيث بين مختصين في العلوم الاجتماعية ونظرائهم في العلوم التقنية، إذ أوجدوا تطبيقات حاسوبية تُمكِّن الباحثين من دراسة الظواهر الرقمية والاجتماعية دون حاجة إلى التخصص في علوم الحاسب وهندسته، حيث تعد هذه التجربة حاسمة في تطوير المناهج الجديدة اللازمة للتعامل مع قواعد البيانات

الأكبر والأكثر تنوعا الموجودة اليوم، حيث ترتبط وسائل التواصل الاجتماعي بالعلوم الاجتماعية باعتبارها سلطة رمزية يمكن من خلالها تتبع الظاهر الاجتماعية والاتصالية بأساليب علمية دقيقة، وبكفاءة عالية، في تحليل بنية الشبكات الاجتماعية، والعقد والروابط باستخدام أدوات الكمية والنماذج الرياضية لتحديد مؤشرات القياس الشبكي، ونمذجة الديناميات الاجتماعية لفهم أعمق للحياة الاجتماعية والحشود الرقمية، مما استدعي إعادة النظر في الأساليب البحث الكلاسيكية المستخدمة في دراسة الظواهر.

ومنه فإن أهمية منهج تحليل الشبكات الاجتماعية قادر على الكشف عن بنية المجموعات التي تتشكَّل في المواقع التواصل الاجتماعي، وعلى مضامينها من خلال طوبولوجيا الشبكة وبنية الروابط داخل الشبكة من جهة، ومن خلال المحتوى الشبكي الذي ينتجه الفاعل التواصلي من جهة أخرى. (حسين ملكاوي، 2023، الصفحات 15-27).

يقدِّم تحليل الشبكات الاجتماعية للباحثين إمكانيات تحليل على جميع المستويات الواسعة (macro) والمتوسطة (meso) والضيقة(micro) ، ومنه فإنه يمكن تحليل كامل الشبكة على المستوى الواسع، وهو المستوى الذي يشير مثلا إلى وسائل الإعلام والاتصال، ويمكن تحليل الشبكة على مستوى المجموعات التي تشكلت داخلها، وهو المستوى المتوسط، كما يمكن تحليل الشبكة على المستوى الضيق/الفردي الذي يشير إلى المستخدم أو الفاعل التواصلي. ولكل مستوى من هذه المستويات قياسات وأرقام تحدد شكل الشبكة وبنيتها (Network metrics) وطبيعة المجموعات وكيف تشكَّلت ولماذا تشكَّلت بهذه الطريقة (Group metrics) كما تقدِّم القياسات للباحث إمكانية تحديد المستخدمين والمؤثرين منهم على المستوى الجمعي والرسائل التي يقدِّمونها، والفرادى منهم كذلك (metrics Vertex) فلكل مستخدم يشارك في الشبكة له قياساتٌ خاصة به تشير إلى مدى تأثيره. (حسين ملكاوي، 2023، الصفحات 15-27)

أما عن طريقة بنية الشبكات الاجتماعية فهي تختلف من منصة لأخرى، باختلاف طبيعة المنصّة، منطقها التقني، وأنماط الاستخدام التي تتيحها المنصة التفاعلية مثل الانتشار الخوارزمي، المحتوى البصري للفاعل التواصل، الوسوم، التغريد، إعادة التغريد، التفاعل الذي يلعب بدوره دورا محوريا في اختلاف شكل الروابط، اختلاف درجة المركزية، ودرجة انتشار الخطاب في الفضاء الشبكي، إلى جانب دور الخوارزميات في إدارة

المحتوى وترشيح الفاعلين التوصليين وتشكيل المجموعات وإعادة تشكيلها ما يجعل البنية الشبكية ديناميكية وغير ثابتة.

أولا: الأثير العلمي والمجتمعي:

1. الأثير العلمي والمجتمعي:

اقترح أرسطو مصطلح الأثير في القرن الرابع قبل الميلاد، وقال بأنه يشكل عوالم الأجرام السماوية الخارجية التي يعتقد بأنها تحيط بعالمنا. وقد وصفه "رينه ديكارات" في كتابه المبادئ الفلسفية الذي نشر في 1644 م بأنه القوى المؤثرة بين جسمين ليسا على اتصال مباشر في الفضاء. وقد استخدم العالم الفيزيائي الصربي "نيكولا تسلا" مفهوم الأثير لتفسير الظواهر الطبيعية الأساسية مثل مفهوم الجاذبية، الضوء، ...الخ غير أن العديد من العلماء اعتبر أن الأثير هو من أكثر المفاهيم الخيالية التي صمدت لقرون في التاريخ العلمي، وقد استطاع الفيزيائي الشهير "ألبرت أنشتاين" سنة 19205م بدحض مفهوم الأثير عندما نشر نظريته النسبية الخاصة، ورغم ذلك، فإنه أعيد استخدام المصطلح بواسطة النسبية العامة على أنه الحقيقة المظلمة، وهي قوة مضادة للجاذبية، توفر ضغطا مقاوما للجاذبية تملأ الكون، وتمتد عبر نسيج الزمكان ويسهم في تمدده .

ويفترض بأنه مصطلح فيزيائي يشير إلى كونه وسيطا لنقل الموجات الكهرومغناطسية مثل الضوء، الأشعة السينية وغيرها. ويعتقد أيضا بأنه عديم الوزن شفاف، عديم الاحتكاك، وغير قابل للكشف فيزيائيا أو كيميائيا، ويتخلل المادة والفضاء في الكون. (Popular Science Arabia، 2026)

2. الأثير بوصفه فضاء رمزيا تواصليا

يعرف الأثير بوصفه فضاء رمزي تواصلي حسب ''جويل دو روزناي Joel de Rosnay'' بوصفه فضاء يجمع بين مكونين هما : الفضاء الرقمي و الزمان الالكتروني. فضاء تم خلقه بواسطة شبكات التواصل التي نسجت في شكل شبكة عنكبوتية بين الحواسيب'' . والتي تحيل إلى صورة شبكة عالمية تربط بين كل الأدمغة الفردية المرتبطة على المستوى العالمي، والتي تشكل ما يسمى ب''الدماغ الكوني cerveau » ''

« planétaire، كما يدعوه "جون روزناي"؛ دماغ هجين ، بيولوجي وإلكتروني .إنه فضاء للشبكات الآلية و العضوية المترابطة فيما بينها بشكل لا متناهي، بلا حدود. (قاوقو، 2017)

وقد ارتبط الأثير بشبكة الانترنيت، حيث توسع هذا المفهوم ليشمل كل الاتصالات والشبكات وقواعد البيانات ومصادر المعلومات ليشكل بنية النظام الالكتروني، الذي تتحرك فيه خطوط الهاتف والألياف البصرية والموجات الكهرو مغناطسية، حيث وصف " وليام جيبسون" هذا الفضاء التواصلي الهجين الذي تستخدم فيه التقنيات الرقمية وتتقاطع فيه النقاشات العلمية والمجتمعية بأنه شبكة تحتوي على كم هائل من المعلومات التي يمكن الحصول عليها لتحقيق الثروة والسلطة. (عبد الصادق، 2011)

ثانيا: التحول الرقمي وتشكيل الأثير العلمي والمجتمعي:

يشكل التحول الرقمي تحولا عميقا في بنية المجتمع وهياكله التنظيمية،حيث بدأت التقنيات الرقمية في التأثير على طريقة التواصل والتفاعل بين الأفراد، تقديم الخدمات، واقتراح البدائل لمختلف المشكلات، إلى جانب إعادة تشكيل المعايير، وبناء المعاني لمختلف الأشياء، وتشكيل المعايير والقواعد السلوكية مما يؤثر على طبيعة المعارف التي يكتسبها. (مدكور، 2022، صفحة 497).

1. البعد الثقافي:

لقد ساهم الاستخدام الواسع للتكنولوجيا الرقمية في ظهور ما يصطلح عليه" الثقافة الافتراضية الرقمية" التي تشكل حالة من التعقيد على مستوى المنطلقات الفكرية والنظرية لهذه الثقافة السائلة التي تتحكم فيها عوالم افتراضية التي تقوم على استخدام التكنولوجيا الرقمية ووسائل الاتصال الحديثة، حيث صارت هذه الممارسات الثقافية مرتبطة بالفضاء الرقمي الذي تذوب فيه كل صور القواعد الأخلاقية والقيم المجتمعية في الفضاء الرقمي. (مدكور، 2022، صفحة 498)

2. البعد العلمي والمعرفي:

يعتبر الاتصال الرقمي أحد أشكال الاتصال التي تقوم على استخدام الحواسيب أثناء تبادل الرسائل بين الأفراد عبر الأطر الفردية والمعرفية، فهو مصطلح يستعمل للتعبير عن أنماط الاتصال التي تعتمد على وسائل الرقمية والحاسوبية مثل البريد الالكتروني، تقنية التحاضر عن بعد، عبر شبكات الانترنيت والأقمار الصناعية، ومواقع الويب، والمنصات الرقمية. إلخ

فالاتصالات الرقمية والحديثة مثل وسائل الإعلام الجماهيرية، الصحف، المجلات العلمية، شبكات الأنترنيت، والأقمار الصناعية ... وغيرها من الوسائل، من أجل تحقيق الأهداف العلمية والبحثية للباحثين فلقد ساعدت التكنولوجيات الرقمية والأنترنت في تجاوز الحدود اللغوية والجغرافية بين الباحثين، وقدرتهم على التواصل والتفاعل عبر الوسائط الرقمية، للعمل البحثي المشترك، والتأليف الجماعي للكتب، بما يساهم في أنتاج المعرفة العلمية، وتحكيم المعرف العلمية وتقييمها بين مختلف الباحثين في شتى أنحاء المعالم ، حيث ساهمت تكنولوجيا الإعلام والاتصال تشبيك حلقات الاتصال العلمي في نقل وتبادل المعلومات والخبرات العلمية وفقا لاحتياجات الجديدة للباحثين، وأدى ذلك إلى اندماج التكنولوجيا في قطاع البحث العلمي، مما ساهم في إعادة تنظيم وتشكيل طرق عمل الباحثين والناشرين، وكذا إعادة تموقع جميع الأطراف الفاعلة في إنتاج وصناعة المعرفة بمراجعة استراتيجياتهم وممارساتهم الاتصالية.

ومن أبرز مظاهر التغير الرقمي في الأثير العلمي يكمن في طرق دوران وتداول المعلومات والمعارف في البيئة الرقمية الجديدة، وإمكانية البحث والنشر والأرشفة واستخدامها بطريقة شخصية أو جماعية، ففي هذا السياق نفسه يرى "جورج ستاينر" Steigner Georges " أن شبكة الويب مكنت من إحياء السيرورة المعرفية في البحث، والحفظ، والتبادل المستمر، وهو ما يشكل مصدر الحركية جديدة، كما يعتبرها عاملا بنيويا في تأسيس الحركة العلمية والمعرفية ونشرها بوسائط مختلفة. (لحواطي، 2019، الصفحات 67-69)

3. البعد الإعلامي

يمثل الإعلام بناء اجتماعي ديناميكي فاعل في تشكيل الأثير العلمي والمجتمعي، حيث يتم التوسط في الحقائق وتتحول المعتقدات إلى بناءات جديدة، إذ تلعب وسائل الإعلام والاتصال دورا محوريا في المشاركة الديمقراطية، وتوفير أدوات مبتكرة لصياغة السردية، والنقاش المجتمعي حول القضايا الرئيسية التي تشغل الرأي العام. (زعيتر، 2023) .

تتعدد المفاهيم المتعلقة بالمعرفة، وتتباين بين المعرفة العامة والمعرفة المتخصصة، التي تحتاج إلى فحص عميق وتدريب متخصص لمعالجة للقضايا المتخصصة بموضوعية واحترافية، حيث تتيح التقنيات الحديثة لوسائل الاتصال في الفضاء الرقمي القدرة على نشر المعرفة بسرعة فائقة، والوصول إلى مصادر متنوعة. هذا

يتيح للمستخدمين تعلم مهارات جديدة، أو تجديد المعارف حول مجالات متعددة مثل التعليم، الصحة، الثقافة، والتكنولوجيا. للحصول على دروس تعليمية أو اكتساب مهارات مهنية.ما يؤثر على الوعي الثقافي والفكري للأفراد (حميدات، 2025، صفحة 666).

ومع ظهور أشكال جديدة ومتنوعة من الاتصالات، تتجاوز في قدرتها الحدود القومية للدول، ومفهوم السيادة بشكله التقليدي، الذي يشير إلى "التطور المتسارع والمذهل في قدرات وسائل الاتصال على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات، بفضل ما تُقدمه تكنولوجيا الحديثة من تكامل واندماج بين هذه الوسائل، بهدف دمج وتوحيد أسواق العالم وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصال والمعلومات العملاقة، وهذا على حساب دور الدولة في المجالات المختلفة." (عبد الصادق، 2011)

ثالثا: دور الأثير العلمي والمجتمعي في بناء الوعي وتعزيز الحوار والمشاركة الرقمية:

شكلت وسائل الإعلام والاتصال علاقة بين مجموعات الأفراد – المستخدمين – الذين يتقاسمون نفس الأذواق، القيم، الاهتمامات و الأهداف المشتركة، والذي يطلق عليهم تسمية المجتمع الافتراضي، حيث يعرفه الباحث "Rheingold Howard "في كتابه "المجتمع الافتراضي" : "المجتمع الافتراضي الذي يجمع أشخاصا من كل أنحاء العالم ، يقيمون فيما بينهم علاقة تعاون ، تبادل معلومات، خبرات، و يجرون مناقشات فكرية بناءة، أكثر مما هو عليه الحال في الحياة الواقعية" ، كما يصف "سيرجي بروكس" " هاته المجتمعات الافتراضية بأنها مجموعة من الأفراد التي تستخدم بعض خدمات الانترنت الاتصالية والتي تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة، يتقاسمون نفس الأذواق القيم ، الاهتمامات ، ولهم أهداف مشتركة) "،فلقد سمحت الأشكال الحديثة للميديا الجديدة النشر، التعليق ، التفاعل، والمشاركة مع أي منشور، لطرح لفكرة بشكل مباشر في كل مكان و زمان ،كما ساهمت في ظهور ما يسمى بالنضال الالكتروني ، و قادة الرأي الجدد ، فقد أتاحت الأشكال الحديثة للميديا الجديدة للفرد – المستخدم- من تجاوز الحدود القومية، والتراخيص القانونية ، المكانية ، و تنظيم الأنشطة السياسية التي اعتبرها البعض فضاءات غير مراقبة و مفتوحة، تتيح إمكانية مخاطبة فئات اجتماعية متنوعة تستطيع من خلالهم إحياء القيم السياسية كالديمقراطية ، المواطنة السياسية ، المشاركة السياسية و تفعيل دور المشاركين... كل هذا التفاعل يتم في فضاء عمومي افتراضي، وبهذا المعنى فهو فضاء يعكس تعدد الرؤى و الآراء ، "وبدا كأنه ساحة عامة

تعكس داخلها تنوع المجتمع من مثقفين سياسيين ، رجال إعلام ، و حتى مواطنين عاديين دون حواجز عرقية أو لغوية أو حتى ثقافية" ، لتبادل الأفكار و ووجهات النظر و المواقف حول موضوعات محددة. (قوابسي، 2019، الصفحات 14-15)

وقد أثبتت التقنيات الجديدة للإعلام الرقمي من التأثير على نماذج الحوكمة التشاركية وانشاء قوى مجتمعية ساهمت في ظهور توجهات ثقافية وسياسية من خلال تقنيات المعلومات والاتصالات من أجل تشجيع الحوكمة والاندماج الاجتماعي ورفع مستوى التعاون، وتشجيع الابداع والابتكار بين المؤسسات الحكومية وغيرها من المبادرات الفردية والمؤسسات الناشئة.. (تقرير الإعلام الاجتماعي العربي، 2011)

غير أن الماركسية الجديدة تشير إلى أن الخطابات التي تصوغها النخب الحاكمة والقوى المهيمنة على دوائر القرار، تسهم في نشر ثقافة الهيمنة، ورسم الاتجاهات، وصياغة الخطابات بشكل مشفر، للتأثير في تشكيل الآراء وبناء الهويات الفردية والهيمنة الثقافية.

يمكن القول إن هذه التحولات قد طرحت مجموعة من الإشكاليات أمام الإنسان المعاصر، فالفضاء الرقمي يخلق بيئة إدراكية ومعرفية جديدة، قد تؤدي إلى ضعف التفكري النقدي والتحليل العلمي للأفكار والمعلومات، كما أن الاستخدام المتزايد على التكنولوجيا الرقمية قد يؤدي إلى "التفريغ المعرفي " أو "offloading cognitive"، حيث يعتمد الأفراد أو المستخدمون على التقنيات الرقمية لحفظ المعلومات ومعاجلتها بدالً من الاعتماد على قدراتهم الذهنية الذاتية في التحليل والتفسير والاستنتاج.

إن الفضاء الرقمي يمثل تحول جذري في طبيعة الإدراك البشري نفسه، وهذا التحول يتطلب منا إعادة التفكير في كيفية تعاملنا مع هذه البيئة الرقمية الجديدة، ومعرفة آليات عملها وكيفية الحفاظ على قدراتنا الإدراكية والنقدية في ظل التدفق العالي من التيارات المعلوماتية السريعة والمتواصل. (رحموني، 2025، صفحة 1121)

رابعا: تأثير الاعلام والتقنيات الحديثة في تشكيل الأثير العلمي والمجتمعي في العصر الرقمي:

1. تأثير الاعلام والتقنيات الحديثة على الطب والصحة

تعمل شبكات التواصل الاجتماعي على تطوير شبكة مهنية للجمهور المستخدم للصحة العمومية، في نشر الأخبار، القيام بالحملات التحسيسية نشر الاكتشافات، براءات الاختراع، تحفيز المرضى، تحسين الحالة العامة للمرضى.....إلخ.

أ- التأثيرات الإيجابية:

- يعمل الأطباء على وصف الأدوية للأصدقاء، والأقارب، والزملاء عبر منصات التواصل الاجتماعي.
- يمكن استشارة الأطباء والمختصين من خلال من شبكات التواصل الاجتماعي في أيّ وقت، وفي كل مكان.
- مناقشة الآراء والاقتراحات حول مختلف الأمراض وأعراضها.
- توفر قاعدة بيانية للبحوث والدراسات في مجال الخدمات والرعاية الصحية.

ب-التأثيرات السلبية:

- التشخيص الخطأ الذي قدم يتم عبر شبكات التواصل الاجتماعي.
- انتهاك الخصوصية من خلال مشاركة البيانات والمعلومات.

2. تأثير التقنيات الحديثة على الأعمال التجارية:

لقد أحدثت التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام تأثيرات عميقة على قطاع الأعمال، خاصة فيما يتعلق بإنشاء المواقع، ترويج للسلع والخدمات، بناء العلامات التجارية، تحسين شبكة العلاقات المؤسساتية لتحسين أداء، وتحقيق الأهداف بسرعة وفعالية من خلال الدعاية لمختلف العروض والخدمات التي تقدمها المؤسسة و تشجيع التواصل الثنائي بين المؤسسة و المساهمين، وغيرهم من الشركاء و العملاء .....إلخ .

أ- التأثيرات الإيجابية على قطاع الأعمال business

- إذ يمكن من خلال التواصل والتفاعل عبر التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام فهم متطلبات العملاء والترويج للسلع والخدمات في جميع أنحاء العالم.
- تساهم وسائل الاتصال الحديثة في عقد الصفقات، الحفاظ على العملاء، التواصل المستمر وتقديم الخدمات ومشاركة المحتويات بشكل أسهل وأسرع وفي الوقت المناسب.
- الحصول على معلومات حول منافسيك من خلال متابعة منصات التواصل الاجتماعي.
- تساهم وسائل الإعلام والاتصال من جذب المزيد من الزبائن والعملاء من خلال تقديم تسهيلات مختلفة، وتوفير تجربة فريدة من خلال التواصل والتفاعل مع العملاء.

- تساعد وسائل الإعلام والاتصال في فهم السوق، والبحث على أسواق جديدة بديلة عن منافسيك.
- المساهمة في تقديم أفضل العروض للزبائن والعملاء من خلال تمكنهم من المقارنة بين مختلف المنتجات.

ب. التأثيرات السلبية على قطاع الأعمال business

لا تعد التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام مواقع خالية من المخاطر، فقد تؤدي الانطباعات، والانتقادات الحادة التي يدلي بها الجمهور تجاه المؤسسة أو خدماتها إلى تشويه صورتها وتكبيدها خسائر اقتصادية فادحة.

يوجد العديد من العوامل التي قد لا تكون في صالح رواد الأعمال والشركات الاقتصادية منها: التعليقات السلبية والانتقادات الحادة، تعدد المحتوى وتنوعه، صعوبة تصحيح الخطأ على مواقع التواصل الاجتماعي، مما يهدد مصير الشركة أو العلامة التجارية، حيث تواجه معظم الشركات مشاكل في قياس انعكاسات التسويق عبر منصات التواصل الاجتماعي. (Rao, 2022, p. 49)

3. تأثير التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام على التعليم

تساهمت تقنيات التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام بمشاركة المعلومات وبتبادل الآراء والأفكار مع أشخاص في الجانب الآخر من العالم، مع اختلاف الرؤى والأفكار والتوجهات الفكرية والثقافية والفلسفية السائدة في العالم، إذ يمكن للفرد أن يستفيد من خصائص والميزات التي تتوفر عليها منصات التواصل لتحقيق استفادة علمية ومعرفية في حياته العلمية والمهنية.

أ- تأثير التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام على التعليم

- **التنشئة الاجتماعية:**

تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تعلم أشياء جديدة، تكوين صداقات، وتبادل الأفكار، والمشاركة في الفعل المجتمعي، مما ينعكس ايجابا على الفرد في بناء ثقته بنفسه، وتنمية شخصيته.

- **مشاركة المعرفة:**

تساعد التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام من تدفق المعرفة بسلاسة من خلال الخصائص التي تتوفر عليها وسائل التواصل الاجتماعي، إذ يمكن من خلالها الوصول إلى المعلومات، وتحليلها، ومشاركتها بطريقة سهلة وفعّالة.

- **تحديث الذات:**

إذ تساعد التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام من مراقبة المستجدات والإحاطة بما يدور في الساحة السياسية، الاقتصادية، الثقافية،

- **التعلم من مصادر مختلفة:**

تتميز التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام بتقنيات متطورة للاتصال الشخصي، بطريقة تمكن المستخدم من اختيار المجموعة، أو الشخصيات التي يتم متابعتها على شبكات التواصل الاجتماعي، والحصول تحديثات يومية، فهي

- **الاستعداد:**

تعمل تقنيات التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام على عرض الاتجاهات السائدة في العالم، مما يمكن الجمهور المستخدم من ملاحظة التغيُرات التي تطرأ في العالم، والتنبؤ بما يحدث في المستقبل.

- **مشاركة الآخرين بما نحس أو نفكر:**

تتيح تقنيات التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام فضاءً لتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، مما يسهل عليهم تحديد ما هو جيد وما هو سيء من خلال التفاعل والنقاش في شبكات التواصل الاجتماعي.

- تساعد التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام الطلاب في انجاز المهام الجماعية، والواجبات المنزلية، وعرض اسهاماتهم الفنية والإبداعية، وتغطية الرحلات الفردية والجماعية.

– مكنت التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام الأساتذة والمدرسين في إبراز كفاءتهم المهنية، لصناعة المحتوى، والقيام بالمعاملات الملية الإلكترونية وتجنب المخاطر الإلكترونية، واستخدام هذه الشبكات بشكل مناسب وفعّال. خلاله.

ب. الآثار السلبية لتقنيات الحديثة لوسائل الإعلام على التعليم

- **تقليص فرص التعلم والبحث:**

تتيح التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام الحصول على المعلومات بسرعة وفي غاية السهولة مما يضعف قدرة المستخدم على البحث والتعلم.

- **ضعف الاتصال الإنساني:**

إذ يقضي العديد من المستخدمين وقتا كبيرا في تصفح منصات التواصل الاجتماعي، مما يقلل نسبة التفاعل المباشر وجها لوجه، حيث عبرت الكثير من الشركات عن عدم رضاها عن مهارات الاتصال والتواصل للخرجين الجدد.

- **ضعف الكفاءة اللغوية والتعبيرية:**

مكنت التكنولوجيا الرقمية من استخدام المدقق اللغوي، والتصحيح الآلي للكلمات، حيث تعمل هذه الخاصية على التأثير سلبا على المستوى اللغوي والإبداعي للمستخدمين.

- **إضاعة الوقت:**

تتميز التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام بميزات وخصائص تجعل من المستخدم يستغرق في عملية البحث والتصفح، مما تجعله ينصرف عما كان يبحث عنه. حيث اعترف "رامزي براون"، مؤسس شركة ناشئة بتصميم شفرة تطبيقات لاختراق العقل البشري، تهدف من خلاله ابقاء الأفراد في حالة استغراق أمام التطبيق. فهي تشوش علينا في العمل وتدفعنا للتفاعل معها باستمرار.

- **تدني المستوى العلمي والثقافي:**

إذ يعاني مستخدمو التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام من ضعف الحافز، والمثابرة في البحث والتعلم، إذ يلجؤون عادة إلى استخدام البيئة الرقمية مما يؤثر سلبا على نوعية المعلومات المكتسبة، وتدني المستوى الفكري والأدبي لديهم.

- **التأثير على الصحة العقلية والنفسية للمستخدمين:**

تشير الدراسات بأن الإفراط في استخدام التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام يؤثر سلبا على الصحة العقلية والنفسية للمستخدمين، فهي ساهمت في ارتفاع حالات مثل العزلة الاجتماعية، الإدمان على الشبكات الاجتماعية ، والمشاكل الأسرية،،و إضعاف الروابط المجتمعية. وتعزى ظاهرة الرغبة في الإنفصال عن الواقع الحقيقي والهروب إلى العالم الإفتراضي لما يتميز به هذا الأخير من المتعة والخيال: (Rao, 2022, pp. 50-51)

4. التأثير وسائل الإعلام والاتصال على المجتمع.

إن ظهور وسائل الإعلام والاتصال واستخدامها يستند أساسا إلى السياق الثقافي والاجتماعي والإقتصادي الذي نشأت فيه وتخضع لكيفية تفاعل الإفراد معها، مما أحدث تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على مختلف مجالات الحياة

- **الاتصال والتواصل:**

يعتبر الاتصال من أبرز التقنيات الحديثة التي تميز وسائل الاتصال الحديثة، إذ يمكن من خلاله تجاوز الحدود السياسية والجغرافية، والتواصل مع العالم الخارجي وتبادل الآراء والأفكار مع أي شخص في أي نقطة في العالم.

- **التعليم:**

تعد وسائل الإعلام والاتصال منصات فعّالة للتعلم والتعليم، إذ تفتح فضاءً للخبراء والمحترفين بصناعة المحتوى ومشاركة أفكارهم وإبداعاتهم وخبراتهم للآخرين، حيث يمكن لأي مستخدم التعلم وتعزيز معرفته العلمية والفكرية في أي مجال، بغض النظر عن موقعه الجغرافي، وخلفيته التعليمية.

- **المساعدة:**

إذ يمكنك مشاركة مشكلتك مع المجموعة المفضلة لديك، أو الحصة الإذاعية المناسبة لحل مشكلتك. والحصول على اقتراحات، نصائح، حلول، أو تلقي مساعدات مالية من أفراد المجموعة.

- **مراقبة المحيط:**

تتيح التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام للمستخدمين البحث عن المعلومات والبيانات من مصادر متنوعة وبوسائط مختلفة، إذ استطاعت شبكات التواصل من كسر هيمنة وسائل الإعلام على المعلومات واستخدام سياسة الحجب و التعتيم عن الأحداث والوقائع والأحداث.

- **الإعلان:**

تساهم التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام في بناء العلامة التجارية وتعزيز مكانتها في السوق المحلية، الوطنية والعالمية، والوصول إلى الجمهور المستهدف بدقة بناءً على الشريحة العمرية، الموقع الجغرافي، الاهتمامات، وأنماط السلوك، كما يمكن بناء علاقات قوية مع الزبائن والعملاء من خلال التفاعل مع التعليقات الرسائل والتعليقات والاستجابة لرغبات الجمهور وتطلعاته. مما يعزز مكانة العلامة في السوق التجاري. كما توفر أدوات تحليلية تعمل على قياس الحملات الإعلانية من خلال النتائج المتحصل عليها.

- **القضايا العادلة:**

يمكن أن تستخدم منصات التواصل للتعريف بالقضايا العادلة وحشد الرأي العام العالمي حولها، وتسليط الضوء على معاناتها، وتشكيل ضغط سياسي ودبلوماسي ضد القوى المارقة في العالم.

- **المساعدة في بناء المجتمعات:**

يمكن للتقنيات الحديثة لوسائل الإعلام أن تكون محطة للنقاش الحر والبناء بين مختلف الطوائف الدينية، والمكونات العرقية واللغوية، والأحزاب السياسية، ومنظمات المجتمع المدني، ولتقليص الهوة ومناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك.

كما تعد فرصة لتحقيق التواصل ومشاركة الافكار خارج الحدود الجغرافية، ومعرفة. (Rao, 2022, pp. 51-52)

5. تأثير الإعلام والتقنيات الحديثة على المجتمع.

أ- التحرش الإلكتروني:

إذ يمكن لأي شخص أن يقوم بالتنمر على أشخاص آخرين من خلال حسابات وهمية، تشويه سمعة الأفراد والجماعات والمؤسسات أو إرسال تهديدات. أو قد يعمل بنشر شائعات أو معلومات مضللة لنشر الفوضى في المجتمع.

ب- القرصنة:

إذ يمكن انتهاك البيانات الشخصية للمستخدمين من خلال اختراق حساباتهم الشخصية واستخدامها لأغراض قد تؤثر على حياة الأفراد لعقود طويلة.

ت- الإدمان:

تسعى شركات التكنولوجيا ومنصات التواصل الاجتماعي، لاستثارة المستخدمين وهذا ما يطلق عليه انخراط المستهلك أو المستخدم، للفت انتباه ودفعه لقضاء أكبر وقت ممكن على أجهزتنا أو على منصات التواصل الاجتماعي، لأنها الطريقة الوحيدة التي يكسبون منها المال.

يري الباحثان "لونج و شن" بأن إدمان وسائل الإعلام والاتصال يشير إلى سلوك قهري يرتبط بالاستخدام المفرط لمنصات التواصل الاجتماعي، أين يتم استبدال العلاقات الاجتماعية الحقيقية بعلاقات افتراضية، بهدف الشعور بالارتياح، الرضا عن الذات، الهروب من الضغوط الاجتماعية مما يترتب عليه انعكاسات سلبية واجتماعية مثل ضعف تقدير الذات، الفشل الدراسي والمهني، الانسحاب الاجتماعي.....إلخ.

إن استخدام التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام لنظام يعزز من مركز المكافأة في الدماغ، إذ يعمل الدماغ على إفراز مادة كيميائية تعرف بالدوبامين، التي تمنح شعورا بالمتعة والسعادة التي تنجم عما يطلق عليه أو ما يطلق عليه التغذية الراجعة، لتحقيق التقدير الاجتماعي، الناجم عن نشر المحتوى أو التفاعل معه، فهي بذلك تنشط المستقبلات المرتبطة بالمتعة والإثارة (الدوبامين)، مما يوّلد حالة من الرغبة في التحقق من حسابه، أو التوتر في حالة عدم الحصول على التفاعل أو ردود الفعل المتوقعة. فمن المرجح أن يتكرر

السلوك الاستخدام على أمل أو إمكانية تحقيق ردود فعل متوقعة، هذا ما يجعل المستخدمين أكثر ارتباطا بمواقع التواصل الاجتماعي. (برايس ، 2019، الصفحات 26-27)

- **الخداع والعمليات الإحتيالية:**

حيث يتعرض العديد من الأشخاص إلى عمليات نصب واحتيال عن طريق التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام مثل الجريمة المنظمة، السرقة، انتحال شخصية

- **السلوك الجنسي الخطير:**

تَعمد العديد من المضامين على مخاطبة الغرائز، مما يحدث إرباكا لدى الأطفال والمراهقين مما يؤدي إلى أفعال وسلوكيات خطيرة تهدد كيانهم النفسي والاجتماعي.

- **تشويه صورة الجسم:**

توفر التقنيات الحديثة لوسائل الإعلام عدسة مشوهة عن الواقع، إذ تعرض صورا للمشتركين غير واقعية ومفلترة، حيث تتيح هذه التطبيقات خصائص يمكن من خلالها تعديل الصور، تبييض الأسنان، وغيرها من المرشحات حتى يبدو بشكل مثالي (Rao, 2022, pp. 53-52)

ويمكن من خلال التطبيقات المندمجة أيضا " التعبير عن شخصيات متحورة ومرقمنة تُظهر الشكل والنموذج التي يرغب المستخدم في رؤيته عن نفسه، أو ما يطلق عليه بالجراجة التجميلية على الفضاء الرقمي، وبمعنى آخر " أحب أن أكون هكذا" .

خامسا: مناقشة النتائج

توصلت هذه الدراسة بأن دور الإعلام والتقنيات الحديثة في البيئة الرقمية للمعرفة، قد أصبح فاعلًا بنيويًا في إنتاج المعرفة وتأطيرها .فالأثير العلمي والمجتمعي لم يعد فضاءً محايدًا، بل تحكمه بنية خوارزمية تعيد إدارة وترتيب المحتوى المعرفي والاجتماعي وفق منطق الانتشار، السلطة، السوق، الأهمية، ومنطلق الجمهور المستخدم في الفضاء الرقمي، حيث أسهمت التقنيات الحديثة في إعادة تشكيل بنية الفضاء الاتصالي العام، مما أدى إلى ظهور ما يطلق عليه بـ الأثير العلمي والمجتمعي بوصفه فضاءً تواصليًا هجينًا تتقاطع فيه المعرفة العلمية مع النقاشات المجتمعية عبر وسائط رقمية تفاعلية. ومن هذا المنطلق، فإن الدور الجديد للإعلام يتمثل في:

1- **الوساطة المعرفية الذكية** :حيث يتداخل صور الفاعل التواصلي، الصحفي، الخبير، وصانع المحتوى في أدوار هجينة تجمع بين التفسير، التبسيط، والتأطير.

2- تحويل المعرفة إلى تجربة تفاعلية :عبر الفيديوهات القصيرة، الإنفوغرافيا ، البث الحي أو المباشر، وتقنيات الواقع المعزز، ما جعل الخطاب العلمي أكثر قربًا وحميمية من الجمهور.

3- أسهمت **التقنيات الحديثة** ـــمثل الذكاء الاصطناعي، البيانات الضخمة، والمنصات التفاعلية ـــ في: نشر وإنتاج المعرفة العلمية وسرعة الوصول إلى المحتوى المعرفي، وتحويل الجمهور من متلقي أو مستهلك سلبي إلى فاعل تواصلي يشارك في صناعة الخطاب وبناء المعاني والتأثير في الرأي العام، مما ساهم في ظهور أنماط جديدة من صور الخطاب العلمي والمناقشات المجتمعية، التي تتميز بالتبسيط، السرد القصصي، والتفاعلية ما أدى إلى انتشار الثقافة العلمية من جهة وتعرضها لخطر الاختزال والسطحية من جهة أخرى

4- **إعادة توزيع السلطة الاتصالية** :إذ لم تعد المؤسسات الإعلامية وحدها مصدر للحصول على المعرفة، بل أصبحت المجتمعات الافتراضية، والمنصات التشاركية، والمؤثرون، وصناع المحتوى الرقميون، جزءًا من منظومة إنتاج المعنى.

5- وقد خلصت الدراسة إلى، الكشف ن **مخاطر بنيوية** تهدد الخطاب العلمي، أبرزها: انتشار المعلومات المضللة المنطلق المادي للخوارزميات على حساب القيم المعرفية والخصوصية الثقافية تصحر أو تآكل المعايير المهنية، وضعف وانحسار التفكير النقدي نتيجة التدفق تيارات عالية من المعلومات

وعليه، فإن الأثير العلمي والمجتمعي يمثل اليوم **ساحة صراع رمزي** يخضع لمنطق المعرفة، ومنطق السوق، والسلطة ومنطق الجمهور في الفضاء الشبكي.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن التحول الرقمي يقوم على بنية تحتية تقنية أعادت تشكيل "الأثير العلمي والمجتمعي". هذا الفضاء الهجين، الذي تتقاطع فيه المعرفة الأكاديمية بالنقاشات المجتمعية العامة، حيث تحول من نموذج الاتصال الأحادي إلى بيئة شبكية تفاعلية تحكمها خوارزميات الذكاء الاصطناعي وتدفقات

البيانات الضخمة. التي تعيد إعادة توزيع السلطة المعرفية والرمزية في تشكيل الرأي العام وبناء المعاني، مما أدى إلى "دمقرطة المعرفة" من جهة، ومخاطر السطحية والاختزال من جهة أخرى.بالرغم من دورها الفعال في تبسيط العلوم وتعزيز الحوكمة التشاركية والنمو الاقتصادي، إلا أنها أفرزت تحديات بنيوية كبرى؛ أبرزها هيمنة الخوارزميات على التوجهات الفكرية، وانتشار المعلومات المضللة، وظاهرة "التفريغ المعرفي" التي تضعف القدرات النقدية لدى المستخدم.، إذ تأكد من خلال تحليل الشبكات الاجتماعية أن الروابط الرقمية تخلق "دماغاً كونياً" يتجاوز الحدود الجغرافية، لكنه يظل ساحة للصراع الرمزي بين منطق "المعرفة الصرفة" ومنطق "السوق والسلطة".

كما توصي الدراسة بضرورة تبني استراتيجيات إعلامية عربية ترتكز على "الحوكمة الرقمية" وتنمية الوعي المعلوماتي لدى الجمهور. لتأطير الخطاب العلمي في الأثير المجتمعي، الذي يتطلب توازناً دقيقاً بين الاستفادة من سرعة الوسيط الرقمي وبين الالتزام بأخلاقيات المهنة ومعايير الدقة العلمية.

ختاماً، يفتح هذا البحث الباب أمام دراسات مستقبلية معمقة حول استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي وتأثيره المباشر على مصداقية المحتوى الأكاديمي، وكيفية حماية "الإدراك البشري" من التنميط الخوارزمي في ظل بيئة رقمية شديدة التعقيد.

قائمة المراجع: مرتبة ومرقمة

كتب باللغة الإنجليزية:

1. B. Narasimha , R. V. (2022, december 30). A Study on Positive and Negative Effects of Social Media on Society. *07*(10).
2. jabbar, z. (2014, / /). The impact of corporate visual identity on brand personality. *thesis submitted for degree of doctor of philosophy*. london, brunel business school, london: brunel university.

3. miridjanian, m. b. (2011, june .). Creating a visual brand identity. *bachelor thesis in marketing*. ., school business, .: halmstad university.
4. *PLAN DE COMMUNICATION POUR QUOI UNE IDENTITE VISUALLE*. (2017, 06 01). Récupéré sur commentdevenir.
5. LIMPACT DU CHANGEMENT DE NOM DE MARQUE SUR L'ATTITUDES VIS-A-VIS DU PRODUITS. (2004 ,/ /) veronique collenge. *etude documents* droit. france: universitye de droit، marseille، .
6. فضيل دليو. (2003). *اتصال المؤسسة إشهار، علاقات عامة، علاقات مع الصحافة*. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
7. كاثرين برايس. (2020). كيف تقطع علاقتك بهاتفك. الرياض: مكتبة جرير. للنشر والتوزيع.
8. مصطفى يوسف كافي . (2015). *الرأي العام ونظريات الاتصال*. عمان: دار الحامد.

المقالات:

9. أسماء حسين ملكاوي. (12 فبراير , 2023). منهج تحليل الشبكات الاجتماعية والبحث العلمي. *مركز الجزيرة للدراسات*، 15-27.
10. الميسوم حميدات. (2025). دور وسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز المعرفة لدى الفرد . *المجلة العلوم القانونية والاجتماعية* ، 666.
11. بلال زعيتر. (يوليو, 2023). سورية: حرب بناء الهويات في الفضاء الرقمي وقوة الممارسات الخطابية. *مركز حرمون للدراسات المعاصرة*.
12. تقرير الإعلام الاجتماعي العربي. (2011). *الإعلام الاجتماعي والحراك المدني: تأثير فيسبوك وتويتر*. دبي: كلية دبي للإدارة الحكومية.
13. حجيبة قاوقو. (11 مارس, 2017). الفضاء العمومي الالكتروني والتعبئة السياسية الذكية. *المركز الديمقراطي العربي*.
14. رابح أوكيل. (بلا تاريخ). التغليف المتميز للمنتج وتأثيره على قرار الشراء.(دراسة مقارنة بين مؤسسات المشروبات الغازية: كوكاكولا، بيبسي، حمود بوعلام. *أطروحة دكتوراة*. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، بومرداس، الجزائر: جامعة أمحمد بوقرة.
15. زكرياء أحمد عزام. (2008). *مبادئ التسويق الحديث*. عمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

16. صفاء طلعت مدكور. (يوليو , 2022). دور التحول الرقمي في إعادة التشكيل الثقافي للمجتمع. *مجلة التربية – جامعة الأزهر، 04*(195)، 481.
17. عادل عبد الصادق. (مارس, 2011). الفضاء الالكتروني والرأي العام : تغيير المجتمع والأدوات والتأثير في القضايا الاستراتجية. *المركز العربي لابحاث الفضاء الالكتروني*.
18. عتيقة لحواطي. (29 نيسان /أبريل , 2019). الاتصال العلمي الالكتروني ودوره في إنتاج البحوث العلمية في البيئةالأكاديمية. *مجلة بيليوفيليا لدراسات المكتبات والمعلومات، 02*، 67-69.
19. عمر صخري. (2003). *.إقتصاد المؤسسة* (الإصدار ط 3). ديوان المطبوعات الجامعية.
20. لبنى رحموني. (2025). الفضاء الرقمي وإعادة تشكيل مفهومي إدراك الزمن والمعنى: الانعكاسات الفلسفية. *مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية*، 1121.
21. محمد محمد الهادي. (2023). تأثير التكنولوجية الذكية المتقدمة على تحول المكتبات التقليدية المتقدمة إلى مكتبات وخدمات ومعلومات ذكية. *مجلة الجمعية المصرية لنظم المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات*(31)، 27.
22. منية قوابسي. (30 ديسمبر, 2019). الميديا الجديدو نشر القيم في المجتمع الافتراضي. *المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، 06*(04)، 14-15.
23. وعد مومني. (2023). نظريات الإعلام الرقمي المعاصرة. *مجلة قاف*، 02.

مواقع إنترنيت:

24. *ARAB-NEWS/ALGERIA-NEWS . (s.d.). Consulté le 07 08, 2017, sur http://WWW.NMISR.COM.*
25. *deenosseni, c. (s.d.). la stratégie de marque comme élément de consolidation de relation client. Consulté le 02 17, 2017, sur www.mémoire onlin.com.*
26. *Dévloper et gérer sa marque. (2017, 02 17). Récupéré sur économie.gov.*
27. *PLAN DE COMMUNICATION POUR QUOI UNE IDENTITE VISUALLE.* (2017). Consulté le 03 15, 2017, sur WWW.COMMENTDEVENIR.INDEPENDANT.FR.

28. Popular Science Arabia. (01 جانفي, 2026). *الأثير Aether*. تم الاسترداد من https://popsciarabia.com/.

29. *الموقع الرسمي حمود بوعلام*. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 08 07, 2017، من HTTPS://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q.

30. دعاء خضر. (05 03, 2017). *بين الثقافة والهوية*. تم الاسترداد من academia.adu..

31. محمد أبو خليف. (2022). تعريف الإعلام. موقع موضوع. تمت الاستفادة من الموقع في 9 شباط 2026). من https://mawdoo3.com/تعريف_الإعلام.

The impact of media on social and cultural values and digital privacy

SAKINA Djeradi [1]
University ibn khaldoun Tiaret
sakina.djeradi@univ-tiaret.dz
SOUMIA Omrane [2]
University ibn khaldoun Tiaret
somia.omrane@univ-tiaret.dz

Abstract:

Digital transformations across various fields have brought about several developments in the structure of media and communication. These media have become a vital space for discussing the growing roles of media and modern technologies within the structure of society as a whole. On the one hand, digital technologies such as artificial intelligence and other interactive platforms have contributed to reshaping the production and dissemination of scientific knowledge. Scientific discourse is no longer confined to academic institutions but has become accessible to the public through multiple media, thus enhancing communication among members of society. On the other hand, these technologies have influenced values and behaviors, both positively through the dissemination of knowledge and the promotion of community participation, and negatively through misinformation and fake news. The aim of this study is to analyze the impact of media, particularly digital media, on social and cultural values, as well as the level of awareness of digital privacy among individuals. The results show that media has a pivotal influence on reshaping values and behaviors, with a noticeable weakness in the awareness of the risks of digital privacy.

Keywords: Digital media, scientific discourse, digital technologies, media credibility, media misinformation.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

تأثير الإعلام على القيم الاجتماعية والثقافية والخصوصية الرقمية

جرادي سكينة [1]

جامعة ابن خلدون تيارت –الجزائر

sakina.djeradi@univ-tiaret.dz

عمران سمية [2]

جامعة ابن خلدون تيارت –الجزائر

somia.omrane@univ-tiaret.dz

ملخص:

أحدثت التحولات الرقمية في شتى الميادين عدة تطورات في بنية وسائل الإعلام والاتصال، حيث أصبحت هذه الأخيرة فضاءً حيويًا لمناقشة الأدوار المتنامية للإعلام والتقنيات الحديثة وفي بنية المجتمع ككل، فمن جهة، أسهمت التقنيات الرقمية كالذكاء الاصطناعي وغيره من المنصات التفاعلية في إعادة تشكيل إنتاج المعرفة العلمية ونشرها، حيث لم يعد الخطاب العلمي حكرًا على المؤسسات الأكاديمية، بل أصبح متاحًا للجمهور عبر وسائط متعددة، ما عزّز التواصل بين أفراد المجتمع. ومن جهة أخرى، أثر في القيم والسلوكيات سواء بشكل إيجابي عبر نشر المعرفة وتعزيز المشاركة المجتمعية أو بشكل سلبي عبر التضليل والأخبار الزائفة. والهدف من هذه الدراسة هو تحليل تأثير وسائل الإعلام خاصة الرقمية منها، في القيم الاجتماعية والثقافية، وكذلك مستوى الوعي بالخصوصية الرقمية لدى الأفراد. بحيث أظهرت النتائج أن للإعلام تأثرا محوريًا في إعادة تشكيل القيم والسلوكيات، مع وجود ضعف ملحوظ في إدراك مخاطر الخصوصية الرقمية.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الرقمي، الخطاب العلمي، التقنيات الرقمية، المصداقية الإعلامية، التضليل الإعلامي.

مقدمة:

شهد الإعلام في الآونة الأخيرة تغيرات عدة وذلك بتطور التكنولوجيا التي أحدثت نقلة نوعية، فبعدما كان الفرد يعتمد على الأساليب التقليدية مثل الصحافة، والإذاعة، والتلفزيون في تبادل المعلومات، اليوم أصبح الإعلام الرقمي هو البديل في تناقل المعلومات وذلك فور حدوثها من أي موقع أو منصة كانت، بل هذا الأخير زاد من سرعة ربط المجتمعات وتعزيز التواصل فيما بينهم، غير هذا يُعدّ الإعلام الرقمي أيضا من أهم الركائز الأساسية في المجتمعات، إذ يلعب دورًا محوريًا في توجيه الرأي العام وكذا تشكيل الوعي العام، فهو الوسيلة التي يتم من خلالها إيصال الأخبار، والمعارف، وتبادل الثقافات بين الأفراد. ومع هذا أصبح الإعلام قوة مؤثرة في مختلف المجالات الأمر الذي يفرض مسؤولية كبيرة على القائمين عليه للالتزام بالمصداقية، والموضوعية، وأخلاقيات المهنة.

هذه الثورة المعلوماتية لا تقتصر فقط على جوانب تقنية فحسب، بل أصبحت ترفًا معرفيًا يشمل التثقيف، والتوجيه، والترفيه، مما يجعله أداة فعّالة في دعم وتعزيز القيم الإنسانية وضرورة علمية ومجتمعية لفهم ديناميكيات التغيير وضمان توظيف التقنيات الحديثة للتمسك بالخصوصية الثقافية والاجتماعية بالإضافة إلى هذا تعزيز التفاعل بين المجتمعات. وبالتالي يعد الإعلام مسألة أخلاقية تتعلق بتأثيره على القيم الاجتماعية والثقافية وكذا الخصوصية الرقمية، ومن هنا تبرز أهمية الدراسة لفهم كيف يمكن للإعلام أن يسهم في تشكيل الخطاب العلمي بين دعم المعرفة العلمية من جهة، ومن جهة أخرى كيف يؤثر على الخصوصية الثقافية والرقمية.

انطلاقا من هذا يمكننا طرح التساؤل التالي :

- كيف تؤثر هذه التحولات في القيم الاجتماعية والهوية الثقافية والخصوصية الرقمية؟ وما هي مظاهر الإعلام بين الجوانب الإيجابية والسلبية؟

المحور الأول: ضبط المفاهيم

1.الإعلام:

- **مفهوم الإعلام لغة:** مصدر الفعل الرباعي أعلم، يقال: أعلم يُعلمُ إعلاما، وأعلمتُه بالأمر: أبلغته إياه، وأطلعته عليه، جاء في لغة العرب: اســـتعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واســـتعلمني الخبر

فأعلمته إياه، وقال سيبويه:" أعلمتُ" كآذنتَ" (ابن منظور، دس، ص371)؛ ويُقالُ: بلغت القوم بلاغاً: أي أوصلتهم بالشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك ففي الحديث:" بلغوا عني ولو آية" (رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما)، الإعلام هي كلمة ذات أصل غربي(l'information) مشتقة من الفعل أعلم، لها نفس المعنى مثل: أخبر، وأنبأ، وجميعها تعني تقديم المعلومات والأخبار إلى أفراد المجتمع. (الفار، 2010، ص28).

- اصطلاحا: يقصد بالإعلام تلك العملية التي يترتب عليها نشر الأخبار والمعلومات الدقيقة التي ترتكز على الصدق والصراحة، ومخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية، والارتقاء بمستوى الرأي، ويقوم الإعلام على التنوير والتثقيف، مستخدما أسلوب الشرح والتفسير بمستوى الجدل المنطقي، كما يعني الإعلام تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة والواضحة. (الفار، 2010، ص28).

يمكن تعريف الإعلام "بأنه وسيلة لتزويد الناس بالأخبار الصحيحة والسليمة التي تساعدهم على تكوين رأى صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم" (حمزة، 1965، ص43).

حسب التعريفات الواردة يمكن القول أنه عبارة عن كافة أوجه النشاطات الاتصالية التي تستهدف تزويد الناس بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا ومجريات الأمور بموضوعية وبدون تحريف مما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي لدى فئات الجمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات المطبوعة، بما يسهم في تنوير الرأس العام وتكوين الرأي الصائب لدي الجمهور. كما يقوم بتوجيه الانتباه نحو القضايا الهامة وتسليط الضوء على المشاكل والتحديات التي يواجهها المجتمع، مما يساعد في تعزيز التفاهم وتحقيق التغيير الإيجابي.

في إطار هذه الدراسة يشير مفهوم الإعلام إلى أنه مجال قائم على تبادل المعلومات بين الجمهور لتثقيفه، حيث يقدم برامج توعوية وثقافية تساهم في نشر الوعي وتعزيز المعرفة لدى الأفراد.

كما يسهم في نقل القيم والأخلاقيات الإنسانية وتعزيز التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع ولا يمكن إنكار أن الإعلام يمثل قوة فعالة في تحقيق التغيير والتطور في المجتمعات، ولذلك يجب الاعتراف بأهميته والعمل على دعمه وتطويره بما يخدم مصلحة الجميع.

2. **الإعلام الرقمي**: يعرَّف الإعلام الرقمي بأنه نمط اتصالي حديث يعتمد على التقنيات الرقمية في إنتاج المحتوى الإعلامي ونشره وتداوله، ويشمل مواقع التواصل الاجتماعي، المنصات الرقمية، المواقع الإخبارية الإلكترونية، وتطبيقات الهواتف الذكية. (قوعيش، 2018، ص265-284).

في إطار هذه الدراسة يشير مفهوم الإعلام الرقمي إلى تحولات عميقة في أنماط التواصل الاجتماعي والأنشطة الإعلامية وأدوات الاتصال الرقمي، وأصبح فاعلًا أساسيًا في تداخل القيم الاجتماعية والثقافية بين الأفراد.

3. **القيم الاجتماعية**: نعرف أن القيم الاجتماعية عبارة عن مجموعة من المعايير والمبادئ التي تنظّم سلوك الفرد داخل المجتمع، وذلك بتوجيه علاقاتهم الاجتماعية وفق ما هو مقبول أو مرفوض داخل النسق الاجتماعي، كالاحترام، التضامن، التعاون، وغيرها من القيم السائدة في المجتمع.

4. **القيم الثقافية**: تشير القيم الثقافية إلى مجموعة العناصر التي تتشكل في الأساس النسق القيمي المرتبط بالهوية الثقافية، والذي يشمل العادات والتقاليد، اللغة، الرموز، وأنماط التفكير، بحيث يؤدي الإعلام الرقمي دورًا مزدوجًا في هذا السياق، إذ يمكن أن يساهم في تعزيز الثقافة أو في إضعافها عبر نشر ثقافات وافدة تؤثر على الهوية الثقافية

كما هو معروف أن هذه القيم الاجتماعية والثقافية هي نتاجًا للتنشئة الاجتماعية بحيث تأثر وتتأثر بمختلف المؤسسات الاجتماعية ولا سيما وسائل الإعلام والاتصال الحديثة.

5. **الخصوصية الرقمية**: هي حق الفرد في حماية بياناته الشخصية ومعلوماته الخاصة أثناء استعمال الوسائط الرقمية، بحيث يتحكم في كيفية جمعها وتخزينها واستخدامها ومشاركتها عبر المنصات الإلكترونية، مع الالتزام بالمصداقية في نقل المعلومات.

المحور الثاني: تأثير الإعلام الرقمي على القيم الثقافية و الاجتماعية

يعتبر الإعلام أحد أهم السمات التي تقوم على تشكيل الرأي العام، حيث يتمثل دوره في توجيه الآراء وتوجيه الانتباه نحو القضايا المهمة والمثيرة للجدل، كما تسهم ووسائل الإعلام في تحليل الأحداث وتقديمها

بطريقة تساهم في تشكيل رأى الجمهور وتوجيه على سبيل المثال، عندما يتم تغطية حدث معين بشكل مكثف من قبل وسائل الإعلام، فإن ذلك يمكن أن يؤدي إلى تكوين آراء محددة بشأن هذا الحدث وتوجيه التفكير الجماعي نحو فهم معين لهذه القضايا.

1. **الإعلام الاجتماعي وتأثيره على القيم الاجتماعية**: (العوضي، 2018)

مع ظهور وسائل الإعلام الاجتماعي، زادت قوة التأثير على الرأي العام بشكل كبير. فبالإضافة إلى الصحافة التقليدية، أصبح بإمكان الأفراد والجماعات أن ينشروا آرائهم وتوجهاتهم وأفكارهم عبر منصات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وإنستغرام. وهذا يعني أنه يمكن لأي شخص أن يؤثر في الرأي العام من خلال نشر المحتوى الذي يتناسب مع قناعاته ومعتقداته. وبالتالي يمكن للإعلام الاجتماعي أن يسهم في تشكيل الرأي العام وتحديد اتجاهاته بشكل أكبر من أي وقت مضى.

هذه النقاط تؤكد أهمية الإعلام في نقل المعرفة وتشكيل القيم الاجتماعية ، وتبرز دوره الحيوي في تطوير المجتمعات وتعزيز التفاهم والتواصل بين أفرادها.

فحسب نظرت المبحوثين، أن الإعلام الرقمي يساهم في تعزيز بعض القيم الاجتماعية مثل سرعة التواصل وتوسيع دائرة العلاقات الاجتماعية، إلا أنه في المقابل أدى إلى ضعف العلاقات الأسرية المباشرة وتقليص التفاعل الاجتماعي الواقعي.

2. **الإعلام الاجتماعي وتأثيره على القيم الاجتماعية**

تعتبر وسائل الإعلام أحد أهم العوامل التي تؤثر على القيم الثقافية، يمكن للإعلام أن يلعب دوراً حيوياً في تشكيل وتعزيز قيمه الأساسية. مثل البرامج الثقافية والمسلسلات التلفزيونية، يمكن للإعلام أن يسلط الضوء على قيم معينة كالعدالة، الاحترام، والتسامح، وبالتالي يساهم في تعزيزها وترسيخها في وعي الجمهور. (احدادن، 1993، دس).

بيّنت آراء المبحوثين أن الإعلام الرقمي ساهم في الانفتاح الثقافي، لكنه أدى في الوقت نفسه إلى تراجع بعض الممارسات الثقافية التقليدية، خاصة لدى فئة الشباب، نتيجة التأثر بالمحتويات الإعلامية.

أصبح الإعلام الرقمي اليوم قوة ناعمة قادرة على توجيه الرأي العام، وتشكيل القيم الاجتماعية والثقافية، وإعادة صياغة مفاهيم الخصوصية، ومع هذا يعتبر الإعلام الرقمي جوهر التحولات التكنولوجية،

مثل تحديات الخصوصية الرقمية، التي أصبحت عنصر فعال في تشكيل القيم الثقافية والاجتماعية وهذا بفضل التغيرات في عادات استهلاك المحتوى، وتوجهات الإعلانات الرقمية، وهذه التحديات تجاوزت الحواجز المكانية والزمنية التي كانت تعيق وسائل الإعلام التقليدية.

المحور الثالث: تحديات الخصوصية الرقمية

1. الإعلام الرقمي والتحديات الخصوصية على القيم الاجتماعية والثقافية

شهد الإعلام الرقمي على كافة الأصعدة تطورا ملحوظا من حيث بنيته مما أدى إلى انتشار واسع لوسائله المختلفة، ساهمت هذه الوسائط أو الوسائل بالإيجاب في التفاعلية والمشاركة بين أفراد واندماج الوسائط المتعددة في ما بينها "كالصوت والصورة" وغيرها من الوسائط لاغني عن ذكرها. إضافة إلى هذا سرعة وصول المعلومات، زيادة وسائل الترفيه والترويح، تحديد الوثائق المطلوبة بسرعة فائقة، ورغم تعدد إيجابياته سواء ثقافية أو اجتماعية، إلا أنه لا يخلو من السلبيات منها تحديات الخصوصية الرقمية التي تؤثر في سلوك الأفراد ونظرتهم للإعلام الرقمي وثقتهم به من بينها تسريب البيانات الشخصية، الاختراقات الإلكترونية وهذا يعود إلى عدم كيفية استعمال الإعلام الرقمي

وهذا ما صرح به أغلب المبحوثين مثل وجود ضعف في الوعي بالخصوصية الرقمية، وعدم الثقة الكاملة في المنصات الرقمية، تزعزع الهوية الثقافية وتراجع استخدام اللغة العربية الفصحى.

في حين نجد البعض الأخر يرى أن وسائل التواصل سهّلت الحفاظ على العلاقات البعيدة لكنها في المقابل قلّصت من جودة العلاقات الأسرية.

إذن نجد أن الإعلام الرقمي أسهم في إعادة تشكيل أنماط التفاعل الاجتماعي، حيث أصبح التواصل افتراضيًا أكثر من كونه مباشرًا، ولوحظ تراجع بعض القيم الاجتماعية التقليدية مثل، الزيارات العائلية، نقص الحوار المباشر داخل الأسرة في المقابل برزت قيم اجتماعية جديدة، من بينها سرعة التفاعل والتضامن مع بعضهم البعض، هذا الإعلام الرقمي فتح المجال أمام الانفتاح الثقافي والتعرف على ثقافات مختلفة.

لكن على الرغم من هذا نرى أن الإعلام الرقمي لا يهدد القيم الثقافية في حد ذاته، بل يعتمد تأثيره على:

مستوى الوعي الثقافي لدى الفرد تكمن في كيفية استعماله للوسائل والحفاظ علي القيم الثقافية والاجتماعية، وهذا حسب منظور النظرية الحتمية القيمية لعبد الرحمن عزي التي تؤكد على أن وسائل الإعلام في حد ذاتها ليست تحديات بل هي مرتبطة بالبنية الثقافية والاجتماعية التي من خلالها تتشكل الهوية الثقافية وكل القيم التي تعزز على التنوع الثقافي بحيث تؤثر فيه ويتأثر بيها. ومن بين مبادئ النظرية هي التوافق والتشارك بشكل واعي في العملية الاتصالية وربط القيم مع بعضها البعض حول التقدم والرقي.

وهذا عكس ما يراه الآخر الذي يكمن في تحديات الخصوصية الرقمية التي تُعد من أكثر الإشكالات إلحاحًا في البيئة الرقمية، ضعف التحكم في إعدادات الخصوصية نقص المعرفة بكيفية حماية البيانات الشخصية وتغيّر سلوك المستخدمين

انعكس هذا الوضع على القيم الثقافية الاجتماعية، خاصة المجتمعات العربية وذلك لافتقارها للمعايير التي تضمن الحفاظ على الخصوصية الرقمية كضعف الثقة المتبادلة، انتشار ثقافة الخوف والرقابة. وبالمقارنة مع بعض الدراسات والتقارير التي ترى أن تقر بإلغاء الحدود التقليدية للتواصل وتغيير أنماط التفاعل الاجتماعي

كما أن التأثير الثقافي ليس سلبيًا مطلقًا بل يتحدد بدرجة الانتقاء والوعي الثقافي لدى المستخدم مثل:

- ربط تحديات الخصوصية الرقمية بتغير القيم الاجتماعية مثل الحذر في التفاعل وتراجع الثقة الاجتماعية.
- التأثير ليس أحادي الاتجاه بل هو عملية تفاعلية بين الإعلام والمستخدم
- كما تُظهر أن الخصوصية الرقمية أصبحت قيمة اجتماعية وثقافية بحد ذاتها، وليست مجرد مسألة تقنية.

خاتمة

في ختام يتضح أن الإعلام الرقمي لم يعد مجرد وسيلة لنقل المعلومات أو أداة للتواصل، بل أصبح فاعلًا اجتماعيًا وثقافيًا مؤثرًا في تشكيل منظومة القيم داخل المجتمع المعاصر، فقد أفرزت التحولات الرقمية أنماطًا

جديدة من التفاعل الاجتماعي، وأسهمت في إعادة صياغة العلاقات الإنسانية، بما يحمله ذلك من أبعاد إيجابية وسلبية في آن واحد.

كما أن الإعلام الرقمي أسهم في تعزيز بعض القيم الاجتماعية الحديثة، مثل سرعة التواصل، وتوسيع شبكات العلاقات، والتضامن الرقمي، إلا أنه في المقابل ساهم في إضعاف بعض القيم الاجتماعية كالتفاعل المباشر داخل الأسرة وتشتت والروابط الاجتماعية مما يعكس هذا التحول انتقال المجتمع من نمط تواصل تقليدي إلى نمط رقمي.

كما أن القيم الثقافية تأثرت بشكل ملحوظ بالإعلام الرقمي، حيث أتاح هذا الأخير فرصًا واسعة للانفتاح الثقافي والتعرف على أنماط ثقافية متعددة، وقد تبين أن تأثير الإعلام الرقمي على القيم الثقافية لا يتسم بالطابع السلبي المطلق، بل يتحدد بدرجة الوعي الثقافي لدى المستخدم، وقدرته على الانتقاء والنقد، وهو ما يتفق مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات السابقة.

وفيما يتعلق بالخصوصية الرقمية، كشفت نتائج الدراسة عن وجود تحديات حقيقية تواجه المستخدمين، تتمثل أساسًا في ضعف الوعي بمخاطر الفضاء الرقمي، وقلة التحكم في إعدادات الخصوصية، إلى جانب محدودية الثقة في المنصات الرقمية فيما يخص حماية البيانات الشخصية. وقد انعكست هذه التحديات بشكل مباشر على السلوك الاجتماعي للأفراد، حيث أدت إلى انتشار الحذر في التفاعل الرقمي، وتراجع الثقة المتبادلة، وظهور أشكال جديدة من الرقابة الذاتية، مما يجعل الخصوصية الرقمية قيمة اجتماعية وثقافية ناشئة في المجتمع الرقمي.

وانطلاقًا مما سبق، يمكن القول أن الإعلام الرقمي يمثل سلاحًا ذو حدين، فهو قادر على دعم القيم الاجتماعية والثقافية وتعزيزها إذا ما استُخدم بوعي ومسؤولية، كما يمكن أن يسهم في إضعافها في حال غياب الضوابط الأخلاقية والوعي الرقمي، لذا لابد من حماية الخصوصية الرقمية والحفاظ على القيم الاجتماعية والثقافية للمجتمع.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور، دس، لسان العرب، ط1، ج9، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
2. رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما-

3. محمد جمال الفار، 2010، المعجم الإعلامي، الأردن، دار أسامة المشرق الثقافي، 2010.
4. حمزة عبد اللطيف، 1965، -عن الباحث الألماني أتوجروت -الإعلام تاريخه ومذاهبه دار الفكر، القاهرة.
5. قوعيش جمال الدين، 2018، التربية الإعلامية والإعلام الرقمي، مبحث في التحديات والاستراتيجيات، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد 02،العدد 02.
6. زهير احدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
7. ولاء العوضي، محاضر واستشاري العلاقات العامة والاعلام مدير العلاقات العامة بشركة مياه الشرب https://walaaelawady.com بتاريخ 2025/12/21، على 17:49.

The Social Proof Technique in Mass Communication and Its Role in Mobilizing the Social System

Bargouk mariem
University of Algiers 3
Merie2105@gmail.com

Abstract:
. The social proof technique in mass communication is based on the assumption that when individuals seek to determine what is right or appropriate, they tend to look at what others consider right. This principle applies particularly to the way people decide which behaviors are correct. In other words, an individual's standard for judging whether a behavior is right or wrong is often linked to observing others performing it. When people see others engaging in a specific action, this becomes sufficient evidence for them that the behavior is appropriate.

Individuals are often motivated to adopt certain actions or embrace particular ideas simply because others have already done so. This reflects important psychological realities within the communication process. Social proof represents a social mechanism that regulates individual behavior and shapes the dynamics of social persuasion, whether at the level of the individual, the group, or the broader social environment.

Keywords: Social Proof, Mass Communication, Social Influence, Persuasion, Collective Behavior, Media Effects.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

تقنية البرهان الاجتماعي لوسائل الاتصال الجماهيري ودورها في تعبئة المنظومة المجتمعية

برقوك مريم
جامعة الجزائر3
Merie2105@gmail.com

ملخص:

تقوم تقنية البرهان الاجتماعي في وسائل الاتصال الجماهيري على افتراض مفاده أنه عندما يسعى الأفراد إلى تحديد ما هو صواب أو مناسب، فإنهم يميلون إلى النظر إلى ما يعتبره الآخرون صوابا. وينطبق هذا المبدأ بشكل خاص على الطريقة التي يقرر بها الناس أي السلوكيات صحيحة. وبعبارة أخرى، فإن معيار الفرد في الحكم على السلوك، سواء أكان صوابا أم خطأ، يرتبط غالبا بملاحظة الآخرين وهم يمارسونه. فعندما يرى الأفراد غيرهم ينخرطون في سلوك معين، يعد ذلك بالنسبة إليهم دليلا كافيا على مشروعيته وصحته.

وغالبا ما يقدم الأفراد على تبني أفعال معينة أو اعتناق أفكار محددة لمجرد أن الآخرين قد فعلوا ذلك أو اقتنعوا به. ويعكس هذا الأمر حقائق نفسية مهمة داخل العملية الاتصالية، حيث يشكل البرهان الاجتماعي آلية اجتماعية تضبط سلوك الأفراد، وتؤثر في ديناميات الإقناع الاجتماعي، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو داخل البيئة المجتمعية الأوسع.

الكلمات المفتاحية:

البرهان الاجتماعي، وسائل الاتصال الجماهيري، التأثير الاجتماعي، الإقناع، السلوك الجمعي، تأثيرات وسائل الإعلام.

مقدمة:

مما لا شك فيه، أن المحتوى الاجتماعي لوسائل الاتصال الجماهيري هو الأكثر إثارة للرأي العام، لسبب بسيط وهو ارتباطه الوثيق بالمصالح والاهتمامات اليومية للأفراد، وفي بعض الأحيان يكون متعلقا بالوجود الاجتماعي نفسه للأفراد والجماعات؛ كتلك الأحداث المتعلقة بالأزمات الكبرى، الأمن، الأوبئة، العنف، السكن وغيرها من القضايا التي تسيطر على الاهتمامات النفسية أو تشغل حيزا كبيرا من تفكيرهم. تتدخل أيضا وسائل الاتصال الجماهيري في صناعة السياسة المجتمعية من خلال تلك المعلومات التي تحملها على مدار الساعة.

ومن هنا يمكننا طرح التساؤل الجوهري التالي للإشكالية البحثية:

إلى أي مدى تساهم تقنية البرهان الاجتماعي في وسائل الاتصال الجماهيري في تعبئة المنظومة المجتمعية، وما حدود تأثيرها في تشكيل الاتجاهات والسلوك الجمعي؟

والإجابة على هذا السؤال الجوهري يتطلب منا طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية على النحو التالي:

1. **ما المقصود بتقنية البرهان الاجتماعي في سياق الاتصال الجماهيري؟**
2. **ما الآليات النفسية والاتصالية التي تعتمد عليها وسائل الاتصال الجماهيري في توظيف البرهان الاجتماعي؟**
3. **كيف يسهم المحتوى الاجتماعي لوسائل الاتصال الجماهيري في تعبئة الأفراد والجماعات أثناء القضايا والأزمات الكبرى؟**
4. **ما حدود وقيود تأثير تقنية البرهان الاجتماعي في تعبئة المنظومة المجتمعية؟**

منهج الدراسة:

يعد المنهج الوصفي- التحليلي أحد المناهج الأكثر شيوعا في ميدان البحوث الاجتماعية والإنسانية، بسبب سهولته ووضوح خطواته، وإمكانية استخدام الأساليب الإحصائية المختلفة في تحليل البيانات المجمّعة. يعتبر المنهج الوصفي طريقة مركزية في تطوير وإثراء الخلفية النظرية حول الموضوعات الكبرى مثل الاتصال، الجمهور، الأنظمة، المجتمع المدني والنظريات التحليلية المختلفة. من المفيد تحديد المضامين المفاهيمية لمصطلح "المنهج الوصفي" وطريقة استخدامه في تحليل الموضوعات، وقد اقترح علماء المنهجية

العديد من التعاريف، والتي منها من ينظر إلى المنهج الوصفي على أنه: "طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية ومشكلة اجتماعية أو سكان معينين".

محاور الدراسة:

1. **الإطار المفاهيمي لتقنية البرهان الاجتماعي**
2. **البرهان الاجتماعي في وسائل الاتصال الجماهيري**
3. **دور البرهان الاجتماعي في تعبئة المنظومة المجتمعية**
4. **حدود التأثير والاشكاليات الأخلاقية**

أولا: الإطار المفاهيمي لتقنية البرهان الاجتماعي

تقوم هذه التقنية على افتراض مفاده أننا إذا أردنا معرفة ما هو صواب يجب البحث والعثور على ما يعتبره الآخرون صوابا. وينطبق هذا المبدأ على وجه الخصوص على الطريقة التي نقرر بها ماذا يدخل في تكوين السلوك الصواب. بمعنى آخر، أن معيار الفرد في معرفة خطأ السلوك أو صوابه مرتبط بفعل الآخرين له. فإذا ما رأى الآخرين يقومون به فهذا يعتبر دليلا كافيا بالنسبة إليه على أن السلوك صواب.

وعادة ما يندفع الأفراد للإقدام على أفعال معينة أو الإقتناع بأفكار ما، لأن غيرهم فعل ذلك أو اقتنع بذلك. ونحن عندنا في المجتمع الجزائري مثل شعبي يقول: (دير كيما جارك أو أغلق باب دارك). وهذا المثل الشعبي يحمل في طياته الكثير من الحقائق النفسية في عملية الاتصال. فهو يعبر عن حقيقة مجتمعية تضبط سلوك الأفراد، وتتحكم في عملية الإقناع الاجتماعي، سواء في دائرة الفرد أو الجماعة أو المحيط. (سيالديني،، 2009،ص35)

فالإنسان قادر على التعلم عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين، والمعروض عليه في شكل نماذج معينة، ويعطى الفرد فرصة ملاحظة هذه النماذج، ويطلب منه أداء نفس السلوك النموذجي الذي لاحظه، بمعنى يطلب منه إعادة إنتاج السلوك الذي لاحظه من جديد (لويس، ، 1994،ص103).

ويمكن عن طريق هذه التقنية، تغيير السلوك أو تعديله، أو إحداث تعلم سلوكي أو معرفي جديد، ويتم كل ذلك عن طريق الملاحظة. بمعنى أن الفرد يلاحظ النموذج، ثم يقوم بعملية نقل أنواع السلوك التي وقعت

منه موقع الإعجاب، ثم يحاول أن يقوم بعملية تقمص وجداني وسلوكي لتلك النماذج السلوكية التي لاحظها. ويركز اهتمامه على الجوانب التي تشبع حاجة من الحاجات النفسية التي يعاني من فقر فيها.

وقد أورد لويس كامل مليكة (1994) بعض الأمثلة التي تبين مدى فعالية هذه التقنية في تعديل السلوك، وتغيير الاتجاهات. فقد استطاع أوكونر أن يغير سلوك الانزواء الاجتماعي لدى أطفال دور الحضانة، إلى سلوك فيه قدر كبير من التفاعل الاجتماعي عن طريق عرض فيلم يظهر تفاعلات اجتماعية نشطة وإيجابية بين الأطفال في الوقت الذي تؤكد فيه صورة الفيلم على السلوك الاجتماعي المناسب للنماذج. فهذا الشريط يحتوي على نماذج جذابة، جعلت من الأطفال الملاحظين لها، يقومون بتقمص تلك النماذج السلوكية المعروضة. وبالتالي ينتقلون من السلوك المنطوي إلى السلوك الاجتماعي النشط، المتسم بقدر أكبر من التفاعل والاتصال والاحتكاك الاجتماعي.

ويرى ملفين ديفلور وزميله (ملفين،، د.ت،ص302) أنه إذا أردنا إسقاط أفكار تقنية البرهان الاجتماعي على وسائل الإعلام، يمكن أن نتبع مجموعة من المراحل هي كالتالي:

1. يلاحظ أحد أفراد جمهور المستمعين، أو المشاهدين، أو القراء، أن أحد الأشخاص (النموذج) يشترك في نموذج للتصرف في المحتوى الإعلامي.

2. يتعرف الملاحظ على النموذج، ويتماثل معه، أي يعتقد أنه يشبه النموذج، أو يريد أن يكون مثل النموذج، أو يرى أن النموذج جذاب وجدير بأن يقلده.

3. بعد ذلك يدرك الملاحظ وهو واع أو يصل إلى استنتاج بدون وعي، أن هذا السلوك سوف يؤدي إلى نتائج مرغوب فيها إذا ما قلده في موقف معين. بمعنى آخر، أن الملاحظ إذا تعرض لموقف مشابه لما شاهده، يعتقد أن هناك تلاؤم ومناسبة بين السلوك المشاهد والموقف المواجه، ومن ثم توظيف السلوك النموذجي عمليا وهي غاية التقنية النهائية.

4. المرحلة الرابعة هي مكملة للمرحلة الثالثة، بحيث أن الملاحظ يتذكر تصرفات النموذج عندما يواجه الظروف (موقف التأثير)، ويتخذ من السلوك الذي اقتنع به كوسيلة للاستجابة لهذا الموقف.

5. في حالة تبني الملاحظ لذلك السلوك في مواجهة موقف التأثير، تحدث حالة من الشعور بالرضا أو الراحة النفسية، أو المكافأة. لأن الموقف ككل هو إشباع لحاجة نفسية لدى الفرد، والتي بمقتضاه انتقى

الملاحظ سلوكا معينا من النموذج، ووظفه في موقف معين. وبهذا الشكل تتكون الرابطة بين هذه المؤثرات والاستجابة المستوحاة من النموذج، ويزداد تدعيمها.

6. وأخيرا، يتدعم استعمال الفرد للسلوك الملاحظ في المواقف المواجهة، كلما كان هناك دعم إيجابي من المحيط لهذا السلوك. بمعنى آخر، كلما لقي هذا السلوك تأييدا من أفراد المحيط القائم في شكل مدح وإعجاب ورضا، كلما أدى ذلك إلى تعزيز وتدعيم السلوك المتبنى عن طريق الملاحظة، وبالتالي ثبات الفرد على ذلك السلوك.

ثانيا: البرهان الاجتماعي في وسائل الاتصال الجماهيري

1.التفاعلية الرزمية بين وسائل الاتصال الجماهيري والبرهان الاجتماعي:

كلمة الاتصال مشتقة من الأصل اللاتيني Communis بمعنى عام أو شائع. وقد أورد عاطف عدلي العبد عبيد مجموعة من التعاريف لكلمة اتصال نوردها كما يلي:

فقد عرّف "تشارلز كولي C. Cooley (1909) الاتصال بأنه: "ذلك الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية، وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان، وهي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونغمات الصوت والكلمات والطباعة والخطوط الحديدية والبرق والتليفون وكل تلك التدابير التي تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدي الزمان والمكان".

كما يرى ريتشاردز (1928) أن الاتصال: "يحدث حيث يؤثر عقل في عقل آخر، فتحدث في عقل المتلقي خبرة مشابهة لتلك التي حدثت في عقل المرسل ونتجت جزئيا عنها".

ويعرّف جورج ليندبرج (1939) الاتصال بأنه: "التفاعل بواسطة الرموز والإشارات التي تعمل كمنبه أو مثير يثير سلوكا معينا عند المتلقي".

ويعرّفه هوفلاند (1948) بأنه: "عملية يقوم بمقتضاها المرسل بإرسال رسالة لتعديل سلوك المستقبل أو تغييره" (عاطف عدلي العبد عبيد،، 1997،ص11) وهناك من يعرّف مصطلح الاتصال بأنه: "العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين يختلف من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات المتضمنة فيه. وهو العملية الاجتماعية الأساسية طالما كانت المعاني والأفكار

التي تنتقل بواسطته مؤثرة في جميع العمليات الاجتماعية الأخرى والأشكال الناتجة عن هذه العمليات كالطرق الشعبية والسنن الاجتماعية والنظم، وكذلك الرأي العام بوصفه عملية اجتماعية تتأثر بأساليب الاتصال من زوايا متعددة". (عودة، 1988،ص05)

وهناك من يعرّف الاتصال بأنه: "مفهوم يقوم على نقل أو استيفاء أو تبادل للمعلومات بين أطراف مؤثرة ومتأثرة على نحو يقصد به ويترتب عليه تغيير في المواقف أو السلوك" (سعد،، 1979،ص05)

ويرى ميشال لونات Michel Lenet (1993) أن: "الاتصال لا يعني الإعلام والاستعلام فقط وإنما يعني الإقناع أي تغيير في آراء وسلوك الغير. إن الاتصال يرتكز بالخصوص على النتائج المترتبة عن التأثير المرتبط بالإقناع، وهو ضروري بالنسبة للتطور الفردي والجماعي. فالاتصال الاجتماعي يتناول الحياة الشخصية" (ميشال لونات،، 1993،ص109)

وهناك من يعرّف الاتصال بأنه: "مفهوم يشير إلى كل العمليات التي يؤثر بمقتضاها الناس على بعضهم البعض".* ويمكن أن نعرّف الاتصال من جهتنا بأنه: تلك العملية التي يتفاعل فيها شخصان أو أكثر عبر واسطة (الرسالة) تنقل بأداة اتصالية معينة غير محددة الشكل تبعا لتطورها عبر الزمان والمكان (الأداة)، وتؤدي إلى تأثير الأشخاص في بعضهم البعض من خلال ما نسميه بالإقناع والتأثير. ويتوقف على عملية الاتصال حركة المجتمع وتطوره، وتقسيمه للعمل، فهي الوجه الديناميكي التفاعلي للمجتمع. يعرف الاتصال الجماهيري بأنه: "المعلومات الجماهيرية التي تبث وتستلم أو عملية بث هذه المعلومات وتسلمها من جانب العناصر المختلفة لنظام اجتماعي ما. وقد تعد المعلومات الاجتماعية بالإشارة إلى محتواها وتأثيرها المقصود أو استثمارها من المتلقي وهنا تكمن العلاقة التكاملية بين عملية البرهان الاجتماعي وعملية الاتصال الجماهيري." (جوفر روبرت و أليستار إدواردز ، 1999،ص324) وهناك من يرى أن البرهان الاجتماعي والتفاعل من خلال العملية الاتصالية : "يرتبط به مفهوم آخر وهو الاتصال الجماهيري، سواء انطلق من المواطنين إلى السلطات، أو من المنظومة الاجتماعية ككل إلى المواطنين فرادى (الإعلام والدعاية)، أو الاتصالات السياسية . ومن جهة أخرى فإن الأزمات والمشاكل (إضرابات ومظاهرات) تعتبر ضربا من ضروب الاتصال الاجتماعي، حيث أن في جوهرها هي تعبير عن شعور بوجهات نظر مجموعة معينة.

ويتناول الاتصال الجماهيري الأنماط التالية: الاتصال الاجتماعي، والاتصال السياسي". (لونات،، 1993،ص109)

ويمكن تحديد معنى الاتصال الجماهيري في كل أشكال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات الاجتماعية المشكّلة لمفهوم البرهان الاجتماعي، بحيث تكون هذه الجماعات في موقف المؤيد للحركات الجمعوية أو على الأقل تحديد حجم معارضتها إلى المستوى الذي لا يؤثر على أداء الحركات الجمعوية وضمان استقرارها وقد يكون الاتصال السياسي موجه من الجماعات السياسية والاجتماعية نحو الحكومة من خلال العمل على إضعافها وإسقاطها وأخذ دورها. كما يتضمن الاتصال الجماهيري بين الأفراد والجماعات الاجتماعية، ممارسة عملية التنشئة الاجتماعية التي تعمل الحركات الجمعوية على أدائها بهدف الحصول على المؤيدين لها، وممارستها عبر رموز الثقافة الاجتماعية الأكثر عمومية، وهذا ما يتجلى في عملية البرهان الاجتماعي ويكون ذلك عن طريق وسائل مختلفة أبرزها وسائل الإعلام المرئية لفعاليتها في الوصول إلى كل الناس. النوع الآخر لعلاقات الاتصال الجماهيري هو علاقة الجماعات الاجتماعية مع الحكومة التي تتجسد في المقام الأول في انتخاب هذه الحكومة واحتضان برامجها السياسية والاقتصادية ومنحها شرعية حكمها ما دامت في الحكم. وأصبح هذا النوع من الاتصال الجماهيري ضروري لكل نخبة موجودة على قمة النظام الاجتماعي. وقد تقدم هذا النوع من الاتصال الجماهيري على غيره من الأنواع الأخرى التقليدية مثل الشرعية الوراثية، والشرعية الثورية، والشرعية العرقية.

ومن ناحية أخرى قد يتضمن مفهوم الاتصال الجماهيري من خلال تقنية البرهان الاجتماعي العلاقة بين المجتمعات والدول، في صورة تأثير وتأثر، وانتقال للقيم والأفكار والثقافات أو كما يسميها بعض علماء الاجتماع بظاهرة التثاقف أو التثقف من الخارج Aculturation. وهذه العملية قد تعمل في الاتجاه الإيجابي عندما تؤدي إلى تثقيف المجتمعات بالمهارات والأفكار الجديدة التي تعين الناس على تسهيل حياتهم اليومية، كما قد تعمل في الاتجاه السلبي عندما تستهدف قيم المجتمعات بالتهديم وتحطيم تماسكها كانتشار الإباحية الجنسية وتشجيع الطائفية والعرقية داخل المجتمع الواحد.

2. عناصر عملية الاتصال الجماهيري ضمن تقنية البرهان الاجتماعي:

2.1 المرسل الجمعوي: ويقصد به الشخص أو مجموعة من الأشخاص أو مؤسسة تريد أن تؤثر في الآخرين. وهذا التأثير قد ينصب على معلومات الآخرين واتجاهاتهم النفسية وأحاسيسهم ومشاعرهم وسلوكهم ومعتقداتهم. وهناك متغيرات تتحكم في المرسل أثناء عملية الاتصال نوردها كما يلي:

2.2. . دوافع المرسل الجمعوي من متغير البرهان الاجتماعي: هناك مجموعة من الدوافع يحملها هذا المرسل نعددها في الآتي:

3.2.دوافع اجتماعية مثل حب البروز، أو حب كسب الأنصار، أو تقديم الخدمات، أو مكافحة الآفات الاجتماعية، أو تعديل السلوك، أو تثقيف اجتماعي، أو توعية، أو إرشاد طبي، أو تنشئة اجتماعية.

4.2دوافع اقتصادية مثل ترويج بضاعة، أو إبراز أهمية ومركز مؤسسة من المؤسسات، أو إرشادات فلاحية، أو تنمية الدافع للإنتاج، أو حب العمل...

5.2دوافع سياسية مثل حملات انتخابية، أو تشويه المعارضة، أو دعم التعددية، أو تمرير مشاريع سياسية، أو ترسيخ قيم سياسية جديدة، أو شرح برامج، أو تنشئة سياسية...

6.2دوافع نفسية كدافع السيطرة، أو الإخضاع، أو تحسين الصورة، أو معالجات نفسية، أو تخويف، أو تشويق، أو تحذير، أو استرجاع الهيبة...

3.خصائص المرسل الجمعوي ضمن متغير البرهان الاجتماعي: يتميز المرسل بطائفة من الخصائص، تتحدد فيما يلي:

-مصداقية المرسل الجمعوي، والتي تشير إلى صفة الثقة والوزن النفسي والنفوذ الروحي الذي يسيطر به على المستقبلين، وبه يمارس عملية الاتصال، ويعدل سلوك المستقبلين.

-المكانة الاجتماعية، وتتعلق هذه الخاصية بالمكانة العلمية والاقتصادية والنَسبية، والتاريخ الشخصي.

-الجاذبية، وتشير إلى السمات الشخصية اللامعة في المرسل كجمال الوجه، والأناقة، وجمال الصوت، وحسن الحديث.

-شعبية المرسل الجمعوي، وتشير إلى سعة جماهيرية المرسل بين المستقبلين، والسمعة الحسنة، وشهرته بين الجمهور.

-المهارة الاتصالية للمرسل الجمعوي، بمعنى أن يتوفر على القدرة والمهارة التي تمكنه من التحدث أو الكتابة، بحيث يستطيع التأثير على أفكار الآخرين.

-المعرفة الواعية بالنظام الاجتماعي والثقافي الذي يعمل فيه.

1.3. الرسالة الاتصالية الجماهيرية: وهي الفكرة أو مجموعة الأفكار أو الأحاسيس أو القضايا أو الاتجاهات أو الخبرات التي يريد المرسل الجمعوي نقلها إلى المستقبل والتأثير عليه طبقا لها. ولكي تكون الرسالة الاتصالية مؤثرة ونافذة للجمهور، يجب أن تتوفر على ما يلي:

-إثارة الانتباه، ويقوم الانتباه بدور المصفاة التي تيسر نفاذ المعلومة حسب النوعية والجودة.

الجاذبية.،ساطة الأسلوب.،اتساق بنيان الحجج.المظاهر الكمية مثل المدة والتكرار.

-. المتلقي: ويقصد به الشخص أو مجموعة الأشخاص أو بصفة عامة جمهور المستقبلين الذين يستقبلون التأثيرات الصادرة عن المرسل الجمعوي. ويتضمن هذا العنصر مجموعة من العناصر، يجب على القائم بعملية الاتصال ضمن متغير البرهان الاجتماعي أن يضعها في حسبانه وهي:

-حاجات الفرد،الدوافع الاجتماعية للفرد.يئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد.

– الوسيلة الاتصالية: ويقصد بها الأداة الناقلة للرسالة الاتصالية، سواء تعلق الأمر بصحيفة أو راديو، أو تلفزيون، أو إنترنت..

ثالثا: دور البرهان الاجتماعي في تعبئة المنظومة المجتمعية:

1..الآلية التفسيرية لتعبئة المنظومة المجتمعية من خلال متغير البرهان الاجتماعي لا تكون عملية تعبئة المنظومة المجتمعية من خلال تقنية البرهان الاجتماعي لعملية الاتصال الجماهيري ذات فعالية إلا إذا تمكنا من الإجابة على مجموعة من الأسئلة:

-لماذا؟: ويتعلق هذا السؤال بالهدف المرسوم والمقصود من وراء عملية الاتصال الجماهيري. وهذا يقتضي تحديد الهدف الذي نريد أن نصل إليه بدقة من خلال تجسيد تقنية البرهان الاجتماعي لتعبئة المنظومة المجتمعية، بحيث يمكن تقييم هذا الهدف وحسابه بدقة. (حجازي،، 1982،ص195)

-**ماذا؟** بمعنى ماذا نريد أن نقول أو أن نكتب؟ وما هو المضمون الذي نضمّنه الرسالة لكي نصل إلى الهدف الذي نريده. ولذا، على القائم بالاتصال الجماهيري أن يجمع قدرا أكبر من المعلومات المتوفرة حول

موضوع حديثه، حتى يدعمه بالوقائع والشواهد والبراهين اللازمة التي من شأنها أن تزيد من مصداقية رسالته وموضوعيتها ، وتكون أكثر قبولا لدى المستقبل.

–من؟ يتعلق الأمر في هذه الخطوة بالجمهور المستهدف الذي توجه إليه الرسالة الاتصالية. وهذا يتطلب معرفة خصائص الجمهور المستهدف ونوعية فئاته الثقافية السائدة فيه. وكذلك معرفة القيم التي يمجدها ولا يستطيع التنازل عنها، والقيم الأقل من ذلك، بحيث يمكن التنازل عنها. إضافة إلى معرفة طبيعة الجمهور من حيث التغيير والثبات. بمعنى هل هو جمهور مرن يتقبل بسهولة الأفكار الجديدة، ويتأقلم معها ويتبناها، وهل هو سهل التغيير؟ أم هو جمهور جامد شديد الثبات، منطوي على ذاته وأفكاره، وينظر بحذر إلى الأفكار الجديدة، ومتمسك بما نبت عليه من أفكار وقيم وعادات وعلاقات اجتماعية. معرفة كل هذه الأشياء، تساعد القائم بالإقناع على إيصال رسالته إلى جمهوره، ونجاحه في النفاذ إلى قلوبهم وعقولهم وإقناعهم بمضمون رسالته.

–كيف؟ يتعلق هذا السؤال بآليات الإقناع التي يتبناها المقنع في تعبئة المنظومة المجتمعية، والتي بموجبها يستطيع النفاذ إلى قلب وعقل المستقبل وتقع رسالته منه موقع القبول والرضا والاقتناع.

–متى؟ يتناول هذا السؤال مسألة الزمن الذي ترسل فيه الرسالة المحتواة ضمن تقنية البرهان الاجتماعي، والذي هو في غاية الدقة والحساسية لتعبئة المنظومة المجتمعية. إذ تتطلب الرسالة الاتصالية إرسالها في الوقت الذي يكون فيه المستقبل مستعدا لتلقيها استعدادا نفسيا وعقليا ومحيطيا (ظروف البيئة الاجتماعية). ويرتبط عامل الزمن باستغلال الفرص التي يكون فيها المستقبل مهيئا لتلقيها، أو يقوم القائم بالإقناع بعملية تهيئة المستقبل لتلقي الرسالة.

–إرجاع الأثر، وهو يشير إلى مستوى الإقناع الذي أحدثته الرسالة في المستقبلين، أو نوعية الاستجابة إزاء الرسالة الاتصالية. وهو ميزان التقييم للقائم بالاتصال، لمعرفة مواطن الضعف والقوة في عملية التعبئة الاجتماعية، ويمكنه من تصحيح الأخطاء وإدخال التعديلات الممكنة . مما يجعل عملية الإقناع أكثر نجاحا.

.تقنية المجاملة في سياق البرهان الاجتماعي لتعبئة المنظومة المجتمعية:

يرى روبرت شيالديني (1988) (شيالديني،، 1988،ص33) أن تقنية المجاملة لتعبئة المنظومة المجتمعية تقوم على فكرة مفادها، أنه يجب علينا أن نقوم بسداد دين خدمة ما، قدمها لنا أشخاص آخرون ومن صنف مماثل. بمعنى إذا قام شخص بتقديم هدية بمناسبة العيد، أو بمناسبة الحصول على شهادة معينة، نجد أنفسنا مجبرين بدافع ردّ الجميل تقديم هدية مقابلة في إحدى المناسبات الجميلة لهذا الشخص. وإلا سنواجه عقابا من قبل الضمير في حالة الامتناع.

وفي هذا الإطار يذكر روبرت شيالديني تجربة قام بها أحد الأساتذة الجامعيين، وتتمثل في إرسال بطاقات عيد الميلاد لعينة من الناس الغرباء الذين لا يعرفهم تماما. وعلى الرغم من أنه توقع ردّ فعل ما، فإن ردّ الفعل الذي حصل عليه كان مثيرا للدهشة، إذ تدفقت عليه البطاقات المرسلة إليه من قبل الذين راسلهم، دون التفكير في ماهية وهوية المراسل المجهول. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن ردّ الجميل إلى صاحبه يفعل فعله في الفرد، ويدفعه لأن يقوم بسلوك معين، ما كان ليقوم به لو لم يتلق جميلا. بمعنى أن قاعدة المجاملة تنطوي على فعالية بالغة، تكمن في الشعور بالالتزام نحو من يقدمون لنا صنيعا، ومن واجبنا رد ذلك الجميل في أقرب فرصة تتاح لنا.

وتزداد أهمية هذه التقنية عندما ندرك أنها قاعدة عامة في جميع الثقافات البشرية لتعبئة المنظومة المجتمعية. فلا تكاد تخلو ثقافة منها، حتى إن علماء الاجتماع من أمثال ألفن جولدنر Alvin Gouldner، ذهبوا إلى القول أنه لا يوجد مجتمع بشري لا يخضع للقاعدة، ويسودها هذا المعيار.

ومن أكثر مجالات المجاملة حيوية الاتصال الجماهيري، فهي تظهر في كل مستوى من مستوياته. فعادة ما تقوم بعض الجماعات المجتمعية بمناصرة قضايا مجتمعية معينة، تجعل أصحاب هذه القضايا مدينين لهذه الجماعات مع بعضها البعض، ولا يتأخرون في الاستجابة إلى تأييدهم في مواقف معينة كتعبير على رد الجميل. وقد يحظى فرد من ضمن المنظومة المجتمعة بتأييد واسع في محفل من المحافل اليومية، وهذا التأييد يعبر في حقيقة الأمر، على رد الجميل لهذا الفرد.

وعلى المستوى المحلي، تقوم التجمعات المجتمعية الجماهيرية -من أجل المحافظة على بقاء ممثليها في مناصبهم- بتقديم عروض واسعة من الخدمات للأفراد الآخرين المنتمون والمهتمون بتلك الجماعات، والاهتمام بمصالحهم.

وكما يذكر روبرت شيالديني أن قاعدة المجاملة لها تأثير أيضا في المواقف البعيدة عن المال والتجارة، لاسيما في العلاقات التبادلية الخالصة. فقد أورد إيبل ابسفيلدت Eibel Eibesfeldt قصة ذلك الجندي الألماني خلال الحرب العالمية الأولى، حين كان يقوم بوظيفة أسر جنود من العدو واستجوابهم. وكان كثيرا ما أنجز هذا الجندي مثل هذه المهمات من قبل. وذات يوم عندما أرسل للقيام بعملية أسر جنود العدو للهدف ذاته، فقام بمهارة جس المنطقة بين الخطوط الأمامية، وفاجأ جنديا في الخندق، وكان من السهل تجريد الجندي من سلاحه، واقتياده إلى المعسكر، وكان الجندي أثناءها يتناول طعامه، وما أن رأى ذلك الجنديُ، الجنديَ الألماني قام مذعورا وبادره بمناولته طعامه. فهو قد قابل عدوه بالطعام الذي كان في يده، وهذا المشهد أثر في الجندي الألماني تأثيرا بليغا، وحينئذ قفل راجعا دون اقتياد الأسير، كرد جميل لهدية الأسير. فالجندي الألماني نسي مهمته التي قدم من أجلها، وخاطر بحياته من أجلها، تحت وطأة الشعور بالمديونية نحو الأسير، ولابد من مقابلة ذلك الموقف بموقف مماثل أو أحسن منه.

رابعا: حدود التأثير والإشكاليات الأخلاقية

لا شك في أن محتوى البرهان الاجتماعي لوسائل الاتصال الجماهيري هو الأكثر إثارة للرأي العام، لسبب بسيط وهو ارتباطه الوثيق بالمصالح والاهتمامات اليومية للأفراد، وفي بعض الأحيان يكون متعلقا بالوجود الاجتماعي والتعبئة الاجتماعية نفسها للأفراد والجماعات؛ كتلك الأحداث المتعلقة بالأزمات الكبرى، الأمن، الأوبئة، العنف، السكن وغيرها من القضايا التي تسيطر على الاهتمامات النفسية أو تشغل حيزا كبيرا من تفكيرهم. تتدخل أيضا وسائل الاتصال الجماهيري في صناعة محتوى البرهان الاجتماعي من خلال تلك المعلومات التي تحملها على مدار الساعة، حول مؤشرات المنظومة المجتمعية وأسواق المال والأعمال في المجتمعات الرأسمالية بشكل عام، وتكون أكثر حساسية تحت مخاوف الأزمات المالية والاجتماعية التي تضرب الحياة المجتمعية للفرد.

بطريقة أخرى، أصبحت وسائل الإعلام —سواء التقليدية منها أو الأكثر حداثة– جزءً غير قابل للانفكاك عن الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات، سواء المتعلمين أو غيرهم، الراشدين أو الأطفال. لذلك، تلجأ الفواعل المجتمعية: المجتمعية وحتى الحكومية، إلى الاعتماد المتزايد في التأثير الاجتماعي على وسائل الاتصال الجماهيري، يزداد هذا التركيز خلال فترات الأزمات العامة أو النقاش حول قضايا المجتمع الكبرى (كتابة/ تعديل الدستور، الاستفتاء وغيرها). وبذلك، تصبح هذه الوسائل وسائط بين النخب والجمهور بصفة عامة يتواصلون، يتحاورن ويتفاعلون عبرها باستمرار، وبذلك تصنع القرارات من خلال الأفعال، ردود الأفعال والتغذية الرجعية؛ إلى درجة أن أصبحت هذه الوسائط القنوات الأكثر فعالية في تلقي النظام الاجتماعي لمدخلات البيئات المحلية والخارجية، وبدوره يتلقى الرأي العام عبرها مخرجات النظام الاجتماعي.

هناك العديد من عوامل القوة في تأثير وسائل الاتصال الجماهيري على التعبئة المجتمعية، يأتي في مقدمتها عامل السرعة والنقل المباشر للأحداث ووصولها إلى كل المستويات الهرمية للنظام الاجتماعي، وكذا لجميع شرائح المجتمع دون قيود بيروقراطية أو غيرها. كذلك عامل الحرية وغياب القيود التقليدية عن تدفق المعلومات نحو الجهات التي تحتاجها، وتمكّن كل طرف للتصرف على نحو مناسب وسريع إزاء المدخلات المختلفة. وبناءً على ذلك، كلما كان لوسائل الاتصال الجماهيري هامش كبير من الحرية، ازداد مستوى تأثيرها على الرأي العام، يتعلق الأمر أساسا بمواقع التواصل الاجتماعي البعيدة عن رقابة الحكومات، التي أصبحت تجذب عددا كبيرا من الرأي العام خاصة فئة الشباب من الجنسين؛ لأنها تناقش كل القضايا بدون حدود أو قيود مادية أو معيارية وتتفاعل عبر دوائر حوارية تتجاوز الحدود الإقليمية للدول والمناطق، وكذا تتجاوز حدود الثقافات، الاثنيات والحضارات.

بسبب التدخل المتزايد لوسائل الاتصال الجماهيري في التأثير على الحياة العامة للمجتمعات، لم تعد الحكومات الوطنية المصدر الوحيد أو حتى الرئيسي في تدفق المعلومات، وبذلك تحولت إلى مجرد إحدى المصادر التي يعتمد عليها الناس في الحصول على المعلومات والأفكار التي تشبع حاجاتهم. بالطبع سوف يتدخل هذا المتغير الجديد في صياغة شكل التنظيم الاجتماعي وحتى المستوى السياسي، أين تصبح وسائل الاتصال الجماهيري جزءً أساسيا في مداولة وبلورة الخيارات وصناعة القرارات الكبرى للدولة والمجتمع؛ وهي آخذة في أن تعوض وسائل الاتصال التقليدية للأنظمة السياسية. يظهر ذلك بشكل بارز في مجتمعات

الحداثة، أين أصبح للحكومات والوزارات المختلفة بل وحتى السلطات المحلية بيانات شبه يومية حول الشؤون السياسية–الاقتصادية–الاجتماعية للمواطنين في الحالات العادية؛ أما في فترات الأزمات، فإن السلطات تذيع بيانات متتابعة حول أوضاع الأزمة، من أجل تهدئة الرأي العام وتقديم التوجيهات والتحذيرات كوسيلة فعالة لإدارة الأزمات والتحكم في حركة الرأي العام.

كل علاقات الاتصال الجماهيري تقريبا، الحوارات، طرح الأفكار والمبادرات، عقد الروابط والعلاقات المجتمعية وغيرها تتم عبر تقنية البرهان الاجتماعي في العملية الاتصالية؛ وبذلك عوضت مؤسسات أخرى مثل الأسرة، جماعات الصداقة، المدرسة، المساجد. بالطبع ليس التعويض كليا، لكن تقريبا أصبح الناس مستغرقون بواسطة البرامج والمحتويات المجتمعية التي تذاع عليهم، خاصة عندما ظهرت الفضائيات التلفزيونية التي مكّنت الناس من التحول من قناة لأخرى لاختيار المحتوى الإعلامي الذي يريدون، أو الاستغراق في التواصل عبر العالم الافتراضي. إذا اجتمع أفراد العائلة في المساء، عادة يكون التفاعل والاتصال مع ما يتلقونه من محتوى إعلامي عبر وسائل الاتصال الجماهيري وليس من بعضهم البعض.

النتيجة النظرية المساعدة على التحليل الاجتماعي قائمة على ضرورة تركيز الانتباه حول تلك الأفكار التي تصنع كمحتوى إعلامي، وتذاع أو تبث عبر وسائل الاتصال الجماهيري المباشر، لكن الجانب الأكثر تعقيدا في ذلك هو التعدد الكبير في المحتوى الإعلامي–الاجتماعي الذي يتدفق عبر عدد هائل من وسائل الاتصال الجماهيري، بحيث من الصعب توقع حجم التأثير لوسيلة دون أخرى.

من الناحية العملية، عادة تبدأ الأفكار والمواقف المجتمعية تسوق كاقتراحات يتم اختبارها في وسائل الإعلام من قبل الجمهور، ثم تأتي مرحلة تقييم ردود الأفعال المختلفة ورسم صورة كلية للموقف بعد إضافة التعليقات وربما التعديلات؛ وإذا غمرت الانتقادات الاقتراحات أو أثارت سخطا عاما، عندئذ يتم التخلي عنها، لكن الشيء المفيد في هذه الحالة هو معرفة اتجاهات الرأي العام نحو القضية المعنية التي تتحول بدورها إلى مدخلة في صناعة القرارات المستقبلية.

بهذا الشكل تصبح وسائل الاتصال الجماهيري وسيلة فعالة وسريعة لصناعة السياسات المجتمعية أو حتى الدولية بالنسبة للقوى العظمى. نقطة القوة لوسائل الاتصال الجماهيري في تعبئة المنظومة الاجتماعية هي الوساطة بين الجمهور العام وصناع القرار أو من يقوم مقامهم، بحيث تعرض المحتوى البرامجي وفي نفس الوقت

تنقل ردود الأفعال إزاءه، أين يصبح صناع القرار على التماس مع اهتمامات الناس اليومية ومعرفة الحاجات الفعلية وحتى مستوى الرضا الشعبي من عدمه على طريقة الحكم. إن عمليتها تنتشر على أكبر دائرة جماهيرية ممكنة لتشمل حتى أولئك الذين يعيشون على هامش التظاهرات الكبرى، لكنهم يتفاعلون معها بشكل تدفعهم للانخراط في عملية التعبئة تدريجيا بشكل مباشر أو غير مباشر. يظهر ذلك جليا في تفاعل سكان الريف والأحياء الشعبية الفقيرة في المدن الكبرى مع الفعاليات المجتمعية الكبرى.

جانب التعقيد، هو أن في وجود هذه البدائل المختلفة، ليس هناك ضمانة أن الجمهور سوف تستقطبه كل هذه البرامج، أو البرامج الجمعوية سوف تطغى على اهتمام الجمهور من برامج الرياضة أو أخبار الموضة والمسلسلات الاجتماعية؛ لذلك تلجأ بعض وسائل الاتصال الجماهيري إلى الاعتماد أكثر على الإثارة وتركيز الانتباه على الأحداث المأساوية لشد انتباه الرأي العام، مثل النقل المباشر للحدث، تحفيز المصورين الهواة على تصوير المشاهد النادرة والتي تحدث في زمن قصير بعيدا عن كاميرات وسائل الإعلام، تحفيز المبادرات الفردية والخاصة في صناعة الأفلام الوثائقية والإخبارية، الحرص على البقاء مع التماس المباشر للجمهور من خلال تمكين الناس من إبداء تعليقاتهم أمام الكاميرات في الشوارع والأسواق وأماكن العمل والبيوت؛ وقائمة طويلة من الأساليب الجديدة التي تلجأ إليها وسائل الإعلام من أجل شد انتباه الناس. في ظل ازدحام أجهزة الاستقبال بالقنوات الكثيرة وميل المشاهدين للانتقال من قناة لأخرى من أجل الحصول على ضالتهم الإعلامية، فإن صاحب برنامج سياسي أو وسيلة اتصال جماهيري معينة، يضع هدفا رئيسيا له وهو توقيف عملية الانتقال من قناة إلى أخرى على برنامجه أو عند قناته. تشكل كل هذه الخاصيات وأخرى، حالة التركيب في عملية صناعة السياسة بواسطة وسائل الاتصال الجماهيري.

في مقابل حالة التعقيد المتزايدة بين عمل وسائل الاتصال وتعبئة المنظومة الاجتماعية، هناك كثافة متنامية في إقبال الناس على وسائل الإعلام من أجل الحصول على المعلومات أو الترفيه والاستمتاع؛ بمعنى بقائها المصدر الأكثر تأثيرا في السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات وصناعة اتجاهات الرأي العام حول القضايا العامة. لذلك، كل جماعة أو فرد أو هيئة أو مؤسسة، سوف تجعل من وسائل الاتصال الجماهيري مكونا أساسيا في عملها، سواء أخذ الصبغة السياسية، الاجتماعية أو الترفيهية أو أي شكل آخر.

الخلاصة العامة:

تنطوي تقنية البرهان الاجتماعي على مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في عملية تعبئة المنظومة المجتمعية من خلال الاتصال الجماهيري حتى تضمن فعالية التقنية في تعديل السلوك، والتي طرحها العديد من المفكرين والتي نوقشت من خلال هذه الدراسة وهذه الشروط هي:

1. مراعاة تجانس أفراد الجماعة، سواء تعلق الأمر بالمشكل الذي يعانون منه، أو السن، أو الجنس، أو الحالة الاقتصادية، أو الحالة الاجتماعية، أو المستوى الثقافي والعلمي، أو على الأقل تكون المجموعة متقاربة في هذه الشروط الموضوعية، حتى يتحقق نوع من الانسجام والتماثل بين أفراد المجموعة، والذي يؤثر بدوره على مستويات العلاقة والتفاعل بين الأفراد، وإمكانية التقليد والتقمص تكون مرتفعة.
2. تكوين جاذبية وهوية للجماعة المبدئية.
3. تكوين معايير للانفتاح والمشاركة في الفعاليات والخبرات. ومن الواضح أن هناك علاقة وثيقة بين الخطوتين الثانية والثالثة.
4. إقامة إطار سلوكي لكل المشاركين، أي أن يقبل كل الأعضاء النظرة السلوكية وهي: أن السلوكية ترتبط وظيفيا بالأحداث السابقة، والعواقب اللاحقة.
5. إقامة توقع إيجابي لدى كل المشاركين، وذلك من خلال تقديم معلومات حول التدخلات التي سوف تحدث والسلوك المتوقع نتيجة تقدم الجماعة في عملها وتحليل منطقي لهاته المعلومات.
6. إقامة وتنفيذ نموذج للتغيير، وذلك من خلال الخطوات التالية:

أ. تحديد وتعريف السلوك المستهدف تغييره.

ب . تحديد خط أساسي للسلوك المستهدف وتسجيله.

جـ . تنفيذ برنامج ملائم للتغيير، يقوم على أساس المعلومات المستمدة من الخطوتين الأولى والثانية.

د . التقويم من خلال نظام لجمع البيانات اللازمة.

التوثيق:

ARAB-NEWS/ALGERIA-NEWS . (s.d.). Consulté le 07 08, 2017, sur http://WWW.NMISR.COM.

deenosseni, c. (s.d.). *la stratégie de marque comme élément de consolidation de relation client*. Consulté le 02 17, 2017, sur www.mémoire onlin.com.

Dévloper et gérer sa marque. (2017, 02 17). Récupéré sur économie.gov.

jabbar, z. (2014, / /). The impact of corporate visual identity on brand personality. *thesis submitted for degree of doctor of philosophy*. london, brunel business school, london: brunel university.

miridjanian, m. b. (2011, june .). Creating a visual brand identity. *bachelor thesis in marketing*. ., school business, .: halmstad university.

PLAN DE COMMUNICATION POUR QUOI UNE IDENTITE VISUALLE. (2017). Consulté le 03 15, 2017, sur WWW.COMMENTDEVENIR.INDEPENDANT.FR.

PLAN DE COMMUNICATION POUR QUOI UNE IDENTITE VISUALLE. (2017, 06 01). Récupéré sur commentdevenir.

LIMPACT DU CHANGEMENT DE NOM DE .(2004 ,/ /) .veronique collenge *etude* .ATTITUDES VIS-A-VIS DU PRODUITS'MARQUE SUR L .france: universitye de droit ،droit ،marseille .*documents*

إسماعيل علي سعد،. (1979،ص05). *الاتصال والرأي العام*. الاسكندرية،مصر.

ترجمة سمير عبد الرحي جوفر روبرت و أليستار إدواردز . (1999،ص324). *لمعجم الحديث للتحليل السياسي*. بيروت،لبنان: لدار العربية للموسوعات.

ترجمة صالح بن حليمة. مصطفى المصم ميشال لونات،. (1993،ص109). *الإعلام الاجتماع*. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

دعاء خضر. (05 03, 2017). *بين الثقافة والهوية*. تم الاسترداد من .academia.adu.

ديفلير وساندرابول روكيتش، ملفين،. (د.ت،ص302). *نظريات وسائل الإعلام*. القاهرة،مصر: لدار الدولية للنشر والتوزيع.

رابح أوكيل. (بلا تاريخ). التغليف المتميز للمنتج وتأثيره على قرار الشراء.(دراسة مقارنة بين مؤسسات المشروبات الغازية: كوكاكولا، بيبسي، حمود بوعلام. *أطروحة دكتوراة*. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، بومرداس، الجزائر: جامعة أمحمد بوقرة.

روبرت ب. سيالديني،. (2009،ص35). *لتأثير: العلم والتطبيق*. يويورك:امريكا: دار هاربر كولينز للنشر.

روبرت شيالديني،. (1988،ص33). *التأثير: وسائل الإقناع*. القاهرة،مصر: دار الفكر العربي.

زكرياء أحمد عزام. (2008). *مبادئ التسويق الحديث*. عمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

عاطف عدلي العبد عبيد، (1997،ص11). *مدخل إلى الاتصال والرأي لعام: الأسس النظرية والإسهامات العربية*. القاهرة:مصر: دار الفكر العربي.

عمر صخري. (2003). *.إقتصاد المؤسسة* (الإصدار ط 3). ديوان المطبوعات الجامعية.

فضيل دليو. (2003). *اتصال المؤسسة إشهار، علاقات عامة، علاقات مع الصحافة*. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

كامل مليكة، لويس، . (1994،ص103). *العلاج السلوكي وتعديل السلوك، ط. 2*.

محمود عودة. (1988،ص05). *أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي*. بيروت،لبنان.

مصطفى حجازي، . (1982،ص195). *الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة*. بيروت،لبنان: المركز العربي للتطوير الإداري، .

الموقع الرسمي حمود بوعلام. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 08 07, 2017، من HTTPS://WWW.GOOGLE.DZ/SEARCH?Q.

ميشال لونات، . (1993،ص109). *الإعلام الاجتماعي* . تونس: اللمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

Integrating multiple university disciplines as a driver of innovation in emerging economic institutions "Towards a cognitive model of entrepreneurship based on integrating disciplines"

Awatif Bouguerra [1]
University of M'sila
awatif.bouguerra@univ-msila.dz
Adel.lahmidi [2]
University of Bouira
adel.lahmidi@univ-bouira.dz
Halima.Bouguerra[3]
Principal advisor for school and vocational guidance
cospbouguerra@yahoo.com

Abstract:

This study examined the relationship between the integration of multiple knowledge disciplines and innovative capacity in emerging economic enterprises, based on empirical evidence and well-established theoretical models. The study reviews four main theoretical frameworks: knowledge recombination theory, organizational learning and dynamic capabilities theory, optimal cognitive distance theory, and open innovation theory. It also distinguished between three levels of knowledge integration: multi-specialization, inter-specialization, and cross-specialization, and concluded that inter-specialization is the most appropriate for emerging institutions, as inter-specialized teams achieved a 3.5 times higher success rate compared to mono-specialized teams. The study also provided strong empirical evidence confirming that integrating knowledge from disparate fields increases the likelihood of generating radical innovations by 67%, and that multidisciplinary teams have a better ability to solve complex problems, stronger entrepreneurial commitment, and greater flexibility in the face of challenges. It also presented a comprehensive framework for measuring and evaluating the effectiveness of interdisciplinary academic programs, which includes indicators of educational outcomes, employment, and scientific research, while emphasizing that the depth of integration requires true symbiotic practices that go beyond mere formal diversity

Keywords: Interdisciplinarity; Multidisciplinarity; Transdisciplinarity; Innovation; Startups; Entrepreneurship; Knowledge Integration; Innovative Capability;

Knowledge Diversity; Knowledge Recombination; Cognitive Distance; Dynamic Capabilities; Open Innovation; Multidisciplinary Teams; Research and Development; Economic Institutions.

دمج التخصصات الجامعية المتعددة كمحرك للابتكار في المؤسسات الاقتصادية الناشئة
" نحو نموذج معرفي لريادة الأعمال القائمة على دمج التخصصات "

عواطف بوقرة [1]

[1]جامعة مسيلة، الجزائر

Awatif.bouguerra@univ-msila.dz

لحميدي عادل [2]

[2]جامعة بويرة، الجزائر

Adel.lahmidi@univ-bouira.dz

حليمة بوقرة[3]

[3]مستشار رئيس للتوجيه المدرسي والمهني، الجزائر

Cospbouguerra@yahoo.com

ملخص:

تناولت هذه الدراسة العلاقة بين دمج التخصصات المعرفية المتعددة والقدرة الابتكارية في المؤسسات الاقتصادية الناشئة، مستندة إلى أدلة تجريبية ونماذج نظرية راسخة.

تستعرض الدراسة أربعة أطر نظرية رئيسية هي: نظرية إعادة تركيب المعرفة، ونظرية التعلم التنظيمي والقدرات الديناميكية، ونظرية المسافة المعرفية الأمثل، ونظرية الابتكار المفتوح. كما تميز بين ثلاثة مستويات من التكامل المعرفي: التعددية التخصصية والبينية التخصصية والعابرة للتخصصات،

وخلصت إلى أن البينية التخصصية هي الأنسب للمؤسسات الناشئة حيث حققت الفرق البينية معدل نجاح أعلى بـ 3.5 مرات مقارنة بالفرق أحادية التخصص.

كما قدمت الدراسة أدلة تجريبية قوية تؤكد أن دمج المعارف من حقول متباينة يزيد احتمالية توليد ابتكارات جذرية بنسبة 67%، وأن الفرق متعددة التخصصات تتمتع بقدرة أفضل على حل المشكلات المعقدة والتزام ريادي أقوى ومرونة أكبر في مواجهة التحديات.

وقدمت إطاراً شاملاً لقياس وتقييم فعالية البرامج الأكاديمية متعددة التخصصات يشمل مؤشرات المخرجات التعليمية والتوظيف والبحث العلمي، مع التأكيد على أن عمق التكامل يتطلب ممارسات تكافلية حقيقية تتجاوز مجرد التنوع الشكلي.

الكلمات المفتاحية: دمج التخصصات؛ البينية التخصصية؛ التعددية التخصصية؛ العابرة للتخصصات؛ الابتكار؛ المؤسسات الناشئة؛ ريادة الأعمال؛ التكامل المعرفي؛ القدرة الابتكارية؛ التنوع المعرفي؛ إعادة تركيب المعرفة؛ المسافة المعرفية؛ القدرات الديناميكية؛ الابتكار المفتوح؛ الفرق متعددة التخصصات؛ البحث والتطوير؛ المؤسسات الاقتصادية.

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات معرفية واقتصادية عميقة تفرضها طبيعة التحديات المركبة والمتشابكة التي تواجهها المؤسسات الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين. فقد أصبحت هذه المؤسسات، لا سيما الناشئة منها، تتعامل مع إشكاليات متعددة الأبعاد لا يمكن حلها من خلال منظور تخصصي واحد، بل تتطلب تكاملاً معرفياً يستمد قوته من التقاء حقول علمية متنوعة. فالابتكار التكنولوجي يتقاطع مع الاستدامة البيئية، وتحسين تجربة المستخدم يرتبط بفهم السلوك الإنساني والنماذج الاقتصادية، وإدارة البيانات الضخمة تستلزم كفاءات في علوم الحاسوب والإحصاء والعلوم الاجتماعية.

في هذا السياق، لم تعد المقاربات الأكاديمية التقليدية القائمة على التخصصات المنعزلة قادرة على تلبية متطلبات بيئة الأعمال الديناميكية والمعقدة. فقد أظهرت الدراسات التجريبية الحديثة أن الابتكارات الرائدة نادراً ما تنبثق من حقل معرفي واحد، بل تتولد عند نقاط التقاء التخصصات المختلفة. ففي دراسة محورية أجراها Uzzi وزملاؤه (2013) بتحليل أكثر من 17 مليون بحث علمي منشور عبر عقود، تبين أن الأبحاث التي تدمج معارف من مجالات متعددة تحظى باستشهادات علمية أكثر بنسبة 67% مقارنة بالأبحاث أحادية التخصص، مما يعكس تأثيرها العلمي الأوسع وأهميتها المعرفية المتزايدة.

وعلى المستوى التطبيقي في عالم ريادة الأعمال، كشف تحليل شمل 1,500 شركة ناشئة تابعة لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) أن الفرق متعددة التخصصات حققت معدل نجاح أعلى بمقدار 3.5 مرات مقارنة بالفرق أحادية التخصص .(Roberts & Eesley, 2011) هذه النتائج تشير بوضوح إلى أن التكامل المعرفي ليس مجرد خيار استراتيجي، بل أصبح ضرورة حتمية لتحقيق الابتكار المستدام والنمو المؤسسي في بيئة اقتصادية تتسم بالتعقيد وسرعة التغير.

غير أن التحول من النموذج التخصصي التقليدي إلى النموذج التكاملي متعدد التخصصات لا يخلو من التحديات. فالجامعات، بوصفها المؤسسات الأساسية لإنتاج المعرفة وتأهيل الكفاءات، لا تزال في معظمها تعتمد هياكل تنظيمية وبرامج أكاديمية تفصل التخصصات عن بعضها البعض، مما يخلق فجوة بين المخرجات التعليمية ومتطلبات سوق العمل المتطورة. كما أن آليات التعاون البحثي بين التخصصات المختلفة تواجه عوائق مؤسسية وثقافية ومنهجية تحد من فعاليتها. من هنا، تبرز الحاجة الملحة إلى بناء نموذج معرفي قائم

على الأدلة العلمية يمكن من خلاله فهم كيفية تصميم وتطبيق استراتيجيات فعالة لدمج التخصصات الجامعية بما يخدم الابتكار في المؤسسات الاقتصادية الناشئة.

انطلاقاً من هذه المعطيات، تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة الجدلية بين دمج التخصصات الجامعية المتعددة والقدرة الابتكارية للمؤسسات الاقتصادية الناشئة، وذلك من خلال مقاربة علمية صارمة ترتكز على الأدلة التجريبية والنماذج النظرية المعاصرة. كما تهدف الدراسة إلى تحديد الآليات والشروط التي تجعل التكامل المعرفي فعالاً ومؤثراً، والكشف عن التحديات التي تعترض تطبيقه، واقتراح إطار عملي يمكن للجامعات والمؤسسات الاقتصادية الاستفادة منه في تطوير برامجها وسياساتها.

الإشكالية البحثية

من هنا تتمحور الإشكالية الرئيسية حول السؤال التالي: كيف يمكن للمؤسسات الأكاديمية والاقتصادية تطوير نموذج معرفي فعّال لدمج التخصصات المتعددة بطريقة تُحفّز الابتكار المستدام وتخلق قيمة اقتصادية واجتماعية حقيقية؟

وينبثق من هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية:

1. ما هي النماذج النظرية العلمية التي تفسر آليات دمج التخصصات؟
2. ما هي الأدلة التجريبية على تأثير دمج التخصصات على الأداء الابتكاري؟

أولا: الأسس النظرية والمفاهيمية:

1 .الأطر النظرية المفسرة للعلاقة بين التكامل المعرفي والقدرة الابتكارية

تتعدد الأطر النظرية التي تفسر العلاقة الجدلية بين التكامل المعرفي متعدد التخصصات والقدرة الابتكارية، ومن أبرزها:

أ. **نظرية إعادة تركيب المعرفة** :(**Knowledge Recombination Theory**) تفترض هذه النظرية أن الابتكار ينشأ من إعادة تركيب عناصر معرفية موجودة مسبقاً بطرق جديدة وغير تقليدية (Fleming, 2001; Weitzman, 1998). تشير الدراسات التجريبية إلى أن دمج المعارف من حقول بعيدة ومتباينة يزيد من احتمالية توليد ابتكارات جذرية. فقد أظهرت دراسة أوزي وزملائه (Uzzi

(et al., 2013أن الأبحاث التي تجمع بين مراجع غير تقليدية تحقق تأثيراً علمياً أعلى بنسبة 67%، مما يدعم فكرة أن التنوع المعرفي يولد اختراقات علمية.

ب. نظرية التعلم التنظيمي والقدرات الديناميكية Dynamic Capabilities) Framework):تؤكد هذه النظرية على قدرة المؤسسات على استيعاب ودمج المعارف الخارجية المتنوعة لتطوير قدراتها التنافسية .(Teece et al., 1997) المؤسسات الناشئة التي تمتلك فرقاً متعددة التخصصات تكون أكثر قدرة على استشعار الفرص الجديدة(sensing) ، واستيعابها(seizing) ، وإعادة تشكيل مواردها (transforming) بشكل مستمر ,Eisenhardt & Martin) .(2000هذه المرونة المعرفية تعزز قدرتها على الابتكار المستدام في بيئة متقلبة.

ج. نظرية المسافة المعرفية الأمثل :(Optimal Cognitive Distance Theory) تقترح هذه النظرية أن الابتكار يتحقق عندما تكون المسافة المعرفية بين التخصصات كافية لتوليد أفكار جديدة، لكن ليست واسعة جداً بحيث تعيق التواصل والتكامل .(Nooteboom et al., 2007) وفقاً لدراسة حديثة في صناعة التكنولوجيا الطبية(Melnychuk et al., 2025) ، فإن درجة البينية التخصصية ترتبط إيجابياً بأداء الابتكار، لكن هذه العلاقة تخضع لعوامل وسيطة كالتعاون الدولي وحجم الفريق وتوافر الموارد المالية.

د. نظرية الابتكار المفتوح :(**Open Innovation Theory**) تشير هذه النظرية إلى أن المؤسسات لا تعتمد فقط على معارفها الداخلية، بل تستفيد من المعارف الخارجية المتنوعة لتعزيز قدراتها الابتكارية .(Chesbrough, 2003, 2006) المؤسسات الناشئة التي تتبنى نهجاً مفتوحاً وتتعاون مع جامعات ومراكز بحثية متعددة التخصصات تحقق معدلات ابتكار أعلى وتتمكن من الوصول إلى تقنيات وأسواق جديدة.(West & Bogers, 2014)

2 .الفروقات بين التعددية والبينية والعابرة للتخصصات وأنسبها للمؤسسات الناشئة

تختلف هذه المفاهيم الثلاثة في درجة التكامل والتفاعل بين التخصصات المختلفة، كما حددتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD, 1998) والأدبيات الأكاديمية المتخصصة ,Choi & Pak) 2006; Klein, 2010):

أ. **التعددية التخصصية** :(**Multidisciplinarity**) تشير إلى تجاور عدة تخصصات تقدم كل منها منظورها الخاص حول مشكلة معينة، لكن دون تفاعل عميق أو دمج حقيقي. تبقى كل تخصص ضمن حدوده وأساليبه المنهجية الخاصة. وفقاً لتعريفOECD ، التعددية التخصصية هي مجرد وضع التخصصات جنباً إلى جنب، مما يوسع نطاق المعرفة دون أن يتحدى أو يغير الهوية الأصلية لكل تخصص. مثال على ذلك: فريق يضم مهندساً ومصمماً وخبيراً تسويقياً، كل منهم يعمل بشكل مستقل على جانبه من المشروع.

ب. **البينية التخصصية** :(**Interdisciplinarity**) تعني تحليل وتوليف وتنسيق الروابط بين التخصصات لإنتاج كل متماسك ومنسجم (National Academy of Sciences et al., 2005). هنا، لا تبقى التخصصات منفصلة، بل تتفاعل وتتداخل حدودها، مما يؤدي إلى إنتاج معرفة جديدة تتجاوز مجموع أجزائها. يتطلب هذا النهج لغة مشتركة وأساليب بحثية متكاملة (Repko et al., 2017). حسب تشوي وباك، الكلمة المفتاحية للبينية التخصصية هي 'التفاعلية'. مثال: البيوكيمياء أو الفيزياء الحيوية، حيث تندمج أسس تخصصين لخلق فرع معرفي جديد.

ج. العابرة للتخصصات :(Transdisciplinarity) تمثل أعلى مستوى من التكامل، حيث تتجاوز التخصصات حدودها التقليدية وتشكل نظاماً معرفياً جديداً كلياً يتضمن أيضاً شركاء من خارج الأكاديمية كالمجتمع المدني والقطاع الخاص .(Nicolescu, 2014; Pohl & Hadorn, 2007) تدمج العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية في سياق شمولي. الكلمة المفتاحية هي 'الشمولية'. مثال: مشاريع الاستدامة التي تجمع المهندسين والاقتصاديين وعلماء البيئة والمجتمعات المحلية.(Lang et al., 2012)

أنسب الأشكال للمؤسسات الاقتصادية الناشئة

بناءً على الأدلة التجريبية، يبدو أن البينية التخصصية هي الأنسب للمؤسسات الناشئة في المراحل الأولى، لأنها توازن بين العمق التخصصي والتكامل المعرفي. الدراسات تشير إلى أن الفرق البينية تحقق:

•معدل نجاح أعلى بـ 3.5 مرات مقارنة بالفرق أحادية التخصص، كما أظهرت دراسة شاملة على 1,500 شركة ناشئة من MIT (Roberts & Eesley, 2011)

•قدرة أفضل على حل المشكلات المعقدة من خلال دمج منظورات متعددة، حيث أن التفاعل بين تخصصات مختلفة يولد حلولاً إبداعية غير متوقعة(Dunbar, 1995; Wuchty et al., 2007)

•التزام ريادي أقوى لدى أعضاء الفريق بسبب التنوع المعرفي الذي يعزز الدافعية والشعور بالملكية الفكرية (Hmieleski & Ensley, 2007)

•مرونة أكبر في الاستجابة للتغيرات السوقية والتكنولوجية بفضل تنوع المهارات والمعارف (Colombo & Grilli, 2005)

أما العابرة للتخصصات فتصبح أكثر ملاءمة عندما تنضج المؤسسة وتحتاج إلى معالجة قضايا مجتمعية معقدة أو الاشتباك مع شركاء من خارج القطاع الأكاديمي، كما في حالات الابتكار الاجتماعي أو التحول الرقمي الشامل.(Defila & Di Giulio, 2019)

3 .المحددات المعرفية والمنهجية للنموذج القائم على الأدلة العلمية

النموذج القائم على الأدلة العلمية في مجال دمج التخصصات يتميز بعدة محددات منهجية ومعرفية أساسية (Sackett et al., 1996; Rousseau, 2006):

أ. **التثليث المنهجي** :(**Methodological Triangulation**) يعتمد النموذج على استخدام أساليب بحثية متعددة (كمية ونوعية) للتحقق من صحة النتائج (Denzin, 1978; Jick, 1979).فمثلاً، دراسات البينية التخصصية الناجحة تجمع بين: (1) التحليل الببليومتري لقياس درجة التنوع التخصصي باستخدام قواعد بيانات علمية ضخمة، (2) دراسات الحالة النوعية لفهم ديناميكيات التعاون والتفاعل بين الباحثين من تخصصات مختلفة، و(3) التحليلات الإحصائية المتقدمة لقياس الأثر على مؤشرات الابتكار كبراءات الاختراع والاستشهادات العلمية (Creswell & Plano Clark, 2017).

ب. المؤشرات القابلة للقياس: النموذج القائم على الأدلة يتطلب تطوير مقاييس دقيقة لدرجة البينية التخصصية. وفقاً لإطار ستيرلينج(Stirling, 2007) ، هناك ثلاثة أبعاد رئيسية: (1) مؤشر التنوع التخصصي (Variety) الذي يقيس عدد التخصصات المختلفة، (2) مؤشر التوازن (Balance) الذي يقيس التوزيع المتساوي للتخصصات، و(3) مؤشر التباين أو المسافة المعرفية (Disparity) الذي يقيس

البعد المعرفي بين التخصصات. بالإضافة إلى ذلك، يُستخدم مؤشر التأثير الابتكاري المدمر (Wang et al., 2017; Wu et al., 2019) لقياس مدى تأثير الأبحاث البينية على المجال العلمي.

ج. التحليل السببي والمتغيرات الوسيطة: لا يكتفي النموذج بإثبات وجود علاقة ارتباطية، بل يبحث في الآليات السببية والمتغيرات الوسيطة باستخدام نماذج إحصائية متقدمة (Pearl, 2009; VanderWeele, 2015). على سبيل المثال، دراسة ملنيتشوك وزملائه كشفت أن العلاقة بين البينية التخصصية والأداء الابتكاري تتوسطها 'تعقيد التحقق من النتائج'، وتتأثر بعوامل معززة كالموارد المالية والتعاون مع الجامعات. هذا النوع من التحليل يساعد في فهم كيف ولماذا يحدث الابتكار، وليس فقط إثبات وجود العلاقة.

د. قابلية التعميم والحساسية للسياق: النموذج العلمي يراعي خصوصية السياقات المختلفة ويتجنب التعميمات المفرطة (Cronbach, 1975; Shadish et al., 2002). ما ينجح في صناعة التكنولوجيا الطبية قد يختلف عن قطاع الطاقة المتجددة أو التقنيات المالية. لذا، يتطلب النموذج اختبارات في سياقات متعددة (قطاعات صناعية مختلفة، بلدان متنوعة، أحجام شركات متباينة) وتحليل الفروقات القطاعية والثقافية لتحديد الشروط الحدية لفعالية التكامل التخصصي.

هـ. الشفافية والقابلية للتكرار: يجب أن تكون البيانات والأساليب والنتائج شفافة وقابلة للتكرار من قبل باحثين آخرين (Nosek et al., 2015; Open Science Collaboration, 2015). هذا يتطلب توثيقاً دقيقاً للمنهجية، ونشر البيانات الأولية والأكواد البرمجية (حيثما أمكن)، والالتزام بمعايير البحث العلمي الصارمة. حركة العلم المفتوح (Open Science) تدعو إلى مشاركة كافة مكونات البحث لتمكين المجتمع العلمي من التحقق من النتائج وبناء عليها (Vicente-Saez & Martinez-Fuentes, 2018).

ثانياً: الأدلة التجريبية وقياس الأثر

4 .الأدلة التجريبية على العلاقة بين دمج التخصصات ومؤشرات الابتكار

تتوفر أدلة تجريبية كمية ونوعية قوية ومتراكمة تدعم هذه العلاقة الإيجابية عبر سياقات وقطاعات متعددة:

الأدلة الكمية:

1 .براءات الاختراع والتأثير العلمي: دراسة تحليلية واسعة النطاق أجراها فليمنج وسورينسون (Fleming & Sorenson, 2004)على آلاف براءات الاختراع أظهرت أن المعرفة البينية التخصصية تلعب دوراً محورياً في تطوير تقنيات عالية القيمة عبر صناعات متعددة. الأبحاث التي تجمع بين تخصصات متباعدة معرفياً تؤدي إلى اختراقات علمية أكثر تأثيراً وأعلى احتمالية لتغيير مسار المجال .(disruptive innovation)كما وجدت دراسة أوزي وزملائه على 17.9 مليون ورقة علمية أن الدمج غير التقليدي للمعارف يزيد من احتمالية أن تصبح الورقة من أعلى 1% الأكثر استشهاداً بمقدار 6.7 مرات.

2 .معدل النجاح في الشركات الناشئة: تحليل شامل لـ 1,500 شركة ناشئة من MIT أجراه روبرتس وإيسلي (Roberts & Eesley, 2011) أظهر أن الفرق متعددة التخصصات حققت معدل نجاح أعلى بـ 3.5 مرات. هذا يشمل مؤشرات متعددة كالبقاء في السوق لأكثر من 5 سنوات، والنمو المالي السنوي، والقدرة على جذب التمويل الجريء، وتحقيق الاكتتاب العام أو الاستحواذ الناجح. الدراسة تتبعت هذه الشركات لمدة عقدين ووجدت أن التنوع التخصصي في الفريق المؤسس كان من أقوى المؤشرات التنبؤية للنجاح.

3 .الابتكار الجذري في المجالات العلمية: دراسة حديثة في مجال علوم الأرض أجراها تشنغ وزملاؤه (Cheng et al., 2025)باستخدام بيانات من Web of Science وجدت علاقة إيجابية قوية بين مؤشرات البينية التخصصية الثلاثة (التنوع، التوازن، التباين) ومؤشر الابتكار المدمر. النتائج أظهرت أن البحوث التي تجمع بين تخصصات فرعية متباعدة داخل علوم الأرض أكثر احتمالاً بـ 2.3 مرة لإحداث تغيير جذري في المجال، مع تأثير معتدل للتعاون الدولي ($\beta = 0.18$) وحجم الفريق.($\beta = 0.12$)

4 .الأداء المالي والتنافسي: في صناعة التكنولوجيا الطبية، دراسة ملنيتشوك وزملائه (Melnychuk et al., 2025)على عينة من 247 شركة وُجدت علاقة إيجابية ومعنوية إحصائياً ($\beta = 0.23$, $p < .01$) بين درجة البينية في أنشطة البحث والتطوير وأداء الابتكار المقاس بعدد المنتجات الجديدة

والإيرادات منها. الدراسة أظهرت أيضاً أن هذه العلاقة تتعزز بوجود احتياطي مالي كافٍ (financial slack) والتعاون الوثيق مع الجامعات البحثية.

الأدلة النوعية:

1 .الالتزام الريادي المعزز: دراسات حالة معمقة على فرق ناشئة أكاديمية من حاضنات جامعية أوروبية (Bruneel et al., 2012; Rasmussen & Wright, 2015) أظهرت أن أعضاء الفرق البينية يختبرون مستويات عالية من التحفيز الداخلي والتفاني تجاه أفكارهم. التنوع المعرفي يخلق بيئة فكرية محفزة حيث يتعلم كل عضو من الآخرين، مما يؤدي إلى التزام عاطفي أقوى (affective commitment) وقدرة أفضل على المثابرة في مواجهة التحديات.

2 .حل المشكلات المعقدة: مقابلات متعمقة مع ممثلي سبع شركات صناعية رائدة في الابتكار (Brem & Puente-Díaz, 2020) كشفت أن البينية التخصصية تمكّن الشركات من تطوير ابتكارات جذرية ومحتملة التدمير من خلال طرح أسئلة جديدة تماماً لم تكن ممكنة داخل إطار تخصصي واحد. عملية إعادة صياغة المشكلة (problem reframing) من منظورات متعددة كانت المفتاح لاكتشاف حلول اختراقية.

3. التكيف مع عدم اليقين: دراسة إثنوغرافية على فرق بينية في شركات تكنولوجية ناشئة (Edmondson & Harvey, 2018) أظهرت أن هذه الفرق تمتلك قدرة أعلى على التعامل مع عدم اليقين والتحديات غير المتوقعة. امتلاك مجموعة أوسع من الأدوات المعرفية والمنهجية (cognitive toolkit) يمنح هذه الفرق مرونة استراتيجية تمكنها من التمحور (pivot) بشكل أسرع وأكثر فعالية عند تغير ظروف السوق أو فشل الافتراضات الأولية.

خاتمة:

تؤكد هذه الدراسة أن دمج التخصصات المعرفية المتعددة يمثل عاملاً حاسماً في تعزيز القدرة الابتكارية للمؤسسات الاقتصادية الناشئة. فقد أظهرت الأدلة التجريبية أن البينية التخصصية هي النموذج الأمثل للمؤسسات الناشئة، وأن الابتكار الجذري ينبع من إعادة تركيب المعارف من حقول متباعدة بطرق غير تقليدية، وأن عمق التكامل أهم من التنوع الشكلي حيث يتطلب ممارسات تكافلية حقيقية.

وتفتح الدراسة آفاقاً واسعة للبحث المستقبلي تشمل تطوير نماذج تطبيقية في سياقات مختلفة، ومعالجة التحديات التي تواجه التعاون البيني، واستكشاف التكامل مع التقنيات الحديثة كالذكاء الاصطناعي، وتصميم برامج أكاديمية متعددة التخصصات تنمي المهارات التكاملية لدى الطلاب.

قائمة المراجع:

1-Brem, A., & Puente-Díaz, R. (2020). Creativity and innovation: Different concepts with similar outcomes? In M. A. Runco & I. Lebuda (Eds.), Creativity and innovation: Theory, research, and practice (pp. 147-167). Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-319-99163-4_9

2-Bruneel, J., Ratinho, T., Clarysse, B., & Groen, A. (2012). The evolution of business incubators: Comparing demand and supply of business incubation services across different incubator generations. Technovation, 32(2), 110-121. https://doi.org/10.1016/j.technovation.2011.11.003

3-Cheng, Y., Wang, X., & Zhang, L. (2025). Interdisciplinarity and disruptive innovation in earth sciences: A bibliometric analysis. Scientometrics, 130(1), 245-268. https://doi.org/10.1007/s11192-024-05168-2

4-Chesbrough, H. W. (2003). Open innovation: The new imperative for creating and profiting from technology. Harvard Business School Press.

5-Chesbrough, H. W. (2006). Open innovation: A new paradigm for understanding industrial innovation. In H. W. Chesbrough, W. Vanhaverbeke, & J. West (Eds.), Open innovation: Researching a new paradigm (pp. 1-12). Oxford University Press.

6-Choi, B. C., & Pak, A. W. (2006). Multidisciplinarity, interdisciplinarity and transdisciplinarity in health research, services, education and policy: 1. Definitions, objectives, and evidence of effectiveness. Clinical and Investigative Medicine, 29(6), 351-364.

7-Colombo, M. G., & Grilli, L. (2005). Founders' human capital and the growth of new technology-based firms: A competence-based view. Research Policy, 34(6), 795-816. https://doi.org/10.1016/j.respol.2005.03.010

8-Creswell, J. W., & Plano Clark, V. L. (2017). Designing and conducting mixed methods research (3rd ed.). SAGE Publications.

9-Cronbach, L. J. (1975). Beyond the two disciplines of scientific psychology. American Psychologist, 30(2), 116-127. https://doi.org/10.1037/h0076829

10-Defila, R., & Di Giulio, A. (2019). Participatory knowledge production in transdisciplinary research projects: Practitioners' view on impediments and solutions. GAIA - Ecological Perspectives for Science and Society, 28(2), 94-103. https://doi.org/10.14512/gaia.28.2.7
11-Denzin, N. K. (1978). The research act: A theoretical introduction to sociological methods (2nd ed.). McGraw-Hill.
12- Dunbar, K. (1995). How scientists really reason: Scientific reasoning in real-world laboratories. In R. J. Sternberg & J. E. Davidson (Eds.), The nature of insight (pp. 365-395). MIT Press.
13-Edmondson, A. C., & Harvey, J. F. (2018). Cross-boundary teaming for innovation: Integrating research on teams and knowledge in organizations. Human Resource Management Review, 28(4), 347-360. https://doi.org/10.1016/j.hrmr.2017.03.002
14-Eisenhardt, K. M., & Martin, J. A. (2000). Dynamic capabilities: What are they? Strategic Management Journal, 21(10-11), 1105-1121. https://doi.org/10.1002/1097-0266(200010/11)21:10/11<1105::AID-SMJ133>3.0.CO;2-E
15-Fleming, L. (2001). Recombinant uncertainty in technological search. Management Science, 47(1), 117-132. https://doi.org/10.1287/mnsc.47.1.117.10671
16-Fleming, L., & Sorenson, O. (2004). Science as a map in technological search. Strategic Management Journal, 25(8-9), 909-928. https://doi.org/10.1002/smj.384
17-Hmieleski, K. M., & Ensley, M. D. (2007). A contextual examination of new venture performance: Entrepreneur leadership behavior, top management team heterogeneity, and environmental dynamism. Journal of Organizational Behavior, 28(7), 865-889. https://doi.org/10.1002/job.479
18-Jick, T. D. (1979). Mixing qualitative and quantitative methods: Triangulation in action. Administrative Science Quarterly, 24(4), 602-611. https://doi.org/10.2307/2392366
19-Klein, J. T. (2010). A taxonomy of interdisciplinarity. In R. Frodeman, J. T. Klein, & C. Mitcham (Eds.), The Oxford handbook of interdisciplinarity (pp. 15-30). Oxford University Press.
Lang, D. J., Wiek, A., Bergmann, M., Stauffacher, M., Martens, P., Moll, P., 20-Swilling, M., & Thomas, C. J. (2012). Transdisciplinary research in

sustainability science: Practice, principles, and challenges. Sustainability Science, 7(Suppl. 1), 25-43. https://doi.org/10.1007/s11625-011-0149-x
21-Melnychuk, T., Schultz, C., & Wirsich, A. (2025). The role of interdisciplinarity in innovation performance: Evidence from the medical device industry. Research Policy, 54(1), Article 104895. https://doi.org/10.1016/j.respol.2024.104895
22-National Academy of Sciences, National Academy of Engineering, & Institute of Medicine. (2005). Facilitating interdisciplinary research. The National Academies Press. https://doi.org/10.17226/11153
23-Nicolescu, B. (2014). Methodology of transdisciplinarity. World Futures, 70(3-4), 186-199. https://doi.org/10.1080/02604027.2014.934631
Nooteboom, B., Van Haverbeke, W., Duysters, G., Gilsing, V., & van den 24-Oord, A. (2007). Optimal cognitive distance and absorptive capacity. Research Policy, 36(7), 1016-1034. https://doi.org/10.1016/j.respol.2007.04.003
25-Nosek, B. A., Alter, G., Banks, G. C., Borsboom, D., Bowman, S. D., Breckler, S. J., Buck, S., Chambers, C. D., Chin, G., Christensen, G., Contestabile, M., Dafoe, A., Eich, E., Freese, J., Glennerster, R., Goroff, D., Green, D. P., Hesse, B., Humphreys, M., ... Yarkoni, T. (2015). Promoting an open research culture. Science, 348(6242), 1422-1425. https://doi.org/10.1126/science.aab2374
26-Open Science Collaboration. (2015). Estimating the reproducibility of psychological science. Science, 349(6251), aac4716. https://doi.org/10.1126/science.aac4716
27-Organisation for Economic Co-operation and Development. (1998). Interdisciplinarity in science and technology. OECD Publishing.
28-Pearl, J. (2009). Causality: Models, reasoning, and inference (2nd ed.). Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/CBO9780511803161
29-Pohl, C., & Hadorn, G. H. (2007). Principles for designing transdisciplinary research. Oekom Verlag.
30-Rasmussen, E., & Wright, M. (2015). How can universities facilitate academic spin-offs? An entrepreneurial competency perspective. The Journal of Technology Transfer, 40(5), 782-799. https://doi.org/10.1007/s10961-014-9386-3

31-Repko, A. F., Szostak, R., & Buchberger, M. P. (2017). Introduction to interdisciplinary studies (2nd ed.). SAGE Publications.
32-Roberts, E. B., & Eesley, C. E. (2011). Entrepreneurial impact: The role of MIT. Foundations and Trends in Entrepreneurship, 7(1-2), 1-149. https://doi.org/10.1561/0300000030
33-Rousseau, D. M. (2006). Is there such a thing as 'evidence-based management'? Academy of Management Review, 31(2), 256-269. https://doi.org/10.5465/amr.2006.20208679
34-Sackett, D. L., Rosenberg, W. M., Gray, J. M., Haynes, R. B., & Richardson, W. S. (1996). Evidence based medicine: What it is and what it isn't. BMJ, 312(7023), 71-72. https://doi.org/10.1136/bmj.312.7023.71
35-Shadish, W. R., Cook, T. D., & Campbell, D. T. (2002). Experimental and quasi-experimental designs for generalized causal inference. Houghton Mifflin.
36-Stirling, A. (2007). A general framework for analysing diversity in science, technology and society. Journal of the Royal Society Interface, 4(15), 707-719. https://doi.org/10.1098/rsif.2007.0213
37-Teece, D. J., Pisano, G., & Shuen, A. (1997). Dynamic capabilities and strategic management. Strategic Management Journal, 18(7), 509-533. https://doi.org/10.1002/(SICI)1097-0266(199708)18:7<509::AID-SMJ882>3.0.CO;2-Z
38-Uzzi, B., Mukherjee, S., Stringer, M., & Jones, B. (2013). Atypical combinations and scientific impact. Science, 342(6157), 468-472. https://doi.org/10.1126/science.1240474
39-VanderWeele, T. (2015). Explanation in causal inference: Methods for mediation and interaction. Oxford University Press. https://doi.org/10.1093/ije/dyw277
40-Vicente-Saez, R., & Martinez-Fuentes, C. (2018). Open science now: A systematic literature review for an integrated definition. Journal of Business Research, 88, 428-436. https://doi.org/10.1016/j.jbusres.2017.12.043
41-Wang, J., Thijs, B., & Glänzel, W. (2017). Interdisciplinarity and impact: Distinct effects of variety, balance, and disparity. PLoS ONE, 12(5), e0127298. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0127298
42-Weitzman, M. L. (1998). Recombinant growth. The Quarterly Journal of Economics, 113(2), 331-360. https://doi.org/10.1162/003355398555595

43-West, J., & Bogers, M. (2014). Leveraging external sources of innovation: A review of research on open innovation. Journal of Product Innovation Management, 31(4), 814-831. https://doi.org/10.1111/jpim.12125
44-Wu, L., Wang, D., & Evans, J. A. (2019). Large teams develop and small teams disrupt science and technology. Nature, 566(7744), 378-382. https://doi.org/10.1038/s41586-019-0941-9
45-Wuchty, S., Jones, B. F., & Uzzi, B. (2007). The increasing dominance of teams in production of knowledge. Science, 316(5827), 1036-1039. https://doi.org/10.1126/science.1136099

Cognitive integration and its role in promoting The transition to a digital economy in Algeria: An analytical reading of the Arab Digital Economy Index 2024 report.

Dr. Sari Houria
Amar Telidji University of Laghouat, (Algeria)
h.sari@lagh-univ.dz

Abstract:

This study aimed to highlight the role of knowledge integration in promoting the transition to a digital economy in Algeria and the main challenges that may hinder its effectiveness. It also presented Algeria's experience in this area
To achieve the study's objectives, data from the Arab Digital Economy Index 2024 report was used.

The study concluded that Algeria has achieved commendable results in implementing knowledge integration to strengthen the digital economy. However, it faces challenges that impede its implementation. Finally, the study offered several recommendations, the most important of which was urging Algeria to develop integrated policies, investments, and legislation to enable it to address

Keywords: Cognitive integration; digital economy; challenges**.**

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التكامل المعرفي ودوره في تعزيز التحول إلى الاقتصاد الرقمي في الجزائر: قراءة تحليلية لتقرير المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024.

د. ساري حورية
جامعة عمار ثليجي الأغواط، (الجزائر)
h.sari@lagh-univ.dz

ملخص:

لقد استهدفت هذه الدراسة إبراز دور التكامل المعرفي في تعزيز التحول إلى الاقتصاد الرقمي في الجزائر وأهم التحديات التي قد تعيق من دوره، من خلال تقديم مختلف المفاهيم المتعلقة بالدراسة ، كما تم القيام بعرض تجربة الجزائر في هذا الإطار، و لتحقيق أهداف الدراسة تم استعمال بيانات تقرير المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024.

ولقد توصلت الدراسة إلى أن الجزائر حققت نتائج يمكن استحسانها فيما يتعلق بتطبيق التكامل المعرفي في تعزيز الاقتصاد الرقمي، غير أنه يواجه تحديات تعيق تطبيقه، وفي الأخير قدمت الدراسة عدد من التوصيات كان أهمها حث الجزائر على وضع حلول متكاملة للسياسات والاستثمارات والتشريعات التي ستمكنها من مواجهة تلك التحديات.

الكلمات المفتاحية: تكامل معرفي ؛ اقتصاد رقمي؛ تحديات.

مقدمة:

في ظل التحولات الاقتصادية العالمية المتسارعة نحو الرقمنة، يبرز التكامل المعرفي كعامل استراتيجي حاسم لتعزيز قدرة الدول على المنافسة في اقتصاد العصر الرقمي. يعمل هذا التكامل كآلية لربط المعرفة العلمية والتكنولوجية بالاحتياجات التنموية الوطنية، من خلال دمج الموارد الأكاديمية والصناعية والبحثية في إطار تعاوني يولد ابتكارات تكنولوجية ذات تأثير اقتصادي مباشر.

وفي السياق الجزائري، يُعد التكامل المعرفي ضرورياً لتحقيق نقلة نوعية في مسيرة التحول الرقمي، خاصة مع التحديات المرتبطة بالاعتماد التاريخي على مداخيل المحروقات، والحاجة الملحة إلى بنية معرفية قوية تدعم تطوير البنية التحتية الرقمية، تعزيز المهارات الرقمية للقوى العاملة، وتشجيع الشركات الناشئة في مجالات الذكاء الاصطناعي والمدن الذكية .

الاشكالية الرئيسية:

ومن خلال هذه الورقة البحثية نحاول الاجابة على الاشكالية التالية:

إلى أي مدى يساهم التكامل المعرفي في تعزيز التحول نحو الاقتصاد الرقمي في الجزائر؟

فرضية البحث:

يعتبر التكامل المعرفي عنصر أساسي في تعزيز التحول نحو الاقتصاد الرقمي في الجزائر رغم التحديات التي تواجهه.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تسليط الضوء على مفهوم كل من التكامل المعرفي و الإقتصاد الرقمي ؛
- إبراز أثر التكامل المعرفي على الإقتصاد الرقمي؛
- محاولة إبراز الجهود المبذولة من طرف الدولة الجزائرية في عصرنة إقتصادها من خلال تطبيق التكامل المعرفي وتحديات التي تعيق تطبيقه.

المنهج المعتمد :

من أجل الوصول إلى الأهداف المرجوة من هذا الدراسة، تتم معالجة الموضوع المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع البيانات لدراستها وتحليلها، وذلك بهدف الوقوف على مدى مساهمة التكامل المعرفي في تعزيز التحول نحو الاقتصاد الرقمي في الجزائر والتعرف على التحديات التي تواجه تطبيقه من خلال اعتمادنا على أهم الدراسات والكتب والمقالات العلمية محاولة منا الإحاطة بأهم الأبعاد للإجابة على الاشكالية المطروحة.

أولا: الإطار المفاهيمي لمتغيرات الدراسة.

يتم في هذا الجانب من الدراسة تحديد معالم التكامل المرفي وكذا الاقتصاد الرقمي.

1 مفهوم التكامل المعرفي

من خلال هذا العنصر سيتم تسليط الضوء على مفهوم التكامل المعرفي بعرض مختلف التعاريف المقدمة للتكامل المعرفي وايضاح بعض القضايا المتعلقة به مثل شورطه.

أ- تعريف التكامل المعرفي

يعرف تكامل المعرفي بأنه " عملية تطوير المعرفة والفهم الشامل لموضوع معين أو مجال معرفي. يشير إلى القدرة على ربط المعلومات والمفاهيم المختلفة معا وتكوين فهم شامل ومتكامل عندما يتم تطبيق التكامل المعرفي، يتم استخدام المعرفة والتفكير السابق للوصول إلى فهم أعمق وأوسع للمعلومات الجديدة. (بوجلال، 2024، صفحة 20) "

كما يمكن تعريف التكامل المعرفي بأنه:" المعرفة التكاملية هي الترابط بين العلم والعمل، جمع العلوم في نسق واحد ينهي الثنائيات" (عبد النور و لهزيل، 2021، صفحة 42).

كما يعرف على أنه "مشروع فكري يسعي لتوحيد كل المعارف والعلوم" (دوسن، 2024، صفحة 8)

من هذه التعريفات ، نستنتج أن التكامل المعرفي هو ربط مختلف فروع المعرفة ببعضها بعضاً بدلاً من النظر إليها كجزء منفصل، يشجع على تفاعل العلوم الطبيعية والإنسانية لفهم أعمق للكون وللإنسان، وإيجاد حلول شاملة للمشكلات البشرية.

ب- شروط التكامل المعرفي

لتحقيق التكامل المعرفي بين العلوم ، هناك بعض الشروط التي يجب توفرها. ومن هذه الشروط (بوجلال، 2024، الصفحات 24-25):

- **الاتصال والتواصل** : يجب أن يكون هناك قنوات اتصال فعالة وتواصل مستمر بين الباحثيين والعلماء في مجالات مختلفة .فالتواصل يساعد على تبادل المعرفة والخبرات، ويمكن من مناقشة التحديات والمشكلات المشتركة والعمل معا لإيجاد حلول.
- **التفاعل والتعاون** : يجب أن يكون التفاعل والتعاون فعال بين الباحثين في مجالات المختلفة. من خلال المشاركة في مشاريع مشتركة ، ورش عمل والمؤتمرات، والتعاون في كتابة الأبحاث والدراسات المشتركة.
- **الاحترام والمرونة:** يجبأن يكون هناك احترام للمجلان العلمية المختلفة وللمعرفة المتنوعة التي تقدمها، كما يجب أن يتمتع الباحثون بالمرونة والاستعداد لتقبل واستعاب المفاهيم والأساليب من المجالات اخرى بصدر رحب.
- **التعلم المستمر والتطوير:** يجب أن يكون هناك إلتزام بالتعلم المستمر والتطوير الشخصي .وينبغي على الباحثيين أن يكونوا على إطلاع دائم بآخر التطورات في مجالات العلوم المختلفة وأن يعملوا على توسيع معرفتهم ومهاراتهم.
- **الاعتراف بالارتباطات والروابط** : يجب أن يقتنع الباحثون بالارتباطات بين المجالات العلمية المختلفة . وأن هذه الروابط هي التي تساعد في توجيه البحث وتحديد المجالات التي يمكن أن تستفيد من التكامل المعرفي.
- **التفكير الشامل والمتعدد الأبعاد:** يجب تعزيز التفكير الشامل والمتعدد الأبعاد لفهم القضايا العلمية ، ولهذا ينبغي أن يتم تجاوز الحواجز التقليدية بين المجالات العلمية وتطوير رؤى شاملة تجمع بين المعرفة المتنوعة.

- هذه بعض الشروط التي يمكن أن تساهم في تحقيق التكامل المعرفي بين العلوم. يجب أن نعمل على تعزيز هذه الشروط وتوفير بيئة تشجع على التعاون والتفاعل بين المجالات العلمية.

2 الإطار المفاهيمي للاقتصاد الرقمي.

سنحاول من خلال هذا العنصر توضيح مفهوم الاقتصاد الرقمي بعرض مختلف التعاريف المقدمة له وايضاح بعض القضايا المتعلقة به مثل ركائزه.

أ- تعريف الإقتصاد الرقمي.

يعرف الاقتصاد الرقمي بأنه: "ذلك النوع من الاقتصاد الذي يركز على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال، والتي تسهل عملية تدفق كل من المعلومات والسلع والخدمات وحركة رؤوس الأموال من وإلى أي نقطة في العالم ، وفي أي وقت" (زيدان و دباش ، 18 جوان 2022، صفحة 2).

كما عرف على أنه" ذلك التفاعل والتكامل والتنسيق المستمر بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات من جهة، وبين الاقتصاد الوطني والدولي من جهة أخرى، بما يحقق الشفافية والفورية والإتاحة لجميع المؤشرات الاقتصادية المساندة لجميع القرارات الاقتصادية والتجارية والمالية في الدولة خلال فترة ما" (بنون ، بيطاط، و بوالزيفة، 23 و24 أفريل 2018، صفحة 9).

كما عرفته منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية (OECD) على أنه: "جميع الأنشطة الإقتصادية التي تعتمد على استخدام المدخلات الرقمية بما في ذلك التقنيات الرقمية، والبنية التحتية الرقمية، والبيانات أو تلك التي يساعد استخدام مدخلات رقمية على دعمها وتعزيزها بشكل كبير، بما يشمل جميع المنتجين والمستهلكين، بما في ذلك الحكومة" (تقاوة و شوام، 2023، صفحة 422).

من جملة هذه التعاريف نستخلص أن الاقتصاد الرقمي هو نظام اقتصادي يعتمد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتسهيل تدفق المعلومات والسلع والخدمات ورؤوس الأموال عالميًا بفورية وشفافية، مما يدعم جميع الأنشطة الاقتصادية للمنتجين والمستهلكين بما فيهم الحكومة ويعزز القرارات الاقتصادية والتجارية.

ب-ركائز الاقتصاد الرقمي.

يعتمد الاقتصاد الرقمي على الركائز الآتية (بلخير، 2025، الصفحات 59-60):

- **البيئة القانونية والتنظيمية الواضحة:** التي تحدد حقوق ومسؤوليات وصلاحيات كل جهة، حيث يطرح الاقتصاد الرقمي تحديات كبيرة من الناحية القانونية والتنظيمية باعتباره يقوم على التعاقد بين أطراف تقيم في أماكن مختلفة وبلدان مختلفة،وهو ما يحتم إصدار قوانين تحمي المتعاملين وتضمن وتضمن حقوقهم، وتركز التشريعات فب هذا المجال على موضوعين، الأول هو وضع البنية القانونية المنظمة للتعاملات في هذا المجال ،كتنظيم الوثائق الإلكترونية ، التوقيع الإلكتروني ....، والثاني يتعلق ببث الثقة في هذه المعاملات عن طريق نظم للتأكد منها مع ثفرض عقوبات في حالة عدم احترامها؛
- **البنية التحتية:** تحتاج أي دولة في إطار الاقتصاد الرقمي إلى توفير العديد من البنى التحتية التكنولوجية أهمها شبكة الانترنيت ،الهواتف الذكية، أنظمة اتصالات، تقنيات تكنولوجية، أنظمة دفع الكترونية، وأي ضعف أو انخفاض في نوعيتها يؤثر مباشرة على تطور الاقتصاد الرقمي ، ومن أهم مكونات البنية التحتية شبكة الاتصالات السلكية واللاسكية، الحواسيب، شبكة الإنترنيت ، خدمات الدعم الفنية والتطبيقات المفتوحة والمتعددة القطاعات التي تسهل جمع البيانات وتخزينها؛
- **مواكبة القطاع المالي للتطور الرقمي ومساندته:** باعتبار الاقتصاد الرقمي داعم للاقتصاد الحقيقي، لا يستطيع القطاع المالي توفير رأس المال إلا بوجود اقتصاد حقيق منتج مع توفير التمويل بالشروط المناسبة.
- **الموارد البشرية المؤهلة:** وهذا لتطوير واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات،، فهي المحرك الأساسي الذي يقوم بالتفاعل مع البنية التحتية، ويعتمد نجاح الاقتصاد الرقمي على قدرة الأفراد والمؤسسات على المشاركة وحسن التعامل مع شبكات المعلومات المختلفة؛
- **الهوية الرقمية والبيانات الموثوقة:** تتم جميع التعاملات رقميا عبر شبكة الانترنيت ، وبالتالي فإن تقديم الهوية الرسمية أو دفع الملفات والمستندات غير ممكنة في هذا الاقتصاد، وهو ما يتطلب من كل الأطراف المتعاملة في الاقتصاد الرقمي بإنشاء هوية رقمية موثوقة من خلال مركز للبيانات الرقمية يعمل على الحصول على بيانات المستخدمين والخفاظ عليها والعمل على تأكيدها؛

- **هيكل موافقة المستفيد:** حيث أن عملية التحقق من المستفيد (العميل) بإثبات الهوية ودعمها بالبيانات الرقمية الموثوقة لا يكفي لإجراء التعامل الرقمي، بل لا بد من موافقة المستفيد (العميل) ومعرفته لهذه العملية؛
- **الحوسبة:** حيث أن عملية تخزين البيانات واستعمالها يحتاج إلأى استخدام أنظمة الحوسبة السحابية؛
- **الأمن السيبراني:** وهو أكبر تحدي إذ أن هناك العديد من عمليات القرصنة للمواقع ومراكز البيانات وبالتالي فإن عمل الحكومة هو توفير هذا الأمن بما يسمح من إجراء العمليان بكل أمان.

ثانيا: تقييم تجربة الجزائر في تعزيز التحول إلى الإقتصاد الرقمي باستخدام التكامل المعرفي.

يهتم هذا العنصر بتقييم مسار التحول نحو الاقتصاد الرقمي من خلال التكامل المعرفي في الجزائر وفقا لمؤشرات الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 بمختلف ركائزه ، وفي مايلي تفصيل ذلك:

1 الركيزة الأولى– المؤسسات

تمثل الركيزة الأولى (المؤسسات) الاستقرار والبيئة التنظيمية والحوكمة، بما في ذلك حوكمة التكنولوجيا داخل الدولة. يلعب دور الحكومات دورًا حاسمًا هنا، إذ تتحمل المسؤولية الرئيسية في بناء إطار مؤسسي قوي يدعم ريادة الأعمال، والنمو الاقتصادي، وسيادة القانون، وتحسين جودة حياة المواطنين ومستويات معيشتهم.

تُعد هذه الركيزة أساسية لأنها تشكل القاعدة التي يقوم عليها التقدم الاقتصادي والرقمي الآخر. فالمؤسسات المتينة تخلق بيئة محفزة للأعمال والابتكار، وتضمن توزيعًا واسعًا ومستدامًا لفوائد التقدم التكنولوجي. والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة الأولى المؤسسات وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 1: الركيزة الأولى– المؤسسات وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة الأولى	المؤسسات	قيمة المؤشر
1.1	البيئة السياسية	24.54
1.2	البيئة التنظيمية	21.70
1.3	حوكمة التكنولوجيا	39.91
إجمالي الركيزة		**28.7**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024، (2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة، ص163.

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 11 عربياً بـ28.7 نقطة في ركيزة المؤسسات ، مقارنة بفجوة قدرها 48.8 نقطة مع الدولة المرجعية سنغافورة (77.5 نقطة)، وترجع هذه الفجوة إلى ضعف في البيئة التنظيمية (21.70 نقطة) والسياسية (24.54 نقطة)، مما يعكس تبايناً بين الأساس التشريعي القوي والحاجة الملحة لتعزيز سيادة القانون ومكافحة الفساد، بينما يظهر مؤشر حوكمة التكنولوجيا (39.91 نقطة) قوة نسبية مقارنة بالمؤشرات الأخرى، خاصة في تشريعات التجارة الإلكترونية (100 نقطة) وأمن الخوادم (32.72 نقطة)، وهذا التباين يشير إلى حاجة ماسة للتكامل المعرفي الذي يلعب دوراً محورياً في تعزيز ركيزة المؤسسات بالاقتصاد الرقمي الجزائري، حيث يحول الفجوة إلى فرصة تنافسية عبر تبادل معرفي متعدد التخصصات بين الحكومة والجامعات والقطاع الخاص، لتطوير إطار تنظيمي وتشريعي شامل ومرن للتقنيات الناشئة وتحسين جودة التنظيم لدعم ريادة الأعمال الرقمية.

2 الركيزة الثانية– البنية التحتية

تمثل ركيزة البنية التحتية، كونها الجانب الثاني الرئيسي في مؤشر الاقتصاد الرقمي للدول العربية، قدرة الدولة على بناء وصيانة الهياكل المادية والرقمية الضرورية لازدهار الاقتصاد الرقمي. وتشمل ذلك توافر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وجودتها، وشموليتها لجميع شرائح المجتمع، وكفاءة الأنظمة اللوجستية – وكلها عناصر أساسية لدعم التقدم الرقمي.

يُعد توفر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وانتشار استخدامها على نطاق واسع أمرًا حاسمًا للدول الطامحة في الانخراط في الثورة الرقمية. فالبنية التحتية تشكل قاعدة للتجارة الرقمية والاتصالات، وتدعم تطوير المدن الذكية وخدمات الحكومة الإلكترونية وغيرها من الابتكارات، مما يساهم في التنويع الاقتصادي والنمو المستدام.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة الثانية البنية التحتية وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 2: الركيزة الثانية- البنية التحتية وفق مؤشر الاقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة الثانية	البنية التحتية	قيمة المؤشر
2.1	الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والإتصالات	72.20
2.2	إستخدام تكنولوجيا المعلومات والإتصالات	66.70
2.3	الشمول التكنولوجي	47.11
2.4	الأداء اللوجيستسي	18.20
إجمالي الركيزة		**51.05**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024،(2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة، ص ص 321- 322 .

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 8 عربياً بـ51.05 نقطة في ركيزة البنية التحتية، مقارنة بفجوة قدرها 32.5 نقطة مع الدولة المرجعية سنغافورة (77.5 نقطة)، وترجع هذه الفجوة إلى ضعف في الشمول التكنولوجي (47.11 نقطة) والأداء اللوجستي (18.20 نقطة)، بالإضافة إلى فجوات في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية (41.78 نقطة)، الجنسية (34.99 نقطة)، والريفية (39.99 نقطة في المدفوعات)، بينما يظهر مؤشر الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات (72.20 نقطة) والاستخدام (66.70 نقطة) قوة نسبية مقارنة بالمؤشرات الأخرى، مما يشير إلى انتشار جيد للإنترنت لكن عدم توازن اجتماعي، وهنا يبرز دور التكامل المعرفي بدمج خبرات الهندسة والاقتصاد لتطوير بنى تحتية رقمية مستدامة

مثل شبكات الجيل الخامس، حيث يحول المعرفة النظرية إلى استثمارات عملية لتوسيع تغطية الإنترنت الريفي وتحسين اللوجستيات عبر G5، مما يسد الفجوة الرقمية السابقة.

3 الركيزة الثالثة– القوى العاملة

تمثل ركيزة القوى العاملة عنصرًا أساسيًا في مؤشر الاقتصاد الرقمي للدول العربية، مشيرة إلى دور رأس المال البشري كمحرك رئيسي للابتكار الرقمي. وتشمل تقييم التميز التعليمي، وتنوع المهارات في القوى العاملة، وانتشار الإبداع والقدرة على التكيف – وكلها عوامل حاسمة لبناء نظام إيكولوجي رقمي قوي. تُقاس هذه الركيزة عبر مؤشرات مثل نسبة الناتج المحلي الإجمالي المخصصة للتعليم، ونسبة العمالة في الوظائف ذات المهارات العالية، وانتشار مهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم. توفر هذه المقاييس رؤية شاملة عن التزام الدولة بتطوير الموارد البشرية المناسبة للمنافسة والتميز في سوق عالمي تقني الدفع.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة الثالثة القوى العاملة وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 3: الركيزة الثالثة– القوى العاملة وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة الثالثة	القوى العاملة	قيمة المؤشر
3.1	الإنفاق على التعليم كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي(%)	0.95
3.2	العمالة الكثيفة المعرفة(%)	24.60
3.3	مهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في نظام التعليم	56.62
إجمالي الركيزة		**27.39**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024، (2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة،ص322.

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 6 عربياً بـ27.39 نقطة في ركيزة القوى العاملة ، حيث يبرز مؤشر مهارات تكنولوجيا المعلومات في التعليم (56.62 نقطة) كأقوى المؤشرات، مما يعكس الجهود الناجحة في دمج التكنولوجيا بالتعليم، ويمكن تعزيزه عبر التكامل المعرفي بتصميم برامج تكوين مشتركة بين الجامعات وقطاع التكوين المهني وسوق العمل الرقمي لنقل المعرفة التطبيقية. في المقابل، يسجل مؤشر الإنفاق التعليمي (0.95%) والعمالة كثيفة المعرفة (24.60 نقطة) ضعفاً ملحوظاً، يكشف عن نقص التمويل والمهارات المتخصصة، ويمكن مواجهته بالتكامل المعرفي من خلال توجيه نسبة من إيرادات البترول لأبحاث رقمية مشتركة بين الحكومة والجامعات لرفع الإنفاق، وإنشاء مراكز مهارات متخصصة لتكوين قصير مجاني في الذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني والروبوتيكس، كمركز سطيف Skills Center الذي يربط الشباب بشركات ناشئة وصناديق استثمار، ليصبح التكامل المعرفي أداة حاسمة لتحسين الأداء الرقمي.

4 الركيزة الرابعة– الحكومة الرقمية

يقيم محور الحكومة الرقمية، كونه جزءًا أساسيًا في مؤشر الاقتصاد الرقمي للدول العربية، مدى استخدام المؤسسات الحكومية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تقديم الخدمات العامة. يضع هذا المحور الفرد في قلب عملية التنمية، مع التركيز على خدمات مرتكزة على المستخدم، فعالة ومتاحة عبر قنوات متعددة. ويشمل تطور الخدمات الإلكترونية عبر الإنترنت، والبنية التحتية الاتصالية الأساسية، ورأس المال البشري الداعم للحكومة الرقمية.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة الرابعة القوى العاملة وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 4: الركيزة الرابعة– الحكومة الإلكترونية وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة الرابعة	الحكومة الإلكترونية	قيمة المؤشر
4.1	الخدمات الحكومية عبر الإنترنت	61.33
4.2	البنية التحتية للإتصالات	37.43
4.3	مكون رأس المال البشري	69.56
إجمالي الركيزة		**56.11**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024،(2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة،ص322.

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 11 عربياً بـ56.11 نقطة في ركيزة الحوكمة الإلكترونية، مع تميز في الخدمات عبر الإنترنت (61.33 نقطة) ورأس المال البشري (69.56 نقطة)، في حين يسجل مؤشر بنية الاتصالات (37.43 نقطة) ضعفاً ملحوظاً، مما يعكس تقدماً في تقديم الخدمات الإدارية الرقمية مثل الوثائق والجباية والسجل التجاري والعدالة الإلكترونية، لكن كل وزارة تمتلك قواعد بيانات وخبرات منفصلة، ويتطلب الاقتصاد الرقمي تنسيقاً معرفياً بين الوزارات عبر دمج هذه المعارف في منصات وخدمات رقمية مشتركة مثل الهوية الرقمية الموحدة وبوابات المعاملات وسلاسل القيمة الرقمية الكاملة، حيث ينتج هذا التكامل منصات رقمية تخفض البيروقراطية وتقلص الاقتصاد غير الرسمي وتزيد من شفافية المعاملات، مما ينعكس إيجاباً على مناخ الأعمال والاقتصاد الرقمي الجزائري.

5 الركيزة الخامسة– الابتكار

يقيس محور الابتكار، كونه جانبًا حاسمًا في مؤشر الاقتصاد الرقمي للدول العربية، مدى دعم الدولة لبيئة محفزة للإبداع والتقدم التكنولوجي. يُقيَّم نظام الابتكار الإيكولوجي، كأساس للتحول الرقمي، عبر مؤشرات مثل إجمالي الإنفاق على البحث والتطوير كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، وحصة التمويل الخاص له، والشراكات بين الجامعات والصناعة، وتأثير نقل المعرفة واستيعابها.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة الخامسة الابتكار وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 5 : الركيزة الخامسة– الإبتكار وفق مؤشر الاقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة الخامسة	الإبتكار	قيمة المؤشر
5.1	نسبة إجمالي الإنفاق على البحث والتطوير بتمويل من قطاع الأعمال	8.30
5.2	التعاون بين الجامعات والصناعة في مجال البحث والتطوير	28.90
5.3	تأثير المعرفة	11.90
5.4	إستعاب المعرفة	20.40
إجمالي الركيزة		**17.38**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024،(2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة،ص 323 .

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 12 عربياً بـ17.38 نقطة في ركيزة الابتكار، حيث تُبذل الجزائر جهود لتبني اقتصاد قائم على المعرفة والابتكار، لكن النتائج النوعية لا تزال دون المأمول، خاصة في تمويل البحث من القطاع الخاص (8.30 نقطة) وتأثير المعرفة (11.90 نقطة) واستعابها (20.40 نقطة)، رغم ضعف التعاون بين الجامعات والصناعة الذي يحد من نقل التكنولوجيا والمعرفة إلى السوق (28.90 نقطة)، وهناك حاجة ماسة لتعزيز الشراكات الأكاديمية–الصناعية ورفع إنفاق البحث والتطوير عبر تمويل من القطاع الخاص مقابل منح حوافز ضريبية ومالية لهذه المؤسسات.

6 الركيزة السادسة– الجاهزية التكنولوجية وتقنيات المستقبل (المعرفة والتكنولوجيا سابقاً)

تمثل ركيزة الجاهزية التكنولوجية وتقنيات المستقبل دليلاً على قدرة الدول على مواكبة التطورات التكنولوجية السريعة، كجزء أساسي من القدرة التنافسية والازدهار الاقتصادي. تعكس هذه الركيزة ليس فقط استغلال التقنيات الحالية، بل أيضًا توقع الابتكارات المستقبلية والاستثمار فيها. ولقياس جاهزية

الدولة، يُفحص مؤشرات مثل اعتماد التقنيات الناشئة، والاستثمارات فيها، وصياغة الاستراتيجيات المستقبلية.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة السادسة- الجاهزية التكنولوجية وتقنيات المستقبل (المعرفة والتكنولوجيا سابقاً) وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 6: الركيزة السادسة- الجاهزية التكنولوجية وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة السادسة	الجاهزية التكنولوجية(تقنيات المستقبل)	قيمة المؤشر
6.1	إعتماد التقنيات الناشئة	47.15
6.2	الإستثمار في التقنيات الناشئة	34.00
6.3	إستراتيجية الذكاء الإصطناعي	100.00
إجمالي الركيزة		**60.38**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024 ،(2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة،ص323.

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 12 عربياً بـ60.38 نقطة في ركيزة الجاهزية التكنولوجية، بفضل استراتيجية الذكاء الاصطناعي (100 نقطة) التي تعكس جهودها القوية واستعدادها لتقنيات المستقبل، ويمكن تعزيزها عبر تكامل معرفي وطني لمراكز بيانات متعددة التخصصات، في حين يسجل مؤشرا الاستثمار (34 نقطة) والاعتماد على التقنيات الناشئة (47.15 نقطة) ضعفاً، ويمكن معالجة هذه النقاط بالتكامل الاقتصادي والتقني الذي يجذب استثمارات خاصة عبر شراكات معرفية بين القطاعين العام والخاص.

7 الركيزة السابعة- تطور السوق وتعقيده (نضج السوق)

تعمل ركيزة تطور السوق وتعقيده كمؤشر رئيسي لنظامها المالي البيئي وقدرتها على دعم نمو الشركات بشكل مستدام، مع تعزيز الابتكار. تعكس نضج الخدمات المالية والتمويلية، التي تشكل أساسًا لربط

الأعمال بالابتكار والتنمية الاقتصادية. وتشمل المؤشرات الرئيسية توافر تمويل الشركات الناشئة وسهولة الوصول إليه، ونسبة الائتمان المحلي للقطاع الخاص إلى الناتج المحلي الإجمالي، والتنوع الصناعي المحلي – مما يقدم مقياسًا شاملاً لديناميكية السوق وتعقيدها.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة السابعة- تطور السوق وتعقيده (نضج السوق) وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 7: الركيزة السابعة- تطور السوق وتعقيده وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة السابعة	تطور السوق وتعقيده (نضج السوق)	قيمة المؤشر
7.1	تمويل الشركات الناشئة وسهولة الحصول عليها	25.94
7.2	الإئتمان المحلي للقطاع الخاص، % من الناتج المحلي الإجمالي	29.70
7.3	تنويع الصناعة المحلية	43.50
إجمالي الركيزة		**33.05**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024،(2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة،ص323.

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 12 عربياً بـ33.05 نقطة في ركيزة تطور السوق وتعقيده، مع تقدم نسبي في تنويع الصناعي (43.50 نقطة)، في حين يسجل مؤشرا تمويل الشركات الناشئة (25.94 نقطة) والائتمان (29.70 نقطة) ضعفاً، مما يعكس حاجة ماسة لتنويع الصناعات خارج المحروقات، ويكمن دور التكامل المعرفي في تعزيز نمو الشركات الناشئة بدمج المعرفة التجارية مع الرقمية لزيادة التجارة الإلكترونية وتسهيل إنشاء وتوسيع عملياتها عبر الإنترنت، مع إجراء إصلاحات في قوانين المالية والائتمانية لتسهيل حصول الشركات الناشئة على الدعم المالي، مما يشكل بيئة داعمة لنمو الأعمال والابتكار.

8 الركيزة الثامنة– نمو الأسواق المالية

تقدم ركيزة نمو الأسواق المالية، كجزء من مؤشر الاقتصاد الرقمي للدول العربية، رؤية واضحة حول نجاح الدول في دمج الشمول المالي والتكنولوجيا المالية ضمن إطارها الاقتصادي. لم يعد الشمول المالي مجرد خيار سياسي، بل محركًا رئيسيًا للابتكار الاقتصادي، حيث تلعب التكنولوجيا المالية دورًا محوريًا في تشكيل المشهد المالي للمجتمعات.

تشمل المقاييس الرئيسية نسبة السكان فوق 15 عامًا الذين يملكون حسابات مصرفية، وانتشار حاملي بطاقات الخصم والائتمان، ومشاركة الأفراد في المعاملات المالية الرقمية، وقيمة سوق رأس المال المدرجة كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة الثامنة– نمو الأسواق المالية وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 8: الركيزة الثامنة– نمو الأسواق المالية وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة الثامنة	نمو الأسواق المالية	قيمة المؤشر
8.1	التكنولوجيا المالية والشمول المالي	33.89
8.1.1	نسبة من يمتلكون حسابات بنكية من السكان (% من العمر 15+)	44.10
8.1.2	نسبة من يمتلكون بطاقة خصم أو إئتمان(+15%)	23.82
8.1.3	% نسبة من قامو بإجراء أو تلقي دفعة رقمية(+15%)	33.74
8.2	القيمة السوقية لسوق رأس المال كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي	5.04
إجمالي الركيزة		**19.46**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024،(2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة،ص324.

من خلال الجدول أعلاه، نلاحظ أن الجزائر تحتل المرتبة 11 عربياً بـ19.46 نقطة في ركيزة نمو الأسواق المالية، مع ضعف في رأس المال السوقي (5.04 نقطة) وحسابات بنكية (44.10 نقطة) رغم تقدم في المدفوعات الرقمية (33.74 نقطة)، مما يشير إلى تحديات في الأسواق المالية الرقمية مثل ضعف السيولة السوقية والقدرة على توجيه الادخار نحو استثمارات منتجة، حدّاً من النمو الاقتصادي المدعوم رقمياً، ويمكن تجاوز ذلك بتعزيز الرقمنة عبر رقمنة الأسواق التجارية والمالية وتحسين الكفاءة الإنتاجية، مع الاستفادة من التكامل المعرفي كأداة حاسمة بدمج المعارف الاقتصادية والتكنولوجية لبناء منصات بيانات مشتركة وتدريب متعدد التخصصات وشراكات أكاديمية–صناعية تعزز المدفوعات الرقمية والحسابات البنكية، مما يؤدي إلى نمو اقتصادي رقمي مدعوم وتقليل الفجوة عن الدول الرائدة.

9 الركيزة التاسعة– التنمية المستدامة

تمثل ركيزة التنمية المستدامة مقياسًا لفعالية الدول في استغلال التقدم التكنولوجي لتحقيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة. تشمل هذه الأهداف مجموعة واسعة مثل القضاء على الفقر، ومكافحة الجوع، وتعزيز الصحة والرفاه، وتوفير تعليم جيد، ودعم العمل اللائق والنمو الاقتصادي، وتحفيز الابتكار الصناعي والبنى التحتية، بالإضافة إلى تعزيز الشراكات لتحقيقها.

والجدول التالي يوضح مدى التقدم الجزائر في الركيزة التاسعة– التنمية المستدامة وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024 كما يلي:

الجدول 9: الركيزة التاسعة– التنمية المستدامة وفق مؤشر الإقتصاد الرقمي العربي لسنة 2024.

الركيزة التاسعة	التنمية المستدامة	قيمة المؤشر
9.1	الهدف 1:القضاء على الفقر	97.67

9.2	الهدف 2: القضاء على الجوع	57.56
9.3	الهدف3: الصحة الجيدة والرفاهية	77.35
9.4	الهدف4: التعليم الجيد	70.05
9.5	الهدف8: العمل اللائق والنمو الإقتصادي	67.46
9.6	الهدف9: الإبتكار في الصناعة والبنية التحتية	53.87
9.7	الهدف17: الشراكة من أجل تحقيق الأهداف	81.06
إجمالي الركيزة		**72.15**

المصدر: علي محمد الخوري، المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024 ،(2024)، صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي، الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي ، أبو ظبي، امارات العربية المتحدة، ص324.

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن الجزائر تحتل مرتبة 4 عربيا ب71.71 نقطة في ركيزة أهداف التنمية المستدامة ضمن مؤشر الاقتصاد الرقمي العربي 2024، مع نقاط قوة في الالتزام السياسي والاستثمارات البيئية ، لكن ضعفاً في الإدماج الرقمي لأهداف التنمية المستدامة مثل تقليص الانبعاثات والاقتصاد الدائري، رغم تقدم في برامج التشجير وتوفير المياه، مما يشير إلى تحديات في ربط الرقمنة بالاستدامة البيئية والاجتماعية، مما يحد من النمو الاقتصادي المدعوم رقمياً؛ ويمكن تجاوز هذه التحديات بتعزيز الرقمنة عبر منصات بيانات مستدامة، وتحسين الكفاءة الإنتاجية، مع الاستفادة من التكامل المعرفي كأداة حاسمة بدمج المعارف الاقتصادية والبيئية والتكنولوجية لتحسين الإدماج الرقمي، من خلال بناء شراكات أكاديمية–صناعية، تدريب متعدد التخصصات، ومنصات مشتركة تعزز الاستثمارات الخضراء والحوكمة الرقمية، مما يؤدي إلى نمو اقتصادي مستدام مدعوم رقمياً وتقليل الفجوة عن الدول الرائدة .

ثالثا: تحديات التي تعيق التكامل المعرفي لتعزيز الاقتصاد الرقمي الجزائري وسبل تحسينها.

يمثل التكامل المعرفي بين العلوم الاقتصادية والتكنولوجية والقانونية والاجتماعية أحد المرتكزات الأساسية لبناء اقتصاد رقمي جزائري أكثر كفاءة وقدرة على مواكبة التحولات العالمية. غير أنّ تفعيل هذا التكامل

على أرض الواقع يواجه جملة من التحديات التي لا تعرقل فقط مساره بل تحد من إمكانية توظيف المعرفة بشكل تكاملي في صياغة السياسات، وتصميم المنصات والخدمات، وتحقيق القيمة المضافة المنشودة للاقتصاد الوطني، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى تناولها بالدراسة والتحليل واقتراح سبل عملية لتحسينها استناداً إلى مخرجات تقرير المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي 2024 (الخوري، 2024، صفحة 327):

1 التحديات التي تعيق تفعيل دور التكامل المعرفي.

رغم المجهودات التي تقدمها الجزائر في هذا مجال، ما زالت هناك مجموعة من العوائق البنيوية التي تحد من الأثر الكامل للتكامل المعرفي على الاقتصاد الرقمي في الجزائر، أهمها:

- ضعف كفاءة وانتشار البنية التحتية الرقمية مما يحد من تعميم الخدمات الرقمية المتقدمة وتوسيع استخدام الإنترنت عالي السرعة على مستوى جميع مناطق البلاد؛
- نقص المهارات والقدرات الرقمية، خاصة ما يتعلق في المجال التعليمي والتكويني، وبالتالي نقص في قوة عمل قادرة على مواكبة متطلبات الاقتصاد الرقمي؛
- ببطء تحديث الأنظمة الإدارية وضعف تكامل المنصات الرقمية، ما يؤثر في جودة الخدمات المقدمة في مجالات التعليم والصحة والنقل والخدمات الإدارية. كما يحدّ هذا الوضع من تجربة المستخدم وثقته في الحلول الرقمية، ويؤخر الانتقال من نماذج تقديم الخدمات التقليدية إلى نماذج أكثر كفاءة وشفافية تعتمد على الحلول الإلكترونية؛
- محدودية الحوافز والتمويل الموجه للابتكار، مما يؤدي إلى ضعف توطين الحلول الرقمية محلياً، واستمرار الاعتماد النسبي على التقنيات المستوردة، مع ما يترتب عن ذلك من ضياع فرص خلق قيمة مضافة وطنية وفرص عمل نوعية في القطاع الرقمي.
- المخاطر المتعلقة بتعطل الخدمات الرقمية أو تمسّ بخصوصية المعاملات والبيانات الوطنية من التهديدات السيبرانية المتزايدة؛

– يظل توسيع أثر التجارة الإلكترونية على الاقتصاد الوطني تحدياً، بالنظر إلى حاجة المنظومة التشريعية واللوجستية والمالية إلى مزيد من التطوير لتمكين الفاعلين المحليين من الوصول الفعّال إلى الأسواق الداخلية والخارجية عبر القنوات الرقمية.

2 سبل تحسين التحديات

لتعزيز اقتصاد الرقمي باستخدام التكامل المعرفي، تحتاج الجزائر إلى معالجة عدة مجالات حاسمة:

- تطوير البنية التحتية الرقمية الحالية لدعم الإنترنيت عالي السرعة وخدمات الاتصالات المتقدمة في جميع أنحاء البلاد؛
- إنشاء برامج تعليمية أكثر شمولا تدمج المهارات الرقمية الحالية لإعداد القوى العاملة لمتطلبات الاقتصاد الحديث؛
- توسيع الخدمات الرقمية عبر القطاعات العامة مثل الصحة والتعليم والنقل لتحسين الكفاءة وإمكانية الوصول لجميع المواطنين؛
- تشجيع الابتكار المحلي من خلال حوافز البحث والتطوير، خاصة في القطاعات التي تعتمد على التكنولوجيا مثل الطاقة المتجددة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛
- صياغة استراتيجية قوية للأمن السيبيراني لحماية البنية التحتية الرقمية الوطنية والبيانات الشخصية من التهديدات السيبيرانية؛
- تعزيز نمو التجارة الإلكترونية من خلال تبسيط اللوائح وتوفير المنصات التي تدعم الشركات المحلية في الوصول إلى أسواق أوسع.

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع التكامل المعرفي ودورها في تعزيز الإقتصاد الرقمي في الجزائر خلصنا إلى أنّ الإقتصاد الرقمي ظهر نتيجة التطور المستمر على مدار العقود الماضية، وقد وصل إلى المرحلة الحالية بعد خضوعه للتغيرات التدريجية من خلال مواكبة التطورات التكنولوجية، وكان هناك تعديل وتطوير نقل الأنشطة الاقتصادية من أنشطة الاقتصادية اليدوية إلى الأنشطة الاقتصادية الالكترونية مما جعلها أكثر سهولة وملائمة لحاجيات المتعاملين الاقتصاديين ، ومن خلال ذلك يمكن ابراز النتائج التالية:

-أدى التحول الأخير في الإقتصاد نحو تقنيات التكنولوجيا الإعلام والإتصال إلى ظهور ما يعرف بالإقتصاد الرقمي، من خلال دمج التقنيات الرقمية في الأنشطة الإقتصادية؛

– يعتبر التكامل المعرفي بين المؤسسات الأكاديمية والقطاعات الاقتصادية محركاً فعالاً لتعزيز التحول نحو الاقتصاد الرقمي في الجزائر، خاصة في ظل التحديات الهيكلية للاقتصاد النفطي المهيمن والفجوات في البنية التحتية الرقمية والمهارات البشرية؛

– ضعف الكفاءة والتحكم في التسيير وغياب التنسيق بين مختلف الهيئات المسؤولة عن تنفيذ التكامل المعرفي من الأسباب الأساسية لانخفاض المؤشرات للاقتصاد الرقمي في الجزائر لسنة 2024؛

– نقص الوعي لدى مختلف الأطراف المعنية بالتكامل المعرفي بأهميته في تعزيز الإقتصاد الرقمي؛

– بذلت الجزائر مجهودات كبيرة لدعم وتجسيد التكامل المعرفي في معظم المجالات الحيوية لا سيما الجانب الأكاديمي، لما له من دور في تعزيز التحولها إلى الإقتصاد الرقمي ، حيث لقد أثبتت الإنجازات المحققة في البنية التحتية، والحوكمة، الجاهزية التكنولوجية، والتنمية المستدامة، أن الجزائر قد وضعت أسسًا متينة لمستقبل رقمي واعد،

– رغم المجهودات التي تقدمها الجزائر في مجال تطبيق التكامل المعرفي ، ما زالت هناك مجموعة من العوائق البنيوية التي تحد من الأثره الكامل على الاقتصاد الرقمي في الجزائر، مما يتطلب حلول له حتى يفعل ويرتقي للمستوى المطلوب منه في تعزيز الإقتصاد الرقمي.

التوصيات: بعد تقديم النتائج المتوصل إليها يمكن تقديم بعض الاقتراحات لتفعيل دور التكامل المعرفي في تحسين الخدمات الرقمية في الأنشطة الإقتصادية في الجزائر:

- العمل على زيادة الوعي لدى مختلف أطراف ذات العلاقة التكامل المعرفي بأهميته في تعزيز التحول نحو الإقتصاد الرقمي؛
- تخصيص نسبة محددة من ميزانية الجزائر، لتعزيز البنية التحتية الرقمية لزيادة سرعة اتصال الإنترنت على الصعيد الوطني، مع الاستفادة منها أيضاً في تطوير برامج تعليم تركز على التكنولوجيا لدعم التحول نحو الاقتصاد الرقمي؛

- تعزيز الشراكة بين جميع الأطراف (الوزارات، والقطاع الخاص، الجامعات) بهدف دعم التحول نحو الاقتصاد الرقمي من خلال حشد وتبادل المعرفة والخبرة والتكنولوجيا والموارد المالية بين جميع الأطرف؛
- ضرورة تنسيق بين جميع الكيانات المسؤولة عن تنفيذ التكامل المعرفي، وذلك بهدف التوصل إلى تكامل هذه الكيانات ومن ثم تحقيق تلك الأهداف، لأن تنسيق بين تلك الكيانات يعد مسألة مهمة للغاية لتسريع التحول نحو الإقتصاد الرقمي؛
- ضرورة تدخل الدولة لتشجيع الشركات الناشئة والتي لها اهتمامات تكنولوجية من خلال منح المزيد من الإعانات المالية مما يشكل بيئة داعمة لنمو الأعمال والابتكار ؛
- على الجزائر وضع حلول متكاملة من السياسات والاستثمارات والتشريعات والتي من خلالها يمكن أن تتصدى للتحديات التي تعيق تحول للإقتصاد الرقمي ، خاصة تلك المتعلقة بمجال الأمن السيبيراني؛
- الاستفادة من تجارب الدول السابقة في مجال التكامل المعرفي ومواكبة التطور التكنولوجي.
- العمل على وضع خطط علاجية للتخلص من التحديات التي تحد من فعالية التكامل المعرفي في تحسين الخدمات الرقمية في الأنشطة الإقتصادية في الجزائر.

قائمة المراجع:

1) مقالات:

1. الربيع بوجلال. (2024). التكامل المعرفي. *مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية*، *07*(01)، 20.
2. رانية تقاوة، و بوشامة شوام. (2023). التحول الرقمي كخيار استراتيجي في ظل الانتقال نحو الاقتصاد الرقمي في الجزاير. مجلة الاقتصاد والبيئة، 06(01)، 422.

3. سليمة دوسن. (2024). فلسفة التكامل المعرفي بين العلوم ضرورة أبستمولوجية. سلسلة الأنوار، 14(01)، 8.

4. محمد عبد النور، و ابراهيم لهزيل. (2021). أصول المعرفة التكاملية من خلال مفهوم الكلي الفلسفي. مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، 09(04)، 42.

2) المداخلات:

1. خير الدين بنون ، نور الدين بيطاط، و صابر بوالزيفة. (23 و24 أفريل 2018). أثر تكنولوجيا المعلومات والتصالات في النشاط الاقتصادي. *المستهلك والاقتصاد الرقمي: ضرورة الانتقال وتحديات الحماية* (صفحة 9). ميلة: مركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف.

2. يوسف زيدان، و محمد دباش . (18 جوان 2022). الاقتصاد الرقمي في الجزائر بين السبل والتحديات. البيانات الضخمة والاقتصاد الرقمي كآلية لتحقيق الإقلاع الاقتصادي في الدول النامية الفرص التحديات الأفاق (صفحة 2). الوادي: كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة الشهيد حمة لخضر.

3) الأطروحات:

1. زينب بلخير. (2025). دور المؤسسات الناشئة في تحقيق التنويع الاقتصادي للجزائر في إطار التحول الرقمي. 59-60. أم البواقي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر: جامعة أم البواقي.

4) التقارير:

1. علي محمد الخوري. (2024). *المؤشر العربي للاقتصاد الرقمي الرقمي 2024 صعود تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العربي*. أبو ظبي امارات العربية المتحدة: الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي.

Women's participationin the workforce and its relationship to economic development in North African countries 19990-2024

Kabaz Meriem[1]
Algiers 3 university
Kabaz.eco@gmail.com
Elbachir omar abdelaaziz[2]
Blida 2 university
omarazizelbachireco@gmail.com

Abstract:

In comparison with many developed countries, the rate of women's participation in North African countries is very low. To find out the reasons for this decrease, the relationship between the rate of women's participation in the labor force and individual income has been studied. This study aims to find out the main factors that affect the rate of women's participation in North African countries (Algeria, Tunisia, Morocco, Egypt) and verify the validity of the (u-shape) hypothesis of the relationship between the female participation rate and the individual income proposed by Goldin (1995). In the applied part, the model based on previous studies in this field, the estimation uses the fixed effect panel model for the period (1990-2024). From the results of the estimation, we conclude that there is an evidence of (u-shaped) relationship between women's participation rate and the GDP per capita in North African countries.

Keywords: (u-shaped) curve,women participation, fixed effect

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مشاركة المرأة في القوى العاملة وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية في دول شمال إفريقيا
دراسة اقتصادية قياسية للفترة 1990–2024

كباز مريم[1]
جامعة الجزائر3، الجزائر
Kabaz.eco@gmail.com
البشير عمر عبد العزيز[2]
جامعة البليدة 2، الجزائر
omarazizelbachireco@gmail.com

ملخص:

مقارنتا مع العديد من الدول المتطور والدول السائرة في النمو، يعتبر معدل مشاركة المرأة في دول شمال إفريقيا منخفض جدا، لمعرفة أسباب هذا الانخفاض تم دراسة العلاقة بين معدل مشاركة المرأة في القوى العاملة والدخل الفردي. بحيث تهدف هذه الدراسة لمعرفة العوامل الأساسية التي تؤثر في معدل مشاركة المرأة في دول شمال إفريقيا (الجزائر، تونس، المغرب، مصر) والتحقق من صحة فرضية (u-shape) للعلاقة التي تربط بين معدل مشاركة المرأة و الدخل الفردي المقترحة من طرف (Goldin)سنة 1995. في الشق التطبيقي تم تقدير النموذج المبني على الدراسات السابقة في هذا المجال باستخدام نموذج بانل الأثر الثابت للفترة الممتدة بين (1990-2024). من نتائج التقدير نستنتج أن هناك(u-shaped) للعلاقة التي تربط بين معدل مشاركة المرأة والناتج الفردي في دول شمال إفريقيا.

الكلمات المفتاحية: منحنى(u-shaped)، مشاركة المرأة، الأثر الثابت .

مقدمة:

تسعى حكومات دول شمال إفريقيا إلى تبني العديد من الإصلاحات والسياسات الاقتصادية لدفع عجلة النمو، يعتبر إقحام المرأة في سوق الشغل من أهم المؤشرات التي تساهم بشكل كبير في تحقيق هذه الإصلاحات.تتميز دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط بأقل المعدلات لمشاركة المرأة في القوى العاملة مقارنة بالدول الأخرى(verme, 2015).في معظم الحالات معدل المشاركة منخفض جدا في دول الشرق الأوسط و شمال إفريقيا، حالة المغرب مثلا طيلة العقدين الماضيين لم يرتفع معدل المشاركة على قيمته الدنيا (Kelsey A.Chapman, 2015).لمعرفة طبيعة العلاقة التي تربط بين معدل المشاركة و الدخل الفردي في هذه الدول نقوم باختبار صحة فرضية أن العلاقة بين مشاركة المرأة و التنمية الاقتصادية تكونعن طريق منحنى من شكل(u)،فمن خلال الطرح السابق تظهر ملامح اشكالية البحث والتي يمكن طرحها على النحو التالي:

- **هل العلاقة بين معدل مشاركة المرأة والدخل الفردي في دول شمال افريقيا خاضعة لمنحنى (u-shaped؟)**

للإجابة على إشكالية البحث، سنحاول الإلمام بالموضوع من خلال الدراسات السابقة والفروع المقبلة.

هناك العديد من الدراسات التي تناولت هذا المجال، حيث يمكن تقسيمها إلى قسمين في جزئها الأول تمثلت بدراسات حول محددات مشاركة المرأة في المدى البعيد المبنية على معطيات زمنية، أما في جزئها الثاني تمثلت في دراسات مقطعية التي تربط معدل المشاركة والعوامل المحددة مبنية على معطيات فردية والتي يمكن أن تتغير في المدى القصير كالتعليم، الزواج والدخل العائلي. اعتمدت معظم هذه الدراسات في شقها التطبيقي على التحليل اللوجيستيكي بفرض المتغيرة التابعة المتمثلة بمشاركة المرأة متغيرة نوعية. في بحثنا هذا نعتمد على الجزء الأول من الدراسات السابقة والمتمثل في العلاقة بين معدل المشاركة والتنمية الاقتصادية في المدى البعيد و حقيق فرضية (u-shaped). من الأبرز الدراسات الممتدة بين سنة 1970 إلى غاية 1995 متمثلة في الدراسات التالية (Boserup, 1970, Durand,1975, Psacharapouls and Tzammatos 1995)(verme,2015,p01). تمثلت الدراسات الحديثة في تحقق من فرضية(u-shaped)للعلاقة بين

معدل المشاركة و الدخل الفردي، دراسة(Kelsey Chapman,2015)إستعمل بانل الخاص بعشرين دولة من دول الشرق الأوسط و دول شمال إفريقيا للفترة الممتدة بين (1996-2012) حيث تم التقدير عن طريق الأثر الثابت حيث جاءت النتائج موافقة لفرضية(u-shaped)للعلاقة بين معدل المشاركة و الدخل الفردي، أما بالنسبة(verme2015)استعمل بانل الخاص بعشرين دولة من دول الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا للفترة الممتدة بين (1990-2012) حيث تم التقدير عن طريق بانل الديناميكي بالاستعمال طريقة العزوم المعممة فجاءت النتائج مخالفة لسابقتها و هذا ما فسره الباحث أن معدلات المشاركة المنخفضة لا تخضع إلى مستويات التنمية في هذه الدول بل هي خاضعة لمحددات أخرى. (Stella Tsani et al,2013)تمت الدراسة على 11 دولة من جنوب المتوسط حيث استعمل تنبؤات للفترة بين 2015 إلى غاية 2030 لكل من معدل المشاركة و الدخل الفردي، حيث تم التقدير على نفس الفترة المستقبلية و من أبرز النتائج أن العلاقة بين المتغيرتين ستكون خاضعة لمنحنى(u-shaped).

(Gaddis, Klasen,2014)لقد تم جمع مختلف التقديرات لدول(OECD)و الدول الغير تابعة لـ (OECD)للفترة الممتدة بين (1950-2005) و التي قسمت إلى ثلاث مراحل وكذالك قسمت النساء إلى ثلاث فئات عمرية، تم تقدير مختلف الحالات بين السنوات و الفئات العمرية، أولا النموذج الثابت عن طريق (ols)و الأثر الثابت ثانيا النموذج الديناميكي عن طريق العزوم المعممة ، أضفت النتائج إلى نقد فرضية(u shaped). حيث تم نقد النموذج الأصلي الذي يربط العلاقة بين معدل المشاركة والدخل الفردي فقط إلى بناء نموذج جديد تنطبق عليه فرضية (u shaped)والذي يربط بين التغير الهيكلي، التعليم والتغير في الخصوبة.

في دراستنا تم تبني نموذج (Stella,2013)الذي يعتمد على المستوى التعليمي، معدل التمدن، معدل الخصوبة، معدل البطالة والدخل الفردي، حيث ستكون الدراسة مخصصة لدول شمال إفريقيا (الجزائر، مصر، تونس، المغرب) و تتميز هذه الدراسة باستعمال الأثر العشوائي في تقدير النموذج لاختبار صحت فرضية أن العلاقة بين معدل المشاركة و التنمية الاقتصادية تكون على شكل حرف .(u) قسمت هذه الدراسة إلى فروع في الفرع الأول يتم تحليل واقع مشاركة المرأة في دول شمال إفريقيا،الفرع الثاني يتم فيه تحليل و تفسير

منحنى(u-shaped)، الفرع الثالث يتم فيه صياغة النموذج أما في الفرع الرابع يتم تقدير النموذج و إبراز أهم النتائج و الفرع الأخير يتمثل في خاتمة البحث.

أولا: تفسير منحنى(u-shaped):

تعتبر فرضية المنحنى الذي يأخذ شكل حرف (u)الذي ساهم في تطويره كل من Goldin 1990 Pampel,Tnaka 1986, Claudia 1995من أهم الفرضيات التي تشير إلى الارتباط مابين مشاركة المرأة في سوق العمل ومستويات التنمية الاقتصادية مقاسة بمستوى الدخل. توضح هذه الاخيرة أن معدلات مشاركة المرأة في سوق العمل تكون أعلى في البلدان الفقيرة، حيث تشارك الإناث في أنشطة الكفاف – الزراعة على الأغلب–لمساعدة الأسرة. ومع تحسن مستويات التنمية الاقتصادية تنخفض مستويات مشاركة المرأة في سوق العمل في البلدان متوسطة الدخل مع تحول نمط التنمية إلى الأنشطة الصناعية وتحول نمط التوظيف باتجاه الوظائف الصناعية التي تناسب الرجل بشكل أكبر. مع استمرار تحسن مستويات التنمية والدخل يحدث تحسن ملموس في مستويات تعليم الإناث وتنخفض عادة معدلات الخصوبة، وتزداد مساهمة قطاع الخدمات في توليد الناتج وفرص العمل ومن ثم تتجه المرأة للانضمام إلى القوى العاملة استجابة للطلب المتزايد على العمالة في قطاع الخدمات الذي يعد كذلك الأكثر ملائمة للمرأة.(هبة عبد المنعم، سفيان قعلول، 2018، ص09). في المستويات المتقدمة من التنمية الاقتصادية ترتفع مستويات التعليم عند المرأة و هذا ما يؤدي إلى انخفاض معدلات الخصوبة و كذلك بوجود عوامل سوسيو– ثقافية أخرى ترتفع معدلات مشاركة المرأة في سوق العمل(Goldin 1995). عند ارتفاع الدخل الفردي تتطور أساليب وطرق العناية بالأطفال وفي المقابل زيادة الطلب على مناصب الشغل الخاصة بالدوام الجزئي و هذا ما يسمح للمرأة بالعمل خارج البيت أي الولوج إلى سوق الشغل ((Kelsey Chapman,2015, P07).من المهم فهم العلاقة بين التنمية و مشاركة المرأة في القوى العاملة، لأن منحنى (u-shaped)يقترح وجود مفاضلة بين النمو و المساواة بين الجنسين في الدول الفقيرة، و فهم هذا التفاضل مهم لصناع القرار في ترجمة توجهات عرض العمالة و وضع سياسات ملائمة(Isis Gaddis, Stephan Klasen, 2014,P640).في مراحل الازدهار الاقتصادي يصبح أثر الإحلال أقوى من أثر الدخل (الدخل العائلي أو بالأخص دخل الزوج

المكلف بشؤون الأسرة)،لأن أثر الإحلال يكون مصحوبا بعرض أجور مرتفعة للمرأة في قطاع الخدمات وهذا ما يؤدي إلى ارتباط معدل مشاركة المرأة مع الدخل الفردي ارتباطا إيجابيا.

ثانيا: واقع مشاركة المرأة في القوى العاملة لدول شمال افريقيا.

سنقوم بعرض الشكل البياني التالي الذي يوضح مختلف التغيرات التي عرفتها مشاركة المرأة في القوى العاملة للدول التالية: المغرب، الجزائر، تونس ومصر.

الشكل رقم(1): منحنى تطور مشاركة المرأة في القوى العاملة لدول شمال افريقيا.

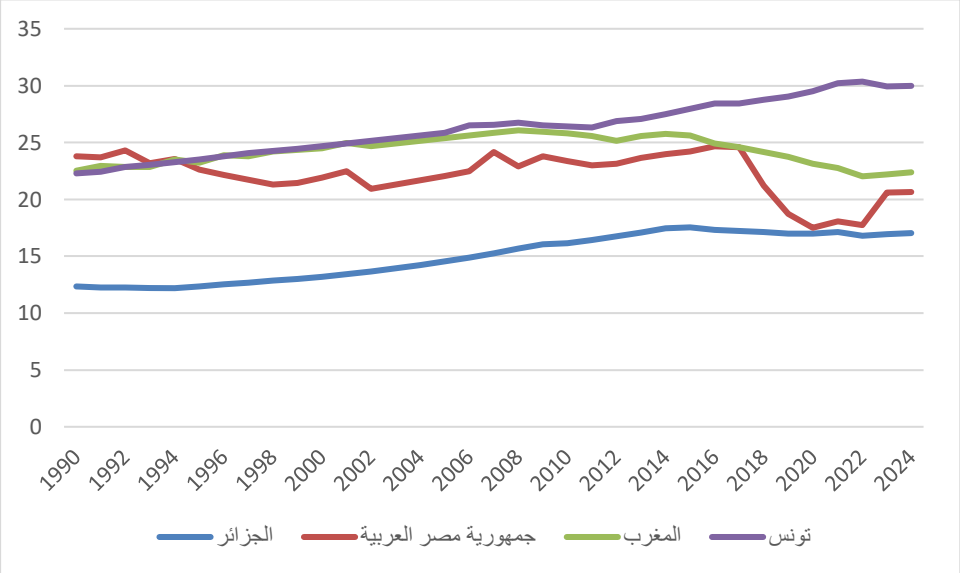

المصدر: من إعداد الباحثان اعتمادا على إحصائيات البنك الدولي وبرنامج Excel

عرفت مساهمة المرأة في قوة العمل نوعا من التقارب بين كل من المغرب، تونس ومصر بمتوسط يتراوح بيم 21.32%و24.45% خلال الفترة 1990-2024إلا أن الجزائر سجلت نسبة منخفضة عن الدول السابقة وقدرت ب 13.22% لنفس الفترة.

من خلال الشكل الموضح أعلاه، تبين أن الجزائر عرفت تغير محسوس في مشاركة المرأة في القوى العاملة حيث ارتفعت من12.32% لسنة 1990 إلى 17.53% سنة 2015 وبعدها شهدت انخفاض طفيف بلغت نسبة المساهمة عام 202016.98%بالمقابل سجل المستوى التعليمي في الطور الثانوي زيادة معتبرة ارتفع من 88.11% سنة 1990 إلى 98.38% سنة2020 على عكس معدل الخصوبة الذي انخفض من 4.73% إلى 2.64% أما بالنسبة لمعدل التمدن فقد سجل زيادة سنوية تقل عن 1% للفترة 1990-2020من ثم عرف تذبذب طفيف إلى غاية 2024.

تحسنت في المغرب مساهمة المرأة في القوى العاملة من 22,51% سنة 1990 إلى 26.07% سنة 2008، من ثم تراجعت نسبة المساهمة إلى 25,15% سنة 2012. في المقابل عرف معدل التمدن ارتفاع مستمر انتقل من 48.39% إلى 62.45% للفترة 1990-2018 مع تحسن في المستوى التعليمي للمرأة. من ثم شهد تذبذب إلى أن انخفضت النسبة إلى 22,40%سنة 2024.

في هذا الاطار تبذل المملكة المغربية العديد من الجهود لإدماج مقاربة النوع الاجتماعي في مخططات السياسة العامة، بهدف تحقيق المساواة بين الجنسين من خلال إطار مؤسسي يسعى للوصول إلى وضعية عادلة ومنصفة للمرأة وضمان تكافؤ الفرص .قامت بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة بوضع استراتيجية للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، تتمثل في وضع خريطة طريق لتفعيل مختلف الاجراءات المؤسسية الرامية إلى النهوض بوضعية المرأة في الوظيفة العمومية والعمل على بلوغ تمثيل متكافئ بين الاناث والرجال ورصد سبل تجاوز التحديات التي تحول دون رفع نسبة تمثيل الاناث في مراكز صنع القرار.

بالنسبة لتونس، كانت هناك زيادة طفيفة لمشاركة المرأة في العمل قدرت أعلى نسبة لها ب 26.56% سنة 2004 وبعدها تراجعت وأصبحت 21.43% عام 2018بالمقابل تشهد تحسن ملحوظ في المستوى التعليمي للمرأة في الطور الثانوي حيث ارتفع من 67.70%عام 1990 إلى 98.08% عام 2011 ثم تراجع قليلا وقدر ب 97.53% عام 2018.لهذا تسعى لحفز مستويات المشاركة الاقتصادية للمرأة ،حيث وضعت وزارة المرأة والأسرة والطفولة وثيقة توجيهية تتضمن مجموعة من البرامج والآليات التي ترتكز

على تطوير المبادرة الاقتصادية لدى المرأة وتحفيزها على تأسيس المشروعات، كما تعمل وزارة التكوين المهني والتشغيل على حفز مشاركة المرأة في سوق العمل من خلال دعم تشغيل المرأة ولاسيما في المناطق الريفية.

اما بالنسبة لمصر، فقد عرفت تذبذب كبير في نسبة مساهم المرأة في القوى العاملة فمن 1990 إلى غاية 1994 ارتفعت من 22.38%إلى23.55%من ثم انخفاض إلى غاية 1999 لتصبح 21.45%وفي الفترة 2017-2020 كان هناك انخفاض حاد من 24,6%إلى 18,07%وسرعان ما عاودت الصعود التدريجي إلى 20,64 %سنة2024 ونجد أن المستوى التعليمي في الطور الثانوي عموما عرف نوعا من الثبات مع زيادة طفيفة في آخر الفترة قدرت ب 98.1% مقارنة مما كانت عليه ب 96% في بداية الفترة، كما هو الحال لمعدل التمدن والخصوبة.

في هذا الشأن، إن الاهتمام بتمكن المرأة في مصر يعد مكونا رئيسيا ضمن استراتيجية التنمية 2030 التي ترتكز محاورها الرئيسية على زيادة نسبة مشاركة المرأة في دعم التنمية الاقتصادية وإبراز دورها في مراكز صنع القرار. ترتكز الاستراتيجية على التمكين الاقتصادي للمرأة من خلال تنمية قدراتها لتوسيع خيارات العمل أمامها وزيادة مشاركتها في قوة العمل وتحقيق تكافؤ الفرص في توظيف الاناث في كافة القطاعات بما في ذلك القطاع الخاص ومنع الممارسات التي تكرس التميز ضد المرأة أو التي تضر بها سواء في المجال العام أو داخل الأسرة.

ثالثا: نموذج الدراسة

لاختبار(u-shaped)فرضية للعلاقة بين معدل مشاركة المرأة و الدخل الفردي الذي يعتبر كمؤشر للتنمية الاقتصادية، وضع أول نموذج من طرف(goldin, 1995)على الشكل التالي:

$$flp_i = B_1 + B_2 lny_i + B_3 ln(y_i)^2 + \varepsilon_i$$

حيث (y_i)تمثل الدخل الفردي و (i)دلالة عن الأفراد أي الدول المدروسة، هذا النوع من النماذج يتطلب بيانات مقطعية عند نقطة زمنية محددة ولاختبار قوة النتائج يتم تقدير النموذج عند نقاط مختلفة من الزمن. (verme,2015,p05).

في معظم الدراسات الأخيرة تم تبني النموذج السابق بالاستعمال معطيات البانل، لمعرفة طبيعة دالة مشاركة المرأة أو اختبار تربيعية الدالة بالنسبة للدخل الفردي، والموضح كمايلي:

$$flp_{it} = B_1 + B_2 lny_{it} + B_3 ln(y_{it})^2 + \varepsilon_{it}$$

هذا النموذج يهمل خصوصيات الأثر الزمني والأثر المقطعي لذا تم صياغة نموذج أكثر ملائمة يستعمل فيه مقدرات الأثر الثابت،حيث يكتب النموذج على الشكل التالي:

$$flp_{it} = B_i + B_2 lny_{it} + B_3 ln(y_{it})^2 + \delta_t + \varepsilon_{it}$$

حيث يمثلδ_tالأثر الزمني بين الأفراد و B_iخصوصيات الأفراد.

في دراستنا هذه يتم تقدير نموذج (tsani,2013)وهو نفس النموذج الأساسي، الذي تم إقحام فيه متغيرات مراقبة تتمثل في مستوى التعليم، معدل الخصوبة، التمدن والبطالة. فيصبح النموذج من الشكل التالي:

$$\mathrm{flp_{it}} = \mathrm{B_i} + \mathrm{B_1 lny_{it}} + \mathrm{B_2 ln(y_{it})^2} + \mathrm{B_3 edu_{it}} + \mathrm{B_4 fer_{it}} + \mathrm{B_5 un_{it}} + \mathrm{B_6 urb_{it}} + \delta_t + \varepsilon_{it}$$

حيث تمثل (edu) النسبة المئوية للإناث المسجلين في الطور الثانوي وهو حاصل قسمة الإناث المسجلين على العدد الكلي المسجل في الطور الثانوي. في دراسة (tsani,2013)تم إقحام متغيرة التعليم للطور الثانوي والجامعي أما في دراستنا نتبع منهج(kelsay,2015)حيث أقحم الطور الثانوي فقط و يمثل (fer)معدل الخصوبة الكلي وهو عدد الأطفال المولودين مقسوم على عدد النساء. (un) يمثل معدل البطالة أما (urb) هي النسبة المئوية لعدد سكان المدن من عدد السكان الكلي.

تم تطبيق هذا النموذج على دول الشرق الأوسط ودول شمال إفريقيا، أما في دراستنا سنخصصها لدول شمال إفريقيا (الجزائر،مصر، تونس، المغرب).

رابعا: تقدير النموذج

تم تقدير النموذج باستعمال معطيات البانل لـ 4 دول شمال إفريقيا للفترة الممتدة من 1990إلى غاية 2024، حيث تم الحصول على معطيات الدراسة من طرف البنك الدولي. لملئ المعطيات المفقودة تم افتراض ثبات قيمة المتغيرة في اللحظة (t) مع قيمتها في اللحظة(t−1). حتى تشكل العلاقة بين معدل مشاركة المرأة والتنمية الاقتصادية منحنى على شكل حرف (u)، نتوقع من نتائج التقدير أن المقدر الأول سالب $(B_1 < 0)$ و المقدر الثاني موجب $(B_2 > 0)$كدلالة على تحدب المنحنى عند نقطته الدنيا. لمعرفة صحة فرضية (u shaped) نقوم بتقدير نموذج الأثر الثابت بالاستعانة ببرنامج (gretl) (أنظر الملحق رقم1)،حيث نتائج التقدير موضحة في الجدول التالي:

الجدول1: نتائج تقدير نموذج الأثر الثابت

المتغيرات	المقدرات	الانحرافات المعيارية
lny	$-8{,}82247^{***}$	2,49438
$ln(y)^2$	$0{,}564011^{***}$	0,1601
edu	0,0277183	0,0339389
fer	−0,491373	0,349340
un	$-0{,}316062^{***}$	0,0419174
urb	$-0{,}220967^{***}$	0,0314338

المصدر: من اعداد الباحثان بالاستعانة ببرنامج grtel

***معنوية عند (1%)، **معنوية عند (5%)، *معنوية عند (10%).

من نتائج التقدير($B_1 < 0$) ، ($B_2 > 0$)وكذلك كلا المقدرتين معنويين إحصائيا هذا ما يثبت صحة فرضية

(u-shaped) التي تربط بين معدل مشاركة المرأة و الدخل الفردي. التعليم و معدل الخصوبة متغيرتين غير معنويتين إحصائيا، في نتائج(Kelsay, 2015) وجد التعليم متغيرة معنوية إحصائيا و لكنها تأثر بالسلب على مشاركة المرأة و هذا عكس ما تمليه النظرية الاقتصادية، أما بالنسبة (Gaddis, 2013)فمعدل الخصوبة يمكنه أن يؤثر بالإيجاب في تشغيل المرأة عندما تتوفر و تتطور وسائل الرعاية بالأطفال و هذا ما يدفع بالمرأة للمشاركة في سوق العمل، فيمكننا القول أن التعليم و معدل الخصوبة لا يؤثران في تشغيل المرأة في دول شمال إفريقيا. أما بالنسبة لمعدل البطالة والتمدن فهما معنويان إحصائيا ويؤثرانسلبا في مشاركة المرأة و هذا عكس ما تمليه النظرية الاقتصادية، ربما معدل البطالة يؤثر سلبا في معدل مشاركة الرجال و لا يؤثر في معدل مشاركة النساء.بصفة عامة يمكننا القول أن العلاقة بين معدل مشاركة المرأة و الدخل الفردي تثبت نظرية (u-shaped)في دول شمال إفريقيا (الجزائر، تونس، المغرب، مصر).

الخاتمة:

خلال هذه الدراسة تم اختبار طبيعة العلاقة التي تربط بين معدل مشاركة المرأة و الدخل الفردي كمؤشر للتنمية الاقتصادية للفترة الممتدة بين (1990-2024) لدول شمال إفريقيا (الجزائر ، تونس، المغرب، مصر). بعد تحليل واقع مشاركة المرأة في القوى العاملة لهذه الدول تم صياغة نموذج الدراسة المبني على الدراسات السابقة التي جاءت في هذا المجال، ثم تقدير نموذج الأثر الثابت فأضفت نتائج التقدير إلى أن طبيعة العلاقة بين التشغيل والتنمية الاقتصادية تعزز نظرية (u-shaped)التي تربط بين هاتين المتغيرتين. إن تدني مستوى مشاركة المرأة في هذه الدول يمكن تفسيره بتمركز هذه الدول في القسم الأول من المنحنى حيث زيادة الدخل يقابله تناقص في معدل مشاركة المرأة إلى أن يصل إلى نقطته الدنيا. إن الانتقال إلى

القسم الثاني من المنحنى والذي يعبر عن زيادة معدل مشاركة المرأة يتطلب تطبيق سياسات اقتصادية واضحة لدعم التنمية الاقتصادية في دول شمال إفريقيا.

قائمة المراجع:

- **باللغة العربية:**

هبة عبد المنعم، سفيان قعلول.(2018). محددات مشاركة المرأة في القوى العاملة في الدول العربية.صندوق النقد العربي، (48)، 01-54.

- **باللغة الأجنبية:**

Angela luci.(2015). Female labour market participation and economic growth. Int.J. Innovation and Sunstainable Development, 01-12.

Gaddis,I. and Klasen, s.(2014). Economic Development, structural change and women's labor force participation: A reexamination of the feminization U hypothesis. Journal of Population Economics, (27,03), 639-681.

Goldin.(1995). The u. shaped female labor force function in economic developement and economic history. Investment in women's human capital and economic developement, university of shigago.

Kelsay A chapman. (2015). Economic development and female labor force participation in middle East and north Africa: A test of the the u-shape hypothesis, the Gettysbourg Economic Review, (08-03).

NooreenMujahid and Naeem, UzZafan.(2014). Economic growth- female labor force participation Nexis. An empirical evidence For Pakistan, Pakistan Institute of Development Economics. (51,04), 565-585.

R. Carter Hill et a (2011). Principles of Econometrics (fourth edition). Usa: Wiley.

SherVerich.(2018). Female labor force and development. IZA World of labor, (87, 02), 1-11.
Stella Tsani et al. (2013). Female labor force participation and economic growth in south Mediterranean countries, Economics Letters.323-328.
Verme, Paolo.(2015). Economic development and female labor participation in middle east and north Africa: A test of the u-shape hypothisis. IZA Journal of Labor and Development, 01-21.
William H. Green (2003). Econometrics Analysis (fifth edition). New York: Pearsson Education.

الملحق:

- ✓ ModÃ¨le2: Effets fixes, utilisant les 116 observations
- ✓ 4 unitÃ©s de coupe transversale incluses
- ✓ Longueur des sÃ©ries temporelles = 29
- ✓ Variable dÃ©pendante:lf

	Coefficient	*Erreur Std*	*t de Student*	*p. critique*	
const	215,909	42,9141	5,031	<0,0001	***
loggdp	âˆ’44,6299	9,51741	âˆ’4,689	<0,0001	***
log2gdp	2,63499	0,543000	4,853	<0,0001	***
edu	âˆ’0,0131628	0,0235469	âˆ’0,5590	0,5773	
Fr	âˆ’0,584304	0,292890	âˆ’1,995	0,0486	**
Ur	âˆ’0,0578811	0,0556053	âˆ’1,041	0,3003	
Tc	âˆ’0,0660908	0,0370228	âˆ’1,785	0,0771	*

Moy. var. dÃ©p.	20,66317	Ã‰c. type var. dÃ©p.	4,666392
Somme carrÃ©srÃ©sidus	112,8153	Ã‰c. type de rÃ©gression	1,031647
R2 – LSDV	0,954949	R2 intra	0,451976
F(9, 106) – LSDV	249,6525	p. critique (F)	4,07e-67
Log de vraisemblance	âˆ’162,9822	CritÃ¨re d'Akaike	345,9645
CritÃ¨re de Schwarz	373,5004	Hannan-Quinn	357,1425
Rho	0,863882	Durbin-Watson	0,277059

- ✓ Test conjoint des regresseurs spécifiés -

- ✓ Statistique de test: F(6, 106) = 14,5704
- ✓ avec p. critique = P(F(6, 106) > 14,5704) = 4,54791e-012
- ✓
- ✓ Test de différence de constante entre groupes -
- ✓ HypothÃ¨se nulle : Les groupes ont une ordonnée à l'origine commune
- ✓ Statistique de test: F(3, 106) = 265,092
- ✓ avec p. critique = P(F(3, 106) > 265,092) = 4,21478e-049

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Impact of Integrating Interactive Dashboards into Environmental Audit Reports on Stakeholders' Decisions: The Mediating Role of Data Visualization Design – An Applied Study

D . Omari Aicha [1]
University of Adrar,
omari.aicha20@univ-adrar.edu.dz
D. Belbali Yamina [2]
University of Adrar,
belbali2016@univ-adrar.edu.dz

Abstract:

This study aims to analyze the impact of integrating interactive dashboards into environmental audit reports on stakeholders' decision-making, while examining the mediating role of data visualization design, within the context of enhancing the transparency and quality of environmental disclosure in the Algerian petroleum company **Sonatrach**. The study is motivated by a key problem, namely the continued reliance of environmental audit reports in the hydrocarbons sector on traditional presentation methods that fail to keep pace with the complexity and sensitivity of environmental data, thereby limiting their effectiveness in supporting sound and informed stakeholders' decisions.

The study seeks to measure the direct effect of integrating interactive dashboards on stakeholders' decisions, analyze the effect of data visualization design quality on decision-making effectiveness, and test the mediating role of visual design in the relationship between the use of interactive dashboards and stakeholders' decisions. To achieve these objectives, a descriptive-analytical research approach was adopted. Data were collected through a questionnaire administered to auditors working in the case company, given their central role in preparing and reviewing environmental audit reports. A random sample of appropriate size was selected to ensure the validity of statistical analysis. Data analysis was conducted using SPSS software, applying multiple regression analysis and mediation analysis following the Baron and Kenny approach to assess both direct and indirect relationships among the study variables.

The findings reveal a statistically significant positive effect of integrating interactive dashboards into environmental audit reports on stakeholders' decision-making, as these dashboards enhance the clarity of environmental information and facilitate its interpretation. The results also indicate that data visualization design quality has a

significant direct effect on decision-making effectiveness, in addition to confirming the partial mediating role of visual design in the relationship between interactive dashboards and stakeholders' decisions. The scientific contribution of this study lies in highlighting the importance of combining interactive technologies with professional data visualization design as a strategic approach to improving environmental disclosure quality and supporting more informed and sustainable decision-making in petroleum companies.

Keywords:
Environmental auditing, Interactive dashboards, Data visualization design, Environmental disclosure, Stakeholders' decisions.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

أثر دمج لوحات المعلومات التفاعلية (Dashboards) في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة: الدور الوسيط للتصميم البصري للبيانات – دراسة تطبيقية

عوماري عائشة [1]

جامعة ادرار– الجزائر–

omari.aicha20@univ-adrar.edu.dz

بلبالي يمينة [2]

جامعة ادرار– الجزائر–

belbali2016@univ-adrar.edu.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر دمج لوحات المعلومات التفاعلية (Dashboards) في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة، مع اختبار الدور الوسيط للتصميم البصري للبيانات، وذلك في إطار تعزيز شفافية وجودة الإفصاح البيئي في الشركة البترولية الجزائرية **سوناطراك**. تنطلق الدراسة من إشكالية رئيسة تتمثل في استمرار اعتماد تقارير التدقيق البيئي في قطاع المحروقات على أساليب عرض تقليدية لا تواكب تعقيد وحساسية البيانات البيئية، الأمر الذي يحدّ من قدرتها على دعم قرارات رشيدة وفعّالة لأصحاب المصلحة.

تهدف الدراسة إلى قياس الأثر المباشر لدمج لوحات المعلومات التفاعلية على قرارات أصحاب المصلحة، وتحليل أثر جودة التصميم البصري للبيانات على فاعلية اتخاذ القرار، إضافة إلى اختبار الدور الوسيط للتصميم البصري في العلاقة بين استخدام لوحات المعلومات التفاعلية وقرارات أصحاب المصلحة. ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتم جمع البيانات باستخدام استبانة موجهة إلى مدققي الحسابات العاملين في الشركة محل الدراسة، نظرًا لدورهم المحوري في إعداد ومراجعة تقارير التدقيق البيئي. وقد تم اختيار عينة عشوائية ملائمة للتحليل الإحصائي. كما استُخدم برنامج SPSS لتحليل

البيانات، من خلال تطبيق تحليل الانحدار المتعدد وتحليل الوساطة وفق منهج Baron & Kenny لقياس العلاقات المباشرة وغير المباشرة بين متغيرات الدراسة.

وأظهرت نتائج الدراسة وجود أثر إيجابي ذي دلالة إحصائية لدمج لوحات المعلومات التفاعلية في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة، حيث تسهم هذه اللوحات في تحسين وضوح المعلومات البيئية وسهولة تفسيرها. كما بيّنت النتائج أن جودة التصميم البصري للبيانات تؤثر تأثيرًا مباشرًا في تعزيز فاعلية اتخاذ القرار، إلى جانب إثبات الدور الوسيط الجزئي للتصميم البصري في هذه العلاقة. وتتمثل القيمة العلمية للدراسة في إبراز أهمية الدمج بين التقنيات التفاعلية والتصميم البصري الاحترافي كمدخل استراتيجي لتحسين جودة الإفصاح البيئي ودعم اتخاذ قرارات أكثر وعيًا واستدامة في الشركات البترولية.

الكلمات المفتاحية: التدقيق البيئي، لوحات المعلومات التفاعلية، التصميم البصري للبيانات، الإفصاح البيئي، قرارات أصحاب المصلحة.

مقدمة:

أصبحت قضايا الإفصاح البيئي والتدقيق البيئي من المحاور الأساسية في حوكمة المؤسسات الصناعية، لا سيما في القطاعات ذات الأثر البيئي المرتفع، وذلك في ظل تصاعد الضغوط التنظيمية والمجتمعية وتعاظم متطلبات الشفافية والمساءلة. غير أن تقارير التدقيق البيئي التقليدية ما تزال، في كثير من الحالات، تعتمد على أساليب عرض وصفية وجامدة لا تستجيب لتعقيد البيانات البيئية وتداخل مؤشراتها، مما يحدّ من قدرتها على إيصال المعلومات بفعالية ودعم قرارات أصحاب المصلحة في الوقت المناسب.

في هذا السياق، برزت لوحات المعلومات التفاعلية (Interactive Dashboards) كأداة رقمية متقدمة تتيح عرض البيانات البيئية بطريقة مرئية وتفاعلية، بما يسهم في تحسين وضوح المعلومات، تسهيل تفسيرها، وتقليل العبء المعرفي لدى مستخدمي التقارير. ورغم تزايد الاهتمام باستخدام هذه الأدوات في مجالات الإدارة والرقابة، لا تزال الدراسات التطبيقية التي تربط بين دمج لوحات المعلومات التفاعلية في **تقارير التدقيق البيئي** وتأثيرها على **قرارات أصحاب المصلحة** محدودة، خاصة في السياق العربي وقطاع المحروقات.

انطلاقًا من هذه الفجوة البحثية، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر دمج لوحات المعلومات التفاعلية في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة، مع اختبار الدور الوسيط للتصميم البصري للبيانات، وذلك من خلال دراسة تطبيقية على الشركة البترولية الجزائرية **سوناطراك** .وتتمثل إشكالية الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

إلى أي مدى يسهم دمج لوحات المعلومات التفاعلية في تقارير التدقيق البيئي في تحسين قرارات أصحاب المصلحة، وما دور التصميم البصري للبيانات في تعزيز هذا الأثر؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، صيغت مجموعة من الفرضيات التي تفترض وجود أثر إيجابي مباشر لدمج لوحات المعلومات التفاعلية على قرارات أصحاب المصلحة، وأثر مباشر لجودة التصميم البصري للبيانات على فاعلية اتخاذ القرار، إضافة إلى دور وسيط جزئي للتصميم البصري في العلاقة بين المتغيرين. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف استبانة كأداة لجمع البيانات من مدققي الحسابات، واستخدام التحليل الإحصائي لاختبار الفرضيات.

وتكمن القيمة العلمية لهذه الدراسة في تقديم دليل تطبيقي على أهمية التكامل بين الأدوات التفاعلية والتصميم البصري الاحترافي في تطوير تقارير التدقيق البيئي، بما يدعم اتخاذ قرارات أكثر وعيًا واستدامة، ويُسهم في إثراء الأدبيات المحاسبية والبيئية في البيئات الاقتصادية النامية.

أولا: مراجعة الأدبيات والإطار النظري

1 لوحات المعلومات التفاعلية في التدقيق البيئي:(Few, 2012) (Sonatrach, 2022)

،شير الدراسات الحديثة إلى أن لوحات المعلومات التفاعلية أصبحت أداة أساسية في مراقبة الأداء البيئي . حيث تتيح دمج البيانات من مصادر متعددة وعرضها بشكل مرئي يسهل فهمه من قبل مختلف الفئات (Few, 2012).

2 التصميم البصري للبيانات ودوره الوسيط:

تؤكد الأطر النظرية مثل نموذج قبول التكنولوجيا (TAM) ونظرية الحمل المعرفي أن جودة التصميم البصري للبيانات تؤثر بشكل مباشر على سهولة استخدام اللوحات وفاعلية اتخاذ القرار ، . كما أن وضوح الألوان، تنظيم التخطيط، وتوفير التفاعلية تعزز من قدرة المستخدمين على استيعاب البيانات واتخاذ قرارات مستنيرة . (Card et al., 1999) (Nguyen, 2021)

3 قرارات أصحاب المصلحة في السياق البيئي:

تتأثر قرارات أصحاب المصلحة في القضايا البيئية بعدد من العوامل المعرفية والنفسية والاجتماعية، ويُعد وضوح المعلومات وسهولة الوصول إليها من أهم محددات فاعلية اتخاذ القرار، خاصة في البيئات التنظيمية المعقّدة التي تتسم بكثافة البيانات وتعدد المؤشرات(Card et al., 1999) ؛ .(Nguyen, 2021 وتشير الأدبيات الحديثة إلى أن أدوات العرض التفاعلي، مثل لوحات المعلومات، تسهم في تعزيز مستوى

المشاركة والفهم لدى أصحاب المصلحة، من خلال تقليل العبء المعرفي وتحسين استيعاب المعلومات البيئية، مما يدعم اتخاذ قرارات أكثر وعيًا واستدامة(Few, 2012 ؛ Unilever, 2022).

ثانيا: الدراسة التطبيقية

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم جمع البيانات باستخدام استبانة موجهة إلى مدققي الحسابات في الشركة البترولية الجزائرية "سونطراك". تم اختيار عينة عشوائية ملائمة للتحليل الإحصائي. استخدم برنامج SPSS لتحليل البيانات، مع تطبيق تحليل الانحدار المتعدد وتحليل الوساطة وفق منهج Baron & Kenny لقياس العلاقات المباشرة وغير المباشرة بين متغيرات الدراسة.

1 تحديد مجتمع العينة وخصائصها

أ. مجتمع الدراسة

- الوصف :جميع مدققي الحسابات العاملين في الشركة البترولية الجزائرية "سونطراك."
- السبب :هؤلاء المدققون مسؤولون عن إعداد ومراجعة تقارير التدقيق البيئي، ما يجعلهم الفئة الأكثر ارتباطًا بموضوع الدراسة. (Sonatrach, 2022)

ب. معايير اختيار العينة

الجدول 1: يوضع معايير اختيار العينة

المعيار	التوصيف في الدراسة التطبيقية
الحجم	عينة عشوائية ملائمة للتحليل الإحصائي
الطريقة	عشوائية بسيطة أو طبقية حسب تجانس المجتمع
الخصائص	العمر، سنوات الخبرة (3–20 سنة)، المؤهل العلمي (بكالوريوس فأعلى)، المنصب الوظيفي (مدقق، رئيس قسم، مدير تدقيق)
التمثيل	تمثيل مختلف الفئات العمرية ومستويات الخبرة والمؤهلات لضمان الحيادية والتنوع

المصدر: من اعداد الباحثين

ج. خطوات اختيار العينة

1. حصر جميع المدققين والمراجعين في الشركة.
2. جمع بيانات ديموغرافية (العمر، الخبرة، المؤهل، المنصب).
3. اختيار العينة عشوائيًا باستخدام جداول أرقام عشوائية أو برامج إلكترونية.
4. التأكد من أن حجم العينة كافٍ (يفضل 50–100 فرد أو 10–23% من المجتمع الكلي).

2 جداول التكرارات الإحصائية للعينة

الجدول 2: يوضح تكرارات العينة

المتغير	النسبة المئوية(%)	الفئة	التكرار	النسبة المئوية(%)
الجنس	68.7	ذكر	103	68.7
	31.3	أنثى	47	31.3
الفئة العمرية	29.3	25-35	44	29.3
	40.0	36-45	60	40.0
	26.7	46-55	40	26.7
	4.0	56-65	6	4.0
المستوى التعليمي	57.3	بكالوريوس	86	57.3
	36.7	ماجستير	55	36.7
	6.0	دكتوراه	9	6.0
سنوات الخبرة	24.7	1-5سنوات	37	24.7

المتغير	النسبة المئوية(%)	الفئة	التكرار	النسبة المئوية(%)
	32.7	6-10سنوات	49	32.7
	21.3	11-15سنة	32	21.3
	21.3	أكثر من 15 سنة	32	21.3
القسم/الإدارة	47.3	التدقيق الداخلي	71	47.3
	28.7	التدقيق البيئي	43	28.7
	17.3	الحسابات والمالية	26	17.3
	6.7	إدارة المخاطر	10	6.7
المنصب الوظيفي	38.0	مدقق مبتدئ	57	38.0
	40.0	مدقق أول	60	40.0
	20.0	مدير تدقيق	30	20.0
	2.0	خبير استشاري	3	2.0

المصدر: مخرجات برنامج spss

أ. التحليل الديموغرافي

الجنس:الذكور يشكلون الأغلبية (68.7%)، ما يعكس واقع قطاع البترول في الجزائر حيث يغلب الطابع الذكوري على الوظائف الفنية والتدقيقية.

- تمثيل الإناث (31.3%) جيد نسبيًا ويعزز من شمولية النتائج.

الفئة العمرية :الفئة الأكثر تمثيلاً هي 36-45 سنة (40%)، تليها 25-35 سنة (29.3%)، ما يشير إلى أن غالبية المدققين في مرحلة النضج المهني.

- الفئات الأكبر سنًا (46-65) تمثل 30.7%، ما يضمن وجود خبرات متراكمة في العينة.

المستوى التعليمي 94% :من العينة يحملون مؤهلات جامعية (بكالوريوس فأعلى)، ما يعكس كفاءة علمية عالية لدى المدققين.

- النسبة الأكبر من حملة البكالوريوس (57.3%)، تليها الماجستير (36.7%)، ثم الدكتوراه.(6%)

سنوات الخبرة:التوزيع متوازن بين الفئات: 32.7% لديهم 6-10 سنوات خبرة، و21.3% لكل من فئتي 11-15 وأكثر من 15 سنة.

- وجود نسبة معتبرة من المدققين المبتدئين (24.7%) يتيح دراسة أثر الخبرة على تقبل التقنيات الحديثة.

القسم/الإدارة التركيز الأكبر على التدقيق الداخلي)47.3 (%يوضح أهمية هذا القسم في عمليات :

- .التدقيق البيئي يمثل 28.7 %من العينة، ما يضمن ارتباطًا مباشرًا بموضوع الدراسة (Sonatrach, 2022)
- تمثيل الحسابات والمالية وإدارة المخاطر يعكس شمولية النظرة للحوكمة المؤسسية.

المنصب الوظيفي:مدقق أول (40%) ومدقق مبتدئ (38%) يشكلان غالبية العينة، ما يتيح دراسة الفروق بين مستويات الخبرة والمسؤولية.

- وجود مديري تدقيق (20%) وخبراء استشاريين (2%) يعزز من عمق التحليل.

3 التوزيع المتقاطع لعينة الدراسة:

الجدول 3: يوضح التوزيعات المتقاطعة للعينة

الفئة العمرية	1-5سنوات	6-10سنة	11-15 سنة	أكثر من 15	المجموع
25-35	12	12	8	12	44
36-45	13	20	12	15	60
46-55	10	15	10	5	40
56-65	2	2	2	0	6
المجموع	37	49	32	32	150

تحليل:يوضح الجدول أن الفئات العمرية الأصغر تتركز في سنوات الخبرة الأقل، بينما الفئات الأكبر سنًا تميل إلى سنوات خبرة أطول، ما يعكس التطور الطبيعي للمسار المهني في الشركة.

4 الرسوم البيانية التوضيحية:

الشكل 1: يوضح التكرارات الإحصائية للعينة

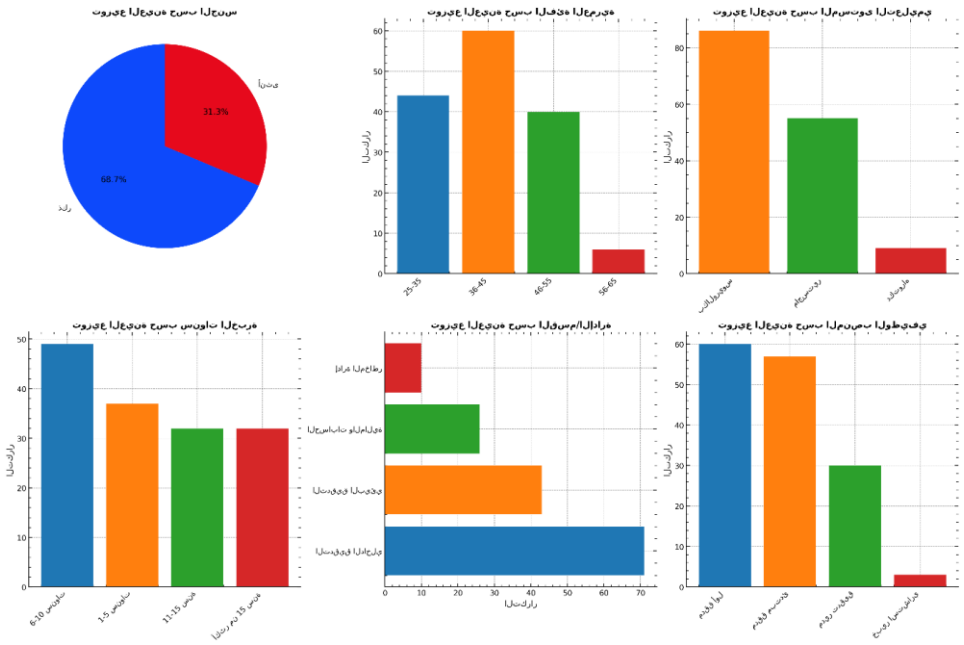

المصدر: مخرجات برنامج spss

5 أدوات جمع البيانات وتصميم الاستبانة

أ. **أداة جمع البيانات**: الاستبانة المغلقة :صُممت لقياس المتغيرات الرئيسية (فعالية لوحات المعلومات، جودة التصميم البصري، أثرها على القرار).

- مقياس ليكرت الخماسي :(1=لا أوافق بشدة، 5=أوافق بشدة) لقياس اتجاهات وآراء المشاركين.

ب. التحقق من الثبات والصدق: معامل كرونباخ ألفا :لقياس الاتساق الداخلي (يُعتبر مقبولًا إذا كان ≥ 0.7). وصدق المحكمين والتحليل العاملي :للتأكد من ملاءمة البنود لأهداف الدراسة.

6 دراسة الارتباط بين المتغيرين(التابع والمستقل):

الجدول 4: يوضح علاقة الارتباط

المتغير المستقل	القيمة الاحتمالية(.Sig)	معامل بيتا(Beta)
دمج لوحات المعلومات	0.002	0.41
جودة التصميم البصري	0.008	0.36

المصدر: مخرجات برنامج spss

يُبيّن الجدول نتائج التحليل الإحصائي لقياس أثر كلٍّ من دمج لوحات المعلومات التفاعلية وجودة التصميم البصري للبيانات على قرارات أصحاب المصلحة في شركة سوناطراك، وذلك باستخدام معاملات بيتا (Beta) والقيم الاحتمالية (Sig.). (Few, 2012) (Card et al., 1999)

أثر دمج لوحات المعلومات التفاعلية (Few, 2012) أظهرت النتائج أن معامل بيتا بلغ ($\beta = 0.41$) مع قيمة احتمالية (Sig. = 0.002)، وهي أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0.05). يشير ذلك إلى وجود أثر إيجابي قوي ودال إحصائيًا لدمج لوحات المعلومات التفاعلية في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة، ويعني هذا أن تحسين مستوى (Few, 2012) (Sonatrach, 2022). دمج هذه اللوحات يؤدي إلى تعزيز جودة القرار من خلال:

تسهيل الوصول السريع للمعلومات البيئية

- ✓ تقليل عدم تماثل المعلومات (Information Asymmetry)
- ✓ دعم القرارات القائمة على البيانات (Data-Driven Decisions)
- ✓ من منظور أعمال، تعكس هذه النتيجة أن لوحات المعلومات تمثل أداة استراتيجية ترفع من كفاءة التقارير وتزيد من قيمة المعلومات المقدمة لصنّاع القرار.

أثر جودة التصميم البصري للبيانات بلغ معامل بيتا لمتغير جودة التصميم البصري ($\beta = 0.36$) مع قيمة احتمالية ($Sig. = 0.008$)، وهي أيضًا أقل من 0.05، مما يدل على أن الأثر إيجابي ودال إحصائيًا.

وتشير هذه النتيجة إلى أن جودة التصميم البصري للبيانات تساهم بشكل ملموس في:

(Card et al., 1999)

- ✓ تحسين فهم المحتوى البيئي المعقّد
- ✓ تقليل العبء المعرفي (Cognitive Load)
- ✓ زيادة ثقة أصحاب المصلحة في نتائج التدقيق

وبالتالي، فإن التصميم البصري لا يُعد عنصرًا تجميليًا، بل عامل تمكيني (Enabler) يرفع من فعالية التقارير ويُحسّن مخرجات القرار.

تُظهر النتائج أن:

- ✓ دمج لوحات المعلومات التفاعلية يمتلك أثرًا أقوى نسبيًا على قرارات أصحاب المصلحة مقارنة (Few, 2012) ،بجودة التصميم البصري
- ✓ في حين تلعب جودة التصميم البصري دورًا تكميليًا واستراتيجيًا في تعزيز هذا الأثر.

- ✓ وهذا يدعم منطق البحث القائل بأن القيمة الحقيقية لتقارير التدقيق البيئي لا تتحقق فقط من خلال توفير البيانات، بل من خلال كيفية عرضها وتفاعل المستخدم معها. (Sonatrach, 2022)

بناءً على هذه النتائج، يمكن القول إن اعتماد شركة سوناطراك على لوحات المعلومات التفاعلية المصممة وفق أسس بصرية فعّالة من شأنه: (Few, 2012)

- ✓ رفع جودة قرارات أصحاب المصلحة
- ✓ تعزيز الشفافية والحوكمة البيئية
- ✓ دعم التحول نحو تقارير تدقيق بيئي ذكية ذات قيمة مضافة عالية
- ✓ وهو ما يجعل هذه النتائج ذات جدوى تطبيقية عالية وقابلة للتعميم في مؤسسات الطاقة ذات الأثر البيئي المرتفع.

ثالثا: عرض النتائج :

الجدول 5: علاقة الارتباط

المتغيرات	R^2	Sig.	معامل بيتا (Beta)	معامل الارتباط(r)
دمج لوحات المعلومات ↔ القرار	0.32	0.002	0.41	0.65
جودة التصميم البصري ↔ القرار	0.28	0.008	0.36	0.60

المصدر: مخرجات برنامج spss

يُبيّن الجدول نتائج التحليل الإحصائي للعلاقة بين دمج لوحات المعلومات التفاعلية وجودة التصميم البصري للبيانات من جهة، وقرارات أصحاب المصلحة من جهة أخرى، وذلك في إطار الدراسة التطبيقية على شركة سوناطراك، اعتمادًا على معاملات الارتباط والانحدار الخطي (Few, 2012) (Card et al., 1999).

العلاقة بين دمج لوحات المعلومات التفاعلية وقرارات أصحاب المصلحة:

وهو ما يشير إلى وجود علاقة ارتباط طردية قوية نسبيًا بين دمج ،($r = 0.65$) بلغ معامل الارتباط لوحات المعلومات التفاعلية وقرارات أصحاب المصلحة .وتُظهر هذه النتيجة أنه كلما ارتفع مستوى دمج لوحات المعلومات، تحسنت جودة القرار. أما معامل بيتا فقد بلغ ($\beta = 0.41$)مع قيمة احتمالية ($Sig. = 0.002$)، وهي أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0.05)، مما يؤكد وجود أثر إيجابي دال إحصائيًا لهذا المتغير على قرارات أصحاب المصلحة. (Few, 2012).

أن دمج لوحات المعلومات التفاعلية يفسر حوالي 32%من ($R^2 = 0.32$) كما يوضح معامل التحديد .التباين في قرارات أصحاب المصلحة، وهي نسبة معتبرة في الدراسات السلوكية والتنظيمية، وتعكس قوة (Few, 2012)

العلاقة بين جودة التصميم البصري للبيانات وقرارات أصحاب المصلحة: أظهر معامل الارتباط قيمة مما يدل على وجود علاقة طردية متوسطة إلى قوية بين جودة التصميم البصري للبيانات ،($r = 0.60$) (Card et al., 1999) .وقرارات أصحاب المصلحة، وبلغ معامل بيتا مع قيمة ($\beta = 0.36$) وهي أقل من 0.05، ما يؤكد أن جودة التصميم البصري للبيانات تؤثر ،($Sig. = 0.008$) احتمالية (Card et al., 1999) .بشكل إيجابي ودال إحصائيًا على قرارات أصحاب المصلحة.

ويُبيّن معامل التحديد ($R^2 = 0.28$)أن جودة التصميم البصري تفسر نحو 28%من التباين في قرارات أصحاب المصلحة، وهو ما يعكس دور التصميم البصري كعامل داعم ومُحسّن لفعالية التقارير البيئية.

رابعا: التفسير المقارن للنتائج: من خلال المقارنة بين المتغيرين، يتضح أن:

- دمج لوحات المعلومات التفاعلية يتمتع بقوة تفسيرية وتأثيرية أعلى نسبيًا مقارنة بجودة التصميم البصري. (Few, 2012)
- في المقابل، تلعب جودة التصميم البصري دورًا تكميليًا ومحوريًا في تعزيز أثر المعلومات المعروضة وتحويلها إلى قرارات فعالة.

هذا التدرج في التأثير يعكس منطقًا إداريًا واضحًا :الأداة التفاعلية تخلق القيمة، والتصميم البصري يضمن استيعابها.

تشير نتائج الجداول الإحصائية إلى أن:

- قرارات أصحاب المصلحة تتأثر بدرجة معتبرة بكل من دمج لوحات المعلومات وجودة التصميم البصري.
- الجمع بين المتغيرين يساهم في تحسين جودة القرار وتعزيز الشفافية البيئية.

وعليه، تؤكد هذه النتائج أهمية تبني مقاربة متكاملة في تقارير التدقيق البيئي داخل المؤسسات ذات البعد البيئي الحساس مثل شركة سوناطراك، بما يدعم حوكمة الأداء البيئي واتخاذ القرار المبني على البيانات (Nguyen, 2021) (Sonatrach, 2022)

خامسا: مناقشة النتائج:

- أثر لوحات المعلومات التفاعلية :أظهرت النتائج وجود أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية لدمج لوحات المعلومات التفاعلية في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة، حيث ساهمت في تحسين وضوح المعلومات وسهولة تفسيرها. (Few, 2012) (Sonatrach, 2022)

- جودة التصميم البصري :تبين أن جودة التصميم البصري للبيانات تؤثر بشكل مباشر في تعزيز فاعلية اتخاذ القرار، من خلال تقليل الحمل المعرفي وتسهيل استيعاب البيانات المعقدة (Card et al., 1999) (Nguyen, 2021).

- الدور الوسيط للتصميم البصري :أثبتت النتائج وجود دور وسيط جزئي للتصميم البصري للبيانات في العلاقة بين لوحات المعلومات التفاعلية وقرارات أصحاب المصلحة، مما يؤكد أهمية الاستثمار في تحسين التصميم البصري للوحات المعلومات. (Few, 2012)

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى تحليل أثر دمج لوحات المعلومات التفاعلية في تقارير التدقيق البيئي على قرارات أصحاب المصلحة، مع اختبار الدور الوسيط للتصميم البصري للبيانات، وذلك في سياق الشركات ذات الأثر البيئي المرتفع. وقد خلصت النتائج إلى أن دمج لوحات المعلومات التفاعلية يمثل أداة فعّالة لتحسين جودة الإفصاح البيئي وتعزيز فاعلية اتخاذ القرار، من خلال رفع مستوى وضوح البيانات البيئية وتبسيط عرضها وتقليل تعقيدها، بما يدعم قرارات أكثر اعتمادًا على المعلومات(Few, 2012 ؛ سوناطراك، 2022.)

كما أظهرت الدراسة أن جودة التصميم البصري للبيانات تؤدي دورًا محوريًا في تعظيم الأثر الإيجابي للوحات المعلومات التفاعلية، حيث ثبت وجود دور وسيط جزئي للتصميم البصري في العلاقة بين استخدام هذه اللوحات وقرارات أصحاب المصلحة. ويؤكد ذلك أن القيمة المضافة لتقارير التدقيق البيئي لا تتحقق فقط من خلال إتاحة البيانات، بل من خلال كيفية تنظيمها وتمثيلها بصريًا بطريقة تقلل العبء المعرفي وتعزز الفهم والثقة لدى مستخدمي التقارير(Card et al., 1999 ؛ Few, 2012).

وبناءً على هذه النتائج، توصي الدراسة بضرورة اعتماد مقاربة متكاملة في إعداد تقارير التدقيق البيئي، تجمع بين استخدام التقنيات التفاعلية ومعايير التصميم البصري الاحترافي، بما يسهم في تحسين جودة الإفصاح البيئي ودعم حوكمة الاستدامة داخل المؤسسات. كما توصي بالاستثمار في تدريب المدققين على أدوات

التحليل والعرض التفاعلي، بما يعزز قدرتهم على تحويل البيانات البيئية المعقدة إلى معلومات قابلة للاستخدام في اتخاذ القرار. وعلى الصعيد البحثي، تقترح الدراسة إجراء أبحاث مستقبلية في قطاعات صناعية أخرى، وباستخدام نماذج تحليل أكثر تقدمًا مثلPLS-SEM ، للتحقق من قابلية تعميم النتائج وتعميق فهم أثر التقنيات الرقمية في دعم الاستدامة وقرارات أصحاب المصلحة(Nguyen, 2021 ؛ Unilever, 2022).

قائمة المراجع:

1 الكتب:

1. Card, S. K., Mackinlay, J. D., & Shneiderman, B. (1999). *Readings in information visualization: Using vision to think*. Morgan Kaufmann, USA.

2. Few, S. (2012). *Show me the numbers: Designing tables and graphs to enlighten* (2nd ed.).
Analytics Press, USA.

2المقالات العلمية:

3. Nguyen, T. (2021).User acceptance of data visualization tools: An extension of the technology acceptance model.
Journal of Information Systems, 35(2), 45–62.

3التقارير المؤسسية(Reports) :

4. Sonatrach.(2022). *Environmental audit dashboard implementation report.*Algiers, Algeria.

5. Unilever.(2022). *Sustainability dashboard case study.* https://www.unilever.com/sustainability/

6. Google.(2021). *Data center energy efficiency report.* https://www.google.com/about/datacenters/efficiency/

7. City of Seattle. (2020).

8. *Community environmental dashboard impact report.* https://www.seattle.gov/environment/

The reality and prospects of energy security in Algeria, An analytical and analogical study.

Benyamina tayeb [1]
Mustapha Stampouli University of Mascara, Algeria
tayeb.benyamina@univ-mascara.dz
Douma Hasnia [2]
Belhadj Bouchaib University of Ain-Temouchent, Algeria
doumahasnia@gmail.com
Benzemra mankour [3]
Mustapha Stampouli University of Mascara, Algeria
mankour.benzemra@ univ-mascara.dz

Abstract:

Energy security has recently become an imperative for the world, prompting countries to restructure their economies, keep pace with technological advancements, and shift their industrial strategies from fossil fuel-based to renewable energy sources. This article aims to conduct an analytical study of the trajectory of energy security in Algeria using a multiple linear regression model during the period 1990-2021. The results indicate a positive correlation between economic growth, oil revenues, and carbon dioxide (CO2) emissions, while there is an inverse relationship with renewable energy consumption. Furthermore, all explanatory variables are statistically significant. The study recommends using more accurate dynamic models and expanding the sample size.

Keywords: Energy security, renewable energy, Algeria.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

واقع وآفاق أمن الطاقة في الجزائر ، دراسة تحليلية وقياسية .

بن يمينة طيب [1]

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر.

tayeb.benyamina@univ-mascara.dz

دومة حسنية [2]

جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت ، الجزائر .

doumahasnia@gmail.com

بن زمرة منقور [3]

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر.

mankour.benzemra@ univ-mascara.dz

ملخص:

أصبح أمن الطاقة في الآونة الأخيرة ضرورة حتمية تواجه العالم مما استدعى الدول الى اعادة هيكلة اقتصادها ومواكبة التطورات التكنولوجية وإعادة استراتيجيتها الصناعية القائمة على الطاقات الأحفورية الى الانتقال الى الطاقات المتجددة . تهدف هده المقالة الى دراسة تحليلية لمسار أمن الطاقة في الجزائر باستعمال نموذج الانحدار الخطي المتعدد في الفترة 1990-2021 . تشير النتائج من وجود ارتباط ايجابي بين النمو الاقتصادي وكل العوائد النفطية و انبعاث غاز ثنائي أكسيد الكربون (Co_2) في حين علاقة عكسية مع استهلاك الطاقات المتجددة ، كما أن كل المتغيرات التفسيرية لها دلالة إحصائية، توصي الدراسة الى استعمال نماذج ديناميكية أكثر دقة وتوسيع العينة .

الكلمات المفتاحية : أمن الطاقة ، الطاقات المتجددة ، الجزائر .

مقدمة:

إن أمن الطاقة هو مفهوم متطور، ونظرا لأهمية الوصول الموثوق إلى الطاقة خلال الحربين العالميتين، فقد تم استخدام أمن الطاقة لتبرير اتباع نهج قومي في التعامل مع الطاقة وتم إحباط محاولات تدويل نطاق أمن الطاقة. كان ينظر إلى أمن الطاقة على أنه عنصر لا يتجزأ من الأمن القومي، مع التركيز على النفط بشكل أساسي. وأصبح أمن الطاقة موضوعا ساخنا بعد أزمات النفط في السبعينيات. وردا على ذلك، أنشأت الدول الصناعية نظاما لأمن الطاقة يعتمد على التعاون والتنسيق والمراقبة والتخزين الاستراتيجي. واليوم، يتطور أمن الطاقة بسرعة ليشمل مفهوما أكثر تعقيدا ومتعدد الأوجه.

عشية الحرب العالمية الأولى، اتخذ اللورد الأول للأميرالية ونستون تشرشل قرارا تاريخيا والمتمثل تحويل مصدر الطاقة لسفن البحرية البريطانية من الفحم إلى النفط. كان ينوي جعل الأسطول أسرع من نظيره الألماني. لكن التحول كان يعني أيضا أن البحرية الملكية لن تعتمد على الفحم ، بل على إمدادات النفط. وهكذا أصبح أمن الطاقة مسألة تتعلق بالاستراتيجية الوطنية. منذ قرار تشرشل، برز أمن الطاقة مرارا وتكرارا باعتباره قضية ذات أهمية كبرى ، ولقد عاد الوضع مرة أخرى اليوم. ولكن الموضوع يحتاج الآن إلى إعادة النظر، وذلك لأن النموذج الذي ظل قائما فيما يتصل بأمن الطاقة طيلة العقود الثلاثة الماضية أصبح محدودا للغاية ولابد من توسيعه بحيث يشمل العديد من العوامل الجديدة. علاوة على ذلك، لا بد من الاعتراف بأن أمن الطاقة لا يقف في حد ذاته ، بل يكمن في العلاقات الأوسع بين الدول وكيفية تفاعلها مع بعضها البعض.

لقد أصبح أمن الطاقة أحد ركائز المفاهيم الأمنية ذات البعد العلمي والعملي وأحد المتغيرات المهمة التي برزت في مكانته ودوره بعد فترة الحرب الباردة. بحيث يعتبر أحد المحددات المهمة التي تدخل في تشكيل تركيبة الأمن الوطني. ونلاحظ أنه مع تزايد وتيرة التطور العلمي والتكنولوجي وتقدم الصناعات، أصبحت الطاقة بمختلف أشكالها عنصرا أساسيا في تحريك عجلات الاقتصاديات العالمية. أصبحت سلطات الدولة تولي أهمية قصوى لمسألة الطاقة وعوامل استدامة مصادرها لضمان أمنها ، وأصبح من الواضح أن الدول المستوردة للمواد الهيدروكربونية تعتمد بشكل كبير على الدول المصدرة والمنتجة.

حسب (Pasquier & Saussay, 2012) يظل تحسين كفاءة الطاقة بشكل كبير يمثل أولوية لجميع البلدان. وأكدت اجتماعات زعماء مجموعة الثماني والتي تسعى إلى التأثير على نمط الأحداث العالمية بشكل رسمي من خلال تشجيع الدول الأخرى والمؤسسات الدولية على اتباع مسارات عمل معينة ووزراء وكالة الطاقة الدولية من جديد على الدور الحاسم الذي يمكن أن تلعبه تحسين كفاءة الطاقة في معالجة أمن الطاقة والتحديات البيئية والاقتصادية ، ويعود التركيز المتجدد على أمن الطاقة جزئا إلى الشح الشديد في سوق النفط وارتفاع أسعار النفط، التي تضاعفت على مدى السنوات الثلاث الماضية. ومن الواضح أن كفاءة استخدام الطاقة هي "الوقود الأول" في العالم بحيث توفر خدمات الطاقة في المستقبل القادم للطاقة المنخفضة الكربون. في سياق دلك يرى (Kurniawati, 2022) أنه خلال الفترة 1960 - 1990، ظهرت مجموعة كبيرة من التكنولوجيات الجديدة لتنتقل جذريا إلى خارج الحدود التكنولوجية مما ساهمت بشكل كبير في دفع العولمة ونمو الاقتصاد والإنتاج ، بالإضافة باستحداث طرقا جديدة في التصنيع الصناعي المستدام مما تطلب ارتفاع استهلاك الطاقة.

وقد حدث مؤخرا انتعاش في الاهتمام بأمن الطاقة، مدفوعا بارتفاع أسعار النفط في الفترة حتى عام 2008 والتوترات الجيوسياسية المتعلقة بالإمدادات (الوكالة الدولية للطاقة) . هناك تفسيرات مختلفة لارتفاع أسعار النفط في الآونة الأخيرة. التفسير الأكثر قبولا يظهر من خلال الطلب المتزايد على الطاقة بسرعة في آسيا، ونقص الاستثمار في إمدادات الطاقة.

بالإضافة إلى دراسة (Friedrichs, 2013) التي تشير إلى أن أمن الطاقة ، تغير المناخ، وارتفاع أسعار الطاقة مكانة متكررة على رأس الأجندة السياسية. توجد فرص كبيرة لتوفير الطاقة ومن المتوقع تحقيقها (Pasquier and Saussay, 2012). وقد قرر الاتحاد الأوروبي الرد بأهداف طموحة لخفض انبعاثات الغازات الدفيئة وإصلاح قطاع الطاقة التي تعد جزءا من استراتيجية أوروبا في سنة 2020 والمعروفة باسم أهداف الاتحاد الأوروبي. وتنص الاستراتيجية على خفض مخطط انبعاثات الغازات الدفيئة بنسبة 20% مقارنة بسنة الأساس 1990 ،بحلول عام 2020 خفض استهلاك الطاقة بنسبة 20% وزيادة حصة الطاقة المتجددة بنسبة 20%. وفي هذه العملية، يلعب القطاع الخاص دورا حاسما. وباعتباره يستهلك

طاقة كبيرة ، فإن الشركات لها تأثير كبير. ولكن ليس فقط من أجل الضغط السياسي تحاول الشركات تقليل استهلاك الطاقة وزيادة الكفاءة، كما اقترح بونس وآخرون. (2011). التطورات الحالية هي بالأحرى ذات أهمية استراتيجية للمنظمات. ويؤثر ارتفاع أسعار الطاقة على هوامش الربح، وأصبح أصحاب المصلحة أكثر وعيا بالآثار البيئية للشركات، ويمكن أن تؤدي ندرة الطاقة إلى تغيير نماذج الأعمال بأكملها.

وفي هذا الصدد تتمحور إشكالية البحث محل الدراسة في الإشكالية الرئيسية التالية :

ماهو واقع وآفاق الجزائر في تحقيق أمن الطاقة على المدى البعيد ؟

للإجابة الى الاشكالية الرئيسية محل الدراسة قمنا بتقسيم الموضوع الى ثلاثة أجزاء ، الجزء الاول يتناول تطور قطاع الطاقة في الجزائر ، تطرقنا فيه الى مسارات التاريخية لقطاع الطاقة في الجزائر ، اما الجزء الثاني فقد شخصنا فيه واقع أمن الطاقة في الجزائر ، وأخيرا انتقلنا الى الدراسة التحليلية والقياسية .

أولا: تطور قطاع الطاقة في الجزائر :

تتركز أهداف هذا البحث في عرض تقييمي لتجربة الجزائر في ميدان أمن الطاقة ، مع التركيز على النتائج التي جاءت بها هذه السياسات على مر عقود، بدءا بالخيار الاشتراكي المتناقض مع الميراث الاقتصادي للمستعمر، إلى استراتيجية التصنيع و الدور المحوري للدولة و المحروقات التي وجهت السياسات الاقتصادية و الاجتماعية.

1. السياسة الطاقوية الاستعمارية :

خلال الفترة الاستعمارية ، تم تنظيم الاقتصاد الجزائري ليتماشى مع مصالح السلطة المركزية والأقلية الأوروبية في الجزائر. كان هدف السلطات الاستعمارية من الاستثمار في الجزائر تحقيق مستوى معيشي مرتفع للمستوطنين. في الفترة من 21 ديسمبر 1943 إلى 8 جويلية 1944 طرحت هذه الاستراتيجية و اقترح بموجبها برنامج استثماري يمتد لمدة 20 عاما خصص له 21 مليار فرنك قديم. هذه التكلفة كان من المقرر أن تتقاسمها الجزائر و السلطة المركزية في فرنسا. (Pervillé, 1986, p. 2) ظاهريا، كان يراد منها تشجيع الصناعيين لاستفادة من الموارد المحلية و البحث عن منافذ جديدة من أجل إنتاج مستدام. (Benachenhou, 1978, p. 353) . بعد هذه المحاولة جاءت خطة قسنطينة في الفترة 1957-

1961 و التي هدفت لإنشاء قاعدة اقتصادية في إطار الاقتصاد الفرنسي. هذه المرحلة، و التي عرفت اكتشاف حقول النفط في الجنوب، هدفت الخطة لبناء أقطاب صناعية مثل مصفاة في الجزائر العاصمة ومجمع للبتر وكيماويات في أرزيو و مصنع الصلب في عنابة و غيرها من المنشآت الصناعية. لقد كشف الخبراء أن إرث الاستراتيجية الاقتصادية الاستعمارية ، ولاسيما خطة قسنطينة كان له تأثير على اختيار استراتيجية التنمية للجزائر بعد الاستقلال. (Zouache, 2012, p. 26) في تقييمه للتقرير العام لخطة قسنطينة Benachenhou(1978)، ذكر أن الخطة كان من شأنها تحويل العمالة من القطاع الزراعي إلى القطاع الصناعي ،كما أوضح التقرير التغير الذي حدث في الهيكل الصناعي خلال العشرية الأخيرة من الاستعمار بحيث يظهر ارتفعت نسب الطاقة وخاصة النفط بشكل ملحوظ في سنة 1962 ما يلاحظ من خلال الشكل 1 هو التغير الجدري لهيكل الإنتاج الصناعي بعد اكتشاف المحروقات بداية من سنة 1954 رغم أنه لم يمثل سوى 2 ٪ مقابل 26 ٪ و 19٪ بالنسبة لإنتاج السلع الاستهلاكية و السلع الرأسمالية على التوالي. في سنة 1958 قفز إنتاج النفط إلى 33.5 ٪ ثم إلى 48 ٪ في سنة 1962 و هو ما يبرز السياسة الاستخراجية التي انتهجت من قبل المستعمر.

الشكل 1: : نسب الإنتاج الصناعي في سنة 1962 .

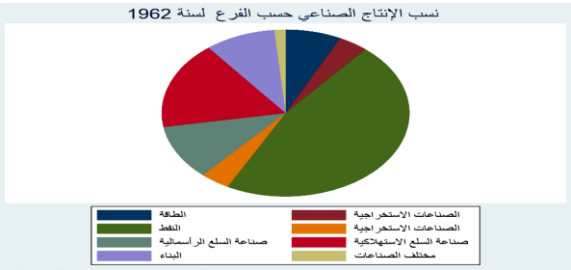

المصدر : من اعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات (Benachenhou A. , 1978, p. 419)

2. السياسة الصناعية بعد الاستعمار :

إن مضمون برنامج طرابلس ركز على دور الصناعات الأساسية و التي عرفت حينها باسم الصناعة الثقيلة رغم أن هذه الاستراتيجية لم تنفذ مباشرة بعد الاستقلال. مجموعة من الأحداث وخاصة إرث خطة قسنطينة لعبت دورا مهما في الاستراتيجية الصناعية المخطط لها. (Talahite, 2010, p. 68)

هذه الأخيرة كانت قد اقترحت خطة تطوير أقطاب للنمو ، أهمها قطب للبتروكيماويات والغاز في أرزيو بوهران وقطب للحديد والصلب في عنابة (Ecrement, 1986, p. 29) لكن في الواقع، كان الصراع السياسي التي عرفته تلك المرحلة حال دون أي محاولة لتحقيق هذه الأهداف و النتيجة في النهاية كانت بالانقلاب جوان 1965 أو ما سمي حينها ب التصحيح الثوري. في أعقاب هذه الأحداث، تم الحفاظ على الاشتراكية كخيار استراتيجي لبرنامج طرابلس. كان الهدف إحداث تغيير جدري في هياكل التصدير حيث و بدلا من تصدير المواد الخام ، يتم الاعتماد على التصنيع لجلب مزايا أخرى بما في ذلك إنشاء سوق محلي (Temmar, 2015, p. 38) بدأت العملية بسياسة التأميم في سنة 1966 لتصل إلى قطاع المحروقات في 24 فبراير 1971، مكنت هذه المبادرات من إنشاء قاعدة صناعية اعتمادا على وفرة عائدات المحروقات و سهولة الوصول إلى الاقتراض. (Begga & Merghit, A. , 2014, p. 96)

بعد أكثر من ستة سنوات من الاستقلال، و وسط ظروف اقتصادية و اجتماعية صعبة بات من الضروري الشروع في استراتيجية تنموية من أجل النهوض بالاقتصاد من خلال البرنامج الثلاثي 1967-1969. عملية التخطيط حينها اعتبرها الميثاق الوطني الأداة المثلى لتوجيه الاقتصاد و السير به في طريق التوزيع العادل الثروات و تحقيق الديمقراطية. الخطة ثلاثية 1967-1969 والتي يشار إليها باسم الخطة التجريبية، هدفت إلى الاستعداد للاستثمارات الكبرى التي اعتمدت على المحروقات في عملية التمويل (Benissad, 1982, p. 287).

3. تأميم المحروقات :

في بداية السبعينيات، بعد تأميم المحروقات و ارتفاع أسعار النفط في الأسواق العالمية نتيجة الحرب العربية الإسرائيلية في أكتوبر 1973 كان هناك استغلال لعائدات النفط لتمويل الصناعة. شكلت الثلاثية الدولة، الريع والتصنيع الركائز الأساسية لاستراتيجية قادة تلك الفترة أو ما سمي باستراتيجية بذر النفط في التنمية. (Benabdallah, 2009, p. 85) حيث تم اختيار سياسة التصنيع كنموذج للمرحلة. لقد نظر إلى التصنيع كأداة من أجل انتقال أفضل إلى دولة قومية حديثة ومتطورة. (Piermay, 2007, p. 152)بموجبها أصبحت استراتيجية الصناعات الصناعية، المستوحاة من الاقتصاديين François Perroux وGérard Destannes de Bernis، المرجع الرئيسي لهذا النهج. (Rocherieux, 2001, p. 33)

ارتكزت استراتيجية التنمية، كما جاء سابقا، على اقتصاد اشتراكي تقوده سياسة التصنيع وتحت الإشراف المباشر للدولة. حيث عرفت إنشاء شركات عمومية كبيرة والاستثمار بكثافة في القطاع العمومي. بعد أول صدمة نفطية في أوائل السبعينيات، حققت الجزائر أعلى معدل نمو من بين الدول المصدرة للنفط حيث بلغ 8,5 %. وصفت هذه النتيجة حينها كواحدة من أنجح التجارب في مجال التنمية الاقتصادية وأحد أكثر البلدان استقرارا من الناحية السياسية (Lowi, 2004, p. 83) . لكن نتائج هذه الاستراتيجية، في الحقيقة، لم تكن بقيمة الاستثمارات التي خصصت لها.

4. نتائج سياسة التصنيع :

نتائج الخطط التنموية، حسب العديد من التقارير، لم تتناسب مع ما رصد لها من مخصصات مالية. الشكل البياني رقم 02 يوضح المعطيات الخاصة بنسب نمو القيم المضافة حسب القطاعات. نسب نمو القيمة المضافة للقطاعات في مختلف الفترات لم ترقى إلى مستوى المجهود الاستثماري للخطط التنموية، حيث تراجعت نسبة قطاع المحروقات من 4.3 ٪ في الفترة 69-74 إلى نسبة لا تتعدى 1.3 ٪ بين 79-85. فيما عرفت القطاعات الأخرى ارتفاعا بين 74-79 مقارنة بالفترة التي سبقت لتتراجع بعد ذلك بين 79-85 و هي الفترة التي عرفت تراجع أسعار المحروقات.

الشكل رقم (02): نسب نمو القيمة المضافة حسب القطاعات.

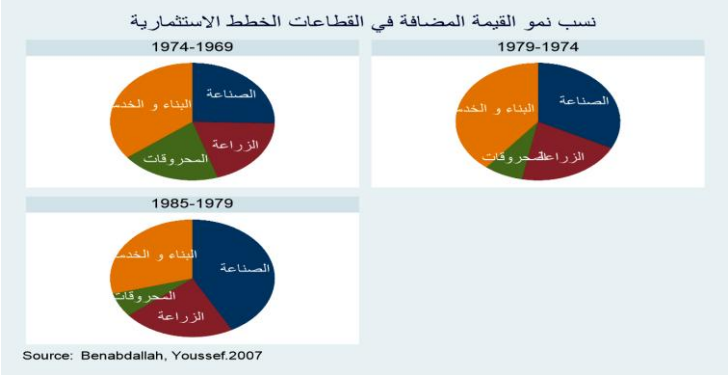

المصدر : من اعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات(Benabdallah Y. , 2007, p. 9)

في الأخير، يجب الإشارة إلى الدور التي لعبته عائدات المحروقات، حيث بعد تأميم المحروقات سنة 1971، تم إصدار قانون حددت بموجبه حقوق وواجبات الشركاء الأجنبية. و بعد أول صدمة نفطية عام 1973، تضاعفت الإيرادات النفطية ثلاثة أضعاف، حيث تحول نصف الاستثمار الصناعي نحو هذا القطاع. كما تم الاستثمار في المؤسسات المملوكة للدولة والتي خضعت لرقابة تصل إلى 80 %. بالمقابل، تم تخصيص جزء من هذه الإيرادات لتوفير التأمين الاجتماعي: التعليم المجاني، الرعاية الصحية، دعم الاستهلاك والنقل العام. في الواقع أن استراتيجية: نثر النفط لجني الصناعة ، كان هدفها المعلن تحضير مراحل ما بعد النفط و لكن هذه الأهداف لم تنسجم مع القدرة الاستيعابية للاقتصاد. حيث في منتصف السبعينيات بدأت المشاكل تظهر في القدرة الإنتاجية لمختلف الصناعات والتي سجلت اختلالات مالية كبيرة. أين عرفت إنتاجية العوامل نتائج سلبية طيلة هذه الفترة. الأمر الذي أعاق قدرة الجزائر على مواصلة سياستها الصناعية التوسعية حتى أصبح القطاع الصناعي عبئا ثقيلا على الحكومة.

ثانيا: واقع أمن الطاقة في الجزائر :

1. مفهوم أمن الطاقة :

لا يوجد مفهوم أمن الطاقة تعريف مقبول ومتفق عليه ضمن الأدبيات الموجودة في هذا المجال حسب العديد من الدراسات كدراسة (Azzuni And Breyer ,2018) و (Filipovic et al , 2018) .

في المجمل تشير التعريفات إلى أن أمن الطاقة يمكن تقسيمه إلى تلك التي تركز على أمن الإمدادات (أمن الطاقة على المدى القصير) وتلك التي تركز على مفهومه الأوسع (أمن الطاقة على المدى الطويل). قدم العديد من المؤلفين والمؤسسات تعريفات عديدة، ولكن بشكل عام، يتم تعريف أمن الطاقة على أنه التوافر المستمر لمصادر الطاقة المختلفة بأسعار .(Benamirouche & al, 2022, p. 235) في عقد مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية في عام 1992 في البرازيل (Rio de Janeiro) وقد سلط الضوء على الاهتمام العالمي بقضايا البيئة والتنمية، لكنه لم يتناول قضايا الطاقة بشكل صريح في مؤتمره في مجملها. يوفر جدول أعمال القرن 21، من خلال مخططا أوليا للتنمية المستدامة، يدرس فيه جوانب الطاقة وعلاقتها بالبيئة والتنمية بهدف "**حماية الغلاف الجوي**". وكان التركيز الرئيسي يتمحور حول الطاقة .

يتم الاعتراف بالطاقة كعنصر حاسم في عملية التنمية في البلاد. إن الطاقة المنتجة والمستخدمة بطرق تدعم التنمية البشرية بكافة أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية هي ما نعنيه بالطاقة المستدامة. ترتكز أهداف سياسة الطاقة نحو التنمية المستدامة على ثلاث ركائز وهي: أمن الطاقوي والنمو الاقتصادي (الربح)، وحماية البيئة (الكوكب)، والمسؤولية الاجتماعية (الناس). (Stambouli, 2009, p. 1)، كما يشير مصطلح النمو الأخضر إلى الاقتصاد الذي ينتج دخله ووظائفه من الاستثمارات التي تهدف إلى الحد من انبعاث ثاني أكسيد الكربون والتلوث، ومنع فقدان التنوع البيولوجي وتحسين كفاءة الموارد (Guérin et alii, 2015). وتعرف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية النمو الأخضر بأنه "السعي لتحقيق النمو الاقتصادي والتنمية مع ضمان منع عدد من المشاكل المكلفة: التدهور البيئي، وتغير المناخ، وتآكل التنوع البيولوجي، والاستخدام غير المستدام للموارد الطبيعية. (Benalouache, 2017, p. 65)

2. **تحليل وضعية أمن الطاقة في الجزائر :**

خلال السنوات القليلة الماضية، تزايد الدعم السياسي للطاقات المتجددة بشكل مستمر على المستويين الوطني والدولي ، ويتفق معظم العلماء الآن على أن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (MENA) في وضع مثالي للعب دور رائد في مستقبل الطاقة الشمسية المربح. وصناعات طاقة الرياح. ظهر الاهتمام بتنمية الطاقات المتجددة في وقت مبكر جدا في الجزائر مع إنشاء معهد الطاقة الشمسية في عام 1962. وتلعب الجزائر دورا مهما للغاية في أسواق الطاقة العالمية، باعتبارها منتجا ومصدرا هاما للهيدروكربونات، وكذلك باعتبارها مشارك رئيسي في سوق الطاقة المتجددة. نظرا لموقعها الجغرافي ، تمتلك الجزائر أحد أعلى خزانات الطاقة الشمسية (RE) في العالم. (Stambouli, 2011, p. 1169)

في الجزائر كما هو الحال في كل العالم يعد قطاع الطاقة أهم العوامل في تغير المناخ ، بحيث أشار تقرير اللجنة الاقتصادية لإفريقيا التابعة للأمم المتحدة أن الجزائر لديها احتياطات كبيرة من النفط والغاز الطبيعي وتعتمد الى حد كبير على هده الموارد لتوليد المداخيل من عائدات التصدير . يمثل قطاع الغاز والنفط 45.9 % من الناتج المحلي الاجمالي الجزائري كما يمثل إجمالي صادرات المحروقات ما يقارب 98 % من اجمالي حجم الصادرات لعام 2007 (UNECA 2011). بحيث يوضح الشكل الموالي العلاقة الايجابية بين العائدات النفطية و النمو الاقتصادي خلال الفترة 2000- 2021 ، حيث كانت مرتفعة في الفترة 2005 – 2008 عقبتها انخفاض ملحوظ في سنة 2009 ، مما أثر على النمو الاقتصادي بسبب الأزمة المالية العالمية 2008. كما بلغت الصادرات السنوية التي بلغت 56.1 مليار دولار أمريكي والتي حققتها سوناطراك في عام 2010 ، تعد الجزائر رابع أكبر مصدر للغاز الطبيعي المسال في العالم ، ثالث أكبر مصدر للغاز النفطي السائل وخامس أكبر مصدر للغاز الطبيعي .

الشكل رقم (03) : العائدات النفطية السنوية والناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة 1970-2021 .



المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات الطاقة العالمية والبنك الدولي.

إن ارتفاع استهلاك الطاقة في هدا البلد ، بسبب تعزيز النمو الاقتصادي و تلبية حاجيات السكان المتزايدة ارتفع متوسط استهلاك الطاقة بنسبة 5.7 % بين عامي 2002 و 2011 كما نلاحظ من خلال الشكل أدناه أنه منحنى استهلاك الطاقة الفردي و انبعاث غاز ثاني الكربون علاقة طردية ،بالإضافة إلى العلاقة الايجابية لكل من استهلاك الغاز الطبيعي و استهلاك الفردي للطاقة عبر الزمن .

الشكل رقم (04) : استهلاك الطاقة ، الغاز الطبيعي ، استهلاك الطاقة الفردي ، انبعاث ثاني أكسيد الكربون في الجزائر خلال الفترة 1970-2021 .

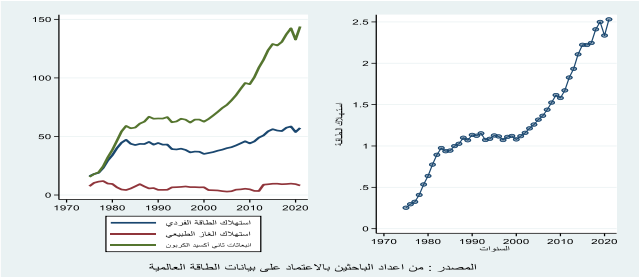

أما من خلال الشكل رقم (05) نلاحظ أن عدم استقرار انتاج الطاقة الكهرومائية حيث أنه في الفترة 1981 – 1989 كان محصور بين 80 و220 ميغاواط ، بحيث الانتاج الأقصى في الفترة تحصلت عليه في سنة 1985 بمقدار 217 ميغاواط ثم انخفض بعد دلك إلى دون 60 ميغاواط .

الشكل رقم (05) : إنتاج الطاقة الكهرومائية خلال الفترة 1980 – 2004.

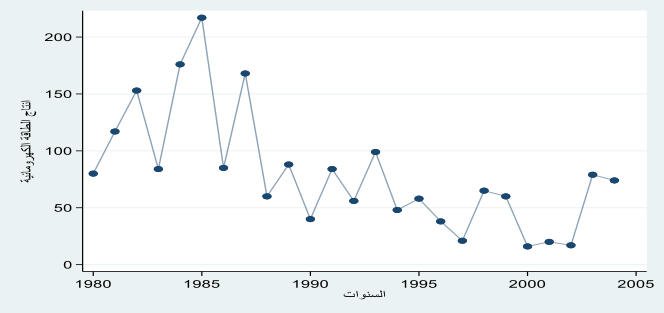

المصدر : من اعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات Energy & Mines Book (2004).
www.mem-algeria.org

و بعد العثرات المتوالية لانخفاض أسعار المحرقات عبر السنوات 1986 ، 1998 ، أصبح من الضروري تفعيل آليات البحث عن مصادر جديدة للطاقة لتحريك القطاعات الإنتاجية داخل السوق الجزائرية الراكدة جراء عدم التنوع . و التكفل التشريعي والتنظيمي لهذه الفكرة مشهود لها بداية الثمانينات ، حيث كانت البادرة تلوح بضرورة الحفاظ على المكتسبات الطاقوية أو ترشيد استعمالها تحت عنوان التحكم في الطاقة بعدها تلتها فكرة العثور على البديل ، وإن كان الملاحظ أن المشرع الجزائري آن ذاك " لم يضبط المصطلحات بين مفهوم الطاقات المتجددة والجديدة وقدم هذه الأخيرة على أنها مصدر غير ناضب بينما عمومية النص تحتمل المصطلحين و لأن الطاقات غير الناضبة أو المتجددة تتطلب تكنولوجيات جد عالية ليست في متناول الدول النامية في حين الطاقات المستخرجة طاقات مستنفدة ولها آثار على الأمن الصحي و البيئي. (معزوزة و زروال، 2015، صفحة 313)

3. استراتيجية أمن الطاقة في الجزائر :

لا يوجد تعريف عالمي لانتقال الطاقة. هناك العديد من العوامل المحددة التي تساهم في وضع تصور لها، مثل مستوى التنمية في البلدان، والوضع الاقتصادي أنظمة الطاقة المعمول بها، الالتزامات الدولية في مجال تغير

المناخ، التعرض للصدمات الخارجية... على سبيل المثال، (International Renewable Energy Agency) تعرف تحول الطاقة بأنه: "**تحول قطاع الطاقة العالمي المعتمد على الطاقة الأحفورية إلى قطاع طاقة خالٍ من الكربون بحلول النصف الثاني من هذا القرن.** ". بالنسبة لألمانيا ، وهي إحدى الدول التي تشهد تقدما ملحوظا في هذا المجال، يتم تعريف تحول الطاقة أو "Wende Energy" على أنه "**استراتيجية طويلة المدى للطاقة والمناخ تقوم على تطوير الطاقات المتجددة وتحسينها**". كفاءة الطاقة. أما مجلس الطاقة العالمي فيلخصه بـ"**التغيرات الهيكلية الأساسية في قطاع الطاقة.**" وبالتالي، توضح هذه التعريفات بعض الفروق الدقيقة في تصور تحول الطاقة اعتمادا على السياق، ولكنها تتقارب جميعها عمليا نحو إعادة هيكلة متعمقة للقطاع. مع نتيجة طبيعية للتكامل الهائل للموارد المتجددة على المدى الطويل. ومع ذلك، يبقى أن نأخذ في الاعتبار نموذج الطاقة السائد حاليا لتجنب أي تسرع في هذا الأمر، والذي يمكن أن تكون عواقبه مكلفة للغاية على هذا الموضوع.

في هذا الصدد، لا يمكن إنكار أن الجزائر، التي تحتوي على مخزون من الموارد المتجددة، خاصة الطاقة الشمسية، من بين الأكثر أهمية في العالم، لديها أيضا مساحة إقليمية تسمح لها بالاستفادة الكاملة من سياسة الطاقة التطلعية. نحن في وضع تظل فيه الفجوة في هذا المجال أكثر أو أقل سهولة في سدها إلى الحد الذي أصبح فيه مجال الطاقات المتجددة حديثا جدا (نهاية العشرين) وأول التحديات التقنية الحقيقية التي تواجهنا. أما فيما يتعلق بانتشارها على نطاق واسع، فلم تتم دراستها وحلها على نطاق واسع إلا في بداية القرن الحالي.

في الجزائر يقدر متوسط سطوح الشمس السنوي ب 3000 ساعة ، بمتوسط يبلغ 6.57 كيلوواط ساعة /متر مربع في اليوم بمساحة 86 % من الصحراء الكبرى ، تمتلك الجزائر أهم حقل شمسي في العالم . ادا أردنا مقارنة الطاقة الشمسية بالغاز الطبيعي فان إمكانيات الطاقة الشمسية للجزائر تعادل حجم 37000 مليار متر مكعب سنويا أكثر من 8 أضعاف احتياطات الغاز الطبيعي في البلاد (اللجنة الاقتصادية لإفريقيا التابعة للأمم المتحدة) .

أطلقت الجزائر أول مشروع هجين للطاقة الشمسية والغاز عن طريق شركة تطوير الطاقة المتجددة New Energy Algeria (NEAL)[1] في حاسي الرمل ، تم تقديم طلب التمويل من البنك الدولي ، كما أن في عام 2006 تم اطلاق برنامج تكميلي لثلاث محطات طاقة شمسية وكانت هده المحطات ضعف المشروع الأولي لحاسي الرمل ، يتعلق الأمر بثلاث محطات طاقة بقدرة 300 ميغاوات في المغير (شرقا) وحاسي الرمل (وسط) والنعامة (غربا) في سنة 2011 وخلال الفترة 2016-2020 ، تم التخطيط لبناء أربع محطات طاقة حرارية بقدرة تخزين اجمالية تبلغ حوالي 1200 ميغاوات ، ثم 500 ميغاوات سنويا حتى عام 2023 و600 ميغاوات سنويا حتى عام 2030 . (حسني و آخرون، 2021، صفحة 2)

نجحت الجزائر في إضافة 27.6 ميغاواط من المنشأت الجديدة للطاقة المتجددة ، مسجلة بدلك نمو 7 % بنهاية العام الماضي . وبحسب البيانات الرسمية ، سجل اجمالي سعة الطاقة المتجددة الموصلة بالشبكة دون حساب المصادر الكهرومائية نحو 401.3 ميغاواط ، تضمنت 12 ميغاواط من الطاقة الشمسية الكهروضوئية الجديدة التي بدأت العمل في 2021.بينما بلغت سعة الطاقة المتجددة خارج الشبكة 36.9 ميغاواط ، منها 15.6 ميغاواط على مدار العامين الماضيين (2020و 2021). تستحوذ الطاقة الشمسية الكهروضوئية على 92 % من الطاقة المتجددة في الجزائر ، دون حساب الطاقة الكهرومائية ، كما يتصل 84 % من إجمالي الطاقة الشمسية الكهروضوئية بالشبكة .

لقد وضعت السياسات الوطنية لتطوير الطاقات المتجددة ضمن إطار قانوني ونصوص تنظيمية حيث تمثلت النصوص الرئيسية في قانون التحكم في الطاقة ، قانون ترقية الطاقات المتجددة في إطار التنمية المستدامة إلى جانب قانون الكهرباء والتوزيع العمومي للغاز ، وترتكز هده السياسات على مجموعة من الهيئات والمؤسسات الاقتصادية ، بحيث تهتم كل واحدة منها ، في كل حدود اختصاصها ، بتطوير الطاقات المتجددة ، هناك ثلاث هيئات تابعة لقطاع التعليم العالي والبحث العلمي تنشط مند سنة 1988 وهي : (محمد بلفضل، 2019، صفحة 21)

[1] (NEAL) هي شركة جديدة من حيث التكوين، تم انشاؤها في 28 يوليو 2002 التي تعمل على ربط الرؤساء العاملين ورؤساء الخواص من اجل النهوض في قطاع الطاقات المتجددة .

- مركز تطوير الطاقات المتجددة (CDER).
- وحدة تطوير التجهيزات الشمسية (UDES).
- وحدة تطوير تكنولوجيا السليسيوم (UDTS).

وتم إنشاء وكالة ترقية وعقلنة استعمال الطاقة (APRUE) [1]من طرف وزارة الطاقة والمناجم لتتكفل بكل نشاط يتصل بترقية الطاقات المتجددة ، من ناحية ويتدخل من ناحية أخرى مركز البحث والتطوير للكهرباء والغاز (CREDEG) في انجاز وصيانة التجهيزات الشمسية المنجزة في اطار البرنامج الوطني للإنارة الريفية , أما في قطاع الفلاحة ، تجدر الاشارة الى وجود المحافظة السامية لتنمية السهوب (HCDS)التي تقوم بإنجاز برامج هامة في ميدان ضخ المياه والتزويد بالكهرباء عن طريق الطاقة الشمسية لفائدة المناطق السهبية . (شنبي و آخرون، 2017، صفحة 159)

أما على المستوى الاقتصادي ، فيوجد عدد من الشركات التي تنشط في ميدان الطاقات المتجددة ، أنشئت الشركة الجزائرية المختلطة (NEAL) في فبراير 2002 ، كما قامت سوناطراك (الشركة الوطنية للمحروقات والبحث والإنتاج والنقل والتحويل والتسويق) بشراكة بنسبة 45%، وسونلغاز (الشركة الجزائرية للكهرباء والغاز) بشراكة بنسبة 45% والشركة الخاصة ب 10%بتأسيس مشروع مشترك. يتعلق بالطاقة الجديدة و لمواصلة تطوير مصادر الكهرباء البديلة بما في ذلك الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والكتلة الحيوية. انضمت شركة لمتابعة تطوير مصادر الكهرباء البديلة إلى برنامج SolarPACES التابع لوكالة الطاقة الدولية وأدرجت أهداف الطاقة المتجددة في القوانين الوطنية للمساعدة في خلق بيئة مستقرة للمستثمرين على المدى الطويل. ومع وجود أهداف كمية طموحة، أنشأت استراتيجية الطاقة الصديقة للبيئة في الجزائر مشاريع

[1] (APRUE) هي مؤسسة صناعية وتجارية عامة ويتمثل دورها الرئيسي في تنفيذ ومراقبة البرامج الوطنية لإدارة الطاقة تتمثل مهامها في تنفيذ ومراقبة البرنامج الوطني لكفاءة الطاقة بالإضافة الى رفع مستوى الوعي ونشر المعلومات حول كفاءة استخدام الطاقة لأهداف مختلفة (عامة الناس والمهنيين والمدارس، وما إلى ذلك) و تركيب برامج ومشاريع قطاعية لكفاءة الطاقة بالشراكة مع القطاعات المعنية (الصناعة، البناء، النقل، الخ)

للطاقة الشمسية وطاقة الرياح لتوليد 575 ميجاوات بحلول عام 2015، و1400 ميجاوات بحلول عام 2020، وانتاج 7500 ميجاوات توقعات لعام 2030 . (Stambouli, 2011, p. 1170)

على اثر عقد شراكة بين مؤسسات وطنية عمومية وخاص ودلك بهدف تطوير الموارد الطاقوية الجديدة والمتجددة ، ليتم بعدها إنشاء مركز (CDER) لتطوير الطاقات المتجددة عن طريق جمع ومعالجة المعطيات وتقييمها بشكل دقيق وصياغة الأبحاث العلمية من شأنها ترقية انتاج واستعمال الطاقات المتجددة .كما توجد وحدات بحث أخرى والمتمثلة في (URERMS) بالمناطق الصحراوية ، (UDTS) لتطوير تكنولوجيا السلسيوم، (URMER) في معدات الطاقة المتجددة .

لقد انظم المشرع الجزائري الى رأي المجتمع الدولي من خلال سن سياسة وطنية لترقية الطاقات المتجددة وإدخالها بشكل رسمي في تنمية الاقتصاد الوطني في أواخر التسعينات ، وقد تم تبني اطار قانوني لتنظيم مجال الطاقة في 28 جويلية سنة 1999 الذي حدد سياسة الجزائر في مجال الطاقة ،كما أكد على الخيارات الأساسية القائمة منذ 1981المتعلقة بنماذج استهلاك الطاقة، وعليه لقد شجعت الحكومة الطاقات المتجددة، وأعطت حوافز على كل المشاريع المتعلقة بها، وهذا بتخصيص إتاوة معينة من البترول لدعم المشاريع المتعلقة بالطاقات المتجددة (علي و الطاهر، 2018، صفحة 64)

القانون رقم 04-09 الصادر في 14 أوت 2004 والمتعلق بترقية الطاقات المتجددة في اطار التنمية المستدامة . فقد ذكر المشرع الجزائري في نص المادة 03 من القانون 04-09 أن مصادر الطاقة المتجددة كما يأتي " **هي أشكال الطاقات الكهربائية أو الحركية أو الحرارية أو الغازية ، المحصل عليها بتحويل الاشاعات الشمسية وقوة الرياح والحرارة الجوفية والنفايات العضوية والطاقة المائية وتقنيات استعمال الكتلة الحيوية**" ، وتهدف استراتيجية الجزائر في تطويرها للطاقات المتجددة الى :

- استغلال أكبر قدرات المتوفرة .
- تخفيض انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون .
- تقليص حصة الطاقات الأحفورية في الحصيلة الطاقوية الوطنية.
- تطوير الصناعة الوطنية.

- توفري مناصب العمل.
- مواكبة الركب في ظل التكنولوجيا.

استطاعت الجزائر تجهيز نحو 840 مدرسة بأنظمة شمسية في ديسمبر 2021 وتقدر سعة الأنظمة الشمسية في المدارس بنحو 6.7 ميغاواط بنهاية العام الماضي مع سعي البلاد نحو إضافة 2 ميغاواط جديدة تخصصها لنحو 339 مدرسة .ويأتي تقرير لمنتدى الطاقة العالمي استحواذ الطاقة الشمسية على نسبة تتراوح ما بين 30 و40 % من الكهرباء المنتجة في الجزائر بحلول عام 2030.ويشار الى أول مشروع يطلق ضمن برنامج الطاقة المتجددة للبلاد ، والدي يستهدف توليد 15 ميغاواط بحلول عام 2035 وهو مشروع الطاقة الشمسية في الجزائر (سولار 1000) ويتضمن ذلك المشروع تنفيذ محطات شمسية كهروضوئية بقدرة اجمالية 1000 ميغاواط ، مع اعتزام الجزائر بدء إنتاج أول 50 ميغاواط من المشروع في عام 2023.

ثالثا :الدراسة التحليلية والقياسية :

1 منهجية وبيانات الدراسة :

استنادا إلى أغلب الدراسات التجريبية والتطبيقية التي تعتمد في تحليلها على منهجية التحليل القياسي بحيث تستخدم الدراسة و الأساليب القياسية للتقدير على مدى صحة النتائج النظرية ومقارنتها بالنتائج العملية ، قمنا بالاعتماد على تحليل الانحدار المتعدد لاختبار الفروض عن العلاقة بين متغير تابع وعدة متغيرات مستقلة تمت الدراسة بأخذ مجموعة من البيانات من عدة مصادر من البنك الدولي و منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. نظرا لعدم توفر البيانات في ما يخص الطاقات المتجددة حددت فترة الدراسة من 1990-2021 موضحة في الجدول التالي :

الجدول 1: تحديد متغيرات الدراسة .

اسم المتغير ورمزه	متغيرات الدراسة	المصدر
الناتج المحلي الإجمالي (GDP)	الناتج المحلي الإجمالي بأسعار المشترين هو مجموع إجمالي القيمة المضافة لجميع المنتجين المقيمين في	

	الاقتصاد بالإضافة إلى أي ضرائب على المنتجات ومطروحا منه أي إعانات دعم غير مدرجة في قيمة المنتجات. البيانات بالدولار الأمريكي الحالي. ويتم تحويل المبالغ من الدولار الى العملات المحلية باستخدام أسعار الصرف الرسمية لمدة عام واحد. بالنسبة لبعض البلدان التي لا تمثل أسعار الصرف الرسمية فيها الأسعار المطبقة فعليا على معاملات العملات الأجنبية، يتم استخدام عامل تحويل بديل.	البنك الدولي ، تاريخ آخر تحديث 26/10/2023
انبعاث ثاني أكسيد الكربون (Emissions_CO2)	قاعدة بيانات EDGAR (قاعدة بيانات الانبعاثات لأبحاث الغلاف الجوي العالمي) هي قاعدة بيانات غازات الدفيئة المجتمعية، وهي ثمرة تعاون بين المفوضية الأوروبية ومركز الأبحاث المشترك (JRC) والوكالة الدولية للطاقة (IEA)، وتضم IEA-EDGAR CO2 و EDGAR CH4 وEDGAR N2O وEDGAR F-GASES .	البنك الدولي
الطاقة المتجددة المركبة (Composite renewable energy) (Renouv)	الطاقة المتجددة هي طاقة ناتجة عن مصادر طبيعية تتجدد بمعدل يفوق ما يتم استهلاكه. أشعة الشمس والرياح، على سبيل المثال، من المصادر التي تتجدد باستمرار. وإن مصادر الطاقة المتجددة	البنك الدولي

	وفيرة وموجودة في كل مكان حولنا.الوحدة : ميغاواط	
أرباح النفط (% GDP) (Profits oil PROFIL)	أرباح النفط هي الفرق بين قيمة النفط الخام بأسعار السوق العالمية والتكلفة الإجمالية للإنتاج.	البنك الدولي .

المصدر : من اعدد الباحثين بالاعتماد على بيانات البنك الدولي و منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية .

2 صياغة النموذج القياسي :

ويمكن كتابة نموذج الانحدار على الشكل التالي :

$$\mathbf{GDP} = f(\text{Profil-pétrole}, \text{Renouvelable}, \text{EmissionCo}_2) \ldots\ldots (1)$$

بحيث GDP : الناتج المحلي الإجمالي (النمو الاقتصادي)

Profil : العائدات النفطية .

Renouvelable: الطاقات المتجددة المركبة .

EmissionCo_2 : انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون .

وباستخدام أسلوب الانحدار المتعدد الخطي في تقدير معلمات النموذج القياسي ستكون الصيغة الخطية للنموذج موضحة في العلاقة الآتية :

$$\mathbf{GDP} = B_0 + B_1 \text{Profil-Pétrole}_{it} + B_2 \text{Renouvelable}_{it} + B_3 \text{EmissionCo}_{2\,it} + \varepsilon_{it} \ldots\ldots\ldots (2)$$

حيث أن t : تعبر عن الزمن ، B_0 ، B_1 ، B_8 تمثل معلمات النموذج ، ε_{it} : حد الخطأ.

3 الإحصاء الوصفي لمتغيرات الدراسة :

في البداية نقوم بإجراء مجموعة من الاختبارات الإحصائية على المتغيرات التفسيرية الممثلة في نموذج الدراسة ولعينة متكونة من 32 سنة ، وهذا ما يوضحه الجدول الموالي:

الجدول رقم (02): الإحصاء الوصفي للمتغيرات التفسيرية .

Variable	Obs	Mean	Std. dev.	Min	Max
pib	32	1.13e+11	6.15e+10	4.18e+10	2.14e+11
emissionco2	32	90.59328	28.96808	61.84085	143.9203
profilpétr~e	32	17.56838	5.88472	9.017563	29.53439
energieren~e	32	.3125	.1539795	.1	.6

المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج STATA.17

يضم الجدول عدد الملاحظات لكل متغير ، بحيث أن المجموع الإجمالي للمشاهدات هو 128 مشاهدة بالإضافة إلى المتوسطات المتغيرات و الانحراف المعياري لكل متغير فنجد متوسط العائدات النفطية تقدر ب (17.56838) بانحراف معياري (5.88472) في حين بلغ متوسط الاستهلاك المتجددة (0.3125) بقيمة عظمى (0.6) أما متوسط انبعاثات ثاني أكسيد الكربون (90.59328) بقيمة دنيا (61.84085) . كما أن النمو الاقتصادي بلغت القيمة العظمى (2.14E+11) في سنة 2014

4 الارتباط بين المتغيرات :

الجدول رقم (03): الارتباط بين المتغيرات .

	pib	emissi~2	profil~e	energi~e
pib	1.0000			
emissionco2	0.8686	1.0000		
profilpétr~e	0.3049	-0.1033	1.0000	
energieren~e	-0.7490	-0.8307	0.1998	1.0000

المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج STATA.17

من خلال الجدول نلاحظ بأن مصفوفة الارتباط تبين النتائج التالية:

- ارتباط ايجابي قوي بنسبة 86.06 % بين المتغير المفسر للنمو الاقتصادي والمتغير التفسيري انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون في حين ارتباط سلبي يتجاوز 70 % بين النمو الاقتصادي الطاقة المتجددة المركبة. كما نجد علاقة إيجابية ضعيفة مع العائدات النفطية تتجاوز 30 % .

5 التعددية الخطية :

الجدول رقم (04): اختبار التعددية الخطية .

Variable	VIF	1/VIF
energiereno~e	3.37	0.296721
emissionco2	3.27	0.305765
profilpétro~e	1.06	0.947376
Mean VIF	2.57	

المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج STATA.17

يوضح الجدول النتائج التي تم الحصول عليها تظهر أن أعلى قيمة لعامل تضخم التباينVIF لا تتعدي 4 و المتوسط بقيمة 2.57 و منه نستنتج أنه لا توجد مشكلة علاقة خطية متعددة و يمكننا بالتالي الإبقاء على هذه العينة من المتغيرات التفسيرية في النموذج.

6 اختبار التوزيع الطبيعي :

الجدول رقم (05): اختبار التوزيع الطبيعي .

Shapiro-Wilk W test for normal data

Variable	Obs	W	V	z	Prob>z
e	32	0.95867	1.379	0.667	0.25243

المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج STATA.17

يشير اختبار shapiro-wilk أن بواقي النموذج تتبع التوزيع الطبيعي حيث بلغت قيمة الاحتمال prob = 0.25 وهي اكبر من مستوى الدلالة 5 % مما يدل على رفض الفرضية العدم .

الشكل رقم (06) : التوزيع الطبيعي للبواقي .

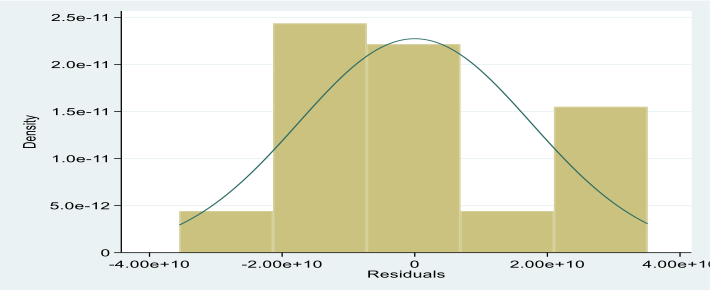

المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج STATA.17

يبين المدرج التكراري أن توزيع البواقي قريب من التوزيع الطبيعي مع وجود انحراف طفيف عند الأطراف .

7 اختبار عدم تجانس التباين :

تم الاعتماد على اختبار Breush-Pagan و تبين النتائج أن قيمة الاحتمال Prob = 0.3365 وهي أكبر من مستوى الدلالة 5 % ، مما يدل عن رفض فرضية العدم ومنه النموذج لا يعاني من مشكلة عدم تجانس التباين .

الجدول رقم (06): اختبار Breush-Pagan.

```
Breusch-Pagan/Cook-Weisberg test for heteroskedasticity
Assumption: Normal error terms
Variable: Fitted values of pib

H0: Constant variance

    chi2(1) =  0.92
Prob > chi2 = 0.3365
```

المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج STATA.17

8 نتائج تقدير نموذج الانحدار الخطي المتعدد :

الجدول رقم (07): تقدير نموذج الانحدار الخطي المتعدد

Source	SS	df	MS	Number of obs	=	32
				F(3, 28)	=	105.41
Model	1.0785e+23	3	3.5949e+22	Prob > F	=	0.0000
Residual	9.5486e+21	28	3.4102e+20	R-squared	=	0.9187
				Adj R-squared	=	0.9099
Total	1.1739e+23	31	3.7869e+21	Root MSE	=	1.8e+10

pib	Coefficient	Std. err.	t	P>|t|	[95% conf.	interval]
emissionco2	1.45e+09	2.07e+08	7.00	0.000	1.03e+09	1.87e+09
energierenouvelable	-1.07e+11	3.95e+10	-2.70	0.012	-1.88e+11	-2.59e+10
profilpétrole	4.48e+09	5.79e+08	7.75	0.000	3.30e+09	5.67e+09
_cons	-6.39e+10	3.01e+10	-2.12	0.043	-1.26e+11	-2.18e+09

المصدر : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج STATA.17

9 تحليل معلمات النموذج :

انطلاقا من النتائج المبينة في الجدول أعلاه يمكن القول بأن العلاقة بين النمو الاقتصادي وكل العائدات النفطية وثاني أكسيد الكربون علاقة ايجابية في حين ارتباط سلبي بين النمو الاقتصادي واستهلاك الطاقة المتجددة ، كما أن كل المتغيرات التفسيرية لها معنوية إحصائية مع معامل تحديد R-Squared يتجاوز ب 90 % ،كما نلاحظ أن النموذج معنوي حسب احصائية فيشر F-Statistics أصغر من 0.05 %.

خاتمة :

لا يزال الاقتصاد الجزائري يعتمد بشكل كبير على المحروقات في زمن يمر فيه العالم بأزمات متعددة الأبعاد بحيث تحتل الجزائر المرتبة 16 من حيث احتياط النفط في العالم وثاني أكبر احتياط نفطي في أفريقيا، في حين أنها تحتل المرتبة التاسعة من حيث احتياطيات الغاز الطبيعي .

في ظل التطورات التكنولوجية فان الدول تتنافس من أجل التحول من استعمال الطاقات الأحفورية و اللجوء الى الطاقات المتجددة ومنه يجب على الجزائر تبني رؤيا تنموية شاملة باستعمال الموارد المالية الناتجة عن عوائد المحروقات رغم امتلاكه رصيدا هاما من الثروات الطبيعية يفرض الانتقال العاجل نحو نموذج تنموي أكثر تنوعا واستدامة و الاستعانة بدراسات مشاريع نموذجية العاملة تحت تأطير مخابر علمية كفؤ واستغلال جميع الثروات التي تتمتع بها من أجل الانتقال الى انتاج الطاقات المتجددة التي لها دور فعال في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالتنسيق مع القطاع العام والخاص، كما يجدر الاشارة الى التنويه باستعمال نماذج دول ناجحة كألمانيا وغيرها . واستعمال واليات مثل استعمال عقود البناء والتشغيل والتحويل (BOT) في الطاقات المتجددة و أدوات للشروع في توسيع البنية التحتية للطاقة النظيفة وتعزيز فرص تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة في الجزائر على المدى الطويل .

قائمة المراجع:

1. توفيق حسني ، رضوان مالك ، نزيم مالك ، 2021، الجزائر 100 % طاقة متجددة ، مؤسسة فريدريش ايبرت الجزائر ص 2.
2. صورية, شنبي, محاد, & عريوة. (2017). الاستثمار في الطاقات البديلة في الجزائر واقع وأفاق. *مجلة التنمية والاقتصاد التطبيقي*, *1* (2), 167-155، ص 159.

3. عبدو علي, & الطاهر. (2018). الإطار القانوني والإجراءات التحفيزية لتطوير قطاع الطاقات المتجددة في الجزائر. Revue droit international et développement, 6(1), 64-90 ، ص 64.
4. محمد بلفضل. (2019). الإطار القانوني للطاقات المتجددة في الجزائر ودورها في المحافظة على البيئة وجذب الاستثمار. *International Review of Law*, (1) ، ص 21.
5. معزوزة, & زروال. (2015). الموارد الطاقوية في الجزائر بين الترشيد والتجديد. *المجلّة الجزائرية للقانون المقارن*, *1*(2), 313-324, ص313.

1. Begga, C., & Merghit, A. (2014). Attempts to Industrial Reforms in Algeria: Do they fit the Logic of Globalization?. Topics in Middle Eastern and North African Economies, 16 , P96.
2. Benabdallah, Y. (2009). Rente et désindustrialisation. Confluences Méditerranée, 71(4), 85-100, P 85.
3. Benachenhou, A. (1978). Formation du sous-développement en Algérie: essai sur les limites du développement du capitalisme en Algérie, 1830-1962. Entreprise Nationale,P353.
4. Benalouache, N. (2017). L'énergie solaire pour la production d'électricité au Maghreb: transition énergétique et jeux d'échelles (Doctoral dissertation, Aix-Marseille université; Université de Sfax) ,P65.
5. Benamirouche, H., Megherbi, A., Djedaa, N. E. I., & Bouferkas, R. (2022). Energy security index of Algeria: an integrated approach. les cahiers du cread, 38(3), 229-260,P 235.
6. Benissad, M. E. (1982). Économie du développement de l'Algérie (1962-1978): sous-développement et socialisme. FeniXX, P287.
7. Ecrement, M. (1986). Indépendance politique et libération économique: un quart de siècle du développement de l'Algérie, 1962-1985,P29 .
8. Lowi, M. R. (2004). Oil rents and political breakdown in patrimonial states: Algeria in comparative perspective. The Journal of North African Studies, 9(3), 83-102,P 83.

9. Pervillé, G. (1986, September). La commission des réformes de 1944 et l'élaboration d'une nouvelle politique algérienne de la France. In La commission des réformes de 1944 et l'élaboration d'une nouvelle politique algérienne de la France (pp. 357-365). Editions du CNRS,P2.
10. Piermay, J. L. (2007). Jean-François TROIN (dir.) Le Grand Maghreb (Algérie, Libye, Maroc, Mauritanie, Tunisie): mondialisation et construction des territoires Paris, Armand Colin, coll. U, 2006, 383 p. Autrepart, 42(2), IV-IV, P 152.
11. Rocherieux, J. (2001). L'évolution de l'Algérie depuis l'indépendance. Sud/Nord, 14(1), 27-50, P 33.
12. Stambouli, A. B. (2009). An overview of different energy sources in Algeria. Jordan Eng, 1-15,P 1.
13. Stambouli, A. B. (2011). Promotion of renewable energies in Algeria: Strategies and perspectives. Renewable and sustainable energy reviews, 15(2), 1169-1181, P 1169.
14. Talahite, F. (2010). Réformes et transformations économiques en Algérie (Doctoral dissertation, Université Paris-Nord-Paris XIII) ,P68.
15. Temmar, H. (2015). L'économie de l'Algérie, 1970-2014: les stratégies de développement. Office des publications universitaires,P38.
16. Zouache, A. (2012). Etat, héritage colonial et stratégie de développement en Algérie. Les cahiers du CREAD, 100, 7-36 ,P26.

The Impact of Integrating the Digital Economy and Sustainable Development on Enhancing Economic Resilience: A Forward-Looking Vision

BENMELOUKA SAADIA[1]
Nour El Bachir University Center – El Bayadh, Algeria
s.benmelouka@cu-elbayadh.dz
HAMZA ALI[2]
Nour El Bachir University Center – El Bayadh, Algeria
a.hamza@cu-elbayadh.dz

Abstract:

This study examines the impact of integrating the digital economy with sustainable development on enhancing economic resilience amid recurring global crises. It addresses the problem that digital transformation, when isolated from comprehensive sustainability strategies, may fail to ensure long-term economic flexibility. The research adopts a descriptive-analytical approach combined with a forward-looking methodology to analyze key megatrends shaping future economic resilience. The findings indicate that economic resilience emerges from the convergence of digital efficiency and sustainable equity, enabling economies to shift from reactive crisis management toward proactive and preventive strategies.

Keywords: Digital Economy, Sustainable Development, Economic Resilience, Cognitive Integration, Forward-looking Vision.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع﴾

أثر التكامل بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة في تعزيز الصمود الاقتصادي: رؤية استشرافية

بن ملوكة سعدية[1]
المركز الجامعي نور البشير –البيض–جامعة الجزائر
s.benmelouka@cu-elbayadh.dz
حمزة علي[2]
المركز الجامعي نور البشير –البيض–جامعة الجزائر
a.hamza@cu-elbayadh.dz

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل أثر التكامل بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة في تعزيز الصمود الاقتصادي في ظل الأزمات العالمية المتعاقبة. وينطلق من إشكالية مفادها أن التحول الرقمي، إذا لم يُدمج ضمن استراتيجيات الاستدامة الشاملة، قد يعجز عن ضمان مرونة النظم الاقتصادية على المدى الطويل. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف المنهج الاستشرافي لرصد الاتجاهات الكبرى المؤثرة في الصمود الاقتصادي. وتخلص الدراسة إلى أن تحقيق الصمود الاقتصادي يرتبط بتقاطع الكفاءة الرقمية مع العدالة والاستدامة البيئية، بما يسمح بانتقال الاقتصادات من منطق إدارة الأزمات إلى منطق الوقاية الاستباقية.

الكلمات المفتاحية :الاقتصاد الرقمي، التنمية المستدامة، الصمود الاقتصادي، التكامل المعرفي، الرؤية الاستشرافية.

مقدمة:

يشهد الاقتصاد العالمي في السنوات الأخيرة تحولات عميقة بفعل تداخل الأزمات الصحية والبيئية والاقتصادية والجيوسياسية، الأمر الذي جعل مسألة **الصمود الاقتصادي** من أبرز الإشكالات المطروحة في الأدبيات الاقتصادية المعاصرة. وفي هذا السياق، برز الاقتصاد الرقمي كأحد المحركات الأساسية لإعادة تشكيل الهياكل الإنتاجية وأساليب إدارة الموارد، غير أن فعاليته تظل محدودة ما لم يتم إدماجه ضمن مقاربات شاملة للتنمية المستدامة تراعي الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية على حد سواء.

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسية مفادها :**إلى أي مدى يسهم التكامل بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة في تعزيز الصمود الاقتصادي في ظل الأزمات العالمية المتعاقبة؟**، وما هي آليات هذا التكامل في بناء نموذج اقتصادي أكثر مرونة وقدرة على التكيف مع الصدمات المستقبلية. وتهدف الدراسة إلى تحليل أثر هذا التكامل في تعزيز الصمود الاقتصادي، وإبراز دوره في الانتقال من منطق إدارة الأزمات إلى منطق الوقاية والاستباق، إضافة إلى استشراف آفاقه المستقبلية في ظل التحولات الرقمية المتسارعة.

وتفترض الدراسة أن تحقيق الصمود الاقتصادي لا يمكن أن يتحقق بالاعتماد على التحول الرقمي بمعزل عن متطلبات التنمية المستدامة، بل يتطلب دمج الرقمنة ضمن استراتيجيات تنموية شاملة، وأن الاقتصادات التي تنجح في هذا التكامل تكون أكثر قدرة على امتصاص الصدمات، وضمان الاستمرارية، وتحقيق التعافي السريع.

ولتحقيق أهداف الدراسة واختبار فرضياتها، تم اعتماد **المنهج الوصفي التحليلي** لتحليل المفاهيم والنماذج المرتبطة بالاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة، إلى جانب **المنهج الاستشرافي** لرصد الاتجاهات الكبرى المؤثرة في الصمود الاقتصادي، اعتمادًا على المعطيات الثانوية والتقارير الدولية ذات الصلة، بما يتلاءم مع طبيعة البحث وأبعاده المستقبلية.

أولا: الاقتصاد الرقمي كرافعة لتعزيز الصمود الاقتصادي

1. الرقمنة والتحول في نماذج الإنتاج والتوزيع

أحدثت الرقمنة تحوّلًا جوهريًا في نماذج الإنتاج والتوزيع من خلال الاعتماد على المنصات الرقمية، والأتمتة، والاقتصاد القائم على البيانات. فقد أسهمت التقنيات الرقمية في تقليص التكاليف التشغيلية، وتحسين كفاءة سلاسل القيمة، وتعزيز سرعة الاستجابة لتقلبات الأسواق، وهو ما انعكس إيجابًا على قدرة المؤسسات والاقتصادات على التكيّف مع الأزمات المفاجئة. ويُعد هذا التحول أحد العوامل الأساسية في تعزيز الصمود الاقتصادي، خاصة في فترات الاضطراب العالمي(Brynjolfsson & McAfee, 2014)

2. دور البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي في إدارة الأزمات الاقتصادية

تلعب البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي دورًا محوريًا في دعم اتخاذ القرار الاقتصادي، من خلال التنبؤ بالمخاطر وتحليل السيناريوهات المحتملة قبل وقوع الأزمات. إذ تسمح هذه التقنيات برصد الاختلالات في الأسواق في الزمن الحقيقي، وتحسين كفاءة السياسات المالية والنقدية، مما يعزز قدرة الاقتصاد على امتصاص الصدمات وتقليل آثارها السلبية. وعليه، فإن توظيف الذكاء الاصطناعي يُعد أداة استراتيجية لتعزيز المرونة الاقتصادية في سياق الأزمات المركبة.(OECD, 2020)

3. أثر الاقتصاد الرقمي في استمرارية الأعمال ومرونة الأسواق

ساهم الاقتصاد الرقمي في ضمان استمرارية الأعمال خلال فترات الإغلاق وتعطل سلاسل الإمداد، من خلال توسيع نطاق العمل عن بُعد، والتجارة الإلكترونية، والخدمات الرقمية. وقد أثبتت هذه الآليات فعاليتها في الحفاظ على مستويات مقبولة من النشاط الاقتصادي، وتقليل حدة الصدمات على الأسواق، مما يعكس الدور الحيوي للرقمنة في تعزيز مرونة الاقتصادات الوطنية.(World Bank, 2021)

ثانيا: التنمية المستدامة كإطار داعم للمرونة الاقتصادية

1. أبعاد التنمية المستدامة ودورها في تحقيق التوازن الاقتصادي

تقوم التنمية المستدامة على تحقيق توازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، بما يضمن تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة. ويسهم هذا التوازن في تقليص الهشاشة الاقتصادية، من خلال تعزيز العدالة الاجتماعية، وحماية الموارد الطبيعية، وتحقيق استقرار اقتصادي طويل الأمد، وهو ما يجعل الاستدامة عنصرًا أساسيًا في بناء الصمود الاقتصادي.(United Nations, 2015)

2. الاقتصاد الدائري والتمويل المستدام كآليات للتحوط من الصدمات

يمثل الاقتصاد الدائري نموذجًا بديلًا للنمو التقليدي، قائمًا على إعادة الاستخدام وتقليل الهدر، بما يحد من الاعتماد على الموارد الناضبة. كما يساهم التمويل المستدام في توجيه الاستثمارات نحو مشاريع طويلة الأجل وأكثر استقرارًا، مما يقلل من تقلبات الأسواق ويعزز القدرة على مواجهة الأزمات الاقتصادية والبيئية (Geissdoerfer et al., 2017).

3. الاستدامة الاجتماعية والبيئية وأثرها في استقرار النظم الاقتصادية

تشكل الاستدامة الاجتماعية والبيئية ركيزة أساسية لاستقرار النظم الاقتصادية، حيث يؤدي تجاهل الفوارق الاجتماعية أو الأضرار البيئية إلى تفاقم المخاطر الاقتصادية على المدى المتوسط والطويل. ومن ثم، فإن إدماج البعد الاجتماعي والبيئي في السياسات الاقتصادية يعزز الثقة المجتمعية، ويحد من الاضطرابات، ويدعم الصمود الاقتصادي الشامل(Stiglitz, Sen, & Fitoussi, 2009)

ثالثا: التكامل بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة: رؤية استشرافية

1. التكامل المعرفي كمدخل لبناء نموذج اقتصادي مرن

يسهم التكامل المعرفي بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة في بناء نموذج اقتصادي أكثر مرونة، من خلال الجمع بين الكفاءة التقنية والقيم الاستدامية. ويتيح هذا التكامل إنتاج معرفة مبتكرة قادرة على تفسير التحديات المركّبة واقتراح حلول استباقية، مما يعزز قدرة الاقتصاد على التكيّف مع التحولات المستقبلية (Nowotny, Scott, & Gibbons, 2003).

2. دور التقنيات الرقمية في دعم أهداف التنمية المستدامة

تؤدي التقنيات الرقمية دورًا متزايد الأهمية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، من خلال تحسين كفاءة استخدام الموارد، وتوسيع الوصول إلى التعليم والصحة، وتعزيز الشفافية والحكامة. ويساعد هذا الدور في بناء اقتصادات أكثر شمولًا وقدرة على الصمود أمام الأزمات المتعددة الأبعاد.(UNDP, 2020)

3. آفاق الصمود الاقتصادي في ظل التحولات الرقمية العالمية

تشير الاتجاهات العالمية إلى أن الصمود الاقتصادي في المستقبل سيعتمد بدرجة متزايدة على قدرة الدول على دمج التحول الرقمي ضمن استراتيجيات الاستدامة الشاملة. فالدول التي تنجح في هذا الدمج ستكون أكثر قدرة على التنبؤ بالأزمات، والتقليل من آثارها، وتحقيق التعافي السريع، بما يعزز موقعها في الاقتصاد العالمي.(Schwab, 2016) وفي ضوء ما سبق عرضه من أبعاد رقمية واستدامية، يمكن تلخيص آليات التكامل وأثرها في تعزيز الصمود الاقتصادي في الجدول التالي:

الجدول 1: آليات التكامل بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة وأثرها في الصمود الاقتصادي

مجال التكامل	الآلية المعتمدة	الأثر على الصمود الاقتصادي
التحول الرقمي والإنتاج	الأتمتة، المنصات الرقمية، سلاسل القيمة الذكية	تقليص التكاليف وزيادة سرعة الاستجابة للأزمات
إدارة المخاطر	البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي	التنبؤ المبكر بالصدمات وتقليل الخسائر
الاستدامة البيئية	الاقتصاد الدائري، الطاقات المتجددة	تقليل الاعتماد على الموارد الناضبة وتعزيز الاستقرار طويل الأمد
الاستدامة الإجتماعية	الشمول المالي الرقمي، التعليم الرقمي	تقليص الفوارق وتعزيز التماسك المجتمعي
التمويل المستدام	الاستثمار الأخضر، السندات الخضراء	دعم مشاريع طويلة الأجل أقل عرضة للتقلبات

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادًا على الأدبيات المذكورة في متن البحث.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى أن الصمود الاقتصادي في السياق العالمي المعاصر لم يعد يُقاس فقط بمعدلات النمو أو بحجم الاحتياطيات المالية، بل أصبح نتاجًا لتكامل بنيوي بين الاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة. وقد أظهرت النتائج أن الرقمنة، رغم ما توفره من كفاءة وسرعة ومرونة تشغيلية، تظل محدودة الأثر إذا لم تُدرج ضمن رؤية تنموية شاملة تراعي الأبعاد البيئية والاجتماعية والحوكمة الرشيدة.

كما بيّنت الدراسة أن التكامل المعرفي بين البعد التقني والبعد القيمي يشكّل الإطار الأنسب لبناء نموذج اقتصادي قادر على الانتقال من منطق إدارة الأزمات إلى منطق الوقاية الاستباقية منها، من خلال توظيف البيانات والذكاء الاصطناعي لدعم القرار، وتوجيه الاستثمارات نحو مجالات مستدامة، وتعزيز الشمول الاقتصادي والاجتماعي. إن الاقتصادات التي تنجح في هذا الدمج تصبح أكثر قدرة على امتصاص الصدمات، وتسريع التعافي، وضمان الاستمرارية في بيئة عالمية تتسم بعدم اليقين.

وفي ضوء ذلك، توصي الدراسة بما يلي:

1. ضرورة إدماج التحول الرقمي ضمن استراتيجيات التنمية المستدامة الوطنية، وعدم التعامل معه كمسار تقني منفصل عن الأهداف البيئية والاجتماعية.
2. تعزيز الاستثمار في التقنيات الخضراء والابتكار المسؤول، بما يحقق الكفاءة الرقمية دون الإضرار بالموارد الطبيعية.
3. تطوير أطر حوكمة رقمية مستدامة تقوم على الشفافية وحماية البيانات وتعزيز الثقة المجتمعية.
4. دعم البحث العلمي متعدد التخصصات لتعزيز التكامل المعرفي بين الاقتصاد والتكنولوجيا والعلوم البيئية والاجتماعية.

كما تشير تقارير دولية حديثة إلى أن تحقيق تعافٍ عادل ومستدام بعد الأزمات يتطلب إعادة تصميم الأطر المالية والرقمية بما يعزز القدرة على امتصاص الصدمات وتحقيق استمرارية النمو.(World Bank, 2022)

ختامًا، يمكن القول إن مستقبل الصمود الاقتصادي سيعتمد بدرجة متزايدة على قدرة الدول على بناء منظومات رقمية مستدامة، تتجاوز منطق التكيّف الظرفي مع الأزمات نحو بناء مرونة هيكلية طويلة الأمد، قوامها الابتكار، والاستدامة، والتكامل المعرفي.

قائمة المراجع:

Brynjolfsson, E., & McAfee, A. (2014). *The second machine age: Work, progress, and prosperity in a time of brilliant technologies*.,: W. W. Norton & Company.

Geissdoerfer, M., Savaget, P., Bocken, N. M. P., & Hultink, E. J. (2017). The circular economy – A new sustainability paradigm? *Journal of Cleaner Production*, 143, 757–768. https://doi.org/10.1016/j.jclepro.2016.12.048

Nowotny, H., Scott, P., & Gibbons, M. (2003). *Mode 2 revisited: The new production of knowledge*. *Minerva*, 41(3), 179–194.

Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD). (2020). *Artificial intelligence in society*. OECD Publishing.

Schwab, K. (2016). The fourth industrial revolution. World Economic Forum.

Stiglitz, J. E., Sen, A., & Fitoussi, J.-P. (2009). *Report by the Commission on the Measurement of Economic Performance and Social Progress*.

United Nations. (2015). *Transforming our world: The 2030 Agenda for Sustainable Development* (A/RES/70/1). United Nations.https://undocs.org/A/RES/70/1

United Nations Development Programme (UNDP). (2020). *Human development report 2020: The next frontier – Human development and the Anthropocene*. UNDP. https://hdr.undp.org/content/human-development-report-2020

United Nations Conference on Trade and Development (UNCTAD). (2023). *Digital economy report 2023: Digitalization for development*. United Nations.

World Bank. (2021). World development report 2021: Data for better lives. World Bank. https://www.worldbank.org/en/publication/wdr2021

World Bank. (2022). World development report 2022: Finance for an equitable recovery. World Bank.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Sports Economy as a Growth Lever in Morocco: An Analytical Reading of the Financial Foundations of the "Investor State" Model towards 2030

Radad Chemlal
Doctor of Public Law
Visiting Professor
At Mohammed I University (Oujda, Morocco)
radadchemlal199306@gmail.com

Abstract:

This study examines the fundamental shift in the philosophy of public intervention in Morocco's sports sector, transitioning from a classical social approach based on grants to an "Investor State" model that leverages sports as a driver for economic growth towards 2030. The central problem focuses on the capacity of the legal and financial framework established by Organic Law No. 130.13 (on the Finance Act) to keep pace with the Kingdom's World Cup ambitions while balancing massive investment requirements with the necessity of fiscal sustainability. The study employs an analytical methodology to deconstruct innovative financing mechanisms, particularly the synergy between the general budget, the Mohammed VI Investment Fund, and Public-Private Partnerships (PPP). The study concludes that the success of this model is contingent upon shifting from a "means-oriented" to a "results-oriented" logic, transforming sports facilities from static assets into value-generating economic units to ensure a sustainable financial legacy beyond the sporting event itself.

Keywords: The Investor State, Sports Economy, Organic Law of Finance (130.13), Innovative Financing, Budgetary Sustainability.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

الاقتصاد الرياضي بالمغرب كرافعة للنمو: قراءة في المرتكزات المالية لنموذج الدولة المستثمرة في أفق 2030

رداد شملال

دكتورة في القانون العام

أستاذة زائرة بجامعة محمد الأول

كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية (وجدة)

radadchemlal199306@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الدراسة التحول الجوهري في فلسفة التدخل العمومي بالقطاع الرياضي في المغرب، من خلال الانتقال من المقاربة الاجتماعية الكلاسيكية القائمة على الدعم والمنح، إلى نموذج الدولة المستثمرة الذي يراهن على الرياضة كرافعة للنمو الاقتصادي في أفق 2030. وتتمحور الإشكالية المركزية حول مدى قدرة الهندسة القانونية والمالية التي أرساها القانون التنظيمي رقم 130.13 لقانون المالية على مواكبة الطموح المونديالي للمملكة، وتحقيق التوازن بين ضخامة الاستثمارات المطلوبة وبين ضرورة الحفاظ على الاستدامة الموازناتية. وقد اعتمدت الدراسة منهجاً تحليلياً لتفكيك آليات التمويل المبتكرة، لاسيما المزاوجة بين الميزانية العامة وصندوق محمد السادس للاستثمار وعقود الشراكة. وخلصت الدراسة إلى أن نجاح هذا النموذج رهين بالانتقال من منطق الوسائل إلى منطق النتائج، وتحويل المنشآت الرياضية من أصول جامدة إلى وحدات اقتصادية منتجة للقيمة المضافة، بما يضمن إرثا ماليا مستداما يتجاوز زمن الحدث الرياضي.

الكلمات المفتاحية: الدولة المستثمرة، الاقتصاد الرياضي، القانون التنظيمي لقانون المالية (130.13)، التمويلات المبتكرة، استدامة الموازنة.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026

تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مقدمة:

تعتبر استضافة التظاهرات الرياضية الكبرى في العصر الحديث مختبرا حقيقيا لقياس نضج المؤسسات، ومدى مرونة المنظومات المالية الوطنية في مواجهة التحديات الاقتصادية العابرة للحدود والمغرب، وهو يشق طريقه بثبات نحو أفق الاستحقاق المونديالي لسنة 2030، لا يستعد لاستقبال حدث رياضي فحسب، بل يكرس انخراطا كليا في استراتيجية وطنية كبرى تجعل من الاقتصاد الرياضي قطاعا إنتاجيا قائما بذاته، ورافعة محورية للنمو تهدف إلى إعادة تشكيل الرأسمال المادي واللامادي للمملكة.

لقد ظل القطاع الرياضي المغربي لعقود طويلة حبيس منطق الرعاية الاجتماعية والتهميش البنيوي في الأجندة الحكومية، حيث كان الفعل الرياضي يختزل في منح تسيير محدودة الأثر، موجهة لتغطية العجز لا لخلق الثروة، وهو ما كرسته المخططات الاقتصادية والاجتماعية لفترة ما قبل 2008، غير أن هذا الركود النسقي شهد انزياحا مفاهيميا عميقا بدأ بالتأهيل المؤسساتي الذي أعقب مناظرة الصخيرات، ليصل اليوم إلى ذروته مع تبني نموذج الدولة المستثمرة، وهو النموذج الذي يزاوج بين السيادة المالية والمردودية التنموية، ويتجاوز النظرة الكلاسيكية للرياضة كعبء موازناتي ليضعها في صلب سلاسل القيمة الاقتصادية.

بيد أن هذا الانتقال نحو الاستثمار الاستراتيجي في البنية التحتية الرياضية واللوجستيكية، يطرح أسئلة جوهرية حول السياسة المالية للمملكة وقدرتها على تعبئة موارد ضخمة تتجاوز القنوات الموازناتية الكلاسيكية، ففي ظل الالتزامات الدولية المرتبطة بكأس العالم 2030، لم يعد السؤال مقتصرا على الجاهزية الإنشائية، بل أضحى يتمحور حول هندسة الإرث وكيفية ضمان استدامة الإنفاق دون المساس بالتوازنات الماكرو-اقتصادية، وهنا يبرز القانون التنظيمي رقم 130.13 لقانون المالية كمرجعية ناظمة، انتقلت بالتدبير المالي من ثقافة الوسائل إلى ثقافة النتائج، فارضة قواعد صارمة للصدقية، والبرمجة متعددة السنوات، ونجاعة الأداء.

إن البحث في المرتكزات المالية لنموذج الدولة المستثمرة يقتضي تفكيك العلاقة الجدلية بين الطموح المونديالي وبين لحكامة الموازناتية، حيث تتداخل تدخلات الميزانية العامة مع أدوار الصناديق السيادية كصندوق محمد السادس للاستثمار، وتتكامل مع أدوات التمويل المبتكرة وعقود الشراكة، هذا التكامل يهدف في جوهره

إلى تفتيت التكلفة وتوزيع المخاطر، لضمان أن تتحول المنشآت الرياضية من أصول جامدة إلى وحدات اقتصادية ذاتية التمويل، تساهم فعليا في الناتج الداخلي الخام وتؤمن إرثا ماليا متوازنا للأجيال القادمة.

تتمحور الإشكالية المركزية لهذه الدراسة حول مدى قدرة الهندسة المالية والقانونية التي أرساها القانون التنظيمي 130.13 على مواكبة التحول نحو نموذج الدولة المستثمرة في القطاع الرياضي، وكيف يمكن للمغرب أن يحقق التوازن الصعب بين ضخامة الاستثمارات المطلوبة لأفق 2030 وبين ضرورة الحفاظ على الاستدامة الموازناتية وتحصين المديونية العامة عبر آليات التمويل المبتكرة والحكامة المرتكزة على النتائج؟

وبناء على هذه الإشكالية، تنبثق الأسئلة الفرعية التالية:

- كيف تطور التدخل العمومي في القطاع الرياضي بالمغرب، وما هي المرتكزات المفاهيمية التي تشكل إرهاصات الانتقال من الدولة الراعية إلى نموذج الدولة المستثمرة؟
- ما هي طبيعة الهندسة التمويلية المعتمدة لتنزيل استحقاقات 2030، وكيف تساهم المزاوجة بين الميزانية العامة والصناديق السيادية وعقود الشراكة في تدبير المخاطر المالية المشتركة؟
- إلى أي حد تضمن آليات البرمجة متعددة السنوات وقواعد نجاعة الأداء الواردة في القانون التنظيمي 130.13 تحويل المنشآت الرياضية إلى أصول اقتصادية ذات مردودية مستدامة؟

من أجل الإحاطة بمتغيرات الإشكالية الرئيسية والأسئلة الفرعية المنبثقة عنها ارتأينا اعتماد التصميم التالي:

المحور الأول: التدخل العمومي في القطاع الرياضي: من المقاربة الاجتماعية إلى منطق الدولة المستثمرة

المحور الثاني: الآليات التمويلية وضمانات الاستدامة في ظل القانون التنظيمي 130.13

المحور الأول: التدخل العمومي في القطاع الرياضي: من المقاربة الاجتماعية إلى منطق الدولة المستثمرة

يقتضي تحليل التحول العميق الذي يشهده التدبير الرياضي بالمغرب، التوقف عند بروز منظومة مفاهيمية جديدة بدأت تشكل ملامح السياسة العمومية الرياضية، هذه المفاهيم التي تتجاوز المنطق الكلاسيكي القائم على الدعم الاجتماعي تكرس انتقالا نحو تدبير استراتيجي يزاوج بين السيادة المالية والمردودية الاقتصادية. ولا يمكن استيعاب التحول الراهن في فلسفة تدبير القطاع الرياضي بالمغرب بمعزل عن تتبع المسار التاريخي والتحول في تمثلات الدولة لوظيفة الرياضة، حيث أن الانتقال نحو مفاهيم (الاقتصاد الرياضي) و(الدولة المستثمرة) هو نتاج مسار تدرجي انتقل فيه الفعل الرياضي من الهواية إلى المأسسة، وصولا إلى الاستثمار السيادي.

أولا: المسار التحولي من المنحة إلى الاستثمار السيادي

لم يكن الانتقال نحو الدولة المستثمرة وليد الصدفة، بل هو نتاج مسار تدرجي يمكن رصده من خلال تغير طرق التدخل العمومي، وفيما يلي عرض للمراحل التي مر منها هذا الانتقال:

أ- مرحلة المقاربة الاجتماعية (ما قبل 2008):

اتسمت هذه المرحلة بنوع من التهميش البنيوي للقطاع الرياضي في الأجندة الحكومية، وبالاستناد إلى تقرير للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، يكشف تحليل التصاريح الحكومية منذ الاستقلال إلى غاية 1981 عن غياب أي إشارة صريحة للرياضة، بينما ظلت المخططات الاقتصادية والاجتماعية (1958-2004) عاجزة عن تنزيل مشاريعها المهيكلة التي ظلت تؤجل في كل مرة، حيث ترجم هذا الجمود النسقي في مؤشرات ميدانية هشة سنة 2008، حيث لم يتجاوز عدد الرياضيين المجازين 1%من الساكنة، مما كرس الرياضة كقطاع مستهلك للنفقة الاجتماعية البسيطة (المنح) دون أي أفق لخلق الثروة (**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2019، ص 13**).

وبالتالي، يظهر من خلال هذه المرحلة أن الفعل الرياضي كان يختزل في رعاية سوسيو-ثقافية، تدبر موازناتيا عبر منح تسيير محدودة الأثر، موجهة لتغطية العجز لا لخلق الثروة.

ب-مرحلة التأهيل المؤسساتي (2008-2020):

في ظل الواقع الذي كان يعرفه المجال الرياضي جاء تنظيم المناظرة الوطنية الثالثة للرياضة بعد مناظرتي 1965 و1980، وهكذا انعقدت هذه المناظرة بالصخيرات في أكتوبر 2008، بمشاركة مجموع الفاعلين المعنيين بالشأن الرياضي في المغرب، سواء على الصعيد الوطني أو الجهوي أو المحلي، من القطاعين العام والخاص، والتي تمخض عنها اعتماد الاستراتيجية الوطنية للرياضة في أفق 2020.

وقد تميزت هذه المناظرة بالرسالة الملكية السامية التي وجهت إلى المشاركين (**الرسالة الملكية، الصخيرات، 2008**)، حيث سلطت الضوء على مكامن الخلل التي تعتري المشهد الرياضي، على مستوى الحكامة والبنيات التحتية والتمويل والتكوين، كما حددت المبادئ الرئيسية التي يجب أن تقوم عليها الاستراتيجية المنشودة.

وتضمنت الاستراتيجية الوطنية عشرة أهداف وأربع غايات كبرى مع خمس رافعات للتنفيذ موزعة على 30 محورا، وفيما يلي نسائل ما تحقق بلغة الأرقام استنادا إلى دراسة تقدم بها المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات (**المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، 2025، ص 3**)، ارتباطا بالشق المتعلق بموضوعنا:

- **بخصوص البنية التحتية الرياضية**، استطاعت الوزارة تحقيق قفزة نوعية في عدد التجهيزات الرياضية إذ أصبحت تتوفر سنة 2020 على 1083 وحدة رياضية من بينها 327 وحدة مخصصة للرياضة التنافسية ورياضة المستوى العالي، بعدما كانت تمتلك فقط 85 وحدة سنة 2009.
- **من حيث الارتقاء بنظم حكامة الجامعات الرياضية**، وجهت الوزارة جزءا مهما من الدعم لتحفيز الجامعات على إعادة النظر في حكامتها الداخلية، إذ كانت تخصص ما بين 10 إلى 15% من قيمة الإعانات لهذا الغرض، لكن الإكراهات التنفيذية والقصور التشريعي والثغرات المسطرية أدت إلى تعثر عمليات المصادقة على الأنظمة الأساسية، وكذا منح التأهيل القانوني.
- **على مستوى الدعم المالي**، قدر المبلغ الإجمالي للدعم الممنوح مباشرة إلى الجامعات الرياضية خلال الفترة 2010-2019 ب 3.15 مليار درهم وعملت الوزارة على الرفع التدريجي للغلاف المالي المخصص للإعانات المبرمجة في إطار الاتفاقيات، حيث انتقل من 130 مليون درهم سنة 2010 إلى 459,7 مليون درهم سنة 2019، بمعدل سنوي يناهز 15% في المتوسط. وبذلك تكون الوزارة قد تجاوزت قبل سنة من نهاية المدة المحددة للعمل بالاستراتيجية الوطنية للرياضة،

الغلاف المالي الذي التزمت بتوفيره كمساهمة منها في تمويل تنفيذ كل محاور هذه الاستراتيجية والمقدر ب 3,14 مليار درهم على مستوى دعم الجامعات الرياضية فقط، ودون احتساب الموارد المالية التي رصدتها لتغطية المحاور الأخرى. وتعتبر جامعات كرة القدم وألعاب القوى والفروسية والملاكمة والغولف والجودو من أبرز المستفيدين من الإعانات المقدمة خلال الفترة 2010-2019، حيث حصلت هذه الجامعات مجتمعة على 64% من قيمة مجموع الإعانات الممنوحة خلال هذه الفترة.

وبالتالي أمكن القول على أنه في هذه المرحلة بدأ الانتقال نحو "المأسسة" حيث بدأ الوعي بأهمية الحكامة، وتحولت الرياضة من هواية إلى مشروع يتطلب هيكلة إدارية وتقنية.

ت- مرحلة الاستثمار الاستراتيجي (أفق 2030):

إذا كانت المرحلة الثانية قد نجحت في مأسسة القطاع الرياضي وإخراجه من عشوائية التدبير، فإن هذا النضج المؤسساتي لم يكن إلا تمهيدا ضروريا لولوج مرحلة الاستثمار الاستراتيجي (أفق 2030)، وتفاعلا مع المكانة المركزية التي تحتلها كرة القدم كأكثر الرياضات انتشارا وتأثيرا في العالم، انتقل الطموح المغربي من مجرد ممارسة اللعبة إلى المراهنة على تنظيم كأس العالم 2030.

وبمجرد إعلان الاتحاد الدولي لكرة القدم (FIFA) عن فوز الملف المشترك (المغرب، إسبانيا، البرتغال)، انتقلت المملكة إلى مرحلة التنزيل العملياتي لهندسة الإرث المستدام، حيث لم يعد الطموح يقف عند حدود التأهيل الإداري، بل تجلى في إبرام صفقات عمومية كبرى لمجاراة الاستثمارات الضخمة المطلوبة (**نجاح، 2024، ص 5**). هنا، تكرس الدولة دورها كفاعل محفز للاستثمار الاستراتيجي، يهدف إلى جعل البنية التحتية الرياضية قاعدة صلبة لخلق القيمة الاقتصادية.

يتجسد هذا التحول نحو منطق المستثمر المهيكل في ضخامة الغلاف المالي المرصود لتنزيل استحقاقات كأس العالم 2030، إذ تشير التقديرات الأولية إلى أن الكلفة الإجمالية للتنظيم المشترك تتراوح ما بين 15 و20 مليار دولار، تبلغ حصة المغرب منها ما بين 5 و6 مليارات دولار (أي ما يناهز 50 إلى 60 مليار درهم)، ويلاحظ أن تعبئة هذه الموارد لا تتم عبر الإنفاق التقليدي، بل من خلال هندسة تمويلية متعددة الأطراف تتوزع مجهوداتها بين ثلاث مسارات استراتيجية، حيث يتصدر الاستثمار العمومي المباشر هذه المنظومة عبر

تخصيص اعتمادات من الميزانية العامة للدولة تقدر بـ 25 مليار درهم في الفترة ما بين 2024 و2030، وجهت حصريا لتطوير الأصول الرياضية كالملاعب ومراكز التدريب (**المركز المغربي لتحليل السياسات، 2025**).

وبالموازاة مع ذلك، تبرز المساهمة النوعية للمقاولات والمؤسسات العمومية بغلاف مالي يصل إلى 17 مليار درهم، يستهدف بالأساس تقوية البنيات الأساسية والربط اللوجستيكي، مستفيدة من قدرتها على تعبئة خطوط ائتمان وقروض مهيكلة بضمانة الدولة. وفي إطار السعي نحو توزيع المخاطر المالية وتخفيف العبء الفوري على الخزينة العامة، تكتمل هذه الهندسة عبر التمويلات الخارجية والمبتكرة التي تستهدف تعبئة 10 مليارات درهم من خلال القروض الميسرة والشراكات الدولية، مما يكرس الانتقال الفعلي نحو نموذج تمويلي مرن يزاوج بين الالتزام السيادي للدولة والآليات المالية الحديثة (**كابيتال، 2023**).

ثانيا: التوطين المفاهيمي لنموذج الدولة المستثمرة

إن المسار التحولي الذي استعرضناه في النقطة السابقة، وما رافقه من ضخ لتدفقات مالية غير مسبوقة في الأفق المونديالي 2030، لا يمكن اختزاله في مجرد طفرة إنشائية أو رغبة في استضافة محفل دولي، بل هو تجسيد لانزياح مفاهيمي عميق في فلسفة الفعل العمومي بالمغرب، وهذا التحول يقتضي كضرورة منهجية، ضبط وتوطين المنظومة المفاهيمية الجديدة التي أصبحت تؤطر العلاقة بين الدولة والقطاع الرياضي.

فالمفاهيم التي بدأت تهيمن على لغة الخطب الاستراتيجية، مثل (الدولة المستثمرة) و(الاقتصاد الرياضي)، ليست مجرد استعارات لغوية، بل هي أدوات تحليلية تعكس انتقالا جوهريا من منطق (الدولة الراعية) التي تكتفي بالدعم الاجتماعي، إلى منطق (الدولة الفاعلة) التي تراهن على القيمة المضافة والأصول المهيكلة. ومن هذا المنطلق، يمكن تفكيك هذه الرؤية التدبيرية الجديدة من خلال مقاربة مفهومي (الاقتصاد الرياضي) كإطار للعمل، و(الدولة المستثمرة) كفاعل استراتيجي.

أ- في مفهوم الاقتصاد الرياضي

انطلق التحليل الاقتصادي لقطاع الرياضة عموما بالمقال المؤسس لسيمون روتنبرغ (Simon Rottenberg) في سنة 1956 (**Rottenberg, 1956**)، وقد أتاح هذا المقال تحديد خصائص هذه الصناعة الجديدة التي لا تختلف كثيرا عن الصناعة بمفهومها التقليدي، كما ركزت الأدبيات

اللاحقة على كل القضايا التي من شأنها أن تجعل هذا القطاع صناعة تحقق قيمة مضافة وتخلق سوقا ومناصب شغل محلية والتي أثار الكثير منها جدلا كبيرا في أوساط المختصين في اقتصاد الرياضة، وفي هذا الصدد، تم على الخصوص وضع فرضية تحقيق أقصى قدر من الأرباح موضع تساؤل، كما ظهر تباين في وجهات النظر، تجسد في نماذج تنظيم المجموعات الرياضية التي تم اعتمادها في أمريكا الشمالية وأوروبا (**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2022، ص 12**).

ولا يشكل اقتصاد الرياضة ككل قطاعا منفصلا يمكن قياس مؤشراته الإحصائية على حدة، بل إنه مكون من مكونات صناعات وقطاعات اقتصادية أخرى، وحسب عالم الاقتصاد فلاديمير أندريف، فإن عبارة اقتصاد الرياضة تخلط بين ما تم تمييزه في اللغة الإنجليزية بين sports Economy أي اقتصاد الرياضة الملموس أو القطاع الاقتصادي للرياضة وsports economics أي ما يعني حرفيا علم اقتصاد الرياضة أو مجموع التحليلات الاقتصادية المخصصة لقطاع الرياضة والموارد المالية التي يستقطبها هذا القطاع وتلك التي يجري تداولها داخله وتلك التي ينتجها (**Andreff Wladimir,2012**).

وهكذا، فإن دراسة اقتصاد الرياضة تقتضي تحليل الأسواق الرئيسية التي تحركها الأنشطة الرياضية وما يواكبها من تغطية إعلامية، وكذا الاستعانة بأدوات من قبيل التحليل الاقتصادي للتوازن ونظرية الألعاب وعناصر الاقتصاد الصناعي واقتصاد العمل من أجل مقاربة وصناعة الرياضات الاحترافية (**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2022، ص 12**).

ويعد وضع تعريف فيلنيوس تحسنا ملموسا في مسعى بلوغ تفسير أوضح للنشاط الاقتصادي المرتبط بالرياضة، ومن شأنه أن يتيح لأصحاب القرار السياسي فهما أفضل لهذا الاقتصاد وتأثيره على الثروة والتشغيل، فعلى إثر التوصية الواردة في الكتاب الأبيض الذي أصدره الاتحاد الأوروبي حول الرياضة سنة 2007 والتي تدعو إلى تعزيز جودة المعطيات وقابليتها للمقارنة بهدف تحسين التخطيط الاستراتيجي وبلورة السياسات في المجال الرياضي، تشكلت مجموعة عمل حول الرياضة والاقتصاد، وقد ضمت هذه المجموعة عددا من المختصين في الاقتصاد والإحصاء والخبراء في اقتصاد الرياضة، ووضعت نصب عينيها بلورة منهجية مشتركة لتعريف وقياس اقتصاد الرياضة في أوروبا، وذلك بغية تعزيز إمكانية المقارنة بين المعطيات المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية

المرتبطة بالرياضة وتعزيز مزاياها، وقد أقرت مجموعة العمل أهمية وضع حسابات فرعية خاصة بمجال الرياضة كمنهجية مشتركة لقياس الأثر الاقتصادي للرياضة.

ورغم أن أنظمة التصنيف الإحصائية تعد آليات مفيدة تسعف في فهم جزء مهم من اقتصاد الرياضة، إلا أن مجموعة العمل أرادت فهم الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالرياضة الموجودة خارج هذه التصنيفات، إذ غالبا ما تكون هذه الأنشطة ممتزجة بأنشطة أخرى لها علاقة بعيدة بالرياضة أو ليست لها علاقة بها مطلقا. فعلى سبيل المثال، يشمل القطاع المسمى الفنادق وأماكن الإيواء المماثلة، سلسلة من أنشطة استقبال المسافرين، غير أن الجانب المخصص من هذه الأنشطة لغرف الفنادق التي تكتريها الفرق الرياضية أو السائحون الرياضيون هو الجانب الذي يهم اقتصاد الرياضة فقط، إلا أنه من غير الممكن بالاستناد إلى أبواب التصنيفات الإحصائية للأنشطة الاقتصادية المعمول بها، فصل هذا الجانب بمفرده.

وفي هذا السياق، جرى اقتراح تعريف فيلنيوس للرياضة، الذي يقوم على مقاربة تتضمن ثلاثة تعاريف اللجنة الأوروبية (2013):

- **تعريف إحصائي**: يشمل فقط القطاعات المعتبرة بشكل صريح قطاعات رياضية في التصنيف الإحصائي للأنشطة الاقتصادية في المجموعة الأوروبية.
- **تعريف ذو نطاق ضيق**: يشمل جميع المنتجات والخدمات التي تعتبر مدخلات ضرورية لقيام النشاط الرياضي ومخرجات له.
- **تعريف ذو نطاق واسع**: يشتمل على المكونين السابقين بالإضافة إلى جميع المنتجات والخدمات ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بأي نشاط رياضي.

ويشمل كل من التعريفين الضيق والواسع النطاق مجموعة من الصناعات التي لم تكن تعتبر مرتبطة بشكل مباشر بالرياضة. فعلى سبيل المثال، تدرج العديد من فضاءات الإيواء الفندقي أو المطاعم ضمن التعريف واسع النطاق بالنظر لكون الفرق الرياضية والسياح الرياضيين يستهلكون السلع والخدمات التي توفرها، كما أن بيع المنتجات الصيدلانية بالتجزئة يندرج ضمن التعريف في النطاق الضيق لأن الرياضيين غالبا ما يستخدمون هذه المنتجات أثناء التداريب أو المنافسات.

ويتسم تطبيق تعريف فيلنيوس على أرض الواقع بدرجة عالية من التعقيد لا سيما عندما يتعلق الأمر بوضع آلية لتجميع المعطيات، إذ تأخذ هذه الآلية شكل مصفوفة: وهي عبارة عن جدول تطابق بين فروع التصنيف الصناعي وتصنيف المنتجات وتبقى كلفة هذا العمل جد مرتفعة من حيث ما يتطلبه من وقت لجمع المعطيات وإمكانيات مالية لإنجازه.

وعلى مستوى الإنتاج، تضم الأنشطة القبلية لسلسلة القيمة بقطاع الرياضة، والبنيات التحتية الرياضية والخدمات المالية المرتبطة بتمويل الرياضة، وإنتاج وتسويق المعدات الرياضية سواء بالجملة أو التقسيط والإشهار. أما الأنشطة البعدية لسلسلة القيمة بقطاع الرياضة، فتشمل التلفزة ووسائل الإعلام الأخرى، والسياحة والتغذية (نظام التغذية الرياضية والمنظومة الصحية، واليانصيب والمراهنات الرياضية، والبحث والتطوير المخصص للرياضة، وتكمن الصعوبة عند تناول اقتصاد الرياضة في العثور من جهة على جميع المنتجات والخدمات في التصنيفات الصناعية المعمول بها، ومن جهة أخرى، إذا تعذر ذلك، في تقدير حصة الإنتاج ذي الوجهة الرياضية ضمن تصنيف عام لا يفرق بين فروع أو أوجه استخدام السلع والخدمات (**المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2022، ص 12**).

وعليه، فإن استحضار هذه المقاربات المفاهيمية، وخاصة تعريف فيلنيوس بنطاقه الواسع، يسمح بفهم الخلفية الاقتصادية التي تؤطر الرهان المغربي الحالي، إذ لم يعد الاستثمار العمومي في المنشآت الرياضية الكبرى مجرد نفقة اجتماعية، بل أصبح استثمارا في محرك اقتصادي عابر للقطاعات، هذا الفهم المتطور للرياضة كقطاع إنتاجي هو الذي شرعن انتقال المملكة نحو منطق الدولة المستثمرة التي تراهن على هندسة إرث اقتصادي مستدام يتجاوز زمن الحدث الرياضي، وهو ما سنتناول أبعاده في المفهوم الموالي.

ب– في مفهوم الدولة المستثمرة

تجدر الإشارة بداية إلى أن مفهوم الدولة المستثمرة يعد من المفاهيم الحديثة نسبيا، إذ برز كبديل للمفهوم الكلاسيكي للدولة المتدخلة ليواكب التحولات الاقتصادية العالمية التي تفرض على الدولة أدوارا أكثر ديناميكية، لكن على الرغم من حداثة المفهوم في الأدبيات القانونية التقليدية، إلا أن جذوره النظرية تمتد لعدة مفاهيم اقتصادية حديثة، لاسيما نظرية الدولة المقاولة التي تذهب فيها الاقتصادية ماريانا مازوكاتو

Mariana Mazzucato إلى أن الدولة تتجاوز دور المنظم لتلعب دور المستثمر الذي يتحمل المخاطر التأسيسية ***(Mazzucato, M. 2013)*** .

وعلى مستوى النسيج المفاهيمي الوطني، يبرز مصطلح الدولة المستثمرة كإطار تحليلي متقدم يعكس الانتقال النوعي في الوظيفة الاقتصادية للمملكة، وهو مفهوم يستمد شرعيته العلمية من التقاطعات الكبرى بين الرؤى الملكية السامية والتوجهات الاستراتيجية المضمنة في النموذج التنموي الجديد، إذ لم يعد دور الدولة حبيس التدخل التقليدي، بل انتقل إلى آفاق الفعل الاستثماري المهيكل الذي يزاوج بين السيادة الوطنية والمردودية التنموية.

ويمكن تأصيل هذا المفهوم الحديث من خلال الارتكاز على الأبعاد التالية:

- **البعد التنموي (الدولة الاستراتيجية)**: استنادا إلى النموذج التنموي الجديد، تبرز الدولة المستثمرة كفاعل يضع الاستثمار العمومي في خدمة المشاريع المهيكلة ذات الأثر المضاعف، وبالرجوع إلى تقرير النموذج التنموي الجديد نجده ينص على أنه: "يتعين على الدولة أن تضطلع بدور الدولة الاستراتيجية، التي تضع الرؤية الطويلة الأمد، وتضمن تناسق السياسات العمومية، وتعمل كمحفز للاستثمار في القطاعات ذات القيمة المضافة العالية"، (**اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، التقرير العام، 2021، ص 71**)، وفي القطاع الرياضي، يتجسد هذا الدور في تحويل الإنفاق من كلفة اجتماعية إلى رافعة للنمو تساهم في خلق القيمة المضافة وتعزيز الجاذبية الترابية.
- **البعد القانوني والمقاولاتي**: يتقاطع هذا المفهوم مع فلسفة ميثاق الاستثمار الجديد (القانون الإطار رقم 03.22)، حيث تتصرف الدولة كمقاول سيادي يتحمل المخاطر التأسيسية الكبرى (كالبنيات التحتية لمونديال 2030) لتحفيز الدورة الاقتصادية، وعودة لميثاق الاستثمار الجديد نجده ينص على ما يلي: "يهدف الميثاق إلى توجيه الاستثمار العمومي نحو الأنشطة المنتجة... وتعزيز دور الدولة كرافعة للاستثمار الخاص" (**القانون الإطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الاستثمار**).
- **البعد الموازناتي (منطق النجاعة)**: الدولة المستثمرة هي التي تعتمد منطق الأداء في رصد الاعتمادات، بحيث يقيم الاستثمار الرياضي بناء على قدرته على توليد عوائد اقتصادية وجبائية

مستدامة، وحسب تقرير أصدرته وزارة الاقتصاد والمالية فإن الدولة تعتمد مقاربة تروم ترشيد الأصول العمومية وجعل الاستثمار في البنيات التحتية (بما فيها الرياضية) قاعدة صلبة لتنمية القطاعات الخدمية والسياحية (**وزارة الاقتصاد والمالية، 2024، ص 15**).

خلاصة القول، إن تكريس مفهوم الدولة المستثمرة في صلب الاقتصاد الرياضي المغربي، يفرض بالضرورة تحديث آليات الرقابة والتدبير الموازناتي، فالدولة التي تراهن على القيمة المضافة والأصول المهيكلة لا يمكنها الاستمرار في التدبير الكلاسيكي للنفقات، ومن هنا تبرز أهمية القانون التنظيمي رقم 130.13 لقانون المالية، ليس فقط كإطار تشريعي، بل كأداة هندسية تضمن نجاعة هذا الاستثمار السيادي، وهو ما سنفصله في المحور الثاني من خلال دراسة قواعد النجاعة ومؤشرات الأداء في الميزانية الرياضية.

المحور الثاني: الآليات التمويلية وضمانات الاستدامة في ظل القانون التنظيمي 130.13

إذا كان المسار التحولي للاستثمار الرياضي قد كشف عن طموحات استراتيجية كبرى، فإن الانتقال من الرؤية إلى التنزيل يضع المالية العامة أمام اختبار حقيقي لموازنة الطموح بالواقعية، ففي ظل سياق مونديالي يتطلب تعبئة موارد مالية ضخمة، لم يعد السؤال مقتصرا على ماذا سنبني؟، بل أصبح يتمحور حول كيف سنمول؟ وكيف سنضمن استدامة هذا الإنفاق دون الإخلال بالتوازنات الماكرو-اقتصادية؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تقتضي الغوص في الهندسة المالية الجديدة التي اعتمدتها المملكة، والتي تقوم على تنويع الروافد التمويلية وتوزيع المخاطر بين الميزانية العامة والآليات المبتكرة كصندوق محمد السادس للاستثمار وعقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص، بيد أن هذه الحركية التمويلية لا تتحرك في فراغ قانوني، بل تجد إطارها الناظم في مقتضيات القانون التنظيمي رقم 130.13 لقانون المالية، الذي أرسى قواعد صارمة للنجاعة والصدقية والبرمجة متعددة السنوات.

ومن هذا المنطلق، يهدف هذا المحور إلى تشريح الميكانيزمات المالية الكفيلة بتنزيل المشاريع الرياضية الكبرى، وذلك من خلال مستويين: سنعالج في المستوى الأول المقومات التمويلية المبتكرة وتدبير المخاطر المشتركة، على أن نخصص المستوى الثاني لتحليل إكراهات حكامة الاستدامة الموازناتية وتحديات الأفق المونديالي.

أولا: المقومات التمويلية المبتكرة وتدبير المخاطر المشتركة

يقتضي تنزيل المشاريع المرتبطة بالمشاركة في تنظيم كأس العالم 2030 ابتكار حلول تمويلية تتجاوز القنوات الموازناتية الكلاسيكية التي تعتمد حصرا على المداخيل الضريبية والقروض المباشرة، وهذا الانتقال نحو آليات تمويلية غير تقليدية ليس مجرد خيار تقني، بل هو ضرورة حتمية فرضتها ضخامة الالتزامات المالية المرتبطة باستضافة المغرب لكأس العالم، والتي تتجاوز قدرة الميزانية العامة السنوية على الاستيعاب دون الإخلال بالتوازنات الماكرو-اقتصادية.

فالدولة في هذا السياق، تتبنى هندسة تمويلية تقوم على مفهوم تفتيت التكلفة وتوزيع المخاطر، حيث لم يعد المال العام هو المصدر الوحيد والمنفرد للتمويل، بل أصبح بمثابة رأس مال محفز يستقطب موارد موازية، هذا التحول التمويلي يرتكز على فلسفة التمويل المدمج الذي يزاوج بين السيادة المالية للدولة عبر ميزانيتها

العامة، وبين الديناميكية الاستثمارية للصناديق السيادية والقطاع الخاص، مما يسمح بتحويل المنشآت الرياضية من أعباء مالية إلى أصول استثمارية تساهم في الناتج الداخلي الخام.

وتستند هذه المقومات الجديدة إلى ركيزتين أساسيتين تضمنان تدفق السيولة اللازمة مع الحفاظ على استدامة المالية العامة وتوازن المديونية:

أ- المزاوجة بين الميزانية العامة وصندوق محمد السادس للاستثمار:

لم يعد تمويل المنشآت الرياضية الكبرى عبئا أحاديا تتحمله ميزانية الاستثمار القطاعية، بل انتقل التدبير المالي لمشاريع الاستحقاق الرياضي الدولي لسنة 2030 إلى مقاربة للتمويل المدمج التي تزاوج بين النفقة العمومية الكلاسيكية والآليات الاستثمارية السيادية، وهي المزاوجة التي تجد سندها القانوني والفلسفي في مقتضيات القانون رقم 76.20 المتعلق بإحداث صندوق محمد السادس للاستثمار، ولاسيما المادتين 2 و4 منه اللتين تمنحان الصندوق صلاحية المساهمة في تمويل المشاريع الاستثمارية الكبرى وتدعيم الرأسمال بالتنسيق مع التوجهات الاستراتيجية للدولة (**القانون رقم 76.20 المتعلق بإحداث صندوق محمد السادس للاستثمار، 2020**).

وفي هذا الإطار، يبرز التكامل الوظيفي من خلال اضطلاع الميزانية العامة بتأمين الاعتمادات الموجهة للبنيات التحتية التي لا تدر عائدا ماليا مباشرا ولكنها تشكل قاعدة الربط الضرورية، كالمحاور الطرقية والشبكات اللوجستيكية، حيث يتم رصد هذه الاعتمادات وفق قواعد البرمجة متعددة السنوات التي كرسها القانون التنظيمي 130.13 (**القانون التنظيمي رقم 130.13 ،2015**) لضمان حصانة موازناتية واستقرار تمويلي بعيدا عن تقلبات قوانين المالية السنوية، وهو ما يزكيه تقرير المؤسسات والمقاولات العمومية المرافق لقانون المالية 2024 الذي يشدد على ضرورة تناسق الاستثمار العمومي مع الأوراش المهيكلة (**وزارة الاقتصاد والمالية، تقرير حول المؤسسات والمقاولات العمومية، 2024**).

وبالموازاة مع هذا الجهد الموازناتي، يتدخل صندوق محمد السادس للاستثمار كمستثمر شريك يتجاوز منطق المنح التقليدي نحو منطق الاستثمار، إذ يعمل الصندوق على تحويل المرافق الرياضية والسياحية الملحقة بالملاعب إلى أصول استثمارية مهيكلة تملك القدرة على استقطاب الرساميل البنكية والتمويلات من القطاع الخاص، مما يسمح بتقليل الضغط المباشر على المديونية العامة عبر نقل جزء من العبء المالي إلى الصندوق

الذي يتمتع بمرونة تدبيرية ونظام أساسي يسمح له بتجاوز قيود المحاسبة العمومية الجامدة، تجسيدا للتوجيهات الملكية السامية التي أرادت لهذا الصندوق أن يكون محركا لمنظومة الاستثمار العمومي ومحفزا لرفع قدرة الدولة على تمويل المشاريع الكبرى دون إرهاق التوازنات المالية.

ويبرز هذا التوجه بشكل ملموس في الاتفاقية الموقعة بين الحكومة وصندوق الإيداع والتدبير (CDG) لتأهيل الملاعب الكبرى وبناء ملعب الحسن الثاني ببنسليمان، حيث يتدخل الصندوق كفاعل مالي مهيكل يضمن تعبئة الموارد خارج الميزانية القطاعية المباشرة، مما يجسد مفهوم التمويل السيادي المدمج الذي يتجاوز الإكراهات الموازناتية الضيقة.

ب– عقود الشراكة بين القطاع العام والخاص

في سياق متصل بتنويع الروافد التمويلية، تبرز عقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص (PPP) كجيل جديد من أدوات تمويل التجهيزات الكبرى، وهي الآلية التي تجد إطارها المرجعي في القانون رقم 86.12 المتعلق بعقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص والمعدل بموجب القانون رقم 46.18، وتنبني هذه المقاربة على منطق الأداء مقابل الخدمة بدلا من الأداء مقابل التوريد، مما يسمح بتوزيع الأعباء المالية المرتبطة بالبناء والصيانة على فترات زمنية ممتدة، وهو ما يقي الميزانية العامة من صدمات الإنفاق الكبرى التي قد تنجم عن التمويلات المباشرة لمشاريع التجهيز الرياضي واللوجستيكي ذات الكلفة المرتفعة.

ومن المنظور الموازناتي، يساهم هذا النمط من التعاقد في تحصين مؤشرات المديونية العامة للمملكة، حيث تتيح مقتضيات القانون 86.12 إدراج الالتزامات المالية للدولة ضمن نفقات التسيير السنوية كإتاوات مقابل الخدمة، بدلا من تسجيلها كديون استثمارية مباشرة تثقل كاهل الميزانية في الأمد القريب، وهو ما يتماشى مع قواعد النجاعة والصدقية التي كرسها القانون التنظيمي لقانون المالية رقم 130.13. وبالإضافة إلى التخفيف المالي، تضمن هذه الشراكة نقل جزء جوهري من المخاطر المرتبطة بالتصميم، البناء، والتشغيل إلى الشريك الخاص، مما يضمن جودة المنشآت واستدامة مردوديتها وفق دفاتر تحملات صارمة، تكرس دور الدولة كجهة مراقبة وضابطة للاستثمار لا كمجرد منفذ له.

وتأكيدا لهذه التوجهات، تشير وزارة الاقتصاد والمالية في تقريرها حول الاستثمار العمومي إلى أن اللجوء لهذه الآليات التمويلية المبتكرة يعد خيارا استراتيجيا لضمان تنفيذ المشاريع المهيكلة في آجالها المحددة دون

المساس بالتوازنات الماكرو-اقتصادية (**وزارة الاقتصاد والمالية، 2024**)، مما يجعل من عقود الشراكة رافعة أساسية لإنجاح الالتزامات الدولية للمملكة وضمان استدامة أصولها الرياضية لما بعد فترة الاستحقاقات الكبرى.

وتجد هذه المقاربة تجلياتها الواقعية في مشاريع تدبير المنشآت اللوجستيكية والخدماتية المحيطة بالمركبات الرياضية، وكذا في تجربة تحلية مياه البحر أو الطاقة المتجددة التي يتم إسقاط نموذجها التعاقدي اليوم على بناء وصيانة المنشآت الكبرى، حيث يتم إسناد التصميم والتمويل للقطاع الخاص كما هو الحال في عروض التدبير المفوض للملاعب الكبرى، مما يضمن استمرارية المرفق الرياضي بمعايير دولية دون تحميل ميزانية الدولة أعباء الصيانة والتشغيل اليومية.

ثانيا: حكامة الاستدامة الموازناتية وتحديات الأفق التنموي 2030

لا تكتمل فعالية المقومات التمويلية المبتكرة إلا بإرساء نظام صارم للحكامة يضمن استدامة المالية العامة، وهو التحدي الجوهري الذي رفعه القانون التنظيمي رقم 130.13 من خلال فرض قواعد موازناتية صارمة تتجاوز التدبير الظرفي نحو استدامة المسار المالي، وتتجلى هذه الحكامة في بعدين استراتيجيين يضمنان تحصين المجهود الاستثماري للدولة:

أ- صدقية البرمجة متعددة السنوات كضابط للاستقرار المالي الماكرو-اقتصادي

شكلت المادة 5 من القانون التنظيمي لقانون المالية 130.13 انعطافة حاسمة في هندسة المالية العامة، حيث فرضت الانتقال من التدبير السنوي إلى البرمجة الميزانياتية لثلاث سنوات، وتظهر القوة التوجيهية لهذه المادة في المشاريع الاستراتيجية الحالية، حيث تم بناء على معطيات وزارة الاقتصاد والمالية، هندسة غلاف مالي إجمالي ناهز 14.5مليار درهم موزع على الفترة (2024-2026) لتغطية كلفة تأهيل الملاعب وبناء المنشآت الكبرى (**وزارة الاقتصاد والمالية، 2024**).

إن هذا الرقم ليس مجرد تقدير محاسبي، بل هو التزام مبرمج يضمن صدقية الميزانية، حيث تم تخصيص 9.5 مليار درهم كمرحلة استعجالية لتأهيل الملاعب القائمة، متبوعة بغلاف إضافي يقدر بـ 5مليارات درهم للمرحلة الثانية، وتسمح هذه البرمجة الزمنية للدولة بتدبير تدفقاتها النقدية دون المساس بسقف عجز الميزانية، الذي تستهدف الحكومة خفضه تدريجيا من 4% سنة 2024 إلى 3% في سنة 2026.

وبذلك، تصبح البرمجة متعددة السنوات بمثابة صمام أمان يمنع أي انزلاق مالي قد يهدد استدامة الدين العام، ويحول الالتزامات الدولية إلى مسارات تمويلية واضحة المعالم، تخضع لمبدأ الصدقية الميزانياتية الذي يعتبر حجر الزاوية في الإصلاح المالي الحالي.

ب– آليات التدبير المرتكز على النتائج وضمان العائد الاقتصادي للمنشآت

تتمثل كبرى غايات الحكامة الموازناتية في أجرأة منطق النتائج كبديل لمنطق الوسائل، وذلك لضمان نجاعة الأداء في المنشآت المرتبطة بالأفق التنموي للمغرب، وتجنب خطر تحولها إلى أصول غير منتجة تستنزف موارد الدولة، ومن هذا المنطلق، يتم تفعيل مقتضيات المادة 39 من القانون التنظيمي لقانون المالية رقم 130.13، التي تربط صرف الاعتمادات الاستثمارية بتحقيق أهداف استراتيجية محددة سلفا، ومقرونة بمؤشرات قياس دقيقة تضمن مراقبة العائد من النفقة في كل مرحلة من مراحل الإنجاز.

إن هذا الانتقال التدبيري يجعل من المنشآت الرياضية واللوجستيكية مشروعا اقتصاديا متكاملا يتجاوز كونه مجرد بناء هندسي، حيث يصبح الالتزام المالي للدولة مشروطا بمدى قدرة هذه الأصول على تحقيق القيمة المضافة المسطرة في البرامج القطاعية.

ويتجسد هذا الربط بين النتائج والعائد الاقتصادي من خلال مراهنة الدولة على رفع مساهمة القطاع الرياضي والخدماتي في الناتج الداخلي الخام لتتراوح بين **1.5%** و**2 %**في أفق 2030، مقارنة بنسبة **0.5%** المسجلة حاليا، وفق تقديرات وزارة الاقتصاد والمالية. ولتحقيق هذه النتيجة، يتم اعتماد نموذج الدولة المستثمرة التي تراهن على العائد المستدام للاستثمار حيث يتم تحويل المجمعات الرياضية إلى وحدات اقتصادية ذاتية التمويل تدار بعقود تدبير احترافية، مما يضمن استدامة الصيانة والتشغيل عبر مداخيلها الخاصة دون الحاجة لضخ اعتمادات موازناتية مستمرة من ميزانية التسيير.

إن هذا الربط العضوي بين النفقة الاستثمارية والنتائج الاقتصادية المحققة يمثل جوهر الإصلاح المالي، حيث تصبح المنشآت أصولا تنموية دائمة تعزز الرأسمال المادي للدولة، وتضمن للأجيال القادمة إرثا متوازنا ماليا، بعيدا عن منطق الإنفاق الاستهلاكي المحدود بالزمن.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي تناولت الاقتصاد الرياضي بالمغرب كرافعة للنمو، يتضح أن المغرب يخوض غمار تحول بنيوي غير مسبوق في فلسفة التدبير العمومي للقطاع الرياضي، فلم يعد الرهان مقتصرا على تنظيم تظاهرة دولية كبرى فحسب، بل أضحى الهدف هو أجرأة نموذج الدولة المستثمرة التي تزاوج بين السيادة المالية والمردودية الاقتصادية، في ظل نظام قانوني مالي محصن بمقتضيات القانون التنظيمي لقانون المالية رقم 130.13.

نتائج الدراسة:

من خلال التحليل القانوني والمالي للبحث، خلصنا إلى النتائج التالية:

- أثبتت الدراسة أن المغرب نجح في الانتقال من المقاربة الاجتماعية التي كانت تختزل الرياضة في منح تسيير محدودة الأثر (ما قبل 2008)، إلى التأهيل المؤسساتي (2008-2020)، وصولا إلى الاستثمار الاستراتيجي الذي يكرس الرياضة كقطاع إنتاجي يساهم في خلق الثروة ومناصب الشغل.
- تأصل مفهوم الدولة المستثمرة في البحث كفاعل يتحمل المخاطر التأسيسية الكبرى، محولا الرياضة من كلفة اجتماعية إلى أصول مهيكلة وفق تعريف فيلنيوس الموسع الذي يربط الرياضة بسلاسل القيمة السياحية واللوجستيكية.
- كشف البحث عن قدرة المغرب على تعبئة موارد ضخمة (تتراوح حصته فيها بين 50 و60 مليار درهم) عبر هندسة تمويلية مدمجة تزاوج بين الميزانية العامة، تدخلات صندوق محمد السادس للاستثمار، وعقود الشراكة (PPP)، مما أتاح تفتيت التكاليف وتوزيع المخاطر المالية.
- وفر القانون التنظيمي 130.13 الضمانات اللازمة لاستدامة هذا الطموح، من خلال الصدقية الميزانياتية والبرمجة متعددة السنوات التي أطرت غلاف 14.5 مليار درهم (2024-2026)، مع إرساء منطق النتائج الذي يربط النفقة الاستثمارية بمدى تحقيق القيمة المضافة المسطرة.

الاقتراحات:

بناء على خلاصات البحث، نتقدم بالاقتراحات التالية لضمان استمرارية نجاعة هذا النموذج:

- بلورة نظام إحصائي وطني يعتمد "تعريف فيلنيوس" لقياس المساهمة الحقيقية للرياضة في الناتج الداخلي الخام بدقة، وتسهيل عملية التخطيط الاستراتيجي.
- ضرورة وضع استراتيجيات تشغيلية للمنشآت الرياضية تعتمد على التدبير المقاولاتي، لضمان تحويل الملاعب إلى وحدات اقتصادية ذاتية التمويل لا تعتمد على ميزانية الدولة في الصيانة.
- تطوير مقتضيات ميثاق الاستثمار الجديد لتشمل حوافز ضريبية خاصة للمقاولات التي تستثمر في الأنشطة البعدية لسلسلة القيمة الرياضية (السياحة الرياضية، الصناعة الغذائية الرياضية).
- التشديد على أهمية المراقبة المواكبة التي يفرضها القانون 130.13، لضمان انضباط الشركات المتعاقدة بما يضمن جودة الأصول الرياضية واستدامتها للأجيال القادمة.

لائحة المراجع:

أولا: النصوص القانونية والتنظيمية

- **القانون الإطار رقم 03.22** .(2022) .بمثابة ميثاق الاستثمار. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 7151.
- **القانون التنظيمي رقم 130.13** .(2015) .لقانون المالية. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6370.
- **القانون رقم 46.18** .(2020) .المتعلق بتغيير وتتميم القانون رقم 86.12 المتعلق بعقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6866.
- **القانون رقم 76.20** .(2020) .المتعلق بإحداث صندوق محمد السادس للاستثمار. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6948.
- **القانون رقم 86.12** .(2014) .المتعلق بعقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص. الجريدة الرسمية للمملكة المغربية، عدد 6320.

ثانيا: التقارير والخطب والوثائق الرسمية

- **الرسالة الملكية السامية** .(2008) .الرسالة الموجهة إلى المشاركين في المناظرة الوطنية حول الرياضة بالصخيرات (24 أكتوبر 2008).
- **اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي** .(2021) .*التقرير العام: التقرير العام للنموذج التنموي الجديد* .الرباط، المغرب.
- **المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي** .(2019) .*الاقتصاد الرياضي: رافعة للنمو والتشغيل (تقرير إحالة ذاتية)* .الرباط، المغرب.
- **المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي** .(2022) .*المنظومة البيئية الرياضية بالمغرب: من أجل إصلاحات مدمجة لتعزيز المردودية (تقرير سنوي)* .الرباط، المغرب.
- **وزارة الاقتصاد والمالية** .(2024) .*تقرير حول الاستثمار العمومي المرافق لمشروع قانون المالية لسنة 2024* . الرباط، المغرب.
- **وزارة الاقتصاد والمالية** .(2024) .*تقرير حول المؤسسات والمقاولات العمومية المرافق لمشروع قانون المالية لسنة 2024* .الرباط، المغرب.

ثالثا: الكتب والمقالات والدراسات (العربية والأجنبية)

- **المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات** .(2025) .*الرياضة المغربية في أفق 2030: قراءة في الهندسة التمويلية لكأس العالم* .دراسات استراتيجية، الرباط.
- **نجاح، م** .(2024) .*الاستثمارات العمومية بالمغرب: تحديات التمويل والاستدامة* .مجلة العلوم القانونية، الدار البيضاء.

- **Andreff**, **W**. (2012). *The winner's curse: Why is the cost of mega-sporting events so high?*. In: Handbook on the Economics of Sport. Edward Elgar Publishing.
- **Mazzucato**, **M**. (2013). *The Entrepreneurial State: Debunking Public vs. Private Sector Myths*. Anthem Press.
- **Rottenberg**, **S**. (1956). The Baseball Players' Labor Market. *Journal of Political Economy*, 64(3), 242-258.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

Rethinking the Opening-up of the Sahel through an Integrated Approach: Cross Perspectives on an Emerging African Initiative

MEHDI DAOUD
PhD Candidate and Researcher, Faculty of Legal, Economic and Social Sciences of Tangier, Abdelmalek Essaâdi University, Morocco.
mehdida35@gmail.com

Abstract:

The Sahel region's landlocked geography has long stifled its economic growth and integration. High transit costs, dependency on coastal neighbors, and logistical vulnerabilities hamper development in Mali, Niger, Burkina Faso, Chad and others. Traditional security-only responses have shown their limits, prompting a shift toward integrated solutions that address root causes through cooperation and development. A new Africa-led initiative spearheaded by Morocco aims to connect the Sahel to the Atlantic Ocean, offering these countries strategic access to global markets via modern infrastructure and regional partnerships. This paper examines the Sahel's enclavement challenges and the integrated approach underpinning this emerging initiative from geopolitical, legal, and economic perspectives, highlighting Morocco's pivotal role.

Keywords: Sahel, landlocked countries, regional integration, infrastructure development,Morocco, Atlantic Initiative, AfCFTA, ECOWAS, geopolitics.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

Penser le désenclavement du Sahel par une approche intégrée : regards croisés sur une initiative africaine émergente

MEHDI DAOUD
Doctorant-chercheur au Centre d'Études Doctorales (CED), Faculté des Sciences Juridiques, Économiques et Sociales de Tanger (FSJEST), Université Abdelmalek Essaâdi, Maroc
mehdida35@gmail.com

Résumé :

Le Sahel demeure pénalisé par un enclavement multidimensionnel, entravant son développement socio-économique et son intégration régionale. L'absence d'accès direct à la mer fait flamber les coûts de transport les pays en développement sans littoral supportant généralement des coûts plus élevés et des délais plus longs limitant sévèrement les échanges commerciaux (CNUCED, 2023, p. 7). Ce handicap structurel ampute le PIB des États sahéliens d'au moins 20%, selon des estimations mobilisées dans la littérature d'analyse sur l'enclavement (Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4). Face aux limites d'une approche strictement sécuritaire, désormais insuffisante pour juguler l'instabilité chronique, une nouvelle vision intégrée émerge pour s'attaquer aux causes profondes de la vulnérabilité sahélienne, en articulant développement, infrastructures et coopération (Banque africaine de développement, 2022, p. 2). Dans cette optique, une initiative africaine portée par le Maroc propose d'offrir aux pays enclavés du Sahel (Mali, Niger, Burkina Faso, Tchad) un accès direct, sécurisé et structurant à l'océan Atlantique via les ports et corridors logistiques du Royaume (Sambe, 2023, p. 9). Annoncée par S.M. le Roi Mohammed VI le 6 novembre 2023, cette « Initiative Atlantique » vise à transformer un obstacle géographique en levier d'intégration et de souveraineté logistique, mais soulève aussi des enjeux géostratégiques qu'il convient d'examiner (IRES, 2025, p. 13).

Mots clés : Sahel, désenclavement, intégration régionale, infrastructures, Maroc, Initiative Atlantique, ZLECAf, CEDEAO, géopolitique.

Introduction :

Le Sahel se heurte à un enclavement structurel qui freine son développement et accentue sa vulnérabilité. Quatre des principaux pays sahéliens le Mali, le Niger, le Burkina Faso et le Tchad n'ont aucun accès direct à la mer. Cette situation géographique les expose à des coûts logistiques exorbitants et à une dépendance vis-à-vis des États côtiers voisins pour leurs importations et exportations. Selon les Nations unies, les pays en développement sans littoral paient plus du double en frais de transport que leurs homologues maritimes, et subissent des délais d'acheminement deux fois plus longs. **(CNUCED, 2023, p. 7)** Un tel handicap se traduit par une croissance ralentie et un manque à gagner considérable l'enclavement amputerait le PIB de ces pays d'au moins 20% d'après les estimations. **(Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4)** Au-delà de l'éloignement des littoraux (enclavement externe), le Sahel pâtit d'un enclavement interne (faiblesse des infrastructures locales, enclaves de pauvreté) et transfrontalier, caractérisé par des corridors mal connectés, des procédures douanières lourdes et l'insécurité le long des routes. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** Ces multiples dimensions de l'enclavement forment un cercle vicieux limitant l'intégration du Sahel dans les chaînes de valeur régionales et mondiales. **(CNUCED, 2023, p. 7)**

Conscient de ces défis, le discours dominant évolue d'une approche strictement militaire à une approche intégrée du problème. Les crises sécuritaires des années 2010-2020 marquées par le terrorisme et l'instabilité politique ont longtemps relégué les questions de développement au second plan. Or, l'approche "tout sécuritaire" a montré ses limites objectives, sans apporter de solution durable à l'instabilité. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** Désormais, une prise de conscience s'opère sur la nécessité d'agir sur les causes profondes de la fragilité sahélienne : la marginalisation économique, le sous-investissement infrastructurel et la faible intégration régionale. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** Les institutions internationales et africaines appellent à renforcer simultanément la sécurité, la gouvernance et le développement. Par exemple, la Banque africaine de développement (BAD) soutient des programmes au Sahel visant à développer des infrastructures de qualité, créer des emplois et améliorer la résilience des États. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** De son côté,

l'Union africaine, à travers l'Agenda 2063, aspire à doter l'Afrique d'infrastructures régionales de classe mondiale afin de surmonter les obstacles géographiques et d'accroître l'intégration du continent. **(African Union Commission, 2015, p. 2)** Dans cette perspective, désenclaver le Sahel n'est plus seulement un enjeu national pour chaque pays, mais un impératif régional qui s'inscrit dans le cadre des initiatives continentales telles que la Zone de libre-échange continentale africaine (ZLECAf) laquelle ne pourra pleinement tenir ses promesses qu'accompagnée d'infrastructures de transport et de corridors commerciaux efficaces.

C'est dans ce contexte qu'émerge une initiative africaine inédite, fondée sur une vision intégrée du désenclavement du Sahel. Annoncée par le Roi du Maroc lors de la commémoration de la Marche Verte le 6 novembre 2023, l'Initiative Atlantique propose d'ouvrir aux nations sahéliennes enclavées un accès stratégique à l'océan Atlantique via le territoire marocain. **(Sambe, 2023, p. 9)** Concrètement, le Maroc mettrait à disposition ses infrastructures de transport routes transsahariennes, axes ferroviaires, grands ports de l'Atlantique (Tanger Med, Casablanca) et futur port en eaux profondes de Dakhla pour créer de nouveaux corridors reliant directement le cœur du Sahel aux marchés mondiaux. **(IRES, 2025, p. 13)** Il s'agit d'une réponse novatrice au défi du désenclavement structurel d'une région riche en ressources naturelles mais dépourvue de façade maritime. **(Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4)** L'initiative repose sur trois principes fondateurs mis en avant par les parties prenantes : la solidarité Sud-Sud entre pays africains, la recherche d'une souveraineté logistique pour les États enclavés, et le principe de coopération mutuellement bénéfique (gagnant-gagnant) entre le Maroc et ses partenaires sahéliens. **(Sambe, 2023, p. 9)** En transformant un obstacle géographique en opportunité d'intégration, ce projet ambitieux est perçu comme un « tournant stratégique » pour le Sahel et pour l'Afrique de l'Ouest. **(IRES, 2025, p. 13)** Cependant, sa réalisation s'accompagne de défis géopolitiques (nouvelles alliances régionales, rivalités de puissances), juridiques (accords de transit, cadre institutionnel) et économiques (financements, viabilité commerciale) qu'il convient d'analyser. **(IRES, 2025, p. 13)**

Ainsi, après une introduction générale du sujet, le présent article s'articulera autour de trois axes principaux. (I) Nous dresserons d'abord un état des lieux des enjeux liés à l'enclavement du Sahel, en précisant ses différentes dimen-

sions et ses conséquences socio-économiques. (II) Nous examinerons ensuite l'approche intégrée préconisée pour désenclaver la région, en présentant l'Initiative Atlantique maroco-africaine et son inscription dans les cadres de coopération régionale (UA, CEDEAO, ZLECAf, etc.). (III) Enfin, nous analyserons les défis géopolitiques, juridiques et économiques que soulève la mise en œuvre de cette initiative, notamment les questions de sécurité des corridors, de coordination institutionnelle et de rentabilité à long terme, sans oublier la position singulière du Maroc comme catalyseur de cette dynamique. Une Conclusion viendra synthétiser les principaux apports et formuler d'éventuelles recommandations pour concrétiser cette vision d'un Sahel désenclavé, stable et prospère.

I. Enjeux et défis de l'enclavement du Sahel

I.1. Un enclavement multidimensionnel et ses impacts

Le caractère enclavé du Sahel revêt des formes multiples géographiques, économique et infrastructurelle qui se renforcent mutuellement. **(Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4)** Sur le plan géographique, l'absence d'accès direct à la mer pour une grande partie des pays sahéliens allonge considérablement les chaînes d'approvisionnement. En moyenne, un pays enclavé d'Afrique doit acheminer ses marchandises sur 1370 km jusqu'au port le plus proche, ce qui transforme chaque transaction commerciale en un véritable « parcours du combattant logistique ». Par con-séquent, les frais de transport représentent une part disproportionnée du coût des produits sahéliens sur le marché mondial. **(CNUCED, 2023, p. 7)** D'après la Conférence des Nations unies sur le commerce et le dé-veloppement (CNUCED), les 16 pays africains sans littoral subissent un désavantage systémique : leurs coûts de transport excèdent de 50% la moyenne mondiale, doublant mécanique-ment le prix de revient des échanges internationaux. **(CNUCED, 2023, p. 7)** Ces surcoûts et délais pénalisants expliquent qu'en Afrique, de manière générale, les pays enclavés réalisent très peu d'échanges avec leurs voisins côtiers. **(CNUCED, 2023, p. 7)** Ils figurent aussi parmi les économies les plus fragiles du conti-

nent : sur les 31 États en déve-loppement dépourvus d'accès mari-time dans le monde, 16 sont africains, et bon nombre d'entre eux se classent parmi les pays les moins avancés (PMA) en raison de cet enclavement. L'enclavement sahélien se traduit ainsi par une croissance économique plus lente et un déficit de développement estimé à environ 20% par rapport aux pays dotés d'un littoral. **(Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4)**

Au-delà de la simple contrainte géographique (enclavement externe), le Sahel souffre aussi d'un enclavement interne. L'insuffisance des infrastructures nationales (routes, chemins de fer, réseaux logistiques) entrave les liaisons entre les centres d'activité et les zones rurales ou frontalières, maintenant certaines régions dans l'isolement et la marginalité. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** Par exemple, les axes routiers intérieurs du Mali, du Niger ou du Tchad sont souvent en mau-vais état ou inexistants, rendant difficile l'acheminement des productions locales vers les marchés intérieurs comme vers l'export. Ce déficit infrastructurel interne fragmente l'espace économique national et perpétue des îlots de pauvreté, aggravant les inégalités régionales. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** Par ailleurs, l'enclavement in-terrégional se manifeste dans les zones frontalières sahéliennes où l'État est peu présent : faute de corridors formels efficaces, ce sont des circuits infor-mels voire illégaux qui structurent les échanges (trafics de contrebande, commerce transfrontalier non régulé). **(IRES, 2025, p. 13)** Dans certaines zones aux confins du Mali, du Niger et du Burkina Faso, l'absence de routes praticables et de postes frontaliers fonctionnels a favorisé l'émergence de « zones grises » échappant au contrôle public, où prolifèrent trafic de marchandises, migration clandestine et activités criminelles liées à l'économie informelle. **(IRES, 2025, p. 13)** Cet enclavement de fait, lié à l'insécurité et à l'effacement de l'autorité éta-tique, complique davantage l'intégration du Sahel dans un espace écono-mique cohérent. **(IRES, 2025, p. 13)**

Les impacts socio-économiques de cet enclavement multidimensionnel sont considérables. **(Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4)** D'abord, les populations sahéliennes font face à des prix plus élevés pour les biens de consommation importés, du fait des coûts de trans-port élevés et des taxes de transit. **(CNUCED, 2023, p. 7)** Les entreprises locales, quant à elles, pei-nent à être compétitives : leurs produits subissent un handicap de coût à l'exportation, ce qui décourage l'industrialisation et la diversification économique. **(CNUCED, 2023, p. 7)** L'investissement étranger direct se détourne souvent de ces pays enclavés, jugés moins attrayants en raison des difficultés logistiques et de la petite taille des marchés intérieurs. En outre, l'enclavement renforce la dépendance vis-à-vis des pays de transit. **(IRES, 2025, p. 13)** Par exemple, le Mali dépend à plus de 70% du corridor Dakar-Bamako pour son approvisionnement extérieur. Si ce corridor est perturbé ce qui est survenu lors du blocage de Kayes en 2025 par un groupe armé c'est toute l'économie malienne qui vacille, faute d'alternatives rapides. De même, le Niger et le Burkina Faso dépendent structurellement des routes passant respectivement par Cotonou (Bé-nin) et Abidjan (Côte d'Ivoire) toute tension diplomatique ou fermeture de frontière peut asphyxier leurs échanges internationaux.

Cette vulnérabilité logistique, soulignée par la récente crise entre le Niger et certains voisins côtiers, met en évidence le manque de résilience des schémas actuels d'approvisionnement du Sahel. **(IRES, 2025, p. 13)** Enfin, l'enclavement a des conséquences fiscales et douanières négatives : les États sahéliens enclavés doivent souvent négocier des accords onéreux avec leurs voisins pour l'usage des ports et corridors, tout en subissant des pertes de recettes (par exemple, le Mali dépend des douanes sénégalaises pour une partie de ses importations, ce qui complique la collecte de ses propres droits de douane). L'ensemble de ces facteurs explique que le désenclavement figure désormais au premier rang des priorités de développement du Sahel, aux côtés de la sécurité alimentaire, de la lutte contre le changement climatique et de la stabilisation politique. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)**

I.2. Enjeux géopolitiques et stratégiques liés à l'accès à la mer

L'enclavement du Sahel n'est pas qu'un problème économique : c'est aussi un enjeu géopolitique majeur pour la région et au-delà. **(IRES, 2025, p. 13)** Historiquement, la privation d'accès maritime a influencé les alliances et les stratégies des pays sahéliens. **(Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4)** Ces États ont dû entretenir de bonnes relations avec leurs voisins côtiers pour garantir l'utilisation sans entrave des corridors de transit. **(IRES, 2025, p. 13)** La stabilité de ces accords de transit reste précaire, dépendant des contextes politiques. **(IRES, 2025, p. 13)** Par exemple, les sanctions de la CEDEAO en 2022 contre le Ma-li, consécutives aux coups d'État, ont inclus la fermeture des frontières et du corridor Dakar-Bamako, démontrant à quel point un différend politique peut rapidement se traduire par un étouffement logistique d'un pays enclavé. De même, les tensions récentes entre le Niger et le Bénin ont perturbé le corridor Cotonou-Niamey, poussant Niamey à rechercher des routes alternatives via le Togo ou le Nigeria. Chaque pays enclavé du Sahel doit donc naviguer diplomatiquement pour maintenir ses voies d'accès vitales à la mer ouvertes. **(IRES, 2025, p. 13)**

Dans le contexte actuel, marqué par la recomposition des alliances régionales, la question du désenclavement prend une dimension stratégique nouvelle. **(IRES, 2025, p. 13)** En septembre 2023, le Mali, le Burkina Faso et le Niger excédés par les sanctions et désireux d'affirmer leur souveraineté ont créé l'Alliance des États du Sahel (AES), transformée ensuite en Confédération des États du Sahel (CES) en 2024. Ce bloc sahélien, se détachant de la CEDEAO, cherche à mutualiser ses forces économiques et de défense. Cependant, sans accès maritime, l'AES reste tributaire de partenaires externes. **(Alaoui M'hammdi & Jaïdi, 2025, p. 4)** L'initiative marocaine d'accès à l'Atlantique est perçue par ces pays comme une occa-sion de desserrer l'étau géographique et d'accroître leur marge de manœuvre stratégique. **(Sambe, 2023, p. 9)** Du point de vue du Maroc et de bien d'autres pays africains, l'intégration du Sahel dans l'espace atlantique africain renforcerait la sécurité

collective et la stabilité régionale. **(IRES, 2025, p. 13)** En offrant une ouverture éco-nomique, on espère s'attaquer aux facteurs de conflit : pauvreté, chômage des jeunes, contrebande, qui alimentent l'insécurité. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** À cet égard, Sa Majesté le Roi Mohammed VI a souligné que la mise à niveau des infrastructures sahéliennes et leur connexion aux réseaux de transport régionaux sont pri-mordiales pour transformer l'économie de ces pays et consolider la stabilité de la région. Cette vision, exprimée dans son discours du 6 novembre 2023, s'inscrit pleinement dans l'approche préventive prônée par l'ONU et l'UA, consistant à promouvoir le développement pour réduire les vulnérabilités sécuritaires. **(Sambe, 2023, p. 9)**

Cependant, l'initiative de désenclavement du Sahel par l'Atlantique ne fait pas l'unanimité chez tous les acteurs régionaux, en particulier chez les voisins du Maroc. **(IRES, 2025, p. 13)** L'Algérie, puissance régionale rivale, voit d'un œil inquiet ce projet qu'elle considère comme un contournement de son propre territoire et une menace stratégique pour son influence. **(IRES, 2025, p. 13)** D'après une analyse de l'IRES, Alger percevrait l'initiative atlantique marocaine comme un « cauchemar stratégique », dans la mesure où son aboutissement placerait l'Algérie en situation d'encerclement prise en étau entre un Maghreb connecté et un Sahel désenclavé via le Maroc alors qu'elle a historiquement cherché à contrôler les accès de ses voisins sahéliens. **(IRES, 2025, p. 13)** On peut rappeler que l'Algérie promeut de longue date ses propres projets de corridors transsahariens (notamment la Route Transsaharienne Alger-Lagos via Tamanrasset), et a également tenté de développer le port de Tamanrasset pour le transit du nord du Mali et du Niger. Voir le Maroc réussir à devenir la plateforme privilégiée d'accès du Sahel à l'Atlantique entrerait en contradiction avec ses ambitions géopolitiques. **(IRES, 2025, p. 13)** Il en résulte une probable opposition algérienne sur le terrain : par exemple, l'IRES estime qu'un tracé de corridor passant à proximité de la frontière al-

gérienne dans le Sahara marocain se heurterait immanquablement à l'hostilité d'Alger, y compris à travers des risques de déstabilisation ou de sabotage. **(IRES, 2025, p. 13)** L'option de corridors via la Mauritanie ou le Sénégal considérée comme plus plausible soulève d'autres défis géopolitiques. **(IRES, 2025, p. 13)** La Mauritanie, acteur incontournable pour un passage sahélien vers le port de Dakhla, entretient des relations fluctuantes avec le Maroc et subit diverses pressions (dépendance économique vis-à-vis de l'Algérie, influences extérieures). Bien que Nouakchott soit officiellement favorable au projet, les analyses pointent qu'à la moindre montée de tension maroco-algérienne, la Mauritanie pourrait revoir sa position ou chercher à monnayer cher sa coopération (par des exigences territoriales ou économiques). **(IRES, 2025, p. 13)** La sécurisation du passage par la Mauritanie impliquerait donc un fin travail diplomatique tripartite entre le Maroc, la Mauritanie et les pays du Sahel bénéficiaires. **(IRES, 2025, p. 13)** L'IRES suggère deux axes : s'appuyer sur des garanties internationales (ONU, grandes puissances) pour consacrer la liberté de transit en rappelant le précédent de l'ouverture de Guerguerate en 2020 par les Forces Armées Royales et construire un partenariat formalisé Maroc-Mauritanie-AES pour le co-développement des infrastructures logistiques au bénéfice mutuel. **(IRES, 2025, p. 13)**

Le désenclavement du Sahel comporte également un enjeu sécuritaire transnational. **(IRES, 2025, p. 13)** Les groupes armés terroristes, qui sévissent au Sahel, cherchent eux aussi à accéder aux zones côtières et portuaires. **(IRES, 2025, p. 13)** Comme le souligne le rapport de l'IRES, l'alliance entre terrorisme et crime organisé (trafics de drogue, armes, personnes) « a besoin d'avoir l'accès le plus large possible à l'océan » pour multiplier ses financements et ses capacités de nuisance. **(IRES, 2025, p. 13)** La progression constatée de la menace djihadiste vers le golfe de Guinée et la côte atlantique ouest-africaine en est l'illustration. Dans ce contexte, offrir un accès sécurisé et contrôlé à l'Atlantique aux États sahéliens, c'est aussi couper l'herbe sous le pied des réseaux illégaux en proposant des corridors surveillés et des flux formels. **(IRES, 2025, p. 13)** À terme, un Sahel mieux connecté pourrait ré-

duire l'attrait des routes clandestines et améliorer la surveillance conjointe des axes commerciaux, contribuant à la stabilité régionale. **(IRES, 2025, p. 13)** Cependant, à court terme, la sécurisation des futurs corridors demeure un défi : il faudra protéger les axes routiers traversant des zones instables (nord du Mali, est du Burkina Faso) contre les attaques ou les blocages par des groupes armés, à l'instar de l'épisode de Kayes au Mali en 2025. Cela impliquera une coopération étroite en matière de renseignement, de défense et de maintien de l'ordre entre les pays traversés, ainsi qu'un appui éventuel des partenaires internationaux de la région (Union africaine, Nations unies, etc.). **(IRES, 2025, p. 13)**

En somme, l'enclavement du Sahel, au-delà de ses conséquences économiques, soulève des enjeux stratégiques cruciaux : souveraineté des États enclavés, compétition d'influence entre puissances régionales, et impact sur la sécurité collective. **(IRES, 2025, p. 13)** Le désenclavement via une approche intégrée, telle que proposée par l'Initiative Atlantique, vise précisément à reconfigurer le jeu géopolitique en faveur d'une plus grande autonomie stratégique du Sahel, tout en renforçant la coopération Sud-Sud. **(Sambe, 2023, p. 9)** Avant d'examiner les modalités concrètes de cette initiative, il convient de la replacer dans le cadre plus large des politiques régionales et continentales de connectivité et d'intégration économique. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)**

II. Une approche intégrée du désenclavement : cadre africain et Initiative Atlantique

II.1. Cadres régionaux et continentaux de coopération

Le projet de désenclaver le Sahel par une approche intégrée ne part pas d'une page blanche : il s'insère dans un continuum d'initiatives africaines de développement des infrastructures et d'intégration régionale. **(African Development Bank Group, 2023, p. 18)** Au niveau continental, l'Union Africaine (UA) a depuis longtemps identifié l'amélioration des connexions entre pays africains comme un levier essentiel de transformation économique. **(African Union Commission, 2021, p. 12)** L'Agenda 2063 de l'UA, feuille de route pour « l'Afrique que nous voulons », insiste sur la nécessité de doter le con-tinent d'infrastructures de classe mondiale, intégrées et résilientes qui maille-ront l'ensemble des régions africaines. **(African Union Commission, 2021, p. 20)** L'Initiative de Développement des Infrastructures en Afrique (PIDA), lancée par l'UA en partenariat avec la Banque africaine de développement et d'autres acteurs, vise précisément à réaliser d'ici 2030 de grands corridors de transport transafricains, y compris des axes routiers et ferroviaires traversant le Sahara. **(UNECA, 2022, p. 34)** De même, la création de la Zone de Libre-Échange Continentale Africaine (ZLECAf), entrée en vi-gueur en 2021, offre un cadre propice à l'expansion des échanges intra-africains, à condition que les barrières physiques soient levées simultanément aux barrières tarifaires. **(African Union Commission, 2021, p. 45)** En effet, abaisser les droits de douane et harmoniser les règles ne suffira pas si les marchandises ne peuvent circuler efficacement d'une région à l'autre. **(World Bank, 2022, p. 115)** La ZLECAf est conçue comme un catalyseur pour industrialiser l'Afrique et accroître de 52% le commerce intra-africain à terme, mais son impact restera limité tant que persistera le déficit d'infrastructures. **(African Union Commission, 2021, p. 52)** D'où l'urgence, soulignée par les économistes, de combi-ner l'intégration commerciale avec des investissements massifs dans les cor-ridors de transport, les chaînes logistiques et les infrastructures énergétiques. **(Fofack, 2023, p. 118)** Le Port de Dakhla Atlantique, par exemple, a été conçu au Maroc en pensant à cette double dimension : au-delà de sa fonction portuaire, il s'insère dans la vision d'un réseau de corridors atlantiques soutenant la ZLECAf et con-nectant le Sahel, l'Afrique de l'Ouest et l'Europe.

Sur le plan sous-régional, la Communauté Économique des États de l'Afrique de l'Ouest (CEDEAO) œuvre également depuis des décennies pour améliorer l'intégration physique de la région. **(African Development Bank Group, 2023, p. 61)** Des programmes comme le Réseau Routier Transwest-Africain (incluant la Route Transsahélienne Dakar-Djibouti, ou les liaisons Lagos-Dakar) et des corridors tels que Dakar-Bamako, Abidjan-Ouagadougou ou Cotonou-Niamey ont bénéficié de fi-nancements internationaux importants. **(UNECA, 2022, p. 40)** Toutefois, les avancées sont restées partielles : il subsiste des maillons manquants (routes inachevées, goulots d'étranglement aux ports, faibles interconnexions ferroviaires) et des obstacles non physiques (multiplication des postes de contrôle, tracasseries douanières) qui réduisent l'efficacité des corridors existants. **(World Bank, 2022, p. 120)** La CEDEAO a adopté en 2018 un Schéma Directeur d'Aménagement des Infrastructures Régionales pour la période 2020-2045, identifiant 56 projets prioritaires dont plusieurs concernent directement le désenclavement de l'hinterland sahélien (amélioration du corridor Abidjan-Ouaga, bitumage complet du corridor Transsahélien, etc.). Cependant, la réalisation de ces projets dépend étroite-ment de la stabilité politique de la région et de la coopération entre États membres. **(African Development Bank Group, 2023, p. 63)** Or, les récents changements politiques au Sahel (coups d'État et retrait de certains pays de la CEDEAO) ont compliqué la donne. **(ISS, 2024, p. 22)**

Dans ce contexte, l'initiative marocaine apparaît comme un complément innovant aux efforts régionaux classiques : elle propose une alternative de transit inédite, en dehors des corridors ouest-africains saturés, en tirant parti de l'infrastructure marocaine moderne. **(Sambe, 2023, p.9)** Comme l'affirme Dr. Bakary Sambe, cette proposition marocaine d'interconnecter les réseaux de transport du Sahel avec ceux du Maroc s'inscrit pleinement « dans le cadre de la stratégie de la CEDEAO » visant à améliorer les infrastructures et l'intégration régio-nale. **(Sambe, 2023, p. 9)** Autrement dit, loin de concurrencer

les plans existants, le corridor atlantique par le Maroc viendrait les renforcer en offrant plus de capacités et de résilience aux échanges sahéliens. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)**

En outre, des institutions financières multilatérales comme la Banque Afri-caine de Développement (BAD) et la Banque Mondiale soutiennent active-ment les projets de corridors reliant le Sahel aux marchés mondiaux. **(African Development Bank Group, 2023, p. 61 ; World Bank, 2022, p. 115)** La BAD, en particulier, a fait du développement des infrastructures l'un de ses domaines d'intervention prioritaires au sein du G5 Sahel, avec 105 projets financés à hauteur de 3,2 milliards de dollars dans ces pays au 30 septembre 2020. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** Parmi ces projets figurent l'amélioration des routes transfrontalières, l'expansion des capacités énergétiques (initiative Desert to Power pour l'électricité solaire) et le soutien à la logistique commerciale. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)** La BAD est également membre fondateur de l'Alliance Sahel, plateforme de coordination de l'aide internationale créée en 2017, qui met l'accent sur, entre autres, la connectivité régionale et l'agriculture pour le Sahel. **(Banque africaine de développement, 2022, p. 2)**

De son côté, l'ONU a élaboré une Stratégie Intégrée pour le Sahel (UNISS), adop-tée en 2013 puis actualisée, qui souligne l'importance de coupler sécurité et développement, en particulier via le désenclavement et la création d'opportunités économiques dans les zones fragiles. **(United Nations, 2013, p. 5)** La nouvelle Programme d'Action d'Awaza (2024–2034) pour les pays sans littoral, adopté sous l'égide des Nations unies, vient réaffirmer l'engagement international à amé-liorer l'accès des pays enclavés aux marchés, par des investissements ciblés et des accords de transit facilités. **(United Nations, 2024, p. 3)** Ainsi, le cadre global est favorable : il existe une convergence de vues entre l'UA, les communautés régionales et les partenaires internationaux sur la nécessité de désenclaver le Sahel par une approche globale intégrant infrastructures, facilitation du commerce et coo-pération multi-ac-

teurs. **(African Union Commission, 2021, p. 45 ; African Development Bank Group, 2023, p. 18)**

II.2. L'Initiative Atlantique du Maroc : contenu et portée intégrée

Au cœur de l'approche intégrée du désenclavement se trouve le projet concret porté par le Maroc, que l'on désigne communément comme l'Initiative Atlantique ou le corridor Maroc-Sahel. **(Sambe, 2023, p. 9)** Cette initiative, officialisée par le Roi Mohammed VI dans un discours marquant en novembre 2023, vise à ouvrir l'océan Atlantique aux pays du Sahel enclavés grâce aux infrastructures marocaines existantes et à développer. **(Sambe, 2023, p. 9)** Les États concernés Mali, Burkina Faso, Niger, Tchad bénéficieraient ainsi d'un accès direct aux ports atlantiques du Maroc, en particulier le port en eau profonde de Dakhla Atlantique (en cours de construction), en plus des hubs de Tanger Med et Casablanca. **(IRES, 2025, p. 13)** L'idée centrale est de créer un corridor logistique intégré traversant le sud du Maroc et, via la Mauritanie, reliant le Sahel. **(Sambe, 2023, p. 9)** Ce corridor comprendrait :

• **Des infrastructures portuaires modernisées :** Tanger Med (déjà le premier port d'Afrique par son volume), Casablanca (port polyvalent majeur) et le Port de Dakhla Atlantique, en chantier, qui sera un port de haute capacité spécialement conçu pour devenir un hub afro-atlantique. Dakhla, dont l'achèvement est prévu vers 2028-2029, est stratégiquement située pour raccourcir les routes maritimes entre l'Afrique de l'Ouest et l'Europe, et pour servir de porte d'entrée aux produits sahéliens vers l'Amérique du Nord et du Sud. Ce futur port, avec 18 m de tirant d'eau et des zones logistiques dédiées, jouera un rôle clé dans la réduction des coûts logistiques et l'intégration des chaînes de valeur régionales, en particulier pour les pays enclavés du Sahel. **(World Bank, 2022, p. 115 ; African Development Bank Group, 2023, p. 70)**

• **Des liaisons terrestres à grande échelle :** Le Maroc a investi ces dernières années dans le bitumage et l'extension de la route nationale N1 à travers le Sahara jusqu'à la frontière mauritanienne (poste-frontière de Guerguerate). **(Maroc Hebdo, 2025)** En octobre 2025, une nouvelle route reliant la ville marocaine de Smara à Bir Moghreïn (nord de la Mauritanie) a été inaugurée, ouvrant un itinéraire alternatif à travers la Mauritanie vers le Mali.

L'Initiative Atlantique prévoit de renforcer ces corridors routiers en Mauritanie (axe Nouadhibou–Zouerate–Tiris Zemmour, par exemple) et de les prolonger jusqu'aux capitales sahéliennes. **(IRES, 2025, p. 13)** Des corridors routiers potentiels incluent : Dakhla-Nouakchott-Bamako, ou Dakhla-Nouakchott-N'Djamena via le Mali et le Niger, avec des embranchements vers Ouagadougou et Niamey. **(IRES, 2025, p. 13)** Parallèlement, le Maroc envisage d'étendre son réseau ferroviaire vers le sud à long terme une perspective inscrite dans sa stratégie logistique afin de créer à terme un axe ferré atlantique. Le triptyque routier-portuaire-ferroviaire est ainsi mis en avant pour assurer une chaîne de transport complète. **(African Development Bank Group, 2023, p. 61)** Le Roi Mohammed VI a affirmé la disposition du Royaume à mettre à niveau et partager ses infrastructures routières, portuaires et ferroviaires avec les pays frères du Sahel, ce qui traduit une volonté politique forte d'intégration des réseaux. **(Sambe, 2023, p. 9)**

Des aménagements logistiques et douaniers communs : Pour que le corridor atlantique fonctionne, il faut aller au-delà des infrastructures physiques et faciliter le transit par des mesures "soft". **(World Bank, 2022, p. 118)** L'initiative promeut l'établissement de zones franches logistiques et d'entrepôts portuaires dédiés aux marchandises sahéliennes dans les ports marocains, afin d'optimiser le regroupement des cargaisons et réduire les coûts. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** De plus, le Maroc propose un soutien technique aux pays sahéliens pour moderniser leurs systèmes douaniers et harmoniser les procédures de transit. **(World Bank, 2022, p. 120)** L'idée serait de mettre en place des guichets uniques de part et d'autre du corridor,

et éventuellement des accords de libre circulation pour les transporteurs, conformément aux dispositions de la ZLECAf sur la facilitation du commerce. **(African Union Commission, 2021, p. 45)** Les principes de la souveraineté logistique et de la compétitivité partagée impliquent que chaque pays sahélien conserve le contrôle de ses flux mais en bénéficiant des services logistiques marocains de classe mondiale. **(Sambe, 2023, p. 9)**

Ainsi, un conteneur de coton du Mali ou d'or du Burkina Faso pourrait être acheminé en toute sécurité jusqu'au port de Dakhla, avec un suivi en temps réel, et exporté à moindre coût vers l'Europe ou l'Amérique. Réciproquement, les importations (biens manufacturés, hydrocarbures, intrants agricoles) pourraient arriver par Dakhla et emprunter le corridor vers le Sahel, avec une réduction significative des délais. **(World Bank, 2022, p. 115)** En somme, l'Initiative Atlantique ambitionne de créer un corridor économique et non juste un axe de transit : autour de ce corridor pourraient se développer des zones industrielles (pour transformer sur place une partie des ressources sahéliennes, par exemple dans le cadre de l'industrialisation conjointe Maroc-Afrique) et des clusters logistiques générateurs d'emplois. **(Fofack, 2023, p. 122)**

La portée de cette initiative est résolument intégrée et multidimensionnelle. **(African Development Bank Group, 2023, p. 18)** Sur le plan économique, elle représente une « aubaine pour les économies enclavées » du Sahel en leur ouvrant de nouveaux marchés et débouchés à l'export. **(Sarki, 2025, p. 8)** Comme l'a expliqué un expert lors de la conférence de Niamey en décembre 2025, les entreprises sahéliennes pourront accéder à des marchés internationaux dans de bien meilleures conditions grâce à cette connexion logistique directe. **(CNESS & Ambassade du Maroc au Niger, 2025, p. 5)** Par exemple, le Niger, grand producteur d'uranium, pourrait exporter son minerai via l'Atlantique de manière plus rentable qu'en passant par des itinéraires détournés. De même, le sésame et le coton du Burkina Faso, le bétail du Mali ou la gomme arabique du Tchad pourraient trouver de nouveaux

clients en Europe ou en Amérique en étant expédiés depuis le Maroc. **(African Development Bank Group, 2023, p. 72)**

En outre, l'accès à l'océan permettra à ces pays d'importer à moindre frais des denrées et équipements, améliorant ainsi la sécurité alimentaire et le coût des infrastructures chez eux, comme l'a souligné le représentant du Niger, M. Djibo Barikoye. **(CNESS & Ambassade du Maroc au Niger, 2025, p. 5)** D'un point de vue géopolitique, l'initiative traduit la vision marocaine d'une Afrique atlantique intégrée, un espace de coopération Sud-Sud renforcé. **(Sambe, 2023, p. 9)** Elle réaffirme l'engagement du Maroc en faveur de l'intégration africaine, dans la lignée de son retour à l'Union Africaine en 2017 et de son rôle moteur dans la ZLECAf. **(Sehimi, 2025, p. 3)** Le Maroc se positionne ainsi comme un « partenaire fiable » pour le Sahel, crédibilisé par ses investissements et son plaidoyer pour des solutions africaines aux défis du continent. **(Mokhliss, 2025, p. 6)**

Les réunions ministérielles tenues en 2024 et 2025 (en marge de l'Assemblée générale de l'ONU et à Marrakech) ont d'ailleurs démontré l'adhésion des pays sahéliens à cette vision : les chefs de la diplomatie du Mali, du Niger, du Burkina Faso et du Tchad ont publiquement salué le leadership du Roi Mohammed VI et l'ont qualifié de catalyseur de réussite pour le projet. Des comités ad hoc ont été installés dans chaque pays sahélien pour accompagner la mise en œuvre du projet, recenser les besoins en infrastructures et planifier les connexions nationales au corridor. Cette appropriation locale est cruciale pour garantir la viabilité de l'initiative. **(African Development Bank Group, 2023, p. 18)**

Il convient également de souligner l'articulation de l'Initiative Atlantique avec d'autres projets structurants de la région. **(African Development Bank Group, 2023, p. 18)** Notamment, le gazoduc Nigeria-Maroc projet de gazoduc offshore de 5600 km longeant la côte atlantique de l'Afrique de l'Ouest est perçu comme complémentaire du corridor terrestre. Ce gazoduc traversera ou desservira 13 pays, dont la Mauritanie, et permettra d'acheminer du gaz jusqu'au Maroc et l'Europe tout en

alimentant les pays côtiers et sahéliens en énergie. Son déploiement va de pair avec le désenclavement car il renforcera l'intégration énergétique du Sahel (par des bretelles de raccordement vers le Mali, le Niger ou le Burkina à terme) et soutiendra l'industrialisation (engrais, électricité) dans ces pays. **(Fofack, 2023, p. 124)**

De même, des initiatives comme les échanges électriques via le Pool Énergétique Ouest-Africain, ou les programmes de fibre optique transsaharienne, sont en synergie avec l'objectif de connectivité globale du Sahel. **(UNECA, 2022, p. 42)** L'Initiative Atlantique se veut ainsi holistique : bien qu'elle porte principalement sur le transport physique, elle s'inscrit dans une dynamique plus large de connectivité (transport, énergie, télécommunications) pour enclencher un véritable décollage économique du Sahel. **(World Bank, 2022, p. 118)** Elle illustre la convergence entre la vision marocaine de coopération Atlantique et les objectifs de la ZLECAf, où l'on voit un corridor concret venir appuyer l'intégration commerciale continentale. **(African Union Commission, 2021, p. 52)**

En somme, l'approche intégrée proposée alliant infrastructures dures, facilitation logistique, partenariat institutionnel et complémentarité avec les cadres existants offre une chance inédite de surmonter le "piège de l'enclavement" pour les pays du Sahel. **(Bazi & Razafindrakoto, 2020, p. 594)** Néanmoins, sa concrétisation pose un certain nombre de défis et de conditions de succès qu'il convient d'analyser en détail, en mobilisant les angles géopolitique, juridique et économique. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)**

III. Défis de mise en œuvre : regards géopolitique, juridique et économique

III.1. Défendre un corridor dans un environnement géopolitique instable

La mise en place d'un corridor atlantique à travers le Maroc, la Mauritanie et jusqu'aux pays du Sahel se heurte à un environnement géopolitique complexe qu'il faudra naviguer avec prudence. **(ISS, 2024, p. 22)** Comme évoqué précédemment, la rivalité maroco-algérienne constitue un premier écueil. **(IRES, 2025, p. 13)** L'Algérie, en désaccord profond avec le Maroc sur la question du Sahara marocain, pourrait chercher à entraver indirectement le projet. **(IRES, 2025, p. 13)** Par exemple, Alger dispose d'une influence historique en Mauritanie et pourrait inciter ce pays à tergiverser ou à poser des conditions draconiennes à sa participation au corridor. Le risque existe également que des acteurs hostiles (États ou non-Étatiques) cherchent à déstabiliser les zones de passage du corridor. **(ISS, 2024, p. 25)**

La zone frontalière Marco-mauritanienne, autour de Guerguerate, a déjà connu en 2020 un blocage illégal par des milices du Front Polisario soutenu par l'Algérie, auquel l'armée marocaine a dû mettre fin pour rétablir la circulation. À l'avenir, la sécurisation de ce point névralgique sera cruciale. **(IRES, 2025, p. 13)** De même, les tronçons du corridor au nord du Mali ou du Niger pourraient devenir la cible de groupes jihadistes ou rebelles cherchant à faire pression sur les gouvernements. **(ISS, 2024, p. 28)** Un corridor transsaharien offre certes une opportunité de développement, mais crée aussi une infrastructure vulnérable à protéger sur des centaines de kilomètres. **(World Bank, 2022, p. 120)** Cela nécessitera une coordination sécuritaire sans faille entre le Maroc, la Mauritanie et les États sahéliens. **(African Development Bank Group, 2023, p. 63)** La proposition de « s'adosser à des accords internationaux, avec l'ONU et les grandes puissances, pour garantir la liberté de circulation dans le respect du droit international » suggère que l'appui diplomatique de la communauté internationale pourrait être sollicité.

(United Nations, 2013, p. 6) Par exemple, une résolution onusienne pourrait consacrer ce corridor en tant que "corridor humanitaire et de développement", dont la perturbation serait condamnée. Parallèlement, sur le terrain, la présence de missions de paix (comme la MINUSMA au Mali, bien que son avenir soit incertain) ou de forces africaines pourrait contribuer à sécuriser certains axes jusqu'à ce que les armées nationales puissent le faire. **(ISS, 2024, p. 30)**

Le second défi géopolitique tient aux rapports avec la Mauritanie et le Sénégal, pays de transit obligés. **(ISS, 2024, p. 22)** La Mauritanie, en particulier, occupe une position pivot : tout corridor atlantique du Maroc vers le Sahel doit traverser son territoire (sauf option très indirecte via le Sénégal). **(IRES, 2025, p. 13)** À ce jour, Nouakchott entretient des relations plutôt bonnes avec Rabat, et a manifesté son intérêt pour le projet atlantique. Le Maroc et la Mauritanie ont d'ailleurs signé des accords de coopération routière. Néanmoins, la Mauritanie, en tant qu'État souverain soucieux de ne pas froisser ses différents partenaires, avancera prudemment. **(ISS, 2024, p. 24)** Comme mentionné, elle pourrait chercher à tirer avantage de la situation en négociant des compensations : financement d'infrastructures chez elle (ports, routes), partenariats de pêche avec le Maroc, voire règlement de la question de Lagouira (une zone contestée à la frontière). Il sera donc déterminant d'impliquer tôt la Mauritanie dans la conception du corridor, afin qu'elle le perçoive comme son projet également, et non comme une simple servitude. **(African Development Bank Group, 2023, p. 63)**

La proposition d'un partenariat tripartite Maroc-Mauritanie-pays sahéliens va dans ce sens : par exemple, la Mauritanie pourrait co-gérer avec le Maroc des plateformes logistiques à Nouadhibou ou Zouerate, bénéficier de tarifs préférentiels dans les ports marocains et recevoir un appui pour moderniser son port de Nouakchott. **(World Bank, 2022, p. 118)** De son côté, le Sénégal, autre pays atlantique voisin, a déjà des corridors établis vers le Mali. **(UNECA, 2022, p. 40)** Il pourrait voir d'un mauvais œil un trafic malien se détournant de Dakar au profit de Dakhla. Toutefois, le Sénégal et le Maroc

entretiennent d'excellents rapports, et Dakar pourrait aussi profiter du projet : un des tracés envisagés du corridor atlantique pourrait passer par le nord du Sénégal pour rejoindre le Mali (via Saint-Louis et Kidira), ce qui impliquerait le Sénégal dans l'initiative. Alternativement, le Sénégal pourrait se concentrer sur ses corridors vers le Mali et la Guinée, tandis que l'axe via le Maroc desservirait plutôt Niger et Tchad. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** Quoi qu'il en soit, une coordination régionale plus large serait souhaitable, par exemple sous l'égide de l'UA ou de la nouvelle Confédération du Sahel, pour s'assurer que les différents couloirs de désenclavement en Afrique de l'Ouest soient complémentaires et non concurrents. **(African Union Commission, 2021, p. 52)**

Un troisième aspect géopolitique est l'implication des partenaires extra-africains dans ce projet. **(ISS, 2024, p. 26)** Le Sahel est devenu un terrain d'intérêt pour diverses puissances mondiales (France, États-Unis, Chine, Russie, Turquie, pays du Golfe). **(ISS, 2024, p. 28)** Le soutien (ou l'opposition) de ces acteurs influencera indirectement le succès de l'initiative. **(IRES, 2025, p. 13)** Par exemple, la Chine, qui finance et construit de nombreuses infrastructures en Afrique, pourrait être intéressée pour investir dans le port de Dakhla ou les routes sahariennes, dans le cadre de ses Nouvelles Routes de la Soie. En revanche, une puissance comme la Russie, aujourd'hui très présente politiquement au Mali et au Burkina Faso, pourrait ne pas encourager un projet qui consolide l'influence marocaine (et donc occidentale) dans la région. **(ISS, 2024, p. 30)** Toutefois, on pourrait arguer auprès de Moscou que le corridor atlantique servira aussi les intérêts des régimes sahéliens actuellement proches de la Russie en boostant leur économie.

Quant à l'Union européenne, elle a tout intérêt à soutenir une telle initiative, car un Sahel plus stable et connecté réduit les risques migratoires et sécuritaires pour l'Europe. **(European Commission, 2023, p. 12)** L'UE pourrait fournir des financements via des mécanismes comme le Global Gateway (plan d'investissement européen) ou le Fonds européen de développement.

(European Commission, 2023, p. 15) Enfin, les organisations internationales (Banque mondiale, BAD, ONU) sont déjà dans l'accompagnement technique et financier, et leur rôle sera crucial pour la réussite du projet sur le terrain. **(World Bank, 2022, p. 115 ; African Development Bank Group, 2023, p. 18)** En réunissant un large soutien international, le Maroc et ses partenaires du Sahel peuvent conférer au corridor atlantique le statut d'« initiative panafricaine » d'intérêt commun, ce qui la prémunirait en partie contre les fluctuations politiques internes. **(African Union Commission, 2021, p. 45)**

En résumé, sur le front géopolitique, le défi consiste à multilatéraliser la démarche tout en gérant les susceptibilités. **(African Union Commission, 2021, p. 45)** Faire du corridor atlantique non pas un projet purement marocain, mais un projet africain collectif, adossé aux stratégies de l'UA et soutenu par l'ONU, permettra de légitimer l'entreprise et de diluer les oppositions. **(United Nations, 2013, p. 6 ; African Development Bank Group, 2023, p. 18)** La diplomatie marocaine, reconnue pour son activisme en Afrique, devra continuer à œuvrer en ce sens. **(Sambe, 2023, p. 9)** Parallèlement, l'instabilité intrinsèque du Sahel commande d'intégrer une planification sécuritaire robuste : il s'agit d'éviter que le corridor ne devienne une cible facile ou un enjeu de conflit. **(ISS, 2024, p. 28)** Cela passera par la consolidation de l'État de droit le long des axes (pour contrer corruption et banditisme), l'implication des communautés locales dans les bénéfices du corridor (emplois, développement local afin qu'elles le protègent), et une veille permanente sur les risques sécuritaires. **(World Bank, 2022, p. 120 ; African Development Bank Group, 2023, p. 63)** Avec ces précautions, le corridor pourra évoluer de façon pérenne dans un contexte régional en mutation. **(ISS, 2024, p. 30)**

III.2. Cadre juridique, financements et viabilité économique

Outre la dimension géopolitique, la réussite du désenclavement du Sahel par une approche intégrée repose sur des fondations juridiques et économiques solides. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** D'un point de vue juridique et institutionnel, plusieurs éléments doivent être pris en compte : accords de transit, régime douanier, partenariats public-privé, etc. **(World Bank, 2022, p. 118)** Juridiquement, il faudra établir un accord multilatéral de transit entre les pays impliqués. **(United Nations, 2014, p. 6)** Un tel accord définirait les droits et obligations de chacun quant à l'usage du corridor. Il pourrait s'inspirer des instruments internationaux existants, tels que la Convention des Nations unies sur le Transit des pays sans littoral (résultant du Programme d'Action de Vienne de 2014, actualisé à Awaza en 2024) qui pose le principe du libre transit et de l'égalité de traitement pour les pays enclavés. **(United Nations, 2014, p. 8 ; United Nations, 2024, p. 3)**

Dans le cadre spécifique de l'Initiative Atlantique, un accord tripartite (Maroc-Mauritanie-AES) a été suggéré. **(IRES, 2025, p. 13)** Ce dernier prévoirait notamment : la libre circulation des véhicules de transport de marchandises sur l'itinéraire convenu, sans droits de douane ni entraves indues (hormis les contrôles de sécurité) ce qui nécessite une harmonisation des règles douanières et sanitaires **(World Bank, 2022, p. 120)** la création de postes frontaliers communs avec contrôle conjoint (one-stop border posts) pour accélérer le passage aux frontières **(UNECA, 2022, p. 40)** une répartition équitable des revenus (par exemple, péages routiers ou frais logistiques) entre États de transit et États utilisateurs **(African Development Bank Group, 2023, p. 63)** et des mécanismes de règlement des différends. Ce traité pourrait être déposé auprès de l'UA ou de l'ONU pour lui donner une force internationale, de manière à décourager toute violation. **(African Union Commission, 2021, p. 45)** Parallèlement, il conviendrait d'harmoniser les normes de transport : poids et dimensions autorisés des camions, licences des transporteurs, assurance, etc., en se basant sur les réglementations de la CEDEAO et

de l'UA en matière de transit routier inter-États. **(UNECA, 2022, p. 42)** Sur le plan institutionnel, une Autorité de Corridor ou une Commission conjointe de gestion pourrait être mise en place, regroupant les représentants des pays traversés et desservis. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** Cette entité piloterait le développement du corridor, coordonnerait les investissements, et assurerait la maintenance des infrastructures sur l'axe. **(World Bank, 2022, p. 118)** Elle pourrait également avoir un rôle de guichet unique pour les partenariats public-privé liés au corridor. **(African Development Bank Group, 2023, p. 61)**

En matière de financement, le chantier est ambitieux et nécessitera des ressources considérables. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** La construction du port de Dakhla Atlantique à lui seul est évaluée à plus d'1 milliard de dollars, financé par le Maroc avec l'appui éventuel de partenaires. Pour les tronçons routiers et ferroviaires, un panachage de financements sera nécessaire : budgets des États concernés, prêts concessionnels d'institutions financières, investissements privés et contributions des partenaires internationaux. **(World Bank, 2022, p. 118)** La BAD et la Banque Islamique de Développement pourraient participer au financement des routes en Mauritanie et au Mali. **(African Development Bank Group, 2023, p. 63)** La Banque Mondiale a déjà soutenu des corridors en Afrique (ex. corridor Douala-Bangui) et pourrait s'impliquer via l'IDA, son guichet pour les pays pauvres, étant donné l'impact attendu sur la réduction de la pauvreté. **(World Bank, 2022, p. 120)** L'Union Européenne, dans le cadre de son Plan d'Investissement Global Gateway, a annoncé des fonds pour les liaisons vertes et numériques en Afrique, ce qui pourrait englober le corridor atlantique. **(European Commission, 2023, p. 15)**

Par ailleurs, l'Initiative Atlantique pourrait séduire des investisseurs privés dans la logistique et le transport. **(African Development Bank Group, 2023, p. 61)** Les grands armateurs maritimes (Maersk, MSC, etc.) ou des opérateurs portuaires comme DP World, CMA-CGM, pourraient investir dans les terminaux portuaires dédiés aux flux sahéliens, s'ils y voient un potentiel de trafic

stable. De même, des entreprises de transport et de logistique marocaines et africaines pourraient former des coentreprises pour exploiter les plateformes logistiques intérieures (hubs de fret à Bamako, Niamey ou N'Djamena). **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** Le modèle PPP (partenariat public-privé) sera sans doute privilégié pour certains segments : par exemple, une concession autoroutière ou ferroviaire sur le trajet principal, avec péage, pour attirer des concessionnaires, sous réserve que le volume de trafic le justifie à terme. **(World Bank, 2022, p. 118)** Cela pose la question cruciale de la viabilité économique du corridor. **(Bazi & Razafindrakoto, 2020, p. 594)** Un corridor n'est rentable que s'il y a suffisamment de flux de marchandises et de voyageurs pour couvrir les coûts d'exploitation et de maintenance. **(World Bank, 2022, p. 115)** Les études devront donc estimer les volumes potentiels : exportations minières (or, uranium, manganèse, etc.), agricoles (coton, bétail, produits agricoles) et importations diverses (matériaux de construction, produits manufacturés, hydrocarbures) qui emprunteraient le corridor atlantique. **(African Development Bank Group, 2023, p. 72)** Il conviendra d'attirer les flux existants qui transitent aujourd'hui par les ports de Dakar, Abidjan, Cotonou, etc., mais surtout de générer de nouveaux flux en stimulant la production locale et le commerce intra-africain. **(UNECA, 2022, p. 40)** C'est ici qu'intervient la complémentarité avec la ZLECAf : en facilitant l'accès des pays du Sahel au grand marché africain, le corridor peut accroître leur commerce avec l'Afrique du Nord (Maroc, Algérie, Égypte) et de l'Ouest, créant de nouveaux courants d'échanges. **(African Union Commission, 2021, p. 52)**

Par exemple, le Maroc exporte déjà vers le Sahel des engrais, des produits alimentaires et des biens d'équipement ces exportations pourraient augmenter via une route plus directe. Inversement, le Maroc importe peu de matières premières du Sahel pour l'instant, mais pourrait en importer davantage (coton burkinabé pour ses filatures, bétail nigérien pour son industrie viande, etc.) si le transport est facilité. Selon Jaafar Debbarh, diplomate marocain, « l'intégration n'est pas un supplément, c'est une condition », soulignant que l'ini-

tiative n'est pas un simple geste symbolique mais une stratégie de fond pour transformer les contraintes géographiques en leviers de souveraineté économique. En d'autres termes, la rentabilité du projet ne doit pas être envisagée seulement en termes financiers immédiats, mais en termes de bénéfices économiques globaux : hausse du PIB, créations d'emplois, baisse des coûts pour les consommateurs, etc. **(Fofack, 2023, p. 122)** Néanmoins, pour rassurer les investisseurs et bailleurs, des études de faisabilité rigoureuses seront nécessaires, ainsi qu'un échelonnement des phases du projet pour aligner les investissements sur la montée en charge progressive du trafic. **(World Bank, 2022, p. 120)**

Un autre aspect juridique-économique concerne la réglementation commerciale. Le corridor traversera potentiellement des pays qui ne sont pas tous dans les mêmes unions douanières ou zones monétaires. **(African Union Commission, 2021, p. 52)** Le Mali, le Burkina et le Niger font partie de l'Union Économique et Monétaire Ouest-Africaine (UEMOA) et utilisent le franc CFA, tandis que le Maroc et la Mauritanie ont leurs propres monnaies. Il faudra donc gérer les questions de change (bien que le franc CFA soit convertible et stable, ce qui facilite les transactions) et, plus délicat, l'articulation entre la ZLECAf et les accords régionaux. **(UNECA, 2022, p. 42)** Par exemple, si des marchandises sahéliennes transitent par le Maroc (qui n'est pas membre de la CEDEAO) avant d'être exportées vers l'Europe, leur origine pourrait être questionnée dans les règles d'origine. **(World Bank, 2022, p. 118)** Des dispositions devront être prises pour que le transit via le Maroc ne fasse pas perdre aux produits sahéliens leur étiquette d'origine "CEDEAO" ou "UA" dans le cadre d'accords commerciaux. **(African Union Commission, 2021, p. 45)** Ici, la coopération douanière sera déterminante : l'échange d'informations entre douanes permettra de tracer les marchandises et d'éviter fraudes et détournements. **(World Bank, 2022, p. 120)** On peut imaginer une interconnexion des systèmes informatiques douaniers du Maroc et des pays du Sahel pour un suivi transparent. **(African Development Bank Group, 2023, p. 63)**

De plus, afin d'assurer que le corridor bénéficie bien aux économies sahéliennes locales et ne se limite pas à un rôle de transit, les gouvernements sahéliens devront mettre en place des politiques d'accompagnement économique : zones industrielles près des corridors, encouragement des PME locales à utiliser le corridor pour exporter, formation de main-d'œuvre logistique, etc. **(Fofack, 2023, p. 122)** La Banque mondiale note d'ailleurs que sans réformes internes (comme la facilitation des procédures d'exportation, la levée des barrières non tarifaires), l'ouverture d'un corridor ne se traduit pas automatiquement par un boom du commerce. **(World Bank, 2022, p. 115)** L'approche intégrée signifie donc aussi combiner réformes "software" et investissements "hardware". **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** Enfin, le succès économique du corridor dépendra de sa compatibilité avec les autres corridors et de la compétitivité de son offre. **(UNECA, 2022, p. 40)** Il devra démontrer des avantages comparatifs : si acheminer un conteneur de Bamako à l'Atlantique via Dakhla coûte 30% moins cher ou 10 jours de moins que via Dakar, alors le marché jouera en faveur de Dakhla. Dans le cas contraire, les opérateurs logistiques resteront sur les routes traditionnelles. **(World Bank, 2022, p. 115)**

Le Maroc mise sur la qualité supérieure de ses infrastructures et de ses services pour faire la différence : Tanger Med est classé parmi les ports les plus efficaces du monde en termes de temps d'escale, et Dakhla sera à l'avenant. De plus, le Maroc offre une connectivité maritime globale : des lignes régulières relient Tanger Med et Casablanca à plus de 180 ports dans 70 pays, ce qui donnera aux exportateurs sahéliens un accès quasi mondial. Cette connectivité, couplée à la fiabilité des services marocains, est un argument fort. **(Sambe, 2023, p. 9)** Par ailleurs, le coût du transit sera un facteur décisif : il faudra veiller à ce que les redevances portuaires, les péages ou autres frais restent compétitifs. **(African Development Bank Group, 2023, p. 61)** Le Maroc ayant une économie plus développée, ses coûts peuvent être supérieurs à ceux de ports ouest-africains à bas coûts cependant, son efficience peut compenser. **(World Bank, 2022, p. 120)** Une étude de l'ONU note que la

non-interconnectivité coûte à l'Afrique jusqu'à 2% de croissance par an. **(United Nations, 2013, p. 5)** En inversant cette statistique, un corridor efficace peut potentiellement ajouter des points de croissance aux pays concernés. **(African Union Commission, 2021, p. 52)** Les autorités devront communiquer sur ces gains potentiels pour maintenir le soutien politique et populaire au projet. **(African Development Bank Group, 2023, p. 18)**

En définitive, le volet juridique et économique de l'approche intégrée requiert un pilotage rigoureux : négocier et ratifier des accords de transit innovants, attirer des financements diversifiés, assurer l'alignement avec les cadres commerciaux continentaux, et maximiser les retombées locales. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70 ; World Bank, 2022, p. 120)** C'est un exercice de coordination complexe, mais il existe des précédents réussis en Afrique (par exemple, le corridor Nord entre Mombasa et l'Ouganda, géré par une autorité conjointe, a considérablement réduit les temps de trajet). **(UNECA, 2022, p. 40)** Avec une gouvernance adéquate et un partage équilibré des bénéfices, le corridor atlantique Maroc-Sahel pourrait devenir un modèle du genre, démontrant la viabilité du pari du désenclavement par l'intégration. **(African Union Commission, 2021, p. 52)**

IV. Conclusion

Le désenclavement du Sahel par une approche intégrée apparaît aujourd'hui non seulement comme une aspiration légitime des pays concernés, mais comme une condition sine qua non de la stabilité et de la prospérité à long terme de toute la région ouest-africaine. **(African Development Bank Group, 2023, p. 18)** L'analyse menée dans cet article a mis en lumière la nature multidimensionnelle de l'enclavement sahélien à la fois cause et conséquence de dysfonctionnements économiques, de vulnérabilités géopolitiques et de tensions sociales et a souligné qu'aucune solution partielle (qu'elle soit purement sécuritaire ou strictement économique) ne saurait, à elle seule, lever ce handicap historique. **(ISS, 2024, p. 28 ; Bazi & Razafindrakoto, 2020, p. 594)** Seule une approche intégrée, mobilisant de concert les volets infrastructurel, commercial, juridique et diplomatique, peut espérer transformer l'« im-

passe » sahélienne en un corridor d'opportunités. **(African Union Commission, 2021, p. 45)**

L'Initiative Atlantique portée par le Maroc, en offrant une vision concrète et ambitieuse de connexion du Sahel à l'Atlantique, s'inscrit précisément dans cette approche holistique. **(Sambe, 2023, p. 9)** Elle s'alimente des leçons du passé (échecs d'une sécurisation isolée du Sahel, inefficacité des modèles de développement cloisonnés) et capitalise sur les dynamiques émergentes (intégration africaine via la ZLECAf, essor des infrastructures marocaines, volonté des pays sahéliens de prendre leur destin en main). **(African Union Commission, 2021, p. 52 ; World Bank, 2022, p. 115)** Cette initiative illustre également le rôle moteur que peut jouer un pays africain le Maroc en l'occurrence en tant que catalyseur de l'intégration régionale. **(Sambe, 2023, p. 9)**

En mettant ses ressources diplomatiques et matérielles au service d'un projet panafricain, le Royaume confirme son engagement de longue date en faveur d'une Afrique solidaire et interconnectée. **(African Union Commission, 2021, p. 45)** Pour les pays du Sahel, l'enjeu est de saisir cette opportunité pour opérer un changement de paradigme : passer du statut subi de « pays enclavés » à celui proactif de « pays reliés » (land-linked nations) capables de tirer parti de leur position au cœur du continent. **(United Nations, 2014, p. 8)** En d'autres termes, il s'agit de renverser la perspective en faisant du Sahel un pont entre l'Afrique du Nord et l'Afrique subsaharienne, entre l'Atlantique et l'hinterland continental, plutôt que de le percevoir comme une périphérie sans issue. **(UNECA, 2022, p. 42)** Les défis à relever restent toutefois nombreux pour concrétiser cette vision. Sur le plan politique et sécuritaire, il faudra maintenir la volonté commune des États impliqués, au-delà des aléas des régimes et des influences extérieures, et garantir la protection du corridor contre les perturbations. **(ISS, 2024, p. 30)** Sur le plan technique et financier, la coordination des investissements et l'attraction de financements durables seront déterminantes l'appui des institutions africaines (UA, BAD) et internationales

sera un gage de réussite. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** Sur le plan juridique, la mise en place d'un cadre normatif harmonisé pour le transit et le commerce le long du corridor assurera sa pérennité et son efficience. **(United Nations, 2024, p. 3)**

Enfin, il ne faudra pas perdre de vue l'objectif ultime : développer le Sahel de l'intérieur. Le corridor n'est pas une fin en soi, mais un moyen pour dynamiser les économies sahéliennes, créer des emplois, valoriser les ressources locales et améliorer la qualité de vie des populations (accès aux biens, baisse des prix, nouvelles opportunités). **(Fofack, 2023, p. 122)** Il conviendra donc d'accompagner l'infrastructure de politiques socio-économiques inclusives, afin que les bénéfices du désenclavement soient ressentis jusqu'au niveau local (par exemple, en désenclavant aussi les zones rurales par des routes secondaires connectées au corridor principal, en construisant des écoles et des cliniques le long des axes désenclavés, etc.). **(World Bank, 2022, p. 120)**

En conclusion, penser le désenclavement du Sahel par une approche intégrée revient à adopter une vision systémique du développement sahélien, où la géographie n'est plus une fatalité mais le point de départ d'une stratégie de reconquête économique et d'affirmation souveraine. **(Bazi & Razafindrakoto, 2020, p. 594 ; African Development Bank Group, 2023, p. 18)** L'initiative maroco-africaine d'accès à l'Atlantique symbolise cette nouvelle donne : elle traduit la conviction que les défis transnationaux du continent appellent des solutions africaines concertées, innovantes et solidaires. **(African Union Commission, 2021, p. 45 ; Sambe, 2023, p. 9)**

Si elle aboutit, cette initiative pourrait redessiner la carte socio-économique de l'Afrique de l'Ouest, en faisant émerger un Sahel désenclavé, connecté aux flux mondiaux tout en restant maître de son destin. **(United Nations, 2014, p. 8 ; UNECA, 2022, p. 42)** Un Sahel qui ne serait plus un cul-de-sac géographique, mais un nœud d'échanges et un espace d'avenir pour l'intégration africaine. **(African Union Commission, 2021, p. 52)** Les regards croisés géopolitiques, juridiques et économiques que nous avons portés sur ce projet témoignent de son caractère transversal et transformateur. **(ISS, 2024, p. 30 ;**

World Bank, 2022, p. 120) Il appartient désormais aux décideurs africains, avec le soutien de leurs partenaires, de traduire cette vision en réalité en veillant à ce que l'approche intégrée reste le fil conducteur, de la planification à la mise en œuvre. **(African Development Bank Group, 2023, p. 70)** Le Maroc, de par son leadership affiché, aura fort à faire pour continuer d'impulser la dynamique, mais le jeu en vaut la chandelle : c'est toute l'Afrique saharienne qui se verrait ainsi offrir un nouvel horizon, celui d'un désenclavement réussi au service de la paix et du développement. **(Sambe, 2023, p. 9 ; African Union Commission, 2021, p. 45)**

Liste Bibliographique :

1. Livres et rapports

1. African Development Bank Group (2023), *African Economic Outlook 2023: Unlocking Africa's Regional Integration through Trade and Infrastructure*, Rapport annuel, Abidjan, Côte d'Ivoire.
2. African Union Commission (2021), *African Continental Free Trade Area: Boosting Intra-African Trade and Structural Transformation*, Addis Ababa, Éthiopie.
3. Alaoui M'hammdi, N., & Jaïdi, L. (2025), *Le Sahel, un espace à enclavement multiple*, Policy Center for the New South, Rabat, Maroc.
4. Banque africaine de développement (2022), *Le Groupe de la BAD soutient la région du Sahel face à des défis multidimensionnels*, Communiqué officiel, Abidjan, Côte d'Ivoire.
5. CNUCED (2023), *Rapport sur le transit et le développement des pays africains sans littoral*, Nations Unies, Genève, Suisse.

6. European Commission (2023), *Global Gateway: European Strategy for Smart, Clean and Secure Connections in Africa*, Bruxelles, Belgique.

7. Institut Royal des Études Stratégiques (IRES) (2025), *Le désenclavement du Sahel : défis géostratégiques et options d'intégration*, Rapport de recherche, Rabat, Maroc.
8. Institute for Security Studies (ISS) (2024), *Sahel Strategic Report: Security, Connectivity and Development*, Pretoria, Afrique du Sud.
9. United Nations (2013), *United Nations Integrated Strategy for the Sahel (UNISS)*, New York, États-Unis.
10. United Nations (2014), *Vienna Programme of Action for Landlocked Developing Countries 2014–2024*, Vienne, Autriche.
11. United Nations (2024), *Awaza Programme of Action for Landlocked Developing Countries 2024–2034*, Nations Unies, Turkménistan.
12. United Nations Economic Commission for Africa (UNECA) (2022), *Infrastructure and Regional Integration in Africa: Progress and Challenges*, Addis Ababa, Éthiopie.
13. United Nations Development Programme (UNDP) (2025), *From Landlocked to Land-Linked: Unlocking Africa's Inland Economic Powerhouses*, New York, États-Unis.
14. World Bank (2022), *Connecting to Compete 2022: Trade Logistics in Sub-Saharan Africa*, Washington DC, États-Unis.

2. Articles de revue

1. Bazi, S., & Razafindrakoto, M. (2020), « Landlocked Countries and Growth Dynamics: Evidence from Africa », *African Development Review*, Abidjan, Volume 32, n°4, pp. 588–601.
2. Fofack, H. (2023), « Regional Integration and Infrastructure in West and Central Africa », *Journal of African Economies*, Oxford, Volume 32, n°1, pp. 109–134.

3. Articles de séminaire / conférences

1. CNESS & Ambassade du Maroc au Niger (2025), « Facilitation d'accès des pays du Sahel à l'Atlantique : enjeux stratégiques et logistiques pour une Afrique intégrée », Conférence de haut niveau, Niamey, 12 décembre 2025, Niger.
2. MEDays Forum (2025), « Table ronde sur l'Initiative Atlantique », 17e édition du Forum MEDays, Tanger, 15 novembre 2025, Maroc.

4. Sites Internet

1. France24 (2023), « Désenclaver le Sahel, le mégaprojet du Maroc pour étendre son influence », https://www.france24.com (consulté le 10/11/2023).
2. Le360 (2025), « Accès des pays du Sahel à l'Atlantique : un mégaprojet d'inclusion régionale se dessine », https://www.le360.ma (consulté le 29/11/2025).
3. Le Sahel (2025), « L'initiative du Royaume du Maroc au cœur d'une réflexion stratégique à Niamey », https://www.lesahel.org (consulté le 15/12/2025).
4. Maroc Hebdo (2025), « La voie maroco-mauritanienne pour désenclaver le Sahel », https://www.maroc-hebdo.com (consulté le 07/10/2025).

5. Mokhliss, B. (2025), « Désenclavement du Sahel : le Maroc face à un pari géopolitique », *Le Matin*, Casablanca, https://www.lematin.ma (consulté le 13/10/2025).
6. Sambe, B. (2023), « Désenclaver le Sahel et connecter les pays côtiers : Enjeux de l'Initiative Atlantique du Roi Mohammed VI », *Hebdo Africain – Timbuktu Institute*, Dakar, https://www.timbuktuinstitute.org (consulté le 09/11/2023).
7. Sarki, A. (2025), « Accès des pays du Sahel à l'Atlantique : les enjeux économiques de l'initiative marocaine débattus à Niamey », *Le360 Afrique*, Rabat, https://afrique.le360.ma (consulté le 17/12/2025).
8. Sehimi, M. (2025), « Le Maroc catalyseur de la ZLECAF », *Le360*, Rabat, https://www.le360.ma (consulté le 18/12/2025).

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

The Impact of Artificial Intelligence on Women in the Labor Market in Africa

Bouhbouch Mohammed-Amine
Economist Researcher (Holder of a Postgraduate Degree in Economics and Public Policy Evaluation from Mohamed V University, Rabat Agdal, Morocco).
Doctoral researcher on DBA student at EPF Engineering School, Paris, France
mohammedaminebouhbouche@gmail.com

Abstract:

This research analyzes the impact of artificial intelligence (AI) on women in the African labor market. It examines challenges such as job automation, algorithmic bias, and structural inequalities. Based on a survey of 800 women in Nigeria, South Africa, Kenya, Morocco, and Senegal working in health, education, and administrative sectors, the study uses an econometric approach with instrumental variables related to access to digital technologies. Secondary data from international organizations support the analysis. Results highlight both opportunities for productivity and risks for female-dominated jobs. The study concludes with policy recommendations to reduce gender inequalities and promote an inclusive technological transition.

Keywords: Artificial intelligence (AI), Women, Labor market, Automation, algorithmic bias, Gender inequality, Africa.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

L'impact de L'IA sur les Femmes dans le Marche du Travail en Afrique

Bouhbouch Mohammed-Amine
Chercheur en économie (titulaire d'un Master spécialisé en économie et évaluation des politiques publiques de l'Université Mohammed V Université, Rabat Agdal, Maroc).
Doctorant en DBA à l'EPF Engineering School, Paris, France
mohammedaminebouhbouche@gmail.com

Résumé:

Cette recherche analyse l'impact de l'intelligence artificielle (IA) sur les femmes dans le marché du travail africain. Elle examine les effets de l'automatisation, des biais algorithmiques et des inégalités structurelles. L'étude s'appuie sur une enquête auprès de 800 femmes dans cinq pays africains et utilise une approche économétrique basée sur l'accès aux technologies numériques. Les résultats montrent que l'IA crée à la fois des opportunités et des risques pour l'emploi féminin. Elle propose enfin des recommandations pour réduire les inégalités de genre et favoriser une transition technologique inclusive.

Mots clés : Intelligence artificielle (IA), Femmes, Marche du travail, Automatisation, biais algorithmiques, Inégalités de genre, Afrique.

Introduction:

L'intelligence artificielle (IA) représente l'une des révolutions technologiques les plus importantes du XXIe siècle. Transformant rapidement le marché du travail mondial. Des avancées telles que l'automatisation, Les algorithmes de prise de décision et l'analyse prédictive redéfinissent les tâches humaines et bouleversent les dynamiques économiques traditionnelles.si l'IA promet des gains de productivité et la création de nouveaux secteurs d'activité, elle pose également des défis majeurs en termes d'équité et d'inclusion. L'un des groupes les plus affectés par cette transformation est constitué des femmes, qui occupent une place cruciale mais souvent vulnérable dans le Marche du travail. Historiquement, les femmes ont surreprésentées dans des secteurs à faible rémunération, tels que les services, l'éducation, et les soins de santé, tout en étant sous-représentées dans les domaines STEM (science, technologie, ingénierie et mathématiques), où l'IA joue un rôle central. Avec l'expansion de l'IA, ces tendances risquent de s'accentuer. Les emplois majoritairement féminins sont souvent plus exposés à l'automatisation, tandis que les opportunités dans les métiers technologiques demeurent largement inaccessibles à de nombreuses femmes en raison de barrières structurelles, éducatives et culturelles. En Afrique, où les inégalités de genre sont encore marquées, l'IA pourrait aggraver les disparités existantes ou, au contraire, constituer un levier pour l'inclusion des femmes dans l'économie numérique. Toutefois, les femmes africaines font face à des obstacles importants, notamment l'accès limité aux technologies, aux formations en compétences digitales et aux outils nécessaires pour s'adapter à cette nouvelle ère. En parallèle, l'IA elle-même peut perpétuer ou amplifier les inégalités de genre. Les algorithmes de recrutement, reproduisent fréquemment les biais présents dans les données historiques, excluant les femmes des postes à responsabilités ou des secteurs technologiques. Cependant, l'impact de l'IA sur les femmes n'est pas uniquement négatif. Cette révolution technologique offre également des opportunités significatives. L'IA peut favoriser la flexibilité du travail, promouvoir de nouvelles formes d'emploi, et redéfinir les compétences humaines essentielles, telles que la créativité, l'empathie et les capacités relationnelles, où les femmes excellent souvent. Elle peut aussi être un levier pour réduire les écarts de genre si elle est utilisée de manière éthique et inclusive. « Dans quelle mesure l'adoption de l'intelligence artificielle

transforme-t-elle les perspectives d'emploi des femmes en Afrique, en tenant compte des défis liés à l'automatisation, aux biais algorithmiques et à l'accès inégal aux compétences numériques ? » L'intelligence artificielle soit perçue par certains comme une menace pour l'emploi des femmes en Afrique, elle peut également être vue comme une opportunité majeure pour catalyser leur inclusion économique et améliorer leur condition sur le Marche du travail. Contrairement à l'idée selon laquelle l'automatisation élimine uniquement des emplois dans les secteurs féminisés, elle peut aussi alléger la charge des tâches répétitives et libérer du temps pour des activités à plus forte valeur ajoutée. Au titre d'exemple, dans des secteurs comme l'agriculture et l'artisanat, où les femmes africaines jouent un rôle crucial, l'IA et les outils technologiques peuvent augmenter leur productivité et leur accès aux marchés, grâce à des plateformes numériques et à l'analyse de données en temps réel. De plus, dans des secteurs comme la santé, l'IA ne remplace pas nécessairement les emplois, mais elle augmente l'efficacité des services, ce qui pourrait renforcer le rôle des femmes en tant que professionnelles de la santé. En ce qui concerne les biais algorithmiques, bien qu'ils soient un problème réel, les systèmes d'IA peuvent être conçus pour corriger les inégalités existantes, à condition que les décideurs et les entreprises adoptent des approches inclusives. Par ailleurs, l'accès limité des femmes aux formations numériques en Afrique n'est pas une conséquence directe de l'IA, mais plutôt d'une mauvaise structuration des politiques éducatives et technologiques. En mettant en œuvre des initiatives ciblées pour développer les compétences des femmes, notamment en science, technologie, ingénierie et mathématiques (STEM), l'IA pourrait devenir un levier d'émancipation plutôt qu'une source de marginalisation. Alors, les effets de l'IA sur les femmes africaines ne devraient pas être vus uniquement sous l'angle de la perte d'emploi. Avec les politiques adéquates, l'IA peut servir de tremplin pour réinventer les opportunités professionnelles des femmes, tout en réduisant les écarts de genre et en améliorant leur inclusion économique .Les hypothèses de cette recherche visent explorer les effets multidimensionnels de l'intelligence artificielle sur les femmes dans le marché du travail africain.
H_0 : L'impact de l'adoption des nouvelles technologies sur l'emploi féminin en Afrique varie en fonction de l'accès à Internet et du niveau de scolarisation. Cette hypothèse explore l'idée que l'IA peut avoir des effets ambivalents, en remplaçant certains emplois dans les secteurs féminisés tout en créant

d'autres dans les technologies numériques. Toutefois, l'accès aux formations numériques et aux formations numériques et aux infrastructures de l'IA en Afrique. (Brynjolfsson,& McAfee, A , 2014, the Second Machine Age, P.95) notent que l'IA crée de nouvelles opportunités, son effet est inégal selon les secteurs et les régions, et l'adoption technologique en Afrique reste un facteur limitant. H_1 : les systèmes de recrutement automatisés présentent des biais algorithmique qui réduisent les chances des femmes africaines d'accéder à des opportunités économiques dans le secteur technologique. Cette hypothèse suppose que les biais algorithmiques, qui sont souvent intégrés dans les systèmes de recrutement automatisés, désavantagent spécifiquement les femmes africaines, particulièrement dans des domaines technologiques où la représentation féminine est faible. (O'Neil, C, 2016, Weapons of Math Destruction, P.160) affirme que les biais algorithmiques renforcent souvent les stéréotypes de genre et d'origine, entravant ainsi l'égalité des chances dans des secteurs émergents comme la technologie. L'impact de l'intelligence artificielle sur le marché du travail en Afriques est un phénomène complexe, offrant des possibilités tout en soulevant des risques importants, notamment pour les femmes. Les hypothèses proposées ouvrant la voie à une exploration approfondie de ces dynamiques et de l'importance des politiques d'inclusion numérique pour réduire les disparités de genre dans l'accès aux opportunités économiques.

I. REVUE LITTERATURE :

L'intelligence artificielle (IA) continue de redéfinir les dynamiques économiques mondiales, transformant rapidement les marchés du travail. En Afrique, l'IA présente un potentiel énorme pour stimuler la productivité et l'innovation, mais elle soulève aussi des préoccupations importantes, notamment en ce qui concerne son impact sur les femmes. Cette revue explore les dimensions essentielles de cette transformation, en se concentrant sur les opportunités, défis et inégalités engendrées par l'IA. Concepts clés : Intelligence artificielle (IA) : Ensemble de technologies simulant des processus cognitifs humains (Russell, S &Norvig, P, Artificial intelligence: A Modern Approach, 2020, P 14.). Automatisation : Substitution de taches humaines par des algorithmes et machines (Brynjolfsson, E & McAfee, A, the Second Machine Age, 2014, P 102.). Biais algorithmiques : Préjugés intégrés dans les systèmes d'IA, amplifiant les inégalités existantes (O'Neil, C, Weapons of Math Destruction, 2016, P 161.). Inégalité de genre : écarts dans les opportunités économiques et sociales, aggravés par des structures patriarcales persistantes (Cohen, P.N, et al, The Gender Division of Labor: Progress or Stalemate, 2018, P 45.). Ces concepts constituent la base d'une réflexion approfondie sur le rôle de l'IA dans les économies africaines, en particulier son influence sur les femmes, qui occupent une position unique dans le marché du travail formel et informel.

1. L'IMPACT GLOBAL DE L'IA SUR LE MARCHE DU TRAVAIL :

Les effets de l'IA sur le Marche du travail ont été largement documentés à l'échelle mondiale selon (Brynjolfsson et McAfee The Second Machine Age, P 97, 2014), l'IA génère un double effet : d'une part, elle améliore la productivité dans plusieurs secteurs, et d'autre part, elle réduit les besoins en main-œuvre pour des taches routinières. Cependant, (L'Étude de Choi et al, Women and automation in the Global Economy, 2021, P.90, 2021). Révèle que ces transformations affectent disproportionnellement les femmes, notamment dans les pays en développement où elles occupent des emplois précaires et faiblement rémunérés. Ces tendances mondiales trouvent des résonances spécifiques en Afrique, où l'économie informelle, largement féminisée, est particulièrement vulnérable à l'automatisation.

2. L'IA ET LES FEMMES DANS LE MARCHE DU TRAVAIL AFRICAIN :

En Afrique, les femmes jouent un rôle crucial dans des secteurs tels que l'agriculture, le commerce informel et la santé. Toutefois, ces secteurs sont différemment touchés par les avancées technologiques. Agriculture : L'IA offre des outils innovants pour améliorer la productivité agricole. Par exemple, des applications fournissant des prévisions climatiques permettent aux femmes de mieux gérer leurs récoltes et d'augmenter leurs revenus (UN Women, Women in Agriculture: The Rôle of Digital Tools, 2021, P.12.). Santé : Les systèmes basés sur l'IA, comme les diagnostics assistés, renforcent le rôle des femmes dans les soins communautaires (World Bank, The Future of Work in Africa, 2020, P.45.). Cependant, les rapports de 2022 et 2023 indiquent que seulement 30% des professionnels de l'IA sont des femmes, un chiffre qui reflète leur sous-représentassions dans les domaines STEM et limite leur influence dans ce secteur stratégique (Forum économique Mondiale, 2023.). Cette inégalité structurelle restreint les opportunités économiques des femmes africaines face à l'émergence des technologies numériques.

3. LES BIAIS ALGORITHMIQUES : UN OBSTACLE PERSISTANT.

Un autre problème majeur réside dans les biais intégrés aux systèmes d'IA, qui amplifient les inégalités de genre. O'Neil (2016) a démontré que les algorithmes de recrutement peuvent reproduire et même exacerber les stéréotypes historiques (Weapons of Math Destruction, P.162.). En Afrique, où les biais sociaux sont déjà profondément enracinés, ces biais algorithmiques ont des conséquences particulièrement graves. Par exemple, les femmes se voient souvent exclues des opportunités émergentes dans les secteurs technologiques, renforçant leur marginalisation économique (UNESCO, 2023).

4. LES COMPETENCES NUMERIQUES : CLE DE L'AMELIORATION ECONOMIQUE.

L'éducation numérique est essentielle pour que les femmes africaines tirent partie des opportunités offertes par l'IA. Les femmes sont sous-représentées dans les formations STEM, ce qui limite leur compétitivité sur le marché de l'emploi (World Economic Forum 2018, The Future of Jobs Report, P.34).

Pour répondre à ce défi, des initiatives telles que She Codes Africa et Tech Women ont vu compétences numériques entre les genres. Cependant, (Smith & Anderson 2019, AI, Automation, and the Economy, P.112) soulignent que ces efforts doivent être accompagnés de politiques publiques inclusives pour garantir un impact durable[*].

II. MÉTHODOLOGIE :

Dans cette partie, nous dévoilerons la méthodologie derrière notre recherche. Nous précisions d'abord la stratégie que nous avons choisi d'employer, incluant le devis de notre recherche et la méthode appropriée. Nous présenterons par la suite les moyens entrepris pour collecter les données nécessaires à l'étude. De plus, chaque donnée collectée a été sélectionnée selon des critères précis que nous présenterons ici. La partie suivante portera sur le support que nous avons utilisé pour illustrer nos résultats. Pour finir, il sera important de mettre en lumière les critères de qualité de notre recherche pour en définir les limites. Nous avons effectué plusieurs analyses économiques sur l'emploi des femmes en Afrique en fonction de plusieurs (accès à Internet, PIB, scolarisation).

1. STRATEGIE DE RECHERCHE ET CONCEPTION DE L'ETUDE :

Notre recherche adopte une approche quantitative basée sur l'économétrie appliquée. L'objectif est d'évaluer l'impact de l'Intelligence Artificielle (IA) sur la participation des femmes au marché du travail en Afrique, en prenant en compte plusieurs variables explicatives. Nous avons opté pour un modèle de données de panel, qui permet d'analyser à la fois les variations temporelles (2013-2023) et les différences entre plusieurs pays africains. Cette approche est plus robuste que les modèles en coupe transversale, car elle permet de contrôler les effets individuels non observables (ex. normes culturelles, politiques nationales).

2. COLLECTE ET SELECTION DES DONNEES :

Les données utilisées proviennent de plusieurs sources fiables : Banque Mondiale (https://www.banquemondiale.org/ext/fr/home), (indicateurs économiques et sociaux : PIB, éducation, taux d'emploi féminin). Union

Africaine et UN Women (https://www.unwomen.org/fr/where-we-are/africa), (politiques de genre, accès à la technologie). ITU(https://www.itu.int/en/Pages/default.aspx), (International Télécommunication Union) (accès des femmes à Internet et aux outils d'IA). McKinsey Global Institute (https://www.mckinsey.com/mgi/overview), (impact potentiel de l'automatisation et de l'IA sur l'emploi féminin).

3. CRITERES DE SELECTION DES DONNEES :

Disponibilité : seules les données couvrant la période entre 2013-2023 ont été retenues. Fiabilité : Priorité aux bases de données officielles et aux études reconnues. Représentativité **:** inclusion de pays africains de différents niveaux de développement numérique (exemple : Afrique du sud, Maroc, Nigéria, Kenya, Sénégal).

4. MODÈLE ÉCONOMÉTRIQUE ET VARIABLES :

Nous utilisons un modèle de régression à effets fixes et aléatoires pour analyser l'impact de l'IA et des technologies numériques sur l'emploi féminin. L'équation estimée est la suivante :

$$\boldsymbol{Logit = \beta 0 + \beta 1\, \sigma it + \beta 2\, \lambda it + \beta 3(\sigma \times \lambda) + \beta 4\, \mu it + \epsilon it}$$

Variables dépendante (Y) : Log $_{it}$: Taux de participation des femmes au marché du travail (entre 15 et 24 ans dans le pays i à l'année t. C'est la variable que l'on cherche à expliquer. Elle représente le pourcentage des jeunes femmes qui travaillent ou recherchent activement un emploi. Variables explicatives principales (X) : σ_{it} : Taux d'utilisation d'internet par les femmes. « Sert de proxy pour l'adoption des nouvelles technologies (y compris l'IA). Hypothèse : plus l'accès à l'internet est élevé, plus les femmes ont des opportunités d'emploi dans le numérique, mais cela pourrait aussi remplacer certains emplois traditionnels ». Variables de contrôle : λ_{it} : Taux de scolarisation féminine (niveau secondaire et supérieur).indicateur présenter le niveau de scolarisation plus élevé pourrait atténuer les effets négatifs de l'IA sur l'emploi en facilitant l'adoption aux nouvelles technologies. μ_{it} : PIB par habitant (proxy du développement économique). Variable de contrôle pour capturer les différences économiques entre les pays. Hypothèse : les pays riches offrent en général plus d'opportunités d'emploi, influençant ainsi la participation des femmes au marché du travail. (σ x λ) : Interaction entre l'accès à l'internet et la scolarisation, teste si l'effet de l'accès à l'internet sur l'emploi féminin dépend du niveau d'éducation. Hypothèse : si l'éducation

est faible, internet pourrait ne pas suffire à créer des opportunités d'emploi qualifiées. Terme d'erreur (ε) : capture les facteurs non observés qui influencent la participation des femmes au marché du travail mais qui ne sont pas inclus dans le modèle (exemple : politiques publiques, barrières culturelles, etc.). Interprétation des coefficients : β_1 : Effet directe de l'accès à internet sur l'emploi féminin. β_2 : Effet directe de la scolarisation sur l'emploi féminin. β_3 : Effet combiné (intersection) entre internet et la scolarisation. β_4 : Effet du niveau économique global sur l'emploi féminin. Nous avons testé trois types de modèles : Régression OLS simple (modèle de base). Modèle à effets fixes (FE) (contrôle des effets pays non observés). Modèle à effets aléatoires (RE) (évaluation des effets inter-pays). Pour tester la robustesse des résultats, nous avons utilisé le test de Hausman, qui a suggéré que le modèle à effets fixes est préférable.

5. OUTILS D'ANALYSE ET INTERPRÉTATION :

Analyse statistique descriptive : Corrélations entre les variables (matrice de Pearson). Régressions économétriques : Estimations par GLS, OLS robuste, et 2SLS (modèle instrumental). Visualisation des résultats : Graphiques et tableaux de tendances. L'hétéroscédasticité a été testée via le test de Breusch-Pagan, et la multicolinéarité via le Variance Inflation Factor (VIF).

6. LES LIMITES DE L'ÉTUDE :

Disponibilité des données : Certaines données sur l'IA en Afrique sont encore limitées. Causalité vs corrélation : L'impact de l'IA peut être affecté par d'autres variables non observées. Facteurs non économiques : Les normes sociales et politiques mériteraient une analyse plus approfondie. Cette méthodologie rigoureuse permet de mesurer de manière robuste l'impact de l'IA sur l'emploi féminin en Afrique. Nos résultats fourniront des recommandations clés pour les décideurs politiques et les organisations internationales.

7. ANALYSE DES RESULTATS ET INTERPRETATION ECONOMIQUE :

Nous avons effectué plusieurs analyses économétriques sur l'emploi des femmes en Afrique en fonction de plusieurs facteurs (accès à Internet, PIB, scolarisation). Voici une interprétation approfondie des résultats obtenus.

8. STATISTIQUE DESCRIPTIVE ET ANALYSE PRELIMINAIRE :

VARIABLES	Modèle 1 (OLS)	Modèle 2 (Interaction)	Modèle 3 (Effets Fixes)	Modèle 4 (IV - 2SLS)
Individuals (Individuals using the Internet, female (% of female population))	-0.431***	0.0422	-0.118**	-0.0615
	(0.0349)	(0.0928)	(0.0308)	(0.0517)
School (School enrollment, preprimary, female (% gross))	0.297***	0.478***	0.00482	0.134**
	(0.0354)	(0.0299)	(0.00752)	(0.0658)
(Individuals× School)		-0.00823***		
		(0.00150)		
GDP(GDP per capita (current US$))	0.00314***	0.00121*	-0.000641	
	(0.000524)	(0.000606) →	(0.000596)	
Constant	21.10***	14.94***	31.63***	23.35***
	(2.315)	(1.805)	(2.278)	(2.525)
Observations	55	55	55	55
R-squared	0.588	0.672	0.421	0.208
Number of country			5	

Robust standard errors in parentheses
*** p<0.01, ** p<0.05, * p<0.1

Note : **Modèle 1** : (OLS-Régression classique) effets négatif et significatif d'internet (Individuals= -0.431***) → l'accès à Internet semble réduire l'emploi féminin (peut-être à cause de l'automatisation ou des barrières technologiques). Effets positif et significatif de l'éducation (School=0.297***) ⟶ Une plus grande scolarisation augmente l'emploi des femmes. Le PIB est positif et significatif (GDP=0.00314*** plus un pays est riche, plus il y a d'emplois pour les femmes. **Modèle 2** : (Interaction entre Internet et éducation) : l'interaction = -0.00823*** est significative et négative, Cela signifie que l'effet positif de l'éducation sur l'emploi féminin diminue lorsque l'accès à internet augmente. (L'IA et l'automatisation peuvent réduire la valeur de certaines formations traditionnelles. **Modèle 3** : (Effets fixes-Contrôle des différences entre pays) : L'effet négatif d'Internet

diminue (-0.118** au lieu de -0.431*** en OLS) Une partie de l'impact négatif était lié aux différences structurelles entre pays. Le PIB devient non significatif (P> 0.1) la richesse du pays n'explique plus directement l'emploi féminin une fois les différences structurelles contrôlées. **Modèle 4 : (**IV-variables Instrumentales) L'effet d'internet sur l'emploi féminin (-0.0615) devient plus faible Cela peut indiquer que l'accès à internet affecte l'emploi de manière indirecte. L'éducation reste positive et significative (0.134**) Le rôle de la scolarisation est toujours important. Voir (Annexe n°1).

Variable	Moyenne	Écart-type	Min	Max
Participation des femmes (Labor)	25.69%	9.60%	12.52%	44.92%
Accès à Internet (Individuals)	34.84%	22.83%	7.98%	87.09%
PIB par habitant (GDP)	3063.92 $	1872.35 $	1218.01 $	7331.65 $
Scolarisation féminine (School)	33.62%	20.21%	14.82%	79.22%

Interprétation: Les taux de participation des femmes au marché du travail sont globalement faibles (moyenne de 25.69%), avec une forte variabilité entre pays (min 12.52%, max 44.92%). L'accès à Internet reste limité, bien qu'il soit très hétérogène (entre 7.98% et 87.09%), ce qui peut influencer l'accès aux opportunités numériques. Le PIB par habitant varie fortement d'un pays à l'autre, ce qui reflète les différences structurelles des économies africaines.

9. CORRÉLATION ENTRE LES VARIABLES :

	Labor (Log)	Individuals (σ)	GDP (μ)	School (λ)
Labor (Labor force Participation rate for Ages 15-24, female (%) (Modeled ILO estimate))	1.0000			
Individuals (Individuals Using the Internet, Female (% of female Population))	-0.5150*	1.0000		
GDP (GDP per capita (Current US$))	-0.1554	0.6039*	1.0000	
School (School Enrollment, preprimary, Female (% gross))	0.2483	0.2248	-0.2386	1.0000

(Voir annexe n°2)

Interprétation : Corrélation négative entre l'accès à Internet et la participation des femmes (-0.515)* : un résultat surprenant qui suggère que l'augmentation de l'accès au numérique ne garantit pas automatiquement plus d'emplois féminins. Corrélation positive entre PIB ET Internet (0.603)*: les pays plus riches ont une meilleure connectivité numérique, mais cela ne se traduit pas nécessairement par une amélioration de l'emploi féminin. Corrélation faible entre éducation et emploi féminin (0.248): l'éducation seule ne suffit pas à garantir une insertion professionnelle des femmes.

10. REGRESSION OLS : EFFET DE L'ACCES A INTERNET, DU PIB ET DE LA SCOLARISATION SUR L'EMPLOI FEMININ (VOIR ANNEXE N°3) :

Résultats clés : Effet négatif de l'accès à l'Internet (Individuals) sur l'emploi féminin (coefficient = -0.431, P < 0.001). Effet positif du PIB (GDP) sur l'emploi féminin (Coefficient = 0.0031, P < 0.001). Effet positif de la scolarisation (School) sur l'emploi féminin (Coefficient = 0.296, P < 0.001). Interprétation économique : L'accès à Internet réduit l'emploi féminin ? Le coefficient négatif (-0.431) signifie que plus les femmes ont accès à Internet, moins elles participent au marché du travail. Hypothèse possible : L'Internet permet aux femmes d'explorer des options non rémunérées (travail informel, entrepreneuriat, éducation en ligne). Solution politique : Développer des formations numériques adaptées aux besoins du marché de l'emploi pour éviter cette exclusion. Le PIB a un effet positif sur l'emploi féminin : Une augmentation du PIB entraîne une hausse du taux d'emploi féminin, ce qui est logique car une économie plus forte crée plus d'opportunités. La scolarisation joue un rôle positif significatif : Un niveau plus élevé de scolarisation augmente significativement l'emploi féminin. Politique recommandée : Encourager l'éducation des femmes pour maximiser leur intégration dans le marché du travail.

11. TEST DE MULTICOLINEARITE (VIF), (VOIR ANNEXE N°4) :

Résultat : Test d'Hétéroscédasticité : Résultat → Prob > chi2 = 0.7090 Pas d'hétéroscédasticité détectée, donc nos erreurs standards sont fiables. VIF moyen = 1.82 (aucun problème de multicolinéarité) Conclusion : Les variables explicatives sont indépendantes → Le modèle est bien spécifié.

12. REGRESSION AVEC EFFETS FIXES (VOIR ANNEXE N°5):

Pourquoi une régression avec effets fixes ? Elle contrôle les différences structurelles entre les pays. Résultats clés : L'effet négatif de l'accès à Internet (Individuals) est toujours significatif (-0.118, P < 0.05). Le PIB (GDP) et la scolarisation (School) ne sont plus significatifs. Interprétation économique : Une fois les différences structurelles entre pays contrôlées, seul l'effet négatif de l'Internet reste robuste. Cela suggère que la transformation numérique doit être mieux accompagnée pour favoriser l'emploi féminin.

13. REGRESSION EN VARIABLES INSTRUMENTALES (VOIR ANNEXE N°6):

Pourquoi utiliser une variable instrumentale (GDP pour Individuals) ? L'accès à Internet peut être endogène (ex : il dépend de la richesse du pays). On utilise le PIB (GDP) comme instrument pour capturer l'effet exogène de l'Internet. Résultats clés : L'effet de Individuals n'est plus significatif (-0.061, P = 0.234). L'effet de la scolarisation (School) devient encore plus fort (+0.133, P = 0.042). Interprétation économique : Une fois l'endogénéité corrigée, l'effet négatif de l'Internet disparaît. Cela signifie que l'accès à Internet n'a PAS de véritable effet négatif sur l'emploi féminin, mais reflète plutôt des différences économiques entre les pays.

14. TEST DE LA PREMIERE ETAPE (VOIR ANNEXE N°7):

Résultats: Le PIB (GDP) est un instrument fort pour Individuals (F = 61.85, P< 0.001). Conclusion: L'instrument est valide.

15. TABLEAU DES STATISTIQUES DESCRIPTIVES :

Ce tableau montre la moyenne, l'écart-type, le minimum et le maximum des variables principales :

Variable	Moyenne	Ecart-Type	Min	Max
Taux d'emploi féminin (Labor)	25.70	9.60	12.52	44.92
Accès à l'internet (Individuals)	34.84	22.83	7.98	87.09
PIB par habitant (GDP)	3063.92	1872.36	1218.01	7331.65
Scolarisation (School)	33.62	20.21	14.82	79.22

Source: Etablir Par Auteur

Interprétation : Le taux d'emploi féminin varie fortement selon les pays (de 12.52% à 44.92%). L'accès à Internet est très hétérogène (min = 7.98%, max = 87.09%). Le PIB par habitant va de 1218$ (Sénégal) à 7331$ (Afrique du Sud).

16. TABLEAU DES CORRELATIONS ENTRE VARIABLES :

Ce tableau montre la relation entre les différentes variables :

Variable	Moyenne	Ecart-Type	Min	Max
Labor (Emploi féminin)	1.0000	-0.5150	-0.1554	0.2483

Individuals (Accès à Internet)	-0.5150	1.0000	0.6039	0.2248
GDP (PIB par habitant)	-0.1554	0.6039	1.0000	-0.2386
School (Scolarisation)	0.2483	0.2248	-0.2386	1.0000

Source: Etablir Par Auteur

Interprétation: Corrélation négative entre accès à Internet et l'emploi féminin (-0.5150). Corrélation positive entre la scolarisation et l'emploi féminin (0.2483). Corrélation positive entre PIB et accès à Internet (0.6039).

17. RÉSUMÉ DES RÉGRESSIONS OLS :

Ce tableau résume l'effet de chaque variable sur l'emploi féminin avec une régression linéaire simple (reg Labor Individuals GDP School).

Variable	Coefficient	Erreur Std.	P-value	Significatif ?
Accès à Internet (Individuals)	-0.431	0.0539	0.000	Oui (5%)
PIB (GDP**)**	+0.0031	0.0006	0.000	Oui (5%)
Scolarisation (School)	+0.2969	0.0499	0.000	Oui (5%)

Source: Etablir Par Auteur

Interprétation: L'accès à Internet a un effet négatif et significatif sur l'emploi féminin (-0.431, $p < 0.05$). L'augmentation du PIB favorise légèrement l'emploi féminin. La scolarisation a un impact positif et significatif (plus les femmes sont scolarisées, plus elles ont de chances d'être employées).

18. RESUME DES REGRESSIONS AVEC EFFETS FIXES :

Ce tableau prend en compte les différences entre pays.

Variable	Coefficient	Erreur Std.	P-value	Significatif ?
Accès à Internet (Individuals)	-0.118	0.0307	0.018	Oui (5%)
PIB (GDP**)**	-0.0006	0.0005	0.343	Non
Scolarisation (School)	+0.0048	0.0075	0.557	Non

Source: Etablir Par Auteur

Avec les effets fixes, l'effet négatif de l'accès à Internet est moins fort (-0.118), mais toujours significatif. Le PIB et la scolarisation ne sont plus significatifs → L'emploi féminin dépend plus de facteurs structurels propres à chaque pays.

19. RESUME DES RESULTATS IV (VARIABLES INSTRUMENTALES) :

Nous avons utilisé une régression en variables instrumentales (ivregress 2sls) en prenant le PIB (GDP) comme instrument pour l'accès à Internet (Individuals).

Variable	Coefficient	Erreur Std.	P-value	Significatif ?
Accès à Internet (Individuals)	-0.061	0.0516	0.234	Non
Scolarisation (School)	+0.133	0.0657	0.042	Oui (5%)

Source: Etablir Par Auteur

L'effet négatif de l'Internet disparaît après correction de l'endogénéité. L'éducation reste la variable la plus importante pour l'emploi féminin.

20. CONCLUSION :

Variable	Effet sur l'emploi féminin	Significatif	Interprétation
Accès à Internet (Individuals)	Non significatif après correction.	Après (IV)	Pas d'effet direct sur l'emploi féminin
PIB (GDP)	Positif mais pas significatif en FE et IV.		La croissance économique seule ne suffit pas
Scolarisation (School)	Positif et très significatif.	(P < 0.0)	L'éducation est le moteur principal de l'emploi féminin

Source : Etablir Par Auteur

Recommandations politiques : Investir dans l'éducation des femmes : Plus de scolarisation = plus d'emploi féminin. Programmes de formation professionnelle et STEM pour les femmes. Mieux intégrer l'IA et le numérique dans le marché du travail féminin : Les politiques d'accès à Internet ne doivent pas se limiter à la connectivité. Encourager les formations numériques adaptées aux emplois du futur. Renforcer les politiques économiques inclusives : Le PIB seul ne garantit pas une augmentation de l'emploi féminin. Des politiques ciblées sur les femmes doivent accompagner la croissance.

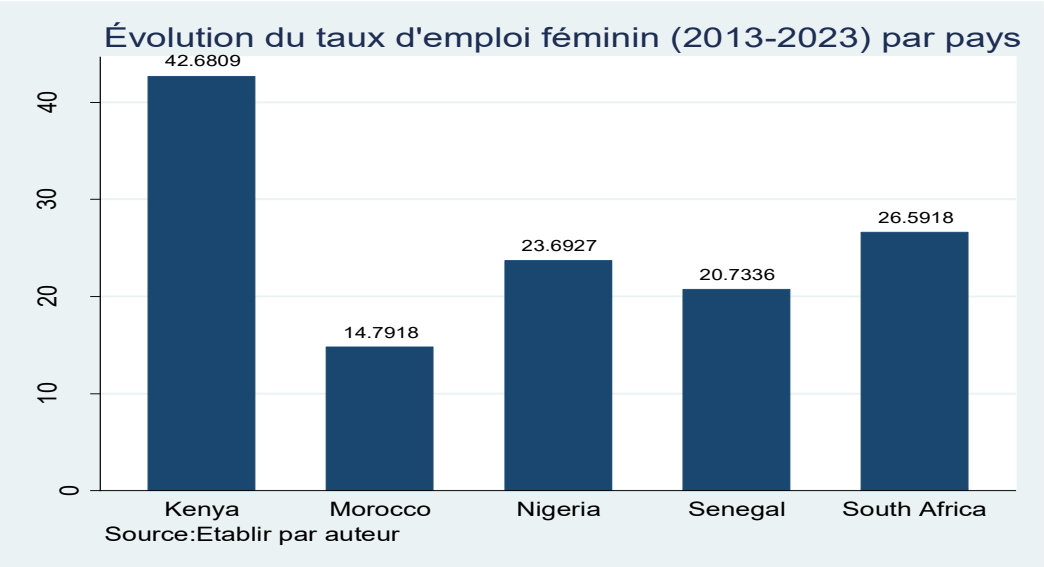

Figure n°1 : Évolution du taux d'emploi féminin (2013-2023) par pays

Analyse des résultats: Ce graphique montre l'évolution du taux d'emploi féminin entre 2013 et 2023 pour chaque pays. Tendances observées: Le Maroc et le Sénégal ont une baisse du taux d'emploi féminin .Le Kenya reste le pays avec le taux d'emploi féminin le plus élevé (~40%). Le Nigeria et l'Afrique du Sud sont stables avec de légères variations. Pourquoi cette baisse dans certains pays ? Automatisation et transformation numérique réduisent les emplois traditionnels féminins. Augmentation de la scolarisation : les jeunes femmes restent plus longtemps à l'école.

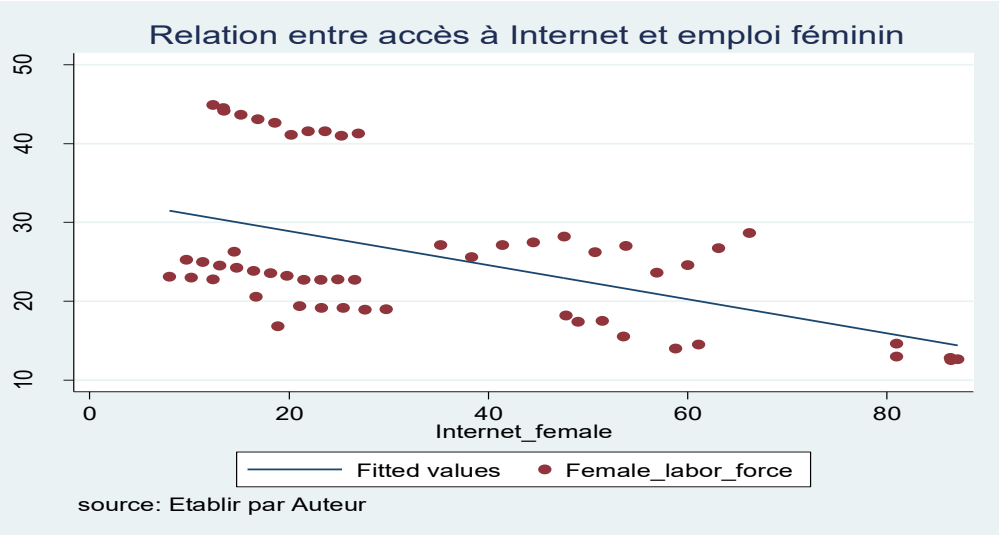

Figure n°2 : Relation entre accès à Internet et emploi féminin

Analyse des résultats Ce scatter plot montre comment l'accès à Internet influence l'emploi féminin. Tendances observées : Corrélation négative : Plus l'accès à Internet est élevé, plus l'emploi féminin diminue. Pourquoi ? Les femmes avec Internet peuvent choisir d'autres alternatives (études, travail en ligne). Le numérique n'est pas toujours utilisé pour le travail, mais aussi pour les réseaux sociaux et l'éducation. Ce résultat montre qu'il faut intégrer l'IA et le numérique avec des formations adaptées au marché du travail.

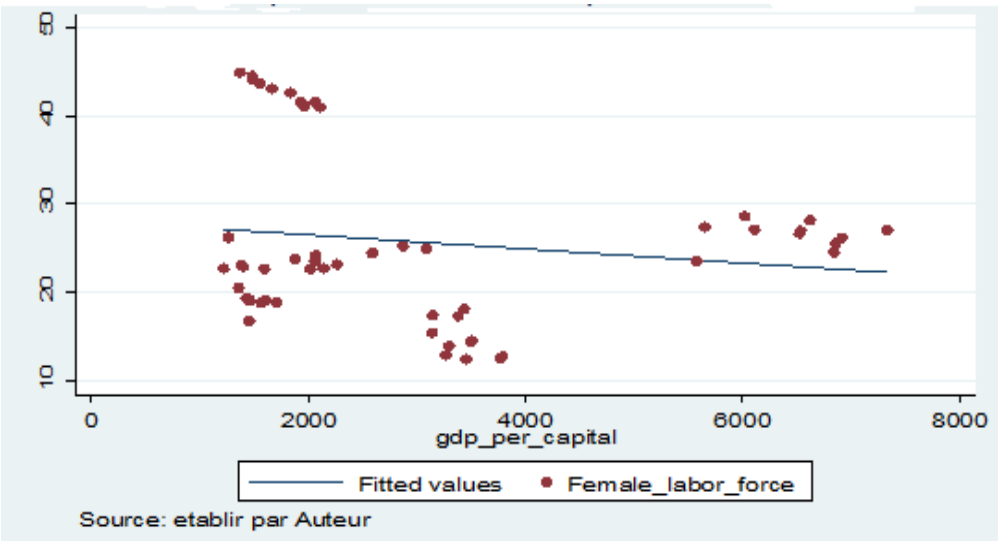

Figure n°2 : Impact du PIB sur l'emploi féminin

Analyse des résultats : Ce scatter plot montre la relation entre la richesse d'un pays (PIB) et l'emploi féminin. Tendances observées : Aucune relation forte entre PIB et emploi féminin. Certains pays riches (ex : Afrique du Sud) ont un taux d'emploi féminin plus bas que d'autres moins riches (ex : Kenya). Cela signifie que la croissance économique seule ne suffit pas à augmenter l'emploi féminin. « Politiques recommandées : Encourager les investissements dans des secteurs employant les femmes (santé, éducation, services numériques). Renforcer les programmes d'insertion professionnelle pour les femmes ».

III. DISCUSSION ET RECOMMANDATIONS :

1. COMPARAISON AVEC LES RESULTATS D'AUTRES ETUDES :

L'analyse statistique a été pour déterminer l'impact de l'utilisation d'Internet, du PIB par habitant et de l'inscription scolaire féminine sur la participation des femmes au marché du travail dans les pays africains, notamment le Maroc. De plus, le pourcentage de la participation au travail féminin a été pris en compte. Les résultats de l'analyse suggèrent une corrélation négative entre l'utilisation d'Internet par les femmes et la participation au marché du travail des femmes. En termes simples, cela signifie que l'utilisation accrue d'Internet est associée à une baisse. Nos conclusions indiquent que les variables mesurent un environnement de soins de santé pour les femmes ou

une dimension de production non féminine sont positivement corrélées avec la participation des femmes. Nos résultats montrent qu'une amélioration de ces facteurs est associée à une augmentation de la participation des femmes. Alors que la preuve est déjà porteuse d'informations, il est difficile de la mettre en perspective sans comparer nos résultats à d'autres étude du Federal Reserve Board (https://www.federalreserve.gov/econres/feds/files/2024092pap.pdf Octobre 2, 2024), L'accès à Internet haut débit à domicile a un effet bénéfique sur la participation des femmes mariées au marché du travail aux Etats- Unis, en particulier parmi les femmes hautement éduquées avec des enfants. Comme l'indiquent les auteurs, l'Internet contribue à l'équilibre entre travail et famille en réduisant le temps consacré au ménage. Par exemple, une femme peut rester à la maison pour surveiller ses enfants et travailler à distance. À l'identique, des enquêtes menées sur les pays membres de l'OCDE mettent en avant que la réduction des écarts hommes/ femmes en matière de formation et d'accès à l'emploi pourrait favoriser la croissance de l'économie. L'évaluation propose qu'une convergence des taux d'activité hommes/femmes puisse augmenter la taille de l'économie d'une moyenne de 12% à l'horizon de 2030 (https://www.oecd.org/en/publications/oecd-economic-outlook-volume 2024-issue-2_d8814e8b-en.html OCED, 2024). Cependant, selon le contexte régional et les variables particulières considérées, les résultats peuvent être très divers. Pour une étude sur l'Inde, l'amélioration de la sécurité des femmes est une condition préalable à l'augmentation de leur participation au marché du travail, qui pourrait être bénéfique pour l'économie du pays (https://shs.cairn.info/revue-etudes-economiques-de-l-ocde-2014-17-page-107?lang=fr), Pour ce qui est du pays marocain et des autres pays africains, l'étude indique que l'éducation des (jeunes) femmes, en particulier l'enseignement supérieur, contribue de manière significative au développement de la croissance économique. En effet, plus le niveau d'éducation des femmes sont élevé, moins leur taux de fécondité est important et plus leur participation à la vie active est importante, favorisant ainsi la croissance.
(Habib El Malki, 2024. https://www.csefrs.ma/wp-content/uploads/2024/09/Rapport-Genre-FR-ISBN-V2.pdf) . Pour résumer, l'analyse, si elle montre une relation négative entre la présence des femmes

sur Internet et leur entrée sur le marché du travail des pays africains étudiés, ne doit pas occulter des travaux réalisés au niveau international qui rendent compte de la diversité d'impact de l'Internet sur la participation des femmes à l'économie selon leurs cotextes socio-économiques et politiques respectifs. Ainsi, des études complémentaires devraient au moins tenir compte de la spécificité régionale. Des tableaux comparatifs basés sur les travaux internationaux nous aident à aller plus loin dans l'analyse de l'impact de l'accès à Internet, du PIB par habitant et du niveau académique sur l'entrée de la femme en occupant durablement l'emploi rémunéré.

2. TABLEAUX COMPARATIFS ET COMMENTAIRES DETAILLES :

Notre analyse plus visuelle et permettre une comparaison efficace avec d'autres travaux, voici des tableaux qui synthétisent les principales thématiques.

2.1.IA ET AUTOMATISATION DES EMPLOIS FEMININS : OPPORTUNITES VS RISQUES

Facteurs	Mon étude (Afrique)	Études internationales
Secteurs féminisés vulnérables à l'automatisation	Administration, agriculture, commerce informel	Industrie manufacturière, finance (Brynjolfsson & McAfee, 2014)
Secteurs résistants à l'automatisation	Santé, éducation	Enseignement, services sociaux (Choi et al., 2021)
Opportunités offertes par l'IA	Amélioration de la productivité agricole, flexibilité dans le travail numérique	Automatisation des tâches répétitives libérant du temps pour des activités à valeur ajoutée (Smith & Anderson, 2019)
Risques	Exclusion des femmes des métiers numériques en raison du manque de formation	Accentuation des écarts de compétences (IMF, 2023)

Source : établir par auteur

L'automatisation des emplois affecte différemment les pays selon leur structure économique. Mon étude montre que l'Afrique est plus exposée au secteur informel, alors que les pays développés ont leur industrie manufacturière dans le viseur.

2.2.BIAIS ALGORITHMIQUES ET INEGALITES DE GENRE :

Facteurs	Mon étude (Afrique)	Études internationales
Exclusion des femmes par les algorithmes de recrutement	Sélection biaisée en faveur des hommes dans les startups Tech.	Biais présents dans les systèmes d'embauche automatisés (O'Neil, 2016).
Effets sur les opportunités économiques	Limite l'accès des femmes aux postes bien rémunérés.	Exclusion des femmes des promotions et de la formation continue (Cohen et al., 2021).
Solutions proposées	Régulation des algorithmes et audits sur les biais	Transparence et contrôle des décisions automatisées (OECD, 2022).
Risques	Exclusion des femmes des métiers numériques en raison du manque de formation	Accentuation des écarts de compétences (IMF, 2023).

Source : Etablir par Auteur

Les biais algorithmiques constituent une problématique d'envergure mondiale, mais leur répercussion en Afrique est amplifiée par l'absence de régulations adéquates ainsi que par la faible représentation des femmes dans le secteur technologique.

2.3.ACCES AUX COMPETENCES NUMERIQUES ET INCLUSION DES FEMMES :

Facteurs	Ton étude (Afrique)	Études internationales
Taux de femmes dans les formations STEM	~30 % en Afrique	40 % en Europe, 45 % en Amérique du Nord (World Economic Forum, 2023)
Barrières à l'éducation numérique	Coût élevé, normes sociales, manque d'infrastructures	Manque de modèles féminins dans la Tech (Smith et Anderson, 2019)
Initiatives pour combler l'écart	She Codes Africa, Tech Women	Women in Tech (initiative européenne)

Source : Etablir Par Auteur

En Afrique, l'étude rappelle un problème de structure de l'accès aux formations numériques, en regard de l'économie et de la culture. On est plus en présence dans les pays développés d'une problématique du choix d'orientation professionnelle pour les femmes dans ces corps de métiers.

2.4.IMPACT DES POLITIQUES PUBLIQUES SUR L'INCLUSION NUMERIQUE :

Facteurs	Ton étude (Afrique)	Études internationales
Législation sur l'égalité des genres dans le numérique	Absente ou peu appliquée	Fortement développée dans l'UE (ex : quotas de genre dans les entreprises Tech)
Politiques favorisant l'accès des femmes à l'IA	Subventions limitées, programmes peu étendus	Incitations fiscales et financements pour les formations féminines (IMF, 2022)
Exemples concrets	Rwanda : quotas de genre en politique et dans la Tech	Canada : financement des startups dirigées par des femmes

Source : Etablir Par Auteur

En matière de politiques publiques pour l'inclusion des femmes dans l'IA, l'Afrique est en retard : seuls quelques pays comme le Rwanda ont pris récemment des mesures efficaces, alors que des pays occidentaux ont en parallèle mis en œuvre régulations et financements.

2.5.CONCLUSION :

Pourquoi cette structure est-elle un atout pour notre étude ? Meilleure lisibilité : Les tableaux rendent les comparaisons plus visibles et accessibles. Ancrage académique : La mise en perspective par rapport à d'autres études crédibilise notre analyse. Argumentation plus robuste En isolant les écarts constatés entre l'Afrique et le reste du monde, tu fais tout le malheur de ton étude spécifique. Proposition d'amélioration finale : Inclure des études de cas par pays (ex : initiatives au Kenya versus Maroc). Établir des scénarios à venir (ex : que se passe-t-il si l'IA se développe sans régulation en Afrique ?). Avec ces améliorations, notre travail est un document référentiel sur l'impact de l'IA sur les femmes en Afrique. Accès à Internet et participation des femmes au Marché du travail : Une étude de l'UNICEF en 2023 a révélé que dans les pays à faibles revenu, environ 90% des adolescentes et des jeunes femmes n'ont pas accès à Internet, tandis que leur homologues masculins ont deux fois plus de chances d'être connectés. Cette fracture numérique limite les opportunités des femmes en matière d'éducation et d'emploi.(https://www.unicef.fr/, 2023). Une autre étude, soutenue par l'Internet Society Fondation en 2024, a souligné que les femmes des zones mal

desservies font face à des obstacles tels que le manque d'infrastructures, le cout élevé des appareils et des forfaits de données, et des contraintes temporelles dues aux responsabilités temporelles dues aux responsabilités domestiques. Ces barrières entravent leur inclusion numérique et par conséquent, leur participation économique (https://www.isocfoundation.org/). Education des femmes et croissance économique : Selon une analyse de l'OCDE, l'augmentation du niveau d'éducation des femmes a contribué de manière significative à la croissance économique au cours des cinquante dernières années. Par exemple, près de la moitié de la croissance économique moyenne annuelle de 2,1% dans les pays OCDE entre 1960 et 2008 est attribuable à l'élévation du niveau d'éducation, dont la moitié est due à l'éducation des filles. (https://www.shs.cairn.info.org/ , 2010). Une étude du Fonds monétaire international (FMI) en 2018 a estimé que l'élimination des disparités entre les sexes pourrait entraîner une augmentation du PIB de 35% en moyenne pour la moitié inférieure des pays étudiés en termes d'inégalité entre les sexes. Cette croissance proviendrait principalement de l'augmentation de la population active féminine et des bénéfices de la diversité de genre sur la productivité. (https://www.imf.org/, 2018). Au Maroc, le taux de participation des femmes au marché du travail reste faible, s'établissant à 21,5% en 2019, contre 71% pour les hommes. Cette situation est influencée par des facteurs tels que les contraintes familiales, les normes sociales et les obstacles à l'éducation. Une étude conjointe de la Direction des Etudes et des Prévisions Financières (DEPF) et de l'ONU Femmes a révélé qu'une réduction complète de l'écart d'emploi entre les sexes pourrait entraîner une hausse du PIB par habitant de 39,5%. (https://www.lecourrierdelatlas.com) , 2020). Ces données illustrent l'importance de l'accès à Internet et de l'éducation dans la promotion de la participation des femmes au marché du travail et la stimulation de la croissance économique. Les politiques visant à améliorer ces aspects peuvent avoir des retombées significatives sur l'économie et le bien-être des femmes. Notre travail apporte une analyse quantitative approfondie sur l'impact de l'accès à Internet, du PIB et de l'éducation sur la participation des femmes au marché du travail, en se basant sur un modèle économétrique avec des données de panel. Comparé aux études internationales, voici comment il se positionne : Points d'avancement par rapport aux autres travaux : Approche économétrique rigoureuse : Nous utilisons des modèles économétriques

avancés : régression avec effets fixes (FE), effets aléatoires (RE), et modèles instrumentaux (2SLS). Contrairement à certaines études qualitatives ou descriptives (ex : UNICEF, Internet Society Foundation), notre travail s'appuie sur des tests statistiques (VIF pour la multicolinéarité, Breusch-Pagan pour l'hétéroscédasticité) et sur des estimations robustes. Focus sur l'Afrique avec une approche comparative : La majorité des études mondiales se concentrent sur les pays développés (OCDE, FMI) ou sur une analyse générale des inégalités de genre. Notre analyse se focalise sur cinq pays africains (kenya, Maroc, Nigeria, Sénégal, Afrique du Sud), ce qui est rare et pertinent pour les politiques économiques locales. Base de données unique et mise en perspective temporelle : Les études comme celles du FMI utilisent souvent des moyennes statistiques. Notre travail est basé sur une analyse de panel (2013-2023), permettant d'observer l'évolution des tendances et d'expliquer les variations intra-pays.

2.6.LIMITATION ET PISTES D'AMÉLIORATION :

Prise en compte des facteurs culturels et institutionnels : Relies les résultats uniquement à des facteurs économiques, mais d'autres éléments (lois sur le travail des femmes, normes culturelles, politiques de soutien) pourraient être inclus via des variables qualitatives ou des effets fixes pays. Vérification de la causalité : L'analyse en 2SLS (modèle instrumental) est un bon point, mais le choix de l'instrument (PIB pour expliquer Internet) peut être discutable. D'autres instruments comme la densité des infrastructures numériques ou des chocs exogènes pourraient renforcer la robustesse des résultats. Comparaison avec d'autres régions : Une extension du modèle en comparant l'Afrique avec l'Asie du sud ou l'Amérique latine apporterait une dimension plus globale à notre travail.

IV. Conclusion :

Mon travail met en évidence une avancée méthodologique Majeur par rapport aux approches descriptives classiques, grâce à l'utilisation d'une approche économétrique rigoureuse fondée sur des données de panel, une focalisation sur les pays africains dans une perspective comparative, ainsi que le recours à des modèles à effets fixes et à des estimations en variables instrumentales permettant de corriger les biais d'endogénéité. Cette stratégie empirique place l'étude au niveau de meilleures analyses quantitatives existantes, tout en

laissant apparaitre des marges d'amélioration importantes. En particulier, l'analyse gagnerait à être enrichie par l'intégration de facteurs sociaux, culturels, politiques et institutionnels, qui jouent un rôle déterminant dans la participation des femmes au Marche du travail au-delà des seules variables économiques telles que le PIB, l'éducation et l'accès à l'internet. Les normes de genre et le rôles familiaux, notamment la charge disproportionnée du travail domestique non rémunéré et la fécondité, limitent fortement l'offre de travail féminine, comme le montrent les données de la Banque mondiale indiquant que les femmes africaines consacrent en moyenne 4,5 heures par jour aux tâches domestiques contre 1,5 heure pour les hommes, ou encore le cas du Maroc où le taux d'activité des femmes célibataires (46%)est deux fois supérieurs à celui des femmes mariées (23%). De même, les contraintes liées à la sécurité et aux violences basées sur le genre réduisent la mobilité et l'accès à l'emploi, tandis que l'amélioration de la sécurité peut accroître significativement la participation féminine, comme l'illustre l'augmentation de 10% observée dans certains pays selon l'OCDE. Par ailleurs, les facteurs politiques et institutionnelles, tels que les restrictions légales à l'emploi féminin, l'absence de lois sur l'égalité salariale ou le cadre réglementaire mesuré par l'indice Women, Busines and the Law, conditionnent fortement l'insertion des femmes sur le Marche du travail à l'entrepreneuriat féminin, comme le montre le cas du Maroc où environ 65% des femmes ne disposent pas de compte bancaire, tandis que les politiques d'égalité et les quotas de genre, à l'image du Rwanda où les femmes représentent 61% des parlementaires, favorisent l'adoption de politiques pro-femmes et une hausse de l'emploi féminin. En définitive, bien que le travail présente une contribution empirique solide et innovante, son approfondissement par l'utilisation d'instruments alternatifs pour l'accès à l'internet et l'extension de l'analyse à d'autres régions permettraient de renforcer la portée explicative et la généralisation des résultats. L'intelligence artificielle (IA) apparaît comme un facteur émergent pouvant influencer l'emploi féminin, à la fois en créant de nouvelles opportunités professionnelles et en introduisant des risques de déséquilibre si les femmes n'accèdent pas aux compétences numériques at aux formations adaptées. En définitive, bien que le travail présente une contribution empirique solide et innovante, son approfondissement par l'intégration des dimensions sociales, culturelles et institutionnelles, La prise en compte de l'impact de l'IA constitue désormais

un facteur analytique incontournable dans l'étude de l'emploi féminin. L'IA influence les dynamiques du Marché du travail à travers deux canaux principaux : la création de nouvelles opportunités professionnelles et la transformation des compétences requises, ce qui peut accroître l'employabilité des femmes si elles bénéficient d'un accès adéquat aux formations numériques et aux technologies émergentes. Toutefois, l'introduction de l'IA comporte également des risques de polarisation et d'exclusion, en particulier pour les femmes qui rencontrent des obstacles structurels à l'acquisition de compétences technologiques avancées. Dès lors, l'intégration de l'IA dans les modèles économétriques et les analyses empiriques doit être accompagnée d'une prise en compte systématiques des inégalités d'accès aux technologies, des politiques de formation professionnelle ciblées et des mesures institutionnelles favorisant l'inclusion numérique. Cette approche permet non seulement de mieux évaluer l'effet causal de l'IA sur la participation des femmes au Marche du travail, mais également d'identifier les leviers politiques susceptibles de maximiser ses bénéfices tout en minimisant ses effets défavorables.

V. Liste Bibliographies:

1. Livres:

2. Brynjolfsson, E. & McAfee, A. (2014), *The Second Machine Age: Work, Progress, and Prosperity in a Time of Brilliant Technologies*, W.W. Norton & Company, États-Unis, p.95, p.97, p.102.
3. O'Neil, C. (2016), *Weapons of Math Destruction: How Big Data Increases Inequality and Threatens Democracy*, Crown Publishing Group, États-Unis, p.160, p.161, p.162.
4. Russell, S. & Norvig, P. (2020), *Artificial Intelligence: A Modern Approach*, 4e édition, Pearson Education, États-Unis, p.14.

2. Articles scientifiques / rapports:

4. Cohen, P. N., et al. (2018), *The Gender Division of Labor: Progress or Stalemate?*, p.45.
5. Choi, J., et al. (2021), *Women and Automation in the Global Economy*, p.90.

6. Smith, A. & Anderson, J. (2019), *AI, Automation, and the Economy*, p.112.
7. World Bank (2020), *The Future of Work in Africa*, Washington D.C., p.45.
8. UN Women (2021), *Women in Agriculture: The Role of Digital Tools*, New York, p.12.
9. World Economic Forum (2018), *The Future of Jobs Report*, Genève, p.34.
10. World Economic Forum (2023), *Global Gender Gap Report*, Genève.
11. UNESCO (2023), *Artificial Intelligence and Gender Equality*, Paris.

3. Sites Internet:

12. World Bank (2024), *Banque mondiale – site officiel*, https://www.banquemondiale.org/ext/fr/home (consulté le 15/03/2025).
13. UN Women (2024), *Where we are – Africa*, https://www.unwomen.org/fr/where-we-are/africa (consulté le 15/03/2025).
14. International Telecommunication Union (2024), *Official Website*, https://www.itu.int/en/Pages/default.aspx (consulté le 15/03/2025).
15. McKinsey Global Institute (2024), *Research and Reports*, https://www.mckinsey.com/mgi/overview (consulté le 15/03/2025).
16. Federal Reserve (2024), *Working Paper Series*, https://www.federalreserve.gov/econres/feds/files/2024092pap.pdf (consulté le 15/03/2025).
17. OECD (2024), *OECD Economic Outlook*, https://www.oecd.org/en/publications/oecd-economic-outlook-volume-2024-issue-2_d8814e8b-en.html (consulté le 15/03/2025).
18. Cairn.info (2014), *Études économiques de l'OCDE*, https://shs.cairn.info/revue-etudes-economiques-de-l-ocde-2014-17-page-107 (consulté le 15/03/2025).
19. Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique (2024), *Rapport Genre*, https://www.csefrs.ma/wp-content/uploads/2024/09/Rapport-Genre-FR-ISBN-V2.pdf (consulté le 15/03/2025).

20. UNICEF (2024), *Site officiel*, https://www.unicef.fr (consulté le 15/03/2025).
21. Internet Society Foundation (2024), https://www.isocfoundation.org (consulté le 15/03/2025).
22. International Monetary Fund (2024), https://www.imf.org (consulté le 15/03/2025).
23. Le Courrier de l'Atlas (2024), https://www.lecourrierdelatlas.com (consulté le 15/03/2025).

VI. Annexes:

ANNEXE N° 1

Statistiques Descriptives et Analyse Préliminaire

```
xtsum Labor Individuals GDP School

Variable         |      Mean   Std. Dev.       Min        Max |    Observations
-----------------+--------------------------------------------+----------------
Labor     overall |  25.69818   9.600165      12.52      44.92 |     N =       55
          between |             10.45023   14.79182   42.68091 |     n =        5
          within  |             1.783114   21.78455   31.26455 |     T =       11
                  |                                          |
Indivi~s overall |  34.84036   22.83882       7.98      87.09 |     N =       55
          between |             22.98912      18.12      67.59 |     n =        5
          within  |             9.538465   15.02036   54.34036 |     T =       11
                  |                                          |
GDP       overall |  3063.922   1872.357    1218.01    7331.65 |     N =       55
          between |             2039.173   1439.515   6453.453 |     n =        5
          within  |             342.8369   2191.069   3942.119 |     T =       11
                  |                                          |
School    overall |  33.62391   20.21693      14.82      79.22 |     N =       55
          between |             19.06336   17.59364   55.24636 |     n =        5
          within  |             10.61184  -2.207455   57.60255 |     T =       11
```

Source: Etablir par Auteur

ANNEXE N° 2

Corrélation entre les variables

```
corr Labor Individuals GDP School
(obs=55)

             |     Labor Indivi~s       GDP    School
-------------+------------------------------------
       Labor |    1.0000
 Individuals |   -0.5150    1.0000
         GDP |   -0.1554    0.6039    1.0000
      School |    0.2483    0.2248   -0.2386    1.0000
```

Source: Etablir Par Auteur sur STATA

ANNEXE N° 3

Source	SS	df	MS	Number of obs	=	55
				F(3, 51)	=	24.29
Model	2927.50405	3	975.834683	Prob > F	=	0.0000
Residual	2049.30697	51	40.1824896	R-squared	=	0.5882
				Adj R-squared	=	0.5640
Total	4976.81102	54	92.163167	Root MSE	=	6.339

Labor	Coef.	Std. Err.	t	P>|t|	[95% Conf.	Interval]
Individuals	-.4312447	.0539026	-8.00	0.000	-.5394588	-.3230307
GDP	.0031448	.0006597	4.77	0.000	.0018203	.0044692
School	.2969126	.0499792	5.94	0.000	.1965753	.39725
_cons	21.10273	2.48171	8.50	0.000	16.12049	26.08497

ANNEXE N°4:

Source : Etablir Par Auteur Sur Stata

```
Breusch-Pagan / Cook-Weisberg test for heteroskedasticity
         Ho: Constant variance
         Variables: fitted values of Labor

         chi2(1)      =     0.14
         Prob > chi2  =   0.7090
vif

    Variable |       VIF       1/VIF
-------------+----------------------
         GDP |      2.05    0.487698
 Individuals |      2.04    0.490993
      School |      1.37    0.728844
-------------+----------------------
    Mean VIF |      1.82
```

Source : Etablir Par Auteur Sur Stata

ANNEXE N°5 :

```
Fixed-effects (within) regression               Number of obs      =         55
Group variable: id                              Number of groups   =          5

R-sq:                                           Obs per group:
     within  = 0.4211                                         min =         11
     between = 0.1967                                         avg =       11.0
     overall = 0.2037                                         max =         11

                                                F(3,4)             =       5.05
corr(u_i, Xb)  = 0.0917                         Prob > F           =     0.0759

                                    (Std. Err. adjusted for 5 clusters in id)
------------------------------------------------------------------------------
             |               Robust
       Labor |      Coef.   Std. Err.      t    P>|t|     [95% Conf. Interval]
-------------+----------------------------------------------------------------
 Individuals |  -.1184605   .0307868    -3.85   0.018    -.2039385   -.0329826
         GDP |   -.000641   .0005963    -1.08   0.343    -.0022966    .0010145
      School |   .0048161   .0075232     0.64   0.557    -.0160717    .0257039
       _cons |   31.62756   2.277507    13.89   0.000     25.30418    37.95093
-------------+----------------------------------------------------------------
     sigma_u |  9.4103904
     sigma_e |  1.4541726
         rho |  .97667788   (fraction of variance due to u_i)
------------------------------------------------------------------------------
ivregress 2sls Labor (Individuals = GDP) School, robust

Instrumental variables (2SLS) regression          Number of obs   =         55
                                                  Wald chi2(2)    =       5.24
                                                  Prob > chi2     =     0.0730
                                                  R-squared       =     0.2083
                                                  Root MSE        =     8.4641

------------------------------------------------------------------------------
```

Source : Etablir Par Auteur Sur Stata

ANNEXE N°6 :

```
Instrumental variables (2SLS) regression          Number of obs   =         55
                                                  Wald chi2(2)    =       5.24
                                                  Prob > chi2     =     0.0730
                                                  R-squared       =     0.2083
                                                  Root MSE        =     8.4641

------------------------------------------------------------------------------
             |               Robust
       Labor |      Coef.   Std. Err.      z    P>|z|     [95% Conf. Interval]
-------------+----------------------------------------------------------------
 Individuals |  -.0614769   .0516946    -1.19   0.234    -.1627964    .0398426
      School |   .1335038   .0657523     2.03   0.042     .0046317    .2623758
       _cons |   23.35047   2.525099     9.25   0.000     18.40137    28.29958
------------------------------------------------------------------------------
Instrumented:  Individuals
Instruments:   School GDP
```

ANNEXE N°7 :

Source : Etablir Par Auteur Sur Stata

```
First-stage regress... ------, ----------
------------------------------------------------------------------------------
             |           Adjusted      Partial      Robust
    Variable |   R-sq.      R-sq.        R-sq.      F(1,52)    Prob > F
-------------+----------------------------------------------------------------
 Individuals |  0.5090      0.4901       0.4829      61.8513     0.0000
------------------------------------------------------------------------------
```

Source : Etablir Par Auteur Sur Stata

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Legal Liability and its Philosophical Foundations

M.M. Alaa El-Din Ibrahim Khalaf
Ministry of Education/Karbala Education Directorate/Assistant Legal Administrator
altmymylaaldynO@ gmail .com

Abstract

This research addresses the issue of the criminal liability of legal persons, as the tremendous development in economic and social life has led to the expansion of the role played by these entities in society. The scope of liability is no longer limited to natural persons, but rather this scope has expanded. A crime that threatens the entity of society remains a crime regardless of the identity of its perpetrator. In addition, it examines their criminal liability for the actions issued by them, the scope of this liability, and the appropriate penalties that are consistent with the nature of these entities. This research concludes that the adoption of the principle of the criminal liability of legal persons has become an urgent legislative necessity to achieve criminal justice in society

Keywords: Legal entity, criminal liability, philosophy of punishment

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين وفلسفتها من المنظور القانوني

م.م. علاء الدين إبراهيم خلف
وزارة التربية/مديرية تربية كربلاء / مستشار قانوني مساعد
altmymylaaldynO@ gmail .com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث قضية المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين ،حيث ادى التطور الهائل في الحياة الاقتصادي والاجتماعية الى توسع الدور الذي تؤديه هذه الكيانات في المجتمع، فلم يعد نطاق المسؤولية يقتصر على الأشخاص الطبيعيين وانما تعد ذلك النطاق واخذ بالاتساع فالجريمة التي تهدد كيان المجتمع تبقى جريمة بغض النظر عن شخصية مرتكبها، إضافة الى بحث مسؤوليته الجنائية عن الاعمال الصادرة منه ومدار هذه المسؤولية والعقوبات الملائمة التي تتماشى مع طبيعة هذه الكيانات ويخلص هذا البحث الى ان اقرار مبدأ المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين قد اصبح ضرورة تشريعية ملحة لتحقيق العدالة الجنائية في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الشخص المعنوي، المسؤولية الجنائية، فلسفة العقوبة

المقدمة:

تُعد المسؤولية الجنائية ركيزة اساسية من مرتكزات القانون الجنائي ,فلا يتصور دراسة القانون الجنائي دون الخوض في اهم مواضيعها الا وهو المسؤولية الجنائية, فالقوانين الجنائية شئنها شأن اغلب القوانين الاخرى لم توضع الا لحماية المجتمع وتحقيق العدالة فيه وتنظيم امور افراده, والعقوبة بغض النظر عن اهدافها سواء اكانت رادعة ام مقومه لشخص مرتكبها تأتي لهدف اسمى الا وهو حماية المجتمع والحفاظ على كيانه متماسكاً قوياً ,ومتى ما تحققت اركان المسؤولية نهض معها مبدأ التجريم والعقاب ,وقد شهد العالم تطورات سريعة ونقلات نوعية في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية وظهرت لنا كيانات اطلق عليها تسامحا شخصيات اعتبارية او معنوية او قانونية كالشركات والمؤسسات والجمعيات ,وهذه الكيانات

تؤدي دورا فعالا في المجتمع واصـــبحت اهلا لاكتســـاب الحقوق والالتزام بواجباتها, فلم يعد النشـــاط الاقتصادي والاجتماعي يقتصر على الافراد وحدهم بل ظهرت هذه الكيانات بقوة واخذت تمارس انشطة عديدة وتســـهم في تحقيق التنمية وتلبية حاجات المجتمع, وحيث ان هذه الكيانات تعمل جنبا الى جنب مع الشـــخص الطبيعي رغم اختلاف فترة حياتهما الطبيعية وهي على تماس مباشـــر معه فلا يتصـــور انها بمنأى عن ارتكاب افعال يجرمها القانون وقيامها بخرق بعض القواعد القانونية ,ومن هنا وتحقيقا لمبدأ عدم الافلات من المسـائلة القانونية وتعزيزا لحماية المجتمع من الجريمة تنهض مسـؤولية الشـخص المعنوي وتتطور الفكرة التقليدية للمسـؤولية الجنائية التي كانت تقتصـر على الشـخصـية الطبيعية حيث ظهرت محاولات للتوفيق بين متطلبات حماية المجتمع وتحقيق الردع من جهة وضـــمان احترام المبادئ القانونية من جهة ثانية ,وترجم ذلك بأن اصبحت جميع الشخصيات الطبيعية او الاعتبارية خاضعة لقوة القانون.

اولا: اهمية البحث

نظراً لاتساع دور الشخصيات المعنوية وتشعب مجالات عملها في المجتمع فقد اصبحت تمارس انشطة قد تؤدي الى ارتكاب افعال مجرمة مما يسـتوجب ضـرورة مسـائلتها قانونا عما يصـدر منها من افعال ,وتبرز اهمية هذا الموضـوع كونه يُسَـلط الضـوء على الاسـس القانونية والفلسـفية التي تقوم عليه المسـؤولية الجنائية للشخص المعنوي والعقوبات التي يمكن ايقاعها على هذه الشخصيات الاعتبارية, ومدى فعاليتها في تحقيق الردع العام.

ثانيا : مشكلة البحث

ان محور الجريمة والعقوبة يدور مع موضـــوع الارادة والادراك وهذان العنصـــران يفترض انهما متحققان في الشـخصـية السـوية للشـخص الطبيعي ,ولكن هذا الامر محل نظر في الشـخصـيات المعنوية ,فهل يمتلك الشخص المعنوي عنصر الارادة والادراك حتى يمكن ان نسائله جنائيا؟ وكيف يصح اسناد القصد الجرمي الى وجود اعتباري ليست لديه صفة شخصية ؟وما هو اساس تحقق هذه المسؤولية الجنائية ؟.

رابعا: فرضيات البحث

1- الفرضية الرئيسية

تنهض المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين عند توفر الأركان القانونية للجريمة كما هو حال في الشخص الطبيعي , مع مراعاة اعتبارات خاصة في هذا الكيان القانوني.

2- الفرضيات الفرعية

أ- ان تعزيز مبدأ الردع بجانبيه العام والخاص يتطلب اقرار المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين حال قيامها.

ب- تتمايز العقوبات التي يمكن فرضها على الشخص المعنوي منها عن الشخص الطبيعي

ج- ان الشخص المعنوي هو في حقيقته كيان قانوني مستقل له ما يبرر وجوده في العالم الخارجي

خامسا :منهج البحث

انتهج الباحث في موضوع بحثه المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء بعض النصوص القانونية وتحليلها وبيان فلسفة ومفهوم المسؤولية الجنائية وطبيعة الشخصية المعنوية ونوع العقوبة التي يمكن فرضه بحقه.

خامسا: خطة البحث

يشتمل هذا البحث على مبحثان اضافة الى المقدمة والخاتمة تضمن كل مبحث مطلبان، حيث سنتناول في المبحث الاول التعريف بالمسؤولية الجنائية للشخص المعنوي وقسمناه الى مطلبين الاول مدلول المسؤولية الجنائية والشخصية المعنوية وانواعها والمطلب الثاني فلسفة نهوض هذه المسؤولية واساسها القانوني الذي قامت على اساسه ,أما المبحث الثاني فتناولنا فيه احكام المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين في مطلبين الاول كيفية تحقق هذه المسؤولية والمطلب الثاني اثار المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي ونختم البحث بأهم الاستنتاجات والمقترحات التي سنتوصل اليها ومن الله التوفيق .

1.المبحث الأول: التعريف بالمسؤولية الجنائية للشخص المعنوي

يُمثل هذا المبحث مدخلا مهما لفهم كيفية خضوع هذه الشخصيات الاعتبارية للمسائلة الجنائية عن الافعال المجرمة المرتكبة من قبلها سواء اكانت القيام بعمل او الامتناع عن عمل يوجبه القانون ,وسنتناول فيه توضيح لمدلول المسؤولية الجنائية ومدلول الشخص المعنوي والاساس الذي قامت عليه هذه المسؤولية تمهيدا للولوج في موضوع احكامها واثارها القانونية .

وسنبحث هذا المحث في مطلبيين:-

1-1 . المطلب الاول/مدلول الشخص المعنوي والمسؤولية الجنائية

ان تعريف الشـــيء مقدمة مهمه للوقوف على حقيقته وماهيته وفهم معناه وفي القدم قالوا (ان تعريف الواضـــحات من اشـــكل المشـــكلات)فكيف بتعريف من كان في طبيعته موضـــع اختلاف الباحثين المتخصصين ,وعليه سنتناول هذا المطلب في فرعين الفرع الاول مدلول الشخص المعنوي وانواعه وفي الفرع الثاني مدلول المسؤولية الجنائية.

1-1-1.الفرع الاول/ مدلول الشخص المعنوي وانواعه

اولا: مدلول الشخص المعنوي

تبلورت فكرة وجود الشـخص المعنوية وقانونية هذا الوجود بهدف تنظيم عمل هذه الكيانات ومنحها الحق في ان تكون اهلا لاكتساب الحقوق واداء الالتزامات, وقد اثار مفهوم الشخص المعنوي جدلا واسعاً لدى فقهـاء القـانون فحين انكر البعض هـذا الوجود تمـاماً ,ذهـب الاخرون الى الاختلاف في طبيعـة هـذه الشـخصـية من حيث كونها افتراض افترضـه القانون ام انها حقيقة قائمه بذاتها. فالشـخص المعنوي "كل كيان اعتد به القانون واثبت له شـــخصـــية اســـتقلالية تمكنه من مباشـــرة تصـــرفاته والاعتداد بها"(الأهواني,1974,ص92). كما عرفه البعض بالقول " الشخص الاعتباري مجموعه من الأشخاص او الأموال يرمي الى تحقيق غرض معين, وتمنح الشـــخصـــيـة القـانونيـة بالقـدر اللازم ،لتحقيق هـذا الغرض"(سـعد,2010,ص199). ورغم اختلاف التسـميات التي تطلق على هذا الكيان سـواء اكانت الشـخص المعنوي او القانوني او الشـخص الاعتباري الا انها تصـب في معنى واحد وهو هذا الكيان الذي يمارسـه نشـاطه داخل المجتمع رغم اختلاف الغايات والغرض من ايجاده. والشـخص المعنوي ايضـا "كل مجموعه من الاشـخاص تستهدف غرضـا مشـتركا, او مجموعه من الاموال ترصـد لمدة زمنية محددة لتحقيق غرض معين, بحيث تكون هذه المجموعة من الاشخاص المكونين لهذه المجموعة ومستقلا عن العناصر المالية لها ,اي ان تكون لها اهلية قانونية لاكتســاب الحقوق والتحمل بالالتزامات بحيث تكون لهذه المجموعة من الاشـــخاص الاموال او الاموال مصـــلحة جماعية مشـــتركة مســـتقله عن المصـــالح الفردية لأفراد المجموعة"(عوابدي.2000,ص99).وتشترك جميع هذه التعريفات بكونها تؤكد ان الشخص المعنوي مولود لتحقيق غرض معين وهو اهل لاكتســـاب الحقوق واداء الالتزامات بحكم القانون, ومن خلال ما تقدم

يمكن ان نُعرف الشـــخص المعنوي بأنه(كيان اعتباري مســـتقل منحه القانون حمايته ويتمتع بإرادة قانونية تتمثل بإرادة اعضائه وممثليه ويسأل عن الافعال الغير المشروعة متى ما ارتكبت بأسمه او لمصلحته) .

ثانيا: انواع الشخصيات المعنوية

تمثل معرفة انواع الشـــخصـــيات المعنوية اهمية كبيرة كونها تؤثر في تحديد نطاق مســـؤوليتها وطبيعة الرقابة المفروضـــة عليها الامر الذي يســـهم في تحقيق التوازن بين المصـــلحة العامة والمصـــالح الخاصـــة , وتقســـم الشخصية المعنوية الى قسمين هما الشخصية المعنوية العامة والشخصية المعنوية الخاصة ,ولقد طرحت عدة معايير للتميز بين الأشـخاص المعنوية العامة والخاصـة منها معيار الغرض او الهدف من انشـاء الشـخص المعنوي, ومعيار طبيعة النشاط او معيار المبادرة في انشاء الشخص المعنوي ,ومعيار اسلوب السلطة العامة, ومعيار نية المشـــرع او النظام القانوني ,فاذا كانت الكلمة الأخيرة للدولة فالشـــخص المعنوي يعد من الاشـخاص المعنوية العامة وبخلافه يكون الشـخص المعنوي خاصـاً, ومعيار طريفة الانضـمام ولا تخلو هذه المعايير من عيوب وانتقادات لعدم وجود معيار محدد ودقيق للتفرقة بين الاشـــخاص المعنوية العامة والخاصـة(عبد الرحمن وسعود,2024,ص52). وذهب البعض بالقول الى ان المعيار الاكثر قبولا في تميز الشخص المعنوي العام عن الخاص يقوم على اساس طبيعة الحق التي تتمتع بها هذه الشخصية ,فإذا كانت هذه الحقوق حقوق سلطة عامة كان الشخص شخصا معنويا عاما والا فهو شخص معنوي خاص(كامل, 1947.ص15-16). وأيا كان المعيار المتبع في تميز الشـــخص المعنوي العام عن الخاص فأن الطبيعة القانونية لهذا الكيان تبقى قائمة سواء اكان شخص معنوي عام ام خاص ولقد اشار القانون المدني العراقي رقم 40 لسـنة 1951 المعدل ضـمنا الى كلا النوعين من اقسـام الشـخص المعنوي واعني بها الشـخص المعنوي العام والشخص المعنوي الخاص من خلال ذكر انواع لهذه الشخصيات المعنوية والتي جاء بها على ســـبيل المثال حيث نصـــت المادة (47) على (الاشـــخاص المعنوية هي:- أ- الدولة. ب- الادارات والمنشآت العامة التي يمنحها القانون شخصية معنوية مستقلة عن شخصية الدولة بالشروط التي يحددها. ج- الالوية والبلديات والقرى التي يمنحها القانون شخصية معنوية بالشروط التي يحددها. هـــ- الاوقاف. و- الشـركات التجارية والمدنية الا ما اسـتثنى منها بنص في القانون. الجمعيات المؤسـسـة وفقا للأحكام المقررة في القانون. ح- كل مجموعة من الاشخاص او الاموال يمنحها القانون شخصية معنوية.).

2-1-1. الفرع الثاني: مدلول المسؤولية الجنائية

مَر مفهوم المسؤولية الجنائية بسلسلة من التغيرات التاريخي والقانونية حتى وصل الى ما هو عليه الأن ,فالمسؤولية هي وليدة وجود الأنسان على سطح هذه البسيطة, وقد جاء هذا المفهوم ليكون صمام امان لحماية المجتمع من اي انحراف او خلل قد يصيبه نتيجة بعض الممارسات الخاطئة , وقد تعددت التعريفات للمسؤولية الجنائية فهي "تحميل الأنسان نتيجة سلوكه الضار بالمجتمع بإنزال عقاب يتناسب مع هذا السلوك"(الموسوي, دون سنة طبع,ص73). فالفعل المجرم هو في حقيقته فعل غير مشروع يستوجب المسائلة القانونية بهدف حماية المجتمع والحفاظ على كيانه متماسكا ,وهي تعني ايضاً "ثبوت الجريمة ضد الشخص الذي ارتكب فعلا غير مشروع يصبح بمقتضاه مستحقاً للعقوبة التي اقرها القانون"(منصور.1994,ص384) . فالمدار هو ارتكاب فعل غير مشروع بحكم القانون يستوجب المسائلة الجنائية وايقاع العقوبة المناسبة , والمسؤولية الجنائية كذلك هي "رد الفعل الاجتماعي على المخالفات التي تنتهك حرمة العلاقات الاجتماعية والجاني بمقتضى هذه المسؤولية يتحمل الجزاء الذي ترتبه القواعد القانونية كأثر لفعل يرتكبه هذا الاخير على الخروج على الاحكام "(سرور,1996,ص480). وهي بهذا المعنى تحمل في جنبيها المفهوم المجرد للمسؤولية الجنائية ومفهومها الواقعي القائم بذاته, حيث ان الخلاف الفقهي بخصوص قانونية مسالة الشخص المعنوي جنائيا قد افرز اراء متعددة بهذا الخصوص, فالمسؤولية الجنائية تستلزم الارادة لدى من يُسأل والشخص الاعتباري لا ارادة له وما يقع من الجرائم انما يرجع لإرادة ممثليه والقائمين بالأمر فيه على ان في الفقه الحديث اتجاها يرى ضرورة تقرير المسؤولية الجنائية للأشخاص الاعتبارية لانتشار هذه الاشخاص واتساع اعمالها ونشاطها وبالتالي عظم خطرها الامر الذي يتطلب ذلك(خلف والشاوي, دون سنة طبع,329). وسنتطرق الى هذه الآراء بشكل اوسع في المطالب القادمة, ومن خلال ما تقدم يمكن ان نُعرف المسؤولية الجنائية بأنها(خضوع الشخص للمسألة القانونية نتيجة سلوكه الغير مشروع متى ما صدر هذا السلوك عن ارادة ووعي وغايتها حماية المجتمع والحيلولة دون الاخلال بالنظام العام) .

2-1. المطلب الثاني : فلسفة المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين

نتيجة الدور الرائد والكبير الذي تلعبه الشخصيات المعنوية من شركات ومؤسسات وشخصيات اعتبارية اخرى في الحياة الاجتماعية ,ونتيجة للتطورات الاقتصادية الهائلة اثار موضوع المسؤولية الجنائية للأشخاص

المعنويين جدلا واسعا لدى فقهاء القانون غير ان فلسفة هذه المسؤولية ليست حكرا على القواعد القانونية بل ان قواعد العدالة تقتضي ذلك وسنتناول المطلب في فرعيين الاول الاتجاهات الرافضة والمؤيدة لقيام مسؤولية الشخص المعنوي والفرع الثاني الاساس الفلسفي لهذه المسؤولية.

1-2-1. الفرع الأول: الاتجاه الرافضة والمؤيدة للمسؤولية الجنائية للشخص المعنوي

لا شك ان مسائلة الاشخاص المعنوية عن الاضرار المالية التي يسببها للغير امر قد اقرته القوانين المدنية ويتم جبر ما سببه من ضرر من ذمته المالية ,الا ان امكانية مساءلة الشخص المعنوي جنائيا هو ما جعل الفقه الجنائي ينقسم بهذا الخصوص الى اتجاهيين رئيسين هما:-

اولا: الاتجاه الرافض للمسؤولية الجنائية للشخص المعنوي

لعل المرتكز الرئيسي الذي يرتكز عليه اصحاب هذا الري هو المبادئ التقليدية للقانون الجنائي وعلى رأسها مبدأ شخصية العقوبة وضرورة توفر الارادة والتميز لكي تنهض هذه المسؤولية ,وان منح الشخصية القانونية المعنوية على وفق هذا الاتجاه مجرد حيلة قانونية لذلك يرفض اصحاب هذا الاتجاه منح الأشخاص المعنوية الشخصية القانونية ثم يقدمون بدائل لكي تحل محل تلك الشخصية: ذلك ان الشخص الطبيعي (الانسان) وحده على وفق هذا الاتجاه يمكنه التمتع بالشخصية القانونية (عبد الرحمن وسعود,2024,ص25). وقد ظهرت العديد من النظريات التي تبنت هذا الرأي لامجال للخوض فيها وتصدى عدد من الفقهاء للرد عليها.

ثانيا: الاتجاه المؤيد للمسؤولية الجنائية

ان اقرار المسؤولية الجنائية لمرتكب الفعل الجرمي أيا كانت تسميته يحقق الردع العام والخاص ,فالشخص المعنوي ليس مجرد خيالا بل هو حقيقية له وجوده ويملك ذمة مالية فله حقوق وعليه الالتزامات وله ارادة مستقله عن ارادة اعضائه وان القول بان العقوبة شخصية ويجب ان لا يتجاوز اثرها الجاني نفسه يرد عليه بأنه ما من عقوبة تفرض على شخص الطبيعي الا ويمتد اثرها لغيره كزوجته واقاربه كما ان القول بعدم امكانية تطبيق العقوبات على الشخص المعنوي لانها لا تتلاءم وطبيعته فهي الاخرى واهية فقد قيل في الرد عليها انه اذا كانت العقوبات المقررة في التشريع الجنائي هي بطبيعتها مما يصدر ضد الشخص الطبيعي فان هناك من العقوبات ما يمكن توقيعه على الاشخاص المعنوية(الموسوي, دون سنة طبع, ص 80-81). وقد ذهب بعض المدافعين عن مساءلة الشخص المعنوي جنائيا الى القول ,ان الشخص الاعتباري

يصح ان يكون جانبا من جريمة ولكنه ليس اهلا لتوقيع العقوبة عليه لأنها لن تحقق الغرض منها ومن اجل ذلك يتعين الاكتفاء باتخاذ التدابير الواقية ضده وهذا ما اقره المؤتمر الدولي لقانون العقوبات في اجتماعه في بوخارست 1922(الشاوي, دون سنة طبع, ص330). ويمكن القول ان بين هذين الاتجاهين تطورت فلسفة المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي متأثرة بضرورات الواقع العملي وبتطور مفهوم الجريمة في ظل التوسع التشريعي المتلاحق مما جعل تبني تلك المسؤولية اكثر قبولا في المجتمع وحتى لا تستخدم هذه الكيانات الاعتبارية ادوات لارتكاب الجريمة دون ان تصبح محلا للمسألة والعقاب .

1-2-2. الفرع الثاني : الاساس الفلسفي للمسؤولية الجنائية للشخص المعنوي

لعل الاساس الفلسفي الذي تقوم عليه المسؤولية الجنائية للشخص الطبيعي يستند في وجوده على قواعد العدالة التي تهدف الى حفظ الحقوق والانصاف, وسيادة القانون في المجتمع ولا يختلف الامر بالنسبة للشخص المعنوي والذي يُعد حقيقة اجتماعية واقتصادية اوجدتها الحاجة الملحة الناتجة عن التطور الهائل الذي شهده العالم بقطاعته المختلفة ,فبات هذا الكيان يتدخل في كافة المجالات ويؤثر ويتأثر بما يفرزه المجتمع من علاقات طبيعية نتيجة تلك التعاملات التي يمارسها الشخص المعنوي من خلال وكلائه وادواته الاخرى ,وهذه الحقيقة الاجتماعية والاقتصادية التي يطلق عليها مجازا الشخصيات الاعتبارية ليست بمنأى عن ارتكاب افعال يجرمها القانون سواء اكانت مقصودة في ذاتها ام حصلت نتيجة افعال غير مقصودة ,وان فكرة العدالة والردع وحماية المجتمع من اخطار الجريمة تستوجب ان لا يفلت احد من المسائلة والعقاب أيا كانت صفته ,كما ان اغلب الفلاسفة وعلماء الاجتماع يُسلمون بإرادة الجماعة المستقلة والمتميزة عن الارادة الفردية واعتبرت الافعال الصادرة عن هذا الشخص الاعتباري المشروع منها وغير المشروع كأنه صادر عن هذا الشخص ذاته اذ ان المجادلة بعد اقرار حقيقته امر غير سائغ في العقل (محمد, 2016,ص1040-1041). ولم تكن الاديان السماوية التي انطلقت منها مبادئ العدالة بعيدة عن معرفة الشخصيات المعنوية وان اختلفت في اهليتها لان تكون مسؤولة جنائياً بنفسها او من خلال من يتولى مصالحها, فقد عرفت الشريعة من يوم وجودها الشخصيات المعنوية فأعتبر الفقهاء بيت المال جهة والوقف جهة اي شخصا معنويا وكذلك اعتبرت المدارس والملاجئ والمستشفيات وغيرها وجعلت هذه الجهات او الشخصيات المعنوية اهلا لتملك الحقوق والتصرف فيها(عودة,ج1,دون سنة نشر,ص393).

وتكون بهذا المعنى اهلا للمســـاءلة الجزائية كون الاخلال بالنظام العام او الحاق الضـــرر بالمجتمع والتعدي على الحقوق امر ترفضه مبادئ الشريعة الاسلامية وقواعد العدالة.

2. المبحث الثاني: احكام المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين

رغم الجدل الواسع الذي اثاره اقرار مبدأ المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين الا انه اصبح ضرورة ملحة افرزته طبيعة الاعمال التي يتولاها هذا الشـــخص المعنوي وتتجلى اهمية هذا الموضـــوع من خلال معرفة الاســـاس القانوني الذي تقوم عليه هذه المســـؤولية للشـــخص المعنوي وشـــروط نهوضـــها وطبيعة الجرائم والعقوبات التي يتم ايقاعها على تلك الشـخصـيات الاعتبارية ومدى ملائمتها لاهداف السـياسـة الجنائية الحديثة لحماية المجتمع وتحقيق الردع العام والخاص ,وســـنتناول هذا المبحث في مطلبين, المطب الأول نتحدث فيه عن تحقق المسؤولية الجائية للأشخاص المعنويين وفي المطلب الثاني نتناول اثار المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين.

2-1. المطلب الأول : تحقق المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين

تتحقق المســؤولية الجنائية للشــخص الطبيعي بمجرد توفر مجموعه من العناصــر القانونية وفي مقدمتها الركن المادي والمعنوي للجريمة والامر في الشــخص المعنوي يتطلب معرفة الاســاس القانوني الذي تقوم عليه هذه المسؤولية وشروط تحققها في الشخص المعنوي وهو ما سنتناوله تباعاً.

2-1-1. الفرع الأول: الأساس القانوني لتحقق المسؤولية الجنائية

ان مبدأ الشرعية الذي جاء بقاعدة (لا جريمة ولا عقوبة الا بنص) بهدف حماية الأفراد من التعسف والظلم الذي قد يلحق بهم يســتوجب في الوقت عينه عدم افلات مرتكب الفعل الإجرامي من المســألة القانونية, ورغم ان الانسان وحده هو محور واساس المساءلة الجنائية كونه يمتلك ارادة وادراك والتي هي اساس نهوض المسؤولية الجنائية ,الا ان مساءلة الشخص المعنوي جنائيا امر له ما يبرره في الفقه الجنائي, وان العلاقة بين الشـــخص المعنوي وممثليه ممن يعملون معه هي علاقة حقيقية حاول من خلاله البعض توضـــيح الاســـاس القانوني الذي نشأت منه المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي وقد ظهرت عدة نظريات فسرت طبيعة هذه المسؤولية منها:-

اولا:– نظرية الفاعل المعنوي

يمثل الفاعل المعنوي صورة من صور الإيحاء النفسي للغير بارتكاب الفعل المادي للجريمة, ففي الشخص الطبيعي يمثل مرتكب الفعل المادي للجريمة اداة لتنفيذ الجريمة ويمثل الفاعل المعنوي الفاعل الحقيقي للجريمة متى ما ارتكبت من قبل الفاعل المادي بحسن نية ,وتتجسد ارادة الشخص المعنوي من خلال ارادة ممثليه واعضائه , فالقانون قد يفرض على الشخص المعنوي الالتزام بواجبات محدده وبأن يراقب نشاط العاملين لديه والاشراف عليهم وتوفير كل الظروف التي تمنع من ان يؤدي هذا النشاط الى وقوع جريمة ,فاذا ارتكب الشخص الطبيعي العضو او الممثل الذي يعمل لحساب الشخص المعنوي جريمته فأنه يجب ان تسند هذه الجريمة لهذا الاخير باعتباره فاعلا (الشافعي, 2011 ,ص180). اذ عَدت هذه النظرية الشخص المعنوي فاعلا حقيقيا للجريمة والشخص الطبيعي اداة لتنفيذها.

ثانيا:– نظرية الاشتراك

حاول انصار هذه النظرية التوفيق بين الطبيعة غير المادية للشخص المعنوي وعناصر قيام المسؤولية الجنائية, حيث تنظر الى الشخص المعنوي كشريك في الجريمة التي ارتكبها احد اعضائه, ويبرر من يؤسس المسؤولية الجزائية للشخص المعنوي على نظرية الاشتراك ،ان الشخص المعنوي هو الذي يقوم بإدارة نشاطه ومراقبة العاملين معه, فاذا ارتكب احد هؤلاء جريمة من الجرائم, اعتبر الشخص المعنوي في هذه الحالة شريكا في هذه الجريمة اما بالإعانة او الاتفاق او المساعدة(موسى, دون سنة نشر,ص191).

وتجد هذه النظرية جذور لها من خلال النظرة التقليدية لعقوبة فمن خلال الاطلاع على قوانين العقوبات ومنها قانون العقوبات العراقي رقم 11 لسنة 1969 المعدل والذي ساوى في المادة 50 منه بين عقوبة الشريك والفاعل الاصلي للجريمة بل انها ذهبت الى معاقبة الشريك وعدم مساءلة الفاعل الاصلي في حالات محددة.

ثالثا: نظرية الانابة

يرى اصحاب هذه النظرية ان الانابة والتي تعني (حلول ارادة النائب في تصرف قانوني محل ارادة الاصيل مع انصراف اثر التصرف الى شخص الاصيل كما لو كانت صادرة منه(السنهوري,1958, ج5،ص162). هي عينها موجودة في العلاقة التي تربط الشخص المعنوي بممثليه واعضائه ورغم ما وجهه لهذه النظرية من نقد الا انها تبقى ,من بين الاسس الجوهرية التي تقوم عليها المسؤولية الجزائية للشخص المعنوي ,والتي

تصـــلح لتفســـير العلاقـة والرابطـة القـانونيـة الموجودة بين هـذا الاخير والشـــخص الطبيعي(الشـافعي,2011,ص195) وبعيدا عما ورد على هذه النظريات من نقد وما جاء به اصـحابها من حجج وبراهين يمكن القول ان الاســـاس القانوني لنهوض هذه المســـؤولية الجنائية وجود ارادة حرة ومســـتقلة تتجه نحو ارتكاب الجريمة تتمثل بإرادة الاشـــخاص الطبيعيين من ممثليه واعضـــائه وهذه الجريمة نسبت اليه وصدرت بأسمه او لحسابه .

2-1-2. الفرع الثاني: شروط تحقق المسؤولية الجنائية

لكي تتحقق المسـؤولية الجنائية للشـخص المعنوي لابد من توفر شـرطين اسـاسـين وهما ما سـتناولهما تباعا:

الشرط الأول: ارتكاب الجريمة من قبل اعضاء او ممثل الشخص المعنوي

لما كان الشخص المعنوي هو شخص اعتباري فأن تصرفاته تكون من خلال ممثليه واعضائه ,لذلك يكون مدار هذه المســـؤولية هو ارتكاب الفعل المكون للجريمة من قبل الشـــخص الطبيعي المنتمي لهذا الكيان الاعتباري ,وفي اطار تحديد الشـــخص الطبيعي الذي يمثل الشـــخص المعنوي نجد ان هناك اتجاهين في التشريع المقارن :- احدهما يشترط ان تكون الجريمة قد وقعت من طرف شخص طبيعي يمثل وظيفة هامه لدى الشـــخص المعنوي وهو ما نجده في التشـــريع الانجليزي ,اما الاتجاه الثاني فيكتفي لإمكان معاقبة الشـــخص المعنوي مجرد وقوع الجريمة من احد العاملين لديه دون تفرقة بين الموظف البســـيط والذي يقوم بدور رئيســـي في اعمال الشـــخص المعنوي والرقابة على ســـيرها كما الحال في التشـــريع الفرنســـي(كريمة و مسعودة,2020,ص34).

الشرط الثاني: ارتكاب الجريمة لحساب الشخص المعنوي

يُشـترط لتحقق المسـؤولية الجنائية للشـخص المعنوي ارتكاب تلك الجرمة من قبل ممثليه او اعضـائه بهدف تحقيق مصـلحة لهذا الكيان ,وهذا يعني ان الشـخص المعنوي لا يسـأل الا عن الجرائم التي ترتكب لحسـابه او لمصـــلحته وعلى الأخص التي تعود عليه بالفائدة بشـــكل مباشـــر وغير مباشـــر(عبد المنعم, 2000,ص634).,اي يكفي ان تكون الأفعال الاجرامية ارتكبت بهدف ضـمان تنظيم او حسـن سـر

اعمال الشـــخص المعنوي او تحقيق اغراضـــه حتى ولو لم يحصـــل هذا الشـــخص في النهاية على اية فائدة(كريمه,2020,ص35).ولو انتفى احد هذين الشرطين انتفت المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي.

2-2. المطلب الثاني: اثار المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي

يترتب على اقرار المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي مجموعه من الأثار القانونية المهمة ومنها طبيعة الجرائم التي يمكن ان يســـأل عنها هذا الكيان وطبيعة العقوبات التي يمكن ايقاعها عليه وبما يتلاءم مع طبيعته الحقيقية ,ومن خلال فهم اثار المســؤولية الجنائية للشــخص المعنوي يمكن لنا فهم مدى فعالية الســياســة الجنائية في مواجهة الجرائم المرتكبة من قبل هذه الكيانات الاعتبارية.

1-2-2. الفرع الأول :الجرائم التي يسأل عنها الشخص المعنوي

تمثل الجريمة مصـدر قلق يصـيب كيان المجتمع كونها تؤثر في امنه واسـتقراره ,وهذه الجرائم ترتكب من قبل اشـــخاص طبيعيين وقد ترتكب من قبل كيانات اعتبارية فيســـأل الشـــخص المعنوي عن الجرائم المرتبطة بنشـاطه ومنها الجرائم الاقتصـادية والمالية والجرائم الجنائية بصـورها المتعددة وعلى سـبيل المثال فقد تناول قانون العقوبات العراقي رقم (111) لسـنة 1969 المعدل المادة (80) منه مسـؤولية الشـخص المعنوي بالقول :"الاشـخاص المعنوية فيما عدا مصـالح الحكومة ودوائرها الرسمية وشـبه الرسمية مسـؤولة جرائيا عن الجرائم التي يرتكبها ممثلوه أو مديروها أو وكلاؤها لحسابها وباسمها ..." ، فالشخص المعنوي أهلا لارتكاب العديد الجرائم التي يمكن ان يسال عنها الشخص الطبيعي، ذلك إن الشخص المعنوي يرتكب جميع الجرائم بواسـطة الاشـخاص الطبيعيين المتمثلين في اجهزته أو ممثليه ، وإذا لم يكن الشـخص المعنوي فاعلاً اصـلياً فانه ممكن ان يكون شـــريكا في هذه الجرائم، ونظرا لخطورة هذا النوع من الجرائم على المجتمع وعاداته وعقيدته فإن الضـرورة والمصـلحة العامة تقتضـيان تجريم الشـخص المعنوي وعقابه عند ارتكابه لها وإذا كان هناك في وقت معين من يرى إن طائفة من الجرائم لا يسال عنها الشخص المعنوي لأنها ذات طبيعة خاصة مثل جريمة شـــهادة الزور او اليمين الكاذبة لان الشـــخص الطبيعي وحده هو الذي يمكن ان يرتكبها لان هذا الموقف قد تجاوزه الزمن واصبحت هذه الجرائم وغيرها من بين الجرائم التي يسال عنها الشخص المعنوي (الشافعي، 2011، ص 238) .

ولم يقتصـر مسـالة الشـخص المعنوي عن الجرائم على قانون العقوبات وحده وإنما تناولت قوانين خاصـة ذلك ومها قانون مكافحة غســـل الاموال وتمويل الارهاب رقم (39) لســـنة 2015 في المادة (46/أولا)

منه اذا نصت على أولاً :"مع عدم الاخلال بالمسؤولية الجزائية للشخص الطبيعي المنصوص عليها في هذا القانون يسال الشخص المعنوي عن الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون..." ، كما تناول قانون مكافحة الاتجار بالبشر رقم (28) لسنة 2012 في المادة التاسعة منه العقوبات التي يمكن ايقاعها على الشخص المعنوي متى ما ثبت ارتكابه لفعل يجرمه هذا القانون مما جعله اهلا لارتكاب جرائم مرتكبه من قبل الشخص الطبيعي ويسال عن ذلك مسالة الشخص الطبيعي, ومن خلال ما ذُكر يتبين ان تحديد الجرائم التي يسأل عنها الشخص المعنوي يتطلب معرفة نشاطه الذي يمارسه ووجود صله بين هذه الجريمة المرتكبة وبين هذا النشاط وهي بهذا تمتد الى كل سلوك يرتبط بسياسته او قرارته او اسلوب ادارته .

2-2-2. الفرع الثاني : العقوبات الجنائية التي يمكن فرضها على الشخص المعنوي

إن اقرار مبدأ المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي يستتبعه الحكم بعقوبات مقررة بحقه وعليه كان لزاما وجود ملائمه بين طبيعة هذا الكيان الاعتباري وطبيعة العقوبة المفروضة بحقه ومن خلال ملاحظة نص المادة (80) من قانون العقوبات العراقي رقم (111) لسنة 1969 المعدل والتي نصت على :"الاشخاص المعنوية فيما عدا مصالح الحكومة ودوائرها الرسمية وشبة الرسمية مسؤولة جزائيا عن الجرائم التي يرتكبها ممثلوها أو مديروها أو وكلاؤها لحسابها او باسمها ولا يجوز الحكم بغير الغرامة والمصادرة والتدابير الاحترازية المقررة للجريمة قانوناً فذا كان القانون يقرر للجريمة عقوبة اصلية غير الغرامة ابدلت بالغرامة ولا يمنع ذلك من معاقبه مرتكبي الجريمة شخصيًا بالعقوبات المقررة الجريمة" ، ويلاحظ إن هذا النص قد استثنى المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنوية مصالح الحكومة ودوائها لرسمية ومن وبالتالي اذا ارتكب احد عمالها بصفت هذه جريمة فلا تسال هذه المؤسسات اية مسؤولية جنائية وانما يتحل هو شخصيًا نتائجها على ان المسؤولية المدنية يمكن ان ترس عليها اذا قامت شروطها (الموسوي ، من دون سنة نشر ، ص 91) ، وكذلك اشارت المادة (122) من نفس القانون الى وقف الشخص المعنوي يستتبعه حظر ممارسته لاعماله التي خصص نشاطه لها ولو كان بإسم آخر أو إدارة أخرى وكذلك اشارت المادة (123) من نفس القانون الى امكانية وقف الشخص المعنوي عن العمل لمدة لا تقل عن ثلاثة اشهر ولا تزيد عن ثلاثة سنوات اذا وقعت جناية او جنحة من احد ممثليها أو وكلائه أو احد اعضائه.

وكذلك اشـارت المادة (46) من قانون مكافحة غسـل الاموال وتمويل الارهاب رقم (39) في الفقرة أولاً منه على امكانية معاقبة الشـخص المعنوي بعقوبة الغرامة والمصـادرة المقررة للجريمة وفقًا للقانون ، وكذلك اشـار قانون مكافحة الاتجار بالبشـر رقم (28) لسـنة 2012 في المادة(9) ثانيًا منه على امكانية حل الشـخص المعنوي أو ايقاف نشـاطاته بصـورة نهائية أو مؤقته أو غلق مقره اذا ثبت ارتكابه لاحد الافعال المنصوص عليها في هذا القانون.

ومن خلال ما تقدم يمكن تحديد العقوبات التي يمكن ايقاعها على الشـخص المعنوي بـــ (الغرامة و المصـادرة والتدابير الاحترازية) وكذلك عقوبة (حل الشـخص المعنوي) والتي تعني منعه من الاسـتمرار في ممارسة نشاطه وانهاء وجوده القانوني والواقعي فلا يستمر هذا النشاط حتى ولو كان تحت اسم اخر أو مع مديرين او اعضـاء مجلس ادارة او مسـيرين اخرين ويترتب على ذلك تصـفية امواله مع المحافظة على حقوق الغير حسن النية (الفقي،2019، ص 127) .

وكذلك يمكن ايقاع عقوبة ايقاف النشاط بصورة نهائية ومؤقتة بحق الشخص المعنوي والذي يمثل منعه من ممارسـة نشـاطه الى الابد في حالة الايقاف النهائي مع بقائه قائما من الناحية القانونية مالم يؤمر بحله اما الايقاف المؤقت فيمثل تعليق ممارسته لنشاطه لفتره محدودة من الزمن .

اما عقوبة غلق المقر فتتمثل في منع الشـخص المعنوي من مزاولة نشـاطه في المكان الذي ارتكبت فيه أو بسببه جريمة متعلقة بهذا النشاط(الفقي ، 2019، ص 135).

والحقيقة انه يمكن ايقاع عقوبات اخرى بحق الشـخص المعنوي لم يتبناها المشـرع العراقي تؤدي نفس الغرض الذي شرعت من اجله العقوبة وتكون اقل ضررا بالمصلحة العامة ومصلحة الافراد وقد تبنتها بعض التشريعات الاخرى ومنها اخضاع الشخص المعنوي للرقابة القضائية المتخصصة والزامه بإعادة هيكلة ادارته او تعليق بعض امتيازاته القانونية او فرض اصلاحات والتزامات بحقه .

الخاتمة: بعد نهاية مشوارنا البحثي توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات

أولاً– الاستنتاجات

1- تعتبر دراسـة المسـؤولية الجنائية للشـخص المعنوي من اهم المواضـيع في القانون الجنائي المعاصـر كونه يفتح الأبواب للبحث في المشـاكل التي تعترضـه وتطرأ عليه وتأثيرها على كيان المجتمع رغم وجود صعوبات تعترض ذلك.

2- ان اقرار مبدأ المسؤولية الجنائية للأشخاص المعنويين قد اصبح ضرورة تشريعية ملحة لتحقيق العدالة الجنائية في المجتمع.

3- ان المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي تتحقق رغم افتقاره للإرادة المادية واساس نهوض هذه المسؤولية هو إرادة ممثليه واعضائه.

4- قصور بعض العقوبات التقليدية من حيث إمكانية التطبيق على الشخص المعنوي مما دعي المشرع لاستحداثات وتطبيق عقوبات بديلة تتلاءم مع هذه الكيانات الاعتبارية.

5- ان المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي تقوم جنبا الى جنب مع مسؤولية الشخص الطبيعي من أعضائه وممثليه ووكلائه متى ما توافرت اركان وشروط تلك المسؤولية.

ثانيا- المقترحات

1-ضرورة افراد باب خاص بالعقوبات المقررة للشخص المعنوي في قانون العقوبات العراقي يتضمن العقوبات التي تتناسب مع طبيعته القانونية وجمعها ضمن قانون العقوبات ليكون مرجعا يسهل الرجوع اليه

2- وجود ضرورة ملحة لتبني عقوبات اخرى من قبل المشرع العراقي بحق الاشخاص المعنوية المعنوي تؤدي نفس الغرض الذي شرعت من اجله العقوبة وتكون اقل ضررا بالمصلحة العامة ومصلحة الافراد ومنها اخضاع الشخص المعنوي للرقابة القضائية المتخصصة والزامه بإعادة هيكلة ادارته او تعليق بعض امتيازاته القانونية او فرض اصلاحات والتزامات بحقه .

3- ضرورة تعزيز الدور الرقابي على الأشخاص المعنويين من خلال الجهات المختصة في متابعة أنشطة الأشخاص المعنوية ولاسيما الشركات والمؤسسات ذات النشاط المؤثر في الاقتصاد والامن المجتمعي.

4- توسيع نطاق الجرائم التي يُسأل عنها الشخص المعنوي ولاسيما الجرائم الاقتصادية، والبيئية وجرائم الفساد الإداري لما له من اثر على المصلحة العامة.

5- إعادة النظر في استثناء الدولة كشخص معنوي من نطاق العقوبة الجنائية في قانون العقوبات العراقي من خلال تبني تنظيم قانوني يحقق التوازن بين مبدأ سيادة الدولة وحماية المصلحة العامة من جهة وضمان عدم الإفلات من المسألة الجنائية من جهة أخرى على ان تقتصر المسألة على التدابير والعقوبات ذات الطابع الخاص المتناسبة مع طبيعة الدولة القانونية.

المراجع

اولا:- الكتب

1- احمد حمد الله احمد الموسوي،(بلا سنة طبع) المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي في قانون ضريبة الدخل، دار نيبور للطباعة والنشر، العراق.

2- احمد فتحي سرور ،(1996) الوسيط في قانون العقوبات،ط6 ،بلا دار طبع او بلد نشر.

3- حسام الدين كامل الأهواني ،1974 ,نظرية الحق، بلا دار نشر او بلد نشر.

4- سليمان عبد المنعم,2000 ،النظرية العامة لقانون العقوبات، دار الجامعة الجديدة ،الاسكندرية.

5- عبد الحليم فؤاد الفقي،2019 ،المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي عن الجرائم الاقتصادية، الطبعة الاولى ،مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة.

6- عبد الرزاق السنهوري،1958 ،مصادر الحق في الفقه الاسلامي مقارنا بالفقه الغربي،ج5،دار الفكر ،بيروت- لبنان.

7- عبد القادر عودة ،التشريع الجنائي الاسلامي(بلا سنة نشر) ،ج1،دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان.

8- علي حسين خلف و سلطان عبد القادر الشاوي،(دون سنة طبع)، العاتك, القاهرة .

9- عمار عوابدي ، 2000دروس في القانون الاداري ,معهد العلوم القضائية والادارية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

10- نبيل ابراهيم سعد,2010 المدخل الى القانون –نظرية الحق ،ط1 ،دار الحلبي ،دون بلد نشر.

11- محمود سلمان موسى،(بلا سنة نشر) المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي ، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتا ،الجماهيرية العربية الليبية.

12- مصطفى كامل، 1947،القانون الاداري والمبادئ العامة ،ط3 ،مطبعة المعارف ،بغداد

13- ياسين خضير عبد الرحمن و امل كاظم سعود، 2024، تعويض الشخص المعنوي عن الضرر الأدبي دراسة مقارنة ، المركز العربي للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، جمهورية مصر العربية.

ثانيا:- الرسائل والاطاريح الجامعية

1- احمد الشافعي،(2011)،الاعتراف بمبدأ المسؤولية الجزائية للشخص المعنوي في القانون الجزائري، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر

2- عادل حمزة شيبه منصور(1994) ،مسؤولية الاشخاص الاعتبارية التقصيرية في القانون الوضعي مقارنة بالشريعة الاسلامية ،اطروحة دكتوراه، حقوق القاهرة.

3- عبدي كريمة وشاوي مسعودة (2020), مسؤولية الشخص المعنوي عن جرائم الفساد, رسالة ماجستير ,جامعة زيان عاشور-الجلفة، الجزائر.

ثالثا:- المجلات والبحوث

1- ناجي محمد عبد السلام محمد ،(2016)الجدل الفقهي حول المسؤولية الجنائية للأشخاص الاعتبارية ، مجلة الفكر القانوني والاقتصادي، السنة الخامسة ،العدد الثاني، جمهورية مصر العربية.

رابعا:- القوانين

1- القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل
2- قانون العقوبات العراقي رقم 11 لسنة 1969 المعدل
3- قانون مكافحة غسل الاموال وتمويل الارهاب رقم (39) لسنة 2015
4- قانون مكافحة الاتجار بالبشر رقم (28) لسنة 2012

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

"Multiple judicial oversights of judicial discretion in the Iraqi administrative judiciary "

Researcher: Dr. Fouad Mohammed Dahy
Ministry of Education / General Directorate of Legal Affairs / Assistant Director General for Legal Affairs
fwadrwz902 @gmail.com

Abstract

This research examines the multiplicity of judicial review over judicial discretion in the Iraqi administrative judiciary, as one of the contemporary legal issues that arose from the constitutional and legislative framework following the 2005 Constitution of the Republic of Iraq. The research begins by analyzing the concept of the administrative judge's discretionary power and its linguistic and terminological foundations, and clarifying the scope of its exercise in light of constitutional and legislative texts with general and flexible wording.

The research also sheds light on the forms of judicial review imposed on judicial discretion, whether through the direct and indirect review of the Federal Supreme Court, or through the review of the Supreme Administrative Court as the specialized appellate body for administrative rulings. This research highlights the overlap between constitutional and administrative courts and its impact on the stability of judicial interpretation, the speed of resolving administrative disputes, and the protection of individuals' legal rights. The research concludes that the multiplicity of judicial review, despite providing safeguards to reinforce the principle of legality, has practically contributed to duplication of oversight and prolonged administrative litigation. This necessitates a reorganization of the constitutional and legislative framework governing jurisdictions. The research recommends a set of legislative measures aimed at consolidating the principle of judicial specialization and unifying the body responsible for reviewing administrative judgments, thereby achieving a balance between protecting individual rights and ensuring the effectiveness of the administrative judiciary.

Keywords: Administrative Judiciary – Discretionary Power – Judicial Review – Federal Supreme Court – Supreme Administrative Court

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

"تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي في القضاء الإداري العراقي"

الباحث: م.د.فؤاد محمد ضاحي

وزارة التربية / المديرية العامة للشؤون القانونية / معاون المدير العام الشؤون القانونية

fwadrwz902 @gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي في القضاء الإداري العراقي، بوصفه إحدى الإشكاليات القانونية المعاصرة التي أفرزها التنظيم الدستوري والتشريعي بعد دستور جمهورية العراق لسنة 2005. وينطلق البحث من تحليل مفهوم السلطة التقديرية للقاضي الإداري وأسسها اللغوية والاصطلاحية، وبيان نطاق ممارستها في ضوء النصوص الدستورية والتشريعية ذات الصياغات العامة والمرنة.كما يسلّط البحث الضوء على صور الرقابة القضائية المفروضة على التقدير القضائي، سواء من خلال رقابة المحكمة الاتحادية العليا بصورتيها المباشرة وغير المباشرة، أم من خلال رقابة المحكمة الإدارية العليا باعتبارها جهة الطعن التمييزية المتخصصة في الأحكام الإدارية. ويُبرز البحث أوجه التداخل بين القضاء الدستوري والقضاء الإداري، وآثار ذلك في استقرار الاجتهاد القضائي، وسرعة الفصل في المنازعات الإدارية، وحماية المراكز القانونية للأفراد.ويخلص البحث إلى أن تعدد الرقابة القضائية، رغم ما يوفره من ضمانات لتعزيز مبدأ المشروعية، قد أسهم عمليًا في ازدواج الرقابة وإطالة أمد التقاضي الإداري، الأمر الذي يستدعي إعادة تنظيم الإطار الدستوري والتشريعي لجهات الاختصاص. ويوصي البحث بجملة من المعالجات التشريعية الهادفة إلى ترسيخ مبدأ التخصص القضائي وتوحيد جهة الرقابة التمييزية على الأحكام الإدارية، بما يحقق التوازن بين حماية الحقوق الفردية وضمان فاعلية القضاء الإداري.

الكلمات المفتاحية: القضاء الإداري – السلطة التقديرية – الرقابة القضائية – المحكمة الاتحادية العليا – المحكمة الإدارية العليا

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

المقدمة

يُعد القضاء الإداري أحد الركائز الأساسية لدولة القانون، لما يؤديه من دورٍ محوري في إخضاع أعمال الإدارة لمبدأ المشروعية، وتحقيق التوازن بين متطلبات المصلحة العامة وضمان الحقوق والحريات الفردية. ويضطلع القاضي الإداري، في هذا الإطار، بدور متميز لا يقتصر على التطبيق الحرفي للنصوص القانونية، وإنما يمتد إلى ممارسة سلطة تقديرية تمكّنه من تكييف الوقائع، وتفسير النصوص، ومواجهة ما تتسم به المنازعات الإدارية من تعقيد وتنوّع واستمرار في التطور.

غير أن هذه السلطة التقديرية، على أهميتها، لا تُمارَس بمعزل عن الرقابة القضائية، بل تخضع لرقابة متعددة المستويات، تهدف إلى منع الانحراف في استعمالها وضمان انسجامها مع مبدأ المشروعية. وقد أفرز التنظيم الدستوري والتشريعي في العراق، ولا سيما بعد صدور دستور جمهورية العراق لسنة 2005، واقعًا قضائيًا اتسم بتعدد جهات الرقابة على التقدير القضائي في القضاء الإداري، نتيجة اتساع الصياغات الدستورية والتشريعية المتعلقة بالاختصاص، ولا سيما ما يتعلق بدور المحكمة الاتحادية العليا إلى جانب المحكمة الإدارية العليا.وقد أدى هذا التعدد في الرقابة إلى بروز إشكالات قانونية وعملية تمثلت في تداخل الاختصاص بين القضاء الدستوري والقضاء الإداري، وازدواج طرق الطعن، وإطالة أمد التقاضي، بما انعكس على استقرار الاجتهاد القضائي والمراكز القانونية للأفراد. وفي الوقت ذاته، أثار هذا الواقع جدلًا فقهيًا حول الجهة المختصة بالرقابة النهائية على التقدير القضائي للقاضي الإداري، وحدود كل من القضاء الدستوري والقضاء الإداري في هذا المجال.وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة الإطار المفاهيمي والقانوني للسلطة التقديرية للقاضي الإداري، وتحليل نطاق ممارستها في ضوء النصوص الدستورية والتشريعية، وبيان صور الرقابة القضائية المفروضة عليها، مع الوقوف على التطبيقات القضائية والاتجاهات الفقهية ذات الصلة. كما يهدف البحث إلى تقديم معالجة قانونية نقدية تسهم في توضيح حدود الاختصاص بين جهات القضاء المختلفة، واقتراح حلول تشريعية من شأنها ترسيخ مبدأ التخصص القضائي وتعزيز فاعلية القضاء الإداري في العراق

اولا: اهمية البحث

تتمثل أهمية البحث فيما يأتي:

1. إبراز الإطار المفاهيمي والقانوني للسلطة التقديرية للقاضي الإداري، وبيان موقعها في بنية القضاء الإداري العراقي.
2. تحليل مظاهر تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي، ولا سيما بين المحكمة الاتحادية العليا والمحكمة الإدارية العليا، وأثر ذلك في تداخل الاختصاص.
3. تقويم الآثار العملية لتعدد جهات الرقابة، من حيث استقرار الاجتهاد القضائي وإطالة أمد التقاضي الإداري.
4. بيان الحاجة إلى إعادة تنظيم الاختصاص الرقابي تشريعيًا ودستوريًا، بما ينسجم مع مبدأ التخصص القضائي الذي كرّسه دستور جمهورية العراق لسنة 2005.

ثانياً:مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في تحديد مدى مشروعية وجدوى تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي للقاضي الإداري في العراق، وما أفرزه ذلك من تداخل في الاختصاص بين المحكمة الاتحادية العليا والمحكمة الإدارية العليا، وانعكاسه على استقرار الأحكام الإدارية وفاعلية القضاء الإداري.

السؤال الرئيس

ما أثر تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي للقاضي الإداري في العراق في مبدأ التخصص القضائي واستقرار الأحكام الإدارية؟

الأسئلة الفرعية

1. ما حدود السلطة التقديرية للقاضي الإداري في ضوء النصوص الدستورية والتشريعية؟
2. ما الجهة القضائية المختصة بالرقابة النهائية على التقدير القضائي للقاضي الإداري؟

ثالثاً: أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تناول تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي في القضاء الإداري العراقي، من خلال توضيح مفهوم السلطة التقديرية للقاضي الإداري وحدودها القانونية، وتحليل الإطار الدستوري

والتشريعي المنظم لممارستها، وبيان صور الرقابة القضائية المفروضة عليها من قبل المحكمة الاتحادية العليا والمحكمة الإدارية العليا، مع تقويم آثار هذا التعدد في تداخل الاختصاص واستقرار الأحكام الإدارية، وصولًا إلى اقتراح معالجات تشريعية تعزز مبدأ التخصص القضائي وتحدد جهة الرقابة النهائية على التقدير القضائي الإداري.

رابعاً:منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي في دراسة مفهوم السلطة التقديرية للقاضي الإداري وأسسها الدستورية والتشريعية، مع توظيف المنهج التحليلي النقدي في تحليل صور الرقابة القضائية على التقدير القضائي وبيان أوجه التداخل في الاختصاص. كما استُعين بالمنهج التطبيقي من خلال تحليل عدد من القرارات القضائية ذات الصلة، وصولًا إلى استخلاص النتائج وتقديم المقترحات التشريعية المناسبة.

يتكوّن البحث من مبحثين اقتضتهما طبيعة الموضوع. خُصص **المبحث الأول** لبيان الإطار المفاهيمي لسلطة القاضي الإداري التقديرية في التشريع العراقي، إذ تضمّن مطلبين؛ تناول الأول مفهوم السلطة التقديرية في المدلولين اللغوي والاصطلاحي، فيما عالج الثاني نطاق هذه السلطة في ضوء الألفاظ التشريعية المنظمة للقضاء الإداري وقضاء الموظفين.

أما **المبحث الثاني** فقد خُصص لبحث الرقابة القضائية على سلطة القاضي الإداري التقديرية في العراق، واشتمل على مطلبين؛ خُصص الأول لرقابة المحكمة الاتحادية العليا بصورتيها المباشرة وغير المباشرة، بينما تناول الثاني رقابة المحكمة الإدارية العليا وأساسها القانوني، وذلك للكشف عن أثر تعدد جهات الرقابة في مبدأ التخصص واستقرار القضاء الإداري.

1.المبحث الأول :التعريف بسلطة القاضي الإداري التقديرية

يُعد تحديد مفهوم سلطة القاضي الإداري التقديرية مدخلًا أساسياً لفهم طبيعة الدور الذي يضطلع به القضاء الإداري في تحقيق التوازن بين متطلبات المشروعية وحماية الحقوق الفردية من جهة، وضمان فاعلية الإدارة العامة من جهة أخرى. إذ لا يمكن الوقوف على حدود هذه السلطة أو بيان صور الرقابة القضائية عليها دون تأصيل معناها في المدلولين اللغوي والاصطلاحي، وبيان الأساس الذي تستند إليه في النصوص الدستورية والتشريعية. وانطلاقًا من ذلك، يهدف هذا المبحث إلى توضيح الإطار المفاهيمي لسلطة القاضي

الإداري التقديرية، وبيان مرتكزاتها القانونية، تمهيدًا لدراسة نطاقها وحدود الرقابة القضائية عليها في المباحث اللاحقة.

1-1.المطلب الأول: مفهوم السلطة التقديرية للقاضي الإداري في المدلولين اللغوي والاصطلاحي

يُعد تحديد مفهوم سلطة القاضي الإداري التقديرية مدخلًا أساسيًا لفهم طبيعة الدور القضائي في المجال الإداري. ولهذا يُعنى هذا المطلب ببيان مدلول هذه السلطة، من خلال تناول مفهوم «السلطة» و«التقدير» في معناها اللغوي والاصطلاحي، ثم تحديد مفهوم التقدير القضائي للقاضي الإداري، وذلك عبر فرعين يُخصص أولهما للمدلول اللغوي والاصطلاحي، فيما يُعالج الثاني الإطار القانوني للتقدير القضائي.

1-1-1:الفرع الأول :مفهوم السلطة التقديرية للقاضي الإداري

أولًا: السلطة في مدلولها اللغوي والاصطلاحي

تُعد كلمة السلطة من الألفاظ ذات الدلالة الواسعة في اللغة العربية، إذ ترجع في أصلها إلى الفعل *سلط يسلط*، وتعني القهر والقدرة والتمكن (الجوهري، 1984، ص 1133)، كما يُقصد بالسلطان المقدرة والقدرة على التحكم، سواء أكان صاحبها ملكًا أم غير ذلك، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ومن قُتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا﴾. وتأتي كلمة السلطان كذلك بمعنى الحجة والبرهان والدليل (ابن منظور، 2004، ص 230). أما في الاصطلاح القانوني، فتُعد السلطة من المصطلحات الشائعة في الدراسات القانونية، ويتحدد معناها بحسب المجال الذي تُستخدم فيه؛ فهي تعني بوجه عام القوة والقدرة القانونية على تنفيذ نصوص القانون، كما تُعبّر عن اختصاص القاضي في إصدار الأحكام التي تتمتع بالحجية وقابلية النفاذ(بركات، دون سنة نشر، ص 77)، فضلًا عن كونها حقًا قانونيًا ممنوحًا لمباشرة نشاط معين.(الطاهر، 2009، ص 48)

ويرى الباحث ضمنيًا أن هذا التعدد في مدلولات مفهوم السلطة يُبرر منح القاضي الإداري صلاحيات واسعة نسبيًا تُمكّنه من أداء وظيفته القضائية بكفاءة.

ثانيًا: التقدير في معناه اللغوي ودلالته القضائية

اشتُقت كلمة التقدير من الفعل *قدَر يقدِر*، ويُقصد بها القياس والتدبير والتروي والتفكير، أي تسوية الأمر وتهيئته قبل اتخاذ القرار(بن ياسين، 1999، ص 245). وتُبرز هذه الدلالة اللغوية الطبيعة العقلية

للتقدير، إذ يقوم القاضي بوزن الوقائع وتمحيص الأدلة والقرائن المعروضة عليه، تمهيدًا لاستخلاص الحكم القضائي الملائم.وتنعكس هذه الدلالة بشكل واضح في العمل القضائي الإداري، حيث لا يقتصر دور القاضي على التطبيق الآلي للنصوص، وإنما يتطلب منه إعمال الفكر القانوني في ضوء ظروف كل نزاع.ويميل الباحث إلى القول ضمنًا إن التقدير القضائي يُعد عنصرًا جوهريًا لتحقيق العدالة، ولا يمثل خروجًا على مبدأ المشروعية متى ما مورِس في حدوده القانونية.

ثالثًا: التقدير في الاصطلاح القانوني والإداري

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتقدير عن دلالته اللغوية العامة، غير أن مدلوله يختلف تبعًا للمجال القانوني الذي يُستخدم فيه. ففي نطاق القانون الإداري، يُقصد بالتقدير تمتع الإدارة بقدر من الحرية عند ممارستها لاختصاصها القانوني والمادي في تنظيم علاقتها مع الأفراد، سواء من حيث التدخل أو عدمه، أو من حيث توقيت التدخل وكيفيته ومضمون القرار المتخذ (الشواربي، 2003، ص 81)وتُعد هذه الحرية الإدارية ضرورة لمواكبة طبيعة النشاط الإداري المتغيرة، غير أنها لا تُمارس بمعزل عن الرقابة القضائية.ويُفهم ضمنًا أن المشرّع، من خلال إقراره للسلطة التقديرية، لم يقصد إطلاق يد الإدارة أو القاضي دون ضوابط، وإنما تحقيق التوازن بين المرونة القانونية وحماية الحقوق الفردية.

رابعًا: مفهوم التقدير القضائي للقاضي الإداري

في المجال القضائي، يُقصد بالتقدير النشاط الذهني الذي يقوم به القاضي بهدف الكشف عن مدى تطابق عناصر النزاع المعروض عليه مع النموذج القانوني الذي رسمه المشرّع في نصوص القانون، فإذا تحقق هذا التطابق، انصرف الأثر القانوني إلى المركز القانوني محل النزاع (سعيد، 1988، ص 19)كما عُرّف التقدير القضائي بأنه النشاط الذهني الذي يقوم به القاضي لفهم الوقائع المعروضة عليه تمهيدًا لإنزال حكم القانون عليها.(الهاشمي ومهدي، 2019، ص 50)ويرى الباحث ضمنيًا أن هذا المفهوم يُبرز الدور الإبداعي للقاضي الإداري، ويؤكد أن وظيفته لا تقتصر على التطبيق الحرفي للنصوص، بل تمتد إلى التفسير والترجيح بما يخدم العدالة.

2-1-1:الفرع الثاني :أساس ممارسة السلطة التقديرية للقاضي الإداري في ضوء النصوص التشريعية

يقتضي تناول السلطة التقديرية للقاضي الإداري البدء بتحديد مفهومها وبيان أبعادها الأساسية، ولاسيما من خلال الوقوف على مدلول السلطة والتقدير في المعنيين اللغوي والاصطلاحي، ثم بيان المقصود بالتقدير القضائي في نطاق القضاء الإداري، بوصفه الأساس الذي تقوم عليه ممارسة القاضي لدوره في تفسير النصوص وتطبيقها على الوقائع.

أولًا: الأساس الدستوري للسلطة التقديرية

حدّد المشرّع الدستوري العراقي الاختصاص النوعي للقضاء الإداري من خلال النص في دستور جمهورية العراق لسنة 2005 على إنشاء مجلس دولة يختص بوظائف القضاء الإداري، وهو ما أكدت عليه المادة (101) من الدستور(دستور جمهورية العراق، 2005، المادة 101). ويُفهم من ذلك أن القاضي الإداري هو صاحب الولاية في نظر المنازعات الإدارية، وما يقتضيه ذلك من ممارسة سلطة تقديرية عند الفصل فيها.ويُستشف أن المشرّع الدستوري قصد إنشاء قضاء إداري متخصص يتمتع بمرونة كافية لمواجهة طبيعة المنازعات الإدارية المتجددة.

ثانيًا: السلطة التقديرية في تحديد الاختصاص القضائي

تتجلى السلطة التقديرية للقاضي الإداري عند تحديد اختصاصه بنظر النزاع، ولا سيما في ظل الصياغات التشريعية العامة التي قد تؤدي إلى تداخل الاختصاص مع القضاء العادي أو القضاء الدستوري. وفي هذا الإطار، يضطلع القاضي الإداري بدور فعّال في تكييف طبيعة القرار المطعون فيه، وتمييز ما إذا كان يشكل عملًا إداريًا خاضعًا لاختصاص القضاء الإداري أم يخرج عن هذا النطاق، استنادًا إلى معيار طبيعة العمل الإداري وامتيازات السلطة العامة (الطماوي، 1976، ص 53–54).

ويرى الباحث ضمنيًا أن هذه السلطة تمثل أداة ضرورية لتلافي تنازع الاختصاص والفراغ القضائي، غير أنها تظل سلطة مقيدة بضوابط المشروعية، وتخضع لرقابة لاحقة من الجهات القضائية الأعلى ضمانًا لحسن استعمالها (الجبوري، 2013، ص 196).

ثالثًا: السلطة التقديرية في فحص مشروعية القرار الإداري

يمارس القاضي الإداري سلطته التقديرية عند فحص مشروعية القرار الإداري المطعون فيه، من خلال التحقق من توافر أركانه القانونية المتمثلة بالاختصاص والسبب والشكل والمحل والغاية، وهي عملية ذهنية دقيقة تتطلب وزن الوقائع وربطها بالقواعد القانونية الواجبة التطبيق (سعيد، 1988، ص 19).ويُعد هذا الفحص من أبرز مظاهر الدور الرقابي للقضاء الإداري على أعمال الإدارة، إذ يحقق التوازن بين متطلبات احترام مبدأ المشروعية وضمان حسن سير المرافق العامة بانتظام واطراد (الطاهر، 2009، ص 48).ويُفهم ضمنيًا أن التقدير القضائي في هذا المجال يشكل ضمانة جوهرية لحماية حقوق الأفراد ومنع تعسف الإدارة في استعمال سلطتها التقديرية (الحجري، 2019، ص 128).

رابعًا: ارتباط السلطة التقديرية بتعدد الرقابة القضائية

إن ممارسة القاضي الإداري لسلطته التقديرية لا تتم بمعزل عن الرقابة القضائية، بل تخضع لرقابة الجهات القضائية الأعلى، ولا سيما المحكمة الاتحادية العليا والمحكمة الإدارية العليا، من خلال الطعن بالأحكام الصادرة عن محاكم القضاء الإداري ومحاكم قضاء الموظفين (الهاشمي ومهدي، 2019، ص 50).ويؤدي هذا التعدد في جهات الرقابة إلى بروز صور مختلفة للرقابة على التقدير القضائي، الأمر الذي يعكس خطورة الآثار القانونية المترتبة على هذه السلطة، سواء من حيث المساس بالمراكز القانونية للأفراد أو تأثيرها في نشاط الإدارة العامة (الشواربي، 2003، ص 81).ويرجّح الباحث ضمنيًا أن هذا التعدد في الرقابة، رغم ما يثيره من إشكالات عملية، يمثل ضمانة إضافية لعدم الانحراف في استعمال السلطة التقديرية، شريطة وضوح الحدود التشريعية المنظمة لاختصاص كل جهة قضائية (بركات، دون سنة نشر، ص 77)

1-2:المطلب الثاني :نطاق سلطة القاضي الإداري التقديرية في الألفاظ اللغوية للنصوص التشريعية

تتحدد سلطة القاضي الإداري التقديرية بمدى ما تتضمنه النصوص التشريعية من دلالات لغوية، ولا سيما عندما يعتمد المشرّع ألفاظًا عامة أو مرنة تستلزم التفسير والتكييف عند التطبيق. فهذه الصياغات لا تُنشئ سلطة تقديرية مطلقة، وإنما تفتح مجالًا لاجتهاد القاضي في إطار مقاصد النص وحدوده، بما يحقق التوازن بين مبدأ المشروعية ومتطلبات العدالة الإدارية. وعلى هذا الأساس، يعالج هذا المطلب نطاق سلطة القاضي الإداري التقديرية في ضوء الألفاظ التشريعية المنظمة لاختصاص القضاء الإداري، من خلال فرعين يتناول

أولهما هذه السلطة في إطار النصوص المنظمة لمحاكم القضاء الإداري، بينما يُخصص الثاني لبيان مداها في النصوص الخاصة بمحاكم قضاء الموظفين.

1-2-1: الفرع الأول: نطاق سلطة القاضي الإداري التقديرية في إطار النصوص المنظمة لمحاكم القضاء الإداري

أولًا: الدلالة الدستورية للاختصاص وأثرها في تقييد التقدير القضائي

نصّ دستور جمهورية العراق لسنة 2005 في المادة (101) على جواز إنشاء مجلس دولة يختص بوظائف القضاء الإداري (دستور جمهورية العراق، 2005، م 101)، وهو نص يُعد حجر الأساس في تحديد الولاية القضائية لهذا القضاء، ويعبّر عن مفهوم الاختصاص النوعي بوصفه توزيعًا للولاية القضائية بين جهات القضاء المختلفة (الهاشمي ومهدي، 2019، ص 50). ويُستفاد من الصياغة الدستورية أن المشرّع لم يكتفِ بالإقرار بوجود القضاء الإداري، بل أضفى عليه طابع التخصص، بما ينعكس مباشرة على سلطة القاضي الإداري التقديرية. فهذه السلطة لا يمكن أن تُمارَس إلا داخل النطاق الذي رسمه الدستور، الأمر الذي يجعل تقدير القاضي لا ينصرف إلى توسيع الاختصاص بقدر ما ينصرف إلى تكييف النزاع تكييفًا صحيحًا في ضوء النص الدستوري. ويُفهم ضمنيًا أن المشرّع الدستوري قصد من ذلك منع التداخل بين جهات القضاء وتحقيق الانسجام في النظام القضائي.

ثانيًا: الألفاظ التشريعية العامة واتساع مجال التقدير القضائي

جاءت المادة (7/رابعًا) من قانون مجلس الدولة رقم (65) لسنة 1979 المعدل بصياغة عامة، إذ خوّلت محاكم القضاء الإداري الفصل في صحة الأوامر والقرارات الإدارية الفردية والتنظيمية (قانون مجلس الدولة رقم 65 لسنة 1979 المعدل، م 7/أولًا)، دون أن تضع تعريفًا دقيقًا للقرار الإداري أو تحدد حدوده بصورة قاطعة. كما توسّع المشرّع في منح هذا الاختصاص بموجب قوانين خاصة، كقانون الجنسية العراقي وقانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم (قانون الجنسية العراقي رقم 26 لسنة 2006، م 19؛ قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم 21 لسنة 2008 المعدل، م 6/ثالثًا، 7/ثامنًا/4، 20/ثالثًا/2). وقد أفضت هذه الصياغة إلى منح القاضي الإداري سلطة تقديرية واسعة في تفسير الألفاظ التشريعية وتحديد ما إذا كان

العمل المطعون فيه يُعد قرارًا إداريًا خاضعًا لرقابته. ويُستشف أن هذا الاتساع في التقدير يُعد نتيجة حتمية لمرونة النص التشريعي، وإن كان يحمل في طياته مخاطر تنازع الاختصاص إذا لم يُمارَس بضوابط دقيقة.

ثالثًا: معيار نوع العمل الإداري بوصفه ضابطًا فقهيًا للتقدير

لمواجهة الإطلاق الذي قد تنطوي عليه الألفاظ التشريعية، استقر الفقه الإداري على اعتماد معيار نوع العمل الإداري للتمييز بين اختصاص القضاء الإداري والقضاء العادي، كما قرره الطماوي، ويقوم هذا المعيار على النظر إلى طبيعة النشاط الذي تباشره الإدارة لا إلى صفة الجهة التي أصدرته (الطماوي، 1976، ص 53–54؛ عثمان، 2008، ص 258). فإذا كان العمل متصلًا بممارسة امتيازات السلطة العامة، انعقد الاختصاص للقضاء الإداري، أما إذا صدر بأساليب القانون الخاص، خرج عن ولايته. ويُعد هذا المعيار أداة تفسيرية تحدّ من إطلاق سلطة القاضي الإداري التقديرية، وتُسهم في تحقيق التوازن بين مرونة القضاء الإداري واستقرار النظام القضائي.

رابعًا: سلطة القاضي الإداري التقديرية عند الدفع بعدم الدستورية

تبلغ سلطة القاضي الإداري التقديرية ذروتها عند إثارة الدفع بعدم دستورية نص قانوني أو قرار إداري أثناء نظر الدعوى، إذ خوّل النظام الداخلي للمحكمة الاتحادية العليا محكمة الموضوع صلاحية تقدير جدية هذا الدفع، سواء بقبوله وإحالته إلى المحكمة الاتحادية العليا أو برفضه والاستمرار بنظر الدعوى (النظام الداخلي للمحكمة الاتحادية العليا رقم 1 لسنة 2022، م 18). ويترتب على هذا التقدير آثار إجرائية جوهرية، إذ قد يؤدي الحكم بعدم الدستورية إلى زوال محل الدعوى الإدارية وانتهائها دون الفصل في موضوعها (الجبوري، 2013، ص 199–200). ويُفهم ضمنيًا أن هذه السلطة تُحمّل القاضي الإداري مسؤولية كبيرة في الموازنة بين مقتضيات احترام الدستور ومتطلبات سرعة الفصل في المنازعات.

1-2-2: الفرع الثاني: نطاق سلطة القاضي الإداري التقديرية في إطار النصوص المنظمة لمحاكم قضاء الموظفين

يختلف نطاق ممارسة السلطة التقديرية للقاضي الإداري باختلاف طبيعة المنازعة المعروضة عليه، ويبرز ذلك بوضوح في منازعات قضاء الموظفين التي تتسم بحساسية خاصة لارتباطها المباشر بالعلاقة الوظيفية بين الإدارة

والموظف. ويقتضي فهم هذا النطاق الوقوف على النصوص التشريعية المنظمة لمحاكم قضاء الموظفين، وما تتيحه من مجال للقاضي الإداري في إعمال تقديره عند الفصل في هذه المنازعات، ونبيّن ذلك في الآتي.

أولًا: التنظيم التشريعي لقضاء الموظفين واتساع نطاق التقدير

استحدث المشرّع العراقي محاكم قضاء الموظفين بموجب التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة رقم (17) لسنة 2013 لتحل محل مجلس الانضباط العام (المالكي، 2014، ص 137). وقد أسند إلى هذه المحاكم الفصل في منازعات الخدمة المدنية والطعن في العقوبات الانضباطية، وهو ما يستدعي ممارسة سلطة تقديرية تتلاءم مع خصوصية العلاقة الوظيفية.

ثانيًا: التقدير القضائي في توصيف المخالفة التأديبية

لم يُحدد قانون انضباط موظفي الدولة أفعال المخالفات التأديبية على سبيل الحصر، مكتفيًا بتحديد العقوبات في المادة (8) (قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم 14 لسنة 1991، م 8)، مستندًا إلى مفهوم الانضباط الوظيفي بوصفه مجموعة القواعد التي تحكم سلوك الموظف (البرزنجي وآخرون، 2009، ص 350؛ النادي، 1998، ص 458–460). ويترتب على ذلك أن القاضي الإداري يمتلك سلطة تقديرية واسعة في توصيف الفعل المنسوب إلى الموظف.

ثالثًا: الرقابة القضائية على ملاءمة العقوبة الانضباطية

تمارس الإدارة سلطة تقديرية في اختيار العقوبة المناسبة، غير أن هذا الاختيار يخضع لرقابة القاضي الإداري للتحقق من التناسب بين جسامة المخالفة والعقوبة المفروضة، كما بيّن الصمعاني (الصمعاني، 2015، ج2، ص 471–476؛ ص 494). ولا يُعد تدخل القاضي في هذا المجال مساسًا بسلطة الإدارة، وإنما هو تطبيق لمبدأ المشروعية.

رابعًا: التقدير القضائي في دعاوى الخدمة المدنية

تتعلق دعاوى الخدمة المدنية بالحقوق الناشئة عن العلاقة الوظيفية، مثل التعيين والترقية والرواتب والإجازات (الجبوري، 2013، ص 103). ويمارس القاضي الإداري سلطته التقديرية منذ المرحلة الشكلية للطعن من خلال التحقق من احترام المدد القانونية (قانون مجلس الدولة رقم 65 لسنة 1979 المعدل، م 7/تاسعًا/ب)،

ثم تمتد إلى المرحلة الموضوعية عند فحص مشروعية القرار الإداري وإلغائه عند ثبوت مخالفته للقانون أو انطوائه على تعسف في استعمال السلطة (المالكي، 2014، ص 178)

2:المبحث الثاني :الاختصاص بالرقابة على السلطة التقديرية للقاضي الإداري

تُثير مسألة الاختصاص بالرقابة على السلطة التقديرية للقاضي الإداري إشكالات قانونية دقيقة في ظل تعدد الجهات القضائية وتداخل ولاياتها، ولا سيما بين القضاء الدستوري والقضاء الإداري. ولأهمية هذه الرقابة في ضمان حسن استعمال التقدير القضائي وعدم الانحراف به عن مبدأ المشروعية، يتناول هذا المبحث تحديد جهة الاختصاص بالرقابة على التقدير القضائي للقاضي الإداري من خلال مطلبين؛ يُعالج الأول رقابة المحكمة الاتحادية العليا، بينما يُخصص الثاني لبيان رقابة المحكمة الإدارية العليا وحدودها.

2–1:المطلب الأول :رقابة المحكمة الاتحادية العليا على التقدير القضائي للقاضي الإداري

تتناول رقابة المحكمة الاتحادية العليا على التقدير القضائي للقاضي الإداري صورًا متعددة ترتبط بطبيعة اختصاصها الدستوري وحدود ولايتها. وعلى هذا الأساس، يُعالج هذا المطلب هذه الرقابة من خلال فرعين، يُخصص الأول لبيان الرقابة المباشرة، فيما يتناول الثاني الرقابة غير المباشرة وأثرها في السلطة التقديرية.

2–1–1:الفرع الأول :الرقابة المباشرة للمحكمة الاتحادية العليا

أولًا: الأساس القانوني للرقابة المباشرة واتساع الصياغة التشريعية

نُظمت الرقابة المباشرة للمحكمة الاتحادية العليا بموجب الأمر رقم (30) لسنة 2005 المنشئ لها، حيث نصت المادة (4/ثانيًا) من قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم (3) لسنة 2005 على اختصاصها بالفصل في المنازعات المتعلقة بشرعية القوانين والقرارات والأنظمة والتعليمات والأوامر الصادرة من أي جهة (الأمر رقم 30 لسنة 2005؛ قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم 3 لسنة 2005، م 4/ثانيًا). ويُلاحظ أن المشرّع استخدم ألفاظًا عامة ومطلقة دون تقييدها بنوع معين من القرارات، الأمر الذي أفضى إلى إدخال القرارات الإدارية ضمن نطاق هذه الرقابة، رغم أنها تُعد أصلًا من صميم اختصاص القضاء الإداري، وهو ما فتح المجال لبسط رقابة المحكمة الاتحادية العليا على تقدير القاضي الإداري.

ثانيًا: الرقابة التمييزية على أحكام القضاء الإداري وأثرها في السلطة التقديرية

أكدت التشريعات المنظمة لعمل المحكمة الاتحادية العليا اختصاصها بالنظر في الطعون المقدمة على الأحكام والقرارات الصادرة من محكمة القضاء الإداري، وهو ما يترتب عليه امتداد رقابتها إلى الحكم القضائي ذاته، بما يتضمنه من تقدير للوقائع وتفسير للنصوص القانونية (قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم 3 لسنة 2005، م 4/ثالثًا). ويكشف هذا الامتداد عن إخضاع السلطة التقديرية للقاضي الإداري لرقابة مباشرة من القضاء الدستوري، الأمر الذي يثير إشكالية التداخل بين جهات القضاء وتعدد طرق الطعن.

ثالثًا: الدلالة الدستورية للمادة (93/ثالثًا)

كرّس دستور جمهورية العراق لسنة 2005 هذا الاتجاه حين نص في المادة (93/ثالثًا) على اختصاص المحكمة الاتحادية العليا بالفصل في القضايا التي تنشأ عن تطبيق القوانين الاتحادية والقرارات والأنظمة والتعليمات والإجراءات الصادرة من السلطة الاتحادية (دستور جمهورية العراق، 2005، م 93/ثالثًا). وقد جاءت صياغة النص عامة ومرنة، بما يسمح بتفسيرها على نحو يُدخل المنازعات الإدارية البحتة ضمن ولاية المحكمة الاتحادية العليا، الأمر الذي منحها أساسًا دستوريًا لبسط رقابتها المباشرة على تقدير القاضي الإداري، سواء في مسألة الاختصاص أم في موضوع النزاع.

رابعًا: إشكالية التداخل بين القضاء الدستوري والقضاء الإداري

أدى الجمع بين النصوص الدستورية والتشريعية إلى تداخل فعلي بين اختصاص المحكمة الاتحادية العليا واختصاص محاكم القضاء الإداري، بحيث قد تنظر الجهتان في القرار الإداري ذاته. ويترتب على هذا التداخل إضعاف مبدأ التخصص القضائي وتحويل المحكمة الاتحادية العليا، في بعض الحالات، إلى محكمة أول وآخر درجة في منازعات إدارية، وهو ما لا ينسجم مع طبيعتها كقضاء دستوري ذي وظيفة رقابية استثنائية (المالكي، 2011، ص 113–335).

خامسًا: الجدل الفقهي حول الرقابة المباشرة

انقسم الفقه العراقي بشأن استمرار الرقابة المباشرة للمحكمة الاتحادية العليا على الأحكام الإدارية، فذهب اتجاه إلى ضرورة إلغاء هذا الاختصاص بعد إنشاء المحكمة الإدارية العليا، تأسيسًا على مبدأ وحدة جهة الطعن وتحقيق الاستقرار القضائي (مهدي، 2008، ص 34–37). في المقابل، تمسك اتجاه آخر باستمرار هذا الاختصاص استنادًا إلى صراحة النص الدستوري، معتبرًا أن أي تعديل في هذا الشأن يتطلب تعديلًا

دستوريًا لا تشريعيًا (مهدي، 2008، ص 67). ويكشف هذا الخلاف عن غموض إرادة المشرّع في توزيع الاختصاص الرقابي.

سادسًا: التطبيق القضائي وتكريس الرقابة المباشرة

جسدت المحكمة الاتحادية العليا رقابتها المباشرة في قرارها الصادر بالدعوى المرقمة (50/اتحادية/2022) في 2022/7/26، حيث قررت اختصاصها بنظر الطعن في الأمر الديواني رقم (450) لسنة 2022، واعتبرت قرار محكمة قضاء الموظفين معدومًا لصدوره من جهة غير مختصة (قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم 50/اتحادية/2022). ويُستفاد من هذا القرار أن المحكمة لم تكتفِ بمراقبة تقدير القاضي الإداري للاختصاص، بل تصدت للفصل في أصل النزاع، بما يعكس اتساعًا فعليًا في نطاق الرقابة المباشرة.

2-1-1: الفرع الثاني: الرقابة غير المباشرة للمحكمة الاتحادية العليا

تتخذ رقابة المحكمة الاتحادية العليا على التقدير القضائي للقاضي الإداري صورة غير مباشرة عندما تُثار مسألة دستورية أثناء نظر الدعوى الإدارية أمام محكمة الموضوع، فيغدو تدخل المحكمة الاتحادية العليا لاحقًا ومقيدًا بحدود الإحالة. وتثير هذه الصورة من الرقابة إشكالات قانونية تتعلق بدور القاضي الإداري في تقدير جدية الدفع بعدم الدستورية، وحدود تدخل القضاء الدستوري وآثاره الإجرائية على سير الدعوى الإدارية، وهو ما نبيّنه في الآتي.

أولًا: مفهوم الرقابة غير المباشرة وأساسها الدستوري

تتحقق الرقابة غير المباشرة عندما تُثار مسألة دستورية أثناء نظر دعوى إدارية أمام محكمة الموضوع، فيكون تدخل المحكمة الاتحادية العليا بطريق الإحالة لا الابتداء، استنادًا إلى اختصاصها في الرقابة على دستورية القوانين والأنظمة (دستور جمهورية العراق، 2005، م 93/أولًا). ويُفهم من هذا التنظيم أن الرقابة الدستورية تُمارَس هنا بوصفها رقابة لاحقة على تقدير القاضي الإداري.

ثانيًا: سلطة القاضي الإداري في تقدير جدية الدفع بعدم الدستورية

منح النظام الداخلي للمحكمة الاتحادية العليا محكمة الموضوع صلاحية تقدير جدية الدفع بعدم دستورية النص القانوني أو القرار الإداري، سواء بقبوله وإحالته إلى المحكمة الاتحادية العليا أو برفضه والاستمرار بنظر

الدعوى (النظام الداخلي للمحكمة الاتحادية العليا رقم 1 لسنة 2022، م 18). ويجعل هذا التنظيم القاضي الإداري عنصرًا فاعلًا في تفعيل الرقابة الدستورية.

ثالثًا: رقابة المحكمة الاتحادية العليا على تقدير محكمة الموضوع

في حال رفض محكمة الموضوع الدفع بعدم الدستورية، أجاز النظام الداخلي الطعن بهذا القرار أمام المحكمة الاتحادية العليا، بما يُمكّنها من فحص مدى سلامة تقدير القاضي الإداري لجدية الدفع، ويكشف ذلك عن امتداد رقابة المحكمة الاتحادية العليا إلى التقدير القضائي الإداري بطريق غير مباشر (عطية، 2016، ص 196).

رابعًا: الأثر الإجرائي للرقابة غير المباشرة

يترتب على قبول الدفع بعدم الدستورية استئخار الدعوى الإدارية إلى حين الفصل في المسألة الدستورية، وقد ينتهي النزاع بزوال محله في حال الحكم بعدم دستورية النص المطعون فيه، أما في حال رفض الدفع، فإن الدعوى تستمر مع بقاء قرار الرفض خاضعًا للطعن، وهو ما يؤدي عمليًا إلى إطالة أمد التقاضي (الجبوري، 2013، ص 196–200).

خامسًا: التطبيق القضائي للرقابة غير المباشرة

مارست المحكمة الاتحادية العليا هذا النوع من الرقابة في العديد من قراراتها، من بينها قرارها رقم (93/اتحادية/2014) وقرارها رقم (90/اتحادية/2014)، حيث تصدت لمراجعة تقدير محكمة الموضوع بشأن الدفع بعدم الدستورية، بما يؤكد الدور العملي للمحكمة في هذا المجال (قرارات المحكمة الاتحادية العليا، 2014).

سادسًا: تقييم الرقابة غير المباشرة في ضوء طبيعة القضاء الدستوري

تبدو الرقابة غير المباشرة أكثر انسجامًا مع طبيعة المحكمة الاتحادية العليا بوصفها قضاءً دستوريًا، إذ تقتصر على المسائل الدستورية دون التصدي لموضوع النزاع الإداري، غير أن اتساع حالات الطعن وتعدد مراحله يثير إشكالًا عمليًا يتعلق باستقرار المراكز القانونية وسرعة الفصل في المنازعات، وهو ما يستدعي إعادة النظر في ضوابط تفعيل هذه الرقابة تشريعيًا.

2-2:المطلب الثاني: رقابة المحكمة الإدارية العليا

يتناول هذا المطلب رقابة المحكمة الإدارية العليا على السلطة التقديرية للقاضي الإداري، بوصفها جهة الطعن المختصة في الأحكام الإدارية، وذلك من خلال بيان أساس هذه الرقابة وحدودها القانونية، مع الإشارة إلى الاتجاهات الفقهية المتعلقة بجهة الاختصاص بها.

1-2-2:الفرع الأول: الأساس القانوني والتطبيقات القضائية لرقابة المحكمة الإدارية العليا

أولًا: الأساس الدستوري لإنشاء المحكمة الإدارية العليا

نص دستور جمهورية العراق لسنة 2005 في المادة (101) على جواز إنشاء مجلس دولة يختص بوظائف القضاء الإداري، وهو ما يُعد إقرارًا دستوريًا صريحًا بفكرة القضاء المزدوج، ويعكس إرادة المشرّع الدستوري في فصل المنازعات الإدارية عن ولاية القضاء العادي نظرًا لخصوصية أطرافها وطبيعة القرارات محل الطعن (دستور جمهورية العراق، 2005، م 101). ويُستفاد من هذا النص أن الدستور لم يكتفِ بمجرد الاعتراف بالقضاء الإداري، بل فتح المجال لتنظيمه تشريعيًا بما يحقق التخصص والاستقلال، وهو ما يشكل الأساس الدستوري لوجود جهة عليا تتولى الرقابة على أحكامه.

ثانيًا: التطور التشريعي لجهة الرقابة على القضاء الإداري

شهد تنظيم الرقابة على القضاء الإداري تطورًا ملحوظًا، إذ كانت الطعون في أحكام محكمة القضاء الإداري تُعرض ابتداءً على الهيئة العامة لمجلس شورى الدولة بعد تعديل سنة 1989، وهو ما مثّل آنذاك خطوة متقدمة نحو استقلال القضاء الإداري عن القضاء العادي (الجبوري، 2013، ص 196). غير أن هذا التنظيم لم يدم طويلًا، إذ أُنيط اختصاص الطعن بأحكام القضاء الإداري بالمحكمة الاتحادية العليا بعد سنة 2005، الأمر الذي أعاد إشكالية تداخل الاختصاص بين القضاء الدستوري والإداري وأضعف مبدأ التخصص القضائي.

ثالثًا: إنشاء المحكمة الإدارية العليا وإعادة تنظيم الرقابة

أعاد المشرّع العراقي النظر في هذا الواقع من خلال قانون التعديل الخامس رقم (17) لسنة 2013 لقانون مجلس شورى الدولة، حيث أنشأ المحكمة الإدارية العليا وحدد اختصاصها بالنظر في الطعون المقدمة على الأحكام والقرارات الصادرة من محاكم القضاء الإداري ومحاكم قضاء الموظفين، فضلًا عن الفصل في تنازع

الاختصاص بين المحاكم الإدارية (قانون التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة رقم 17 لسنة 2013، م 2/رابعًا/ب، ج). ويكشف هذا التنظيم عن توجه تشريعي واضح لإسناد الرقابة على التقدير القضائي الإداري إلى جهة قضائية متخصصة.

رابعًا: طبيعة الاختصاص الرقابي للمحكمة الإدارية العليا

منح المشرّع المحكمة الإدارية العليا الاختصاص ذاته المقرر لمحكمة التمييز الاتحادية وفقًا لقانون المرافعات المدنية رقم (83) لسنة 1969، ولا سيما الحالات المنصوص عليها في المادة (203) منه، كعيوب مخالفة القانون والخطأ في تطبيقه أو تفسيره ومخالفة قواعد الاختصاص والعيوب الإجرائية المؤثرة في الحكم (قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل، م 203). ويترتب على ذلك أن رقابة المحكمة الإدارية العليا لا تقتصر على الجانب الشكلي، بل تمتد إلى فحص سلامة التقدير القضائي للقاضي الإداري.

خامسًا: رقابة المحكمة الإدارية العليا على السلطة التقديرية

تُعد رقابة المحكمة الإدارية العليا على السلطة التقديرية للقاضي الإداري رقابة قانونية تستهدف التحقق من التزام القاضي بحدود التقدير التي رسمها المشرّع، دون أن تمتد إلى الحلول محل محكمة الموضوع في وزن الوقائع. ويتجلى ذلك في فحص مدى التناسب بين الوقائع الثابتة والحكم الصادر، والتحقق من سلامة الاستدلال وعدم الانحراف في تطبيق النصوص القانونية.

سادسًا: التطبيقات القضائية لرقابة المحكمة الإدارية العليا

أكدت التطبيقات القضائية هذا الدور الرقابي، ومن ذلك قرار المحكمة الإدارية العليا المرقم (147/قضاء موظفين/تمييز/2016)، الذي نقض حكم محكمة قضاء الموظفين لافتقاره إلى تسبيب كافٍ لفرض العقوبة الانضباطية، معتبرة أن خلو القرار الإداري من بيان أسباب العقوبة يُعد إخلالًا جوهريًا بشرط المشروعية (قرار المحكمة الإدارية العليا، 2016). ويكشف هذا القرار عن ممارسة فعلية لرقابة المحكمة على تقدير القاضي الإداري.

سابعًا: أثر قانون مجلس الدولة لسنة 2017 في ترسيخ الرقابة

اكتمل الإطار المؤسسي لرقابة المحكمة الإدارية العليا بصدور قانون مجلس الدولة رقم (71) لسنة 2017، الذي كرس استقلال القضاء الإداري استقلالًا إداريًا وماليًا عن السلطة التنفيذية، ومنح المحكمة الإدارية

العليا موقعها الطبيعي في قمة هرم القضاء الإداري (قانون مجلس الدولة رقم 71 لسنة 2017). وأسهم هذا التنظيم في تعزيز فاعلية الرقابة على التقدير القضائي الإداري وتحقيق قدر أكبر من الاستقرار في الاجتهاد القضائي.

2-2-2:الفرع الثاني: الاتجاه الفقهي حول جهة الاختصاص بالرقابة

أولًا: الاتجاه القائل باختصاص المحكمة الإدارية العليا بالرقابة التمييزية

يرى جانب مهم من الفقه الإداري العراقي أن صدور قانون التعديل الخامس رقم (17) لسنة 2013 مثّل نقلة نوعية في تنظيم القضاء الإداري، إذ أسّس لمحكمة إدارية عليا تتولى النظر في الطعون المقدمة على الأحكام الصادرة من محاكم القضاء الإداري ومحاكم قضاء الموظفين، فضلًا عن اختصاصها بحسم تنازع الاختصاص بين المحاكم الإدارية (الجبوري، 2021، ص 179–180). ويُستفاد من هذا التنظيم أن المشرّع قصد نقل الاختصاص القضائي التمييزي من المحكمة الاتحادية العليا إلى المحكمة الإدارية العليا، بما ينسجم مع مبدأ التخصص القضائي ويضع حدًا لحالة التداخل بين القضاء الإداري والقضاء الدستوري التي أفرزها قانون المحكمة الاتحادية العليا لسنة 2005. كما يُعزّز هذا الاتجاه ما قرره المشرّع من منح المحكمة الإدارية العليا الصلاحيات ذاتها المخوّلة لمحكمة التمييز الاتحادية، الأمر الذي يجعلها الجهة الأنسب لممارسة الرقابة على التقدير القضائي للقاضي الإداري.

ثانيًا: الاتجاه القائل باستمرار اختصاص المحكمة الاتحادية العليا

في المقابل، يذهب اتجاه فقهي آخر إلى أن الاختصاص التمييزي للمحكمة الاتحادية العليا لا يزال قائمًا، تأسيسًا على نص المادة (93/ثالثًا) من دستور جمهورية العراق لسنة 2005، التي خولت المحكمة الاتحادية العليا الفصل في القضايا الناشئة عن تطبيق القوانين الاتحادية والقرارات والأنظمة والتعليمات والإجراءات الصادرة عن السلطة الاتحادية (دستور جمهورية العراق، 2005، م 93/ثالثًا). ويرى أنصار هذا الاتجاه أن النص الدستوري يسمو على النص التشريعي العادي، ولا يجوز تقييد اختصاص المحكمة الاتحادية العليا أو نقله إلى جهة قضائية أخرى إلا بتعديل دستوري صريح. ووفق هذا الرأي، فإن دور المحكمة الإدارية العليا يظل محصورًا في نطاق الرقابة التمييزية الإدارية، دون المساس بالاختصاصات الدستورية المقررة للمحكمة الاتحادية العليا.

ثالثًا: موقف التطبيق القضائي وأثره في حسم الجدل الفقهي

يكشف الواقع العملي عن أن المحكمة الاتحادية العليا لا تزال تبسط رقابتها على الأحكام والقرارات الصادرة من المحاكم الإدارية، كما تجلّى ذلك بوضوح في قرارها المرقم (50/اتحادية/2022) في 2022/7/26، إذ اعتبرت القرار الصادر من محكمة قضاء الموظفين معدومًا لصدوره من جهة غير مختصة، وتصديها للفصل في النزاع استنادًا إلى المادة (93/ثالثًا) من الدستور (قرار المحكمة الاتحادية العليا، 2022). ويُستفاد من هذا القرار أن المحكمة الاتحادية العليا تتبنى تفسيرًا موسعًا لاختصاصها الدستوري، رغم وجود محكمة إدارية عليا مختصة أصلًا بالرقابة التمييزية، الأمر الذي يُبقي حالة التداخل قائمة على المستوى التطبيقي.

رابعًا: دلالة النصوص التشريعية على ترجيح الاختصاص الإداري

بالرجوع إلى نص المادة (2/رابعًا/ب) من قانون التعديل الخامس لقانون مجلس الدولة، يتضح أن المحكمة الإدارية العليا تمارس الاختصاصات ذاتها التي تمارسها محكمة التمييز الاتحادية وفقًا لقانون المرافعات المدنية، ولا سيما ما يتعلق بالطعن في الأحكام الصادرة خلافًا لقواعد الاختصاص المنصوص عليها في المادة (203/ثانيًا) من قانون المرافعات المدنية (قانون التعديل الخامس لقانون مجلس الدولة رقم 17 لسنة 2013، م 2/رابعًا/ب؛ قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل، م 203/ثانيًا). ويُفهم من هذا التنظيم أن المشرّع اتجه صراحة إلى إسناد الرقابة على تقدير القاضي الإداري، بما في ذلك مسألة الاختصاص، إلى المحكمة الإدارية العليا بوصفها جهة الطعن المختصة.

خامسًا: التحليل الدستوري لمبدأ التخصص القضائي وترجيح جهة الرقابة

يُظهر التحليل الدستوري أن الاختصاص الأصيل للمحكمة الاتحادية العليا يتمثل في الرقابة على دستورية القوانين والأنظمة وتفسير النصوص الدستورية وفقًا للمادة (93/أولًا)، في حين أن الفصل في القضايا الناشئة عن تطبيق القوانين والقرارات يُعد اختصاصًا ذا طبيعة استثنائية (دستور جمهورية العراق، 2005، م 93/أولًا). وفي المقابل، أكدت المادة (101) من الدستور توجه المشرّع الدستوري نحو إنشاء قضاء إداري متخصص يتولى الفصل في المنازعات الإدارية (دستور جمهورية العراق، 2005، م 101). ويقود هذا التوجه إلى ترجيح إسناد الرقابة على السلطة التقديرية للقاضي الإداري إلى المحكمة الإدارية العليا، بوصفها

قضاءً متخصصًا، بما يحقق استقرار الاجتهاد القضائي ويحدّ من ازدواج الرقابة (محيسن، 2015، ص 96–99).

الخاتمة

وفي ضوء ما تقدّم من تحليل للنصوص الدستورية والتشريعية والتطبيقات القضائية، وما أفرزه تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي في القضاء الإداري من إشكالات عملية وقانونية، أمكن استخلاص جملة من النتائج التي تبيّن مواطن الخلل في التنظيم القائم، والتي أفضت بدورها إلى اقتراح عدد من التوصيات التشريعية الهادفة إلى تحقيق التخصص القضائي واستقرار الاجتهاد القضائي.

اولاً :النتائج

1.تبيّن أن تعدد الرقابة القضائية على التقدير القضائي في القضاء الإداري العراقي يرتبط بالصياغة العامة للمادة (93/ثالثًا) من دستور جمهورية العراق لسنة 2005، وما ترتب عليها من تداخل اختصاص المحكمة الاتحادية العليا مع القضاء الإداري.

2.ثبت أن استحداث المحكمة الإدارية العليا بموجب التعديل الخامس لقانون مجلس الدولة لم يُنهِ ازدواج الرقابة بسبب استمرار اختصاصات رقابية للمحكمة الاتحادية العليا.

3.أظهر التطبيق العملي أن تنظيم الدفع بعدم الدستورية أسهم في إخضاع التقدير القضائي الإداري لرقابة متعددة المراحل، مما أدى إلى إطالة أمد التقاضي.

ثانياً :التوصيات

1.تعديل المادة (93/ثالثًا) من دستور جمهورية العراق لسنة 2005 بما يقصر اختصاص المحكمة الاتحادية العليا على المسائل الدستورية، انسجامًا مع المادة (101) من الدستور.

2.تعديل قانون المحكمة الاتحادية العليا وقانون مجلس الدولة بما يُسند الرقابة التمييزية على الأحكام الإدارية إلى المحكمة الإدارية العليا بوصفها جهة الاختصاص النهائية.

3.تعديل المادة (18) من النظام الداخلي للمحكمة الاتحادية العليا لوضع ضوابط أكثر دقة لجدية الدفع بعدم الدستورية، بما يحد من إطالة أمد الخصومة.

المصادر

أولًا: المعاجم اللغوية

1.الجوهري، إسماعيل بن حماد .(1984) .*الصحاح تاج العرب*)ج 3، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار). بيروت: دار العلم للملايين.

2.ابن منظور، محمد بن مكرم .(2004) .*لسان العرب*)ج 12). بيروت: دار صادر.

ثانيًا: الكتب القانونية

1.بركات، محمود محمد ناصر. (دون تاريخ) .*السلطة التقديرية للقاضي في الفقه الإسلامي* .الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

2.الطاهر، خالد خليل .(2009) .*القضاء الإداري*)ط 1). الرياض: مكتبة القانون والاقتصاد.

3,بن ياسين، حكمت بن بشير .(1999) .*التفسير الصحيح*)ج 3). المدينة المنورة: دار المآثر.

4.الحجري، نجم غانم هديب .(2019) .*السلطة التقديرية في القرار الإداري*)ط 1). القاهرة: المركز العربي للنشر والتوزيع.

5.الشواربي، عبد الحميد .(2003) .*القرائن القضائية والقانونية* .الإسكندرية: منشأة المعارف.

6.سعيد، أحمد محمود .(1988) .*مفهوم السلطة التقديرية للقاضي المدني*)ط 1). القاهرة: دار النهضة العربية.

7.الطماوي، سليمان محمد .(1976) .*القضاء الإداري*)الكتاب الأول). القاهرة: دار الفكر العربي.

8.عثمان، حسين محمد عثمان .(2008) .*أصول القانون الإداري* .بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية.

9.الجبوري، محمود خلف .(2013) .*القضاء الإداري في العراق*)ط 2). بغداد: دار المرتضى.

10.المالكي، رائد حمدان عاجب .(2014) .*الوجيز في القضاء الإداري*)ط 1). البصرة: شركة الغدير للطباعة والنشر.

11.البرزنجي، عصام عبد الوهاب، وآخرون .(2009) .*مبادئ وأحكام القانون الإداري* .بغداد: مكتبة السنهوري.

12.النادي، فؤاد محمد .(1998) .*القضاء الإداري: إجراءات التقاضي وطرق الطعن في الأحكام الإدارية* .جامعة الأزهر.

13.الصمعاني، وليد بن محمد بن صالح .(2015) .*السلطة التقديرية للقاضي الإداري*)ج 2، ط 1). الرياض: دار الحميضان للنشر والتوزيع.

14.المالكي، جعفر كاظم .(2011) .*المرجع في قضاء المحكمة الاتحادية العليا*)ط 1). القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتب.

15.مهدي، غازي فيصل .(2008) .*المحكمة الاتحادية العليا ودورها في ضمان مبدأ المشروعية* .بغداد: موسوعة الثقافة القانونية.

16.مهدي، غازي فيصل .(2008) .*نصوص دستور جمهورية العراق لسنة 2005* .بغداد: الميزان.

ثالثًا: البحوث المنشورة في المجلات العلمية

1.الهاشمي، رشا محمد جعفر، ومهدي، مروة موفق. (2019). الاختصاص النوعي للمحكمة الإدارية العليا في العراق .*مجلة العلوم القانونية*، كلية القانون، جامعة بغداد، (العدد الخاص السادس).

2.الجبوري، بدر حماد صالح. (2021). أساس اختصاص القضاء الإداري العراقي .*مجلة جامعة تكريت للحقوق*.

3.عطية، غني زغير. (2016). الدعوى الدستورية بين القانون وقرارات المحكمة الاتحادية العليا في العراق . *مجلة جامعة ذي قار*.

4.محيسن، عامر زغير. (2015). اختصاص المحكمة الإدارية العليا بالنظر تمييزًا في أحكام القضاء الإداري في العراق .*مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية*، 4(15)،

رابعًا: الدساتير والقوانين

1.دستور جمهورية العراق.(2005) .

2.قانون مجلس الدولة رقم 65 لسنة 1979 (العراق).

3.قانون التعديل الخامس لقانون مجلس شورى الدولة رقم 17 لسنة 2013 (العراق).

4.قانون مجلس الدولة رقم 71 لسنة 2017 (العراق).

5.قانون المحكمة الاتحادية العليا رقم 3 لسنة 2005 (العراق).
6.الأمر رقم 30 لسنة 2005 (أمر إنشاء المحكمة الاتحادية العليا) (العراق).
7.قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل (العراق).
8.قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم 14 لسنة 1991 (العراق).
9.قانون الجنسية العراقي رقم 26 لسنة 2006 (العراق).
10.قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم 21 لسنة 2008 المعدل (العراق).
11.النظام الداخلي للمحكمة الاتحادية العليا رقم 1 لسنة 2022 (العراق).

خامسًا: القرارات القضائية

1.المحكمة الاتحادية العليا. (2014). القرار رقم 93/اتحادية/2014 (العراق).
2.المحكمة الاتحادية العليا. (2014). القرار رقم 90/اتحادية/2014 (العراق).
3.المحكمة الاتحادية العليا. (2022). القرار رقم 50/اتحادية/2022 بتاريخ 2022/7/26 (العراق).
4.المحكمة الإدارية العليا. (2016). القرار رقم 147/قضاء موظفين/تمييز/2016 (العراق).

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Public Law and the Protection of Personal Data in the Digital Age

Essbai Oumaima
Faculty of Legal, Economic and Social Sciences, Tetouan, Morocco
essbaioumaima42@gmail.com

Abstract:

Digitization has undergone rapid development since its emergence, becoming a fundamental component of daily life. It is based on the integration of modern technological tools into the core of administrative work and the exercise of administrative functions such as planning, directing, organizing, controlling, and leading with high efficiency. Despite the opportunities this digital transformation provides to simplify procedures and services for citizens, it simultaneously raises new challenges regarding the protection of rights and freedoms. Foremost among these is the right to the protection of personal data, which is a pillar of individual liberty due to its close link to the respect for private life—a constitutional right enshrined in Articles 24 and 27 of the 2011 Constitution, as well as in international conventions and national legislation.

However, this right faces increasing challenges due to technological advancement and the digitization of administrative and commercial services. This necessitates that states fortify it through institutions dedicated to monitoring the protection of this right. In this context, public law plays a pivotal role in protecting personal data. The Moroccan Constitution did not merely stop at the right to privacy but reinforced it through the enactment of Law No. 09-08, which established the National Commission for the Protection of Personal Data (CNDP). At the comparative level, the European Union underwent a significant legislative reform by replacing the previous system with a new framework known as the General Data Protection Regulation (GDPR). This protection, in its essence, refers to all measures taken by the state through its institutions to protect the personal data of citizens and ensure the preservation of their private lives, while also extending to protecting state sovereignty from espionage. Nevertheless, several challenges persist that limit individuals' ability to enjoy absolute protection of their personal data.

Keywords: Digitization, Personal Data Protection, Public Law, Law 09-08, Private Life.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

القانون العام وحماية المعطيات الشخصية في ظل الرقمنة

أميمة السباعي

كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بتطوان، المغرب

essbaioumaima42@gmail.com

الملخص :

عرفت الرقمنة تطورا سريعا منذ بروزها، وأصبحت مكونا أساسيا في حياتنا اليومية ،فهي تقوم على توظيف الوسائل التكنولوجية الحديثة في صلب العمل الإداري، وفي ممارسة الإدارة لوظائفها من تخطيط وتوجيه وتنظيم ورقابة وقيادة بفعالية كبيرة، فعلى الرغم ما يتيحه هذا التحول الرقمي من فرص لتبسيط المساطر والخدمات لفائدة المواطنين، يثير في الوقت ذاته تحديات جديدة على مستوى حماية الحقوق و الحريات وعلى رأسها الحق في حماية المعطيات الشخصية الذي يعد أحد ركائز الحرية الفردية لارتباطها الوثيق باحترام الحياة الخاصة كحق دستوري كرسه الدستور 2011 في فصوله كل من 24 و 27 ،فضلا عن تكريسه في المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية.

غير أن هذا الحق يواجه تحديات متزايدة بفعل التطور التكنولوجي ورقمنة الخدمات الإدارية والتجارية، الأمر الذي يفرض على الدول تحصينه بمؤسسات تعنى بمراقبة حماية هذا الحق، وفي هذا السياق يضطلع القانون العام بدور محوري في حماية المعطيات الشخصية اذ لم يكتفي الدستور المغربي على الحق في حماية الحياة الخاصة ، بل عزز ذلك بصدور القانون 08-09 والذي تم بموجبه احداث اللجنة الوطنية لمراقبة المعطيات ذات الطابع الشخصي ،وعلى الصعيد المقارن عرف الاتحاد الأوروبي إصلاحا تشريعيا مهما تمثل في الغاء النظام السابق وتعويضه بنظام جديد سمي باللائحة الأوروبية لحماية المعطيات الشخصية GDPR، وتؤول هذه الحماية في مدلولها الى كافة الإجراءات التي تقوم بها الدولة عبر جميع مؤسساتها في سبيل حماية المعطيات الشخصية للمواطنين والسهر على حفظ حياتهم الخاصة ،ثم في ابعاد أخرى حماية سيادة الدولة من التجسس، الا أن هذه الاخيرة تواجهها جملة من التحديات تحد من تمتع الأفراد بحماية مطلقة لمعطياتهم الشخصية .

الكلمات المفتاحية: الرقمنة.، حماية المعطيات الشخصية.، القانون العام.، القانون 08-09.، الحياة الخاصة.

مقدمة

ان الرقمنة في عصرنا متغير بنيوي نقل العمل الإداري من الأنماط التقليدية إلى نماذج حوسبية تعتمد على معالجة البيانات لضمان التخطيط والرقابة، وقد أدى هذا التحول الرقمي، رغم إسهامه في تبسيط المساطر الإدارية، إلى بروز مخاطر جديدة تستبيح الهوية الرقمية للأفراد، مما جعل من الحق في حماية المعطيات الشخصية ركيزة استراتيجية لصون الخصوصية الفردية التي كرسها المشرع الدستوري المغربي في الفصلين 24 و27 من وثيقة 2011، ويكتسي هذا البحث أهمية بالغة بالنظر إلى تصاعد الهجمات السيبرانية واحتياج الدولة إلى إرساء ثقة رقمية كشرط لازم لنجاح مشروع الإدارة الإلكترونية ومواجهة الفوضى المعلوماتية.

نسعى في هذه المداخلة إلى دراسة القوة الإلزامية للترسانة القانونية الوطنية، لاسيما القانون 09.08، ومدى نجاعة عمل اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي (CNDP) كجهاز ضبطي مستقل، كما نسعى إلى رصد أثر الملاءمة مع المعايير الدولية، خاصة اللائحة الأوروبية العامة (GDPR) واتفاقية "بودابست"، في تعزيز السيادة الرقمية للدولة المغربية وضمان التبادل الآمن للبيانات عابرة الحدود، وتتحدد الإشكالية الجوهرية للبحث في مدى قدرة آليات القانون العام، بشقيها التشريعي والمؤسساتي، على توفير حماية ناجعة للمعطيات الشخصية أمام تسارع الطفرات التكنولوجية وتحديات الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية.

وتتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات حول طبيعة الضمانات الدستورية للحياة الخاصة، ومدى استيعاب القانون 09.08 لمفاهيم الهوية الرقمية الحديثة، فضلا عن نجاعة نظام التصريح والترخيص المسبق في كبح جماح السلطة المعلوماتية للمرفق العام والخواص، وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن القانون العام المغربي استطاع بناء هيكل قانوني متماسك مستلهم من التجارب المقارنة، إلا أن فعاليته تظل رهينة بالقدرة على مواكبة المخاطر التقنية الناشئة والموازنة بين مقتضيات النجاعة الإدارية وحفظ الحقوق الأساسية للأفراد، وللإحاطة بهذا الموضوع، تم اعتماد المنهج الاستنباطي لفحص النصوص الدستورية والتشريعية واستنتاج أبعادها الحمائية، مع الانفتاح على المنهج المقارن لبيان مدى تأثر المشرع الوطني بالمعايير الدولية لاسيما الأوروبية منها.

وللاجابة على اشكالية الموضوع نقترح المحورين التاليين:

- **المطلب الأول: الإطار المفاهيمي والقانوني لحماية المعطيات الشخصية في الفضاء الرقمي**
- **المطلب الثاني: الآليات المؤسساتية وتحديات الفعالية في ظل الرقمنة**

المطلب الأول: الإطار المفاهيمي والقانوني لحماية المعطيات الشخصية في الفضاء الرقمي

يقتضي بيان الدور الحمائي للقانون العام تفكيك المرجعية المعيارية التي تؤطر المعطيات الشخصية في البيئة الرقمية، وذلك برصد التدرج التشريعي من القواعد الدستورية العليا إلى القوانين الإجرائية المتخصصة، ويتطلب هذا المسار فحص المكتسبات التي أقرها دستور 2011 في مجال صون الخصوصية، بالتوازي مع الوقوف على الهيكل المؤسساتي للقانون 09.08 الذي نقل الحماية من حيز التجريد إلى حيز التنفيذ (الفقرة الاولى)، كما يستوجب الأمر تقييم مدى استجابة هذه المنظومة الوطنية للمعايير الدولية، ولاسيما اللائحة الأوروبية العامة (GDPR) والاتفاقيات متعددة الأطراف، لضمان مواءمة تضمن السيادة الرقمية وتدفق البيانات الآمن (الفقرة الثانية)

الفقرة الاولى: المرجعية الدستورية والتشريعية لحماية المعطيات الشخصية

تتأسس الحماية القانونية للمعطيات الشخصية على دعامة مزدوجة تجمع بين السمو الدستوري والنجاعة التشريعية، حيث يشكل الدستور المظلة الحقوقية الكبرى التي تمنح الشرعية لكافة القوانين اللاحقة، ويتاسس هذا من استقراء الفصلين 24 و27 من الوثيقة الدستورية لسنة 2011 لتحديد نطاق حرمة الحياة الخاصة وسرية المراسلات (اولا)، لننتقل بعد ذلك إلى تشريح مقتضيات القانون 09.08 باعتباره الإطار المعياري الذي ضبط الفوضى المعلوماتية عبر إقرار مبادئ الشفافية والرضى الصريح، وهو ما يمهد لفهم كيفية تحول هذه النصوص إلى آليات عملية للضبط والمراقبة (ثانيا)

أولا: الحماية الدستورية للحياة الخاصة (قراءة في الفصول 24 و27 من دستور 2011)

إن التكريس الدستوري للحق في حماية الحياة الخاصة ضمن الوثيقة الدستورية لسنة 2011 هو انتقال جوهري من المقاربة التقليدية للحقوق والحريات الى المقاربة الرقمية المستوعبة لتعقيدات الفضاء السيبراني، اذ أرسى الفصل 24 دعامة صلبة تقرر حرمة المسكن وسرية المراسلات والاتصالات بكافة أشكالها، وهو ما يستتبع بالضرورة القانونية فرض التزام دستوري على الدولة والمؤسسات المعالجة للبيانات بالامتناع عن أي استباحة للمجال الخاص للأفراد أو اعتراض تدفق بياناتهم الرقمية خارج الضوابط القانونية

الصارمة، مما يجعل من الحق في الخصوصية قيدا دستوريا على السلطة التنفيذية في ممارستها للرقابة المعلوماتية ([1]دستور المملكة المغربية، 2011، الفصل 24).

ومن زاوية أخرى، فإن الفصل 27 من الدستور، وإن كان يقر بالحق في الوصول إلى المعلومات كآلية لتعزيز الشفافية والمواطنة النشطة، إلا أنه يضع "حماية المعطيات الشخصية" كخط أحمر وحصانة دستورية تمنع تحويل الانفتاح الإداري إلى أداة لانتهاك السيادة الفردية على البيانات، حيث يتأسس هنا مبدأ التناسب بين المصلحة العامة في الشفافية والمصلحة الخاصة في الكتمان، مما يفرض على المشرع العادي استحضار هذا التوازن الدستوري عند سن القواعد المنظمة للرقمة الإدارية لضمان عدم المساس بالجوهر الحقوقي للفرد (دستور المملكة المغربية، 2011، الفصل 27).

وتبين لنا القراءة النسقية لهذه النصوص الدستورية أن الحق في حماية الحياة الخاصة يتجاوز كونه حق "سلبي" يقتصر على عدم التدخل، وأضحى حقاً "إيجابياً" يتطلب تدخلا تشريعيا ومؤسساتيا ناجعا لحماية الهوية الرقمية للمواطنين من مخاطر التعدين البياناتي غير المشروع، وهو ما يشكل المرجعية العليا التي تستمد منها كافة القوانين الإجرائية اللاحقة شرعيتها ونجاعتها في مواجهة الطفرات التكنولوجية التي تهدد حصانة الفرد في المجتمع الرقمي.

ثانياً: التحليل الهيكلي لمقتضيات القانون رقم 08-09 المتعلق بحماية الأفراد تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي

يأتي القانون رقم 08-09 كاطار معياري ومؤسساتي والذي يعنى بنقل الحماية الدستورية للحياة الخاصة من حيز التجريد الدستوري إلى حيز التفعيل الإجرائي، وذلك من خلال بسط تعريف مفاهيمي للمعطيات ذات الطابع الشخصي لتستوعب كل أشكال الهوية الرقمية المباشرة وغير المباشرة، مع تحديد نطاق تطبيق كافة المعالجات الآلية التي تتم داخل التراب الوطني أو تلك التي تستعمل وسائل مادية توجد بالمغرب، وبذلك وضع المشرع هيكلا قانونيا يسعى من خلاله إلى ضبط الفوضى المعلوماتية عن طريق إلزام

[1] ينص الفصل 24 على أن "لكل شخص الحق في حماية حياته الخاصة... لا تنتهك حرمة المراسلات... ولا يمكن الترخيص بالاطلاع على مضمونها أو كشفها... إلا بأمر قضائي".

المسؤولين عن المعالجة بالتقيد بمبادئ الشفافية والأمن المعلوماتي، وهو ما يعكس رغبة الدولة في إرساء الثقة رقمية التي تعد شرطا أساسيا لإنجاح ورش الإدارة الإلكترونية (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 1).

وتأتي القوة الإلزامية لهذا القانون في تقييد مشروعية المعالجة بالحصول على الموافقة الصريحة للشخص المعني، مع إحاطة هذه المعالجة بضمانات موضوعية تتعلق بضرورة تحديد الغاية من جمع البيانات وعدم جواز الاحتفاظ بها لفترة تتجاوز الأهداف المعلنة، فضلا عن فرض التزامات تقنية تتعلق بسلامة النظم المعلوماتية لمنع أي ولوج غير مصرح به؛ وهذا الهيكل يسعى في جوهره إلى تمكين الفرد من حق التقرير المعلوماتي، أي القدرة على التحكم في مسار بياناته وتصحيحها أو معارضتها، مما يحد من السلطة التقديرية للمؤسسات العامة والخاصة في التعامل مع الرأس المال البياني والمعلوماتي للمواطنين.

وعلى مستوى هندسة هذا القانون فانها تجمع بين البعد الزجري والمؤسساتي، اذ لم يكتفِ المشرع بتحديد الحقوق والالتزامات فقط، انما أقر منظومة من العقوبات الجنائية والغرامات المالية للحد من الانتهاكات، وبالتوازي مع ذلك تم إحداث اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي (CNDP)كجهاز ضبطي يتمتع بسلطات التحقيق والتحري، مما يجعل من القانون 08-09 ترسانة قانونية تسعى إلى مواءمة المنظومة التشريعية المغربية مع المعايير الدولية لاسيما الأوروبية منها، لضمان التبادل الحر للبيانات مع احترام الحقوق الأساسية للأفراد وصون السيادة الرقمية للدولة في آن واحد.

الفقرة الثانية: الملاءمة مع المعايير الدولية والتوجهات المقارنة

لا يمكن مقاربة حماية المعطيات الشخصية بمعزل عن التفاعلات الجيوسياسية والتقنية العابرة للحدود، مما يفرض على المشرع الوطني مواءمة مستمرة مع التوجهات الدولية لضمان "ملاءمة" المناخ الرقمي الوطني، ويستدعي هذا القسم رصد أثر اللائحة الأوروبية (GDPR) في إعادة هندسة الالتزامات التقنية وحقوق الأفراد، مثل الحق في النسيان ونقل المعطيات (اولا)، كما سنسلط الضوء على استراتيجية الانخراط في المعاهدات الدولية، كالاتفاقية رقم 108 واتفاقية بودابست، والتي تهدف في جوهرها إلى تحصين الفضاء الرقمي المغربي وتعزيز سيادته الأمنية والبيانية في مواجهة التهديدات السيبرانية الخارجية (ثانيا)

أولاً: أثر اللائحة الأوروبية العامة لحماية المعطيات (GDPR) على التشريع الوطني

تاتي اللائحة الأوروبية العامة لحماية المعطيات (GDPR) باعتبارها المرجعية الكونية المعاصرة التي فرضت على التشريع المغربي ضرورة إعادة النظر في هندسته القانونية (اللائحة الأوروبية 679/2016، 2016) وذلك من أجل مواءمة النصوص الوطنية مع المعايير الدولية، وضمان استمرارية "ملاءمة" المغرب كوجهة آمنة لتدفق البيانات وتوطين الاستثمارات الرقمية، حيث أضحى الامتثال للمقتضيات الأوروبية شرطا جوهريا للحفاظ على تدفق المعطيات بين المقاولات المغربية ونظيراتها في الاتحاد الأوروبي، وهو ما استدعى تبني مقاربة استباقية تسعى لتجاوز الثغرات التي خلفها قانون 08-09 أمام سرعة التحولات التكنولوجية وما تفرضه من التزامات أمنية وقانونية.

وعلى مستوى هذا الأثر التشريعي، تم تبني المفهوم الموسع لـ "المسؤولية التقصيرية" والمسؤولية القائمة على "المخاطر كأحد اهم ملامح التأثر بالقانون الاوروبي، اذ تم الانتقال من التركيز على الإجراءات الشكلية للتصريح إلى فرض التزامات تقنية مسبقة مثل الحماية منذ التصميم والحماية بالافتراض، وهي مبادئ هدفها دمج الضمانات القانونية في صلب الأنظمة المعلوماتية والبرمجية منذ مراحل تطويرها الأولى، وهو ما يعكس تحولا جذرياً في فلسفة التشريع الوطني نحو إرساء رقابة وقائية وتقنية تتوازى مع الرقابة القانونية التقليدية.

كما امتد أثر القانون الأوروبي الى تعزيز استقلالية وسلطات "اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي، وذلك باستلهام نموذج الهيئات الرقابية الأوروبية في منحها صلاحيات واسعة لإصدار العقوبات الإدارية والمالية الرادعة التي تتناسب مع حجم الخروقات الرقمية الكبرى، مما مكن المنظومة المؤسساتية المغربية من اكتساب مصداقية دولية في مجال الضبط المعلوماتي، وهذا التأثير لم يقتصر على الجانب العقابي فحسب، انما شمل أيضا ترسيخ حقوق جديدة للشخص المعني مثل "الحق في النسيان الرقمي" و"الحق في نقل المعطيات"، وهي حقوق لم تكن مفصلة بالقدر الكافي في التشريع السابق.

وعلاوة على ذلك، فإن الملاءمة مع اللائحة الأوروبية فرضت على المقاولات والإدارات العمومية المغربية اعتماد مهنة مندوب حماية المعطيات (DPO) كحلقة وصل أساسية لضمان الامتثال المستمر، وهو ما أدى إلى خلق بيئة قانونية وطنية تتسم بالاندماج في الاقتصاد الرقمي العالمي؛ ومع ذلك، فإن هذا الأثر يطرح تحديا يتعلق بالسيادة التشريعية، حيث يجد المشرع الوطني نفسه ملزما بتتبع وتبيئة قواعد قانونية

تم وضعها في سياق جيوسياسي وتقني مختلف، مما يستلزم نوعاً من الذكاء القانوني من اجل التوازن بين الانفتاح على المعايير العالمية والحفاظ على الخصوصيات الوطنية في حماية المعطيات.

ثانياً: المعاهدات الدولية والاتفاقيات التي انخرط فيها المغرب لتعزيز السيادة الرقمية

ان انخراط المملكة المغربية في المنظومة الدولية لحماية المعطيات، ولاسيما من خلال المصادقة على الاتفاقية رقم 108 لمجلس أوروبا وبروتوكولها الإضافي، هو خيار استراتيجي لتعزيز السيادة الرقمية عبر الالتزام بحد أدنى من القواعد المشتركة التي تضمن حماية عابرة للحدود للمعطيات الشخصية؛ فهذه الاتفاقية، باعتبارها الوثيقة الدولية الوحيدة الملزمة قانونا في هذا المجال، تفرض على الدول الأعضاء إرساء ضمانات مؤسساتية كفيلة بمنع استغلال المعطيات الشخصية للمواطنين في أغراض تمس بالنظام العام الدولي أو الأمن القومي، مما يجعل من الانخراط الدولي وسيلة لتحصين الفضاء الرقمي الوطني ضد التهديدات السيبرانية الخارجية (ابن يعيش، 2016، ص 38).

وفي إطار تعزيز هذه السيادة، بادر المغرب إلى إبرام اتفاقيات ثنائية ومتعددة الأطراف هدفها ضبط تدفق البيانات العابرة للحدود، مع التركيز على مبدأ "المعاملة بالمثل" في حماية الخصوصية، وهو ما يتيح للدولة المغربية فرض معاييرها القانونية عند نقل معطيات مواطنيها إلى الخارج؛ إن هذا التوجه التعاقدي الدولي يسعى بالأساس إلى حماية "الأمن البياني" للدولة ضد التجسس الرقمي أو الاستغلال التجاري غير المشروع للمعطيات الضخمة (Big Data) التي هي بمثابة النفط الجديد في الاقتصاد العالمي المعاصر.

كما يشكل انضماما المغرب إلى اتفاقية "بودابست" المتعلقة بالجريمة المعلوماتية رافدا أساسيا لتعزيز السيادة الرقمية، حيث يتيح للمغرب الولوج إلى آليات التعاون القضائي والأمني الدولي لتعقب مرتكبي الجرائم التي تستهدف المعطيات الشخصية وتفكيك الشبكات الإجرامية العابرة للقارات (اتفاقية بودابست، 2001)، وإن هذا التلازم بين حماية المعطيات ومكافحة الجريمة السيبرانية يعكس إدراك المشرع المغربي بأن السيادة الرقمية لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن التنسيق الدولي، بالنظر إلى الطبيعة اللامادية للتهديدات الرقمية التي تتجاوز الحدود الوطنية والولاية القضائية للدول المنفردة.

إن التزام المغرب بالمعايير الدولية في ظل الرقمنة يندرج ضمن رؤية استراتيجية تحاول ان تجعل المملكة "قطباً رقمياً" آمناً في القارة الإفريقية، وهو ما يتطلب ملاءمة مستمرة بين الالتزامات الدولية

ومتطلبات الأمن المعلوماتي الوطني (وزارة الانتقال الرقمي، 2024) ومن ثم، فإن السيادة الرقمية في المنظور المغربي هي قدرة الدولة على فرض احترام قوانينها وضمان حماية مواطنيها في بيئة رقمية عالمية مفتوحة، وهو ما يتجسد في الدور المحوري الذي تلعبه الاتفاقيات الدولية في تحديث الترسانة القانونية الوطنية وجعلها قادرة على الصمود أمام تحديات الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية.

المطلب الثاني: الآليات المؤسساتية وتحديات الفعالية في ظل الرقمنة

في هذا المطلب ننتقل من النص القانوني إلى الواقع العملي والقنوات المؤسساتية المتخصصة التي تضطلع بأدوار رقابية وضبطية صارمة في مواجهة الإدارات والخواص.، وسنركز في هذا الجانب على بيان الاختصاصات الوظيفية للجنة الوطنية (CNDP) وسلطاتها في التحري والزجر، مع تقييم نظام التصريح والترخيص المسبق كفلتر قانوني لضبط المعالجات الرقمية الحساسة (الفقرة الأولى) ويقودنا هذا الفحص المؤسساتي إلى رهانات الرقمنة، وما تفرضه تحديات الحوسبة السحابية والذكاء الاصطناعي من ضرورة للموازنة بين مقتضيات النجاعة الإدارية وحفظ الحريات الفردية (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: الدور الرقابي للجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي (CNDP)

يعتبر الجهاز الضبطي المستقل حجر الزاوية في تفعيل القانون العام، حيث يمارس مهامه عبر سلطات تقريرية واستشارية تمس جوهر العمل الإداري والرقمي، ويتطلب هذا الوقوف على الصلاحيات الواسعة التي تتمتع بها اللجنة الوطنية في مراقبة النظم المعلوماتية للإدارات والمؤسسات، وإدارة السجل الوطني لحماية المعطيات الشخصية (اولا) كما سنرى نظام الضبط القبلي، المتمثل في التصريح والترخيص المسبق، كآلية تقنية وقانونية تضمن عدم انحراف المعالجات الرقمية عن غاياتها المشروعة، وتكفل حماية المعطيات الحساسة من أي استغلال تمييزي أو غير قانوني (ثانيا)

أولا: الاختصاصات الوظيفية والتقريرية للجنة في مواجهة الإدارات والمؤسسات

تتمتع اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي المحدثة بموجب المادة 27 من القانون 08-09، بصلاحيات قانونية تمنحها سلطات تحر وبحث واسعة النطاق، حيث يخول لأعوانها المفوضين بصفة قانونية ولوج المقرات التي تتم فيها عمليات المعالجة الرقمية ومطالبة الإدارات والمؤسسات بكافة الوثائق والمعلومات الضرورية لممارسة مهام المراقبة والتحقق من مدى مطابقة النظم المعلوماتية

للمقتضيات التشريعية الجاري بها العمل، وتتجاوز هذه السلطات المعاينة إلى البعد التقريري والزجري، إذ تمتلك اللجنة سلطة الأمر بإغلاق المعطيات أو مسحها أو إتلافها، بل ومنع معالجة المعطيات بصفة مؤقتة أو دائمة في حال ثبوت إخلالات تمس بالحياة الخاصة أو الأمن والنظام العام، وهو ما يجعل منها سلطة إدارية ضبطية مستقلة تقف حائلا دون أي شطط في استعمال السلطة المعلوماتية من لدن المرفق العام أو الفاعلين الاقتصاديين (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 2).

وعلاوة على ذلك، يمتد الدور الوظيفي للجنة الى الجانب الاستشاري والإخباري، حيث تلزم الحكومة والبرلمان باستطلاع رأيها بخصوص مشاريع ومقترحات القوانين ذات الصلة بمعالجة المعطيات، وكذا النصوص التنظيمية المتعلقة بإحداث ملفات أمنية أو إحصائية مجمعة من قبل السلطات العمومية، وهو ما يضمن دمج مقاربة "حماية الخصوصية" في صلب السياسات العمومية والتشريعات الوطنية منذ مراحلها الجنينية، كما تضطلع اللجنة بمهمة التحقيق في الشكايات المحالة عليها من قبل الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم متضررين من عمليات معالجة غير مشروعة، ولها في هذا الصدد سلطة إصدار أوامر بنشر تصحيحات أو إحالة الملفات على النيابة العامة قصد المتابعة القضائية في حال تضمن الخرق عناصر جرمية تستوجب العقاب الجنائي (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 30).

وفي إطار تعزيز الشفافية المؤسساتية، يتجلى الاختصاص التقريري للجنة في إدارة "السجل الوطني لحماية المعطيات الشخصية" ووضعه رهن إشارة العموم، وهو سجل مركزي تقيد فيه كافة الملفات الخاضعة للمعالجة سواء من لدن السلطات العمومية أو الخواص، باستثناء الملفات الأمنية والدفاعية الخاضعة لنظم خاصة، مما يمنح للأفراد ممارسة حقوقهم في الولوج والتصحيح والتعرض بناء على بيانات محينة،ولذلك فإن هذا الدور الرقابي المركب، الذي يجمع بين التحري، والتقرير، والزجر، يسعى في عمقه إلى إرساء "حوكمة البيانات" والتوازن بين نجاعة الأداء الإداري في ظل الرقمنة وبين الالتزام الأخلاقي والقانوني بصيانة الحرمة الرقمية للمواطن كحق دستوري لا يقبل المساومة.

ثانيا: نظام التصريح والترخيص المسبق كآلية للضبط القانوني للمعالجة الرقمية

يشكل نظام التصريح والترخيص المسبق، المنصوص عليه في المادتين 12 و13 من القانون 08-09، العمود الفقري للرقابة القبلية التي تمارسها اللجنة الوطنية، حيث تخضع معالجة المعطيات ذات الطابع

الشخصي كأصل عام لإلزامية التصريح المسبق الذي يتضمن التزاما صريحا من المسؤول عن المعالجة بإجرائها وفق أحكام القانون، وهذا الإجراء يمكن اللجنة من بسط رقابتها والتأكد من إشهار المعالجة، ويسلم الوصل عن هذا التصريح داخل أجل أقصاه 24 ساعة، وهو ما يضمن عدم عرقلة الانسيابية الإدارية أو التجارية، مع احتفاظ اللجنة بحق إخضاع المعالجة لنظام "الإذن المسبق" إذا تبين لها أن المعالجة تتضمن أخطارا ظاهرة على حماية الحياة الخاصة والحريات الأساسية (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 12).

أما نظام الترخيص أو "الإذن المسبق"، فهو الدرجة القصوى من الضبط القانوني، حيث يفرض المشرع الحصول على موافقة صريحة ومعللة من اللجنة قبل الشروع في معالجة المعطيات "الحساسة" التي تكشف عن الأصول العرقية، أو الآراء السياسية، أو القناعات الدينية، أو الانتماءات النقابية، وكذا المعطيات المتعلقة بالصحة والجينات أو تلك التي تتضمن رقم بطاقة التعريف الوطنية، ويعد هذا النظام بمثابة فلتر قانوني وتقني يمنع استغلال هذه البيانات عالية الحساسية في عمليات التمييز أو التنميط الرقمي، حيث لا يمنح الإذن إلا بناء على الرضى الصريح للشخص المعني أو وجود مصلحة حيوية أو مقتضى قانوني نظامي يبرر هذه المعالجة بالنظر لغاياتها المعلنة (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 22)

ويمتد هذا النظام الضبطي أيضا الى عمليات الربط البيني للملفات التي تديرها مؤسسات مختلفة أو تلك التي تسعى لتحقيق غايات متباينة، وذلك لتفادي تراكم البيانات وتشكيل قواعد بيانات ضخمة قد تستغل في مراقبة الأفراد خارج رقابة القانون، كما تخضع عمليات نقل المعطيات نحو بلد أجنبي للرقابة، حيث لا يجوز النقل إلا إذا كانت الدولة المستلمة تضمن مستوى حماية كافٍ، وفي غياب ذلك، يظل النقل رهينا بإذن صريح من اللجنة الوطنية بناءً على ضمانات تعاقدية صارمة تكفل استمرار حماية حقوق الأشخاص المعنيين حتى خارج الحدود الوطنية (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 43.44).

إن مخالفة هذه النظم الإجرائية، سواء بالقيام بمعالجة دون تصريح أو إذن، أو مواصلة النشاط رغم سحب الوصل، يترتب عنها غرامات مالية تتراوح بين 10.000 و 100.000 درهم، وقد تصل إلى العقوبات الحبسية في حالات العود أو التدليس، مما يضفي صبغة إلزامية وردعية على هذه الآليات الضبطية، وبذلك، ينجح نظام التصريح والترخيص في خلق توازن بين حرية تدفق البيانات كضرورة اقتصادية وتقنية في

عصر الرقمنة، وبين الالتزام السيادي للدولة بحماية أمن المعطيات الشخصية لمواطنيها من أي انحرافات قد تطال استعمال الوسائط التكنولوجية الحديثة.

الفقرة الثانية: رهانات الرقمنة وتحديات حماية السيادة المعطياتية

يواجه القانون العام تحديات بنيوية ناشئة عن الطبيعة اللامادية للفضاء الرقمي، حيث تتداخل السيادة الوطنية مع البنى التحتية التقنية الدولية، ويستوجب هذا رصد الإشكاليات القانونية المرتبطة بالحوسبة السحابية وتوطين البيانات، وتأثير خوارزميات الذكاء الاصطناعي على حياد المرفق العام (اولا) كما يطرح هذا رهان الموازنة بين ضرورة تحديث الإدارة وتكريس النجاعة، وبين الالتزام الدستوري بحفظ حقوق المرتفقين عبر تفعيل "حق الإخبار" و"حق الولوج والتصحيح"، لضمان عدم تحول الرقمنة إلى أداة لتقويض الهوية الرقمية للمواطن (ثانيا).

أولا: التحديات التقنية والقانونية

تفرض الرقمنة تحديات بنيوية تتجاوز النطاق التقليدي للقانون العام، حيث يطرح اعتماد الإدارات العمومية على تقنيات "الحوسبة السحابية" (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2021)، إشكاليات قانونية تتعلق بتحديد الاختصاص القضائي والقانون الواجب التطبيق في حالة وقوع خروقات بيانية، خاصة عندما يتم تخزين معطيات المواطنين في خوادم تقع خارج الحدود الوطنية، بالتالي فإن هذا الواقع يفرض على المسؤولين عن المعالجة اتخاذ إجراءات تقنية ملائمة لحماية المعطيات من الإتلاف العرضي أو الولوج غير المرخص، مع الأخذ بعين الاعتبار التكاليف والتقنيات المستعملة لضمان مستوى سلامة يطابق المخاطر المحتملة، ويستوجب هذا التحول إعادة صياغة الالتزامات التعاقدية بين الإدارة والمعالجين من الباطن لضمان تقيدهم بالتعليمات الصارمة والالتزامات الأمنية المنصوص عليها قانونا.

ياتي الذكاء الاصطناعي كمتغير تقني يهدد الحقوق الفردية عبر البروفايل الآلي (المركز الديمقراطي العربي، 2024، ص 47)، مما دفع المشرع المغربي إلى إقرار قاعدة "انعدام الآثار" التي تمنع اتخاذ قرارات قضائية أو إدارية تنشأ عنها آثار قانونية تجاه الأشخاص بناءً فقط على معالجة آلية لتقييم جوانب من شخصيتهم، ويستثني القانون القرارات المتخذة في إطار إبرام عقد بشرط إتاحة الفرصة للشخص المعني لتقديم ملاحظاته، وهو ما يعكس الرغبة في أن تظل الخوارزميات تحت إشراف المنطق البشري، وهذه الضمانات

هدفها كبح جماح السلطة التقديرية للأنظمة الذكية التي قد تفتقر إلى معايير العدالة والشفافية القانونية المطلوبة في المرفق العام (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 10).

ويمثل التدفق العابر للحدود للمعطيات رهانا قانونيا اخر يوازن بين الانفتاح الاقتصادي والسيادة الأمنية، حيث يمنع القانون 08-09 نقل المعطيات نحو دول أجنبية إلا إذا كانت تضمن مستوى حماية كاف للحياة الخاصة والحريات الأساسية، ويخضع تقييم هذا المستوى للمعايير المحددة في تلك الدولة ولإجراءات الأمن المطبقة فيها، وكذا لطبيعة وأصل ووجهة المعطيات المعالجة، وعليه فإن أي خرق لهذه المقتضيات يعرض المسؤولين لعقوبات حبسية تتراوح بين ثلاثة أشهر وسنة وغرامات مالية ثقيلة، مما يضفي صبغة سيادية على حماية البيانات الوطنية في الفضاء الرقمي العالمي.

وعليه يمكن القول ان التحدي القانوني الأكبر يكمن في المعطيات الحساسة التي تشمل الأصل العرقي، الآراء السياسية، أو القناعات الدينية، والتي خصها المشرع بحماية استثنائية بمنع معالجتها إلا بإذن صريح من اللجنة الوطنية أو بناء على مقتضى قانوني محدد، ويُلزم القانون المسؤولين عن هذه المعالجات باتخاذ تدابير ملائمة لمراقبة الدخول للمنشآت ومنع قراءة أو نسخ دعامات المعطيات من قبل أشخاص غير مأذون لهم.

ثانيا: رهان الموازنة بين متطلبات النجاعة الإدارية وحفظ الحقوق والحريات الفردية

ياتي التوفيق بين ضرورة تحديث الإدارة المغربية ورقمنتها وبين الالتزام الدستوري بحماية المعطيات الشخصية كرهان اخر في القانون، حيث يقر القانون 08-09 بأن المعلوميات يجب أن تكون في خدمة المواطن وألا تمس بالهوية أو الحقوق والحريات الفردية .إن هذا المبدأ يفرض على الإدارات العمومية، عند سعيها لتحقيق النجاعة، التقيد بمبدأ "تناسب المعطيات" بحيث تكون المعالجة بطريقة نزيهة ولغايات محددة ومعلنة، وألا تتجاوز المعطيات المجمعة ما هو ضروري لإنجاز الغايات المقصودة،: وبذلك، تصبح حماية الخصوصية شرطا أساسيا للشرعية. ولتحقيق هذه الموازنة، منح المشرع للأفراد "حق الإخبار" كضمانة لممارسة الرقابة على العمل الإداري الرقمي، حيث يلزم المسؤول عن المعالجة بإخبار الشخص المعني بهوية المسؤول عن المعالجة وغاياتها ووجود حق في الولوج والتصحيح، وتعتبر الوثائق المعتمدة لتجميع المعطيات باطلة إجرائيا إذا لم تتضمن هذه المعلومات الأساسية، ومع ذلك، وضع المشرع حدودا لهذا الحق تماشيا مع متطلبات

النجاعة في مجالات محددة كالدفاع الوطني والأمن الداخلي أو الوقاية من الجريمة، حيث يغلب هنا الصالح العام على حق الفرد في الإخبار المسبق (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 5).

كما يتجلى هذا الرهان في إقرار "الحق في الولوج والتصحيح" الذي يمكن المواطن من الحصول فورا ودون عوض على تأكيد معالجة معطياته أو تصحيحها في حال كانت خاطئة أو غير محينة، ويلتزم المسؤول عن المعالجة بالقيام بالتصحيحات اللازمة داخل أجل عشرة أيام، وفي حالة الرفض، تتدخل اللجنة الوطنية لفرض الالتزام القانوني، وعليه فإن هذه الآلية تضمن دقة البيانات الحكومية وتمنع اتخاذ قرارات إدارية بناء على معلومات مغلوطة، وهو ما يرفع من جودة المرفق العام الرقمي ويحفظ في الوقت ذاته كرامة المرتفق وسيادته على بياناته الشخصية (القانون رقم 09.08، 2009، المادة 53).

خاتمة

خلصت في هذه الدراسة إلى أن القانون العام المغربي نجح في الانتقال بحماية المعطيات الشخصية من حيز التجريد الدستوري إلى حيز التفعيل الإجرائي والمؤسساتي، مشكلاً بذلك درعاً قانونياً ضد مخاطر التعدين البياناتي غير المشروع، فقد ثبت أن الملاءمة مع اللائحة الأوروبية (GDPR) والانخراط في الاتفاقيات الدولية كالاتفاقية رقم 108، لم يكن استجابة لضغوط خارجية، بقدر ما هو خيار سيادي لتعزيز الأمن البياني وتحويل المملكة إلى قطب رقمي آمن، إلا أن التحدي القائم يظل مرتبطا بمدى صمود هذه الترسانة أمام تقنيات الحوسبة السحابية والذكاء الاصطناعي التي تفرض إعادة صياغة الالتزامات التعاقدية والأمنية لضمان بقاء الخوارزميات تحت إشراف المنطق البشري والقانوني، وبناء عليه، فإن تكريس "حق الولوج والتصحيح" وتفعيل دور اللجنة الوطنية (CNDP) يمثلان الضمانة الفعلية لتحقيق الموازنة بين النجاعة الإدارية وصون الهوية الرقمية للمواطنين، بما يخدم رؤية الدولة في بناء مجتمع معرفي قائم على الثقة والسيادة المعطياتية.

لائحة المراجع

1. **دستور المملكة المغربية** (2011) الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.11.91 بتاريخ 27 من شعبان 1432 (29 يوليو 2011)، الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر.
2. **القانون رقم 09.08** (2009) المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.09.15 بتاريخ 22 من صفر 1430 (18 فبراير 2009)
3. **اللائحة (الاتحاد الأوروبي) 679/2016** .(2016) .بشأن حماية الأشخاص الطبيعيين فيما يتعلق بمعالجة البيانات الشخصية (GDPR) ، البرلمان الأوروبي والمجلس، 27 أبريل 2016.
4. **اتفاقية بودابست المتعلقة بالجريمة الإلكترونية** .(2001) .المجلس الأوروبي، صادق عليها المغرب في 29 يونيو 2018.
5. **ابن يعيش، عبد الرزاق** (2016) حكامة الأمن السيبراني نحو بناء منظومة قانونية فعالة لحماية البيانات الرقمية. رسالة ماستر كلية العلوم القانونية والاقتصادية جامعة ابن طفيل.

6. **المركز الديمقراطي العربي** .(2024) .مستقبل الذكاء الاصطناعي: تحديات قانونية وأخلاقية. برلين، ألمانيا.
7. **وزارة الانتقال الرقمي وإصلاح الإدارة** .(2024) .الاستراتيجية الوطنية "المغرب الرقمي 2030". الرباط، المغرب.
8. **المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي** .(2021) .الحوسبة السحابية: بنية تحتية أساسية لتسريع التحول الرقمي (إحالة رقم 2021/48). الرباط، المغرب.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع﴾

Protecting Intellectual Property Safeguards The Quality Of Creativity

DEHBI MESSAOUD
Research Laboratory on the Impact of Judicial Precedent on the Algerian Legislative Process .university of biskra algeria
messaoud.dehbi@univ-biskra.dz

Abstract:

God created humankind in the finest form and endowed it with a mind that distinguishes it form al other creatures ,granting it an unlimited capacity ,this distinguishes being continued to learn and progress through its work ,eventually building civilizations that still stand as testimony to the greatness of the human intellect whether in architecture and sculpture ,or in refined literature and the various arts throughout history . However ,as inventions ,innov ations and the many products of human thought multiplied ,it became necessary to establish mechanisms to protect them .To this end numerous international agreements were concluded,setting out important substantive provisions on intellectual property in order to safeguard creativity and innovation.

Keywords: knowledge; Innovation; Creativity; Intellectual Property; Rules for the protection of intellectual property

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع﴾

حماية الملكية الفكرية خدمة لجودة الإبداع

د. ذهبي مسعود
مخبر اثر الاجتهاد القضائي على حركة التشريع الجزائري جامعة بسكرة الجزائر
messaoud.dehbi@univ-biskra.dz

ملخص:

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ووهبه عقلا ميزه به ن سائر المخلوقات و أعطاه القدرة اللامتناهية على التفكير و التعلم و الإبداع ،فراح هذا المخلوق المميز يتعلم و يرتقي بعمله حتى أقام الحضارات التي لاتزال شاهدة على عظمة ذلك العقل على مستوى العمارة ومنحوتاتها او على مستوى الآداب الراقية و سائر الفنون على مر العصور ، لكن بعد ان كثرت الابتكارات و الإبداعات و سائر نتاجات فكر الإنسان ،كان لابد من وسيلة تحفظها و من اجل ذلك تم إبرام عدد كبير من الاتفاقيات و المعاهدات بين الدول خصوصا اتفاقية باريس و اتفاقية تربيس التي تعتبر من أهم الاتفاقيات الدولية التي وضعت أحكاما موضوعية هامة للملكية الفكرية حماية للإبداع والابتكار.

الكلمات المفتاحية: المعرفة ، الابتكار ، الإبداع ، الملكية الفكرية ، قواعد حماية الملكية الفكرية

مقدمة:

يعتبر الإبداع و الابتكار إنتاج ذهني و وحدة البنية الثقافية لأي مجتمع .ان قيمة الفكر ليست مجرد وجوده بل في الاستفادة منه ، فالإنسان حينما يفكر يبدع في جميع الميادين سواء في إطار الملكية الأدبية و الفنية أو في إطار الملكية الصناعية و التجارية و خصوصا الاختراعات و الابتكارات و الإبداعات .ولا شك أن ما وصلت إليه البشرية اليوم هو نتاج إبداع من سبقونا (حفص، 2021).و هي أرقى ما يتوصل اليه العقل البشري، الشيء الذي انشأ نوعا من الحقوق عرفت بحقوق الملكية الفكرية و التي لها نظام قانوني أساسي لدفع التنمية الاقتصادية و التقدم الاجتماعي و الإبداع العلمي و التكنولوجي و الازدهار الثقافي للبشرية (بركان، 2022).اذن الحقوق الإبداعية هي الأخرى احد المجالات القانون و حظيت باهتمام كبير سواء على المستوى الوطني أو حتى الدولي من خلال المنظمات الدولية و حتى المواثيق و ذلك لوضع نظم حمائية لتلك الحقوق التي تنقل الوجود الذهني الى عالم ملموس في صورة إبداعية للجماهير .

ونجد ان العهد الأول لهذا التشريع على المستوى الدولي هو اتفاقية باريس و تربيس و برن ، إذن عرف التنظيم الدولي لحماية الملكية الفكرية تطورا مهما جدا ، فبعدما كان هذا التنظيم مجرد اتفاقيات و اتحادات دولية لحماية الملكية الفكرية ، تطور الوضع و أدى إلى ظهور منظمات دولية كفيلة بحماية حقوق الملكية الفكرية الدولية و هذا ما يثير الإشكالية عبر التساؤل التالي :**إلى اي مدى ساهم القانون في تأطير المعرفة و الابتكار عبر حمايته للملكية الفكرية ؟.**

وللإجابة على هذه الإشكالية تم اعتماد المنهج الوصفي لسرد مختلف النصوص المتعلقة بالملكية الفكرية ثم المنهج التحليلي لدراسة تلك النصوص .

أولا: ظهور المنظمة العالمية للملكية الفكرية و تطورها:

إذا كانت الملكية الفكرية هي إبداعات و ابتكارات العقل ، فان المنظمة العالمية للملكية الفكرية هي الوكالة المتخصصة التابعة للأمم المتحدة المكرسة لإعداد نظام الملكية الفكرية يتسم بالتوازن و إمكانية النفاذ إليه و يكافئ الإبداع و يحفز على الابتكار ، ويساهم في التنمية الاقتصادية للمصلحة العامة .

او هي منظمة دولية تقوم بتقديم المساعدة من اجل ضمان حماية حقوق المبدعين و أصحاب الملكية الفكرية في جميع إنحاء العالم ،و الاعتراف بهم و مكافئتهم على إبداعاتهم .

و ترجع جذور المنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO) إلى عام 1883 أين أصبحت الحاجة ملحة إلى توفير حماية دولية للملكية الفكرية ، وذلك بسبب امتناع أصحاب المعارض الأجانب عن المشاركة في المعرض العالمي للاختراعات الذي أقيم في مدينة فينا عام 1873 خشية سرقة أفكارهم و استغلالها تجاريا في البلدان الأخرى (حليمة، 2021) .حيث شهد عام 1873 ميلاد اتفاقية باريس لحماية الملكية الفكرية الصناعية ، فهي تعد الاتفاقية الدولية الكبرى التي تستهدف مساعدة مواطني بلد ما في الحصول على حماية إبداعاتهم الفكرية في بلدان أخرى .

و لقد تلتها عام 1886ابرام اتفاقية برن لحماية الملكية الأدبية و الفنية ، حيث تم بموجب كلا الاتفاقيتين إنشاء مكتبين دوليين يضطلعان بالمهام الإدارية .

و في عام 1893 اتخذ هذان المكتبان لتشكيل منظمة دولية سميت بالمكاتب الدولية المتحدة لحماية الملكية الفكرية المعروفة بالفرنسية BIRPI و في عام 1960 انتقلت هذه المنظمة من مدينة برن السويسرية إلى مدينة جنيف لتكون اقرب من منظمة الأمم المتحدة .

و مع ازدياد أهمية الملكية الفكرية تغير هيكل و شكل منظمة BIRPI لتصبح منظمة الويبو حيث تأسست هذه الأخيرة بموجب اتفاقية تم التوقيع عليها في 14 جويلية 1967 بستوكهولم تحت عنوان اتفاقية إنشاء المنظمة العالمية للملكية الفكرية و دخلت حيز التنفيذ سنة 1970 (الدين، 2004) .

و تعد المنظمة العالمية للملكية الفكرية منظمة دولية حكومية أدرجت ضمن الوكالات المتخصصة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة منذ سنة 1974 تعتمد أساسا في تحصيل إيرادات الميزانية العادية من الرسوم التي يسددها المنتفعون بخدمات التسجيل الدولي و الإبداعات و الاشتراكات التي تدفعها حكومات الدول الأعضاء ، ولتحقيق أهدافها تضم المنظمة العالمية للملكية الفكرية مجموعة من الأجهزة تساهم في أداء مهامها نذكر من أجهزتها الجمعية العامة التي تضم الدول الأعضاء فيها و في أي من الاتحادات .

ومن بين مهامها الرئيسية تعيين المدير العام بناء على ترشيح لجنة التنسيق و النظر في تقاريره و اعتمادها ، النظر في تقارير لجنة التنسيق و أنشطتها و اعتمادها و إقرار اللائحة المالية للمنظمة ، ثم لجنة التنسيق التي تتكون من الدول الأعضاء المنتخبة من بين الدول الأعضاء في اللجنة التنفيذية لاتحاد باريس و اللجنة التنفيذية لاتحاد برن ، ومن بين مهامها اسداد المشورة الى أجهزة الاتحادات و الجمعية العامة و المؤتمر و

المدير العام حول جميع الشؤون الإدارية و المالية التي تهم هذه الهيئات ،كما تعد مشروع جدول أعمال الجمعية العامة و مشروع جدول أعمال المؤتمر ، يضاف الى ذلك مؤتمر الويبو الذي يتكون من الدول الأطراف في اتفاقية المنظمة ومن مهامه إقرار التعديلات الواردة على اتفاقية ويبو (عيسى، 2022).

ثانيا:صور الملكية الفكرية كآلية لحماية المعرفة و الابتكار

الملكية الفكرية تشتمل فنيا على نوعين :

الملكية الصناعية و الملكية الأدبية و الفنية ، فأما الملكية الصناعية فهي تشمل على الابتكارات و الإبداعات أي الجانب المعرفي الذي له طابع صناعي و تجاري كبراءات الاختراع ، الرسوم ،و النماذج الصناعية العلامات التجارية و الإشارات المميزة و غيرها ، بينما تتمثل الملكية الأدبية و الفنية على حق المؤلف و الحقوق المجاورة لهذا الحق .

إن الملكية الفكرية تحوي مفردات مختلفة و متنوعة ، الا ان هناك رابطا أساسيا يجمع بينها جميعا ، هو الإبداع و الابتكار .كما تجدر الإشارة إلى إن الفصل بين الملكية الصناعية و الملكية الأدبية و الفنية أحيانا هو أمر صعب ، إذ أن الأعمال الفنية يزداد استخدامها في الصناعة يوما بعد يوم .فبعض الناس يرى أن حق المؤلف يحمي طريقة الصياغة ، والتعبير عن الفكرة و ليس الفكرة نفسها ، أما براءة الاختراع فهي تحمي الفكرة أو الاختراع نفسه (بالي، 2011).

01: الملكية الأدبية و الفنية (حق المؤلف)

يعني به ما للمؤلف من حق على إنتاجه الذهني في الأدب و العلوم و الفنون ،و تشمل جميع صور الإبداع الذهني الذي تبرز فيه شخصية المؤلف و من هذه الصور :

ا-المصنفات المكتوبة :

تشمل جميع المصنفات التي تصل إلى الجمهور عن طريق الكتابة و لا يؤثر في طبيعة المصنفات المكتوبة اختلاف محتواها أو شكلها .

ب-المصنفات التي تلقى شفاهة كالمحاضرات و المواعظ الدينية :

إن حماية حقوق المؤلف ترتكز على شرطين أساسين هما : إبداعات الأشكال و الأصالة .

➢ **إبداعات الأشكال :**

يشترط القانون أن تتبلور أفكار المؤلف و تتجسد في مظهر خارجي يتمثل في الشكل الملموس للمصنف و المثبت على دعامة مادية محسوسة .

لذلك فان المشرع فان المشرع استبعد الأفكار العامة المجردة و ما يشابهها من الحماية لأنها تدخل ضمن المجال الحر للتفكير و تصنف ضمن الدومين العام .

و يمكن استعمال أفكار الغير باستثناء بعض الأفكار ذات القيمة الاقتصادية مثل الأفكار الاشهارية فانه يمكن حمايتها في حالة الضرر بواسطة دعوى المنافسة غير المشروعة او الإثراء بلا سبب .

➢ **– الأصالة :**

هي عنوان الإبداع و الابتكار في المجال الذهني ، إذ لا يتحقق هذا الإبداع إلا عن طريق بذل جهد فكري خلاق .

و تتجسد الأصالة من خلال المؤشرات الدالة على وجود اثر لشخصية المؤلف في إنتاجه الذهني ، ولقد عبر عن ذلك الأستاذ السنهوري بقوله انه يتبين ان المؤلف قد خلع إنتاجه شيئا من شخصيته .

ج–المصنفات الفنية و يقصد بها المصنفات التي تخاطب الحس الجمالي عند الجمهور (الصباغ، 2023)

د–المصنفات الأدبية و العلمية المكتوبة المشتقة :

المصنفات المشتقة هي التي تستمد أصالتها من مصنفات سابقة الوجود ، كأعمال الترجمة و الاقتباس و التوزيعات الموسيقية و المراجعات التحريرية ، وباقي التحريرات الأصلية للمصنفات الأدبية او الفنية و المجموعات و المختارات من المصنفات و مجموعات من مصنفات التراث الثقافي التقليدي و قواعد البيانات سواء كانت مستنسخة على دعامة قابلة للاستغلال بواسطة آلة أو بأي شكل من الأشكال الأخرى ، والتي تتاتى أصالتها من انتقاء موادها او ترتيبها ،فتلك المصنفات تتمتع بالحماية القانونية المقررة في القانون شريطة عدم الإخلال بالحماية المقررة للمصنفات التي اشتقت منها (بركان، حماية حقوق المؤلف و الحقوق المجاورة في القانون الجزائري ، 2022).

02– الملكية الصناعية :

هي عبارة عن الحقوق التي تحمي العناصر الأساسية في المنشآت الصناعية او التجارية للصناع او التاجر ، و من أمثلتها الحق في براءات الاختراع و النماذج الصناعية و العلامات التجارية ، والاسم التجاري .

كما أنها تعرف بأنها حق استئثاري على عناصر صناعية او تجارية تمكن صاحبها من احتكارها و استغلالها خلال مدة معينة بمقتضى ما يشترطه القانون لذلك و تعرف أيضا بأنها الحقوق المختلفة التي تكون ثمرة النشاط الإبداعي ذات الصلة بالنشاط التجاري و الصناعي و من ذلك يمكن تقييم حقوق الملكية الصناعية إلى عدة فروع :

01- براءات الاختراع و نماذج المنفعة .

02-العلامات و البيانات التجارية .

03-التصميمات و النماذج الصناعية .

04-التصميمات التخطيطية للدوائر المتكاملة .

05-المعلومات غير المفصح بها .

06-الأصناف النباتية .

07-المؤشرات الجغرافية .

ثالثا:حماية الملكية الفكرية في ظل اتفاقية باريس :

لقد تم إنشاء اتفاقية باريس عام 1883و هي أول اتفاقية أنشئت لتنظيم حقوق الملكية الصناعية و التجارية على المستوى الدولي ، وتعتبر من الأعمدة التي يرتكز عليها نظام الحماية لحقوق الملكية . وتم تعديل هذه الاتفاقية عدة مرات و كان أخر تعديل في ستوكهولم 1967، ولقد اكتسبت اتفاقية باريس بخصوص الملكية الصناعية و التجارية أهمية كبيرة لدرجة انه تم اعتبارها دستور الملكية الصناعية (الغامدي، 2014) .

ولقد أبرزت اتفاقية باريس أهم أحكام الحماية فتطرقت إلى المبادئ الأساسية للحماية و إلى بعض الفئات الخاصة للملكية الصناعية .

❖ **المبادئ الأساسية في اتفاقية باريس :**

عرفت اتفاقية باريس اربع مبادئ نلخصها فيما يلي :

01-مبدأ المعاملة الاتحادية Assimilation of unionists principle

يعتبر مبدأ المعاملة الاتحادية أشهر المبادئ الدولية و لقد تكرس بموجب اتفاقية باريس حيث يستمد وجوده من أحكامها ، ويفضي هذا المبدأ بمساواة معاملة رعايا الدول الأعضاء مع مواطني الدولة المرغوب حماية الاختراع على إقليمها ، بل تمتد هذه المساواة إلى غير رعايا الدول الأعضاء بشرط أن يكون لهم موطن (إقامة) أو لهم منشاة صناعية أو تجارية حقيقية و فعالة في إقليم الدولة الاتحادية المرد حماية الاختراع فيها .حيث ركزت اتفاقية باريس في هذا المضمار على جملة من الضوابط حتى يحظى الشخص بالحماية الاتحادية في دول الاتحاد ، بان يكون من جنسية الدولة المطلوب فيها الحماية او يكون مقيما بها او ان يمتلك بإقليمها منشاة صناعية او تجارية تمارس نشاطها بصفة فعلية (عودة، 2023) .

02-مبدأ حق الأسبقية او الأولوية :

نصت المادة الرابعة من اتفاقية باريس على مبدأ الأسبقية في دول الاتحاد اذ يتمتع كل من المذيع وخلفه الذي قدم بصورة قانونية في إحدى دول الاتحاد للحصول على براءة الاختراع بحق الأسبقية لإتمام إجراءات الإيداع في دول أخرى التابعة للاتحاد ، وله مهلة في ذلك .

ورد مبدأ الأسبقية في دول الاتحاد في نص المادة الرابعة من اتفاقية باريس بان كل من أودع طبقا للقانون في إحدى دول الاتحاد طلبا للحصول على براءة الاختراع او لتسجيل نموذج منفعة او رسم يتمتع هو او خلفه فيما يخص بالإيداع في الدول الأخرى بحق أسبقية خلال المواعيد المحددة وتسري هذه المدة من تاريخ إيداع الطلب الأول و له مدة اثنى عشرة (12 شهر).

إن طلب الاختراع من الشخص الثاني في إحدى دول الاتحاد لا يثير صعوبة متى كان هذا الاختراع غير معروف من قبل في هذه الدولة أو لم يتقدم عنه احد بطلب الحصول على البراءة ، في هذه الحالة يثور مبدأ الأفضلية او بين مقدم الطلب الأجنبي و الأخر و تكون الأفضلية للأجنبي متى كان قد كلبه في الدول الأخرى خلال المدة المحددة و لا يجوز لمن بدا استغلاله في الدولة الثانية ان يبقى مستمرا متى وقع بعد تقديم صاحب الأسبقية طلبه في الدول الأخرى .

03-مبدأ استقلالية البراءات :Patent Indépendance Principle

يقضي مبدأ استقلالية براءات الاختراع ، باستقلال دول الاتحاد في إصدار براءات الاختراع و اتخاذ ما تراه مناسبا من إجراءات قانونية فيما يخص إسقاطها او انقضائها او تحديد مدتها ، شريطة ان تراعي في هذه

الإجراءات حدود الحماية المنصوص عليها في اتفاقية باريس ، وكذا إعمال أحكام الاتفاقية فيما يخص دعاوى التقليد أو المنافسة غير المشروعة بصدد الإجراءات القضائية .

و طبقا للمادة الرابعة ، تحتفظ البراءات الاتحادية باستقلالية عن بعضها البعض و تستمد استقلاليتها هذه من سيادة كل دولة من هذه الدول على إصدار البراءات بما لايتنافى وفحوى أحكام اتفاقية باريس ، بحيث ان البراءة الصادرة في دولة من دول الاتحاد تكون محل إجراءات إدارية او قضائية وطنية و لا تخضع في ذلك لأي تشريع من تشريعات الدول الأخرى او تتقيد بما اتخذته من إجراءات بشأن الإصدار.

مؤدى ذلك انه اذا تم منح براءة الاختراع في دولة عضو متعاقدة في اتفاقية باريس فان الدول المتعاقدة الأخرى ليست مجبرة على منح براءات أخرى عن ذات الاختراع ، ما انه و حسب مضمون الاتفاقية فان الدول تتمتع باستقلالية تامة حيال الإجراءات القانونية المتعلقة بالشطب او الإلغاء او مدة سقوط البراءة ، ويبقى ذلك اختصاصا وطنيا بحتا في كافة الدول المتعاقدة دونما الإخلال بأحكام الاتفاقية (عودة، الحماية القانونية الدولية لبراءة الاختراع في ظل اتفاقية باريس لسنة 1883، 2022).

04-مبدأ عدم التعارض مع معاهدة الاتحاد :

إن المادة التسعة عشر من معاهدة باريس أجازت لدول الاتحاد الحق في إبرام اتفاقيات خاصة لحماية الملكية الصناعية على انفراد بشرط عدم تعارض هذه الاتفاقيات مع أحكام اتفاقية باريس ،و عند التمعن في هذه القاعدة فهي تعني مبدأ المساواة بين رعايا دول الاتحاد ، كما أنها تمهد لتحقيق وحدة تشريعية بين أعضائه و لكنها ليست وحدة حقيقية في الإفادة من النتائج المترتبة على تطبيق الاتفاقية خصوصا عناصر الملكية الصناعية .

بناءا على المبادئ الأساسية التي جاءت بها اتفاقية باريس و التي تهدف إلى حماية حقوق الملكية الصناعية ، فيمكن القول ان قواعدها ملزمة للدول الأعضاء في الاتحاد و على الدول المنظمة إليها إن تعدل قوانينها بما يتوافق مع مضمونها ، ولا يجوز الاتفاق على مخالفة أحكام الاتفاقية .

كما يمكن القول ان نصوص اتفاقية باريس عي ذاتية التنفيذ و ذلك لكون الهدف الأساسي من تلك الاتفاقية هو الحق لكل شخص تابع او مقيم بإحدى دول الأطراف في الاتفاقية بحماية اختراعه او رسومه

آو نماذجه الصناعية أو علامته التجارية او اي صورة من صور الملكية الصناعية الأخرى المذكورة في الاتفاقية .

فأي دولة تصادق على اتفاقية باريس تصبح نصوصها جزء رئيسي من القانون الوطني لتلك الدولة الموقعة (الصباغ، الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية بموجب التشؤيعات الاردنية و الاتفاقيات الدولية ، 2023)

رابعا:الحماية القانونية للملكية الفكرية في ظل اتفاقية تريبس :

مما لا شك فيه أن قرار الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية يحقق التنمية الاقتصادية و توفير الأمن الاجتماعي و الثقافي بالإضافة للاستقرار في العلاقات التجارية بين الدول ، كما يؤدي إلى توفير معيشة كريمة لمواطني الدول الأعضاء و المحافظة على مصالح أصحاب حقوق الملكية الفكرية ،و ضمان مكان و محيط مناسب للنشاط ألابتكاري الذي يعود بالنفع على المجتمع .

- **المبادئ الأساسية لاتفاقية تربيس**

وتتآلف اتفاقية تربيس من 73 مادة مقسمة إلى سبعة أجزاء رئيسية ، كما أنها تتألف من عدة مبادئ أساسية تتعلق بحقوق الملكية الفكرية و هي :

01-التأكيد على مبدأ المعاملة الوطنية :

لقد أكدت الاتفاقية على مبدأ المعاملة الوطنية كما تم العمل به في الاتفاقيات السابقة ، والذي ينص على عدم جواز تفضيل المبدعين و المبتكرين و تقديم لهم معاملة تزيد عن تلك التي تمنحها الدولة العضو لأصحاب حقوق الملكية الفكرية الأجانب ، وهذا حسب نص المادة الثالثة من اتفاقية تربيس اذ تقضي بان يلتزم كل بلد عضو بمنح مواطني الدول الأخرى الأعضاء في الاتفاقية معاملة لا تقل عن المعاملة التي تمنحها لمواطنيها فيما يتعلق بحماية الملكية الفكرية .

يمكن القول ان هذا المبدأ يحقق نوعا من المساواة من حيث نطاقها و مدتها و نفاذها و كيفية الحصول عليها و كذلك المستفيدين منها (الصباغ، الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية بموجب التشريعات الاردنية و الاتفاقات الدولية ، 2023).

02-مبدأ الدولة أولى بالرعاية :

جاء في نص المادة الرابعة من اتفاقية تربيس على ان يتوجب على الدول الأعضاء ان تمنح المواطنين المنتمين إلى أي دولة عضو في الاتفاقية بدون شروط او أية مزايا او حصانات او معاملات تفضيلية تمنحها للمنتمين الى أي دولة أخرى بخصوص حماية حقوق الملكية الفكرية و تجدر الإشارة إلى ان اتفاقية تربيس الوحيدة التي أخذت بمبدأ الدولة أولى بالرعاية في تنظيم حقوق الملكية الفكرية الأمر الذي ساهم في انتشارها عبر مختلف دول العالم .

03-مبدأ الحماية بين حدها الأدنى و الأعلى :

يجب على القانون الوطني للدول الأعضاء في اتفاقية تربيس الاستجابة لمقتضيات الحدود الدنيا التي نصت عليها الاتفاقية و عدم النزول عنها او مخالفتها ، وتجدر الملاحظة إلى ان المستويات التي تضمنتها اتفاقية تربيس من حقوق الملكية الفكرية هي المستويات الدنيا للحماية ، بمعنى انه يحق لكل دولة عضو في الاتفاقية تحديد مستوى أعلى لحماية حقوق الملكية الفكرية في قوانينها الوطنية .

و يمكن القول ان رفع مستوى حماية حقوق الملكية الفكرية يتفق مع مصالح الدول الصناعية المتقدمة لأنها صاحبة الاختراعات و التكنولوجيا (الصباغ، الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية بموجب التشريعات الاردنية ، 2023).

04- الإحالة إلى الاتفاقيات الدولية المبرمة في مجا الملكية الصناعية :

تتميز اتفاقية تربيس عن غيرها من الاتفاقيات من حيث أحكام الإحالة لأنها ألزمت الدول الأعضاء على احترام الاتفاقيات الدولية التي أبرمت من قبل في مجال حماية الملكية الفكرية الأدبية و الصناعية ، وتطبيق ما جاء فيها .فالدول الأعضاء في اتفاقية تربيس تلتزم بنصوص تلك الاتفاقيات استنادا إلى مجدر انضمامهم إلى اتفاقية تربيس التي تفرض عليهم هذا الأمر .

05-التحفظات :

يحظر على الأعضاء إجراء اي تحفظات بشأن اي حكم من أحكام اتفاقية تربيس دون موافقة سائر بلدان الأعضاء ، ولا تضمن أي معاهدة من المعاهدات التي تديرها المنظمة العالمية للملكية الفكرية حكما من ذلك القبيل ، بل انما تستبعد عموما اي تحفظ ، وفي الحالات النادرة التي تسمح فيها بالتحفظ فإنها تحدد تمام تحديد الأحكام التي يجوز التحفظ عليها و شروطها ذلك التحفظ .

خامسا:الحماية القانونية للملكية الفكرية و الأدبية في ظل اتفاقية برن

أبرمت الاتفاقية بمدينة برن السويسرية في 10/09 /1886 سميت كذلك نسبة لاسم المدينة ، وتعتبر أول اتفاقية في مجال الملكية الفكرية ، ولقد تم تعديلها عدة مرات آخرها سنة 1979 استجابة للمتغيرات الحاصلة سياسيا و اقتصاديا ، وتتضمن الاتفاقية 38 مادة و ملحق خاص ببعض التحفظات و الأحكام لفائدة البلدان النامية .و بالرغم من التعديلات التي لحقتها الا انه لا تظهر من الاتفاقية ، بحيث لا يمكن التعرف على الأحكام المقررة سنة 1886 و الأحكام الواردة في التعديلات المتوالية لاحقا عليه (حسان، 2022).

- **المبادئ الأساسية في اتفاقية برن**

يمكن ان نلخص المبادئ التي شملتها اتفاقية برن كما يلي :

01-مبدأ المعاملة الوطنية

و معناها أن المصنفات الناشئة في إحدى الدول المتعاقدة يجب أن تحظى في كل بلد من الدول المتعاقدة الأخرى بالحماية نفسها التي تمنحها لمصنفات مواطنيها . و يعتبر مبدأ المعاملة الوطنية مبدأ نسبي ، بمعنى لا يتساوى المؤلف الوطني و الأجنبي في المعاملة ، لاختلاف الحماية المقررة للمصنفات الأدبية و الفنية في مختلف دول الاتحاد (حوة، 2024).

02-مبدأ المعاملة بالمثل :

تقضي اتفاقية برن ان الحماية المقررة لحقوق المؤلف الأجنبي في الدول تتوقف على مدى الحماية التي تمنح أرعاياها في الدول الأعضاء الأخرى . و هو ما نصت عليه المادة 1/6 بالقول "عندما لا تقرر دولة خارج الاتحاد الحماية الكافية لمصنفات مؤلفين من رعايا تلك الدولة دون ان يقيموا عادة في إحدى دول الاتحاد .فإذا ما استعملت دولة أول نشر هذا الحق فلا يتطلب من دول الاتحاد الأخرى منح مثل هذه المصنفات التي تخضع لمعاملة خاصة ن حماية أوسع من تلك التي تمنح لها في دولة أول نشر (حسان، حماية حق المؤلف رقميا في اطار المعاهدات الدولية ذات الصلة ، 2022) .

03–مبدأ الحماية التلقائية و استقلالها :

هذا المبدأ تضمنته الفقرة الثانية من المادة الخامسة من اتفاقية برن حيث فرق بين مسالة التمتع بالحقوق و ممارسته او مسالة تحديد نطاق الحماية للمصنف و طرق الطعن المقررة .فللمؤلف حق التمتع بمصنفه آيا كانت قيمته او نوعه ، و لا يتوقف هذا المبدأ أمام بعض الإجراءات الشكلية كالتسجيل او الإبداع ، وبمجرد الاعتراف بالحق الطبيعي للمؤلف على مصنفه يظهر حق الدولة في تحديد نطاق حماية المصنف و وضع الشروط المناسبة لإضفاء الحماية عليه ، وتحديد وسائل الطعن القضائية للتسهيل على المؤلف حماية حقه .

كما لا يجب ان تكون الحماية مشروطة باتخاذ أي إجراء شكلي ، إذا حدد التشريع أية دولة متعاقدة مدة الحماية أطول من الحد الأدنى المنصوص عليه في الاتفاقية ، وتوقفت حماية المصنف في البلد المنشأ جاز رفض الحماية عند انتهاء مدتها في البلد المنشأ (حوة، حماية الملكية الفكرية وفق التجربة الجزائرية و الاتفاقيات الدولية ، 2024).

04–مبدأ الحماية في بلد منشأ:

جاء في نص الفقرة الثالثة من المادة 05 من الاتفاقية ان الحماية في دولة المنشأ يحكمها التشريع الوطني و مع ذلك إن كان المؤلف من غير رعايا دولة المنشأ المصنف الذي يتمتع على أساسه بالحماية بمقتضى هذه الاتفاقية ، فانه يتمتع في تلك الدولة بذات الحقوق المقررة لرعاياها .

و تعتبر دولة المنشأ بالنسبة للمصنفات التي تنشر مرة في إحدى دول الاتحاد ن الدولة المذكورة ، وفي حالة المصنفات التي تنشر في آن واحد في عدد من دول الاتحاد التي تمنح مددا مختلفة للحماية ، الدولة التي يمنح تشريعها مدة الحماية الأقصر .و بالنسبة للمصنفات التي تنشر في آن واحد في دولة خارج الاتحاد و دولة من دول الاتحاد الدولة الأخيرة .أما بالنسبة للمصنفات غير المنشورة أو بالنسبة للمصنفات التي تنشر لأول مرة في دولة خارج الاتحاد دون أن تنشر في أن واحد في دولة من دول الاتحاد ، دولة الاتحاد التي يعتبر المؤلف من رعاياها و مع ذلك :

1-إذا تعلق الأمر بمصنفات سينمائية يقع مقر منتجها أو محل إقامته المعتادة في دولة من دول الاتحاد فان هذه الدولة تكون دولة المنشأ.

2-إذا ما تعلق الأمر بمصنفات معمارية مقامة في إحدى دول الاتحاد فان هذه الدولة تكون دولة المنشأ.

الخاتمة :

ان حماية الملكية الفكرية ليست غاية في ذاتها ، بل وسيلة لتأطير المعرفة و تحفيز الابتكار ضمن منظومة قانونية تضمن حقوق المبدعين ، وتشجع الاستثمار و تخدم الصالح العام فهي الجسر الذي ينقل الفكرة من حيز الإبداع الفردي الى فضاء التنمية الاقتصادية و الاجتماعية المستدامة . و توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج .

النتائج :

*تحول المعرفة إلى قيمة قانونية و اقتصادية : يتبين ان نظام الملكية الفكرية يحول الأفكار و الابتكارات إلى أصول محمية قابلة للاستثمار و التداول .

*تعزيز الدافع إلى البحث و التطوير : الحماية القانونية تقلل مخاطر التقليد ما يشجع الأفراد و المؤسسات على الاستثمار في الابتكار .

*تنظيم نشر المعرفة بدل أتكارها : عبر البراءات و حقوق المؤلف يتم الإفصاح عن الابتكار مقابل حماية مؤقتة ، بما يثري الرصيد المعرفي العام .

*ترسيخ بيئة تنافسية عادلة : مكافحة التقليد و المنافسة غير المشروعة ترفع جودة المنتجات و تدعم ثقة المستهلك .

*تسهيل نقل التكنولوجيا و التعاون الدولي : الاتفاقيات الدولية و أنظمة التسجيل الموحد تيسر امتداد الحماية عبر الحدود و تدعم النشاطات .

*تحقيق التوازن بين الحق الخاص و المصلحة العامة من خلال الاستثناءات و المدة المحددة للحماية و الآليات مثل الترخيص الإجباري .

*دعم الاقتصاد المعرفي و جذب الاستثمار : وضوح الحماية القانونية يعزز مناخ الأعمال و يحفز الاستثمارات القائمة على الابتكار .

*إرساء ثقافة احترام الإبداع : يسهم النظام في نشر الوعي بقيمة الإنتاج الذهني و ضرورة صونه قانونيا و أخلاقيا .

الاقتراحات :

*تحديث التشريعات بانتظام لمواكبة التطورات التكنولوجية (الذكاء الاصطناعي) ، البيانات الضخمة البرمجيات ،المحتوى الرقمي .

*تعزيز الوعي القانوني لدى الباحثين و الطلبة و رواد الأعمال بأهمية تسجيل و حماية ابتكاراتهم .

*تبسيط إجراءات التسجيل و خفض الرسوم ن خاصة للمؤسسات الناشئة و الجامعات و مخابر البحث .

*إنشاء مكاتب لنقل التكنولوجيا داخل الجامعات لربط البحث العلمي بآليات الحماية و الاستثمار .

*تشجيع الشراكات بين الاقطاعين العام و الخاص لتحويل الابتكارات إلى منتجات و خدمات محمية و قابلة للتسويق .

*تفصيل آليات الإنفاذ لمكافحة القرصنة و التقليد عبر إجراءات قضائية و إدارية مقالة .

*الاستفادة من الأنظمة الدولية (PCT، مدريد ، لاهاي) لتوسيع نطاق الحماية خارج الحدود الوطنية

*تحقيق التوازن بين الحماية و المصلحة العامة عب تفعيل الاستثناءات القانونية و الترخيص الإجباري عند الضرورة .

*دعم الابتكار و المفتوح و النماذج المرنة للترخيص (كالترخيص المفتوح) في المحالات التعليمية و البحثية

*إدماج تعليم الملكية الفكرية في المناهج الجامعية و التكوينية لتعزيز ثقافة احترام الإبداع .

*إنشاء قواعد بيانات وطنية للمصنفات و الابتكارات المسجلة لتسهيل البحث و الاطلاع و منع التعدي

*تحفيز الاستثمار في البحث و التطوير من خلال حوافز ضريبة للمؤسسات التي تسجل براءات و علامات .

قائمة المراجع:

أولا–الكتب:

01-بالي صلاح 2011، قضايا القرصنة التجارية و الصناعية و الفكرية ن الطبعة الثالثة منشورات حلبي الحقوقية ، بيروت ص17.

02-صلاح زين الدين 2004،مدخل الى الملكية الفكرية ط1 ، دار الثقافة الأردن ، ص174

03-عبد العزيز الغامدي 2014، حقوق الملكية الفكرية ، الطبعة الأولى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ،ص29.

ثانيا: المقالات :

01-امينة بن حوة 2024،حماية الملكية الفكرية وفق التجربة الجزائرية و الاتفاقيات الدولية ، مجلة الدراسات القانونية المقارنة المجلد 10 ، العدد 02. الجزائر ، ص 101

02-خديجة حسان2022 ، حماية حق المؤلف رقميا في إطار المعاهدات الدولية ذات الصلة ، مجلة الفكر القانوني و السياسي المجلد 06 ، العدد الأول. ، الجزائر ص 1038.

03-رشا بشار الصباغ 2023، الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية بموجب التشريعات الأردنية و الاتفاقيات الدولية ، مجلة الباحث الأكاديمي في العلوم القانونية والسياسية ، المجلد 06 ، العدد 01 ، سوق اهراس ، ص 43.

04-زهية عيسى 2022، إسهامات المنظمة العالمية للملكية الفكرية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، مجلة الحقوق و العلوم السياسية جامعة خنشلة ، ص 524.

05-علام بن عودة 2022، الحماية القانونية الدولية لبراءة الاختراع في ظل اتفاقية باريس لسنة 1883، مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، الجزائر ص 661.

06-فضيلة بركان 2022 ،حماية حقوق المؤلف و الحقوق المجاورة في القانون الجزائري ، مجلة الدراسات القانونية ، المجلد الثامن العدد الأول ، الجزائر ص 195.

07-ليلى بن حليمة 2021، مساهمة المنظمة العالمية للملكية الفكرية في إرساء قواعد دولية لحماية حقوق الملكية الفكرية ، مجلة الدراسات و البحوث القانونية ، المجلد السادس ، العدد 02 ، الجزائر ، ص 381.

08-مختار حفص 2021 ،،المصنفات المشتركة في نظام الملكية الأدبية و الفنية (دراسة مقارنة) ، مجلة الدراسات القانونية المقارنة ، المجلد 07، العدد 01 الجزائر ، ص 1683.

Participatory financing and its role in developing the endowment

Sabouny Abdelhaq
Sidi Mohammed Ben Abdullah University, Fez, Morocco
essabouni77@hotmail.com

Abstract:

Waqf is a key financial and social institution in Islamic civilization, historically supporting education, healthcare, and social welfare. However, contemporary economic changes and growing development needs require modernizing waqf management and enhancing its resources to ensure sustainability and effectiveness. In this context, profit-and-loss sharing (PLS) financing—based on risk sharing—offers a strategic approach to revitalizing the developmental role of waqf and improving its investment efficiency within Shariah guidelines and sound governance.

Research Focus:

This study explores PLS mechanisms in Islamic finance, particularly mudarabah, musharakah (including diminishing partnership), and their role in developing waqf assets and sustaining returns in line with Shariah and developmental objectives.

Research Problem:

Many awqaf suffer from weak investment performance due to reliance on traditional management methods, resulting in low returns and underutilized assets. The study asks: To what extent can PLS mechanisms enhance waqf investment efficiency while preserving its Shariah nature?

Objective:

The study outlines the conceptual framework of PLS financing, analyzes its application in the waqf sector, reviews contemporary models, and assesses its impact on increasing returns, diversifying investments, and reducing risk to achieve sustainable development.

Key Findings:

PLS financing is well suited for waqf development due to its profit-and-loss sharing structure, which promotes justice and shared responsibility. It helps activate idle assets, generate higher returns than traditional methods, and

aligns with Shariah objectives of wealth preservation and growth. Effective regulatory and governance frameworks are essential for its success.

Scholarly Contribution:

The study bridges classical waqf jurisprudence and contemporary Islamic finance practices, offering a practical framework for employing partnership-based instruments to strengthen the economic and social role and long-term sustainability of waqf institutions

Keywords: Financing- Permanent Partnership- Diminishing Partnership- Islamic Endowment- Development- Investment.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التمويل بالمشاركة ودورها في تنمية الوقف

عبد الحق الصبوني
جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس المغرب
essabouni77@hotmail.com

ملخص:

يُعدّ الوقف من أبرز المؤسسات المالية والاجتماعية في الحضارة الإسلامية، إذ أسهم عبر التاريخ في دعم مجالات التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية وتحقيق التكافل بين أفراد المجتمع. غير أن التحولات الاقتصادية المعاصرة وتزايد الاحتياجات التنموية تفرض ضرورة تطوير آليات إدارة الأوقاف وتنمية مواردها بما يضمن استدامتها وفاعليتها. وفي هذا السياق يبرز التمويل بالمشاركة كأحد أهم صيغ التمويل الإسلامي القائم على تقاسم الربح والخسارة، والذي يمكن أن يشكّل مدخلًا استراتيجيًا لإحياء الدور التنموي للوقف وتعزيز كفاءته الاستثمارية في إطار من الضوابط الشرعية والحوكمة الرشيدة.

موضوع البحث:

يتناول هذا البحث آليات التمويل بالمشاركة في الصيرفة الإسلامية، مثل المضاربة (المشاركة الثابتة والمشاركة المتناقصة، ودورها في تنمية أصول الوقف واستدامة عوائده بما يحقق مقاصده الشرعية والتنموية.

الإشكالية:

تتمثل الإشكالية في ضعف استثمار الأوقاف في العديد من الدول الإسلامية، نتيجة الاعتماد على الأساليب التقليدية في إدارتها، مما يؤدي إلى انخفاض العوائد وتعطل جزء من الأصول الوقفية. ويطرح البحث تساؤلًا رئيسًا: إلى أي مدى يمكن لآليات التمويل بالمشاركة أن تسهم في تطوير الوقف وتعزيز كفاءته الاستثمارية مع الحفاظ على طبيعته الشرعية؟

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى بيان الإطار المفاهيمي للتمويل بالمشاركة، وتحليل صيغ تطبيقه في المجال الوقفي، مع استعراض نماذج تطبيقية معاصرة، وتقييم أثره في تحقيق التنمية المستدامة للأوقاف من خلال زيادة العوائد وتنويع الاستثمارات وتقليل المخاطر.

أهم النتائج:

توصلت الدراسة إلى أن التمويل بالمشاركة يعد من أنسب الصيغ لتمويل مشاريع الوقف وتنميتها، نظرًا لاعتماده على تقاسم الربح والخسارة، مما يعزز مبدأ العدالة وتحمل المسؤولية المشتركة. كما أظهرت النتائج أن اعتماد صيغ المشاركة يسهم في تفعيل الأصول المعطلة، وتحقيق عوائد أعلى مقارنة بالأساليب التقليدية، إضافة إلى توافقها مع مقاصد الشريعة في حفظ المال وتنميته. وأكدت الدراسة أهمية وجود أطر تنظيمية ورقابية فعالة لضمان حسن إدارة هذه الصيغ.

القيمة العلمية:

تكمن القيمة العلمية للبحث في ربطه بين النظرية الفقهية للوقف وممارسات التمويل الإسلامي المعاصر، وتقديمه تصورًا عمليًا لتفعيل أدوات المشاركة في تنمية الأوقاف، بما يدعم دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويعزز استدامتها كمؤسسة تكافلية فاعلة في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: التمويل- المشاركة الثابتة- المشاركة المتناقصة-الوقف- التنمية- الاستثمار-.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مقدمة:

تعتبر عقود المشاركة إحدى أهم الأساليب التمويلية التشاركية؛ التي يمكن من خلالها تمويل عمليات الاستثمار الجماعية في المشروعات الصناعية والتجارية والعقارية وغيرها، فهي أداة تمويل رائدة لتحقيق التنمية الاقتصادية، كما تعتبر رافعة أساسية لتشجيع المقاولات الصغرى والمتوسطة وتدعيما لها للمساهمة في الاستثمار والتنمية وتمكينها من القدرة على التنافسية في سوق الأعمال، كما تعتبر وسيلة فعالة لاستثمار وتنمية الرصيد الوقفي من خلال مساهمة المؤسسة الوقفية في رأسمال مشروعات معينة أو اقتناء أسهم بعض الشركات ولها نصيبها من الربح كما تتحمل الخسارة في حالة وقوعها، كما يمكن لأحد المحبسين وقف أسهم يملكها في شركة معينة، وكذلك استثمار أموال الأوقاف عن طريق المشاركة المتناقصة لتثمير ممتلكات الوقف وريعه بما يعود بالربح المالي الآمن للوقف.

أهداف البحث: إن مقصود البحث وهدفه هو إيجاد دراسة متخصصة تواكب التطورات الاقتصادية في مجال التمويل والانفتاح على الصيغ التشاركية والاستفادة منها في تنمية الوقف ومساهمته في الحياة الاقتصادية بشكل فعال.

إشكالية البحث: تتمثل الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في بيان مدى نجاعة صيغة التمويل بالمشاركة في مجال الوقف، ومدى اعتماده عليها للحفاظ على الرصيد الوقفي وتنميته من جهة واستثماره من جهة أخرى.

ونظرا لأهمية هذا النوع من العقود في التمويل التشاركي، فسيكون الحديث عنه من خلال محورين؛ الأول يتعلق بالإطار النظري العام بتحديد المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للمشاركة والوقف والتنمية، ومشروعيتها، ثم بعد ذلك الثاني يتناول بالدراسة والتحليل صيغ المشاركة الممكنة لاستثمار وتنمية الوقف.

أولا: الإطار النظري العام : تحديد المفاهيم والمشروعية

أتحدث من خلال هذا المحور عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي والقانوني لكل من المشاركة والتنمية والوقف، وكذا مشروعيتها.

1- مفهوم المشاركة ومشروعيتها.

أ- مفهوم المشاركة

تعرف الشركة لغة: بفتح الشين مع كسر الراء ويجوز إسكانها، أو بكسر الشين مع سكون الراء هي مخالطة الشريكين، يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، ويقال للرجل، شريك، والمرأة شريكة، والنساء شرائك، وشاركت فلانا: صرت شريكه، واشتركنا وتشاركنا في كذا وشركته في البيع والميراث أشركه شرك.(ابن منضور: " 1999/3، ج 448/10.)

واصطلاحا: فقد عرفها الشيخ خليل: بأنها "إذن في التصرف لهما مع أنفسهما"(الشيخ خليل ،2002 ،ص: 212.)

، أي أن الشركة تعتبر إذنا من اثنين، أو أكثر في تصرفهما في مالهما، أو على ذمتهما، مع بقاء التصرف، هذا مع إذن كل منهما للآخر في التصرف في مجموع المال، أو ببدنهمـــا، أو على ذممهما، وما ينشأ عن التصرف من الربح، أو الخسارة لهما، أو عليهما. وقال الزرقاني في شرحه لهذا التعريف: (وقوله أي خليل: "إذن في التصرف": بمنزلة الجنس، فيشمل الوكالة، والقراض، لكن قوله "لهما" قيد مخرج للوكالة، لأن ليس فيها إذن من الموكل للوكيل في أن يتصرف في الشيء الموكل فيه للموكل وحده"، أما قوله: "مع أنفسهما": قيد مخرج للقراض من الطرفين، كقول كل واحد لصاحبه تصرف في هذا المال وحدك على أن الربح لي ولك، بشرط أن لا أتصرف معك، ويقول له الآخر: تصرف في هذا المال لي، والربح مشترك بيننا، ولا أتصرف معك)(الشيخ الزرقاني،ب دون تاريخ ، ص: 40).

وقد بين القانون المغربي رقم103.12 المتعلق بمؤسسات الائتمان والهيئات المعتبرة في حكمها، من خلال الفقرة (ج) من المادة 58 منه :أن المشاركة هي كل عقد يكون الغرض منه مشاركة بنك تشاركي في مشروع قصد تحقيق ربح، ويشارك الأطراف في تحمل الخسائر في حدود مساهمتهم وفي الأرباح حسب نسب محددة مسبقا بينهم. (الجريدة الرسمية عدد 6328 بتاريخ فاتح ربيع الثاني 1436 هـ 22،يناير2015،

ص؛462.-)كما نصت المادة 31 من منشور والي بنك المغرب رقم 1/ و 17/ الصادر في 27 يناير 2017 المتعلق بالمواصفات التقنية لمنتجات المرابحة والإجارة والمشاركة والمضاربة والسلم، وكذا كيفيات تقديمها إلى العملاء على أنه:" يقصد بعقد المشاركة كل عقد شركة يكون الغرض منه مشاركة مؤسسة في رأس مال مشروع جديد أو قائم قصد تحقيق ربح. توزع الأرباح ويتم تحمل الخسائر بين الشركاء، حسب حصصهم في رأس مال الشركة، مالم يتفق الأطراف على خلاف ذلك فيما يخص توزيع الأرباح لمصلحة الشركة. –(الجريدة الرسمية عدد 6548 بتاريخ 3 جمادى الثانية 1438 هـ (2 مارس 2017م)

والمشاركة أو الشركة أو الشراكة هي من طبيعة الحياة العملية وهي قديمة وتعددت وتنوعت صورها مع التطور الاقتصادي وكذا مع ازدهار التمويلات الإسلامية وظهور الأبناك االتشاركية، وتأخذ المشاركة أحد الشكلين فهي إما مشاركة ثابتة يبقى الأطراف شركاء إلى حين انقضاء العقد الرابط بينهم أو مشاركة متناقصة ينسحب الممول تدريجيا من المشروع وفق بنود العقد.

وهذه الأشكال تعبر عن حقيقة التمويل بالمشاركة في مجال توظيف الأموال من قبل إدارة الوقف، إذ تأخذ بالاعتبار مدى استمرارية الملكية وأجل المشاركة وطريقة استرداد التمويل، ولذا فأشكال المشاركة يمكن تقسيمها إلى المشاركة الثابتة، والمشاركة المتناقضة المنتهية بالتمليك. (د. ابراهيم أبا محمد2008، ص: 205-206).

ب– مشروعية المشاركة.

تستمد صيغة المشاركة مشروعيتها من مصادر التشريع الإسلامي؛ وفي مقدمتها القرآن الكريم ثم السنة النبوية؛ فمن القرآن الكريم أذكر الآيات التالية:

قوله تعالى :"قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب"(سورة ؛ ص، الآية؛ 24)

قال الإمام القرطبي في تفسير " وإن كثيرا من الخلطاء"؛ يقال خليط وخلطاء ولا يقال طويل وطولاء لثقل الحركة في الواو، وفيه وجهان: أحدهما أنهما الأصحاب، الثاني أنهما الشركاء، (الإمام القرطبي، 1964، ج؛15، ص؛ 178)وقوله عز وجل :" فابعثوا أحدكم بورقكم هذه فلينظر أيها أزكى

طعاما فليأتيكم برزق منه وليتلطف"(سورة الكهف، الآية 17)ويفاد من هذه الآية أن الفتية من أصحاب الكهف بعثوا رسولهم بدراهم ليشتري لهم طعاما، وبموجب الشراء تقع الشركة في ملكية ذلك الطعام بحسب ما ساهم كل واحد منهم، وهذه واقعة أوردها القرآن الكريم في معرض الثناء عليهم فدل على أنه أقر ذلك ورضيه، إلا أن القائل بأن شرع من قبلنا ليس بملزم لنا لا يساعد على هذا الاستدلال، ومذهب الإمام مالك يقرر شرع من قبلنا شرعا لنا في غير المنسوخ.(- محمد سكحال المجاجي ، ص؛ 34.)

ومن السنة النبوية، أذكر :

جاء في صحيح البخاري :حدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عُثْمَانَ يَعْنِي ابْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا المِنْهَالِ، عَنِ الصَّرْفِ، يَدًا بِيَدٍ، فَقَالَ: اشْتَرَيْتُ أَنَا وَشَرِيكٌ لِي شَيْئًا يَدًا بِيَدٍ وَنَسِيئَةً، فَجَاءَنَا البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: فَعَلْتُ أَنَا وَشَرِيكِي زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَسَأَلْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: " مَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ، فَخُذُوهُ وَمَا كَانَ نَسِيئَةً فَذَرُوهُ" — (الإمام البخاري:" صحيح البخاري"، كتاب الشركة، باب؛ الاشتراك في الذهب والفضة وما يكون فيه الصرف).

في هذا الحديث أنه لا يجوز في شيء من الصرف نسيئة، وإنما يكون يدًا بيد، وأما صفة الشركة في الصرف وغيرها، فأجمع العلماء على أن الشركة في الدنانير والدراهم جائزة، واختلفوا إذا كانت الدنانير من أحدهما والدراهم من الآخر. فقال مالك، والكوفيون، والشافعي، وأبو ثور: لا تجوز حتى يخرج أحدهما مثل ما أخرج صاحبه. وقال ابن القاسم: وإنما لم يجز ذلك؛ لأنه صرف وشركة، وكذلك قال لي مالك. وذكر ابن أبي زيد، قال: وقد اختلف عن مالك في إجازة الشركة بدنانير من أحدهما ودراهم من الآخر، وأجازه سحنون(- ابن البطال،2003. ج؛ 7، ص؛ 17).

2- مفهوم التنمية.

أ- المفهوم اللغوي للتنمية.

لتحديد الأصل اللغوي للفظ التنمية ينبغي مقارنته مع لفظ النمو، ويشتق لفظ التنمية من "نمى" بمعنى الزيادة والانتشار، ونميت النار تنمية إذا ألقيت عليها حطبا وذكيتها به،

ونمى الحديث ونميته ورفعته، وأنميته أذعته على وجه النميمة، ونميته مخففا رفعته على وجه الإصلاح.(ابن منظور، بدون سنة، ص؛ 4552). أما لفظ النمو من نما ينمو نميا ونماء يعني الزيادة، ومنه ينمو نموا، فيقال نما الزرع ونما الولد، ونما ينمو نموا ؛ زاد.(الطاهر أحمد الزاوي، 1980م، ص؛446).

ويعتبر مصطلحا النمو والتنمية ألفاظا شائعة التداول في الاستعمال وفي الخطاب لكن الفرق بينهما في التلقائية والعمد أو بعبارة أخرى هو الفرق بين التحول الذاتي والفعل الإرادي، فالنمو يختلف عن التنمية، من حيث كونه عملية تلقائية او طبيعية، تحدث من غير أن يتدخل فيها الإنسان، " فالنماء يعني أن الشئ يزيد حالا بعد الحال من نفسه، لا بإضافة إليه، فالنبات ينمو ويزيد، ولا يقال لمن أصاب ميراثا أو أعطي عطية إنه قد نما ماله، وإنما يقال نما ماله إذا زاد في نفسه، والنماء في الماشية حقيقة، لأنها تزيد بتوالدها قليلا قليلا. ومنه فعلى المستوى اللغوي المحض يقصد بالتنمية الازدهار والتكاثر، الزيادة ، الرفاهية، الشيء الذي يوحي بتغيير إيجابي وبتطور وتقدم، وبعبارة أخرى؛ إن التنمية بالنسبة لمجموعة من السكان أو لبلد بأكمله تعني الطموح إلى وضع وإلى غد أفضل على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، على المستوى الاجتماعي، " نما" تعني التمكن من سد الحاجيات الأساسية للجماعات البشرية بما فيها البيولوجية والسعي إلى الرفع من جودتها باستمرار.(أحمد الحطاب، 2017،ص؛20)

ب- المفهوم الاصطلاحي للتنمية

يعتبر مفهوم التنمية من أكثر المفاهيم تداولا في العصر الحاضر لما للتنمية من أهمية بالغة حيث تحولت إلى قضية عالمية بل إحدى أهم قضايا العصر ، إلا أنه ليس له تعريف محدد ومتفق عليه لتعدد وجهات النظر المنظور من خلالها له ، فدفعت كثرة التعاريف والاختلافات الّائمة حول مفهوم التنمية والمفاهيم المرتبطة بها كالاستدامة والشمول إلى إدماج أبعاد جديدة ففضلا عن البعد الاقتصادي أدمج البعد الاجتماعي والسياسي والثقافي والبشري، وسائر الأبعاد الفكرية والفلسفية والدينية للتنمية ذاتها، حتى عرفت

من طرف العديد من الباحثين على أنها " ليست أقل من مشروع حضاري للمجتمع بأسره في معظم نواحي حياته، إن لم نقل جميعها" (يوسف الصايغ، 1992، ص؛55). والتنمية المقصود في هذه الورقة البحثية بالأساس هي التنمية الاقتصادية والاجتماعية كأحد الأدوار الرئيسية للوقف إذا ما استثمر استثمارا يذر عليه عائدا لتنميته أولا ثم مساهمته في تنمية سائر نواحي الحياة العامة والخاصة.

3- مفهوم الوقف.

أ-تعريف الوقف لغة:

وقف، الوقوف: خلاف الجلوس، وقف بالمكان وقفا ووقوفا فهو واقف، والجمع وقف ووقوف. ويقال. وقفت الدابة تقف وقوفا، ووقفتها أناوقفا، ووقف الدابة جعلها تقف. ووقف الأرض على المساكين، وفي الصحاح للمساكين، وقفا: حبسها، ووقفت الدابة والأرض وكل شيء، فأما أوقف في جميع ما تقدم من الدواب والأرضين وغيرهما فهي لغة رديئة.(ابن منظور1999،ج15، ص 273)،وعلل ذلك الجوهري بقوله؛ أوقفت عن الأمر؛ أي أقلعت(الجوهري/1987، ج؛4، ص؛ 1440.)

والحبس: المنع، كالمحبس كمقعد حبسه يحبسه وكل شيء وقفه صاحبه من نخل أو كرم أوغيرها يحبس أصله وتسبل غلته، والحبيس من الخيل الموقوف في سبيل الله. (- الفيروزابادي ، 2005،ص 204.)

ب-الوقف في الاصطلاح:

لقد اختلف الفقه الإسلامي في تحديد تعريف جامع مانع للوقف بل إن هذا الاختلاف قد يتجلى حتى بين فقهاء نفس المذهب؛ فقد عرفه ابن عرفة بقوله "إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا".(- الرصاع ؛" 1993؛ ص؛ 539.)

بناء على التعريف المذكور تخرج عطية الذوات، والعارية، والعمرى، والعبد المخدم حياته يموت قبل موت ربه، لعدم لزوم بقائه في ملك معطيه، لجواز بيعه برضاه مع معطاه.

قوله:"لازما بقاؤه في ملك معطيه": معناه بقاء ملك المحبس على محبسه، وقد صرح الباجي بذلك فقال "وهو لازم تزكية حوائط الأحباس على ملك محبسها" وهذا مذهب المالكية، وقد غلطوا اللخمي في قوله:"الحبس يسقط ملك المحبس". (الحطاب ،بدون سنة، ج7.ص 626).

وأخذ على هذا التعريف: أنه لم يدخل الحبس غير المؤبد، وقد صرح بجوازه ابن الحاجب والشيخ خليل.

وقوله:"في ملك معطيه": احترز به عمن وقف نفسه على نوع ما من العبادات.

وقوله:" ولو تقديرا": حذفت منه كان، أي ولو كان اللزوم تقديرا، أو: ولو كان الملك تقديرا، فلزوم بقاء الملك من خاصية الحبس عند المالكية، ولو كان اللزوم تقديرا فليس من خاصية الحبس.(الحطاب ج؛7،ص؛ 626

واعترض عليه كذلك بأنه جعل التمليك للمنفعة، وإنما التمليك للانتفاع، فإن بينهما فرقا جوهريا تجدر معرفته، وهو: أن تمليك الانتفاع يراد به: أن يباشر هو بنفسه فقط، وتمليك المنفعة هو أعم وأشمل، فيباشر بنفسه ويمكن غيره من الانتفاع بعوض، كالإجارة، وبغير عوض، كالعارية، ومثلوا للأول بسكنى المدارس والرباط والمجالس في الجوامع والمساجد والأسواق ومواضع النسك، كالمطاف والمسعى ونحو ذلك، فله أن ينتفع بنفسه فقط.

وأما ملك المنفعة فكمن استأجر دار أو استعارها، فله أن يؤاجرها من غيـــــره أو يسكنه بعوض وبغير عوض ويتصرف تصرف الملاك في أملاكهم على جري العادة على الوجه الذي ملكه، فهو تمليك مطلق في زمن خاص حسبما تناوله عقد الإجـــارة، أو شهدت به العادة في العارية، فمن شهدت له العادة في العارية بمدة كانت له تلك المدة ملكا على الإطلاق يتصرف كما يشاء بجميع أنواع التصرفات السائغة في التصرف في المنفعة في تلك المدة ويكون تمليك المنفعة كتمليك الرقاب (الرصاع،2020،ص؛ 418)وعرفه الدردير بأنه: جعل منفعة مملوك ولو بأجرة أو غلته لمستحق بصيغة مدة ما يراه المحبس. (أحمد الدردير، بدون سنة ،ج 4، ص؛ 98.)

وهنا تصريح بأنه لا يشترط ملك الذات في الوقف، فلو ملك منفعة شيء بأجرة فيجعل منفعته لمستحق جاز هذا الوقف،وهذا خلاف ما قاله ابن الحاجب من أنه لا يجوز وقف العقار المستأجر من الأراضي

والديار والحوانيت والحوائط والمساجد والمصانع والآبار والقناطر والمقابر والطرق (الإمام جمال الدين بن عمروا ابن الحاجب المالكي ، 1998.ص 448.)

(وقوله:" مدة ما يراه المحبس": معناه: أنه لا يشترط التأبيد في الوقف، كما قاله الدردير شرحا لكلامه وعلق الصاوي فقال: ولو كان الموقوف مسجدا.(- أحمد الدردير، بدون سنة،ج؛ 4، ص؛ 98.)

ج- التعريف القانوني للوقف:

لقد نص الفصل 73 من ظهير19 رجب 1333 هـ (02 يوليوز 1915م) المحدد للتشريع المغربي المطبق على العقارات المحفظة على ما يلي:" الحبس أموال أوقفها المحبس المسلم، ويكون التمتع بها لفائدة أنواع المستفيدين الذين يعينهم المحبس "، وهكذا يكون هذا الفصل قد آثر تعريف الحبس بمعناه الاسمي.(د. محمد شيلح، 2006 ، ص 82.)

وقد حل محل هذا القانون، القانون رقم (39.08) ظهير شريف رقم 1.11.178 صادر في 25ذي الحجة 1432هـ (22 نونبر 2011م) بتنفيذ القانون رقم 39.08 المتعلق بالحقوق العينية، الذي أحال في المادة 130 منه المتعلقة بحق الحبس على مدونة الأوقاف حيث جاء فيها: "تطبق على حق الحبس الأحكام الواردة في مدونة الأوقاف"، هذه الأخيرة (مدونة الأوقاف) التي نصت المادة 5 من مشروعها التمهيدي في البداية على أن "الوقف هو إعطاء شيء مدة وجوده لاستيفاء منافعه خاصة"، وبخلاف ما ذهبت إليه الدكتورة مجيدة الزياني من أن هذا التعريف مستقى من تعريف الفقيه المالكي ابن عرفة للوقف والمذكور سابقا. (د. مجيدة الزياني /2014.ص 99.)

يمكن القول إنه مخالف له في كثير من النقـــــــط إذ تعريف ابن عرفة للوقف "إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا".والذي يفهم منه تمليك المنفعة للموقوف عليه مع بقاء ملكية الواقف للموقوف. في حين أن تعريف المشرع المغربي للوقف من خلال المشروع التمهيدي لمدونة الأوقاف يرى في الوقف إخراج للشيء الموقوف من ملكية الواقف وانتقاله إلى الموقوف عليه الذي ليس له الحق إلا في الاستفادة من منافع الموقوف، وبذلك يكون هذا التعريف قد حاول الخروج من إشكالية بقاء الموقوف على ملك الواقف الذي يقول به المالكية (ومنهم ابن عرفة) والذي يطرح العديد الإشكالات القانونية (د.عبدالرزاق صبيحي ،2009، ص6.)

(سيأتي بيانها عند الحديث عن ملكية الوقف .

وفي الحقيقة فكلا التعريفين قاصر عن الإيفاء بالغرض وهو ما جعل النص النهائي لمدونة الأوقاف يتجاوزهما للنص في المادة الأولى منه "الوقف هو كل مال حبس أصله بصفة مؤبدة أو مؤقتة، وخصصت منفعته لفائدة جهة بر وإحسان عامـــــــــة أو خاصة...".

ويجد هذا المفهوم منبعه في تعريف ابن قدامة في المغني، إذ قال الوقف معناه: "تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"، والأصل فيه ما روى عبد الله بن عمر فقال: أصاب عمر أرضا بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب قط مالا أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ فقال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها،قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى وفي الرقاب،وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، و يطعم غير متمول"، (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب: الشروط ،باب :الشروط في الوقف، رقم 2737،ج 3، ص؛ 198.) وهكذا يمكن القول إن تعريف ابن قدامة للوقف هو أجمع تعريف، كما أنه يتميز بالوضوح والاختصار ولا يطرح أي إشكالات في الفهم والدلالة، ولذلك استقى منه المشرع المغربي تعريفه للوقف ليحاول الخروج من الإشكال الذي يثيره تعريف الوقف في المذهب المالكي،والذي لم يجد معه التحوير الذي أورده المشروع التمهيدي للمدونة، والذي جاء فيه كما سبق الذكر "الوقف هو إعطاء شيء مدة وجوده لاستيفاء منافعه خاصة"، لأن هذا التعريف لا يوضح لمن يعطى الشيء، وقد يفهم أنه يعطى للموقوف عليهم لاستيفاء منافعه، والحقيقة أن الذي يعطى لهؤلاء إنما منفعة أو ثمرة الموقوف بمعزل عن أصله وعينه(د.عبد الرزاق اصبيحي:،2012،"دراسة قانونية لعشر قضايا إشكالية في مدونة الأوقاف المغربية . مقارنة ببعض التشريعات العربية". مجلة أوقاف العدد 22 السنة 12 ماي 2012 ص 18).

- **4: مشروعية الوقف**

لقد اختلف الفقهاء في مشروعية الوقف على قولين حيث ذهب الرأي السائد لدى غالبيتهم – جمهور الفقهاء؛ المالكية، الشافعية، الحنابلة، وجمهور الحنفية – إلى أن الوقف مشروع على سبيل الندب والاستحباب، واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإجماع العلماء وقال

القاضي شريح، وأبو حنيفة في قول له إن الوقف غير مشروع، واستدلوا على ذلك بأحاديث ضعفها العلماء.

❖ **أ: القول بجواز الوقف**

لقد اعتبر القائلون بجواز الوقف، الوقف عملا من أعمال البر العام التي حث عليها القرآن الكريم في الكثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾(، سورة آل عمران/ الآية92) فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:"لما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) جاء أبو طلحة إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله؛ يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾، وإن أحب أموالي إلي بيرحاء قال: وكانت حديقة كان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل بها ويشرب من مائها، فهي إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ أرجو بره وذخره فضعها أي رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ بخ يا أبا طلحة، ذلك رابح، قبلناه منك، ورددناه عليك، فاجعله في الأقربين فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه (أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الوصايا، باب: من تصدق على وكيله ثم رد الوكيل إليه.رقم؛ 2758،ج؛4،ص؛ 8.)

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾، (سورةالبقرة /الآية 267)،وقوله كذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾، (سورةالحج / الآية 77)كما استدل القائلون بجواز الوقف بالعديد من الأحاديث النبوية الشريفة نورد بعضا منها:

حديث ابن عمر السالف ذكره حين تعريف الوقف، والذي يعتبر أصلا في مشروعية الوقف، ومنه اشتهر لدى المؤرخين القول إن وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول وقف في الإسلام. (الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني؛1994.ج3، ص؛523.)

حديث ابن عمر أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- قال للنبي ﷺ إن المائة سهم التي لي بخيبر لم أصب مالا قط أعجب إلي منها، قد أردت أن أتصدق بها، فقال له النبي :"احبس أصلها وسبل ثمرتها".(- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الأحباس / باب حبس المشاع ج6 ص232.)

الحديث الصحيح الذي روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بصيغ مختلفة أن النبي ﷺ قال: إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.(أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ؛كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث 1631 ج1255/3.)

قال الإمام القرافي في الذخيرة "أو صدقة جارية يريد الحبس."(شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي / 1994،ج6، ص؛313.)

فهذه الأحاديث وغيرها كثير تدل في لفظها ومعناها على مشروعية الوقف، واعتباره من أعمال البر والإحسان، التي يثاب عليها بالأجر العظيم، وقد حث عليها الشرع الحكيم.

واستدلوا كذلك بالإجماع:

حيث استمر عمل الأمة الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى العصر الحاضر على وقف الأموال على وجه الخير ومنع التصرف فيها من الواقف أو غيره، وقد أجمع الصحابة عليه من غير خلاف منهم الأئمة الأربعة، وطلحة والزبير، وزيد بن ثابت وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأبو رافع وخالد بن الوليد وابن عمر وغيرهم رضوان الله عليهم، وكذلك قال مالك: هذه صدقات رسول الله ﷺ وأصحابه والخلفاء معروفة عندنا. (القاضي أبو محمد عبد الوهاب علي بن نصر المالكي /1998م، ج ؛ 2، ص488.)

وهكذا لم يكن أحد من أصحاب الرسول ﷺ ذو مقدرة إلا وقف، (–ابن قدامة،" /1978، ج؛6، ص؛ 3.)

وهذا إجماع منهم فإن الذي قدر منهم على الوقف وقف واشتهر ذلك لم ينكره أحد فكان إجماعا.

- **ب: القول بعدم جواز الوقف:**

وهو مذهب القاضي شريح،حيث قال: لا حبس عن فرائض الله، قال أحمد: وهذا مذهب أهل الكوفة، وذهب أبو حنيفة إلى أن الوقف لايلزم بمجرده، وللواقف الرجوع فيه، إلا أن يوصي به بعد موته، فيلزم، أو يحكم بلزومه حاكم. (– ابن قدامة،بدون سنة،ج؛6، ص؛3.)

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ما جعل الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلـون﴾،- (سورة المائدة/ الآية 105)، وقوله عز وجل: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾.(سورة الأنعام/ الآية 137)،وهذه الآيات كلها لا دليل لهم في شيء منها على إبطال الحبس والمنع منه، لأنها إنما تقتضي التوبيخ على ما كانت الجاهلية تحرمه على أنفاسها من أنعامها تشرعا وتدينا وافتراء على الله، وإتباع خطوات الشيطان، فليس ذلك مما يحبسه الرجل على ولده أو في وجه من وجوه البر التي يتقرب بها إلى الله بسبيل (ابن رشد الجد /1988، ج؛2، ص؛ 415.)

(واستدلوا كذلك بما رواه البيهقي وغيره من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بعدما أنزلت سورة النساء وفرض فيها الفرائض يقول "لا حبس بعد سورة النساء." (أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: الوقف، باب: من قال لا حبس عن فرائض الله عز وجل، وضعفه /2003م، ج6 ص268 .)

وما رواه البيهقي بسنده من حديث ابن العباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لاحبس عن فرائض الله."(أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، كتاب :الوقف، باب: من قال لا حبس عن فرائض الله عز وجل، ج 6،ص 268.)

ووجه الدلالة من هذه النصوص ما قاله الإمام الكاساني: أي لا مال يحبس بعد موت صاحبه عن القسمة بين ورثته، والوقف حبس عن فرائض الله تعالى عز شأنه، فكان منفيا شرعا. (الإمام الكاساني، بدون سنة،"بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، ،ج؛6، ص 219.)

ج: الترجيح:

من خلال سرد أقوال العلماء في الوقف وحججهم على ذلك يتبين ترجيح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من القول بمشروعية الوقف لصريح الأدلة الصحيحة على مشروعيته، ولضعف الأحاديث التي استدل بها القائلون بعدم مشروعيته من حيث الرواية وتأويلها من حيث الدراية، فضعفها من حيث الرواية، ففي الحديث الأول: "لاحبس بعد سورة النساء". قال الإمام البيهقي بعد أن أخرجه: قال علي بن عمر لم يسنده غير ابن لهيعة

عن أخيه وهما ضعيفان، وهذا اللفظ إنما يعرف من قول شريح القاضي(الإمام البيهقي ، ج 6 ،ص268 .)،وفي إسناد الحديث الثاني: "لاحبس عن فرائض الله"مقدام بن داود وهو ضعيف.(الإمام البيهقي،"السنن الكبرى"، م س، ج 6 ،ص268 .).

وأما تأويلها على فرض صحتها فإن المقصود بالحبس في هذه الأحاديث هو حبس الجاهلية وليس حبس أهل الإسلام، وقد جاء في كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف: "وأما الجواب عن قوله ﷺ"لاحبس عن فرائض الله " فنقول إنه محمول على أنه لايمنع أصحاب الفرائض عن فروضهم التي قدرها الله لهم في سورة النساء بعد الموت بدليل نسخها لما كانوا عليه من حرمانهم الإناث قبل نزولها وتوريثهم بالمؤاخاة والموالاة مع وجودهن وقول شريح جاء ﷺ بمنع الحبس محمول على حبس الكفرة مثل البحيرة والوصيلة والسائبة والحام عملا بما هو صريح اللفظ متواتر المعنى وحملا للمحتمل عليه توفيقا بين الأدلة .والله أعلم.(إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشيخ علي الطرابلسي ،1902 ص 9-10)

ثانيا: صيغ المشاركة لاستثمار وتنمية الوقف.

صيغ المشاركة الممكن استغلالها لاستثمار وتنمية الوقف هي المشاركة الثابتة والمشاركة المتناقصة؛ وسأفصل الحديث فيهما وفق التالي

1- المشاركة الثابتة.

فمن ناحية المعاملات المصرفية الإسلامية، فإن البنك التشاركي قد يشارك في رأس المال أو الشركة الثابتة برأس مال مشترك، فيلجأ إلى شراء أسهم شركات أخـــرى أو يساهم في رأس مال مشروعات معينة، وهذا النوع من المشاركات يجمد جزء من أمواله المتاحة للاستثمار المباشر، والأمر متروك لإدارة المصرف لتحديد النسب التي يخصصها من الأموال لكل نوع من أنواع الاستخدامات. (الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية 1402 هـ/1977 م.278/5.)

والمشاركة الدائمة أو الثابتة تعني أن المصرف يشارك مع شخص أو أكثر في إحدى المؤسسات التجارية، أو مصنع، أو بناية، أو زراعة، وغيرها عن طريق التمويل في المشروع المشترك، فيستحق كل

واحد من الشركاء نصيبه من أرباح ذلك المشروع، وتكون المحاسبة للخسائر والأرباح بعد نهاية كل سنة مالية.

ويمكن تطبيق هذه الصورة من المشاركة في المجال الوقفي من خلال مساهمة المؤسسة الوقفية في رأسمال مشروعات معينة أو اقتناء أسهم بعض الشركات ولها نصيبها من الربح كما تتحمل الخسارة في حالة وقوعها، كما يمكن لأحد المحبسين وقف أسهم يملكها في شركة معينة وهي من قبيل وقف المشاع، وفي هذه الحالة تملك المؤسسة الوقفية حق المشاركة في تسيير الشركة وتدبير شؤونها.

وعليه فإن هذه الصورة من المشاركة تخرج على أنها شركة عنان وهي مشروعة، جاء في البهجة في شرح التحفه، "أما إن لم يطلق كل منهما التصرف للآخر بل شرطا أن لا يتصرف واحد منهما إلا بحضرة صاحبه وموافقته فهي شركة العنان لأن كل منهما أخذ بعنان صاحبه أي بناصيته وهي جائزة، وإن شرطا نفي الاستبداد فعنان. وعليه فلا يمضي فعل أحدهما في شيء مما مر أو غيره إلا بموافقة صاحبه، وهذا هو القسم الثالث من أقسام شركة المال، ولا يكون الرجل شريكا للرجل إلا إذا شاركه في رقاب الأموال على الإشاعة، وأما إن لم يشاركه في رقاب الأموال فليس بشريك وإنما هو خليط".(أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي: 1998، ج 2، ص: 296.)

ونمثل لذلك ببعض النماذج العملية بالمغرب، فقد قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وعلى امتداد سنوات بمجموعة من التوظيفات المالية من أجل تنمية عائداتها ومن هذه التوظيفات نذكر ما يلي:

– تأسيس شركة التنمية العقارية المقامة بشراكة مع المجموعة المغربية الكويتية بتاريخ يوليوز 1977 برأسمال 15,6 سهم تملك الأوقاف نصفها، وذلك بهدف إحداث تجزئة عبارة عن 120 بقعة من صنف فيلات، إضافة إلى مرافق اجتماعية و مساحات خضراء وقد تم بناء المشروع على عقار وقفي يوجد بالدار البيضاء تبلغ مساحته حوالي 13 هكتار، وقد بلغ مجموع نصيب الوزارة ما يناهز 50 مليون درهم كأرباح من هذا المشروع.

– المساهمة في رأس مال شركة شالة العقارية الذي يبلغ 20.732.500,00 درهم، والموزع على الشكل التالي:

- وزارة المالية: 66,6%
- الأوقاف: % 21,7 (9000 سهم بقيمة 4,5 مليون درهم).
- الصندوق الوطني للاستثمار : 3,32%
- المكتب الوطني للسياحة: % 2,41
- مساهمون مختلفون: % 4,1

وللإشارة فإن هذه الشركة هي في طور التصفية، ويبلغ نصيب الأوقاف منها 29 مليون درهم.

– اقتناء 51% من أسهم شركة مطبعة فضالة سنة 1959 بقيمة 350.100,00 درهم، ثم اقتنت باقي الأسهم سنة 1965 ، بقيمة 500.000,00 درهم لتصبح المطبعة ملكا خالصا للأوقاف.

– عقد مشاركة في الأرباح بين البنك الإسلامي للتنمية ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتاريخ فاتح رمضان 1403هـ موافق 11 يونيو 1983 م لإقامة مشروع تجزئة عقارية على قطعة حبسية بمراكش مساحتها حوالي 30 هكتار.

* حددت مساهمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قيمة العقار الحبسي حوالي 40 مليون درهم

* حددت مساهمة البنك الإسلامي للتنمية في تكاليف التجهيز والذي حدد في: 17.355.123,00 درهما.

* تم الاتفاق بالعقد المذكور على توزيع العائدات من المعاوضات على أساس:

° نسبة 69,73% من مداخيل المعاوضة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

° نسبة 30,27% من مداخيل المعاوضة للبنك الإسلامي للتنمية (**محمد الكوراري 2014 بالرباط، المغرب.)**

ويمكن اعتبار هذه النماذج داخلة في شكل المشاركة في رؤوس أموال مشروعات قائمة أو في طور الإنجاز، وهناك نوع آخر من المشاركة الثابتة وهو المشاركة الثابتة حسب الصفقة الواحدة، أو تمويل صفقة معينة، وهي أن تدخل المؤسسة الوقفية فيها شريكة في عملية تجارية أو استثمارية

مستقلة عن بعضها البعض حتى بالنسبة للمشروع الواحد وتختص بنوع واحد أو عدد معين أوعدد محدد من السلع وفي هذه الحالة يتم توزيع الأرباح والخسائر بين الشركاء حسب مساهمة كل واحد في رأس المـــــــال أو حسب ما تم الاتفاق عليه بين الأطراف، الاتفاق الذي يجب أن يتضمن صراحة شروط وكيفية احتساب الأرباح وتوزيعها.

وتعتبر هذه الصيغة من المشاركة الثابتة آلية حيوية تؤدي دورا فعالا، نظرا لكون المشاركة في الصفقة الواحدة، تتميز بميزات لا توجد في الصيغة الأولى السالفة الذكر، فهي أي المشاركة في الصفقة الواحدة تجعل دورة رأس المال أكثر سرعة، حيث أنه كلما انتهت العملية في وقت قصير، استرجعت المؤسسة الوقفية رأسمالها وشاركت به في صفقة أخرى، وبالتالي تحقيق نسبة كبيرة من الربح عن طريق المشاركة في عدد كبير من الصفقات، وهكذا يصبح منتوج المشاركة أكثر فعالية وحيوية في تدعيم المجال التجاري والاقتصادي للبلاد وأكثر مردودية للمؤسسة الوقفية المستثمرة.

2- المشاركة المتناقصة.

يطلق عليها أيضا المشاركة المنتهية بالتمليك، أو المشاركة بالتخارج.(علي عثمان حامد الجعلي، 2006، ص: 276.)

وقد عرفت الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية هذه المعاملة بأنها: مشاركة يساهم فيها المصرف الإسلامي شركة أو مؤسسة تجارية، أو بنايات أو مصنع أو زراعة مع شريك أو أكثر، وعندئذ يستحق كل من الشركاء نصيبه من الأرباح بموجب الاتفاق عند التعاقد مع وعد من المصرف الإسلامي أن يتنازل عن حقوقه دفعة واحدة أو دفعات حسبما تقتضيه الشروط المتفق عليها.(الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ج 5 ص، 426.)

وتعد هذه الصيغة من الابتكارات التي ابتكرتها البنوك التشاركية وفيها تركيب بين العقود المالية، فهي تجمع بين أكثر من عقد كالشركة والبيع، أو كالشركة والبيع والإجارة، والمشاركة التي فيها تطوير المشاركة الدائمة، فهي تختلف عن المشاركة الدائمة في عنصر واحد وهو الاستمرارية (د. يوسف بن عبد الله الشبيلي، ج 2، ص: 496.) فالهندسة المالية في المشاركة المنتهية بالتمليك تجمع بين الابتكار والتطوير.

وعلى هذا فإن المشاركة المتناقصة هي أسلوب من الأساليب الجديدة التي استحدثتها البنوك الإسلامية لاستثمار أموالها، ولحلولها محل البنوك التجارية التقليدية في تلبية حاجات الزبناء بمنأى عن الربا. حيث يقدم البنك الإسلامي جزءا من رأس المال المطلوب للمشروع بصفته مشاركا للزبون، الذي يقدم الجزء الباقي من رأس مال المشروع، ويتفق مع البنك على شراء حصته تدريجيا.

وإن المتأمل لما ورد من تعريفات لهذه المعاملة يجد أنها تشتمل على الأوصاف الآتية:

" أولا: إنها من قبيل شركة العنان، إذ ليس في هذه المعاملة ما يخالف أحكام هذه الشركة، فشركة العنان جائزة باتفاق الفقهاء، والبيع جائز أيضا.

ثانيا: إنها تشتمل على وعد من البنك ببيع حصته للشريك الآخر الزبون، والوعد اختلف فيه الفقهاء على أربعة أقوال، وقد رجح كثير من العلماء المعاصرين القول الذي يجعل الوعد ملزما قضاء إذا كان متعلقا بسبب ودخل الموعود في السبب، فلا يلزم الوعد بالقرض إلا إذا باشر الموعود في السبب.

وقد اعتبر المجمع الفقهي في دورته الخامسة المنعقدة في الكويت قرارا جاء فيه: الوعد هو الذي يصدر من الآمر أو المأمور على وجه الانفراد، يكون ملزما للواعد ديانة إلا لعذر، وهو ملزم قضاء إذا كان معلقا على سبب ودخل الموعود في كلفة نتيجة الوعد، ويتحدد أثر الإلزام في هذه الحالة إما بتنفيذ الوعد، وإما بتعويض عن الضرر الواقع فعلا بسبب عدم الوفاء بالوعد بلا عذر.

ثالثا: بيع الشريك حصته بعقد مستقل عن الشركة، إما كليا أو جزئيا، دفعة واحدة أو على دفعات، إلى أن تصبح ملكية المشروع خالصة للزبون(د. عبد السلام أحمد فيغو، سنة 2016، ص؛ 52).

وأسلوب المشاركة بهذا الشكل يلبي طموحات الكثيرين من طالبي التمويل الذيـــن لا يرغبون في الاعتماد على التمويلات المبنية على القرض المربوط بسعر الفائدة، وكذا في عدم استمرار مشاركة البنك لهم، ومن تم تكون المشاركة المتناقصة آلية فريدة في مجال التمويل تجمع بين حسنات القرض والمشاركة في إطار العدل الذي جاءت به الشريعة الإسلامية (ذ. مريد جواد، 2012، ص: 23)، وقد أقر مؤتمر الصرف الإسلامي بدبي الصور الآتية للمشاركة المتناقصة:

الصورة الأولى: أن يتفق البنك مع الشريك على أن يكون حلول هذا الشريك محل البنك بعقد مستقل يتم بعد إتمام التعاقد الخاص لعملية المشاركة، وبحيث يكون للشريكين حرية كاملة في التصرف ببيع حصصه لشريكه أو لغيره.

الصورة الثانية: أن يتفق البنك مع الشريك على أساس حصول البنك على حصة نسبية من صافي الدخل المستحق فعلا مع حق البنك في الحصول على جزء من الإيراد يتفق عليه ليكون ذلك الجزء مخصصا لتسديد أصل ما قدمه البنك من تمويل، أي يقسم الدخل إلى ثلاثة أقسام: حصة البنك كعائد التمويل، حصة للشريك كعائد وحصة ثالثة لسداد تمويل البنك.

الصورة الثالثة: يحدد نصيب كل شريك في شكل حصص أو أسهم يكون لكل منها قسمة معينة ويمثل مجموعها إجمالي قيمة المشروع أو العملية، يحصل كل شريك على نصيبه من الإيراد المتحقق فعلا. وللشريك إذا شاء أن يقتني من هذه الأسهم المملوكة للبنك عددا معينا كل سنة بحيث تتناقص أسهم البنك بمقدار ما تزيد أسهم الشريك إلى أن يمتلك كامل الأسهم فتصبح ملكيته كاملة".(د. الغريب ناصر، 1998 م، ص: 20.)

وبناء على ما جاء في تحديد مفهوم المشاركة المتناقصة وبيان صورها في المعاملات المصرفية الإسلامية، يمكن القول إن الهدف من استثمار أموال الأوقاف بالمشاركة المتناقصة هو الإفادة منها لتثمير ممتلكات الوقف وريعه، لتتمكن المؤسسة الوقفية من إنشاء مشاريع تمويلاتها ضعيفة أو معدومة عبر هذه المشاركة، ولتعود ملكية هذه العقارات والمشاريع كلا و جزءا لمؤسسة الوقف، أو من خلال قيام الوقف بتثمير ما لديه من ريع بطريق التمويل لجهات تريد إنشاء مشاريع لتستفيد تلك الجهات من ريع الوقف بما يعود بالربح المالي الآمن للوقف.

وعليه فإن لاستثمار الوقف من خلال المشاركة المتناقصة صورتان وهما:

الصورة الأولى: استثمار الوقف بالمشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك للوقــف، أو تمويل إنشاء مشروع معدوم التمويل بالمشاركة.

الصورة الثانية: استثمار الوقف بالمشاركة المتناقصة بالنسبة للوقف والمنتهية بالتمليك لشريك الوقف وبما يحقق مصلحة الوقف في تكثير الريع (د. أحمد بن عبد العزيز الصقيه، ص: 258.) وتحقيق الربح الآمن من

خلال المشاركة كممول، مع جدولة محددة لما يستحقه عن كل المدد الزمنية التالية للمشاركة المتناقصة بنصيب محدد من الربح.

ومما يمكن إلحاقه بالصورة الثانية ما إذا تم استبدال الوقف المتعطل أو الضعيف من خلال إدخال ممول لعمارة الموقوف، وليخرج الوقف بنصيبه مع ربحه وفق ما يتفق عليه.(د. أحمد بن عبد العزيز الصقيه، ص: 262.)

فالمضاربة هنا جماعية تجمع ما بين "**المؤسسة الوقفية**"، "و**الشركة الاستثمارية**"، والكل ينتظر الربح والفائدة، والأموال مختلطة، وقد تنحصر ما بين المصرف الإسلامي والمؤسسة الوقفية، إذا شاركت الأخيرة في تقديم الأعيان الوقفية، وقدم الأول خدمات استثمارية، على أن تنحصر ملكية المشروع في النهاية لصالح المؤسسة الوقفية، وبها نحافظ على خصوصية الأوقاف في التأبيد والاستمرارية في العطاء الفعال. وهذه الصيغة غالبا ما تفيد في دعم المشاريع المتوسطة أو الصغيرة الوقفية، إذ إن السيولة المالية يمكن تغطيتها من خلال المصارف الإسلامية، وبهذا تدفع المؤسسة عقارها ويقدم المصرف التمويل اللازم، مما يعني أن المؤسسة تبتعد عن تمويل قد يعوزها، كما تبعدها هذه الصيغة عن الانشغال في إدارة المشروع لاسيما في حال عدم وجود إدارات متخصصة بالمؤسسة الوقفية. وهنا يكون الضمان للمصرف الإسلامي في حال وقوع الخسارة باعتباره المؤتمن على الأموال المذخرة أو الأموال الوقفية المصروفة للاستثمار أو للمضاربة(د. سامي محمد الصلاحات ،2014 ص: 319.).

وهذه الصور لا يخرج توصيفها الفقهي في ما يتعلق باستثمار ممتلكات الأوقاف وريعها عما يلي:

أولا: في الصورة الأولى يكون الوقف مشاعا يملكه الوقف مع شريك آخر، فيتم شراء نصيب الشريك، ليكون العقار أو المشروع مملوكا بالكامل للوقف. وهذا الشراء يزيد في ممتلكات الوقف وينميها.

وقد تكون الصورة من خلال سماح الوقف لغيره بالتمويل له بصفته مشاركا، مع شرط شراء الوقف من شريكه نصيبه من هذه المشاركة، لتعود ملكية المشروع بالكامل للوقف.

ثانيا: اعتبار الصورة الثانية من قبيل الاستثمار بالفاضل من ريع الوقف أو ما خصص لذلك منه، عن طريق المشاركة المتناقصة ليخرج بالربح الآمن من خلالها بوصفه ممولا، مع الاتفاق على نسبة ما يستحقه من الربح.

فهو في حق من كان مريدا للتملك محقق لغرضه في تملك ما أراد، وبطريقة تمويل شرعي. وبالنسبة للممول أو البائع – وهو الوقف هنا – محقق لأرباح دورية آمنة باعتباره شريكا، مع استرجاعه لقيمة مشاركته بالمشروع.

ثالثا: أن الصورة الثانية تتضمن في بعض أحوالها استبدالا للوقف بريع مؤجل، وذلك من خلال إدخال شريك لإنشاء مشروع في أرض الوقف محل الاستبدال، ليتم استبدال ملكية الوقف لهذا العقار بنقد منجم على مدد بقدر الربح المحدد، على أن ينتهي في مدة محددة، فهو على هذا صورة من صور الاستبدال (د. أحمد بن عبد العزيز الصقية ، 1434هـ،ص: 262، 263.).

والملاحظ أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تقوم في سبيل استثمار الأوقاف وتنمية ريعها بمشاريع وقفية تديرها بواسطة مصالحها، أو تعمد إلى عقد شراكات مع جهات أخرى إما بسبب ضعف السيولة اللازمة لتمويل جل المشاريع الوقفية الاستثمارية، أو بسبب ضعف التأطير التقني بالإدارة المركزية والمصالح الخارجية. كما أن انعدام وجود الحوافز المادية لاستقطاب الكفاءات المهنية كالمهندسين في بعض التخصصات، يبرر عقد مثل هذه الشراكات مع مؤسسات متخصصة تتوفر على العناصر البشرية المؤهلة لمثل هذه المشاريع، بالإضافة إلى الرغبة الملحة في التقليل من المخاطر المرتبطة بالاستثمارات العقارية نظرا للطبيعة الخاصة للمال الوقفي.(دة. مجيدة الزياني،2014،ص: 250.)

وأذكر كنماذج لهذه الشراكات:

– عقد شراكة مع منعش عقاري بمدينة مكناس لإنشاء مجمع تجاري وسكني، بلغت تكلفته 80 مليون درهم، وقد انتهت الأشغال بهذا المشروع وهو يستغل حاليا.

– عقد شراكة مع القطاع الخاص من أجل بناء عمارة سكنية بمراكش، بلغت تكلفتها 12 مليون درهم، وقد انتهت الأشغال بالمشروع ويستغل حاليا.

– إنجاز تجزئة سكنية وتجارية بأرض سيدي مكدول بالصويرة على مساحة تقدر ب 10 هكتارات.

وغير خاف ما تحققه هذه الشراكات من نتائج إيجابية تعود بالنفع على المال الوقفي، حيث إنها تمكن من ربح الوقت في إنجاز المشاريع سواء في مرحلة الدراسـات أو الحصول على تراخيص البناء أو إنجاز الأشغال، وترفع من قيمة العقارات الوقفية، كما تضمن التمويل لأكثر من مشروع في آن واحد.(دة. مجيدة الزياني ، 2014،ص: 250.)

خاتمة:

ختامًا، تناول هذا البحث موضوع التمويل بالمشاركة ودوره في تنمية الوقف، من خلال بيان الإطار المفاهيمي لكلٍّ من الوقف وصيغ التمويل بالمشاركة في الصيرفة الإسلامية، لاسيما المشاركة الثابتة والمشاركة المتناقصة، مع تحليل إمكانات توظيف هذه الصيغ في استثمار الأصول الوقفية وتنميتها بما ينسجم مع مقاصد الشريعة الإسلامية ومتطلبات التنمية المعاصرة.

وقد توصلت الدراسة إلى أن التمويل بالمشاركة يُعدّ من أنسب الصيغ لتنمية أموال الوقف، لما يقوم عليه من مبدأ تقاسم الربح والخسارة، بما يعزز العدالة وتحمل المسؤولية المشتركة، ويحدّ من المخاطر الناتجة عن التمويل القائم على المديونية. كما أظهرت النتائج أن اعتماد هذه الصيغ يسهم في تفعيل الأصول الوقفية المعطلة، وتحقيق عوائد استثمارية أفضل، وتنويع مجالات الاستثمار، مع الحفاظ على الطبيعة الشرعية للوقف وتحقيق مقاصده في حفظ المال وتنميته وخدمة المجتمع.

وانطلاقًا من ذلك، يوصي البحث بما يأتي:

1. تطوير الأطر التشريعية والتنظيمية بما يدعم توظيف صيغ المشاركة في إدارة واستثمار الأوقاف.
2. تأهيل الأطر الإدارية في مؤسسات الوقف وتدريبها على آليات التمويل الإسلامي الحديثة.
3. تعزيز الحكامة والرقابة الشرعية والمالية لضمان الشفافية وحسن إدارة الموارد الوقفية.
4. تشجيع الشراكات بين مؤسسات الوقف والمؤسسات المالية ا لإطلاق مشاريع استثمارية تنموية مستدامة.

5. إجراء مزيد من الدراسات التطبيقية لتقييم تجارب الدول والمؤسسات الرائدة في هذا المجال والاستفادة من أفضل الممارسات.

وبذلك يمكن للتمويل بالمشاركة أن يشكّل مدخلًا فاعلًا لإحياء الدور التنموي للوقف، وتعزيز استدامته كمؤسسة اقتصادية واجتماعية رائدة تسهم في تحقيق التكافل والتنمية الشاملة في المجتمع.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

الكتب:

- ابراهيم أبا محمد:،2008، "الإسلام والتنمية"، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ط1/منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،
- إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشيخ علي الطرابلسي،1902،:"كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف"، المطبعة الهندية مصر ط2/
- ابن البطال،2003،" شرح صحيح البخاري"، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط 2/
- أبو الحسن علي بن عبد السلام التسولي: "البهجة في شرح التحفة"، دار المعرفة ، ط 1998/1.
-ابن رشد الجد،1988، "المقدمـــــات الممهدات" تحقيق الكتور محمد حجي، دار الإسلامي، لبنان،ط 1.
-ابن قدامة،"المغني"،1978،،نشر مكتبة القاهرة،بدون طبعة،
-ابن منظور:،1999،"لسان العرب" ، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط 3/.
- أبو محمد عبد الوهاب علي بن نصر المالكي ،1998، "المعونة على مذهب عالم المدينة" تحقيق محمد –حسين محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1،.
- أحمد بن عبد العزيز الصقية،1434هـ "استثمار الأوقاف.دار ابن حزم.ط1.
- الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ،1977"الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية" القاهرة م.278/5.
- الغريب ناصر،1998،"التمويل المصرفي الإسلامي"، ندوة التطبيقات الإقتصادية الإسلامية المعاصرة، الدار البيضاء، 5-8 ماي 1998 م.
- الفيروزابادي ،2005،"القاموس المحيط "،ج؛2؛ ط 3،
- الكاساني"بدائع ،"الصنائع في ترتيب الشرائع"، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجد، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،.

– سامي محمد الصلاحات،2014، "الوقف بين الأصالة والمعاصرة".الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1.

- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي،1994،" الذخيرة " تحقيق ذ. سعيد أعراب دار الغرب الإسلامي،ط1.

– عبد السلام أحمد فيغو:،2016، "العقود التشاركية"، دار نشر المعرفة الرباط المغرب، منشورات مجلة الحقوق سلسلة المعارف القانونية والقضائية.

– عبدالرزاق صبيحي،2009،" الحماية المدنية للأوقاف العامة" ، مطبعة الأمنية . الرباط،نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية،

- علي عثمان حامد الجعلي:،2006، "الرقابة الشرعية والمصرفية على المصارف الإسلامية مصرف التضامن السوداني نموذجا" ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحقوق، جامعة الحسن الثاني، عين الشق كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء.

– مريد جواد،2012، "البنوك الإسلامية في ضوء المستجدات التنظيمية للمنتجات التمويلية بالمغرب"، مطبعة المتقي برنيتر المحمدية المغرب، ط 1.

–أحمد الثعلبي،2002،" الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 2002/1، .

–الإمام البخاري،بدون سنة،:" صحيح البخاري"،.

– البيهقي،2003 ،السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3/.

- الجريدة الرسمية عدد 6328 بتاريخ فاتح ربيع الثاني 1436 هـ (22يناير2015)،*
- الجريدة الرسمية عدد 6548 بتاريخ 3 جمادى الثانية 1438 هـ (2 مارس 2017م).*
- الجوهري؛ 1987،" الصحاح" ؛ مادة وقف، ط 4/.
- الحطاب ، بدون سنة،"مواهب الجليل" ،دار عالم الكتب، ج7.ص 626
- خليل ،2002،:"المختصر"، تحقيق أحمد جاد، نشر دار الحديث القاهرة، ط 1.
- الرصاع ؛1993،شرح حدود ابن عرفة"، تحقيق محمد أبو الاجفان والطاهر المعموره، دار الغرب الإسلامي لبنان، ط 1 .
- الزرقاني:، بدون سنة، شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل بهامشه حاشية البناني"، دار الفكر بيروت،
- شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني،1994،؛" مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج على متن منهاج الطالبين للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي" ،دار الكتب العلمية ،ط 1/.
- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي،1994،" الذخيرة " تحقيق ذ. سعيد أعراب دار الغرب الإسلامي،ط1/ .،

- القرطبي، 1964، الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط 2/.
- مجيدة الزياني،2014، "مدونـــة الأوقاف المغربية دراسة منهجية في الأسس والأبعاد": ط 1/ دار الأمان الرباط.
- محمد سكحال المجاجي،2001،: " أحكام الشركات في الفقه الإسلامي المالكي"، المكتب الإسلامي، ط 1/.

المداخلات:

. - محمد الكوراري،2014، "التجربة المغربية في الاستثمارات الوقفية"، بحث مقدم للندوة الدولية لمجلة أوقاف الكويتية، تحت عنوان: الاستثمارات الوقفية بين المردود الاجتماعي والضوابط الشرعية والقانونية، والمنعقدة بتاريخ 24 – 25 مارس 2014

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

The Rights of the Defence in Referral Proceedings before the Moroccan Competition Council

RIZQY Basma
Faculty of Legal and Political Sciences, Hassan I University, Settat, Morocco
Rizqybasma4@gmail.com

Abstract:

Competition regulation has become a central instrument of economic public order in regulated liberal economies. In Morocco, this function is entrusted to the Competition Council, an independent administrative authority vested with extensive investigative, procedural, and sanctioning powers. However, the quasi-judicial nature of this institution raises a fundamental issue: how to reconcile the effectiveness of competition law enforcement with respect for the rights of the defence.
This article focuses specifically on the **referral of the Competition Council** as the decisive starting point of competition proceedings and a key stage for the effective protection of procedural guarantees. Through an analysis of the Moroccan legal framework, informed by European standards and comparative case law, the article highlights the structuring principles of defence rights—adversarial proceedings, impartiality, and burden of proof—while identifying the practical limits of their implementation. It ultimately offers a critical reflection on the balance between effective market regulation and the requirements of a fair trial.

Keywords: Competition law; Competition Council; Rights of the defence; Competition procedure

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

Les droits de la défense en matière de saisine du Conseil de la concurrence au Maroc

RIZQY Basma
Faculté des sciences juridiques et politiques, université Hassan 1, Settat, Maroc
Rizqybasma4@gmail.com

Résumé:

La régulation de la concurrence constitue aujourd'hui un instrument central de l'ordre public économique dans les économies libérales régulées. Au Maroc, cette mission est confiée au Conseil de la concurrence, autorité administrative indépendante dotée de pouvoirs étendus d'enquête, d'instruction et de sanction. Toutefois, la nature quasi-juridictionnelle de cette institution soulève une problématique fondamentale : celle de la conciliation entre l'efficacité de la répression des pratiques anticoncurrentielles et le respect des droits de la défense.
Le présent article analyse spécifiquement la **saisine du Conseil de la concurrence** en tant que point de départ déterminant de la procédure concurrentielle et moment clé pour l'effectivité des garanties procédurales. À travers une étude du cadre juridique marocain, éclairée par les standards européens et la jurisprudence comparée, l'article met en lumière les principes structurants des droits de la défense — contradictoire, impartialité, charge de la preuve — ainsi que les limites pratiques de leur mise en œuvre. Il propose ainsi une réflexion critique sur l'équilibre entre régulation efficace des marchés et exigence de procès équitable.

Mots clés: Droit de la concurrence ; Conseil de la concurrence ; Droits de la défense ; Procédure concurrentielle.

Introduction

La régulation de la concurrence constitue aujourd'hui l'un des piliers fondamentaux de l'organisation économique contemporaine. Dans les économies libérales régulées, le libre jeu du marché n'est plus conçu comme un mécanisme spontané et auto-suffisant, mais comme un processus nécessitant une intervention normative et institutionnelle destinée à prévenir les défaillances du marché, les abus de puissance économique et les pratiques restrictives susceptibles de fausser la concurrence. Le droit de la concurrence apparaît ainsi comme un droit de discipline des comportements économiques, visant à concilier la liberté d'entreprendre avec la protection de l'ordre public économique et l'intérêt du consommateur (Idot, 2018, p.2).

Au Maroc, cette mission de régulation est confiée au **Conseil de la concurrence**, autorité administrative indépendante consacrée constitutionnellement depuis la Constitution de 2011 et régie principalement par la loi n° 104-12 relative à la liberté des prix et de la concurrence. Le Conseil est chargé de veiller au respect des règles concurrentielles, de sanctionner les pratiques anticoncurrentielles et de contrôler les opérations de concentration économique. À ce titre, il dispose de pouvoirs étendus d'enquête, d'instruction et de sanction, pouvant conduire à l'imposition d'amendes d'un montant significatif, à l'injonction de mesures correctives, voire à une restructuration profonde des marchés concernés (loi 104-12, 2015, art 36).

Toutefois, si le Conseil de la concurrence exerce des compétences décisionnelles substantielles, il ne constitue pas une juridiction au sens strict. Il s'est lui-même qualifié d'**autorité administrative indépendante à compétences quasi-juridictionnelles**, se situant à la frontière entre l'administration et le juge. Cette hybridité institutionnelle soulève une difficulté majeure : comment concilier l'efficacité de l'action répressive en matière de concurrence avec le respect des **droits de la défense**, traditionnellement garantis devant les juridictions judiciaires ou administratives ?

Les droits de la défense peuvent être définis comme l'ensemble des garanties procédurales reconnues à toute personne faisant l'objet d'une procédure susceptible d'aboutir à une sanction, incluant notamment le droit à l'information sur les griefs, le respect du principe du contradictoire, l'accès au dossier, l'impartialité de l'organe de décision, le droit à l'assistance d'un

conseil et la possibilité de présenter utilement ses moyens de défense (Terre, 2018, p.114). Initialement développés dans le cadre du procès pénal, ces droits ont progressivement été étendus aux procédures administratives répressives, sous l'influence du droit européen et de la jurisprudence des juridictions de l'Union européenne.

Historiquement, l'affirmation des droits de la défense dans les procédures de concurrence est indissociable de l'évolution du droit européen de la concurrence. La Cour de justice de l'Union européenne a consacré de manière constante le caractère fondamental de ces droits, en exigeant leur respect tout au long de la procédure, y compris au stade de l'instruction et de l'adoption des griefs. Cette exigence a profondément influencé les droits nationaux, en particulier le droit français, qui a développé une jurisprudence abondante encadrant les pouvoirs des autorités administratives indépendantes dotées de pouvoirs de sanction. Le droit marocain s'inscrit dans cette dynamique de convergence, tout en conservant des spécificités propres à son architecture institutionnelle.

L'intérêt du sujet est à la fois théorique et pratique. Sur le plan théorique, il interroge la nature juridique du Conseil de la concurrence et la qualification des procédures qu'il met en œuvre : s'agit-il de simples procédures administratives ou de véritables procédures répressives appelant l'application renforcée des garanties fondamentales ? Sur le plan pratique, l'enjeu est considérable pour les entreprises mises en cause, exposées à des sanctions financières lourdes et à des atteintes durables à leur réputation économique.

Dans ce contexte, la **saisine du Conseil de la concurrence** revêt une importance déterminante. Qu'elle soit externe (plainte, saisine par une autorité publique) ou interne (autosaisine), elle constitue le point de départ de la procédure et conditionne l'effectivité des droits de la défense. Dès ce stade initial se posent des questions essentielles relatives à l'information des parties, à l'étendue des pouvoirs du rapporteur, à la séparation des fonctions d'instruction et de décision, ainsi qu'à la charge et à l'administration de la preuve (Idot, 2005, p.257).

Dès lors, une problématique centrale s'impose : **Le cadre juridique marocain de la saisine du Conseil de la concurrence permet-il d'assurer une protection effective et suffisante des droits de la défense, de l'ouverture de la procédure jusqu'au prononcé de la décision finale, au**

regard des exigences constitutionnelles et des standards européens et internationaux ?

Pour répondre à cette interrogation, il convient d'adopter une analyse structurée. Il s'agira, dans un premier temps, d'examiner les fondements juridiques de la saisine du Conseil de la concurrence et les principes directeurs qui encadrent les droits de la défense (I), avant d'analyser, dans un second temps, leur mise en œuvre concrète et les limites pratiques observées dans la procédure concurrentielle marocaine (II).

I. Le cadre juridique de la saisine et les principes structurants des droits de la défense

La mise en œuvre du droit de la concurrence ne saurait se réduire à l'édiction de règles substantielles encadrant les comportements des opérateurs économiques. Elle suppose, de manière tout aussi essentielle, l'existence d'un cadre procédural garantissant à la fois l'effectivité de la régulation concurrentielle et le respect des droits fondamentaux des entreprises mises en cause. À cet égard, la procédure devant le Conseil de la concurrence occupe une place centrale dans l'architecture du droit économique marocain, en ce qu'elle constitue le vecteur par lequel s'opère la conciliation entre la protection de l'ordre public économique et les exigences du procès équitable (Idot, 2005, p.255).

Le législateur marocain a ainsi entendu doter le Conseil de prérogatives étendues lui permettant d'intervenir efficacement sur les marchés, tout en encadrant l'exercice de ces pouvoirs par des garanties procédurales inspirées des standards internationaux et européens. La question de la saisine, qu'elle soit initiée par les opérateurs économiques ou exercée d'office par l'autorité, s'inscrit au cœur de cet équilibre délicat. Elle conditionne non seulement l'ouverture de la procédure concurrentielle, mais également la répartition de la charge probatoire et, plus largement, la nature des droits reconnus aux entreprises tout au long de l'instruction.

Dans cette perspective, l'étude du cadre juridique de la saisine appelle une analyse articulée autour de deux axes complémentaires. D'une part, il convient d'examiner les mécanismes institutionnels qui permettent au Conseil de la concurrence d'assurer la défense de l'ordre public économique, au premier rang desquels figurent le pouvoir d'autosaisine et le régime de la charge de la preuve (1). D'autre part, l'efficacité de ces mécanismes ne peut être dissociée du respect des principes structurants des droits de la défense,

au premier rang desquels se trouvent le principe du contradictoire et l'exigence d'impartialité, qui encadrent le déroulement de la procédure concurrentielle et conditionnent sa légitimité (2).

1. **L'autosaisine du Conseil et la charge de la preuve : deux mécanismes essentiels de protection de l'ordre public économique**

La protection de l'ordre public économique suppose que l'autorité de concurrence dispose d'une capacité d'intervention autonome, indépendante de la volonté des opérateurs économiques. À cet égard, le pouvoir d'autosaisine reconnu au Conseil de la concurrence constitue l'un des instruments les plus emblématiques de son rôle régulateur. En droit marocain, l'article 6 de la loi n° 20-13 relative au Conseil de la concurrence autorise expressément ce dernier à se saisir d'office, sur proposition du rapporteur général, de toute pratique susceptible de porter atteinte à la liberté de la concurrence. Cette faculté d'initiative confère au Conseil une fonction qui dépasse la simple résolution de litiges individuels pour l'inscrire dans une logique de défense de l'intérêt général économique.

L'autosaisine permet ainsi d'assurer la continuité et l'effectivité de la répression concurrentielle, notamment dans les hypothèses où une plainte est retirée, déclarée irrecevable ou abandonnée sous l'effet de pressions économiques. Elle empêche que la mise en œuvre du droit de la concurrence soit tributaire de stratégies procédurales ou de rapports de force entre opérateurs. Comme le souligne la doctrine classique, l'intervention de l'autorité de concurrence ne saurait être assimilée à un contentieux privé, dès lors que « la concurrence relève d'un ordre public économique dont la sauvegarde ne peut être abandonnée à l'initiative des seules entreprises » (Serra, 1992, p.117).

Cette conception est largement partagée en droit comparé. En droit français, le pouvoir d'autosaisine a été consacré de longue date comme une prérogative essentielle de l'autorité de concurrence. Le décret du 30 avril 2002 relatif à l'organisation et au fonctionnement du Conseil de la concurrence précisait déjà, en son article 32, que l'autorité pouvait décider de se saisir d'office lorsque les faits portés à sa connaissance révélaient une atteinte suffisamment grave au fonctionnement du marché. La jurisprudence française a confirmé que, dès l'enregistrement de la saisine, l'auteur de celle-ci ne conserve aucun pouvoir de disposition sur la procédure, laquelle relève exclusivement de l'appréciation autonome de l'autorité de concurrence. Une telle solution vise

à préserver l'indépendance de l'action publique économique et à prévenir toute instrumentalisation de la procédure par les entreprises.

Toutefois, si l'autosaisine renforce l'efficacité de la régulation concurrentielle, elle ne saurait justifier un affaiblissement des garanties procédurales offertes aux entreprises mises en cause. C'est pourquoi ce pouvoir d'initiative est indissociablement lié à un second mécanisme fondamental : **la charge de la preuve**. Principe cardinal des procédures répressives, la charge de la preuve incombe à l'autorité poursuivante, qu'il s'agisse du rapporteur général ou, in fine, du Conseil de la concurrence lui-même. Il leur appartient d'établir l'existence des faits reprochés, leur qualification juridique et leur caractère anticoncurrentiel, sans pouvoir se fonder sur de simples présomptions générales.

Ce principe est expressément consacré par le règlement (CE) n° 1/2003 du Conseil du 16 décembre 2002, dont l'article 2 dispose que la charge de la preuve d'une infraction aux règles de concurrence incombe à la partie ou à l'autorité qui allègue cette infraction. Bien que ce texte relève du droit de l'Union européenne, il constitue une référence structurante pour les droits nationaux, y compris marocain, tant par son autorité doctrinale que par l'influence de la jurisprudence européenne en matière de garanties procédurales.

La doctrine française a d'ailleurs souligné très tôt que l'exigence probatoire constitue la contrepartie nécessaire des pouvoirs étendus reconnus aux autorités de concurrence. Comme l'observe Y. Serra, la charge de la preuve est « l'un des garde-fous essentiels contre l'arbitraire répressif », en ce qu'elle impose à l'autorité de démontrer, de manière rigoureuse et objective, la réalité de l'atteinte concurrentielle alléguée. Cette exigence est d'autant plus impérative que les sanctions encourues peuvent atteindre des montants particulièrement élevés et produire des effets durables sur la situation économique et la réputation des entreprises concernées.

Inversement, lorsque les entreprises mises en cause invoquent des éléments de justification - tels que des gains d'efficience, des contraintes réglementaires ou des comportements objectivement nécessaires - il leur appartient d'en rapporter la preuve. Ce partage de la charge probatoire traduit un équilibre subtil entre la protection de l'ordre public économique et le respect des droits de la défense, équilibre qui constitue l'un des fondements de la légitimité du contentieux concurrentiel contemporain.

Ainsi, loin de constituer des prérogatives isolées, l'autosaisine du Conseil et le régime de la charge de la preuve forment un ensemble cohérent de mécanismes destinés à assurer une régulation efficace des marchés tout en préservant les garanties procédurales fondamentales des entreprises. Leur articulation témoigne de la volonté du législateur de concilier efficacité répressive et exigence de justice procédurale dans la mise en œuvre du droit de la concurrence (Bosco, 2019, p.45).

Le respect du principe du contradictoire constitue l'un des fondements essentiels du procès équitable et, plus largement, de toute procédure susceptible de déboucher sur une sanction. En droit de la concurrence, ce principe revêt une importance particulière en raison de la nature répressive des décisions rendues et de la gravité des sanctions encourues. Le législateur marocain a expressément consacré cette exigence en affirmant le caractère contradictoire de la procédure devant le Conseil de la concurrence, tout en aménageant certaines limitations destinées à préserver les impératifs économiques et le secret des affaires.

2. Le respect du contradictoire et l'exigence d'impartialité : piliers procéduraux des droits de la défense

L'article 29 de la loi n° 104-12 relative à la liberté des prix et de la concurrence dispose que la procédure suivie devant le Conseil de la concurrence est contradictoire. Cette consécration implique que les entreprises mises en cause doivent être informées des griefs formulés à leur encontre, mises en mesure d'accéder au dossier non confidentiel et autorisées à présenter leurs observations écrites et orales avant toute décision au fond.

Toutefois, le même texte prévoit que certaines pièces peuvent être occultées lorsque leur communication serait de nature à porter atteinte au secret des affaires. Cette possibilité traduit une volonté de conciliation entre deux exigences concurrentes : d'une part, le respect des droits de la défense, et d'autre part, la protection d'informations économiquement sensibles telles que les stratégies tarifaires, les marges, les volumes de production ou les accords commerciaux. Cette conciliation demeure délicate, notamment dans les secteurs fortement concurrentiels où la divulgation d'informations stratégiques peut entraîner des distorsions de concurrence irréversibles.

La loi n° 20-13 relative au Conseil de la concurrence vient renforcer cette exigence procédurale. Son article 6 prévoit que le Conseil ne peut rendre un avis à une juridiction ou à une autorité publique qu'à l'issue d'une procédure

contradictoire. Cette disposition est particulièrement significative en ce qu'elle étend l'exigence du contradictoire au-delà des seules décisions répressives, pour l'appliquer également aux avis du Conseil, lesquels peuvent produire des effets juridiques et économiques déterminants dans les litiges pendants devant les juridictions. Le contradictoire apparaît ainsi comme une exigence transversale, indissociable de la légitimité institutionnelle du Conseil.

- **Un contradictoire aménagé dans la phase précontentieuse**

Le principe du contradictoire ne s'applique pas avec la même intensité à toutes les phases de la procédure. Dans une première étape, correspondant à la phase d'enquête et d'instruction préalable, le contradictoire est nécessairement restreint. À ce stade, les investigations sont conduites par les services du rapporteur général, et les entreprises ne disposent pas encore d'un accès complet au dossier ni d'une information exhaustive sur les griefs susceptibles d'être retenus à leur encontre.

La pratique comparée confirme cette approche. En droit français, la jurisprudence admet que, tant que les griefs n'ont pas été formellement notifiés, les entreprises ne bénéficient pas d'un droit plein à l'assistance d'un avocat ni d'un accès intégral au dossier. Toutefois, des garanties minimales subsistent. Ainsi, le décret français du 30 avril 2002 relatif à l'organisation et au fonctionnement du Conseil de la concurrence prévoyait que les entreprises pouvaient être assistées d'un conseil lors des auditions menées par les services d'instruction. Ce dispositif visait à prévenir les atteintes les plus graves aux droits de la défense, tout en préservant l'efficacité des enquêtes.

Ce n'est qu'à compter de la notification des griefs que s'ouvre véritablement la phase pleinement contradictoire de la procédure. À partir de ce moment, les entreprises disposent d'un accès au dossier non confidentiel, peuvent produire des observations écrites, solliciter des auditions et présenter leur défense devant la formation de jugement. Cette distinction entre phase précontentieuse et phase contentieuse constitue un équilibre classique en droit de la concurrence, admis tant par la jurisprudence nationale que par la jurisprudence européenne.

- **L'exigence d'impartialité : une condition substantielle du procès équitable**

Le respect du contradictoire ne saurait toutefois suffire à garantir l'équité de la procédure. Il doit nécessairement s'accompagner d'une exigence

d'impartialité de l'organe de décision. Cette exigence revêt une double dimension : l'impartialité subjective, qui suppose l'absence de parti pris personnel des membres de la formation de jugement, et l'impartialité objective, qui implique que l'organisation institutionnelle exclue tout doute légitime quant à la neutralité de la décision.

La jurisprudence européenne a rappelé avec force cette exigence. Dans l'affaire *Lilly France*, la Cour européenne des droits de l'homme a jugé que la non-communication à l'entreprise d'une note émanant du conseiller rapporteur portait atteinte au droit à un procès équitable, en ce qu'elle privait la partie concernée de la possibilité de discuter utilement un élément susceptible d'influencer la décision. Cette décision souligne que l'impartialité ne se limite pas à l'absence de partialité réelle, mais exige également que la procédure offre des garanties suffisantes d'objectivité et de transparence.

La jurisprudence française s'inscrit dans la même logique. La Cour de cassation a censuré une décision du Conseil de la concurrence au motif que certains de ses membres avaient participé à la fois à l'adoption de mesures conservatoires et à la décision au fond, créant ainsi un doute légitime sur leur impartialité. Une telle confusion des fonctions d'instruction, de poursuite et de jugement est incompatible avec les exigences du procès équitable, même lorsque l'autorité concernée ne revêt pas formellement le statut de juridiction.

Ces solutions trouvent un écho particulier en droit marocain, dans la mesure où le Conseil de la concurrence cumule des fonctions d'enquête, d'instruction et de décision. Elles imposent une vigilance accrue quant à la séparation fonctionnelle des rôles au sein de l'institution et à la transparence des délibérations. L'impartialité doit non seulement être réelle, mais également apparente, afin de préserver la confiance des opérateurs économiques dans la légitimité des décisions rendues.

Ainsi, le principe du contradictoire et les exigences d'impartialité apparaissent comme deux garanties indissociables de la protection des droits de la défense devant le Conseil de la concurrence. Leur respect conditionne non seulement la régularité formelle de la procédure, mais également la crédibilité et l'autorité de la régulation concurrentielle dans l'ordre juridique marocain.

II. La mise en œuvre concrète des droits de la défense devant le Conseil

Si le cadre normatif marocain consacre expressément les droits de la défense dans les procédures de concurrence, leur effectivité dépend largement des modalités concrètes de leur mise en œuvre devant le Conseil de la concurrence. Au-delà des principes proclamés, c'est au niveau de la pratique procédurale que se mesure la réalité des garanties offertes aux entreprises mises en cause, confrontées à des procédures complexes et potentiellement fortement sanctionnatrices.

L'analyse de cette mise en œuvre révèle ainsi une tension permanente entre les exigences d'efficacité de l'action répressive et le respect des garanties fondamentales du procès équitable. Cette tension se manifeste tant dans l'organisation de la procédure que dans l'étendue réelle des droits reconnus aux parties au cours de l'instruction et de la phase décisionnelle.

Dans cette perspective, il convient d'examiner, d'une part, les mécanismes concrets assurant l'effectivité des droits de la défense, à travers l'information des parties, l'accès au dossier et le droit d'être entendu (1), avant d'analyser, d'autre part, les limites pratiques du contradictoire et les défis persistants qui continuent de fragiliser l'équilibre procédural devant le Conseil de la concurrence (2).

1. L'information des parties, l'accès au dossier et le droit d'être entendu

La mise en œuvre effective des droits de la défense devant le Conseil de la concurrence repose en grande partie sur le rôle central confié au rapporteur général. Celui-ci ne se limite pas à une fonction d'enquête ou d'instruction : il constitue également le garant du respect des garanties procédurales reconnues aux entreprises mises en cause. À ce titre, il lui appartient d'informer les parties de l'existence de la procédure, de la nature des pratiques examinées et du cadre juridique applicable, afin de leur permettre d'organiser utilement leur défense.

Cette obligation d'information s'inscrit dans une logique de transparence procédurale. Dès les premières investigations, les entreprises concernées doivent être en mesure d'identifier les faits susceptibles de leur être reprochés, sans pour autant que l'autorité ne soit tenue de révéler l'intégralité de sa stratégie d'instruction. L'équilibre est délicat : une information insuffisante porterait atteinte aux droits de la défense, tandis qu'une information excessive pourrait compromettre l'efficacité de l'enquête et la protection du secret des affaires.

Les auditions menées par le rapporteur général constituent, à cet égard, un moment clé de la procédure. Elles sont strictement encadrées par les textes et la pratique. Les personnes entendues doivent être informées de leur droit à l'assistance d'un avocat ou d'un conseil de leur choix, et un procès-verbal doit être établi afin de consigner de manière fidèle et complète les déclarations recueillies. Cette formalité revêt une importance capitale, dans la mesure où les procès-verbaux d'audition peuvent constituer des éléments déterminants de la preuve retenue par le Conseil.

La jurisprudence, tant nationale que comparée, attache une attention particulière au respect de ces garanties. Des irrégularités tenant à l'absence d'information sur les droits de la personne entendue ou à l'imprécision des procès-verbaux sont susceptibles d'entacher la procédure d'irrégularité substantielle, pouvant conduire à l'annulation de la décision finale. Le droit d'être entendu implique en effet que les déclarations recueillies ne puissent être utilisées contre une entreprise que si elles ont été obtenues dans des conditions respectant pleinement ses droits procéduraux.

La phase contentieuse renforce encore ces garanties. Lors de la séance devant le Conseil de la concurrence, les parties disposent du droit de solliciter une audition et de présenter leurs observations orales. Elles peuvent se faire assister ou représenter par un avocat ou tout autre conseiller juridique, conformément à l'article 33 de la loi n° 104-12 relative à la liberté des prix et de la concurrence. Cette faculté contribue à assurer l'effectivité du principe du contradictoire et l'égalité des armes entre l'autorité poursuivante et les entreprises mises en cause.

La séance n'est pas publique, ce qui permet de préserver la confidentialité des informations sensibles et des secrets d'affaires. Toutefois, cette non-publicité ne saurait porter atteinte aux droits de la défense : le Conseil demeure tenu de garantir un débat contradictoire réel et équilibré, en veillant notamment à ce que chaque partie dispose d'un temps suffisant pour présenter ses arguments et répondre aux observations du rapporteur général.

La séparation des fonctions constitue une autre garantie essentielle. Afin d'éviter toute confusion entre les rôles d'instruction et de jugement, le rapporteur général ne participe pas au délibéré, sauf exceptions strictement prévues par les textes. Cette exclusion vise à préserver l'impartialité de la formation de décision et à prévenir toute influence indue sur l'issue du litige.

La décision du Conseil n'est jamais arrêtée en séance : elle résulte d'un

délibéré ultérieur, collégial et confidentiel. Toute divulgation prématurée de la décision ou de son sens est susceptible de constituer un vice de procédure justifiant son annulation.

Ainsi, l'information des parties, l'accès au dossier non confidentiel et le droit d'être entendu constituent des garanties concrètes et indissociables des droits de la défense devant le Conseil de la concurrence. Leur effectivité conditionne non seulement la régularité formelle de la procédure, mais également la légitimité des décisions rendues et la confiance des opérateurs économiques dans l'action de l'autorité de régulation.

2. Les limites pratiques du contradictoire et les défis persistants

Malgré la consécration normative du principe du contradictoire et les garanties procédurales prévues par les lois n° 104-12 et n° 20-13 relatives au droit de la concurrence, la pratique révèle l'existence de limites substantielles qui en atténuent parfois la portée effective. Ces limites tiennent à la fois aux contraintes inhérentes à la répression des pratiques anticoncurrentielles et à certaines options procédurales destinées à préserver l'efficacité de l'action du Conseil.

En premier lieu, la communication des griefs peut être aménagée lorsque les pratiques en cause impliquent un nombre élevé d'opérateurs économiques. Dans de telles hypothèses, le Conseil peut être conduit à procéder à une notification synthétique ou partielle des griefs, afin d'éviter une paralysie de la procédure. Si cette approche répond à des impératifs de gestion procédurale et d'efficacité administrative, elle est susceptible de réduire la portée du contradictoire, en limitant la capacité des entreprises à appréhender de manière exhaustive les faits et les qualifications juridiques retenus à leur encontre. La doctrine souligne à cet égard que le contradictoire perd une partie de sa substance lorsque l'information fournie aux parties demeure trop générale ou insuffisamment individualisée.

En second lieu, les entreprises mises en cause ne disposent pas d'un droit automatique d'être entendues au stade de l'enquête. Avant la notification des griefs, elles ne bénéficient que d'un droit limité à présenter des observations ponctuelles, principalement en réponse aux éléments formellement portés à leur connaissance. Cette restriction est classiquement admise en droit de la concurrence, tant marocain que comparé, au nom de l'efficacité des investigations et de la nécessité de préserver l'effet de surprise indispensable à la mise au jour de pratiques souvent dissimulées. Toutefois, elle contribue

à instaurer un contradictoire différé, dont la plénitude n'est acquise qu'à un stade avancé de la procédure, ce qui peut fragiliser la perception d'équité procédurale.

Une autre limite notable concerne la confidentialité des correspondances entre avocats. Contrairement au principe général du secret professionnel, la jurisprudence de la Cour de justice de l'Union européenne a admis que certaines communications puissent être utilisées comme éléments de preuve lorsqu'elles ne relèvent pas strictement de l'exercice des droits de la défense ou lorsqu'elles révèlent, par leur contenu même, l'existence d'une collusion anticoncurrentielle manifeste. Cette solution, reprise par plusieurs autorités nationales de concurrence, introduit une relativisation du principe de confidentialité, justifiée par la nécessité de lutter efficacement contre les ententes secrètes. Elle n'en soulève pas moins des interrogations quant à l'équilibre entre l'efficacité probatoire et la protection des droits de la défense.

Enfin, l'exigence d'impartialité demeure un point de vigilance constant. La jurisprudence rappelle que la moindre atteinte, même apparente, à l'impartialité de l'organe de décision est susceptible d'entraîner l'annulation de la procédure. Ainsi, la Cour de cassation française a jugé qu'une confusion entre les fonctions d'instruction et de jugement, ou la participation d'un même membre à plusieurs phases décisives de la procédure, portait atteinte aux exigences du procès équitable et justifiait l'annulation de la décision rendue (Cour de cassation, 2001). Cette jurisprudence, bien qu'issue du droit français, présente une portée exemplaire pour le droit marocain, dès lors que le Conseil de la concurrence cumule également des fonctions d'enquête, d'instruction et de décision.

Ces différentes limites mettent en évidence la fragilité structurelle du contradictoire dans les procédures de concurrence. Elles imposent au Conseil marocain une rigueur accrue dans l'organisation interne de ses travaux, la répartition des rôles entre rapporteurs et membres délibérants, ainsi que dans la motivation de ses décisions. Plus largement, elles démontrent que la consolidation des droits de la défense ne saurait être envisagée comme un acquis définitif, mais comme une **démarche continue**, indissociable du renforcement progressif de la culture de concurrence, de la sécurité juridique et de la confiance des opérateurs économiques dans l'institution concurrentielle marocaine.

Conclusion

L'étude des droits de la défense devant le Conseil de la concurrence révèle un équilibre délicat entre l'efficacité de la régulation concurrentielle et le respect des garanties procédurales fondamentales. Le cadre juridique marocain consacre formellement le principe du contradictoire et l'exigence d'impartialité, tout en reconnaissant au Conseil des pouvoirs étendus nécessaires à la protection de l'ordre public économique. Toutefois, la pratique met en évidence des limites persistantes, liées notamment au caractère aménagé du contradictoire et aux contraintes propres à l'instruction des pratiques anticoncurrentielles. Dès lors, l'effectivité des droits de la défense demeure un enjeu central, appelant une vigilance constante afin de renforcer la légitimité et la crédibilité de l'action du Conseil de la concurrence.

Références

1. Bosco, D. (2019). Les droits de la défense devant les autorités de concurrence. *Revue internationale de droit économique*.
2. Idot, L. (2005). Les droits de la défense devant les autorités de concurrence. *Revue trimestrielle de droit européen*, 41(2).
3. Idot, L. (2018). *Droit européen de la concurrence* (4e éd.). Dalloz.
4. Serra, Y. (1992). *Le droit français de la concurrence*. LGDJ.
5. Terré, F., Simler, F., & Lequette, Y. (2018). *Droit civil : Les obligations* (12e éd.). Dalloz.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

The patrimonial value of the distribution contract

El MENIY MOHAMED [1]
Sidi Mohamed Ben Abdellah University – Fez/ Morocco
mohamed.elmeniy@usmba.ac.ma
MRIZIK NISRINE[2]
Sidi Mohamed Ben Abdellah University – Fez/ Morocco
nisrine.mrizik @usmba.ac.ma

Abstract:

The distribution of products plays a decisive role in producers' access to the market and in the sale of goods. Currently, it is becoming a marketing technique because it connects the producer to the consumer through distributors. In this context, suppliers use many categories of contracts that allow manufactured products to reach consumers. Among these contracts, one can cite the distribution contract which is considered as an act of partnership, established between the supplier and its distributors for the sale of products within the distribution networks. In this perspective, the creation of these networks necessarily involves the conclusion of the distribution contract, in order to ensure the security of transactions and the protection of trademarks. In this context, it seems very important to study this subject in order to reflect on the value of the distribution contract which can be the subject of a transfer between commercial actors as an economic good, through an analytical, legal and critical approach. In this regard, the following question is asked: Does the distribution contract have a patrimonial value? Generally, the result of this study has shown the inadequacy of the legal regime of the transfer of the CD, which allows to propose the opening of a way towards the creation of distribution rights.

Keywords:Distribution, contract, patrimonial value, transfer, business assets.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

La valeur patrimoniale du contrat de distribution

El MENIY MOHAMED[1]
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah – Fès, Maroc
mohamed.elmeniy@usmba.ac.ma
MRIZIK NISRINE[2]
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah – Fès, Maroc
nisrine.mrizik @usmba.ac.ma

Résumé :

La distribution des produits joue un rôle déterminant dans l'accès des producteurs au marché et dans l'écoulement des marchandises. Actuellement, elle devient une technique de commercialisation, car elle permet de relier le producteur au consommateur par l'intermédiaire des distributeurs . Dans ce cadre, les fournisseurs font appel à de nombreuses catégories de contrats qui permettent aux produits fabriqués d'arriver aux consommateurs. Parmi ces contrats, on peut citer le contrat de distribution qui se considère comme un acte de partenariat, établi entre le fournisseur et ses distributeurs pour la vente des produits au sein des réseaux de distribution. Dans cette optique, la création de ces réseaux passe nécessairement par la conclusion du contrat de distribution, afin d'assurer la sécurisation des transactions et la protection de marques commerciales. Dans ce cadre, il apparait très important l'étude du ce sujet de façon à donner une réflexion sur la valeur du contrat de distribution qui peut faire l'objet d'une cession entre les acteurs commerciaux comme un bien économique, à travers une approche analytique, juridique et critique. A ce titre, on pose la question suivante : Le contrat de distribution a-t-il une valeur patrimoniale ? Généralement, le résultat de cette étude a montré l'insuffisance du régime juridique de la cession du CD, ce qui permet de proposer l'ouverture d'une voie vers la création de droit de distribution.

Mots clés : Distribution, contrat, valeur patrimoniale, cession, fonds de commerce.

Introduction:

Le secteur du commerce reste, au Maroc, très largement dominé par la distribution traditionnelle, qui devrait compter, encore aujourd'hui, pour environ 80% à 85% du marché (Gallouj, 2022, p.9). Généralement avant les années 1990 le commerce était exercé dans un cadre traditionnel comme les souks, les marchés municipaux, les épiceries et les vendeurs ambulant (Rapport élaboré par USAID/Morocco , 2006, p. 6.). Cependant, à partir de 1991, une première grande surface, a vu le jour en déclenchant le point de départ pour le développement de la distribution moderne des produits qui s'imposait avec force à la culture marocaine et qui participait à la transformation du tissu commercial marocain.

A ce titre, la distribution des produits joue un rôle déterminant dans l'accès des producteurs au marché et dans l'écoulement des marchandises. Elle constitue, ainsi, un moyen nécessaire pour faire face à l'ampleur de la commercialisation de production et motiver les entreprises à améliorer leurs réseaux de la distribution des marchandises. Le plus souvent, la distribution est l'opération économique qui consiste à mettre à la disposition de l'utilisateur les produits ou les services du fournisseur ou du fabricant : Il s'agit d'une technique destinée à diffuser les biens de bonne manière sur le marché auprès du public visé, en choisissant des modes convenables de la distribution des produits selon la liberté contractuelle du distributeur et du fournisseur

Généralement, la distribution est une opération économique comme l'un des trois stades de l'activité économique, suivant celui de la production, précédant celui de la consommation (Ferrier, 2020, p.1). Elle était définie ainsi comme l'ensemble des opérations matérielles et juridiques qui permettent de commercialiser des produits ou des services auprès de distributeurs et consommateurs professionnels ou non professionnels. Il s'agit d'une technique destinée à diffuser des produits sur le marché local ou international (Mendoza-Caminade, 2011, p. 17), à travers le choix libre des modes de distribution selon leur liberté contractuelle conformément à l'article 230 de droit marocain des contrats(DOC) : Les obligations contractuelles valablement formées tiennent lieu de loi à ceux qui les ont faites, et ne peuvent être révoquées que de leur consentement mutuel ou dans les cas prévus par la loi.

Dans ce cadre, les fournisseurs font appel à nombreuses catégories de contrats qui permettent aux produits fabriqués (alimentaires ou non) d'arriver à une grande clientèle possible. De même, le contrat le plus fréquemment utilisé est naturellement le contrat de vente par lequel un vendeur transfert la propriété d'une chose à un acheteur (Vigny (2000), p.23).

En principe la vente et la distribution des produits sont naturellement régies par les dispositions du Dahir des obligations et contrats (DOC). Néanmoins, les opérations de distribution constituent un contexte radicalement différent de celui qui postule la théorie classique des obligations. Car elles se présentent sur la forme d'un flux continu des contrats allant du producteur au consommateur avec l'intervention fréquente des intermédiaires multiples.

Parmi ces contrats, d'ailleurs c'est l'objet de notre étude, on peut citer le contrat de distribution des produits (**CDP**) .Ce dernier est un acte de partenariat. Il s'agit d'un accord passé entre un fournisseur et un intermédiaire ou un distributeur chargé de vendre les produits du fournisseur.

Généralement, le contrat est l'instrument juridique de base de la vie des affaires puisque c'est par lui que se nouent les relations entre les différents partenaires économiques. Il est un véritable outil de gestion pour l'entreprise, et son auteur doit être particulièrement attentif à ce que sa rédaction soit la plus claire et la plus précise possible (Schönberg, 2019,pp. 75-115.).

Aujourd'hui, la fonction de distribution fait partie de champ d'application de droit de concurrence. Egalement il convient d'insister sur l'importance de droit de propriété industrielle qui protège les marques et les signes distinctifs qui sont souvent essentiels dans la constitution des réseaux de distribution. Ces réseaux sont créés soit à l'initiative des fournisseurs qui maitrisent la conclusion de CD en réseau, soit par des distributeurs regroupés qui maitrisent la conclusion des contrats de la grande distribution.

Ce réseau est celui qui nait de la somme de volontés individuelles , unissant un fournisseur(l'intégrateur), à une pluralité de revendeurs (distributeurs intégrés), donnant naissance à des accords-cadres principaux liés à des contrats accessoires, constituant un groupe de contrats synallagmatiques, conclus à titre onéreux et dans l'intérêt commun de ses membres, en vue d'organiser la revente des produits.

Dans ce contexte, le contrat de distribution est marqué par un intuitu personae (Malaurie-Vignal, 2018, p. 199). Il établit toujours **un lien personnel** entre le fournisseur et le distributeur des produits, mais il est aussi **une valeur**

patrimoniale et un bien de grande importance économique qui peut circuler d'une entreprise à une autre. En ce sens, l'auteur PAUL DURAND en 1960 écrivait que « dans l'ordre économique, le contrat est lié à l'entreprise, il est un élément de valeur pour l'exploitation ». Ainsi, selon le professeur JACQUES MESTRE, « le contrat revêt désormais une valeur économique et une valeur patrimoniale souvent considérable » (Behar-Touchais & Virassamy, 1999).

En ce sens, il apparait important, le fait d'étudier la valeur patrimoniale du contrat de distribution pour donner une réflexion sur son champ de protection des intérêts communs des professionnels et sur la possibilité de sa cession, à travers à travers une approche analytique, juridique et critique.

A ce titre, on pose la question suivante : **Le contrat de distribution a-t-il une valeur patrimoniale ?**

Généralement, pour que le CD soit une véritable valeur patrimoniale, il faut qu'il soit cessible isolément ou transmissible avec le fonds de commerce qui se présente comme le groupement de certains éléments permettant d'acquérir une clientèle (Nakhli, M., 2021, p. 56).

En ce sens, pour répondre à cette question, on va traiter successivement la cession de contrat de distribution sans le fonds de commerce (**I**) et le transfert de contrat de distribution avec le fonds de commerce (**II**).

I. La cession de contrat de distribution sans le fonds de commerce

Il est admis que le contrat de distribution (CD) est par nature un contrat intuitu personae (Behar-Touchais & Virassamy, 1999, p.288). Ce dernier est conclu en considération de la personne du contractant ou en considération des qualités inhérentes à l'une des parties. Ce type de contrat est intransmissible, puisque les qualités personnelles en vue desquelles il était conclu sont elles-mêmes intransmissibles. Ainsi, il existe des contrats intuitu personae des deux cotés, tel est le cas du contrat de franchise, qui est conclu en considération de la personne du franchisé et du franchiseur (Behar-Touchais & Virassamy, 1999, p.288). Le plus souvent, ce contrat prend l'aspect du contrat synallagmatique qui fait naitre, à la charge des parties, des obligations réciproques(Nakhli, M., 2021,p.21).

Dans ce contexte, le régime de cession du contrat de distribution, sans le fonds de commerce, exige la nécessité de l'accord des parties(**1**) et l'insertion des clauses aménageant la cession du contrat de distribution(**2**).

1. La nécessité de l'accord des parties

Le professeur JAMIN a observé que « retirer la personne de franchiseur, qui est le propriétaire du savoir-faire original transmis au franchisé, c'est nécessairement détruire le contrat et son objet» (Behar-Touchais & Virassamy, 1999, p. 290). Egalement, il a été reconnu que le caractère intuitu personae de contrat de distribution était un obstacle à son transfert. Mais, Il était légitime de considérer que la cession de ce contrat peut s'effectuer à travers le consentement des contractants, c'est ce qu'a décidé la cour de cassation française, dans un arrêt de 7 janvier 1992, où elle a déterminé « que le fait qu'un contrat ait été conclu en considération de la personne de cocontractant, ne fait pas obstacle à ce que les droits et obligations de ce dernier soient transférés à un tiers, dès lors que l'autre partie y a consenti ».

Il s'ensuit que les contrats de distribution, en raison de leur caractère intuitu personae, ne peuvent être cédés par le distributeur sans l'accord de fournisseur cédé ou par le fournisseur sans l'accord de distributeur cédé.

Cependant, il y a un autre agreement supplémentaire pour admettre la cessibilité volontaire des contrats de distribution, Il s'agit de l'article L330-3 de code français de commerce qui évoque les conditions de renouvellement, de résiliation et de cession de contrat , conformément à l'ancien premier

article de la loi Doubin N° 89-1008 du 31 décembre 1989 relative au développement des entreprises commerciales et artisanales et à l'amélioration de leur environnement économique, juridique et social.

Ainsi, la tête de réseau et le distributeur peuvent être des personnes physiques ou des personnes morales ayant fait l'objet de la cession de contrôle de leurs sociétés. Dans ce cas, la cession de ce contrôle n'affecte pas l'intuitu personae (Malaurie-Vignal, 2018, p.226), c'est-à-dire, en cas de cession des parts sociales ou de changement de la personne du concédant ou du franchiseur, le contrat de distribution est maintenu, sauf clause contraire.

Egalement, en cas de changement de la personne de distributeur, il est fréquent de prévoir une clause qui subordonne tout changement dans la personne du dirigeant à l'accord de fournisseur (Malaurie-Vignal, 2018, p. 228).

Cependant, en droit allemand, le fournisseur peut en principe prévoir un droit de résiliation du contrat de distribution en cas de modification de la gérance ou de la structure de la société de distributeur. Si le distributeur modifie la structure de son entreprise, sans l'accord de fabricant, il s'expose à une résiliation de son contrat de distribution (Malaurie-Vignal, 2018, p. 226).

Le contrat de distribution ne peut être cédé qu'avec l'accord et le consentement des parties en application de **l'article 1216** du code civil français, issu de l'ordonnance du 10 février 2016.

Selon cet article, un contractant(**le cédant**), peut céder sa qualité de partie au contrat à un tiers (le **cessionnaire**), avec l'accord de son cocontractant(le **cédé**). Cet accord peut être donné par avance, notamment dans le contrat conclu entre les futurs cédant et cédé, auquel cas la cession produit effet à l'égard du cédé lorsque le contrat conclu entre le cédant et le cessionnaire **est notifié au cédé** ou lorsqu'il en prend acte. Cette cession également doit être constatée par écrit, à peine de nullité, en application de l'article 1216 de code civil français.

Généralement, l'écrit relatif à la cession de CD impose des droits et des obligations en faveur de **cédant, de cédé et de cessionnaire**.

Dans ce cadre, le consentement de cédé pour la cession de contrat libère le cédant pour l'avenir. A défaut, et sauf clause contraire, le cédant est tenu solidairement à l'**exécution** du contrat, au sens de l'article 1216-1 de code civil français.

Ainsi, le cessionnaire peut opposer au cédé les exceptions inhérentes à la dette, telles que la nullité, l'exception d'inexécution, la résolution ou la compensation de dettes connexes, conformément à l'article 1216-2 de code civil français.

Toutefois, si le cédant n'est pas libéré par le cédé, les sûretés qui ont pu être consenties subsistent. Également, au sens de l'article 1216-3 de code civil français, si le cédant est libéré, ses codébiteurs solidaires restent tenus déduction faite de sa part dans la dette.

En outre, à l'instar de droit civil français, **le législateur marocain** a réglementé le transfert des obligations par le titre 3 de livre I de DOC. Dans ce cadre, un ensemble des règles juridiques doivent être respectées par tout professionnel en tant que débiteur cédé ou cédé, cédant et cessionnaire.

Selon l'article 194 de DOC, la cession contractuelle d'un droit est parfaite par le consentement des parties, ce qui permet **au cessionnaire** de devenir le titulaire des droits de **cédant**, dès la réalisation de cession.

En ce sens, en droit marocain, selon l'article 192 de dahir (9 ramadan 1331) formant code des obligations et des contrats (B.O. 12 septembre 1913), lorsqu'il y a un litige sur un droit au moment de la vente ou cession, le transfert de ce droit est nul, sauf dans le cas de consentement **du débiteur cédé**. Egalement, lorsque un droit ne peut être cédé, en vertu de son titre constitutif ou de droit marocain en application de l'article 191 de DOC de dahir (9 ramadan 1331) formant code des obligations et des contrats (B.O. 12 septembre 1913), la cession de ce droit est nulle.

En matière de la distribution des produits, l'accord de la tête de réseau afin de céder un CD par l'un de ses distributeur peut permettre de garder la maitrise de la cohérence du son réseau et la continuité de l'activité économique objet de cession. Mais, une cession non autorisée par les parties de contrat objet des droits comme le droit d'utiliser une marque et un savoir-faire justifie la résiliation du ce contrat, ce qu'impose l'indemnisation de débiteur cédé ou de cédé par le cédant de contrat. Par exemple, si un franchiseur cède un réseau de distribution, le contrat de franchise est résilié et le franchiseur cédant doit indemniser le franchisé (Malaurie-Vignal, 2018, p. 229).

Donc, pour faciliter le maintien des transactions commerciales et la continuation des activités économiques, le consentement des parties à la cession de CD peut être donné dès la conclusion du contrat de distribution par

la stipulation d'une clause autorisant la cession du contrat conformément aux conditions de cession qui doivent être fixées au sein de CD.

2. Les clauses aménageant la cession du contrat.

Par la liberté contractuelle consacrée dans le droit civil marocain, les professionnels peuvent aménager la cession du leurs contrats de distribution à travers l'insertion des clauses liées à la transmission de contrat. Parmi ces clauses, on peut déterminer :

-La clause de libre circulation de CD qui peut exclure l'intuitu personae et prévoir un transfert du contrat ou prévoir que l'intuitu personae porte uniquement sur la personne du franchisée.

Dans ce cadre, le franchiseur pourrait céder les contrats de franchise sans demander l'autorisation des franchisées en cas de perturbation de courant d'affaire ou de franchise. Mais le franchiseur est soumis à l'obligation de bonne foi en matière d'exécution de ses obligations pour ne pas mettre le franchisé dans une difficulté économique insurmontable à cause de cession de CD (Malaurie-Vignal, 2018, p. 209).

- La clause de résiliation automatique qui peut prévoir expressément que le contrat de distribution prendra fin automatiquement en cas de cession de contrat par l'une des parties.

- La clause d'agrément qui peut soumettre la cession de CD à l'agrément et l'autorisation de fournisseur, surtout dans le cas de changement de contrôle ou des dirigeants majoritaires de société distributrice, ce qui permet au fournisseur de rester le maitre de la cohérence de son réseau.

Ainsi, pour se prémunir également contre le risque des nouveaux dirigeants majoritaires de l'entreprise contractante objets de changement de contrôle ou de cession de contrat, il importe donc de préciser, dès la conclusion de contrat que l'on conclut celui-ci en raison de la qualité des dirigeants ou actionnaires majoritaires de la société contractante, et que tout changement à cet égard (qui devra être notifié), permettra de demander la résiliation de contrat (Testu, 2010, p. 450).

En ce sens, si le CD est cédé sans l'agrément de fournisseur, le contrat est inopposable pour ce dernier qui peut obtenir des **dommages-intérêts** suite à la cession de contrat sans son agrément (Malaurie-Vignal, 2018, p. 231). Ainsi, si le cessionnaire avait la connaissance de la clause d'agrément ou le cessionnaire était de mauvaise foi, la cession de CD peut être annulée. Dans

ce cas, l'agrément est analysé comme une obligation essentielle dont la violation est sanctionnée par la **résiliation** de contrat et la réparation des **dommages causés** au fournisseur.

Toutefois, en cas de cession autorisée de CD, le cessionnaire ne peut modifier unilatéralement les termes de contrats en tenu compte de sa responsabilité en matière des dettes antérieures ou transmises par l'effet de cette cession.

Dans ce contexte, si l'on veut favoriser la circulation du contrat de distribution, il faut que celui-ci puisse être transmis également avec le fonds de commerce.

II : le transfert de contrat de distribution avec le fonds de commerce

Le fonds de commerce a une valeur propre qui dépend essentiellement de la clientèle qui lui est attachée. Il fait partie du patrimoine du commerçant, personne physique ou personne morale, qui a sur lui un droit de propriété grâce auquel il peut faire un certain nombre d'opérations (Schönberg, 2019, pp. 349-367).

En ce sens, pour que le contrat de distribution soit véritablement une valeur patrimoniale susceptible d'être cédé dans les meilleures conditions, il faudrait que le distributeur puisse le céder quand il cède son fonds de commerce (Behar-Touchais & Virassamy, 1999, p.302). Toutefois, il est affirmé que le **CD** ne fait pas partie des éléments constitutifs de fonds de commerce, conformément au titre premier de livre II de code marocain de commerce, en application de l'article 79 et 80 de code marocain de commerce.. En outre, un tel contrat est conclu intuitu personae. Il ne peut donc être cédé facilement avec le fonds de commerce sans l'accord des parties (Malaurie-Vignal, 2018, p. 209).

Il résulte que, lorsque le distributeur vend son fonds de commerce, il ne transmet pas automatiquement à l'acquéreur, le contrat de distribution dont il bénéficiait. Cependant, il est tout à fait possible de lever cet obstacle en créant un lien conventionnel, afin de transmettre ce contrat avec le fonds de commerce.

Cette transmission suppose, le **consentement de fournisseur** qui va accepter que son contrat de fourniture soit cédé avec le fonds de commerce de son distributeur. Ce qui permet donc le maintien du point de vente dans le réseau de distribution, en dépit du changement de propriétaire de fonds de commerce de distribution (Behar-Touchais & Virassamy, 1999,p.306).

Toutefois le transfert de CD avec le fonds de commerce peut être effectué de manière volontaire (1) ou forcée (2).

1. Le transfert volontaire

Le transfert volontaire de CD est soumis aux conditions suivantes. Tout d'abord le contrat doit en principe comporter une **stipulation** sur ce point, car pendant la phase précontractuelle, le fournisseur a l'obligation d'informer le candidat distributeur sur les conditions de la cession de contrat en application de l'Art 1er de la loi Doubin de 1989.. Donc le transfert de contrat est soumis à la présence d'un **consentement anticipé** des parties. Ensuite, il peut être exigé un **agreement** de cessionnaire qui peut être une technique opportune en cas de cession de CD avec le fonds de commerce. Alors en tant que l'agreement n'est pas obtenu auprès de fournisseur, le distributeur ne peut pas céder son contrat. Egalement, le cessionnaire du fonds de commerce doit accepter la cession de CD dans le cas où l'acte de cession du fonds de commerce contient une clause prévoyant que la cession du fonds de commerce emporte la cession du contrat de distribution. Ce contrat sera alors poursuivi avec l'acquéreur du fonds de commerce (Malaurie-Vignal, 2018, p. 209).

En ce sens, afin d'assurer une homogénéité du réseau, le contrat de distribution peut comporter souvent **une clause** qui confère à la tête de réseau un droit de préférence en cas de cession du fonds de commerce par le distributeur (Malaurie-Vignal, 2018, p. 238). Donc, le pacte de préférence peut prévoir que si le distributeur envisage de céder son fonds de commerce, il devra en offrir la vente par priorité à la tête de réseau.

En revanche, dans l'absence de clause d'agrément ou de préférence, la cession du fonds de commerce par le distributeur n'est pas besoin d'être agréée par la tête de réseau. Ainsi, si les parties n'ont pas la volonté de reprendre le CD, celui-ci est alors résilié en cas de cession du fonds de commerce.

Dans ce cadre, la cession du fonds de commerce peut partager un champ de responsabilité et des droits en cas de violation des conditions de cession. En ce sens, le distributeur qui cède son fonds de commerce est responsable de la rupture du CD, comme par exemple : le franchisé qui a cédé son fonds de commerce objet de franchise doit être déclaré seul responsable de la rupture

du contrat. Mais, si le fournisseur qui cède son fonds de commerce, il sera tenu d'indemniser le distributeur pour la résiliation anticipée du contrat.
En bref, pour éviter les conflits probables, en matière de cession de CD ou de cession de fonds de commerce avec ou sans CD, les professionnels sont invités à insérer des clauses relatives aux conditions de cession, avant le déclenchement de leur courant d'affaire.

2. Le transfert forcé.

Le transfert forcé de CD est susceptible d'intervenir lorsque le distributeur et le fournisseur se trouvent dans l'incapacité d'exécuter ce contrat. C'est le cas de **décès** de l'une des parties ou le cas où l'entreprise de l'une des parties fait l'objet d'une procédure collective conformément à la loi n° 73-17 abrogeant et remplaçant le livre V de loi n° 15-95 formant code de commerce relatif aux difficultés de l'entreprise. Dans ce dernier cas, le tribunal détermine les contrats de fourniture des biens nécessaires au maintien de l'activité des entreprises objet de traitement des difficultés. Alors le CD peut être qualifié un contrat de fourniture nécessaire au maintien de l'activité et à l'apurement de passif de débiteur, ce qui implique de la part de tribunal de commerce, une opération juridique de qualification de contrat et une appréciation économique de son importance afin d'imposer ou non sa cession forcée à l'instar des contrats en cours qui doivent obligatoirement produire leur effet au stade de difficultés des entreprises de fournisseur ou de distributeur.
Pour cette raison, le syndic, en tant que organe chargé de gérer l'entreprise objet d'une procédure collective, peut exiger l'exécution des contrats en cours et le cocontractant doit remplir ses obligations malgré le défaut d'exécution par l'entreprise d'engagements antérieurs au jugement d'ouverture de la procédure de redressement judiciaire, en application de l' article 588 de code marocain de commerce.. Dans ce cas, le contrat de distribution peut être qualifié un contrat en cours au sens de livre cinq de code marocain de commerce, ce qui justifie sa cession forcée en vue de maintenir ou de sauver l'activité d'entreprise objet des difficultés.
En définitive, le CD est devenu une valeur de patrimoine de distributeur. Certes cela ne signifie pas que le distributeur aura droit à une indemnité de rupture en fin de contrat et qu'il a une liberté de céder son contrat sans l'accord de fournisseur ou de franchiseur. Paradoxalement, c'est en fonction de la volonté des parties, que le contrat de distribution restera un simple lien,

incessible par leur volonté, ou au contraire pourra circuler comme un bien d'un patrimoine à un autre.

III.Conclusion

Le contrat de distribution est régi par le droit de la distribution qui est d'une approche complexe. Parce qu'il s'agit du droit des échanges économiques, il est influencé par les impératifs économiques qui varient selon la conjoncture économique, ainsi que par la pratique contractuelle très créative et dense en la matière. Les acteurs de la distribution des produits ont des statuts juridiques très divers et les relations qu'ils entretiennent sont complexes et parfois conflictuelles comme en témoigne fréquemment l'actualité (Mendoza-Caminade, 2011, p.8).

Dans ce contexte, le resultat de cette recherche a determiné la valeur patrimoniale du contrat de distribution. Certes cela ne signifie pas que le distributeur aura droit à une indemnité de rupture en fin de contrat et qu'il a une liberté de céder son contrat sans l'accord de fournisseur ou de franchiseur. Le plus souvent, en fonction de la volonté des parties le CD peut être incessible ou cessible comme un bien économique d'un patrimoine à un autre. Ainsi, l'etude de ce sujet a confirmé l'insuffisance du régime juridique de la cession du CD

Dans cette optique, devant la multiplication des activités économiques et des règles intervenues dans l'organisation du contrat de distribution, les professionnels sont dans l'état de nécessité pour la réglementation de CD et de son régime de sa cession.

En ce sens, je propose au législateur marocain, l'ouverture d'une voie vers la création de droit de distribution, au lieu de laisser les opérations de distribution à la merci de la pratique des professionnels et à l'enjeux de pouvoir d'achat de distributeurs et de pouvoir de vente des producteurs où chaque partie présente ses atouts et sa force financière pour être le maitre ou le dirigeant des contrat conclus en matière de distribution ou de commercialisation des produits.

Pour cette raison, il est recommandé de créer un nouveau contrat nommé, appelé le contrat de distribution des produits, avec un régime juridique claire permettant d'organiser la cession du contrat de distribution.

IV. Liste **Bibliographique**

1. Amiel-Cosme, L. (1995).*Les réseaux de distribution*. LGDJ. France
2. Behar-Touchais, M., & Virassamy, G. (1999).*Les contrats de la distribution*. L.G.D.J, France.
3. Ferrier, D. (2020).*Droit de la distribution ,*9ème édition, LexisNexis, France.
4. Gallouj, C. (2022).*Grande distribution alimentaire au Maroc : Acteurs et stratégies*. L'Harmattan, france
5. Malaurie-Vignal, M. (2018).*Droit de la distribution*, 4ème édition Sirey. france
6. Mendoza-Caminade, A. (2011).*Droit de la distribution*. LGDJ.
7. Nakhli, M.(2021), Droit des affaires, 2ème édition ALMAARIF-MARRAKECH, MAROC.
8. Nakhli, M., (2021), précis de droid commercial, édition ALMAARIF-MARRAKECH, MAROC.
9. Schönberg, È. (2019). Thème 14. Les opérations sur fonds de commerce. Dans *Droit des affaires pour managers,* Ellipses, pp. 349-367.
10. *Schönberg, È. (2019). Thème 4. La conclusion du contrat. Dans* Droit des affaires pour managers, *Ellipses, pp. 75-115.*
11. Testu, F.-X. (2010).*Contrats d'affaires,* 1er édition Dalloz.
12. USAID/Morocco. (2006).*Quelques éléments sur la grande distribution au Maroc*.
13. Vigny, J. (2000).*Distribution : structures et pratiques,* 3ème édition Dalloz, France.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

Maritime logistics in Morocco in the age of artificial intelligence

MUSTAPHA EL AZZOUZI: Doctor of Private Law
Faculty of Law, Economics and Social Sciences, Sidi Mohammed Ben Abdellah University - Fez
Kingdom of Morocco
elazzouzistf@gmail.com

Abstract:

Maritime logistics is a major asset for the economic development of Morocco, due to its geostrategic location at the heart of the main global trade routes and the evolution of its port infrastructures. As international trade continues to multiply and competition intensifies, the adoption of artificial intelligence opens the door to new opportunities to improve port operations, reduce costs, increase traceability, and optimize the performance of supply chains.

The study explores how digitalization and artificial intelligence influence maritime logistics in Morocco. It highlights the advantages of advanced technologies, such as predictive analytics, automation, and decision support systems, while emphasizing the challenges related to skills, data governance, legal frameworks, and sustainability. By adopting a documentary and comparative approach, this research aims to demonstrate the modernization potential of AI and to formulate strategic recommendations for effectively and responsibly integrating Morocco into the global logistics economy.

Keywords: Maritime logistics, Artificial intelligence, Ports, Supply chains, Flow optimization, Competitiveness

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

La logistique maritime au Maroc à l'ère de l'intelligence artificielle

MUSTAPHA EL AZZOUZI: Docteur en droit privé
FSJES, Université Sidi Mohammed Ben Abdellah – Fès
Royaume du Maroc
elazzouzistf@gmail.com

Résumé:

La logistique maritime est un atout majeur pour le développement économique du Maroc, en raison de sa situation géostratégique au cœur des principales routes commerciales mondiales et de l'évolution de ses infrastructures portuaires. Alors que les échanges internationaux se multiplient et que la concurrence s'intensifie, l'adoption de l'intelligence artificielle ouvre la voie à de nouvelles possibilités pour améliorer les opérations portuaires, réduire les coûts, accroître la traçabilité et optimiser la performance des chaînes logistiques.

L'étude explore comment la digitalisation et l'intelligence artificielle influencent la logistique maritime au Maroc. Elle met en lumière les avantages des technologies avancées, telles que l'analyse prédictive, l'automatisation et les systèmes d'aide à la décision, tout en soulignant les défis en matière de compétences, de gouvernance des données, de cadre juridique et de durabilité. En adoptant une approche documentaire et comparative, cette recherche vise à démontrer le potentiel de modernisation de l'IA et à formuler des recommandations stratégiques pour intégrer le Maroc de manière efficace et responsable dans l'économie logistique mondiale.

Mots clés : Logistique maritime, Intelligence artificielle, Ports, Chaînes d'approvisionnement, Optimisation des flux, Compétitivité.

Introduction Générale

Aujourd'hui, la logistique maritime est un des fondements du commerce international et du développement économique des pays engagés dans les échanges mondiaux. Avec la mondialisation qui s'accélère, les flux de marchandises deviennent plus intenses et les chaînes d'approvisionnement plus complexes. En fait, le transport maritime assure près de 90 % des échanges commerciaux à l'échelle mondiale (Conférence des Nations Unies sur le commerce et le développement. (2023), (p. 3)). Ce poids stratégique fait que la performance logistique et portuaire est cruciale pour la compétitivité des économies nationales, qui doivent sans cesse ajuster leurs infrastructures et leurs modes de gestion aux changements du commerce mondial (Banque mondiale. (2022), pp. 15-18).

Dans ce contexte, le Maroc se trouve dans une position géographique enviable, à la croisée des principaux axes maritimes qui relient l'Atlantique à la Méditerranée. Cette situation donne à la logistique maritime du pays un rôle clé dans l'intégration du Royaume aux chaînes de valeur internationales (Ministère de l'Équipement et de l'Eau, 2021, p. 9). Conscientes de l'importance de ce défi, les autorités publiques ont, depuis plusieurs décennies, mis en place une politique proactive de modernisation des infrastructures portuaires et logistiques, comme en témoigne l'essor du complexe portuaire de Tanger Med, qui est devenu un hub maritime incontournable en Afrique et en Méditerranée (Agence spéciale Tanger Med, 2023, p. 6).

Historiquement, le secteur du transport maritime reposait surtout sur des méthodes traditionnelles, marquées par une gestion documentaire physique, des opérations portuaires peu automatisées et une coordination logistique restreinte (Rodrigue J.-P., 2020, p. 211). Néanmoins, avec la mondialisation, la concurrence accrue et l'accélération des flux, ce modèle a commencé à montrer ses limites. Il est donc essentiel que les systèmes portuaires s'adaptent à une logistique ultra-rapide, automatisée et basée sur l'exploitation des données (Heilig L., Schwarze S., Voss S., 2017, p. 134). À l'échelle mondiale, plusieurs études comparatives mettent en lumière l'ampleur de cette transformation. Des ports de premier plan en Amérique du Nord, en Europe et en Asie ont intégré des solutions d'intelligence artificielle pour gérer les terminaux, optimiser le trafic maritime et effectuer la maintenance prédictive des équipements (Notteboom T., Pallis A., Rodrigue J.-P., 2022, p. 482).

L'émergence de navires autonomes et respectueux de l'environnement, l'automatisation des terminaux, le développement de ports intelligents, l'utilisation de la blockchain pour dématérialiser les procédures, le recours aux drones logistiques, ainsi que l'installation de capteurs pour le suivi en temps réel des marchandises, témoignent de cette révolution technologique (OCDE, 2019, p. 27). Ces innovations redéfinissent les modèles d'affaires portuaires et renforcent la compétition entre les hubs maritimes à l'échelle mondiale (World Economic Forum, 2021, p. 41).

Ce qui rend ce sujet à la fois scientifique et pratique, c'est l'analyse de cette transition dans le contexte marocain. L'essor de l'intelligence artificielle, qui s'appuie sur l'exploitation massive des données, l'apprentissage automatique et l'automatisation des processus décisionnels, redéfinit en profondeur la gestion des ports, la planification des flux et la coordination des chaînes logistiques (Bughin J. et al., 2018, p. 65). Pour le Maroc, l'enjeu ne se limite pas à une simple modernisation technique : il concerne la souveraineté logistique, l'attractivité économique et l'intégration dans les réseaux du commerce international (CESE Maroc, 2022, p. 18).

Ce sujet revêt une importance majeure dans la mesure où il met en lumière les mutations profondes que l'intelligence artificielle imprime à un secteur stratégique pour l'économie marocaine, tout en interrogeant les implications opérationnelles, économiques et géostratégiques susceptibles de redéfinir durablement la compétitivité et le positionnement du Maroc dans les chaînes logistiques mondiales.

Sur le plan méthodologique, cette étude repose sur une approche pluridisciplinaire qui combine l'analyse de documents, l'étude des politiques publiques liées aux ports, l'examen des rapports institutionnels et professionnels, ainsi qu'une analyse comparative des expériences internationales en matière de digitalisation maritime. Cette démarche aide à comprendre à la fois les fondements structurels de la transformation actuelle et ses conséquences opérationnelles.

Dès lors, une problématique centrale se dégage : **Dans quelle mesure l'intelligence artificielle transforme-t-elle la logistique maritime au Maroc, et quels enjeux- opérationnels, économiques et stratégiques - cette transformation soulève-t-elle pour l'avenir du secteur ?**

Afin d'apporter des éléments de réponse à cette interrogation, il conviendra d'analyser, dans une première partie, les fondements, les

manifestations et les instruments de la modernisation intelligente de la logistique maritime marocaine (I). La seconde partie sera consacrée à l'étude des défis, des limites et des perspectives liés à l'intégration de l'intelligence artificielle dans ce secteur stratégique (II).

I. La modernisation de la logistique maritime marocaine à l'épreuve de l'intelligence artificielle

Aujourd'hui, la modernisation de la logistique maritime au Maroc s'inscrit dans une dynamique de transformation profonde, stimulée par l'essor des technologies numériques, notamment l'intelligence artificielle. Ce secteur stratégique est au cœur des échanges extérieurs du Royaume et constitue un pilier fondamental pour la compétitivité nationale ainsi que pour l'intégration du Maroc dans les chaînes de valeur mondiales. Dans ce contexte, l'intelligence artificielle se révèle être bien plus qu'un simple outil d'optimisation ; elle est également un catalyseur de changement pour les pratiques portuaires, le transport et la gestion des flux.

Il est donc essentiel d'examiner, d'une part, la logistique maritime comme base structurelle de l'économie marocaine (A) et, d'autre part, le rôle de l'intelligence artificielle en tant que moteur de transformation des opérations logistiques maritimes (B).

1/ La logistique maritime comme fondement structurel de l'économie marocaine

1.1. La centralité historique et économique de la logistique maritime dans le modèle de développement marocain

La logistique maritime s'impose comme un des éléments fondamentaux du commerce international et du développement économique des nations participant aux échanges mondiaux. Dans un contexte où les flux commerciaux se multiplient et où les chaînes d'approvisionnement se complexifient, la performance des systèmes portuaires et logistiques devient cruciale pour la compétitivité. De ce fait, la qualité des infrastructures, l'efficacité des procédures et le degré de connectivité logistique sont des facteurs qui conditionnent directement l'intégration des économies nationales dans le commerce mondial (Banque mondiale, 2022, p. 15).

Plus largement, l'évolution des échanges internationaux oblige les pays maritimes à adapter en permanence leurs dispositifs logistiques pour répondre aux exigences de rapidité, de fiabilité et de traçabilité. Cette dynamique s'inscrit dans un mouvement global de modernisation des chaînes de

transport, où l'innovation technologique et la digitalisation sont devenues des leviers essentiels pour améliorer la performance logistique (Banque mondiale, 2022, p. 15).

D'un point de vue économique, il est clair que le Maroc dépend fortement de la voie maritime. La majorité des échanges commerciaux, tant pour les importations que pour les exportations, transitent par nos infrastructures portuaires. Cela signifie que la logistique maritime joue un rôle essentiel dans la compétitivité de notre économie. Ainsi, les performances de nos ports affectent directement les coûts du commerce extérieur, les délais d'acheminement, la fiabilité des chaînes d'approvisionnement, et la fluidité des échanges internationaux (Banque mondiale, 2022, p. 15).

Dans cette perspective, l'efficacité logistique va bien au-delà d'une simple fonction technique de transport. Elle représente un véritable levier pour la politique économique et commerciale, jouant un rôle clé dans l'attractivité d'un territoire pour les investissements, qu'ils soient nationaux ou étrangers, ainsi que dans la capacité d'un pays à s'insérer durablement dans les chaînes de valeur mondiales (Banque mondiale, 2022, p. 18).

Conscient de l'enjeu stratégique que cela représente, le gouvernement marocain a commencé à intégrer la logistique maritime dans ses politiques de développement. Au début des années 2000, une nouvelle vision portuaire a émergé, mettant fin à une gestion des ports qui était fragmentée et trop administrative. Cette évolution a conduit à des réformes institutionnelles importantes, comme la création d'autorités portuaires spécialisées et une plus grande ouverture du secteur à l'investissement privé (Ministère de l'Équipement et du Transport, 2011, p.12). L'objectif affiché était de moderniser les infrastructures, d'améliorer la gouvernance et de faire en sorte que les ports marocains soient à la hauteur des standards internationaux (Banque mondiale, 2018, p. 27).

Cette dynamique a culminé avec l'inauguration du complexe portuaire Tanger Med, un tournant majeur dans l'histoire de la logistique maritime au Maroc. Dès le départ, Tanger Med a été pensé comme un hub international intégré, ne se limitant pas à une simple fonction portuaire. Il s'inscrit dans une vision de plateforme logistique globale, qui combine transport maritime, zones industrielles, services logistiques et connectivité multimodale. Ce modèle a profondément changé le paysage logistique du pays et a

repositionné le Maroc sur la scène du commerce maritime mondial (* Agence spéciale Tanger Med, 2024, p. 9).

Néanmoins, il est important de ne pas voir l'évolution de la logistique maritime uniquement à travers le prisme des infrastructures physiques. Avec la complexification des échanges et l'augmentation des volumes, la performance logistique dépend de plus en plus de notre capacité à gérer l'information, à coordonner les différents acteurs et à anticiper les flux. Dans ce contexte, les données deviennent une ressource stratégique, tout aussi cruciale que les quais, les terminaux ou les équipements portuaires. Cette évolution ouvre la voie à l'adoption de technologies avancées, dont l'intelligence artificielle est l'une des plus prometteuses (OCDE, 2019, p. 21).

La logistique maritime est devenue un élément essentiel du modèle de développement marocain, ne se limitant plus à des aspects géographiques ou infrastructurels. Elle s'inscrit dans une dynamique systémique, où la compétitivité repose sur la gestion des flux, qu'ils soient matériels ou immatériels. C'est dans ce contexte que l'intelligence artificielle prend toute son importance, en transformant la logistique maritime d'un domaine essentiellement opérationnel en un système intelligent qui gère les échanges internationaux (Zeng et al., 2025, p. 10).

1.2. La transition progressive vers une logistique maritime fondée sur la donnée et l'intelligence décisionnelle

Ces dernières années, la logistique maritime marocaine a connu une véritable montée en puissance, accompagnée d'une transformation progressive de ses modes de fonctionnement. On constate une importance croissante des données et des outils numériques. Cette évolution est le reflet d'une réalité structurelle : l'augmentation continue des flux maritimes, la diversité des marchandises transportées et la complexité des chaînes d'approvisionnement rendent les méthodes traditionnelles, qui reposent uniquement sur l'intervention humaine et des processus fragmentés, de moins en moins adaptées. Dans ce cadre, les données deviennent essentielles pour optimiser la performance logistique (Rahman et al., 2023, p. 8).

Aujourd'hui, la gestion portuaire s'appuie sur une collecte massive d'informations sur les navires, les cargaisons, les opérations de manutention, les délais d'escale et les formalités administratives. Ces données, qui étaient longtemps dispersées entre différents acteurs - comme les autorités portuaires, les armateurs, les transitaires, les douanes et les opérateurs logistiques - sont

maintenant en train d'être centralisées et exploitées de manière intégrée. Le Maroc s'inscrit pleinement dans cette tendance avec la digitalisation progressive de ses procédures portuaires et douanières, dans le but de fluidifier les échanges et de réduire les coûts de transaction (Giacomo et al., 2024, p. 12).

Toutefois, le simple fait de numériser les processus ne suffit pas à répondre aux exigences de performance et de compétitivité qui ne cessent d'augmenter. Le véritable enjeu est de savoir comment analyser, interpréter et tirer parti des données disponibles pour aider à la prise de décision. C'est précisément à ce moment-là que nous faisons la transition d'une logistique numérisée vers une logistique intelligente. L'intelligence artificielle nous permet de dépasser les limites de l'analyse humaine en traitant d'énormes quantités de données variées et en découvrant des corrélations invisibles à l'œil nu (Zeng et al., 2025, p. 10).

Dans le domaine maritime au Maroc, l'intelligence décisionnelle se révèle particulièrement utile pour la planification des opérations portuaires. Les systèmes intelligents permettent de prévoir l'arrivée des navires, d'optimiser l'affectation des quais, de coordonner les ressources humaines et matérielles, et de minimiser les temps d'immobilisation. Cette méthode contribue non seulement à accroître la productivité des ports, mais aussi à solidifier leur fiabilité, un aspect crucial pour les professionnels du commerce international (Agence spéciale, 24 mars 2025, p. 1–2 ; Marsa Maroc, 11 juin 2025, p. 1).

En outre, le passage à une logistique basée sur les données change radicalement les relations entre les acteurs de la chaîne maritime. Ce qui était autrefois des informations cloisonnées devient un bien partagé, ce qui améliore la coordination et la transparence. Cette transformation est particulièrement importante dans un pays comme le Maroc, où la logistique maritime forme un écosystème complexe qui regroupe des acteurs publics et privés aux intérêts parfois opposés. L'intelligence artificielle fournit un cadre technique qui permet une gouvernance plus intégrée et efficace des flux logistiques (UNCTAD, 2025, p. 4).

Il est essentiel de mettre en avant que cette mutation s'inscrive dans un cadre plus large de transformation numérique de l'économie marocaine. La logistique maritime apparaît alors comme un véritable terrain d'expérimentation pour l'innovation technologique, en raison de son importance stratégique et de la richesse des données qu'elle produit.

L'adoption de solutions basées sur l'intelligence artificielle ne représente donc pas une rupture radicale, mais plutôt l'aboutissement d'un processus progressif visant à faire évoluer la logistique maritime vers un système intelligent de gestion des échanges internationaux (Ministère de l'Économie et des Finances, 2023, p. 22).

En résumé, le passage à une logistique maritime basée sur les données et l'intelligence décisionnelle constitue une étape clé dans la modernisation du secteur au Maroc. Cela ouvre la voie à une intégration plus avancée de l'intelligence artificielle dans les opérations portuaires et logistiques, tout en jetant les bases d'une compétitivité durable. Néanmoins, cette évolution appelle à une réflexion sérieuse sur les conditions de son encadrement, tant sur le plan économique que juridique, des sujets qui seront abordés dans les développements à venir (Ministère de l'Équipement et de l'Eau, 2024, p. 34).

2/ L'intelligence artificielle comme moteur de transformation des opérations logistiques maritimes

2.1. L'intelligence artificielle au service de l'optimisation opérationnelle et de la performance portuaire

L'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marque un changement radical par rapport aux méthodes traditionnelles de gestion portuaire, qui ont longtemps reposé sur des processus linéaires et une forte dépendance à l'intervention humaine. Dans un contexte où les flux maritimes augmentent et où la concurrence entre les ports à l'international s'intensifie, améliorer l'efficacité opérationnelle devient un enjeu stratégique incontournable. Pour les ports marocains, cela se traduit par la nécessité d'optimiser chaque étape de la chaîne logistique, depuis l'arrivée des navires jusqu'à la sortie des marchandises du port (Benjelloun et al., 2024, p. 7).

L'intelligence artificielle intervient principalement comme un outil de planification avancée pour les opérations portuaires. Les algorithmes de prévision aident à anticiper les volumes de trafic, à analyser les historiques d'escale et à modéliser différents scénarios opérationnels. Cette capacité d'anticipation est particulièrement précieuse dans des ports très fréquentés comme Tanger Med, où même une légère congestion peut avoir des répercussions significatives sur la fluidité des échanges. Grâce à l'IA, les gestionnaires portuaires peuvent ajuster à l'avance l'affectation des quais, la mobilisation des équipements et la disponibilité des équipes, ce qui permet de

réduire les temps d'attente et les coûts d'exploitation (El Hajj et al., 2025, p. 18).

En outre, l'intelligence artificielle contribue à une gestion plus efficace des ressources matérielles et humaines. Les systèmes intelligents peuvent optimiser l'utilisation des grues, des équipements de manutention et des espaces de stockage en fonction des contraintes opérationnelles et des priorités logistiques. Cette optimisation dynamique permet de maximiser la capacité des infrastructures existantes sans avoir à investir lourdement dans des extensions physiques. Sur le plan humain, l'IA facilite l'organisation du travail en adaptant les plannings aux pics d'activité, tout en réduisant les risques d'erreurs dues à la fatigue ou à la surcharge cognitive (Zhao et al., 2023, p. 412).

Par ailleurs, l'automatisation intelligente des opérations de manutention est l'un des éléments les plus visibles de cette transformation. Les ports marocains les plus avancés adoptent progressivement des équipements automatisés, tels que des grues télécommandées et des systèmes de guidage intelligent pour les conteneurs. Ces outils, qui fonctionnent grâce à des algorithmes d'intelligence artificielle, améliorent la précision des opérations, réduisent les incidents et augmentent la sécurité des travailleurs. Cette automatisation ne cherche pas à éliminer l'intervention humaine, mais à la réorienter vers des rôles de supervision et de contrôle à plus forte valeur ajoutée (Park et al., 2024, p. 9).

L'apport de l'intelligence artificielle se fait sentir dans la gestion des flux d'information et des formalités portuaires. Les systèmes intelligents permettent de traiter les données relatives aux documents de transport, aux déclarations douanières et aux autorisations administratives de manière rapide. En diminuant les délais de traitement et en réduisant le besoin d'interventions manuelles, l'IA facilite les procédures et renforce la transparence. Cette dimension est cruciale dans un environnement où la rapidité et la fiabilité des formalités sont des éléments déterminants pour les opérateurs internationaux (UNCTAD, 2025, p. 4).

De surcroit, L'optimisation opérationnelle rendue possible par l'intelligence artificielle s'inscrit dans une démarche de durabilité et de responsabilité environnementale. En améliorant la planification des itinéraires maritimes, en réduisant les temps d'attente dans les ports et en rendant l'exploitation des équipements portuaires plus efficace, l'IA

contribue à la réduction des émissions de gaz à effet de serre et à une meilleure gestion de la consommation d'énergie. Dans un contexte international où les exigences environnementales pour le transport maritime se durcissent, cette dimension représente un atout concurrentiel important pour les ports marocains.

De plus, l'intelligence artificielle améliore la capacité des ports marocains à s'intégrer dans des chaînes logistiques mondiales qui deviennent de plus en plus exigeantes. En fournissant des services rapides, fiables et prévisibles, les plateformes portuaires intelligentes satisfont les attentes des armateurs, des chargeurs et des opérateurs logistiques internationaux. Cette performance accrue aide à solidifier la position du Maroc comme un hub maritime régional, tout en préparant le secteur à affronter les défis futurs liés à la digitalisation et à la mondialisation des échanges.

Ainsi, L'intelligence artificielle se révèle être un atout majeur pour optimiser les opérations et la performance des ports. Néanmoins, cette transformation technologique, bien qu'encourageante, ne peut être pleinement comprise sans prendre en compte ses effets plus globaux sur la gestion des chaînes d'approvisionnement maritimes et la coordination des différents acteurs. Ces points seront développés dans le paragraphe suivant.

2.2. L'intelligence artificielle et la reconfiguration intelligente des chaînes d'approvisionnement maritimes

L'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime va bien au-delà de l'optimisation des opérations portuaires internes. Elle provoque une transformation profonde des chaînes d'approvisionnement maritimes dans leur ensemble. Ces chaînes, qui sont par nature complexes et fragmentées, impliquent de nombreux acteurs – armateurs, transitaires, autorités portuaires, opérateurs logistiques, douanes et chargeurs – dont la coordination est essentielle pour garantir l'efficacité globale du système. Dans ce cadre, l'intelligence artificielle se présente comme un outil clé, permettant de dépasser la logique cloisonnée traditionnelle au profit d'une approche intégrée et prédictive (Agence spéciale Tanger Med, 2023, p. 27).

L'un des principaux avantages de l'IA réside dans sa capacité à offrir une visibilité complète et en temps réel des flux logistiques. En analysant les données du transport maritime, terrestre, des entrepôts et des systèmes d'information portuaires, les chaînes d'approvisionnement deviennent entièrement traçables. Pour les professionnels des ports marocains, cette

visibilité renforcée permet d'anticiper les ruptures, de réagir rapidement aux perturbations et d'améliorer la fiabilité des engagements contractuels. La chaîne logistique évolue ainsi d'un simple enchaînement d'opérations à un système intelligent de gestion des flux (Ministère de l'Équipement et de l'Eau, 2024, p. 18).

D'autre part, l'intelligence artificielle aide à mieux anticiper les risques et les imprévus logistiques, qui sont l'une des principales faiblesses du transport maritime international. Les retards causés par des conditions météorologiques défavorables, la congestion dans les ports, des incidents techniques ou des tensions géopolitiques peuvent avoir des répercussions en chaîne sur l'ensemble de la chaîne d'approvisionnement. Les modèles prédictifs basés sur l'IA permettent de détecter les signaux faibles qui annoncent ces perturbations et de proposer des solutions alternatives, comme le reroutage des marchandises ou la réorganisation des stocks. Cette capacité d'anticipation renforce considérablement la résilience des chaînes logistiques maritimes (Centre Marocain de Veille Stratégique & Innovation - CMVSI, 2024, p. 29).

Dans le contexte marocain, cette réorganisation intelligente des chaînes d'approvisionnement est particulièrement cruciale, surtout avec l'importance croissante du pays dans les réseaux logistiques internationaux. Les ports marocains ne sont plus de simples étapes de transit, mais des nœuds stratégiques qui s'intègrent dans des chaînes de valeur mondiales, notamment dans les domaines de l'automobile, de l'aéronautique et de l'agro-industrie. L'intelligence artificielle joue un rôle clé en adaptant les chaînes logistiques aux exigences spécifiques de ces secteurs, assurant ainsi des délais respectés, un service de haute qualité et une flexibilité améliorée (Agence spéciale Tanger Med, 2024, p. 22).

L'intelligence artificielle est au cœur de la coordination et de la synchronisation des différents acteurs de la chaîne maritime. En rendant le partage des données plus sûr et en alignant les processus de décision, elle joue un rôle essentiel pour diminuer les asymétries d'information et les conflits d'intérêts. Dans un contexte où la performance globale dépend de la coopération efficace entre les acteurs, cette dimension est primordiale. Pour le Maroc, cette forme de coopération intelligente est un facteur déterminant pour séduire les investisseurs et les opérateurs internationaux à la recherche de solutions logistiques fiables et intégrées (PortNet & ANP, 2025, p. 16).

De plus, l'intelligence artificielle change la donne en matière de gestion des stocks et des flux terrestres associés au transport maritime. En analysant les données de consommation, de production et de transport, ces systèmes intelligents aident à ajuster les niveaux de stock, à réduire les coûts d'entreposage et à améliorer les liaisons entre les ports et les régions environnantes. Cette optimisation est d'autant plus importante dans un pays comme le Maroc, où le développement des corridors logistiques terrestres est un enjeu clé pour la compétitivité et l'aménagement du territoire(Ministère de l'Équipement et de l'Eau & Agence Nationale des Ports, 2024, p. 23).

La transformation des chaînes d'approvisionnement maritimes, sous l'influence de l'intelligence artificielle, s'inscrit dans un mouvement de changement des modèles économiques logistiques. Les opérateurs ne se limitent plus à offrir des services de transport ou de manutention ; ils proposent maintenant des solutions logistiques intégrées, qui apportent une forte valeur ajoutée, grâce à l'analyse des données et à une prise de décision éclairée. Cette évolution crée de nouvelles opportunités pour les acteurs marocains du secteur, tout en consolidant leur position sur la scène internationale (Agence spéciale Tanger Med, 2025, p. 15).

Cette transformation soulève des enjeux cruciaux en matière de gouvernance et de régulation. La dépendance croissante aux systèmes intelligents met en avant l'importance de la fiabilité, de la transparence et de la sécurité des données. Pour réussir la reconfiguration des chaînes d'approvisionnement maritimes, il est impératif d'établir un cadre institutionnel et juridique adapté. Ce cadre doit non seulement encadrer l'utilisation de l'intelligence artificielle, mais aussi garantir un équilibre entre innovation, sécurité et confiance. Ces questions méritent une attention particulière, que nous explorerons dans la deuxième partie, qui se concentrera sur les défis et les perspectives de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marocaine.

II. Enjeux, limites et perspectives de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marocaine

L'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime est un levier clé pour transformer les chaînes d'approvisionnement à l'échelle mondiale. Pour le Maroc, qui joue un rôle stratégique à la croisée de l'Europe, de l'Afrique, de l'Atlantique et de la Méditerranée, cette évolution représente à la fois une belle opportunité de modernisation et un défi structurel

important. Si l'IA promet d'optimiser les flux, d'améliorer la traçabilité et de gérer les opérations portuaires de manière plus prédictive, son déploiement soulève aussi des questions sur les infrastructures, les compétences, le cadre juridique et les investissements technologiques.

Il est donc crucial d'analyser, d'une part, les défis structurels liés à l'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime(A), et, d'autre part, les perspectives qu'offre cette transition, ainsi que le positionnement stratégique du Maroc dans le contexte de la logistique maritime intelligente (B).

1/ Les défis structurels liés à l'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime

1.1. Les contraintes économiques et financières de la transition vers une logistique maritime intelligente

L'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marocaine, bien qu'elle ouvre des perspectives considérables en matière de performance et de compétitivité, s'accompagne de contraintes économiques et financières significatives. En effet, la mise en œuvre de solutions fondées sur l'IA suppose des investissements lourds et durables, tant en infrastructures matérielles qu'en systèmes numériques avancés. Ces investissements concernent notamment les équipements automatisés, les plateformes de traitement des données, les réseaux de communication sécurisés ainsi que les dispositifs de maintenance et de mise à jour technologique. Pour les ports marocains, la question du financement constitue ainsi un enjeu central de la transition vers une logistique intelligente (Banque mondiale & Agence nationale des ports - ANP, 2024, p. 38).

Ces contraintes financières sont d'autant plus sensibles que le secteur portuaire marocain présente une certaine hétérogénéité. Si des plateformes majeures comme Tanger Med disposent de capacités d'investissement importantes et d'un modèle économique orienté vers la haute performance, d'autres ports, de taille plus modeste ou à vocation essentiellement nationale, peuvent éprouver des difficultés à mobiliser les ressources nécessaires à une transformation technologique d'envergure. Cette situation risque de creuser un écart de compétitivité entre les ports, remettant en cause l'équilibre du système portuaire national et la cohérence de la politique logistique globale (Banque mondiale & Agence nationale des ports - ANP, 2025, p. 42).

Par ailleurs, les coûts liés à l'intelligence artificielle ne se limitent pas à la phase d'investissement initial. Ils incluent également des dépenses récurrentes liées à l'exploitation des systèmes intelligents, à la gestion des données, à la cybersécurité et à l'adaptation continue aux évolutions technologiques. Dans un environment marqué par une rapide obsolescence des outils numériques, la capacité à maintenir des systèmes performants sur le long terme devient un défi majeur. Cette contrainte impose aux acteurs publics et privés de repenser leurs modèles économiques et leurs stratégies d'allocation des ressources (Banque mondiale, Data for Development 2024, (2024), p. 56).

La question du financement de la transition vers une logistique maritime intelligente soulève également des enjeux de gouvernance et de partenariat. L'intégration de l'intelligence artificielle nécessite souvent une coopération étroite entre les autorités publiques, les opérateurs portuaires, les entreprises technologiques et les investisseurs privés. Dans ce cadre, les partenariats public-privé apparaissent comme un instrument privilégié pour mutualiser les risques et mobiliser les compétences. Toutefois, ces mécanismes exigent un cadre contractuel clair et une répartition équilibrée des responsabilités, afin d'éviter les asymétries de pouvoir et les dépendances excessives à l'égard de prestataires technologiques (Banque mondiale & Agence nationale des ports - ANP, 2025, p. 30).

En outre, l'adoption de solutions d'intelligence artificielle peut engendrer des coûts indirects liés à la restructuration des organisations et des processus internes. La transition vers des systèmes intelligents implique souvent une remise en cause des modes de gestion traditionnels, une redéfinition des chaînes de décision et une adaptation des cultures organisationnelles. Ces transformations peuvent générer des résistances internes et nécessiter des efforts supplémentaires en matière de conduite du changement, avec des implications financières non négligeables.

Il convient également de souligner que les bénéfices économiques de l'intelligence artificielle ne sont pas toujours immédiats. Si les gains de productivité et de performance sont souvent mis en avant, leur matérialisation dépend de nombreux facteurs, tels que la maturité des systèmes, la qualité des données disponibles et la capacité des acteurs à exploiter pleinement les outils intelligents. Dans certains cas, les retours sur investissement peuvent être

différés, ce qui exige une vision stratégique de long terme et une tolérance accrue au risque.

Dans le contexte marocain, ces contraintes économiques et financières doivent être analysées à la lumière des objectifs de développement national et de compétitivité internationale. La transition vers une logistique maritime intelligente ne saurait être envisagée comme une simple modernisation technologique, mais comme un choix stratégique engageant des ressources importantes et des arbitrages complexes. Elle suppose une articulation fine entre ambition technologique, soutenabilité financière et équité territoriale, afin de garantir une transformation équilibrée et inclusive du secteur (Ministère de l'Économie et des Finances & Haut-Commissariat au Plan, 2024, p. 47).

Ainsi, si l'intelligence artificielle offre des opportunités considérables pour la logistique maritime marocaine, elle impose également des exigences économiques et financières élevées. La capacité du Maroc à relever ce défi conditionnera largement le succès de sa stratégie de modernisation logistique et sa capacité à s'imposer durablement comme un hub maritime intelligent à l'échelle régionale et internationale.

1.2. Les enjeux humains, juridiques et de gouvernance de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marocaine

Au-delà des contraintes économiques et financières, l'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marocaine soulève des enjeux humains, juridiques et institutionnels d'une importance majeure. En effet, la transition vers une logistique maritime intelligente ne se limite pas à l'introduction de technologies innovantes, mais implique une transformation profonde des modes de travail, des structures organisationnelles et des cadres normatifs existants. Cette mutation interroge directement la capacité du système logistique marocain à concilier innovation technologique, sécurité juridique et cohésion sociale (Conférence des Nations Unies sur le commerce et le développement, 2025).

Sur le plan humain, l'essor de l'intelligence artificielle dans les ports et les chaînes logistiques modifie substantiellement la nature des compétences requises. Les métiers traditionnels de la manutention, de la planification ou du contrôle sont progressivement redéfinis au profit de fonctions axées sur la supervision des systèmes intelligents, l'analyse des données et la maintenance technologique. Cette évolution peut susciter des inquiétudes légitimes parmi

les travailleurs portuaires, notamment en ce qui concerne la substitution partielle de la main-d'œuvre par des systèmes automatisés. Dès lors, la question de la formation et de la reconversion professionnelle apparaît comme un enjeu central de la transition numérique du secteur maritime (Tanger Med Port Authority, 2025).

La réussite de cette transition suppose un investissement soutenu dans le capital humain, à travers la mise en place de programmes de formation spécialisés et l'adaptation des cursus universitaires et professionnels aux nouvelles exigences technologiques. Dans le contexte marocain, cette démarche revêt une importance particulière, dans la mesure où elle conditionne la capacité du pays à développer des compétences locales et à éviter une dépendance excessive à l'égard de l'expertise étrangère. La logistique maritime intelligente ne peut être durable que si elle repose sur un socle de compétences nationales solides et évolutives (Agence Nationale des Ports, 2024).

Parallèlement aux enjeux humains, l'utilisation de l'intelligence artificielle soulève des questions juridiques complexes, notamment en matière de responsabilité, de protection des données et de cybersécurité. La prise de décision algorithmique, lorsqu'elle intervient dans la gestion des flux, la planification des opérations ou la sécurité portuaire, pose la question de l'identification des responsabilités en cas de dysfonctionnement ou de préjudice. Le cadre juridique traditionnel du droit maritime et du droit des transports, largement fondé sur la responsabilité humaine, se trouve ainsi confronté à de nouveaux défis liés à l'automatisation et à l'opacité relative des algorithmes.

La protection des données constitue un autre enjeu juridique majeur. La logistique maritime intelligente repose sur la collecte et le traitement de volumes considérables de données, souvent sensibles, relatives aux marchandises, aux itinéraires, aux acteurs économiques et aux infrastructures stratégiques. Dans ce contexte, la garantie de la confidentialité, de l'intégrité et de la sécurité des données devient une condition essentielle de la confiance des opérateurs et des partenaires internationaux. Le Maroc est ainsi appelé à renforcer son cadre juridique et institutionnel en matière de cybersécurité et de protection des données, afin d'accompagner l'essor de l'intelligence artificielle dans le secteur maritime.

Les enjeux de gouvernance occupent également une place centrale dans cette transformation. L'intelligence artificielle, en favorisant la centralisation et l'interconnexion des données, modifie les rapports de pouvoir au sein de l'écosystème logistique. Les acteurs capables de maîtriser les technologies et les flux d'information acquièrent une influence accrue sur la prise de décision et l'orientation des politiques logistiques. Cette évolution appelle la mise en place de mécanismes de gouvernance équilibrés, garantissant la transparence, la redevabilité et la participation de l'ensemble des parties prenantes (Agence de Développement du Digital, 2024).

Dans le contexte marocain, la gouvernance de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime suppose une coordination étroite entre les autorités publiques, les opérateurs portuaires, les entreprises privées et les instances de régulation. Il s'agit de définir des règles claires en matière d'accès aux données, d'interopérabilité des systèmes et de contrôle des technologies, tout en favorisant l'innovation et la compétitivité. Cette gouvernance partagée constitue un facteur clé de réussite de la transition vers une logistique maritime intelligente (PORTNET S.A., 2024).

Enfin, l'intégration de l'intelligence artificielle soulève des interrogations d'ordre éthique, liées notamment à la transparence des décisions algorithmiques et au respect des principes d'équité et de non-discrimination. Si ces questions sont souvent abordées dans d'autres secteurs, elles revêtent une dimension particulière dans le domaine maritime, en raison de l'importance stratégique des infrastructures portuaires et de leur rôle dans la sécurité nationale et le commerce international. Le développement d'une intelligence artificielle responsable apparaît ainsi comme un impératif pour garantir une modernisation logistique conforme aux valeurs et aux intérêts du Maroc.

Ainsi, les enjeux humains, juridiques et de gouvernance constituent des dimensions indissociables de l'intégration de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marocaine. Leur prise en compte conditionne la légitimité, l'efficacité et la durabilité de cette transformation. Ces défis appellent une réflexion prospective sur les orientations futures du secteur, qui seront examinées dans la section suivante consacrée aux perspectives et au positionnement stratégique du Maroc à l'ère de la logistique maritime intelligente.

2/ Perspectives et positionnement stratégique du Maroc à l'ère de la logistique maritime intelligente

2.1. L'intelligence artificielle comme levier de compétitivité et de positionnement stratégique du Maroc

L'intelligence artificielle constitue un levier stratégique majeur pour renforcer la compétitivité du Maroc dans le domaine de la logistique maritime, tant sur le plan régional qu'international. Dans un contexte mondial où la concurrence portuaire s'intensifie et où des hubs maritimes de plus en plus performants voient le jour, la capacité à intégrer des systèmes intelligents devient un critère essentiel de différenciation. Pour le Maroc, exploiter les opportunités offertes par l'IA permet de valoriser sa position géostratégique, d'améliorer l'efficacité de ses infrastructures portuaires et de se positionner comme un acteur clé des chaînes logistiques mondiales (Tanger Med Port Authority, 2024).

En effet, l'un des avantages les plus notables est la réduction des délais et l'amélioration de la fiabilité des services logistiques. Grâce à l'intelligence artificielle, les ports marocains peuvent anticiper les flux de trafic, ajuster en temps réel l'affectation des ressources et optimiser les processus de manutention et de stockage. Cette capacité à fournir des services rapides, prévisibles et sécurisés est un atout essentiel pour séduire les armateurs, les chargeurs et les opérateurs internationaux, renforçant ainsi la compétitivité des plateformes marocaines face à des hubs concurrents en Europe, en Afrique du Nord et le long de l'axe Atlantique (Marsa Maroc, 2024).

L'intelligence artificielle permet au Maroc de diversifier ses offres logistiques et d'intégrer des services à forte valeur ajoutée. Au-delà de la simple gestion des flux maritimes, les plateformes intelligentes proposent désormais des fonctionnalités avancées telles que l'analyse prédictive des demandes, la planification automatisée des itinéraires, le suivi en temps réel des marchandises et l'optimisation des coûts. Ces services aident à établir le Maroc non seulement comme un point de transit, mais aussi comme un véritable centre de coordination logistique, capable de répondre aux exigences complexes des chaînes de valeur mondiales, en particulier dans les secteurs de l'automobile, de l'aéronautique et de l'agro-industrie (Agence Marocaine de Développement de la Logistique, 2023).

D'un point de vue stratégique, l'intelligence artificielle facilite le développement de corridors logistiques intégrés qui relient les ports aux zones

industrielles et aux hinterlands marocains. En combinant une gestion intelligente des flux terrestres avec une performance maritime efficace, on assure une continuité opérationnelle fluide. Cela se traduit par des coûts de transport réduits, des délais de livraison optimisés et une meilleure connectivité économique entre les régions. Grâce à cette intégration multimodale, rendue possible par des systèmes intelligents, le Maroc renforce sa position en tant que hub régional et attire de nouveaux investissements internationaux (Ministère du Transport et de la Logistique, 2024).

Par ailleurs, l'intelligence artificielle se révèle être un outil précieux pour améliorer la résilience et l'adaptabilité des chaînes logistiques marocaines. En prévoyant les risques, en simulant des scénarios de perturbation et en permettant une réponse rapide aux aléas - qu'il s'agisse de congestions, de conditions climatiques extrêmes ou de crises géopolitiques - l'IA offre une capacité d'adaptation qui devient un véritable atout sur le marché mondial. Cette résilience accrue permet aux ports marocains de maintenir un service de qualité et de conserver leur attractivité, même dans des contextes incertains ou très fluctuants.

Il convient de souligner que l'intelligence artificielle contribue à rehausser l'image du Maroc dans le cadre des négociations commerciales et de la coopération internationale. Grâce aux données générées et analysées par ces systèmes intelligents, le pays peut prouver son efficacité logistique, sa ponctualité et sa conformité aux standards internationaux. Cette transparence et cette fiabilité augmentent la confiance des partenaires étrangers envers le Maroc, rendant plus aisée l'établissement de conventions, de partenariats et de réseaux logistiques internationaux (Agence Nationale des Ports, 2024).

L'intégration de l'intelligence artificielle s'inscrit dans une approche de développement durable et de compétitivité verte, qui est essentielle pour se conformer aux réglementations internationales sur la réduction des émissions et la protection de l'environnement. Grâce à l'optimisation des trajets, à la réduction des temps d'attente et à la rationalisation des flux, on peut réduire l'empreinte carbone des opérations portuaires. Cela donne un atout supplémentaire aux ports marocains désireux de satisfaire les exigences environnementales de leurs clients à l'international.

L'intelligence artificielle va bien au-delà de l'amélioration de l'efficacité opérationnelle ; elle agit comme un levier stratégique pour le Maroc, renforçant son attractivité, sa compétitivité et son rôle dans le commerce

maritime international. Elle ouvre la porte à un modèle logistique national qui est à la fois intégré, intelligent et durable, prêt à faire face aux défis économiques, humains et environnementaux du XXIe siècle, tout en affirmant la place du pays comme un hub maritime régional essentiel.

2.2. Perspectives de développement et recommandations pour une intégration durable de l'IA dans la logistique maritime marocaine

Pour intégrer l'intelligence artificielle de manière durable dans la logistique maritime marocaine, il est crucial d'adopter une approche globale. Cela signifie allier une vision stratégique, une planification institutionnelle et des investissements ciblés. Le développement du secteur repose sur trois axes clés : la consolidation des infrastructures intelligentes, la formation et la valorisation des compétences humaines, ainsi que l'élaboration d'un cadre juridique et réglementaire approprié. La réussite de cette transition est déterminante pour que le Maroc puisse s'affirmer comme un hub logistique régional de premier plan et tirer le meilleur parti des opportunités offertes par la révolution numérique dans le domaine maritime (Ministère de l'Industrie, du Commerce et de l'Économie Verte et Numérique, 2024).

Sur le plan infrastructurel, la consolidation des ports et des corridors logistiques intégrés constitue une priorité. L'introduction de systèmes automatisés et intelligents, tels que la robotisation des terminaux, les plateformes d'analyse prédictive et les outils de gestion centralisée des flux, doit être accompagnée d'une interconnexion efficace entre les différents ports et zones industrielles. Il s'agit de créer un écosystème logistique cohérent, capable de gérer les flux de manière intégrée et de répondre aux exigences de rapidité, de fiabilité et de flexibilité imposées par le commerce international. Cette infrastructure intelligente doit également inclure des dispositifs de cybersécurité robustes afin de protéger les données critiques et d'assurer la continuité des opérations face aux menaces numériques(Agence Nationale des Ports, 2024).

L'aspect humain est un pilier fondamental pour garantir la durabilité de l'intégration de l'IA. La transformation des métiers portuaires, logistiques et de supervision nécessite un plan national de formation et de reconversion professionnelle. Les universités, les centres de formation et les institutions spécialisées doivent élaborer des programmes adaptés aux nouvelles compétences exigées, notamment en data science, en intelligence artificielle

appliquée à la logistique, en cybersécurité et en gestion des chaînes d'approvisionnement intelligentes. Ces initiatives permettront de renforcer l'autonomie des acteurs marocains et de réduire la dépendance à l'expertise étrangère, tout en favorisant une insertion professionnelle durable pour la main-d'œuvre locale (Institut de Formation aux Métiers de la Logistique, 2024).

Parallèlement, il est fondamental de créer un cadre juridique et réglementaire clair pour instaurer la confiance parmi les opérateurs et les investisseurs. Ce cadre doit couvrir plusieurs aspects : la protection des données, la responsabilité en cas d'incidents liés aux systèmes automatisés, la normalisation des procédures d'échange d'information, et la régulation de l'interopérabilité des technologies. Un cadre juridique robuste permettra de sécuriser les investissements, d'éviter les litiges, et d'assurer une utilisation responsable et transparente de l'intelligence artificielle, tout en alignant la législation marocaine sur les normes internationales en matière de transport et de logistique maritime (Agence Nationale de Réglementation des Transport, 2024).

Dans une optique stratégique, le Maroc doit également créer des partenariats internationaux et régionaux qui visent à partager des connaissances, à standardiser les pratiques et à accéder à des technologies avancées. En collaborant avec des hubs maritimes mondiaux et des centres de recherche spécialisés, le pays pourra bénéficier de l'expertise des nations leaders en logistique intelligente, tout en augmentant sa visibilité sur la scène maritime internationale. Ces alliances joueront aussi un rôle clé pour attirer les investisseurs étrangers et les opérateurs logistiques internationaux vers les ports marocains (Agence Nationale des Ports, 2024).

L'intégration durable de l'IA doit absolument s'accompagner d'une vision environnementale solide. En optimisant les flux, en réduisant les temps d'attente, en rationalisant l'utilisation des équipements et en intégrant des technologies moins énergivores, nous avons des moyens concrets de réduire l'empreinte écologique des activités portuaires. Dans un contexte où les normes internationales deviennent de plus en plus exigeantes sur le plan environnemental, le choix d'une logistique maritime intelligente et durable permet au Maroc de se démarquer et de renforcer sa réputation en tant qu'acteur responsable dans le commerce mondial.

Les perspectives de développement de la logistique maritime intelligente au Maroc s'appuient sur une combinaison d'investissements technologiques, de formation des personnes, d'un cadre réglementaire approprié et de coopération internationale. En adoptant cette approche globale, le Maroc pourra non seulement renforcer ses infrastructures et sa compétitivité, mais aussi garantir une transition durable, équitable et responsable vers un modèle logistique maritime du XXIe siècle. L'intelligence artificielle se révèle alors être un levier stratégique pour établir le Maroc comme un hub maritime régional essentiel, capable de répondre aux exigences économiques, technologiques et environnementales du commerce mondial.

Conclusion

L'étude de la logistique maritime au Maroc à l'ère de l'intelligence artificielle met en lumière une transformation significative du secteur, tant sur le plan opérationnel que stratégique. Dans la première partie de cet article, nous avons constaté que l'intégration des données et des outils intelligents dans la gestion portuaire et la chaîne logistique permet d'optimiser les flux, d'anticiper les risques et d'améliorer la performance globale. Les ports marocains, comme Tanger Med, illustrent déjà cette évolution vers des systèmes intégrés, capables de répondre aux exigences croissantes des acteurs internationaux.

Cette étude a mis en avant les défis économiques, humains, juridiques et institutionnels liés à cette transformation. Les investissements importants, la nécessité de former et de reconvertir les compétences, ainsi que la protection des données et la gouvernance des systèmes intelligents, sont des enjeux essentiels pour assurer une adoption durable de l'intelligence artificielle. Ces défis, bien qu'ils puissent sembler difficiles, sont tout à fait surmontables avec une vision stratégique et une coopération étroite entre l'État, les opérateurs portuaires et les partenaires technologiques.

Par ailleurs, l'intelligence artificielle se révèle être un levier stratégique essentiel pour la compétitivité et le rayonnement international du Maroc. Elle contribue non seulement à améliorer l'efficacité des ports et des chaînes logistiques, mais aussi à établir le pays comme un hub régional attrayant pour les investissements, tout en respectant les standards internationaux. Les opportunités de développement identifiées, qui incluent la modernisation des infrastructures, la formation des talents, la coopération internationale et la

durabilité environnementale, offrent un cadre cohérent pour réussir la transition vers une logistique maritime à la fois intelligente et durable.

Ainsi, l'intégration réfléchie et bien organisée de l'intelligence artificielle dans la logistique maritime marocaine pave la voie à une modernisation complète. Cela permet de combiner performance économique, innovation technologique et responsabilité sociale et environnementale. Le Maroc se positionne ainsi pour jouer un rôle central dans les chaînes logistiques mondiales, tout en se préparant aux défis futurs de la digitalisation et de la mondialisation des échanges.

Liste bibliographique

- Agence de Développement du Digital. (2024). Stratégie nationale de la donnée et de la gouvernance digitale.
- Agence Marocaine de Développement de la Logistique. (2023). Stratégie nationale de développement de la compétitivité logistique à l'horizon 2030 – Digitalisation et services à valeur ajoutée.
- Agence Nationale de Réglementation des Transports. (2024). Cadre juridique et réglementaire pour la logistique intelligente et la digitalisation portuaire.
- Agence Nationale des Ports. (2024a). Plan stratégique d'infrastructures portuaires et de corridors logistiques intégrés – Digitalisation et cybersécurité.
- Agence Nationale des Ports. (2024b). Rapport sur la performance logistique et la coopération internationale des ports marocains.
- Agence Nationale des Ports. (2024c). Rapport sur les partenariats internationaux et la coopération maritime du Maroc.
- Agence Nationale des Ports. (2024d). Stratégie de digitalisation portuaire et développement des compétences.
- Agence spéciale Tanger Med. (2023a). Rapport annuel (p. 6).
- Agence spéciale Tanger Med. (2023b). Rapport stratégique sur l'intégration logistique et les technologies numériques (p. 27).
- Agence spéciale Tanger Med. (2024). Rapport sur la logistique intégrée et l'innovation technologique (p. 22).

- Agence spéciale Tanger Med. (2025a). Optimizing passenger port calls : A new exchange platform for just-in-time management (pp. 1–2).
- Agence spéciale Tanger Med. (2025b). Rapport sur l'innovation logistique et la transformation numérique (p. 15).
- Banque mondiale. (2018). Morocco infrastructure review (p. 27).
- Banque mondiale. (2022). Connecting to compete (pp. 15, 18).
- Banque mondiale. (2024). Data for development 2024 : Digital challenges and investment strategies in Africa (p. 56).
- Banque mondiale, & Agence Nationale des Ports. (2024). Étude sur l'investissement et le financement de la modernisation logistique au Maroc (p. 38).
- Banque mondiale, & Agence Nationale des Ports. (2025a). Rapport sur la compétitivité portuaire au Maroc (p. 42).
- Banque mondiale, & Agence Nationale des Ports. (2025b). Rapport sur la gouvernance et les partenariats dans le secteur portuaire marocain (p. 30).
- Benjelloun, A., et al. (2024). Maritime digitalisation and smart port development: A Moroccan perspective. Journal of Marine Science and Logistics (p. 7).
- Bughin, J., et al. (2018). Artificial intelligence: The next digital frontier (p. 65). McKinsey Global Institute.
- Centre Marocain de Veille Stratégique & Innovation. (2024). Rapport sur l'intelligence artificielle et la résilience des chaînes logistiques (p. 29).
- Conseil Économique, Social et Environnemental (CESE). (2022). Digitalisation et compétitivité logistique (p. 18).
- Conférence des Nations Unies sur le commerce et le développement. (2023). Review of maritime transport (p. 3).
- Conférence des Nations Unies sur le commerce et le développement. (2025). Review of maritime transport 2025 (p. 4).
- El Hajj, M., et al. (2025). Artificial intelligence for port operations: A case study of Tanger Med. International Journal of Logistics Research and Applications (p. 18).
- Giacomo, X., et al. (2024). Maritime economics & logistics (p. 12).

- Heilig, L., Schwarze, S., & Voss, S. (2017). An analysis of digital transformation in the history and future of modern ports.
- Institut de Formation aux Métiers de la Logistique. (2024). Programme national de formation et de reconversion professionnelle pour la logistique intelligente.
- Marsa Maroc. (2024). Rapport annuel – Digitalisation des opérations portuaires et performance logistique.
- Marsa Maroc. (2025). Marsa Maroc adopts heyport for smarter port calls. Port Technology International (p. 1).
- Ministère de l'Économie et des Finances. (2023). Stratégie nationale de transformation digitale 2025 (p. 22).
- Ministère de l'Économie et des Finances, & Haut-Commissariat au Plan. (2024). Rapport national sur la compétitivité, l'innovation et les infrastructures logistiques (p. 47).
- Ministère de l'Équipement et de l'Eau. (2011). Stratégie portuaire nationale à l'horizon 2030 (p. 12).
- Ministère de l'Équipement et de l'Eau. (2021). Stratégie portuaire nationale à l'horizon 2030 (p. 9, 34).
- Ministère de l'Équipement et de l'Eau. (2024). Stratégie nationale de logistique intelligente et digitalisation des chaînes d'approvisionnement (p. 18).
- Ministère de l'Équipement et de l'Eau, & Agence Nationale des Ports. (2024). Rapport sur les corridors logistiques et la digitalisation des flux multimodaux (p. 23).
- Ministère de l'Industrie, du Commerce et de l'Économie Verte et Numérique. (2024). Stratégie nationale de développement logistique et numérique 2024–2030.
- Ministère du Transport et de la Logistique. (2024). Plan stratégique national de logistique et corridors multimodaux – Digitalisation et performance 2024.
- Notteboom, T., Pallis, A., & Rodrigue, J.-P. (2022). Port economics, management and policy (p. 482).
- OCDE. (2019). The impact of digitalisation on maritime transport (pp. 21, 27).

- Park, S., et al. (2024). Smart port automation and human–machine collaboration in container terminals. Journal of Advanced Transportation (p. 9).
- PORTNET S.A. (2024). Rapport annuel sur le guichet unique national des procédures du commerce extérieur.
- PortNet, & Agence Nationale des Ports. (2025). Rapport d'évaluation de la digitalisation logistique au Maroc (p. 16).
- Rahman, T., et al. (2023). Article publié dans Journal of Shipping and Trade (p. 8).
- Rodrigue, J.-P. (2020). The geography of transport systems (p. 211).
- Tanger Med Port Authority. (2024). Rapport annuel – Performance, digitalisation et compétitivité portuaire.
- Tanger Med Port Authority. (2025). Programmes de formation à la digitalisation et à la dématérialisation des opérations portuaires via le Port Community System.
- World Economic Forum. (2021). Global lighthouse network (p. 41).
- Zeng, X., et al. (2025). Digitalization in the maritime logistics industry: A systematic literature review of enablers and barriers.
- Zhao, L., et al. (2023). AI-enabled resource optimization in port operations. Transport Reviews (p. 412).

The political environment of the working environment and its relationship to creativity and innovation

Senouci Samir
University of Ibn khaldoun Tiaret
samir.senousi@univ-tiaret.dz

Abstract:

The aim of this research paper is to try to delve into the issue of the political environment of organizations and its role in improving their working climate, through introducing it, and then researching the relationship that connects it with organizations and the creative process within them, through its inputs and embarrassments on their work, the work environment is not related to the internal aspect of work within the organization, but what is related to its external political environment, especially, which directly affects the embodiment or prevention of creativity and innovation inside and outside organizations, such as in positively developed countries, or negatively underdeveloped countries, creativity and innovation is the product of a Democratic work environment dominated by the atmosphere of freedom.

Keywords: political environment; work environment; creativity innovation; keywords.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

المحيط السياسي لبيئة العمل وعلاقته بالإبداع والابتكار

د. سنوسي سمير
جامعة ابن خلدون تيارت
samir.senousi@univ-tiaret.dz

ملخص:

هدفت هذه الورقة البحثية الى محاولة الخوض في مسألة المحيط السياسي للمنظمات ودوره في تحسين مناخ عملها، من خلال التعريف به، ثم البحث في العلاقة التي تربطه بالمنظمات وبالعملية الابداعية داخلها، عبر مدخلاته ومخرجاته على عملها، فبيئة العمل ليست متعلقة بالجانب الداخلي للعمل داخل المنظمة وانما ما يتعلق بمحيطها الخارجي السياسي خاصة، والذي يؤثر مباشرة في تجسيد أو منع الابداع والابتكار داخل المنظمات وخارجها، مثلما يحدث في الدول المتقدمة ايجابا ، أو الدول المتخلفة سلبا، فالإبداع والابتكار هو نتاج بيئة عمل ديمقراطية تسودها أجواء الحرية.

الكلمات المفتاحية: المحيط السياسي.، بيئة العمل.، الابداع.، الابتكار.

مقدمة:

يلعب المحيط السياسي دورا مهما في استقرار وثبات الفواعل التنظيمية الموجودة فيه، أو العكس باعتباره يمثل السلطة العليا في البيئة التي يشتغل فيها الجميع، فجملة السلوكيات والممارسات التي تصدر فيه وعنه والتي تكون مقننة هي التي تحدد هامش الحركة بالنسبة للأفراد والجماعات التنظيمية وغير التنظيمية، ولذلك لا يمكن أن نفصل أبدا منظمات الأعمال عن المحيط السياسي الذي تتواجد فيه ويحيط بها، إذ لا يمكن لها أن تتميز وتبدع الا إن توفرت مجموعة من الشروط السياسية.

فوعي السياسي بحجم التحديات التي تحيط به وتفاعلها معها ايجابا أو سلبا هو الذي يدفع منظمات الاعمال الى الحركة أو الجمود، فلو تفاعل النظام السياسي بإيجابية مع مخرجات العملية الادارية لانعكاس ذلك على عمل المنظمات الادارية، عبر قوانين وممارسات ترقى لمتطلبات التسيير الحديث للإدارة والمنظمات

وان تفاعل بسلبية فستظل المنظمات الادارية في بوتقة التسيير التقليدي المعطل للموارد والمانع للتميز والابداع.

فبيئة العمل هي جزء من بيئة كلية، ومناخ التسيير فيها يتطلب التناغم مع المحيطين الداخلي والخارجي على وجه الخصوص، ولذلك فمنظمات الأعمال تحتاج الى البيئة السياسية المنفتحة والديمقراطية، باعتباره مناخ تزدهر وتنمو فيه الطاقات والكفاءات الفردية والجماعية، وتبرز فيه القيادات الادارية المتشبعة بالفكر التشاركي في التسيير، والتي تكون نتائجه الابداع والابتكار لتوفر شروط التسيير الحديث للموارد البشرية فيها ، كحرية الرأي والمبادرة، والمشاركة في صنع واتخاذ القرارات، والتشجيع والتحفيز، أما في وجود بيئة سياسية منغلقة تسودها أحادية الرأي والتسيير، فمنظمات الأعمال تصبح مجرد بيئة لهدر الطاقات ومقبرة للمواهب، لانتشار الروتين والتسيب واللامبالاة، والفساد الاداري باعتبار الاستبداد حاضنة لهذه السلوكيات السلبية والتي لا يمكن أن توفر مناخ يظهر فيه الابداع والابتكار .

ويجدر التنويه أن الإبداع والابتكار متعلقة تماما بالبيئة التي تشجعه وتتقبل أفكاره بعيدا عن التحفظات من نتائجها، لوجود رغبة في تحمل تبعات المغامرة، فالفرد المبدع تجده في البيئات التقليدية شديدة التخوف من المقاومة التي قد تبديها بيئة العمل والتي تقتل حس المبادرة والمغامرة الموصل للابتكار والابداع، وهذا ما يحاول الباحث التعرف عليه من خلال الاشكالية التالية: كيف يؤثر المحيط السياسي لبيئة العمل على الابداع والابتكار؟ وتتفرع عن هذه الاشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

-ماذا نقصد بالمحيط السياسي لبيئة العمل؟

-ما علاقة المحيط السياسي ببيئة عمل المنظمات؟

-هل يتأثر الابداع والابتكار بالمحيط الخارجي لبيئة العمل؟

الفرضيات:

-المحيط السياسي هو الحاضنة التي تنجح أو تفشل من خلالها منظمات الأعمال.

-العلاقة بين المحيط السياسي وبيئة عمل المنظمات هي علاقة تكاملية طردية.

-يتأثر الابداع والابتكار داخل منظمات الأعمال بنوع المحيط الخارجي الذي يحيط بالمنظمات

أولا: الاطار المفاهيمي:

1 المحيط السياسي :

هو مجموعة من العوامل الخارجية والتي تمارس تأثير خارجي على كيان اجتماعي (tv5monde, p. definition et synonyme de politique environmental)، كما يمكن أن يعرف بأنه قدرة السلطة السياسية على خلق بيئة تجسد سلطانها على جميع الفواعل الاجتماعية من خلال دأبها على تبيان الحاجة التي يمكن للمحكومين أن يظهروها تجاههم (ريتو، 2008)، وهنا يتمايز المحكومين بين الفاعل والمتفرج، ويرى ريجرز أن المنهج البيئي في دراسة الادارة لا يقتصر على محيطها الداخلي وانما يتعداه الى المجتمع الذي تتواجد فيه المنظمة والفواعل الرئيسية التي تتحكم فيه مثل (السلطة السياسية، الخلفية التاريخية، الايديولوجيات، منظومة القيم التي يوزعها المحيط السياسي، الهيكل الاقتصادي...)،فالبيئة تلعب دورا مهما في تشكيل النظم الاجتماعية، وكلما اختلفت البيئة وتمايزت تغيرت النظم (دندوقي، 2023).

2 بيئة العمل: يعرفها الباحث أنها ذلك المحيط الداخلي الذي يجمع الأفراد باختلاف توجهاتهم الفكرية والسياسية والدينية منظما حركتهم وسلوكهم من خلال جملة من القوانين الداخلية والسياسات الداخلية، تشرف عليها قيادات ادارية وجماعات رسمية وغير رسمية في اطار التنظيم الرسمي.

الابداع: يعرف لغويا من خلال ما فسره ابن منظور بأن الابداع من بدَع، وبدع الشئ مبتدعه، وابتدعه أي أنشأه وبدأه واخترعه واستنبطه، وقد اختلف في تعريف وتفسير مصطلح الابداع من قبل الباحثين، ويعرف اصطلاحا على أنه التفكير خارج المألوف يقوم به متميزون لهم المهارة والكفاءة، وفي الشق التنظيمي الاداري هو عملية تفكير منفردة تجمع بين المعرفة والعمل الخلاق ، وتشمل عمليات اتخاذ القرارات الرشيدة وتطوير العقلية البشرية من خلال تطوير الهيكل التنظيمي (خيري، 2012).

3 الابتكار: هو عملية متقدمة يصل اليها الانسان في بيئة عمل ابداعية، وقد أخذ مفهوم الابتكار حيزا واسعا من الاهتمام من قبل باحثي علم الادارة خاصة في العقود الأخيرة نظرا لأهمية الابتكار بوصفه ظاهرة متعددة المضامين والأبعاد تمس جميع الميادين، لذلك يقول ألكسندر روشكا:"إن الابتكار عملية معقدة جدا ذات وجوه وأبعاد متعددة" (نورالدين، 2014، صفحة 130)،ويرجع التعقيد في محاولة التوصل الى مفهوم واضح للابتكار إلى الخلط بينه وبينه الابداع في احيانا كثيرة وقد يفهم ذلك التشابه بحكم الدلالة على نفس

الشئ، وقد ارتبط هذا المصطلح ببيئة التقدم والتطور الصناعي والتكنولوجي الكبير الذي حصل عند الأمم المتقدمة والتي نقلها حسن التسيير والتوظيف للموارد البشرية الى الابداع ثم الابتكار.

تعددت التعاريف والمفاهيم لهذا المصطلح تبعا للسياقات التي ظهر فيها ومن زاوية نظر وتخصص كل باحث، ويرى الباحث أن (تعريف سليم بطرس جلدة و زيد منير2006) هو الأقرب للموضوع:" فالابتكار هو قدرة عقلية يحاول فيها الانسان أن ينتج فكرة ، أداة، طريقة لم تكن معروفة وموجودة من قبل، فهو تفكير تغييري بعيدا عن التقليد بما يحقق نفعا للمنظمة والمجتمع" (نورالدين، 2014، صفحة 131)

ثانيا: المحيط السياسي وعلاقته ببيئة منظمات الأعمال

يساهم المحيط السياسي في بلورة حركية المنظمات بالنظر لما يتضمنه من قوانين وتشريعات حكومية وسياسات عامة لتجسيد أهداف ومخططات السلطة السياسية، والتي يكون لها أثر كبير على المنظمات عبر ارتهان قراراتها بما يتماشى وتوجهات المحيط السياسي الذي تتواجد فيه، وقد تتضمن توجهات النظام السياسي في المجمل ثلاث خطوط عريضة تنظم من خلالها عمل المنظمات وهي:

-حمايتها من المنافسة غير العادلة.

-ضمان حقوق المتعاملين معها من اي ممارسة غير عادلة.

-حماية مصالح المجتمع.

وكثيرا ما تدور جل الخطابات السياسية على حماية مصالح المجتمع ، وإن كان لا يتعدى ذلك مجرد سياسة اتصالية هدفها كسب مزيد من الوقت لتجسيد الأهداف والتي غالبا ما تكون خاصة وعلى حساب مصالح المجتمع وهذا ما نراه في الدول المتخلفة، فالمحيط السياسي يجسد علاقته مع المنظمات بطابعين سلبي وايجابي، ويتوقف ذلك على النخب السياسية الحاكمة وتوجهاتها، فان كانت النخب السياسية تعلي من شأن المصلحة العامة في علاقتها مع المنظمات والمجتمع فان انعكاس ذلك سيتجلى في مردوديتها وما تقدمه من قيم مضافة للفرد والسلطة والمجتمع، والعكس ان كانت النخب السياسي وما تجسده من بيئة سياسية هدفها المصالح الخاصة، فإن انعكاس ذلك سيكون سلبيا على الدولة والمجتمع، فتغيب كل مظاهر المنافسة والتميز والابداع والابتكار وهذا ما نعاني منه للأسف في معظم البلدان العربية.

فعلى المنظمات الإدارية الساعية للإبداع والابتكار أن تدرك طبيعة المحيط السياسي وعلاقته بها، عبر تشريعاته وقوانينه وممارسته الفعلية على أرض الواقع لأنه لا يمكن أن تتميز المنظمات وأن تبدع وتبتكر في غياب أهم العناصر الواجب توفرها لذلك، والتي يتفق عليها جل الباحثين في الحقل الإداري وهي حرية المبادرة وحرية الرأي، فالبيئة السياسية الديمقراطية تعد مناخا مناسبا ومطلوبا للمنظمات الادارية وقادتها الذين يريدون تحقيق مصالح المنظمة والارتقاء بها لتحقيق المصلحة العامة، فهي تمنحهم حرية الحركة من خلال جملة من القوانين لحماية مبادراتهم ودعمها، أما البيئة السياسية الديكتاتورية المغلقة والتي تتميز بنظام مركزي شديد تعد عائقا امام المنظمات التي تشتغل ضمن اطار قانوني وتشريعي يحد من الحرية المطلقة للمنظمات، فيتعطل العمل فيها بتعطل المبادرة للموارد البشرية والتي تنعدم قدرتهم على المشاركة في اتخاذ القرارات، ولهذا فإغفال تأثير توجهات المحيط السياسي على المنظمات هو تجاهل لمتغير قوي له تأثير مباشر على جميع الأنساق داخل حيزه.

يجدر بنا التنويه ايضا أن استقرار الأنظمة السياسية وشرعيتها يساهم بشكل كبير في ثبات المنظومة القانونية وفعاليتها، فالتغيرات المتتالية للبيئة السياسية تؤدي في غالب الأحيان الى تغييرات في البيئة القانونية (الجامعة المستنصرية)، والتي بدورها تخلق أو تعدم الفرص التي يحتاجها الأفراد والمنظمات على حد سواء، فالمحيط السياسي هو الرئة التي تتنفس من خلالها المنظمات، كما يمكن للمحيط السياسي ان يوجد قوانين تكون مضامينها مقبولة إلا أنه يعطل العمل أو يشدد العمل بها لتتحول الى بيروقراطية مقيتة تماشيا مع ما يريد فرضه من واقع كما يحدث عندنا في الجزائر، فمثلا لا تزال قوانين الاستثمار في الجزائر تخضع للتعديل كلما تعاقبت الحكومات، عبر دفاتر شروطها التي لم ترى النور الى حد الساعة مثلا: (صناعة وتركيب واستيراد السيارات..) وهذا التعطيل مرده الى المحيط السياسي الذي لم يفصل في أمره، فانعدام الاستقرار السياسي اثر على عمل المنظمات بل ورهن المصلحة العامة و مستقبلها مما دفع بعضها الى الافلاس وتسريح العمال، والسبب طول الاجراءات القضائية وعدم قدرتها على الفصل في بعض القضايا كمشروع السكة الحديدية والتي كانت تشرف عليه شركة **etrhb** عبر خط (غليزان، تيارت، تسمسيلت) بالجزائر، والذي كان يمكن أن تساهم في اعادة بعثه قرارات سياسية سيادية، تدفع بدمج الموظفين واعادة بعث مشروع انتهائه يساهم في بعث عجلة الاقتصاد الوطني، ولذلك فمصير المنظمات على اختلاف اختصاصاتها مقترن بما يصنعه

المحيط السياسي، وهذا ما أكده **ماكس فيبر** 1922 ولا يزال صالح الى يومنا هذا خاصة في بلدان العالم الثالث عموما والجزائر على وجه الخصوص، بالرغم مما طرأ على ما يسمى بالدولة الحديثة وبروز التنظيم البيروقراطي والديمقراطية، إلا أن هناك فوراق كبيرة في نظر السلطة السياسية لكل دولة للمنظمات وهذا نابع من رؤيتها وموقفها من الديمقراطية، فهناك محيط سياسي يرى النظام الديمقراطي تهديدا وجوديا له، ولذلك تجده يتغنى بها خطابا ويحاربها ممارسة، وبطبيعة الحال ينعكس الفهم وإدراك السلطات السياسية للحرية على عمل المنظمات، كما سبق واشرنا لذلك وهذا ما ركز عليه ايضا فيبر واعطاه اهتماما، لأن بعد الفهم والإدراك هو الذي يحدد حركة وسلوك الأفراد والجماعات داخل البيئة التي يتواجدون بها، فبالرغم من قدم العلاقة بين الجهاز الاداري للدولة وعلاقته بالنظام السياسي، إلا أن العلاقة بينهما اخذت شكلا جديدا ومتطورا لم يعرف من قبل، فالتنظيم البيروقراطي الذي يتميز بصرامة الاجراءات والقوانين والقواعد الضابطة للسلوك، لم يستطع أن يقف أمام الأفكار الداعية للحرية والتي جسدتها الديمقراطية بعد أن تشبعت وحدات المجتمعات وعناصرها بها، إلا في الدول التي لا تزال كلاسيكية في التسيير والفهم، فلا يمكن أن يجد الابداع والابتكار مكانه في منظمات الأعمال الا في بيئة سياسية ديدنها الحرية والديمقراطية في التسيير والمبادرة، **فماكس فيبر** يرى أن التنظيم البيروقراطي لا يمكن أن يكون خاليا من الديمقراطية وفق خصائص تكفل الحقوق والواجبات وتكون متاحة وفقا للشرعية كأساس لتنظيم العلاقات والتي يراها الباحث لا تزال صالحة للأخذ بها في المجتمعات التي لا تزال لم تعرف نقطة الانطلاقة والتميز بإهمالها لقيمة الموارد البشرية التي تزخر بها ومن، ونبدأ بالخصائص التي تتوافق وموضوع بحثنا وهي (عيشور، 2022، صفحة 15):

- حماية الموظفين حتى لا يحدث تعسف في حقهم أو تسريحهم، وان يكونوا تحت رقابة السياسي.
- الحرية سمة كل الموظفين باعتبارهم مواطنون في الأصل لا يخضعون سوى لما تستوجبه وظائفهم.
- الجدارة والكفاءة والاستحقاق والاختصاص مبادئ أساسية في الاستقطاب والتوظيف للوصول الى التميز والابداع.
- خضوعهم لنظام ورقابة صارمين (يرى الباحث أن هذه الخاصية هي الوحيدة التي يتمسك بها المحيط السياسي الأوتوقراطي والتي افرزت قيما منافية تماما لقيم العمل التي تدفع الأفراد الى البذل والعطاء).

1 عناصر المحيط السياسي

تتداخل مجموعة من العناصر في تشكيل المحيط السياسي للدول والمجتمعات ولعل من أهم عناصر المحيط السياسي مايلي (رحموني):

أ-طبيعة نظام الحكم الموجود: يحدد نظام الحكم ونوعه سلوك الأفراد والجماعات التنظيمية التي تخضع له خاصة، إذ يأخذ نظام الحكم عدة اشكال في جوانبه السياسية والاقتصادية منها:

النظام القانوني والاقتصادية: والذي يمكن أن يكون حرا فيقل فيه حضور الدولة وسيطرتها على وسائل الانتاج والتوزيع، أو اشتراكيا فتسيطر فيه الدولة (السلطة) على الوسائل والقرارات في اطار تخطيط مركزي شديد، أو المختلط والذي يجمع بين الملكية العامة و الخاصة، هذه الأنماط هي المحدد لإمكانيه حضور الابداع والابتكار من عدمه فهي تتعلق مباشرة بالتوجه السياسي للسلطة.

ب-حدة الشعور الوطني: يعبر عن مدى اخلاص الطبقة السياسية الحاكمة للوطن، واعلائها للمصلحة العامة على حساب المصالح الخاصة للدوائر الضيقة للحكم، الا أن هذا العنصر قلما يتوفر في دول العالم الثالث، إذ لا يزال الفساد السياسي والمالي سمة الدول المتخلفة ومنظماتها الادارية والتي لا مكان فيها للإبداع والابتكار.

ج -الاستقرار السياسي: يعد هذا العنصر مهما للغاية فهو يمثل قوة جذب أو طرد للكفاءات والاستثمارات المحلية أو الاجنبية، كما يساهم بشكل مباشر في سلوك المنظمات وأفرادها، فلا يمكن لقادة المنظمات العمل في بيئة سياسية غير مستقرة وتخضع دائما لغير السياسات والتشريعات والقوانين، وهناك مقاييس لمسألة الاستقرار السياسي والتي يجب مراعاتها في الحكم على امكانية وصول الأفراد والمنظمات الى الابداع نذكرها كالاتي:

- الصراعات الجيوسياسية.
- معدلات تغير الحكومة.
- العنف السياسي واعمال الشغب وكل ما يتعلق بالاضطرابات المدنية الناجمة عن عدم الرضا وغياب الشرعية.

1 المشهد السياسي لبيئة العمل

لا يمكن فصل المشهد السياسي التنظيمي عن المشهد السياسي العام، فالمشهد السياسي التنظيمي داخل المنظمات يعبر عن مجموعة التسلسلات الهرمية التي تربط اللاعبين السياسين (الموظفين) معا، في شكل علاقات بين الزملاء، والمسؤولون عن توجيه ورسم هذا المشهد السياسي هم قادة المنظمات ورؤساءها، فهم يؤثرون على كل ما يتعلق بالتسلسل الهرمي الرسمي، الذي يمثل الشكل التنظيمي للمنظمة ويحدد مسؤولية و دور كل عضو فيه.

والمشهد التنظيمي قد يتغير مرات عديدة بناء على أهداف المنظمة وحجمها والموارد المتاحة، بالإضافة الى نوع القادة، كما ان ادخال افراد جدد الى المزيج التنظيمي يساهم بشكل كبير في انشاء تنظيمات غير رسمية بين الموظفين، ويبقى الرابط بينهما هو المعلومة وتناقلها بين عناصر التنظيم الواحد، هذه الأخير قد تكون محور العملية الابداعية في حالة التنظيمات المترابطة والتي تتبع النمط التشاركي في العمل والتسيير كسياسة تسيير من قبل قادة التنظيمات، والتي تجعل كل فرد في التنظيمي يعرف مكانه ودوره في مشهد معد مسبق في المنظمات التقليدية، ومشهد مُشارك فيه في المنظمات الحديثة التي تنتهج الأسلوب العلمي في الادارة والتسيير.

فالعلاقة داخل المنظمات مبنية على سياسة حسن استخدام القوة والصلاحية لتحقيق أهداف المنظمة، وعلى سوء استخدامها بما لا يتوافق والمصلحة العامة للمنظمة، فالموظفين في المنظمات لهم سلطة العمل على سرعة انجاز المهام والأمور كما لهم سلطة الابطاء منها، وهذا ما يؤثر سلبا على العملية الابداعية في مهدها.

شيء أخر يجب التنويه له، وهو التحالفات التي ينتجها المشهد السياسي التنظيمي السلبي، والتي تعطل بشكل كبير اللحظة الأنية لعمل المنظمات وبالتالي يجب أن تخضع لإملاءات وشروطها الظروف الجديدة، هذا ما يتوقف على القيادة الادارية المبدعة إدراكه والعمل على بناء تحالفات قوية الأثر هدفها زيادة كفاءة عمل الرادار السياسي الجماعي قبل نشوب الصراعات، وهذا ما يعتقده L.A.Witt من جامعة نيوأورلينز:" أن صياغة القادة لقيم جديدة للموظفين تتناسب وقيمهم الخاصة، فهذا يعد مشهد سياسي

سيحمي الموظفين من الأثار السلبية للسياسات التنظيمية ويساعدهم على تحسين أدائهم" (ويكيبيديا، 2021).

ثالثا: الإبداع والابتكار في المنظمات

تعمل المنظمات حاليا في ظل بيئة شديدة التعقيد تتميز بالتغير الشديد، تفرضها عليها تحديات عديدة من بينها المحيط الخارجي في شقه السياسي خاصة والذي سبق واشرنا اليه، فالتحديات التقنية والفنية والمعرفية تضع المنظمات أمام حتمية مواجهتها بسرعة وبكفاءة وفاعلية، من خلال قدرات إبداعية عالية يتوجب على المنظمات امتلاكها للوصول الى حلول عصرية لمشاكل عصرية للحفاظ على بقاءها واستمراريتها.

1 الحاجة الى الابداع والابتكار

مهما كانت شدة التأثيرات السلبية للمحيط السياسي للمنظمات إلا أن حاجة المنظمات الحكومية وغير الحكومية الى الابداع والابتكار أضحت ضرورة ملحة، فعالم اليوم لن يكون كعالم الأمس، وهذا ما يفرض على صانع وصاحب القرار السياسي الفهم والادراك لمتغيرات البيئة وحاجات الفواعل فيها، فالحاجات الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية هي التي تدفعنا بقوة نحو الابداع في الحلول عبر تقديم بدائل حديثة لعصر جديد ، فالقيادة السياسية الرشيدة هي التي تتكيف مع المتغيرات الثقافية والتقنية والمعرفية ولا ترفضها من خلال فرض نمط تسيير تقليدي احادي، وانما بالعمل على ضرورة الانتقال الى النمط التشاركي الديمقراطي الذي تتطلبه العملية الابداعية، فالمورد البشري داخل المنظمات الادارية هو نتاج ثقافة تنظيمية سياسية داخلية وخارجية، تشكلت من خلال تنشئة اجتماعية وسياسية معينة، إلا أن حاجة الفرد السليم والمبدع تكون دائما الانعتاق من القيد وافتكاك حريته لتحقيق الابداع والابتكار من خلال تحرير مكامن القوة الابداعية فيه، وقد حدد "ديفيز" نوعين من الابداع هما (طلال، 2018 :(

-**الانتاج الابداعي** : ويتعلق بالابداع في ميادين مختلفة: كالاختراعات، وميدان الآداب والفنون.

-**الابداع الكامن**: وهو قدرة الفرد على ابداع وابتكار أفكار جديدة ومفيدة، الا أنه يبقى كامنا حتى تتوفر مجموعة من الشروط الموضوعية والذاتية، وهذا النوع من الابداع مرتبطا ارتباطا تاما بالمحيط الداخلي والخارجي للمنظمة.

2 مقومات ادارة الابداع والابتكار

لإدارة الابداع لا بد من توفر مجموعة من المقومات والتي يراها الباحث ضرورية لتسهيل انطلاق العملية الابداعية داخل المنظمات مهما كانت التحديات التي تواجهها والتي ذكرها كالآتي (خيري أ.، 2012):

-الانفتاح على الرأي الأخر: هذا المقوم هو من أهم ما يجب أن يتوفر داخل المنظمات، كثقافة تسيير تخص القيادة الادارية والموظفين على حد سواء، لكنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحيط السياسي الذي اشرنا اليه، إذ يكون من الصعوبة الانفتاح على الرأي الأخر في بيئة سياسية لا مكان فيها للرأي والرأي الأخر، فالإبداع والابتكار بحاجة ماسة دائما إلى أجواء حرة تسودها يسودها احترام الآراء والمواقف مهما كانت درجة الاختلاف فيها، وهنا تحضر حكمة وحنكة القيادة الادارية الديمقراطية في ترويض واقناع الأفراد على التنسيق والتعاون من خلال ثقافة الحوار، فالمنظمات المبدعة والقادة المبدعين هم الذين يزيدون فرص التفاهم، كما يركزون في عملهم التسييري على تشجيع الأفراد من خلال قبول أفكار والعمل على تطويرها .

-البعد الانساني في التعامل: شكلت مدرسة العلاقات الانسانية نقطة تحول كبرى في التعامل مع الانسان والذي يصطلح على تسميته المورد البشري كجوهر للعملية الانتاجية والابداعية والابتكارية، وقد اثبتت التجارب والدراسات الحديثة أهمية البعد الانساني في التعاطي الاداري مع الأفراد، وأن فرص الإبداع تكون أكبر وتتحقق في بيئة تملؤها الانسانية، وهذا البعد في التعامل هو الذي يرسخ من ثقافة الابداع والابتكار داخل المنظمات.

-التعامل مع الأزمات: يرتكز هذا الأمر بشكل كبير على العقلية العلمية في تسيير الأزمات، والذي يقوم على الجهد الجماعي وليس الفردي، أي التنظيم المشترك أو التشاركية في التسيير والتي تقوم على الجهود المتكاملة لجميع الموظفين، فالإبداع في التعامل مع الأزمات هو نتاج طريقة علمية ومعرفية في التعاون والتنسيق، فهذا ما تتميز به المنظمات الحديثة عن بقية المنظمات التي لا تزال الأحادية سمتها الرئيسية.

-الانتماء الروحي للمنظمة: رأى الباحث أن يكون هذا المقوم هو الأخير في الترتيب، لأنه يأتي بعد توفر المقومات السالفة الذكر، فلا يمكن أن يحس الفرد بالانتماء للمنظمة الا ان توفرت مجموعة من الشروط المادية والمعنوية الموضوعية والذاتية، واولها وجود بيئة حرة وتحفيزات مادية ومعنوية، اضافة لحضور العلم والمعرفة في التسيير، فالانتماء يعبر عن رضا وظيفي واندماج وظيفي في أن واحد، وان حدث وتوفر هذا المقوم فانه

يساهم بشكل كبير وفعال في دفع الأفراد نحو الابتكار والابداع، وعلى العكس من ذلك فإن الشعور باللامبالاة يُفسر تخلف وتراجع المنظمات وخسارتها، إذ يتحول الفرد فيه الى التفكير في تحقيق مصالحه الخاصة على حساب المصلحة العامة للمنظمة، وهذا ما تعاني منه جل منظماتنا بسبب الديكتاتورية المستشرية في المنظمات والتي ساهمت بشكل كبير في انتاج فرد لا ينتمي روحيا الى المنظمة، وانما أنانيا ومصلحيا وهذا ذنب يتحمله النظام الاداري السائد في مؤسساتنا الحكومية والخاصة على حد سواء.

3 معوقات الابداع والابتكار على مستوى المنظمات

يتعطل الابداع والابتكار في المنظمات لتعدد الموانع والمعوقات الموضوعية أحيانا والغير موضوعية أحيانا أخرى، والتي تؤثر بشكل مباشر على ابداع الأفراد داخل المنظمات والتي نذكرها كالتالي (طلال، 2018):

-عدم الفصل بين الادارة والسياسة في القطاع العام(وهذا ما ينطبق على الدول المتخلفة) من جهة، وعدم الفصل بين الادارة والملكية في القطاع الخاص من جهة أخرى، فالسياسة تجعل من المنظمات خلفية للتجاذبات الايديولوجية، والتي تؤدي الى تولية المناصب الادارية ، والقيادية داخل المنظمات لأشخاص غير مؤهلين لا يملكون الكفاءة الادارية وانما الولاء المصلحي، وهذا عائق كبير أمام الابداع والابتكار وحتى التسيير الاداري البعيد عن الابداع.

-قلة الموارد ومحدوديتها، والتي ينجم عنها ضعف في الدعم الابداعي واداء التجارب الابداعية حتى وان توفرت البيئة التشاركية في العمل، وهذا في حد ذاته عائق أمام تطبيق الأفكار على أرض الواقع.

-النظرة السلبية من قبل القيادة الادارية تجاه العملية الابداعية، والذي يتولد عنها الشك في الابداع والابتكار، والذي تكون أحد اسبابه القيم الاجتماعية السائدة في مجتمع ما، وتقترن النظرة السلبية للإبداع والابتكار بالبيئات المتخلفة التي سادها نمط حكم استبدادي أحادي القرار والنظرة والفكرة.

-معوق تقني يتعلق بالاهتمام بالجوانب الشكلية والنظامية، وإهمال العملية الانتاجية وكل ما يتعلق بالجوانب الابداعية في المنظمة.

رابعا: المنظمات المتعلمة

إن الحاجة الى منظمة متعلمة هو هدف استراتيجي في السياق العالمي الحالي، ولن تكون كذلك الا في وجود نظام سياسي يدرك أهميتها وضرورتها لتحقيق أهدافه على المدى القريب والبعيد، حيث لا يمكن أن تصل

المنظمات الى سلم الابداع والابتكار دون المرور على تحسين التنظيم بالطرق العلمية والمعرفية، إذ تعرف المنظمة المتعلمة بأنها صاحبة القدرة التكيف والتغير المستمر من خلال اكتسابها المستمر للمعرفة المعدلة للسلوك، وقد أشير لهذا المصطلح لأول مرة من قبل بيتر سينج .S Peter الذي عرف تلك المنظمات بأنها تلك المنظمات التي يوسع فيها الأفراد باستمرار من قدراتهم على خلق النتائج التي يريدونها فعلا، والتي يجري فيها تنشئة أنماط جديدة وشاملة من التفكير (خيري أ.، 2012، صفحة 86). ولذلك يعد بعض الباحثين أن الحاجة الى الابداع والابتكار فرضت الارتقاء بالمنظمات الى المعرفة العلمية في التنظيم والتسيير.

1 مميزات المنظمة المتعلمة

حدد ريتشارد دافت Richard.Dستة عناصر مميزة للمنظمة المتعلمة عن بقية المنظمات هي (خيري أ.، 2012، صفحة 87):

_القيادة المصممة والمعلمة والراعية.

_الاستراتيجية التشاركية والتعلمية (التعلم الاستراتيجي.

_التنظيم الشبكي وهو الهيكل القائم على الفريق (العمل الجماعي.

_ثقافة التكيف القوية والانفتاح.

_التمكين الاداري للموظفين.

_المعلومات المفتوحة من خلال طلب واكتساب المعرفة وتوليدها، ويكون ذلك عبر التعليم والتدريب.

تتميز هذه المنظمات بهذه الصفات، و تزدهر في بيئة ديمقراطية يوفرها محيط سياسي خارجي عن المنظمة لكنه يساهم بشكل كبير في دفع عجلة تقدمها، وبروزها بتقديم الكفاءة على الولاء للوصول الى الابداع والابتكار تماشيا مع ما تمليه تحديات المرحلة .

2 أهمية المنظمة المتعلمة للإبداع والابتكار

يؤكد الواقع المعاش أن المتميزين من المنظمات قلة، ويتواجدون جلهم أو معظمهم في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية، باعتبار أن القائمين على الشأن السياسي في الدول المتقدمة، يدركون أن التعلم الجيد هو القاعدة الحقيقية للإبداع والابتكار، كما يمكن للتعلم أن يكون ابتكاريا، فالتعلم بحولهما من نشاط متخصص وممارسة

فردية الى سلوك جماعي في بيئة منظمة، فالتعلم الجيد هو الذي يدعم المنظمة ويساعدها في عملية تغيير افتراضاتها وأسس عملها، والذي لن يكون بطبيعة الحال الا في وجود نظرة متفتحة للموظفين وقدرتهم على تطوير المنظمة، فالإدارة العليا ليست هي المسؤولة لوحدها عن التطوير والابداع، وهذا مالم تستطع ادراكه الدول والمنظمات في الدول ذات التوجه السياسي الأحادي، مما كلفها التخلف والفشل، والتبعية للأنظمة السياسية ذات النمط التشاركي الانفتاحي، اذ لا يمكن اغفال تأثير توجهات الحكم السياسية على عمل ونشاط المنظمات.

خاتمة:

يمكن أن نبني خلاصتنا على النقطة الأخيرة والمتعلقة بفشل منظمة إدارية ، ونجاح أخرى تبعا للمحيط السياسي الذي تتواجد فيه وتتغذى منه، فالعملية التفاعلية بين المنظمة وأفرادها هي نتاج مخرجات محيط سياسي له أهدافه وتوجهاته، ساهم بشكل كبير في تكوين ثقافة القيادة الادارية والموظفين باعتبارهم مواطنون أولا ثم موظفين ثانيا، فقد شهدت تجارب الدول الحديثة العهد بالاستقلال كالجزائر مثلا انتكاسات متعددة على صعيد الفرد والجماعة، والتي كان وراءها سياسات غير مدروسة، أو لم تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المجتمع الذي تقوده، أو التحولات المتسارعة التي طرأت على العالم في نواحي عديدة سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، وخاصة علميا ومعرفيا، فالملاحظ أن سرعة تقدم المجتمع سبقت دائما حركة المحيط السياسي الذي يشرف على توجيه وتكوين هذا المجتمع، ولهذا حدثت الانتكاسة.

فالإبداع والابتكار في المنظمات كما سبق وأشرنا هو نتاج عملية سياسية أولا، وفرت المناخ والجو الملائم للرأي الحر والتشجيع على المبادرة داخل المجتمع قبل المنظمات، وثانيا هو منتوج حضاري راقي ساهم فيه سلوك اداري مدرك لضرورة الحكامة والكفاءة في التسيير للوصول بالفرد الى الابداع والابتكار الذي تفرضه بقوة السياقات الزمكانية الحالية، والتي فرضته المجتمعات الحية التي تقودها نخبة سياسية ديمقراطية ساهمت في توفير محيط سياسي ابداعي سهل عمل الأفراد والمنظمات، ومما سبق نستخلص النتائج التالية:

-المحيط السياسي هو المحرك أو المعطل للعملية الابداعية.

-أن العلاقة بين المحيط السياسي والابداع والابتكار هي علاقة تكاملية طردية.

-الابداع والابتكار هو تميز فردي وجماعي.

-الحاجة الى الابداع والابتكار بالنسبة للمنظمات أصبحت ضرورة لبقائها وتنافسيتها أمام التحديات الدورية.

-حرية الرأي والمبادرة داخل المنظمات شرط أساسي لتحقيق الابداع والابتكار.

التوصيات:

ومن جملة التوصيات التي رأى الباحث تقديمها ما يلي:

-تعزيز الاهتمام بالإبداع والابتكار من قبل صانع القرار السياسي.

-ادراك قادة المنظمات أن الابداع جهد جماعي تشاركي، وان الحرية شرطه الأساسي

-تطوير منظومة متكاملة لإدارة الابتكار و الإبداع.

-ترسيخ ثقافة الابداع والابتكار وتوفير الموارد اللازمة لها.

-توفير بيئة حاضنة ومشجعة للإبداع بمشاركة الموظفين وتشجيعهم على تقديم افكارهم الابداعية واقتراحاتهم.

-العمل على توفير بيئة تشريعية وقانونية تساهم في تعزيز السلوك الابداعي.

-الالتزام بالتحسين المستمر للنظام الاداري المكلف بإدارة الابداع والابتكار.

قائمة المراجع:

1. tv5monde. (بلا تاريخ). الموقع الالكتروني: https://langue-française-tv5monde.com ، تم التصفح بتاريخ: 18 08, 2024.
2. أسامة محمد خيري. (2012). إدارة الابداع والابتكارات (الإصدار 01). دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
3. الجامعة المستنصرية. (بلا تاريخ).من البيئة الخارجية التي تؤثر غلى المنظمة: الموقع الالكتروني https://www.uomustansiriya.edu.iq:، تم التصفح بتاريخ: 01 09, 2024.
4. رادي نورالدين. (15 01, 2014). الابداع والابتكار في المنظمات الحديثة دراسة تجارب عالمية. مجلة الابتكار والتسويق، 01(01)، ص130.

5. سمية دندوقي. (05 06, 2023). أثر البيئة الاقتصادية والاجتماعية الثقافية على أداء الادارة العامة، دراسة مقارنة بين المغرب وتونس. مجلة دفاتر المتوسط، 07(01)، ص 95.
6. سناء رحموني. (بلا تاريخ). SCRIB. الموقع الالكتروني: fr.scrib.com ، تم التصفح بتاريخ: 22 09, 2024.
7. سهام عيشور. (05 05, 2022). الفعل الديمقراطي في التنظيم البيروقراطي: قراءة في طبيعة العلاقة. مجلة سوسيولوجيون، 03(01)، ص 15.
8. فليب ريتو. (2008). سوسيولوجيا التواصل السياسي (الإصدار 1). (خليل أحمد خليل، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الفارابي.
9. وسام طلال. (09 09, 2018). الموقع الالكتروني: www.mawdoo3.com، تم التصفح بتاريخ: 23 09, 2024.
10. ويكيبيديا. (2021). ويكيبديا. الموقع الالكتروني: https://ar.wikipedia.org تم التصفح بتاريخ: 22 09, 2024.

Proceedings of the 10th International Scientific Conference on Research Perspectives on Knowledge Integration: Multidisciplinary Approaches to Producing Innovative and Effective Knowledge, February 6-7, 2026, under the theme: *Integrated Knowledge… A Lever for Change and Creativity*

Using HRM technology to detect genetic mutations: review

Noor J.T.AL-Musawi
DNA Research center University of Babylon, Babylon 51001, Iraq
nour.almousawi10@uobabylon.edu.iq

Abstract:

One of the modern methods used to examine genetic mutations involves using temperature variations and control by slowly raising the melting point. This is done by referring to melting curves that can analyze DNA and differentiate between non-mutant and zygotic samples. This technique has proven to be highly accurate in terms of both cost and time. The method involves amplifying the polymerase chain reaction (PCR) followed by a reaction within a closed tube that breaks the DNA strands by uncoupling. This technique can be used for molecular and clinical diagnosis, as well as scientific research to differentiate between dominant and recessive mutations and their association with clinical diseases and chemical variations.

Keywords: HRM; MUTATION; DNA; clinical diseases; PCR.

استخدام تقنية تحليل الذوبان عالي الدقة للكشف عن الطفرات الجينية: مراجعة

نور جمال طالب

جامعة بابل مركز أبحاث الحمض النووي

nour.almousawi10@uobabylon.edu.iq

ملخص:

إحدى الطرق الحديثة المستخدمة لفحص الطفرات الجينية تعتمد على تغيير درجة الحرارة والتحكم بها عن طريق رفع درجة الانصهار تدريجيًا. ويتم ذلك بالرجوع إلى منحنيات الانصهار التي تُحلل الحمض النووي وتُميز بين العينات غير الطافرة والزيجوتية. وقد أثبتت هذه التقنية دقتها العالية من حيث التكلفة والوقت. تتضمن هذه الطريقة تضخيم الحمض النووي باستخدام تفاعل البوليميراز المتسلسل (PCR)، يليه تفاعل داخل أنبوب مغلق يُؤدي إلى كسر سلاسل الحمض النووي عن طريق فصلها. يُمكن استخدام هذه التقنية في التشخيص الجزيئي والسريري، بالإضافة إلى البحث العلمي للتمييز بين الطفرات السائدة والمتنحية وارتباطها بالأمراض السريرية والتغيرات الكيميائية.

الكلمات المفتاحية: تحليل الانصهار عالي الدقة، الطفرة، الحمض النووي، الأمراض السريرية، تفاعل البوليميراز المتسلسل.

The research

1 Introduction:

One of the most important and recently developed methods for detecting genetic mutations, and its significant impact on identifying the genetic causes of diseases, is high-resolution fusion analysis (HRM). This method identifies disease-causing genes that occur in the nitrogenous base sequence of DNA, specifically in the exon or intron near the gene. HRM is used because it is economical, quick, and has proven to be more sensitive and effective. It is performed after polymerase chain reaction (PCR), and its results are in the form of DNA fusion curves(Saadi-Ben Aoun et al., 2024). These curves are characterized by sufficient accuracy and sensitivity to distinguish between types of nucleic acids based on minute sequence variations, thus enabling mutation screening, genotype determination, and methylation analysis(Rihs et al., 2025).

Among its most important applications are the detection of single-base sequence variations and the identification of unknown genetic mutations, such as single-nucleotide or multiple-base changes, insertions, or deletions.

Its principle of operation relies on mutation screening using HRM based on the behavior of DNA dissociation when exposed to increasing temperatures. The transition from double-stranded to single-stranded DNA in the presence of fluorescent dyes that actively interfere with double-stranded DNA (dsDNA) modifies the signal. The resulting fusion curve from high-resolution fusion analysis (HRM) provides a specific pattern associated with the sequence, allowing differentiation between wild-type (WT) sequences and homologous and heterologous variants [2]. While other methods require more time and effort, HRM technology, with its closed-tube system, reduces the risk of contamination(Asfaram et al., 2020).

The Role of HRM Analysis:

It begins with the liquefaction of DNA in the presence of radioactive dyes that bind to the amplified DNA. The solution is heated, and the liquefaction progresses gradually. With each degree of temperature change, a fluorescence signal is recorded, and the signal decreases as the DNA transitions from a double-stranded to a single-stranded state(Asfaram et al., 2020).

Limitations of HRM Analysis:

Amplified DNA samples should be as short as possible due to the potential for unexpected overlap between single-nucleotide polymorphisms (SNPs) and the mutation of interest. The designed primers should surround the exon or intron as closely as possible(Asfaram et al., 2020).

DNA denaturation—the process of studying DNA structure and composition by measuring changes in fluorescence intensity per unit time—is used to screen for mutations after polymerase chain reaction (PCR). This provides rapid identification of genetic alterations based on the biophysical measurements of the amplified DNA. This technique can be performed using a suitable thermal cycler for real-time PCR, offering speed, simplicity, and greater sensitivity and specificity than other screening techniques such as SSCP, dHPLC, RFLP, and FRET ((Anasagasti et al., 2013)). It has been applied in mutation screening and the clinical diagnosis of various genetic diseases.

One of the key features of this technique is its ability to detect all types of alterations, including substitutions, inversions, and insertions/deletions (indels), ranging from single mutations to mutations up to 300 base pairs long. Since this technique does not involve sequencing, it is free from the typical sequencing errors inherent in next-generation sequencing platforms. Despite current efforts to improve the detection of insertions and deletions using specific filtering techniques, the detection of this type of genetic variant by next-generation sequencing platforms remains an area that needs

improvement, particularly due to the high rate of false positives(Mondini et al., 2011).

Primers and Pre-HRM PCR

The primers, exons, and amplification products used in pre-HRM PCR are designed to specific specifications.

Attention to detail in the pre-HRM PCR conditions is crucial for optimization: 1) Designing PCR primers to maintain a GC content as low as or as close to 60% as possible, an amplification product size of approximately 200 base pairs, and avoiding known variations within the primer region; 2) Selecting optimal annealing temperatures using a step-down PCR process; and 3) Designing PCR experiments consistently: the same assay, the same batch of samples, and the same instrument operation(Lu et al., 2015).

Polymerase chain reaction analysis of different genes is performed in a 96-well 10-µL plate with the addition of 10 ng of genomic DNA for normally frozen samples, and 1 µL of solution containing genomic DNA for paraffin-embedded tissue samples, with an average concentration of 25.8 ng/µL (standard deviation = 21.7), ranging from 2 to over 55 ng/µL (first quartile 8.4 ng/µL, third quartile 36.3 ng/µL). A master mixture containing all-ribonucleoside triphosphate, Taq polymerase enzyme, and LCGreen® PLUS dye was used for polymerase chain reaction (PCR) prior to high-resolution melting curve (HRM) analysis. The initial denaturation stage was at 95°C for 2 minutes, followed by 45 cycles of two-step heating: 95°C for 30 seconds, then from 66°C to 70°C for 30 seconds. After PCR, the sample products were heated to 93°C for 30 seconds and then cooled to 25°C before HRM analysis(Lu et al., 2015)(Anasagasti et al., 2013).

STUDY DESIGN

One of the modern methods used to examine genetic mutations involves using temperature variations and control by slowly raising the melting point. This is done by referring to melting curves that can analyze DNA and differentiate between non-mutant and zygotic samples. This technique has proven to be

highly accurate in terms of both cost and time. The method involves amplifying the polymerase chain reaction (PCR) followed by a reaction within a closed tube that breaks the DNA strands by uncoupling. This technique can be used for molecular and clinical diagnosis, as well as scientific research to differentiate between dominant and recessive mutations and their association with clinical diseases and chemical variations.

Sample Processing:

After the initial screening results are obtained, the HRM is reanalyzed to assess the method's reproducibility and compare it with known positive and negative controls. Suspicious results are interpreted as containing a nucleotide alteration or mutation/variant based on the curve differences. The colors displayed in the graphs are determined by information provided to the software. Samples exhibiting slight variation are those where the software detects a small variance in the HRM curve compared to the wild-type mean curve without interpreting it as a mutation (3% of all results). These samples are colored differently depending on the degree of deviation from the wild-type mean curve. All samples showing significant or slight curve variation underwent repeated HRM analysis and sequencing. The quality of the extracted DNA is assessed by the presence of the polymerase chain reaction (PCR) product prior to high-resolution fusion (HRM) analysis and by the presence of a single bundle on a 1.5% agarose gel(Musawi et al., 2022).

Sample results:

Suspicious results are interpreted as containing a nucleotide alteration or mutation/variant based on curve variations. This interpretation is achieved by reanalyzing the high-resolution melting curve (HRM) after obtaining the initial screening results, assessing the method's reproducibility, and comparing it to known positive and negative controls. Samples are colored differently depending on the degree of deviation from the wild-type mean curve. The colors displayed in the graphs are determined by the information

provided to the software. Samples showing slight variation are those where the software detects a small variation in the HRM curve compared to the wild-type mean curve without interpreting it as a mutation (3% of all results)(Branavan et al., 2018).

The beginning of the HRM analysis there is a high level of fluorescence in the sample because of the billions of copies of the amplicon. But as the sample is heated up and the two strands of the DNA melt apart there is no longer any double stranded DNA present and thus fluorescence was reduced(Zhou et al., 2026), the HRM PCR has a camera that watches this process by measuring the fluorescence, the machine then simply plots this data as a graph known as a melt curve showing the level of fluorescence vs. the temperature. HRM real time PCR was simple, fast, cost-effective and efficient genotyping technique, there was no need for costly probe synthesis and labelling, also time-saving (completed in about two hours) and had a low risk for DNA contamination, one current limitation of HRM is the possibility had designed amplicon that as short(Scheibelreiter et al., 2026).

The three genotypes are known as “Wild–type”, “Heterozygote” or “homozygote” respectively to compression with unknown DNA samples. Each gives a melt curve that is slightly different with a high-quality HRM assay, it is possible to distinguish between all three of these models(Santana et al., 2026).

IV. CONCLUSION

Genotyping analysis by HRM was performed from 55˚C to 95˚C with a temperature increase of 0.1˚C/s. Each sample was run in duplicate and each genotyping was carried out with a set of sequentially confirmed control samples of known DNA genotypes (wild type, heterozygous and homozygous alleles). HRM assay melt curve results were normalized to identify the genotype, middle and bottom lines represent GG,GA and AA for known DNA genotypes respectively, while the colors lines, each sample has a specific color

V. Bibliography List :

Anasagasti, A., Barandika, O., Irigoyen, C., Benitez, B. A., Cooper, B., Cruchaga, C., de Munain, A. L., & Ruiz-Ederra, J. (2013). Genetic high throughput screening in Retinitis Pigmentosa based on high resolution melting (HRM) analysis. *Experimental Eye Research*, *116*, 386–394.

Asfaram, S., Fakhar, M., Mirani, N., Derakhshani-Niya, M., Valadan, R., Ziaei Hezarjaribi, H., & Emadi, S. N. (2020). HRM–PCR is an accurate and sensitive technique for the diagnosis of cutaneous leishmaniasis as compared with conventional PCR. *Acta Parasitologica*, *65*(2), 310–316.

Branavan, U., Muneeswaran, K., Wijesundera, S., Jayakody, S., Chandrasekharan, V., & Wijeyaratne, C. (2018). Identification of selected genetic polymorphisms in polycystic ovary syndrome in Sri Lankan women using low cost genotyping techniques. *PLoS ONE*, *13*(12). https://doi.org/10.1371/journal.pone.0209830

Lu, H., Chang, Y., Chang, C., Lin, C., & Chang, J. (2015). Developing and evaluating the HRM technique for identifying cytochrome P450 2D6 polymorphisms. *Journal of Clinical Laboratory Analysis*, *29*(3), 220–225.

Mondini, L., Nachit, M. M., Porceddu, E., & Pagnotta, M. A. (2011). HRM technology for the identification and characterization of INDEL and SNPs mutations in genes involved in drought and salt tolerance of durum

wheat. *Plant Genetic Resources*, *9*(2), 166–169.

Musawi, N., Qaysi, S., & Witwit, S. (2022). Effect of KISS1 gene variants (rs372790354 G> A and rs4889 G> A) on kisspeptin in patients with polycystic ovary syndrome in Iraq. *J Adv Biotechnol Exp Ther*, *5*(3), 562–576.

Rihs, J. B., Vilela, M. T., Dos Santos, J. S. C., de Souza Filho, J. A., Caldas, S., Leite, R. S., & Mol, M. P. G. (2025). qPCR as a tool for the diagnosis of visceral and cutaneous leishmaniasis: a systematic review and meta-analysis. *Acta Parasitologica*, *70*(1), 16.

Saadi-Ben Aoun, Y., Souguir, H., Chouaieb, H., Kraiem, M., Bel Hadj Ali, I., Chakroun, A. S., Noguier, F., Fathallah-Mili, A., Piquemal, D., & Guizani, I. (2024). A High Resolution Melting Analysis (HRM) PCR assay for the detection and identification of Old World Leishmania species. *PLoS Neglected Tropical Diseases*, *18*(12), e0012762.

Santana, F. F. C., Giglioti, R., de Souza, G. M., Sarti, M. B., Gomes, F. M. L., & Soares, L. R. (2026). High-resolution melting (HRM) method for genotyping Kappa-Casein (CSN3) alleles in buffaloes. *Molecular Biology Reports*, *53*(1), 185.

Scheibelreiter, J., Pühringer, K., Bogeva, E., Ivanova-Petropulos, V., & Cichna-Markl, M. (2026). Discrimination of Indigenous and Local Grape Cultivars (Vitis vinifera L.) Grown in North Macedonia using PCR and High-Resolution Melting Analysis. *Food Analytical Methods*, *19*(1), 56.

Zhou, T., Mohamed, A., Legendre, B. L., Newell, H., & Elenitoba-Johnson, K. S. J. (2026). Quantitative reverse transcription PCR coupled with high-resolution melting for simultaneous detection and quantification of four isoforms of BCR:: ABL1. *Journal of Clinical Pathology*.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The clinical approach and its applications in scientific research

Chalabi Aicha[1]
University Mohamed Boudiaf of M'sila- Algérie
aicha.chalabi@univ-msila.dz
Zeghlache Linda [2]
University Mohamed Boudiaf of M'sila- Algérie
linda.zeghlache@univ-msila.dz

Abstract:

Scientific research is based on scientific and applied theories and is used according to specialization. For example, clinical psychology, a branch of psychology, focuses on studying and analyzing individual behavior. It examines the individual within their environment and considering historical and current data. Clinical psychology relies on a set of scientific steps for in-depth study of an individual's personality, involving the comprehensive and intensive collection of information and facts about behaviors. Therefore, this research addresses the clinical method, identifying its characteristics, principles, tools, and steps. Like any scientific research, the clinical method is based on hypotheses, which are then verified through its techniques and tools, such as case studies, observation, interviews, and psychological tests and scales that confirm the hypotheses presented in this research. However, using the same tools, the clinical method can also be used for psychological diagnosis and treatment within the context of a psychiatric clinic.

Keywords: Scientific Research - Psychology - Methodology - Clinical Methodology

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

المنهج العيادي وتطبيقاته في البحوث العلمية

شلابي عائشة[1]

جامعة محمد بوضياف المسيلة

aicha.chalabi@univ-msila.dz

زغلاش ليندة [2]

جامعة محمد بوضياف المسيلة

linda.zeghlache@univ-msila.dz

ملخص:

يقوم البحث العلمي على أسس ونظريات علمية وتطبيقية ويستخدم حسب التخصصات، فمثلا نجد تخصص علم النفس العيادي الّذي يعتبر فرع من فروع علم النفس الّذي يهتم بالدراسة والتحليل سلوك الأفراد ويدرس الفرد في إطار بيئته ومعطيات تاريخيه وحاضره، وهو يقوم على مجموعة من الخطوات العلمية الّتي تتبع في دراسة شخصية الفرد دراسة معمقة والّتي تقوم على جمع شامل ومكثف للمعلومات والحقائق حول السلوكات، لذلك جاء في هذا البحث التناول للمنهج العيادي والتعرف على خصائصه ومبادئه وأدواته وخطواته، والمنهج العيادي يقوم على فرضيات كأي بحث علمي ويتم التأكد منها من خلال تقنياته وأدواته، كتقنية دراسة الحالة، والملاحظة، والمقابلة، والاختبارات والمقاييس النفسية الّتي تؤكد على الفرضيات المطروحة في هذا البحث العلمي، لكن بنفس الأدوات يمكن للمنهج العيادي أن يكون وسيلة للتشخيص والعلاج النفسي في إطار العيادة النفسية

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي- علم النفس- المنهج- المنهج العيادي

مقدمة:

يعتبر المنهج طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة أو معرفة ما، واختلفت المناهج العلمية باختلاف التخصصات ونحن اليوم بصدد التكلم عن المنهج العيادي وتطبيقاته في البحوث العلمية، إذن المنهج العيادي هو منهج بحث علمي يساهم في توسيع معارفنا العلمية وهو ينتمي إلى مجال علم النفس العيادي، ويمكن تطبيقه في مجالين: الأول: يطبق داخل العيادة النفسية أي خاص بالممارسين العياديين فهو يدرس الفرد دراسة دينامية يمر عبر مراحل من الفحص النفسي الّذي تستخدم فيها أدوات عيادية كالملاحظة العيادية والمقابلة العيادية وكذا الاختبارات النفسية منها الموضوعية والإسقاطية والّتي تهدف إلى قياس شدة الاضطراب كما يقول An zieu أنّها بمثابة أشعة (X) لهدف واحد هو التشخيص ثم المرور إلى العلاج.

أمّا المنهج العيادي كمنهجا بحثيا علميا يستعمله الباحث في علم النفس كمنهجا كباقي المناهج العلمية مثل المنهج الوصفي إلى غير ذلك، فهو يدرس المتغيرات والظواهر الفردية والاجتماعية، يقوم على أدوات بحثية كالملاحظة والمقابلة وكذلك مقاييس واستبانات تهدف إلى الوصول إلى قوانين ومبادئ عامة للتحكم في السلوك الإنساني، وكذلك الكشف عن الأسباب والعوامل المؤثرة فيه ومشاركة النتائج في ظل الاختلافات.

ويساهم في التعرف على الظاهرة النفسية وفهمها من منظور علائقي ترابطي وتاريخي وديناميي.

1- نبذة تاريخية حول تطور علم النفس العيادي:

مر التطور التاريخي للممارسة العيادية عبر دراسة مجالين هامين من السلوك الإنساني هما: دراسة السلوك المرضي ودراسة الفروق الفردية.

ويعتبر العالم بينال Philippe Pinel 1745-1824 أوّل من تكلم عن علم النفس العيادي، باعتباره التفسيرات والتدخلات الّتي يقوم بها المختص من أجل فهم ومساعدة المريض باعتباره فرد كامل وليس فقط مريض، ثم جاء بعده بيار جانيه Pierrer Janet 1851-1947 الّذي يعد أحد أوائل المختصين في علم النفس العيادي الّذين اهتموا بدراسة الخصوصيات الفردية ما ساعد في إثراء مجال علم النفس العيادي.

وقد شهد في القرن التاسع عشر عدة محاولات لتصنيف الاضطرابات، وقد ساهم شاركو Charcot 1825-1893 في معالجة الهستيريا بالتنويم المغناطيسي، وكذلك ساهم ويتمر Lightner Witmer 1867-1956 في إنشاء أوّل عيادة نفسية خاصة بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والمضطربين انفعاليا، كما اهتم كاتل James Mcheen 1944-1960 بدراسة الفروق الفردية أين نشر مقال الاختبارات والمقاييس النفسية.

في نفس الفترة أثر العالم سيجموند فرويد Sigmund Freud 1856-1939 في علم النفس العيادي بشكل مميز بكتاباته مثل كتاب تفسير الأحلام وما فوق اللذة، وغيرها من الكتابات العديدة، وأيضا من الجانب التطبيقي الميداني بعرضه لحالات عيادية الّتي قام بعلاجها، أين ركز على التحليل النفسي وعلى التوظيف النفسي للفرد وإعطاء اللاشعور والشعور الدور الكبير في ظهور المرض النفسي ومرحلة الطفولة.

وفي عام 1905 نشر ألفرد بنيه Alfred Binet اختبار شامل لقياس القدرة العقلية لتحديد الأطفال العاديين والغير أسوياء "لديهم تخلف أو تأخر عقلي"، كذلك دانيال لاغاش Daniel Lagache المحلل النفسي والطبيب العقلي الّذي أعطى لعلم النفس العيادي مفهوما شاملا الّذي يقوم على دراسات معمقة حول الحالات الفردية أمام وضعيات مختلفة، ويدرس السيرورات المختلفة للفرد مع الأخذ بعين الاعتبار التاريخ الشّخصي والعلائقي للفرد.

كذلك بعدها جاء ديديه إنزيو Didier Anzien والّذي أثر على علم النفس العيادي بأبحاثه ومفاهيمه الّتي صاغها ورأى أن هذا العلم قائم على الدينامية باعتبار أنّ الصراع هو المميز للفرد في علاقاته مع ذاته والآخرين، والفرد يعيش ضمن نظام تفاعلي متبادل ويقوم على تاريخه النمائي.

هذا التطور لعلم النفس العيادي أنتج تراث علمي وعملي حيث اليوم علم النفس العيادي هو فرع تطبيقي من علم النفس، يدرس الفرد وشخصيته وتوافقه بطريقة تطبيقية من حيث التشخيص، والتقييم والعلاج (سواء للأسوياء أو الغير أسوياء).

ومسمات عيادي إكلينيكي ترجع إلى مكان الممارسة المهنية (العيادة) والّذي تم استعارته من العلوم الطبية أين يلتقي المريض العلاج في عيادة الطبيب.

2- تعريف المنهج:

تعريفه لغة: "هو مصدر مشتق من الفعل نهج، بمعنى" طرق أو سلك أو اتبع، والمنهج والمنهاج وتعني: الطريق الواضح". (أبو الفضل جمال الدين، 711هـ)

تعريفه اصطلاحا: "طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة أو معرفة، وهو بذلك ينتمي إلى علم الابستمولوجيا ويعني علم المعرفيات أو نظرية المعرفة".

ويعرفه محمد البدوي المنهجية بأنّه (علم يعتني بالبحث في أيسر الطرق، للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت، وتفيد كذلك معنى المادة المعرفية وتبويبها وفق أحكام مضبوطة). (علي جواد الطاهر، 1974، ص19)

3- تعريف المنهج العيادي:

يعتبر منهج علم النفس العيادي فرع من فروع علم النفس الّذي يتناول بالدراسة والتحليل سلوك الأفراد الّذين يختلفون عن عامة الناس في سلوكاتهم مقارنة بالأسوياء، وذلك بقصد مساعدتهم والتغلب على مشكلاتهم ومعاناتهم وتحقيق تكيف أفضل في حياتهم.

إذن فالمنهج العيادي ينظر للفرد برؤية "سيكودينامية" أي الحالة النفسية في حالة تفاعلية حركية، فهو يدرس الفرد في حالة التوتر والصراع بين ما هو داخلي والواقع، فهو دراسة معمقة للفرد في بيئتها اعتمادا على معطيات تاريخية وحاضرة لتسهيل التشخيص مع التنبؤ بتطور الحالة مستقبلا ثم انتقاء الطرق العلاجية المناسبة.

3-1 تعريف المنهج العيادي "الإكلينيكي":

هو مجموعة من الخطوات العلمية المتبعة في دراسة شخصية الفرد دراسة معمقة، والّتي تسعى إلى جمع شامل ومكثف للمعطيات والحقائق حول السلوكات، والانفعالات، الدوافع، الاتجاهات، الصراعات النفسية الواعية بهدف فهم الفرد ووضع تشخيص سليم لحالته، مع اقتراح خطة علاجية مناسبة وحتى سبل الوقاية من الاختلالات النفسية المختلفة. (جبار البتية، 2017، ص82)

عرفه كذلك لاقاش Lagache أنّه هو التناول للسيرة في منظورها الخاص بالإضافة للكشف على مواقف وتصرفات الفرد اتجاه وضعيات معينة محاولة كذلك إعطاء معنى لها للتعرف على بنيتها وتكوينها، كما يكشف عن الصراعات الّتي تحركها ومحاولات الفرد لتحاربها. (Reuchliu.M.1996.P105)

ويهدف المنهج العيادي خاصة على وضع تشخيص خاص للفرد بغرض توجيهه، معالجته وهو منهج السلوكات والمواقف الفردية وذلك انطلاقا من الدراسة المعمقة للحالات الفردية، فلقد كان منطقيا الاستناد على المنهج العيادي للوصول لمعطيات من خلال الملاحظة والتحليل وتطبيق مختلف الاختبارات النفسية ثم فحص فرضياتها للخروج بمختلف الاستنتاجات التفسيرية. (شلابي عائشة، 1917، ص156)

4- مميزات المنهج العيادي:

- يهتم أو يستهدف الحالات الّتي تعاني من المشكلات السلوكية والاضطرابات النفسية.
- يركز هذا المنهج على تاريخ الحالة، على وحدتها الكلية وصراعاتها الداخلية.
- يستخدم المنهج العيادي مختلف الأدوات المناسبة لكل حالة (الملاحظة، المقابلة، اختبارات نفسية).

5- خصائص المنهج العيادي:

للمنهج العيادي خصائص يقوم عليها:

أولا: التطور الديناميكي

أنّ الفرد كائن يقوم على الديناميكية والحركة وهذه الحركة تولد العديد من الصراعات السيكولوجية "النفسية" لهذا يتم دراسة هذه الصراعات السيكولوجية للأفراد على اعتبار الفرد

كائن دينامي وجد في موقف هذا الصراع السيكولوجي.

ثانيا: الفرد وحدة واحدة

يقوم المنهج العيادي بالنظر إلى الشخص على أنّه وحدة واحدة كلية، لا يمكن تجزئتها خلال التشخيص الإكلينيكي، أي دون معزل عن محيطه الّذي يعيش فيه سواء داخل الأسرة أو المدرسة أو العمل... الخ.

ثالثا: الشّخصية وحدة كلية زمنية

يعتبر الشخص وحدة زمنية كلية، حيث أنّ الفرد هو مجموعة من الاتجاهات والعمر الزمني وتاريخه لا يمكن تجاهله وكلّ وحدة زمنية تدل على تطور الفرد بولا يمكن عزل مرحلة زمنية من حياة الفرد خاصة أثناء تشخيص الحالة.

6- مبادئ المنهج العيادي:

يقوم المنهج العيادي على أسس ومبادئ أهمها:

أولا: مبدأ التكامل

ينظر المنهج العيادي للفرد كوحدة لا تتجزأ بل وحدة متكاملة من المعطيات والمعلومات، ويتم جمع هذه المعطيات والمعلومات لذلك يجب كشف العامل المشترك وسط هذه المعلومات، ويتم جمع هذه المعطيات الّتي بدورها تتألف من مجموعة من العناصر الّتي تكون الشّخصية الكاملة، مع النظر إلى وحدتها التاريخية وكذلك علاقة هذه الوحدات بالبيئة الراهنة الّتي يعيش فيها الأفراد.

ثانيا: مبدأ التقاء الوقائع

كلّ حالة لها وقائع سردها تكون مترابطة مع بعضها البعض، يمكن لأنّ بعض حالات أخرى تكون متشابهة لظروف تلك الحالة وقد تكون هذه الطريقة ضمن الطرح العلاجي لكثير من الحالات العلاجية.

7- مزايا وعيوب المنهج العيادي:

7-1 مزايا المنهج العيادي:

إنّ المنهج العيادي من المناهج المهمة في الدراسات النفسية نظرا لما يتميز به من:

- يدرس الفرد كوحدة كلية غير منفصلة.
- يجمع المعلومات شاملة ومعمقة حول الأفراد.
- منهج دينامي يهتم بدراسة الفرد والبحث في الماضي والحاضر والمستقبل.

7-2 عيوب المنهج العيادي:

- يتطلب جهد ووقت لجمع المعلومات وتفسيرها.
- نتائجه فردية لا يمكن تعميم نتائجه.
- الاعتماد على الجانب الكيفي أكثر من الجانب الكمي.

– صعوبة التأكد من صدق المعلومات الّتي يقدمها الفرد. (جبار ريشه، 2017، ص84)

8– أدوات ووسائل المنهج العيادي:

8–1 المقابلة العيادية:

هناك عدة تعاريف للمقابلة العيادية، تختلف من باحث لآخر وإن اختلفت في الصيغة فإنها تصب في هدف واحد، فحسب سيلامي M. Sillamy تستعمل المقابلة كطريقة ملاحظة للحكم على شخصية المفحوص، إنها جزء لا يتجزأ نجده في جميع الاختبارات السيكولوجية، حيث تسهل فهم مختلف النتائج المتحصل عليها، كما أنها تستعمل في علم النفس العيادي بانتظام وتساعد في إعطاء حلول للمشاكل (M. Sillamy 1996 p.97)

ويعرف مليكة (1990) المقابلة العيادية بأنها تتضمن التشخيص والعلاج، مؤكدا على صعوبة الفصل بين التشخيص والتنبؤ والعلاج في المقابلة العيادية، كما أشار مليكة في موضع سابق عن تعريف المقابلة العيادية إلى أن عملية التشخيص في الطب النفسي وعلم النفس تتطلب عمليات خاصة بتقويم السمات المختلفة لشخصية المريض مما يساعد على فهم مشكلاته بناء على تجميع تلك المعلومات المتاحة واللازمة عنه وتحليلها ودراستها، وأشار إلى أن عملية التنبؤ عبارة عن رسم ومباشرة خطة العلاج النفسي للمريض، ومتابعتها وتقويمها.

كما يرى كورشين (1976) Korchin أن المقابلة التشخيصية تركز بصورة أساسية على دراسة الأعراض التي تظهر على المريض حيث يمكن وصفها بدقة، وقد أوضح أن المقابلة التشخيصية يجب أن تعطي عدة مجالات هي: العمليات العقلية وطرق التفكير، الخلل الحسي والإدراكي، الوعي بالزمان والمكان.

8–2 الملاحظة:

تعتبر الملاحظة أداة من أدوات الفحص النفسي وجمع المعلومات وذلك من خلال ملاحظة المختص للحالة وتسجيل كل ما يلاحظه، شرط أن يلتزم المختص بالدقة والموضوعية ودون أن يتدخل في مسار الأحداث (حذف أو تغيير أو إضافة أو تعديل).

وللملاحظة عدة أنواع يمكن تلخيصها فيما يلي:

- فمن حيث درجة الضبط نجد الملاحظة البسيطة والملاحظة المنظمة.

- ومن حيث دور الباحث فنجد الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بدون مشاركة.
- كما قد نجد الملاحظة الطارئة والملاحظة الذاتية والملاحظة الميدانية.

8-3 دراسة الحالة:

نموذج عن كيفية القيام بدراسة الحالة:

البيانات الأولية:

الاسم، الجنس، تاريخ الميلاد، الحالة الاجتماعية (متزوج، أعزب، أرمل، مطلق)، هل لديه أطفال، عددهم، المستوى الدراسي، طبيعة العمل، عنوان السكن، رقم الهاتف، مصدر الإحالة (طبيب، مدرسة، فرد من العائلة...)، سبب الإحالة.

السوابق الأسرية: (التكوين الأسري، المعلومات الأسرية)

الأب: (الاسم، السن، المستوى الدراسي، المهنة، أمراض معينة إن وجدت...)

الأم: (الاسم، السن، المستوى الدراسي، المهنة، أمراض معينة إن وجدت...)

الإخوة: (الاسم، السن، المستوى الدراسي، المهنة، أمراض معينة إن وجدت، عددهم، ترتيب الحالة بينهم...)

هل توجد قرابة دموية بين الوالدين.

هل يوجد تعدد زوجات داخل الأسرة.

السوابق الشخصية: (المعلومات الشخصية)

التاريخ الصحي، الأمراض والحوادث، هل تشكو الحالة من أي مرض صحي (ما نوعه، هل تلقت العلاج وما هي طبيعة هذا العلاج...)، هل قامت الحالة بعملية جراحية، هل تتناول الكحول والمخدرات (العادات).

الشكوى الأساسية ووصف المشكلة الحالية:

بداية ظهور المشكلة (تاريخ ظهورها، كيفية ظهورها، مدة ظهورها، هل هي حالة جديدة أم مرت بها سابقا...)

ما الذي جعل الحالة تأتي الآن لطلب العلاج، هل حاولت العلاج من قبل وما هي الطرق العلاجية المستعملة.

توضيح الظروف، الأعراض السلوكية التي رافقت حدوث المشكلة، وما هي المظاهر الخارجية التي لوحظت على الحالة.

الخاتمة:

إنّ أهمية الدراسات التطبيقية العلمية وكذا البحوث العلمية تكمن في وضع حلول واستراتيجيات من خلالها نجد حلول للبحث الظواهر الفردية والاجتماعية الّتي تواكب تطور البشري والتكنولوجي والسلوكات تجعل من الباحث الاستمرار في وجود حلول وطرق لأجل حماية الأفراد والمجتمعات من مخاطرها.

كذلك البحوث والدراسات التطبيقية العلمية والقائمة على الدقة والموضوعية، والّتي تستند إلى معايير ومقاييس كمية الّتي تم استعراضها في البحث تجعل نتائج تستند إلى المصداقية والاعتماد عليها في وجود حلول لهذه الظواهر البشرية سواء كانت فردية أو مجتمع.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم زيدي السيد والدسوقي محمد إبراهيم وشلبي محمد أحمد (2016)، تشخيص الأمراض النفسية للأطفال مستمدة من DSM4, DSM5، مكتبة الأنجلو المصرية، جمهورية مصر العربيّة.
2. أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور (711هـ)، لسان العرب،(ط1) , دار صادر، بيروت.
3. علي جواد الطاهر (1974)، منهج البحث الأدبي، (ط3)، مكتبة اللّغة العربية، بغداد.
4. شلابي عائشة (2017)، الصورة الأمومية وصورة الجسد لدى مرضى الصرع ، دراسة إسقاطية، جامعة المسيلة الجزائر.
5. عبد الستار إبراهيم، عبد الله عسكر (2008)، علم النفس الإكلينيكي، (ط4)، مكتبة الأنجومصرية.
6. محمود ياسين، عطوف (1991)، علم النفس العيادي، (ط2)، دار الملايين، بيروت.

7. بشكير عابد، قصاص فتيحة، 2018، الدراسات التطبيقية من منظور أخصائيي كتقنية من تقنيات البحث العلمي، المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان، مجلة الدراسات الاقتصادية المعمقة رقم 07.
8. سامية ثيناز، آية بولمال، 2023، منهجية صياغة التقرير النفسي في الممارسة النفسية، مجلة سوسيولوجيا المجلد 8، العدد 01.
9. سامر، جميل رضوان، 2014، التشخيص النفسي منشورات جامعية، دمشق، سوريا

10. Albert, lonnez, Z.M. kachare A.krizbai, T, , Marton, R (2017)

11. Relationship betwen the chaaractevstion tone of fsycholgical immune system and the enotional tonee of personabity in adlescents the new education reven 23 (1)

12. Reuchlin, (1998), les méthoden en psychologie, casbah editin, alger

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Artificial Intelligence and the Question of Objectivity in the Humanities: Between Continuing to Imitate the Experimental Model and Seeking Methodological Specificity

Larbi Akrouche
Regional Center for Education and Training Professions of the Marrakech-Safi Region – Essaouira Branch
larbioussousse@gmail.com

Abstract:

The research aims to study the impact of employing artificial intelligence applications in enabling the humanities to overcome the problem of achieving scientific objectivity in their theories, similar to the exact sciences. The researcher used the exploratory analytical method and employed a questionnaire to collect field data by surveying a sample of 120 students at the regional branch of the Regional Center for Education and Training Professions in Essaouira, in order to address the following problem: "How can artificial intelligence applications contribute to enabling the humanities to achieve scientific objectivity and overcome the methodological crisis in light of the ongoing debate between the interpretive model and the understanding model?. Artificial intelligence applications have enabled the humanities to overcome the problems of methodological, subject, concept, and scientific neutrality, and to interpret human phenomena based on the steps of the experimental method. However, this positive contribution of artificial intelligence to developing humanities curricula towards winning the challenge of contextualizing human phenomena has not prevented the expression of numerous concerns regarding the future of scientific research in human phenomena.

"**Keywords:** Artificial intelligence, the humanities, objectivity, experimentation, understanding.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

الذكاء الاصطناعي وسؤال الموضوعية في العلوم الإنسانية: بين الاستمرار في الاقتداء بالنموذج التجريبي والبحث عن الخصوصية المنهجية

العربي عكروش
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة مراكش آسفي – فرع الصويرة
larbioussousse@gmail.com

ملخص:

يهدف البحث إلى دراسة أثر توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تمكين العلوم الإنسانية من تجاوز مشكلة تحقيق الموضوعية العلمية في نظرياتها على غرار العلوم الحقة. وقد وظف الباحث المنهج الاستكشافي التحليلي، واستخدم الاستمارة لجمع البيانات الميدانية من خلال استجواب عينة من120 طالب بالفرع الاقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة، وذلك بغية للإجابة على الأشكالية التالية: "كيف يمكن لتطبيقات الذكاء الاصطناعي أن تساهم في تمكين العلوم الإنسانية من تحقيق الموضوعية العلمية تجاوز الأزمة المنهجية في ظل الجدال القائم بين النموذج التفسيري والنموذج الفهمي ؟". فقد مكنت تطبيقات الذكاء الاصطناعي العلوم الإنسانية من تجاوز مشكلات وحدة المنهج والموضوع والمفهوم والحياد العلمي، وتفسير الظواهر الإنسانية اعتمادا على خطوات المنهج التجريبي. غير أن هذه المساهمة الإيجابية للذكاء الاصطناعي في تطوير مناهج العلوم الإنسانية نحو ربح رهان موضعة الظاهرة الإنسانية، لم يحل دون التعبير عن مخاوف عديدة بخصوص مستقبل البحث العلمي في الظواهر الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، العلوم الإنسانية، الموضوعية ، التجريب، الفهم.

مقدمة:

نتج عن التقدم الهائل الذي حققته العلوم التجريبية من ناحية الصرامة المنهجية والموضوعية العلمية والدقة المعرفية إلى إثارة نقاش علمي موسع في دائرة الأبحاث العلمية بمختلف تخصصاتها الطبيعية والإنسانية والأدبية والفنية، بلغ ذروته مع ميلاد العلوم الإنسانية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي. وتعزى حدة هذا في هذه الفترة بالذات إلى عدة عوامل أساسية، تشمل رغبة المختصين في الدراسات الإنسانية في السير على نهج أسلافهم في الدراسات الطبيعية، ومحاولة تبني مبادئ المنهج التجريبي– الوضعي القائم على اعتماد التجربة بنوعيها المخبري والعقلي، كمصدر وحيد للمعرفة العلمية، واستبعاد كل المعارف الأخرى، سواء المرتبطة بالمعرفة العامية أو تلل المستمدة من الخطاب التأملي الميتافيزيقي حول الظواهر الإنسانية والاجتماعية والنفسية. كما تصنف الانجازات الكمية والنوعية التي حققتها العلوم الدقيقة خلال فترة وجيزة لا تتجاوز ثلاثة قرون، كعامل ثان وراء بروز هذا النقاش العلمي المفتوح والمستمر في الزمان والمكان، فقد انبهرت العلوم الإنسانية بالمستويات الكبيرة التي وصل إليها البحث العلمي في العلوم الطبيعية، وخاصة الرياضيات والفيزياء والبيولوجيا خلال نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، في ما يخص مواضيع المنهج والموضوع والعلاقة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، وهو الانبهار الذي وصل إلى حد الدعوة المباشرة إلى استلهام النموذج التجريبي للعلوم الطبيعية، ومحاولة توظيفه في دراسة الظواهر الإنسانية باعتبارها أشياء وموضوعات خارجية قابلة على غرار الظواهر الطبيعية أن تدرس دراسة موضوعية عن طريق تطبيق النماذج التجريبية التي نجحت في علوم الطبيعة على الإنسان وعلى مجمل أفعاله وحوادثه. أما العامل الثالث لاستمرار هذه النقاش العلمي، فيمكن في المساهمة الكبيرة لنظريات ومناهج العلوم الطبيعية في نقل سؤال الموضوعية العلمية من الاقتصار على دراسة علاقة الإنسان بالظاهرة الطبيعية إلى الاهتمام بطبيعة العلاقة القائمة بين الإنسان وذاته، والتي تحولت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي إلى موضوعا رئيسيا لكل التخصصات العلمية التي تسهى إلى فهم الإنسان فهما علميا موضوعيا، وصياغة نظريات علمية حول مكونات وأبعاد وأسرار الظاهرة الإنسانية، ومحاولة بناء حقيقة علمية تتسم نسبيا بنوع من اليقين والموضوعية والحياد العلمي على غرار نظيرتها في العلوم الطبيعية.

ينقسم بناء هذه الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، خصص المبحث الأول للبناء المنهجي والنظري للدراسة من خلال اثني عشر مطلبا، تبرز القيمة العلمية للإشكالية، وتساؤلاتها الفرعية، وفرضياتها الرئيسية، وبنيتها المنهجية التي تفرض تنويع تقنيات جمع المعطيات الميدانية، وتوضيح المبررات الذاتية والموضوعية لاختيار موضوعها، وإضفاء الواقعية والموضوعية على النتائج التي يخلص إليها العمل الميداني، والتي لا يمكن فصلها عن الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها من خلال التطرق لهذه القضية. وقد استعرضنا بين ثنايا هذا المبحث، بعض الخلفيات النظرية للموضع. هذا الترتيب المعتمد في استعراض مكونات هذا المبحث، أملته دواعي منهجية وعلمية، تتمثل في حاجتنا لتأطير موضوعه في سياقه المعرفي، ورغبتنا الذاتية في استمرار التمفصل بين مكوناته المنهجية والنظرية.

تطرق العمل في المبحث الثاني إلى دور الذكاء الاصطناعي في معالجة سؤال الموضوعية في العلوم الإنسانية في ظل تأرجح اختياراتها بين الاستمرار في الاقتداء بالنموذج التجريبي والبحث عن الخصوصية المنهجية، ، وذلك من خلال ستة مطالب، تتناول قضايا علاقة الذكاء الاصطناعي بالموضوعية في العلوم الإنسانية، وما يثيره من مواقف تتأرجح بين الضرورة والاختيار، والكيفية التي ساهم بها الذكاء الاصطناعي في إغناء النقاش العلمي حول ازدواجية المنهج في العلوم الإنسانية بين التفسير الوضعي السببي والفهم التأويلي، ومجالات توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية، ومحطات استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، وعلاقة الذكاء الاصطناعي بالذات العارفة في العلوم الإنسانية القائمة إما على التشكيك أو اليقين، وكذا التحديات الأخلاقية لتوظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية.

أنهينا هذه الدراسة بخاتمة، أوردنا فيها الخلاصات والاقتراحات التي ستغني الفهم العلمي للموضوع، ومناقشتها في ضوء الدراسات المشابهة والنماذج النظرية. وقد تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها بين الاطلاع على المراجع المتنوعة، الورقية منها والرقمية، باللغات الثلاث، العربية، الفرنسية والإنجليزية، وتصفح المواقع الإلكترونية المشهود لها بالموضوعية العلمية، والأطروحات الجامعية المطبوعة والمخطوطة، والمقالات والدراسات المنشورة في مختلف المجلات العلمية المحكمة والمصنفة، والتقارير الصادرة عن مختلف الهيئات الوطنية والدولية.

أولا: المبحث الأول: البناء المنهجي والنظري لإشكالية الدراسة

يثير إعادة طرح سؤال محاولة بناء معرفة علمية دقيقة وموضوعية حول الظاهرة الإنسانية في الوقت الحالي الذي يعرف هيمنة سياقات معرفية وإيديولوجية جديدة، وظهور مفاهيم جديدة، وقيام مناهج علمية صارمة، وبروز بنيات ابيستمولوجية دقيقة، تحديات منهجية وعلمية ومعرفية أمام، ويسائل مدى قدرتها على تحديد بنيتها المعرفية، ومقوماتها المنهجية، وخصائصها العلمية في زمن أصبح الكل يتجه فيه إلى توظيف مختلف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، مما يجعل الباحثين في مجال العلوم الإنسانية أمام إشكالات جديدة لا تقل أهمية عن تلك الاشكالات المطروحة منذ تأسيسها، وعلى رأسها مشكلة علمية النظريات العلمية في العلوم الإنسانية، ومدى قدرتها على الالتزام بشرط الموضوعية الذي يستوجب الحياد العلمي، وفصل الذات العارفة عن موضوع المعرفة. فقد وصل استخدام الذكاء الاصطناعي في ميدان البحث العلمي "إلى حد لا يمكن التغاضي عنه أو الوقوف ضد استخدامه، ولكنه في ذات الوقت يثير قضايا وتحديات أخلاقية في العديد من المجالات، مما يتطلب اهتماما خاصًا لضمان النزاهة والشفافية "(منتظر جهاد،، بدون سنة، 59).

أحيا توظيف الذكاء الاصطناعي في مختلف الدراسات والبحوث التي تتخذ من الإنسان موضوعا لها، النقاش العلمي المفتوح حول أهم إشكاليتين ابستمولوجيتين رافقت المسار التاريخي والعلمي لنشأة العلوم الإنسانية، إشكالية الموضوع وإشكالية المنهج. فرغم أن هذا النقاش تراجعت حدته منذ النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن ظهور الذكاء الاصطناعي في مجال البحث العلمي، مكن هذا النقاش من تبوء قمة النقاش العلمي اليوم، خصوصا في القضايا التي تهم الشروط المنهجية والعلمية التي ينبغي على الباحث التحلي بها لكي يترك مسافة فاصلة بين ذاته وخلفياته وأهدافه الذاتية وبين الظاهرة المدروسة الظاهرة المدروسة، ويسعى إلى توظيف مبادئ الحياد العلمي بغية بناء وصياغة نظريات علمية، وحقائق موضوعية حول الظواهر الإنسانية صالحة للتعميم والتقعيد العلمي والتفسير السببي. بهذا المعنى"تشكل تقنيات الذكاء الاصطناعي مصدر قوة ثورية يمتد تأثيره على مجموعة واسعة من المجالات، ومن بينها التعليم العالي والبحث العلمي، يعتبر استخدام الذكاء الاصطناعي في هذين السياقين تحولا ذو تأثير كبير، حيث يتيح الجمع بين البيانات الكبيرة وقوة التحليل الذكي تحسين تجربة التعليم العالي وتسريع عمليات البحث العلمي" (جنان مريم، 2025، ص114.).

1 المشكلة الرئيسية للدراسة

يستمد السؤال الجوهري لهذه الدراسة مشروعيته العلمية من البحث في مدى قدرة الذكاء الاصطناعي على تمكين العلوم الإنسانية سواء بالاقتداء بالنموذج التجريبي للعلوم الطبيعية الذي يقول بإمكانية التفسير الوضعي السببي للظاهرة الإنسانية كواقعة خارجية دالة، يمكن التعامل معها كمعطى مادي موضوعي، تسمح بإعادة إنشاء عناصره الدالة في نماذج وسياقات اجتماعية، تشبه الأنساق المادية للظواهر الطبيعية. أو بالبحث عن نماذج علمية مغايرة وملائمة لخصوصيات ومواضيع العلوم الإنسانية، تقوم على فهم الظواهر الإنسانية عوض البحث عن تفسيرها، أي أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يساعد في تجاوز العوائق المنهجية والمعرفية التي تعيق تطبيق المنهج التفهمي التأويلي في التعاطي مع الظواهر والأفعال الإنسانية، والكشف عن حقيقتها العلمية بشكل موضوعي. وتم اعتمادها لمعالجة السؤال الإشكالي للدراسة: **"كيف يمكن لتطبيقات الذكاء الاصطناعي أن تساهم في تمكين العلوم الإنسانية منتحقيق الموضوعية العلمية تجاوز الأزمة المنهجية في ظل الجدال القائم بين النموذج التفسيري والنموذج الفهمي ؟".**

2)الأسئلة الفرعية للدراسة

واجه تحول العلم إلى دراسة الإنسان مجموعة من التحديات المعرفية والمنهجية والابيستمولوجية، تتعلق كلها بكيفية الإجابة على سؤال الموضوعية المطروح بحدة في العلوم الإنسانية، فإذا كان هذا السؤال قديم زمنيا، فإنه معاصر معرفيا، محافظا على حضوره المركز في الجدال العلمي القائم بين الراغبين في الاستمرار في الاقتداء بالنموذج التجريبي، والداعين إلى البحث عن الخصوصية المنهجية. وفي خضم هذا الجدال، برزت تطبيقات الذكاء الاصطناعي كملاذ ملائم لتجاوز هذا الجدال أو على الأقل التخفيف من حدته، وذلك بتمكين العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع، والتاريخ، وعلم النفس، وعلم التربية من كسب رهان الحتمية العلمية، وبناء الحقيقة الموضوعية(Durkheim, É, 1897, p 12.) حول الإنسان كذات واعية وحرة، لها قيم وتاريخ وأخلاق وطموحات، وكوجود مزودج بين المادة والنفس. من هنا، فالمشروعية العلمية لهذه الدراسة تتثير مجموعة من الأسئلة الفرعية حول دور الذكاء الاصطناعي في تمكين العلوم الإنسانية من تجاوز التحدي المنهجي المزدوج: كيف يمكن لتطبيقات الذكاء الاصطناعي أن تساعد الذات العارفة على دراسة ظواهر مماثلة لها دون أن تسقط في الذاتية؟ بأي معني يمكن القول أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي

أدوات فعالة في الحد من الهوة الفاصلة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعة في ما يخص تحقيق شروط الموضوعية العلمية، أن تدرس ذاتاً أخرى دون أن تتأثر بها؟ وكيف يمكن للذكاء الاصطناعي توفير إمكانات منهجية وحول معرفية لتطبيق مناهج العلوم الطبيعية (الكمية والحتمية) على ظواهر إنسانية معقدة ومتغيرة؟ ألا يمكن القول بأن لجوء العلوم الإنسانية لتطبيقات الذكاء الاصطناعي من شأنها إفراغ المعرفة الإنسانية من خصوصياتها المنهجية ووحدتها المعرفية؟ هل تؤدي تطبيقات الذكاء الاصطناعي دور المنقذ للعلوم الإنسانية من عجزها على بلورة مناهج خاصة بها أم أن الأمر يبقى في حدود تبني هذه العلوم لنموذج العلوم الطبيعية على التفسير والتجريب والسببية بدون السعي نحو إبداع منهج خاص بها يعتمد على الفهم والتأويل؟

3)الفرضيات الرئيسية للدراسة

ارتأينا في سياق الالتزام بالشروط المنهجية والمعرفية التي تؤطر عمل البحث العلمي في القضايا التربوية، صياغة الفرضيات التي يثيرها موضوع دور تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تمكين العلوم الإنسانية من ترسيخ الموضوعية العلمية في دراسة قضاياها وظواهرها، سواء من خلال الأخذ بالنموذج التجريبي المطبق في العلوم الطبيعية أو من خلال البحث عن الخصوصية المنهجية الملائمة لخصوصياتها، والتي "تعتبر مرحلة مهمة وأساسية في البحث العلمي" (الويز محمد،، 2017، ص 50.) ، لأنها تشتغل على المتغيرات المستقلة والتابعة معا (العلوم الإنسانية، الذكاء الاصطناعي، الموضوعية العلمية . النموذج التجريبي)، وفي نفس الوقت، تضفي مقاربات متعددة في اتجاه التحليل والمناقشة والمعالجة المخصصة لكل الجوانب الممكنة لهذه الإشكالية البحثية المثارة في الدراسة. وتتجلى هذه الفرضيات في ما يلي:

نفترض أن استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي الخاص بالعلوم الإنسانية خيار ضروري لتحقيق علمية النظريات العلمية في هذه التخصصات، والتصدي لتداخل الذات العارفة بموضوع المعرفة فيها.

نفترض أن دراسة الظاهرة الإنسانية كظاهرة معقدة ومركبة ومتعددة الأبعاد، تستوجب تقاطع مجموعة من العلوم، وتبني النموذج التجريبي كمنهج لدراستها.

نفترض أن اتصاف الظاهرة الإنسانية بالوجود المزدوج يعطي المشروعية لاستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

نفترض أن الإفراط في توظيف الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية، يفرغ البحث العلمي من مصداقيته، ويجعله في مواجهة تحديات جديدة.

4)تحديد منطقة الدراسة

نتوخى من هذه الدراسة البحث في أثر توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تمكين البحث العلمي الخاص بالظواهر الإنسانية من تجاوز أزمة الموضوعية العلمية، والمرتبطة بتأرجح دراساتها بين الاستمرار في الاقتداء بالنموذج التجريبي والبحث عن الخصوصية المنهجية، وذلك من خلال استجواب عينة من الطلبة بالفرع الإقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة المنتمي جغرافيا وإداريا إلى جهة مراكش—أسفي. فالتحقق من صحة الفرضيات التي صرحنا بها منذ البداية، يستوجب منا جمع المعطيات الميدانية اللازمة لهذا التحقق من خلال تطبيق أداة البحث على عينة من الطلبة الأساتذة الذين وظفوا تقنيات الذكاء الاصطناعي في أعمالهم الميدانية، والعمل على الاستثمار العلمي للنتائج المتوصل إليها.

العينة المعتمدة في الدراسة

ترتبط موضوعية ومصداقية نتائج البحث بنوع العينة، ومدى تمثيلها للمجتمع الأصلي للبحث. لهذا، سلكنا في تحديد عينة بحثنا، منطق الاختيار العشوائي الذي يوفر نفس الحظوظ والفرص لجميع وحدات المجتمع الأصلي في الدخول إلى العينة عند الأخذ، وذلك بعد مرحلة تنفيذ دراسة استكشافية واستطلاعية لمجتمع البحث، بهدف الإحاطة الشاملة بأهم مميزات التشكيلة الاجتماعية التي تميز العناصر المشكلة لعينة البحث، بالإضافة إلى رصد ملامح ومظاهر التغير التربوي والبيداغوجي الذي عرفته المدرسة الابتدائية مع الشروع في تطبيق بنوع مشروع الريادة. فقد بدأت إجراءات الدراسة خلال الموسم الدراسي 2024-2025، واختيرت عينة البحث وفقا شروط أهمها العلاقة المباشرة بالموضوع، حيث روعي في هذه العينة أن تشمل جميع الطلبة الأساتذة المتدربين بالفرع الاقليمية للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة، والذين وظفوا تطبيقات الذكاء الاصطناعي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في البحوث الميدانية التي أنجزوها حول الظواهر الاجتماعية والتربوية والنفسية بالمدرسة خلال الموسم الدراسي 2025/2024. وقد تكونت عينة هذه الدراسة من120 طالب يتابعون تكوينهم بمركز الصويرة.

5)المنهج المعتمد في الدراسة

تستوجب الخصوصيات التي ينفرد بها البحث في القضايا الإنسانية، من الدارس التأني في اختيار المنهج الذي يعتمده لإنجاز دراسته، لاسيما أن إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية لا تزال تطرح بشدة وبعمق، كلما تدرجت مواضيع الأبحاث، وتداخلت الجوانب الاجتماعية فيها بالجوانب الاقتصادية والسياسية والسيكولوجية. هذه الخصوصيات تؤكد أن العناية بموضوع ما في العلوم الإنسانية، "لا يقتصر على ما هو موضوعاتي بل على الجانب المنهجي أيضا، الذي يشكل نصف البحث" (الويز محمد، ، 2017، ص 38.) ، مما يفرض تنويع أساليب ومناهج البحث الاجتماعي والتربوي بحسب طبيعة موضوع الدراسة، والهدف المتوخى من القيام بها، والأداة المستخدمة في جمع المعطيات الخاصة بها. فالبحث في دور الذكاء الاصطناعي في التخفيف من حدة تحديات البحث العلمي في الظواهر الإنسانية، والمرتبطة بإشكالية كيفية ضمان موضوعية الحقائق العلمية في سياق يتسم بتعدد المناهج العلمية المتاحة، سواء تعلق الأمر بمنهج التفسير أو الفهم أو التأويل ، يستحضر ما أكده محمد الويز بكون" الحديث عن المناهج داخل العلوم الاجتماعية يتأرجح بين منهجين أساسيين: المنهج الكمي والمنهج الكيفي، ولكل منهج طرقه واستخداماته التي تميزه عن الآخر" (الويز محمد،، 2017، ص68.) ، الشي الذي يقتضي تنويعا في الأساليب المنهجية، بين المناهج العلمية التي يتم توظيفها في الدراسات السوسيولوجية، والمناهج المستعملة في تخصصات الدراسات الاقتصادية والقانونية والدينية. ويفضي هذا التنويع إلى توظيف المنهج الوصفي والتحليلي لدراسة المتغيرات الرئيسية لموضوع البحث، والمنهج التاريخي لمقاربة ظاهرة تطور النقاش العلمي حول قضية الموضوعية في العلوم الإنسانية وفق مقاربة خطية، والمنهج المقارن لمقارنة وضعية العلوم الإنسانية قبل وبعد توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والمنهج التجريبي الذي يعتمد تقنية الملاحظة (Michel Andrée، 1970, P 124.) في تناول الظاهرة في واقعها الحقيقي، والمنهج الوثائقي لانتقاء المعلومات المنشورة أو غير المنشورة، والمراجع والمصادر المتعلقة بالموضوع. كما لجأنا في هذا البحث إلى استخدام أدوات البحث العلمي المعروفة للحصول على المعلومات والبيانات الضرورية للبحث الميداني كأسلوب الاستمارة بهدف جمع أكبر عدد من المعطيات الميدانية حول الموضوع، والملاحظة المباشرة لمتابعة الظاهرة المدروسة في واقعها الحقيقي، والتي صنفت كوسيلة أساسية لجمع المعلومات عن واقع البحث التربوي الميداني بإقليم الصويرة.. فضلا عن تعزيز هذا العمل بالبحث الوثائقي الموسع. ويتجلى الغرض الأساسي في الجمع بين هذه الأساليب الثلاثة في رغبتنا

في تجاوز الصعوبات العلمية التي ترافق الدراسة الميدانية للقضايا الإنسانية والتربوية والاجتماعية. وضمانا لنجاعة التعدد المنهجي الذي اعتمدناه في بحثنا، نوعنا تقنيات جمع المعطيات بين التقنيات الكمية، وتلك التي تصلح للمعطيات الكيفية.

6)الأهداف الخاصة بالدراسة

تهدف الدراسة إلى البحث في موضوع أثر توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي على تمكين العلوم الإنسانية من تجاوز مشكلتها الإبستمولوجية المتمثلة في كيفية تحقيق الموضوعية العلمية في نظرياتها على غرار العلوم الحقة. والبحث في مدى قدرة الذكاء الاصطناعي على إغناء امكانات التزام الباحثين في العلوم الإنسانية بالحياد العلمي، والنزاهة الفكرية، واستقلال الذات عن الموضوع، وتمكينهم من تجديد مناهجهم العلمية، وتنظيمها على أسس صارمة، تستخدم لغة علمية ، وأدوات دقيقة، ومناهج تجريبية لاختبار الفرضيات والنتائج ، وصياغة القوانين فالهدف الأساسي لهذا الدراسة يكمن في. دور الذكاء الاصطناعي في التخفيف من الهوة الفاصلة بين الموضوعية والذاتية في العلوم الإنسانية، والمرتبطة بالصعوبات التي تطرحها موضعة الظاهرة الإنسانية كظاهرة واعية إرادية وداخلية وتاريخية وزمنية ومتغيرة، لا تتكرر ولا تخضع للاطراد. فأهمية الدراسة في دراسة تأثير الذكاء الاصطناعي على البحث العلمي الأكاديمي في مجال العلوم الإنسانية، والبحث في كيفية استفادة هذه العلوم من إمكانيات الأدوات التكنولوجية والرقمية في تحسين جودة وكفاءة البحث العلمي في مجالات الظواهر الإنسانية والاجتماعية، مع مراعاة التحديات الأخلاقية والمهنية المرتبطة بذلك.

ثانيا: المبحث الثاني: البناء الميداني لإشكالية الدراسة

تستوجب منهجية البحث العلمي في دور الذكاء الاصطناعي في توفير مزايا كبيرة للباحث العلمي في مجال العلوم الإنسانية، كالعمل على تحسين كفاءته في التفسير والتحليل والتنبؤ، وتوفير أدوات متقدمة للكتابة والتحرير والترجمة، وتطوير مناهج دراسية متكاملة لتعزيز القدرة على تحقيق الموضوعية العلمية، وتعزيز البنية التحتية التقنية في المؤسسات الأكاديمية، استثمار المعطيات الميدانية لأهميتها في تتبع مسار التحولات المختلفة التي أحدثتها تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال مراجعة المفاهيم والأدوات المنهجية في العلوم الإنسانية كمسألة طارئة، وكضرورة تأويلية وفلسفية أمام مشهد معرفي جديد يعيد تعريف موضوع الدراسة الإنسانية

ذاته. فتفاعل الذكاء الاصطناعي مع ممارسات الإنسان لا يُعد ظاهرة تقنية، بل تموضعًا جديدًا للسلطة المعرفية، يستوجب إعادة بناء أدوات الفهم، ومساءلة المفاهيم التي حكمت علاقتنا بالذات والآخر والعالم (عبد الوهاب جودة الحايس، بدون سنة، ص 2).

1 الذكاء الاصطناعي والموضوعية في العلوم الإنسانية: بين الضرورة والاختيار

يوظف مفهوم الموضوعة في العلوم الإنسانية للدلالة على سعي هذه العلوم للبحث عن مختلف الإجراءات المعرفية والخطوات المنهجية والقواعد الإبستمولوجية التي يشترطها الباحث كمنطلق لدراسة ظاهرة إنسانية أو اجتماعية كقضية علمية، وكموضوع المعرفة خارج عن الذات العارفة، ومستقل عن تأثيرها المباشر. فالغاية الأساسية لإثارة النقاش العلمي حول هذا المفهوم في العلوم الإنسانية ، تتمثل في رغبة ممثلي هذه العلوم في فصل موضوع المعرفة عن الذات الدارسة، والاقتداء بالنموذج التجريبي الموظف في العلوم الطبيعية، ومحاولة تجاوز مشكلة التداخل بين الذات والموضوع في العلوم الإنسانية الذي يبقى العائق الأكبر أمام تمكين المعرفة الاجتماعية من التعبير عن الواقع بشكل موضوعي وحيادي، وبانفصال تام عن الذات العارفة التي غالبا ما تميل نحو الأحكام الذاتية عوض السعي نحو إدراك الوقائع هما هي موجودة في الواقع الاجتماعي (Bachelard, G، 1934,p126.).

الجدول رقم 01: توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراسة الظواهر التربوية

المتغير	نعم	لا	أحيانا
العدد	74	17	29
النسبة	%61.66	%14.16	%24.18

المصدر: العربي عكروش، 2025، نتائج البحث الميداني

يتضح من خلال المعطيات الواردة في الجدول رقم 01، أن نسبة 61.66% من الطلبة الأساتذة بالفرع الإقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة، أقروا باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحوث الميدانية التي أنجزوها خلال الموسم الدراسي 2024-2025، وذلك كضرورة علمية لا محيد عنها، تفرضها الخصائص المميزة للظواهر الإنسانية، والتي تضع تعقيدات منهجية ومعرفية أمام السعي نحو

الكشف عن حقيقتها العلمية بشكل موضوعي وعلمي، بينما، تؤكد نسبة 14.16% من هؤلاء الطلبة عدم استعمالهم لهذه التطبيقات في أعمالهم البحثية، ما دام أن سؤال الموضوعية في العلوم الإنسانية، يمكن معالجته من خلال الانفتاح على التجربة العلمية للعلوم الطبيعية، والاستعانة بمناهجها التجريبية، وإتاحة الفرصة للعقل البشري لإبداع مناهج خاصة بالظواهر الإنسانية. وفي المقابل، عبرت نسبة 24.18 % من المبحوثين عن كون استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال العلوم الإنسانية، يبقى اختياريا تبعا لطبيعة الظاهرة المدروسة، وعلاقتها بذات الباحث، وحدود تأثرها بشروط التجريب والتفسير والملاحظة.

إن القول بكون توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال دراسة الظواهر الإنسانية ضرورة علمية لا مناص منها، قول قابل للنقاش العلمي والنقد الابيستمولوجي في سياق معرفي متسم بهيمنة الإنسان على الطبيعة، وبقدرته على إبداع حلول منهجية ومعرفية لكل المشكلات العلمية التي تطرحها علاقة الذات الحاملة للمعرفة العلمية بموضوع المعرفة. فإذا كان الإنسان قد استطاع منذ قرون فك ألغاز الطبيعة، وتفسير نظمها وحتمياتها وقوانينها اعتمادا على قدراته العقلية وحواسه التجريبية، فإن هذا الإنسان باستطاعته كذلك أن يسلك نفس الخطوات المنهجية في دراسة ذاته، ويحقق نفس النتائج العلمية والموضوعية بعيدا عن تدخل الذات العارفة. إلا أن هذا النقاش سرعان ما اتسع نطاقه اليوم، ليطرح أهمية الذكاء الاصطناعي في تمكين العلوم الإنسانية من تجاوز أزمتها المنهجية، والتي ازدادت حدة بعد تحول الإنسان نفسه إلى موضوع للمعرفة، وما فرضه من ضرورة استلهام النموذج الناجح في العلوم الحقة، والبحث عن السبل المتاحة أمام إمكانية الوصول إلى معرفة موضوعية بذات الإنسان، سواء كانت تلك المعرفة قائمة على نهج العلوم الطبيعية أم على مبتكراتها المنهجية الخاصة التي يمكن أن تميزها في ذاتيتها وشموليتها، وتعكس علميتها.

2 الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية: بين التفسير الوضعي السببي والفهم التأويلي

سعت العلوم الإنسانية منذ استقلالها عن التأملات الفلسفية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي إلى إنتاج معرفة علمية موضوعية، تتسم بالدقة العلمية والصرامة المنهجية على غرار نظيرتها في العلوم التجريبية. فإذا كانت هذه الأخيرة قد حققت نتائج كبيرة في مجال موضعة الظواهر الطبيعية، واستطاعت تفسير حقائقها تفسرا سببيا، والكشف عن قوانينها اعتمادا على قواعد المنهج التجريبي، وبالتالي تحقيق ثورة علمية

كبيرة في المفهوم والمنهج والنظرية، فإن طموح العلوم الإنسانية نحو الاقتداء بالعلوم التجريبية في تفسير الظواهر الإنسانية تفسيرا سببيا، أثار نقاشا علميا بين رواد هذه العلوم.

الجدول رقم 02: توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في إنتاج معرفة موضوعية للظواهر الإنسانية

المتغير	التفسير الوضعي	الفهم التأويلي	التفسير والفهم
العدد	45	35	40
النسبة	%37.50	%29.16	%33.40

المصدر: العربي عكروش، 2025، نتائج البحث الميداني

تبين المعطيات الواردة في الجدول رقم 02، أن نسبة 37.50% من المستجوبين يرون في الذكاء الاصطناعي وسيلة مهمة في ضمان تفسير الظواهر الإنسانية كوقائع اجتماعية، وكمواضيع مستقلة عن الذات الإنسانية، مما يجعل العلوم الإنسانية قادرة على حل الصعوبات المطروحة أمامها على على مستوى موضعة الظاهرة الإنسانية، وعلى مستوى المنهج الملائم لموضوعها والنموذج الذي يصلح للاختبار عليها. وفي المقابل، تتبنى نسبة 29.16% من المبحوثين موقفا مغايرا للطرح الأول، إذ يؤكدون أن قدرة العلوم الإنسانية على بناء معرفة موضوعية وعلمية بالظواهر الإنسانية أمر صعب جدا، حتى في الحالة التي يتم فيها توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي، لهذا يبقى الخيار المناسب لتجاوز إشكالية موضعة الظواهر وتفسيرها سببيا، هو الاكتفاء بفهم الفعل الإنساني وتأويله. أما نسبة 33.40% من أفراد العينة، فيتجهون نحو الإقرار بقدرة العلوم الإنسانية في الجمع بين التفسير الوضعي السببي والفهم التأويلي، وذلك من خلال الاستخدام الواسع لتطبيقات الذكاء الاصطناعي، والتي ستمكن العلوم الانسانية من الجمع بين النموذج العلمي التجريبي الدقيق للعلوم الطبيعية، وبين الحفاظ على ما يميز خصوصية الظواهر الإنسانية.

يعبر تصنيف الآراء الواردة في الجدول رقم 2 حول الاتجاهات السائدة في مجال العلوم الإنسانية، بين الاتجاه الأول يتمسك بإمكانية إخضاع الظاهرة الإنسانية للتجربة على غرار الظاهرة الطبيعية، ودراستها بشكل موضوعي بعيدا عن تدخل الذات العارفة، كما هو الحال بالنسبة لإميل دوركايم الذي يعتبر أن الظواهر الاجتماعية مثل الانتحار، الجريمة، الشعائر والطقوس الدينية، التقسيم الاجتماعي للعمل، النظام

النقدي، تعطل المعايير الأخلاقية، الروح الجمعية، الاحتفالات، التعليم، طواهر اجتماعية، يمكن دراستها كأشياء خارجية وكوقائع مستقلة عن الذات العارفة، وإخضاعها لنفس الخطوات التي تدرس بها الظواهر الطبيعية، وضمان الحياد العلمي عن طريق اتباع قواعد الملاحظة والفرضية والتجربة والقانون. وفي المقابل، يقر الاتجاه الثاني باستعصاء تطبيق شروط المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الإنسانية نظرا لما يميز هذه الظواهر من خصائص بالمقارنة مع الظواهر الطبيعية، والتي تعيق مساعي الباحث في التحرر من الأحكام الذاتية (Comte, A.، 1842, p98.)، والأفكار السابقة، ومن تم ضرورة الاكتفاء بفهم هذه الظواهر كأفعال نابعة من عمق الذات الإنسانية عن طريق التأمل والاستبطان، فكما يؤكد جان بياجيه، فسعي العلوم الإنسانية نحو الالتزام بمعايير الموضوعية العليمة، يواجه تحديا جوهريا يتمثل في تداخل الذات والموضوع، حيث يكون الباحث (الذات) جزءًا من الظاهرة التي يدرسها (الموضوع). هذا التداخل يجعل تحقيق الموضوعية الكاملة أمرًا شديد الصعوبة، بل إن عملية البحث ذاتها قد تؤثر على الظاهرة المدروسة وتُحدث تغييرات في طبيعتها، مما يُفقدها حياديتها كمادة للبحث العلمي. وبين الاتجاهين، برز اتجاه ثالث، حاول التوفيق بينهما من خلال الدعوة إلى الجمع بين المنهجين التفسيري والفهمي، والتأكيد على أن " هذا الوضع يحتم على العلوم الإنسانية تطوير منهجيات خاصة تأخذ في الاعتبار هذه الديناميكية التفاعلية بين الذات والموضوع، وتقر بأن المعرفة الإنسانية هي دائماً معرفة مرتبطة بموقع الباحث وخياراته النظرية (Piaget, J.، 1970, p. 45)".

3 مجالات توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية

وظف الطلبة الأساتذة بالفرع الإقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة العديد من تطبيقات الذكاء الاصطناعي لمعالجة مختلف القضايا الإشكالية المتضمنة في البحوث التدخلية التي أنجزوها حول الظواهر التربوية والاجتماعية التي استأثرت باهتمامهم أثناء التداريب الميدانية بالمؤسسات التعليمية بالسلكين الابتدائي والإعدادي خلال الموسم التكويني 2024-2025. وقد مكنتهم هذه التطبيقات من المعالجة السريعة والدقيقة للمعطيات الميدانية التي جمعوها، وتحليل البيانات الإحصائية المرتبطة بها بشكل موضوعي، وتفسير العلاقات السببية القائمة بين هذه الظواهر وبنية نظام التربية والتكوين بالمغرب، والرفع من مستويات بناء القوانين العلمية الخاصة بها، والتي ستيسر إمكانات التنبؤ والتعميم والتحيين والتعديل

بعيدا عن تدخل الذات العارفة، واستثمار هذه الإمكانات في صياغة قواعد علمية، ونصوص معرفية صالحة للاعتماد في تفسير ظواهر مشابهة ومماثلة، "وتحليل البيانات مخصصة للطلاب والأساتذة، وتحديد كيفية عمل الذكاء الاصطناعي على تحسين جودة البحث العلمي، من خلال تسريع عمليات التحليل والتفسير للبيانات الكبيرة ودعم الباحثين في اتخاذ قرارات مستنيرة" (مريم جنان،، 2025، ص 114).

الجدول رقم 03: مجالات توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراسة الظواهر التربوية

المتغير	معالجة المعطيات	تحسين التنبؤ	مراجعة الدراسات السابقة	صياغة النصوص	تفسير العلاقات
العدد	31	13	22	28	26
النسبة	25.83%	10.83%	19.16%	23.33%	21.66%

المصدر: العربي عكروش، 2025، نتائج البحث الميداني

تبين المعطيات الواردة في الجدول رقم 03، أن الطلبة الأساتذة بالفرع الإقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة، استخدموا تطبيقات الذكاء الاصطناعي لدراسة الظواهر التربوية التي اشتغلوا عليها في بحوثهم التدخلية، لتحقيق مجموعة من المعايير المنهجية التي تستوجبها شروط الموضوعية العلمية. فقد وظف نسبة 25.28% من الطلبة الأساتذة تطبيقات الذكاء الاصطناعي للرفع من درجة معالجة المعطيات الميدانية، وتحليل القوانين المفسرة لها، والكشف عن البناء النظري المتحكم فيها، بينما استعملت نسبة 10.83% من هؤلاء الطلبة هذه التطبيقات لتسهيل مأموريتهم في التنبؤ العلمي بمسار الظواهر التربوية في الواقع المدرسي المغربي، أما نسبة19.16% من هؤلاء الطلبة، فلجأت لهذا التطبيقات لتوفير أدوات منهجية موثوق بها لمعالجة الدراسات السابقة، واستثمار معطيات في تحليل الظواهر الجديدة، وتحليل مضامين النصوص والمقالات العلمية لاستخلاص منها ما يمكن أن يفيد أبحاثهم، وتحديد المصادر ذات الصلة التي يمكن الاعتماد والاقتباس منها. وفي المقابل، بررت نسبة 23.33% من الطلبة استخدام تطبيقات الذكية برغبتهم في صياغة النتائج التي توصلوا إليها من خلال بحوثهم الميدانية على شكل نصوص علمية، وتصحيح الأخطاء الواردة فيها، وترجمة بعض الاقتباسات المنشورة باللغات الأجنبية، وتوثيق مصادرها. وعلى العكس

من ذلك، تنظر نسبة 21.66% من هؤلاء الطلبة إلى هذه التطبيقات كوسائل الرقي بكفاياتهم العلمية في تفسير مختلف العلاقات السببية بين الظواهر التربوية المماثلة.

عبر الطلبة الأساتذة عن قدرة تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تمكين الباحثين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية من توسيع هامش توظيف النموذج التجريبي للعلوم الطبيعية في دراسة الظواهر التربوية بشكل موضوعي بعيدا عن الانحياز المعرفي، والحكم الذاتي، وفي نفس الوقت، تعزيز كفاءة الباحثين في الالتزام بالنزاهة العلمية، ووضع مسافة فاصلة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة. فما يمكن استخلاصه من خلال تجارب أفراد العينة، هو التأكيد على أن توظيف التطبيقات الرقمية والأدوات التكنولوجية، يعزز فرص التكامل والتعاون بين الذكاء الاصطناعي والعقل البشري بدل الصراع والتنافس بينهما، مما ساهم في إحداث ثورة علمية في مجال العلوم الإنسانية، مست مختلف جوانب اشتغال هذه العلوم، خاصة ما يتعلق بالمفهوم والمنهج والمعرفة.

4 محطات استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي

شكلت لحظة اكتشاف الذكاء الاصطناعي منعطفا حاسما في مسار البحث العلمي في مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية والأدبية والفنية، فقد أحدثت مختلف تطبيقات الذكاء الاصطناعي المرتبطة بالابتكارات التكنولوجية ثورة علمية كبيرة في مجالات مناهج البحث العلمي، وعلمية النظريات العلمية، وصدق القوانين العلمية، وموضوعية نتائج الدراسات العلمية، الشيء الذي يتيح ربط التحول الجذري الذي شهدته مختلف العلوم في الوقت الراهن بما يوفره الذكاء الاصطناعي من فرص كبيرة لتعزيز موضوعية الإنجازات العلمية، وإغناء اشتغال العقل البشري بأدوات معرفية جديدة، وتقنيات منهجية صارمة، ترفع من جودة البحث العلمي، وتصقل كفاءات الباحث، وتزيد من ثقة ودقة مختلف المحطات البحثية، قبل وأثناء وبعد إنجاز الدراسة، مما يهيئ الشروط لاستمرار النظريات العلمية على أساس التراكم لا الانفصال، ويوسع ميادين الكشف عن ابتكارات ونظريات جديدة جديدة.

الجدول رقم 04: الفترات الزمنية لاستخدام تطبيقات الكاء الاصطناعي في دراسة الظواهر التربوية

المتغير	قبل إنجاز البحث	أثناء إنجاز البحث	بعد إنجاز البحث
العدد	32	68	20
النسبة	%26.66	%56.66	%16.68

المصدر: العربي عكروش، 2025، نتائج البحث الميداني

تعد العلوم الإنسانية من أهم أصناف العلوم التي توظف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراساتها المختلفة خلال المحطات الزمنية الثلاث، بحيث لم يعد البحث العلمي المستند إلى هذه التطبيقات اليوم استثناءً. فمن خلال المعطيات الواردة في الجدول رقم 4، يتضح أن 26.66% من الطلبة الأساتذة بالفرع الإقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة، وظفوا تطبيقات الذكاء الاصطناعي قبل الشروع في إنجاز بحوثهم التدخلية، خاصة ما يتعلق بانتقاء الموضوع، وتحديد الدراسات السابقة، بينما تستخدم نسبة 56.66% من هؤلاء الطلبة تطبيقات الذكاء الاصطناعي أثناء إنجاز البحث من البناء انطلاقا من البناء المنهجي، ومرورا بالبناء النظري، ووصولا إلى البناء الميداني. وفي المقابل، صرحت نسبة 16.68% من المبحوثين أن استعانتهم بتطبيقات الذكاء الاصطناعي حاضرة بشكل كبير بعد انتهائهم من إنجاز بحوثهم.

تحولت تطبيقات الذكاء الاصطناعي إلى أداة مساعدة، تيسر عمل الباحثين في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، وتضفي عليها الموضوعية العلمية، وتساهم في تطوير النظريات العلمية خلال المحطات الزمنية الثلاث. فخلال محطة ما قبل الشروع في البحث، يمكن لتطبيقات الذكاء الاصطناعي مساعدة الباحث في مجال العلوم الإنسانية على تحليل البيانات الضخمة لاستنتاج الاتجاهات والأنماط الاجتماعية التي تستأثر باهتمام البحث العلمي، وتحديد المجالات البحثية الجديدة والواعدة بناءً على دراسة النظريات والدراسات القائمة. أما خلال محطة إنجاز البحث، فإن الباحث يلجأ لاستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي للقيام بالملاحظة المباشرة للظاهرة، وصياغة الفرضيات كتفسيرات أولية لها، وتوفير الشروط العلمية لإجراء التجارب بشكل موضوعي، واستنتاج النتائج المفسرة لها كقوانين قابلة للتعميم على ظواهر مشابهة. كما يمكن الذكاء الاصطناعي في هذه المرحلة، الباحث من الرفع من قدراته على معالجة البيانات النظرية والميدانية بشكل سريع، وذلك باستخدام تقنيات تكنولوجية ومنصات رقمية متطورة، ومشهود لها بصدقها وموثوقيتها، لغرض الكشف عن العلاقات السببية المفسرة لها، واستثمار النتائج المتوصل إليها لتطوير

النظريات العلمية القائمة. دون إغفال أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مساعدتها للباحث على المعالجة السريعة والدقيقة للمعطيات والمعلومات الضخمة، تمكنه في نفس القت من الاقتصاد في الوقت والجهد. وبالانتقال إلى مرحلة ما بعد إنجاز البحث، فإن الدور الجوهري لتطبيقات الذكاء الاصطناعي مستمر، بحيث يوظف الباحثون هذه التطبيقات لتطوير الدراسات العلمية، وتحسين جودة نظرياتها ومناهجها ومفاهيمها، واستثمار مكامن زيفها وعجزها لمواصلة البحث العلمي للكشف عن أخطائها، وتصحيح نتائجها لضمان استمرار التراكم العلمي الموثوق في البحث في قضايا جديدة، كما أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يسهم في تطوير منصات نشر أكاديمي ذكية، تقترح أبحاثا ومواضيع جديدة بناء على اهتمامات الباحثين (ياحي عبد المالك و ديلمي راوية، 2024، ص 304.).

5 علاقة الذكاء الاصطناعي بالذات العارفة في العلوم الإنسانية: بين التشكيك واليقين

تحولت تطبيقات الذكاء الاصطناعي اليوم إلى حقيقة واقعية يتعايش معها الباحثون في مختلف التخصصات العلمية، والدراسات الأكاديمية، ويوظفونها في بحوثهم وأعمالهم بشكل مباشر أو غير مباشر، ويستنجدون بها بشكل كلي أو جزئي. وتزداد هذه الأهمية حينما يتعلق الأمر بالعلوم الإنسانية التي لا زالت تعيش على إيقاع نقاش علمي مفتوح حول حدود وشروط تحقيق الموضوعية العلمية في أعمالها بالمقارنة مع نظيرتها في العلوم الطبيعية.

الجدول رقم 05: حدود علاقة تطبيقات الذكاء الاصطناعي بذات الباحث في دراسة الظواهر التربوية

المتغير	التكامل	التعويض	الضرورة	اليقين
العدد	33	11	26	30
النسبة	%27.50	%09.16	%21.66	%25.00

المصدر: العربي عكروش، 2025، نتائج البحث الميداني

أثار الطلبة الأساتذة بالفرع الإقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة، موضوعا لا يقل أهمية عن موضوع علمية النظريات العلمية في الدراسات الإنسانية، يتعلق الأمر بحدود ومجالات طبيعة

العلاقة القائمة بين الذات العارفة وتوظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال البحث العلمي، فمن خلال المعطيات الواردة في الجدول رقم 3، تؤكد نسبة 27.50% من هؤلاء الطلبة، أن العلاقة القائمة بين الذات العارفة والذكاء الاصطناعي في مجال العلوم الإنسانية قائمة على التكامل والتعاضد، بينما صرحت نسبة 09.16% من المبحوثين أن الذكاء الاصطناعي باستطاعته أن يعوض ذات البحاث في العديد من الحالات التي تخص مراحل جمع المعطيات وفرزها وتحليلها وتفسيرها، أما نسبة 21.66% منهم، فيؤكدون أن الاستعانة بتطبيقات الذكاء الاصطناعي اختيار ضروري، تفرض طبيعة الظواهر الإنسانية، وخصائصها المميزة لها بالمقارنة مع الظواهر الطبيعية، مما يجعل رهان الحكم بيقينية النتائج العلمية في العلوم الإنسانية، تجذب ما يقارب 25.00% من أفراد العينة نحو الاستخدام الواسع لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في أبحاثهم.

أيقظ موضوع علاقة الذات العارفة بتطبيقات الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية السؤال المركزي الخاصة بقدرة هذه العلوم على إبداع حلول ناجعة لمشكلتها المنهجية المتعلقة بقدرتها على تحقيقِ الموضوعيةِ في دراسةِ الظواهرِ الاجتماعية والنفسية والتربوية والاقتصادية والتاريخية. وبغض النظر عن طبيعة ونوعية هذه العلاقة، فإن النجاح الكبير الذي بلغته المناهج التجريبية الموظفة في العلوم الطبيعية، يستنفر الباحثين في العلوم الإنسانية على بذل المزيد من الجهود الكفيلة بضمان شروط الصرامة العلمية، والدقة المنهجية، وتفادي تأثير تداخلِ الذات الباحثة مع الموضوعِ المدروس على مسار الكشف عن الحقيقة العلمية بشكل موضوعي.

6 التحديات الأخلاقية لتوظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العلوم الإنسانية

استفادت العلوم الإنسانية في الوقت الحالي من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تقريب المسافة الفاصلة بينها وبين العلوم الطبيعية في ما يخص بناء المعرفة الموضوعية أثناء البحث عن حقائق الظواهر الإنسانية. فإذا كانت العلوم الطبيعية، كالكيمياء والفيزياء والبيولوجيا قد نجحت نسبيا في تحقيق نعرفة موضوعية بشكل مبكر من خلال نموذجها العلمي الذي مكنها من ترسيخ أسس الحياد العلمي في دراسة الظواهر الطبيعية من خلال توظيف قواعد المنهج التجريبي الصارم، القائم على الملاحظة المحايدة والقياس الكمي وتكرار النتائج في المختبر، والفصل بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، فإن الصعوبات المعرفية والمنهجية المطروحة أما الباحثين أثناء دراسة الإنسان كظاهرة علمية، يعطي المشروعية للجوء إلى تطبيقات

الذكاء الاصطناعي لتجاوز الإشكالات الابيستمولوجية والمفاهيمية والعلمية التي تحد من فعالية المناهج المطبقة في دراسة الظواهر الإنسانية (Kant, E , ، p121,2006.)، وإيجاد حلول ممكنة لمختلف التعقيدات التي تخلفها الخصائص التي تميز هذه الظواهر كظواهر واعية وداخلية ونسبية ومتغيرة وتاريخية.

الجدول رقم 06: مجالات توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراسة الظواهر الإنسانية

المتغير	النزاهة الأخلاقية	الشفافية العلمية	الاعتمادية	الأمانة العلمية
العدد	25	19	35	21
النسبة	%20.83	%15.83	%29.16	%17.50

المصدر: العربي عكروش، 2025، نتائج البحث الميداني

صرح الطلبة الأساتذة بالفرع الإقليمي للمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالصويرة أن تجاربهم الميدانية في دراسة الظواهر التربوية باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي، لا تخلو من تحديات أخلاقية ومعرفية وتقنية، عبروا عنها على شكل مخاوف شخصية وجماعية أثناء مناقشة هذه البحوث. فرغم أن توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراسة الظواهر التربوية بشكل خاص، والظواهر الإنسانية بشكل عام، مكن البحث العلمي في العلوم الإنسانية من التخفيف من حدة الصعوبات التي تواجه سؤال الموضوعية في هذه العلوم، ومواصلة بناء وحدتها المعرفية، وخصوصيتها المنهجية في سياق علمي يفرض الاستمرار في الاقتداء بالنموذج التجريبي للعلوم الطبيعية، إلا أن هذا القيمة المضافة التي تجنيها العلوم الإنسانية في الاستعانة بتطبيقات الذكاء الاصطناعي، لم تحل دون بروز تحديات كبرى، تواجه مستقبل البحث العلمي في هذه التخصصات. فقد عبرت نسبة 20.83% من الطلبة الأساتذة عن توجسهم الكبير من فقدان معايير النزاهة الأخلاقية في بناء النظريات العلمية في مجال الدراسات الإنسانية، مما سيؤثر على مدى قدرة الباحث على احترام الخصوصية التي تميز العلوم الإنسانية، والالتزام بعدم الانحياز الإيديولوجي، بينما أكدت نسبة 15.83% من أفراد العينة أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي تحولت إلى عامل تهديد لشرط الشفافية العلمية في بلورة القوانين العلمية المفسرة للظواهر الإنسانية، "مما يجعل المختصون يسعون إلى ضمان شفافية استخدام الذكاء الاصطناعي في الكتابة والنشر العلمي بما لا يلغي دور الباحث" (منتظر جهاد، بدون سنة، 121) . أما نسبة 29.16% من هؤلاء الطلبة، فقد أقاموا علاقة وثيقة بين اتساع نطاق استخدام تطبيقات

الذكاء الاصطناعي وبين ارتفاع مستويات اعتمادية الباحثين على هذه التطبيقات في بحوثهم من نقطة البداية إلى نقطة النهاية، وفي المقابل، عبرت نسبة 17.50% من المبحوثين عن خوفهم من فقدان شرط الأمانة العلمية في الدراسات الإنسانية جراء الاستخدام المفرط لتطبيقات الذكاء الاصطناعي، خصوصا مع العلم أن "الجديد في حياة الإنسان يثير دائمًا الإعجاب بقدر ما يثير المخاوف المشروعة، وهذا تمامًا ما يحدث اليوم مع الطلاب والباحثين الذين يستخدمون الذكاء الاصطناعي في أبحاثهم ودراساتهم، والذين يرون أن في هذا الأمر خطرًا على التفكير؛ لأنه يُغري بالاعتماد على إجابات جاهزة، ويُسهّل الانتحال، ويؤدي إلى تراجع مهارات أساسية مثل البحث والتحليل والتدوين" (المصطفى حميمو، 2025، ص 1.).

مكنت هذه الدراسة حول دور الذكاء الاصطناعي في الإجابة على سؤال الموضوعية في العلوم الإنسانية من خلال استمرار اقتداء هذه العلوم بالنموذج التجريبي، بالموازاة مع سعيها لحماية الخصوصية المنهجية الخاصة بها. غير أن هذه القيمة الكبرى لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في ميدان الدراسات الإنسانية، وفي ظل اتساع نطاق استخدام هذه التطبيقات بين الباحثين، لم تمنع من إعادة التساؤل عن مدى معرفة هؤلاء الباحثين بفوائد الذكاء الاصطناعي، ومجالات استخدامه، وكذا مراعاة الشروط الأخلاقية والعلمية لتوظيفه، ومدى صوابية القول بأن جميع المستجوبين لهم دراية مسبقة بمنافع ومخاطر استخدام الذكاء الاصطناعي على كفاءاتهم العلمية، وجودة إنجازاتهم البحثية، في ظرفية تتميز بأن أغلب الباحثين يوظفون أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث عن المراجع والمصادر، وجمع المعلومات والبيانات، وفي تحسين مستويات التدقيق اللغوي، وفي تنويع طرق وتقنيات صياغة النصوص العلمية، وترجمتها وتحريرها. غير أن توجه الباحثين نحو الاستعانة بتطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراساتهم، لا يكتسي دائما الطابع الإيجابي، بحيث يمكن لهذه التطبيقات الحد من مستويات إبداع العقل البشري، وتحويله إلى عنصر آلي وميكانيكي، تابع ومنفذ لأوامر الذكاء الاصطناعي في زمن يعرف استمرار تأثر الباحثين "بعدم مجانية بعض أدوات الذكاء الاصطناعي، وعدم توفر الخبرة والمهارة الكافيتين لديهم لاستعمالها. لذلك يدعون إلى تقنين استخدامها بما يحترم الأمانة العلمية، ويعبرون عن رغبتهم في الاستفادة من تكوينات أكاديمية متخصصة في استخدامات أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي" (حسن بدوح ونادية متروف، شتنبر 2024، ص 23.).

خاتمة:

مكنت تطبيقات الذكاء الاصطناعي العلوم الإنسانية من تجاوز مختلف الإشكالات الابستيمولوجية المتعلقة بوحدة المنهج والموضوع والمفهوم والحياد العلمي، وذلك من خلال تمكين هذه العلوم من حل المشكلات المنهجية التي تطرحها دراسة الظواهر الإنسانية، والعمل على اتخاذ قرارات التفسير السببي اعتماد على خطوات المنهج التجريبي بأسلوب منطقي وعلمي دقيق، يوازي نظيره المطبق في العلوم التجريبة، ويعيد النظر في خصائص التفكير العلمي في الإنسان والمجتمع بعيدا عن تأثير الباحث بالبنيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والاعتقادية السائدة. فتطبيقات الذكاء الاصطناعي ستعمل على تعزيز مكانة العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتساهم في الرفع من وتيرة سيرها نحو تحقيق رهان الموضوعية العلمية، وستفتح أمام المعرفة الحالية آفاق لانهائية لفهم الذات الإنسانية، وتشكيل مستويات متعددة ومتنوعة لتقليص الهوة الفاصلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وتعيد إحياء تلك الوحدة المعرفية والمنهجية التي ميزت العلاقة الإنسان والطبيعية في مرحلة التأملات الفلسفية التي سعت دائما بالإضافة الى حماية الترابط بين مختلف العلوم في بحثها عن فهم أعمق لسلوك البشر والمجتمعات والطبيعة. فالذكاء الاصطناعي إن تم استعماله بشكل معقلن وعلمي، سيؤثر بالإيجاب على مستقبل الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وسيضمن لها تحقيق حدود دنيا من الجودة المعرفية والدقة المنهجية والموضوعية العلمية. غير أن هذه المساهمة الإيجابية للذكاء الاصطناعي في تطوير مناهج العلوم الإنسانية نحو ربح رهان موضعة الظاهرة الإنسانية، لم يحل دون التعبير عن مخاوف عديدة بخصوص مستقبل البحث العلمي في الظواهر الإنسانية في سياق خاص، يعرف اتساع مجالات توظيف مختلف تطبيقات الذكاء الاصطناعي دون مراعاة للشروط العلمية والقانونية والأخلاقية التي تنظم نطاق علاقة الذكاء الصناعي بالذكاء البشري في مجالات الإبداع والبحث العلميين في العلوم الإنسانية، وتحدد حدود ومسارات تطور هذه العلاقة في المجالات الاجتماعية والإنسانية التي حافظت على تميزها المنهجي والمعرفي والموضوعي خلال فترات زمنية سبقت مرحلة الإدماج التكنولوجي لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية. وعموما، يمكن القول بأن الجدال الذي أثاره توظيف الذكاء الاصطناعي في مجال الدراسات الإنسانية، حول مسألة الموضوعية العلمية إلى إشكال مركزي في المعرفة الإنسانية، تتجدد يوميا بقدر ما تتجدد الأسئلة المعرفية والشروط الأخلاقية والمعايير المنهجية التي تبين أهمية مساءلة هذه العلوم حول إمكانية قولبة الإنسان كظاهرة علمية في قوالب موضوعية صارمة.

قائمة المراجع:

- أبو زيد, أحمد، 2021، "الذكاء الاصطناعي و دوره في البحث العلمي." مجلة العلوم الحديثة, العدد 3؛
- أنس المستقل وخديجة العاج، 2025، تأثير الذكاء الاصطناعي على جودة البحث العلمي، مجلة المقالات الدولية، العدد 5؛
- الجابري, خالد، 2020، "تأثير الذكاء الاصطناعي على تحليل البيانات." المجلة العربية للبحث العلمي, المجلد 10, العدد 5؛
- حسن بدوح ونادية متروف، 2024، استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي بالجامعات المغربية الواقع والتحديات والآفاق، مجلة عطاء للدراسات والأبحاث؛
- الحسن, يوسف، 2019، "استخدام تقنيات التعلم الالي في البحوث الأكاديمية." المجلة العربية للتكنولوجيا والابتكار, العدد 7؛
- زيدان, علي، 2022، "دور الذكاء الاصطناعي في تحسين جودة الأبحاث العلمية." مجلة التكنولوجيا و البحث العلمي, المجلد 6, العدد 3؛

1. العبيدي, محمد2020،. "أدوات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي." المجلة العربية للعلوم و التكنولوجيا, المجلد12, العدد1؛
2. العلي, عبد الله.2021، "التحيزات في خوارزميات الذكاء الاصطناعي و كيفية معالجتها." مجلة الدراسات المعلوماتية, العدد 8؛
3. محمد عيد أسعد فايز، بدون سنة، مدخل إلى علم الاجتماع، دراسة نظرية في فهم المجتمع، منشورات دار الفيصل؛
4. مريم جنان،2025، توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر، مجلة مؤشرات للدراسات الاستطلاعية، المركز الديمقراطي العربي، المجلد 3عدد 13، أبريل 2025؛
5. المصطفى حميمو، الذكاء الاصطناعي والبحث العلمي، الجريدة الإلكترونية هيسبريس، الجمعة 11 يوليوز 2025 - 17:15؛
6. منتظر جهاد، الاستخدام الأخلاقي للذكاء الاصطناعي في الكتابة والنشر العلمي، مركز البيان للدراسات والتخطيط، https://www.bayancenter.org؛
7. الويز محمد، 2017، أوليات المنهج السوسيولوجي، منشورات قضاء آدم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مراكش؛

8. ياحي عبد المالك و ديلمي راوية،2024، آفاق الذكاء الاصطناعي في النشر الأكاديمي وتحليل البحوث العلمية، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، المجلد 9، العدد2.

9. Abdullah, S.2021 ; " The Role of AI in Predictive Analytics in Research. " International Journal of Artificiel Intelligence Research, Vol. 14, No. 2.
10. Ahmed, M. 2020, "Exploring Data Analysis with TensorFlow : A Practical Guide. " Journal of Machine Learning and AI, Vol.11, issue 5.
11. Bachelard, G, 1934, Le Nouvel Esprit Scientifique, Paris,PUF.
12. Baker, J. 2019, " Automating Data Analysis with AutoML : The Futur of AI Research. " Journal of Computing Research, Vol.9, Issue7.
13. Brown, K. 2018, " Using Mendeley for Organizing Research Refrences : A Practical Approach. " Académie Journal of Research Méthodologie, Vol. 6, issue 3.
14. Comte, A, 1842, Cours de philosophie positive, Paris, Hermann..
15. Durkheim, É, 1897, Le suicide : étude de sociologie, Presses Universitaires de France.
16. Michel Andrée, 1970, la sociologie de la famille, Paris : La Haye, Mouton.
17. Piaget, J, 1970, Épistémologie des sciences de l'homme, Éditions Gallimard. .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Integration of Knowledge in Scientific Research at the Algerian University

Fatima Aloui
Faculty of Law and Political Science, Tahri Mohamed University of Bechar, Bechar, Algeria.
aloui.fatima@univ-bechar.dz

Abstract:

Knowledge integration is a modern approach adopted by Algerian universities to address complex scientific issues through multidisciplinary research and collaborative projects in areas like environment, health, renewable energy, and biotechnology. However, its implementation faces obstacles such as the dominance of traditional disciplines, weak coordination between faculties, and limited training in interdisciplinary research. Thus, while present institutionally and theoretically, it has not yet achieved deep practical impact.

Keywords: Integration of Knowledge; Interdisciplinary Research; Algerian University; Theoretical Foundations; Applied Methodologies.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

تكامل المعرفة في البحث العلمي بالجامعة الجزائرية

علوي فاطمة

كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة طاهري محمد ، بشار، الجزائر، العربية إلى الانجليزي
aloui.fatima@univ-bechar.dz

ملخص:

يعد تكامل المعرفة من المقاربات الحديثة تطبقها الجامعات على نطاق واسع في العالم الإسلامي والغربي، على حد سواء، وقد تبنت الجامعة الجزائرية تكامل المعرفة في مجال البحث العلمي، خاصة في ظل تعقّد الإشكالات العلمية المعاصرة التي لم يعد من الممكن معالجتها بمنظور تخصصي ضيّق، وقد تجسّد هذا التوجّه من خلال إنشاء مخابر بحث متعددة التخصصات، وتشجيع المشاريع البحثية الجماعية التي تجمع بين مجالات معرفية مختلفة، لا سيما في ميادين البيئة، الصحة، الطاقات المتجددة، والتكنولوجيا الحيوية.

غير أنّ تطبيق تكامل المعرفة في الجامعة الجزائرية ما يزال يعاني من بعض العراقيل، أبرزها هيمنة المقاربة التخصصية التقليدية، وضعف التنسيق الفعلي بين الكليات والتخصصات، إضافة إلى محدودية التكوين المنهجي في البحث البيني وعليه، يمكن القول إن تكامل المعرفة حاضر على المستوى المؤسسي والنظري، لكنه لم يبلغ بعد مستوى الممارسة المنهجية العميقة القادرة على إحداث أثر علمي وتنموي فعّال.

الكلمات المفتاحية: تكامل المعرفة، البحث البيني، الجامعة الجزائرية، الأسس النظرية، المناهج التطبيقية.

مقدمة:

يعتبر تكامل المعرفة مشروع فكري معاصر نسبيا، ظهر في سبعينيات القرن الماضي بتسمية: أسلمة المعرفة ، كان يهدف ولا يزال إلى مراجعة المناهج الغربية، التي يغلب عليها طابع الفلسفة الغربية المادية، فهي لا تناسب الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات الإسلامية.

اتخذ مشروع أسلمة المعرفة تسمية جديدة بالنظر للانتقادات الموجهة للتسمية الأولى وهي تكامل المعرفة، وهكذا انتقل هذا المشروع إلى مرحلة التنظيم المؤسسي الأكاديمي، وقد واجه تحديات التطبيق والتجديد ولايزال المشروع مفتوح على التطوير والنقد في ظل التحولات المعرفية المتسارعة، وقد تلقى هذا المشروع قبول وصدى في عدة دول منها الجزائر عموما والجامعة الجزائرية خصوصا.

هل وفقت الجامعة الجزائرية في تطبيق تكامل المعرفة وماهي الأليات العلمية والعملية لتكريسه بما يساهم في الارتقاء بجودة البحث العلميوتحقيق أهداف مقاربة تكامل المعرفة؟

من أجل الإجابة على الإشكالية اعتمدنا المنهج الوصفي للتعريف بتكامل المعرفة وتتبع نشأتها وتطورها، حتى تتبين أهمية تطبيقها خاصة في المجتمعات الإسلامية، والمنهج التحليلي من أجل تقييم تطبيق تكامل المعرفة وعرض مظاهر التطبيق ومايعتريها من نقائص وماتحتاجه من آليات من أجل التطبيق الفعلي في البحث الأكاديمي.

تكمن أهمية تطبيق تكامل المعرفة في الجامعة في كونه يساعد على الانتقال من الحفظ إلى الفهم، ومن التفكير البسيط إلى التفكير التحليلي والنقدي. كما يساهم في تحسين جودة البحث العلمي، وربط الدراسة بالواقع العملي، وإعداد الطالب لسوق العمل. إضافة إلى ذلك، فإن تكامل المعرفة يشجع الإبداع والابتكار ويجعل التعليم الجامعي أكثر فعالية وشمولية.

لهذا نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى ادراك كيفية نقله بمفهومه النظري إلى تطبيقه وممارسته في الواقع العملي، تحقق الفهم العميق للقيم مع مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية العالمية من أجل تخريج متخصصين ذوي كفاءة أخلاقية وعلمية عالية.

وعليه، تتحدد الإشكالية المركزية لهذا البحث في التساؤل الآتي:

هل وفقت الجامعة الجزائرية في تطبيق تكامل المعرفة ، وماهي الآليات العلمية والعملية لتكريسه بما يسهم في الارتقاء بجودة البحث العلمي؟

لكي نجيب على الإشكالية المطروحة سنخصص الورقة البحثية لتحديد ماهية تكامل المعرفة ثم نتبين تطبيقاته في الجامعة الجزائرية.

- **أولا: ماهية تكامل المعرفة**

يعتبر تكامل المعرفة فلسفة أو رؤية عامة تدعو إلى ربط العلوم والمعارف المختلفة بدل دراستها بشكل منفصل، إن ضبط مفهوم تكامل المعرفة يحدد لنا أهدافه ومنهج تحقيقه ومعرفة شروطه، لهذا سنحرص فيما يلي على التعريف بتكامل المعرفة بداية من نشأتها وتطورها حتى نتبين أهميتها وأهدافها.

1- تعريف تكامل المعرفة:

يُقصد بتكامل المعرفة المقاربة الإبستمولوجية والمنهجية التي تهدف إلى تجاوز التجزئة المعرفية والتخصصية الضيقة، من خلال إقامة علاقات تفاعل وتكامل وظيفي ومنهجي بين مختلف الحقول العلمية، بما يسمح بإنتاج معرفة مركّبة وشاملة قادرة على الإحاطة بالظواهر المعقّدة في أبعادها المتعددة.

ولا يعني ذلك إلغاء خصوصية التخصصات أو تذويبها، بل يفترض الحفاظ على استقلالها المنهجي مع تنظيم العلاقة بينها في إطار رؤية علمية موحّدة.

يُعدّ صيغة منهجية أوسع وأشمل، تهدف إلى تنظيم العلاقة بين التخصصات في نسق معرفي متناسق، يحافظ على استقلالها ويضمن في الوقت نفسه تفاعلها الوظيفي والمنهجي في الفكر الكلاسيكي، كانت المعرفة ذات طابع موسوعي وشمولي (أرسطو، ابن سينا، الفارابي، ابن رشد). ثم مع تطور العلوم الحديثة، حدث تخصّص مفرط أدى إلى تجزئة المعرفة غير أن تعقّد الظواهر المعاصرة (البيئة، التكنولوجيا، الصحة، الذكاء الاصطناعي، المجتمع...) أعاد طرح الحاجة الأبستمولوجيا إلى التكامل المعرفي، فظهر خطاب البينية والعبر تخصصية وتكامل العلوم بقوة في الفلسفة المعاصرة وأبستمولوجيا العلوم.

2 – نشأة تكامل المعرفة:

شهد العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين موجةً من التوسع الاستعماري الأوروبي، فقد خضعت أغلب الدول المسلمة لاحتلال واستنزاف ثرواتها، بحيث احتلت فرنسا دول في شمال إفريقيا وغربها

وبعض مناطق المشرق (الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا ومالي والنيجر والسنغال) ، كما عرفت بلدان أخرى السيطرة الفرنسية المباشرة أو نظام الحماية، وتعرّضت دول إسلامية أخرى للاستعمار البريطاني أو الهولندي، فتجربة الاستعمار تعتبر جزءاً من سياق عالمي أوسع أعاد تشكيل العلاقات الدولية والاقتصادية في العالم الإسلامي خلال العصر الحديث.

تذكر أن نظم التعليم في تونس والجزائر والمغرب بعد الاستقلال واجهت صعوبة في تحويل نظام تعليمي صُمّم أساسًا لدمج الطلاب في الثقافة الفرنسية، مما يوضح طبيعة التبعية التعليمية في فترة الاستعمار.

أسفر الاستعمار الفرنسي في بلدان مثل الجزائر وتونس والمغرب والسنغال عن تبعيةٍ ثقافيةٍ ومعرفيةٍ انعكست في المناهج الدراسية التي تبنّت اللغة والمرجعيات التعليمية الفرنسية لتكوين نخب مرتبطة بالإدارة الاستعمارية. وقد استمرّ أثر هذا التوجّه بعد الاستقلال، قبل أن تتجه هذه الدول تدريجياً إلى إصلاح منظوماتها التعليمية وتوطينها بما يعزّز الهوية الوطنية مع الاستفادة من الخبرة العلمية العالمية.

وهكذا ظهرت محاولات الإصلاح الفكري والمنهجي منذ الستينات والسبعينات من القرن العشرين بنشأة مفهوم إسلامية المعرفة والتي كانت استجابة لمظاهر العجز الثقافي، والجمود الفكري المسيطر على الأمة الإسلامية، نتيجة البعد عن تعاليم الدين الإسلامي، فقد ظهر مشروع إسلامية المعرفة كرد فعل للتدهور الحضاري في الواقع الإسلامي(علوي فاطمة ، 2025، ص17)،بسبب التأثير العلماني من خلال فصل الدين عن الحياة الاجتماعية عموما وهذا راجع لتصورات وسياساتواتفاقياتخارجية وعالمي(بن عريوة أمال، بن جامع صبرينة، 2021،ص 184)، فرضها منطق تبعية الدول النامية للدول المتقدمة.

فأسلمة المعرفة إذن عملية مقصودة لتوجيه المعرفة بعمومها ظهرت : ويعني معالجة العلوم القائمة والتي تكاملت في غالبها في البلدان الغربيّة، من خلال إجراء عمليّة الأسلمة لها، بهدف جعلها قابلة للتطبيق في المجتمعات الإسلاميّة.(علوي، فاطمة، 2025، ص15)، يرى رواد مشروع أسلمة المعرفة أن تحقيقه يتطلب تكوين فرق بحثية جماعية، وإصلاح المناهج الجامعية، ودعم الباحثين، وعقد المؤتمرات العلمية، وترجمة الإنتاج المعرفي؛ بما يحقق تكامل العلوم ووحدة المعرفة (رؤية المفكر المؤسس لمشروع أسلمة المعرفة :إسماعيل الفاروقي، 1982؛ أبو سليمان، 1993).

-أولا: فكرًا وسلوكًا ونظرًا وتطبيقًا، في ضوء معارف الوحي: قرآنًا وسنةً، والاجتهاد في نصوصه بما تقتضيه «النّظرة الإلهية للإنسان والسّنن والنّواميس؛ بحيث توثّق منه مصادر المعرفة وسبل الحصول عليها .
- ثانيا: وتفسّر فيه الظواهر المتعلّقة بالإنسان والنّفس والكون ثانيًا؛ لتوظّف المعرفة الناتجة بما يحقّق للمسلم عبوديته المطلقة لله، ومهمة استخلافه للأرض وعمارتها.

- ثالثًا: ولتقدّم الإنسانية المعاصرة مشروعًا حضاريًّا جديدًا لحلّ معضلاتها الفكرية والاجتماعية والأخلاقية المستعصيّة(محمد علي محمد حسن، 2019، 28) .

3 – أهمية تطبيق تكامل المعرفة في المناهج التعليم الجامعي :

شهدت عدة جامعات في العالم الإسلامي تبني فلسفة تكامل المعرفة، التي تهدف إلى الجمع بين العلوم الحديثة والقيم الإسلامية في إطار منهجي واحد. وقد بدأت هذه التجربة بشكل مؤسسي مع تأسيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سنة 1983، ثم الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا والجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، إلى جانب مؤسسات بحثية كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، من أبرز المؤسسات التي بادرت بتبني مشروع تكامل المعرفة، وقد انتشرت إلى جامعات أخرى في باكستان والسعودية والأردن والجزائر وغيرها، حيث طُبّقت مناهج متعددة التخصصات تجمع بين العلوم الشرعية والإنسانية والطبيعية، بهدف تجاوز الازدواجية المعرفية التي خلفها الاستعمار الثقافي، حيث تسعى هذه الجامعات إلى دمج العلوم الحديثة بالقيم الإسلامية وإعادة بناء المناهج التعليمية بما يحقق وحدة المعرفة ويربط بين التراث الإسلامي والعلوم الإنسانية والطبيعية، في الجدول الموالي أهم الجامعات التي بادرت بتطبيق تكامل المعرفة في مناهجها الدراسية في التعليم العالي:

ملاحظات	بداية تطبيق تكامل المعرفة	سنة التأسيس	الدولة	الجامعة
أول جامعة تعتمد فلسفة تكامل المعرفة	1983	1983	ماليزيا	International Islamic University Malaysia
برامج تجمع الشريعة والعلوم الحديثة	1980	1980	باكستان	International Islamic University Islamabad
مؤسسة بحثية لنشر تكامل المعرفة	1981	1981	الولايات المتحدة	International Institute of Islamic Thought
إدخال العلوم الحديثة بعد إصلاح الأزهر	1961	970	مصر	جامعة الأزهر
دمج العلوم الشرعية والاجتماعية	تقريبًا 1990	1974	السعودية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
برامج مشتركة بين الشريعة والعلوم	تقريبًا 1990	1981	السعودية	جامعة أم القرى

تخصصات مشتركة بين الشريعة والقانون	2008	2008	الأردن	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
تعليم إلكتروني قائم على تكامل المعرفة	2006	2006	ماليزيا	جامعة المدينة العالمية

ثانيا: العنوان الرئيسي الثاني

1 موقف الجزائر من مشروع أسلمة المعرفة أو مايسمى بتكامل المعرفة:

تميزت الجزائر بمكانتها وحضورها الملفت من خلال انخراطها في الحياة السياسية الدولية ، بحيث ناضلت من أجل نظام دولي أكثر عدل ومساواة وتبنت الكثير من قضايا دول العالم الثالث، في مجالات التنمية الحيوية و الطاقة، أضف إلى ذلك وجودا حضاريا على درجات من الوعي التاريخي وهذا ماجعلها تتبنى وتنظم تظاهرات علمية وفكرية وثقافية عالمية، وعتبرت الجزائر خلالها عاصمة عالمية للثقافة الإسلامية، قصدها العلماء والاعلام من كل أقطار الدنيا: من دول المشرق الإسلامي ومغربه، ومن دول أوروبا وأمريكا، مسلمين من مشارب فكرية وإيديولوجية ومذهبية متنوعة ومختلفة، وغير مسلمين أيضا من أعلام العلم والفكر والثقافة. (سالمي خالد، 2019، ص 1)

شهدت الجزائر بين سنتي 1967 و1990 تنظيم سلسلة من ملتقيات الفكر الإسلامي التي تحولت إلى فضاء علمي عالمي للحوار بين العلماء والمفكرين المسلمين، حيث ناقشت قضايا الحضارة الإسلامية والهوية والاجتهاد المعاصر. وقد ساهمت هذه الملتقيات في إعادة بناء المرجعية الثقافية بعد الاستقلال وتعزيز التواصل الفكري بين الجامعات الإسلامية، مما جعل الجزائر في تلك الفترة مركزاً دولياً للنقاش حول قضايا الفكر الإسلامي المعاصر.

إن تلك الملتقيات التي تم تنظيمها في تلك الحقبة التاريخية تحت مسمى: ملتقيات التعرف على الفكر الاسلاميأو التعريف بالفكر الإسلامي ، أعتبرت جامعة متنقلة تقدم للمئات ممن يحضرونها من أساتذة وطلبة جامعات وطلبة ثانويين، وللألاف اللذين يتباعونها من بعيد خلاصة الفهم الصحيح، وتعلمهم الحد المطلوب مما يسمى ب: الثقافة الذاتية، وهي القدر اللازم ماينبغي أن لا يجهله كل مسلم ومسلمة من دينه وحضارته وتاريخه، كما تدربهم على أصول التحاور والنقاش والجدل ، فاعتبرت هذه الملتقيات أكبر تجمع ثقلفي عرفته الجزائر مابعد الاستقلال كما أن انعقاد هذه الملتقيات جاء لتحريك الحياة الثقافية في تلك الفترة التي اتسمت بالركود الثقافي، بالإضافة إلى أنها جعلت من الجزائر مركزا لتجمع كبار المفكرين الإسلاميين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، كمت أنها على مدار 24سنةناقشت العديد من المواضيع المختلفة والتي تعني بقضايا العرب والمسلمين في تلك الفترة. (سالمي خالد، 2019، ص 1)ن فيما يلي جدول زمني لملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر التي من سنة1967 إلى غاية سنة 1990 .

السنة	المدينة	عنوان /موضوع الملتقى	ملاحظات
1967	الجزائر العاصمة	انطلاق ملتقيات التعرف على الفكر الإسلامي	مرتبطة بفكر مالك بن نبي وبداية المشروع الثقافي
1968	الجزائر	قضايا الحضارة الإسلامية	تحول الملتقى إلى نشاط سنوي
1972	الجزائر	الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي	مشاركة علماء من العالم الإسلامي
1973	تيزي وزو	الفكر الإسلامي والتشريع	نقاش قضايا الشريعة
1978	تلمسان	ملتقى ابن خلدون	حول التراث الحضاري الإسلامي
1981	الجزائر	ملتقى القرآن الكريم	ضمن سلسلة الملتقيات الفكرية
1982	تلمسان	ملتقى السنة النبوية	بحث التراث الحديثى
1983	قسنطينة	ملتقى الاجتهاد	التجديد في الفقه الإسلامي

قضايا الهوية الثقافية	ملتقى الصحوة الإسلامية	الجزائر	1984
حضور علماء دوليين	ملتقى الغزو الفكري	بجاية	1985
توقفت بعدها بسبب الظروف السياسية	آخر الملتقيات الكبرى للفكر الإسلامي	الجزائر	1990

توقفت ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر سنة 1990 نتيجة مجموعة من العوامل المركبة التي شملت الأبعاد السياسية والاقتصادية والفكرية. فمن الناحية السياسية، أثرت أزمة الخليج الأولى عام 1990 على استقرار المنطقة، مما صعّب تنظيم الفعاليات الفكرية الكبرى. كما لعبت الأوضاع الاقتصادية دورًا مهمًا في تقليص التمويل المخصص للملتقيات، خصوصًا مع اعتماد بعض هذه الفعاليات على الدعم الحكومي أو المؤسساتي. على المستوى الفكري، شهدت الساحة الإسلامية في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات تحولات جوهرية مع بروز تيارات فكرية جديدة، ما أدى إلى تشتت الاهتمام وتشويش الرؤية حول أهداف الملتقيات التقليدية. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك اعتبارات أمنية مرتبطة بخوف بعض السلطات من انتشار أفكار سياسية أو حركات متشددة خلال هذه الفعاليات. وبناءً على هذه العوامل المتداخلة، أصبح استمرار ملتقيات الفكر الإسلامي صعبًا، مما أدى إلى توقفها نهائيًا في عام 1990.

2 واقع البحث العلمي في الجامعة الجزائرية في ضوء مقاربة تكامل المعرفة:

اعتبر تكامل المعرفة في الجزائر مفهوم فكري يسعى للتوفيق بين العلوم الشرعية والحديثة دون صدام، ويعد تيارًا فكريًا أكثر من كونه سياسة حكومية رسمية، وقد تبنت الجامعة الجزائرية تكامل المعرفة في مجال البحث العلمي، وتم إنشاء مخابر بحث متعددة التخصصات، وتشجيع المشاريع البحثية الجماعية التي تجمع بين مجالات معرفية مختلفة، لا سيما في ميادين البيئة، الصحة، الطاقات المتجددة، والتكنولوجيا الحيوية.

مكن القول إن أسلمة المعرفة تطورت من رؤية تراثية ضمنية إلى مشروع فكري معاصر ظهر في أواخر القرن العشرين، ثم انتقل إلى مرحلة التنظير المؤسسي والانتشار الأكاديمي، قبل أن يواجه تحديات التطبيق والتجديد،ولا يزال المشروع مفتوحًا على التطوير والنقد، في ظل التحولات المعرفية والعلمية المتسارعة.

تتميز المنظومة الجامعية الجزائرية بتوسّع كمّي معتبر من حيث عدد الجامعات والمخابر وطلبة الدراسات العليا. غير أنّ هذا التوسع لم يواكبه دائمًا تطوّر نوعي في مستوى الإنتاج العلمي، حيث لا يزال البحث العلمي في كثير من الأحيان محكومًا بمنطق التخصص الضيق، والتجزئة المعرفية، والانغلاق المنهجي.

كما يغلب على الكثير من البحوث طابع التكرار والوصف بدل المقاربة التحليلية التركيبية، وهو ما يعكس ضعف استثمار المقاربات البينية والتكاملية دعم المشاريع المشتركة

رغم أن الخطابات الرسمية والوثائق التنظيمية لقطاع التعليم العالي تؤكد عل تشجيع البحث متعدد التخصصات دعم المشاريع المشتركة إنشاء مخابر بحث وفرق تكوين دكتوراه ذات طابع موضوعاتي إلا أن التجسيد الميداني لهذه التوجهات لا يزال محدودًا، ويغلب عليه الطابع الشكلي أكثر من كونه خيارًا منهجيًا راسخًا.

3 معوقات تطبيق تكامل المعرفة في البحث العلمي في الجامعة الجزائرية:

تكامل المعرفة في الجامعة الجزائرية يواجه عدداً من المعوقات البنيوية والثقافية والتنظيمية التي تحدّ من فعاليته، نذكر أهمها فيما يلي:

- عدم القدرة في التحكم في طرق ووسائل التطوير والتجديد للمناهج الإسلامية وضمان نقلها للتخصصات الأخرى وكذلك بسبب الفشل في استثمار الجانب النفسي العقائدي للطلبة من أجل تفعيل التكامل المعرفي ، لأن شعور الطالب بإنتمائه الديني الذي يعتز به يمكن إستثماره وتفعيله من أجل البحث والابداع في مجال العلوم.
- إن تعقيدات الحياة اليومية والسعي وراء الماديات والتخلص من المشكلات الاجتماعية، تشكل العائق الأكبر في التفرغ لمثل هذه القضايا التي تحتاج التفرغ للبحث والتنقيب مع وجود صعوبات في ممارسة التفعيل المعرفي.
- إن الطالب الجامعي يجهل الكثير عن المفكرين والعلماء والمثقفين المسلمين وبالمقابل تجده يقبل على العوم الغربية ويستشهد بعلمائهم، هذا ما يسمى بالإغتراب العمي للطلبة.
- خروج المؤطرين عن أدوارهم التي من المفروض أن تؤدي رسالة واقعية ذات صلة ببيئتهم الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، فلا يعقل أن تتخلى النخبة عن معالجة الواقع الذي يحتويه، لهذا نجد

أعداد هائلة من الرسائل الجامعية غير مرتبطة بالتكامل المعرفي. (بن عروة أمال ، بن جامع صبرينة،ص 185 .)

كل ما سبق ذكره يجعل تطبيق نموذج تكامل المعرفة في الجامعة الجزائرية يواجه تحديات، تتطلب إصلاحات مؤسسية ورؤية استراتيجية واضحة لدعم التعاون والتفاعل المعرفي بين جميع الأطراف المعنية.

خاتمة:

يتضح مما سبق أن الجامعة الجزائرية أولت عناية لتطبيق تكامل المعرفة في عدة تخصصات من خلال إدراج مقررات دراسية ذات علاقة ، نذكر على سبيل المثال إدراج الحضارة الإسلامية في بعض المقررات وكذلك التشريع الإسلامي وفلسفة العلم إلى غير ذلك، لكن يبقى تطبيق المقاربة لايزال في بدايته في ظل هيمنة المقاربة التحصصية التقليدية.

كما أننا نشهد ضعف التنسيق الفعلي بين الكليات والتخصصات ، إضافة إلى محدودية التكوين المنهجي في البحث البيني، وعليه يمكننا القولأن تكامل المعرفة حاضر على المستوى المؤسسي والنظري لكنه لم يبلغ مستوى الممارسة المنهجية العميقة القادرة على احداث التغييرأثر علمي وتنموي فعال يحقق أهداف تكامل المعرفة.

رغم وعيها النظري بأهمية تكامل المعرفة، لا تزال تعاني من فجوة واضحة بين الخطاب والممارسة. وعليه، فإن تفعيل التكامل المعرفي لم يعد خيارًا ثانويًا، بل ضرورة إستراتيجية لإعادة بناء البحث العلمي على أسس أكثر نجاعة وارتباطًا بالواقع

قائمة المراجع: مرتبة ومرقمة

- إسماعيل راجي الفاروقي، أسلمة المعرفة، المبادئ وخطة العمل،ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث بالكويت، 1983.
- بن عريوة أمال، بن جامع صبرينة،التكامل المعرفي في الجامعات الجزائرية إلى أين؟، مجلة الباحث للعلوم الرياضية والاجتماعية، المجلد 04العدد07، جامعة الجلفة، الجزائر 2022.
- علوي فاطمة، تطور إصلاح المناهج، " أسلمة المعرفة نموذجا "، ندوة : إصلاح مناهج البحث العلميوالتكوين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم الحقوق، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر2025.

- محمد علي محمد حسن، إسلامية المعرفة مدخل لتحقيق التكامل المعرفيفي قسم التربية الإسلامية بكلية التربية جامعة الأزهر ، رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التربية (تخصص أصول التربية)، كلية التربية قسم أصول التربية، جامعة المنصورة، مصر 2019.
- سالمي خالد، ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر من 1967إلى 1990، مذكرة مكملة لنيل شهاذة الماستر في التاريخ المعاصر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، الجزائر2019.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع﴾

Quantitative methods and approaches in social research – the experimental method as a model–

Djelal fatima zahra [1]
[1]Hassiba Ben Bouali University of Chlef
djelalfatima02@gmail.com
rekab anissa[2]
[2]Hassiba Ben Bouali University of Chlef
rekabanissa@gmail.com

Abstract :

This research paper came to discuss the subject of quantitative methods and methods in social research: the experimental approach as a model, as it is the most important methodology relied upon in the completion of quantitative research.

The aim of this research paper is to try to identify the characteristics of research with quantitative methods, while shedding light on the experimental method and its applications in social research.

The importance of the current research paper is crystallized in the fact that it deals with an important topic, because the social researcher cannot conduct research and social studies without knowing and understanding social research methods and knowing their nature and types.

With regard to sociology, the approaches vary and exceed the diversity of the subject, the multiplicity of the goal, and the theoretical foundations. Perhaps the most important of them is the experimental approach, because it is considered one of the most important approaches that facilitate the researcher's access to the scientific truth.

Based on the above, the current research paper came to answer the following questions: What do we mean by the experimental approach? And what are the most important methodological steps? And while embodied the most important obstacles to its uses in social research?.

And one of the most important findings of the current research paper is that research in sociology varies from quantitative research to qualitative research. Social research aspires to adopt the experimental approach, and thus social sciences seek the necessity of appending the social phenomenon to the natural and organic phenomenon.

Keywords: social research, quantitative research, qualitative research, experimental method.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات للإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07 /02/ 2026
تحت شعار ﴿المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع﴾

المناهج والطرق الكمية في البحث الاجتماعي –المنهج التجريبي نموذجاً–

جلال فاطمة زهراء[1]

[1]جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف

djelalfatima02@gmail.com

ركاب أنيسة[2]

[2]جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف

rekabanissa@gmail.com

ملخص :

جاءت هذه الورقة البحثية لتبحث في موضوع المناهج و الطرق الكمية في البحث الاجتماعي : المنهج التجريبي نموذجا باعتباره أهم المناهج المعتمد عليها في انجاز البحوث الكمية .

و هدفت هذه الورقة البحثية إلى محاولة التعرف على خصائص البحوث ذات المناهج الكمية مع تسليط الضوء على المنهج التجريبي و تطبيقاته في البحث الاجتماعي.

وتتبلور أهمية الورقة البحثية الحالية في كونها تعالج موضوعا مهما ،ذلك أن الباحث الاجتماعي لا يستطيع إجراء البحوث و الدراسات الاجتماعية دون معرفة و استيعاب مناهج البحث الاجتماعي و الاطلاع على طبيعتها و أنواعها .

فبالنسبة لعلم الاجتماع تتنوع المناهج و تتعدد بتنوع الموضوع و تعدد الهدف و الأسس النظرية و لعل أهمها المنهج التجريبي ذلك لأنه يعتبر من أهم المناهج التي تسهل على الباحث الوصول إلى الحقيقة العلمية.

و انطلاقا مما سبق جاءت الورقة البحثية الحالية لتجيب على التساؤلات التالية : ماذا نقصد بالمنهج التجريبي ؟ و ما هي أهم خطواته المنهجية ؟ و فيما تتجسد أهم معيقات استخداماته في البحث الاجتماعي.؟

و من أهم **النتائج** التي توصلت إليها الورقة البحثية الحالية أن البحوث في علم الاجتماع تتنوع من بحوث كمية إلى بحوث نوعية.و تتطلع البحوث الاجتماعية إلى الأخذ بالمنهج التجريبي ، و هكذا تسعى العلوم الاجتماعية إلى ضرورة إلحاق الظاهرة الاجتماعية بالظاهرة الطبيعية و العضوية.

الكلمات المفتاحية: البحث الاجتماعي، البحوث الكمية، البحوث الكيفية، المنهج التجريبي

مقدمة:

تتعدد المناهج بتعدد العلوم و التخصصات حيث نجد لكل علم منهجه و وسائله و تقنياته قد تشترك فيها مع علوم أخرى و قد ينفرد ببعض خصوصياتها،و عليه تتعدد المناهج و البحوث من حيث الوسائل و الأهداف ذلك لان طرق العلم تختلف باختلاف المواضيع التي يدرسها كل باحث فقلد استخدم المفكرون الكبار في القرون الماضية مناهج علمية متعددة فعلى سبيل المثال كان يعتقد المفكرون الأوائل في القرون الوسطى بأن الطريقة المنطقية الاستنتاجية هي الكفيلة بجعل كل الألغاز في العلوم الطبيعية، ثم تبين فيما بعد أن ذلك غير صحيح على الإطلاق فجاء " إسحاق نيوتن" و " ريني ديكارت" و انتشر الاعتقاد و سادت فكرة أن المعادلات الرياضية هي الكفيلة بحل أية مشكلة مهما كانت صعبة و معقدة،لكنها بعدها تم إثبات عدم صحة هذا الاعتقاد عبر السنين إذ جاءت نظرية جديدة أخرى مفادها أن الطريقة التجريبية هي الطريقة المثلى لدراسة أية ظاهرة في الوجود. و في النهاية تأكد للباحثين أن كل موضوع يحتاج إلى نوع معين و مختلف من المناهج العلمية المناسبة . (**رحالي، 2019، صفحة 54**)

و مما لاشك فيه أن البحوث الاجتماعية تتعدد و تتنوع حسب معايير التصنيف المعتمد عليها فعلى سبيل المثال فإنها تصنف حسب معيار نوعية المعطيات إلى : بحوث ذات مناهج كمية و أخرى ذات مناج كيفية.

1/ أهداف الورقة البحثية

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى مايلي:

- ✓ محاولة التعرف على أهم أنواع تطبيقات البحوث الاجتماعية .
- ✓ التعرف على خصائص البحوث ذات المناهج الكمية.
- ✓ تسليط الضوء على المنهج التجريبي و تطبيقاته في البحث الاجتماعي.
- ✓ التعرف علة شروط تطبيق المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي.

- ✓ محاولة الكشف عن أهم الصعوبات التي تعتصر الباحث أثناء تطبيقه للمنهج التجريبي في البحث الاجتماعي.

2/ أهمية الورقة البحثية

تتبلور أهمية الورقة البحثية الحالية في كونها تعالج موضوعا مهما ،ذلك أن الباحث الاجتماعي لا يستطيع إجراء البحوث و الدراسات الاجتماعية دون معرفة و استيعاب مناهج البحث الاجتماعي و الاطلاع على طبيعتها و أنواعها .

فبالنسبة لعلم الاجتماع تتنوع المناهج و تتعد بتنوع الموضوع و تعدد الهدف و الأسس النظرية اذ نلاحظ أن علم الاجتماع علم كثير المناهج و لعل أهمها المنهج التجريبي ذلك لأنه يعتبر من أهم المناهج التي تسهل على الباحث الوصول إلى الحقيقة العلمية.

و عموما تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في محاولة الكشف عن مقومات و عناصر المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي.

3/ إشكالية الورقة البحثية

كثيرا ما يشار إلى علم الاجتماع بأنه علم كثير المناهج و هذا على عكس العلوم الطبيعية التي تبحث في مسائل الطبيعة و التي غالبا ما نجدها تدين بمنهج واحد يكاد يكون المنهج التجريبي الذي حدد خطواته " كلورد برنار" عندا قال " الحادث يوحي بالفكرة و الفكرة تقود إلى التجربة و توجهها،و التجربة تحكم بدورها على الفكرة و هنا عكس العلوم الإنسانية و الاجتماعية التي تتصف مواضيعها و بالتالي تتعدد مناهجها. **(عياد، 2005، صفحة 51)**

و يعتبر المنهج التجريبي أحد المناهج المستخدمة في العلوم الاجتماعية و هو نوع من أنوع البحوث التي تعتمد على بشكل أساسي على دراسة الأدلة و التجارب الحقيقة و الملموسة.و عليه يعتمد المنهج التجريبي على التحكم في الظروف و الشروط التي تسمح بإجراء تجربة من خلال إتباع خطوات منهجية منظمة و من هنا كانت أهمية التجربة و معناها و تصميمها و شروطها من الأهمية بمكان عند اتخاذ المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي، و هو عبارة عن محاولة لتحديد العلاقة السببية بين متغيرات محددة منهجيا,

و انطلاقا مما سبق جاءت الورقة البحثية الحالية لتجيب على التساؤلات التالية : ماذا نقصد بالمنهج التجريبي ؟ و كيف كانت بداية استخداماته في البحث الاجتماعي ؟ و ما هي أهم خطواته المنهجية ؟ و فيما تتجسد أهم معيقات استخداماته في البحث الاجتماعي.؟

4/ تصنيف المناهج في البحوث الاجتماعية

تصنف المناهج في العلوم الإنسانية و الاجتماعية إلى أصناف عدة حسب معايير التصنيف المعتمد عليها فحسب معيار نوعية المعطيات يمكن الإشارة إلى صنفين من البحوث و هي بحوث ذات مناهج كمية و بحوث ذات مناهج كيفية.

1) بحوث ذات مناهج كمية :

و هي تلك البحوث الشائعة الاستخدام في العلوم الإنسانية و الاجتماعية مشتقة و تقنياتها من المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية و تعتمد مرجعيتها الابستمولوجية على الفلسفة الوضعانية و تقوم على ملاحظة و يقوم على ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة.

و لأغراض التحكم في الظاهرة يتم الاعتماد على تفكيك الظواهر و تجزئتها و اعتماد تلك النظرة الجزئية بدلا من النظرة الكلية (**فرحاتي، 2012، الصفحات 120-121**)

و **عليه فالوضعيون (الفريق الأول)** يرون إمكانية تطبيق المنهج العلمي المعمول به في الظاهرة الطبيعية على الظاهرة الاجتماعية و هكذا يسعى البحث الاجتماعي إلى الوقوف على أسباب الظاهرة الاجتماعية و تفسيرها و التنبؤ بها و ذلك بعد تكميمها و دراستها وفق أساليب كمية و لعل الإشارات الأولى لهذا الاعتقاد كانت مع "اميل دوركايم" الذي نادى بضرورة معاملة الظواهر الاجتماعية على أنها أشياء (شيئية الظواهر الاجتماعية) (**Combessie, 1998, p. 3**)لكن يمكن القول بأنه تم الإعلان عن هذا التوجه المنهجي مع تلك الاستعمالات التي جاء بها "أوغست كونت " (الفيزياء الاجتماعية).

و هكذا ظهرت مع هؤلاء **المناهج الكمية** les methods quantitative و هي مناهج تقوم على تكميم و قياس الظاهرة الاجتماعية و تتبنى اتجاهها الأساليب الإحصائية.

2) بحوث ذات مناهج كيفية:

تهدف البحوث الكيفية على الفهم،إذ تسعى إلى فهم الظاهرة من حيث مدلولاتها و لا تكتفي بالرصد الكمي و صياغة الواقع صياغة رياضية،حيث تسعى إلى إضفاء معاني و دلالات و أفكار و تصورات على الظواهر فالمشاعر الإنسانية و الرضا عن العمل مثلا و التكيف و القلق و الاتجاهات كلها ظواهر و إن اعتمدت دراستها على المناهج الكمية لا أنها تبقى هذه الأرقام صماء لا معنى لها إذ لم تستند على مناهج كيفية تمنحها معنى لوجودها و يسوغ لها ممارسة التأويل العلمي. **(فرحاتي، 2012، صفحة 122)**

و عليه مؤيدو هذا الاتجاه (الاتجاه الثاني) عارضوا إمكانيةإخضاع الظواهر الاجتماعية لما تخضع له الظاهرة الطبيعية من منهج علمي و دعيإلى ضرورة اعتماد منهج علمي أخر يتماشى و طبيعة الظاهرة الاجتماعية و يتجلى لنا ذلك في تراث"ماكس فيبر" و ما يسمى لديه بمنهج الفهم . و هكذا ظهرت المناهج الكيفية les methods qualitative و التي تعتمد أصلا فهم عمق الظاهرة الاجتماعية إما على مستوى الفاعل الاجتماعي أو على مستوى الفعل الاجتماعي و ذلك عن طريق الوصف العلمي السببي**(عياد، 2005، الصفحات 52-53)**.

و عموما يمكن القول إن اعتماد الباحث الاجتماعي على منهج دون أخر لا يكون بصورة اختيارية أو اعتباطية و إنما يتوقف على حسب طبيعة موضوع البحث و الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من قيامه بهذا البحث،اذ تفرض طبيعة الموضوع على الباحث اعتماد الكمي أو الكيفي من دونه.

5/ تعريف المنهج التجريبي

يهتم المنهج التجريبي بجمع البيانات ووسيلته في جمع البيانات هي الملاحظة المتقصدة و ذلك لاختيار الفروض المتعلقة بقضية محددة مع عزل أو تثبيت العوامل الأخرى التي يمكن أن تترك أثرها على النتيجة.

و يحاول هذا المنهج تفسير الظواهر الاجتماعية بجمع بيانات عن طريق المشاهدات يربط بينها ليصل إلى فرض يقوم بتحقيقه بالتحطم في المتغيّرات و تثبيتها جمعياً عدى متغيّر واحد تقوم بتغيّره لنعرف تأثيره على غيره **(قنديلجي، 2012، الصفحات 108-109)**

و بالتالي نلاحظ من خلال هذا أن المنهج التجريبي يعتمد بالدرجة الأولى على تقنية الملاحظة كخطوة أولى في جمع المعلومات و البيانات المتعلّقة بالظاهرة الاجتماعية المدروسة و هذا بهدف اختيار الفروض.

و عليه نفهم أيضاً من خلال ما سبق أنَّ وظيفة الباحث الاجتماعي في الدراسات التجريبية لا تقتصر على حدود وصف موقف أو تحديد حالة أو التأريخ للحوادث الماضية و إنما يقوم عامداً بمعالجة عوامل معيّنة تحت شروط مضبوطة ضبطاً دقيقاً لكي يتحقق من كيفية حدوث ظاهرة معيّنة و يحدد أسباب حدوثها **(القاسم، 2021، صفحة 539)**

فالباحث الاجتماعي يسعى من خلال دراسة الظواهر الاجتماعية إلى الكشف عن الأسباب الحقيقية وراء انتشارها في المجتمع و ذلك من خلال دراستها دراسة علمية أي باستخدام المناهج و الأدوات العلمية المعروفة في علم الاجتماع و منها المنهج التجريبي.

6/ بدايات استخدام المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي :

يعتبر "أوغيست كونت "مؤسس المدرسة الوضعية أول من دعا إلى ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية بالطرق و المناهج المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية بالطرق و المناهج المستخدمة في دراسة الظاهر الطبيعية ، و عليه يمكن القول أنَّ استخدام التجريب في مجال العلوم الاجتماعية عموماً و علم الاجتماع خصوصاً قد جاء متأخراً بالمقارنة باستخدامه في مجال العلوم الطبيعية و يرجع ذلك لسببين رئيسين :

الأول : أن معظم هذه العلوم كانت ضمن فروع الفلسفة و بالتالي فالمنهج الذي كانت تعتمد عليه الفلسفة في الوصول إلى حقائقها هي طريقة التأمل و القياس.

الثاني : أنَّه حين استقلت هذه العلوم عن الفلسفة و بدأت تتخذ التجريب وسيلة للبحث عانت كثيراً من صعوبات تختص بها دون العلوم الطبيعية ، ذلك أنَّ التجريب في أساسه عملية تحكم ، و من الواضح أنَّه عند دراسة عناصر كيميائية مثلاً يسهل التحكم في العوامل المختلفة ... و لكن هذا الموقف لا ينطبق بكامله على المواقف الاجتماعية و لا على الأشخاص **(عمر، 1983، الصفحات 97-98)**

فقد كان هدف كونت من تأسيس المدرسة الوضعية إيجاد علم يكون موضوعه دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية بمعنى بالطرق و الأساليب التي كانت تدرس بها الظواهر الطبيعية خاصة و أن في هذه الفترة كانت العلوم الطبيعية في أوج تطورها و يرجع ذلك إلى النتائج التي كانت تتوصل إليها من خلال استخدام المنهج العلمي.

7/ شروط تطبيق المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي

عادةً ما يشترط توفر ثلاث شروط أساسية هي :

1- التعامل مع واحد أو أكثر من المتغيّرات المستقلة.

2- قياس أثر المتغيّر المستقل على المتغيّر التابع.

3- الصدق الداخلي للوضع التجريبي (العشوائية) و منها في العلوم الإنسانية ما يسمى بالمجموعتين الضابطة و التجريبية (**دليو، 2014، صفحة 105**)

و عليه يمكن القول أنَّ تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الظاهرة الاجتماعية يتطلب وجود متغيّر تابع و هو الظاهرة المدروسة أو محل البحث و يتطلّب أيضا وجود متغير أو متغيّرات مستقلة و هي السبب في وجود الظاهرة و انتشارها و بهذا يتم تطبيق التجربة من خلال مجموعتين التجريبية و الضابطة.

و فيما يلي مثال يوضح ذلك في علم الاجتماع التربوي يريد فريق مركز بحث وطني اختيار (فعالية برنامج عمل يهدف إلى الحد من التغيّب عن المدرسة في الأسر التي لديها أطفال يتغيّبون كثيراً و لتنفيذ البحث تقرر العمل مع عدد كبير من العائلات مع الأخذ بعين الاعتبار شرطين يتم تنفيذ البرنامج الجديد على المجموعة التجريبية في حين يتم تطبيق البرنامج الذي كان قيد الاستخدام في السنوات السابقة على المجموعة الضابطة ، و لضمان الصدق الداخلي يفترض أنَّ كلا المجموعتين متكافئتين و لضمان هذا التكافؤ يتم فرض رقابة صارمة على المجموعتين بحيث يتم تشكيلهما مع الأخذ بعين الاعتبار الضوابط الآتية :

أن لا تكون أي أسرة قد مورس عليها أي تدخل ضّد التغيّب عن المدرسة ، و أن تكون المجموعتان متطابقتين وفقاً لخاصية "الغيّاب" و التي ستتخذ من أجلها إجراءات الاختبار القبلي (متوسط الغيابات) في أول ثلاثي من السنة الدراسية كما سيتم مطابقة العائلات في كلا المجموعتين وفقاً للمتغيّرات الآتية عدد الأطفال ، الجنس ، المستوى التعليمي ، (رياض الأطفال و الابتدائي) – مستوى الدخل العائلي – مستوى تعليم الآباء و الأمهات – المنطقة الجغرافية على المستوى الوطني و طبيعة ملكية المدرسة.

بعد اختيار الأسر يتم اختيار 100 أسرة بشكل عشوائي لتوزع بشكل عشوائي أيضاً 50 أسرة على كل مجموعة من المجموعتين ثمَّ يتم تنفيذ البرنامجين طيلة الثلاثي الثاني على المجموعتين من قبل مهنيين مدربين في كل منهما و الذين يتم اختيارهم و توزيعهم عليهما عشوائياً أيضاً.

و في نهاية الثلاثي الثاني من العم الدراسي يتم مرة أخرى حساب متوسط الغيابات لكل أسرة بحيث نحصل على المعدل العام لكلا المجموعتين و إذا كان عدد غيابات المجموعة التجريبية أقل بكثير (فرق دال إحصائياً) يمكن أن نستنتج أن برنامج المجموعة التجريبية هو أكثر فعالية و بالتالي هو سبب انخفاض التغيّب عن المدرسة (**دليو، 2014، الصفحات 105–106**)

8/ خصائص و مميزات التجريبي

للمنهج التجريبي عدة خصائص يمكن عرضها فيما يلي :

1- يقوم المنهج التجريبي على الملاحظة الدقيقة في اختيار صدق الفرضية و هي ليست مجرد ملاحظة سلبية لما تحدث في كل من المجموعتين التجريبية و الضابطة ، و إنما هي ملاحظة إيجابية فاحصة للوقوف على التغيّر الذي يطرأ و الاختلاف الذي ينشأ بين المجموعتين نتيجة لتلقي إحداهما تأثير عامل معيّن و حرمان المجموعة الأخرى من تأثير هذا العامل.

2- يمتاز المنهج التجريبي عن بقية المناهج الأخرى بأنَّه يجعل هدفه الأساسي الكشف عن العلاقة السببية بين الظواهر و المتغيّرات و بأنَّه يربط دراسته بهذه العلاقة السببية بالضبط الدقيق الذي لا يتوافر في مناهج البحث الأخرى.

3- تتمثل قواعد المنهج التجريبي في أنَّ الباحث المطبق له يحاول في كل تجربة يجربها أن يختبر فرضية تقول بوجود علاقة سببية منتظمة بين متغيّر و بين ظاهرة معيّنة أو حادثة معيّنة أو متغيّر أخر و ذلك عن طريق اختيار مجموعتين متكافئتين و متساويتين من جميع الوجوه بقدر الإمكان ماعدا وجهاً أو متغيّراً واحداً و هو ما يسمى بالعامل التجريبي أو بالسبب المفروض أو المتغيّر المستقل الذي يسلط على إحدى مجموعتي التجربة و يحجب عن الأخرى.

و تسمى المجموعة المسلط عليها العامل التجريبي أو المتغيّر المستقل بالمجموعة التجريبية و تسمى المجموعة الأخرى التي حجب عنها هذا العامل المجموعة الضابطة.

4- إنَّ مكانة المنهج التجريبي تتمثل في خضوعه للتحطم و الضبط فالباحث المطبق للمنهج التجريبي لا يكتفي بوصف و تفسير و تحليل ما هو موجود بل يتدخل في تكوين المواقف التجريبية و في توجيه العوامل و الظروف بالحذف و الإثبات و في تنظيمها و ترتيبها فالتجربة التي يقوم بها

الباحث نفسه و يحاول فيها تعويض المجموعة التجريبية للعامل التجريبي و عدم تعريض المجموعة الضابطة لهذا العامل التجريبي أو المتغيّر المستقل و هذا ما يطلق عليه التحكم في المتغيّر المستقل.

و يمكن للباحث أيضاً أن يفرض الضوابط على تجربته بحيث يبعد أي احتمال لتدخل عوامل أخرى أثناء إجرائه للتجربة.

5- يسمح المنهج التجريبي بتكرار التجربة في ظل الظروف ممَّا يساعد على تكرارها من قبل الباحث نفسه أو باحثين آخرين للتأكد من صحة النتائج.

6- دقة النتائج التي يمكن التوصل إليها بتطبيق هذا المنهج فيتعامل الباحث مع عامل واحد و تثبيت العوامل الأخرى يساعد في اكتشاف العلاقات السببية بين المتغيّرات بسرعة و دقة أكثر ممَّا لو حدث التجريب في ظل شروط لا يمكن التحكم بها (**سلاطنية و الجيلاني، 2012، الصفحات 86-90**)

9/ خطوات و مراحل تطبيق المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي

لا يختلف المنهج التجريبي في خطواته عن بقية المناهج الأخرى فهو يبدأ بملاحظة الظاهرة موضوع البحث ووضع الفروض ثم القيام بالتجربة ثم محاولة الوصول إلى معرفة العلاقات الموجودة بين الظواهر و اكتشاف القوانين التي تحكمها ، و عادةً ما تبدأ خطوات المنهج التجريبي كما يلي:

- التعرّف على مشكلة البحث و تحديد معالمها.
- صياغة الفرضية أو الفرضيات و استنباط ما يترتب عليها.
- وضع تصميم تجريبي يحتوي على جميع النتائج و علاقاتها و شروطها و قد يتطلّب ذلك من الباحث القيام بما يأتي :

- اختيار عيّنة تمثل مجتمعاً معيّناً.
- تصنيف المفحوصين في مجموعات متجانسة .
- تحديد العوامل غير التجريبية و ضبطها.

تحديد الوسائل و المتطلبات الخاصة بقياس نتائج التجربة و التأكد من صحتها.

– القيام باختبارات أولية استطلاعية بغية استكمال النواقص و القصور الموجودة في الوسائل و المتطلّبات أو في التصميم التجريبي.

– تعيين مكان التجربة ووقت إجرائها و الفترة التي تستغرقها.

– القيام بالتجربة المطلوبة.

– تنظيم البيانات و تحديدها بشكل يؤدي إلى تقدير جيّد و غير متحيّز.

– تطبيق اختبار دلالة مناسب لتحديد مدى الثقة في نتائج التجربة و الدراسة (**سلاطنية و الجيلاني، 2012، الصفحات 80–82**)

و مناك من يرى أنَّ المنهج التجريبي يمر بثلاث مراحل هي كالتالي :

1– مرحلة التعريف و التصنيف :

و فيها لابد على الباحث أن يعرف الظاهرة المدروسة و يحدد الزاوية التي سيتناول بها دراسة تلك الظاهرة ثم يقوم بتصنيف الظاهرة الاجتماعية في شكل فصائل لكي تسهل دراستها.

و تصنيف الظواهر الاجتماعية إلى فصائل فكرة مأخوذة من الطبيعة فالطبيعة تمتاز بتشابه الظواهر و يكون التصنيف في هذه الحالة على أسس من بينها اللون ، الحجم ، الشكل ، الوظيفة ، التركيب ، الخصائص ، البنية و غيرها.

فالظواهر الاجتماعية أيضاً تمتاز بالتشابه فيما بينها الأمر الذي يؤدي إلى إمكانية تصنيفها إلى فئات و التصنيف الجيّد من شأنه أن يسهل عملية صياغة الفروض و التجريب بوجه سليم (**معتوق، 2009، الصفحات 93–94**)

2– مرحلة التحليل :

بعد مرحلة التعريف بالظاهرة و تصنيفها ينتقل الباحث إلى تحليل تلك الظاهرة بدراسة علمية تشمل في البداية وضع فروض علمية تفسر الظاهرة و كل العلاقات المرتبطة بها ، و بعدها يقوم الباحث بعملية التجريب التي تثبت صحة أو خطأ الفروض ، و بعد عملية التجريب يقوم الباحث بصياغة قوانين جزئية تحكم الظاهرة (**رشيد، 2006، صفحة 155**)

3– مرحلة التركيب :

بعد عملية تحليل الظواهر التي تنتهي بوضع قوانين جزئية تحكم الظاهرة يقوم الباحث بتركيب تلك النتائج و القوانين الجزئية في شكل قانون عام يحكم الظاهرة (**الدّين، 2003، صفحة 119**)

10/ معيقات تطبيق المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي

إن تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية تواجهه عدة صعوبات نذكر منها :

1- عدم قدرة الباحث على تحديد جميع المتغيّرات أو العوامل التي تؤثر على نتائج التجربة.

2- من العسير استيفاء الأفراد عملياً تحت المراقبة و الإشراف خلال المدة التي تتطلبها التجربة ... فإذا استلزمت التجربة مثلاً استفاء أحد الأشخاص متيقظاً بصفة مستمرة لمدة ثماني و أربعين ساعة للتعرف على التغيّرات الفسيولوجية التي قد تحدث له ... فهناك احتمال غفلة هذا الشخص و لو فترات قصيرة من شأنها أن تفشل التجربة ذاتها و تجعل نتائجها مشكوك فيها .

3- هناك دائماً خطأ التحيّز سواءً في القائم بالبحث أو في الأشخاص الذين هم موضع التجربة ذاتها ذلك لأن هؤلاء الأشخاص سينتبهون إلى دورهم في التجربة و بالتالي سيحاولون بذل جهد لنجاح التجربة ، إن التجربة و هي مصطنعة بالضرورة سوف لا تكون قريبة من الظروف الطبيعية (سلاطنية و الجيلاني، 2012، الصفحات 92-93) و عموماً يمكن تلخيص عوائق تطبيق المنهج التجريبي في البحث الاجتماعي فيما يلي :

- الوقوع في أخطاء أثناء الضبط و أثناء اختيار العيّنات.
- وجود متغيّرات لا يمكن معالجتها مثل الحقائق الذاتية للمفحوصين و منها المكانة الاجتماعية ، الدين و المعتقدات الإيديولوجية.
- مشكلة تثبيت سائر العوامل الأخرى فمن المفروض أن يعتمد الباحث على تثبيت سائر العوامل القائمة في الموقف التجريبي.
- الصعوبة في إيجاد مجموعات متكافئة.
- صعوبة استخدام الأسلوب التجريبي في دراسة الظواهر الإنسانية بحيث يكون للتجريب أخطاؤه ومحاذيره (**سلاطنية و الجيلاني، 2012، الصفحات 93-94**)

11/نتائج الدراسة :

من خلال هذه الورقة البحثية تم التوصل إلى مجموعة من النتائج يمكن ذكرها فيما يلي:

- تتعدد المناهج بتعدد العلوم و التخصصات حيث نجد لكل علم منهجه و طرقه و تقنياته قد تشترك فيها علوم أخرى و قد ينفرد ببعض خصوصياتها،و بالنسبة لعلم الاجتماع تتنوع المناهج و تتعدد بتنوع الموضوع و تعدد الهدف و الأسس النظرية.
- تتنوع البحوث في علم الاجتماع من بحوث كمية إلى بحوث نوعية.
- تتطلع البحوث الاجتماعية إلى الأخذ بالمنهج التجريبي على اعتبار أن هذا الأخير يعتبر النموذج الذي تتطلع إليه جميع العلوم، فهو المنهج الذي سارت عليه علوم الطبيعة و هكذا تسعى العلوم الاجتماعية إلى ضرورة إلحاق الظاهرة الاجتماعية بالظاهرة الطبيعية و العضوية.
- المنهج التجريبي هو منهج يعتمد على الملاحظة و يحتكم إلى التجربة في إثبات قيمة أي فكرة أو قانون أو نظرية فهو منهجيا لا يصح معه إلا ما أكدته التجربة.
- لا يختلف المنهج التجريبي قي خطواته عن بقية المناهج الأخرى فهو يبدأ بملاحظة الظاهرة موضوع الدراسة و وضع الفروض ثم القيام بالتجربة ثم محاولة الوصول إلى معرفة العلاقات الموجودة بين الظواهر و اكتشاف القوانين التي تحكمها.
- لا يخلو المنهج العلمي من الصعوبات التي تعترض الباحث أثناء تطبيقه فهو شأنه شأن كل المناهج العلمية الأخرى إذ يمر بجملة من الصعوبات خاصة في مجال البحث الاجتماعي و هذا نظرا لخصوصية الظاهرة الاجتماعية.

خاتمة :

من خلال ما سبق يمكن القول أنَّ المناهج و الطرق الكمّية في البحث الإجتماعي و على رأسها المنهج التجريبي تعتبرأدوات أساسية لفهم الظواهر الإجتماعية بطريقة علمية و دقيقة ، و ذلك لما يتميّز به من دقة و صدق في الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها خاصةً و أنَّه يعتمد على التجربة التي تعتبر من بين أهم خطواته و مراحله ، و على هذا الأساس يسمح لنا بالوصول إلى قوانين عامة تتجاوز فائدتها حدود الظاهرة التي أجريت عليها التجربة ،و على الرغم من التحديات التي تواجه هذا المنهج ،مثل صعوبة تعميم النتائج على المجتمعات غير الخاضعة للتجربة ،إلاّ أنّه يظل أحد أكثر المناهج موثوقية في البحث الإجتماعي ،خاصةً عند إستخدامه مع أساليب أخرى لتعزيز دقّة و موثوقية النتائج.

قائمة المراجع :

1- .أحمد عياد. (2005). *مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي* (الإصدار 1). الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية.

2- العر بي بلقاسم فرحاتي. (2012). *البحث الجامعي بين التحرير و التصميم و التقنيات* . الأردن : دار أسامة للنشر و التوزيع.

3- بلقاسم سلاطنية، و حسان الجيلاني. (2012). *المناهج الأساسية في البحوث الاجتماعية* (الإصدار الطبعة الأولى). بلقاسم سلاطنية، و حسان الجيلاني. (2012). *المناهج الأساسية في البحوث الاجتماعية* (الإصدار الطبعة الأولى). القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع.

4- جمال معتوق. (2009). *منهجية العلوم الاجتماعية و البحث الاجتماعي* (الإصدار الطبعة الأولى). الجزائر: بن مرابط.

5- حجيلة رحالي. (2019). *الوجيز في المنهجية للعلوم الاجتماعية و الانسانية* (الإصدار 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

6- شروخ صلاح الدّين. (2003). *منهجية البحث القانوني* (الإصدار دون طبعة). الجزائر: دار العلوم للنشر و التوزيع.

7- شمشيم رشيد. (2006). *مناهج العلوم القانونية* (الإصدار دون طبعة). الجزائر: دار الخلدونية للنشر و التوزيع.

8- عامر إبراهيم قنديلجي. (2012). *البحث العلمي و استخدام مصادر المعلومات التقليدية و الإلكترونية* (الإصدار الطبعة الثالثة). عمان: دار المسيرة.

9- فضيل دليو. (2014). *مدخل إلى منهجية البحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية* (الإصدار دون طبعة). الجزائر: دار هومة.

10- محمد زيّان عمر. (1983). *البحث العلمي و مناهجه و تقنياته* (الإصدار الطبعة الرابعة). جدة: دار الشروق للنشر و التوزيع و الطباعة .

11- ميادة القاسم. (2 أيار, 2021). مناهج البحث الاجتماعي و تطبيقاتها في علم الاجتماع (دراسة سوسيولوجية تحليلية). *المجلة العربية للنشر العلمي* (واحد و ثلاثون)، صفحة 539.

12- ..(1998)*la methode en sociologie* Alger: Casbah edition. Jean Claud Combessie

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Theoretical and Technical Integration between Islamic Jurisprudence and Sociology and Its Impact on Addressing Family Disintegration

Rezqui Essadik
Full affiliation: Faculty of Arts and Humanities, University, Cadi Ayyad, Marrakesh, Morocco
rezquiessadik@gmail.com

Abstract:

Theoretical and technical integration is a methodological approach that enhances interdisciplinary research and promotes cooperation and theoretical convergence across disciplines. It aims to develop a unified theoretical framework by integrating concepts and methodologies from diverse scientific fields.

The study highlights the importance of linking sociological theories with juristic ijtihad (Islamic jurisprudential reasoning) at their points of intersection to address complex social issues that cannot be understood through a single-disciplinary perspective. This integrative approach seeks to provide practical and context-sensitive solutions and to organize social research through innovative mechanisms based on conceptual migration across theories.

Keywords: theoretical integration, methodology, Islamic jurisprudence, sociology, family disintegration.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التكامل النظري والتقني بين الفقه وعلم الاجتماع وأثره في معالجة التفكك الاسري.

رزقي الصاديق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض مراكش، المغرب.

rezquiessadik@gmail.com

ملخص:

يعتبر التكامل النظري والتقني من المقاربات المنهجية، التي تعزز البحوث البينية، وتخلق جوا من التعاون والتآزر وتضافر الجهود النظرية والفكرية لأنشاء توليفة تتشكل من مجموع نظري يسعى إلى توحيد النظرية عن طريق التكامل بين التخصصات العلمية، والمراد بالتكامل النظري هو خلق وشائج الأخوة بين مختلف النظريات العلمية والاجتماعية، ودمج مفاهيمها أو مناهجها من أجل إنشاء نظرية متكاملة تساهم في إيجاد حلول ناجعة لإشكالات عويصة، لا يمكن للنظرة الأحادية حلها وفهم بواعثها النفسية والاجتماعية، وذلك بإنشاء روابط عابرة للتخصص أو استعارة مفاهيم أساسية، ومناهج علم الاجتماع، ودمجها مع الفقه الاجتهادي، من خلال نقط يتقاطع فيها المجالين، ودمجهما دمجا سلسا يسهل الوصول إلى حل للمستجدات الشائكة بشكل عملي يتناسب مع الواقع، وتنظيم البحث الاجتماعي بآليات جديدة عن طريق الهجرة المفاهيمية من نظرية إلى أخرى، كما هو شأن النظريات التركيبية.

كلمات مفتاحية: التكامل النظري، التقنية، الفقه، علم اجتماع، التفكك الاسري.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مقدمة:

الحمد الله الذي خلق الانسان، وعلمه النطق باللسان، حتى يذكر ربه بالجوارح والجنان، وكرمه بعقل راجح، يعرف به المحظور من المباح، وأنزل عليه كتبا، فاختار لذلك منهم ذوي النهى والحجا، ممن اصطفى وخصصهم بالتبليغ، فقاموا إلى الناس، يبينوا الحق ويذكروا كل ناس، وأيدهم سبحانه بمعجزات، فاقت كل التصورات، وأعجزت العقول الراجحات، وعلموا أنه الحق من رب السماوات، فصلوات الرحمان، على عباده المصطفين، من قاموا للبرايا منذرين، حتى أتاهم اليقين، ثم الصلاة على نبي الرحمة، وشفيع الأمة، يوم لا ينفع الناس مال ولا ولد وصاحبة، إلا من له سريرة سليمة، وعلى ءاله الأطهار، ما غرد القمري في واضحة النهار، وعدد حبات الرمال، والرضا عن أصحابه الأخيار، من شهدوا له بصدق النبوة، فكانوا له أحسن عشيرة، وجاهدوا معه وأخلصوا النية، فكانوا على ذلك حتى أتتهم المنية، وعلى التابعين وتابعيهم ممن وصفوا بالخيرية.

أما بعد:

فإن الاسرة في البناء الاجتماعي، تعتبر اللبنة الأساس، وأول مؤسسة عرفها المجتمع، في تشكيل الفرد نفسيا وقيميا وسلوكيا وإعادة إنتاج القم، من أجل ذلك، جاء المنظور الشرعي بضرورة حفظ كلية النسل، وجعل لها ضروريات وحاجيات وتحسينات، لتحقيق مقاصد الزواج بما يوفر السكينة والرحمة والمودة، قال تعالى: ﴿**لاوَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّن اَنْفُسِكُم أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: 20] وجعل لها ضوابط تضبط السلوك بين الزوجين، إلا أن التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي يشهدها العالم، أسفرت عن مظاهر متعددة من التفكك الأسري، وهي كثيرة بأن تحصى، ترجمتها لنا نسبة الطلاق المرتفعة، وضعف التماسك الأسري، وتزايد النزاعات الأسرية، ومما لا شك فيه أن هذه المسائل لها تأثيرات اجتماعية وتربوية خطيرة.

وقد تطرق الفقه لمثل هذه القضايا في مراحل مختلف عبر تاريخ التطور الفقهي، بمنظومة شرعية تسعى إلى تحقيق التوازن الاجتماعي، والحفاظ على الأسرة، وضبط العلاقات داخلها، برؤية مقاصدية، بينما اهتم علم الاجتماع الأسرة بوصفها نسقا اجتماعيا، يتأثر بباقي البنى الاجتماعية الأخرى، الاقتصادية والثقافية والقيمية، غير أن الاجتهاد الفقهي أكثر ما يعتمد على مقاربة ترتكز على الجانب النصي، واستنباط أحكام

تجريدية، في حين تميل الدراسات السوسيولوجية إلى تقديم تحليل وصفي، مجردة من المرجعية الشرعية التي تزخر بالقيم، وقد ترتب على هذا، نوع من الانفصال بين البعد القيمي، والبعد المعياري، في معالجة قضايا الأسرة.

ومن هنا تسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهمية التكامل بين النظري والمنهجي بين الاجتهاد الفقهي وعلم الاجتماع، باعتباره مدخلا معرفيا ومنهجيا، يعزز الدراسات الفقهية ويساهم في تجديد وتطوير الاجتهاد المعاصر دون اخلال بأي من أصوله ولا المساس بمرجعيته، كما يهدف هذا التكامل إلى تمكين الخطاب الفقهي، فهم الواقع الأسري وتغير الذي يعتري هذه البنية، وتحليل مشكلاتها الراهنة ومعالجتها معالجة شاملة تجمع بين مقتضيات النص ومقاصده، والمعطيات السوسيولوجية، في رؤية تكاملية تهدف إلى بناء مقاربة منهجية مركبة، لا تخضع الفقه للمناهج الوضعية، ولا تفصل السوسيولوجبة عن القيم، تكامل يعيد للفقه مجده التليد، ويحقق التوازن بين النص والقراءة العلمية للواقع المعاش.

إشكالية البحث:

وبناء على ما تقدم يمكن أن نطرح إشكالية مركزية، حول مدى إمكانية توظيف أدوات علم الاجتماع المهيجة في صناعة الفتوى والاجتهاد الفقهي، لمعالجة ظاهرة التفكك الأسري، وما هو أثر هذا التكامل تعزيز وتطوير السياسات الأسرية ودراسات الفقهية المعاصرة المتعلقة بهذا الصدد؟

كما تهدف الإشكالية إلى بيان الأسس النظرية لهذا التكامل واستعراض آلياته المنهجية، والوقوف على أثره التطبيق في معالجة قضايا التفكك الأسري وتحليله وفق الرؤية التكاملية.

منهجية البحث:

وقد اعتمدت الدراسة في تناولها هذا الموضوع، على المنهج الوصفي التحليل، والمنهج المقارن، اللذان يهدفان إلى تحليل النصوص الفقهية، ومراجعة الأدبيات السوسيولوجية، حول الأسرة، بهدف بناء سرح متين بلبنة من فقه ولبنة من علم الاجتماع، ليصير بذلك بناء متماسكا يشد بعضه ببعض، في مواجهة عوامل التعرية الاجتماعية وفهم الظواهر الاجتماعية المعقدة.

خطة البحث

وللإجابة على إشكالية البحث، تفرض أدبيات البحث العلمي، أن أقسم البحث إلى عناوين رئيسة، تبدأ بالإطار المفاهيمي والنظري للتكامل بين الفقه وعلم الاجتماع، سأتناول فيه مفهوم التكامل ومفهوم الفقه وعلم الاجتماع، وما المراد بالتفكك الأسري، وأسبابه

أما المحور الثاني، فخصصته لذكر الأسس النظرية للتكامل بين الفقه وعلم الاجتماع،

أما المحور الثالث، تطرقت فيه للتكامل التقني بين الفقه وعلم الاجتماع، ثم الخاتمة، تطرقت فيها لنتائج البحث وبعض التوصيات.

أولا: الاطار المفاهيمي والنظري.

1 مفهوم التكامل المعرفي.

يعتبر التكامل المعرفي من المفاهيم البارزة في الدراسات المعاصرة، إذ يهدف إلى خلق نوع من التفاعل بين العلوم وكسر الحدود الوهمية بين الحقول المعرفية، من أجل بنا فهم شامل للظواهر الاجتماعية والإنسانية، بعيدا عن الرؤية الفردانية التي تفرضها التخصصات العلمية المستقلة، فالتكامل على هذا الاعتبار لا يقصد به إقصاء خصوصية كل علم أو انصهاره في حقل معرفي آخر، بل هو إقرار بالتخصص شريطة أن توظف أدواتها ومناهيجها ومفاهيما، في إطار يشرف على تقدم المعرفة الإنسانية وتكاملها، قصد معالجة القضايا المركبة.

فالتكامل على هذا الاعتبار هو: حركة تركيب وتنسيق مجموعة من العناصر، بمثابة أجزاء يتخللها النقص إذا نظر إليها منفردة، وتعويض النقص يقتضي الاتصال بالأجزاء الأخرى، وهذا الاتصال تحكمه آليات (التكميل والتمثيل، التأليف، والتحديد والمقارنة والاستعارة) وضوابط(الاستقراء والاستقصاء والتركيب والتنسيق) وروابط(والتوحيد هو الخط الرابط بين جميع الشعب العلمية) (قاسمي عمار، 2017، ص8)

أو هو: تقديم المعرفة في نمط وظيفي على صورة مفاهيم متدرجة ومترابطة تغطي الموضوعات المختلفة دون أن يكون هناك تجزئة أو تقسيم للمعرفة إلى ميادين مفصلة.(الخياط عبد الكريم، 2001م،ص101)

وقد ارتبط هذا التعريف بالأزمة التي عرفتها المعرفة الحديثة نتيجة تفكك العلوم بعد انفصالها عن الفلسفة التي كانت تؤدي دورا توحيديا بينها، وقد شخص إدمون هوسرل هذه الأزمة في كتابه أزمة العلوم الأربية مبينا فقدان العلوم الحديثة لبعدها المعنوي والإنساني، واقترح الفلسفة الظاهراتية إطارا لاعادة توحيدها، بما سيمح بإعادة وصل المعرفة بالقيم والمعنى، وتحقيق فهم شامل للظواهر الاجتماعية والإنسانية.(نغش ادريس، 2009م، ص227).

2 مفهوم الفقه

يعتبر الفقه الإسلامي من أبرز العلوم وأشرفها في الحقل المعرفي الإسلامي، وقد تشكل هذا العلم عبر التاريخ الإسلامي منذ عصر التنزيل إلى يوم الناس هذا، بوصفه جهدا علميا يسعى لفهم النصوص واستنباط الأحكام منها، بقصد تنظيم حياة الفرد والمجتمع، وقد عرف الفقه في الاصطلاح، بأنه: "بالعلم بالأحكام الشرعية

العملية من أدلتها التفصيلية، والفقيه من اتصف بهذا العلم، وهو المجتهد."(التهناوي محمد، 1996م، ص 1282/2)

وعلى حسب رأي الامام الغزالي، فإن الفقه: "عبارة عن العلم بأصل الوضع، يقال فلان يفقه الخير والشر، أي يعلمه ويفهمه، ولكن صار بعرف العلماء: عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين، خاصة حتى لا يطلق – بحكم العادة- اسم الفقيه على المتكلم والفلسفي ونحوي ومحدث ومفسر بل يختص بالعلماء بالأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الإنسانية: كالواجب والحضر والإباحة والندب والكراهة وكون العقد صحيحا وفاسدا، وباطلا وكون العبادة قضاء، وأداء وأمثالها."(الغزالي أبي حامد، ص12/1)

3 التفكك الأسري تعريفه وأسبابه الاجتماعية

يعتبر التفكك الأسري من الظواهر البارزة التي تنخر جسد المجتمع، وتنعكس سلبا على البينة الداخلية للأسرة، ويصيب روابطها بعلة تضعف روابطها الوظيفية والعاطفية، مما يجعلها تفقد قدرتها على أداء الأدوار التربوية والاجتماعية.

ويعرف التفكك الأسري، على أنه حالة من الاغتراب الذاتي يفقد فيها الفرد وعيه المتماسك بهويته الشخصية، ويختبر شعورا بالانفصال عن ذاته، بحيث يبدو له سلوكه وشخصيته خاليين من الدلالة والمعنى، أو غير منسجمين مع متطلبات الواقع والحقيقة الذاتية.(المرجع في مصطلحات العلوم، ص:127).

وقد تعددت أسبابه الاجتماعية وتعددت أنواعه، ولعل من أبرز الأسباب المعاصرة التحولات القيمية والثقافية التي أحدثت تغيرا في بنية الأسرة وأضعفت السلطة الأبوية التقليدية، إضافة إلى الضغوطات الاقتصادية، التي لها أثر كبير في الاستقرار الاسري، إضافة الى التحول الرقمي السريع، الذي أثر في أنماط العلاقات الأسرية والتنشئة الاجتماعية، لا سيما المنصات الرقمية الاجتماعية، أضف إلى ذلك عوال أخرى كالبطالة، والهجرة، وغياب الحوار الأسري، وتبادل الأدوار بين الجنسين، كل هذه الأسباب وغيرها ساهمت في تكريس هذه الظاهرة، مما يجعلها ظاهرة شائكة تتجاذبها أبعاد مختلفة وتتشكل من عدة اتجاهات، في بهذا قضية تستدعي مقاربة منهجية تكاملية تجمع بين الفقه الإسلامي وعلم الاجتماع لتحليلها وفهمها وتفسيرها تفسيرا واقعيا. وسنخص بعض الأسباب بشيء من التفصيل على سبيل المثال لا الحصر، من ذلك:

خروج المرأة للعمل: شهدت الأمة الإسلامية تحولا بنيوية عميقة، في أدوار ووظيفة الأسرة، بفعل التغيرات التي طرأت على الأبعاد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي أعادت تنظيم وتشكيل أنماط الحياة الأسرية، ومن أهم هذه التحولات وأبرزها، إنخراط المرأة في سوق الشغل، واتساع مشاركتها بأن ولجت عدة خدمات عمومية وخاصة، وقد أدى هذا إلى إقبال المرأة على العمل المأجور إلى إحداث تحولات متعددة داخل النسق الأسري، إذ أسهم حصولها على الاستقلالية في تعزيز مكانتها داخل الأسرة، ومكنها من المشاركة الفعلية في إدارة الميزانية الأسرية واتخاذ القرارات المتعلقة بالشأن الأسري، وفي هذا السياق، يشير نيفا (Nieva) إلى أن عمل المرأة خارج المنزل يبدو أنه يترك أثرا واضحا في نمط اتخاذ القرارات الأسرية، حيث تزداد احتمالية مشاركتها في اتخاذ القرارات المتعلقة باستهلاك السلع والخدمات، كما يتعزز حضورها وسلطتها في القرارات الأسرية المرتبطة بالأبناء وبشؤون الحياة اليومية للأسرة.(كاميليا، ص 276)

وقد أكدت الدراسات السوسيولوجية التي أجرية في هذا الصدد أن خروج المرأة للعمل، جاء استجابة لعدة دوافع، منها ما هو اجتماعي وما هو ثقافي واقتصادي محض، ولعل هذا الأخير من أبرز الدوافع،" فقد أكدت دراسة أجريت في المغرب عبرت النساء أن الدافع الاقتصادي هو الذي يدفعهن للعمل، ويفسر البحث ذكر الدافع الاقتصادي على أنه نوع من أنواع التبرير حيث أن خروج المرأة في هذا المجتمع يعتبر خروجا عن المألوف."(كاميليا، ص85)

والناظر إلى هذا الدافع سيجد أن أغلب النساء إنما يخرجن للعمل بدافع انخفاض راتب الزوج المعيل الأول، وقد كانت المرأة تخرج للمعمل في بعض السياقات الثقافية التقليدية، لكن لا تترك أثر خروجها على تربية الأبناء وتدبير شؤون المنزل، ورغم ذلك يكون خروجها خلافا للمعهود، تواجه إثر ذلك نظرات اجتماعية نقدية.

أما في عصرنا الحديث، فقد أحدث هذا التحول في أدوار الأم الاقتصادية، شرخا كبيرا ينعكس على التنشئة الأسرية وأنماطها، فقد تعتقد الأم العاملة، أن خروجها للعمل قد يحسن من ظروفهم المعيشية، والتعليمية للأبناء، وتوفير ظروف أفضل للرعاية والصحة، غير أن حقيقة الواقع تخبر عكس ذلك، فقد يؤدي هذا إلى إعادة توزيع الأدوار التربوية داخل الأسرة، وغياب الحوار الأسري بين الأبناء والأم ثم الأب، وذلك ناتج عن

تقليص الوقت المخصص للإشراف المباشر على الأبناء، مما يجعل الأسرة ككل تفقد توازنها بين المتطلبات الاقتصادية والتربوية.

ومن الأسباب أيضا التي ساهمت في انتشار ظاهرت التفكك الأسري، وراح ضحيتها الآباء والأمهات والابناء، ما يطلق عليه المنصات الرقمية الاجتماعية،(وتساب، فيسبوك، أنستغرام، يوتيوب) وغيرها من المنصات الرقمية، التي أحدثت تغيرا كبيرا في وظيفة الحوار الأبوي، وأصبح الكل معزولا في عالمه الافتراضي، فتجد له أصدقاء افتراضيين وعلاقات اجتماعية افتراضية، مما يوثر سلبا على التواصل الأسري وغياب الرقابة الأبوية. فقد أكدت دراسة أجراها الباحثان، مصطفى سحاري وخير الدين بوهدة "أن مواقع التواصل الاجتماعي تؤثر سلبا على العلاقات والروابط الأسرية، وهذا من خلال إلغاء دور الأسرة في النقاش وتبادل الأفكار والآراء واستبدالها بمجال آخر افتراضي يتمثل في مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفايسبوك منها الذي صار يستأثر حاليا بتبادل الأفكار والآراء، كما أدى هذا إلى انتزاع دور الأسرة في التوجيه والإرشاد، كما يزيد في نسبة المشاكل داخل الأسرة، ولعل أرقام ومعدلات الطلاق، خير دليل على هذا، وأغلب حالات الطلاق والخلع كان سبب المشكلة فيها مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفايسبوك منها.(سحاري مصطفى، 2021م، ص18-19)

ومن هنا يمكن أن نشير على مجموعة من أبرز التأثيرات مواقع التواصل الاجتماعي الرقمي على التفكك الأسري من ذلك:

العزلة المفرطة داخل الأسرة: أسهمت وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل فضاء افتراضي مواز للواقع الاجتماعي، يتميز بإعادة بناء التفاعلات والعلاقات الأسرية بصورة رمزية قد تنفصل عن المعطيات الواقعية، وقد أدى الاعتماد المكثف على هذا الفضاء إلى ميل الأفراد إلى الانكفاء على عوالم رقمية خاصة، بوصفها ملاذا من ضغوطات الواقع ومشكلاته اليومية، الأمر الذي عزز مظاهر العزلة الاجتماعية حتى داخل المحيط الأسري.

أفضى هذا الوضع إلى إضعاف التفاعل الأسري المباشر، حيث بات كل فرد يعيش ضمن دائرة رقمية خاصة، بما أحدث نوعا من التباعد العاطفي والتواصلي بين أفراد الأسرة، وانعكس ذلك سلبا على علاقتهم الاجتماعية داخل المجتمع، كما أثر هذا التحول على تراجع مظاهر التجمع الأسري والمناسبات الاجتماعية

التي كانت تمثل فضاءات للتضامن والتماسك الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع.(أسعد الحسين، 2016م، ص339)

إهمال الواجبات الأسرية: إن الافراط في التعاطي لمواقع التواصل الاجتماعي، يؤدي إلى خلل وظيفي في دور الأبوين في رعاية الأطفال، وعدم الاكتفاء الزوجي والانشغال عن واجبات الزوج أو عن حقوق الزوجة، مما سيحدث طلاقا عاطفيا، قد يؤدي إلى زيادة المشاكل ورفع احتمالات الطلاق والخيانات الزوجية الواقعية والافتراضية.

التأثير على القيم والثقافة: وقد أثبتت الدراسات التي أجريت في هذا الشأن، أن ما يعرض على وسائل الاتصال الحديثة، يتنافى مع القيم الأسرية حسب آراء أفراد العينة بنسبة (81,7%) وهذا ما يدل على إنذار خطر لما يتعرض له أبناؤنا، كما أوضحت نتائج الدراسة أن وسائل لاتصال تؤثر في القيم الأسرية، ولعل أهمها قيمة الانفتاح على ثقافة التقليد للموضة والملابس؛ إذ سجلت نسبة(96,2%) يليها القيم الاجتماعية بنسبة (92,5%)وهذا ما يتوافق مع إجابات العينة في تأثير الوسائل على القيم، ولعل من أهما قيمة صلة الرحم، إضافة إلى أن هذ الوسائل تعرض عرضا قيميا يتنافى مع القيم الأخلاقية السائدة في المجتمعات الإسلامية، كالانفتاح على العالم، والتمرد على قيم المجتمع، وعرض موضوعات تتنافى مع ديننا الحنيف.(البرق لطيفة، 2025م، ص171)

سيادة النزعة الفردانية: يؤدي الاستعمال المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي، إلى إحداث خلل نفسي في شخص المستعمل، يتجلى في إبراز الذات والبحث عن الاعتراف الاجتماعي الافتراضي، محاولا بذلك أن يشبع نقصه الذي طاله في الواقع، مما يجعل المستعمل يبرز النزعة الفردانية على حساب روح التضامن الأسري والتكافل بين أفراد الأسرة.

الاستهلاك المظهري والمقارنة الاجتماعي: كثيرا ما يقع مستعملي منصات التواصل الاجتماعية ضحية ثقافة الاستهلاك، والمقارنة مع باقي مستعملي هذه المنصات، ما يضع أفراد الأسرة أو أحد الزوجين، تحت وطأة الضغط الاقتصادي، والنفسي، وقد يكون هذا الضغط ذريعة لوقوع الخلافات وتزايد النزاعات حول الانفاق وأنماط العيش.

ثانيا: الأسس النظرية للتكامل بين الفقه وعلم الاجتماع

يمثل التكامل بين الفقه وعلم الاجتماع من إحدى القضايا المعرفية الأساسية في الدراسات الفقهية والاجتماعية المعاصرة، وذلك من أجل النهوض بعملية الاجتهاد المعاصر، وتجاوز الفصل التقليدي بين المعرفة الفقهية والمعرفة الاجتماعية، ولا بد لهذا التكامل من أسس نظرية تضمن فاعليته ويتم على اثرها تجاوز القطيعة المعرفية، ولعل من أبرز هذا الأسس ما يلي:

أساس وحدة المعرفة: الذي يرمي إلى تكامل العلوم ووحدتها على اعتبار أن الكون واحد والظواهر الإنسانية واحدة وإن تعددت زوايا مقارباتها، ولكي يضمن التكامل نجعته على المستوى العالمي فيجب ضرورة "أن تربط جميع المعارف بمصدرها الواحد وهو الله سبحانه وتعالى سواء كانت وحيا أوحى الله بها على الانسان بأساليب الوحي المعروفة، أم يسر للإنسان اكتشافها وتطويرها واكتسابها بأساليب البحث والسعي والنظر." (فتحي حسن، 2011م، ص32)

الأساس المقاصدي: يعتبر هذا الأساس من أهم الأسس الذي يلعب دورا مركزيا في عملية التكامل بين الفقه وعلم الاجتماع، وذلك بربط العلوم بغاياتها، بما يخدم مصلحة الانسان الحضارية والعلمية.

الأساس المنهجي والنقدي والاستمداد: يركز هذا الأساس على تفكيك العلوم والوقوف على المواضع التي يمكن أن تتناقح على اثرها، سواء كانت هذه القناة منهجية، أو مفاهيمية، وذلك في إطار تعزيز قدرة العلوم على الاستفادة وإعادة صياغة المفاهيم النظرية بما ينسجم مع مقاصد العلوم وغاياتها في تطوير البحث العلمي ومواكبة تطور البحث العلمي والتكنولوجي.

الأساس التاريخي والتأصيلي للتكامل: أن الناظر إلى التكامل بنظرة تاريخية تأصيلية سيجد أن أصله القرآن الكريم الذي يدعو فيما من موضع التدبر والتفكر بين الآيات الكونية المنظورة، والآيات المسطورة، إشارة منه سبحانه وتعالى إلى وحدة المعرفة وتكاملها، ويرشد الباحث إلى رؤية شمولية بدل النظرة المجزأة، وهذا بدوره يحقق مقصد القرآن الكريم في بناء الشخصية الموسوعية.

الأساس التأويلي (الهيرمينوطيقيا): يهتم هذا الأساس بمشكلات الفهم والتأويل، ويقوم على فلسفة التعمق خلف ما هو ظاهر من تعبيرات وعلامات ورموز للكشف عن المعاني الكامنة والجوانب غير المتعينة من الخبرة أو التجربة، وبصفة عامة يعنى بالإجراءات والمبادئ المستخدمة في الوصول إلى معاني النصوص المكتوبة بما

في ذلك النصوص القانونية والتعبيرية والأدبية والدينية، وليصبح البحث عن نظرية تعني بتأسيس المعنى وإدراكه ضرورة ملحة.(غنيمة هارون، 2022م، ص167) فقد يساهم هذا الأساس في ربط النص بسياقه التاريخي والاجتماعي، وتنزيله على الواقع المتغير برؤية مقاصدية تحفظ على الفرد والجماعة مصالحهم وتدفع المفاسد، وتحليل النصوص السوسيولوجية والوصول إلى معانيها الكامنة، جدير أن تسفر عن نقاط تقاطع بين الفقه وعلم الاجتماع، إضافة إلى الأساس الابستيمولوجي النقدي، الذي يهدف ردم الهوة الناشئة بين التخصصات، ونقد التجزئة المعرفية بين علم الفقه وعلم الاجتماع، وإعادة بناء حقل معرفي متكامل يتم فيه وصل ما انقطع بينهما.

1 الأسس النظرية.

يقوم هذا التكامل بين الحقلين –الفقه وعلم الاجتماع– على أسس مركزية، مشتركة من ذلك وحدة موضوع السلوك الإنساني، والآخر تلاقي الفقه بعلم الاجتماع في دراسة الواقع الاجتماعي، إضافة إلى مفاهيم أخرى يتقاطع فيها الفقه الإسلامي، بعلم الاجتماع، كالعرف والضبط الاجتماعي، وكذا التغير الاجتماعي، مما يعزز بناء مشروع تكاملي يجمع بين التفسير السوسيولوجي، وتوجيه الفقهي المقاصدي، وبالتالي يمكن بناء نظرية متكاملة انطلاقا من هذا التصور.

نظرية الضبط الاجتماعي: تعتبر نظرية الضبط الاجتماعي، من أبرز النظريات الاجتماعية التي تناولت تنظيم سلوك الأفراد، وضمان الامتثال للقيم، وهذا لا يعني أن النظريات الأخرى لم تتطرق لمسألة الضبط الاجتماعي، وسعت لتفسير أسباب الامتثال والانحراف، واقتراح آليات الحفاظ على النظام الاجتماعي، وفي هذا السياق ظهرت لنا نظرية الضبط الاجتماعي بوصفها إطار نظري يركز على تفسير دور الروابط الاجتماعية والقيم المشتركة في الحد من السلوك المنحرف. ومن أبرز رواد هذا الاتجاه ترافيس هرشي" الذي طرح عدة عناصر للربط الاجتماعي كصورة متكاملة، وبيان دورها في منع الجنوح والانحراف.

وعلى حسب رأي هرشي أن الارتباط الاجتماعي، له أربعة عناصر وهي مرتبطة بعملية التنشئة الاجتماعية وهي: الارتباط(Attachment)، الالتزام (Commitment)، الانخراط أو المشاركة (Involvement)، والاعتقاد، (Belief)، وقد أكد هرشي أن ارتباط الفرد بالآخرين يعد " جوهر استدماج المعايير" مبينا أن مدى حدوث استدماج المعايير كان يستدل عليه عادة بشكل غير مباشر من خلال ملاحظات حول مقدار

السلوك الجانح الذي تنخرط فيه الفرد، واقترح أن العلاقة بين الجنوح والارتباط ينبغي قياسها مباشر من خلال دراسة مدى تطور الروابط مع الآخرين دوي الأهمية. أما عنصر الالتزام فقد وصفه بأنه الاستثمار الذي يقوم به الشخص في السلوك التقليدي والذي قد يفتقده إذا قرر خرق القانون، ويقاس هذ الالتزام من خلال الاتجاهات الإيجابية نحو العمل والتعليم والحياة الراشدة. في حين يعتبر الانخراط العنصر التالي من عناصر الربط الاجتماعي، بما يعرف ب تعطيل الفرد عن الجنوح من خلال إشغاله بسلوكيات اجتماعية إيجابية مؤيدة للنظام الاجتماعي بحيث لا يكون متاحا للمشاركة في سلوكيات مخالفة للقانون، وعليه فإن الانخراط يعد البعد السلوكي للالتزام، أي التعبير العملي عنه في الواقع.

أما العنصر الأخير من عناصر الرابطة الاجتماعية فهو عنصر الاعتقاد، وتفترض صياغة هيرشي لنظرية الضبط الاجتماعي، وجود نسق قيمي مشترك داخل المجتمع أو الجماعة التي تنتهك معاييرها. معتبرا أن النقط الأساسية هي أنه إذا لم يتم تطوير الولاء لنسق اعتقادي معين، أو إذا ضعفت تلك الروابط لأي سبب من الأسباب، فإن الفرد يصبح حرا في التصرف دون مراعاة لذلك النسق الاعتقادي.(وياتروسكي (Wiatrowski): 1978م، ص22)

وبالتالي فإن نظرية الضبط الاجتماعي تفترض أن الذين يتبنون النسق القيمي الاجتماعي يشاركون في السلوكيات الامتثال، في حين أن الذين لا يتبنون هذا النسق يكنون أكثر عرضة للجنوح، وبذلك فإن مدى انحراف الأفراد يعد دالة في مستوى الاعتقاد بالقيم والمعاير الاجتماعي. كما تفترض أيضا أن الجنوح ينشأ في التفاعل الأسري إذا فشل الشباب في استخدام السلو المعياري وتطوير استثماراتهم في السلوك التقليدي، يصبحون عرضة لبني المعايير الجانحة.

على الشكل الآتي: نقص دعم الأسرة يؤدي إلى التعريفات الجانحة ثم تؤدي هذه إلى السلوك الجانح وهذه الأخيرة ستؤدي إلى الأصدقاء الجانحون.

ومن هنا يمكن أن نقول أن عناصر الرابطة الاجتماعية يمكن استثمارها في الدراسات الفقهية المعاصرة على اعتبار انها أدوات تفسيرية تسعى لفهم وظيفة الأحكام الشرعية في ضبط السلوك الاجتماعي، حيث تتيح هذه العناصر الأربع للفقه الإسلامي، من خلال الأسرة، العبادات، والقيم الأخلاقية، تكوين رابطة اجتماعية قوية تحمي الفرد من الانحراف بما يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية وما توصلت إليه نظرية الضبط

الاجتماعي من أن الروابط متى كانت قوية تقلل من احتمالية وقوع السلوك الجانح، وسنبين أوجه التكامل بين الفقه الإسلامي والرابطة الاجتماعية، وذلك من خلاله ربط العناصر الأربع بأحكام الفقه، على النحو الآتي:

عنصر الاعتقاد يقابله في الفقه الإسلامي، العقيدة، والأخلاق الإسلامي، أما عنصر الارتباط، فيقابله في الفقه الإسلامي، بر الوالدين، السيرة النبوية، والتربية الشرعية، أما الالتزام، فيقابله، الكسب الحلال، الزكاة والوقف، وعنصر الانخراط، يقابله العبادات، الأنشطة الدينية، والخيرية. بهذا يمكن أن ننتج نظرية مركبة تجمع بين المعطيات السوسيولوجية وآليات الضبط الشرعي.

التفاعلية الرمزية: يعتبر هذا الاتجاه من أبرز الاتجاهات التي تتناول سلوك الأفراد انطلاقا من التفاعلات اليومية والرموز المشتركة، والمعاني، التي يكونها الأفراد في سياق حياتهم الاجتماعية، فهي لا تنظر للسلوك الاجتماعي باعتباره مجرد، بل نتاج للتفسير الذاتي والتواصل الرمزي مع الآخرين، فهي اذن تسعى "نحو تحقيق فهم أكثر عمقا وأكثر ثراء للسلوك الإنساني والعلاقات الاجتماعية، بل ولعلم الحياة اليومية برمته." (احسان محمد، 2015م، ص66) ويعتبر جورج هيربرت ميد من أشهر رواد هذا الاتجاه، والذي يعتقد أن الذات في المجتمع أو الذات الاجتماعية هي حصيلة تفاعل عاملين أساسيين هما العامل النفسي الداخلي الذي يعبر عن خصوصية الفرد وسماته الشخصية المتفردة والعامل الاجتماعي الذي يجسد مؤثرات البناء الاجتماعي المحيط بالفرد، وإن تضافر هذين العاملين بعضهما مع بعض هو الذي يكون الذات الاجتماعية عند الفرد.(احسان محمد، ص82)

وتقوم التفاعلية الرمزية أثناء تفسيرها للعلاقة بين الزوج والزوجة وفق الخطوات التي تمر خلالها هذه النظرية عند تطبيقها وهي:

- يتم التفاعل بين الزوجين لفترة تتراوح بين أسبوع وسنة بحيث يتعرف كل طرف على الطرف الآخر.
- بعد انتهى مدة التعارف تتشكل صور انطباعية ذهنية أو رمزية عن الطرف الآخر.
- يكون التفاعل عبر اللغة والاتصال ومن خلال ذوات الأشخاص المتفاعلين.
- الصورة التي يكونها كل طرف تحول إلى رموز مرغوبا بها أو غير مرغوبا فيها.
- التقييم وهو رمزي أي ان تقيم الفرد لذاته هو من تقيم الآخرين له.

- اذا كان التقييم الرمزي إيجابيا فإن التفاعل بين الأفراد يستمر، أما العكس فإن التفاعل يتعثر.
- التقييم الرمزي هو عملية ذات وجهيين، انطلاقا من كونه ايجابيا أو سلبيا.(احسان محمد، ص 90-91)

من خلال هذه الخطوات يمكن أن يستفيد الفقيه في دراسات القضايا الاجتماعية خصوصا قضايا الأسرة، بحيث تمكنه هذه الآلية من التحليل الرمزي للسلوك وتفسير سبب التفكك الأسرة، كما تساعده هذه الآلية بتوفير جهده الذهني واقتراح آليات علاجية أو وقائية تعزز التوجيه الأسري، والإصلاح، وهذا التكامل النظري يمكن رصده كالآتي:

بعد أن يقوم الفقيه باستعمال التفاعلية الرمزية في دراسته، فإنه يخلص في الأخير إلى القيم الرمزية المتبادلة (إيجابية/سلبية) التي ستبين استمرار التفاعل أو التعثر، هنا يأتي دور الفقه بمنظومته الشرعية فيحدد السلوك المشروع والمرفوض، ثم يقوم بتوجيه العلاقة الزوجية والأسرية، وذلك بتعزيز قيم المودة والرحمة. ثم ضبط النزاعات ومنع التفكك بضوابط شرعية.

النتيجة إعادة انتاج التماسك الأسري وتعزيز الضبط الاجتماعي وفق مقاصد الشريعة التي ترمي إلى حفظ النفس والنسل.

ثالثا: التكامل التقني بين الفقه وعلم الاجتماع

يعتبر التكامل المعرفي بن الفقه وعلم اجتماع من أهم أحد المداخل المعرفية التي تعنى بسلوك الانسان دراسة وتحليلا، على اعتبار أنها تجمع بين الوصف العلمي والتنظيم المعياري لها، ومن هذا المنطلق تظهر لنا أهمية التكامل التقني بين الحقلين، بوصفه ضرورة منهجية دعت إليها طبيعة القضايا الاجتماعية، لهذا لا مناص من تكامل يسمح للفقيه أن يوظف المعطيات السوسيولوجية في الاجتهاد الفقهي، واستعمال أدوات البحث الاجتماعي، كمقاربة علمية شاملة لفهم الظواهر الاجتماعية، ومعالجتها أو الحد من انتشارها على أسس علمية وشرعية متكاملة.

2 توظيف مناهج علم الاجتماع في الاجتهاد المعاصر

أصبحت الدراسات الفقهية بين الأمس واليوم مطالبة على الانفتاح على المناهج الاجتماعية الحديثة، لتعزيز آليات الفقه الاجتهادي لفهم الواقع، وتصور النازلة وتنزيل الأحكام، ويعد توظيف هذه المناهج منطلقا مركزيا لفهم السياقات الاجتماعية للنصوص الشرعية.

ولنضرب مثلا بذكر بعض الأدوات التي توضح ضرورة هذه المقاربة التقنية، ومدى أهميتها في العمل الاجتهادي، من ذلك ما يلي:

أ. دراسة حالة: يعد هذا المنهج إطارا بحثيا يهدف إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بوحدة اجتماعية محددة، سواء كانت فردا أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا محليا أو مجتمعا عاما، ويقوم على التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ هذه الوحدة أو تتبع مختلف المراحل التي مرت بها، بعرض استخلاص تعميمات يمكن تطبيقها على وحدات اجتماعية أخرى متشابهة.(عبد المؤمن علي، 2008م، ص315)

ووجه التكامل التقني بين الفقه وعلم الاجتماع هنا، هو الالتحام بالواقع، والاستفادة من الأسئلة التي طورها علماء الظواهر الاجتماعية، من ذلك:

- الأسئلة الواقعية البسيطة: ماذا حدث؟
- الأسئلة المقارنة: هل حدث ذلك في كل مكان؟
- الأسئلة التطورية: هل حدث ذلك على مراحل زمنية؟
- الأسئلة النظرية: ما الذي يكمن وراء الظاهرة؟ (المتقي عبد العالي،2018م، ص1379)

ب. الاستبيان: وهي وسائل رصد ميدانية عظيمة الفائدة، وتصمم عادة بحسب طبيعة الظاهرة التي نود رصدها وتفيدنا في التعرف على اتجاهات الرأي العام في المجتمع حول القضايا التي تكون موضوع النظر الفقهي.(قطب مصطفى، 2000م، ص144)

ت. الاحصائيات: تعتبر الاحصائيات من أهم الأدوات التي ذاع صيتها في أواسط البحث الاجتماعي، وهي من الأساليب الكمية التي تهتم بجمع البيانات وتنظيمها وتحليلها وتفسيرها، قصد وصف الظاهرة الاجتماعية، وتعتبر النتائج المستخلص من هذه العملية مركزية في اتخاذ القرار والتعميم العلمي، ونظرا لأهميتها في وصف الظاهرة، فإن الفقيه المجتهد يمكن أن تقدم له خدمة

جليلة، تكمن في تمكين المجتهد نت الإحاطة الدقيقة بالظاهرة المدروسة قبل إصدار الحكم أو الفتوى بشأنها، كما تساعده في تقويم الفتاوى بعد صدورها من خلال الرصد الاحصائي المنهجي لآثارها وتداعياتها على الواقع الاجتماعي، بما يتيح تقييم مدى تحقق مقاصدها وفاعليتها العلمية.(كنعان أحمد، 1432هـ، ص208)

ث. المسح الاجتماعي: وهو أحد أعمدة البحوث الاجتماعية، يسعى إلى جمع البيانات وتحليلها موظفا مجموعة من الأدوات كالمقابلة والاستمارة، قصد الوصول إلى عدد كبير من المعلومات حول الظاهرة المعنية بالبحث. وينقسم هذا المنهج وفق ظروف الظاهرة، إلى مسح وصفي ومسح تحليلي، ويهدف المسح الوصفي إلى وصف الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة وصفا دقيقا، من خلال تحديد خصائصها واتجاهاتها ومظاهرها كما هي في الواقع، أما المسح التحليلي، فلا يكتفي بوصف الظاهرة، بل يسعى إلى تفسيرها والكشف عن العلاقات السببية بين متغيراتها، وتحليل العوامل المؤثرة فيها، وغالبا ما يتضمن المسح التحليلي استخدام أدوات وإجراءات أكثر تعقيدا للتحقق من صحة الفروض العلمية، ثم الخروج باستنتاجات وتوصيات مرتبطة بأهداف البحث.(أبراش إبراهيم، 2009م، ص 152-154)

فهذه بعض الأدوات التي يمكن أن تتكامل مع الفقه تكاملا تقنيا، إلى جانب المصادر الفرعية التي يعتمد عليها الفقيه في جمع الأمارات وتقصي الحقائق قبل صدور الحكم، فإن كان الفقه الإسلامي يساير الواقع بما يقتضيه الحال من الآليات، فإن عصرنا الحديث يستلزم على الفقه الاطلاع على مناهج علم الاجتماعي، لا سيما إذا كانت "الواقعة محل الاجتهاد ظاهرة معقدة أو مؤلفة من مجموعة من الظواهر المعقدة فينبغي فهم تلك الظواهر من خلال الأدوات المعرفية المناسبة وضمن منهجية ملائمة مع تلك الظواهر، وهذا ما يستدعي في كثير من الأحيان الاستعانة بالمناهج المختلفة لفهم الواقع محل الاجتهاد، إذ الوقائع الاجتهادية خارج دائرة العبادات هي وقائع اجتماعية في الغالب وتحتاج إلى فهمها إلى علم الاجتماع.(مصطفوي محمد، 2008م، ص116)

كما يمكن للفقيه أن يستثمر هذ الأدوات في عمله الفقهي، ويعزز دراسته بمجموعة من الأدوات المنهجية التي سيكون لها تأثير بارز في الصناعة الفقهية أو على مستوى الإفتاء من ذلك:

أ). تحقيق المناط الاجتماعي: يعتبر تحقيق المناط من أهم آليات الاجتهاد وأبرزها، فقد تحدث فيه الأصوليون واستفاضوا في ذلك نظرا لأهميته في تنزيل الأحكام الشرعية على الواقع المتغير، بعد فهم خصائص هذا الواقع وسياقاته بدقة، لهذا نجد امام المقاصد يعرفه بقوله: أن يثبت الحكم بمدركه الشرعي لكن يبقى النظر في تعيين محله.(الشاطبي، 2004م، ص66/4)

وتحقيق المناط من أهم مقومات فقه التنزيل لأن قصد الشارع من وضع التكاليف أن تتنزل في الوجود بحسب الوقائع والنوازل، لأن الأفعال لا تقع في الوجود مطلقة، وإنما تقع معينة مشخصة فلا يكون الحكم واقعا عليها إلا بعد المعرفة بأن هذا المعين يشمله ذلك المطلق أو ذلك العام. (الشاطبي، 2004 ، ص66/4)

والمقصود بتحقيق المناط هو العلم بالموضوع على ما هو عليه، على حسب تعبير الامام الشاطبي رحمه الله، وهذا العلم يقتضي أن يعزز بأحدث الوسائل والآليات حتى يحصل للفقيه الوصف التام للواقعة أو النازلة بأن يستحضر مجموعة من الأمارات والقرائن التي يمكن أن تغير الحكم أو تسفر عن جانب من جوانبه الكامنة، سواء ما يتعلق بالمكلف، أو تحديد العرف والعوائد، وما يجب اعتباره في النظر الفقهي، "وقد قرر الأصوليون أن العرف من قواعد تحقيق المناط فالعرف بشروطه وضوابطه لا يصلح فقط مناطا في مسائل النفقات، بل هو مؤطر في الأخلاق والطبائع المستحسنة والمستهجنة عن الأقوام، وفي القضايا الاجتماعية، فالعرف كما هو وسيلة كشف للواقع فإنه قد يكون وسيلة تشريعية للواقع أن يلبسه صبغة شرعية ليكون مقبولا، مما يوعز بأهمية دراسة مقارنة بعلم الاجتماع."(بن بيه، 2014/، ص33)

ب). استقراء الاتجاهات ووضع السيناريو: ويعتبر استقراء الاتجاهات من أهم الخطوات في الدراسات الفقهية التي تزود الفقيه المجتهد، بمعرفة القوى التي كانت تؤثر في تشكيل الاتجاه في الماضي، سوف يستمر تأثيرها في المستقبل، أما السناريو، فله من الأهمية بما كان بحيث يستحضر الفقيه مجموع من السيناريوهات تضم جميع الاحتمالات واستحضار ما سيترتب على كل احتمال، "ولبناء سيناريو يحتاج الباحث إلى تحديد الظاهرة التي يريد دراستها والأطراف المعنية ثم وضع كل احتمال لكل طرف، وتحديد التداعيات التي يفترض أنها سترتب على كل خطوة، ثم ربط التداعيات المختلفة ببعضها بعض، حيث إن كل تداع سيترك آثاره على غيره".(هاني عبد الله، 1429هـ، ص 37)

ج). فقه المآل: ومعناه النظر فيما يمكن أن تؤول إليه الأفعال والتصرفات والتكاليف موضوع الاجتهاد والإفتاء، والتوجيه، وإدخال ذلك في الحسبان عند الحكم والفتوى، وإذا كان تحقيق المناط يقتضي معرفة ما هو واقع، فإن اعتبار المآل يقتضي معرفة ما هو واقع، ومن هنا فإن معرفة المآل جزء من معرفة الواقع وثمرة من ثمراته.(الجميلي، 2016، ص364)

ويتجلى التكامل التقني بين المعرفة الفقهية في هذا الصدد وعلم الاجتماع، في استثمار المناهج السوسيولوجية، وتوظيفها في استشراف الواقع وتتبع نتائج الحكم الشرعي، وتقدير المصالح أو المفاسد الناتج عنه، وتحليل السياقات الاجتماعية في علاقتها مع الحكم، والتنبؤ بالتداعيات المقصودة وغير المقصودة، وترتيب الأولويات، وتقويم الفتاوى بعد تطبيقها خصوصا تلك التي تصدر عن المؤسسات الدينية المركزية، بما يضمن تنزيل الأحكام الشرعية وفق رؤية مقاصدية على الواقع الاجتماعي.

د). حسن التصور: إن من أهم المراحل القبلية لعملية الاجتهاد مرحلة تصور النازلة، التي تتطلب من الفقيه المجتهد، أن يقف على تصور النازلة، بما توفر لديه من مدارك، كاستشارة أهل الخبرة، ممن له دراية أوسع بموضوع النازلة، وغيرها من "المصادر التي يتعين على الفقيه أو المفتي أن يصل إليها ليتعرف منها على صورة النازلة وهو من باب الاقتراب من اليقين."(الخمليشي عبد الهادي، 2015، ص433)

وهنا لا مناص للفقيه من الاستعانة بالمعطيات السوسيولوجية، واستثمارها في تشكيل التصور الصحيح للنازلة موضوع الدراسة، وحتى يتجنب الخطأ بأن يغفل جانبا من جوانب النازلة، أو استحضار صورة دون أخرى، وقد تفرر في الفقه الإسلامي، أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، لهذا يجب على الفقيه أن يستثمر كل الأدوات التي تساير الواقع العلمي، من ذلك مناهج علم الاجتماع، سدا لهذه الثغرة في "المعرفة الفقهية، لما لها من أثر على الفتوى، وعلى الخلل الذي يقع أحيانا في الحكم الشرعي لوجود التقصير في تصوير النازلة ومعرفتها المعرفة التامة التي يحصل معها الاطمئنان إلى إصدار الحكم في زمن العلم والمعرفة."(الخمليشي عبد الهادي، ص 423)

وبناء مما سبق يمكن أن نستخلص أن المعرفة الفقهية ستغني رصيدها المنهجي بهذا التكامل التقني في الدراسات الفقهية المعاصرة ذات البعد الاجتماعي، كتقدير العلل والأسباب، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والنظر إليها من حيث التأبيد أو أنها عبارة عن مصلحة محدودة، وتقيم أثر الأحكام على الاستقرار

الاجتماعي، كما ستساعده في قضايا الاسرة على إبراز الأولويات الإصلاحية في الأسرة والمجتمع ككل، وغيرها من القضايا غير التي تم ذكرها، فما من معرفة فقهية، متعلقة بالواقع الاجتماعي وفقه النفس، إلا ولها تقاطع مع العلوم الاجتماعية والإنسانية، مما يمكن أن نقول أن علم الاجتماع له امتداد كبير في عمل الفقيه، حتى قبل ظهوره كعلم مستقل، لهذا لن يجد الفقيه صعوبة في استثمار بعض المناهج والنظريات السوسيولوجية التي ترمي إلى فهم الظواهر ووصفها وصفا دقيقا.

خاتمة:

وفي الختام يمكن أن نقول أن التكامل التقني بين الفقه الإسلامي وعلم الاجتماع، بوصف مقاربة منهجية مركبة، ستسهم في إنشاء فهم أعمق لظاهرة التفكك الاسري، إذا استثمرت هذه المقاربة في التوجيه الأسري، وفهم الوظيفة الأساسية للأسر، وأدوارها الاجتماعية، والكشف عن العوامل البنيوية والثقافية والاقتصادية التي لها تأثير على العلاقات الأسرية، وعليه فإن هذا التكامل يسعى إلى تجاوز فقه النصوص المؤطرة لظاهرة التفكك الأسري، ويؤسس لرؤية شمولية تكاملية، تجمع بين الضوابط الفقهية والتحليل الاجتماعي، بما يفتح باب معرفي جديد على الدراسات الفقهية تعيد فيه بناء السياسات الأسرية والتربوية على مرتكزات، علمية وقيمية، تضمن التماسك الأسري في المجتمعات الإسلامية.

ومن هذه الزاوية يمكن أن نطرح بعض النتائج التي تمخضت بها هذه الورقة، من ذلك:

أن التكامل التقني بين الفقه وعلم الاجتماع لم يعد خيارا ، بل أصبح ضرورة ابستيمولوجية، أفرزتها تعقيدات الواقع وحاجة الناس إلى حلول شرعية تناسب واقعهم المعاش.

أن التفكك الأسري أصبح ظاهرة تنخر جسد المجتمع الإسلامي، تحت مسميات متعددة، وأسباب فاقت التقدير الفقهي، مما جعل الرؤية الأحادية غير مستوعبة لبعض أسبابه خصوصا الكامنة، التي تحتاج للكشف وتفسير أسبابها، وهذا يعتبر مسوغا ظاهرا للتكامل بين الفقه وعلم الاجتماع كمقاربة منهجية تهدف إلى فهم وتحليل ظاهرة التفكك الأسري واقتراح حلول تعيد للأسرة تماسكها وفق مقاصد الشارع.

التوصيات:

تطوير مناهج الفقه في المدارس والجامعات، وادراج علم الاجتماع، حتى تتمكن المؤسسات من إصدار جيل من الفقهاء لهم دراية واسعة بعلم الاجتماع ومناهجه.

تعزيز الوساطة الاجتماعية، بمقاربة تجمع بين الفقه وعلم الاجتماع، وتكوين الوسيط الاجتماعي لهذا الغرض. إطلاق مشروع كبير يجمع المعطيات السوسيولوجية، تفسر أسباب ودوافع انتشار ظاهرة التفكك الأسري، ووضعها رهينة إشارة المجتهدين والمفتين.

هناك العديد من نقاط الوصل بين الفقه وعلم الاجتماع، كثيرة هي أن تحصى، وجدير بها أن يقف عليها الباحث ويستفرغ جهده في البحث عن أوجه الوصل بين هذين الحقلين، كمسلك العلة على سبيل المثال.

قائمة المراجع:

1. احسان محمد الحسن 2015م: النظريات الاجتماعية المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، ص 66.
2. براش إبراهيم خليل 2009م: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، عمان، ص 152-154.
3. بن بيه عبد الله 2014م: إثارات تجديدية في حقول الأصول دار التجديد، جدة، ص 141.
4. التهناوي محمد 1996م: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم واشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ص1282/2.
5. الشاطبي 2004: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله الدراز، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص65/4.
6. عبد المؤمن علي: 2008م مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا ص، 315.
7. الغزالي : المستصفى من علم الأصول، اعتنى به ناجي السويد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ص 12/1.
8. فتحي حسن ملكاوي 2011م منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينا، الولايات المتحدة الأمريكية، ص32.
9. قطب مصطفى سانو2000م: أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر، دار الفكر، دمشق، ص144.

10. كاميليا عبد الفتاح: سيكولوجية المرأة العاملة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة، القاهرة، ص276

11. كنعان أحمد محمد 2010م: نظرات في علم أصول الفقه، سلسلة روافد رقم 36، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطاع الشؤون الثقافية، إدارة الثقافة الإسلامية، الكويت، ص 208.

12. المرجع في مصطلحات العلوم نخبة من أساتذة علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص127.

13. مصطفوي محمد 2008: فلسفة الفقه دراسة في الأسس المنهجية للفقه الإسلامي مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت لبنان، ص116

14. هاني بن عبد الله بن محمد (1429هـ): في معالم المنهجية للدراسات المستقبلية، كتاب البيان، الرياض، ص37.

15. Wiatrowski Michael (1978) : « Social control theory and Delinquency » dissertation, and thèses, portland state university papier, 837, p22

المقالات:

16. أسعد الحسين، بن ناصر سعيد 2016م: أثر التواصل الاجتماعي على سلوكيات وقيم الشباب من منظور التربية الإسلامية، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، مج،35، ع3، ص339

17. البرق لطيفة عمر 2025م: دور وسائل الاتصال الحديثة في التغير الثقافي والقيمي للأسرة، دراسة ميدانية على عينة من طلاب كلية الآداب في جامعة سرت ليبيا، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، مج، 5، ع5، ص171

18. الخمليشي عبد الهادي 2023م: التكامل بين المعرفة الفقهية والعلوم الإنسانية، وأثره في ترشيد الاجتهاد، مجلة المعيار دار الحديث الحسنية، ص433.

19. الخياط عبد الكريم عبد الله 2001: أرآء معلمي وموجهي المواد الاجتماعية حول استخدام الأسلوب التكاملي في بناء وتدريب، منهج المواد الاجتماعية للصف الأول والثاني في المرحلة الثناوية بدولة الكويت، المجلة التربوية، ع 61، ص 101.

20. سحاري مصطفى، خير الدين بوهرة 2021م: تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية، دراسة ميدانية على عينة من الأسر، مجلة البحوث والدراسات العلمية، مج 15، ع، 1، ص، 18-19.

21. غنيمة هارون: 2022م التأويل الهيرمنيوطيقيا، كنظرية وكمنهج نقدي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج، 14، ع1، ص، 167.

22. قاسمي عمار 2017م: التكامل المعرفي وآليات الاشتغال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم كلية العلوم الاجتماعية مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية، مج، 4، ع1،ص 8.

مداخلات:

23. المتقي عبد العالي 2018م: الوصل بين الفقه والعلوم الاجتماعية، رؤية في المنهج، المؤتمر الدولي الأول، العلوم الشرعية تحديات الواقع وآفاق المستقبل، ص 1379.

24. نغش دريس 2009l: في العقلانية العلمية الإسلامية، ندوة علمية نظمت برحاب مؤسسة دار الحديث الحسنية بتاريخ 15صفر 1430هـ، بعنوان: التكامل بين العلوم الإسلامية الأسس النظرية والشروط التطبيقية، ص 127.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

Implicitness as an enunciative operator in computer science textbooks

Fatima Zahra BOUHAFNA
Languages, Cultures and Communication Laboratory
Mohamed Premier University
Oujda, Morocco
bouhafna.fatima.zahra@hotmail.fr

Abstract:

This article analyses the procedural discourse of four computer science textbooks from the Moroccan core curriculum (2005–2007), considered to be institutional, printed and normative materials. Based on the theory of implicature (Ducrot), enunciation (Benveniste), the scene of enunciation (Maingueneau) and the effect of evidence (Charaudeau), the study examines the construction of technical transparency. An exhaustive analysis of procedural passages (imperatives, passive verbs without an agent, reflexive verbs, programmatic futures, adverbs of immediacy, sequentiality) reveals three effects: simulation of real time, fabrication of an executing subject, and invisibilisation of mediations and digital work.

Keywords: Implicit; computer discourse; utterance; real time; textbook.

Actes de la 10 ème Conférence scientifique internationale sur les perspectives de recherche en matière d'intégration des connaissances : Approches multidisciplinaires pour produire des connaissances innovantes et efficaces, 6-7 février 2026, sous le thème : *Les connaissances intégrées… Un levier de changement et de créativité*

L'implicite comme opérateur énonciatif dans les manuels scolaires d'informatique

Fatima Zahra BOUHAFNA
Laboratoire Langues, Cultures et Communication
Université Mohamed Premier
Oujda, Maroc
bouhafna.fatima.zahra@hotmail.fr

Résumé:

Cet article analyse le discours procédural de quatre manuels scolaires d'informatique du tronc commun marocain (2005–2007), considérés comme supports institutionnels imprimés et normatifs. Appuyée sur la théorie de l'implicite (Ducrot), l'énonciation (Benveniste), la scène d'énonciation (Maingueneau) et l'effet d'évidence (Charaudeau), l'étude examine la construction d'une transparence technique. L'analyse exhaustive des passages procéduraux (impératifs, passifs sans agent, verbes pronominaux, futurs programmatiques, adverbes d'immédiateté, séquentialité) met au jour trois effets : simulation de temps réel, fabrication d'un sujet-exécutant, et invisibilisation des médiations et du travail numérique.

Mots clés: Implicite ; discours informatique ; énonciation ; temps réel ; manuel scolaire.

Introduction :

Le manuel scolaire d'informatique constitue, dans le secondaire qualifiant marocain, un support pédagogique institutionnel central. Diffusé sous forme imprimée et stabilisé dans un format papier, il propose un discours normé qui encadre l'apprentissage des pratiques numériques. Contrairement aux interfaces interactives ou aux environnements numériques dynamiques, le manuel papier présente un texte figé, organisé, structuré selon des choix rédactionnels et énonciatifs précis. Cette matérialité discursive confère au discours informatique scolaire une cohérence institutionnelle qui mérite d'être interrogée.
En apparence, ce discours se limite à décrire des procédures techniques et à guider l'élève dans l'exécution d'opérations informatiques. Toutefois, une analyse linguistique attentive révèle que son organisation ne se réduit pas à une simple transmission de savoir-faire. Elle mobilise des mécanismes implicites qui structurent la temporalité des actions, redistribuent les rôles entre l'élève et le dispositif technique, et configurent une représentation particulière du fonctionnement numérique.

Dans la perspective ouverte par Oswald Ducrot, l'implicite ne relève pas seulement du non-dit, mais participe activement à l'orientation du sens. Les analyses d'Émile Benveniste ont montré que toute énonciation inscrit un sujet dans une temporalité ; or, dans le discours informatique scolaire, cette inscription semble reconfigurée au profit d'un temps programmatique et lissé. Par ailleurs, la notion de scène d'énonciation développée par Dominique Maingueneau permet d'éclairer la manière dont le manuel papier institue un dispositif discursif où la machine apparaît comme instance agissante tandis que l'élève est assigné à une posture d'exécution. Enfin, les travaux de Patrick Charaudeau sur l'effet d'évidence invitent à considérer la naturalisation du fonctionnement technique comme un processus discursif.

À travers des adverbes d'immédiateté, des impératifs séquencés, des passifs sans agent et des constructions pronominales automatiques, le texte scolaire donne à voir un numérique fluide, autonome et transparent. Il tend ainsi à produire une illusion de simultanéité entre l'action et son résultat, à

configurer un sujet conforme à la logique algorithmique et à invisibiliser les médiations techniques qui rendent possible le fonctionnement des dispositifs.

Dès lors, la question centrale de cette étude peut être formulée ainsi : *comment l'organisation implicite du discours informatique scolaire, tel qu'il se déploie dans le manuel imprimé, contribue-t-elle à fabriquer une transparence technique en configurant simultanément la temporalité, la subjectivité et la visibilité du travail numérique ?*

Nous faisons l'hypothèse que l'implicite constitue un dispositif discursif structurant qui dépasse la simple économie rédactionnelle. L'analyse d'un corpus composé de quatre manuels scolaires d'informatique destinés au tronc commun marocain (2005–2007) vise à mettre au jour les mécanismes linguistiques par lesquels se construit cette transparence apparente. L'article s'organise ainsi : après la présentation du dispositif méthodologique et des fondements théoriques, les résultats exposeront les trois dimensions majeures de l'implicite identifiées dans le corpus- simulation de temps réel, fabrication d'un sujet technique et effacement du travail invisible- avant d'en discuter les implications discursives et idéologiques.

I. Dispositif méthodologique et fondements théoriques

Le corpus de cette étude est constitué de quatre manuels scolaires d'informatique destinés au tronc commun marocain, toutes filières confondues, publiés entre 2005 et 2007 : *Découverte de l'informatique* (2005), *Espace de l'informatique* (2005), *Le chemin de la réussite en informatique* (2006) et *L'informatique au lycée* (2007). Le choix de ces ouvrages repose sur leur statut institutionnel et sur leur diffusion nationale dans le système éducatif marocain, ce qui leur confère une valeur représentative du discours scolaire informatique au niveau du secondaire qualifiant. L'analyse porte sur l'intégralité des manuels, et non sur un échantillon restreint, afin de garantir une vision globale des régularités discursives et d'éviter un biais de sélection thématique. Ont été retenus comme unités d'analyse l'ensemble des passages à dominante procédurale : consignes opératoires, descriptions de fonctionnement, séquences explicatives relatives aux logiciels et aux dispositifs techniques, ainsi que les

encadrés méthodologiques explicitant les étapes à suivre. Ce corpus est particulièrement pertinent au regard des trois axes de recherche retenus. D'une part, il permet d'examiner la configuration discursive de la temporalité à travers les énoncés programmatiques et les marqueurs de simultanéité ; d'autre part, il rend observable la construction d'une subjectivité procédurale via les impératifs, la linéarité lexicale et la distribution des rôles énonciatifs ; enfin, il offre un terrain privilégié pour analyser les mécanismes d'invisibilisation du travail technique, notamment à travers les passifs sans agent et les verbes pronominaux automatiques. Ainsi constitué, le corpus assure une cohérence méthodologique avec la problématique, en permettant d'interroger l'organisation implicite du discours informatique scolaire dans sa dimension temporelle, subjective et idéologique.

L'analyse repose sur une approche linguistique multi-niveaux, articulant description formelle et interprétation discursive. Au plan morpho-syntaxique, ont été systématiquement relevées les formes verbales structurantes du discours procédural : impératifs, passifs sans agent, constructions pronominales à valeur médio-passive, ainsi que les futurs programmatiques afin d'identifier les configurations grammaticales qui participent à la mise en scène de l'action technique. Sur le plan lexical, l'étude s'est concentrée sur les adverbes d'immédiateté (immédiatement, instantanément, automatiquement), le lexique de simplification (il suffit de, facilement, plus simplement), ainsi que les unités relevant du champ procédural (étape, opération, valider, exécuter), considérées comme des indicateurs d'une rationalité algorithmique intériorisée. L'analyse énonciative a, quant à elle, porté sur les mécanismes d'effacement de l'agent, la redistribution des rôles entre instance humaine et dispositif technique, ainsi que sur les marques de modalisation, ou leur absence, susceptibles de révéler le degré de certitude et de normativité du discours. Enfin, l'organisation textuelle a été examinée à travers les enchaînements séquentiels, les connecteurs, les ellipses explicatives et les transitions, afin de mettre au jour les procédés de compression temporelle et de continuité artificielle. Cette articulation des niveaux morpho-syntaxique, lexical, énonciatif et textuel permet d'appréhender l'implicite non comme un simple non-dit, mais comme une structure discursive globale configurant simultanément la temporalité, la position du sujet et la visibilité des médiations techniques.

Le cadre théorique de cette recherche s'inscrit dans le champ de l'analyse du discours et de la linguistique de l'énonciation. L'approche s'appuie d'abord sur les travaux d'Oswald Ducrot relatifs à l'implicite et à l'orientation interprétative, afin de fonder l'idée que le sens ne se réduit pas au contenu explicitement formulé, mais se construit à travers des mécanismes de présupposition et de non-dit qui structurent l'interprétation. Cette perspective permet de considérer l'implicite comme un opérateur discursif actif dans l'organisation du texte. Les analyses d'Émile Benveniste sur l'énonciation, la subjectivité et l'inscription temporelle du discours fournissent ensuite un cadre pour examiner la reconfiguration de la temporalité et la redistribution des instances énonciatives observées dans le corpus, notamment à travers l'effacement de l'agent et la programmation des procès. La notion de scène d'énonciation développée par Dominique Maingueneau éclaire, pour sa part, la manière dont le manuel scolaire construit un dispositif où la machine apparaît comme instance agissante tandis que l'élève est configuré comme exécutant, au sein d'un contrat discursif spécifique. Les travaux de Patrick Charaudeau sur l'effet d'évidence et la naturalisation des discours institutionnels permettent enfin d'interroger la fabrication de la transparence technique et l'autorité implicite qui en découle. De manière complémentaire, les apports de Jean-Michel Adam et de Jean-Paul Bronckart sur l'organisation séquentielle des textes et l'articulation entre activité langagière et action offrent un éclairage sur la structuration procédurale du discours informatique scolaire. Ensemble, ces références théoriques fournissent un cadre cohérent pour analyser l'implicite comme dispositif configurant simultanément la temporalité, la subjectivité et la visibilité du travail technique.

II. L'implicite et la fabrique de la transparence technique

1. L'implicite comme simulation de temps réel

L'analyse du corpus met en évidence une organisation discursive particulière de la temporalité, que l'on peut qualifier de simulation de temps réel. Le discours informatique scolaire tend à produire l'illusion d'une coïncidence immédiate entre l'action et son résultat, effaçant les médiations techniques et les latences inhérentes au traitement numérique. Cette

configuration linguistique ne relève pas d'un simple effet stylistique, mais d'un dispositif énonciatif structurant.

La fréquence des adverbes d'immédiateté constitue un premier indice significatif. Les occurrences telles que « *immédiatement* » (« la copie de sauvegarde est immédiatement disponible »), « *instantanément* » (« le serveur IRC diffuse instantanément les messages »), « *automatiquement* » (« traiter automatiquement ces informations »), « *directement* » (« on agit directement sur la boule ») ou encore « *aussitôt* » (« ils décident aussitôt… ») participent à une même logique discursive. Elles condensent le temps du procès et neutralisent toute distance entre cause et effet.

Du point de vue énonciatif, ces adverbes fonctionnent comme des marqueurs de naturalisation temporelle. Ils construisent un effet d'évidence, en d'autres termes, l'action semble produire son résultat sans délai, comme si la temporalité technique était parfaitement transparente. Or, comme l'a montré Benveniste, toute énonciation implique une inscription temporelle ; ici, cette inscription est reconfigurée en une temporalité programmée et lissée, qui mime la simultanéité.

Ainsi, le recours au gérondif renforce cette impression de coïncidence temporelle. Dans l'exemple : « *Tout en maintenant la touche CTRL enfoncée, cliquez…* », la construction « tout en + gérondif » instaure une double action perçue comme concomitante. De même, « *en maintenant la touche CTRL enfoncée et en cliquant…* » enchaîne les opérations dans un flux continu. Le gérondif n'introduit pas une succession, mais une simultanéité. Il suggère que l'action secondaire accompagne naturellement l'action principale, sans rupture ni transition. Le discours évite ainsi toute explicitation des micro-étapes intermédiaires, donnant à voir une continuité fluide qui rapproche le texte du fonctionnement supposé de l'interface numérique.

Un autre indice majeur réside dans l'absence de marqueurs temporels intermédiaires. Dans l'extrait décrivant la mémoire informatique (« le système doit également disposer d'une unité… Cette unité est appelée mémoire »), la progression s'effectue sans étapes explicitement signalées par des connecteurs tels que « ensuite », « puis » ou « après ». Le texte procède par enchaînement direct, sans ralentissement discursif. Cette économie

transitionnelle contribue à une compression procédurale car les opérations apparaissent continues, homogènes, quasi naturelles. L'implicite opère ici comme un mécanisme d'élision des médiations.

Enfin, le futur employé dans des énoncés tels que « *le texte sera coupé* » ou « *le double clique sera mal interprété* » ne relève pas d'un futur narratif. Il ne projette pas un événement incertain, mais programme un résultat déterminé. Il s'agit d'un futur de fonctionnement, qui inscrit l'action dans une logique algorithmique stable et prévisible. Ce futur ne raconte pas ; il anticipe selon une règle. Il installe une causalité automatique ; si telle condition est remplie, tel effet adviendra. Le discours adopte ainsi la structure même de la programmation informatique.

En somme, L'ensemble de ces indices (adverbes d'immédiateté, gérondifs de concomitance, absence de transitions, futur programmatique) concourt à produire une représentation discursive d'un temps sans latence. Le texte mime le fonctionnement supposé du système : rapide, linéaire, transparent. L'implicite ne se situe donc pas seulement dans ce qui n'est pas dit ; il réside dans la manière dont la temporalité est configurée. En effaçant les délais, les hésitations et les médiations techniques, le discours scolaire met en scène une expérience de fluidité numérique qui tend à naturaliser la performance algorithmique. Ainsi se construit une illusion de simultanéité technique, condition préalable à la configuration d'un sujet opératoire adapté à la logique procédurale.

2. L'implicite comme fabrication d'un sujet technique

L'examen du corpus révèle que le discours informatique scolaire ne se contente pas de transmettre des savoirs procéduraux mais, contribue à configurer une posture spécifique du destinataire. L'implicite opère ici comme un dispositif de formation discursive, orientant l'élève vers une subjectivité conforme à la logique algorithmique. Autrement dit, le texte ne décrit pas seulement des opérations ; il façonne un sujet opératoire.

D'ailleurs, la fréquence des impératifs constitue un premier indice décisif. Des énoncés tels que « Cliquez sur le programme WordPad pour l'ouvrir », « Ouvrez le poste de travail, puis fermez-le », « Sélectionnez la

cellule D11 » ou encore « Tapez au minimum trois tirets » installent un régime discursif fondé sur l'instruction directe. L'impératif ne laisse place ni à l'hypothèse ni à l'alternative : il prescrit.

La séquentialité « puis » renforce cette orientation. Les actions sont disposées en chaîne, selon une logique linéaire et cumulative. Ce mode d'organisation rejoint la structure même de l'algorithme. En fait, une suite d'instructions ordonnées produisant un résultat déterminé. Le discours instaure ainsi un cadre d'action où l'élève est positionné comme exécutant d'une série d'opérations normées.

Le recours récurrent à des termes tels que « étape », « procédure », « opération », « valider », « exécuter », « appliquer » signale une conceptualisation du savoir sous forme séquentielle. Ces unités lexicales ne relèvent pas d'un simple vocabulaire technique, elles orientent la représentation cognitive de l'activité. Le terme « étape » suppose un ordre hiérarchisé ; « procédure » implique une succession réglée ; « exécuter » renvoie à l'application fidèle d'une instruction. Le discours institue ainsi un modèle de rationalité linéaire où chaque action est subordonnée à un protocole prédéfini. L'élève est implicitement invité à internaliser ce schéma opératoire.

Un autre indice déterminant réside dans la quasi-absence de modalisation subjective. Les énoncés « Une formule commence toujours par le symbole = », « Les deux modems doivent bien entendu fonctionner à la même vitesse » ou « Un graphique donne clairement l'évolution de données » produisent un effet d'évidence. Les adverbes « toujours », « clairement », ainsi que l'expression « bien entendu » excluent la possibilité du doute. Même lorsque l'énoncé comporte une nuance « en général », celle-ci demeure encadrée par une condition de correction préalable « si vous avez sélectionné correctement… », ce qui réinscrit la responsabilité dans la conformité procédurale. Le discours ne tolère pas l'hésitation ; il stabilise le savoir dans un registre assertif fort. Cette absence de modalisation contribue à construire une normativité implicite. Le fonctionnement technique est présenté comme constant, régulier, indiscutable. Le sujet apprenant est ainsi orienté vers une posture d'adhésion plutôt que de questionnement.

Enfin, les verbes pronominaux et les structures sans agent humain explicite participent à une redistribution des rôles énonciatifs. Dans « La boîte de dialogue qui s'affiche… », « une icône apparaît », « le logiciel affiche », « les objets… sont représentés… et s'ouvrent », l'action est attribuée au système. La machine agit, l'élève exécute. Cette répartition implicite configure une asymétrie car l'instance technique est présentée comme autonome et active, tandis que l'utilisateur est assigné à la manipulation prescrite. L'effacement de l'agent humain dans certaines structures passives « sont représentés » renforce cette objectivation.

L'ensemble de ces indices (impératifs séquencés, lexique procédural, absence de modalisation, verbes d'action attribués au système) concourt à produire une subjectivité ajustée au fonctionnement algorithmique. Le discours ne se limite pas à décrire un outil ; il met en place un cadre normatif où l'élève est constitué comme opérateur conforme à une logique d'exécution. L'implicite ne réside donc pas seulement dans ce qui est tu, mais dans la manière dont le texte organise les positions énonciatives et les modalités d'action. En naturalisant la linéarité et en excluant l'incertitude, le manuel scolaire contribue à façonner un sujet technique discipliné, aligné sur la rationalité procédurale du dispositif numérique.

3. L'implicite comme effacement du travail invisible

L'analyse du corpus met en évidence une configuration discursive caractérisée par l'effacement systématique des médiations techniques. Le manuel scolaire d'informatique ne se contente pas de simplifier la présentation des opérations, il organise linguistiquement la disparition des agents et des processus intermédiaires. L'implicite fonctionne comme un mécanisme d'invisibilisation, produisant une représentation lissée du fonctionnement numérique.

Les structures passives sans complément d'agent constituent un indice majeur. Des énoncés tels que « la photo est prise et enregistrée sur place », « Un document vierge est automatiquement ouvert », « L'édition des liens est effectuée conjointement avec la compilation », « Le logiciel "Client" est installé sur plusieurs ordinateurs », ou encore « Le mot "Ordinateur" est

proposé » présentent les procès comme accomplis, sans mention explicite de l'instance responsable.

La question implicite « par qui ? » demeure sans réponse. Le passif produit un effet d'objectivation. En effet, l'action semble découler d'un fonctionnement autonome, indépendant de toute intervention humaine identifiable. Conformément aux analyses énonciatives de Benveniste, l'effacement de l'agent entraîne une neutralisation de la source énonciative. Le procès apparaît comme auto-réalisé, inscrit dans une logique systémique plutôt que dans une chaîne d'actions humaines concrètes. Ce dispositif syntaxique contribue à diluer la responsabilité et à naturaliser l'opération technique. Le travail « installation, configuration, programmation » disparaît derrière le résultat stabilisé.

De plus, le recours aux verbes pronominaux à valeur inchoative ou médio-passive renforce cette dynamique. Dans des formulations telles que « La boîte de dialogue s'affiche », « Un sous-menu s'ouvre », « La cellule A1 se distingue », « La référence à une plage de cellules se fait comme suit », « Ces étapes se résument comme suit » ou « Le logiciel se charge d'aligner automatiquement les nombres », l'action semble se produire d'elle-même.
Le pronom réfléchi «se» opère comme marqueur d'auto-activation. L'événement est présenté comme interne au système, sans agent externe explicitement impliqué. L'élève n'apparaît plus comme acteur central du processus ; il devient observateur d'un dispositif autonome. Cette structure grammaticale participe à la construction d'un imaginaire technique où la machine agit selon ses propres lois internes. L'effacement du travail invisible « programmation, calcul, traitement algorithmique » est ainsi linguistiquement assuré par la syntaxe même.

À ces mécanismes s'ajoute un lexique de simplification qui contribue à minimiser l'effort requis. Des expressions telles que « il suffit de cliquer », « plus simplement », « vous pouvez facilement remarquer » installent un régime discursif de facilité. L'opération technique est présentée comme immédiate et intuitive.
L'expression « il suffit de » est particulièrement révélatrice car elle réduit la procédure à un geste minimal, en gommant les conditions de possibilité et les éventuelles difficultés. De même, « plus simplement » reformule la complexité en apparente évidence. Ces marqueurs lexicaux ne décrivent pas seulement une action ; ils produisent une représentation normative de la

simplicité. Le numérique apparaît transparent, accessible sans médiation, comme si l'ensemble des processus internes « codage, calcul, traitement » allait de soi.

Enfin, l'ensemble de ces indices « passifs sans agent, verbes pronominaux automatiques, lexique de simplification » concourt à un même effet : l'effacement discursif du travail invisible. Le manuel scolaire donne à voir des résultats stabilisés, mais dissimule les opérations intermédiaires et les agents techniques qui les rendent possibles.
L'implicite agit comme un opérateur d'invisibilisation. En neutralisant la causalité humaine et en naturalisant la complexité, le discours construit une représentation enchantée du numérique, où les actions semblent se produire spontanément. Cette configuration énonciative participe à la mise en scène d'une autonomie technique apparente et renforce l'illusion de transparence déjà observée dans la temporalité simulée.
Ainsi, le manuel scolaire ne simplifie pas seulement pour des raisons pédagogiques, il reconfigure la perception même du fonctionnement technique, en rendant invisibles les médiations qui en constituent pourtant la condition d'existence.

III. Le manuel scolaire d'informatique et l'illusion d'évidence

Les résultats obtenus ne se réduisent pas à l'identification de marqueurs d'immédiateté, d'instructions séquencées ou d'effacements d'agent ; ils invitent à préciser deux effets discursifs plus globaux, rarement thématisés dans l'analyse du discours scolaire informatique, mais pourtant décisifs pour comprendre la fabrique de la transparence technique.

Le premier effet peut être décrit comme une fiction de réversibilité. La simulation d'un « temps réel » (adverbes d'immédiateté, enchaînements continus, futur programmatique) ne condense pas seulement la durée des opérations ; elle tend aussi à neutraliser, par implicitation, la question de leurs conséquences. Dans un univers textuel où l'action et le résultat paraissent coïncider, où le système « fait » et « produit » (affiche, ouvre, propose), l'erreur se trouve requalifiée. Elle n'est plus un événement coûteux, incertain, engageant des pertes possibles, mais une simple divergence procédurale

susceptible d'être corrigée par retour à la bonne séquence. Autrement dit, l'implicite ne se contente pas d'effacer les latences ; il efface également le coût du geste numérique. Cette configuration discursive installe un numérique « sans dette », où l'irréversibilité (perte de données, traces, permissions, verrouillages, pannes) demeure hors champ. Or, cette absence n'est pas anodine car elle contribue à façonner un rapport scolaire aux techniques fondé sur l'idée que toute opération est, au fond, réparable et récupérable. La transparence s'obtient alors au prix d'une compression non seulement temporelle, mais aussi pragmatique. En d'autres termes, ce qui est gommé, ce sont les risques, les résistances et les asymétries qui font précisément la matérialité du numérique en situation.

Le second effet, complémentaire, relève d'une police de la lisibilité : le manuel construit un régime de vérité où le visible vaut preuve. Les verbes d'apparition « s'affiche », « apparaît », « s'ouvre », les tournures médio-passives et les passifs sans agent ne font pas qu'invisibiliser le travail technique. Ils hiérarchisent implicitement les niveaux de description en privilégiant l'interface comme scène principale du fonctionnement. Ainsi se met en place une épistémologie scolaire tacite du numérique : comprendre revient à « voir », et réussir consiste à « obtenir » l'affichage attendu. L'élève est alors configuré non seulement comme exécutant, mais comme spectateur-validateur. Il accomplit la procédure et atteste sa conformité par la confirmation visuelle du système. Dans ce cadre, le manuel devient un tribunal de l'évidence, tandis que les médiations implicites (traitements algorithmiques, formats, calculs, flux réseau, droits d'accès, opérations d'écriture/lecture) sont reléguées à l'impensé discursif. Ce déplacement est cohérent avec l'effet d'évidence décrit par Charaudeau : l'autorité du texte tient à sa capacité à faire passer pour naturel ce qui est en réalité construit. Mais ici, l'évidence se concentre sur un opérateur précis : la visibilité. La transparence technique n'est pas seulement « ce qui va vite », elle est « ce qui se montre », et ce qui se montre est traité comme vérité du système.

Ces deux prolongements permettent alors de reformuler la portée des résultats : le manuel papier, en tant que discours institutionnel stabilisé, ne représente pas simplement des procédures ; il institue une expérience normative du numérique. D'un côté, il installe une action sans épaisseur, où

la conséquence est minimisée par une fiction de réversibilité ; de l'autre, il impose un régime de preuve centré sur l'écran, où la visibilité fait office d'explication. Dans les deux cas, l'implicite fonctionne comme un dispositif d'orientation, il configure la temporalité (temps lissé), la subjectivité (sujet opératoire) et la visibilité (interface-évidence), mais il configure aussi, plus profondément, un rapport au technique où l'on apprend à agir dans un monde supposé sans friction et sans profondeur. Cette discussion ouvre enfin sur un enjeu didactique et idéologique majeur : en naturalisant la réversibilité et la primauté du visible, le discours scolaire risque de renforcer une acculturation à un numérique « transparent » qui, paradoxalement, rend moins disponibles à la pensée les dimensions pourtant structurantes des pratiques réelles (sécurité, traçabilité, irréversibilité, matérialité des infrastructures).

CONCLUSION :

Cette étude a montré que le manuel scolaire d'informatique, loin d'être un simple support de transmission procédurale, constitue un dispositif discursif qui organise une représentation particulière du numérique. L'analyse exhaustive de quatre manuels destinés au tronc commun marocain (2005–2007) met en évidence que l'implicite y fonctionne comme un opérateur structurant. Il configure simultanément la temporalité, la subjectivité et la visibilité du travail technique. D'une part, la présence récurrente d'adverbes d'immédiateté, de gérondifs de concomitance et de futurs programmatiques contribue à une simulation de temps réel, en donnant à voir un fonctionnement fluide, sans latence. D'autre part, l'impératif séquencé, le lexique procédural et l'absence de modalisation construisent un sujet opératoire, ajusté à une logique d'exécution algorithmique plutôt qu'à une posture d'exploration. Enfin, les passifs sans agent, les verbes pronominaux automatiques et le lexique de simplification effacent les médiations (calcul, traitement, configuration), produisant une invisibilisation du travail numérique.

Ainsi, la transparence technique apparaît comme un effet discursif fabriqué. En effet, le manuel institue une évidence du fonctionnement, naturalise l'autonomie apparente de la machine et stabilise une expérience scolaire du numérique centrée sur la conformité aux procédures et sur la

visibilité des résultats. L'implicite ne relève donc pas du « non-dit » marginal, mais d'une architecture textuelle et énonciative qui participe à la socialisation technique des élèves et à la légitimation d'un ordre institutionnel du numérique.

Trois limites principales doivent être soulignées. D'abord, le corpus est constitué de manuels publiés entre 2005 et 2007. Or les pratiques numériques, les interfaces et les régimes d'usage ont fortement évolué depuis ; les résultats décrivent donc avant tout un moment de la scolarisation du numérique, même si les mécanismes discursifs mis au jour peuvent rester pertinents. Ensuite, l'étude porte sur quatre manuels marocains destinés au tronc commun. Elle ne permet pas, en l'état, d'affirmer que les mêmes régularités s'observent dans d'autres niveaux (collège, universitaire), d'autres disciplines techniques, ou d'autres espaces éducatifs. Enfin, l'analyse est centrée sur le texte (marqueurs morpho-syntaxiques, lexicaux, énonciatifs, organisation séquentielle). Elle n'intègre pas directement les pratiques effectives de lecture et d'appropriation par les élèves et enseignants, ni les conditions matérielles de la classe. Autrement dit, elle décrit un dispositif discursif, sans mesurer empiriquement ses effets sur les comportements ou les apprentissages.

Ces limites ouvrent plusieurs prolongements, à la fois linguistiques, didactiques et socio-discursifs. Une perspective prioritaire consisterait à confronter le manuel imprimé à des supports numériques (cours interactifs, tutoriels vidéo, plateformes d'apprentissage) afin de tester l'hypothèse suivante : le passage au numérique ne supprime pas l'implicite, mais le reconfigure (autres marqueurs de l'évidence, autres formes d'effacement, autres régimes de temporalité). Une extension à d'autres périodes (post-2010), à d'autres niveaux scolaires, ou à d'autres disciplines technico-scientifiques (sciences physiques, technologie, mathématiques appliquées) permettrait d'identifier ce qui relève d'un genre procédural scolaire général et ce qui relève des spécificités du discours informatique. Des enquêtes en classe (observations, entretiens, protocoles de verbalisation) permettraient d'examiner comment les élèves interprètent l'immédiateté, l'autorité des énoncés, et la place attribuée à la machine. On pourrait alors mesurer si l'illusion de transparence produit une confiance, une dépendance au

protocole, ou au contraire des formes de résistance et de relecture. Les résultats invitent aussi à interroger les effets de ces écritures sur des enjeux contemporains (traçabilité, sécurité, données personnelles). Une piste féconde serait d'analyser comment le discours scolaire prépare -ou non- à une citoyenneté numérique critique, en rendant visibles/invisibles certains aspects du fonctionnement technique.

VI. Liste Bibliographique :

1) Livres :

- Adam, J.-M. (1992), *Les textes : Types et prototypes*, Nathan, France.
- Adam, J.-M. (1999), *Linguistique textuelle : Des genres de discours aux textes*, Nathan, France.
- Anscombre, J.-C., & Ducrot, O. (1983), *L'argumentation dans la langue*, Mardaga, Belgique.
- Benveniste, É. (1966), *Problèmes de linguistique générale (Tome 1)*, Gallimard, France.
- Benveniste, É. (1974), *Problèmes de linguistique générale (Tome 2)*, Gallimard, France.
- Bronckart, J.-P. (1997), *Activité langagière, textes et discours : Pour un interactionnisme socio-discursif*, Delachaux et Niestlé, Suisse.
- Bronckart, J.-P., & Groupe LAF (dir.). (2004), *Agir et discours en situation de travail (Cahiers de la Section des sciences de l'éducation, n° 103)*, Université de Genève, Suisse.
- Charaudeau, P. (1997), *Le discours d'information médiatique : La construction du miroir social*, Nathan, France.
- Charaudeau, P. (2004), *Le discours politique : Les masques du pouvoir*, Vuibert, France.
- Charaudeau, P., & Maingueneau, D. (2002), *Dictionnaire d'analyse du discours*, Seuil, France.

- Ducrot, O. (1972), *Dire et ne pas dire : Principes de sémantique linguistique*, Hermann, France.
- Ducrot, O. (1980), *Les mots du discours*, Minuit, France.
- Ducrot, O. (1984), *Le dire et le dit*, Minuit, France.
- Kerbrat-Orecchioni, C. (1986), *L'implicite*, Armand Colin, France.
- Maingueneau, D. (1998), *Analyser les textes de communication*, Dunod, France.
- Maingueneau, D. (2014), *Discours et analyse du discours : Une introduction*, Armand Colin, France.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

Montgomery Watt's views on some events in the noble biography of the Prophet From his book A Concise History of Islam

Dr. Sundus Bandar Khazaal
University of Basra / Center for Basra and Arabian Gulf Studies
Sndsbndr520@gmail.com

Abstract :

This scholarly inquiry subjects the historical narratives of British Orientalist Montgomery Watt to rigorous critical analysis, specifically targeting his treatment of the Prophetic biography in A Short History of Islam. Given the extensive influence of Watt's scholarship across Western and Arab academic spheres, this study aims to deconstruct and rectify the factual inaccuracies inherent in his work. The research adopts a methodological approach to scrutinize Watt's assertions, offering a scientific refutation of his errors while establishing the historical veracity of the events discussed. Contextually, the study addresses the broader historiographical challenge of Orientalist literature, positing that such sources frequently suffer from systemic bias and a tendency to distort Islamic history and theology. Consequently, this work seeks to distinguish between authentic historical inquiry and ideologically driven misrepresentation, thereby restoring integrity to the academic discourse surrounding the life of Prophet Muhammad.

Keywords: Montgomery; biography; Islamic history; Orientalism; British .

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07 /02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

مواقف مونتغمري وات من بعض أحداث السيرة النبوية الشريفة من (كتابه مختصر تاريخ الاسلام)

المدرس الدكتور سندس بندر خزعل
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي
Sndsbndr520@gmail.com

الملخص:

تسلط الدراسة الضوء على بعض المعلومات التاريخية التي عرج عليها المستشرق البريطاني مونتغمري وات من خلال كتابه مختصر تاريخ الاسلام،وأن الهدف من كتابه هو تقديم ملخص تجربته عن الاسلام والسيرة النبوية الشريفة الى القارىء الغربي، وتهدف الدراسة الى استجلاء حقيقة ما كتبه بالسيرة النبويةالشريفة ذلك لان كتاباته لاقت رواجاً واسعاً في الأوساط العلمية سواء الغربية منها أو العربية. لذا كان البحث دراسة نقدية لبيان بعض مواقف المستشرق اعلاه المتعلقة بسيرة نبينا الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والوقوف عندها ثم نقدها نقداً علمياً والرد عليها والتعرف على مدى صحتها من زيفها. ولابد هنا من التأكيد على أنه من الصعب جداً أن نسلم بصحة كتابات المستشرقين ومعلوماتهم، لاسيما الذين أهتموا بالكتابة عن التاريخ الاسلامي وحضارته وعقيدة المسلمين، اذ ان أغلبهم كان هدفهم التشويه او التحريف او الطعن او التضليل للحقائق والأحداث التاريخية، اما القلة القليلة منهم التزموا بقواعد البحث العلمي المنصف أولئك من أنصفوا المسلمين ووزن التاريخ العربي الأسلامي والتراث العربي بميزان العدل والأنصاف.

الكلمات المفتاحية : مونتغمري ، السيرة ، التاريخ الاسلامي، الاستشراق ، البريطاني .

المقدمة:

إن الاهتمام بدراسة التاريخ الإسلامي أمر حتمي وضروري لا يمكن التخلي عنه لأنه تاريخ يخص الأمة الإسلامية وهي ليس كباقي تاريخ الأمم الأخرى إنما تاريخها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإسلامية.

واتجهت الدراسات الاستشراقية نحو دراسة القرآن الكريم والسيرة النبوية أكثر من غيرها من الدراسات الإسلامية، وقد انصبت الافتراءات والاكاذيب على تلك المحاور على وفق الاتجاه الانحيازي الديني والمذهبي والابتعاد عن المنهجية العلمية والحقيقة التاريخية الصحيحة.

ولعل من أبرز المستشرقين الذين توسعوا في الدراسات حول سيد الخلق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المسشرق البريطاني مونتغمري وات، ويعد من المستشرقين الذين لم يلتزموا بالحيادية مع أنه قطع عهداً على نفسه في في مقدمه كتاب له عن السيرة النبوية بإلتزام المنهج العلمي المحايد حيث قال : ولقد حاولت الحافظ على الحياد في المسائل اللاهوتية (الدينية) التي يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام، فمثلاً لتجنب الجزم بما (إذا كان القرآن كلام الله أم لا، فقد تحاشيت استخدام (يقول الله) او (يقول محمد) واستخدم تعبير يقول القرآن، ومع ذلك فأنني لا أتبنى المنظور المادي بحجة التزامي بالنزاهة التاريخية، فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد(موتنغري وات، 1995، ص40)

وحتى بعدما قال وات هذا الكلام – الذي يبدو موضوعياً — فأن الذي يطلع على مؤلفاته عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يلاحظ أنها مجرد ادعاءات كاذبة وبعيدة عن ما وردَ في كتبه من تشويه وزيف ، وتألف البحث من المحور الأول نبذة عن الاستشراق البريطاني والمستشرق مونتغمري ، ثم المحور الثاني مواقف مونتغمري من السيرة النبوية، كما تطرقت بعد المقدمة الى أهمية الكتاب وتفاصيل الفصول الذي تناولها المستشرق في كتابه مختصر تاريخ الاسلام.

أولـــاً ـــ أهمية الكتاب:

إن الهدف الذي سعى إليه وات من كتابة هذا الكتاب، هو تزويد القارئ الغربي بفهم إيجابي عن الإسلام وأصله وتاريخه ومعتقداته، واعتمد فيه وات على الاعتقاد بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان رسول أُختير من الله لمهمة محددة، وأن الله هو خلف انتشار الإسلام على طول العالم، وفي نفس الوقت أن هذا الكتاب يقبل المباديء الأساسية في النظرة الفكرية الغربية، بما فيها انتقاداتها التاريخية،

(Watt, william montgomery, 1996, p.n: 7.) لذا اهتم المستشرقون منذ قرون بعيدةوعكفوا على دراسة الاسلام معتقدين انهم اذا استطاعوا تحريفه وطمس هويته سيؤدي ذلك الى ابتعاد الانسان المسلم عن دينه ورفضه كما تساهم هذه الدراسات في تنفير الغربيين من الاسلام .

قسم وات كتابه، إلى ستة فصول، فكان الفصل الأول عن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة والمدينة، وكتب في هذا الفصل حديثاً عن مكة والجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، واعتبره حديثاً مهماً لمن أراد أن يفهم التاريخ المبكر لديانة الإسلام.

(1) وأما الفصل الثاني فكان تحت عنوان التاريخ السياسي للعالم الإسلامي، ابتدأ فيه وات منذ اللحظة التي جعل فيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر إماماً للمصلين عندما لم يقوى على ذلك، وأما الفصل الثالث فخصصه عن القرآن الكريم من حيث تاريخ جمعه وتدوينه في الصحف في خلافة عثمان رضي الله عنه، كما فيه مباحث تتعلق بالديانات الأخرى وأركان الإسلام ، وكان الكلام في الفصل الرابع عن الفقه الإسلامي والمراحل التي مر بها منذ نشأته حتى صار علماً مستقلًا بذاته، وتحدث عن بعض المسائل الفقهية كالزواج والربا وغيرها، وجعل الفصل الخامس عن الطوائف المبكرة التي ظهرت في صدر الإسلام كالخوارج والشيعة وطوائفها المتعددة، كما كان فيه مبحثاً عن التأثير الفكري للإسلام على أوروبا الغربية، وأما الفصل السادس فكان تحت عنوان التحدي للعالم الحديث، وكتب فيه مبحثاً عن المشاكل التي تواجه الإسلام هذا اليوم، ذكر منها، التناقض بين قول المسلمين أن الله خلق العالم في ستة أيام، وبين التأكيد العلمي القائل بأنه كان هناك عملية طويلة من النشوء والتكوين للحياة، وقال أن بعض المسلمين جادلوا بأن العلماء لا يوافقوا أصلًا على النشأة، وأنها في نظرهم غير مقبولة، وقد علق وات على قول المسلمين بقوله : أنه كلام خاطيء، وعلل ذلك بأن الذي لم يوافق عليه العلماء هو طبيعة العوامل المسببة لعملية النشأة، ولا يوجد عالم ينكر أنه كان هناك عملية طويلة من النشأة تمتد إلى ملايين السنين، ثم ختم وات هذا المبحث بقوله : أن الإسلام يجب عليه إذا أراد أن يأخذ مكانه الصحيح في الأديان العالمية المتعددة، فمن المهم على المسلمين أن يعترفوا أن هناك على الأقل، مقداراً كبيراً من الحقيقة في الأديان الأخرى (Watt, william p.n.140-141).,montgomery,1996

، وهذا الكلام يدل دلالة واضحة صارخة على أنه لم يتبحر في فهم الإسلام ولا تاريخه ونكتفي هنا بالرد على القول الأخير بأن من صلب عقيدة المسلمين أن يعترفوا بالديانات السماوية كلها، لإن مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، بل إن الاعتراف بها ركن من أركان الإيمان عندهم، ولا يكتمل الإيمان بالله إلا بالاعتراف بها جميعاً، لقوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّه وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير) البقرة، الاية 285 ، وهذا ما يراه هنري دي كاستري الذي يقول أن دين الأنبياء كله واحداً، فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلي محمد،(أنورالزناتي ، 2006، ص76) وقد نزلت ثلاث كتب سماوية، وهي التوراة والأنجيل والقرآن، وأن محمداً بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنظر إلى موسى، لا فرق بين نبي ونبي، فرسالتهم واحدة الا وهي التوحيد ، ومصدرها واحد وهو الله.(**محمدالزيادي،1998، 72**).

ثانيـــاً ـــ نـــبذة عن الاســـــــتشراق.

لقد أهتمت الدراسات الاستشراقية بجميع الجوانب الحضارية والسياسية والاقتصادية فضلاً عن اهتمامها بالتركيز على الجوانب العقائدية التي شملت القرآن الكريم والسنة النبويةالشريفة والاهتمام بكل ما يتعلق بالتراث العربي الاسلامي من لغة وتاريخ ودين.

وكانت هناك توجهات خاصة لكل مدرسة من مدارس الأستشراق – سواء كان الأستشراق الفرنسي أو الهولندي لا سيما الأستشراق الالماني الذي اهتم بجمع ونشر وفهرست المخطوطات العربية ووضع المعاجم اللغوية، وأما الأستشراق البريطاني أهتم بدراسة العقائد الإسلامية والدين الاسلامي أما الأستشراق الروسي فقد كان اهتمامه بدراسة التراث الاسلامي(نجيب العقيقي ،1964،ص429).

وتعد المدرسة البريطانية من أقدم المدارس الأستشراقية إذ أنطلقت من دوافع ذاتية لدى بعض المستشرقين، وجمعت بين هدفين التنصير والاستعمار بشكل كبير(محمد الطناحي،،2005،ص207)، ثم أخذت تلك الصلة في ازدياد لأهداف ثقافية وعسكرية واقتصادية في الاندلس والقدس والهند والعراق ومصر وفلسطين(نجيب العقيقي،1964،ص114ـ ص116) ،حينما كانت الأندلس والمغرب مركز اشعاع للعلوم العربية والاسلامية، لذا

تهافت عليها طلبة العلم لينتهلوا في مختلف العلوم حتى يتمكنوا من فهم الاسلام ثم يقوموا بالرد عليه، وكان من بين هؤلاء الرهبان والقساوسة بين سنه (٤٩٣ – ٥٢٠هـ./ ١٠٧٠ – ١١٣٥م) / وكما أهتموا بتعلم اللغة العربية على يد علمائها، وتضلع في الثقافة العربية،(لويس برنارد ،1958،ص7ـ 8) ثم تتابع من بعدهم المستشرقون البريطانيون أمثال داينيل أوف موربي (ت ٥٨٦هـ. / ١١٩٠م) ، وميخائيل سكوت (١٣٤هـ./ ١٢٣٦م) الذي اتقن العربية والعبرية،(سعيد أدورد،1996،ص80).

وبعد عودة هؤلاء المستشرقون الى بريطانيا أخذوا على عاتقهم تدريس اللغة العربية إلى مواطنيهم، ونشرها في بلادهم دون الحاجة إلى أساتذة عرب وبدون إنفاق مما زاد من عدد المستشرقين البريطانيين في القرن الحادي عشر الميلادي (عبد الرحمن بدوي، 1993،ص357).

وبعد أن كسر المسلمون صليب الغرب في حروب عديدة، دعا المستشرق البريطاني روجر بيكون إتباعه عام (690هـ/ 219م) إلى تعلم العربية وتعاليم الدين الاسلامي، وأتخاذها وسيلة لنشر المسيحية لأنه لا جدوى من محاربة المسلمين، ولقي مقترح روجر كل الترحيب في مجمع فيينا الكسني، وأصدر قراره بتعلم العربية في خمس جامعات أوربية وهي باريس، وانجلترا و بولونيا وفي ايطاليا، وفي سلامانكا في اسبانيا، وجامعة المدينة البابوية في روما بهدف تنصير المسلمين(أنورزناتي،2006،ص97).

تطورت الدراسات الشرقية في ظل مدرسة الأستشراق البريطاني على اثر مجيء المستشرق السير (توماس آدمز) عندما أسس كراسي لتدريس اللغة العربية في جامعة كامبروج عام (١٦٣٤م) وفى جامعة اكسفورد عام (١٦٣٦م) من قبل كبير الاساقفة لود،(ميشيل جحا،2005، ص33).

لذا يتضح لنا أن الاستشراق البريطاني في تلك الفترة كان تقوده الكنيسة بدافع ديني بهدف التعرف على الاسلام وحضارته ومكمن قوته وسر نجاحه، كي يتسنى لها محاربته من الداخل وتشكيك المسلم بعقيدته وتنصيرهم من خلال الحملات التبشيرية، وكما يرمون من وراء ترجمتهم العلوم الحضارة الإسلامية القضاء على جهل القرون الوسطى وتمكنوا من تحقيق ذلك بإحراز التقدم الثقافي وقيام النهضة الأوربية.

وقد بدأ الاهتمام بدراسة الشرق أكاديمياً وبالتحديد الدراسات العربية في بريطانيا باكراً، وذلك عندما اصبحت الهند تاجا للمستعمرات البريطانية، وأصبح هدف الانكليز الاستراتيجي هو الحفاظ على خطوط الاتصالات مع ذلك التاج وامان الطرق المؤدية اليه وتحديداً طريق البحر الاحمر والخليج العربي، ومن هنا انخرطت بريطانيا بشكل كبير نحو المناطق العربية لأن هذه المناطق هي المعبر الطبيعي للهند فسارعت بالسيطرة على مصر والعراق،(قاسم السامرائي،1983،ص34)،

واستمر بالاهتمام بالدراسات الشرقية في بريطانيا مطلع القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ثم ازدهرت اكثر بعد حملة نابليون على مصر، وتلا ذلك اهتمام الانكليز بميدان الاستشراق نتيجة طابع المنافسة التي اتسم بها العصر بين بريطانيا وفرنسا،(نجيب العقيقي،1964، ج2،ص554)، إذ تخرج عدد كبير من المستشرفين الانكليز على يد المستشرق الفرنسي دي ساسي،(مازن المطبقاني ،1995،ص34)

وعلى ذلك فقد كرس الغرب عدداً من المفكرين والباحثين واذا كان عدد الباحثين المسلمين الذي يتصدون لما يعرضه المستشرقون قليلاً مما أحدث فجوة كبيرة، ومن أجل ذلك سلطت بحثي في سد ولو جزء بسيط من تلك الفجوة للرد على بعض من هذه الادعاءات والاكاذيب .

ومن بين المستشرقين البريطانين برز وليام مونتغمري وات مستشرق بريطاني اسكتلندي ولد في مدينة كريس فايف في 14 مارس ١٩٠٩م والده القيسي أندرو وات،(أحمد غريب ،د.ت، ص115ـ 120).

أكمل دراسته في أكاديمية لارخ بين عامي (١٩١٤ – ١٩١٩م) ثم في جامعة أدنبرة (1927–1930م)، وكما درس في المانيا بجامعة جينا بالمانيا 1933، وبجامعة اكسفورد 1938–1939م وبجامعة ادنبرة ١٩٤٠ – 1943 ونال درجة الاستاذية سنة ١٩٦٤مأ،(نجيب العقيقي ، 1964، ج2، ص 554)حتل وات مكانه مميزة في المجتمع الانكليزي بوصفه قسيسا يجمع بين الالتزام بالمسيحية وصلته الوثيقة بالمسلمين، ونشر أحد الصحفيين مقالاً في مجلة اسلامية باللغة الانكليزية (بعنوان المسيحي ذو التعاطف مع الإسلام) وهي تدور حول لقاء أجراه الصحفي مع وات محاولاً التمجيد بالمستشرق وأسهامه في معرفة مناطق مجهولة من تاريخ العرب وتركيزه على دراسةالسيرة النبوية،

(كاستري ،هنري دي ، 2008 ،ص15) والذي يهمنا من كتابات وات كتابه (مختصر تاريخ الإسلام) باللغة الانكليزية.

ثالثـــــاً ـــ مواقـــــف وات .

1ـ موقف مونتغمري من التعبد في الغار .

اذا أردنا دراسة أحداث السيرة النبوية الشريفة ووقائعها، نجد أنها ليست مجرد أحداث عابرة حدثت وانقضت، كما أنها ليست وقائع مجردة من أهداف وغايات، بل هي وقائع تمتد جذورها إلى عالم الغيب، وترتبط أسبابها بالسماء ويكون الوحي همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه وتعالى وبين رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ... ولا يمكن بحال من الأحوال أن نتعامل مع وقائع السيرة النبوية، (مجموعة من المؤلفين ، 1985، ص147) كأي احداث اخرى وقعت بالعالم مثلما مثلاً نتعامل مع خواص المادة ، وذلك لأنها ترتكز على أسس ودعائم أساسية، لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، فالمصدر الغيبي هو ركيزة من الركائز التي تقوم عليها أحداث السيرة النبوية، فالذي لا يؤمن بالغيب، لا يمكنه تفسير أحداثها تفسيراً صحيحاً، كما لا يمكنه فهمها فهماً دقيقاً بدون هذا المرتكز، بل ((إذا جاءه خبر من أخبار السيرة، تراه إما ينكره بالكلية أو يتعسف في تأويله ليخرجه عن دلالته المقصودة)) ،محمد السلمي ،1998، ص722) وهذا الذي وقع فيه غالبية المستشرقين، الذين بحثوا في أحداث السيرة ووقائعها، حيث أهملوا المصدر الغيبي واعتمدوا على العقل، بل وجعلوه المصدر الأساسي في بحوثهم ودراساتهم، مما أدى إلى تشويهٍ وتحريفٍ في كثير من وقائع السيرة النبوية وأحداثها.

ثم إن الاعتماد على منهج علمي صحيح في دراسة أحداث السيرة النبوية، وعدم اعطاء الحكم أو الرأي فيها على أنه هو حوادث السيرة ووقائعها، سوف يؤدي إلى فهم صحيح ودقيق لها، لأن المؤرخ المنصف هو الذي يذكر الحوادث والوقائع التاريخية، سواء المتعلقة بالسيرة أو بالتاريخ الإسلامي، كما حصلت دون زيادة أو نقصان، ثم بعد ذلك يُعطي رأيه أو حكمه فيها منفصلًا عنها، أما إذا أعطى رأيه على أنه هو حوادث السيرة أو التاريخ، فهذا تلبيس وتضليل للقارئ يتعارض مع طريقة البحث العلمي الصحيح، كما ويتعارض مع قواعد العدل في الحكم على

الأحداث. لذا لا يمكن بحال من الأحوال التخلي عن هذه الركائز في دراسة وقائع السيرة النبوية وأحداثها.

تحدث وات عن تحنُّث النبي صلى الله علية وسلم وهو في غار حراء فيقول عن ذلك :

" كان محمد رجلًا مفكراً، وكان من عادته في كل سنة الاعتزال في كهف على جبل حراء، وهناك من المحتمل أنه كان يتفكر في المسائل الدينية والمشاكل الاجتماعية، والتي منها زيادة الغنى الذي وجد في المجتمع المكي . (watt,1996, p,n12),

الغريب أن المستشرق وات يفسر اعتكاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)في غار حراء قبل البعثة هروباً، كما وصف النبي(ص)باعتاره مصلحا أجتماعيا ورجلاًسياسياً،أصابته الكهانةأي ان وات أنكر النبوة بالكامل لذا كان يطرح تساؤلات غريبة ،إن من ينظر إلى هذا الكلام يدرك كيف يسعى وات من خلاله إلى التشكيك في المسلَّمات، وإلى طمس الحقيقة وإخفاء الواقع الحقيقي الذي كان عليه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن في ذلك حصناً للغربيين من عدم التأثر بدين محمدورسالته ، وهو بعيد كل البعد عن الصورة الإيجابية التي ألزم نفسه بها من أجل تقديمها إلى القاريء الغربي، بل على العكس من ذلك، فإن الواقع الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتنافى مع ما ذكره وات، فقد أجمعت المصادر الإسلامية التي عنيت بهذه الواقعة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يذهب إلى غار حِراء للتحنث وهو العبادة، والتحنث كما فسره الإمام النووي هو التعبد، وأصل الحنث: الإثم، ومعنى يتحنث: يتجنب الحنث أي الإثم ، وكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث أي الإثم، (النووي ، 1972،261).

كما أن التحنث بمعنى يتحنف، أي: يتبع الحنيفية وهى دين إبراهيم عليه السلام. (العسقلاني ،1996، ج1،ص70) وبما أن التحنث هو العبادة، فإن العبادة تعني اتصال العبد بربه الذي يعبده ويتقرب إليه، فعندما ادعى وات ما ادعاه سابقاً، إنما يهدف إلى قطع هذا الاتصال بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين ربه، وبالتالي فإن ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أقوال أو أفعال، إنما هي من ذاته أو من تخيُّله للأمور والأشياء ولا علاقة بينه وبين السماء، لذا فإن ما يدعيه وات إنما هو فرضيات من عقله بنى عليها نظريات سلَّم بصحتها وآمن بها وهذا ما سوف نلاحظه عند الحديث عن حقيقة الوحي جبريل عليه السلام.

اضافة الى موقف وات من التحنث أن وات اعتبر العبادة التي يمارسها النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم وعلى اله) مع بعض المكين، انه كان يدين بالتوحيد ويعطي سبب هذا التنوير بالتوحيد فيقول ((ان التوحيد الغامض الذي كان يؤمن به المكيون (الحنفاء) ومن المفترض ان محمد (ص) آمن به منذ بداياته... وكان المكيون يتجهون نحو التوحيد بفعل تأثير النفوذ اليهودي والمسحي)(وات ،2014، ص41).التأثر باليهودية والنصرانية كان يؤكد عليها وات في كتبه فلا يعتبر وات الاسلام خاتم الرسالات ولامحمد(ص)خاتم الانبياء فيصر على فضل ودور اليهودية والمسيحية في نشأة الاسلام، لقد ذكر وات الموحدين الأحناف الا انه يدس بشبهته التي طالمايسعى لتوظيفها المستشرقين بان المكين الموحدين يرجع الفضل في توحيدهم إلى اليهود والنصارى، ونرد على ذلك لو أنهم تأثروا بهم لأطلق عليهم يهود ونصارى لماذا كانوا سيمون بالأحناف.

إذ أن الاحناف يرتبط دينهم بدين نبى الله إبراهيم (عليه سلام) كما في قوله (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً) (سورة ال عمران ، اية 67).

2ـ موقف مونتغمري من نزول الوحي .

إن من الُأسس التي تقوم عليها عقيدة الإنسان المسلم حقيقة الوحي الذي نزل على قلب نبينا محمد (ص)، وهو أمر حق يُقرُّ به ويعترف بحقيقته، ((وفهمه واليقين به هما المدخل الذي لا بد منه إلى اليقين بسائر ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية))،(محمد البوطي ،1991، ص36) وفي إنكاره هدم لنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونسف للعقيدة الإسلامية عن بِكرة أبيها، وذلك لأن الأوامر والنواهي والتشريعات الإلهية كانت تتنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق هذا الوحي وهو جبريل عليه السلام، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا مطبقاً لها ومبلغاً لنا إيَّاها، ومن أجل ذلك اهتم المستشرقون بدراسته ((لعلمهم بأنه منبع يقين المسلمين وإيمانهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله سبحانه وتعالى)) (شوقي ابو خليل،1991،ص78)، فقام بعض منهم بتفسيره تفسيرات منكرة، فمنهم من فسره على أنه حالة من الصرع، ومنهم من وصفه بأنه شبح تجلّى له وهو في غار حِراء(لوثروب الامريكي،

1973،ج1، ص55) .

ولا يختلف الحال كثيراً بالنسبة لموقف وات منه، فالمتتبع لدراساته بهذا الخصوص سوف يلاحظ أنها استنتاجات اعتمد عليها لتأكيد فكرته ونظريته التي ذكرها بعد الآية الكريمة ((وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ...))(سورة الشورى ، اية :15).

ثم قال مونتغمري :

أن الملك المذكور هنا هو جبريل عليه السلام، وفي آية أخرى أن الكلمات ذُكرت لمحمد تقول له: قل من هو عدو لجبريل؟ الذي أنزل هذا الوحي على قلبك ليؤكد ما كان موجود(Watt, M, W, 1996,pn :15)

ثم يستطرد كلامه ويقول:

"Muslim scholars made lists of the manners of revealation and found several besides those mentioned in the verse, though their precise inter- pretation of details is sometimes different .They held that in Muhammad,s later years the revelation were normally brought by Gabriel. The first rev- elation, however, as described above, seems to have been no more than the hearing of a voice((Watt, M, W, 1996,pn :15)

وترجمة ذلك: أن علماء المسلمين دَوَّنوا قائمة بكيفيات الوحي ووجدوا بجانب ما ذُكر في الآية السابقة، العديد منها، وبرغم من أن تفسيرهم الصحيح للتفاصيل أحيانا مختلف فيه، إلا أنهم عقدوا القول على أن الوحي الإلهي في سنوات محمد صلى الله عليه وآله وسلم اللاحقة أُحضر طبيعياً بواسطة جبريل عليه السلام، وأن الوحي الأول على كل حال كما وصف فوق يبدو أنه لم يكن أكثر من سماع صوت.

إن سبب نزول آية (قل من كان عدواً لجبريل ...»هو الرد على تخرصات اليهود بشأن الوحي الإلهي، عندما سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الوحي الذي يأتيه، أهو ميكائيل أم جبريل عليهما السلام؟، فقال الرسول : هو جبريل، فقالوا : عدونا) (سيد قطب ،1994،مج1،ص39).

فأنزل الله هذه الآية الكريمة رداً عليهم، ومؤكداً على أن جبريل هو الذي أنزل القرآن من أول آية إلى آخر آية على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإذنه ومشيئته، ومصدقاً لما بين يديّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

من التوراة والإنجيل وهدى وبشرى للمؤمنين.

ثم إن قول وات بأن الوحي الذي كان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العهد المدني هو جبريل عليه السلام، هو كلام صحيح وحق، وأما قوله أن الوحي الأول وهو في غار حراء يتعبد يبدو أنه لم يكن أكثر من سماع صوت، فبرغم تشككه فيه إلّا أنه أيضاً كلام صحيح وحق، ولكن هذا الصوت لم يكن وحده، بل كان مصحوباً بحظور الملك جبريل عليه السلام يراه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمامه بأُم عينيه رأي العين وهو يقول له اقرأ، ومما يؤكد ذلك قول السيدة خديجة رضى الله عنها : (... حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : إقرأ، قال : ما أنا بقارئ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد)، فقولها (حتى فجئه الحق) أي ((جاءه الوحي بغتة لأنه لم يكن متوقعا للوحي يراه أمامه))(النووي ،د.ت،ج1،ص161) ، ثم أن عملية المفاجئة هذه ((تبين أن الوحي ليس أمراً ذاتياً داخلياً مَرَدُّه إلى حديث النفس المجرد، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات) (محمد البوطي ،1991، ص46) ،

وأما قوله (فغطني حتى بلغ مني الجَهْدْ ثم أرسلني) ثلاث مرات على التوالي هو تأكيد آخر على رؤية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للوحي جبريل يراه أمامه بأمه عينيه لأن ((الغَطّ : هو الضم والعصر الشديد والكَبس)) (ابن منظور ، 1993،ج7،ص263) وهي عمليه لا تكون إلَّا بين اثنين مرئيين يرى كل واحد منهما الآخر، عدا عن ذلك، إخبار ورقه بن نوفل للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن الذي رآه هو الناموس الذي أُنزل على موسى عليه السلام، ((والناموس عند أهل اللغة هو صاحب سر الخير ... واتفقوا على أن جبريل عليه السلام يُسَمَّى الناموس، كما اتفقوا على أنه المراد هنا)) (النووي ،د.ت،ج1، ص561)، ومما يؤكد ذلك أيضاً، قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يُحدِّث عن فترة الوحي.

حينما قال : ((... فبَيْنَ أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحِراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض...)) (النووي ،د.ت،ج1،ص761)، فالملك الذي رآه جالسا على كرسي هو جبريل عليه السلام، وهو نفس الملك الذي رآه في غار حِراء وهو يتعبد فيه، ووات يقر بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صادق وأمين، فلماذا لا يقر بصدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هنا بنزول الملك جبريل عليه في

أول مرة وهو في غار حراء ؟

هذه هي حقيقة الوحي الذي نزل على النبي (ص)، وهكذا ينظر وات إليه وهو يعلم علم اليقين أن الذي رآه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء هو الملك جبريل عليه السلام وهو حق ولكن ((فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ))(سورة يونس،الاية : 32)ويمكن القول أن وات سعى الى تفسير الوحي تبعاًللنظريات الاستشراقية التي أنتهت الى القول بأن الوحي كلام من النوع العقلي تماهياً مع النظرة الروحانية الحديثة الذي أشار اليها المستشرق البريطاني ديفيد مرجيليوت في كتابه (محمد وظهور الاسلام)من المحتمل ان تكون الكلمات التي أتت محمد في غار حراء لم تكن كلاماً خارجياً أنما كلاماً ذهنياًبمعنى أنه لم يسمع بأذنيه أنما كانت الكلمات نوعاً من الاتصال الذي أتاه منغير كلام .أن اعتماد وات على هذه النظريات أوقعته في إشكالات عدة فيما يتعلق بمصدر الوحي .

3ـ موقف مونتغمري من الهجرة الاولى وأسبابها :

إن ووقائع السيرة هي أفعال وتصرفات قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضمن منهج عملي وتطبيقي مدروس ومخطط له، من أجل تبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى إلى الناس كافة، وجعلهم عبيداً له وحده لا شريك له، فكان مما قام به النبي(ص) من أجل تحقيق هذه المهمة الموكلة إليه من الله تعالى، أن عمد إلى تأسيس نواة صلبةمن المسلمين الأوائل يُعتمد عليها وتكون قادرة على حمل عبء الدعوة والتضحية من أجلها، إلا أن أعداء الإسلام وقفوا لها بالمرصاد واستخدموا ضدها صنوف العذاب والاضطهاد لاستئصالها والقضاء عليها، أو لإجبارهم على التخلي عن دينهم الجديد، وهم في ذلك لا حول لهم ولا قوة، خصوصاً وأن أعدادهم قليلة ولا تسمح لهم بمواجهة عدوهم اللدود من مشركي قريش، ثم لإنهم وفي هذا الوقت قد نهوا عن استخدامها وأمروا أن يكفوا أيديهم ويُعرضوا عن المشركين لقوله تعالى ((ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة....))(سورة النساء ، الاية : 77) ولقوله تعالى ((وأعرض عن المشركين))(سورة الحجر ، الاية : 94).

لذا كان لا بد من إيجاد حل لهذه المحنة، وبما أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق النبي صلى الله عليه وآله

وسلم، فقد أمرهم بالهجرة إلى الحبشة حتى يُبقي على هذه الفئة المؤمنة من الفناء، وللفرار بدينهم وعقيدتهم إلى أرض يأمنون بها على أنفسهم من الظلم والاضطهاد، وليحافظ على استمرارية الدعوة إلى الله تعالى لأن بفنائها تفنى الدعوة، وقد أوردت العديد من المصادر الإسلامية هذه الواقعة، وتحدث وات عنها، وكان له موقف منها، فهو منذ البداية يعتبر أن المعارضة التي ظهرت ضد الدين الجديد في مكة هي كرد فعل طبيعي نتيجة لهجوم القرآن على بعض اتجاهات ومواقف تجار مكة الأثرياء، فما كان منهم إلا أن قاموا برد فعل لهذا الهجوم القرآني عليهم، فلجأوا إلى جعل حياة من انضم إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أسلم معه ممن هم من قبائل قريش وبطونها، حيلة صعبة ومضنكة فذكر وات ذلك بقوله:

''Because of the Quran attacked some of the attitudes of the wealthy merchants opposition to the new religion soon appeared among them, ...one outward expression of this opposition was that some of the wealthiest men made life difficult for junior members of their own clans who had joined Muhammad''(watt,1996,p.n.20)

ويستطرد وات كلامه بأن أحد أسباب الهجرة إلى الحبشة هو من أجل تجنب الاضطهاد والظلم الذي وقع على من هاجر من المسلمين الأوائل من قبل أغنياء التجار في مكة، وذكر أيضا:

''It seems clear that one of the reasons for the emigration was to avoid persecution(watt,1996,p.n.23)

وهو سبب وجيه وفي مكانه، إلا أنه يضيف أسباباً أخرى دفعت بهؤلاء المسلمون الأوائل للهجرة إلى الحبشة منها كما ذكر :

"There are other reasons for the emigration. One such would be to en- gage in trade "(watt,1996,p.n.24)

وترجمة قوله: أن هناك أسباباً أخرى للهجرة، ومنها من أجل العمل في التجارة، وهذا كلام غير صحيح وخطير، فهو يرمي إلى إفراغ هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة من مضمونها العقدي والديني، وأن الأسباب الكامنة وراء الهجرة أسباباً اقتصادية بالدرجة الأولى، وهذا خلاف لواقع الروايات التاريخية التي تناولت هذه الحادثة، فالمعروف أن هجرة المسلمين الأوائل للحبشة كانت إستجابة لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعة له التي كانت من

أجل الحفاظ على حياة المسلمين وسلامتهم ، فهو الذي أمرهم بذلك وقال لهم لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، فما كان منهم إلا أن هاجروا بدينهم وعقيدتهم لله تعالى، ولم يكن همُّهم الدنيا ولا نعيمها، وكانت غاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك واضحة ،وهي كما قالت أم سلمة رضي الله عنها ((... لما أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج إلى الحبشة، ورأى ما يصيبنا من البلاء ، قال لنا (إلحقوا بأرض الحبشة، فإن عندها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، فأقيموا ببلاده حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه)، فقدمنا عليه فاطمئننا في بلاده)) (ابن هشام ،1990،ص349)، وفي رواية أخرى تقول رضي الله عنها ((فلما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار النجاشي، أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع ما نكره...))(العسقلاني ،1986،ص227).

فالأمن والطمأنينة هما اللذان كان يبحث عنهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم للفئة التي آمنت به وصدَّقته بما جاء به من عند الله تعالى، ثم حتى وإن سلَّمنا جدلًا بأن العمل بالتجارة كان أحد أسباب الهجرة، فلماذا أرسلت قريش رجلين من أعظم دهاتها لإرجاع من هاجر من المسلمين إلى مكة، أوليس هو الصراع العقدي بين مشركي مكة وبين من آمن بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولًا؟، ثم إن الروايات التاريخية لم تُشر إلى أن العامل الاقتصادي كان أحد الأسباب الكامنة وراء الهجرة إلى الحبشة.وإن كان ورد فلماذا لم يرجعنا وات إليها لنتأكد من صحته.

إن المتأمِّل في الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة يجد أنهم من قبائل متنوعة وأحياء مختلفة فيجد عثمان بن عفان وزوجته وجعفر بن أبي طالب من قبيلة قريش، ويجد عبد الرحمن بن عوف من بني زهرة، والزبير بن العوام من بني أسد، ومصعب بن عمير من بني عبد الدار، وعثمان بن مظعون من بني جمح، وهذا التنوع والاختلاف إن دل على شيء فإنما يدل على حنكة النبي صلى الله عليه وآله وسلم السياسية، والذي أراد من هذا التنوع ضرب لُحْمة قريش القبلية، وإظهار أن الإسلام لا يقتصر على قبيلة دون الأخرى.

ثم إن وات لم يقف عند الاضطهاد والعامل الاقتصادي كأسباب للهجرة، بل يضيف بأنه من الممكن أيضاً، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد شجع المهاجرين على الهجرة لأسباب أخرى لا يملك هو نفسه إلا أن يُخمنها فـقط(الذهبي ، 1986 ،ج2، ص184)، ولكنه لم يشر إليها ولم يذكر لنا سبباً آخر غيرهما. وبالتالي فهو يعتمد

على تخمينات واستنتاجات بعيدة عن الواقع التاريخي، آمن بها هو وسلم بصحتها ثم قدمها على أساس أنها وقائع تاريخية حقيقية، وهذا يتنافى وصفات المؤرخ المنصف، فالذي يريد أن يكتب حدثاً تاريخياً ما، يجب عليه أن يذكره كما هو دون زيادة أو نقصان، ثم بعد ذلك يضع حكمه عليه، أما أن يجعل استنتاجاته وتخميناته هي الواقع، فهذا تلاعب وتضليل للواقع. وهذا ما فعله وات هنا، فقد جعل تخميناته هي الواقع التاريخي وقدمها إلى القاريء الغربي على أساس أنها هي الواقع التاريخي، وبذلك فهو يسعى إلى طمس الحقيقة وإخفاء معالمها حتى لا يتأثر أبناء جنسه بالإسلام وعقيدته وفكره.

4ـ موقف مونتغمري من طرد يهود المدينة :

تناول وات عن غزوة يهود بني قينقاع باقتضاب شديد، أوحى فيه للقاريء بأنهم مظلومين ومقهورين، وأن السبب الذي دفع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لطردهم من المدينة المنورة سبب تافه وحقير حسب قوله، إلا أنه لم يُشر إليه ولم يتحدث عنه، وأن الذي ذكره أنه في عام 624م من شهر إبريل، حدث نزاع تافه وحقير بين مجموعة من المسلمين واليهود من قبيلة بني قينقاع، حيث أصبح هذا الحادث السبب الرئيسي في طردهم من المدينة المنورة، فيقول عن ذلك :

"About April 624 a petty quarrel between a group of Muslims and Jews of the clan of Qaynuqa became the ground for the expulsion of that clan from Medina"(watt,1996,p.n.32)

ومن أجل إحقاق الحق وبيان السبب الرئيسي في طرد قبيلة بني قينقاع اليهودية، لا بد لنا من استعراض الروايات التاريخية التي تناولت هذا الحدث، فقد ذكر ابن هشام »أنه عندما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة، كتب وثيقة بين أهلها، ووادعته اليهود وعاهدهم وشرط لهم واشترط عليهم، وأمنهم على دينهم وأموالهم، وكان مما وادعهم به أنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... وأن لهم دينهم وللمسلمين دينهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه يهلك ((إلا نفسه وأهل بيته، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصحية والبر والإثم))(ابن هشام،1990،ص109) .

وأورد إبن هشام والبلاذري والإمام أبي داوود رواية مفادها أنه ((لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً يوم بدر وقدم المدينة سالماً غانماً موفوراً، بغت اليهود وقطعت العهد، فجمعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سوق بني قينقاع فقال لهم : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً، قالوا: يا محمد لا يغرَّنَّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا غماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فينما هم على بغيهم ومجاهرتهم بكفرهم أنزل الله فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة))(البلاذري ، 1996، ج2، ص173).

فهذه الروايات تظهر لنا حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إرساء دعائم الأمن والاستقرار في المدينة المنورة، وتظهر لنا حرصه صلى الله عليه وآله وسلم على تحديد ما لليهود من حقوق وما عليهم من واجبات، على اعتبار أنهم جزء من كيان المجتمع، كما وتدل هذه الموادعة على حرصه أيضاً على إشراك اليهود في بناء المجتمع. إلا أن اليهود قوم غدر وبهت، تأبى طبيعتهم المجبولة على الغدر والخيانة إلا نقض العهود ونبذ العقود، وهي طبيعة لا تحفظ عهداً ولا تُراعي ميثاقاً، فهم ((كانوا أول يهود نقضوا عهدهم ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحاربوه فيما بين بدر وأحد))(ابن هشام ،1990، ص213) ، وهم كما أخبر عنهم الله سبحانه وتعالى ((أَوَكلما عاهدوا عهداً نبذه فريقاً منهم))(سورة البقرة ، الاية : 100).

ويتبين ذلك واضحاً في سلوكهم وردهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما جمعهم ودعاهم إلى الله تعالى، وحذرهم من مغبة التمادي ونقض العهود والمواثيق، إلا أن دعوته لم تلق آذاناً صاغية عندهم، بل على العكس أجابوه إجابة استعلاء واستفزاز، وجاهروا بعداوتهم له، وقالوا له ((يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تَلقَ مثلنا))[53].

ولا يخفى ما في هذا الرد من عنجهيَّة وغطرسة وتهديداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤكد على ذلك المستشرق ولفنستون بقوله ((أنهم أجابوه بكل جرأة وتبجح، وأنهم أعلنوا الحرب ضده معتمدين في ذلك على معاضدة حلفائهم من الخزرج في نزاعهم مع الرسول قبل كل شيء))(الواقدي ، 1983، ج1،ص176).

وبعد كل هذا يأتي وات ويرى أن سبب جلائهم عن المدينة سبب تافه وحقير، فهذا أمر غير مقبول ويُستهجن

منه، وهو كلام يُستغرب أن يتكلم به مستشرقاً مثل وات، له مكانة مرموقة ورفيعة في الأوساط الأكاديمية والعلمية على السواء، لإن ما قام به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جلائهم إنما هي سياسة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فكل من يخون الله تعالى ويخون رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يَلقى نفس المصير، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع قريش عندما نقضت عهدها معه فأرسل لهم جيشاً كان سبباً في فتح مكة وإعلاء كلمة التوحيد فيها.

ثم إن أمر بني قينقاع لم يقتصر على الكلام وإعلان الحرب والعنجهية والتهديد، بل تعدى الأمر إلى إظهار روح عدائِيَّة، والاعتداء على أعراض المسلمين وحرماتهم، مما أدى إلى الاخلال بالأمن داخل المدينة المنورة، فقد وردت رواية تشير إلى ((أن أحدهم عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، فلما قامت انكشفت عورتها وصاحت، فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي وتواثب اليهود فقتلوا المسلم، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهودي فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع))(ابن هشام ، 1990،ص9). وهذا هو السبب الذي يقصده وات، ولكنه لم يذكره ولم يوضحه، وإنما اكتفى بِوصْفه له بقوله أي ((نزاع تافه وحقير))، وهذا الوصف إنما حكمه على الواقعة وليست الواقعة نفسها، وشتان بين الواقعة نفسها ووصف الواقعة، وهذه المنهجية في الحكم على الوقائع والاحداث على أساس أنها هي الوقائع والأحداث تُبعد المؤرخ عن الانصاف والموضوعية، لأن الأصل ذكر الحادثة كما هي دون زيادة أو نقصان ثم بعد ذلك إصدار الحكم عليها، الا أن وات عمد إلى وصف الحادثة دون ذكرها، وهذا موقف يُتعجَّب منه، الا أن هذا التعجب سرعان ما يزول إذا ما علمنا أن هذه هي منهجية وات في كتابة أحداث السيرة النبوية ووقائعها، وهي منهجية تقوم على تشويه أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحط من قدرها والانتقاص من قيمتها، مقابل الدفاع عن اليهود واظهارهم بمظهر المظلومين والمعتدى عليهم.

5ــ موقف مونتغمري من سبب نزول سورة المسد.

يرى وات أن سبب نزول سورة تبت يدا أبي لهب وتب(سورة المسد،الاية :1) نتيجة لقيام أبو لهب برفع

الحصانة والحماية عن النبي صلى الله علية وسلم، ورفض نصرته له والدفاع عنه حتى يتوقف عن نشر دعوته وتعاليمه، وأن هذا التصرف من أبي لهب نتيجة للضغط الذي تعرَّض له من قبل بعض تجار مكة والذين هم أعداء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا بلا شك –كما يقول وات – هو السبب وراء الهجوم المر على أبي لهب المذكور في سورة المسد في القرآن الكريم. فيقول عن ذلك:

''Abu-Talib had also supported Muhammad by maintaining clan pro- tection, but his brother Abu-Lahab, who succeeded him, had done well as a merchant and had business assiciations with some of the very wealthy men hostile to Muhammad. Under pressure from them, he seems to have decided to withdraw clan protection. This is doubtless the reason for the bitter attack on Abu- Lahab in Sura 111 of the Quran''(watt,1996,p.n.37)

وهذا كلام يتنافى مع الحادثة الحقيقية التي كانت سبباً في نزول سورة المسد، وهو مجرد استقراء واستنتاج محظ، يعتمد فيه وات على تحليله للواقعة التاريخية دون أن يورد ما يؤكد صحة كلامه واستنتاجه، فالروايات التاريخية التي تحدثت عن هذه الحادثة تخالف تماماً ما يدعية وات من سبب، فقد أوردت معظم كتب التاريخ والتفسير رواية أجمعوا على صحتها مفادها حديث الصحابي الجليل عبدالله بن عباس ((أن النبي صلى الله علية وسلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: »يا صباحاه«، فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدَّثتكم أن العدو مصبِّحكم أم ممسِّيكم أكنتم تصدِّقوني؟ قالوا: نعم، قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك فأنزل الله »تبت يدا أبي لهب وتبَّ)) إلى آخرها، وفي رواية أخرى، فقام ينفض يديه وهو يقول: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ((تبت يدا أبي لهب وتبَّ))(السهيلي ، 1972، ج3،ص137) ، وأورد الإمام الطبري في تفسيره رواية يستأنس بها بهذا الخصوص، وهي قول أبو لهب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك؟ قال ؟ ((كما يعطى المسلمون)) ، فقال : مالي عليهم فضل ؟ قال : ((وأي شيء تبتغي؟)) قال : تباً لهذا من دين تباً، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله تعالى ((تبت يدا أبي لهب وتب))(الطبري ، 2012، ج24،ص276) وهذا هو السبب المباشر في نزول سورة المسد في أبي لهب وامرأته أم جميل.

ثم إن ادعاء وات رفض أبو لهب حماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته ليس في مكانه، لإن الله سبحانه وتعالى قد تكفَّل بحماية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته وحفظه من أي أذى يصدر من الناس ضده، فيقول سبحانه: (... والله يعصمك من الناس...))(سورة المائدة ، الاية :67) ، وقوله تعالى ((إنَّا كفيناك المستهزئين))(سورة الحجر ، الاية : 95)(ابن كثير الدمشقي ، 2002، ج8،ص513) ،

فسواء رفض أبو لهب وعشيرته نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدفاع عنه أو لم يفعلوا فلن يضرُّه شيئاً لحفظ الله سبحانه له. ثم إن تخلي أبو لهب عن نصرة إبن أخيه وهو في حاجة إليه، ليدل على مدى البغض والحقد والكره الذي يكنُّه أبو لهب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمنذ أن أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالجهر بالدعوة، ودعوة الناس علناً لدين الله سبحانه، بقوله ((فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين))(سورة الحجر ، الاية :94) ، وأبو لهب له بالمرصاد، ومما يدلل على ذلك، عندما جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته بعد أن صنع لهم طعاماً، فهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوتهم إلى الله، تكلَّم أبو لهب قبله وقال: »لهذَّما سحركم صاحبكم، فتفرقوا ولم يكلّمهم، ثم جمعهم في اليوم التالي ودعاهم وقال لهم : ((يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بأمر الدنيا والأخرة)) (البحراني ،د.ت،ص240)، ثم إن أمر أبي لهب لم يقف عند هذا الحد، بل عندما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل العربية يدعوهم إلى الله تعالى، كان أبو لهب بعد أن يفرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دعوته يقول لهم ((يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه))(ابن هشام ، 1955،ج1، 424) ، ولم يكتفي ابو لهب بالكلام والتحريض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل حاربه ودعي قومه لمحاربته، وبقي كذلك حتى قتل في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة.

الخاتمة :

1ـ إن مونتغمري وات لم يلتزم بالمبدأ العلمي في سرد الوقائع بشكلها الصحيح كما أجمع عليها المؤرخون، وإنما سارع إلى افتراض أحداث من نسج خياله ليسهل عليه مناقشتها والحصول على أعلى درجة من تشويه للصورة

النصعة التي كانت تحيط بالإسلام.

2ـ كما أنه قد أخل بالمبدأ الأساسي للشفافية وعدم الحياد في إصدار أحكامه حيث نرى أنه لم ينصف أي حادثة قد مر عليها، بل على العكس وجه سهامه كلها لنقدها والتقليل من رفعتها، أو للتهويل والتخويف من ردة فعل المسلمين عليها.

3ـ صور للقارئ أن المسلمين كانوا عصابة تبطش في الناس وحسب. وهذا أمر عرف به المستشرقين أن يكونوا منحازين أو غير منصفين، إلا أن هذا في حق وات لا يعدو أن يكون إظهارا لمكامن نفس لا تتحلى بالصدق في نقل التاريخ والوقائع ولا تتحلى بالمصداقية في ذكر الأحداث وتسلسلها.

4ـ كما أن ادعاءاته كلها منحازة وغير شفافة في تحليل جميع الوقائع التي قد سلط عليها الضوء ، ومن هنا فإن وات مستشرق منحاز بكليته إلى تحقيق ما يريده الباطل من تشويه لصورة الإسلام.

قائمة المراجع:

1- Watt, william montgomery. A short history of Islam, oneworld Publications, 1996.

2- ابن عبد ربه شهاب الدين أبو عمر العقد الفريد،1983، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،ج2.

3- ابن كثير، عماد الدين، 1997، البداية والنهاية تحقيق عبد الله التركي دار هجر ،مصر ، ط1، ، ج4.

4 - ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، 1993، ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1 ، ج7.

5- ابن هشام، السيرة النبوية ،1955 ، تحقيق: السقا وآخرون، ط2، مطبعة مصطفى الباني، مصر، ، ج3+4.

6- إبن هشام، عبد الملك، 1990، السيرة النبوية، حققه: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1.

7- أبو خليل شوقي، 1999، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، طرابلس، ليبيا، ط2.

8- أبي داوود السجستاني ،السنن اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، حديث رقم 3001 كتاب الخراج باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ج 1.

بدوي، عبدالرحمن ، 1993،موسوعة المستشرقين , دار العلم للملايين ,ط3 , بيروت .

9- البلاذري، أحمد بن يحي، 1996، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض الزر الزركلي، دار الفكرة بيروت – لبنان، ط 1.

10- البوطي، محمد سعيد رمضان،1991 ، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط11 .

11- جحا، ميشيل، 2005 ، الدراسات العربية والاسلامية في اوربا. الناشر دار العلم للملايين , بيروت .

12- الذهبي شمس الدين ، 1986،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام حققه عمر تدمري دار الكتاب العربي الشام – طرابلس،ج2س.

13- زناتي، أنور محمود، ،2006، زيارة جديدة للاستشراق مع دراسة للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول محمد (ص) , الناشر مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة.

14- الزيادي، محمد فتح الله , 1998 ، الاستشراق اهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون , الناشر دار قتيبة , (د.م) 0

15- السامرائي، قاسم,1983، الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية, الناشر دار الرفاعي, (د.م) .

16- سعيد، أدوارد، 1996، تعقيبات على الاشتشراق ,ترجمة صبحي حديدي , الناشر الموؤسسة العربية ,بيروت .

17- السهيلي أبو القاسم الخثعمي ،1972،الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لاين الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ضبطه طه عبد الرؤوف سعد مؤسسة نبع الفكر ، ج3 .

18- شوقي ، أبو خليل ، 1991، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ،الناشر جمعية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، ليبيا.

19- الطبري، محمد بن جرير ،جامع البيان في تأويل آي القرآن حققه: محمود شاكر، دار المعارف مصر، ج24.

20- الطيري محمد بن جرير ،2002، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل دار، المعارف مصر، ط2.

21- الطناحي ، محمد محمود ،1984 ، مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

22- العسقلاني، إبن حجر أبو الفضل أحمد بن علي، 1996،فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق : سيد بن عباس الجليمي، أيمن بن عارف الدمشقي، دار أبي حيان، ط1، ج1، القاهرة .

23- العقيقي، نجيب , 1964، المستشرقون،الناشر دار المعارف ,ط 3 ,القاهرة .

24- على عبد الحليم محمود، 1993، لغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط1، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، مصر.

25- علي بن إبراهيم النملة، 1993 ، بحث في كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع، دراسات إستشراقية وحضارية، تأليف : مجموعة من العلماء، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الدعوة، مطابع جامعة الإمام محمد، ع1، المدينة المنورة.

26- غراب، أحمد، 2005، رؤية اسلامية للاستشراق, الناشر المنتدئ الاسلامي , لندن .

27- القرطبي أبي عبدالله الأنصاري، 1986، الجامع لأحكام القرآن دار الفكر مجلد 1، ج20. الذهبي شمس الدين تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام السيرة النبوية، تحقيق: عمر تدمري دار الكتاب العربي الشام.

28- قطب، سيد، 1994 ، في ظلال القرآن، مطابع الشروق، بيروت، ط22، مجلد11.

29- كاستري، هنري دي، 2008، الاسلام خواطر وسوانح، ترجمة احمد زغلول، قدم له: محمود النجيري، دار طيبة، الجيزة، ط١.

30- لوثروب ستودارد الأمريكي، 1973 ، حاضر العالم الإسلامي، وفيه فصول وتعليقات وحواشي بقلم الأمير شكيب أرسلان، تعريب: عجاج نويهض، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط4، ج 1.

31- لويس ، برنارد ، (د. ت) ،تاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العربية ، لندن.

32- مجموعة من المؤلفين ، 1985 ، :مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، بحث لعماد الدين خليل، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض، ط1.

33- محمد بن صايل السُلمي، 1998، منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى القرن 13 هجري، دار الرسالة العلمية، مكة المكرمة، ط2.

34- مطبقاني،مازن بن صلاح،1995 ، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي،الناشر مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض .

35- المطعي، عبد العظيم إبراهيم، 1993 ، أوروبا في مواجهة الإسلام (الوسائل – الأهداف)، القاهرة، ط1.

36- مونتغمري وات، 2014، محمد النبي ورجل الدولة, ترجمة حمود حمود ,الناشر دار التكوين ، بيروت .

35ـ النووي، أبو زكريا يحي بن شرف،1972 ، شرح صحيح مسلم، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار البيان العربي، د. م، د. ت، ج1.

36ـ الواقدي، محمد بن عمر، 1983المغازي، تحقيق: مارسدن ،جونس عالم الكتب، ط3، مصر.

37ـ والفستون، إسرائيل، 1937،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر ،الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Public Education Spending Efficiency vs. Quality of Outcomes: A Comparative Analytical Study of Developed and Developing Nations (2015–2024).

Bouchikhi Ahmed 1
University of Tamanrasset (Algeria)
Email: ahmed.bouchikhi@univ-tam.dz
Bouchentouf Moulay Mostapha [2]
University of Tamanrasset (Algeria)
Email: bouchentouf.moustapha@univ-tam.dz

Abstract:

This study examines the dynamic relationship between public expenditure on education and the development of the Human Capital Index (HCI) during the period (2015-2024), with a specific focus on the structural disparities between developed and developing nations. The research addresses a critical paradox: despite significant increases in educational budgetary allocations in developing countries, these investments have often failed to yield proportional improvements in human capital outcomes. Utilizing a descriptive-analytical and comparative methodology across a select sample (Finland, Singapore, and Germany vs. Brazil, Egypt, and Indonesia), the findings reveal a profound gap in "Learning-Adjusted Years of Schooling" (LAYS). Developing nations exhibit an educational loss of approximately 5 years compared to their developed counterparts. Furthermore, the analysis indicates that spending efficiency is more closely tied to institutional governance than to fiscal volume alone. The study also highlights how the COVID-19 pandemic exacerbated developmental setbacks in countries with fragile digital infrastructures. The paper concludes by advocating for a shift from "quantitative expansion" in spending to "qualitative targeting," prioritizing learning outcomes and the eradication of learning poverty.

Keywords: Public Expenditure; Human Capital Index (HCI); Education Quality; Learning-Adjusted Years of Schooling; Developing Countries.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

كفاءة الإنفاق الحكومي على التعليم مقابل جودة المخرجات: دراسة تحليلية مقارنة بين الدول المتقدمة والنامية (2015–2024)

بوشيخي أحمد [1]

جامعة تامنغست (الجزائر)

ahmed.bouchikhi@univ-tam.dz

بوشنتوف مولاي مصطفى [2]

جامعة تامنغست (الجزائر)

bouchentouf.moustapha@univ-tam.dz

ملخص:

تناقش هذه الدراسة العلاقة الجدلية بين الإنفاق العام على التعليم وتطوير مؤشر رأس المال البشري (HCI) خلال الفترة (2015–2024)، مع التركيز على تحليل الفجوة الهيكلية بين الدول المتقدمة والنامية. تنطلق الدراسة من إشكالية مفادها أن زيادة المخصصات المالية للتعليم في الدول النامية لم تترجم بالضرورة إلى تحسن موازٍ في جودة المخرجات البشرية. وباعتماد المنهج الوصفي التحليلي المقارن لعينة من الدول (فنلندا، سنغافورة، ألمانيا مقابل البرازيل، مصر، إندونيسيا)، كشفت النتائج عن وجود فجوة حادة في "سنوات الدراسة المعدلة حسب التعلم(LAYS) "، حيث تعاني الدول النامية من فاقد تعليمي يصل إلى 5 سنوات تقريباً. كما أظهرت الدراسة أن كفاءة الإنفاق ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجودة الحوكمة المؤسسية لا بحجم التمويل فقط، وأن صدمة كوفيد–19 قد فاقمت من التراجع التنموي في الدول ذات البنية الرقمية الضعيفة. وتوصي الدراسة بضرورة الانتقال من فلسفة "التوسع الكمي" في الإنفاق إلى "الاستهداف النوعي" الذي يركز على نواتج التعلم وسد فجوة الفقر التعليمي.

الكلمات المفتاحية: الإنفاق العام، رأس المال البشري(HCI) ، جودة التعليم، سنوات الدراسة المعدلة حسب التعلم(LAYS) ، الدول النامية.

مقدمة:

شهد الفكر الاقتصادي المعاصر تحولاً بارادايجيمياً في تفسير محركات النمو والرفاه، حيث انتقل الثقل التحليلي من التراكم المادي المتمثل في الأصول الرأسمالية الفيزيقية إلى "التراكم اللامادي" المتمثل في المعرفة، المهارات، والقدرات الصحية، أو ما يصطلح عليه بـ رأس المال البشري .وفي ظل بزوغ اقتصاد المعرفة، لم يعد يُنظر إلى التعليم كخدمة اجتماعية استهلاكية تثقل كاهل الموازنة العامة، بل كأداة استثمارية استراتيجية ذات عوائد اجتماعية واقتصادية متزايدة، تمثل حجر الزاوية في معادلات التنمية المستدامة.

وتستند القيمة العلمية لهذا التحول إلى أدبيات نظرية النمو الداخلي، لا سيما أطروحات "رومر" و"لوكاس"، التي افترضت أن الاستثمار في المورد البشري يولد تأثيرات خارجية إيجابية تكسر حاجز الغلة المتناقصة وتدفع بعجلة الابتكار. ومع ذلك، يظل التحدي الجوهري الذي يواجه صناع السياسة المالية يكمن في "كفاءة التحويل"؛ أي كيفية ترجمة الوحدات النقدية المنفقة على قطاع التعليم إلى تحسن ملموس في مؤشرات التنمية البشرية، وتحديداً مؤشر رأس المال البشري (HCI) الذي ابتكره البنك الدولي كمعيار مركزي لقياس إنتاجية الجيل القادم.

- **مشكلة الدراسة**

على الرغم من الجهود الحثيثة التي بذلتها الدول النامية خلال العقد الأخير (2015-2024) لزيادة مخصصات التعليم تماشياً مع أهداف التنمية المستدامة(SDGs) ، إلا أن الواقع الإحصائي يشير إلى مفارقة تنموية صارخة؛ حيث لم تنجح هذه الزيادات الكمية في تضييق الفجوة النوعية مع الدول المتقدمة. وتتجلى المشكلة في بروز ظاهرة "الفقر التعليمي "أو "التمدرس بلا تعلم"، حيث تضيع سنوات دراسية فعلية دون تحصيل معرفي حقيقي، مما يؤدي إلى هدر مالي وهيكلي ضخم. وتزداد هذه المشكلة تعقيداً عند النظر في أثر الصدمات الخارجية، مثل جائحة كوفيد-19، التي كشفت عن هشاشة النظم التعليمية في الدول النامية مقارنة بمرونة النظم في الدول المتقدمة.

- **تساؤلات الدراسة**

تتمحور هذه الدراسة حول محاولة الإجابة على التساؤل الرئيس التالي" :ما مدى فاعلية الإنفاق العام على التعليم في تحسين مؤشر رأس المال البشري(HCI) ، وما هي ميكانزمات التباين الهيكلي بين الدول المتقدمة والنامية خلال الفترة (2015-2024)؟ "ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1. كيف تطورت فلسفة الإنفاق التعليمي من منظور "النفقة الجارية" إلى "الاستثمار الرأسمالي" في الفكر المالي الحديث؟
2. ما هو حجم "الفاقد التعليمي" في الدول النامية عند مقارنة سنوات الدراسة الفعلية بسنوات الدراسة المعدلة حسب الجودة(LAYS) ؟
3. هل توجد علاقة خطية طردية دائماً بين حجم الإنفاق وتحسن مؤشر رأس المال البشري، أم أن هناك عوامل وسيطة (كالحوكمة والكفاءة المؤسسية) تحكم هذه العلاقة؟

- **أهداف الدراسة**

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تأصيل الإطار النظري للعلاقة بين السياسة المالية وديناميكيات رأس المال البشري.
- تحليل ومقارنة مسارات الإنفاق التعليمي في عينة مختارة من الدول المتقدمة والنامية للفترة (2015-2024).
- تشخيص الفجوة النوعية في مؤشر (HCI) وتحديد أسباب "الغلة المتناقصة" للإنفاق في الدول النامية.
- تقييم أثر الصدمات (كوفيد-19 نموذجاً) كمتغير وسيط أثر على كفاءة الإنفاق ومخرجات التعلم.

- **أهمية الدراسة**

تكتسب الدراسة أهميتها من كونها تتناول موضوعاً يقع في قلب "اقتصاديات الجودة"، فهي لا تكتفي بتحليل المدخلات المالية، بل تغوص في جودة المخرجات التعليمية. وتوفر نتائج هذه الدراسة رؤى تحليلية لصناع القرار حول أهمية التحول من "الإنفاق الموجه للنمو الكمي" إلى "الإنفاق الموجه لتحسين النواتج"، مع تقديم مؤشرات واقعية حول كيفية معالجة الهدر المؤسسي لتحقيق أقصى استفادة من الموارد المتاحة.

أولا: الإطار النظري للإنفاق العام، التعليم، وديناميكيات رأس المال البشري

1. التأصيل النظري للإنفاق العام على التعليم: من الاستهلاك إلى الاستثمار

تستند الأدبيات الاقتصادية في تحليلها للإنفاق العام على التعليم إلى تطور تاريخي للنظريات المالية والاقتصادية. فمن منظور المالية العامة التقليدية، يُنظر إلى التعليم كـ "سلعة عامة (Public Good) " أو "سلعة استحقاق (Merit Good) "تتسم بوجود وفورات خارجية إيجابية(Externalities) ، مما يستوجب تدخل الدولة لتصحيح إخفاقات السوق التي قد تؤدي إلى نقص الاستثمار في هذا القطاع الحيوي .(Musgrave & Musgrave, 1989) إلا أن النقلة النوعية في النظرية جاءت مع بروز "نظرية رأس المال البشري" في ستينيات القرن الماضي، حيث أسس كل من ثيودور شولتز وغاري بيكر لإطار تحليلي يعامل الإنفاق التعليمي كعملية استثمارية بحتة.

يؤكد **بيكر (Becker, 1964)** في أطروحته التأسيسية أن التعليم والتدريب يرفعان من الإنتاجية الحدية للعامل، مما ينعكس على شكل أجور أعلى ومستويات معيشية أفضل. وبناءً على ذلك، فإن الإنفاق الحكومي على التعليم هو الآلية التي تتيح للأفراد اكتساب هذه المهارات، خاصة في ظل عدم قدرة الأسر الفقيرة على تمويل تعليم أبنائها في غياب التمويل العام. وعلاوة على ذلك، وسعت **نظرية النمو الداخلي (Endogenous Growth Theory)**التي طورها كل من **رومر (Romer, 1990)** و**لوكاس (Lucas, 1988)** من هذا المفهوم، حيث افترضت أن الاستثمار في رأس المال البشري يولد تأثيرات غير مباشرة (Spillovers) تزيد من الكفاءة الكلية للاقتصاد، مما يجعل الإنفاق الحكومي على التعليم محركاً للابتكار والتقدم التكنولوجي، وليس مجرد مدخل لزيادة إنتاجية الفرد الواحد. وبالتالي، فإن الإنفاق العام هنا لا يؤثر فقط على مستوى الدخل الحالي، بل يحدد معدل النمو المستقبلي للاقتصاد ككل.

2. مؤشر رأس المال البشري :(HCI) المفهوم، المكونات، والدلالة الاقتصادية

لفهم أثر الإنفاق، يجب أولاً تفكيك المتغير التابع وهو "مؤشر رأس المال البشري". تبنى البنك الدولي (World Bank, 2018)منهجية حديثة لقياس رأس المال البشري تتجاوز المقاييس التقليدية (مثل سنوات الدراسة ومعدلات القيد) لتركز على "نتائج" التعليم والصحة بدلاً من "مدخلاتها". يُعرّف المؤشر

بأنه كمية رأس المال البشري التي يمكن للطفل المولود اليوم أن يتوقع امتلاكها بحلول سن الثامنة عشرة، في ظل المخاطر الصحية والتعليمية السائدة في البلد.

يتكون المؤشر من ثلاثة ركائز أساسية تتأثر مباشرة بالسياسات المالية للدولة:

- ✓ **البقاء على قيد الحياة** :ويقاس بمعدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة، وهو يعكس كفاءة الإنفاق الصحي والبيئي.
- ✓ **المدرسة (التعليم)** :وهنا تكمن النقلة النوعية للمؤشر، حيث لا يكتفي بعدد "سنوات الدراسة المتوقعة"، بل يقوم بتعديلها لتصبح "سنوات الدراسة المعدلة حسب التعلم-Learning) " Adjusted Years of School - LAYS). يعتمد هذا التعديل على نتائج الاختبارات الدولية الموحدة) مثل PISA و TIMSS). هذا المكون يربط مباشرة بين "حجم" الإنفاق وبين "جودته."
- ✓ **الصحة** :وتقاس بمعدلات بقاء البالغين ومعدلات التقزم، باعتبارها مؤشرات على البيئة الصحية التي تؤثر على القدرات المعرفية والإنتاجية المستقبلية.

تشير الدراسات الحديثة (Kraay, 2019) إلى أن الاختلافات في مؤشر رأس المال البشري بين الدول تفسر ما بين 10% إلى 30% من الاختلافات في دخل الفرد. وهذا يعني أن تحسين المؤشر من خلال الإنفاق العام الفعال ليس مجرد هدف اجتماعي، بل ضرورة اقتصادية ملحة.

3. ميكانزمات انتقال الأثر: كيف يُترجم الإنفاق المالي إلى رأس مال بشري؟

إن العلاقة بين الإنفاق العام وتحسين مؤشر رأس المال البشري ليست ميكانيكية أو تلقائية، بل تمر عبر قنوات انتقال معقدة تتأثر بعاملين رئيسيين :**الكفاءة التخصيصية** و**الكفاءة التشغيلية** .نظرياً، تؤدي زيادة المخصصات المالية لقطاع التعليم إلى تحسين البنية التحتية للمدارس، توفير الوسائل التعليمية الحديثة، وزيادة رواتب المعلمين مما يستقطب كفاءات أفضل، وتقليل كثافة الفصول الدراسية (Hanushek & Woessmann, 2020). هذه المدخلات المحسنة من المفترض أن تؤدي إلى مخرجات تعليمية أفضل (درجات اختبار أعلى)، والتي تنعكس بدورها على زيادة "سنوات الدراسة المعدلة حسب التعلم" في مؤشر HCI.

مع ذلك، يجادل هانوشيك (Hanushek, 2003) بأن العلاقة بين الإنفاق والأداء التعليمي ضعيفة في غياب المؤسسات القوية. ففي كثير من الحالات، تضيع زيادة الإنفاق بسبب الهدر، الفساد، أو سوء التوجيه (مثل الإنفاق على الرواتب الإدارية بدلاً من تدريب المعلمين أو تحديث المناهج). وهنا يظهر مفهوم "تأخر الأثر(Time Lag) "، حيث إن الاستثمار في تعليم طفل اليوم لن ينعكس على مؤشر رأس المال البشري والإنتاجية الكلية إلا بعد سنوات طويلة. هذا الفاصل الزمني يجعل من الصعب على صناع القرار في الدول ذات التخطيط قصير الأمد الالتزام بمستويات إنفاق مرتفعة ومستدامة.

4. الفجوة الهيكلية بين الدول المتقدمة والنامية

عند مقارنة أثر الإنفاق العام بين الدول المتقدمة والنامية، تبرز فروقات جوهرية تفسر تباين قيم مؤشر رأس المال البشري .في **الدول المتقدمة**، وصل الإنفاق العام على التعليم إلى مرحلة "النضج"، حيث يتم التركيز على جودة التعليم والابتكار والبحث العلمي. تتميز هذه الدول بكفاءة مؤسسية عالية تضمن توجيه الأموال نحو تحسين البيئة التعليمية وتقليص الفجوات المهارية. تشير تقارير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD, 2023)إلى أن الدول المتقدمة تنفق نسبة أكبر من ناتجها المحلي الإجمالي على الطالب الواحد مقارنة بالدول النامية، ولكن الأهم هو أن هذا الإنفاق يقترن بمساءلة قوية ونظم تقييم مستمرة، مما يحافظ على مستويات مرتفعة لمؤشر رأس المال البشري (غالباً فوق 0.70).

على النقيض من ذلك، تواجه **الدول النامية** ما يُعرف بـ "فخ الجودة المنخفضة". فعلى الرغم من أن العديد من هذه الدول قد زادت من إنفاقها العام على التعليم كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي خلال العقد الماضي (2015-2024) استجابة لأهداف التنمية المستدامة(SDGs) ، إلا أن العائد على هذا الاستثمار لا يزال محدوداً. يعزو الباحثون ذلك إلى مشاكل هيكلية عميقة، مثل عدم كفاية البنية التحتية الأساسية، وضعف إعداد المعلمين، وعدم مواءمة المناهج لمتطلبات العصر الرقمي .(World Bank, 2019) بالإضافة إلى ذلك، تعاني الدول النامية من عدم كفاءة الإنفاق العام، حيث يتسرب جزء كبير من الميزانية في قنوات غير منتجة، مما يؤدي إلى ظاهرة "التمدرس دون تعلم (Schooling without Learning) "، حيث يقضي الطلاب سنوات في المدرسة دون اكتساب المهارات الأساسية، مما يخفض بشكل حاد قيمة مؤشر رأس المال البشري لديها.

ثانيا: تقييم كفاءة الإنفاق العام وديناميكيات رأس المال البشري (2015–2024)

1. منهجية التحليل ومصادر البيانات

يعتمد هذا القسم على التحليل الوصفي والمقارن للبيانات السلاسل الزمنية (Time Series Data) والمقطعية (Cross-Sectional Data) للفترة الممتدة من 2015 إلى 2024. تم اختيار عينة ممثلة للدول المتقدمة (تشمل فنلندا، سنغافورة، وألمانيا) وعينة للدول النامية (تشمل مصر، البرازيل، وإندونيسيا) لضمان التنوع الجغرافي والاقتصادي. المتغير المستقل في هذا التحليل هو "الإنفاق الحكومي على التعليم كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي" (Public Expenditure on Education as % of GDP)، بينما المتغير التابع هو "مؤشر رأس المال البشري" (HCI) بجميع مكوناته الفرعية. تستند البيانات المستخدمة إلى أحدث إصدارات قاعدة بيانات البنك الدولي (World Development Indicators - WDI) وتقارير التنمية البشرية الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، مع التركيز على رصد التغيرات الهيكلية التي طرأت خلال وبعد جائحة كوفيد-19.

2. تحليل تطور الإنفاق العام على التعليم (2015–2024)

عند تتبع مسار الإنفاق العام على التعليم خلال فترة الدراسة، نلاحظ تباينًا جوهريًا في فلسفة التمويل بين المجموعتين. في الدول المتقدمة، اتسم الإنفاق بالاستقرار النسبي مع ميل طفيف للزيادة النوعية. تُظهر البيانات أن دولاً مثل فنلندا وألمانيا حافظت على معدلات إنفاق تتراوح بين 4.5% و5.5% من الناتج المحلي الإجمالي. هذا الاستقرار يعكس نضج النظم المالية والتعليمية، حيث لا يتم توجيه الأموال لبناء مدارس جديدة بقدر ما يتم توجيهها لصيانة الجودة، والبحث والتطوير، ودمج التكنولوجيا الرقمية، خاصة في الفترة ما بعد 2020. ومن الملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية تنفق نسباً أعلى (تتجاوز 6% أحياناً)، إلا أن هذا الإنفاق لا يترجم دائماً بنفس الكفاءة مقارنة بنظيراتها الأوروبية أو الآسيوية، مما يشير إلى وجود عوائد حجم متناقصة للإنفاق في غياب الكفاءة الإدارية (OECD, 2023).

في المقابل، شهدت الدول النامية تذبذباً واضحاً في معدلات الإنفاق. تُظهر بيانات العينة المختارة (مصر، البرازيل، إندونيسيا) محاولات حثيثة لرفع مخصصات التعليم استجابةً للضغوط الديموغرافية المتزايدة وأهداف التنمية المستدامة. على سبيل المثال، سعت البرازيل للحفاظ على معدلات إنفاق مرتفعة نسبياً (فوق 5%)،

إلا أن الأزمات الاقتصادية والتضخم أثرا على القيمة الحقيقية لهذا الإنفاق. أما في حالة مصر وإندونيسيا، فرغم التحسن الملحوظ في الموازنات الاسمية، إلا أن النسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي ظلت تتأرجح حول 3% إلى 4%، وهي نسبة تواجه تحديات هائلة لتغطية تكاليف التوسع الكمي (بناء فصول جديدة لاستيعاب الزيادة السكانية) على حساب التحسين النوعي. وتجدر الإشارة إلى أن عامي 2020 و2021 شهدا في الدول النامية انحرافاً في الإنفاق نحو قطاع الصحة لمواجهة الجائحة، مما أدى إلى ضغوط على ميزانيات التعليم، أو إعادة توجيهها بشكل طارئ وغير مخطط نحو حلول التعليم عن بعد التي لم تكن البنية التحتية جاهزة لها تماماً (World Bank, 2022).

جدول 1: تطور الإنفاق العام على التعليم كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي (% GDP) لعينة مختارة من الدول (2015–2023)

الدولة / السنة	التصنيف	2015	2017	2019	2021 (تأثير كوفيد)	2023 (التعافي)*
فنلندا	متقدمة	5.6	5.4	5.5	5.7	5.5
ألمانيا	متقدمة	4.8	4.9	5.0	5.1	4.9
سنغافورة	متقدمة	2.9	2.8	2.7	3.0	2.8
البرازيل	نامية	6.2	6.3	6.0	5.8	5.9
إندونيسيا	نامية	3.6	3.3	3.0	3.2	3.1
مصر	نامية	3.8	3.2	2.9	2.7	2.8

المصدر: تم تجميع البيانات ومعالجتها بالاعتماد على بيانات البنك الدولي World Bank Open Data 2024. بيانات 2023 تقديرية لبعض الدول بناءً على تقارير الموازنة العامة

3. تحليل مؤشر رأس المال البشري (HCI) والفجوة النوعية

عند الانتقال لتحليل المتغير التابع (مؤشر رأس المال البشري HCI)، تكشف الأرقام عن فجوة هيكلية عميقة. يتراوح المؤشر بين 0 و1، حيث تعني القيمة 0.88 مثلاً أن الطفل المولود اليوم سيحقق 88% من إنتاجيته المحتملة لو تمتع بتعليم وصحة كاملين.

تتربع الدول المتقدمة في العينة (سنغافورة، فنلندا) على قمة المؤشر بقيم تتجاوز 0.80. الثبات النسبي لهذه القيم العالية خلال الفترة (2015-2024) يعكس صلابة الأنظمة التعليمية والصحية في هذه الدول وقدرتها على امتصاص الصدمات. ففي سنغافورة، تصل إنتاجية الجيل القادم إلى 88% من إمكاناتهم القصوى. يعود ذلك بشكل رئيسي إلى المكون المتعلق بـ "سنوات الدراسة المعدلة حسب التعلم" (LAYS)، حيث يحصل الطالب السنغافوري على تعليم يعادل في جودته سنوات الدراسة الفعلية، بل ويتفوق عليها، مما يعني عدم وجود هدر في العملية التعليمية.

في المقابل، تعاني الدول النامية من انخفاض قيم المؤشر التي تتراوح غالباً بين 0.45 و0.60. الأخطر من ذلك هو تحليل مكونات المؤشر؛ فبينما قد يقضي الطفل في دولة نامية (مثل مصر أو البرازيل) حوالي 11 أو 12 سنة في المدرسة (سنوات الدراسة المتوقعة)، إلا أن ما يحصله فعلياً من علم ومهارات يعادل فقط 6 أو 7 سنوات دراسية عند تعديلها بجودة التعلم (LAYS). هذه الفجوة التي تصل إلى 4-5 سنوات ضائعة تُعرف بظاهرة "الفقر التعليمي" (Learning Poverty). تشير البيانات إلى أن الجائحة قد فاقمت هذا الوضع في الدول النامية، حيث يُقدر البنك الدولي أن إغلاق المدارس قد يؤدي إلى انخفاض طويل الأمد في مؤشر رأس المال البشري لهذه الدول، وهو ما بدأ يظهر في بيانات 2022 و2023، حيث تراجعت أو ركدت قيم المؤشر مقارنة بعام 2019 (Azevedo et al., 2021).

جدول 2: مقارنة قيم مؤشر رأس المال البشري (HCI) وسنوات الدراسة المعدلة حسب التعلم (LAYS)

الدولة	قيمة مؤشر HCI (2020)*	سنوات الدراسة المتوقعة	سنوات الدراسة المعدلة حسب الجودة (LAYS)	الفاقد التعليمي (سنوات)
سنغافورة	0.88	13.9	12.8	1.1
فنلندا	0.80	13.7	11.6	2.1
ألمانيا	0.75	13.3	11.2	2.1
البرازيل	0.55	11.7	7.6	4.1
إندونيسيا	0.54	12.4	7.8	4.6
مصر	0.49	11.3	6.5	4.8

المصدر: بيانات مشروع رأس المال البشري – البنك الدولي The Human Capital Project Update 2023 & 2020

تحليل الجدول: يوضح العمود الأخير "الفاقد التعليمي" حجم المأساة في الدول النامية، حيث يقضي الطالب في مصر أو إندونيسيا ما يقرب من 5 سنوات في الفصول الدراسية دون تحصيل علمي حقيقي يذكر، وهو ما يفسر ضعف العائد الاقتصادي للإنفاق العام في هذه الدول.

4. مناقشة أثر الإنفاق على المؤشر: هل المال هو الحل؟

يكشف الربط التحليلي بين الجدولين (1) و(2) عن نتائج تدحض الفهم التقليدي القائل بأن زيادة التمويل تؤدي تلقائياً إلى تحسين رأس المال البشري.

تظهر البيانات أن العلاقة بين الإنفاق العام ومؤشر رأس المال البشري ليست خطية (Non-linear)، بل تخضع لقانون الغلة المتناقصة. في المراحل الأولى للتنمية (الدول النامية)، يكون للإنفاق الإضافي أثر هامشي كبير، حيث يساهم في توفير البنية الأساسية (بناء مدارس في المناطق الريفية، توفير كتب). ومع ذلك، تشير حالة "البرازيل" في دراستنا إلى لغز تنموي؛ فهي تنفق نسبة من الناتج المحلي تضاهي أو تتفوق على فنلندا (حوالي 6%)، لكن مؤشر رأس المال البشري لديها يقبع عند 0.55 مقارنة بـ 0.80 لفنلندا. يُعزى هذا التباين الصارخ إلى عاملين رئيسيين تم استخلاصهما من تحليل الدراسات المصاحبة للبيانات:

أولاً، سوء تخصيص الموارد (Misallocation of Resources): في العديد من الدول النامية، يذهب الجزء الأكبر من ميزانية التعليم (أكثر من 85-90%) لبند الأجور والرواتب الإدارية، ولا يتبقى سوى الفتات لتطوير المناهج، تدريب المعلمين، أو تحسين البيئة التعليمية (UNESCO, 2021). بينما في الدول المتقدمة مثل سنغافورة، يتم توجيه الإنفاق بدقة نحو التنمية المهنية المستمرة للمعلمين وتحديث التكنولوجيا، مما يرفع من جودة الـ LAYS.

ثانياً، الحوكمة المؤسسية: أثبتت البيانات أن الدول التي تمتلك مؤشرات حوكمة مرتفعة (الشفافية، المساءلة، السيطرة على الفساد) تنجح في تحويل كل دولار يُنفق إلى نتائج ملموسة في مؤشر HCI. في حين يتسرب الإنفاق في الدول النامية عبر قنوات الفساد الإداري أو البيروقراطية، مما يجعل الأثر الصافي للإنفاق على تحسين مهارات الطلاب ضئيلاً جداً (Woessmann, 2020 & Hanushek).

5. أثر جائحة كوفيد-19 كمتغير وسيط (2020-2022)

لا يمكن تحليل الفترة 2015-2024 دون الوقوف عند "صدمة كوفيد-19". أظهر التحليل أن الدول المتقدمة استغلت قوتها المالية لزيادة الإنفاق الطارئ على البنية التحتية الرقمية، مما قلل من فاقد التعلم. في المقابل، واجهت الدول النامية "صدمة مزدوجة": انكماش اقتصادي قلص الحيز المالي المتاح للإنفاق على التعليم، وتدهور في مؤشر رأس المال البشري بسبب انقطاع الطلاب عن المدارس لمدد طويلة لعدم توفر بدائل رقمية فعالة. تشير تقديراتنا المستندة لبيانات البنك الدولي (2022) إلى أن مؤشر HCI في الدول النامية قد يكون تراجع بمقدار 0.02 إلى 0.05 نقطة خلال هذه الفترة، مما يعني خسارة مكاسب عقد كامل من التنمية، وهو ما يفسر الركود الظاهر في الجدول رقم (2).

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن العلاقة بين الإنفاق العام على التعليم وتراكم رأس المال البشري ليست علاقة ميكانيكية بسيطة محكومة بحجم المخصصات المالية فحسب، بل هي علاقة معقدة تخضع في جوهرها لشرط "الكفاءة التحويلية ."لقد كشف التحليل المقارن للفترة (2015–2024) أن الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية لم تعد تكمن في القدرة على إلحاق الطلاب بالمدارس (الكم)، بل في القدرة على تحويل تلك السنوات الدراسية إلى مهارات حقيقية قابلة للقياس الاقتصادي (الكيف).

■ **أهم النتائج المستخلصة:**

- تأكيد فرضية الغلة المتناقصة :أثبتت البيانات أن زيادة الإنفاق دون إصلاح مؤسسي (كما في حالة البرازيل) تؤدي إلى عوائد ضعيفة على مؤشر رأس المال البشري، بينما نجحت دول أخرى (مثل سنغافورة) في تحقيق أقصى استثمار للموارد بفضل جودة الإدارة التعليمية.
- الفجوة النوعية :(LAYS) تبين أن المعضلة الكبرى في الدول النامية هي "الضياع القيمي" للسنوات الدراسية، حيث يفقد الطالب ما يقرب من نصف تحصيله المفترض بسبب ضعف جودة التعلم، مما يجعل الإنفاق العام يبدو وكأنه استهلاك لا استثمار.
- هشاشة النظم أمام الصدمات :كشفت جائحة كوفيد-19 عن "تراجع تنموي" في الدول النامية نتيجة ضعف البنية الرقمية، مما أدى إلى اتساع الفجوة المعرفية بينها وبين الدول المتقدمة التي استثمرت في مرونة نظمها التعليمية.

■ **التوصيات المقترحة:**

1. التحول نحو موازنة الأداء :يجب على الدول النامية الانتقال من "موازنة البنود" (التي تركز على الرواتب والإدارة) إلى "موازنة النتائج" التي تربط التمويل بتحسن درجات الاختبارات الدولية ومؤشرات جودة التعلم.
2. معالجة الفقر التعليمي :توجيه الاستثمارات نحو التعليم الأساسي المبكر وتدريب المعلمين، باعتبارهما القناتين الأكثر تأثيراً في رفع قيمة سنوات الدراسة المعدلة حسب الجودة.(LAYS)

3. تعزيز الحوكمة المالية :ربط الإنفاق التعليمي بمنظومة مساءلة وشفافية لضمان وصول الموارد إلى "الغرفة الدراسية" مباشرة وتقليل الهدر البيروقراطي.

ختاماً، إن بناء رأس المال البشري هو سباق طويل الأمد، والإنفاق المالي هو وقود هذا السباق، لكن "جودة المحرك المؤسسي" هي التي تحدد من سيصل إلى ركب الدول المتقدمة في اقتصاد القرن الحادي والعشرين.

قائمة المراجع

المراجع الأجنبية:

1. Azevedo, J. P., Hasan, A., Goldemberg, D., Geven, K & ,.Iqbal, S. A. (2021). Simulating the potential impacts of COVID-19 school closures on schooling and learning outcomes: A set of global estimates .*The World Bank Research Observer*.40-1 ,(1)36 ,
2. Becker, G. S. (1964). *Human Capital: A Theoretical and Empirical Analysis, with Special Reference to Education*. University of Chicago Press.
3. Hanushek, E. A. (2003). The Failure of Input-Based Schooling Policies. *The Economic Journal*, 113(485), F64-F98.
4. Hanushek, E. A., & Woessmann, L. (2020). The Economic Impacts of Learning Losses. *OECD Education Working Papers*, No. 225. OECD Publishing.
5. Hanushek, E. A & ,.Woessmann, L. (2020). The Economic Impacts of Learning Losses .*OECD Education Working Papers* .OECD Publishing.
6. Kraay, A. (2019). The World Bank Human Capital Index: A Guide to Aggregation and Measurement. *World Bank Policy Research Working Paper*, (8650).
7. Lucas, R. E. (1988). On the Mechanics of Economic Development. *Journal of Monetary Economics*, 22(1), 3-42.

8. Musgrave, R. A., & Musgrave, P. B. (1989). *Public Finance in Theory and Practice* (5th ed.). McGraw-Hill.
9. OECD. (2023). *Education at a Glance 2023: OECD Indicators*. OECD Publishing.
10. OECD .(2023) .*Education at a Glance 2023: OECD Indicators* . OECD Publishing, Paris.
11. Romer, P. M. (1990). Endogenous Technological Change. *Journal of Political Economy*, 98(5, Part 2), S71-S102.
12. Schultz, T. W. (1961). Investment in Human Capital. *The American Economic Review*, 51(1), 1-17.
13. UNESCO Institute for Statistics (UIS) .(2021) .*Public expenditure on education by nature of spending* .Montreal: UIS.
14. World Bank Open Data .(2024) .*Government expenditure on education, total (% of GDP)* .Retrieved from data.worldbank.org.
15. World Bank. (2018). *The Human Capital Project*. World Bank, Washington, DC.
16. World Bank. (2019). *World Development Report 2019: The Changing Nature of Work*. World Bank.
17. World Bank .(2022) .*Collapse and Recovery: How COVID-19 Eroded Human Capital and What to Do about It* .Washington, DC: World Bank.

المراجع العربية

18. تقرير التنمية البشرية العربي .(2022) .*تعظيم الفرص لجيل قادم* .برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
19. القريشي، محمد وكاظم، حسين. (2021). تحليل العلاقة بين الإنفاق الحكومي على التعليم والنمو الاقتصادي في عينة من الدول النامية .*مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية*، 27(126)، 45-68.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

Street Children and Community security (a socio-field study) from the perspective of community policing in Babylon Governorate

Assistant Lecturer. Moataz raheem Lateef
Babylon/ Babylon Center for Civilizational and Historical Studies
Pre273.moataz.raheem@uobabylon.edu.iq

Abstract:

This research aims to shed light on a topic whose spread threatens the safety and security of society: the phenomenon of street children and community security, from the perspective of those working in the relevant security institution (community policing). The researcher used the descriptive-analytical method, and to achieve the research objectives, a questionnaire was developed and distributed to a research sample of employees, numbering respondents of both genders), and some results were obtained, including that the police leadership is the most supportive entity for community policing personnel from the perspective of the institution's employees. It also showed that the majority of respondents confirm that the police carry out awareness campaigns to reduce the phenomenon of street children, in cooperation with citizens, local community organizations, and schools, showed a low percentage indicating the limited implementation of awareness campaigns in poor areas compared to other entities. The researcher recommended the need to intensify and strengthen cooperation and support the roles between community police and the local community and also stressed the need to expand awareness campaigns to families and other poor neighborhoods in order to contribute to spreading community security and reducing uncivilized social phenomena.

Keywords: Street children, Security, Community.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ﴿ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ﴾

أطفال الشوارع والأمن المجتمعي (دراسة اجتماعية – ميدانية)
من وجهة نظر الشرطة المجتمعية في محافظة بابل

م.م . معتز رحيم لطيف [1]
جامعة بابل / مركز بابل للدراسات الحضارية و التاريخية
Pre273.moataz.raheem@uobabylon.edu.iq

ملخص:

يسعى هذا البحث لتسليط الضوء على موضوع أصبح انتشارهُ يُهدد سلامة المجتمع وأمنه وهو ظاهرة أطفال الشوارع والأمن المجتمعي من وجهة نظر العاملين في المؤسسة الأمنية ذات العلاقة (الشرطة المجتمعية) أستخدم فيها الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، ولغرض تحقيق أهداف البحث نظُمت استمارة استبيان , تم توزيعها على عينة البحث من العاملين حيث بلغ عددهم (50 مبحوثاً من الجنسين) تم من خلالها التوصل الى بعض النتائج ومنها ان قيادة الشرطة هي الجهة الاكثر دعماً لأفراد الشرطة المجتمعية من خلال وجهة نظر العاملين في المؤسسة ، كما بينت ان غالبية المبحوثين يؤكدون قيام الشرطة بتنفيذ حملات توعوية للحد من ظاهرة اطفال الشوارع بالتعاون مع المواطنين و منظمات المجتمع المحلي و كذلك المدارس ، بالمقابل أظهرت النتائج نسبة منخفضة تفيد بمحدودية تنفيذ الحملات التوعوية ضمن المناطق الفقيرة مقارنة بباقي الجهات ، وأوصى الباحث بضرورة تكثيف وتعزيز التعاون ومساندة الادوار بين الشرطة المجتمعية والمجتمع المحلي ، كما أكد على ضرورة توسيع نطاق الحملات التوعوية للأسر وباقي الاحياء الفقيرة بما يسهم في بسط الأمن المجتمعي والحد من الظواهر الاجتماعية الغير حضارية .

الكلمات المفتاحية: أطفال الشوارع ، الأمن ، المجتمع

مقدمة:

الطفل هو اللبَنة والوحدة الأساسية في حياة وبناء كل أسرة ، وهو رصيدها ومستقبل مجتمعها فلا بد العناية به من الوهلة الأولى في تنشئتهُ الأسرية ، وحمايتهُ من مختلف الانتهاكات التي تمارس ضده ، قد كرمَ الله الإنسان في قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) سورة الإسراء – الآية 70 ، إذ تدلنا الآية على تكريم الله لهُ فجعله ذا شرفاً ومكانة وفضيلة على كثير ممن خلقها الله . إن ظاهرة انتشار الاطفال في الشوارع لا تمُت للإنسانية بأي صلة لأنها تنبعث من ظروف وعوامل تختلف من مجتمع لآخر ، فهو موضوع خطير وسلوك غير سوي يتطلب حلولاً ، كما ان نموهُ وزيادتهُ تخلق عواقب تهدد أمن المجتمع واستقراره ، ويعد أيضاً ظاهرة غير حضارية لواجهة الدولة لأنها تكشف اختلال وهشاشة في النظام الاجتماعي وكذلك البناء التربوي والثقافي والاقتصادي للمجتمع مما يعكس صورة سلبية عن قدرة هذه المؤسسات في حماية الاطفال ، وضمان أبسط حقوقهم ، فأي تواجد لهم بشكل متزايد يعرضهم للاستغلال والعنف وبالتالي يصبحون خطراً مُحتماً على نسيج المجتمع وأمنهُ.

المحور الاول : عناصر البحث

اولاً / مشكلة البحث

تطرح إشكالية البحث من خلال بعض الأسئلة عن أهم الأسباب التي أدت الى تفاقم وزيادة أعداد أطفال الشوارع في مجتمعنا ، ومدى فاعلية المؤسسة الأمنية المعنية بقضايا الأطفال في الحد من هذه الظاهرة وكذلك الوقوف على آثارها الأمنية والمجتمعية وتقييم فعالية التدخلات الأمنية (خاصة الشرطة المجتمعية) مما يستدعي دراسة لأبعادها الاجتماعية والأمنية حتى يتسنى للباحث وضع استراتيجيات وقائية وعلاجية مستدامة.

ثانياً / أهمية البحث

تُكمن أهمية البحث في التعرف على الأسباب التي أدت الى زيادة وانتشار ظاهرة أطفال الشوارع وتأثير هذه الظاهرة على أمن المجتمع ، كما أن فهم أبعادها يساعد الباحث من معرفة مستوى وعي المجتمع بخطورة الأطفال الذين يتصلون بالشارع بشكل مستمر ، وكيفية التصدي لهم من الانحراف والجريمة المنظمة

مع الجهة ذات العلاقة بمكافحة ظاهرة اطفال الشوارع ودورهم في حماية هذه الفئة من الانحراف والجنوح الغير سوي .

ثالثاً / أهداف البحث

1- الوقوف على العوامل والأسباب التي أفرزت ظاهرة اطفال الشوارع من وجهة نظر العاملين في المؤسسة الأمنية (الشرطة المجتمعية).

2- التعرف على الآثار المترتبة من ظاهرة اطفال الشوارع.

3- تقديم مقترحات ورؤى علمية للحد من تزايد اعداد هذه الظاهرة ، وتحقيق متطلباتهم للعيش كمواطنين صالحين في المجتمع .

المحور الثاني :

اولاً / قراءة في المفاهيم

اطفال الشوارع : مجموعة الاطفال الذين لهم علاقة بالشارع ، الذي يعمل كعنصر تفاعلي في حياتهم ولم يُعد البيت هو مركز اللعب أو الثقافة أو مصدر للحياة والانشطة اليومية (مزوز بركو، ص 83) وايضاً هم تلك الفئة من الأطفال التي تجعل من الشارع (مأوى) او مكاناً للاسترزاق أو العيش سواء كان ذلك بصورة كلية أو جزئية (جامعة نايف العربية ، 2005 ، ص 24) .

الأمن : يعرف الامن عند الجرجاني في كتابه التعريفات : عدم توقع مكروه في الزمان الأتي فألأمن للفرد والمجتمع والدولة من أهم مقومات الحياة (حسني محمد ,2020). وهو ضد الخوف ويعني السلام والاطمئنان النفسي و انتفاء الخوف على حياة الإنسان وعلى ما تقوم به هذه الحياة من مصالح وأسباب ، ويشمل أمن الفرد و أمن المجتمع (سليمان بن محمد ، ص 9) .

المجتمع :هو مجموعة من الأفراد تربطهم أنظمة وتقاليد وآداب وقوانين معينة في إطار مجموعة من الاحتياجات تحت سلسلة من الأفكار والمعتقدات والأهداف (مرتضى مُطهري ، 2019 ، ص 16) ويعرف ايضاً بأنه عدد من الافراد تربط بينهم رابطة او اكثر , ينمو عدد الافراد وتطور حاجياتهم و يستقرون في مكان ما ويتضاعف تعاونهم الاضطراري في توفير الضرورات , والاختياري في تحقيق المصالح المشتركة بواسطة

التعليم والزراعة والتجارة والصناعة وسواها اذ يتكون المجتمع من الانسان – الارض – الروابط – المصالح والاهداف المشتركة – العرف والقانون (محمد طاهر , 2000 ,ص13) .

الأمن المجتمعي : هو ان يعيش الفرد ويحيا حياة اجتماعية آمنة مطمئنة مستقرة على نفسه ورزقه ومكانه الذي يعيش فيه هو ومن يعوّل (اسامة السيد ، ص 19). كما يتعلق بالمجتمع كدولة أو هيئة نظامية يلتزم به عموم افراده ، والعمل مع بقية اعضاء الجماعة الانسانية على البناء والتعمير واحترام المبادئ الحضارية المشتركة (علي جمعة ، 2014 ، ص 47).

ثانياً / نماذج من دراسات سابقة

1- دراسة كريمة عبد الحليم السيد (2015)

عنوان هذه الدراسة (العلاقة بين كفاءة الأداء المعرفي وتعاطي المخدرات لدى أطفال الشوارع من الجنسين) تهدف الى الكشف عن العلاقة بين كفاءة الاداء المعرفي وتعاطي المخدرات لدى الذكور والإناث من أطفال الشوارع والأيتام ، وقد تم استخدام التصميم المستعرض لمجموعة الحالة في مقابل مجموعة المقارنة ، من خلال المنهج الوصفي الارتباطي ، حيث بلغت العينة البحثية الاساسية (196 طفلاً) من اطفال الشوارع و (195 طفلاً) من الاطفال الأيتام ، وأهم ما توصلت اليه النتائج:

أ- وجود علاقة بين تركيز الانتباه وكل مكون من مكونات الذاكرة العاملة الأربعة (المنفذ المركزي ، المكون الصوتي ، اللفظي ، البصري ، و المكاني ، ومكون الرابط الدلالي المؤقت) لدى عينات الدراسة الاربعة ، ذكور أطفال الشوارع ، اناث اطفال الشوارع ، ذكور وأنات الأيتام.

ب- ان الفروق بين اطفال الشوارع والأيتام لا تعني ان الذاكرة العاملة لدى الاطفال الايتام جيدة فكلاهما يعاني من تدهور في قدرات الذاكرة العاملة والانتباه ، نظراً لمرورها بظروف صعبة وكلاهما ايضاً حالات خاصة من الأطفال لكن النتيجة تؤكد وتشير الى ان قدرات الذاكرة العاملة والانتباه أشد تدهوراً لدى اطفال الشوارع من الجنسين عن الاطفال الايتام (عبد السلام ,2015).

2- دراسة عبد التواب (2016)

تهدف الدراسة الى تحديد العوامل التي تسهم في دمج أطفال الشوارع بالمؤسسات التعليمية والتعرف على العوامل التي تحوّل دون دمجهم في هذه المؤسسات ، من خلال التعرف عليهم في ميزان المواثيق الدولية والقرارات الأممية ، كما تطرقت الدراسة الى تطور المشكلة دولياً ومحلياً من حيث اسباب المشكلة وسماتها والمخاطر التي يتعرض لها أطفال الشوارع ، وتناولت الدراسة ايضاً المعاملة القضائية لهم ، والاساليب الوقائية وأهمية الدمج التعليمي لهم ، حيث استخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي الشامل ، واعتمدت على مقياس مطبق على الاخصائيين الاجتماعيين ، ودليل مقابلة مع الخبراء ، فتوصلت الى العوامل المرتبطة بدمج اطفال الشوارع الخاصة بالإدارة المدرسية ، وجاءت بدرجة قوية بنسبة 88 % ، كما توصلت الى ان المعوقات التي ترتبط بدمج الاطفال ترجع الى الاخصائيين الاجتماعيين (عماد محمد , هبة احمد , 2018) .

3- دراسة إيمان بو معزة (2019)

ظاهرة اطفال الشوارع بين الدوافع والآثار ، نشرت هذه الدراسة في المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية بالعدد (10) ، تناولت بها اطفال الشوارع واهتمت بالعواقب والاثار الوخيمة التي تنتج من هذه الظاهرة ، فبدأت بإبراز وجود الاطفال في المجتمعات البشرية وحجمها ، وذكرت من آثار هذه الظاهرة عمالة الاطفال وانحرافهم وإن عواملها عوامل شخصية (جسدية – نفسية) وعوامل اجتماعية ، اقتصاظية ، وتطرقت الباحثة الى بعض سماتهم وخصائصهم ، مثل حُب الشهرة والميل للعدوان وأشارت الى الانتباه من المخاطر التي يتعرضون لها أطفال الشوارع(ايمان بو معزة , 2018) .

ثالثاً / النظريات المفسرة لظاهرة أطفال الشوارع

1- نظرية التعلم الاجتماعي (ألبرت باندورا) :

فسر العالم (ألبرت باندورا) سلوك الفرد على اساس مشاهدة النموذج ومراقبة الأفعال التي تصدر عنه ثم تقليدهُ ، أي تعلم الفرد يأتي من خلال رؤية نموذج او حالة معينة من ثم تعميم التنبيه والمحاكاة لإكتساب السلوك المطلوب ، غير ان نمذجة سلوك الشخص الآخر لا يتم الا بوجود عدد من العوامل ، كالحاجة لمثل هذا السلوك ، وأكد باندورا إن اكتساب سلوك معين لابد ان يعزز ويشبع حاجة مطلوبة

لدى الفرد فيصبح التعلم عن طريق النمذجة سبباً في حدوث الأداء أو المهمات الاجتماعية ، سواء كانت مقبولة او غير مقبولة ، ومن خلال المحيط الاسري والمحيط الاجتماعي والخبرة المحلية يُنمذج الفرد سلوكهُ عن طريق المشاهدة والملاحظة ولكن المهم أن ينمذج سلوكه وفق قيم وتقاليد مجتمعه (ريا ، سافرة ، 2019 ، ص273).

2- النظرية النفسية :

تتبلور أفكار هذه النظرية من دراسات تطور الطفل في النمو النفسي ، فضلاً عن العاطفي حيث وضحت ان السلوك المتطرف والعنف يليه شعور الطفل بأنه لا يتمكن من الحصول على ما يريده فيظهر شعور الاحباط عندما يكون هناك عارض يؤخر او يُعطل اشباع ما يريد ، فالسلوك العدواني لدى الطفل يكتسب ويتعلم من ابويه ، وكيفية التحكم في اشباع رغباته وضبط انفعالاته ، فدرجة تحمله للإحباط بعد نضجه وتفاعله مع الطريقة العنيفة التي مارسها في طفولته ، ودرجة الضبط والمرونة التي اكتسبها من البيئة المحيطة به . ووفقاً ل (Buss) فإن هذه النظرية قد قبلها علمياً كل علماء النفس مع وجود استثناءات قليلة جداً ، مؤكداً على حقيقة علمية بقولهُ (ليس الاحباط سابقة من سوابق العدوان ، وهو ليس أشدها مفعولاً). من خلال هذه النظرية تبين ان البيئة هي التي تسبب الاحباط للطفل وتدفعه نحو العنف والانحراف ، لأنها لا تساهم في إشباع رغباته (عبير نجم ، 2018 ، ص 313) .

3- نظرية الأنومي (روبرت مرتن) :

ينظر (ميرتون) الى السلوك الانحرافي باعتباره محصلة للبناء الاجتماعي ، وذلك من خلال وجود اهداف يركز عليها المجتمع ، وتحديد طرق ووسائل مشروعة لتحقيق هذه الأهداف ، الا أن الضغوطات الاجتماعية تؤثر على حالة التوافق الاجتماعي التي تدفع بالأفراد من اشباع احتياجاتهم ورغباتهم وتحقيق اهدافهم بطريقة غير مقبولة اجتماعيا ، قد تؤدي دوراً في جنوح الافراد وانحرافهم ، لعدم استيعابهم وتوافقهم مع ما مروا به من تنشئة اجتماعية خلال مراحل نموهم فيكونون ممن يعوزهم التوافق ويصبحوا منشقين ومخالفين للقواعد والقيم السائدة في المجتمع.

وقد ربط مرتن بين اللامعيارية والسلوك الانحرافي من خلال كون اللامعيارية تظهر وتنمو نتيجة لعملية اجتماعية مستمرة وليست حالة طارئة على الجماعة او الفرد ، حيث يتعرض بعض الاشخاص بسبب

اهمالهم من الجماعة فينشأ توتر وتعارض بين اهدافهم الثقافية والوسائل الفعالة والمشروعة لتحقيقها مما يعرضهم للسلوك الانحرافي ، ويطرح ميرتون مواقف التكيف وانماطه التي يقوم بها الافراد نتيجة للتعارض بين الاهداف والوسائل وهي ، التوافق ، التجديد ، التمسك بالطقوس ، الانسحاب والتمرد . (صفوت الروسان ، 2013 ، ص 20).

المحور الثالث :

اولاً / أسباب ودوافع تفشي ظاهرة اطفال الشوارع

1- اسباب مرتبطة بالأسرة :

أ- الظروف التي يتعرض لها الطفل بالأسرة ونوعية العلاقات سواء مع الاب او الام او زوج الام او زوجة الاب او احد الاخوة والأعمام او الأخوال ,كثيراً ما تدفع الاطفال الى معيشة الشارع .

ب- غياب الاب وتفكك الاسرة من العوامل والاسباب الطاغية التي يفصح عنها الاطفال عن ظروف تواجدهم بالشارع (سواء وفاة الاب- السجن –الانفصال –ادمان الاب للمخدرات والخمر – او غياب معنوي كمرض الاب).

ت- عدم الاستقرار والتشتت في المعيشة بيت الاقارب يكون نسبياً في نزول الطفل الى الشارع .

ث- العنف الاسري (الحيوي – المعنوي) والاحساس بالإهمال والتسيب يدفع بالطفل للشارع (مُشيرة خطاب , ص8).

2- اسباب مرتبطة بالطفل :

أ- رغبة الطفل في عدم التقييد بروتين محدد وحب المغامرة المرتبطة بمجتمع الشارع .

ب- تعرض الطفل لأزمات نفسية حادة تدفعه لترك الاسرة .

ت- تأثر الطفل بالأقران او مجتمع الاصدقاء .

ث- التسرب من الدراسة خاصة وانخفاض المستوى التعليمي للأسرة وعدم تقديرها للتعليم.

ج - الهروب من مؤسسات الرعاية الاجتماعية.

ح- عوامل الجذب في الشارع مثل تعاطي المخدرات والجنس .(مصطفى حسن ,2015).

3- أسباب مرتبطة بالمجتمع :

هناك بعض الاسباب المجتمعية التي تمهد لنمو وتطور ظاهرة اطفال الشوارع ، وان كانت هذه الاسباب غير مباشرة إلا انها بمثابة التعويض لهؤلاء الاطفال وهي ما يأتي:

أ- الحروب والازمات تزيد من مستويات الفقر وتخلق عبئ اقتصادي ومالي يثقل كاهل افراد المجتمع (قيصر عبدالله ، 2019 ، ص 194).

ب- النزوح القسري وترحيل الناس من منازلهم أدى الى تفكك عدد كبير من العائلات ، وبالتالي فتح الباب أمام الاطفال للتشرد والذهاب الى الشارع (سلوى عبد ، 2020 ، ص 627).

ت- تشغيل الاطفال من قبل أرباب العمل مقابل اجور بسيطة ، سهل خروجهم دون متابعة الأهل ، اضافة الى ضعف اجهزة الرقابة (برزان ميسر ، 2019 ، ص 68).

ث- الاستبعاد والتهميش الاجتماعي لكثير من الفئات الفقيرة في الحصول على حقوقها المتاحة في المجتمع ، واكثر المتضررين هم الأطفال (منى السيد ، 2010 ، ص 96).

ثانياً / مناقشة وتحليل جداول البحث

جدول رقم (1) توزيع افراد العينة حسب الجنس

الجنس	العدد	النسبة المئوية %
ذكر	35	%70
انثى	15	%30
المجموع	50	%100

توضح نتائج الاستبيان في جدول رقم (1) ان أغلب المبحوثين من الذكور ، حيث بلغ عددهم (70%) مبحوثاً ، بالمقابل بلغت نسبة عدد الإناث (30%) مبحوثة ، مما يشير الى وجود تمثيل أكبر للذكور مقارنة بالإناث ضمن عينة مجتمع البحث ، وهذا يعكس طبيعة العمل الذي يغلب عليه الطابع الذكوري .

جدول رقم (2) توزيع افراد العينة حسب الرتبة

الرتبة	العدد	النسبة المئوية %
ضابط	4	%8
شرطي	40	%80
مدني	6	%12
المجموع	50	%100

من خلال الجدول رقم (2) أفادت نتائج الاستبيان الخاصة بالسؤال اعلاه ، أن أغلب افراد عينة البحث كانوا من الشرطة ، اذ بلغت النسبة (80 %) مبحوثاً ، في حين نسبة المدنيين بلغت (12 %) من المبحوثين ، وجاء خيار الضباط بنسبة (8 %) حيث اتضح ان اعلى نسبة مشاركة هي فئة رجال الشرطة العاملين ميدانياً والذين هم اكثر احتكاكاً بالمجتمع .

جدول رقم (3) توزيع افراد العينة حسب سنوات الخبرة

سنوات الخبرة	العدد	النسبة المئوية %
(1–10)	27	%54
(10–20)	17	%34
(20–30)	6	%12
المجموع	50	%100

تبين نتائج الاستبيان المتمثلة بالجدول رقم (**3**) ان غالبية افراد عينة البحث لديهم خبرة من (1– 10 سنة) وبنسبة (54%) مبحوثاً ثم تلتها الخبرة من (10– 20 سنة) بنسبة (34%) مبحوثاً ، في حين جاءت الخبرة من (20– 30 سنة) بنسبة (12 %) هذا يشير ان عينة البحث يغلب على افرادها فئة الخبرة المتوسطة في العمل كونها تمثل طاقة عملية حديثة .

جدول رقم (4) توزيع افراد العينة حسب الاجراء الذي يتخذونه عند مشاهدة اطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
أنصحهم بالعودة الى المنزل	34	%68
أتخذ الإجراء القانوني بحقهم	7	%14
لا أفعل أي شيء	5	%10
أراقبهم الى حين عودتهم للمنزل	4	%8
المجموع	50	%100

يوضح جدول رقم (4) ان النسبة الاعلى من أفراد العينة بلغت (68 %)التي أفادت بنصح اطفال الشوارع بالعودة الى المنزل ، مما يدل على اتجاه ايجابي لدى المبحوثين بوصفها اجراءاً انسانياً للتعامل مع هذه الظاهرة وادراكاً لخطورة بقائهم في الشارع ، في حين بلغت نسبة من يتخذون الاجراء القانوني بحقهم (14%) وهي نسبة منخفضة ربما يُنظر الى طفل الشارع كضحية اكثر مما هو مخالف ، او لعدم تطبيق الاجراءات القانونية بشكل مكثف ، اما نسبة الذين لا يتخذون اي اجراء بحق اطفال الشوارع بلغت (10%) و هذه تدل على عدم المبالاة كأعضاء ضمن مجتمع أو شعورهم بعدم جدوى التدخل لأنها خارج مسؤوليتهم الاجتماعية , وبلغت نسبة ممن يقومون بمراقبتهم لحين عودتهم للمنزل (8 %) تعد نسبة منخفضة أما من التردد والخوف من التدخل او ضعف الاحساس بالمسؤولية .

جدول رقم (5) توزيع افراد العينة حول رأيهم بازدياد عدد اطفال الشوارع خلال السنوات الاخيرة

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	34	%68
لا	16	%32
المجموع	50	%100

تشير نتائج جدول رقم (**5**) حول رأي افراد العينة بزيادة عدد اطفال الشوارع خلال السنوات الاخيرة ، اذ بلغت نسبة من أجابوا نعم (68%) وهذا يفسر ادراكهم الاجتماعي والأمني بخطورة وتفاقم هذه الظاهرة في المجتمع . أما نسبة من أجابوا لا ، بلغت (32%) وهي النسبة الأقل التي تعي بخطورتها

جدول رقم (6) توزيع افراد العينة حول رأيهم بالأماكن التي يتواجد فيها اطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
التقاطعات	25	%50
الاسواق والمطاعم	12	%24
كل ما ذكر	7	%14
الازقة	5	%10
الكراجات	1	%2
المجموع	50	%100

يبين جدول رقم (**6**) رأي المبحوثين حول الاماكن التي يتواجد فيها اطفال الشوارع بكثرة ، حيث بلغت اعلى نسبة في التقاطعات بواقع (50 %) وفي الاسواق والمطاعم (24 %) في حين بلغت نسبة كل ما ذكر (14%) , أما نسبة الازقة بلغت (10%) ونسبة الكراجات (2%) مما تشير النتائج الى التقاطعات هي المكان الاكثر شيوعاً لتواجد اطفال الشوارع من وجهة نظر افراد العينة .

جدول رقم (7) توزيع افراد العينة حول رأيهم هل ان الفقر سبب رئيسي لظاهرة اطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	34	%68
لا	16	%32
المجموع	50	%100

يوضح جدول رقم (7) حول التساؤل هل أن الفقر سبباً مباشراً لظاهرة اطفال الشوارع ، اذا بلغت نسبة من اجابوا نعم (68%) وهي النسبة الاعلى التي ترى ان الفقر عاملاً مباشراً في نشوء هذه الظاهرة ، في حين من اجابوا لا بلغت نسبتهم (32%) وهي النسبة الاقل من المبحوثين .

جدول رقم (8) توزيع افراد العينة حول رأيهم هل إن ضعف الرقابة الأسرية يكون سبباً لخروج الأطفال الى الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	36	%72
لا	14	%28
المجموع	50	%100

يشير جدول رقم (8) الذي يتضمن السؤال هل ان الضعف الرقابة الاسرية يكون سبباً لخروج الاطفال الى الشارع ، حيث بلغت نسبة من أجابوا نعم (72%) وهي النسبة الاعلى التي تنظر الى ان ضعف الرقابة الاسرية هو سبباً في توجه الاطفال وانخراطهم الى الشارع ، مقابل من أجابوا ، لا بلغت نسبتهم (28%) يعطي تصوراً بوجود قناعة اخرى لدى المبحوثين .

جدول رقم (9) توزيع افراد العينة حسب رؤيتهم ان الطلاق أو الانفصال يؤدي الى ظهور أطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	39	%78
لا	11	%22
المجموع	50	%100

يبين جدول رقم (9) السؤال هل ان الطلاق أو الانفصال يؤدي الى هروب الاطفال الى الشارع ، حيث أفاد (78%) من المبحوثين بأن الطلاق أو الانفصال عامل مؤثر يدفعهم للهروب من

المنزل وهي النسبة الاعلى ، اما من اجابوا لا بلغت نسبتهم (22%) وهم يرون ان الانفصال او الطلاق لا يؤثران .

جدول رقم (10) توزيع افراد العينة حسب اعتقادهم أن انخفاض مستوى التعليم داخل الأسرة يُعد سبباً مباشراً لزيادة أطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	35	%70
لا	15	%30
المجموع	50	%100

يبين جدول رقم (**10**) المتمثل بالسؤال هل ان انخفاض مستوى التعليم داخل الاسرة يُعد سبباً مباشراً لزيادة اطفال الشوارع ، فكانت الاجابة نعم بنسبة(70%) يرون انخفاض مستوى التعليم هو سبباً في تفاقم هذه الظاهرة ، أما الذين أجابوا لا بلغت نسبتهم (30%) هم لا يرون انخفاض مستوى التعليم سبباً لظاهرة اطفال الشوارع ، ومن خلال الاشارة لنتائج هذا السؤال ، لابد من حث وتشجيع الأسر على رفع مستواها التعليمي للحد من ظاهرة اطفال الشوارع .

جدول رقم (11) توزيع افراد العينة حول رأيهم أن غياب التشريعات القانونية الخاصة بحماية الطفل تُسهِم في تفاقم ظاهرة أطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	33	%68
لا	17	%32
المجموع	50	%100

يوضح الجدول رقم (**11**) اجابة افراد العينة حول السؤال هل ان غياب التشريعات القانونية الخاصة بالطفل تسهم في تفاقم ظاهرة اطفال الشوارع ، اذ بلغت نسبة من أجابوا نعم (68 %) يرى افراد العينة

ان غياب هذه التشريعات القانونية تسهم في انتشار الظاهرة ، اما نسبة من اجابوا لا بلغت (32%) هم لا يرون اي علاقة بين غياب التشريعات وتفاقم اطفال الشوارع .

جدول رقم (12) توزيع افراد العينة حول رأيهم هل تعتقد أن العنف الأسري يشكل عاملاً رئيساً يدفع الأطفال الى الهروب من المنزل والعيش في الشارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	31	%68
لا	19	%32
المجموع	50	%100

يشير الجدول رقم (12) المتمثل بالسؤال هل تعتقد ان العنف الاسري يشكل عاملاً رئيساً يدفع الاطفال الى الهروب من المنزل والعيش في الشارع ، حيث بلغت نسبة من اجابوا نعم (68 %) يرون ان العنف الاسري عامل رئيسي في دفع الاطفال للشارع ، بالمقابل نسبة من اجابوا لا بلغت (32%) لا يرون للعنف الاسري دور مباشر في توجه الاطفال الى الشارع .

جدول رقم (13) توزيع افراد العينة حسب رأيهم هل يمارس أطفال الشوارع أعمال خطرة أو غير قانونية

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	32	%64
لا	18	%36
المجموع	50	%100

يتناول الجدول رقم (13) رأي المبحوثين حول ممارسة اطفال الشوارع اعمال خطرة أو غير قانونية ، فأظهرت النتائج ان (64 %) من المبحوثين أجابوا نعم ، بالمقابل (36%) أجابوا لا وهذه اشارة ان

النسبة الاعلى ترى ان اطفال الشوارع ينخرطون في ممارسة اعمال خارج الاطار القانوني وتتسم بالخطورة ، أما النسبة الاقل لا يرون خطورة بتواجدهم في الشارع .

جدول رقم (14) رأي افراد العينة بنوع العمل الغير قانوني الذي يقوم به اطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
ترويج او تعاطي المخدرات	22	%44
سرقة	16	%32
تخريب	7	%14
ممارسة البغاء	4	%8
كل ما ذكر	1	%2
المجموع	50	%100

في الجدول رقم (14) تشير نتائج هذا السؤال ان نسبة رأي افراد العينة حول ترويج وتعاطي المخدرات بلغت (44 %) والسرقة (32 %) وبلغت نسبة التخريب (14%) ونسبة ممارسة البغاء (8 %) أما خيار كل ما ذكر فبلغت النسبة (2 %) إذ ظهرت نسبة ترويج وتعاطي المخدرات هي الاعلى بين هذه النتائج على اعتبار تواجدهم بالشارع ضمن بيئة خطرة تسهل استغلالهم من قبل الشبكات الاجرامية المنظمة .

جدول رقم (15) توزيع افراد العينة حول رأيهم بوجود أطفال الشوارع وتأثيرهم على شعور المواطن بالأمن

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
بشكل متوسط	34	%68
بشكل كبير	13	%26
لا يشكل خطر	3	%6
المجموع	50	%100

الجدول رقم (15) يوضح رأي المبحوثين حول مدى تأثير وجود اطفال الشوارع على شعور المواطن بالأمن ، فبلغت النسبة الاعلى ممن أجابوا بشكل متوسط (68 %) لا يرون هناك تأثير قوي بعدم أمان المواطن من اطفال الشوارع ، بالمقابل بلغت نسبة بشكل كبير (26 %) من افراد العينة الذين يرون تأثير اطفال الشوارع على أمن المواطن ، وخيار لا توجد مخاطر بلغت النسبة (6%) من اجابات افراد العينة وهي النسبة الاقل.

جدول رقم (16) توزيع افراد العينة حول سؤال الجهة الأكثر دعماً لأفراد الشرطة المجتمعية

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
قيادة الشرطة	21	%42
المواطنين	19	%38
منتسبي النجدة	5	%10
المحافظ	4	%8
كل ما ذكر	1	%2
المجموع	50	%100

يبين الجدول رقم (**16**) والمتضمن سؤالاً حول الجهة الاكثر دعما لأفراد الشرطة المجتمعية ، حيث أظهرت نتائج الاستبيان ان قيادة الشرطة أعلى نسبة وفق رأي افراد العينة وهي (42 %) وتلتها فئة المواطنين بنسبة بلغت (38%) أما منتسبو النجدة بلغت نسبة الآراء (10 %) و نسبة خيار المحافظ (8 %) بينما خيار كل ما ذكر جاء بنسبة (2 %) ، وهذا يفسر على أن افراد العينة ينظرون الى قيادة الشرطة في المحافظة بأنها الداعم المباشر لهم .

جدول رقم (17) توزيع افراد العينة حول رأيهم في تنفيد الشرطة حملات توعوية للحد من ظاهرة اطفال الشوارع

الاجابة	العدد	النسبة المئوية %
نعم	42	%84
لا	8	%16
المجموع	50	%100

في الجدول رقم (**17**) أشارت نتائج هذا السؤال والمتضمن تنفيذ الحملات التوعوية التي تنفذها الشرطة المجتمعية للحد من ظاهرة أطفال الشوارع ، إذ بلغت نسبة من أجابوا نعم (84 %) من المبحوثين ، مقابل (16%) أجابوا لا ، مما يدل على إدراك افراد العينة بجهودهم العملية ومتابعتهم للحد من هذه الظاهرة .

جدول رقم (18) توزيع افراد العينة حول الجهة التي يتم معها تنفيذ الحملات التوعوية

الاماكن	العدد	النسبة المئوية %
منظمات المجتمع المدني	22	%44
المدارس	20	%40
كل ما ذكر	5	%10
الاحياء الفقيرة	3	%6
المجموع	50	%100

في الجدول رقم (**18**) أظهرت نتائج الاستبيان ان تنفيذ الحملات التوعوية للحد من ظاهرة اطفال الشوارع تأخذ طابع التعاون المشترك مع جهات اخرى ، اذ جاءت منظمات المجتمع المدني بنسبة (44 %) من ثم المدارس بنسبة (40 %) وخيار كل ما ذكر (10 %) في حين الاحياء الفقيرة بلغت النسبة (6 %) من رأي افراد العينة , اذ تبين من خلال نتائج البحث ان منظمات المجتمع المدني والمدارس هما الجهتان الاكثر مساندة وتداخل في عمل المجتمعية في الحد من ظاهرة اطفال الشوارع .

ثالثا / النتائج

1- أشارت النتائج أن غالبية افراد عينة البحث من الذكور ، ذو الخبرة المتوسطة في شعبة الشرطة المجتمعية ، وهذا يدل على طبيعة عملهم الميداني المرتبط بالظاهرة .

2- أظهرت نتائج البحث ان قيادة الشرطة هي الجهة الاكثر دعماً لعمل الشرطة المجتمعية من وجهة نظر المبحوثين ، مما يبين دور ومركزية القيادة في دعمهم لمواجهة هذه الظاهرة.

3- أفادت نتائج البحث إضفاء الجانب الانساني لدى اغلبية عينة البحث في التعامل مع اطفال الشوارع ، اذ يفضلون نصح الاطفال بالعودة الى المنزل ، دون اللجوء الى الاجراء القانوني ، باعتباره ضحية اكثر من كونه مخالف.

4- تبين النتائج ان غالبية عينة البحث ركزوا على خيار التقاطعات ، والاسواق والمطاعم كونها الأماكن الاكثر شيوعاً لتواجد اطفال الشوارع ، يفسر كتواجد مستمر وكثيف للمواطنين (حركة اقتصادية).

5- تشير أكثر اجابات المبحوثين ان الفقر يعد سبباً مباشراً في نشوء وخلق اطفال الشوارع.

6- كشفت النتائج ان تأثير اطفال الشوارع على شعور المواطن بالأمن جاء بنسبة أعلى (تأثير وسط) مقابل رأي أقل بتأثيره بشكل اكبر ، وهذا يعكس تفاوت في إحساس الافراد بالأمن المجتمعي.

7- أوضحت نتائج البحث ان ترويج وتعاطي المخدرات ، تلتها السرقة من أكثر الانشطة غير القانونية المرتبطة بأطفال الشوارع ، هذا يشير الى سهولة استغلالهم وانحرافهم من قبل الجماعات الاجرامية المنظمة.

8- أظهرت النتائج قناعة الاغلبية من افراد عينة البحث بأن غياب التشريعات القانونية الخاصة بحماية الطفل تسهم بشكل كبير في زيادة وتفاقم هذه الظاهرة ، مما يتطلب تعزيز وإسناد الاطار القانوني لمعالجتها .

9- تشير نتائج البحث إدراك المبحوثين بتفاقم ظاهرة اطفال الشوارع خلال السنوات الاخيرة ، مما يعكس الوعي الأمني والاجتماعي بخطورتها وتناميها وحجم انعكاسها على المجتمع.

10- اوضحت النتائج ان ضعف الرقابة الاسرية من ابرز الاسباب والعوامل التي تدفع الاطفال للخروج الى الشارع ، وهذا يعكس الخلل في تربية الابناء داخل بناء الاسرة.

11- كما بينت نتائج البحث ان العنف الاسري عاملاً مباشراً يدفع الاطفال الى الهروب من المنزل والعيش في الشارع.

12- أفادت نتائج البحث ان الطلاق والانفصال بين الزوجين ، هما عاملان مؤثران في هروب الاطفال ، وهذا التفكك يعزز تنامي ظاهرة اطفال الشوارع.

13- كشفت النتائج رأي غالبية المبحوثين بأن انخفاض مستوى التعليم داخل الأسرة يُسهم في زيادة اعداد اطفال الشوارع ، لذلك للتعليم أولوية وأهمية في الوقاية من خطورة هذه الظاهرة.

14- بينت نتائج البحث ان الاطفال في الشوارع قد ينخرطون في اعمال غير قانونية وخطرة تصعد المخاوف الأمنية وتهدد أمن الافراد و المجتمع.

15- كشفت النتائج ايضاً وجود حملات توعوية تنفذها الشرطة المجتمعية مع منظمات المجتمع ، والمدارس للحد من الظاهرة وانتشارها بشكل متزايد.

رابعاً / التوصيات

في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث هناك بعض التوصيات بما يأتي:

1- تعزيز وتكثيف دور قيادة الشرطة لأنها الجهة الاكثر دعماً لعناصر الشرطة المجتمعية ، وهذا ما ظهر في اجابات المبحوثين ، حتى تسهم في رفع كفاءة الاداء الميداني للعاملين في هذه الشعبة.

2- أظهرت نتائج البحث دور التعاون المشترك بين المجتمع المحلي وعمل الشرطة المجتمعية ، مما يستدعي تعزيز ومواصلة الدعم المستمر بين المواطنين والشرطة بما يسهم في تحقيق الأمن المجتمعي.

3- ضرورة تكثيف عدد الحملات التوعوية التي تنفذها الشرطة المجتمعية حتى نضمن وصولها واتساع نطاقها الى كل افراد المجتمع ضمن المحافظة وخاصةً الاحياء الفقيرة التي تعاني من نقص الخدمات والتهميش الاجتماعي.

4- تمكين الادارات المدرسية على متابعة تلاميذهم من حيث التسرب ، والغياب ، وضعف المستوى العلمي ، كذلك اهمية التعاون والتواصل المستمر مع الشرطة المجتمعية كشريك فعال في توعية الافراد.

5- يجب تفعيل الدور الرقابي بشكل دائم في كل ارجاء المحافظة لحماية الأطفال وابعادهم عن البيئات الغير مناسبة صحياً ونفسياً واجتماعياً حتى لا يكونون فرصة سهلة للاستغلال من قبل الجماعات المنحرفة .

الخاتمة

ظاهرة اطفال الشوارع من أكبر التحديات الاجتماعية ، والأمنية ، والاقتصادية التي تواجه المجتمع ، لأنها نتاج عوامل عديدة كالتفكك الاسري ، فقر الآباء ، تصدع البناء الاجتماعي لهذه الأسر التي تعاني من فقدان الهوية الشخصية والركيزة القوية ذات التأثير النفسي على نمو الاطفال لذلك تتطلب خطوات منسقة للاستمرار بالكشف عن تفشيها في المجتمع ، من خلالها عمد الباحث الى صياغة مجموعة اسئلة (استبيان) موجهة الى المؤسسة ذات العلاقة (شعبة الشرطة المجتمعية في محافظة بابل) للتعرف عن اسبابها وانتشارها بشكل متزايد ، وكذلك معرفة عدم اهتمام الأسر بأطفالهم ومتابعة تواجدهم في الاماكن العامة والطرقات , فالتأثير المباشر وغير المباشر على الاطفال يخلق منهم شريحة هشة ومهمشة في المجتمع ، لما يتعرضون له من الحرمان والعنف وحتى الاستغلال الذي يجعلهم عرضة للانحراف والجريمة ، بالتالي تواجدهم في الشارع يكون سلبي على منظومة الامن المجتمعي ، لذلك لا يمكن ان تقتصر على الحلول الامنية فقط ، بل لابد من مقاربة وتكامل اجتماعي وتربوي واقتصادي يعزز دور الأسرة في تطوير سياسة الحماية لاحتوائهم ورعايتهم .

المصادر باللغة العربية

1- اسامة السيد عبد السميع ، الأمن الاجتماعي في الاسلام (دراسة مقارنة) ، دار الجامعة الجديدة ، القاهرة ، ص 19.

2- ايمان بو معزة ، 2019 ، ظاهرة اطفال الشوارع بين الدوافع والاثار ، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية ، العدد (10) ، ص 504 .

3- برزان ميسر الحامد ، 2019 ، ظاهرة اطفال الشوارع ، الاسباب ، الاثار والمشكلات ، المعالجات ، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية ، العدد (10) ، ص 68 .

4- جامعة نايف العربية للعلوم الامنية, 2005 , الأمن في مجتمع الخطورة , ط1 , الرياض ,ص 24.

5- حسني محمد العطار ,2020 , الايمان وأثره في الأمن المجتمعي , ط1 , مؤسسة نافذ للبحث والنشر , ص 14.

6- ريا إبراهيم ، سافرة سعدون ، 2019 ، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية ،العدد (10) ، بحث منشور ، ص 273 .

7- سلوى عبد الحليم ، 2020 ، العوامل المؤدية لظاهرة اطفال الشوارع من وجهة نظر العاملين في المؤسسات ذات العلاقة في الاردن ، مجلة كلية التربية ، العدد (186) الجزء الثالث ، ص 627.

8- سليمان بن محمد الصغير ، نحو مجتمع آمن ، الدور الأمني لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دار إبن الأثير ، ص 9 .

9- صفوت الروسان ، 2013 ، الاسباب الدافعة الى تشرد الطفل الاردني في الشارع من وجهة نظر الاختصاصي الاجتماعي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد 41 ، العدد (4) ، ص 20 – 21.

10- عبير نجم عبدالله ، 2018 ، الاثار الاجتماعية الناتجة عن ظاهرة اطفال الشوارع وأبرز التحديات ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، الجزء الثالث ، العدد (30) ، ص 313 – 314 .

11- علي جمعة ، 2014 ، أمن المجتمع واستقراره من منظور اسلامي ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 47 .

12- عبد السلام محمد عزيز,2015 ، معالجة الصحف المصرية لقضايا اطفال الشوارع (دراسة تحليلية مقارنة) ، المجلة العلمية لبحوث الصحافة ، العدد (14) ، ص 506.

13- عماد محمد ، هبة أحمد كامل ، 2018 ، اطفال الشوارع المشكلات والحلول ، جامعة أسوان ، العدد (37) ، ص 337 .

14- قيصر عبدالله احمد ، 2019 ، ظاهرة عمالة الاطفال ، اسبابها واتجاهاتها المكانية في مدينة الرمادي ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، 26 ، (11) ، ص 194 .

15- محمد طاهر الحبوبي , 2000, المجتمع والاسرة في الاسلام , ط3 , دار عالم الكتب للنشر والتوزيع , تونس ص13.

16- مرتضى مُطهري ، ترجمة محمد علي ، 2019 ، المجتمع والتأريخ ، ط1 ، دار الكتب المصرية (تنوير للنشر والاعلام) ، القاهرة ، ص 16.

17- مزوز بركو ، 2014 ، اطفال الشوارع ، القيم وأساليب التربية الوالدية ، دار جوانا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص83 .

18- مُشيرة خطاب ، اطفال خارج اطار الحماية ، دراسة تعمقية عن اطفال الشوارع في القاهرة ، منظمة اليونيسف ، مكتب سباك ، ص 8 .

19- مصطفى حسن محمود ، 2015 ، بعض المتغيرات النفسية وعلاقتها بسلوك اطفال الشوارع ، العدد (16) الجزء الثاني ، السعودية .

20- منى السيد حافظ ، 2010 ، اطفال الشوارع في المجتمع المصري ، تحليل سوسيولوجي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد 38 ، العدد (4) ص 96 .

المصادر باللغة الانكليزية

1-Abdel Salam Mohamed Aziz, 2015, Egyptian Newspapers' Treatment of Street Children's Issues (A Comparative Analytical Study), Scientific Journal of Press Research, Issue (14), p. 506.
2- Abeer Najm Abdullah, 2018, The Social Effects Resulting from the Phenomenon of Street Children and the Most Prominent Challenges, Center for Educational and Psychological Research, Part Three, Issue (30), pp. 313-314314.
3- Ali Gomaa, 2014, Community Security and Stability from an Islamic Perspective, 1st ed., Dar Al-Maaref, Cairo, p. 47.
4- Barzan Maysar Al-Hamid, 2019, The Phenomenon of Street Children: Causes, Effects, Problems, and Solutions, Arab Journal of Educational and Psychological Sciences, Issue (10), p. 68.
5- Emad Mohamed and Heba Ahmed Kamel, 2018, Street Children: Problems and Solutions, Aswan University, Issue (37), p. 337.
6- Hosni Muhammad Al-Attar, 2020, Faith and its Impact on Community Security, 1st ed., Nafiz Foundation for Research and Publishing, p. 14.
7- Iman Bou Ma'za, 2019, The Phenomenon of Street Children: Motives and Effects, Arab Journal of Educational and Psychological Sciences, Issue (10), p. 504.
8- Qaisar Abdullah Ahmed, 2019, The Phenomenon of Child Labor: Its Causes and Spatial Trends in the City of Ramadi, Tikrit University Journal of Human Sciences, 26, (11), p. 194.
9- Mazouz Barkou, 2014, Street Children: Values and Parenting Methods, Dar Joanna for Publishing and Distribution, Cairo, p. 83.
10- Mona El-Sayed Hafez, 2010, Street Children in Egyptian Society: A Sociological Analysis, Journal of Social Sciences,Volume 38, Issue (4), p96.
11-Moshira Khattab, Children Outside the Framework of Protection, An In-Depth Study on Street Children in Cairo, UNICEF, Spak Office, p. 8.
12- Muhammad Tahir al-Haboubi, 2000, Society and Family in Islam, 3rd ed., Dar Alam al-Kutub for Publishing and Distribution, Tunisia, p. 13.
13- Murtaza Mutahhari, translated by Muhammad Ali, 2019, Society and History, 1st ed., Dar al-Kutub al-Masriya (Tanweer for Publishing and Media), Cairo, p. 16.

14-Mustafa Hassan Mahmoud, 2015, Some psychological variables and their relationship to the behavior of street children, Issue (16), Part Two, Saudi Arabia.

15- Naif Arab University for Security Sciences, 2005, Security in a High-Risk Society, 1st ed., Riyadh, p. 24.

16-Osama El-Sayed Abdel-Samie, Social Security in Islam (A Comparative Study), Dar Al-Jami'a Al-Jadeeda, Cairo, p. 19.

17- Riya Ibrahim, Safra Saadoun, 2019, Arab Journal of Educational and Psychological Sciences, Issue (10), Published Research, p. 273.

18- Safwat Al-Rousan , 2013, The Reasons Driving the Homelessness of Jordanian Children on the Street from the Perspective of a Social Worker Journal of Social Sciences, Volume 41, Issue (4), pp. 20-21.

19- Salwa Abdel Halim, 2020, Factors Contributing to the Phenomenon of Street Children from the Perspective of Employees in Relevant Institutions in Jordan, Journal of the Faculty of Education, Issue (186), Part Three, p627.

20- Suleiman bin Muhammad Al-Saghir, Towards a Safe Society: The Security Role of the Commission for the Promotion of Virtue and the Prevention of Vice, Dar Ibn Al-Atheer, p. 9.

الملاحق

*كتاب تسهيل المهمة



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
قسم الشؤون الإدارية والمالية
شعبة شؤون التدريسيين

بسم الله

REPUBLIC OF IRAQ
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Babylon

No:
Ref Date:

(الشجرة رمز العطاء ... فلنحافظ عليها)

العدد:
التاريخ:

الى/قسم الشرطة المجتمعية /شرطة بابل
م/ تسهيل مهمة

تحية طيبة :

قدم السيد (م.م. معتز رحيم لطيف) التدريسي على مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية برئاسة جامعتنا طلباً يروم فيه تزويده بكتاب تسهيل مهمة لغرض اكمال بحثه الموسوم (أطفال الشوارع والامن المجتمعي) راجين تسهيل مهمته وشاكرين تعاونكم معنا خدمة للصالح العام .

..... مع الاحترام .....

الأستاذ الدكتور
ميثاق طالب عبد الجبوري
مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية
٢٠٢٥/

نسخة منه الى//
- مكتب السيد رئيس الجامعة /للتدخل بالاطلاع ... مع الاحترام.
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية /هامش سيادته بتاريخ (٢٠٢٥/١٢/٢١)..مع الاحترام.
- مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية /مذكرتكم المرقمة (٥٥٣ في ٢٠٢٥/١٢/١٧)... مع الاحترام.
- قسم الشؤون الادارية والمالية/شعبة شؤون التدريسيين..مفاتحة خارجية .. مع الاوليات .
- شعبة المعلوماتية الادارية.
- الملف الدوار.

سجى سعيد ٢٠٢٥/١٢/٢٤

E-mail:Human.Dep@uobabylon.edu.iq
www.uobabylon.edu.iq

جامعة بابل / مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

نموذج استمارة استبيان

القسم : الشرطة المجتمعية – قيادة شرطة بابل

التاريخ: / 12 / 2025

اطفال الشوارع والامن المجتمعي (دراسة ميدانية من وجهة نظر الشرطة المجتمعية في محافظة بابل)

تعد هذه الاستمارة جزءا من دراسة بحثية تهدف الى تحليل تصورات وملاحظات افراد الشرطة المجتمعية حول ظاهرة اطفال الشوارع وانماط سلوكهم ومستوى المخاطر الامنية والمجتمعية المرتبطة بهم وكذلك معرفة التحديات التي تواجه عمل الشرطة المجتمعية في التعامل مع هذه الظاهرة بما يساهم في اقتراح برامج وقائية اكثر فاعلية لحماية الاطفال وتعزيز الامن المجتمعي .

2025

اولاً:– البيانات الخاصة

1- الجنس / ذكر ○ انثى ○

2- الرتبة / ضابط ○ شرطي ○ موظف مدني ○

3- سنوات الخبرة في العمل ؟ ( ) سنة

ثانياً:– الاسئلة التي تتعلق بعمل الشرطة المجتمعية؟

4- عندما تصادف او تشاهد اطفال الشوارع ما الاجراء الذي تتخذه ؟

انصحهم بالعودة للمنزل ○ اراقبهم لحين عودتهم للمنزل ○

اتخذ الاجراء القانوني معهم ○ لا افعل اي شيء ○

5- برأيك هل ان عدد اطفال الشوارع ازداد خلال السنوات الاخيرة في محافظة بابل؟

نعم ○ لا ○

6- برأيك كمختص أي الاماكن يظهر بها اطفال الشوارع بشكل كبير؟

الازقة ◯ التقاطعات ◯ الاسواق والمطاعم ◯ الكراجات ◯ كل ما ذكر ◯

7- هل تعتقد ان الفقر سبب رئيسي لظاهرة اطفال الشوارع ؟

نعم ◯ لا ◯

8- هل ان ضعف الرقابة الأسرية يكون سبب لخروج الاطفال للشوارع؟

نعم ◯ لا ◯

9- هل ترى ان الطلاق او الانفصال يؤدي الى ظهور اطفال الشوارع؟

نعم ◯ لا ◯

10- برأيك هل تعتقد ان انخفاض مستوى التعليم داخل الاسرة يعد سبباً رئيسياً لزيادة ظاهرة اطفال الشوارع ؟

نعم◯ لا ◯

11- هل ترى ان غياب التشريعات القانونية الخاصة بحماية الطفل تسهم في تفاقم ظاهرة ان اطفال الشوارع ؟

نعم ◯ لا ◯

12- هل تعتقد ان العنف الاسري يشكل عاملاً رئيسياً يدفع الاطفال الى الهروب من المنزل والعيش في الشارع ؟

لا ◯ نعم ◯

13- برأيك هل يمارس اطفال الشوارع اعمال خطرة او غير قانونية ؟

لا ◯ نعم ◯

14- اذا كانت الاجابة بنعم ماهي تلك الاعمال ؟

سرقة او نشل ◯ تخريب ◯ ترويج مخدرات ◯ ممارسة بغاء ◯ اخرى تذكر ◯

15- برأيك الى مدى وجود اطفال الشوارع بكثرة يقلل من شعور المواطنين بالأمن ؟

شعور كبير ◯ شعور وسط ◯ لا توجد مخاطر ◯

16- برأيك من الجهة الاكثر دعماً للشرطة المجتمعية ؟

قيادة شرطة بابل ◯ المحافظ ◯ منتسبي النجدة ◯ المواطنين ◯ اخرى تذكر ◯

17- هل تنفذ الشرطة حملات توعوية للحد من ظاهرة اطفال الشوارع ؟

لا ◯ نعم ◯

18- اذا كانت الاجابة نعم , مع من تنفذ تلك الحملات ؟

منظمات المجتمع المدني ◯ المدارس ◯ الاحياء الفقيرة ◯ اماكن اخرى تذكر ◯

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

The Moroccan Critical Experience and Its Prospects of Interaction within the Saudi Academic Context: Towards Arab Cognitive Integration

Mounir Mhakkak[1]
Hassan II University, Morocco.
Mounirùhakkak64@gmail.com
Nora El Qahtani[2]
Imam Mohammed Ibn Saud Islamic University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.
NOoar@hotmail.com

Abstract:

The cognitive interaction between the Moroccan critical experience and the Saudi academic context represents a vivid model of knowledge transfer within the Arab intellectual sphere. Moroccan critical and theoretical projects have contributed significantly to enriching analytical approaches to Arabic literary texts, enabling Saudi researchers to benefit from both theoretical and applied perspectives.

Abdelmajid Jahfa established key foundations of modern Arabic semantics through works such as Introduction to Arabic Semantics and The Concept of Time in Arabic, emphasizing the relationship between sign and context and distinguishing between Standard Arabic and Moroccan Arabic. Meanwhile, Abdelkader Fassi Fehri advanced Arabic linguistics through studies on language policy, linguistic planning, and the construction of a standard linguistic model linking linguistic analysis with cultural identity.

Within this framework, Said Yaktine transferred narratological tools from theory to practical analysis of modern Arabic narrative, focusing on narrative structure, temporality, and characterization. Mohammed مفتاح developed an integrated model for poetic discourse analysis combining linguistic precision, rhetoric, and aesthetics. Jamal Bendahman expanded the horizons of cultural criticism and discourse analysis by emphasizing socio-cultural contexts, while Nourredine Mhakkak connected critical studies with questions of meaning and identity through semiotics and discourse analysis as applied analytical frameworks.

The study adopts an analytical, synthetic, and comparative methodology to examine how these Moroccan critical projects interact with Saudi academic research through the adaptation of their theoretical tools in literary analysis. The findings demonstrate that this interaction has broadened the horizons of Arab literary studies and fostered a renewed critical awareness grounded in dialogue and intellectual integration, enabling the production of innovative Arab critical knowledge beyond mere transmission toward methodological creativity and practical application.

Keywords: Moroccan Critical Experience; Knowledge Interaction; Semantics; Narratology; Discourse Analysis; Contemporary Arab Criticism; Cognitive Integration.

.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

التجربة النقدية المغربية وآفاق تفاعلها في السياق الأكاديمي السعودي: نحو تكامل معرفي عربي

د. منير محقق[1]
جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب
Mounirùhakkak64@gmail.com
د. نورة بنت علي القحطاني[2]
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية
NOoar@hotmail.com

ملخص:

تهدف هذه **الدراسة** إلى إبراز مظاهر التفاعل المعرفي بين **التجربة النقدية المغربية والسياق الأكاديمي السعودي**، من خلال رصد أهم **المشاريع الفكرية والنقدية المغربية** التي ساهمت في تحديد **أدوات القراءة والتحليل للنص العربي**، وكيف تم تلقيها وإعادة توظيفها داخل **البحث الأكاديمي السعودي**.

يستند البحث إلى تتبع **مساهمات مجموعة** من أبرز **الباحثين المغاربة**:

عبد المجيد جحفة، الذي أسهم في **تطوير الدلالة العربية الحديثة** من خلال أعماله مثل **مدخل إلى الدلالة العربية ومفهوم الزمن في العربية**، مركّزًا على العلاقة بين **الدال والسياق** والتمييز بين **العربية المعيارية والعربية المغربية**.

عبد القادر الفاسي الفهري، الذي مزج بين **اللسانيات العربية والسياسة اللغوية والتخطيط اللغوي**، مع تقديم **نموذج معياري للغة العربية**، من خلال أعماله ذرات من اللسانيات العربية والبرنامج الأدنوي، بالإضافة إلى دراساته حول المعجم العربي.

سعيد يقطين، الذي طور **تحليلات السرد العربي** من **النظرية إلى التطبيق**، من خلال دراسة البنية السردية والزمن والشخصيات في الرواية العربية، ليجعل من الأدوات البنيوية والسردية وسائل نقدية عملية.

محمد مفتاح، الذي ركّز على **تحليل الخطاب الشعري**، جامعًا بين **اللسانيات والبلاغة والنقد**، مقدمًا قراءة دقيقة **للنصوص الشعرية الحديثة**، تجمع بين الصرامة العلمية والجمالية الأدبية.

جمال بندحمان، الذي وسّع نطاق **النقد الثقافي وتحليل الخطاب**، عبر **قراءة النصوص** في علاقتها **بالسياق الاجتماعي والثقافي**، مع التأكيد على **التكامل بين الأدب والعلوم الإنسانية**.

نور الدين محقق، الذي ربط **الدرس النقدي** بالقضايا **الدلالية والهوية**، مع الانفتاح على **المناهج الحديثة** مثل **السيميائيات وتحليل الخطاب**، موفّرًا نموذجًا للبحث **النقدي التطبيقي والمتفاعل**.

يعتمد **البحث منهجًا تحليليًا تركيبيًا** ذو بعد **مقارن**، يهدف إلى إبراز كيفية تأثير هذه **المشاريع المغربية على البحث الأكاديمي السعودي**، سواء على مستوى **الأدوات النظرية أو التطبيقات النقدية** العملية، وكيفية إعادة **إنتاج المفاهيم** ضمن **سياق محلي سعودي**، مع الحفاظ على **هويتها المنهجية**.

الكلمات المفتاحية: التجربة النقدية المغربية؛ التفاعل المعرفي؛ الدلالة؛ السرديات؛ تحليل الخطاب؛ النقد العربي المعاصر؛ التكامل المعرفي.

كتاب وقائع المؤتمر العلميّ الدّولي الدّوري العاشر (10) حول آفاق البحث ضمن التكامل المعرفي: مقاربات متعددة التخصصات لإنتاج معرفة مبتكرة وفاعلة أيام 06-07/02/2026
تحت شعار ۞ المعرفة المتكاملة... رافعةٌ للتغيير والإبداع ۞

مقدمة:

يشكّل التفاعل الثقافي بين الأقطار العربية أحد الروافد الأساسية لتطوّر البحث الأدبي والنقدي، إذ لا يمكن للمعرفة أن تنمو في فضاء منغلق أو ضمن حدود جغرافية صلبة. وفي هذا السياق، يبرز التفاعل المعرفي بين التجربة **النقدية المغربية** و**السياق الأكاديمي السعودي** بوصفه نموذجًا حيًا ودالًا على دينامية التبادل والانتقال المعرفي بين الأقطار العربية وداخل الثقافة العربية المعاصرة ، حيث أسهمت المشاريع النقدية والفكرية المغربية في إثراء أدوات القراءة والتحليل للنص العربي، وتمكين الباحثين السعوديين من الاستفادة العلمية والتطبيقية. لتسهم بذلك التجربتان، كلٌّ من موقعه، في إغناء الدرس الأدبي والنقدي وتوسيع آفاقه المنهجية.

لقد رسخ **عبد المجيد جحفة**، من خلال أعماله مثل مدخل إلى الدلالة العربية ومفهوم الزمن في العربية، أسس الدلالة العربية الحديثة، مركزًا على العلاقة بين الدال والسياق والتمييز بين العربية المعيارية والعربية المغربية، فيما أضاف **عبد القادر الفاسي الفهري**، عبر دراساته في اللسانيات العربية ونظرية السياسة اللغوية وبناء النموذج المعياري للغة العربية، رؤية نقدية تربط بين التحليل اللغوي والسياسة الثقافية والهوية.

وفي هذا الإطار، أسهم **سعيد يقطين** في نقل أدوات السرديات من النظرية إلى التطبيق على الرواية العربية الحديثة، مع التركيز على البنية السردية والزمن والشخصيات، بينما قدّم **محمد مفتاح** نموذجًا نقديًا متكاملًا في تحليل الخطاب الشعري جامعًا بين الدقة اللسانية والبلاغية والجمالية للنصوص. كما أتاح **جمال بندحمان** توسيع أفق النقد الثقافي وتحليل الخطاب من منظور اجتماعي وثقافي، ليصبح النقد أكثر ارتباطًا بالسياق، في حين أسهم **نور الدين محقق** في ربط الدرس النقدي بأسئلة الدلالة والهوية، مع الانفتاح على السيميائيات وتحليل الخطاب بوصفهما أدوات تطبيقية في قراءة النصوص.
تسعى هذه الدراسة المشتركة إلى مقاربة مظاهر هذا التفاعل، ورصد آلياته وتجلياته داخل الحقل الأكاديمي، انطلاقًا من منجز نقدي مغربي حديث، ومن تلقيه وتمثلاته داخل السياق الثقافي والأكاديمي السعودي، مع الحرص على تجاوز منطق التأثير الأحادي نحو أفق الحوار والتكامل حيث يعتمد البحث منهجًا تحليليًا تركيبيًا ذا بعد مقارن، يهدف إلى إبراز كيفية تفاعل هذه المشاريع المغربية مع البحث الأكاديمي السعودي عبر

توظيف مفاهيمها وأدواتها النقدية في دراسة النصوص الأدبية. وتبيّن النتائج أن هذا التفاعل أسهم في توسيع أفق البحث الأدبي العربي وتعزيز وعي نقدي متجدد قائم على الحوار والتكامل، بما يسمح بإنتاج معرفة نقدية عربية متجددة تتجاوز النقل نحو الإبداع المنهجي والتطبيق الواقعي.

إشكالية الدراسة وأسئلتها

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية مفادها :**كيف تتجلّى مظاهر التفاعل الأدبي والنقدي بين المغرب والمملكة العربية السعودية؟ وما طبيعة هذا التفاعل داخل البحث الأكاديمي العربي المعاصر؟**

ويتفرّع عن هذه **الإشكالية** عدد من الأسئلة الفرعية، من قبيل:

ما أبرز ملامح التجربة النقدية المغربية الحديثة؟

كيف تمّ تلقي بعض مفاهيمها ومناهجها داخل السياق الأكاديمي السعودي؟

إلى أي حد أسهم هذا التفاعل في تطوير الدرس الأدبي والنقدي العربي؟

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا تركيبيًا، يستند إلى قراءة نقدية لبعض المنجزات النظرية والتطبيقية في النقد المغربي الحديث، مع تتبّع حضورها في عدد من الدراسات والبحوث الأكاديمية السعودية. كما استعانت الدراسة بالمقاربة المقارنة، لا بهدف المفاضلة بين التجارب، بل للكشف عن أوجه التقاطع والتفاعل، ورصد دينامية الانتقال المعرفي داخل الفضاء العربي.

أولًا: ملامح من التجربة النقدية المغربية (نماذج ومشاريع)

الدرس اللساني المغربي وجسور الانتقال المعرفي العربي

مساهمة عبد المجيد جحفة نموذجًا

مقدمة

أضحى **الدرس اللساني المغربي** خلال العقود الأخيرة أحد أبرز الحقول المعرفية المؤثرة في تطور البحث اللغوي العربي المعاصر، إذ استطاع أن يؤسس لنموذج علمي يجمع بين استيعاب النظريات اللسانية الحديثة وإعادة تأويلها داخل السياق الثقافي العربي. ولم يظل هذا الإنتاج العلمي حبيس المجال المحلي، بل أسهم في تشكيل فضاء معرفي عربي مشترك، تجلت مظاهره في التفاعل الأكاديمي بين الجامعات المغربية ونظيراتها في المشرق العربي، وخاصة في التجربة النقدية واللسانية السعودية التي انفتحت على عدد من التصورات المنهجية المغربية واستثمرتها في تطوير أدوات التحليل اللغوي والنقدي.

وفي هذا الإطار، برزت أسماء علمية وازنة مثل عبد القادر الفاسي الفهري، وحسن الصميلي، وعبد الواحد خيري، وفاطمة اليحياوي، ولطيفة القاديري وغيرهم، غير أن تجربة الباحث اللساني عبد المجيد جحفة تمثل نموذجًا دالًا على دينامية الانتقال المعرفي العربي، لما اتسمت به أعماله من عمق نظري وانشغال إبستمولوجي بسؤال المعنى وبنيات اللغة العربية (**جحفة، 2010**).

أولًا: اللسانيات بوصفها حفريات معرفية

يقدّم **عبد المجيد جحفة** في كتابه حفريات في العربية تصورًا أركيولوجيًا للبحث اللساني، حيث تصبح اللغة مجالًا للتنقيب المعرفي الذي يكشف الطبقات التاريخية المتراكمة داخل الألفاظ والدلالات. فاختيار مفهوم «الحفريات» لا يحمل بعدًا استعاريًا فقط، بل يعكس تصورًا علميًا يرى أن المعاني تخضع لتحولات زمنية مشابهة لتحولات الطبقات الأثرية (جحفة، 2010.(

ومن هذا المنطلق، يتحول اللساني إلى «أركيولوجي للمعنى»، يعمل على استنطاق العلامات اللغوية واستعادة تاريخها التداولي. وقد أسهم هذا التصور في إعادة توجيه الدراسات الدلالية العربية نحو فهم تطوري للمعنى،

وهو توجه وجد صداه في عدد من الدراسات العربية الحديثة التي سعت إلى الربط بين اللسانيات والتاريخ الثقافي للغة.

ثانيًا: الاتصال الدلالي بين العربية المعيارية والعربية المغربية

يرفض **جحفة** المقاربة التقليدية التي تبحث عن الفصيح داخل الدارج، ويقترح بدلًا منها دراسة العلاقات الدلالية التي تربط بين أنماط العربية المختلفة بوصفها أنظمة متفاعلة داخل نسق لغوي واحد. فالمقارنة لا تقوم على التطابق، بل على تحليل مسارات تطور المعنى عبر ظواهر التخصيص والتعميم والانزياح الدلالي (**جحفة، 2010**)

ويكشف هذا الطرح عن تصور دينامي للغة العربية باعتبارها كيانًا حيًا يتطور وفق شروط الاستعمال الثقافي والاجتماعي، وهو ما ساهم في تعزيز الرؤية الوحدوية للغة العربية داخل البحث اللساني العربي، ومهّد لإمكانات تفاعل علمي أوسع بين المدارس اللسانية العربية، بما فيها التجربة السعودية التي انخرطت في دراسة التنوع اللغوي ضمن إطار العربية الجامعة.

ثالثًا: إشكالية المعنى بين الإدراك والعالم

في كتابه مدخل إلى الدلالة الحديثة، يطرح جحفة سؤالًا إبستمولوجيًا مركزيًا: أين يوجد المعنى؟ ويرى أن الإجابة تقتضي تجاوز الثنائية التقليدية بين اللغة والعالم، لأن المعنى يتشكل داخل علاقة تفاعلية تجمع الإنسان ببيئته الإدراكية (**جحفة، 2018**).

ويؤكد الباحث أن المعنى ليس خاصية مستقلة عن البنية اللغوية أو الذهن البشري، بل نتيجة عمليات إدراكية تسمح للإنسان بتمثيل العالم والتواصل بشأنه. ويستند في ذلك إلى التصورات الإدراكية التي أبرزت دور البيئة في بناء المعنى، كما عند غيبسن الذي اعتبر الإدراك عملية تفاعل مباشر مع المحيط (**Gibson, 1979**).

رابعًا: النظريات الدلالية والتصورات المنطقية للمعنى

يعرض **جحفة** ثلاث مقاربات كبرى لتعريف المعنى:

النظرية المرجعية التي تربطه بالإحالة على العالم،

نظرية الأفكار التي تجعله تمثيلًا ذهنياً،

النظرية السلوكية التي تفسره من خلال الاستجابة التواصلية.

وتشترك هذه النظريات في مبدأ «التعيين»، أي تحديد المعنى عبر علاقته بعنصر خارجي أو ذهني (**جحفة، 2018**). كما يناقش التصور المنطقي الذي يربط المعنى بشروط الصدق، وهو تقليد يمتد إلى الدراسات الدلالية المنطقية الحديثة، مقابل الاتجاه النفسي الذي يجعل المعنى بنية معرفية داخل الذهن الإنساني.

خامسًا: المتكلم وإنتاجية المعنى

يناقش جحفة البعد الإبداعي للمتكلم مستندًا إلى التصور التوليدي الذي يرى اللغة قدرة إنسانية خلاقة، كما ذهب إلى ذلك تشومسكي .(Chomsky, 1986) فالمعنى، وفق هذا المنظور، يرتبط بقصد المتكلم، وهو ما يجعل إنتاج المعنى عملية دينامية لا تنفصل عن الفعل اللغوي ذاته.

غير أن هذا التصور يفتح المجال لنقاشات تأويلية حول دور المتلقي، وهو ما أسهم في تقريب اللسانيات من النقد الأدبي ونظريات التأويل، الأمر الذي يعزز إمكان بناء جسور معرفية بين الدراسات اللغوية والنقدية في السياق العربي المشترك.

سادسًا: تمثيل المعنى في النحو التوليدي

يميّز **جحفة** بين الدلالة التأويلية والدلالة التوليدية داخل النحو التوليدي، حيث تمنح الأولى الدلالة دورًا تفسيرياً لاحقًا للبنية النحوية، بينما ترى الثانية أن المكون الدلالي يسهم في توليد البنية التركيبية نفسها (**جحفة، 2018**).

ويستحضر نموذج غروبر الذي يفترض وجود مستوى دلالي سابق للوحدات المعجمية، حيث تتشكل الأوليات الدلالية قبل تحققها اللفظي. وقد ساعد هذا التصور على إعادة التفكير في العلاقة بين المعنى والتركيب داخل الدراسات اللسانية العربية الحديثة.

سابعًا: اللغة والزمن وإشكالية الإحالة الزمنية

في كتابه **دلالة الزمن في العربية**، يعالج **جحفة الزمن** باعتباره مقولة نحوية ودلالية في آن واحد، مشيرًا إلى أن فهم القول اللغوي يقتضي فهم إحالته الزمنية (جحفة، 2012.(

ويرى أن تعقيد الزمن في العربية يعود إلى تداخل المستويات النحوية والدلالية والإدراكية، إضافة إلى قلة الدراسات الوصفية الشاملة للنسق الزمني العربي، مما يجعل البحث في **الزمن اللغوي** مجالًا مفتوحًا أمام **الدراسات المستقبلية**.

تكشف تجربة **عبد المجيد جحفة** اللسانية عن نموذج معرفي عربي قائم على الحوار بين النظرية والتطبيق، وبين التراث والحداثة، وهو ما جعل أعماله تسهم في تطوير التفكير الدلالي العربي وإدماجه ضمن النقاش اللساني العالمي.

ومن هذا المنظور، يمكن اعتبار المشروع اللساني المغربي أحد الجسور المعرفية التي أسهمت في تعزيز التفاعل العلمي بين المغرب والسعودية، حيث أتاح انتقال المفاهيم والمقاربات اللسانية بناء أفق عربي مشترك يقوم على التكامل العلمي وتبادل الخبرات، بما يعكس وحدة المجال الثقافي العربي في تعدده المنهجي.

.

.2عبد القادر الفاسي الفهري واللسانيات العربية المعاصرة

يمثّل **عبد القادر الفاسي الفهري** أحد أعمدة **اللسانيات العربية الحديثة**، خاصة من خلال اشتغاله على **النحو التوليدي، والسياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي بالمغرب**. ففي كتابه" **ذرات من اللسانيات العربية**"، قدّم مقاربة نقدية عميقة **للأسس النظرية** التي يقوم عليها **الدرس اللساني العربي**، مع مساءلة حدود استيعاب النماذج الغربية.

وفي كتابه" **البرنامج الأدنوي**"، دافع **الفاسي الفهري** عن ضرورة بناء **نموذج معياري للغة العربية**، يوازن بين **البعد النظري** ومتطلبات الاستعمال الاجتماعي. كما أسهمت أعماله حول **المعجم العربي** في إعادة التفكير في علاقة **اللغة بالسياسة الثقافية** و**الهوية**.

إنّ **مشروع الفاسي الفهري** لا يقتصر على **التنظير اللساني**، بل يمتد إلى ربط اللغة بالقرار الثقافي والمؤسسي، وهو ما يجعل أعماله ذات قابلية للتفاعل داخل سياقات عربية مختلفة، من بينها **السياق السعودي**.

.3سعيد يقطين ومحمد مفتاح: من النظرية إلى التطبيق

شكّل **سعيد يقطين** نموذجًا بارزًا في نقل **السرديات** من حقل **التنظير** إلى حقل **التطبيق**، خاصة في تحليله **للرواية العربية**. فقد أسهم في ترسيخ مفاهيم مثل **البنية السردية**، **والزمن**، **والتبئير**، مع ربطها بتحليل نصوص **روائية محدّدة**، ما جعل مشروعه مرجعًا في الدراسات **السردية العربية**.

أما **محمد مفتاح**، فقد قدّم **مشروعًا نقديًا** يقوم على **التكامل** بين **اللسانيات والبلاغة وتحليل الخطاب**، خصوصًا في دراساته **للشعر العربي**. وتميّزت قراءاته **بالدقة المفهومية والصرامة المنهجية**، مع وعي عميق بإمكانات **اللغة الشعرية**.

.4إسهام جمال بندحمان في تجديد النقد المغربي بين المشروع النظري والممارسة السردية

يمثّل **المشروع النقدي** للدكتور **جمال بندحمان** أحد المسارات المعرفية البارزة داخل **النقد المغربي المعاصر**، إذ يقوم على تجاوز المقاربات **التصنيفية التقليدية** نحو بناء **تصور نقدي منفتح** يجمع بين **السيميائيات والتداوليات والدراسات المعرفية**، في محاولة لإعادة التفكير في طبيعة الخطاب الأدبي وآليات تحليله (**بندحمان، 2015**). ويندرج هذا المشروع ضمن التحولات التي عرفها النقد المغربي المنهجي، والتي سعت إلى الانتقال من القراءة الوصفية للنصوص إلى بناء نماذج تفسيرية قادرة على استيعاب تعقيد **الخطابات الحديثة** وتداخل **أنظمتها الدلالية**.

ينطلق **بندحمان** من فرضية مركزية مفادها أن الحكي ليس خاصية نوع أدبي بعينه، بل بنية عابرة لمختلف الخطابات، الأمر الذي يدفعه إلى نقد ما يسميه " **التصنيفات الخطية** " التي تفصل بين الأجناس الأدبية فصلاً صارمًا. ومن هنا يقترح مفهوم **الحكي المركب** بوصفه **إطارًا نظريًا** يسمح بدراسة النصوص التي تتجاوز **الحدود التقليدية** بين **السرد والشعر والخطاب الفكري**، مستندًا في ذلك إلى مفاهيم سيميائية وتداولية مثل التناص، والتشاكل، والتمثل، والموسوعة، والعوالم الممكنة، بما يجعل التحليل النقدي مرتبطًا **بالعلوم المعرفية** الحديثة وبمقاربات **الذكاء الاصطناعي** في فهم **إنتاج المعنى**

(**بندحمان، 2011**).

وقد تجلّى هذا التوجه بوضوح في كتابه سيمياء الحكي المركب: البرهان والعرفان، حيث سعى إلى بناء نموذج تحليلي قادر على الكشف عن البنية العميقة للخطابات المركبة التي تستعصي على أدوات التحليل التقليدية، مؤكدًا أن المعنى لا يُعطى جاهزًا بل يُبنى عبر تفاعل النص مع ذاكرته الثقافية وسياقه التداولي (بندحمان، 2015). كما عمّق هذا التصور في كتابه الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، من خلال دراسة سيرورة تشكّل المعنى داخل الخطاب، وربطها بالبنيات الذهنية التي تحكم إنتاج الدلالة وتلقيها (**بندحمان، 2011**) ولا يظل مشروع بندحمان حبيس التنظير، بل يمتد إلى الممارسة الإبداعية ذاتها، وهو ما يمنحه خصوصية داخل المشهد النقدي المغربي؛ إذ تتجسد رؤيته النظرية عمليًا في تجربته الروائية، خاصة في روايته «محنة ابن اللسان» التي تمثل تطبيقًا سرديًا لأطروحاته حول مركزية الخطاب والكلام في بناء المعنى. فالرواية تجعل من اللغة ذاتها موضوعًا للحكي، حيث يتحول "**الكلام**" إلى محور وجودي وسردي يحدد مصائر الشخصيات ومساراتها داخل العالم الروائي.

ويكشف تحليل **العتبات النصية**، بدءًا من **العنوان** الذي يحوّل الإنسان إلى "**ابن اللسان**"، عن وعي سردي يجعل الهوية الإنسانية مرتبطة بالفعل اللغوي، بينما تعكس صورة الغلاف ورمزية الصمت الممنوع جدلية الكلام والسلطة داخل الفضاء الاجتماعي. كما تتجلى أطروحة الحكي المركب في تعدد الأصوات السردية وبنية البوليفونية التي تمنح الشخصيات استقلالية تعبيرية، بما يحرر الرواية من هيمنة السارد الواحد ويجعل المعنى نتيجة تفاعل أصوات متعددة.

وتبرز **الشخصيات** المرتبطة **بوظائف الكلام** ـ **المعلم، الصحفي، المحامي، والراوي** ـ بوصفها **نماذج دلالية** تمثل أنماطًا مختلفة من سلطة **الخطاب** داخل **المجتمع**، حيث يصبح **الكلام** أداة **معرفة** وقوة **رمزية** في الآن ذاته، وهو ما ينسجم مع تصور بندحمان للخطاب باعتباره شبكة علاقات ثقافية واجتماعية تتجاوز حدود النص الأدبي.

وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار **مشروع جمال بندحمان** نموذجًا نقديًا يجمع بين **التنظير والتطبيق**، إذ يربط بين **تحليل الخطاب والسيميائيات والدراسات المعرفية** من جهة، وبين **التجربة الإبداعية** من جهة ثانية،

مما يفتح أفقًا جديدًا أمام النقد العربي يقوم على فهم النص بوصفه فضاءً دلاليًا مركبًا تتداخل فيه المعرفة واللغة والثقافة (**بندحمان، 2011؛ 2015**)

في حين أسهم .نور الدين محقق، عبر كتاباته في ربط **التحليل النقدي** بأسئلة **الدلالة والهوية**، مع انفتاح واضح على **المناهج الحديثة**، ما يجعله امتدادًا لجيل **نقدي مغربي** يراهن على التفاعل والتجديد.

من اللسانيات إلى السرديات: تشكّل نسق نقدي مغربي متكامل

لا يمكن فهم **المشروع النقدي المغربي المعاصر** بوصفه جهودًا فردية متجاورة، بل باعتباره **سيرورة معرفية** متدرجة تشكّلت عبر تفاعل مشاريع علمية متكاملة أسهمت في نقل **الدرس الأدبي العربي** من مرحلة **الوصف البلاغي** إلى أفق **التحليل العلمي** متعدد الاختصاصات. فقد أسّس **عبد المجيد جحفة** لبعد **دلالي حديث** داخل الدراسات **اللغوية العربية** من خلال إعادة النظر في علاقة **المعنى بالسياق والزمن والاستعمال**، حيث أبرز في أعماله حول **الدلالة العربية ومفهوم الزمن** أن **اللغة** ليست نظامًا ثابتًا بل **بنية دينامية** تتشكل داخل **الاستعمال الثقافي والاجتماعي**، وهو ما مهّد لإدخال التفكير التداولي في تحليل الخطاب العربي.

وفي امتداد لهذا التحول، عمّق **عبد القادر الفاسي الفهري** البعد **اللساني النظري** عبر بناء **تصور علمي للغة العربية في ضوء اللسانيات المعاصرة**، رابطًا بين **النموذج المعياري** و**البنية الذهنية للغة**، ومبرزًا دور **السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي** في تشكيل **الهوية الثقافية**. وقد أسهمت أعماله في نقل النقاش من مستوى اللغة بوصفها أداة تعبير إلى اللغة باعتبارها **نظامًا معرفيًا** يخضع لقوانين علمية قابلة **للنمذجة والتحليل**.

ومع انتقال الاهتمام من **بنية اللغة** إلى **بنية النص**، ظهرت مساهمة **محمد مفتاح** التي جمعت بين **اللسانيات والبلاغة والسيميائيات**، حيث عمل على بناء **نموذج تحليلي للخطاب الشعري** يقوم على تفاعل **المستويات الصوتية والدلالية والثقافية**، مؤسسًا لقراءة ترى **النص شبكة علاقات** لا بنية مغلقة. وفي الاتجاه نفسه، طوّر **سعيد يقطين المشروع السردي العربي** عبر نقل مفاهيم **السرديات الحديثة** إلى تحليل **الرواية العربية**، مع التركيز على **الزمن السردي** و**بنيات الحكي وآليات التلقي**، مما جعل **السرديات** مجالًا **تطبيقيًا** يربط **النظرية بالممارسة النصية**.

وفي سياق هذا التطور المتدرج، يأتي **مشروع جمال بندحمان** ليشكّل مرحلة تركيبية داخل هذا المسار، إذ انتقل بالنقد من تحليل **الأنواع الأدبية المنفصلة** إلى دراسة **الخطابات المركبة**، مستثمرًا **السيميائيات والتداوليات والعلوم المعرفية** لإعادة بناء **مفهوم الحكي** ذاته بوصفه خاصية عابرة للأنواع. وتكتمل هذه الدينامية مع إسهامات **نورالدين محقق** التي سعت إلى ربط النقد بأسئلة **الهوية والدلالة الثقافية**، مع الانفتاح على **تحليل الخطاب والسيميائيات** في قراءة النصوص الأدبية ضمن سياقها الحضاري.

وبذلك تتشكل **التجربة النقدية المغربية** كنسق **معرفي متكامل** يبدأ من **اللسانيات والدلالة**، ويمر عبر تحليل **الخطاب والسرديات**، ليصل إلى المقاربات **الثقافية والمعرفية المركبة**، وهو مسار يفسر قابلية هذا النموذج النقدي للتفاعل داخل **السياقات الأكاديمية العربية**، ومنها **السياق السعودي**، حيث يجد الباحث العربي أدوات تحليلية مشتركة تسمح ببناء معرفة نقدية عابرة للحدود الجغرافية وقائمة على التكامل المنهجي.

ثانيًا: تلقي النقد المغربي في السياق الأكاديمي السعودي

لم يكن تلقي **النقد المغربي** داخل **السياق الأكاديمي السعودي** تلقّيًا سلبيًا أو نقليًا، بل تمّ عبر مسارات بحثية متعددة، أبرزها الدراسات الجامعية والأبحاث المنشورة في المجلات المحكمة. فقد استعان **عدد من الباحثين السعوديين** بمفاهيم مستمدة من **السيميائيات وتحليل الخطاب** في دراسة **النصوص السردية والشعرية**، مع إعادة تكييف هذه الأدوات بما يتلاءم مع خصوصيات **النص المدروس**.

ويتجلّى هذا التفاعل في توظيف مفاهيم مثل **السياق التداولي**، و**البعد الدلالي**، و**تمفصل الخطاب**، في مقاربة **النصوص الأدبية**، بما يعكس وعيًا منهجيًا متقدّمًا. كما أتاح هذا التلقي توسيع أفق **البحث النقدي** داخل **الجامعة السعودية**، وربطه بأسئلة **المعنى والتأويل والوظيفة الثقافية للنص**.

ومن ثمّ، يمكن القول إن **النقد المغربي** شكّل أحد **الروافد** التي أسهمت في إغناء **النقاش النقدي**، لا بوصفه نموذجًا يُحتذى حرفيًا، بل بوصفه تجربة قابلة **للحوار والتطوير** داخل **السياق السعودي**.

ثالثًا: آفاق التكامل والتفاعل المعرفي

يُبرز تتبّع مظاهر التفاعل بين **التجربتين المغربية والسعودية** أن **التكامل المعرفي** لا يتحقّق عبر **استنساخ المناهج**، بل عبر إعادة إنتاجها في ضوء حاجات البحث المحلي. فقد أفضى هذا التفاعل إلى توسيع دائرة **الاشتغال النقدي**، وإلى إدماج مقاربات بينية تجمع بين **التحليل اللغوي، والسيميائي، والثقافي**.

كما أسهم هذا المسار في خلق وعي مشترك بأهمية **البحث المقارن**، وفي تعزيز **التعاون الأكاديمي** عبر الندوات والمشاريع البحثية المشتركة. ويُعدّ هذا التفاعل نموذجًا عمليًا لكيفية انتقال المعرفة داخل الفضاء العربي، انتقالًا يقوم على **الحوار** لا على التبعية، وعلى **الإضافة** لا على التكرار.

نتائج الدراسة

توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج، من أهمها:

أن التفاعل **الأدبي والنقدي** بين **المغرب والسعودية** يقوم على تبادل **معرفي مثمر**.

أن **النقد المغربي** أسهم في إغناء بعض مسارات **البحث الأكاديمي السعودي**.

أن هذا التفاعل يعكس **دينامية الثقافة العربية** وقدرتها على إنتاج **معرفة منفتحة** و**متجددة**.

التوصيات

في ضوء ما سبق، توصي الدراسة بـ:

تشجيع **الدراسات المقارنة** بين التجارب النقدية العربية.

دعم **المشاريع البحثية المشتركة** بين **الجامعات المغربية والسعودية**.

تعزيز النشر المشترك في **المجلات** و**الكتب الجماعية المحكمة**.

خاتمة:

تتجلى قوة **التجربة النقدية المغربية** في قدرتها على الجمع بين **النظرية والتطبيق**، **والبناء المنهجي والتحليل الواقعي**، عبر **مشاريع فكرية متكاملة** ساهمت كل منها في إعادة تشكيل أدوات **فهم النص العربي**. ويظهر **التفاعل** مع **السياق الأكاديمي السعودي** كيف يمكن لهذه **التجربة** أن تتجاوز **الحدود المحلية** لتصبح نموذجًا **للتكامل المعرفي العربي**، قائمًا على **الحوار والتكامل والمنهجية العلمية والتطبيق الواقعي**، بعيدًا عن النقل أو التقليد، بما يرسخ **أفقًا معرفيًا جديدًا** قادرًا على مواجهة **التحديات الفكرية** ومواكبة **التحوّلات المعرفية** و**الثقافية المعاصرة**.

تخلص **الدراسة** إلى أن **جسور الأدب والنقد** بين **المغرب والسعودية** تمثّل نموذجًا حيًّا للتفاعل **الثقافي العربي**. ومن شأن هذا المسار، إذا ما تمّ **تعزيزه وتطويره**، أن يسهم في بناء **خطاب نقدي عربي** أكثر نضجًا وفاعلية، قادر والثقافية المعاصرة.

قائمة المراجع:

بندحمان، ج. (2011). الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري. القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع.
بندحمان، ج. (2015). سيمياء الحكي المركب: البرهان والعرفان. القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع
جحفة، عبد المجيد . (2008). مدخل إلى الدلالة العربية. الرباط: دار النشر المغربية.
جحفة، عبد المجيد. (2010). حفريات في العربية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
جحفة، عبد المجيد. (2012). دلالة الزمن في العربية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
جحفة، عبد المجيد. (2018). مدخل إلى الدلالة الحديثة. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
الفاسي الفهري، عبد القادر. (2000). اللسانيات واللغة العربية. الدار البيضاء: توبقال
الفاسي الفهري، ع.ق. (2005). نظرية السياسة اللغوية والنموذج المعياري للغة العربية. الرباط: المركز الثقا

مفتاح، م. (2003). تحليل الخطاب الشعري: منهجيات تطبيقية. الدار البيضاء: دار النشر المغربية

يقطين، س. (2001). السرديات العربية: بنية ونقد. الرباط: دار المعرفة للنشر

المراجع الأجنبية

Bendahman, J. (2011). Mental Patterns in Poetic Discourse. Cairo: Ru'ya Publishing & Distribution.

Bendahman, J. (2015). The Semiotics of Complex Narration: Proof and Gnosis. Cairo: Ru'ya Publishing & Distribution.

Jahfa, A. M. (2008). Introduction to Arabic Semantics. Rabat: Moroccan Publishing House.

Al-Fassi Al-Fihri, A. Q. (2005). Language Policy Theory and the Standard Arabic Model. Rabat: Arab Cultural Center.

Miftah, M. (2003). Poetic Discourse Analysis: Applied Methodologies. Casablanca: Moroccan Publishing House.

Yaktin, S. (2001). Arabic Narratology: Structure and Critique. Rabat: Knowledge Publishing House.